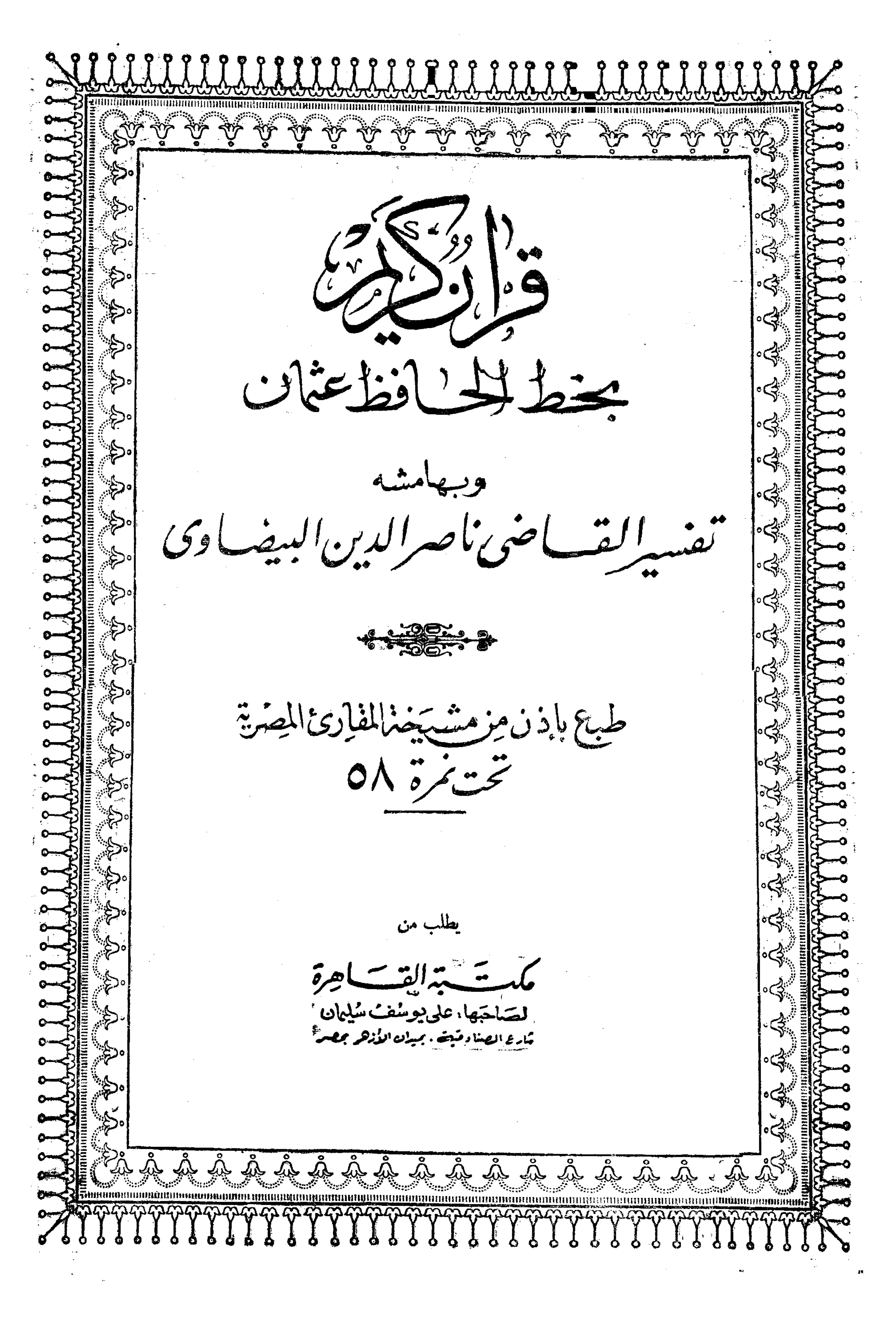




قرآن كريم

بخط الحافظ عثمان

وبهامشه

تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي

طبع بإذن من مشيخة المقارئ المصرية
تحت نمرة ٥٨

يطلب من
مكتبة القاهرة
لصاحبها: علي يوسف سليمان
شارع الصنادقية. بميدان الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا فتحدى باقصر سورة من سوره مصاقع الخطباء من العرب العربا فلم يجد به قديرا وافحم من تصدى لمعارضته من فصحاء عدنان وبلغاء قحطان حتى حسبوا انهم سحروا تسحيرا ثم بين للناس ما نزل اليهم حسبما عن لهم من مصالحهم ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب تذكيرا فكشف قناع الانغلاق عن ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات هن رموز الخطاب تأويلا وتفسيرا وابرز غوامض الحقائق ولطائف الدقائق ليتجلى لهم خفايا الملك والملكوت وخبايا قدس الجبروت ليتفكروا فيها تفكيرا ومهد لهم قواعد الاحكام واوضاعها من نصوص الايات والماعها ليذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا فمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد فهو في الدارين حميد وسعيد ومن لم يرفع اليه رأسه واطفأ نبراسه يعش ذميما ويصلى سعيرا فيا واجب الوجود ويا فائض الجود ويا غاية كل مقصود صل عليه صلاة توازي غناءه وتجازي عناءه وعلى من اعانه وقرر تبيانه تقريرا وافض علينا من بركاتهم واسلك بنا مسالك كراماتهم وسلم علينا وعليهم تسليما كثيرا

وبعد فان اعظم العلوم مقدارا وارفعها شرفا ومنارا علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها ومبنى قواعد الشرع واساسها لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه الا من برع في العلوم الدينية كلها اصولها وفروعها وفاق في الصناعات العربية والفنون الادبية بانواعها ولطالما احدث نفسي ان اصنف في هذا الفن كتابا يحتوي على صفوة ما بلغني من عظماء الصحابة وعلماء التابعين ومن دونهم من السلف الصالحين وينطوي على نكت بارعة ولطائف رائعة استنبطتها انا ومن قبلي من افاضل المتأخرين واماثل المحققين ويعرب عن وجوه القراآت المعزية الى الائمة الثمانية المشهورين والشواذ المروية عن القراء المعتبرين الا ان قصور بضاعتي يثبطني عن الاقدام ويمنعني عن الانتصاب في هذا المقام حتى سنح لي بعد الاستخارة ما صمم به عزمي على الشروع فيما اردته والاتيان بما قصدته ناويا ان اسميه بعد ان اتممه بانوار التنزيل واسرار التأويل فها انا الآن اشرع وبحسن توفيقه اقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤل

سورة فاتحة الكتاب وتسمى ام القرآن لانها مفتتحه ومبدأه فكأنها اصله ومنشأه ولذلك تسمى اساسا او لانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله سبحانه وتعالى والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها عليها والصلاة لوجوب قراءتها او استحبابها فيها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد التسمية دون انعمت عليهم ومنهم من عكس وتثنى في الصلاة او الانزال ان صح انها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم من الفاتحة ومن كل سورة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك رحمه الله تعالى والشافعي وخالفهم قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها ومالك والاوزاعي ولم ينص ابو حنيفة رحمه الله تعالى فيه بشيء فظن انها ليست من السورة عنده وسئل محمد بن الحسن عنها فقال ما بين الدفتين كلام الله تعالى ولنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال فاتحة الكتاب سبع ايات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وقول ام سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اية ومن اجلهما اختلف في انها اية برأسها ام بما بعدها والاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله سبحانه وتعالى والوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد القرآن حتى لم تكتب امين والباء متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ لان الذي يتلوه مقروء وكذلك يضمر كل فاعل ما يجعل التسمية مبدأ له وذلك اولى من ان يضمر ابدأ لعدم ما يطابقه وما يدل عليه او ابتدائي لزيادة اضمار فيه وتقديم المعمول ههنا اوقع كما في قوله بسم الله مجريها وقوله اياك نعبد لانه اهم وادل على الاختصاص وادخل في التعظيم واوفق للوجود فان اسمه سبحانه وتعالى مقدم على القراءة كيف لا وقد جعل آلة لها من حيث ان الفعل لا يتم ولا يعتد به شرعا ما لم يصدر باسمه تعالى لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر وقيل الباء للمصاحبة والمعنى متبركا باسم الله تعالى اقرأ وهذا وما بعده مقول على السنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه ويحمد على نعمه ويسئل من فضله وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند اصحابنا البصريين من الاسماء التي حذفت اعجازها لكثرة الاستعمال وبنيت اوائلها على السكون وادخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لان من دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن ويشهد له تصريفه على سماء واسامي وسمي وسميت ومجئ سمى كهدى لغة فيه قال

والله اسماك سمى مباركا آثرك الله به ايثاركا

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وشعار له ومن السمة عند الكوفيين واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلاله ورد بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره في كلامهم ومن لغاته سم وسم قال بسم الذي في كل سورة سمه والاسم ان اريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من اصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد اخرى والمسمى لا يكون كذلك وان اريد به ذات الشيء فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله تعالى تبارك اسم ربك وسبح اسم ربك المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب والاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما   وان اريد به الصفة كما هو رأي الشيخ ابي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى والى ما هو غيره والى
ما ليس هو ولا غيره وانما قال بسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه او للفرق بين اليمين والتيمن ولم تكتب الالف على ما هو وضع الخط لكثرة
الاستعمال وطولت الباء عوضا عنها والله اصله اله فحذفت الهمزة وعوض عنها الالف واللام ولذلك قيل يا الله بالقطع الا انه يختص بالمعبود بالحق
والاله في اصله لكل معبود ثم غلب على المعبود بحق واشتقاقه من اله الهة والوهة والوهية بمعنى عبد ومنه تأله واستأله وقيل من اله اذا تحير لان العقول
تتحير في معرفته او من ألهت الى فلان اى سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته او من اله اذا فزع من امر نزل عليه وآلهه غيره اجاره
اذ العائذ يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او بزعمه او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد يولعون بالتضرع اليه في الشدائد او من وله اذا تحير وتخبط عقله
وكان اصله ولاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها استثقال الضمة في وجوه فقيل اله كاعاء واشاح ويرده الجمع على آلهة دون اولهة وقيل اصله لاه
مصدر لاه يليه ليها ولاها اذا احتجب وارتفع لانه سبحانه وتعالى محجوب عن ادراك الابصار ومرتفع عن كل شئ وعما لا يليق به ويشهد له قول الشاعر
كحلفة من ابي رباح   يشهدها لاهه الكبار   وقيل علم لذاته المخصوصة لانه يوصف ولا يوصف به ولانه لا بد له من اسم تجرى عليه صفاته ولا يصلح له
مما يطلق عليه سواه ولانه لو كان وصفا لم يكن قول لا اله الا الله توحيدا مثل لا اله الا الرحمن فانه لا يمنع الشركة والاظهر انه وصف في اصله لكنه لما غلب عليه
بحيث لا يستعمل في غيره وصار له كالعلم مثل الثريا والصعق اجرى مجراه في اجراء الاوصاف عليه وامتناع الوصف به وعدم تطرق احتمال الشركة اليه لان ذاته
من حيث هو بلا اعتبار امر آخر حقيقي او غيره غير معقول للبشر فلا يمكن ان يدل عليه بلفظ ولانه لو دل على مجرد ذاته المخصوص لما افاد ظاهر قوله سبحانه وتعالى
وهو الله في السموات معنى صحيحا ولان معنى الاشتقاق هو كون احد اللفظين مشاركا للآخر في المعنى والتركيب وهو حاصل بينه وبين الاصول المذكورة وقيل
اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الاخيرة وادخال اللام عليه وتفخيم لامه اذا انفتح ما قبله او انضم سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد
به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر   الا لا بارك الله في سهيل   اذا ما الله بارك في الرجال   الرحمن الرحيم   اسمان بنيا للمبالغة من رحم
كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة في اللغة رقة القلب وانعطاف يقتضي التفضل والاحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها واسماء الله تعالى
انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي تكون انفعالات والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع وقطع وكبار
وكبار وذلك انما تؤخذ تارة باعتبار الكمية واخرى باعتبار الكيفية فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني
قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليلة وحقيرة وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى
لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره لان معناه المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها وذلك لا يصدق على غيره لان من عداه فهو
مستفيض بلطفه وانعامه يريد به جزيل ثواب او جميل ثناء او يزيح رقة الجنسية او حب المال عن القلب ثم انه كالواسطة في ذلك لان ذات النعم ووجودها والقدرة
على ايصالها والداعية الباعثة عليه والتمكن من الانتفاع بها والقوى التي بها يحصل الانتفاع الى غير ذلك من خلقه لا يقدر عليها احد غيره او لان الرحمن لما دل
على جلائل النعم واصولها ذكر الرحيم ليتناول ما خرج منها فيكون كالتتمة والرديف له او للمحافظة على رؤس الآي والاظهر انه غير مصروف وان خطر اختصاصه
بالله تعالى ان يكون له مؤنث على فعلى او فعلانة الحاقا له بما هو الغالب في بابه وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع
الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره
بذكره والاستمداد به عن غيره   الحمد لله   الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة او غيرها والمدح هو الثناء على الجميل مطلقا تقول حمدت زيدا على علمه
وكرمه ولا تقول حمدته على حسنه بل مدحته وقيل هما اخوان والشكر مقابلة النعمة قولا وعملا واعتقادا قال   افادتكم النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا
فهو اعم منهما من وجه واخص من آخر ولما كان الحمد من شعب الشكر اشيع للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في آداب الجوارح من الاحتمال جعل رأس
الشكر والعمدة فيه فقال عليه الصلاة والسلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده والذم نقيض الحمد والكفران نقيض الشكر ورفعه بالابتداء وخبره
لله واصله النصب وقد قرئ به وانما عدل عنه الى الرفع ليدل على عموم الحمد وثباته دون تجدده وحدوثه وهو من المصادر التي تنصب بافعال مضمرة لا تكاد
تستعمل معها والتعريف فيه للجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد ان الحمد ما هو او للاستغراق اذ الحمد في الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه
بوسط او بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله وفيه اشعار بانه تعالى حي قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه وقرئ الحمد لله باتباع
الدال اللام وبالعكس تنزيلا لهما من حيث انهما يستعملان معا منزلة كلمة واحدة   رب العالمين   الرب في الاصل مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشئ الى
كماله شيئا فشيئا ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت من ربه يربه فهو رب كقولك نم ينم فهو نم ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه
ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك والعالم اسم لما يعلم به الصانع وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب
لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وغلب العقلاء منهم فجمعه بالياء والنون كسائر اوصافهم وقيل اسم وضع لذوي العلم من الملائكة

والثقلين وتناوله لغيرهم على سبيل الاستتباع وقيل عني بها الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما ابدعه في العالم ولذلك سوى بين النظر فيهما وقال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وقرئ رب العالمين بالنصب على المدح او النداء او بالفعل الذي دل عليه الحمد وفيه دليل على ان الممكنات كما هي مفتقرة الى المحدث حال حدوثها فهي مفتقرة الى المبقي حال بقائها **الرحمن الرحيم** كرره للتعليل على ما سنذكره **مالك يوم الدين** قرأه عاصم والكسائي ويعقوب ويعضده قوله تعالى يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله وقرأ الباقون ملك وهو المختار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولما فيه من التعظيم والمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المأمورين من الملك وقرئ ملك بالتخفيف وملك بلفظ الفعل ومالكا بالنصب على المدح او الحال ومالك بالرفع منونا ومضافا على انه خبر مبتدأ محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة * ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا * اضاف اسم الفاعل الى الظرف اجراء له مجرى المفعول به على الاتساع كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار ومعناه ملك الامور يوم الدين على طريقة ونادى اصحاب الجنة اوله الملك في هذا اليوم على وجه الاستمرار لتكون الاضافة حقيقية معدة لوقوعه صفة للمعرفة وقيل الدين الشريعة وقيل الطاعة والمعنى يوم جزاء الدين وتخصيص اليوم بالاضافة اما لتعظيمه او لتفرده تعالى بنفوذ الامر فيه واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجدا للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد ليكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ما هو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية والثاني والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية بسوابق الاعمال حتى يستحق بها الحمد والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة فيه بوجه ما وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين **اياك نعبد واياك نستعين** ثم انه لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات تعلق العلم بمعلوم معين فخوطب بذلك اي يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون ادل على الاختصاص وللترقي من البرهان الى العيان والانتقال من الغيبة الى الشهود وكأن المعلوم صار عيانا والمعقول مشاهدا والغيبة حضورا بنى اول الكلام على ما هو مبادي حال العارف من الذكر والفكر والتأمل في اسمائه والنظر في آلائه والاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه وباهر سلطانه ثم قفى بما هو منتهى امره وهو ان يخوض لجة الوصول ويصير من اهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفاها اللهم اجعلنا من الواصلين الى العين دون السامعين للاثر ومن عادة العرب التفنن في الكلام والعدول من اسلوب الى آخر تطرية له وتنشيطا للسامع فيعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقول امرئ القيس * تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد * وذلك من نبأ جاءني * وخبرته عن ابي الاسود * وايا ضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت والكاف في ارايتك وقال الخليل ايا مضاف اليها واحتج بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب وهو شاذ لا يعتمد عليه وقيل هي الضمائر وايا عمدة فانها لما فصلت عن العوامل تعذر النطق بها مفردة فضم اليها ايا لتستقل به وقيل الضمير هو المجموع وقرئ اياك بفتح الهمزة وهياك بقلبها هاء والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه طريق معبد اي مذلل وثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة ولذلك لا تستعمل الا في الخضوع لله تعالى والاستعانة طلب المعونة وهي اما ضرورية او غير ضرورية والضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماعها يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح ان يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي او يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف والمراد طلب المعونة في المهمات كلها او في اداء العبادات والضمير المستكن في الفعلين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة او له ولسائر الموحدين ادرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها ولهذا شرعت الجماعة وقدم المفعول للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على ان العابد ينبغي ان يكون نظره الى المعبود اولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حيث قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه حيث قال ان معي ربي سيهدين وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير وقدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤوس الآي ويعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة ادعى الى الاجابة واقول لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه اوهم ذلك تبجحا واعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم ولا يستتب له الا بمعونة منه وتوفيق وقيل الواو للحال والمعنى نعبدك مستعينين بك وقرئ بكسر النون فيهما وهي لغة بني تميم فانهم يكسرون حروف المضارعة سوى الياء اذا لم ينضم ما بعدها **اهدنا الصراط المستقيم** بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف اعينكم فقالوا اهدنا او افراد لما هو المقصود الاعظم والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش لمقدماتها والفعل منه هدى واصله ان يعدى باللام او الى فعومل معاملة اختار في قوله تعالى

واختار موسى قومه وهداية الله تعالى تتنوع انواعا لا يحصيها عد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس مترتبة الاول افاضة القوى
التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح
والفساد واليه اشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله
وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي والالهام والمنامات
الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب
اما زيادة ما منحوه من الهدى او الثبات عليه او حصول المراتب المرتبة عليه فاذا قاله العارف بالله الواصل عنى به ارشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات احوالنا
وتميط غواشي ابداننا لنستضيء بنور قدسك فنراك بنورك والامر والدعاء يتشاركان لفظا ومعنى ويتفاوتان بالاستعلاء والتسفل وقيل بالرتبة والسراط من سرط
الطعام اذا ابتلعه فكأنه يسرط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا ليطابق الطاء في الاطباق وقد يشم الصاد صوت الزاي ليكون
اقرب الى المبدل منه وقرأ ابن كثير برواية قنبل عنه ورويس عن يعقوب بالاصل وحمزة بالاشمام والباقون بالصاد وهو لغة قريش والثابت في الامام وجمعه سرط
ككتب وهو كالطريق في التذكير والتأنيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق الحق وقيل هو ملة الاسلام **صراط الذين انعمت عليهم** بدل من الاول بدل
الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التوكيد والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وابلغه
لانه جعل كالتفسير والبيان له فكأنه من البين الذي لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وقيل الذين انعمت عليهم الانبياء وقيل اصحاب موسى وعيسى
عليهما الصلاة والسلام قبل التحريف والنسخ وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان فاطلقت لما يستلذه
من النعمة وهي اللين ونعم الله وان كانت لا تحصى كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها تنحصر في جنسين دنيوي واخروي والاول قسمان موهبي وكسبي والموهبي قسمان
روحاني كنفخ الروح فيه واشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة
وكمال الاعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات الفاضلة وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المستحسنة وحصول الجاه
والمال والثاني ان يغفر ما فرط منه ويرضى عنه ويبوأه في اعلى عليين مع الملائكة المقربين ابد الآبدين والمراد هو القسم الاخير وما يكون وصلة الى نيله من القسم
الآخر فان ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** بدل من الذين على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من الغضب
والضلال او صفة له مبينة او مقيدة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من الغضب والضلال وذلك انما يصح باحد تأويلين
اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى في قوله ولقد امر على اللئيم يسبني وقولهم اني لامر على الرجل مثلك فيكرمني او جعل غير معرفة بالاضافة
لانه اضيف الى ما له ضد واحد وهو المنعم عليه فيتعين تعين الحركة من غير السكون وعن ابن كثير نصبه على الحال من الضمير المجرور والعامل انعمت او باضمار اعني
او بالاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلين والغضب ثوران النفس ارادة الانتقام فاذا اسند الى الله تعالى اريد به المنتهى والغاية على ما مر وعليهم في محل الرفع
لانه نائب مناب الفاعل بخلاف الاول ولا مزيدة لتأكيد ما في غير من معنى النفي فكأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب
كما جاز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب وقرئ وغير الضالين والضلال العدول عن الطريق السوي عمدا وخطأ وله عرض عريض والتفاوت
ما بين ادناه واقصاه كثير قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل واضلوا
كثيرا وقد روي مرفوعا ويتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليهم من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل
به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى في القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعلم
جاهل ضال لقوله فماذا بعد الحق الا الضلال وقرئ ولا الضألين بالهمزة على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين **آمين** اسم للفعل الذي هو استجب وعن
ابن عباس سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بني على الفتح كأين لالتقاء الساكنين وجاء مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا
وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وليس من القرآن وفاقا لكن يسن ختم السورة به لقوله عليه الصلاة والسلام علمني جبرائيل آمين عند فراغي من قراءة الفاتحة وقال
انه كالختم على الكتاب وفي معناه قول علي رضي الله عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر انه عليه الصلاة والسلام
كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال لا يقوله والمشهور عنه انه يخفيه كما رواه عبد الله بن مغفل وانس والمأموم يؤمن معه
لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فان الملائكة تقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وعن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي الا اخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم
الذي اوتيته وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اتاه ملك فقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اعطيته
وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وآيها مائتان وسبع وثمانون آية   بسم الله الرحمن الرحيم   الم   وسائر الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك عليها وبه صرح الخليل وابو علي وما روى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف فالمراد به غير المعنى الذي اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المعنى اللغوي ولعله سماه باسم مدلوله ولما كانت مسمياتها حروفا وحدانا وهي مركبة صدرت بها لتكون تأديتها بالمسمى اول ما يقرع السمع واستعيرت الهمزة مكان الالف لتعذر الابتداء بها وهي ما لم تلها العوامل موقوفة خالية عن الاعراب لفقد موجبه ومقتضيه لكنها قابلة اياه ومعرضة له اذ لم تناسب مبني الاصل ولذلك قيل ص وق مجموعا فيهما بين ساكنين ولم يعامل معاملة اين وهؤلاء ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام وبسائطه التي يتركب منها افتتحت السورة بطائفة منها ايقاظا لمن تحدى بالقرآن وتنبيها على ان اصل المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم وقوة فصاحتهم عن الاتيان بما يدانيه وليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بنوع من الاعجاز فان النطق باسماء الحروف مختص بمن خط ودرس فاما من الامي الذي لم يخالط الكتاب فمستبعد مستغرب خارق للعادة كالكتابة والتلاوة سيما وقد راعى في ذلك ما يعجز عنه الاديب الاريب الفائق في فنه وهو انه اورد في هذه الفواتح اربعة عشر اسما هي نصف اسامي حروف المعجم ان لم يعد فيها الالف حرفا برأسه في تسع وعشرين سورة بعددها اذا عد فيها الالف الاصلية مشتملة على انصاف انواعها فذكر من المهموسة وهو ما يضعف الاعتماد على مخرجه ويجمعها ستشحثك خصفه نصفها الحاء والهاء والصاد والسين والكاف ومن البواقي المجهورة نصفها يجمعه لن يقطع امر ومن الشديدة الثمانية المجموعة في اجدت طبقك اربعة يجمعها اقطك ومن البواقي الرخوة عشرة يجمعها حمس على نصره ومن المطبقة التي هي الصاد والضاد والطاء والظاء نصفها ومن البواقي المنفتحة نصفها ومن القلقلة وهي حروف تضطرب عند خروجها ويجمعها قد طبج نصفها الاقل لقلتها ومن اللينتين الياء لانها اقل ثقلا ومن المستعلية وهي التي يتصعد الصوت بها في الحنك الاعلى وهي سبعة القاف والصاد والطاء والخاء والغين والضاد والظاء نصفها الاقل ومن البواقي المنخفضة نصفها ومن حروف البدل وهي احد عشر على ما ذكره سيبويه واختاره ابن جني ويجمعها اجد طويت منها الستة الشائعة المشهورة التي يجمعها اهطمين وقد زاد بعضهم سبعة اخرى وهي اللام في اصيلال والصاد والزاي في صراط وزراط والفاء في جدف والعين في اعن والثاء في ثروغ الدلو والباء في بااسمك حتى صارت ثمانية عشر وقد ذكر منها تسعة الستة المذكورة واللام والصاد والعين ومما يدغم في مثله ولا يدغم في المقارب وهي خمسة عشر الهمزة والهاء والعين والصاد والطاء والميم والياء والخاء والغين والضاد والفاء والظاء والشين والزاي والواو نصفها الاقل ومما يدغم فيها وهي الثلاثة عشر الباقية نصفها الاكثر الحاء والقاف والكاف والراء والسين واللام والنون لما في الادغام من الخفة والفصاحة ومن الاربعة التي لا تدغم فيما يقاربها ويدغم فيها مقاربها وهي الميم والزاي والسين والفاء نصفها ولما كانت الحروف الذلقية التي يعتمد عليها بذلق اللسان وهي ستة يجمعها رب منفل والحلقية التي هي الحاء والخاء والعين والغين والهاء والهمزة كثيرة الوقوع في الكلام ذكر ثلثيهما ولما كانت ابنية المزيد لا تتجاوز عن السباعية ذكر من الزوائد العشرة التي يجمعها اليوم تنساه سبعة احرف منها تنبيها على ذلك ولو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكورة ثم انه ذكرها مفردة وثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية ايذانا بان المتحدى به مركب من كلماتهم التي اصولها كلمات مفردة ومركبة من حرفين فصاعدا الى الخمسة وذكر ثلاث مفردات في ثلاث سور لانها توجد في الاقسام الثلاثة الاسم والفعل والحرف واربع ثنائيات لانها تكون في الحرف بلا حذف كبل وفي الفعل بحذف كقل وفي الاسم بغير حذف كمن وبه كدم في تسع سور لوقوعها في كل واحد من الاقسام الثلاثة على ثلاثة اوجه ففي الاسماء من واذ وذو وفي الافعال قل وبع وخف وفي الحروف ان ومن ومذ على لغة من جر بها وثلاث ثلاثيات لمجيئها في الاقسام الثلاثة في ثلاث عشرة سورة تنبيها على ان اصول الابنية المستعملة ثلاثة عشر عشرة منها للاسماء وثلاثة للافعال ورباعيتين وخماسيتين تنبيها على ان لكل منهما اصلا كجعفر وسفرجل وملحقا كقردد وجحنفل ولعلها فرقت على السور ولم تعد باجمعها في اول القرآن لهذه الفائدة مع ما فيه من اعادة التحدي وتكرير التنبيه والمبالغة فيه والمعنى ان هذا المتحدى به مؤلف من جنس هذه الحروف والمؤلف منها كذا وقيل هي اسماء السور وعليه اطباق الاكثر سميت بها اشعارا بانها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضتها واستدل عليه بانها لو لم تكن مفهمة كان الخطاب بها كالخطاب بالمهمل والتكلم بالزنجي مع العربي ولم يكن القرآن باسره بيانا وهدى ولما امكن التحدي به وان كانت مفهمة فاما ان يراد بها السور التي هي مستهلها على انها القابها او غير ذلك والثاني باطل لانه اما ان يكون المراد ما وضعت له في لغة العرب وظاهر انه ليس كذلك او غيره وهو باطل لان القرآن نزل على لغتهم لقوله تعالى بلسان عربي مبين فلا يحمل على ما ليس في لغتهم لا يقال لم لا يجوز ان تكون مزيدة للتنبيه والدلالة على انقطاع كلام واستئناف آخر كما قاله قطرب او اشارة الى كلمات هي منها اقتصرت عليها اقتصار الشاعر في قوله قلت لها قفي فقالت لي قاف كما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال الالف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه وعنه ان الر وحم ون مجموعها الرحمن وعنه ان الم معناه انا الله اعلم ونحو ذلك في سائر الفواتح وعنه ان الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اي القرآن منزل من الله بلسان جبريل على محمد عليهما الصلاة والسلام او الى مدد اقوام وآجال بحساب الجمل كما قال ابو العالية متمسكا بما روي انه عليه الصلاة والسلام لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل في دين مدته احدى

وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندري بايها نأخذ فان تلاوته اياها بهذا
الترتيب عليهم وتقريرهم على استنباطهم دليل على ذلك وهذه الدلالة وان لم تكن عربية لكنها لاشتهارها فيما بين الناس حتى العرب تلحقها بالمعربات كالمشكاة
والسجيل والقسطاس اودالة على الحروف المبسوطة مقسما بها لشرفها من حيث انها بسائط اسماء الله تعالى ومادة خطابه هذا وان القول بانها اسماء السور يخرجها
الى ما ليس في لغة العرب لان التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستكره عندهم ويؤدي الى اتحاد الاسم والمسمى ويستدعي تأخر الجزء عن الكل من حيث ان الاسم
يتأخر عن المسمى بالرتبة لانا نقول هذه الالفاظ لم تعهد مزيدة للتنبيه والدلالة على الانقطاع والاستئناف تلزمها وغيرها من حيث انها فواتح السور ولا
يقتضي ذلك الا يكون لها معنى في حيزها ولم تستعمل للاختصار من كلمات معينة في لغتهم اما الشعر فشاذ واما قول ابن عباس فتنبيه على ان هذه الحروف منبع
الاسماء ومبادي الخطاب وتمثيل بامثلة حسنة الا ترى انه عد كل حرف من كلمات متباينة لا تفسير وتخصيص بهذه المعاني دون غيرها اذ لا مخصص لفظا ومعنى
ولا لحساب الجمل فتلحق بالمعربات والحديث لا دليل فيه لجواز انه تبسم تعجبا من جهلهم وجعلها مقسما بها وان كان غير ممتنع لكنه يحوج الى اضمار اشياء لا دليل عليها
والتسمية بثلاثة اسماء انما تمتنع اذا ركبت وجعلت اسما واحدا على طريقة بعلبك فاما اذا نثرت نثر اسماء العدد فلا وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية
بالجملة والبيت من الشعر وطائفة من اسماء حروف المعجم والمسمى هو مجموع السورة والاسم جزؤها فلا اتحاد وهو مقدم من حيث ذاته ومؤخر باعتبار كونه
اسما فلا دور لاختلاف الجهتين والوجه الاول اقرب الى التحقيق واوفق للطائف التنزيل واسلم من لزوم النقل ووقوع الاشتراك في الاعلام من واضع
واحد فانه يعود بالنقض على ما هو مقصود العلمية وقيل انها اسماء القرآن ولذلك اخبر عنها بالكتاب والقرآن وقيل انها اسماء الله تعالى ويدل عليه ان
عليا كرم الله وجهه كان يقول يا كهيعص يا حمعسق ولعله اراد يا منزلهما وقيل الالف من اقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو
اوسطها والميم من الشفة وهو آخرها جمع بينها ايماء الى ان العبد ينبغي ان يكون اول كلامه واوسطه وآخره ذكر الله تعالى وقيل انه سر استأثر الله بعلمه وقد
روي عن الخلفاء الاربعة وعن غيرهم من الصحابة ما يقرب منه ولعلهم ارادوا انها اسرار بين الله تعالى ورسوله ورموز لم يقصد بها افهام غيره اذ يبعد الخطاب
بما لا يفيد فان جعلتها اسماء الله تعالى او القرآن او السور كان لها حظ من الاعراب اما الرفع على الابتداء او الخبر او النصب بتقدير فعل القسم على طريقة الله
لافعلن بالنصب او غيره كاذكر او الجر على اضمار حرف القسم ويتأتى الاعراب لفظا والحكاية فيما كانت مفردة او موازنة لمفرد كحم فانها كهابيل والحكاية ليست
الا فيما عدا ذلك وسيعود اليك ذكره مفصلا ان شاء الله تعالى وان ابقيتها على معانيها فان قدرت بالمؤلف من هذه الحروف كان في حيز الرفع بالابتداء او الخبر على
ما مر وان جعلتها مقسما بها يكون كل كلمة منها منصوبا او مجرورا على اللغتين في الله لافعلن وتكون جملة قسمية بالفعل المقدر له وان جعلتها ابعاض كلمات او اصواتا منزلة
منزلة حروف التنبيه لم يكن لها محل من الاعراب كالجمل المبتدأة والمفردات المعدودة ويوقف عليها وقف التمام اذا قدرت بحيث لا تحتاج الى ما بعدها وليس شيء منها
آية عند غير الكوفيين واما عندهم فالم في مواقعها والمص وكهيعص وطسم وطس ويس وحم آية وحمعسق آيتان والبواقي ليست بآيات وهذا توقيف لا مجال
للقياس فيه **ذلك الكتاب** ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف وفسر بالسورة او القرآن فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه
صار متباعدا اشير اليه بما يشار به الى البعيد وتذكيره متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه خبره او صفته الذي هو هو او الى الكتاب فيكون صفته والمراد به
الكتاب الموعود انزاله بنحو قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا او في الكتب المتقدمة وهو مصدر سمي به المفعول للمبالغة وقيل فعال بني للمفعول كاللباس ثم عبر به
عن المنظوم عبارة قبل ان يكتب لانه مما يكتب واصل الكتب الجمع ومنه الكتيبة **لا ريب فيه** معناه انه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد
النظر الصحيح في كونه وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الاية فانه ما ابعد الريب عنهم بل عرفهم الطريق
المزيح له وهو ان يجتهدوا في معارضة نجم من نجومه ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل معناه لا ريب
فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور والعامل فيها الظرف الواقع صفة للمنفي والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيك الريبة وهي قلق النفس واضطرابها
سمي بها الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة ومنه ريب الزمان لنوائبه **هدى
للمتقين** يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة في قوله تعالى
انك لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة
لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال تعالى هدى للناس ولانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الآيات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات
لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا
يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعين المراد منه والمتقي اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع اسم لمن يقي
نفسه مما يضره في الآخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى
الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع والمعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو

التقوى الحقيقي المطلوب بقوله اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى للمتقين ههنا على الاوجه الثلاثة واعلم ان الاية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم
القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل في تأليفه البالغ اقصى
درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب في المشهورة مبني لتضمنه معنى
من منصوب المحل على انه اسم لا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء لزومها وفي قراءة ابي الشعثاء مرفوع بلا التي بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما
قدم في قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفي الريب به من بين سائر الكتب كما قصد ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال والخبر محذوف كما في لا ضير
ولذلك وقف على ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذي يستأهل
ان يسمى كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدأ محذوف والاولى ان يقال انها اربع جمل متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف
بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدي ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد على كماله بانه
الكتاب المنعوت بغاية الكمال ثم سجل على كماله بنفي الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له مبتدأ جملة رابعة تؤكد كونه حقا لا يحوم الشك حوله
بانه هدى للمتقين او تستتبع كل واحدة منها ما تليها استتباع الدليل للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته
استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتريه الشك والشبهة وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل
واحدة منها نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى المقصود مع التعليل وفي الثانية فخامة التعريف وفي الثالثة تأخير الظرف حذرا من ابهام الباطل وفي الرابعة الحذف
والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشأنه ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغي مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل
الحسنات وترك السيئات لاشتماله على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلاة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية
المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب عن المعاصي غالبا الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلاة والسلام الصلاة عماد الدين والزكوة
قنطرة الاسلام او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب واقامة الصلاة وايتاء الزكوة بالذكر اظهارا لفضلها على سائر ما يدخل تحت اسم التقوى او على انه مدح منصوب
او مرفوع بتقدير اعني او هم الذين واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء وخبره اولئك على هدى فيكون الوقف على المتقين تاما والايمان في اللغة عبارة عن التصديق مأخوذ من
الامن كأن المصدق امن المصدق من التكذيب والمخالفة وتعديته بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق بمعنى الوثوق من حيث ان الواثق بالشيء صار ذا امن منه ومنه
ما امنت ان اجد صحابة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب واما في الشرع فالتصديق بما علم بالضرورة انه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث
والجزاء او مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار
فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا وكافر عند الخوارج وخارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة والذي يدل على انه التصديق وحده انه سبحانه وتعالى اضاف
الايمان الى القلب فقال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وقلبه مطمئن بالايمان ولم تؤمن قلوبهم ولما يدخل الايمان في قلوبكم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لا تحصى وقرنه
بالمعاصي فقال تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم مع ما فيه من قلة التغيير لانه
اقرب الى الاصل وهو متعين الارادة في الاية اذ المعدى بالباء هو التصديق وفاقا ثم اختلف في ان مجرد التصديق بالقلب هل هو كاف لانه المقصود ام لا بد من اقتران الاقرار
به للمتمكن منه ولعل الحق هو الثاني لانه تعالى ذم المعاند اكثر من ذم الجاهل المقصر وللمانع ان يجعل الذم للانكار لا لعدم الاقرار للمتمكن منه والغيب مصدر وصف به
للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا والخمصة التي تلي الكلية غيبا او فيعل خفف كقيل والمراد به الخفي الذي لا يدركه
الحس ولا يقتضيه بديهة العقل وهو قسمان قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته
واليوم الاخر واحواله وهو المراد به في هذه الاية هذا اذا جعلته صلة للايمان واوقعته موقع المفعول به وان جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى
الغيبة والخفاء والمعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن
او عن المؤمن به لما روي ان ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال والذي لا اله غيره ما آمن احد افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الاية وقيل المراد بالغيب القلب لانه
مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم فالباء على الاول للتعدية وعلى الثاني للمصاحبة وعلى الثالث للآلة ﴿ويقيمون
الصلوة﴾ اي يعدلون اركانها ويحفظونها من ان يقع زيغ في افعالها من اقام العود اذا قومه او يواظبون عليها من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها
نافقة قال شعر اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا فانه اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه واذا ضيعت كانت
كالكاسد المرغوب عنه او يتشمرون لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه وتجلد وضده قعد عن الامر
وتقاعد او يؤدونها عبر عن الاداء بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنها بالقنوت والركوع والسجود والتسبيح والاول اظهر لانه اشهر والى الحقيقة

اقرب وافيد لتضمنه التنبيه على ان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة من الخشوع والاقبال بقلبه على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر في سياق المدح والمقيمون الصلوة وفي معرض الذم فويل للمصلين والصلوة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى كتبتا بالواو على لفظ المفخم وانما سمي الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار هذا اللفظ في المعنى الثاني مع عدم اشتهاره في الاول لا يقدح في نقله عنه وانما سمي الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد **ومما رزقناهم ينفقون** الرزق في اللغة الحظ قال تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والعرف خصصه بتخصيص الشيء بالحيوان للانتفاع به وتمكينه منه والمعتزلة لما استحالوا على الله تعالى ان يمكن من الحرام لانه منع من الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الحرام ليس برزق الا ترى انه تعالى اسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بانهم ينفقون الحلال الطلق فان انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسكوا لشمول الرزق له بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمرو بن قرة لقد رزقك الله طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذي به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وانفق الشيء وانفده اخوان ولو استقريت الالفاظ وجدت كل ما فاؤه نون وعينه فاء دالا على معنى الذهاب والخروج والظاهر من انفاق ما رزقهم الله صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنفل ومن فسره بالزكاة ذكر افضل انواعه والاصل فيه او خصصه بها لاقترانه بما هو شقيقها وتقديم المفعول للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآي وادخال من التبعيضية عليه للمنع المكلف عن الاسراف المنهي عنه ويحتمل ان يراد به الانفاق من جميع المعاون التي آتاهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه ذهب من قال ومما خصصناهم به من انوار المعرفة يفيضون **والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك** هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه واضرابه معطوفون على الذين يؤمنون بالغيب داخلون معهم في جملة المتقين دخول اخصين تحت اعم اذ المراد باولئك الذين امنوا عن شرك وانكار وبهؤلاء مقابلوهم فكانت الآيتان تفصيلا للمتقين وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما او على المتقين وكانه قال هدى للمتقين عن الشرك والذين امنوا من اهل الملل ويحتمل ان يراد بهم الاولون باعيانهم ووسط العاطف كما وسط في قوله

الى الملك القرم وابن الهمام ... وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله

يا لهف زيابة للحارث الصابح ... فالغانم فالآيب

على معنى انهم الجامعون بين الايمان بما يدركه العقل جملة والاتيان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير السمع وكرر الموصول تنبيها على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين او طائفة منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب ذكرهم مخصصين عن الجملة كذكر جبريل وميكائيل بعد الملائكة تعظيما لشأنهم وترغيبا لامثالهم والانزال نقل الشيء من الاعلى الى الاسفل وهو انما يلحق المعاني بتوسط لحوقها الذوات الحاملة لها ولعل نزول الكتب الالهية على الرسل بان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به فيبلغه الى الرسول والمراد بما انزل اليك القرآن باسره والشريعة عن اخرها وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد وتنزيلا للمنتظر منزلة الواقع ونظيره قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى فان الجن لم يسمعوا جميعه ولم يكن الكتاب كله منزلا حينئذ وبما انزل من قبلك التوراة والانجيل وسائر الكتب السابقة والايمان بهما جملة فرض عين وبالاول دون الثاني تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل احد يوجب الحرج وفساد المعاش **وبالاخرة هم يوقنون** اي يوقنون ايقانا ازال معه ما كانوا عليه من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة واختلافهم في نعيم الجنة أهو من جنس نعيم الدنيا او غيره وفي دوامه وانقطاعه وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على هم تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب وبان اعتقادهم في امر الاخرة غير مطابق ولا صادر عن ايقان واليقين اتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال ولذلك لا يوصف به علم الباري تعالى ولا العلوم الضرورية والاخرة تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الاخرة فغلبت كالدنيا وعن نافع انه خففها بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة لضم ما قبلها اجراء لها مجرى المضمومة في وجوه ووقتت ونظيره

أحب المؤقدان الي مؤسى ... وجعدة اذ اضاءهما الوقود

اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان جعل احد الموصولين مفصولا عن المتقين خبر له فكانه لما قيل هدى للمتقين قيل ما بالهم خصوا بذلك فاجيب بقوله الذين يؤمنون الى آخر الآيات والا فاستئناف لا محل لها فكانه نتيجة الاحكام والصفات المتقدمة او جواب سائل قال ما للموصوفين بهذه الصفات اختصوا بالهدى ونظيره احسنت الى زيد صديقك القديم حقيق بالاحسان فان اسم الاشارة ههنا كاعادة الموصوف بصفاته المذكورة وهو ابلغ من ان يستأنف باعادة الاسم وحده لما فيه من بيان المقتضي وتلخيصه فان ترتيب الحكم على الوصف ايذان بانه الموجب له ومعنى الاستعلاء في على هدى تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشيء وركبه وقد صرحوا به في قولهم امتطى الجهل وغوى واقتعد غارب الهوى وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وادامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس في العمل ونكر هدى للتعظيم فكانه اريد به ضرب لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره ونظيره قول الهذلي

فلا وابي الطير المربة بالضحى ... على خالد لقد وقعت على لحم

واكد تعظيمه بان الله تعالى مانحه والموفق له وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة **واولئك هم المفلحون** كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على اتصافهم بتلك الصفات يقتضي كل واحدة من الاثرتين وان كلا منهما كاف في تمييزهم بها عن غيرهم ووسط العاطف لاختلاف مفهوم الجملتين

ههنا بخلاف قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل بالغفلة والتشبيه بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة للاولى فلا تناسب
العطف وهم فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك والمفلح بالحاء والجيم الفائز
بالمطلوب كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر وهذا التركيب وما يشاركه في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلي يدل على الشق والفتح وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين
هم الناس الذين بلغك انهم المفلحون في الآخرة او الاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصوصياتهم (تنبيه) تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين
بنيل ما لا يناله احد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب في اقتفاء
اثرهم وقد تشبث به الوعيدية في خلود الفساق من اهل القبلة في العذاب ورد بان المراد بالمفلحين الكاملون في الفلاح ويلزمه عدم كمال الفلاح لمن ليس على صفتهم
لا عدم الفلاح له رأسا ان الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده وخلاصة اوليائه بصفاتهم التي اهلتهم للهدى والفلاح عقبهم باضدادهم العتاة المردة الذين
لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض فان
الاولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والاخرى مسوقة لشرح تمردهم وانهماكهم في الضلال وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح
ولزوم الاسماء واعطاء معانيه والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الاول ورفع الثاني ايذانا بانه فرع في العمل دخيل
فيه وقال الكوفيون الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف واجيب بان اقتضاء الخبرية الرفع
مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان وقد زال بدخولها فتعين اعمال الحرف وفائدتها تاكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة وتذكر
في معرض الشك مثل قوله تعالى ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين قال
المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به
ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واحبار اليهود او للجنس متناولا من صمم على الكفر وغيرهم فخص منهم غير المصرين بما اسند اليه والكفر لغة
ستر النعمة واصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر ولكمام الثمرة كافور وفي الشرع انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار ونحوهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لانها كفر في انفسها واحتجت المعتزلة بما جاء
في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه واجيب بانه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم سواء عليهم أأنذرتهم
ام لم تنذرهم خبر ان وسواء اسم بمعنى الاستواء نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بانه خبر ان وما بعده مرتفع به على الفاعلية
كانه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه او بانه خبر لما بعده بمعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والفعل انما يمتنع الاخبار عنه اذا اريد به تمام ما وضع له
اما لو اطلق واريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الاضافة والاسناد اليه كقوله تعالى واذا قيل لهم امنوا وقوله يوم ينفع الصادقين
صدقهم وقولهم تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وانما عدل ههنا عن المصدر الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد وحسن دخول الهمزة وام عليه لتقرير معنى الاستواء وتاكيده
فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة والانذار التخويف اريد به
التخويف من عذاب الله تعالى وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه اوقع في القلب واشد تأثيرا في النفس من حيث ان دفع الضرر اهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم كانت البشارة
بعدم النفع اولى وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين وقلبها الفا وهو لحن لان المتحركة لا تقلب ولانه يؤدي الى جمع الساكنين على غير حده وبتوسيط
الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية وبحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لا يؤمنون جملة مفسرة لاجمال ما قبلها فيما
فيه الاستواء فلا محل لها او حال مؤكدة او بدل منه او خبر ان والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم والآية مما احتج به من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى
اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون وامرهم بالايمان فلو امنوا انقلب خبره كذبا وشمل ايمانهم الايمان بانهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز
عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي غرضا سيما الامتثال لكنه غير واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او عدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله
هو او العبد باختياره وفائدة الانذار بعد العلم بانه لا ينجع الزام الحجة وحيازة الرسول فضل الابلاغ ولذلك قال سواء عليهم ولم يقل سواء عليك كما قال لعبدة
الاصنام سواء عليكم أدعوتموهم ام انتم صامتون وفي الآية اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة تعليل للحكم السابق وبيان ما يقتضيه والختم الكتم سمي به الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه لانه كتم له والبلوغ آخره نظرا الى
انه اخر فعل يفعل في احرازه والغشاوة فعالة من غشاه اذا غطاه بنيت لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما المراد بهما
ان يحدث في نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي واستقباح الايمان والطاعات بسبب غيهم وانهماكهم في التقليد واعراضهم عن النظر
الصحيح فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحق واسماعهم تعاف استماعه فتصير كانها مستوثق منها بالختم وابصارهم لا تجتلي الآيات المنصوبة لهم في الانفس والآفاق
كما تجتليها اعين المستبصرين فتصير كانها غطي عليها وحيل بينها وبين الابصار وسماه على الاستعارة ختما وتغشية او مثل قلوبهم ومشاعرهم المؤوفة

بها باشياء ضرب بحجاب بينها وبين الاستنفاع بها ختما وتغطية وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم وبالاغفال فى قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وبالاقساء فى قوله تعالى وجعلنا قلوبهم قاسية وهى من حيث ان الممكنات باسرها مستندة الى الله تعالى واقعة بقدرته اسندت اليه ومن حيث انها مسببة مما اقترفوه بدليل قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم وقوله تعالى ذلك بانهم امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم وردت الآية ناعية عليهم شناعة صفتهم ووخامة عاقبتهم واضطربت المعتزلة فيه فذكروا وجوها من التأويل الاول ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى المجبول عليه الثانى ان المراد به تمثيل حال قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او قلوب مقدرة ختم الله عليها ونظيره سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته الثالث ان ذلك فى الحقيقة فعل الشيطان او الكافر لكن لما كان صدوره عنه باقداره تعالى اياه اسند اليه اسناد الفعل الى المسبب الرابع ان اعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق طريق الى تحصيل ايمانهم سوى الالجاء والقسر ثم لم يقسرهم ابقاء على غرض التكليف عبر عن تركه بالختم فانه سد لايمانهم وفيه اشعار على تمادى امرهم فى الغى وتناهى انهماكهم فى الضلال والبغى الخامس ان يكون حكاية لما كانت الكفرة يقولون مثل قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب تهكما واستهزاء بهم كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا الآية السادس ان ذلك فى الاخرة وانما اخبر عنه بالماضى لتحققه وتيقن وقوعه ويشهد له قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما السابع ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم ويتنفرون منهم وعلى هذا المنهاج كلامنا وكلامهم فيما يضاف الى الله تعالى من طبع واضلال ونحوهما وعلى سمعهم معطوف على قلوبهم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه ولانهما لما اشتركا فى الادراك من جميع الجوانب جعل ما يمنعهما من خاص فعلهما الختم الذى يمنع من جميع الجهات وادراك الابصار لما اختص بجهة المقابلة جعل المانع لها من فعلها الغشاوة المختصة بتلك الجهة وكرر الجار ليكون ادل على شدة الختم فى الموضعين واستقلال كل منهما بالحكم ووحد السمع للامن من اللبس واعتبار الاصل فانه مصدر فى اصله والمصادر لا تجمع او على تقدير مضاف مثل وعلى حواس سمعهم والابصار جمع بصر وهو ادراك العين وقد يطلق مجازا على القوة الباصرة وعلى العضو وكذا السمع ولعل المراد بهما فى الاية العضو لانه اشد مناسبة للختم والتغطية وبالقلب ما هو محل العلم وقد يطلق ويراد به العقل والمعرفة كما قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب وانما جاز امالتها مع الصاد لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير وغشاوة رفع بالابتداء عند سيبويه وبالجار والمجرور عند الاخفش ويؤيده العطف على الجملة الفعلية وقرئ بالنصب على تقدير وجعل على ابصارهم غشاوة او على حذف الجار وايصال الختم بنفسه اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة وعشاوة بالعين الغير المعجمة ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه والعذاب كالنكال بناء ومعنى تقول عذب عن الشئ ونكل عنه اذا امسك ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه ولذلك سمى نقاخا وفراتا ثم اتسع فاطلق على كل الم فادح وان لم يكن نكالا اى عقابا يردع الجانى عن المعاودة فهو اعم منهما وقيل اشتقاقه من التعذيب الذى هو ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكما ان الحقير دون الصغير فالعظيم فوق الكبير ومعنى التوصيف به انه اذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه وحقر بالاضافة اليه ومعنى التنكير فى الآية ان على ابصارهم نوع غشاوة ليس مما يتعارفه الناس وهو التعامى عن الآيات ولهم من الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله

ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر لما افتتح سبحانه وتعالى بشرح حال الكتاب وساق لبيانه ذكر المؤمنين الذين اخلصوا دينهم لله تعالى وواطأت فيه قلوبهم السنتهم وثنى باضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا ولم يلتفتوا لفتة ثلث بالقسم الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين امنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم وهم اخبث الكفرة وابغضهم الى الله لانهم موهوا الكفر وخلطوا به خداعا واستهزاء ولذلك طول فى بيان خبثهم وجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بافعالهم وسجل على عمههم وطغيانهم وضرب لهم الامثال وانزل فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار وقصتهم عن آخرها معطوفة على قصة المصرين والناس اصله اناس لقولهم انسان وانس واناسى فحذفت الهمزة حذفها فى لوقة وعوض عنها حرف التعريف ولذلك لا يكاد يجمع بينهما وقوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا شاذ وهو اسم جمع كرخال اذ لم يثبت فعال فى ابنية الجمع مأخوذ من انس لانهم يستأنسون بامثالهم او آنس لانهم ظاهرون مبصرون ولذلك سموا بشرا كما سمى الجن جنا لاجتنانهم واللام فيه للجنس ومن موصوفة اذ لا عهد فكانه قال ومن الناس ناس يقولون او للعهد والمعهود هم الذين كفروا ومن موصولة مراد بها ابن ابى واصحابه ونظراؤهم فانهم من حيث انهم صمموا على النفاق دخلوا فى عداد الكفار المختوم على قلوبهم واختصاصهم بزيادات زادوها على الكفر لا يأبى دخولهم تحت هذا الجنس فان الاجناس انما تتنوع بزيادات يختلف فيها ابعاضها فعلى هذا تكون الآية تقسيما للقسم الثانى واختصاص الايمان بالله وباليوم الاخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الاعظم من الايمان وادعاء بانهم احتازوا الايمان من جانبيه واحاطوا بقطريه وايذان بانهم منافقون فيما يظنون انهم مخلصون فيه فكيف بما يقصدون به النفاق لان القوم كانوا يهودا وكانوا يؤمنون بالله وباليوم الآخر ايمانا كلا ايمان لاعتقادهم التشبيه واتخاذ الولد وان الجنة لا يدخلها غيرهم وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغيرها ويرون المؤمنين انهم امنوا مثل ايمانهم وبيان لتضاعف خبثهم وافراطهم فى كفرهم لان ما قالوه لو صدر عنهم لا على وجه الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ايمانا كيف وقد قالوه تمويها على المسلمين وتهكما بهم وفى تكرار الباء ادعاء الايمان بكل واحد على الاصالة والاستحكام والقول هو التلفظ بما يفيد ويقال بمعنى المقول

والمعنى المتصوّر فى النفس المعبر عنه باللفظ وللرأى وللمذهب مجازا والمراد باليوم الآخر من وقت الحشر الى ما لا ينتهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه
آخر الاوقات المحدودة ﴿وما هم بمؤمنين﴾ انكار ما ادّعوه ونفى ما انتحلوا اثباته وكان اصله وما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس
تأكيدا ومبالغة فى التكذيب لان اخراج ذواتهم من عداد المؤمنين ابلغ من نفى الايمان عنهم فى ماضى الزمان ولذلك اكد النفى بالباء واطلق الايمان على معنى انهم ليسوا
من الايمان فى شئ ويحتمل ان يقيد بما قيدوا به لانه جوابه والآية تدل على ان من ادّعى الايمان وخالف قلبه لسانه بالاعتقاد لم يكن مؤمنا لان من تفوه بالشهادتين
فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه لم يكن مؤمنا والخلاف مع الكرامية فى الثانى فلا ينهض حجة عليهم ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ الخدع ان توهم غيرك خلاف
ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو فيه وعما هو بصدده من قولهم خدع الضب اذا توارى فى جحره وضب خادع وخدع اذا اوهم الحارش اقباله عليه ثم خرج من باب
آخر واصله الاخفاء ومنه المخدع للخزانة والاخدعان لعرقين خفيين فى العنق والمخادعة تكون من اثنين وخداعهم مع الله ليس على ظاهره لانه لا يخفى عليه خافية
ولانهم لم يقصدوا خديعته بل المراد اما مخادعة رسوله على حذف المضاف او على ان معاملة الرسول معاملة الله من حيث انه خليفته كما قال ومن يطع الرسول فقد
اطاع الله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله واما ان صورة صنيعهم مع الله تعالى من اظهار الايمان واستبطان الكفر وصنع الله معهم من اجراء احكام المسلمين
عليهم وهم عنده اخبث الكفار واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين امر الله فى اخفاء حالهم واجراء حكم
الاسلام عليهم مجازاة لهم بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين ويحتمل ان يراد بيخادعون يخدعون لانه بيان ليقول او استئناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه
اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للمبالغة والفعل متى غولب فيه كان ابلغ منه اذا جاء بلا مقابلة معارض ومبار استصحبت ذلك ويعضده قراءة
من قرأ يخدعون وكان غرضهم فى ذلك ان يدفعوا عن انفسهم ما يطرق به من سواهم من الكفرة وان يفعل بهم ما يفعل بالمؤمنين من الاكرام والاعطاء وان يختلطوا
بالمسلمين فيطلعوا على اسرارهم ويذيعوها الى منابذيهم الى غير ذلك من الاغراض والمقاصد ﴿وما يخادعون الا انفسهم﴾ قراءة نافع وابن كثير وابى عمرو والمعنى
ان دائرة الخداع راجعة اليهم وضررها يحيق بهم او انهم فى ذلك خدعوا انفسهم لما غرّوها بذلك وخدعتهم انفسهم حيث حدثتهم بالامانى الفارغة وحملتهم على
مخادعة من لا يخفى عليه خافية وقرأ الباقون وما يخدعون لان المخادعة لا تتصور الا بين اثنين وقرئ ويخدّعون من خدّع ويخدّعون بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون
على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشئ وحقيقته ثم قيل للروح لان نفس الحى به وللقلب لانه محل الروح او متعلقه وللدم لان قوامها
به وللماء لفرط حاجتها اليه وللرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لانه ينبعث عنها او يشبه ذاتا تأمره وتشير عليه والمراد بالانفس ههنا ذواتهم ويحتمل حملها على ارواحهم
وآرائهم ﴿وما يشعرون﴾ لا يحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع ورجوع ضرره اليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الا على مؤوف الحواس والشعور
الاحساس ومشاعر الانسان حواسه واصله الشعر ومنه الشعار ﴿فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا﴾ المرض حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به ويوجب
الخلل فى افعاله ومجاز فى الاعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل وسوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى لانها مانعة من نيل الفضائل او مؤدية الى زوال الحياة
الحقيقية الابدية والآية الكريمة تحتملهما فان قلوبهم كانت متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة وحسدا على ما يرون من ثبات امر الرسول صلى الله عليه وسلم واستعلاء شأنه
يوما فيوما وزاد الله غمهم بما زاد فى اعلاء امره واشادة ذكره ونفوسهم كانت مؤوفة بالكفر وسوء الاعتقاد ومعاداة النبى صلى الله عليه وسلم ونحوها فزاد الله سبحانه
وتعالى ذلك بالطبع او بازدياد التكاليف وتكرير الوحى وتضاعف النصر وكان اسناد الزيادة الى الله تعالى من حيث انه مسبب من فعله واسنادها الى السورة فى قوله تعالى
فزادتهم رجسا لكونها سببا ويحتمل ان يراد بالمرض ما تداخل قلوبهم من الجبن والخور حين شاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله تعالى لهم بالملائكة وقذف الرعب فى قلوبهم وبزيادته
تضعيفه بما زاد لرسوله صلى الله عليه وسلم نصرة على الاعداء وتبسطا فى البلاد ﴿ولهم عذاب أليم﴾ اى مؤلم يقال ألم فهو أليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب للمبالغة
كقوله تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة قولهم جدّ جدّه ﴿بما كانوا يكذبون﴾ قرأها عاصم وحمزة والكسائى والمعنى بسبب كذبهم او بدله جزاء لهم وهو قولهم آمنا وقرأ الباقون يكذّبون
من كذّبه لانهم كانوا يكذّبون الرسول عليه الصلاة والسلام بقلوبهم واذا خلوا الى شياطينهم او من كذّب الذى هو للمبالغة او للتكثير مثل بيّن الشئ وموّتت البهائم او من كذّب الوحشى
اذا جرى شوطا ووقف لينظر ما وراءه فان المنافق متحير متردد والكذب هو الخبر عن الشئ على خلاف ما هو به وهو حرام كله لانه علل به استحقاق العذاب حيث رتب عليه وما روى ان
ابرهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما شابه الكذب فى صورته سمى به ﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض﴾ عطف على يكذبون او يقول وما روى عن سلمان
ان اهل هذه الآية لم يأتوا بعد فلعله اراد به ان اهله ليس الذين كانوا فقط بل وسيكون من بعد من حاله حالهم لان الآية متصلة بما قبلها بالضمير الذى فيها
والفساد خروج الشئ عن الاعتدال والصلاح ضده وكلاهما يعمان كل ضار ونافع وكان من فسادهم فى الارض هيج الحروب والفتن
بمخادعة المسلمين وممالأة الكفار عليهم بافشاء الاسرار اليهم فان ذلك يؤدى الى فساد ما فى الارض من الناس والدواب والحرث ومنه
اظهار المعاصى والاهانة بالدين فان الاخلال بالشرائع والاعراض عنها مما يوجب الهرج والمرج ويخل بنظام العالم والقائل هو الله تعالى
او الرسول او بعض المؤمنين وقرأ الكسائى وهشام قيل باشمام الضم ﴿قالوا انما نحن مصلحون﴾ جواب لاذا وردّ للناصح على سبيل المبالغة
والمعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس الا الاصلاح وان حالنا متمحضة عن شوائب الفساد لان انما تفيد قصر ما دخلت عليه على ما بعده مثل انما زيد

منطلق وانما ينطلق زيد وانما قالوا ذلك لانهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد لما ادعوه ابلغ رد للاستئناف به وتصديره بحرفى التاكيد الا المنبهة على تحقيق ما بعدها فان همزة الاستفهام التى للانكار اذا دخلت على النفى افادت تحقيقا ونظيره اليس ذلك بقادر ولذلك لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها اما التى هى من طلائع القسم وان المقررة للنسبة وتعريف الخبر وتوسيط الفصل لرد ما فى قولهم انما نحن مصلحون من التعريض للمؤمنين والاستدراك بلا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا من تمام النصح والارشاد فان كمال الايمان بمجموع الامرين الاعراض عما لا ينبغى وهو المقصود بقوله لا تفسدوا والاتيان بما ينبغى وهو المطلوب بقوله آمنوا كما آمن الناس فى حيز النصب على المصدر وما مصدرية او كافة مثلها فى ربما واللام فى الناس للجنس والمراد به الكاملون فى الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما يستعمل لمسماه مطلقا يستعمل لما يستجمع المعانى المخصوصة به والمقصودة منه ولذلك يسلب عن غيره فيقال زيد ليس بانسان ومن هذا الباب قوله تعالى صم بكم عمى ونحوه وقد جمعهما الشاعر فى قوله اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد به الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واصحابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم واستدل به على قبول توبة الزنديق وان الاقرار باللسان ايمان والا لم يفد التقييد قالوا انؤمن كما آمن السفهاء الهمزة فيه للانكار واللام مشار بها الى الناس او الجنس باسره وهم مندرجون فيه على زعمهم وانما سفهوهم لاعتقادهم فساد رأيهم او لتحقير شأنهم فان اكثر المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موالى كصهيب وبلال او للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم ان فسر الناس بعبد الله بن سلام واشياعه والسفه خفة وسخافة رأى يقتضيهما نقصان العقل والحلم يقابله الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون رد ومبالغة فى تجهيلهم فان الجاهل بجهله الجازم على خلاف ما هو الواقع اعظم ضلالة واتم جهالة من المتوقف المعترف بجهله فانه ربما يعذر وتنفعه الآيات والنذر وانما فصلت الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون لانه اكثر طباقا لذكر السفه ولان الوقوف على امر الدين والتمييز بين الحق والباطل مما يفتقر الى نظر وتفكر واما النفاق وما فيه من الفتن والفساد فانما يدرك بادنى تفطن وتأمل فيما يشاهد من اقوالهم وافعالهم واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لمعاملتهم مع المؤمنين والكفار وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روى ان ابن ابى واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابى بكر رضى الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد على رضى الله عنه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه سيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية او من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا الشيطان فى تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا معكم اى فى الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الايمان على المؤمنين من المهاجرين والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزؤن تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشئ المستخف به مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكأن الشياطين قالوا لهم لما قالوا انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف يقال هزئت واستهزأت بمعنى كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزأ فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزأ به اى تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم على استهزائهم سمى جزاء الاستهزاء باسمه كما سمى جزاء السيئة سيئة اما للمقابلة اللفظية او لكونه مماثلا له فى القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ اما فى الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة فى النعمة على التمادى فى الطغيان واما فى الآخرة فبان يفتح لهم وهم فى النار بابا الى الجنة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به فى مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ بهم ليطابق قولهم ايماء بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت نكايات الله فيهم كما قال او لا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ويمدهم فى طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام كاملى له ويدل عليه قراءة ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى الطافه التى يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طريق التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل

الى المسبّب مجازا واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه على الحقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى الشياطين اطلق الغي قال واخوانهم يمدونهم في
الغي وقيل اصله يمدّ لهم بمعنى يملي لهم ويمدّ في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدّي الفعل بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه
او التقدير يمدّهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحدّ في العتوّ والغلوّ في الكفر واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال
تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين العمه اولئك الذين
اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا يطلب لعينه
ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر وآخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه قول الشاعر اخذت بالجمة رأسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردرا وبالطويل العمر عمرا جيذرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم
اتسع فيه فاستعمل للرغبة عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها او اختاروا الضلالة
واستحبوها على الهدى فما ربحت تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه بما يشاكله تمثيلا لخسارهم ونحوه ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش
في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب الربح بالبيع والشراء والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة وهو لاربابها على الاتساع لتلبسها بالفاعل
او لمشابهتها اياه من حيث انها سبب الربح والخسران وما كانوا مهتدين لطرق التجارة فان المقصود منها سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد اضاعوا الطلبتين لان رأس
مالهم كان الفطرة السليمة والعقل الصرف فلما اعتقدوا هذه الضلالات بطل استعدادهم واختل عقلهم ولم يبق لهم رأس مال يتوسلون به الى درك الحق ونيل الكمال فبقوا
خاسرين آيسين من الربح فاقدين للاصل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا لما جاء بحقيقة حالهم عقبها بضرب المثل زيادة في التوضيح والتقرير فانه اوقع في القلب واقمع للخصم
الالدّ لانه يريك المتخيل محققا والمعقول محسوسا ولامر ما اكثر الله في كتبه الامثال وفشت في كلام الانبياء والحكماء والمثل في الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل
كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده ولا يضرب الا ما فيه غرابة ولذلك حوفظ عليه من التغيير ثم استعير لكل حال او قصة او صفة لها شأن
وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون وقوله تعالى ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشأن كحال من استوقد نارا والذي بمعنى الذين كما في قوله تعالى وخضتم
كالذي خاضوا ان جعل مرجع الضمير في نورهم وانما جاز ذلك ولم يجز وضع القائم موضع القائمين لانه غير مقصود بالوصف بل الجملة التي هي صلته وهو وصلة الى وصف
المعرفة بها ولانه ليس باسم تام بل هو كالجزء منه فحقه ان لا يجمع كما لم يجمع اخواته ويستوي فيه الواحد والجمع وليس الذين جمعه المصحح بل ذو زيادة زيدت لزيادة المعنى ولذلك جاء
بالياء ابدا على اللغة الفصيحة التي عليها التنزيل ولكونه مستطالا بصلته استحق التخفيف ولذلك بولغ فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين
والمفعولين او قصد به جنس المستوقدين او الفوج الذي استوقد والاستيقاد طلب الوقود والسعي في تحصيله وهو سطوع النار وارتفاع لهبها واشتقاق
النار من نار ينور نورا اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا فلما اضاءت ما حوله اي النار ما حول المستوقد ان جعلتها متعدية والا امكن ان تكون مسندة الى
ما والتأنيث لان ما حوله اشياء واماكن او الى ضمير النار وما موصولة في معنى الامكنة نصب على الظرف او مزيدة وحوله ظرف وتأليف الحول للدوران وقيل للعام
حول لانه يدور ذهب الله بنورهم جواب لما والضمير للذي وجمعه للحمل على المعنى وعلى هذا انما قال بنورهم ولم يقل بنارهم لانه المراد من ايقادها او استئناف اجيب
به اعتراض سائل يقول ما بالهم شبهت حالهم بحال مستوقد اطفئت ناره او بدل من جملة التمثيل على سبيل البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف
كما في قوله تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وأمن الالتباس واسناد الذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بفعله او لان الاطفاء حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح
او مطر او للمبالغة ولذلك عدي الفعل بالباء دون الهمزة لما فيها من معنى الاستصحاب والاستمساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله
وامسكه فلا مرسل له ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى اللفظ الى النور فانه لو قيل ذهب الله بضوئهم احتمل ذهابه بما في الضوء من الزيادة وبقاء
ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا الا ترى كيف قرر ذلك واكده بقوله وتركهم في ظلمات لا يبصرون فذكر الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه
بالكلية وجمعها ونكرها ووصفها بانها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى وله مفعول واحد فضمن معنى صير فجرى مجرى
افعال القلوب كقوله تعالى وتركهم في ظلمات وقول الشاعر فتركته جزر السباع ينشنه والظلمة مأخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك
لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وظلماتهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق وظلمة يوم القيمة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد او ظلمة شديدة كأنها ظلمات متراكمة ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح المتروك
فكأن الفعل غير متعد والاية مثل ضربه الله لمن آتاه ضربا من الهدى فاضاعه ولم يتوصل به الى نعيم الابد فبقي متحيرا متحسرا تقريرا وتوضيحا لما تضمنته
الاية الاولى ويدخل تحت عمومه هؤلاء المنافقون فانهم اضاعوا ما نطقت به السنتهم من الحق باستبطان الكفر واظهاره حين خلوا الى شياطينهم ومن آثر الضلالة
على الهدى المجعول له بالفطرة او ارتد عن دينه بعدما آمن ومن صح له احوال الارادة فادعى احوال المحبة فاذهب الله عنه ما اشرق عليه من انوار الارادة او مثل لايمانهم من
حيث انه يعود عليهم بحقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد ومشاركة المسلمين في المغانم والاحكام بالنار الموقدة للاستضاءة ولذهاب اثره وانطماس نوره

باهلاكهم وافشاء حالهم باطفاء الله تعالى اياها واذهاب نورها صم بكم عمي لما سدّوا اسماعهم عن الاصاخة الى الحق وابوا ان ينطقوا بها السنتهم ويبصروا
الآيات بابصارهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتفت قواهم كقوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا وكقوله أصم عن الشيء الذي لا اريده
واسمع خلق الله حين اريد واطلاقها عليهم على طريقة التمثيل لا الاستعارة اذ من شرطها ان يطوى ذكر المستعار له بحيث يمكن حمل الكلام على المستعار منه لولا القرينة
كقول زهير لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة يضربون عن توهم التشبيه صفحا كما قال ابو تمام الطائي ويصعد حتى
الظن الجهول بان له حاجة في السماء وههنا وان طوى ذكره بحذف المبتدأ لكنه في حكم المنطوق به ونظيره اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هذا اذا جعلت الضمير للمنافقين على ان الآية فذلكة التمثيل ونتيجته وان جعلته للمستوقدين فهي على حقيقتها والمعنى انهم لما اوقدوا نارا فذهب الله بنورهم وتركهم
في ظلمات هائلة ادهشتهم بحيث اختلت حواسهم وانتقصت قواهم وثلاثتها قرئت بالنصب على الحال من مفعول تركهم والصمم اصله صلابة من اكتناز الاجزاء ومنه قيل
حجر اصم وقناة صماء وصمام القارورة سمي به فقدان حاسة السمع لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه فيشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والبكم
الخرس والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وقد يقال لعدم البصيرة فهم لا يرجعون لا يعودون الى الهدى الذي باعوه وضيعوه او عن الضلالة التي اشتروها او فهم متحيرون
لا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى حيث ابتدؤا منه كيف يرجعون والفاء للدلالة على ان اتصافهم بالاحكام السابقة سبب لتحيرهم واحتباسهم اوكصيب من السماء عطف
على الذي استوقد اي كمثل ذوي صيب لقوله يجعلون اصابعهم في آذانهم واو في الاصل للتساوي في الشك ثم اتسع فيها فاطلقت للتساوي من غير شك مثل جالس الحسن او ابن سيرين
وقوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا فانها تفيد التساوي في حسن المجالسة ووجوب العصيان ومن ذلك قوله او كصيب ومعناه ان قصة المنافقين مشبهة بهاتين
القصتين وانهما سواء في صحة التشبيه بهما وانت مخير في التمثيل بهما او بايهما شئت والصيب فيعل من الصوب وهو النزول يقال للمطر وللسحاب قال الشماخ واسحم دان
صادق الرعد صيب وفي الآية يحتملهما وتنكيره لانه اريد به نوع من المطر شديد وتعريف السماء للدلالة على ان الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل افق منها يسمى
سماء كما ان كل طبقة منها سماء وقال ومن بعد ارض بيننا وسماء امدّ به ما في الصيب من المبالغة من جهة الاصل والبناء والتنكير وقيل المراد بالسماء السحاب فاللام لتعريف
الماهية فيه ظلمات ورعد وبرق ان اريد بالصيب المطر فظلماته ظلمة تكاثفه بتتابع القطر وظلمة غمامه مع ظلمة الليل وجعله مكانا للرعد والبرق لانهما في اعلاه ومنحدره ملتبسين به
وان اريد به السحاب فظلماته سحمته وتطبيقه مع ظلمة الليل وارتفاعها بالظرف وفاقا لانه معتمد على موصوف والرعد صوت يسمع من السحاب والمشهور ان سببه اضطراب اجرام
السحاب واصطكاكها اذا حدتها الريح من الارتعاد والبرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا وكلاهما مصدر في الاصل ولذلك لم يجمعا يجعلون اصابعهم في آذانهم الضمير
لاصحاب الصيب وهو وان حذف لفظه واقيم الصيب مقامه لكن معناه باق فيجوز ان يعول عليه كما عول حسان في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق
بالرحيق السلسل حيث ذكر الضمير لان المعنى ماء بردى والجملة استئناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة والهول قيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق الاصابع
موضع الانامل للمبالغة من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجلها يجعلون كقولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر بشيء الا اتت عليه من الصعق
وهو شدة الصوت وقد تطلق على كل هائل مسموع او مشاهد ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او شدة الصوت وقرئ من الصواقع وهو ليس
بقلب من الصواعق لاستواء كلا البناءين في التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع وصقعته الصاعقة وهي في الاصل اما صفة لقصفة الرعد او للرعد
والتاء للمبالغة كما في الراوية او مصدر كالعافية والكاذبة حذر الموت نصب على العلة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره والموت
زوال الحياة وقيل عرض يضادها لقوله خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط بالكافرين لا يفوتونه كما
لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل والجملة اعتراضية لا محل لها يكاد البرق يخطف ابصارهم استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول
ما حالهم مع تلك الصواعق وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لعروض سببه لكنه لم يوجد اما لعروض مانع او لفقد شرط وعسى
موضوعة لرجائه فهي خبر محض ولذلك جاءت متصرفة بخلاف عسى وخبرها مشروط فيه ان يكون فعلا مضارعا تنبيها على انه المقصود بالقرب
من غير ان لتوكد القرب بالدلالة على الحال وقد تدخل عليه حملا لها على عسى كما تحمل عليها بالحذف من خبرها لمشاركتهما في اصل معنى المقاربة والخطف
الاخذ بسرعة وقرئ يخطف بكسر الطاء ويخطف على انه يختطف فنقلت فتحة التاء الى الخاء ثم ادغمت في الطاء ويخطف بكسر الخاء لالتقاء الساكنين
واتباع الياء لها ويتخطف كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استئناف ثالث كأنه قيل ما يفعلون في تارتي خفوق البرق وخفيته فاجيب بذلك واضاء
اما متعد والمفعول محذوف بمعنى كلما نور لهم ممشى اخذوه او لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وكذلك اظلم فانه جاء متعديا منقولا من ظلم الليل
ويشهد له قراءة اظلم على البناء للمفعول وقول ابي تمام هما اظلما حالي ثمة اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب فانه وان كان من المحدثين لكنه من علماء العربية
فلا يبعد ان يجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه وانما قال مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا لانهم حراص على المشي فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها ولا كذلك
التوقف ومعنى قاموا وقفوا ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء اذا جمد ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم
بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق لذهب بهما فحذف المفعول لدلالة الجواب عليه ولقد تكاثر حذفه في شاء واراد حتى لا يكاد يذكر

الا في الشئ المستغرب كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته ولو من حروف الشرط وظاهرها الدلالة على انتفاء الاول لانتفاء الثاني ضرورة انتفاء الملزوم عند انتفاء لازمه وقرئ لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وفائدة هذه الشرطية ابداء المانع لذهاب سمعهم وابصارهم مع قيام ما يقتضيه والتنبيه على ان تأثير الاسباب في مسبباتها مشروط بمشيئة الله تعالى وان وجودها مرتبط باسبابها واقع بقدرته وقوله ان الله على كل شئ قدير كالتصريح به والتقرير له والشئ يختص بالموجود لانه في الاصل مصدر شاء اطلق بمعنى شاء تارة وحينئذ يتناول البارى تعالى كما قال قل اى شئ اكبر شهادة قل الله شهيد وبمعنى مشيئ اخرى اى مشيئ وجوده وما شاء الله وجوده فهو موجود في الجملة وعليه قوله تعالى ان الله على كل شئ قدير الله خالق كل شئ فهما على عمومهما بلا مثنوية والمعتزلة لما قالوا الشئ ما يصح ان يوجد وهو يعم الواجب والممكن او ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيعم الممتنع ايضا لزمهم التخصيص بالممكن في الموضعين بدليل العقل والقدرة هو التمكن من ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضي التمكن وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشأ لم يفعل والقدير الفعال لما يشاء على ما يشاء ولذلك قلما يوصف به غير البارى تعالى واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع الفعل على مقدار قوته او على مقدار ما تقتضيه مشيئته وفيه دليل على ان الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران وان مقدور العبد مقدور لله تعالى لانه شئ وكل شئ مقدور لله تعالى والظاهر ان التمثيلين من جملة التمثيلات المؤلفة وهو ان يشبه كيفية منتزعة من مجموع تضامت اجزاؤه وتلاصقت حتى صارت شيأ واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الآية فانه تشبيه حال اليهود في جهلهم بما معهم من التوراة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة والغرض منهما تمثيل حال المنافقين من الحيرة والشدة بما يكابده من انطفأت ناره بعد ايقادها في ظلمة او بحال من اخذته السماء في ليلة مظلمة مع رعد قاصف وبرق خاطف وخوف من الصواعق ويمكن جعلها من قبيل التمثيل المفرد وهو ان تأخذ اشياء فرادى تشبهها بامثالها كقوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وقول امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى بان يشبه في الاول ذوات المنافقين بالمستوقدين واظهارهم الايمان باستيقاد النار وما انتفعوا به من حقن الدماء وسلامة الاموال والاولاد وغير ذلك باضاءة النار ما حول المستوقدين وزوال ذلك عنهم على القرب باهلاكهم وبافشاء حالهم وابقاؤهم في الخسار الدائم والعذاب السرمد باطفاء نارهم والذهاب بنورهم وفي الثاني انفسهم باصحاب الصيب وايمانهم المخالط بالكفر والخداع بصيب فيه ظلمات ورعد وبرق من حيث انه وان كان نافعا في نفسه لكنه لما وجد في هذه الصورة عاد نفعه ضررا ونفاقهم حذرا من نكايات المؤمنين وما يطرقون به من سواهم من الكفرة بجعل الاصابع في الآذان من الصواعق حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله تعالى شيأ ولا يخلص مما يريد بهم من المضار وتحيرهم لشدة الامر وجهلهم بما يأتون ويذرون بانهم كلما صادفوا من البرق خفقة انتهزوها فرصة مع خوف ان يخطف ابصارهم فخطوا خطى يسيرة ثم اذا خفي وفتر لمعانه بقوا متقيدين لا حراك بهم وقيل شبه الايمان والقرآن وسائر ما اوتي الانسان من المعارف التي هي سبب الحياة الابدية بالصيب الذي به حياة الارض وما ارتكبت بها من شبه الطائفة المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات وشبه ما فيها من الوعد والوعيد بالرعد وما فيها من الآيات الباهرة بالبرق وتصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد اذنه عنها مع انه لا خلاص لهم منها وهو معنى قوله والله محيط بالكافرين واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يطمح اليه ابصارهم بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم وتوقفهم في الامر حين تعرض لهم شبهة او تعن لهم مصيبة بتوقفهم اذا اظلم عليهم ونبه بقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم على انه تعالى جعل لهم السمع والابصار ليتوسلوا بها الى الهدى والفلاح ثم انهم صرفوها الى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة ولو شاء الله لجعلهم بالحالة التي يجعلونها فانه على ما يشاء قدير يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما عدد فرق المكلفين وذكر خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزا للسامع وتنشيطا له واهتماما بامر العبادة وتفخيما لشانها وجبرا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة ويا حرف وضع لنداء البعيد وقد ينادي به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما للعظمة كقول الداعي يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته وسوء فهمه او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه وهو مع المنادى جملة مفيدة لانه نائب مناب فعل واى جعل وصلة الى نداء المعرف باللام فان ادخال يا عليه متعذر لتعذر الجمع بين حرفي التعريف فانهما كمثلين واعطى حكم المنادى واجرى عليه المقصود بالنداء وصفا موضحا له والتزم رفعه اشعارا بانه المقصود واقحمت بينهما ها التنبيه تأكيدا وتعويضا عما يستحقه اى من المضاف اليه وانما كثر النداء على هذه الطريقة في القرآن لاستقلاله باوجه من التأكيد وكل ما نادى الله له عباده من حيث انها امور عظام من حقها ان يتفطنوا لها ويقبلوا بقلوبهم عليها واكثرهم عنها غافلون حقيق بان ينادى له بالآكد الابلغ والجموع واسماؤها المحلاة باللام للعموم حيث لا عهد ويدل عليه صحة الاستثناء منها والتأكيد بما يفيد العموم كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة بعمومها شائعا وذائعا فالناس يعم الموجودين وقت النزول لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه الصلاة والسلام ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روى عن علقمة والحسن ان كل شئ نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الذين آمنوا فمدني ان صح رفعه فلا يوجب تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المأمور به هو المشترك بين بدء العبادة والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشئ وجوب ما لا يتم الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب رفعه والاشتغال بها عقيبه ومن المؤمنين ازديادهم وثباتهم عليها وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربية الذي خلقكم صفة جرت عليه تعالى للتعظيم والتعليل ويحتمل التقييد والتوضيح ان خص الخطاب بالمشركين

واريد

واريد بالرب اعم من الرب الحقيقي والآلهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين
من قبلكم متناول لكل ما يتقدم الانسان بالذات او بالزمان منصوب معطوف على الضمير المنصوب في خلقكم والجملة اخرجت مخرج المقرر عندهم اما لاعترافهم به كما قال
ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله او لتمكنهم من العلم به بادنى نظر وقرئ من قبلكم على اقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته
تأكيدا كما اقحم جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم راجين ان تنخرطوا في
سلك المتقين الفائزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شئ سوى الله تعالى الى الله وان العابد ينبغي
ان لا يغتر بعبادته ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه او من مفعول خلقكم والمعطوف عليه على معنى انه خلقكم ومن
قبلكم في صورة من يرجى منه التقوى لترجح امره باجتماع اسبابه وكثرة الدواعي اليه وغلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا وقيل تعليل للخلق
اي خلقكم لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته
واستحقاقه للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو
كاجير اخذ الاجر قبل العمل الذي جعل لكم الارض فراشا صفة ثانية او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره فلا تجعلوا وجعل من الافعال العامة يجيء
على ثلاثة اوجه بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله فقد جعلت قلوص بني سهيل من الاكوار مرتعها قريب وبمعنى اوجد فيتعدى الى مفعول واحد كقوله تعالى
وجعل الظلمات والنور وبمعنى صير ويتعدى الى مفعولين كقوله تعالى جعل لكم الارض فراشا والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول والعقد اخرى ومعنى جعلها
فراشا ان جعل بعض جوانبها بارزا عن الماء مع ما في طبعه من الاحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لان يقعدوا
وينا موا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لان كرية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراش عليها والسماء بناء
قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يقع على الواحد والمتعدد كالدينار والدرهم وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه
بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم عطف على جعل وخروج الثمار بقدرة الله
تعالى ومشيئته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سببا في اخراجها ومادة لها كالنطفة للحيوان بان اجرى عادته بافاضات صورها وكيفياتها على المادة الممتزجة
منهما او ابدع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ان يوجد الاشياء كلها بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس
الاسباب والمواد ولكن له في انشائها مدرجا من حال الى حال صنائع وحكما يجدد فيها لاولي الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس في ايجادها دفعة ومن الاولى
للابتداء سواء اريد بالسماء السحاب فان ما علاك سماء او الفلك فان المطر يبتدئ من السماء الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه الظواهر او من اسباب
سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى جو الهواء فتنعقد سحابا ماطرا ومن الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات واكتناف المنكرين له
اعني ماء ورزقا كانه قال وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر كل
الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق كقولك انفقت من الدراهم الفا وانما ساغ الثمرات والموضع موضع الكثرة لانه اراد بالثمرات
جماعة الثمرة التي في قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيده قراءة من قرأ من الثمرة على التوحيد او لان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون
وقوله ثلاثة قروء او لانها لما كانت محلاة باللام خرجت عن حد القلة ولكم صفة رزقا ان اريد به المرزوق ومفعوله ان اريد به المصدر كانه قال رزقا اياكم فلا تجعلوا
لله اندادا متعلق باعبدوا على انه نهي معطوف عليه او نفي منصوب باضمار ان جواب له او بلعل على ان نصب تجعلوا نصب فاطلع في قوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب
اسباب السموات فاطلع الحاقا لها بالاشياء الستة لاشتراكها في انها غير موجبة والمعنى ان تتقوا فلا تجعلوا لله اندادا او بالذي جعل لكم ان استأنفت به على انه نهي وقع خبرا
على تأويل مقول فيه لا تجعلوا والفاء للسببية ادخلت عليه لتضمن المبتدأ معنى الشرط والمعنى ان من خصكم بهذه النعم الجسام والايات العظام ينبغي ان لا يشرك به والند المثل
المناوي قال جرير أتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد من ند ندودا اذا نفر وناددت الرجل خالفته خص بالمخالف المماثل في الذات كما خص المساوي بالمماثل
في القدر وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها تساويه في ذاته وصفاته ولا انها تخالفه في افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة
شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم بأس الله وتمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم بان جعلوا
اندادا لمن يمتنع ان يكون له ند ولهذا قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا
كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من ضمير فلا تجعلوا ومفعول تعلمون مطروح اي وحالكم انكم من اهل العلم والنظر واصابة الرأي فلو تأملتم
ادنى تأمل اضطر عقلكم الى اثبات موجد للممكنات متفرد بوجوب الذات متعال عن مشابهة المخلوقات او منوي وهو انها لا تماثله ولا تقدر على مثل
ما يفعله كقوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ وعلى هذا فالمقصود منه التوبيخ والتثريب لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم
والجاهل المتمكن من العلم سواء في التكليف واعلم ان مضمون الايتين هو الامر بعبادة الله والنهي عن الاشراك به تعالى والاشارة الى ما هو العلة

والمقتضى وبيان انه رتب الامر بالعبادة على صفة الربوبية اشعارا بانها العلة لوجوبها ثم بين ربوبيته بانه تعالى خالقهم وخالق اصولهم وما يحتاجون اليه في معاشهم من المقلة والمظلة والمطاعم والملابس فان الثمرة اعم من المطعوم والرزق اعم من المأكول والمشروب ثم لما كانت هذه الامور التي لا يقدر عليها غيره شاهدة على وحدانيته تعالى رتب تعالى عليها النهي عن الاشراك به ولعله سبحانه اراد من الاية الاخيرة مع ما دل عليه الظاهر وسيق فيه الكلام الاشارة الى تفصيل خلق الانسان وما افاض تعالى عليه من المعاني والصفات على طريقة التمثيل فمثل البدن بالارض والنفس بالسماء والعقل بالماء وما افاض تعالى عليه من الفضائل العملية والنظرية المحصلة بوساطة استعمال العقل للحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلة والارضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن المعجز بفصاحته التي بذت فصاحة كل منطيق وافحام من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم وافراطهم في المضادة والمضارة وتهالكهم على المعازة والمعارة وعرف ما يتعرف به اعجازه ويتيقن انه من عند الله كما يدعيه وانما قال مما نزلنا لان نزوله نجما فنجما بحسب الوقائع على ما نرى عليه اهل الشعر والخطابة مما يريبهم كما حكى الله عنهم فقال وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فكان الواجب تحديهم على هذا الوجه ازاحة للشبهة والزاما للحجة واضاف العبد الى نفسه تعالى تنويها بذكره وتنبيها على انه مختص به منقاد لحكمه تعالى وقرئ عبادنا يريد محمدا صلى الله عليه وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وهي ان جعلت واوها اصلية منقولة من سور المدينة لانها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على انواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التي هي الرتبة قال ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس غرابها بمطار لان السور كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ او لها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة وان جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشئ والحكمة في تقطيع القرآن سورا افراد الانواع وتلاحق الاشكال وتجاوب النظم وتنشيط القارئ وتسهيل الحفظ والترغيب فيه فانه اذا ختم سورة نفس ذلك عنه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى بريدا والحافظ متى حذقها اعتقد انه اخذ من القرآن حظا تاما وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها فعظم ذلك عنده وابتهج به الى غير ذلك من الفوائد من مثله صفة سورة اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتبيين وزائدة عند الاخفش اي بسورة مماثلة للقرآن العظيم في البلاغة وحسن النظم او لعبدنا ومن للابتداء اي بسورة كائنة ممن هو على حاله عليه الصلاة والسلام من كونه بشرا اميا لم يقرأ الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة فأتوا والضمير للعبد صلى الله عليه وسلم والرد الى المنزل اوجه لانه المطابق لقوله تعالى فأتوا بسورة مثله ولسائر آيات التحدي ولان الكلام فيه لا في المنزل عليه فحقه ان لا ينفك عنه ليتسق الترتيب والنظم ولان مخاطبة الجم الغفير بان يأتوا بمثل ما اتى به واحد من ابناء جلدتهم ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت بنحو ما اتى به هذا آخر مثله ولانه معجز في نفسه لا بالنسبة اليه لقوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان رده الى عبدنا يوهم امكان صدوره ممن لم يكن على صفته ولا يلائمه قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله فانه امر بان يستعينوا بكل من ينصرهم ويعينهم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة او الناصر او الامام وكانه سمي به لانه يحضر النوادي وتبرم بمحضره الامور اذ التركيب للحضور اما بالذات او بالتصور ومنه قيل للمقتول في سبيل الله شهيد لانه حضر ما كان يرجوه او الملائكة حضروه ومعنى دون ادنى مكان من الشئ ومنه تدوين الكتب لانه ادناء البعض من البعض ودونك هذا اي خذه من ادنى مكان منك ثم استعير للرتب فقيل زيد دون عمرو اي في الشرف ومنه الشئ الدون ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي امر الى آخر قال تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس مالك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلا يقيك غيره ومن متعلقة بادعوا والمعنى وادعوا الى المعارضة من حضركم او رجوتم معونته من انسكم وجنكم وآلهتكم غير الله سبحانه وتعالى فانه لا يقدر على ان يأتي بمثله الا الله او وادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بان ما اتيتم به مثله ولا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن اقامة الحجة او بشهدائكم والمعنى ادعوا الذين اتخذتموهم من دونه اولياء او آلهة وزعمتم انها تشهد لكم يوم القيامة او الذين يشهدون لكم بين يدي الله على زعمكم من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه ليعينوكم وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد في معارضة القرآن العزيز غاية التبكيت والتهكم بهم وقيل من دون الله اي من دون اوليائه يعني فصحاء العرب ووجوه المشاهد ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله فان العاقل لا يرضى لنفسه ان يشهد بصحة ما اتضح فساده وبان اختلاله ان كنتم صادقين انه من كلام البشر وجوابه محذوف دل عليه ما قبله والصدق الاخبار المطابق وقيل مع اعتقاد المخبر انه كذلك عن دلالة او امارة لانه تعالى كذب المنافقين في قولهم انك لرسول الله لما لم يعتقدوا مطابقته ورد بصرف التكذيب الى قولهم نشهد لان الشهادة اخبار عما عليه وهم ما كانوا عالمين به فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة لما بين لهم ما يتعرفون به امر الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وميز لهم الحق من الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم في معارضته وعجزتم جميعا عن الاتيان بما يساويه او يدانيه ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا به واتقوا العذاب المعد لمن كذب فعبر عن الاتيان المكيف بالفعل الذي يعم الاتيان به وغيره ايجاز او نزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه وتهويلا لشأن العناد وتصريحا بالوعيد مع الايجاز وصدر الشرطية بان التي للشك والحال يقتضي اذا الذي للوجوب فان القائل سبحانه وتعالى لم يكن شاكا في عجزهم ولذلك نفى اتيانهم معترضا بين الشرط والجزاء تهكما بهم

او خطابا معهم على حسب ظنهم فان العجز قبل التأمل لم يكن محققا عندهم وتفعلوا جزم بلم لانها واجبة الاعمال مختصة بالمضارع متصلة بالمعمول ولانها لما صيرته ماضيا صارت كالجزء منه وحرف الشرط كالداخل على المجموع وكأنه قال تعالى فان تركتم الفعل ولذلك ساغ اجتماعهما ولن كلا فى نفى المستقبل غير انه ابلغ وهو حرف مقتضب عند سيبويه والخليل فى احدى الروايتين عنه وفى الرواية الاخرى اصله لا ان وعند الفراء لا فابدلت الفها نونا والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر وقد جاء المصدر بالفتح قال سيبويه وسمعنا من يقول وقدت النار وقودا عاليا والاسم بالضم ولعله مصدر سمى به كما قيل فلان فخر قومه وزين بلده وقد قرئ به والظاهر ان المراد به الاسم وان اريد به المصدر فعلى حذف مضاف اى وقودها احتراق الناس والحجارة وهى جمع حجر كجمالة جمع جمل وهو قليل غير منقاس والمراد بها الاصنام التى نحتوها وقرنوا بها انفسهم وعبدوها طمعا فى شفاعتها والانتفاع بها واستدفاع المضار بمكانتها ويدل عليه قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكافرون بما كنزوه او بنقيض ما كانوا يتوقعون زيادة فى تحسرهم وقيل الذهب والفضة التى كانوا يكنزونها ويغترون بها وعلى هذا لم يكن لتخصيص اعداد هذا النوع من العذاب بالكفار وجه وقيل حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وابطال للمقصود اذ الغرض تهويل شأنها وتفاقم لهبها بحيث تتقد بما لا يتقد به غيرها والكبريت يتقد به كل نار وان ضعفت فان صح هذا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فلعله اراد به ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لسائر النيران ولما كانت الاية مدنية نزلت بعد ما نزل بمكة قوله تعالى فى سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة وسمعوه صح تعريف النار ووقوع الجملة صلة فانها يجب ان تكون قصة معلومة اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة والجملة استئناف او حال باضمار قد من النار لا الضمير الذى فى وقودها وان جعلته مصدرا للفصل بينهما بالخبر وفى الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه الاول ما فيهما من التحدى والتحريض على الجد وبذل الوسع فى المعارضة بالتقريع والتهديد وتعليق الوعيد على عدم الاتيان بما يعارض اقصر سورة من سور القرآن العزيز ثم انهم مع كثرتهم واشتهارهم بالفصاحة وتهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة والتجأوا الى جلاء الوطن وبذل المهج والثانى انهما تتضمنان الاخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشئ لامتنع خفاؤه عادة سيما والطاعنون فيه اكثر من الذابين عنه فى كل عصر والثالث انه صلى الله عليه وسلم لو شك فى امره لما دعاهم الى المعارضة بهذه المبالغة مخافة ان يعارض فتدحض حجته وقوله تعالى اعدت للكافرين دل على ان النار مخلوقة معدة الآن لهم وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات عطف على الجملة السابقة والمقصود عطف حال من آمن بالقرآن العظيم ووصف ثوابه على حال من كفر به وكيفية عقابه على ما جرت به العادة الالهية من ان يشفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجى وتثبيطا عن اقتراف ما يردى لا عطف الفعل نفسه حتى يجب ان يطلب له ما يشاكله من امر او نهى فيعطف عليه او على فاتقوا لانهم اذا لم يأتوا بما يعارضه بعد التحدى ظهر اعجازه واذا ظهر ذلك فمن كفر به استوجب العقاب ومن آمن به استحق الثواب وذلك يستدعى ان يخوف هؤلاء ويبشر هؤلاء وانما امر الرسول صلى الله عليه وسلم او عالم كل عصر او كل احد يقدر على البشارة بان يبشرهم ولم يخاطبهم بالبشارة كما خاطب الكفرة تفخيما لشانهم وايذانا بانهم احقاء بان يبشروا ويهنأوا بما اعد لهم وقرئ وبشر على البناء للمفعول عطفا على اعدت فيكون استئنافا والبشارة الخبر السار فانه يظهر اثر السرور فى البشرة ولذلك قال الفقهاء البشارة هى الخبر الاول حتى لو قال الرجل لعبيده من بشرنى بقدوم ولدى فهو حر فاخبروه فرادى عتق اولهم ولو قال من اخبرنى عتقوا جميعا واما قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم فعلى التهكم او على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع والصالحات جمع صالحة وهى من الصفات الغالبة التى تجرى مجرى الاسماء كالحسنة قال الحطيئة كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأم بظهر الغيب تأتينى وهى من الاعمال ما سوغه الشرع وحسنه وتأنيثها على تأويل الخصلة او الخلة واللام فيها للجنس وعطف العمل على الايمان مرتبا للحكم عليهما اشعارا بان السبب فى استحقاق هذه البشارة مجموع الامرين والجمع بين الوصفين فان الايمان الذى هو عبارة عن التحقيق والتصديق اس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء عليه ولذلك قلما ذكرا منفردين وفيه دليل على انها خارجة عن مسمى الايمان اذ الاصل ان الشئ لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه ان لهم منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لأفعلن والجنة المرة من الجن وهو مصدر جنه اذا ستره ومدار التركيب على الستر سمى به الشجر المظلل لالتفاف اغصانه للمبالغة كأنه يستر ما تحته سترة واحدة قال ابن زهير كأن عينى فى غربى مقتلة من النواضح تسقى جنة سحقا اى نخلا طوالا ثم البستان لما فيه من الاشجار المتكاثفة المظللة ثم دار الثواب لما فيها من الجنان وقيل سميت بذلك لانه ستر فى الدنيا ما اعد فيها للبشر من افنان النعم كما قال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين وجمعها وتنكيرها لان الجنان على ما ذكره ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفى كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الاعمال والعمال واللام فى لهم تدل على استحقاقهم اياها لاجل ما ترتب عليه من الايمان والعمل الصالح لا لذاته فانه لا يكافئ النعم السابقة فضلا عن ان يقتضى ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده تعالى ولا على الاطلاق بل بشرط ان يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن اشركت ليحبطن عملك واشباه ذلك ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد ههنا استغناء بها تجرى من تحتها الانهار اى من تحت اشجارها كما تراها جارية تحت الاشجار النابتة على شواطئها وعن مسروق انهار الجنة تجرى فى غير اخدود واللام فى الانهار للجنس كما فى قولك لفلان بستان فيه الماء الجارى او للعهد والمعهود هى الانهار المذكورة فى قوله تعالى انهار من ماء غير آسن الآية والنهر بالفتح

والسكون الجري الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او المجاز او المجاري انفسها واسناد الجري اليها مجاز
كما في قوله تعالى واخرجت الارض اثقالها كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستأنفة كانه لما قيل ان
لهم جنات وقع في خلد السامع اثمارها مثل ثمار الدنيا او اجناس أخر فازيح بذلك وكلما نصب على الظرف ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال
وتقدير الكلام ومعناه كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فيها فصاحب الحال الاولى رزقا
وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال ويحتمل ان يكون من ثمرة بيانا تقدم كما في قولك رأيت منك اسدا وهذا اشارة الى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا الى نهر جار هذا
الماء لا ينقطع فانك لا تعني به العين المشاهدة منه بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وان كانت الاشارة الى عينه والمعنى هذا مثل الذي ولكن لما استحكم الشبه بينهما
جعل ذاته ذاته كقولك ابو يوسف ابو حنيفة من قبل اي من قبل هذا في الدنيا جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس اليه اول ما رأت فان الطباع مائلة الى المألوف
متنفرة من غيره وتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه اذ لو كان جنسا لم يعهد ظن انه لا يكون الا كذلك او في الجنة لان طعامها متشابه في الصورة كما حكي عن الحسن رضي الله
تعالى عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روى انه عليه الصلاة
والسلام قال والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها فلعلهم اذا رأوها على الهيئة الاولى
قالوا ذلك والاول اظهر لمحافظته على عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذا القول كل مرة رزقوا والداعي لهم الى ذلك فرط استغرابهم وتبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم
في اللذة والتشابه البليغ في الصورة وأتوا به متشابها اعتراض يقرر ذلك والضمير على الاول راجع الى ما رزقوا في الدارين فانه مدلول عليه بقوله عز من قائل هذا الذي رزقنا
من قبل ونظيره قوله عز وجل ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق فان قيل التشابه هو التماثل في الصفة وهو مفقود بين ثمرات
الدنيا والاخرة كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسماء قلت التشابه بينهما حاصل في الصورة التي هي مناط الاسم دون المقدار والطعم
وهو كاف في اطلاق التشابه هذا وان للآية الكريمة محملا آخر وهو ان مستلذات اهل الجنة في مقابلة ما رزقوا في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة في اللذة
بحسب تفاوتها فيحتمل ان يكون المراد من هذا الذي رزقنا انه ثوابه ومن تشابههما تماثلهما في الشرف والمزية وعلو الطبقة فيكون هذا في الوعد نظير قوله ذوقوا
ما كنتم تعملون في الوعيد ولهم فيها ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام
والاخلاق والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب
القدور فملت فالجمع على اللفظ والافراد على تأويل الجماعة ومطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس هو الا الله عز وجل والزوج يقال للذكر والانثى وهو في الاصل لماله قرين من جنسه كزوج الخف فان قيل فائدة المطعوم هو التغذي ودفع ضرر الجوع وفائدة
المنكوح التوالد وحفظ النوع وهي مستغنى عنها في الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وسائر احوالها انما تشارك نظائرها الدنيوية في بعض الصفات والاعتبارات وتسمى
باسمائها على سبيل الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها في تمام حقيقتها حتى تستلزم جميع ما يلزمها وتفيد عين فائدتها وهم فيها خالدون دائمون والخلد والخلود في
الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله ما دام حيا خلد ولو كان وضعه للدوام كان التقييد بالتأبيد
في قوله تعالى خالدين فيها ابدا لغوا واستعماله حيث لا دوام كقولهم وقف مخلد يوجب اشتراكا او مجازا والاصل ينفيهما بخلاف ما لو وضع للاعم منه فاستعمل فيه بذلك
الاعتبار كاطلاق الجسم على الانسان مثل قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد لكن المراد منه الدوام هاهنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات والسنن فان قيل
الابدان مركبة من اجزاء متضادة الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانفكاك والانحلال فكيف يعقل خلودها في الجنان قلت انه تعالى يعيدها بحيث لا تعتورها
الاستحالة بان يجعل اجزاءها مثلا متقاومة في الكيفية متساوية في القوة لا يقوى شيء منها على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض كما يشاهد
في بعض المعادن هذا وان قياس ذلك العالم واحواله على ما نجده ونشاهده من نقص العقل وضعف البصيرة واعلم انه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا
على المساكن والمطاعم والمناكح على ما دل عليه الاستقراء وكان ملاك ذلك كله الدوام والثبات فان كل نعمة جليلة اذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير
صافية عن شوائب الالم بشر المؤمنين بها ومثل ما اعد لهم في الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها وازال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم في التنعم
والسرور ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط
فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التي يتعلق بها التمثيل في العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى
الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه في صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل ويصالحه عليه فان المعنى الصرف انما يدركه العقل مع منازعة من الوهم
لان من طبعه الميل الى الحس وحب المحاكاة ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية وفشت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل
العظيم بالعظيم وان كان الممثل اعظم من كل عظيم كما مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة والقلوب القاسية بالحصاة ومخاطبة السفهاء باثارة الزنابير وجاء
في كلام العرب اسمع من قراد واطيش من فراشة واعز من مخ البعوض لا ما قالت الجهلة من الكفار لما مثل الله حال المنافقين بحال المستوقدين واصحاب

الصيب

...وعبادة الاصنام في الوهن والضعف ببيت العنكبوت وجعلها اقل من الذباب واخس قدرا منه الله اعلى واجل من ان يضرب الامثال ويذكر الذباب
والعنكبوت وايضا لما ارشدهم الى ما يدل على ان المتحدى به وحي منزل ورتب عليه وعيد من كفر به ووعد من آمن به بعد ظهور امره شرع في جواب ما طعنوا به
فيه فقال تعالى ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يمثل بها لحقارتها والحياء انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط
بين الوقاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها والخجل الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقا واشتقاقه من الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية
فيردها عن افعالها فقيل حيي الرجل كما يقال نسي وحشي اذا اعتلت نساه وحشاه واذا وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث ان الله يستحيي من ذي الشيبة
المسلم ان يعذبه ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا فالمراد به الترك اللازم للانقباض كما ان المراد من رحمته
وغضبه اصابة المعروف والمكروه اللازمين لمعنييهما ونظيره قول من يصف ابلا شعر اذا ما استحيين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وانما عدل به عن الترك لما فيه من التمثيل والمبالغة وتحتمل الآية خاصة ان يكون مجيئه على المقابلة لما وقع في كلام الكفرة وضرب المثل اعماله من ضرب الخاتم واصله
وقع شيء على آخر وان بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها عند سيبويه وما ابهامية تزيد النكرة ابهاما
وشياعا وتسد عنها طرق التقييد كقولك اعطني كتابا ما اي اي كتاب كان او مزيدة للتأكيد كالتي في قوله تعالى فبما رحمة من الله ولا نعني بالمزيد اللغو الضائع
فان القرآن كله هدى وبيان بل ما لم يوضع لمعنى يراد منه وانما وضعت لان تذكر مع غيرها فتفيده وثاقة وقوة وهو زيادة في الهدى غير قادح فيه وبعوضة
عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليه لانه نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل وقرئت بالرفع على انه خبر مبتدأ وعلى هذا يحتمل
ما وجوها اخر ان تكون موصولة وحذف صدر صلتها كما حذف في قوله تماما على الذي احسن وموصوفة بصفة كذلك ومحلها النصب بالبدلية على الوجهين
واستفهامية هي المبتدأ كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الامثال قال بعده ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل بل له ان يمثل بما هو احقر من ذلك ونظيره
فلان لا يبالي بما يهب ما دينار وديناران والبعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النوع كالخموش فما فوقها عطف على بعوضة
او ما ان جعل اسما ومعناه وما زاد عليها في الجثة كالذباب والعنكبوت كأنه قصد به رد ما استنكروه والمعنى انه لا يستحيي ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر
منه او في المعنى الذي جعلت فيه مثلا وهو الصغر والحقارة كجناحها فانه عليه الصلاة والسلام ضربه مثلا للدنيا ونظيره في الاحتمالين ما روي ان رجلا بمنى
خر على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة
ومحيت عنه بها خطيئة فانه يحتمل ما يجاوز الشوكة في الالم كالخرور او ما زاد عليها في القلة كنخبة النملة لقوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب المؤمن من مكروه
فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف تفصيل يفصل ما اجمل ويؤكد ما به صدر ويتضمن معنى الشرط
ولذلك يجاب بالفاء قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن من شيء فزيد ذاهب اي هو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على
الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف الشرط فادخلوا الخبر وعوضوا المبتدأ عن الشرط لفظا وفي تصدير الجملتين به احماد لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم
وذم بليغ للكافرين على قولهم والضمير في انه للمثل او لان يضرب والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يعم الاعيان الثابتة والافعال الصائبة والاقوال الصادقة من قولهم
حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق اي محكم النسج واما الذين كفروا فيقولون كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه ويقابل قسيمه لكن لما كان
قولهم هذا دليلا واضحا على كمال جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه ماذا اراد الله بهذا مثلا يحتمل وجهين ان يكون ما استفهامية وذا
بمعنى الذي وما بعده صلته والمجموع خبر ما وان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى اي شيء منصوب المحل على المفعولية مثل ما اراد الله والاحسن في جوابه الرفع على
الاول والنصب على الثاني ليطابق الجواب السؤال والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه ويقال للقوة التي هي مبدأ النزوع والاول مع الفعل والثاني
قبله وكلا المعنيين غير متصور اتصاف الباري تعالى به ولذلك اختلف في معنى ارادته فقيل ارادته لافعاله انه غير ساه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فعلى هذا لم تكن المعاصي بارادته وقيل
علمه باشتمال الامر على النظام الاكمل والوجه الاصلح فانه يدعو القادر الى تحصيله والحق انه ترجيح احد مقدوريه على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجب هذا
الترجيح وهي اعم من الاختيار فانه ميل مع تفضيل وفي هذا استحقار واسترذال ومثلا نصب على التمييز او الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا
جواب ماذا اي اضلال كثير واهداء كثير وضع الفعل موضع المصدر للاشعار بالحدوث والتجدد او بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وبيان وان
الجهل بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل واحد من القبيلين بالنظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم فان المهديين قليلون بالاضافة الى اهل
الضلال كما قال تعالى وقليل من عبادي الشكور ويحتمل ان يكون كثرة الضالين من حيث العدد وكثرة المهديين باعتبار الفضل والشرف كما قال قليل اذا عدوا كثير
اذا شدوا وقال ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا كما غيرهم قل وان كثروا وما يضل به الا الفاسقين اي الخارجين عن حد الايمان كقوله تعالى ان المنافقين
هم الفاسقون من قولهم فسقت الرطبة عن قشرها اذا خرجت واصل الفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا والفاسق في الشرع الخارج
عن امر الله بارتكاب الكبيرة وله درجات ثلاث الاولى التغابي وهو ان يرتكبها احيانا مستقبحا اياها والثانية الانهماك وهو ان يعتاد ارتكابها غير مبال بها

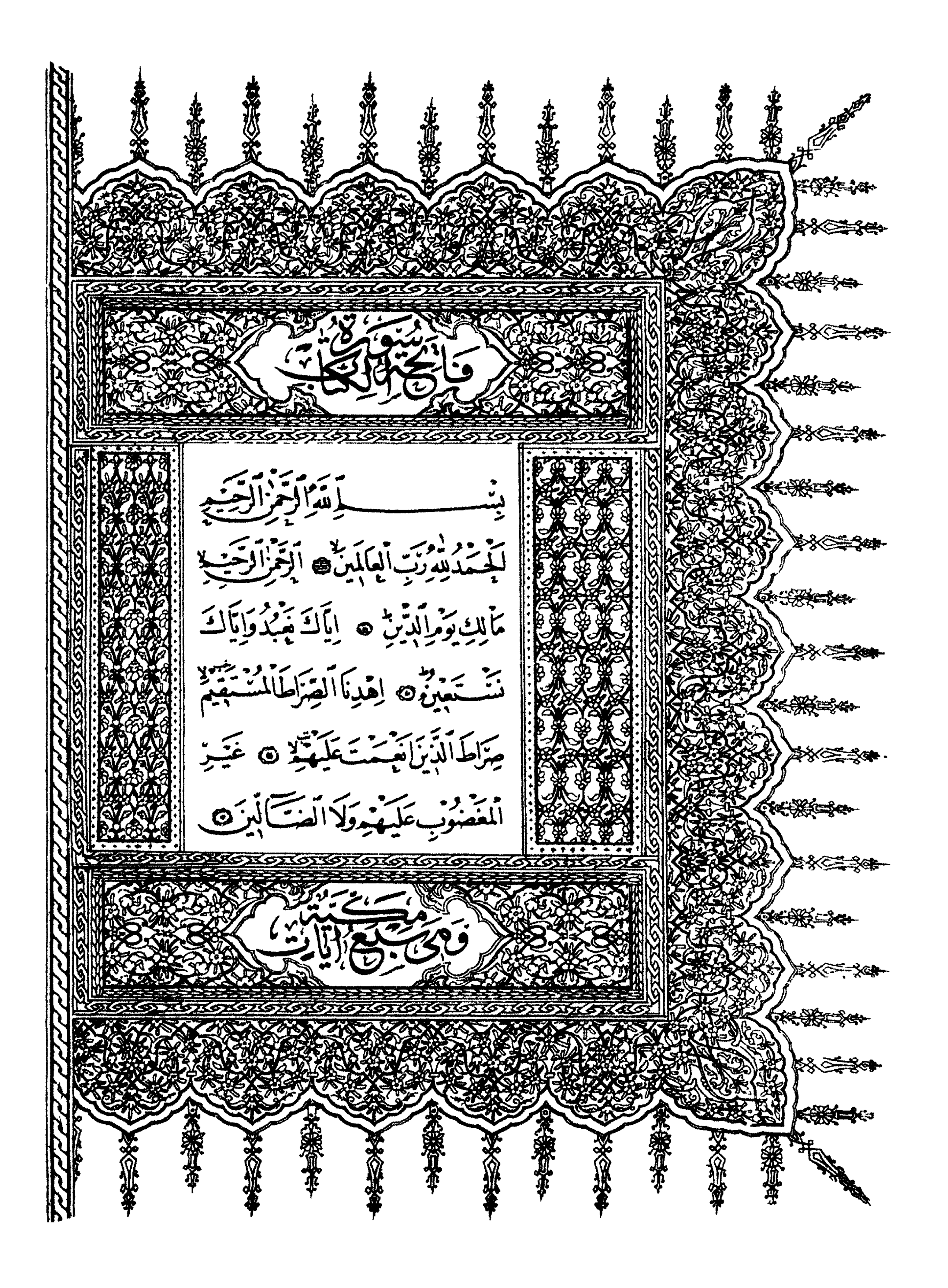
والثالثة الجحود وهو ان يرتكبها مستصوبا اياها فاذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الايمان من عنقه ولابس الكفر ومادام هو فى درجة التغابى او الانهماك فلا
يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى هو مسمى الايمان لقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما قالوا الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار
والعمل والكفر تكذيب الحق وجحوده جعلوه قسما ثالثا نازلا بين منزلتى المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما فى بعض الاحكام وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق
يدل على انه الذى اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال وذلك لان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه افكارهم عن حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى
رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم فانكروه واستهزؤا به وقرئ يضل على البناء للمفعول والفاسقون بالرفع الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير
الفسق والنقض فسخ التركيب واصله فى طاقات الحبل واستعماله فى ابطال العهد من حيث ان العهد يستعار له الحبل لما فيه من ربط احد المتعاهدين بالآخر فان اطلق مع لفظ
الحبل كان ترشيحا للمجاز وان ذكر مع العهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وهو ان العهد حبل فى ثبات الوصلة بين المتعاهدين كقولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه
الناس فان فيه تنبيها على انه اسد فى شجاعته بحر بالنظر الى افادته والعهد الموثق ووضعه لما من شأنه ان يراعى ويتعهد كالوصية واليمين ويقال للدار من حيث انها تراعى بالرجوع
اليها والتاريخ لانه يحفظ وهذا العهد اما العهد المأخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم
على انفسهم او المأخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد
اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد ميثاقه الضمير للعهد والميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاحكام والمراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما
وثقوه به من الالتزام والقبول ويحتمل ان يكون بمعنى المصدر ومن للابتداء فان ابتداء النقض بعد الميثاق ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله
تعالى كقطع الرحم والاعراض عن موالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطى شر فانه
يقطع الوصلة بين الله وبين العبد المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل وقيل مع العلو وقيل مع الاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد
الامور تسمية للمفعول به بالمصدر فانه مما يؤمر به كما قيل له شأن وهو الطلب والقصد يقال شأنت شأنه اذا قصدت قصده وان يوصل يحتمل النصب والخفض على انه بدل
من ما او ضميره والثانى احسن لفظا ومعنى ويفسدون فى الارض بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه اولئك هم الخاسرون
الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتباس ما يفيدهم الحياة الابدية واستبدال الانكار والطعن فى الآيات بالايمان بها والنظر فى حقائقها والاقتباس من انوارها
واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله استخبار فيه انكار وتعجب لكفرهم بانكار الحال التى يقع عليها على الطريق البرهانى
لان صدوره لا ينفك عن حال وصفة فاذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك انكار وجوده فهو ابلغ واقوى فى انكار الكفر من أتكفرون واوفق لما
بعده من الحال والخطاب مع الذين كفروا لما وصفهم بالكفر وسوء المقال وخبث الفعال خاطبهم على طريق الالتفات ووبخهم على كفرهم مع علمهم بحالهم المقتضية خلاف
ذلك والمعنى أخبرونى على اى حال تكفرون وكنتم امواتا اى اجساما لا حياة لها عناصر واغذية واخلاطا ونطفا ومضغا مخلقة وغير مخلقة فاحياكم بخلق
الارواح ونفخها فيكم وانما عطفه بالفاء لانه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى ثم يميتكم عند تقضى آجالكم ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ فى الصور
او للسؤال فى القبور ثم اليه ترجعون بعد الحشر فيجازيكم باعمالكم او تنشرون اليه من قبوركم للحساب فما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قيل ان علموا
انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم لم يعلموا انه يحييهم ثم اليه يرجعون قلت تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى ازاحة العذر سيما
وفى الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما وهو انه تعالى لما قدر على احيائهم اولا قدر على ان يحييهم ثانيا فان بدء الخلق ليس باهون عليه من اعادته او الخطاب مع
القبيلين فانه سبحانه لما بين دلائل التوحيد والنبوة ووعدهم على الايمان واوعدهم على الكفر اكد ذلك بان عدد عليهم النعم العامة والخاصة واستقبح صدور
الكفر منهم واستبعده عنهم مع تلك النعم الجليلة فان عظم النعم يوجب عظم معصية المنعم فان قيل كيف تعد الاماتة من النعم المقتضية للشكر قلت لما كانت وصلة
الى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال الله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان كانت من النعم العظيمة مع ان المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة
باسرها كما ان الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل فان بعضها ماض وبعضها مستقبل وكلاهما لا يصح ان يقع حالا او مع المؤمنين خاصة لتقرير المنة
عليهم وتبعيد الكفر عنهم على معنى كيف يتصور منكم الكفر وكنتم امواتا اى جهالا فاحياكم بما افادكم من العلم والايمان ثم يميتكم الموت المعروف ثم يحييكم الحياة
الحقيقية ثم اليه ترجعون فينبئكم بما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحياة حقيقة فى القوة الحساسة او ما يقتضيها وبها سمى الحيوان حيوانا
مجاز فى القوة النامية لانها من طلائعها ومقدماتها وفيما يخص الانسان من الفضائل كالعقل والعلم والايمان من حيث انها كمالها وغايتها والموت بازائها يقال على ما
يقابلها فى كل مرتبة قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس واذا
وصف بها البارى تعالى اريد بها صحة اتصافه بالعلم والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته يقتضى ذلك على الاستعارة وقرأ يعقوب ترجعون بفتح
التاء فى جميع القرآن هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا بيان نعمة اخرى مرتبة على الاولى فانها خلقهم احياء قادرين مرة بعد اخرى وهذه خلق ما يتوقف عليه بقاؤهم

ويتم به معاشهم ومعنى لكم لاجلكم وانتفاعكم فى دنياكم باستنفاعكم بها فى مصالح ابدانكم بوسط او بغير وسط ودينكم بالاستدلال والاعتبار والتعرف لما يلائمها من لذات الآخرة وآلامها الا على وجه الغرض فان الفاعل لغرض مستكمل به بل على انه كالغرض من حيث انه عاقبة الفعل ومؤداه وهو يقتضى اباحة الاشياء النافعة ولا يمنع اختصاص بعضها ببعض لاسباب عارضة فانه يدل على ان الكل للكل لا ان كل واحد لكل واحد وما يعم كل ما فى الارض لا الارض الا اذا اريد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة العلو وجميعا حال من الموصول الثانى ثم استوى الى السماء قصد اليها بارادته من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شئ واصل الاستواء طلب السواء واطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الاجزاء ولا يمكن حمله عليه لانه من خواص الاجسام وقيل استوى اى استولى وملك قال قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق والاول اوفق للاصل والصلة المعدى بها والتسوية المترتبة عليه بالفاء والمراد بالسماء هذه الاجرام العلوية او جهات العلو وثم لعله لتفاوت ما بين الخلقين وفضل خلق السماء على خلق الارض كقوله تعالى ثم كان من الذين امنوا لا للتراخى فى الوقت فانه يخالف ظاهر قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها فانه يدل على تأخر دحو الارض المتقدم على خلق ما فيها عن خلق السماء وتسويتها الا ان تستأنف بدحاها مقدرا النصب الارض فعلا آخر دل عليه أأنتم اشد خلقا مثل تعرف الارض وتدبر امرها بعد ذلك لكنه خلاف الظاهر فسواهن عدلهن وخلقهن مصونة من العوج والفطور وهن ضمير السماء ان فسرت بالاجرام لانه جمع او هو فى معنى الجمع والا فمبهم يفسره ما بعده كقولهم ربه رجلا سبع سموات بدل او تمييز وتفسير فان قيل اليس ان اصحاب الارصاد اثبتوا تسعة افلاك قلت فيما ذكروه شكوك وان صح فليس فى الآية نفى الزائد مع انه ان ضم اليها العرش والكرسى لم يبق خلاف وهو بكل شئ عليم فيه تعليل كأنه قال ولكونه عالما بكنه الاشياء كلها خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع واستدلال بان من كان فعله على هذا النسق العجيب والترتيب الانيق كان عليما فان اتقان الافعال واحكامها وتخصيصها بالوجه الاحسن الانفع لا يتصور الا من عالم حكيم رحيم وازاحة لما يختلج فى صدورهم من ان الابدان بعد ما تبددت وتفتت اجزاؤها واتصلت بما يشاكلها كيف تجمع اجزاء كل بدن مرة ثانية بحيث لا يشذ شئ منها ولا ينضم اليها ما لم يكن معها فيعاد منها كما كان ونظيره قوله تعالى وهو بكل خلق عليم واعلم ان صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات وقد برهن عليها فى هاتين الآيتين اما الاولى فهو ان مواد الابدان قابلة للجمع والحياة واشار الى البرهان عليها بقوله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم فان تعاقب الافتراق والاجتماع والموت والحياة عليها يدل على انها قابلة لها بذاتها وما بالذات يأبى ان يزول ويتغير واما الثانية والثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها واحيائها واشار الى وجه اثباتهما بانه تعالى قادر على ابدائهم وابداء ما هو اعظم خلقا واعجب صنعا فكان اقدر على اعادتهم واحيائهم وانه تعالى خلق ما خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت واختلال مراعى فيه مصالحهم وسد حاجاتهم وذلك دليل على تناهى علمه وكمال حكمته جلت قدرته ودقت حكمته وقد سكن نافع وابو عمرو والكسائى الهاء من نحو فهو وهو تشبيها له بعضد

واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود له انعام يعم ذريته واذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية وقع فيه اخرى كما وضع اذا لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل كحيث فى المكان وبنيتا تشبيها لهما بالموصولات واستعملتا للتعليل والمجازاة ومحلهما النصب ابدا بالظرفية فانهما من الظروف الغير المتصرفة لما ذكرناه واما قوله تعالى واذكر اخا عاد اذ انذر قومه ونحوه فعلى تأويل اذكر الحادث اذ كان كذا فحذف الحادث واقيم الظرف مقامه وعامله فى الآية قالوا او اذكر على التأويل المذكور لانه جاء معمولا له صريحا فى القرآن كثيرا او مضمر دل عليه مضمون الآية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال وعلى هذا فالجملة معطوفة على خلق لكم داخلة فى حكم الصلة وعن معمر انه مزيد والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل جمع شمأل والتاء لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الالوكة وهى الرسالة لانهم وسائط بين الله وبين الناس فهم رسل الله او كالرسل اليهم واختلف العقلاء فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب اكثر المسلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك وقالت طائفة من النصارى هى النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان وزعم الحكماء انها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة فى الحقيقة منقسمة الى قسمين قسم شأنهم الاستغراق فى معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما وصفهم فى محكم تنزيله فقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون والملائكة المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض على ما سبق به القضاء وجرى به القلم الالهى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية على تفصيل اثبته فى كتاب الطوالع والمقول له الملائكة كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص وقيل ملائكة الارض وقيل ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى اسكنهم فى الارض اولا فافسدوا فيها فبعث اليهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم وفرقهم فى الجزائر والجبال وجاعل من جعل الذى له مفعولان وهما فى الارض خليفة اعمل فيهما لانه بمعنى المستقبل ومعتمد على مسند اليه ويجوز ان يكون بمعنى خالق والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه والهاء فيه للمبالغة والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لانه كان خليفة الله فى ارضه وكذلك كل نبى استخلفهم الله فى عمارة الارض وسياسة الناس وتكميل نفوسهم وتنفيذ امره فيهم لا لحاجة له تعالى الى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه وتلقى امره بغير وسط ولذلك لم يستنبئ ملكا كما قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا الا ترى ان الانبياء لما فاقت قوتهم واشتعلت قريحتهم بحيث يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ارسل اليهم الملائكة ومن كان منهم اعلى رتبة كلمه بلا واسطة كما كلم موسى عليه السلام فى الميقات

ومحمدا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج ونظير ذلك فى الطبيعة ان العظم لما عجز عن قبول الغذاء من اللحم لما بينهما من التباعد جعل البارى تعالى بحكمته بينهما
الغضروف المناسب لهما ليأخذ من هذا ويعطى ذلك او خليفة من سكن الارض قبله او هو وذريته لانهم يخلفون من قبلهم او يخلف بعضهم بعضا وافراد اللفظ اما
للاستغناء بذكره عن ذكر بنيه كما استغنى بذكر ابى القبيلة فى قولهم مضر وهاشم او على تأويل من يخلفكم او خلقا يخلفكم وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة وتعظيم
شأن المجعول بان بشر بوجوده سكان ملكوته ولقبه بالخليفة قبل خلقه واظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم وجوابه وبيان ان الحكمة تقتضى ايجاد
ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير الى غير ذلك قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء تعجب من ان يستخلف لعمارة الارض
واصلاحها من يفسد فيها او يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية واستكشاف عما خفى عليهم من الحكمة التى بهرت تلك المفاسد والغتها واستخبار عما يرشدهم
ويزيح شبهتهم كسؤال المتعلم معلمه عما يختلج فى صدره وليس باعتراض على الله تعالى ولا طعن فى بنى آدم على وجه الغيبة فانهم اعلى من ان يظن بهم ذلك لقوله
تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ذلك باخبار من الله تعالى او تلق من اللوح او استنباط مما ركز فى عقولهم ان العصمة من
خواصهم او قياس لاحد الثقلين على الآخر والسفك والسبك والسفح والشن انواع من الصب فالسفك يقال فى الدم والدمع والسبك فى الجواهر المذابة والسفح
فى الصب من اعلى والشن فى الصب عن فم القربة ونحوها وكذلك السن وقرئ يسفك على البناء للمفعول فيكون الراجع الى من سواء جعل موصولا او موصوفا محذوفا
اى يسفك الدماء فيهم ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك حال مقررة لجهة الاشكال كقولك اتحسن الى اعدائك وانا الصديق المحتاج والمعنى اتستخلف
عصاة ونحن معصومون احقاء بذلك والمقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب والتفاخر
وكأنهم علموا ان المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار امره شهوية وغضبية تؤديان به الى الفساد وسفك الدماء وعقلية تدعوه الى المعرفة والطاعة
ونظروا اليها مفردة وقالوا ما الحكمة فى استخلافه وهو باعتبار تينك القوتين لا تقتضى الحكمة ايجاده فضلا عن استخلافه واما باعتبار القوة العقلية فنحن
نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد وغفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين اذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة
والشجاعة ومجاهدة الهوى والانصاف ولم يعلموا ان التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع الكائنات
من القوة الى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف واليه اشار تعالى اجمالا بقوله قال انى اعلم ما لا تعلمون والتسبيح تبعيد الله تعالى عن السوء والنقصان
وكذلك التقديس من سبح فى الارض والماء وقدس فى الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدس اذا طهر لان مطهر الشئ مبعد له عن الاقذار وبحمدك
فى موضع الحال اى ملتبسين بحمدك على ما الهمتنا معرفتك ووفقتنا لتسبيحك تداركوا به ما اوهم اسناد التسبيح الى انفسهم ونقدس لك نطهر نفوسنا
عن الذنوب لاجلك كأنهم قابلوا الفساد المفسر بالشرك عند قوم بالتسبيح وسفك الدماء الذى هو اعظم الافعال الذميمة بتطهير النفس عن الآثام
وقيل نقدسك واللام مزيدة وعلم آدم الاسماء كلها اما بخلق علم ضرورى بها فيه او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم
فعل يترتب عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمته فلم يتعلم وآدم اسم اعجمى كآزر وشالخ واشتقاقه من الأدمة والأدمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما
روى عنه عليه الصلاة والسلام انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها آدم فلذلك يأتى بنوه اخيافا او من الأدم او الأدمة بمعنى الألفة
تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقب وابليس من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشئ ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ
والصفات والافعال واستعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا او مفردا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فى المفرد الدال على معنى فى نفسه غير
مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد فى الآية اما الاول او الثانى وهو يستلزم الاول لان العلم بالالفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى والمعنى انه
تعالى خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء
وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها ثم عرضهم على الملائكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اذ التقدير اسماء
المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه اللام كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا لان العرض للسؤال عن اسماء المعروضات فلا يكون
المعروض نفس الاسماء سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشياء او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلاء وقرئ عرضهن
وعرضها على معنى عرض مسمياتهن او مسمياتها فقال انبئونى باسماء هؤلاء تبكيت لهم وتنبيه على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير
واقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال والانباء اخبار
فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كل واحد منهما ان كنتم صادقين فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة لعصمتكم او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم
لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرق اليه بغرض ما يلزم مدلوله من الاخبار
وبهذا الاعتبار يعترى الانشاآت قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سؤالهم كان استفسارا ولم يكن اعتراضا
وانه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الانسان والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعاة للادب بتفويض العلم

كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما على التسبيح بمعنى التنزيه على الشذوذ فى قوله
سبحان من علقمة الفاخر وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه السلام سبحانك
تبت اليك وقال يونس سبحانك انى كنت من الظالمين انك انت العليم الذى لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذى لا يفعل الا ما فيه
حكمة بالغة وانت فصل وقيل تأكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وان لم يجز مررت بانت اذ التابع يسوغ فيه ما لا يسوغ فى المتبوع ولذلك جاز يا هذا
الرجل ولم يجز يا الرجل وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبر ان قال يا آدم انبئهم باسمائهم اى اعلمهم وقرئ بقلب الهمزة ياء وحذفها بكسر الهاء فيهما
فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله انى اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه
ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من امور السموات والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه تعريض
بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم وقيل ما تبدون قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وما تكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى
لا يخلق خلقا افضل منهم وقيل ما اظهروا من الطاعة واسر ابليس منهم من المعصية والهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فافادت الاثبات والتقرير واعلم ان هذه الآيات
تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه
بمن يحترف به وان اللغات توقيفية فان الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع
والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع ممن كان قبل آدم فيكون من الله سبحانه وتعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم
الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة العليا منهم وحملوا عليه قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان آدم افضل من هؤلاء الملائكة لانه اعلم منهم
والاعلم افضل لقوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم لما انبأهم بالاسماء وعلمهم
ما لم يعلموا امرهم بالسجود له اعترافا بفضله واداء لحقه واعتذارا عما قالوا فيه وقيل امرهم به قبل ان يسوى خلقه لقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له
ساجدين امتحانا لهم واظهارا لفضله والعاطف عطف الظرف على الظرف السابق ان نصبته بمضمر والا عطفه بما يقدر عاملا فيه على الجملة المتقدمة بل القصة باسرها على
القصة الاخرى وهى نعمة رابعة عدها عليهم والسجود فى الاصل تذلل مع تطامن قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر وقال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا يعنى
البعير اذا طأطأ رأسه وفى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة والمأمور به اما المعنى الشرعى فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه
او سببا لوجوبه فكأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون انموذجا للمبدعات كلها بل الموجودات باسرها ونسخة لما فى العالم الروحانى والجسمانى وذريعة للملائكة الى استيفاء
ما قدر لهم من الكمالات ووصلة الى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب والدرجات امرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته وباهر آياته وشكرا لما انعم عليهم
بواسطته فاللام فيه كاللام فى قول حسان رضى الله تعالى عنه اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقرآن والسنن او فى قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك
الشمس واما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية وتعظيما له كسجود اخوة يوسف له او التذلل والانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معاشهم ويتم به
كمالهم والكلام فى ان المأمورين بالسجود الملائكة كلهم او طائفة منهم ما سبق فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عما امر به استكبارا من ان يتخذه وصلة
فى عبادة ربه او يعظمه ويتلقاه بالتحية او يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه والاباء امتناع باختيار والتكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار
طلب ذلك بالتشبع وكان من الكافرين اى فى علم الله او صار منهم باستقباحه امر الله تعالى اياه بالسجود لآدم اعتقادا بانه افضل منه والافضل لا يحسن
ان يؤمر بالتخضع للمفضول والتوسل به كما اشعر به قوله انا خير منه جوابا لقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين لا بترك الواجب
وحده والآية تدل على ان آدم افضل من الملائكة المأمورين بالسجود له ولو من وجه وان ابليس كان من الملائكة والا لم يتناوله امرهم ولم يصح استثناؤه منهم
ولا يرد على ذلك قوله تعالى الا ابليس كان من الجن لجواز ان يقال انه كان من الجن فعلا ومن الملائكة نوعا ولان ابن عباس روى ان من الملائكة ضربا يتوالدون
يقال لهم الجن ومنهم ابليس ولمن زعم انه لم يكن من الملائكة ان يقول انه كان جنيا نشأ بين اظهر الملائكة وكان مغمورا بالالوف منهم فغلبوا عليه او الجن ايضا
كانوا مأمورين مع الملائكة لكنه استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم فانه اذا علم ان الاكابر مأمورون بالتذلل لاحد والتوسل به علم ان الاصاغر ايضا مأمورون به
والضمير فى فسجدوا راجع الى القبيلتين فكأنه قال فسجد المأمورون بالسجود الا ابليس وان من الملائكة من ليس بمعصوم وان كان الغالب فيهم العصمة كما ان من الانس
معصومين والغالب فيهم عدم العصمة ولعل ضربا من الملائكة لا يخالف الشياطين بالذات وانما يخالفهم بالعوارض والصفات كالبررة والفسقة من الانس والجن
يشملهما وكان ابليس من هذا الصنف كما قاله ابن عباس ولذلك صح عليه التغير عن حاله والهبوط من محله كما اشار اليه بقوله عز وعلا الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه لا يقال كيف يصح ذلك والملائكة خلقت من نور والجن من نار لما روت عائشة رضى الله عنها انه عليه السلام قال خلقت الملائكة
من النور وخلق الجن من مارج من نار لانه كالتمثيل لما ذكرت فان المراد بالنور الجوهر المضيء والنار كذلك غير ان ضوءها مكدر مغمور بالدخان محذور عنه بسبب
ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق فاذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذعة ولا تزال تتزايد حتى ينطفئ نورها ويبقى الدخان



سورة فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن الرحيم

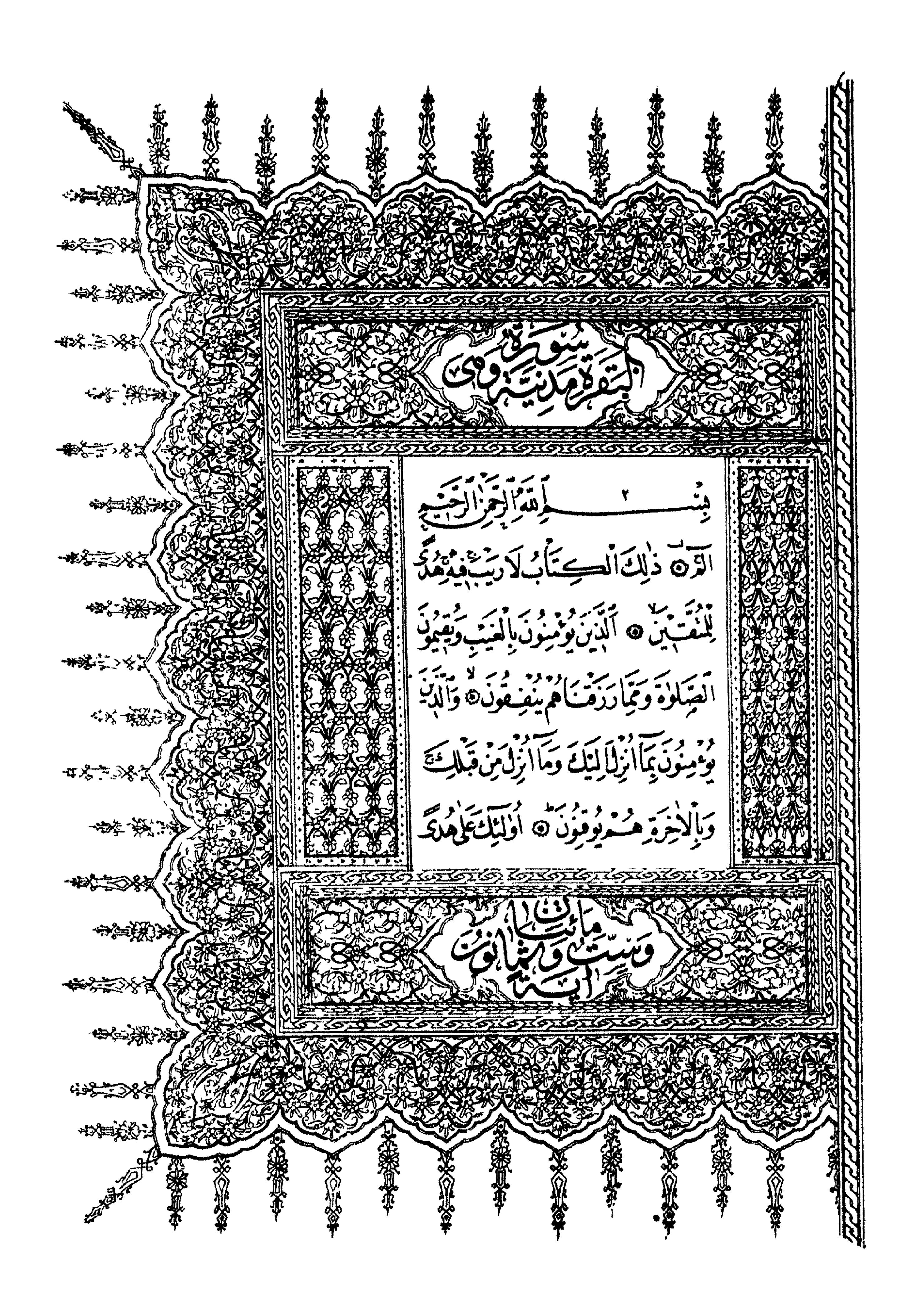
مالك يوم الدين ۝ اياك نعبد واياك

نستعين ۝ اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين انعمت عليهم ۝ غير

المغضوب عليهم ولا الضالين ۝

مكية وهي سبع آيات



سُورَةُ الْبَقَرَةِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ۝ ذٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِلْمُتَّقِينَ ۝ اَلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ وَمَآ اُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ
وَبِالْاٰخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ اُولٰٓئِكَ عَلٰى هُدًى

مِائَتَانِ وَسِتٌّ وَثَمَانُونَ اٰيَةً

الصرف وهذا اشبه بالصواب واوفق للجمع بين النصوص والعلم عند الله تعالى ومن فوائد الاية استقباح الاستكبار وانه قد يفضي بصاحبه الى الكفر والحث على الائتمار لامره وترك الخوض في سره وان الامر للوجوب وان الذي علم الله من حاله انه يتوفى على الكفر هو الكافر على الحقيقة اذ العبرة بالخواتيم وان كان بحكم الحال مؤمنا وهو الموافاة المنسوبة الى شيخنا ابي الحسن الاشعري رحمه الله وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة السكنى من السكون لانها استقرار ولبث وانت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه وانما لم يخاطبهما اولا تنبيها على انه المقصود بالحكم والمعطوف عليه تبع له والجنة دار الثواب لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ومن زعم انها لم تخلق بعد قال انه بستان كان بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقه الله تعالى امتحانا لآدم وحمل الاهباط على الانتقال منه الى ارض الهند كما في قوله تعالى اهبطوا مصرا وكلا منهما رغدا واسعا رافها صفة مصدر محذوف حيث شئتما اي مكان من الجنة شئتما وسع الامر عليهما ازاحة للعلة والعذر في التناول من الشجرة المنهي عنها من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فيه مبالغات تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول مبالغة في تحريمه ووجوب الاجتناب عنه وتنبيها على ان القرب من الشئ يورث داعية وميلا يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى العقل والشرع كما روى حبك الشئ يعمي ويصم فينبغي ان لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة ان يقعا فيه وجعله سببا لان يكونا من الظالمين الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي او بنقص حظهما بالاتيان بما يخل بالكرامة والنعيم فان الفاء تفيد السببية سواء جعلته للعطف على النهي او الجواب له والشجرة هي الحنطة او الكرمة او التينة او شجرة من اكل منها احدث والاولى ان لا تعين من غير قاطع كما لا تعين في الاية لعدم توقف ما هو المقصود عليه وقرئ بكسر الشين وتقربا بكسر التاء وهذي بالياء فازلهما الشيطان عنها اصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها ونظير عن هذه في قوله تعالى وما فعلته عن امري او ازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما ويعضده قرآءة حمزة فازالهما وهما متقاربات في المعنى غير ان زل يقتضي عثرة مع الزوال وازلاله قوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته اياهما بقوله انى لكما لمن الناصحين واختلف في انه تمثل لهما فقاولهما بذلك او القاه اليهما على طريق الوسوسة وانه كيف توصل الى ازلالهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه منع من الدخول على جهة التكرمة كما كان يدخل مع الملائكة ولم يمنع ان يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل ولم تعرفه الخزنة وقيل دخل في فم الحية حتى دخلت به وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله تعالى فاخرجهما مما كانا فيه اي من الكرامة والنعيم وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحواء لقوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصلا الانس فكانهما الانس كلهم او هما وابليس اخرج منها ثانيا بعد ما كان

مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ خَتَمَ اللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ فِي قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا
يَكْذِبُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِنْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ
قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ

يدخلها للوسوسة او دخلها مسارقة او من السماء بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير والمعنى متعادين يبغى بعضكم على بعض بتضليله ولكم فى الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع اى تمتع الى حين يريد به وقت الموت او القيامة فتلقى ادم من ربه كلمات استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرأ ابن كثير بنصب ادم ورفع الكلمات على انها استقبلته وتلقته وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ فى الروح من روحك قال بلى قال الم تسكنى جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت أراجعى انت الى الجنة قال نعم واصل الكلمة الكلم وهو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع والبصر كالكلام والجراحة والحركة فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة

وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٤) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا
خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ
(١٥) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٦)
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٧) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي
اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ
وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٨) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ
فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٩) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ
وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ
حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (٢٠) يَكَادُ الْبَرْقُ
يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ

وانما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة وهو الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على ان لا يعود اليه واكتفى بذكر ادم لان حواء كانت تبعا له فى الحكم ولذلك طوى ذكر النساء فى اكثر القرآن والسنن انه هو التواب الرجاع على عباده بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوبة الرجوع فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية واذا وصف بها البارى تعالى اريد بها الرجوع عن العقوبة الى المغفرة الرحيم المبالغ فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالاحسان مع العفو قلنا اهبطوا منها جميعا كرر للتأكيد ولاختلاف المقصود فان الاول دل على ان هبوطهم الى دار بلية يتعادون فيها ولا يخلدون والثانى اشعر بانهم اهبطوا للتكليف فمن اهتدى الهدى نجا ومن ضله هلك والتنبيه على ان مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين وحدها كافية للحازم ان تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقترن بهما ولكنه نسى ولم نجد له عزما وان كل واحد منهما كفى به نكالا لمن اراد ان يذكر وقيل الاول من الجنة الى سماء الدنيا والثانى منها الى الارض وهو كما ترى وجميعا حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى اجتماعهم على الهبوط فى زمان واحد كقولك جاؤا جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون الشرط الثانى مع جوابه جواب الشرط الاول وما مزيدة اكدت به ان ولذلك حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب والمعنى ان يأتينكم منى هدى بانزال او ارسال فمن تبعه منكم نجا وفازوا انما جيئ بحرف الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لانه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا وكرر لفظ الهدى ولم يضمر لانه اراد بالثانى اعم من الاول وهو ما اتى به الرسل واقتضاه العقل اى فمن تبع ما اتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروه ولا هم ممن يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه فالخوف على المتوقع والحزن على الواقع نفى عنهم العقاب واثبت لهم الثواب على اكد وجه وابلغه

وقرئ هدى على لغة هذيل ولاخوف بالفتح والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عطف على فمن تبع الى اخره قسيم له كأنه
قال ومن لم يتبع بل كفروا بالله وكذبوا باياته اوكفروا بالايات جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون الفعلان متوجهين الى الجار والمجرور والآية فى الاصل العلامة
الظاهرة وتقال للمصنوعات من حيث انها تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القرآن المتميزة عن غيرها بفصل واشتقاقها من اى
لانها تبين ايا من اى او من اوى اليه واصلها اية او اوية كتمرة فابدلت عينها الفا على غير قياس او ايية او اوية كرمكة فأعلت او ائية كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا
والمراد باياتنا الايات المنزلة او مايعمها والمعقولة وقد تمسكت الحشوية بهذه القصة على عدم عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام من وجوه الاول ان ادم
صلوات الله عليه كان نبيا وارتكب المنهى عنه والمرتكب له عاص والثانى انه جعل بارتكابه من الظالمين والظالم ملعون لقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين
والثالث انه تعالى اسند اليه العصيان والغى فقال وعصى ادم ربه فغوى
والرابع انه تعالى لقنه التوبة وهى الرجوع عن الذنب والندم عليه والخامس
اعترافه بانه خاسر لولا مغفرة الله تعالى اياه بقوله وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين والخاسر من يكون ذا كبيرة والسادس انه لولم يذنب
لم يجر عليه ماجرى والجواب من وجوه الاول انه لم يكن نبيا حينئذ
والمدعى مطالب بالبيان والثانى ان النهى للتنزيه وانما سمى ظالما وخاسرا
لانه ظلم نفسه وخسر حظه بترك الاولى له واما اسناد الغى والعصيان
اليه فسيأتى الجواب عنه فى موضعه ان شاء الله تعالى وانما امر بالتوبة
تلافيا لما فات عنه وجرى عليه ماجرى معاتبة له على ترك الاولى ووفاء
بما قاله للملائكة قبل خلقه والثالث انه فعله ناسيا لقوله تعالى فنسى ولم
نجد له عزما ولكنه عوتب بترك التحفظ عن اسباب النسيان ولعله وان
حط عن الامة لم يحط عن الانبياء لعظم قدرهم كما قال عليه الصلاة
والسلام اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل او ادى
فعله الى ماجرى عليه على طريق السببية المقدرة دون المؤاخذة كتناول
السم على الجهل بشأنه لايقال انه باطل لقوله تعالى مانهاكما ربكما وقاسمهما
الايتين لانه ليس فيهما مايدل على ان تناوله حين ما قاله ابليس فلعل
مقاله اورث فيه ميلا طبيعيا ثم انه كف نفسه عنه مراعاة لحكم الله تعالى
الى ان نسى ذلك وزال المانع فحمله الطبع عليه والرابع انه عليه السلام اقدم
عليه بسبب اجتهاد اخطأ فيه فانه ظن ان النهى للتنزيه او الاشارة
الى عين تلك الشجرة فتناول من غيرها من نوعها وكان المراد بها الاشارة
الى النوع كما روى انه عليه الصلاة والسلام اخذ حريرا وذهبا بيده
وقال هذان حرام على ذكور امتى حل لاناثها وانما جرى عليه ماجرى تفظيعا
لشأن الخطيئة ليجتنبها اولاده وفيها دلالة على ان الجنة مخلوقة وانها
فى جهة عالية وان التوبة مقبولة وان متبع الهدى مأمون العاقبة وان
عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد وان غيره لايخلد فيه لمفهوم قوله تعالى هم فيها خالدون واعلم انه سبحانه وتعالى لما ذكر دلائل التوحيد والنبوة والمعاد

عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ
إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا
النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ
﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ

وعقبها تعدادا النعم العامة تقريرا لها وتأكيدا فانها من حيث انها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق والامر وحده لاشريك له ومن حيث ان
الاخبار بها على ما هو مثبت في الكتب السابقة ممن لم يتعلمها ولم يمارس شيأ منها اخبار بالغيب معجز تدل على نبوّة المخبر عنها ومن حيث اشتمالها على خلق الانسان
واصوله وما هو اعظم من ذلك تدل على انه قادر على الاعادة كما كان قادرا على الابداء خاطب اهل العلم والكتاب منهم وامرهم ان يذكروا نعم الله تعالى عليهم
ويوفوا بعهوده في اتباع الحق واقتفاء الحجج ليكونوا اول من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه فقال يا بني اسرائيل اى اولاد يعقوب والابن من
البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت الفكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله
وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة ياء اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم اى بالتفكر فيها والقيام بشكرها وتقييد النعمة بهم
لان الانسان غيور حسود بالطبع فاذا نظر الى ما انعم الله على غيره حمله
الغيرة والحسد على الكفران والسخط وان نظر الى ما انعم الله به عليه حمله
حب النعمة على الرضى والشكر وقيل اراد بها ما انعم الله به على ابائهم من الانجاء
من فرعون والغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل وعليهم من ادراك زمن محمد
صلى الله عليه وسلم وقرئ ادكروا والاصل اذتكروا ونعمتي باسكان الياء
وقفا واسقاطها درجا وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسور ما قبلها
واوفوا بعهدي بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن الاثابة
والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثاني
الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلائل
وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم وللوفاء بهما عرض عريض
فاول مراتب الوفاء منا هو الاتيان بكلمتي الشهادة ومن الله تعالى حقن
الدم والمال وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه
فضلا عن غيره ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم وما روى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما اوفوا بعهدي في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
اوف بعهدكم في رفع الآصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرائض
وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب أو اوفوا بالاستقامة على الطريق
المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل
كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى أوفوا بما عاهدتموني من الايمان والتزام
الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين في سورة
المائدة قوله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات
تجري من تحتها الانهار وقرئ اوف بالتشديد للمبالغة واياي فارهبون
فيما تأتون وتذرون وخصوصا في نقض العهد وهو آكد في افادة التخصيص
من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة
على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل ان كنتم راهبين شيأ فارهبون
والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد دالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغي ان لا يخاف احدا الا الله تعالى

رِزْقًا قَالُوا هٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ إِنَّ اللّٰهَ
لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ
مَاذَا أَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا
وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ
مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ

وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم افراد للايمان بالامر به والحث عليه لانه المقصود والعمدة للوفاء بالعهود وتقييد المنزل بانه مصدق لما معهم من الكتب الالهية من حيث انه نازل حسبما نعت فيها او مطابق لها في القصص والمواعيد والدعاء الى التوحيد والامر بالعبادة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش وفيما يخالفها من جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الاعصار في المصالح من حيث ان كل واحدة منها حق بالاضافة الى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم في ايام المتأخر لنزل على وفقه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي تنبيه على ان اتباعها لا ينافي الايمان به بل يوجبه ولذلك عرض بقوله ولا تكونوا اول كافر به بان الواجب ان يكونوا اول من آمن به ولانهم كانوا اهل النظر في معجزاته والعلم بشأنه والمستفتحين والمبشرين بزمانه واول كافر به وقع خبرا عن ضمير الجمع بتقدير اول فريق او فوج او بتأويل لا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة فان قيل كيف نهوا عن التقدم في الكفر وقد سبقهم مشركوا العرب قلت المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل او ولا تكونوا اول كافر من اهل الكتاب او ممن كفر بما معه فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل فابدلت همزته واوا وتخفيفا غير قياسي او أأول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بالايمان بها والاتباع لها حظوظ الدنيا فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالاضافة الى ما يفوت عنكم من حظوظ الاخرة بترك الايمان قيل كان لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا منهم فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختاروها عليه وقيل كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق ويكتمونه وإياي فاتقون بالايمان واتباع الحق والاعراض عن الدنيا ولما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادي لما في الاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي مقدمة التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم بالرهبة التي هي مبدأ السلوك والخطاب بالثانية لما خص اهل العلم امرهم بالتقوى التي هي منتهاه ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه جعل الشيء مشتبها بغيره والمعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى لا يميز بينهما او ولا تجعلوا الحق ملتبسا بسبب خلط الباطل الذي تكتبونه في خلاله او تذكرونه في تأويله وتكتموا الحق جزم داخل تحت حكم النهي كانهم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء على من لم يسمعه او نصب باضمار ان على ان الواو للجمع اي لا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون بمعنى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق وانتم تعلمون عالمين بانكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل قد يعذر

سموات وهو بكل شيء عليم ﴿٢٩﴾ وإذ قال ربك للملائكة
إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك
قال إني أعلم ما لا تعلمون ﴿٣٠﴾ وعلم آدم الأسماء كلها
ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن
كنتم صادقين ﴿٣١﴾ قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما
علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ﴿٣٢﴾ قال يا آدم
أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم
إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم
تكتمون ﴿٣٣﴾ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم
فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴿٣٤﴾

واقيموا الصلوة واتوا الزكاة يعني صلاة المسلمين وزكاتهم فان غيرهما كلا صلاة ولا زكاة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بها والزكاة من زكا الزرع اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال ويثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة فانها تطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اى في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط السعدى لا تذل الضعيف علك ان تركع يوما والدهر قد رفعه اتامرون الناس بالبر تقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر وهو الفضاء الواسع يتناول كل خير ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في معاملة الاجانب وتنسون انفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون

وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٦﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٧﴾ فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٨﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٠﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤١﴾

وانتم تتلون الكتاب تبكيت كقوله وانتم تعلمون اى تتلون التوراة وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون وخامة عاقبته والعقل في الاصل الحبس سمى به الادراك الانساني لانه يحبسه عما يقبح ويعقله على ما يحسن ثم القوة التى بها النفس تدرك هذا الادراك والآية ناعية على من يعظ غيره ولا يتعظ بنفسه سوء صنيعه وخبث نفسه وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل فان الجامع بينهما تأبى عنه شكيمته والمراد بها حث الواعظ على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم غيره لا منع الفاسق عن الوعظ فان الاخلال باحد الامرين المامور بهما لا يوجب الاخلال بالآخر واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله او بالصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف للعبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القرآن والتكلم بالشهادتين وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المآرب وجبر المصائب روى انه عليه الصلاة والسلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى وان الاستعانة بهما او الصلاة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واستجماعها ضروبا من الصبر او جملة ما امروا به ونهوا عنه لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين اى المخبتين والخشوع الاخبات ومنه الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اى يتوقعون لقاء الله تعالى ونيل ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويؤيده ان في مصحف ابن مسعود يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال اوس بن حجر شعر فارسلته مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف جائف وانما لم تثقل عليهم ثقلها على غيرهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها وتستلذ بسببه متاعبها ومن ثمة قال عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التى انعمت عليكم كرره للتاكيد وتذكير التفضيل الذى هو اجل النعم خصوصا وربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها واخل بحقوقها وانى فضلتكم عطف على نعمتى على العالمين اى عالمى زمانهم يريد به تفضيل آبائهم الذين كانوا في عصر موسى عليه الصلاة والسلام وبعده قبل ان يغيروا بما منحهم الله تعالى من العلم والايمان والعمل الصالح وجعلهم انبياء وملوكا مقسطين واستدل به على تفضيل البشر على الملك وهو ضعيف واتقوا يوما اى ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزى نفس عن نفس شيئا لا تقضى عنها شيئا من الحقوق او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر وقرئ لا تجزئ من اجزأ عنه اذا اغنى وعلى هذا تعين ان يكون مصدرا وايراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم والاقناط الكلى

والجملة صفة ليوما والعائد فيها محذوف تقديره لا تجزى فيه ومن لم يجوز حذف العائد المجرور قال اتسع فيه فحذف عنه الجار واجرى مجرى المفعول به ثم حذف كما حذف من قوله ام مال اصابوا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى وكانه اريد بالآية نفى ان يدفع العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا او غيره والاول النصرة والثانى اما ان يكون مجانا او غيره والاول ان يشفع له والثانى اما باداء ما كان عليه وهو ان يجزى عنه او بغيره وهو ان يعطى عنه عدلا والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه اليه والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها سويت بالمفدى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولا تقبل بالتاء ولا هم ينصرون يمنعون من عقاب الله والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة وتذكيره بمعنى العباد او الاناسى والنصرة اخص من المعونة لاختصاصه بدفع الضر وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية على نفى الشفاعة لاهل الكبائر واجيب بانها مخصوصة بالكفار للآيات والاحاديث الواردة فى الشفاعة ويؤيده ان الخطاب معهم والآية نزلت ردا لما كانت اليهود تزعم ان اباءهم تشفع لهم واذ نجيناكم من آل فرعون تفصيل لما اجمله فى قوله اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وعطف على نعمتى عطف جبريل وميكائيل على الملئكة وقرئ انجيتكم ونجيتكم واصل آل اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى الخطر كالانبياء والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتجبر وكان فرعون موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة سنة يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب فى طلب الشئ سوء العذاب افظعه فانه قبيح بالاضافة الى سائره والسوء مصدر ساء يسوء ونصبه على المفعول ليسومونكم والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا لان فيها ضمير كل واحد منهما يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك لم يعطف وقرئ يذبحون بالتخفيف وانما فعلوا بهم ذلك لان فرعون رأى فى المنام او قال له الكهنة سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يرد اجتهادهم من قدر الله شيئا وفى ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير به الى الانجاء واصله الاختبار لكن لما كان اختبار الله تعالى عباده تارة بالمحنة وتارة بالمنحة اطلق عليهما ويجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد به الامتحان الشائع بينهما من ربكم بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم او بهما عظيم صفة بلاء وفى الآية تنبيه على ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر على مساره ويصبر على مضاره ليكون من خير المختبرين واذ فرقنا بكم البحر فلقناه وفصلنا بين بعضه وبعض حتى حصلت فيه مسالك بسلوككم فيه او بسبب انجائكم او ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا وقرئ فرقنا على بناء التكثير لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط فانجيناكم واغرقنا آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به وقيل شخصه كما روى ان الحسن رضى الله تعالى عنه كان يقول اللهم صل على آل محمد اى شخصه واستغنى بذكره عن ذكر اتباعه وانتم تنظرون ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا فسلكوها فقالوا يا موسى نخاف ان يغرق بعضنا ولا نعلم ففتح الله فيها كوى فتراءوا وتسامعوا حتى عبروا البحر ثم لما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحم فيه هو وجنوده فالتطم عليهم واغرقهم اجمعين واعلم ان هذه الواقعة من اعظم ما انعم الله به على بنى اسرائيل ومن الآيات الملجئة الى العلم بوجود الصانع الحكيم وتصديق موسى عليه الصلاة والسلام ثم انهم بعد ذلك اتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ونحو ذلك فهم بمعزل فى الفطنة والذكاء وسلامة النفس وحسن الاتباع عن امة محمد صلى الله عليه وسلم مع ان ما تواتر من معجزاته امور نظرية دقيقة يدركها الاذكياء واخباره عليه الصلاة والسلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره واذ واعدنا

وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٤٨﴾

حزب ٣

موسى اربعين ليلة لما عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى ان يعطيه التورية وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائى واعدنا لانه تعالى وعده الوحى ووعده موسى عليه السلام المجيئ للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل الها ومعبودا من بعده من بعد موسى عليه السلام او مضيه وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفا اذا درس من بعد ذلك اى الاتخاد لعلكم تشكرون لكى تشكروا عفوه واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان يعنى التورية الجامع بين كونه كتابا منزلا وحجة يفرق بين الحق والباطل وقيل اراد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام او النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بتدبر الكتاب والتفكر فى الايات واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاعزموا على التوبة والرجوع الى من خلقكم بريئا من التفاوت ومميزا بعضكم

وَاِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ اَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذٰلِكُمْ بَلَٓاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَاِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَاَنْجَيْنَاكُمْ وَاَغْرَقْنَآ اٰلَ فِرْعَوْنَ وَاَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَاِذْ وَاعَدْنَا مُوسٰى اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَاَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَاِذْ اٰتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ اَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوٓا اِلٰى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوٓا اَنْفُسَكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ اِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتّٰى نَرَى اللّٰهَ

عن بعض بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب لخلوص الشئ عن غيره اما على سبيل التفصى كقولهم برئ المريض من مرضه والمديون من دينه او الانشاء كقولهم برأ الله آدم من الطين او فتوبوا فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع او قطع الشهوات كما قيل من لم يعذب نفسه لم ينعمها ومن لم يقتلها لم يحيها وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل ان يقتل العبدة روى ان الرجل كان يرى بعضه وقريبه فلم يقدر المضى لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى عليه السلام لهم تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم او عطف على محذوف ان جعلته خطابا من الله تعالى لهم على طريق الالتفات كانه قال ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وذكر البارئ وترتيب الامر عليه اشعار بانهم بلغوا غاية الجهالة والغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم الى عبادة البقر التى هى مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حق منعمه حقيق بان يسترد منه ولذلك امروا بالقتل وفك التركيب انه هو التواب الرحيم الذى يكثر توفيق التوبة او قبولها من المذنبين ويبالغ فى الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك لاجل قولك او لن نقر لك حتى نرى الله جهرة عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة استعيرت للمعاينة ونصبها على المصدر لانها نوع من الرؤية او الحال من الفاعل او المفعول وقرئ جهرة بالفتح على انها مصدر كالغلبة او جمع جاهر كالكتبة فيكون حالا والقائلون هم السبعون الذين اختارهم موسى عليه السلام للميقات وقيل عشرة الاف من قومه والمؤمن به ان الله الذى اعطاك التوراة وكلمك وانك نبى فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه تعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الاجسام فى الجهات والاحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن ان يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة ولافراد من الانبياء فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وانتم تنظرون ما اصابكم بنفسه او باثره ثم بعثناكم من بعد موتكم بسبب الصاعقة وقيد البعث لانه قد يكون عن اغماء او نوم كقوله ثم بعثناهم لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما كفرتموه لما رايتم بأس الله بالصاعقة وظللنا عليكم الغمام سخر الله لهم السحاب يظلهم من الشمس حين كانوا فى التيه وانزلنا عليكم المن والسلوى الترنجبين والسمانى قيل كان ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع وتبعث الجنوب عليهم السمانى وينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه وكانت ثيابهم لا تتسخ ولا تبلى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا فيه اختصار واصله فظلموا بان كفروا هذه النعم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفران لانه لا يتخطاهم ضرره واذ قلنا ادخلوا هذه القرية يعنى بيت المقدس وقيل اريحا امروا به بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا واسعا ونصبه على المصدر او الحال من الواو وادخلوا الباب اى باب القرية

اوالقبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسى عليه الصلاة والسلام امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا الى الله تعالى سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التيه وقولوا حطة اى مسألتنا او امرك حطة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة او على انه مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اى ان نحط فى هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم بسجودكم ودعائكم وقرأ نافع بالياء وابن عامر بالتاء على البناء للمفعول وخطايا اصله خطائى كخضائع فعند سيبويه انه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان فابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الالفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء ثم فعل بهما ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسئ وسبب زيادة الثواب للمحسن واخرجه عن صورة الجواب الى الوعد ايهاما بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم بدلوا بما امروا به من التوبة والاستغفار طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا كرره مبالغة فى تقبيح امرهم واشعارا بان الانزال عليهم لظلمهم بوضع غير المامور به موضعه او على انفسهم بان تركوا ما يوجب نجاتها الى ما يوجب هلاكها رجزا من السماء بما كانوا يفسقون عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم والرجز فى الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون روى انه مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه لما عطشوا فى التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد على ما روى انه كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكان ينبع من كل وجه ثلاث اعين تسيل كل عين فى جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا او حجرا اهبطه آدم من الجنة ووقع الى شعيب عليه السلام فاعطاه اياه مع العصا او الحجر الذى فر بثوبه لما وضعه عليه ليغتسل وبرأه الله به مما رموه من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام بحمله او للجنس وهذا اظهر فى الحجة قيل لم يامره بان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا فى مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه بها اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام وكان ذراعا فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان فى الظلمة فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا متعلق بمحذوف تقديره فان ضربت فقد انفجرت او فضرب فانفجرت كما مر فى قوله تعالى فتاب عليكم وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان فيه قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التى يشربون منها كلوا واشربوا على تقدير القول من رزق الله يريد به ما رزقهم الله من المن والسلوى وماء العيون وقيل الماء وحده لانه يشرب ويؤكل ما ينبت به ولا تعثوا فى الارض مفسدين ولا تعتدوا حال افسادكم وانما قيده به لانه وان غلب فى الفساد لا نه قد يكون منه ما ليس بفساد كمقابلة الظالم المعتدى بفعله ومنه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر عليه السلام الغلام وخرقه السفينة ويقرب منه العيث غير انه يغلب فيما يدرك حسا ومن انكر امثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله وقلة تدبره فى عجائب صنعه فانه لما امكن ان يكون من الاحجار ما يحلق الشعر وينفر الخل ويجذب الحديد لم يمتنع ان يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الارض او لجذب الهواء من الجوانب ويصيره ماء بقوة التبريد ونحو ذلك واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد يريد به ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى وبوحدته انه لا يختلف ولا يتبدل كقولهم طعام مائدة الامير واحد يريدون انه لا تتغير الوانه ولذلك اجموا او ضرب واحد لانهما معا طعام اهل التلذذ وهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم واشتهوا ما الفوه فادع لنا ربك سله لنا بدعائك اياه يخرج لنا يظهر لنا ويوجد وجزمه بانه جواب فادع فان دعوته سبب الاجابة مما تنبت الارض من الاسناد المجازى واقامة القابل مقام الفاعل ومن للتبعيض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها تفسير وبيان وقع موقع الحال وقيل بدل باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التى تؤكل والفوم الحنطة ويقال للخبز ومنه فوموا لنا وقيل الثوم وقرئ وقثائها بالضم وهو لغة فيه قال الله

جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ
بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا
عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا
حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ
نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ
اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا

او موسى عليه السلام اتستبدلون الذى هو ادنى اقرب منزلة وادون قدرا واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة فقيل بعيد المحل بعيد الهمم وقرى ادنأ من الدناءة بالذى هو خير يريد به المن والسلوى فانه خير فى اللذة والنفع وعدم الحاجة الى السعى اهبطوا مصرا انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى اذا نزل به وهبط منه اذا خرج منه وقرئ بالضم والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اراد به العلم وانما صرفه لسكون وسطه او على تاويل البلد ويؤيده انه غير منون فى مصحف ابن مسعود وقيل اصله مصرائيم فعرب فان لكم ما سالتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة احيطت بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقت بهم من ضرب الطين على الحائط مجازاة لهم على كفران النعمة واليهود فى غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة او على التكلف مخافة ان تضاعف جزيتهم وباؤا بغضب من الله رجعوا به او صاروا احقاء بغضبه من باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سبق من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين

وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللّٰهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ﴿٦١﴾ وَاِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسٰى لَنْ نَصْبِرَ عَلٰى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْاَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُوْمِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ اَتَسْتَبْدِلُوْنَ الَّذِىْ هُوَ اَدْنٰى بِالَّذِىْ هُوَ خَيْرٌ اِهْبِطُوْا مِصْرًا فَاِنَّ لَكُمْ مَا سَاَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُوْنَ النَّبِيِّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوْا يَعْتَدُوْنَ ﴿٦٢﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالنَّصَارٰى وَالصَّابِئِيْنَ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٦٣﴾ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيْثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ

بغير الحق بسبب كفرهم بالمعجزات التى من جملتها ما عد عليهم من فلق البحر واظلال الغمام وانزال المن والسلوى وانفجار العيون من الحجر او بالكتب المنزلة كالانجيل والفرقان وايات الرجم والتى فيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقتلهم الانبياء فانهم قتلوا اشعياء وزكرياء ويحيى وغيرهم بغير الحق عندهم اذ لم يروا منهم ما يعتقدون به جواز قتلهم وانما حملهم على ذلك اتباع الهوى وحب الدنيا كما اشار اليه بقوله ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى جرهم العصيان والتمادى والاعتداء فيه الى الكفر بالايات وقتل النبيين فان صغار الذنوب سبب يؤدى الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كرر الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما هو بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع وانما جوزت الاشارة بالمفرد الى شيئين فصاعدا على تأويل ما ذكر او تقدم للاختصار ونظيره فى الضمير قول رؤبة يصف بقرة شعر فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق والذى حسن ذلك ان تثنية المضمرات والمبهمات وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع ان الذين امنوا بالسنتهم يريد بها المتدينين بدين محمد صلى الله عليه وسلم المخلصين منهم والمنافقين وقيل المنافقين لانخراطهم فى سلك الكفرة والذين هادوا تهودوا يقال هاد وتهود اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل واما معرب يهوذا وكانهم سموا باسم اكبر اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كالندامى والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه فى قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او من اسمها والصابئين قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب وهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج وقرأ نافع وحده بالياء اما لانه خفف الهمزة وابدلها ياء او لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا عن سائر الاديان الى دينهم او من الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا من كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه وقيل من امن من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل فى الاسلام دخولا صادقا فلهم اجرهم عند ربهم الذى وعد لهم على ايمانهم وعملهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون حين يخاف الكفار من العقاب ويحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب ومن مبتدأ خبره فلهم اجرهم والجملة خبر ان او بدل من اسم ان وخبرها فلهم اجرهم والفاء لتضمن المسند اليه معنى الشرط وقد منع سيبويه دخولها فى خبر ان من حيث انها لا تدخل الشرطية ورد بقوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى والعمل بالتوراة ورفعنا فوقكم الطور حتى اعطيتم الميثاق روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله فوقهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه ادرسوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون

لكي تتقوا المعاصي او رجاء منكم ان تكونوا متقين ويجوز عند المعتزلة ان يتعلق بالقول المحذوف اى قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك اعرضتم عن الوفاء بالميثاق بعد اخذه فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم يدعوكم الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين المغبونين بالانهماك في المعاصي او بالخبط والضلال في فترة من الرسل ولو في الاصل لامتناع الشئ لامتناع غيره فاذا دخل على لا افاد اثباتا وهو امتناع الشئ لثبوت غيره والاسم الواقع بعده عند سيبويه مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسد الجواب مسده وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت اللام موطئة للقسم والسبت مصدر قولك سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت واصله القطع امروا بان يجردوه للعبادة فاعتدى فيه ناس منهم في زمن داود عليه السلام واشتغلوا بالصيد وذلك انهم كانوا يسكنون قرية على الساحل يقال لها ايلة واذا كان يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا حضر هناك واخرج خرطومه فاذا مضى تفرقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة

الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ﴿٦٣﴾ ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ﴿٦٤﴾ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴿٦٥﴾ فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين ﴿٦٦﴾ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴿٦٧﴾ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون ﴿٦٨﴾ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ﴿٦٩﴾

خاسئين جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الصغار والطرد وقال مجاهد ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله كونوا ليس بأمر اذ لا قدرة لهم عليه وانما المراد به سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراد بهم وقرئ قردة بفتح القاف وكسر الراء وخاسين بغير همزة فجعلناها اى المسخة او العقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اى تمنعه ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين واشتهرت قصتهم في الآخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها او لاهل تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل متق سمعها وإذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة اول هذه القصة قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها وانما فكت عنه وقدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم وهو الاستهزاء بالامر والاستقصاء في السؤال وترك المسارعة الى الامتثال وقصته انه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو اخيه طمعا في ميراثه وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا أتتخذنا هزوا اى مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء استبعادا لما قاله واستخفافا به وقرأ حمزة واسماعيل عن نافع بالسكون وحفص عن عاصم بالضم وقلب الهمزة واوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزؤ في مثل ذلك جهل وسفه نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان واخرج ذلك في صورة الاستعاذة استفظاعا له قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي اى ما حالها وصفتها وكان حقه ان يقولوا اى بقرة هي او كيف هي لان ما يسأل به عن الجنس غالبا لكنهم لما رأوا ما امروا به على حال لم يوجد بها شئ من جنسه اجروه مجرى ما لم يعرفوا حقيقته ولم يروا مثله قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر لا مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا من الفرض وهو القطع كانها فرضت سنها وتركيب البكر للاولية ومنه البكرة والباكورة عوان نصف قال شعر نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اى بين ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين فانه لا يضاف الا الى متعدد وعود هذه الكنايات واجراء تلك الصفات على بقرة يدل على ان المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب ومن انكر ذلك زعم ان المراد بها بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بسؤالهم ويلزم منه النسخ قبل الفعل فان التخصيص ابطال للتخيير الثابت بالنص والحق جوازهما ويؤيد الرأى الثاني ظاهر اللفظ والمروى عنه عليه الصلاة والسلام لو ذبحوا اى بقرة ارادوا لاجزأتهم ولكن شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم وتقريعهم بالتمادى وزجرهم عن المراجعة بقوله فافعلوا ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به او امركم بمعنى مأموركم قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع نصوع الصفرة ولذلك تؤكد به فيقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك وفي اسناده الى اللون وهو صفة صفراء لملابسته بها فضل تأكيد كانه قيل

صفراء شديدة الصفرة صفرتها وعن الحسن سوداء شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالت صفر قال الاعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر اولادها كالزبيب ولعله عبر
بالصفرة عن السواد لانها من مقدماته اولان سواد الابل تعلوه صفرة وفيه نظر لان الصفرة بهذا المعنى لا تؤكد بالفقوع تسر الناظرين اى تعجبهم والسرور اصله لذة في
القلب عند حصول نفع او توقعه من السر قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى تكرير للسؤال الاول واستكشاف زائد وقوله ان البقر تشابه علينا اعتذار عنه اى ان البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا وقرئ ان الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر ويتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء وادغامها فى الشين على التذكير والتأنيث
وتشابهت مخففا ومشددا وتشبه بمعنى تتشبه ويشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومتشبه ومتشبهة وانا ان شاء الله لمهتدون الى المراد ذبحها او الى القاتل وفى الحديث لو لم يستثنوا
لما بينت لهم اخر الابد واحتج به اصحابنا على ان الحوادث بارادة الله سبحانه وتعالى وان الامر قد ينفك عن الارادة والا لم يكن للشرط بعد الامر معنى والمعتزلة والكرامية على حدوث

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ

الارادة واجيب بان التعليق باعتبار التعلق قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحرث ولا ذلول صفة لبقرة
بمعنى غير ذلول ولا الثانية مزيدة لتاكيد الاولى والفعلان صفتا ذلول كانه قيل
لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك مررت برجل لا بخيل
ولا جبان اى حيث هو وتسقى من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب او اهلها
من العمل او أخلص لونها من سلم له كذا اذا خلص له لا شية فيها لا لون فيها يخالف لون
جلدها وهى فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا اخر قالوا الآن
جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة وحققتها لنا وقرئ آلآن بالمد على الاستفهام
ولان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها فيه اختصار والتقدير فحصلوا
البقرة المنعوتة فذبحوها وما كادوا يفعلون لتطويلهم وكثرة مراجعاتهم او لخوف
الفضيحة فى ظهور القاتل او لغلاء ثمنها اذ روى ان شيخا صالحا منهم كان له عجلة فاتى بها
الغيضة وقال اللهم انى استودعتكها لابنى حتى يكبر فشبت وكانت وحيدة بتلك
الصفات فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك
بثلاثة دنانير وكاد من الافعال المقاربة وضع لدنو الخبر حصولا فاذا دخل عليه النفى
قيل معناه الاثبات مطلقا وقيل ماضيا والصحيح انه كسائر الافعال ولا ينافى قوله وما كادوا
يفعلون قوله فذبحوها لاختلاف وقتيهما اذ المعنى انهم ما قاربوا ان يفعلوا حتى انتهت
سؤالاتهم وانقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملجأ الى الفعل واذ قتلتم نفسا خاطب
الجمع لوجود القتل فيهم فادارأتم فيها اختصمتم فى شأنها اذ المتخاصمان يدفع بعضهما
بعضا او تدافعتم بان طرح قتلها كل عن نفسه الى صاحبه واصله تدارأتم فادغمت
التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهره لا محالة
واعمل مخرج لانه حكاية مستقبل كما اعمل باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على ادارأتم وما بينهما اعتراض والضمير للنفس والتذكير
على تأويل الشخص او القتيل ببعضها اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل
بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل بالاذن وقيل بالعجب كذلك يحيى
الله الموتى يدل على ما حذف وهو فضربوه فحيى والخطاب مع من حضر حيوة القتيل او نزول الاية ويريكم اياته دلائله على كمال قدرته لعلكم تعقلون لكى يكمل
عقلكم وتعلموا ان من قدر على احياء نفس قدر على احياء الانفس كلها او تعملون على قضيته ولعله تعالى انما لم يحيه ابتداء وشرط فيه ما شرط لما فيه من التقرب واداء الواجب
ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل والشفقة على الاولاد وان من حق الطالب ان يقدم قربة والمتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما روى عن عمر رضى الله تعالى عنه انه ضحى بنجيبة
اشتراها بثلاثمائة دينار وان المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى والاسباب امارات لا اثر لها وان من اراد ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة
نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من مقابحها بحيث
يصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارئ والنزاع ثم قست قلوبكم القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما



في الحجر وقساوة القلب مثل في نبوه عن الاعتبار وثم لاستبعاد القسوة من بعد ذلك يعني احياء القتيل وجميع ما عدد من الايات فانها مما يوجب لين القلب فهي كالحجارة في قسوتها او اشد قسوة منها والمعنى انها في القساوة مثل الحجارة او ازيد عليها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بالفتح عطفا على الحجارة وانما لم يقل اقسى لما في اشد من المبالغة والدلالة على اشتداد القسوتين واشتمال المفضل على زيادة واو للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى منها وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله تعليل للتفضيل والمعنى ان الحجارة تتأثر وتنفعل فان منها ما يتشقق فينبع منه الماء وتتفجر منه الانهار ومنها ما يتردى من اعلى الجبال انقيادا لما اراد الله تعالى به وقلوب هؤلاء لا تتأثر ولا تنفعل عن امره تعالى والتفجر التفتح بسعة وكثرة والخشية مجاز عن الانقياد وقرئ ان على انها المخففة من الثقيلة وتلزمها اللام الفارقة بينها وبين ان النافية ويهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون وعيد على ذلك قرأ ابن كثير ونافع ويعقوب وخلف وابو بكر بالياء ضما الى ما بعده والباقون بالتاء افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يصدقوكم او يؤمنوا لاجل دعوتكم يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة من اسلافهم يسمعون كلام الله يعني التورية ثم يحرفونه كنعت محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم او تأويله فيفسرونه بما يشتهون وقيل هؤلاء من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى عليه السلام بالطور ثم قالوا سمعنا الله تعالى يقول في اخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا من بعد ما عقلوه اى فهموه بعقولهم ولم يبق لهم فيه ريبة وهم يعلمون انهم مفترون مبطلون ومعنى الآية ان احبار هؤلاء ومقدميهم كانوا على هذه الحالة فما ظنك بسفلتهم وجهالهم وانهم ان كفروا وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا الذين امنوا يعني منافقيهم قالوا امنا بانكم على الحق وان رسولكم هو المبشر به في التورية واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اى الذين لم ينافقوا منهم عاتبين على من نافق اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من نعت محمد صلى الله عليه وسلم او الذين نافقوا لاعقابهم اظهارا للتصلب في اليهودية ومنعا لهم عن ابداء ما وجدوا في كتابهم فينافقون الفريقين فالاستفهام على الاول تقريع وعلى الثاني انكار ونهي ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بكتاب الله وحكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا ويراد به انه في كتابه وحكمه وقيل عند ذكر ربكم او بما عند ربكم او بين يدي رسول ربكم وقيل عند ربكم في القيامة وفيه نظر اذ الاخفاء لا يدفعها افلا تعقلون اما من تمام كلام اللائمين وتقديره افلا تعقلون انهم يحاجونكم به فيحجونكم او خطاب من الله تعالى للمؤمنين متصل بقوله افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم اولا يعلمون يعني هؤلاء المنافقين او اللائمين او كليهما او اياهم والمحرفين ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وتحريف الكلم عن مواضعه ومعانيه ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب جهلة لا يعرفون الكتابة فيطالعوا التورية ويتحققوا ما فيها او التورية الا اماني استثناء منقطع والاماني جمع امنية وهي في الاصل ما يقدره الانسان في نفسه

وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللّٰهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَاِذَا لَقُوا الَّذِينَ اٰمَنُوا قَالُوا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ اِلٰى بَعْضٍ قَالُوا اَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ اَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٧﴾ اَوَلَا يَعْلَمُونَ اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٨﴾ وَمِنْهُمْ اُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ اِلَّا اَمَانِيَّ وَاِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِاَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هٰذَا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ اَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٨٠﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّا اَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ اَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللّٰهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللّٰهُ عَهْدَهُ اَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ

من مني اذا قدر ولذلك يطلق على الكذب وعلى ما يتمنى وما يقرأ والمعنى ولكن يعتقدون اكاذيب اخذوها تقليدا من المحرفين او مواعيد فارغة سمعوها منهم من ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا وان النار لن تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا ما يقرأون قراءة عارية عن معرفة المعنى وتدبره من قوله تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل وهو لا يناسب وصفهم بانهم اميون وان هم الا يظنون ما هم الا قوم يظنون لا علم لهم وقد يطلق الظن بازاء العلم على كل رأى واعتقاد من غير قاطع وان جزم به صاحبه كاعتقاد المقلد والزائغ عن الحق لشبهة فويل اى تحسر وهلك ومن قال انه واد او جبل في جهنم فمعناه ان فيها موضعا يتبوأ فيه من جعل له الويل ولعله سماه بذلك مجازا وهو في الاصل مصدر لا فعل له وانما ساغ الابتداء به نكرة لانه دعاء للذين يكتبون الكتاب يعني المحرف ولعله اراد به ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد كقولك كتبته بيميني ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا كي يحصلوا به غرضا من اغراض الدنيا فانه وان جل قليل بالنسبة الى ما استوجبوه من العقاب الدائم فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني المحرف

وويل لهم مما يكسبون يريد الرشى وقالوا لن تمسنا النار المس ايصال الشئ بالبشرة بحيث تتأثر الحاسة به واللمس كالطلب له ولذلك يقال المسه فلا اجده الا اياما معدودة محصورة قليلة روى ان بعضهم قالوا نعذب بعدد ايام عبادة العجل اربعين يوما وبعضهم قالوا مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما قل اتخذتم عند الله عهدا خبرا ووعدا بما تزعمون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار الذال والباقون بادغامه فلن يخلف الله عهده جواب شرط مقدر اى ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وفيه دليل على ان الخلف في خبره محال ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة لهمزة الاستفهام بمعنى اى الامرين كائن على سبيل التقرير للعلم بوقوع احدهما او منقطعة بمعنى بل تقولون على التقرير والتقريع بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه اعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ويختص بجواب النفى من كسب سيئة قبيحة والفرق بينها وبين الخطيئة انها قد تقال فيما يقصد بالذات والخطيئة تغلب فيما يقصد بالعرض لانها من الخطأ والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة

مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلٰى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَاَحَاطَتْ بِهٖ خَطِيئَتُهُ
فَاُولٰئِكَ اَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ
اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اُولٰئِكَ اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي اِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ
اِلَّا اللّٰهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ
وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَاَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ
ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ اِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَاَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَاِذْ اَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
اَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ اَقْرَرْتُمْ وَاَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ اَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ اَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ
مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاِنْ

قوله فبشرهم بعذاب اليم واحاطت به خطيئته اى استولت عليه وشملت جملة احواله حتى صار كالمحاط بها لا يخلو عنها شئ من جوانبه وهذا انما يصح فى شان الكافر لان غيره وان لم يكن له سوى تصديق قلبه واقرار لسانه فلم تحط الخطيئة به ولذلك فسرها السلف بالكفر وتحقيق ذلك ان من اذنب ذنبا ولم يقلع عنه استجره الى معاودة مثله والانهماك فيه وارتكاب ما هو اكبر منه حتى تستولى عليه الذنوب وتاخذ بمجامع قلبه فيصير بطبعه مائلا الى المعاصى مستحسنا اياها معتقدا ان لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه عنها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال الله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وقرأ نافع خطيئاته وقرئ خطيته وخطياته على القلب والادغام فيهما فاولئك اصحاب النار ملازموها فى الاخرة كما انهم ملازمون اسبابها فى الدنيا هم فيها خالدون دائمون او لابثون لبثا طويلا والاية كما ترى لا حجة فيها على خلود صاحب الكبيرة وكذا التى قبلها والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت عادته سبحانه وتعالى على ان يشفع وعده بوعيده ليرجى رحمته ويخشى عذابه وعطف العمل على الايمان يدل على خروجه عن مسماه واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله اخبار فى معنى النهى كقوله لا يضار كاتب ولا شهيد وهو ابلغ من صريح النهى لما فيه من ايهام ان المنهى سارع الى الانتهاء فهو يخبر عنه ويعضده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه فيكون على ارادة القول وقيل تقديره ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وانى اشهد اللذات هل انت مخلدى ويدل عليه قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل عليه المعنى كانه قال حلفناهم لا تعبدون وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء حكاية لما خوطبوا به والباقون بالياء لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق بمضمر تقديره وتحسنون او احسنوا وذى القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين واليتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كأن الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا اى قولا حسنا وسماه حسنا للمبالغة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب حسنا بفتحتين الحاء والسين والباقون حسنا بضم الحاء وسكون السين وقرئ حسنا بضمتين وهو لغة اهل الحجاز وحسنى على المصدر كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يريد بهما ما فرض عليهم فى ملتهم ثم توليتم على طريقة الالتفات ولعل الخطاب مع الموجودين منهم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قبلهم على التغليب اى اعرضتم عن الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم يريد به من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن اسلم منهم وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة الى جهة العرض واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق والمراد به ان لا يتعرض بعضهم بعضا بالقتل والاجلاء عن الوطن وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا او لانه يوجبه قصاصا وقيل معناه لا ترتكبوا ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل فى الحقيقة ولا تقترفوا ما تمنعون به عن الجنة التى هى داركم فانه الجلاء الحقيقى ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم بلزومه وانتم تشهدون توكيد كقولك

اقر فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الموجودون تشهدون على اقرار اسلافكم فيكون اسناد الاقرار اليهم مجازا ثم انتم هؤلاء استبعاد لما ارتكبوه بعد الميثاق والاقرار به والشهادة عليه وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره على معنى انتم بعد ذلك هؤلاء الناقضون كقولك انت ذاك الرجل الذى فعل كذا نزل تغير الصفة منزلة تغير الذات وعدهم باعتبار ما اسند اليهم حضورا وباعتبار ما سيحكى عنهم غيبا وقوله تعالى تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم اما حال والعامل فيها معنى الاشارة او بيان لهذه الجملة وقيل هؤلاء تأكيد والخبر هو الجملة وقيل بمعنى الذين والجملة صلته والمجموع هو الخبر وقرئ تقتلون على التكثير تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او كليهما والتظاهر التعاون من الظهر وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بحذف احدى التاءين وقرئ باظهارهما وتظهرون بمعنى تتظهرون وان يأتوكم اسارى تفادوهم روى ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه فى القتل وتخريب الديار واجلاء اهلها واذا اسر احد من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وقيل معناه ان يأتوكم اسارى فى ايدى الشياطين تتصدون لانقاذهم بالارشاد والوعظ مع تضييعكم انفسكم كقوله تعالى اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقرأ حمزة اسرى وهو جمع اسير كجريح وجرحى واسارى جمعه كسكرى وسكارى وقيل هو ايضا جمع اسير وكانه شبه بالكسلان وجمع جمعه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابن عامر تفدوهم وهو محرم عليكم اخراجهم متعلق بقوله وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما اعتراض والضمير للشان او مبهم ويفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر واخراجهم تأكيد او بيان افتؤمنون ببعض الكتاب يعنى الفداء وتكفرون ببعض يعنى حرمة المقاتلة والاجلاء فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا كقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وضرب الجزية على غيرهم واصل الخزى ذل يستحيى منه ولذلك يستعمل فى كل منهما ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب لان عصيانهم اشد وما الله بغافل عما تعملون تأكيد للوعيد اى الله سبحانه وتعالى بالمرصاد لا يغفل عن افعالهم وقرأ عاصم فى رواية المفضل تردون على الخطاب لقوله منكم وابن كثير ونافع وشعبة عن عاصم ويعقوب يعملون على ان الضمير لمن اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروا الحيوة الدنيا على الاخرة فلا يخفف عنهم العذاب بنقص الجزية فى الدنيا والتعذيب فى الاخرة ولا هم ينصرون بدفعهما عنهم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية وقفينا من بعده بالرسل اى ارسلنا على اثره الرسل كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى يقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به اذا اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب واتينا عيسى ابن مريم البينات المعجزات الواضحات كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالعبرية ايسوع ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال قال رؤبة قلت لزير لم تصله مريمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه قويناه وقرئ آيدناه بالمد بروح القدس بالروح المقدسة كقولك حاتم الجود ورجل صدق اراد به جبريل او روح عيسى عليهما السلام ووصفها به لطهارته من مس الشيطان او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافها الى نفسه تعالى او لانه لم تضمه الاصلاب ولا الارحام الطوامث او الانجيل او اسم الله الاعظم الذى كان يحيى به الموتى وقرأ ابن كثير القدس بالاسكان فى جميع القرآن افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوى بالكسر هوى اذا احب وهوى بالفتح هويا بالضم اذا سقط ووسطت الهمزة بين الفاء وما تعلقت به توبيخا لهم على تعقيبهم ذاك بهذا وتعجيبا من شأنهم ويحتمل ان يكون استئنافا والفاء للعطف على مقدر استكبرتم عن الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام والفاء للسببية او للتفصيل وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية استحضارا لها فى النفوس فان الامر فظيع ومراعاة للفواصل او للدلالة على انكم بعد فيه فانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا انى اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقالوا قلوبنا غلف مغشاة باغطية خلقية لا يصل اليها ما جئت به ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذى لم يختن وقيل اصله غلف جمع غلاف فخفف والمعنى انها اوعية للعلم لا تسمع علما الا وعته ولا تعى ما تقول او نحن مستغنون بما فيها عن غيره بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا والمعنى انها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق ولكن الله خذلهم بكفرهم فابطل

يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٨﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ

استعدهم

استعداد هم اوانهالم تأب قبول ما تقوله لخلل فيه بل لان الله تعالى خذلهم بكفرهم كما قال تعالى فاصمهم واعمى ابصارهم اوهم كفرة ملعونون فمن اين لهم دعوى العلم والاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة للمبالغة فى التقليل وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل اراد بالقلة العدم ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القرآن مصدق لما معهم من كتابهم وقرئ بالنصب على الحال من كتاب لتخصصه بالوصف وجواب لما محذوف دل عليه جواب لما الثانية وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا اى يستنصرون على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بنبى اخر الزمان المنعوت فى التورية اويفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث فيهم وقد قرب زمانه والسين للمبالغة والاشعار بان الفاعل سئل ذلك من نفسه فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به حسدا وخوفا على الرياسة فلعنة الله على الكافرين اى عليهم واتى بالمظهر للدلالة على انهم لعنوا لكفرهم فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا لان الكلام فيهم بئس ما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شئ مميزة لفاعل بئس المستكن واشتروا

مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللّٰهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا

صفته ومعناه باعوا اواشتروا بحسب ظنهم فانهم ظنوا انهم خلصوا انفسهم من العقاب بما فعلوا ان يكفروا بما انزل الله هو المخصوص بالذم بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا وهو علة ان يكفروا دون اشتروا للفصل ان ينزل الله لان ينزل اى حسدوه على ان ينزل الله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالتخفيف من فضله يعنى الوحى على من يشاء من عباده على من اختاره للرسالة فباؤا بغضب على غضب للكفر والحسد على من هو افضل الخلق وقيل لكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بعد عيسى عليه السلام او بعد قولهم عزير ابن الله وللكافرين عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصى فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعم الكتب المنزلة باسرها قالوا نؤمن بما انزل علينا اى بالتورية ويكفرون بما وراءه حال من الضمير فى قالوا ووراء فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو قدامه ولذلك عد من الاضداد وهو الحق الضمير لما وراءه والمراد به القرآن مصدقا لما معهم حال مؤكدة تتضمن رد مقالتهم فانهم لما كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين اعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعاء الايمان بالتورية والتورية لا تسوغه وانما اسنده اليهم لانه فعل اباثهم وانهم راضون به عازمون عليه وقرأ نافع وحده انبئاء الله مهموزا فى جميع القرآن ولقد جاءكم موسى بالبينات يعنى الايات التسع المذكورة فى قوله تعالى ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ثم اتخذتم العجل اى الها من بعده من بعد مجئ موسى او بعد ذهابه الى الطور وانتم ظالمون حال بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته او بالاخلال بايات الله تعالى او اعتراض بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم ومساق الآية ايضا لابطال قولهم نؤمن بما انزل علينا والتنبيه على ان طريقتهم مع الرسول طريقة اسلافهم مع موسى عليهما السلام لا لتكرير القصة وكذا ما بعدها واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا اى قلنا لهم خذوا ما امرتم به فى التورية بجد واسمعوا سماع طاعة

قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك واشربوا فى قلوبهم العجل تداخلهم حبه ورسخ فى قلوبهم صورته لفرط شغفهم به كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله تعالى انما يأكلون فى بطونهم نارا بكفرهم بسبب كفرهم وذلك لانهم كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن فى قلوبهم ما سول لهم السامرى قل بئسما يأمركم به ايمانكم اى بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو هذا الامر وما يعمه وغيره من قبائحهم المعدودة فى الايات الثلاث الزاما عليهم ان كنتم مؤمنين تقرير للقدح فى دعواهم الايمان بالتورية وتقديره ان كنتم مؤمنين بها ما امركم بهذه القبائح ولا رخص لكم فى ايمانكم بها او ان كنتم مؤمنين بها فبئسما امركم به ايمانكم بها لان المؤمن ينبغى ان لا يتعاطى الا ما يقتضيه ايمانه لكن الايمان بها لا يأمر به فاذن لستم بمؤمنين قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة خاصة بكم كما قلتم لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصبها على الحال من الدار من دون الناس سائرهم او المسلمين واللام للعهد فتمنوا الموت ان كنتم صادقين لان من ايقن انه من اهل الجنة

اشتاقها واحب التخلص اليها من المارذات الشوآئب كما قال على رضى الله تعالى عنه لا ابالى سقطت على الموت اوسقط الموت على وقال عمار بصفين الآن القى الاحبة
محمدا ثم حزبه وقال حذيفة حين احتضر وجاء حبيب على فاقة فلا افلح اليوم من قد ندم اى على التمنى سيما اذا علم انها سالمة له لا يشاركه فيها غيره ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم
من موجبات النار كالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد العاملة مختصة بالانسان آلة لقدرته بها عامة صنائعه ومنها اكثر منافعه عبر بها
عن النفس تارة وعن القدرة اخرى وهذه الجملة اخبار بالغيب وكان كما اخبر لانهم لو تمنوا لنقل واشتهر فان التمنى ليس من عمل القلب ليخفى بل هو ان يقول ليت كذا ولو كان
بالقلب لقالوا تمنينا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم
ظالمون فى دعوى ما ليس لهم ونفيه عمن هو لهم ولتجدنهم احرص الناس على حيوة من وجد بعقله الجارى مجرى علم ومفعولاه هم احرص الناس وتنكير حيوة لانه اريد بها فرد

سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾
قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ
النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ
أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ
لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ
وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ
فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى
وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلٰٓئِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكٰلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾

من افرادها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ باللام ومن الذين اشركوا محمول على المعنى
فكأنه قال احرص من الناس على الحيوة ومن الذين اشركوا وافرادهم بالذكر
للمبالغة فان حرصهم شديد اذ لم يعرفوا الا الحيوة العاجلة والزيادة فى التوبيخ
والتقريع فانهم لما زاد حرصهم وهم مقرون بالجزاء على حرص المنكرين دل ذلك على
علمهم بانهم صائرون الى النار ويجوز ان يراد واحرص من الذين اشركوا فحذف
لدلالة الاول عليه وان يكون خبر مبتدأ محذوف صفته يود احدهم على انه اريد بالذين
اشركوا اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله اى ومنهم ناس يود احدهم وهو على الاول
بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف لو يعمر الف سنة حكاية لودادتهم
ولو بمعنى ليت وكان اصله لو اعمر فاجرى على الغيبة لقوله يود كقولك حلف بالله ليفعلن
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر الضمير لاحدهم وان يعمر فاعل مزحزحه
اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره او لما دل عليه يعمر وان يعمر بدل
منه او مبهم وان يعمر موضحه واصل سنة سنوة لقولهم سنوات وقيل سنهة كجبهة
لقولهم سانهته وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والزحزحة التبعيد والله
بصير بما يعملون فيجازيهم قل من كان عدوا لجبريل نزل فى عبد الله بن صوريا سأل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن ينزل عليه فقال جبريل فقال ذاك عدونا عادانا
مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله
فرآه ببابل فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فلا يسلطكم عليه والا
فبم تقتلونه وقيل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود يوما فسألهم عن جبريل فقالوا
ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله قالوا جبريل عن يمينه
وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لئن كانا كما تقولون فليسا بعدوين ولانتم
اكفر من الحمير ومن كان عدو احدهما فهو عدو الله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحى
فقال عليه السلام لقد وافقك ربك يا عمر وفى جبريل ثمانى لغات وقرئ بهن اربع فى
المشهور جبرئيل كسلسبيل قرأه حمزة والكسائى وجبريل بكسر الراء وحذف
الهمزة قرأه ابن كثير وجبرئل كجحمرش قرأه عاصم برواية ابى بكر وجبريل كقنديل قرأه الباقون واربع فى الشواذ جبرئل وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل وجبرين ومنع صرفه للعجمة
والتعريف ومعناه عبد الله فانه نزله البارز الاول لجبريل والثانى للقرآن واضماره غير مذكور يدل على فخامة شانه كانه لتعيينه وفرط شهرته لم يحتج الى سبق ذكره على قلبك فانه
القابل الاول للوحى ومحل الفهم والحفظ وكان حقه على قلبى لكنه جاء على حكاية كلام الله كانه قال قل ما تكلمت به باذن الله بامره وتيسيره حال من فاعل نزل مصدقا لما بين يديه
وهدى وبشرى للمؤمنين احوال من مفعوله والظاهر ان جواب الشرط فانه نزله والمعنى ان من عادى منهم جبريل فقد خلع ربقة الانصاف او كفر بما معه من الكتاب
بمعاداته اياه لنزوله عليك بالوحى لانه نزل كتابا مصدقا للكتب المتقدمة فحذف الجواب واقيم علته مقامه او من عاداه فالسبب فى عداوته انه نزل عليك وقيل محذوف مثل فليمت غيظا
اوفهو عدو لى وانا عدوه كما قال من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين اراد بعداوة الله مخالفته عنادا او معاداة المقربين من عباده وصدر

الكلام بذكره تفخيما لشأنهم كقوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وافرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر والتنبيه على ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستجلاب العداوة من الله تعالى وان من عادى احدهم فكانه عادى الجميع اذ الموجب لعداوتهم ومحبتهم على الحقيقة واحد ولان المحاجة كانت فيهما ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة والرسل كفر وقرأ نافع ميكائل كميكاعل وابو عمرو ويعقوب وعاصم برواية حفص ميكال كميعاد والباقون ميكائيل بالهمزة والياء بعدها وقرئ ميكئل كميكعل وميكئيل وميكئيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات ومايكفر بها الا الفاسقون اى المتمردون من الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده نزل في ابن صوريا حين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ماجئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف تقديره اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا وقرئ بسكون الواو على ان التقدير الا الذين فسقوا او كلما عاهدوا وقرئ عوهدوا وعهدوا نبذه فريق منهم

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ

نقضه واصل النبذ الطرح لكنه يغلب فيما ينسى وانما قال فريق لان بعضهم لم ينقض بل اكثرهم لا يؤمنون رد لما يتوهم من ان الفريق هم الاقلون او ان من لم ينبذ جهارا فهم مؤمنون بخفاء ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم كعيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله يعني التورية لانكفرهم بالرسول المصدق لها كفر بها فيما يصدقه ونبذ لما فيها من وجوب الايمان بالرسل المؤيدين بالآيات وقيل ما مع الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القرءان وراء ظهورهم مثل لاعراضهم عنه رأسا بالاعراض عما يرمى به وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كانهم لا يعلمون انه كتاب الله يعني ان علمهم به رصين ولكن يتجاهلون عنادا واعلم انه تعالى دل بالآيتين على ان جل اليهود اربع فرق فرقة امنوا بالتورية وقاموا بحقوقها كمؤمني اهل الكتاب وهم الاقلون المدلول عليهم بقوله بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ عهودها وتخطي حدودها تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوا لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية عالمين بالحال بغيا وعنادا وهم المتجاهلون واتبعوا ماتتلوا الشياطين عطف على نبذ اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحر التي تقرأوها او تتبعها الشياطين من الجن او الانس او منهما على ملك سليمان اى عهده وتتلو حكاية حال ماضية قيل كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ماسمعوا اكاذيب ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها ويعلمون الناس وفشا ذلك في عهد سليمان عليه السلام حتى قيل ان الجن يعلمون الغيب وان ملك سليمان تم بهذا العلم وانه تسخر به الجن والانس والريح له وماكفر سليمان تكذيب لمن زعم ذلك وعبر عن السحر بالكفر ليدل على انه كفر وان من كان نبيا كان معصوما منه ولكن الشياطين كفروا باستعماله وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع الشياطين يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة حال من الضمير والمراد بالسحر مايستعان في تحصيله بالتقرب الى الشيطان بما لا يستقل به الانسان وذلك لا يستتب الا لمن يناسبه في الشرارة وخبث النفس فان التناسب شرط في التضام والتعاون وبهذا تميز الساحر عن النبي والولي واما مايتعجب منه كما يفعله اصحاب الحيل بمعونة الآلات والادوية او يريه صاحب خفية اليد فغير مذموم وتسميته سحرا على التجوز او لما فيه من الدقة لانه في الاصل لما خفي سببه وما انزل على الملكين عطف على السحر والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار او المراد به نوع اقوى منه او على ماتتلو وهما ملكان انزلا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة ومادوى انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامرأة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي والشرك ثم صعدت الى السماء بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوائل وحله لا يخفى على ذوي البصائر وقيل رجلان سميا ملكين باعتبار صلاحهما ويؤيده قراءة الملكين بالكسر وقيل ما انزل نفي معطوف على ماكفر سليمان تكذيب لليهود في هذه القصة ببابل ظرف او حال من الملكين او الضمير في انزل والمشهور انه بلد من سواد الكوفة هاروت وماروت عطف بيان للملكين ومنع صرفهما للعلمية والعجمة ولو كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا ومن جعل ما نافية ابدلهما من الشياطين بدل البعض وما بينهما

اعتراض وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فمعناه على الاول ما يعلمان احدا حتى ينصحاه ويقولا له انما نحن ابتلاء من الله فمن تعلم منا وعمل به كفر ومن تعلم وتوقى عمله ثبت على الايمان فلا تكفر باعتقاد جوازه والعمل به وفيه دليل على ان تعلم السحر وما لا يجوز اتباعه غير محظور وانما المنع من اتباعه والعمل به وعلى الثاني ما يصلمانه حتى يقولا انا مفتونان فلا تكن مثلنا فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه اى من السحر ما يكون سبب تفريقهما وما هم بضارين به من احد الا باذن الله لانه وغيره من الاسباب غير مؤثر بالذات بل بامره تعالى وبجعله وقرئ بضارى على الاضافة الى احد وجعل الجار جزأ منه والفصل بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل ولان العلم يجر الى العمل غالبا ولا ينفعهم اذ مجرد العلم به غير مقصود ولا نافع فى الدارين وفيه ان التحرز عنه اولى ولقد علموا اى اليهود لمن اشتريه اى استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله والاظهر ان اللام لام الابتداء علقت علموا عن العمل ماله فى الاخرة من خلاق نصيب ولبئس ماشروا به انفسهم يحتمل المعنيين على مامر لوكانوا يعلمون يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب والمثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب من غير تحقيق وقيل معناه لوكانوا يعملون بعلمهم فان من لم يعمل بما علم فهو كمن لم يعلم ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وركب الباقى جملة اسمية لتدل على ثبات المثوبة والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه اجلالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة لان المعنى لشئ من الثواب خير وقيل لو للتمنى ولمثوبة كلام مبتدأ وقرئ لمثوبة كمشورة وانما سمى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لوكانوا يعلمون ان ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك التدبر او العمل بالعلم يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا الرعى حفظ الغير لمصلحته وكان المسلمون يقولون للرسول عليه السلام راعنا اى راقبنا وتأن بنا فيما تلقنا حتى نفهمه وسمع اليهود فافترصوه وخاطبوه به مريدين نسبته الى الرعن او سبه بالكلمة العبرانية التى كانوا يتسابون بها وهى راعينا فنهى المؤمنون عنها وامروا بما يفيد تلك الفائدة ولا يقبل التلبيس وهو انظرنا بمعنى انظر الينا او انتظرنا من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من الانظار اى امهلنا لنحفظ وقرئ راعونا على لفظ الجمع للتوقير وراعنا بالتنوين اى قولا ذا رعن نسبة الى الرعن وهو الهوج لما شابه قولهم راعينا وتسبب للسب واسمعوا واحسنوا الاستماع حتى لا تفتقروا الى طلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول لا كسماع اليهود او واسمعوا ما امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى ما نهيتم عنه وللكافرين عذاب اليم يعنى الذين تهاونوا بالرسول عليه السلام وسبوه ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين نزلت تكذيبا لجمع من اليهود يظهرون مودة المؤمنين ويزعمون انهم يودون لهم الخير والود محبة الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ومن للتبيين كما فى قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم مفعول يود ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للابتداء وفسر الخير بالوحى والمعنى انهم يحسدونكم به وما يحبون ان ينزل عليكم شئ منه وبالعلم وبالنصرة ولعل المراد به ما يعم ذلك والله يختص برحمته من يشاء يستنبئه ويعلمه الحكمة وينصره لا يجب عليه شئ وليس لاحد عليه حق والله ذو الفضل العظيم اشعار بان النبوة من الفضل وان حرمان بعض عباده ليس لضيق فضله بل لمشيئته وما عرف فيه من حكمته ما ننسخ من اية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه والنسخ فى اللغة ازالة الصورة عن الشئ واثباتها فى غيره كنسخ الظل الشمس والنقل ومنه التناسخ ثم استعمل لكل واحد منهما كقولك نسخت الريح الاثر ونسخت الكتاب ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او الحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها اذهابها عن القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرأ ابن عامر ما ننسخ من انسخ اى نأمرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وابن كثير وابو عمرو وننسأها اى نؤخرها من النسئ وقرئ ننسها اى ننس احدا

وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرٰيهُ مَا لَهُ فِى الْاٰخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهٖٓ اَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ اَنَّهُمْ اٰمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللّٰهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكٰفِرِيْنَ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٠٤﴾ مَا يَوَدُّ الَّذِيْنَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ وَلَا الْمُشْرِكِيْنَ اَنْ يُّنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَاللّٰهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهٖ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿١٠٥﴾ مَا نَنْسَخْ مِنْ اٰيَةٍ اَوْ نُنْسِهَا نَاْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ اَوْ مِثْلِهَا اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيْرٌ ﴿١٠٦﴾ اَلَمْ تَعْلَمْ اَنَّ اللّٰهَ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ ﴿١٠٧﴾ اَمْ تُرِيْدُوْنَ اَنْ تَسْئَلُوْا رَسُوْلَكُمْ



كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٩﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١١﴾ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١٢﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ

ايا ها وتنسها اى انت وتنسها على البناء للمفعول وقرأ عبد الله ماننسك من اية اوننسخها وقرأ حذيفة ماننسخ من اية وننسكها باظهار المفعولين نأت بخير منها اومثلها اى بما هو خير للعباد فى النفع والثواب ومثلها فى الثواب وقرأ ابو عمرو بقلب الهمزة الفا الم تعلم ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النسخ والاتيان بمثل المنسوخ اوبما هو خير منه والاية دلت على جواز النسخ وتأخير الانزال اذ الاصل اختصاص ان وما يتضمنها بالامور المحتملة وذلك لان الاحكام شرعت والايات نزلت لمصالح العباد وتكميل نفوسهم فضلا من الله ورحمة وذلك يختلف باختلاف الاعصار والاشخاص كاسباب المعاش فان النافع فى عصر قد يضر فى عصر غيره واحتج بها من منع النسخ بلا بدل اوببدل اثقل ونسخ الكتاب بالسنة فان الناسخ هو المأتى به بدلا والسنة ليست كذلك والكل ضعيف اذ قد يكون عدم الحكم او الاثقل اصلح والنسخ قد يعرف بغيره والسنة مما اتى به الله تعالى وليس المراد بالخير والمثل مايكون كذلك فى اللفظ والمعتزلة على حدوث القرأن فان التغير والتفاوت من لوازم الحدوث واجيب بانهما من عوارض الامور المتعلقة بالمعنى القائم بالذات القديمة الم تعلم الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لقوله وما لكم وانما افرده لانه اعلمهم ومبدأ علمهم ان الله له ملك السموات والارض يفعل مايشاء ويحكم مايريد وهو كالدليل على قوله ان الله على كل شئ قدير وعلى جواز النسخ ولذلك ترك العاطف وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير وانما هو الذى يملك اموركم ويجريها على مايصلحكم والفرق بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا عن المنصور فيكون بينهما عموم من وجه ام تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ام معادلة للهمزة فى ألم تعلم اى الم تعلموا انه مالك الامور قادر على الاشياء كلها يأمر وينهى كما اراد ام تعلمون وتقترحون بالسؤال كما اقترحت اليهود على موسى عليه السلام اومنقطعة والمراد ان يوصيهم بالثقة به وترك الاقتراح عليه قيل نزلت فى اهل الكتاب حين سألوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين لما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ومن ترك الثقة بالايات البينات وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم حتى وقع فى الكفر بعد الايمان ومعنى الاية لا تقترحوا فتضلوا وسط السبيل ويؤدى بكم الضلال الى البعد عن المقصد وتبديل الكفر بالايمان وقرئ يبدل من ابدل ود كثير من اهل الكتاب يعنى احبارهم لو يردونكم ان يردوكم فان لو تنوب عن ان فى المعنى دون اللفظ من بعد ايمانكم كفارا مرتدين وهو حال من ضمير المخاطبين حسدا علة ود من عند انفسهم يجوز ان يتعلق بود اى تمنوا ذلك من عند انفسهم وتشهيهم لا من قبل التدين والميل مع الحق وبحسدا اى حسدا بالغا منبعثا من اصل نفوسهم من بعد ماتبين لهم الحق بالمعجزات والنعوت المذكورة فى التورية فاعفوا واصفحوا العفو ترك عقوبة المذنب والصفح ترك تثريبه حتى يأتى الله بامره الذى هو الاذن فى قتالهم وضرب الجزية عليهم اوقتل قريظة واجلاء بنى النضير وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه منسوخ باية السيف وفيه نظر اذ الامر غير مطلق ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الانتقام منهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على فاعفوا كانه امرهم بالصبر والمخالفة والجأ الى الله تعالى بالعبادة والبر وما تقدموا لانفسكم من خير كصلوة وصدقة وقرئ تقدموا من اقدم تجدوه عند الله اى ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يضيع عنده عمل وقرئ بالياء فيكون وعيدا وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب من اليهود والنصارى لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى لف بين قولى الفريقين كما فى قوله تعالى وقالوا كونوا هودا اونصارى ثقة بفهم السامع وهود جمع هائد كعائذ وعوذ وتوحيد الاسم المضمر وجمع الخبر لاعتبار اللفظ والمعنى تلك امانيهم اشارة الى الامانى المذكورة وهى ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا وان لا يدخل الجنة غيرهم اوالى ما فى الآية على حذف المضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم والجملة اعتراض والامنية افعولة من التمنى كالاضحوكة والاعجوبة قل هاتوا برهانكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين فى دعواكم فان كل قول لا دليل عليه غير ثابت بلى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله اخلص له نفسه اوقصده واصله العضو وهو محسن فى عمله فله اجره الذى وعد له على عمله عند ربه ثابتا عنده لا يضيع ولا ينقص والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء فيها حينئذ لتضمنها معنى الشرط فيكون الرد بقوله بلى وحده ويحسن الوقف عليه ويجوز ان يكون من اسلم

فاعل فعل مقدر مثل بلى يدخلها من اسلم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون في الاخرة وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ اى على امر يصح ويعتد
به نزلت لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا وتقاولوا بذلك وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اى قالوا ذلك
وهم من اهل العلم والكتاب كذلك اى مثل ذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم كعبدة الاصنام والمعطلة وبخهم على المكابرة والتشبه بالجهال فان قيل لم وبخهم وقد
صدقوا فان كلا الدينين بعد النسخ ليس بشئ قلت لم يقصدوا ذلك وانما قصد به كل فريق ابطال دين الاخر من اصله والكفر بنبيه وكتابه مع ان مالم ينسخ منهما حق واجب القبول
والعمل به فالله يحكم بينهم بين الفريقين يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل حكمه بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار
ومن اظلم ممن منع مساجد الله عام لكل من خرب مسجدا او سعى في تعطيل مكان مرشح للصلوة وان نزل في الروم لما غزوا بيت المقدس وخربوه وقتلوا اهله او المشركين لما منعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية ان يذكر فيها
اسمه ثانى مفعولى منع وسعى في خرابها بالهدم او التعطيل اولئك اى المانعون
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا بخشية
وخشوع فضلا عن ان يجترؤا على تخريبها او ما كان الحق ان يدخلوها الا خائفين
من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يمنعوهم منها او ما كان لهم في علم
الله وقضائه فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاص المساجد منهم
وقد انجز وعده وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول في المسجد واختلف الائمة
فيه فجوز ابو حنيفة ومنع مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره رحمهم الله تعالى
لهم في الدنيا خزى قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم بكفرهم
وظلمهم ولله المشرق والمغرب يريد بهما ناحيتى الارض اى له الارض كلها لا يختص
به مكان دون مكان فان منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او الاقصى فقد جعلت
لكم الارض مسجدا فاينما تولوا ففى اى مكان فعلتم التولية شطر القبلة فثم وجه الله
اى جهته التى امر بها فان امكان التولية لا يختص بمسجد او مكان او فثم ذاته اى هو عالم
مطلع بما يفعل فيه ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة
على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم في الاماكن كلها وعن ابن عمر رضى الله تعالى
عنهما انها نزلت في صلاة المسافر على الراحلة وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطأهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له
الخطأ لم يلزمه التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود ان يكون في حيز
وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا نزلت لما قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح
ابن الله ومشركوا العرب الملائكة بنات الله وعطفه على قالت اليهود او منع او مفهوم
قوله تعالى ومن اظلم وقرأ ابن عامر بغير واو سبحانه تنزيه له عن ذلك فانه يقتضى
التشبيه والحاجة وسرعة الفناء الا ترى ان الاجرام الفلكية مع امكانها وفنائها
لما كانت باقية مادام العالم لم تتخذ ما يكون لها كالولد اتخاذ الحيوان والنبات
اختيارا او طبعا بل له ما في السموات والارض رد لما قالوه واستدلال على فساده
والمعنى انه تعالى خالق ما في السموات والارض الذى من جملته الملائكة وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنعون على مشيئته وتكوينه وكل ما كان بهذه الصفة لم يجانس مكونه
الواجب لذاته فلا يكون له ولد لأن من حق الولد ان يجانس والده وانما جاء بما الذى لغير اولى العلم وقال قانتون على تغليب اولى العلم تحقيرا لشانهم وتنوين كل عوض عن
المضاف اليه اى كل ما فيها ويجوز ان يراد كل من جعلوه ولدا له مطيعون مقرون بالعبودية فيكون الزاما بعد اقامة الحجة والاية مشعرة على فساد ما قالوه من ثلاثة وجوه واحتج بها
الفقهاء على ان من ملك ولده عتق عليه لانه تعالى نفى الولد باثبات الملك وذلك يقتضى تنافيهما بديع السموات والارض مبدعهما ونظيره السميع في قوله امن ريحانة الداعى السميع
يؤرقنى واصحابى هجوع او بديع سمواته وارضه من بدع فهو بديع وهو حجة رابعة وتقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل بانفصال مادته عنه والله سبحانه وتعالى مبدع الاشياء
كلها فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال فلا يكون والدا والابداع اختراع الشئ لا عن شئ دفعة وهو اليق بهذا الموضع من الصنع الذى هو تركيب الصورة بالعنصر والتكوين الذى

لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ
اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا
كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ
أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ

يكون بتغير وفى زمان غالبا وقرئ بديع مجرورا على البدل من الضمير فى له ومنصوبا على المدح وإذا قضى أمرا أى أراد شيأ واصل القضاء اتمام الشئ قولا كقوله تعالى وقضى ربك وفعلا كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه فانما يقول له كن فيكون من كان التامة اى احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف وفيه تقرير لمعنى الابداع وايماء الى حجة خامسة وهو ان ايجاد الولد مما يكون باطوار ومهلة وفعله تعالى يستغنى عن ذلك وقرأ ابن عامر فيكون بفتح النون واعلم ان السبب فى هذه الضلالة ان ارباب الشرائع المتقدمة كانوا يطلقون الاب على الله تعالى باعتبار انه السبب الاول حتى قالوا ان الاب هو الرب الاصغر والله سبحانه وتعالى هو الاب الاكبر ثم ظنت الجهلة منهم ان المراد به معنى الولادة فاعتقد واذلك تقليدا ولذلك كفر قائله ومنع منه مطلقا حسما لمادة الفساد وقال الذين لا يعلمون اى جهلة المشركين او المتجاهلون من اهل الكتاب لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا الله كما يكلم الملائكة او يوحى الينا بانك رسوله

مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٩﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا
تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١٢٠﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَ
لَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ
اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ
حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا
يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا
تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ

او تأتينا آية حجة على صدقك والاول استكبار والثانى جحود بان ما آتاهم آيات الله استهانة به وعنادا كذلك قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم فقالوا ارنا الله جهرة هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد وقرئ بتشديد الشين قد بينا الايات لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين او يوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة ولا عناد وفيه اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الايات او لطلب مزيد اليقين وانما قالوه عتوا وعنادا انا ارسلناك بالحق ملتبسا مؤيدا به بشيرا ونذيرا فلا عليك ان اصروا او كابروا ولا تسأل عن اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وقرأ نافع ويعقوب ولا تسأل على انه نهى للرسول صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه او تعظيم لعقوبة الكفار كانها لفظاعتها لا يقدر ان يخبر عنها او السامع لا يصبر على استماع خبرها فنهاه عن السؤال والجحيم المتأجج من النار ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم مبالغة فى اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسلامهم فانهم اذا لم يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم فكيف يتبعون ملته ولعلهم قالوا مثل ذلك فحكى الله تعالى عنهم ولذلك قال قل تعليما للجواب ان هدى الله هو الهدى اى هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه ولئن اتبعت اهواءهم آراءهم الزائغة والملة ما شرعه الله تعالى لعباده على لسان انبيائه من امللت الكتاب اذا امليته والهوى رأى يتبع الشهوة بعد الذى جاءك من العلم اى من الوحى او الدين المعلوم صحته مالك من الله من ولى ولا نصير يدفع عنك عقابه وهو جواب لئن الذين آتيناهم الكتاب يريد به مؤمنى اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته بمراعاة اللفظ عن التحريف والتدبر فى معناه والعمل بمقتضاه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده او خبر على ان المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب اولئك يؤمنون به بكتابهم دون المحرفين ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم وانى فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيأ

ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون لما صدر قصتهم بالامر بذكر النعم والقيام بحقوقها والحذر من اضاعتها والخوف من الساعة واهوالها كرر ذلك وختم به الكلام معهم مبالغة فى النصح وايذانا بانه فذلكة القصة والمقصود من القصة وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات كلفه باوامر ونواه والابتلاء فى الاصل التكليف بالامر الشاق من البلاء لكنه لما استلزم الاختبار بالنسبة الى من يجهل العواقب ظن ترادفهما والضمير لابراهيم وحسن لتقدمه لفظا وان تأخر رتبة لان الشرط احد التقدمين والكلمات قد تطلق على المعانى فلذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون الآية وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآيتين وقوله قد افلح المؤمنون الى قوله اولئك هم الوارثون كما فسرت بها فى قوله فتلقى آدم من ربه كلمات وبالعشر التى هى من سننه وبمناسك الحج وبالكواكب والقمرين وذبح الولد والنار والهجرة على انه تعالى عاملهما معاملة المختبر بهن وبما تضمنه الآيات التى بعدها وقرئ ابراهيم ربه على انه دعا ربه بكلمات مثل ارنى كيف تحيى الموتى واجعل هذا البلد آمنا ليرى هل يجيبه وقرأ ابن عامر ابراهام بالالف جميع

بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي
قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً
لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَ
الرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا
وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ
إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا
وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾

ما في هذه السورة فأتمهن فاداهن كلا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى وابرهيم الذي وفى وفي القراءة الاخيرة الضمير لربه اي اعطاه جميع ما دعاه قال اني جاعلك للناس اماما استئناف ان اضمرت ناصبا اذ كأنه قيل فماذا قال لربه حين اتمهن فاجيب بذلك او بيان لقوله ابتلى فتكون الكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام وان نصبته بقال فالمجموع جملة معطوفة على ما قبلها وجاعل من جعل الذي له مفعولان والامام اسم لمن يؤتم به وامامته عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مأمورا باتباعه قال ومن ذريتي عطف على الكاف اي وبعض ذريتي كما تقول وزيدا في جواب سأكرمك والذرية نسل الرجل فعلية او فعولة قلبت راؤها الثالثة ياء كما في تقضيت من الذر بمعنى التفريق او فعولة او فعيلة قلبت همزتها ياء من الذرء بمعنى الخلق وقرئ ذريتي بالكسر وهي لغة قال لا ينال عهدي الظالمين اجابة الى ملتمسه وتنبيه على انه قد يكون من ذريته ظلمة وانهم لا ينالون الامامة لانها امانة من الله تعالى وعهد والظالم لا يصلح لها وانما ينالها البررة الاتقياء منهم وفيه دليل على عصمة الانبياء من الكبائر قبل البعثة وان الفاسق لا يصلح للامامة وقرئ الظالمون والمعنى واحد اذ كل ما نالك فقد نلته وإذ جعلنا البيت اي الكعبة غلب عليها كالنجم على الثريا مثابة للناس مرجعا يثوب اليه اعيان الزوار او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجه واعتماره وقرئ مثابات اي لانه مثابة كل احد وأمنا وموضع امن لا يتعرض لاهله كقوله تعالى حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم او يأمن حاجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او لا يؤاخذ الجاني الملتجئ اليه حتى يخرج وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى على ارادة القول او عطف على المقدر عاملا لاذ او اعتراض معطوف على مضمر تقديره ثوبوا اليه واتخذوا على ان الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو امر استحباب ومقام ابرهيم هو الحجر الذي فيه اثر قدميه او الموضع الذي كان فيه حين قام عليه ودعا الناس الى الحج او رفع بناء البيت وهو موضعه اليوم روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ بيد عمر رضي الله تعالى عنه وقال هذا مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وللشافعي رحمه الله تعالى في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج واتخاذها مصلى ان يدعى فيها ويتقرب الى الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس مقامه الموسوم به يعني الكعبة قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل امرناهما ان طهرا بيتي بان طهرا بيتي ويجوز ان تكون ان مفسرة لتضمن العهد معنى القول يريد طهراه من الاوثان والانجاس وما لا يليق به او اخلصاه للطائفين حوله والعاكفين المقيمين عنده او المعتكفين فيه والركع السجود اي المصلين جمع راكع وساجد وإذ قال ابرهيم رب اجعل هذا يريد البلد او المكان بلدا آمنا ذا امن كقوله في عيشة راضية او آمنا اهله كقولك ليل نائم وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر ابدل من آمن من اهله بدل البعض للتخصيص قال ومن كفر عطف على من آمن والمعنى وارزق من كفر قاس ابراهيم الرزق على الامامة فنبه سبحانه على ان الرزق رحمة دنيوية تعم المؤمن والكافر بخلاف الامامة والتقدم في الدين او مبتدأ متضمن معنى الشرط فامتعه قليلا خبره والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع لكنه سبب تقليله بان يجعله مقصورا بحظوظ الدنيا غير متوسل بها الى نيل الثواب ولذلك عطف عليه ثم اضطره الى عذاب النار اي الزه اليه لز المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقليلا نصب على المصدر او الظرف وقرئ بلفظ الامر فيهما على انه من دعاء ابرهيم وفي قال ضميره وقرأ ابن عامر فامتعه من امتع وقرئ فنمتعه ثم نضطره واضطره بكسر الهمزة على لغة من يكسر حروف المضارعة واطره بادغام الضاد وهو ضعيف لان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها دون العكس وبئس المصير المخصوص بالذم محذوف وهو العذاب وإذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات ولعله مجاز من المقابل للقيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها فانه ينقلها عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع ويحتمل ان يراد بها سافات البناء

فان

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

فان كل ساف قاعدة ما يوضع فوقه وبرفعها بناؤها وقيل المراد رفع مكانته واظهار شرفه بتعظيمه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهام القواعد وتبيينها تفخيم لشانها واسمعيل كان يناوله الحجارة ولكنه لما كان له مدخل في البناء عطف عليه وقيل كانا يبنيان في طرفين او على التناوب ربنا تقبل منا اى يقولان ربنا تقبل منا وقد قرئ به والجملة حال منهما انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك من اسلم وجهه او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد طلب الزيادة في الاخلاص والاذعان والثبات عليه وقرئ مسلمين على ان المراد انفسهما وهاجر او ان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اى واجعل بعض ذريتنا وانما خصا الذرية بالدعاء لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح بهم الاتباع وخصا بعضهم لما اعلما ان في ذريتهما ظلمة وعلما ان الحكمة الالهية لا تقتضي الاتفاق على الاخلاص والاقبال الكلي على الله تعالى فانه مما يشوش المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل ارادا بالامة امة محمد صلى الله عليه وسلم ويجوز ان تكون من للتبيين كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم قدم على المبين وفصل به بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن وأرنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين مناسكنا متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة وقرأ ابن كثير ويعقوب والسوسي عن ابي عمرو أرنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرأ الدوري عن ابي عمرو بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما او عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالا هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما انك انت التواب الرحيم لمن تاب ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما كما قال انا دعوة ابي ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم اياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل التوحيد والنبوة ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة ما تكمل به نفوسهم من المعارف والاحكام ويزكيهم عن الشرك والمعاصي انك انت العزيز الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم المحكم له ومن يرغب عن ملة ابرهيم استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته الواضحة الغراء اى لا يرغب احد عن ملته الا من سفه نفسه الا من استمهنها واذلها واستخف بها قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل اصله سفه نفسه على الرفع فنصب على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه وقول جرير

ونأخذ بعده بذناب عيش … اجب الظهر ليس له سنام

او سفه في نفسه فنصب بنزع الخافض والمستثنى في محل الرفع على المختار بدلا من الضمير في يرغب لانه في معنى النفي ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين حجة وبيان لذلك فان من كان صفوة العباد في الدنيا مشهودا له بالاستقامة والصلاح يوم القيامة كان حقيقا بالاتباع له لا يرغب عنه الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ظرف لاصطفيناه وتعليل له او منصوب باضمار اذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه نال ما نال بالمبادرة الى الاذعان واخلاص السر حين دعاه ربه واخطر بباله دلائله المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام روى انها نزلت لما دعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فاسلم سلمة وابى مهاجر ووصى بها ابرهيم بنيه التوصية هي التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح وقربة واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او لقوله اسلمت على تأويل الكلمة والجملة وقرأ نافع وابن عامر واوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اى ووصى هو ايضا بها بنيه وقرئ بالنصب على انه ممن وصاه ابرهيم يا بني على اضمار القول عند البصريين متعلق بوصى عند الكوفيين لانه نوع منه ونظيره رجلان من ضبة اخبرانا انا رأينا رجلا عريانا بالكسر وبنو ابرهيم كانوا اربعة اسمعيل واسحق ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة عشر وبنو يعقوب اثنا عشر روبين وشمعون ولاوى ويهودا ويشسوخر وزبولون وزوانى وتفتونى وكودا واوشير وبنيامين ويوسف ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان لقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال

الاسلام والمقصود هو النهي عن ان يكونوا على خلاف تلك الحال اذا ماتوا والامر بالثبات على الاسلام كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان من حقه ان لا يحل بهم ونظيره في الامر مت وانت شهيد وروي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى بنيه باليهودية يوم مات فنزلت ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار اي ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت وقال لبنيه ما قال فلم تدعون اليهودية عليه او متصلة بمحذوف تقديره اكنتم غائبين ام كنتم شهداء وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما شهدتم ذلك وانما علمتموه بالوحي وقرئ حضر بالكسر اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر ما تعبدون من بعدي اي شيء تعبدونه اراد به تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن تعيينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه ام طبيب قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق المتفق على وجوده تعالى

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا
وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٦﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ
إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرٰهِيمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَ
الْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ
لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٧﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ
مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ
فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٨﴾ صِبْغَةَ
اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ
أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٤٠﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرٰهِيمَ
وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا

والوهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من ابائه تغليبا للاب والجد ولانه كالاب لقوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه كما قال عليه الصلاة والسلام في العباس رضي الله عنه هذا بقية ابائي وقرئ اله ابيك على انه جمع بالواو والنون كما قال ولما تبين اصواتنا بكين وفديننا بالابينا او مفرد وابرهيم وحده عطف بيان الها واحدا بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ونفي التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور والتاكيد او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او مفعوله او منهما ويحتمل ان يكون اعتراضا تلك امة قد خلت يعني ابرهيم ويعقوب وبنيهما والامة في الاصل المقصود وسمي بها الجماعة لان الفرق تؤمها لها ما كسبت ولكم ما كسبتم لكل اجر عمله والمعنى ان انتسابكم اليهم لا يوجب انتفاعكم باعمالهم وانما تنتفعون بموافقتهم واتباعهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم وقالوا كونوا هودا او نصارى الضمير الغائب لاهل الكتاب واو للتنويع والمعنى مقالتهم احد هذين القولين قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا جواب الامر قل بل ملة ابرهيم اي بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته او بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ بالرفع اي ملته ملتنا او عكسه او نحن ملته بمعنى نحن اهل ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق حال من المضاف او المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم فانهم يدعون اتباعه وهم مشركون قولوا آمنا بالله الخطاب للمؤمنين لقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم به وما انزل الينا القرآن قدم ذكره لانه اول بالاضافة الينا او سبب للايمان بغيره وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وهي وان نزلت الى ابرهيم لكنهم لما كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها فهي ايضا منزلة اليهم كما ان القرآن منزل الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد يريد به حفدة يعقوب وابناءه وذريتهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى التورية والانجيل افردهما بالذكر بحكم ابلغ لان امرهما بالاضافة الى موسى وعيسى مغاير لما سبق والنزاع وقع فيهما وما اوتي النبيون جملة المذكورون منهم وغير المذكورين من ربهم منزلا عليهم من ربهم لا نفرق بين احد منهم كاليهود فنؤمن ببعض ونكفر ببعض واحد لوقوعه في سياق النفي عام فساغ ان يضاف اليه بين ونحن له اي لله مسلمون مذعنون مخلصون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا من باب التعجيز والتبكيت كقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله اذ لا مثل لما آمن به المسلمون ولا دين كدين الاسلام وقيل الباء للآلة دون التعدية والمعنى ان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطرق او مزيدة للتاكيد كقوله تعالى جزاء سيئة بمثلها والمعنى فان آمنوا بالله ايمانا مثل ايمانكم به او المثل مقحم كما في قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي عليه ويشهد له قراءة من قرأ بما آمنتم به او بالذي آمنتم به وان تولوا فانما هم في شقاق اي ان اعرضوا عن الايمان او عما تقولون لهم فما هم الا في شقاق الحق وهي المناواة والمخالفة فان كل واحد من المتخالفين

فى شق غير شق الاخر فسيكفيكهم الله تسلية وتسكين للمؤمنين ووعدلهم بالحفظ والنصر على من ناواهم وهو السميع العليم اما من تمام الوعد بمعنى انه يسمع اقوالكم ويعلم اخلاصكم وهو مجازيكم لامحالة او وعيد للمعرضين بمعنى انه يسمع ما يبدون ويعلم ما يخفون وهو معاقبهم عليه صبغة الله اى صبغنا الله صبغته وهى فطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها فانها حلية الانسان كما ان الصبغة حلية المصبوغ او هدينا الله هدايته وارشدنا حجته او طهر قلوبنا بالايمان تطهيره وسماه صبغة لانه ظهر اثره عليهم ظهور الصبغ على المصبوغ وتداخل فى قلوبهم تداخل الصبغ الثوب وللمشاكلة فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم فى ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم وبه تحقق نصرانيتهم ونصبها على انه مصدر مؤكد لقوله آمنا وقيل على الاغراء وقيل على البدل من ملة ابرهيم عليه السلام ومن احسن من الله صبغة لاصبغة احسن من صبغته ونحن له عابدون تعريض لهم اى لا نشرك به كشرككم وهو عطف على آمنا وذلك يقتضى دخول قوله صبغة فى مفعول قولوا ولمن نصبها على الاغراء والبدل ان يضمر قولوا معطوفا على الزموا واتبعوا ملة

اَوْ نَصٰارٰى قُلْ ءَاَنْتُمْ اَعْلَمُ اَمِ اللّٰهُ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهٰادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللّٰهِ وَمَا اللّٰهُ بِغٰافِلٍ عَمّٰا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾
تِلْكَ اُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهٰا مٰا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مٰا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْئَلُونَ
عَمّٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهٰاءُ مِنَ النّٰاسِ
مٰا وَلّٰيهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كٰانُوا عَلَيْهٰا قُلْ لِلّٰهِ الْمَشْرِقُ وَ
الْمَغْرِبُ يَهْدِى مَنْ يَشٰاءُ اِلٰى صِرٰاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذٰلِكَ
جَعَلْنٰاكُمْ اُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدٰاءَ عَلَى النّٰاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمٰا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهٰا
اِلّٰا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلٰى عَقِبَيْهِ وَاِنْ
كٰانَتْ لَكَبِيرَةً اِلّٰا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ وَمٰا كٰانَ اللّٰهُ
لِيُضِيعَ اِيمٰانَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ بِالنّٰاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرٰى

ابرهيم وقولوا آمنا بدل اتبعوا حتى لا يلزم فك النظم وسوء الترتيب قل اتحاجوننا اتجادلوننا فى الله فى شانه واصطفائه نبيا من العرب دونكم روى ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت وهو ربنا وربكم لا اختصاص له بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان كرامة النبوة اما تفضل من الله على من يشاء والكل فيه سواء واما افاضة حق على المستعدين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اى موحدون نخلصه بالايمان والطاعة دونكم ام يقولون ان ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى ام منقطعة والهمزة للانكار وعلى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص بالتاء يحتمل ان تكون معادلة للهمزة فى اتحاجوننا بمعنى اى الامرين تأتون المحاجة او ادعاء اليهودية او النصرانية على الانبياء قل ءانتم اعلم ام الله وقد نفى الامرين عن ابرهيم بقوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه اتباعه فى الدين وفاقا ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله يعنى شهادة الله لابرهيم بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية والمعنى لا احد اظلم من اهل الكتاب لانهم كتموا هذه الشهادة او منا لو كتمنا هذه الشهادة وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد عليه الصلوة والسلام بالنبوة فى كتبهم وغيرها ومن للابتداء كما فى قوله تعالى براءة من الله ورسوله وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم وقرئ بالياء تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون تكرير للمبالغة فى التحذير والزجر عما استحكم فى الطباع من الافتخار بالاباء والاتكال عليهم وقيل الخطاب فيما سبق لهم وفى هذه الاية لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة فى الاول الانبياء وفى الثانى اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء



من الناس الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن النظر يريد به المنكرين لتغيير القبلة من المنافقين واليهود والمشركين وفائدة تقديم الاخبار به توطين النفس واعداد الجواب ما وليهم ما صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها يعنى بيت المقدس والقبلة فى الاصل الحال التى عليها الانسان من الاستقبال فصارت عرفا للمكان المتوجه نحوه للصلاة قل لله المشرق والمغرب لا يختص به مكان دون مكان لخاصية ذاتية تمنع اقامة غيره مقامه وانما العبرة بارتسام امره لا بخصوص المكان يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وهو ما ترضيه الحكمة وتقتضيه المصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى وكذلك اشارة الى المفهوم الاية المتقدمة اى كما جعلناكم مهديين الى الصراط المستقيم او جعلنا قبلتكم افضل القبل جعلناكم امة وسطا اى خيارا او عدولا مزكين بالعلم والعمل وهو فى الاصل اسم المكان الذى يستوى اليه المساحة من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى وصف بها واستدل به على ان الاجماع

حجة اذ لو كان فيما اتفقوا عليه باطل لانثلمت به عدالتهم لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا علة للجعل اى لتعلموا بالتأمل فيما نصب لكم من الحجج وانزل عليكم من الكتاب انه تعالى ما بخل على احد وما ظلم بل اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا ولكن الذين كفروا حملهم الشقاء على اتباع الشهوات والاعراض عن الايات فتشهدون بذلك على معاصريكم وعلى الذين قبلكم وبعدكم روى ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالبهم الله ببينة التبليغ وهو اعلم بهم اقامة للحجة على المنكرين فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيشهد بعدالتهم وهذه الشهادة وان كانت لهم لكن لما كان الرسول عليه السلام كالرقيب المهيمن على امته عدى بعلى وقدمت الصلة للدلالة على اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اى الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة فانه عليه السلام كان يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر بالصلوة الى الصخرة تألفا لليهود او الصخرة لقول ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته

تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾

بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه فالمخبر به على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ والمعنى ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وما جعلنا قبلتك بيت المقدس الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه الا لنمتحن الناس ونعلم من يتبعك في الصلوة اليها ممن يرتد عن دينك الفا لقبلة آبائه او لنعلم الآن من يتبع الرسول ممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول معناه ما رددناك الى التي كنت عليها الا لنعلم الثابت على الاسلام ممن ينكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه فان قيل كيف يكون علمه تعالى غاية الجعل وهو لم يزل عالما قلت هذا واشباهه باعتبار التعلق الحالي الذي هو مناط الجزاء والمعنى ليتعلق علمنا به موجودا وقيل ليعلم رسوله والمؤمنون لكنه اسند الى نفسه لانهم خواصه او لنميز الثابت من المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز المسبب عنه ويشهد له قراءة ليعلم على البناء للمفعول والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق لما في من من معنى الاستفهام او مفعوله الثاني ممن ينقلب اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب وان كانت لكبيرة ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفاصلة وقال الكوفيون ان هي النافية واللام بمعنى الا والضمير لما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع فتكون كان زائدة الا على الذين هدى الله الى حكمة الاحكام الثابتين على الايمان والاتباع وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ثباتكم على الايمان وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة او صلاتكم اليها لما روي انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف بمن مات يا رسول الله قبل التحويل من اخواننا فنزلت ان الله بالناس لرؤف رحيم فلا يضيع اجورهم ولا يدع صلاحهم ولعله قدم الرؤف وهو ابلغ محافظة على الفواصل وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص لرؤف بالمد والباقون بالقصر قد نرى ربما نرى تقلب وجهك في السماء تردد وجهك في جهة السماء تطلعا للوحي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع في روعه ويتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم واقدم القبلتين وادعى للعرب الى الايمان ولمخالفة اليهود وذلك يدل على كمال ادبه حيث انتظر ولم يسأل فلنولينك قبلة فلنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا صيرته واليا له او فلنجعلنك تلي جهتها ترضيها تحبها وتتشوق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيئة الله وحكمته فول وجهك اصرف وجهك شطر المسجد الحرام نحوه وقيل الشطر في الاصل لما انفصل عن الشيء من شطر اذا انفصل ودار شطور اى منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام المحرم اى محرم فيه القتال او ممنوع عن الظلمة ان يتعرضوه وانما ذكر المسجد دون الكعبة لانه عليه الصلوة والسلام كان في المدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها حرج عليه بخلاف القريب روي انه عليه الصلوة والسلام قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة في رجب بعد الزوال قبل قتال بدر بشهرين وقد صلى باصحابه في مسجد بني سلمة ركعتين من الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتبادل الرجال والنساء صفوفهم فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول بالخطاب تعظيما له وايجابا لرغبته ثم عمم تصريحا بعموم الحكم وتأكيد الامر القبلة وتحضيضا للامة على المتابعة وان الذين اوتوا الكتاب

ليعلمون انه الحق من ربهم جملة لعلمهم بان عادته تعالى تخصيص كل شريعة بقبلة وتفصيلا لتضمن كتبهم انه صلى الله عليه وسلم يصلي الى القبلتين والضمير للتحويل او للتوجه وما الله بغافل عما
يعملون وعد ووعيد للفريقين وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالياء ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل اية برهان وحجة على ان الكعبة قبلة واللام موطئة للقسم ما تبعوا قبلتك
جواب القسم المضمر والقسم وجوابه ساد مسد جواب الشرط والمعنى ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وما انت بتابع قبلتهم قطع لاطماعهم فانهم
قالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره تغريرا له وطمعا في رجوعه وقبلتهم وان تعددت لكنها متحدة بالبطلان ومخالفة الحق وما بعضهم بتابع قبلة بعض
فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم كما لا يرجى موافقتهم لك لتصلب كل حزب فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم على سبيل
الفرض والتقدير اي ولئن اتبعتهم مثلا بعد ما بان لك الحق وجاءك فيه الوحي انك اذا لمن الظالمين اكد تهديده وبالغ فيه من سبعة اوجه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه
وتحذيرا من متابعة الهوى واستفظاعا لصدور الذنب عن الانبياء الذين اتيناهم
الكتاب يعني علماءهم يعرفونه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان لم يسبق ذكره
لدلالة الكلام عليه وقيل للعلم او القرآن او التحويل كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول اي
يعرفونه باوصافه كمعرفتهم ابناءهم لا يلتبسون عليهم بغيرهم عن عمر رضي الله تعالى عنه
انه سأل عبد الله بن سلام رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل
والدته قد خانت فقبل راسه وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون تخصيص
لمن عاند واستثناء لمن آمن الحق من ربك كلام مستأنف والحق اما مبتدأ
خبره من ربك واللام للعهد والاشارة الى ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم او الحق
الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا ما لم
يثبت كالذي عليه اهل الكتاب واما خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق ومن ربك حال
او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول يعلمون فلا تكونن
من الممترين الشاكين في انه من ربك او في كتمانهم الحق عالمين به وليس المراد نهي
الرسول صلى الله عليه وسلم عن الشك فيه لانه غير متوقع منه وليس بقصد واختيار
بل اما لتحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف
المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل وجهة ولكل امة قبلة والتنوين بدل
الاضافة او لكل قوم من المسلمين جهة وجانب من الكعبة هو موليها احد
المفعولين محذوف اي هو موليها وجهه او الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة
بالاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد جبرا
لضعف العامل وقرأ ابن عامر هو مولاها اي هو مولى تلك الجهة اي قد وليها
فاستبقوا الخيرات من امر القبلة وغيره مما تنال به سعادة الدارين او الفاضلات
من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اي في اي موضع
تكونوا من موافق ومخالف مجتمع الاجزاء ومفترقها يحشركم الله الى المحشر للجزاء
او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض ارواحكم او اينما تكونوا من

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ
لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝١٥٠ وَمِنْ حَيْثُ
خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ
فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ
حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ
نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥١ كَمَا أَرْسَلْنَا
فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ
وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
تَعْلَمُونَ ۝١٥٢ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا
تَكْفُرُونِ ۝١٥٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ
وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝١٥٤ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ

الجهات المتقابلة يأت بكم الله جميعا ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع ومن حيث خرجت ومن اي مكان خرجت للسفر
فول وجهك شطر المسجد الحرام اذا صليت وانه وان هذا الامر للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون وقرأ ابو عمرو بالياء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره كرر هذا الحكم لتعدد علله فانه تعالى ذكر للتحويل ثلاث علل تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم بابتغاء مرضاته وجري العادة الالهية على ان يولي كل اهل
ملة وصاحب دعوة وجهة يستقبلها ويتميز بها ودفع حجج المخالفين على ما نبينه وقرن بكل علة معلولها كما يقرن المدلول بكل واحد من دلائله تقريبا وتقريرا مع ان القبلة لها شأن والنسخ من
مظان الفتنة والشبهة فبالحري ان يؤكد امرها ويعاد ذكرها مرة بعد اخرى لئلا يكون للناس عليكم حجة علة لقوله فولوا والمعنى ان التولية عن الصخرة الى الكعبة تدفع احتجاج
اليهود بان المنعوت في التوراة قبلته الكعبة وان محمدا يجحد ديننا ويتبعنا في قبلتنا والمشركين بانه يدعي ملة ابرهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس

في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون ﴿١٥٤﴾
ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس والثمرات وبشر الصابرين ﴿١٥٥﴾ الذين اذا اصابتهم
مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ﴿١٥٦﴾ اولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ﴿١٥٧﴾ ان
الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا
جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر
عليم ﴿١٥٨﴾ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى
من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و
يلعنهم اللاعنون ﴿١٥٩﴾ الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا
فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ﴿١٦٠﴾ ان الذين

اى لئلا يكون لاحد من الناس حجة الا المعاندين منهم فانهم يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وسمى هذه حجة كقوله تعالى حجتهم داحضة عند ربهم لانهم يسوقونه مساقها وقيل الحجة بمعنى الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة راسا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب للعلم بان الظالم لا حجة له وقرئ الا الذين ظلموا منهم على انه استئناف بحرف التنبيه فلا تخشوهم فلا تخافوهم فان مطاعنهم لا تضركم واخشونى فلا تخالفوا ما امرتكم به لمصلحة لكم ولاتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون علة محذوف اى وامرتكم لاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم او عطف على علة مقدرة مثل واخشونى لاحفظكم منهم ولاتم نعمتى عليكم او لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله تعالى عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم او بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على ما تصيرون به ازكياء قدمه باعتبار القصد واخره فى دعوة ابرهيم عليه السلام باعتبار الفعل ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون بالفكر والنظر اذ لا طريق الى معرفته سوى الوحى وكرر الفعل ليدل على انه جنس آخر فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحد النعم وعصيان الامر يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر عن المعاصى وحظوظ النفس والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين بالنصرة واجابة الدعوة ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون ما حالهم وهو تنبيه على ان حياتهم ليست بالجسد ولا من جنس ما يحس به من الحيوانات وانما هى امر لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن ان الشهداء احياء عند ربهم تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوا وعشيا فيصل اليهم الوجع والآية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين وبه نطقت الآيات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء لاختصاصهم بالقرب من الله ومزيد البهجة والكرامة ولنبلونكم ولنصيبنكم اصابة من يختبر لاحوالكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع اى بقليل من ذلك وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم منه ليخفف عليهم ويريهم ان رحمته لا تفارقهم او بالنسبة الى ما يصيب به معانديهم فى الآخرة وانما اخبرهم به قبل وقوعه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شيء او الخوف وعن الشافعى رضى الله تعالى عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان والنقص من الاموال الصدقات والزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم روح ولد عبدى فيقولون نعم فيقول الله اقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لمن تتأتى منه البشارة والمصيبة تعم ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه الصلوة والسلام كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر بالاسترجاع باللسان بل به وبالقلب بان يتصور ما خلق لاجله وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله عليه ليرى ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهون على نفسه ويستسلم له والمبشر به محذوف دل عليه اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلوة فى الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والمراد بالرحمة اللطف والاحسان وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضيه واولئك هم المهتدون للحق والصواب حيث استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى ان الصفا والمروة هما علمان للجبلين بمكة من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة فمن حج البيت او اعتمر الحج لغة القصد والاعتمار الزيارة فغلبا شرعا على قصد البيت وزيارته على الوجهين المخصوصين فلا جناح عليه ان يطوف

بهما كان اساف على الصفا ونائلة على المروة وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت والاجماع على
انه مشروع في الحج والعمرة وانما الخلاف في وجوبه فعن احمد انه سنة وبه قال انس وابن عباس رضي الله عنهم لقوله فلا جناح عليه فانه يفهم منه التخيير وهو ضعيف لان نفي الجناح
يدل على الجواز الداخل في معنى الوجوب فلا يدفعه وعن ابي حنيفة رحمه الله تعالى انه واجب يجبر بالدم وعن مالك والشافعي رحمهما الله انه ركن لقوله عليه الصلوة والسلام اسعوا فان الله كتب
عليكم السعي ومن تطوع خيرا اي فعل طاعة فرضا كان او نفلا او زاد على ما فرض الله عليه من حج او عمرة او طواف او تطوع بالسعي ان قلنا انه سنة وخيرا نصب على انه صفة مصدر محذوف
او بحذف الجار وايصال الفعل اليه او بتعدية الفعل لتضمينه معنى اتى او فعل وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب يطوع واصله يتطوع فادغم مثل يطوف فان الله شاكر عليم مثيب على الطاعة
لا تخفى عليه ان الذين يكتمون كاحبار اليهود ما انزلنا من البينات كالايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى وما يهدي الى وجوب اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه للناس

كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ﴿١٦١﴾ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴿١٦٢﴾ والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ﴿١٦٣﴾ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ﴿١٦٤﴾ ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب ﴿١٦٥﴾

لخصناه في الكتاب في التورية اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون اي الذين
يتأتى منهم اللعن عليهم من الملئكة والثقلين الا الذين تابوا عن الكتمان وسائر ما يجب
ان يتاب عنه واصلحوا ما افسدوا بالتدارك وبينوا ما بينه الله في كتابهم لتتم
توبتهم وقيل ما احدثوه من التوبة ليمحوا به سمة الكفر عن انفسهم ويقتدي بهم
اضرابهم فاولئك اتوب عليهم بالقبول والمغفرة وانا التواب الرحيم المبالغ في قبول
التوبة وافاضة الرحمة ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اي ومن لم يتب من الكاتمين حتى
مات اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين استقر عليهم اللعن من الله ومن
يعتد بلعنه من خلقه وقيل الاول لعنهم احياء وهذا لعنهم امواتا وقرئ والملائكة والناس
اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك اعجبني ضرب زيد وعمرو او فاعلا
لفعل مقدر نحو ويلعنهم الملئكة خالدين فيها اي في اللعنة او النار واضمارها قبل
الذكر تفخيما لشانها وتهويلا او اكتفاء بدلالة اللعن عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون اي لا يمهلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله
واحد خطاب عام اي المستحق منكم العبادة واحد لا شريك له يصح ان يعبد او يسمى
الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية وازاحة لان يتوهم ان في الوجود الها ولكن
لا يستحق منهم العبادة الرحمن الرحيم كالحجة عليها فانه لما كان مولى النعم كلها
اصولها وفروعها وما سواه اما نعمة او منعم عليه لم يستحق العبادة احد غيره وهما
خبران آخران لقوله الهكم او لمبتدأ محذوف وقيل لما سمعه المشركون تعجبوا وقالوا ان
كنت صادقا فأت باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض وانما
جمع السموات وافرد الارض لانها طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف
الارضين واختلاف الليل والنهار تعاقبهما كقوله تعالى جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري
في البحر بما ينفع الناس اي بنفعهم او بالذي ينفعهم والقصد به الى الاستدلال بالبحر
واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك
قدمه على ذكر المطر والسحاب لان منشأهما البحر في غالب الامر وتأنيث الفلك لانه بمعنى
السفينة وقرئ بضمتين على الاصل او الجمع وضمة الجمع غير ضمة الواحد عند المحققين

وما انزل الله من السماء من ماء من الاولى للابتداء والثانية للبيان والسماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو فاحيى به الارض بعد موتها بالنبات وبث فيها من كل دابة عطف
على انزل كانه استدل بنزول المطر وتكون النبات به وبث الحيوانات في الارض او على احيى فان الدواب ينمون بالخصب ويعيشون بالحياة والبث النشر والتفريق وتصريف الرياح
في مهابها واحوالها وقرأ حمزة والكسائي على الافراد والسحاب المسخر المذلل بين السماء والارض لا ينزل ولا ينقشع مع ان الطبع يقتضي احدهما حتى يأتي امر الله تعالى وقيل
مسخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله واشتقاقه من السحب لان بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم وعنه
صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الاية فمج بها اي لم يتفكر فيها واعلم ان دلالة هذه الايات على وجود الاله ووحدته من وجوه كثيرة يطول شرحها مفصلا والكلام
المجمل انها امور ممكنة وجد كل منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وانحاء مختلفة اذ كان من الجائز مثلا ان لا تتحرك السموات او بعضها كالارض وان تتحرك بعكس

حركاتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارة بالقطبين وان لايكون لها اوج وحضيض اصلا او على هذا الوجه لبساطتها وتساوي اجزائها فلابد لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته وتقتضيه مشيئته متعاليا عن معارضة غيره اذ لو كان معه اله يقدر على ما يقدر عليه الآخر فان توافقت ارادتهما فالفعل ان كان لهما لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وان كان لاحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجح وعجز الآخر المنافي لالهيته وان اختلفت لزم التمانع والتطارد كما اشار اليه بقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وفي الآية تنبيه على شرف علم الكلام واهله وحث على البحث والنظر فيه ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يطيعونهم لقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولعل المراد اعم منهما وهو ما يشغله عن الله يحبونهم يعظمونهم ويطيعونهم كحب الله كتعظيمه والميل الى طاعته اي يسوون بينه وبينهم في المحبة والطاعة والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها ومحبة العبد لله تعالى ارادة طاعته والاعتناء بتحصيل مراضيه ومحبة الله للعبد ارادة اكرامه واستعماله في الطاعة وصونه عن المعاصي والذين آمنوا اشد حبا لله لانه لا ينقطع محبتهم لله تعالى بخلاف محبة الانداد فانها لاغراض فاسدة موهومة تزول بادنى سبب ولذلك كانوا يعدلون عن آلهتهم الى الله تعالى عند الشدائد ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره ولو يرى الذين ظلموا ولو يعلم هؤلاء الذين ظلموا باتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه يوم القيمة واجرى المستقبل مجرى الماضي لتحققه كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وجواب لو محذوف اي لو يعلمون ان القوة لله جميعا اذ عاينوا العذاب لندموا اشد الندم وقيل هو متعلق الجواب والمفعولان محذوفان والتقدير ولو يرى الذين ظلموا اندادهم لا تنفع لعلموا ان القوة لله كلها لا ينفع ولا يضر غيره وقرأ ابن عامر ونافع ويعقوب ولو ترى على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما وابن عامر اذ يرون على البناء للمفعول ويعقوب ان بالكسر وكذا وان الله شديد العذاب على الاستئناف او اضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ المتبوعون من الاتباع وقرئ بالعكس اي تبرأ الاتباع من الرؤساء ورأوا العذاب اي رائين له والواو للحال وقد مضمرة وقيل عطف على تبرأ وتقطعت بهم الاسباب يحتمل العطف على تبرأ او رأوا او الحال والاول اظهر والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتباع والاتفاق على الدين والاغراض الداعية الى ذلك واصل السبب الحبل الذي يرتقى به الشجر وقرئ وتقطعت على البناء للمفعول وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء اي ليت لنا كرة الى الدنيا فنتبرأ منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيعة يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فحال وما هم بخارجين من النار اصله وما يخرجون فعدل به الى هذه العبارة للمبالغة في الخلود والاقناط من الخلاص والرجوع الى الدنيا يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا نزلت في قوم حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس وحلالا مفعول كلوا او صفة مصدر محذوف او حال مما في الارض ومن للتبعيض اذ لا يؤكل كل ما في الارض طيبا يستطيبه الشرع او الشهوة المستقيمة اذ الحلال دل على الاول ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تقتدوا به في اتباع الهوى فتحرموا الحلال وتحللوا الحرام وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والبزي وابو بكر حيث وقع بتسكين الطاء وهما لغتان في جمع خطوة وهي ما بين قدمي الخاطي وقرئ بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها عليها وبفتحتين على انها جمع خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان يظهر الموالاة لمن يغويه ولذلك سماه وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان لعداوته ووجوب التحرز عن متابعته واستعير الامر لتزيينه وبعثه لهم على الشر تسفيها لرأيهم وتحقيرا لشأنهم والسوء والفحشاء ما انكره العقل واستقبحه الشرع والعطف لاختلاف الوصفين فانه سوء لاغتمام العاقل به وفحشاء باستقباحه اياه وقيل السوء يعم القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد في القبح من الكبائر وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون كاتخاذ الانداد وتحليل المحرمات وتحريم الطيبات وفيه دليل على المنع من اتباع الظن رأسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظن مستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه كما بيناه في الكتب

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

الاصولية واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل عن الخطاب معهم للنداء على ضلالهم كأنه التفت الى العقلاء وقال لهم انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يجيبون
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا ما وجدناهم عليه نزلت في المشركين امروا باتباع القرءآن وسائر ما انزل الله من الحجج والآيات فجنحوا الى التقليد وقيل في طائفة من اليهود دعاهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ماوجدنا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم وعلى هذا فيعم ما انزل الله التورية لانها ايضا تدعوا الى الاسلام اولو كان اباؤهم
لا يعقلون شيئا ولا يهتدون الواو للحال او العطف والهمزة للرد والتعجب وجواب لو محذوف اى لو كان اباؤهم جهلة لا يتفكرون في امر الدين ولا يهتدون الى الحق لاتبعوهم وهو
دليل على المنع من التقليد لمن قدر على النظر والاجتهاد واما اتباع الغير في الدين اذا علم بدليل ما انه محق كالانبياء والمجتهدين في الاحكام فهو في الحقيقة ليس بتقليد بل اتباع لما انزل الله
ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء على حذف مضاف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق ومثل الذين كفروا كمثل بهائم الذي ينعق والمعنى

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ
وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ
لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ
الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ
فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ
عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ
اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا

ان الكفرة لانهماكهم في التقليد لا يلقون اذهانهم الى ما يتلى عليهم ولا يتاملون فيما
يقرر معهم فهم في ذلك كالبهائم التي ينعق عليها فتسمع الصوت ولا تعرف مغزاه
وتحس بالنداء ولا تفهم معناه وقيل هو تمثيلهم في اتباع اباءهم على ظاهر حالهم
جاهلين بحقيقتها بالبهائم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته او تمثيلهم في دعائهم
الاصنام بالناعق في نعقه وهو التصويت على البهائم وهذا يغني عن الاضمار ولكن
لا يساعده قوله الا دعاء ونداء لان الاصنام لا تسمع الا ان يجعل ذلك من باب
التمثيل المركب صم بكم عمي رفع على الذم فهم لا يعقلون اى بالفعل للاخلال بالنظر
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم لما وسع الامر على الناس كافة واباح لهم
ما في الارض سوى ما حرم عليهم امر المؤمنين منهم ان يتحروا طيبات ما رزقوا ويقوموا
بحقوقها فقال واشكروا لله على ما رزقكم واحل لكم ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم
تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم فان عبادتكم لا تتم الا بالشكر فان المعلق بفعل
العبادة هو الامر بالشكر لا تمامه وهو عدم عند عدمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى اني والانس والجن في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري
انما حرم عليكم الميتة اكلها او الانتفاع بها وهي التي ماتت من غير ذكاة والحديث الحق بها
ما ابين من حي والسمك والجراد اخرجهما العرف عنها او استثنى الشرع والحرمة المضافة
الى العين تفيد عرفا حرمة التصرف فيها مطلقا الا ما خصه الدليل كالتصرف في المدبوغ
والدم ولحم الخنزير انما خص اللحم بالذكر لانه معظم ما يؤكل من الحيوان وسائر اجزائه
كالتابع له وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت عند ذبحه للصنم والاهلال
اصله رؤية الهلال يقال اهل الهلال واهللته لكن لما جرت العادة ان يرفع الصوت
بالتكبير اذا روى سمي ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان بغيره فمن اضطر غير
باغ بالاستئثار على مضطر اخر وقرأ عاصم وابو عمرو وحمزة بكسر النون
ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق
فعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعي وقول احمد
رحمهما الله تعالى فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم

بالرخصة فيه فان قيل انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلت المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل
انما حرم عليكم هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا حقيرا اولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار اما في الحال
لانهم اكلوا ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار كقوله اكلت دما ان لم ارعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر يعني الدية او في المآل اى لا يأكلون يوم القيمة
الا النار ومعنى في بطونهم ملء بطونهم يقال اكل في بطنه واكل في بعض بطنه كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولا يكلمهم الله يوم القيمة عبارة عن غضبه عليهم وتعريض
بحرمانهم حال مقابليهم في الكرامة والزلفى من الله ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم مؤلم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى في الدنيا والعذاب بالمغفرة
في الاخرة بكتمان الحق للمطامع والاغراض الدنيوية فما اصبرهم على النار تعجب من حالهم في الالتباس بموجبات النار من غير مبالاة وما تامة مرفوعة بالابتداء وتخصيصها



كتخصيص قولهم شرا هر ذا ناب اواستفهامية ومابعدها الخبر اوموصولة ومابعدها صلة والخبر محذوف ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب والكتمان وان الذين اختلفوا فى الكتاب اللام فيه اما للجنس واختلافهم ايمانهم ببعض كتب الله تعالى وكفرهم ببعض او للعهد والاشارة اما الى التورية واختلفوا بمعنى تخلفوا عن المنهج المستقيم فى تأويلها او خلفوا خلاف ما انزل الله تعالى مكانه اى حرفوا ما فيها واما الى القرآن واختلافهم فيه قولهم سحر وتقول وكلام علمه بشر واساطير الاولين لفى شقاق بعيد لفى خلاف بعيد عن الحق ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل فعل مرضى والخطاب لاهل الكتاب فانهم اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت وادعى كل طائفة ان البر هو التوجه الى قبلته فرد الله تعالى عليهم وقال ليس البر ما انتم عليه فانه منسوخ ولكن البر ما بينته واتبعه المؤمنون وقيل عام لهم وللمسلمين اى ليس البر مقصورا بامر القبلة اوليس البر العظيم الذى يحسن ان تذهلوا بشأنه عن غيره امرها وقرأ حمزة وحفص البر بالنصب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين

وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اٰمَنَ بِاللّٰهِ
وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالْكِتٰبِ وَالنَّبِيّٖنَ وَاٰتَى الْمَالَ
عَلٰى حُبِّهٖ ذَوِى الْقُرْبٰى وَالْيَتٰمٰى وَالْمَسٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيْلِ
وَالسَّآئِلِيْنَ وَفِى الرِّقَابِ وَاَقَامَ الصَّلٰوةَ وَاٰتَى الزَّكٰوةَ وَ
الْمُوْفُوْنَ بِعَهْدِهِمْ اِذَا عٰهَدُوْا وَالصّٰبِرِيْنَ فِى الْبَاْسَآءِ وَ
الضَّرَّآءِ وَحِيْنَ الْبَاْسِ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ صَدَقُوْا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ
فِى الْقَتْلٰى اَلْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْاُنْثٰى بِالْاُنْثٰى فَمَنْ
عُفِىَ لَهٗ مِنْ اَخِيْهِ شَىْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوْفِ وَاَدَآءٌ اِلَيْهِ
بِاِحْسَانٍ ذٰلِكَ تَخْفِيْفٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدٰى
بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهٗ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ۝ وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيٰوةٌ

اى ولكن البر الذى ينبغى ان يهتم به بر من آمن بالله او ولكن ذا البر من آمن ويؤيده قراءة من قرأ ولكن البار والاول اوفق واحسن والمراد بالكتاب الجنس او القرآن وقرأ نافع وابن عامر ولكن بالتخفيف ورفع البر وآتى المال على حبه اى على حب المال كما قال عليه السلام لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر وقيل الضمير لله او للمصدر والجار والمجرور فى موضع الحال ذوى القربى واليتامى يريد المحاويج منهم ولم يقيد لعدم الالتباس وقدم ذوى القربى لان ايتاءهم افضل كما قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذوى رحمك اثنتان صدقة وصلة والمساكين جمع المسكين وهو الذى اسكنته الخلة واصله دائم السكون كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر سمى به لملازمته السبيل كما سمى القاطع ابن الطريق وقيل الضيف لان السبيل يرعف به والسائلين الذين الجأهم الحاجة الى السؤال وقال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرسه وفى الرقاب وفى تخليصها بمعاونة المكاتبين او فك الاسارى او ابتياع الرقاب لعتقها واقام الصلوة المفروضة وآتى الزكوة يحتمل ان يكون المقصود منه ومن قوله وآتى المال الزكوة المفروضة ولكن الغرض من الاول بيان مصارفها ومن الثانى اداؤها والحث عليها ويحتمل ان يكون المراد بالاول نوافل الصدقات او حقوقا كانت فى المال سوى الزكوة وفى الحديث نسخت الزكوة كل صدقة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا عطف على من آمن والصابرين فى البأساء والضراء نصبه على المدح ولم يعطف لفضل الصبر على سائر الاعمال وعن الازهرى البأساء فى الاموال كالفقر والضراء فى الانفس كالمرض وحين البأس وقت مجاهدة العدو اولئك الذين صدقوا فى الدين واتباع الحق وطلب البر واولئك هم المتقون عن الكفر وسائر الرذائل والآية كما ترى جامعة للكمالات الانسانية باسرها دالة عليها صريحا او ضمنا فانها بكثرتها وتشعبها منحصرة فى ثلاثة اشياء صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة وتهذيب النفس وقد اشير الى الاول بقوله من آمن بالله الى والنبيين والى الثانى بقوله وآتى المال الى وفى الرقاب والى الثالث بقوله واقام الصلوة الى آخرها ولذلك وصف المستجمع لها بالصدق نظرا الى ايمانه

واعتقاده وبالتقوى اعتبارا بمعاشرته للخلق ومعاملته مع الحق واليه اشار بقوله عليه السلام من عمل بهذه الآية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان فى الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فنزلت وامرهم ان يتباوؤا ولا تدل على ان لا يقتل الحر بالعبد والذكر بالانثى كما لا تدل على عكسه فان المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص غرض سوى اختصاص الحكم وقد بينا ما كان الغرض وانما منع مالك والشافعى رضى الله تعالى عنهما قتل الحر بالعبد سواء كان عبده او عبد غيره لما روى على رضى الله تعالى عنه ان رجلا قتل عبده فجلده الرسول صلى الله عليه وسلم ونفاه سنة ولم يقده به وروى عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذى عهد ولا حر بعبد ولان ابا بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير والقياس على الاطراف ومن سلم دلالته فليس له دعوى نسخه بقوله النفس بالنفس لانه حكاية ما فى التورية

فلا ينسخ ما فى القران واحتجت الحنفية به على ان مقتضى العمد القود وحده وهو ضعيف اذ الواجب على التخيير يصدق عليه انه وجب وكتب ولذلك قيل التخيير بين الواجب وغيره
ليس فيها الوجوبه وقرئ كتب على البناء للفاعل والقصاص بالنصب وكذا كل فعل جاء فى القران فمن عفى له من اخيه شئ اى شئ من العفو لان عفا لازم وفائدته الاشعار بان
بعض العفو كالعفو التام فى اسقاط القصاص وقيل عفى بمعنى ترك وشئ مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفا الشئ بمعنى تركه بل اعفاه وعفا يعدى بعن الى الجانى والى الذنب
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا عدى به الى الذنب عدى الى الجانى باللام وعليه ما فى الاية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته من جهة اخيه يعنى ولى الدم وذكره بلفظ
الاخوة الثابتة بينهما من الجنسية والاسلام ليرق له ويعطف عليه فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اى فليكن اتباع او فالامر اتباع والمراد به وصية العافى بان يطالب الدية
بالمعروف فلا يعنف والمعفو عنه بان يؤديها بالاحسان وهو ان لا يمطل ولا يبخس وفيه دليل على ان الدية احد مقتضى العمد والا لما رتب الامر باداءها على مطلق العفو وللشافعى رضى الله تعالى

يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ
مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾
فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ
عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ
مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ
فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ
تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي

عنه فى المسئلة قولان ذلك اى الحكم المذكور فى العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة
لما فيه من التسهيل والنفع قيل كتب على اليهود القصاص وحده وعلى النصارى العفو مطلقا
وخير هذه الامة بينهما وبين الدية تيسيرا عليهم وتقديرا للحكم على حسب مراتبهم
فمن اعتدى بعد ذلك قتل بعد العفو واخذ الدية فله عذاب اليم فى الاخرة
وقيل فى الدنيا بان يقتل لا محالة لقوله عليه السلام لا اعافى احدا قتل بعد اخذه الدية
ولكم فى القصاص حيوة كلام فى غاية الفصاحة والبلاغة من حيث جعل الشئ
محل ضده وعرف القصاص ونكر الحيوة ليدل على ان فى هذا الجنس من الحكم نوعا
من الحيوة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن القتل فيكون سبب حيوة
نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة بينهم
فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون ويصير ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار
وعلى الثانى تخصيص وقيل المراد بها الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه
فى الدنيا لم يؤاخذ به فى الاخرة ولكم فى القصاص يحتمل ان يكونا خبرين لحيوة وان
يكون احدهما خبرا والاخر صلة له او حالا من الضمير المستكن فيه وقرئ فى القصص
اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او فى القران حيوة للقلوب يا اولى الالباب
ذوى العقول الكاملة نادام للتأمل فى حكمة القصاص من استبقاء الارواح
وحفظ النفوس لعلكم تتقون فى المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له
او عن القصاص فتكفوا عن القتل كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اى حضر اسبابه
وظهرت اماراته ان ترك خيرا اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن على رضى الله تعالى عنه
ان مولى له اراد ان يوصى وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا
والخير هو المال الكثير وعن عائشة رضى الله تعالى عنها ان رجلا اراد ان يوصى فسألته
كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا
فان هذا الشئ يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب وتذكير فعلها
للفصل او على تأويل ان يوصى او الايصاء ولذلك ذكر الراجع فى قوله فمن بدله والعامل
فى اذا مدلول كتب لا الوصية لتقدمه عليها وقيل مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب
الشرط باضمار الفاء كقوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورات الشعر وكان هذا الحكم فى بدء الاسلام فنسخ باية المواريث وبقوله عليه الصلاة والسلام
ان الله اعطى كل ذى حق حقه الا لا وصية لوارث وفيه نظر لان آية المواريث لا تعارضه بل تؤكده من حيث انها تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الاحاد وتلقى الامة له
بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين بقوله يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عليهم
بالمعروف بالعدل فلا يفضل الغنى ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى وصل اليه
وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدله لانه هو الذى حاف وخالف الشرع ان الله سميع عليم وعيد للمبدل بغير حق
فمن خاف من موص اى توقع وعلم من قولهم اخاف ان ترسل السماء وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وابوبكر موص مشددا جنفا ميلا بالخطأ فى الوصية او اثما تعمدا للجنف

فاصلح بينهم بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع فلا اثم عليه في هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم يعني الانبياء والامم من لدن ادم عليه السلام وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل وتطييب على النفس والصوم في اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس وفي الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم ما تشتهيه الانفس لعلكم تتقون المعاصي فان الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدأها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او الاخلال باداته لاصالته وقدمه اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا ونصبها ليس بالصيام لوقوع الفصل بينهما بل باضمار صوموا لدلالة الصيام عليه والمراد بها رمضان او ما وجب صومه قبل وجوبه ونسخ به وهو عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر او بما كتب على الظرفية او على انه مفعول ثان لكتب عليكم على السعة وقيل معناه صومكم كصومهم في عدد الايام لما روى ان رمضان كتب على النصارى فوقع في برد او حر شديد فحولوه الى الربيع وزادوا عليه عشرين كفارة لتحويله وقيل زادوا ذلك لموتان اصابهم فمن كان منكم مريضا مرضا يضره الصوم ويعسر معه او على سفر او راكب سفر وفيه ايماء الى ان من سافر اثناء اليوم لم يفطر فعدة من ايام اخر اي فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر ان افطر فحذف الشرط والمضاف والمضاف اليه للعلم بها وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه وعلى الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام ان افطروا فدية طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز رخص لهم في ذلك في اول الامر لما امروا بالصوم فاشتد عليهم لانهم لم يتعودوه ثم نسخ وقرأ نافع وابن عامر برواية ابن ذكوان باضافة الفدية الى الطعام وجمع المساكين وقرأ ابن عامر برواية هشام مساكين بغير اضافة الفدية الى الطعام والباقون بغير اضافة وتوحيد مسكين وقرئ يطوقونه اي يكلفونه او يقلدونه من الطوق بمعنى الطاقة او القلادة ويتطوقونه اي يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بالادغام ويطيقونه ويتطيقونه على ان اصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل بمعنى يتطيقونه وعلى هذه القراآت يحتمل معنى ثانيا وهو الرخصة لمن يتعبه الصوم ويجهده وهم الشيوخ والعجائز في الافطار والفدية فيكون ثابتا وقد اول به القراءة المشهورة اي يصومونه جهدهم وطاقتهم فمن تطوع خيرا فزاد في الفدية فهو فالتطوع او الخير خير له وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وجهدتم طاقتكم او المرخصون في الافطار ليندرج تحته المريض والمسافر خير لكم من الفدية او تطوع الخير او منهما ومن التأخير للقضاء ان كنتم تعلمون ما في الصوم من الفضيلة وبراءة الذمة وجوابه محذوف دل عليه ما قبله اي اخترتموه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ خبره ما بعده او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اي كتب عليكم الصيام صيام شهر رمضان وقرئ بالنصب على اضمار صوموا او على انه مفعول وان تصوموا وفيه ضعف او بدل من اياما معدودات والشهر من الشهرة ورمضان مصدر رمض اي احترق فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع من الصرف للعلمية والالف والنون كما منع داية في ابن داية علما للغراب للعلمية والتأنيث وقوله عليه الصلاة والسلام من صام رمضان فعلى حذف المضاف لأمن الالتباس وانما سموه بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش او لارتماض الذنوب فيه او لوقوعه ايام رمض الحر حيث ما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة. الذي انزل فيه القرآن اي ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض او انزل في شانه القرآن وهو قوله كتب عليكم الصيام وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم عليه السلام اول ليلة من رمضان وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين والموصوف بصلته خبر المبتدأ او صفته والخبر فمن شهد والفاء لوصف المبتدأ بما تضمن معنى الشرط وفيه اشعار بان الانزال فيه سبب اختصاصه بوجوب الصوم فيه هدى للناس وبينات

أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ
فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ
سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ
أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى
لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ
نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ
كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ
فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟
حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ

من الهدى والفرقان حالان من القران اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وايات واضحات مما يهدى الى الحق ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر فليصمه
فمن حضر في الشهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه والاصل فمن شهد فيه فليصم فيه لكن وضع المظهر موضع المضمر الاول للتعظيم ونصب على الظرف وحذف الجار ونصب الضمير الثاني
على الاتساع وقيل فمن شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلاتها فيكون ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر مخصصا له لان المسافر
والمريض ممن شهد الشهر ولعل تكريره لذلك اولئلا يتوهم نسخه كما نسخ قرينه يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر اى يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر فلذلك اباح الفطر في السفر
والمرض ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف دل عليه ما سبق اى وشرع جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر والمرخص
بالقضاء ومراعاة عدة ما افطر فيه والترخيص لتكملوا العدة الى اخره على سبيل اللف فان قوله ولتكملوا العدة علة الامر بمراعاة العدد ولتكبروا الله علة الامر بالقضاء

ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ
فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ
يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا
فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ
عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ
تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ
مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ
مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ

وبيان كيفيته ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير او لافعال كل لفعله
او معطوفة على علة مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون ولتكملوا العدة
ويجوز ان يعطف على اليسر اى ويريد بكم لتكملوا كقوله تعالى يريدون ليطفئوا
والمعنى بالتكبير تعظيم الله بالحمد والثناء عليه ولذلك عدى بعلى وقيل تكبير يوم
الفطر وقيل التكبير عند الاهلال وما يحتمل المصدر والخبر اى الذى هديكم اليه
وعن عاصم برواية ابي بكر ولتكملوا بالتشديد واذا سالك عبادى عنى فانى قريب
اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على
احوالهم بحال من قرب مكانه منهم روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان
تقرير للقرب ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة
كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم وليؤمنوا بى امر بالثبات والمداومة عليه
لعلهم يرشدون راجين اصابة الرشد وهو اصابة الحق وقرئ بفتح الشين وكسرها
واعلم انه تعالى لما امرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف
التكبير والشكر عقبه بهذه الاية الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع لاقوالهم
مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه ثم بين احكام الصوم فقال
احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل
لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء الاخرة او يرقدوا ثم ان عمر رضى
الله تعالى عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النبى صلى الله عليه وسلم واعتذر اليه
فقام رجال واعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصيام الليلة التى
يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمنه معنى الافضاء وايثاره ههنا لتقبيح
ما ارتكبوه ولذلك سماه خيانة وقرئ الرفوث هن لباس لكم وانتم لباس لهن
استئناف يبين سبب الاحلال وهو قلة الصبر عنهن وصعوبة اجتنابهن
لكثرة المخالطة وشدة الملابسة ولما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل منهما

على صاحبه شبه باللباس قال الجعدى اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت فكانت عليه لباسا اولان كل واحد منهما يستر حال صاحبه ويمنعه عن الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم
تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثواب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب فتاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم ومحا عنكم اثره فالآن
باشروهن لما نسخ عنكم التحريم وفيه دليل على جواز نسخ السنة بالقران والمباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى به عن الجماع وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قدره لكم واثبته في اللوح
المحفوظ من الولد والمعنى ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة من خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الوطر وقيل النهى عن العزل وقيل عن غير المأتى والتقدير وابتغوا المحل
الذى كتبه الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين
ابيض واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما

روي انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين اسود وابيض ولا يزالون يأكلون ويشربون حتى يتبينا لهم فنزلت ان صح فلعله كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفى اولا باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويز المباشرة الى الصبح الدلالة على جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم المصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان آخر وقته واخراج الليل عنه ونفي صوم الوصال ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف هو اللبث في المسجد بقصد القربة والمراد بالمباشرة الوطء وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج الى امرأته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص بمسجد دون مسجد وان الوطء يحرم فيه ويفسده لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اي الاحكام التي ذكرت فلا تقربوها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل لئلا يداني الباطل فضلا عن ان يتخطى عنه كما قال عليه الصلوة والسلام ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه وهو ابلغ من قوله فلا

عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم
فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين (١٩١) فان انتهوا فان
الله غفور رحيم (١٩٢) وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة و
يكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين (١٩٣)
الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا
الله واعلموا ان الله مع المتقين (١٩٤) وانفقوا في سبيل الله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب
المحسنين (١٩٥) واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما
استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي
محله فمن كان منكم مريضا او به اذى من رأسه ففدية

تعتدوها ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل اي ولا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرف او الحال من الاموال وتدلوا بها الى الحكام عطف على المنهي او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتأكلوا بالتحاكم فريقا طائفة من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة او ملتبسين بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعصية مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس فهم به فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين وسلم الارض الى عبدان فنزلت وهو دليل على ان حكم القاضي لا ينفذ باطنا ويؤيده قوله عليه السلام انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق اخيه فانما اقضي له قطعة من النار فليحملها او يذرها يسئلونك عن الاهلة سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ قل هي مواقيت للناس والحج اي انهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيب بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس يوقتون بها امورهم ومعالم للعبادات المؤقتة يعرف بها اوقاتها وخصوصا الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة وراءه ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر وانما البر بر من اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سألوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت الحج وهذا ايضا من افعالهم في الحج ذكره للاستطراد او انهم لما سألوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم النبوة عقب بذكره جواب ما سألوه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسألوا امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او ان المراد به التنبيه على تعكيسهم السؤال بتمثيل حالهم بحال من ترك باب البيت ودخل من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك ولم يجترئ على مثله وأتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول بر فباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله في تغيير احكامه والاعتراض على افعاله لعلكم تفلحون لكي تظفروا بالهدى والبر وقاتلوا في سبيل الله جاهدوا لاعلاء كلمته واعزاز دينه الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ان امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة كلهم فانهم بصدد قتال المسلمين وعلى قصده ويؤيد الاول ما روي

ان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء وخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك فنزلت ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد او المفاجأة به من غير دعوة او المثلة او قتل من نهيتم عن قتله ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم الخير واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم واصل الثقف الحذق في ادراك الشيء علما كان او عملا فهو يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى الخلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل ذلك بمن لم يسلم يوم الفتح والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتألم النفس بها وقيل معناه شركهم في الحرم وصدهم اياكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه اي لا تفاتحوهم بالقتال وهتك حرمة المسجد الحرام فان قاتلوكم فاقتلوهم فلا تبالوا بقتالهم ثم فانهم الذين هتكوا حرمته وقرأ حمزة والكسائي ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فيه فان قتلوكم والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلتنا بنوا اسد كذلك جزاء الكافرين مثل ذلك جزاؤهم يفعل بهم مثل ما فعلوا فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة شرك ويكون الدين لله خالصا له ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين اي فلا تعتدوا على المنتهين اذ لا يحسن ان يظلم الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وسمي جزاء الظلم باسمه للمشاكلة كقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الامر عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة واتفق خروجهم لعمرة القضاء فيه وكرهوا ان يقاتلوهم فيه لحرمته فقيل لهم هذا الشهر بذاك وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص احتجاج عليه اي كل حرمة وهو ما يجب ان يحافظ عليها يجري فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة واقتلوهم ان قاتلوكم كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة التقرير واتقوا الله في الانتصار ولا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله ولا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك يقوي العدو ويسلطهم على اهلاككم ويؤيده ما روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهلينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمن معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي الانفس والتهلكة والهلاك والهلك واحد فهي مصدر كالتضرة والتسرة اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على المحاويج ان الله يحب المحسنين واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما تامين مستجمعي المناسك لوجه الله تعالى وهو على هذا يدل على وجوبهما ويؤيده قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة لله وما روى جابر رضي الله تعالى عنه انه قيل يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج فقال لا ولكن ان تعتمر خير لك فمعارض بما روي ان رجلا قال لعمر رضي الله تعالى عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك ولا يقال انه فسر وجدتهما مكتوبين بقوله اهللت بهما فجاز ان يكون الوجوب بسبب اهلاله بهما لانه رتب الاهلال على الوجدان وذلك يدل على انه سبب الاهلال دون العكس وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك او ان تفرد لكل منهما سفرا او ان تجرده لهما لا تشوبهما بغرض دنيوي او ان تكون النفقة حلالا فان احصرتم منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضي مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابي حنيفة

مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَٰٓأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

رحمه الله تعالى لما روى عنه عليه الصلوة والسلام من كسر او عرج فعليه الحج من قابل وهو ضعيف مأول بما اذا شرط الاحلال به لقوله عليه الصلوة والسلام لضباعة بنت الزبير حجى
واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى فما استيسر من الهدى فعليكم ما استيسر او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان احصر المحرم واراد ان يتحلل تحلل
بذبح هدى تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر لانه عليه الصلوة والسلام ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل وعند ابى حنيفة رحمه الله تعالى يبعث به ويجعل للمبعوث
على يديه يوم امارة فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله اى لا تحلقوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ محله اى مكانه الذى يجب
ان ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدى محله على ذبحه حيث يحل الذبح فيه حلا كان او حرما واقتصاره على الهدى دليل على عدم القضاء وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى يجب القضاء والمحل
بالكسر يطلق على المكان والزمان والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى فى مطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من رأسه كجراحة وقمل
ففدية فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية
واما قدرها فقد روى انه عليه الصلوة والسلام قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلاثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين
او انسك شاة والفرق ثلاثة آصع فاذا امنتم الاحصار او كنتم فى حال امن وسعة
فمن تمتع بالعمرة الى الحج فمن استمتع وانتفع بالتقرب الى الله بالعمرة قبل الانتفاع بتقربه
بالحج فى اشهره وقيل فمن استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان
يحرم بالحج فما استيسر من الهدى فعليه دم استيسره بسبب التمتع فهو دم جبران
يذبحه اذا احرم بالحج ولا يأكل منه وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انه دم نسك فهو كالاضحية
فمن لم يجد اى الهدى فصيام ثلاثة ايام فى الحج فى ايام الاشتغال به بعد الاحرام
وقبل التحلل وقال ابو حنيفة رحمه الله فى اشهره بين الاحرامين والاحب ان يصوم سابع
ذى الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز يوم النحر وايام التشريق عند الاكثرين وسبعة
اذا رجعتم الى اهليكم وهو احد قولى الشافعى رضى الله تعالى عنه او نفرتم وفرغتم من
اعماله وهو قوله الثانى ومذهب ابى حنيفة رحمه الله تعالى وقرئ سبعة بالنصب عطفا
على محل ثلاثة ايام تلك عشرة فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم متوهم ان
الواو بمعنى او كقولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان
اكثر العرب لم يحسنوا الحساب وان المراد بالسبعة العدد دون الكثرة فانه يطلق لها
كاملة صفة مؤكدة تفيد المبالغة فى محافظة العدد او مبينة كمال العشرة فانها اول
عدد كامل اذ به تنتهى الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى ذلك
اشارة الى الحكم المذكور عندنا والتمتع عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى اذ لا متعة ولا قران لحاضرى
المسجد الحرام عنده فمن فعل ذلك اى التمتع منهم فعليه دم جناية لمن لم يكن اهله حاضرى
المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على مسافة القصر عندنا فان من كان على اقل فهو مقيم
الحرم او فى حكمه ومن مسكنه وراء الميقات عنده واهل الحل عند طاوس وغير المكى عند
مالك واتقوا الله فى المحافظة على اوامره ونواهيه وخصوصا فى الحج واعلموا ان الله
شديد العقاب لمن لم يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان الحج اشهر اى وقته
كقولك البرد شهران معلومات معروفات وهى شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة بليلة النحر عندنا والعشر عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى عليه ود وذو الحجة كله عند مالك وبناء الخلاف على ان
المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وابو حنيفة رحمه الله وان صحح الاحرام به قبل شوال
فقد استكرهه وانما سمى شهرين وبعض الشهر اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد فمن فرض فيهن الحج فمن اوجب على نفسه بالاحرام فيهن عندنا او بالتلبية او سوق
الهدى عند ابى حنيفة رحمه الله تعالى وهو دليل على ما ذهب اليه الشافعى رحمه الله تعالى وان من احرم بالحج لزمه الاتمام فلا رفث فلا جماع او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود
الشرع بالسباب وارتكاب المحظورات ولا جدال ولا مراء مع الخدم والرفقة فى الحج فى ايامه نفى الثلاثة على قصد النهى للمبالغة والدلالة على انها حقيقة بان لا تكون وما كانت منها مستقبحة فى انفسها
ففى الحج اقبح كلبس الحرير فى الصلوة والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرأ ابن كثير وابو عمرو الاولين بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالنصب

وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ



على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا بان يقفوا ايضا بعرفة وما تفعلوا من خير يعلمه الله
حث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستبدل به ويستعمل مكانه وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون
ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان قضية اللب خشية الله وتقواه
حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بها هو الله تعالى فيتبرأ عن كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب ليس عليكم
جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة قيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يقيمونها مواسم الحج و
كانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات دفعتم منها بكثرة من افضت الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول

لا يحب الفساد ﴿٢٠٥﴾ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم
فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴿٢٠٦﴾ ومن الناس من يشري
نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد ﴿٢٠٧﴾
يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات
الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴿٢٠٨﴾ فإن زللتم من بعد
ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴿٢٠٩﴾
هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة
وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور ﴿٢١٠﴾ سل بني إسرائيل
كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد
ما جاءته فإن الله شديد العقاب ﴿٢١١﴾ زين للذين كفروا
الحيوة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا

كما حذف في دفعت من البصرة وعرفات جمع سمي به كاذرعات وانما نون وكسر
وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام
وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك اولان
التأنيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء تأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما في سعاد ولا يصح تقديرها لان المذكورة تمنعه
من حيث انها كالبدل لها لاختصاصها بالمؤنث كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت
لابرهيم عليه الصلوة والسلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام كان يدور به في المشاعر
فلما اراه قال قد عرفت او لان ادم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه
وعرفات للمبالغة في ذلك وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف وفيه دليل على وجوب
الوقوف بها لان الافاضة لا تكون الا بعده وهي مأمور بها بقوله ثم افيضوا او مقدمة
للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب بل مستحب وعلى تقدير انه واجب فهو
واجب مقيد لا واجب مطلق حتى يجب مقدمته والامر به مطلق فاذكروا الله
بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام جبل
يقف عليه الامام ويسمى قزح وقيل ما بين مازمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول
ما روى جابر انه عليه الصلوة والسلام لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى
اتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما سمي مشعرا لانه معلم العبادة
ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل والا
فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هديكم كما علمكم او اذكروه ذكرا
حسنا كما هديكم هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان
كنتم من قبله اي الهدى لمن الضالين اي الجاهلين بالايمان والطاعة وان
هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة وقيل ان نافية واللام بمعنى الا كقوله تعالى
وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب مع قريش كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا
بان يساووهم وثم لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى

غير كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب عام وقرئ الناس بالكسر اي الناسي يريد آدم من قوله سبحانه وتعالى فنسي والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه
واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ونحوه ان الله غفور رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فاذا قضيتم مناسككم فاذا قضيتم العبادات الحجية وفرغتم منها
فاذكروا الله كذكركم آباءكم فاكثروا ذكره وبالغوا فيه كما تفعلون بذكر آبائكم في المفاخرة وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر آبائهم ومحاسن ايامهم
او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعل الذكر ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا الله ذكرا كذكركم آباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم
اشد منكم ذكرا واما منصوب بالعطف على آباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورا من آبائكم او بمضمر دل عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله
منكم لآبائكم فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين الى مقل لا يطلب بذكر الله الا الدنيا ومكثر يطلب به خير الدارين والمراد الحث على الاكثار والارشاد اليه

فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَاللّٰهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّٰهُ النَّبِيّٖنَ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيْمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيْهِ إِلَّا الَّذِيْنَ أُوْتُوْهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنٰتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّٰهُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لِمَا اخْتَلَفُوْا فِيْهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهٖ وَاللّٰهُ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ إِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِيْنَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوْا حَتّٰى يَقُوْلَ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ مَتٰى نَصْرُ اللّٰهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُوْنَكَ مَاذَا يُنْفِقُوْنَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ

ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا وما له في الاخرة من خلاق اى نصيب وحظ لان همه مقصور بالدنيا او من طلب خلاق ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة يعنى الصحة والكفاف وتوفيق الخير وفي الاخرة حسنة يعنى الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو والمغفرة وقول على رضى الله تعالى عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب النار المرأة السوء وقول الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار وامثلة للمراد بها اولئك اشارة الى الفريق الثاني وقيل اليهما لهم نصيب مما كسبوا اى من جنسه وهو جزاؤه او من اجله كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا او مما دعوا به نعطيهم منه ماقدرناه فسمى الدعاء كسبا لانه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة او يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعات واكتساب الحسنات واذكروا الله في ايام معدودات كبروه في ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار وغيرها في ايام التشريق فمن تعجل فمن استعجل النفر في يومين يوم القر والذي بعده اى فمن نفر في ثاني ايام التشريق بعد رمى الجمار عندنا وقبل طلوع الفجر عند ابي حنيفة فلا اثم عليه باستعجاله ومن تأخر فلا اثم عليه ومن تأخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث بعد الزوال وقال ابو حنيفة يجوز تقديم رميه على الزوال ومعنى نفى الاثم بالتعجيل والتاخر التخيير بينهما والرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل ومنهم من اثم المتاخر لمن اتقى اى الذى ذكر من التخيير او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع بها او لاجله حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منهما واتقوا الله في مجامع اموركم ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون للجزاء بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المتفرق ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في نفسك والتعجب حيرة تعرض للانسان لجهله بسبب المتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بالقول اى ما يقوله في امور الدنيا واسباب المعاش او في معنى الدنيا فانها مراده من ادعاء المحبة واظهار الايمان او بيعجبك اى يعجبك قوله في الدنيا حلاوة وفصاحة ولا يعجبك في الاخرة لما يعتريه من الدهشة والحبسة او لانه لا يؤذن له في الكلام ويشهد الله على ما في قلبه يحلف ويستشهد الله على ان ما في قلبه موافق لكلامه وهو الد الخصام شديد العداوة والجدال للمسلمين والخصام المخاصمة ويجوز ان يكون جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى اشد الخصوم خصومة قيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويدعى الاسلام وقيل في المنافقين كلهم واذا تولى ادبر وانصرف عنك وقيل اذا غلب وصار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله الاخنس بثقيف اذ بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف او بالظلم حتى يمنع الله بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم حملته الانفة وحمية الجاهلية على الاثم الذى يؤمر باتقائه لجاجا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه فحسبه جهنم كفته جزاء وعذابا وجهنم علم لدار العقاب وهو في الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب ومن الناس من يشرى نفسه يبيعها اى يبذلها في الجهاد او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل ابتغاء مرضات الله طلبا لرضاه وقيل انها نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير لا ينفعكم ان كنت معكم ولا يضركم ان كنت عليكم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوه منه واتى المدينة والله رؤف بالعباد حيث ارشدهم الى مثل هذا الشراء وكلفهم بالجهاد فعرضهم لثواب الغزاة والشهداء يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة السلم بالكسر والفتح الاستسلام والطاعة ولذلك يطلق في الصلح والاسلام فتحه ابن كثير ونافع والكسائي وكسره الباقون وكافة اسم للجملة لانها تكف الاجزاء عن التفرق حال من الضمير او السلم لانها تؤنث كالحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع والمعنى استسلموا لله واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام بكليتكم ولا تخلطوا به غيره او الخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانهم بعد اسلامهم عظموا السبت وحرموا الابل والبانها او في شرائع الله كلها

بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب او في شعب الاسلام واحكامه كلها فلا تخلوا بشيء والخطاب للمسلمين ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات الايات والحجج الشاهدة على انه الحق فاعلموا ان الله عزيز لا يعجزه الانتقام حكيم لا ينتقم الا بحق هل ينظرون استفهام في معنى النفي ولذلك جاء بعده الا ان يأتيهم الله اي يأتيهم امره او بأسه كقوله تعالى او يأتي امر ربك فجاءهم بأسنا او يأتيهم الله ببأسه فحذف المأتي به للدلالة عليه بقوله تعالى ان الله عزيز حكيم في ظلل جمع ظلة كقلة وقلل وهي ما اظلك وقرئ ظلال كقلال من الغمام السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاء منه العذاب كان افظع لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اصعب فكيف اذا جاء من حيث يحتسب الخير والملائكة فانهم الواسطة في اتيان امره او الآتون على الحقيقة ببأسه وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وضع الماضي موضع المستقبل لدنوه وتيقن وقوعه وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملائكة والى الله ترجع الامور قرأه ابن كثير ونافع وابو عمرو وعاصم على البناء للمفعول على انه من الرجع وقرأ الباقون على البناء للفاعل بالتانيث غير يعقوب على انه من الرجوع وقرئ ايضا بالتذكير وبناء المفعول سل بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد والمراد بهذا السؤال تقريعهم كم آتيناهم من آية بينة معجزة ظاهرة او آية في الكتب شاهدة على الحق والصواب على ايدي الانبياء وكم خبرية او استفهامية مقررة ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العائد من الخبر الى المبتدأ وآية مميزها ومن للفصل ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله فانها سبب الهدى الذي هو اجل النعم بجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس او بالتحريف والتأويل الزائغ من بعد ما جاءته من بعد ما وصلت اليه وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها ولذلك قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة لانه ارتكب اشد جريمة زين للذين كفروا الحيوة الدنيا حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها واعرضوا عن غيرها والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله ويدل عليه قراءة زين على البناء للفاعل وكل من الشيطان والقوة الحيوانية وما خلقه الله فيها من الامور البهيمية والاشياء الشهية مزين بالعرض ويسخرون من الذين آمنوا يريد فقراء المؤمنين كبلال وعمار وصهيب اي يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم على العقبى ومن للابتداء كانهم جعلوا مبدأ السخرية منهم والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين وهم في اسفل السافلين او لانهم في كرامة وهم في مذلة او لانهم يتطاولون عليهم فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا وانما قال والذين اتقوا بعد قوله من الذين آمنوا ليدل على انهم متقون وان استعلاءهم للتقوى والله يرزق من يشاء في الدارين بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين على الحق فيما بين آدم وادريس او نوح او بعد الطوفان او متفقين على الجهالة والكفر في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين اي فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله فيما اختلفوا فيه وعن كعب الذي علمته من عدد الانبياء مائة واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر والمذكور في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون وانزل معهم الكتاب يريد به الجنس ولا يريد به انه انزل مع كل واحد كتابا يخصه فان اكثرهم لم يكن معهم كتاب يخصهم وانما كانوا يأخذون بكتب من قبلهم بالحق حال من الكتاب اي ملتبسا بالحق شاهدا به ليحكم بين الناس اي الله او النبي المبعوث او كتابه فيما اختلفوا فيه في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه في الحق او الكتاب الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل مزيحا للاختلاف سببا لاستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه اي للحق الذي فيه من اختلف من الحق بيان لما اختلفوا فيه باذنه بامره او بارادته ولطفه

وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا

والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم لا يضل سالكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بعد ما ذكر اختلاف الامم على الانبياء بعد مجيئ الآيات تشجيعا لهم على الثبات مع مخالفيهم وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما يأتكم ولم يأتكم واصل لما لم زيدت عليها ما وفيها توقع ولذلك جعل مقابل قد مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في الشدة مستهم البأساء والضراء بيان له على الاستئناف وزلزلوا وازعجوا ازعاجا شديدا بما اصابهم من الشدائد حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه لتناهي الشدة واستطالة المدة بحيث تقطعت حبال الصبر وقرأ نافع يقول بالرفع على انها حكاية حال ماضية كقولك مرض حتى لا يرجونه متى نصر الله استبطاء له لتأخره الا ان نصر الله قريب استئناف على ارادة القول اي فقيل لهم ذلك اسعافا لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وفيه اشارة الى ان الوصول الى الله والفوز بالكرامة عنده برفض الهوى واللذات ومكابدة الشدائد والرياضات كما قال عليه الصلوة والسلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات يسئلونك ماذا ينفقون عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمرو بن الجموح الانصاري كان شيخا هما ذا مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل سئل عن المنفق فاجيب ببيان المصرف لانه اهم فان اعتداد النفقة باعتباره ولانه كان في سؤال عمرو وان لم يكن مذكورا في الآية واقتصر في بيان المنفق على ما تضمنه قوله ما انفقتم من خير وما تفعلوا من خير في معنى الشرط فان الله به عليم جوابه اي ان تفعلوا خيرا فان الله يعلم كنهه ويوفي ثوابه وليس في الآية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ به كتب عليكم القتال وهو كره لكم شاق عليكم مكروه طبعا وهو مصدر نعت به للمبالغة او فعل بمعنى مفعول كالخبز وقرئ بالفتح على انه لغة فيه كالضعف والضعف او بمعنى الاكراه على المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدته وعظم مشقته كقوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوا به فان الطبع يكرهه وهو مناط صلاحهم وسبب فلاحهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه فان النفس تحبه وتهواه وهو يفضي بها الى الردى وانما ذكر عسى لان النفس اذا ارتاضت ينعكس الامر عليها والله يعلم ما هو خير لكم وانتم لا تعلمون ذلك وفيه دليل على ان الاحكام تتبع المصالح الراجحة وان لم تعرف عينها يسئلونك عن الشهر الحرام روي انه عليه الصلوة والسلام بعث عبد الله بن جحش ابن عمته اميرا على سرية في جمادى الآخرة قبل بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها تجارة الطائف وكان ذلك غرة رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم وشق على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة وهو اول غنيمة في الاسلام والسائلون هم المشركون كتبوا اليه في ذلك تشنيعا وتعييرا وقيل اصحاب السرية قتال فيه بدل اشتمال من الشهر الحرام وقرئ عن قتال بتكرير العامل

خالدون ﴿٢١٧﴾ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم ﴿٢١٨﴾ يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ﴿٢١٩﴾ في الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم ﴿٢٢٠﴾ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير

قل قتال فيه كبير اي ذنب كبير والاكثر على انه منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم خلافا لعطاء وهو نسخ الخاص بالعام وفيه خلاف والاولى منع دلالة الآية على حرمة القتال فيه مطلقا فان قتال فيه نكرة في حيز مثبت فلا تعم وصد صرف ومنع عن سبيل الله اي الاسلام او ما يوصل العبد الى الله من الطاعات وكفر به اي بالله والمسجد الحرام على ارادة المضاف اي وصد المسجد الحرام كقول ابي داود اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا ولا يحسن عطفه على سبيل الله لان عطف قوله وكفر به على صد مانع منه اذ لا يقدم العطف على الموصول على العطف على الصلة ولا على الهاء في به فان العطف على الضمير المجرور انما يكون باعادة الجار واخراج اهله منه اهل المسجد وهم النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية خطأ وبناء على الظن وهو خبر عن الاشياء الاربعة المعدودة من كبائر قريش وافعل مما يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اكبر من القتل اي ما ترتكبونه من الاخراج والشرك افظع مما ارتكبوه من قتل الحضرمي ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار لهم وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى للتعليل كقولك

اعبد الله حتى ادخل الجنة ان استطاعوا وهو استبعاد لاستطاعتهم كقول الواثق بقوته على قرنه ان ظفرت بي فلا تبق علي وايذان بانهم لا يردونهم ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم قيد الردة بالموت عليها في احباط الاعمال كما هو مذهب الشافعي والمراد بها الاعمال النافعة وقرئ حبطت بالفتح وهي لغة فيه في الدنيا لبطلان ما تخيلوه وفوات ما للاسلام من الفوائد الدنيوية والاخرة بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون كسائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت ايضا في اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك يرجون رحمة الله ثوابه اثبت لهم الرجاء اشعارا بان العمل غير موجب ولا قاطع في الدلالة سيما والعبرة بالخواتيم والله غفور لما فعلوه خطأ وقلة احتياط رحيم باجزال الاجر والثواب يسألونك عن الخمر والميسر روي انه نزل بمكة قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فاخذ المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذا في نفر من الصحابة

من مشرك ولو اعجبكم اولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين اياته للناس لعلهم يتذكرون ﴿٢٢١﴾ ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴿٢٢٢﴾ نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين ﴿٢٢٣﴾ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم ﴿٢٢٤﴾ لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت

قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن ابي وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا فانشد سعد شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه فشكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب والخمر في الاصل مصدر خمره اذا ستره سمي بها نقيع العنب والتمر اذا اشتد وغلى لانه يخمر العقل كما سمي سكرا لانه يسكره اي يحجزه وهي حرام مطلقا وكذا كل ما اسكر عند اكثر العلماء وقال ابو حنيفة عصير الزبيب والتمر اذا طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم اشتد حل شربه ما دون السكر والميسر ايضا مصدر كالموعد سمي به القمار لانه اخذ مال الغير بيسر او سلب يساره والمعنى يسألونك عن تعاطيهما لقوله تعالى قل فيهما اي في تعاطيهما اثم كبير من حيث انه يؤدي الى الانتكاب عن المأمور وارتكاب المحظور وقرأ حمزة والكسائي كثير بالثاء ومنافع للناس من كسب المال والطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وفي الخمر خصوصا تشجيع الجبان وتوفير المروءة وتقوية الطبيعة واثمهما اكبر من نفعهما اي المفاسد التي تنشأ منهما اعظم من المنافع المتوقعة منهما وهذا قيل انها المحرمة للخمر فان المفسدة اذا ترجحت على المصلحة اقتضت تحريم الفعل والاظهر انه ليس كذلك لما مر من ابطال مذهب المعتزلة ويسألونك ماذا ينفقون قيل سائله ايضا عمرو بن الجموح سأل اولا عن المنفق والمصرف ثم سأل عن كيفية الانفاق قل العفو العفو نقيض الجهد ومنه يقال للارض السهلة وهو ان ينفق ما تيسر له بذله ولا يبلغ منه الجهد قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض المغانم فقال خذها مني صدقة فاعرض عليه السلام عنه حتى كرر مرارا فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفها خذفا لو اصابه لشجه ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى وقرأ ابو عمرو برفع الواو

كذلك يبين الله لكم الايات اي مثل ما بين ان العفو اصلح من الجهد او ما ذكر من الاحكام والكاف في موضع النصب صفة لمصدر محذوف اي تبيينا مثل هذا التبيين وانما وحد العلامة والمخاطب به جمع على تأويل القبيل والجمع لعلكم تتفكرون في الدلائل والاحكام في الدنيا والاخرة في امور الدارين فتاخذون بالاصلح والانفع منهما وتجتنبون عما يضركم ولا ينفعكم او يضركم اكثر مما ينفعكم ويسألونك عن اليتامى لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم والاهتمام بامرهم فشق ذلك عليهم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم لاصلاحهم واصلاح اموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم فاخوانكم حث على المخالطة اي انهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط الاخ وقيل المراد بالمخالطة المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح وعيد ووعد لمن خالطهم لافساد واصلاح اي يعلم امره فيجازيه عليه ولو شاء الله لاعنتكم اي ولو شاء الله اعناتكم لاعنتكم اي كلفكم ما يشق عليكم من العنت وهي المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز غالب يقدر على الاعنات حكيم يحكم ما تقتضيه الحكمة

ويتبع لما طاقة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن اى ولا تتزوجوهن وقرئ بالضم اى ولا تزوجوهن من المسلمين والمشركات تعم الكتابيات لان اهل الكتاب مشركون لقوله تعالى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون ولكنها خصت عنها بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب روى انه عليه السلام بعث مرثد الغنوى الى مكة
ليخرج منها اناسا من المسلمين فاتته عناق وكان يهويها فى الجاهلية فقالت الا تخلو فقال ان الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بى فقال نعم ولكن استامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة خير من مشركة اى ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة فان الناس كلهم عبيد الله واماؤه ولو اعجبتكم بحسنها وشمائلها والواو للحال ولو بمعنى
ان وهو كثير ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولا تزوجوا منهم المؤمنات حتى يؤمنوا وهو على عمومه ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم تعليل للنهى عن مواصلتهم وترغيب فى
مواصلة المؤمنين اولئك اشارة الى المذكورين من المشركين والمشركات يدعون الى النار اى الكفر المؤدى الى النار فلا يليق موالاتهم ومصاهرتهم والله يدعوا اى
اولياء يعنى المؤمنين حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه تفخيما لشأنهم

قلوبكم والله غفور حليم (٢٢١) للذين يؤلون من
نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاءو فان الله غفور
رحيم (٢٢٢) وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم (٢٢٣)
والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولا يحل لهن
ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن ان كن يؤمن بالله
واليوم الاخر وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان ارادوا
اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال
عليهن درجة والله عزيز حكيم (٢٢٤) الطلاق مرتان
فامساك بمعروف او تسريح باحسان ولا يحل لكم ان
تاخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود
الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما

الى الجنة والمغفرة اى الاعتقاد والعمل الموصلين اليهما فهم الاحقاء بالمواصلة
باذنه بتوفيق الله تعالى وتيسيره او بقضائه وارادته ويبين اياته للناس لعلهم
يتذكرون لكى يتذكروا او ليكونوا بحيث يرجى منهم التذكر لما ركز فى العقول من ميل
الخير ومخالفة الهوى ويسألونك عن المحيض روى ان اهل الجاهلية كانوا لم
يساكنوا الحيض ولم يواكلوها كفعل اليهود والمجوس واستمر ذلك الى ان سال ابو الدحداح
فى نفر من الصحابة عن ذلك فنزلت والمحيض مصدر كالمجئ والمبيت ولعله
سبحانه انما ذكر يسألونك بغير واو ثلاثا ثم بها ثلاثا لان السؤالات الاول كانت فى اوقات
متفرقة والثلاثة الاخيرة كانت فى وقت واحد فلذلك ذكرها بحرف الجمع قل هو اذى
اى الحيض شئ مستقذر مؤذ من يقربه نفرة منه فاعتزلوا النساء فى المحيض
فاجتنبوا مجامعتهن لقوله عليه السلام انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم
باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وهو الاقتصاد بين افراط اليهود وتفريط النصارى
فانهم كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض وانما وصفه بانه اذى ورتب الحكم عليه
بالفاء اشعارا بانه العلة ولا تقربوهن حتى يطهرن تاكيد للحكم وبيان لغايته وهو
ان يغتسلن بعد الانقطاع ويدل عليه صريحا قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية
ابن عباس يطهرن اى يتطهرن بمعنى يغتسلن والتزاما قوله فاذا تطهرن فاتوهن
فانه يقتضى تاخير جواز الاتيان عن الغسل وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه ان
طهرت لاكثر الحيض جاز قربانها قبل الغسل من حيث امركم الله اى المأتى
الذى امركم الله به وحلله لكم ان الله يحب التوابين من الذنوب ويحب المتطهرين
اى المتنزهين عن الفواحش والاقذار كمجامعة الحائض والاتيان فى غير المأتى
نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم شبههن بها تشبيها لما يلقى فى ارحامهن من
النطف بالبذور فاتوا حرثكم اى فأتوهن كما تاتون المحارث وهو كالبيان
لقوله فاتوهن من حيث امركم الله انى شئتم من اى جهة شئتم روى ان اليهود
كانوا يقولون من جامع امرأته من دبرها فى قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم ما يدخر لكم من الثواب وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية عند الوطئ واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه واعلموا انكم
ملاقوه فتزودوا وما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين الكاملين فى الايمان بالكرامة والنعيم الدائم امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينصحهم ويبشر من صدقه وامتثل
امره منهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس نزلت فى الصديق رضى الله تعالى عنه لما حلف ان لا ينفق على مسطح لافترائه على عائشة
رضى الله تعالى عنها او فى عبد الله بن رواحة حلف ان لا يتكلم ختنه بشير بن النعمان ولا يصلح بينه وبين اخته والعرضة فعلة بمعنى المفعول كالقبضة تطلق لما يعرض دون
الشئ وللمعرض للامر ومعنى الاية على الاول لا تجعلوا الله حاجزا لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها كقوله عليه السلام لابن سمرة
اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذى هو خير

ولا

وكقوله يمينك وان مع صلتها عطف بيان لها واللام صلة عرضة لما فيها من معنى الاعتراض ويجوز ان تكون للتعليل ويتعلق ان بالفعل او بعرضة اى ولا تجعلوا الله عرضة لان تبروا الاجل ايمانكم به وعلى الثانى ولا تجعلوه معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم الحلاف بقوله ولا تطع كل حلاف مهين وان تبروا علة للنهى اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقويكم واصلاحكم بين الناس فان الحلاف مجترئ على الله تعالى والمجترئ عليه لا يكون برا متقيا ولا موثوقا به فى اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم اللغو الساقط الذى لا يعتد به من كلام وغيره ولغو اليمين ما لا عقد معه كما سبق به اللسان او تكلم به جاهلا لمعناه كقول العرب لا والله وبلى والله لمجرد التأكيد لقوله ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والمعنى لا يؤاخذكم الله بعقوبة ولا كفارة بما لا قصد معه ولكن يؤاخذكم بهما او باحدهما بما قصدتم من الايمان وواطأت فيها قلوبكم السنتكم وقال ابو حنيفة اللغو ان يحلف الرجل بناء على ظنه الكاذب والمعنى لا يعاقبكم بالخطأ تم فيه من الايمان ولكن يعاقبكم بما تعمدتم الكذب فيها والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة على يمين الجد تربصا للتوبة

فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّٰهِ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتّٰى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَاِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا اَنْ يَتَرَاجَعَا اِنْ ظَنَّا اَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللّٰهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللّٰهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَاِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ فَاَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ اَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا اٰيَاتِ اللّٰهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَمَا اَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَاِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ اَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

للذين يؤلون من نسائهم اى يحلفون على ان لا يجامعوهن والايلاء الحلف وتعديته بعلى ولكن لما ضمن هذا القسم معنى البعد عدى بمن تربص اربعة اشهر مبتدأ وما قبله خبره او فاعل الظرف على خلاف سبق والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف على الاتساع اى للمولى حق التلبث فى هذه المدة فلا يطالب بفئ ولا طلاق ولذلك قال الشافعى لا ايلاء الا فى اكثر من اربعة اشهر ويؤيده فان فاؤا اى رجعوا فى اليمين بالحنث فان الله غفور رحيم للمولى اثم حنثه اذا كفر او ما توخى بالايلاء من ضرار المرأة ونحوه بالفيئة التى هى كالتوبة وان عزموا الطلاق وان صمموا قصده فان الله سميع لطلاقهم عليم بغرضهم فيه وقال ابو حنيفة الايلاء فى اربعة اشهر فما دونها وحكمه ان المولى ان فاء فى المدة بالوطئ ان قدر وبالوعد ان عجز صح الفئ ولزم الواطئ ان يكفر والا بانت بعدها بطلقة وعندنا يطالب بعد المدة باحد الامرين فان ابى عنهما طلق عليه الحاكم والمطلقات يريد بها المدخول بهن من ذوات الاقراء لما دلت الآيات والاخبار ان حكم غيرهن خلاف ما ذكر يتربصن خبر بمعنى الامر وتغيير العبارة للتأكيد والاشعار بانه مما يجب ان يسارع الى امتثاله وكأن المخاطب قصد ان يمتثل الامر فيخبر عنه كقولك فى الدعاء رحمك الله وبناؤه على المبتدأ يزيده فضل تأكيد بانفسهن تهييج وبعث لهن على التربص فان نفوس النساء طوامح الى الرجال فامرن بان يقمعنها ويحملنها على التربص ثلاثة قروء نصب على الظرف او المفعول به اى يتربصن مضيها وقروء جمع قرء وهو يطلق للحيض لقوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة ايام اقرائك وللطهر الفاصل بين الحيضتين كقول الاعشى مورثة مالا وفى الحى رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا واصله الانتقال من الطهر الى الحيض وهو المراد به فى الآية لانه الدال على براءة الرحم لا الحيض كما قال الحنفية لقوله تعالى فطلقوهن لعدتهن اى وقت عدتهن والطلاق المشروع لا يكون فى الحيض واما قوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان فلا يقاوم ما رواه الشيخان فى قصة ابن عمر مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء امسك بعد وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة التى امر الله تعالى ان تطلق لها النساء وكان القياس ان يذكر بصيغة القلة التى هى الاقراء ولكنهم يتسعون فى ذلك فيستعملون كل واحد من البنائين مكان الآخر ولعل الحكم لما عم المطلقات ذوات الاقراء تضمن معنى الكثرة فحسن بناؤها ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن من الولد والحيض استعجالا فى العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على ان قولها مقبول فى ذلك ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ليس المراد منه تقييد نفى الحل بايمانهن بل التنبيه على انه ينافى الايمان وان المؤمن لا يجترئ عليه ولا ينبغى له ان يفعل وبعولتهن اى ازواج المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة اليهن ولكن اذا كان الطلاق رجعيا للآية التى تتلوها فالضمير اخص من المرجوع اليه ولا امتناع فيه كما لو كرر الظاهر وخصصه والبعولة جمع بعل والتاء لتأنيث الجمع كالعمومة والخؤولة او مصدر من قولك بعل حسن البعولة نعت به او اقيم مقام المضاف المحذوف اى واهل بعولتهن وافعل ههنا بمعنى الفاعل فى ذلك اى فى زمان التربص ان ارادوا اصلاحا بالرجعة لا اضرار المرأة وليس المراد منه شريطة قصد الاصلاح للرجعة بل التحريض عليه والمنع من قصد الضرار ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف اى ولهن حقوق على الرجال مثل حقوقهم عليهن فى الوجوب واستحقاق المطالبة عليها

لا في الجنس وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضل فيه لان حقوقهم في انفسهن وحقوقهن المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها اوشرف وفضيلة لانهم قوام عليهن وحراس لهن يشاركونهن في غرض الزواج ويخصون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام ممن خالف الاحكام حكيم يشرعها لحكم ومصالح الطلاق مرتان اي التطليق الرجعي اثنتان لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل اين الثالثة فقال عليه السلام اوتسريح باحسان وقيل معناه التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق ولذلك قالت الحنفية الجمع بين الطلقتين والثلاث بدعة فامساك بمعروف بالمراجعة وحسن المعاشرة وهو يؤيد المعنى الاول اوتسريح باحسان بالطلقة الثالثة اوبان لا يراجعها حتى تبين وعلى المعنى الاخير حكم مبتدأ وتخيير مطلق عقب به تعليمهم كيفية التطليق ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئا اي من الصدقات روي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسي ورأسه شيء والله ما اعيبه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر في الاسلام وما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة من رجال فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة اصدقها والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الآمرون بهما عند الترافع وقيل انه خطاب للازواج وما بعده خطاب للحكام وهو يشوش النظم على القراءة المشهورة الا ان يخافا اي الزوجان وقرئ يظنا وهو يؤيد تفسير الخوف بالظن ان لا يقيما حدود الله بترك اقامة احكامه من مواجب الزوجية وقرأ حمزة ويعقوب يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكام ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به على الرجل في اخذ ما افتدت به نفسها واختلعت وعلى المرأة في اعطائه تلك حدود الله اشارة الى ما حد من الاحكام فلا تعتدوها فلا تتعدوها بالمخالفة ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون تعقيب النهي بالوعيد مبالغة في التهديد واعلم ان ظاهر الاية يدل على ان الخلع لا يجوز من غير كراهة وشقاق ولا بجميع ما ساق الزوج اليها فضلا عن الزائد ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة سألت زوجها طلاقا في غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة وما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لجميلة اتردين عليه حديقته فقالت اردها وازيد عليها فقال عليه السلام اما الزائد فلا والجمهور استكرهوه ولكن نفذوه فان المنع عن العقد لا يدل على فساده وانه يصح بلفظ المفاداة فانه تعالى سماه افتداء واختلف في انه اذا جرى بغير لفظ الطلاق هل هو فسخ او طلاق ومن جعله فسخا احتج بقوله فان طلقها فان تعقيبه للخلع بعد ذكر الطلقتين يقتضي ان يكون طلقة رابعة لو كان الخلع طلاقا والاظهر انه طلاق لانه فرقة باختيار الزوج فهو كالطلاق بالعوض وقوله فان طلقها متعلق بقوله الطلاق مرتان تفسير لقوله اوتسريح باحسان اعترض بينهما ذكر الخلع دلالة على ان الطلاق يقع مجانا تارة وبعوض اخرى والمعنى فان طلقها بعد الثنتين فلا تحل له من بعد من بعد ذلك الطلاق حتى تنكح زوجا غيره حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى كل منهما كالتزوج وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد كابن المسيب واتفق الجمهور على انه لا بد من الاصابة لما روي ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فالاية مطلقة قيدتها السنة ويحتمل ان يفسر النكاح بالاصابة ويكون العقد مستفادا من لفظ الزوج والحكمة في هذا الحكم الردع عن التسرع الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح بشرط التحليل فاسد عند الاكثر وجوزه ابو حنيفة مع الكراهة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل من المرأة والزوج الاول الى الآخر بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان ما حده الله وشرعه من حقوق الزوجية وتفسير الظن بالعلم ههنا غير سديد لان عواقب الامور غيب تظن ولا تعلم ولانه

أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ



لايقال علمت ان يقوم زيد لان ان الناصبة للتوقع وهو ينافى العلم وتلك حدود الله اى الاحكام المذكورة يبينها لقوم يعلمون يفهمون ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء فبلغن
اجلهن اى اخر عدتهن والاجل يطلق للمدة ولمنتهاها فيقال لعمر الانسان وللموت الذى به ينتهى قال كل حى مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى اجله والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنو منه
على الاتساع وهو المراد فى الاية ليصح ان يترتب عليه فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والمعنى فراجعوهن من غير ضرار او خلوهن حتى تنقضى عدتهن من غير
تطويل وهو اعادة الحكم فى بعض صوره للاهتمام به ولا تمسكوهن ضرارا ولا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى تشارف الاجل ثم يراجعها ليطول العدة عليها فنهى
عنه بعد الامر بضده مبالغة ونصب ضرارا على العلة او الحال بمعنى مضارين لتعتدوا لتظلموهن بالتطويل او الالجاء الى الافتداء واللام متعلقة بالضرار اذ المراد تقييده ومن يفعل ذلك فقد
ظلم نفسه بتعريضها للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا بالاعراض عنها والتهاون فى العمل بما فيها من قولهم لمن لم يجد فى الامر انما انت هاذئ كانه نهى عن الهزؤ واراد به الامر بضده وقيل

أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ

كان الرجل يتزوج ويطلق ويعتق ويقول كنت العب فنزلت وعنه عليه السلام ثلاث جدهن
جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم التى من جملتها الهداية
وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم بالشكر والقيام بحقوقها وما انزل عليكم من الكتاب
والحكمة القرآن والسنة افردهما بالذكر اظهارا لشرفهما يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله
واعلموا ان الله بكل شئ عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اى انقضت
عدتهن وعن الشافعى رحمه الله تعالى دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين فلا تعضلوهن
ان ينكحن ازواجهن المخاطب به الاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين
عضل اخته جميلا ان ترجع الى زوجها الاول بالاستئناف فيكون دليلا
على ان المرأة لا تزوج نفسها اذ لو تمكنت منه لم يكن لعضل الولى معنى ولا يعارض باسناد
النكاح اليهن لانه بسبب توقفه على اذنهن وقيل الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد
مضى العدة ولا يتركونهن يتزوجن عدوانا وقسرا لانه جواب قوله واذا طلقتم النساء
وقيل الاولياء والازواج وقيل الناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر
فانه اذا وجد بينهم وهم راضون به كانوا كالفاعلين له والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج اذا تراضوا بينهم اى الخطاب
والنساء وهو ظرف لان ينكحن او لا تعضلوهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه
المروءة حال من الضمير المرفوع او صفة لمصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف
وفيه دلالة على ان العضل عن التزوج من غير كفو غير منهى عنه ذلك اشارة الى
ما مضى ذكره والخطاب للجمع على تأويل القبيل او كل واحد او ان الكاف لمجرد
الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه
وسلم على طريقة قوله يا ايها النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار
اليه امر لا يكاد يتصوره كل احد يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم
الآخر لانه المتعظ به والمنتفع ذلكم اى العمل بمقتضى ما ذكر ازكى لكم انفع
واطهر من دنس الآثام والله يعلم ما فيه من النفع والصلاح وانتم لا تعلمون
لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن امر عبر عنه بالخبر للمبالغة ومعناه الندب

او الوجوب فيختص بما اذا لم يرتضع الصبى الا من امه او لم توجد له ظئر او عجز الوالد عن الاستيجار والوالدات تعم المطلقات وغيرهن وقيل تختص بهن اذ الكلام فيهن حولين
كاملين اكده بصفة الكمال لانه مما يتسامح فيه لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان للمتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب
يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له وهو دليل على ان اقصى مدة الارضاع حولان ولا عبرة به بعدهما وانه يجوز ان ينقص عنه وعلى المولود له اى الذى يولد له يعنى
الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤن المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار
الام فجوزه الشافعى ومنعه ابو حنيفة ما دامت زوجة او معتدة نكاح بالمعروف حسب ما يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن
والتقييد بالمعروف ودليل على انه تعالى لا يكلف العبد بما لا يطيقه وذلك لا يمنع امكانه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل له وتقرير اى لا يكلف كل واحد منهما الآخر

أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ
إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ
وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
وَالصَّلَوٰةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ
فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا
عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ
مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ
فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ
مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ

ماليس في وسعه ولا يضاره بسبب الولد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب لاتضار بالرفع بدلا من قوله لاتكلف واصله على القراءتين تضارر بالكسر على البناء للفاعل او الفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لاتضر الوالدة بالولد فتفرط في تعهده وتقصر فيما ينبغي له وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد اليها تارة واليه اخرى استعطاف لهما عليه وتنبيه على انه حقيق بان يتفقا على استصلاحه والاشفاق فلا ينبغي ان يضرا به او يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تعليل معترض والمراد بالوارث وارث الاب وهو الصبي اى تمأن المرضعة من ماله اذا مات الاب وقيل الباقي من الابوين من قوله عليه الصلاة والسلام واجعله الوارث منا وكلا القولين يوافق مذهب الشافعي اذ لانفقة عنده فيما عدا الولاد وقيل وارث الطفل واليه ذهب ابن ابي ليلى وقيل وارثه المحرم منه وهو مذهب ابي حنيفة وقيل عصباته وبه قال ابو زيد وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور اى فصالا صادرا عن التراضي منهما والتشاور بينهما قبل الحولين والتشاور والمشاورة والمشورة استخراج الرأى من شرت العسل اذا استخرجته فلا جناح عليهما في ذلك وانما اعتبر تراضيهما مراعاة لصلاح الطفل وحذارا ان يقدم احدهما على ما يضر به لغرض وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اى تسترضعوا المراضع لاولادكم يقال ارضعت المرأة الطفل واسترضعتها اياه كقولك انجح الله حاجتي واستنجحته اياها فحذف المفعول الاول للاستغناء عنه فلا جناح عليكم فيه واطلاقه يدل على ان للزوج ان يسترضع الولد ويمنع الزوجة من الارضاع اذا سلمتم الى المراضع ما آتيتم ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرأ ابن كثير ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ اوتيتم اى ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة بالمعروف صلة سلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله وليس اشتراط التسليم لجواز الاسترضاع بل لسلوك ما هو الاولى والاصلح للطفل واتقوا الله مبالغة في المحافظة على ما شرع في امر الاطفال والمراضع واعلموا ان الله بما تعملون بصير حث وتهديد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اى وازواج الذين او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالي لانها غرر الشهور والايام ولذلك لم يستعملوا التذكير في مثله قط ذهابا الى الايام حتى انهم يقولون صمت عشرا ويشهد له قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما ولعل المقتضي لهذا التقدير ان الجنين في غالب الامر يتحرك لثلاثة اشهر ان كان ذكرا ولاربعة ان كان انثى فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف حركته في المبادي فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية فيه كما قاله الشافعي والحرة والامة كما قاله الاصم والحامل وغيرها لكن القياس اقتضى تنصيف المدة للامة والاجماع خص الحامل عنه لقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن علي وابن عباس انها تعتد باقصى الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اى انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة او المسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب وسائر ما حرم عليهن للعدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع ومفهومه انهن لو فعلن ما ينكره فعليهم ان يكفوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض والتلويح ايهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك والكناية هي الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف والخطبة بالضم والكسر اسم للحالة غير ان المضمومة خصت بالموعظة والمكسورة بطلب المرأة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة وتعريض خطبتها ان يقول لها انك جميلة او نافعة ومن غرضي ان اتزوج ونحو ذلك او اكننتم في انفسكم او اضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا

آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ
أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا
أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ
وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي
إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا
نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ

استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا وجماعا عبر بالسر عن الوطء لانه مما يسر ثم عن العقد لانه سبب فيه وقيل معناه لا تواعدوهن في السر على ان المعنى بالمواعدة في السر المواعدة بما يستهجن الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا والمستثنى منه محذوف اى لا تواعدوهن مواعدة الا مواعدة معروفة او الا مواعدة بقول معروف وقيل انه استثناء منقطع من سرا وهو ضعيف لاداته الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وهو غير موعود وفيه دليل حرمة التصريح بخطبة المعتدة وجواز تعريضها ان كانت معتدة وفاة واختلف في معتدة الفراق البائن والاظهر جوازه ولا تعزموا عقدة النكاح ذكر العزم مبالغة في النهى عن العقد اى ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح فان اصل العزم القطع حتى يبلغ الكتاب اجله حتى ينتهى ما كتب من العدة واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا واعلموا ان الله غفور لمن عزم ولم يفعل خشية من الله حليم لا يعاجلكم بالعقوبة لا جناح عليكم لا تبعة من مهر وقيل من وزر لانه لا بدعة في الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى تجامعوهن وقرأ حمزة والكسائى تماسوهن بضم التاء ومد الميم في جميع القرآن او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا او حتى تفرضوا او وتفرضوا والفرض تسمية المهر وفريضة نصب على المفعول به فعيلة بمعنى المفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية ويحتمل المصدر والمعنى انه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر اذا كانت المطلقة غير ممسوسة ولم يسم لها مهرا اذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى او مهر المثل ولو كانت غير ممسوسة ولكن سمى لها فلها نصف المسمى فمنطوق الاية ينفى الوجوب في الصورة الاولى ومفهومها يقتضى الوجوب على الجملة في الاخيرتين ومتعوهن عطف على مقدر اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وتقديرها مفوض الى رأى الحاكم ويؤيده قوله على الموسع قدره وعلى المقتر قدره اى على كل من الذى له سعة والمقتر الضيق الحال ما يطيقه وما يليق به ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام لانصارى طلق امرأته المفوضة قبل ان يمسها متعها بقلنسوتك وقال ابو حنيفة هى درع وملحفة وخمار على حسب الحال الا ان يقل مهر مثلها عن ذلك فلها نصف مهر المثل ومفهوم الاية يقتضى تخصيص ايجاب المتعة للمفوضة التى لم يمسها الزوج والحق بها الشافعى في احد قوليه الممسوسة المفوضة وغيرها قياسا وهو مقدم على المفهوم وقرأ حمزة وحفص وابن ذكوان بفتح الدال متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا على المحسنين الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع وسماهم محسنين للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم لما ذكر حكم المفوضة اتبعه حكم قسيمها اى فلهن او فالواجب نصف ما فرضتم لهن وهو دليل على ان الجناح المنفى ثمه تبعة المهر وان لا متعة مع التشطير لانه قسيمها الا ان يعفون اى المطلقات فلا يأخذن شيئا والصيغة تحتمل التذكير والتأنيث والفرق ان الواو في الاول ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانى لام الفعل والنون ضمير والفعل مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا ونصب المعطوف عليه او يعفو الذى بيده عقدة النكاح اى الزوج المالك لعقده وحله عما يعود اليه بالتشطير فيسوق المهر اليها كاملا وهو مشعر بان الطلاق قبل المسيس مخير الزوج غير مشطر بنفسه واليه ذهب بعض اصحابنا والحنفية وقيل الولى الذى يلى عقد نكاحهن وذلك اذا كانت المرأة صغيرة وهو قول قديم للشافعى رحمه الله وان تعفوا اقرب للتقوى يؤيد الوجه الاول وعفو الزوج على وجه التخيير ظاهر وعلى الوجه الاخر عبارة عن الزيادة على الحق وتسميتها عفوا اما على المشاكلة واما لانهم يسوقون المهر الى النساء عند التزوج فمن طلق قبل المسيس استحق استرداد النصف وان لم يسترده فقد عفا عنه وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم حافظوا على الصلوات بالاداء لوقتها والمداومة عليها ولعل الامر بها في تضاعيف احكام الاولاد

والازواج لئلا يلهيهم الاشتغال بشأنهم عنها والصلاة الوسطى اى الوسطى بينها او الفضلى منها خصوصا وهى صلاة العصر لقوله عليه الصلاة والسلام يوم الاحزاب شغلونا
عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها واجتماع الملائكة وقيل صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم
فكانت افضل لقوله عليه الصلاة والسلام افضل العبادات احمزها وقيل صلاة الفجر لانها بين صلاتى النهار والليل والواقعة فى الحد المشترك بينهما ولانها مشهودة وقيل المغرب لانها المتوسطة
بالعدد ووتر النهار وقيل العشاء لانها بين جهريتين واقعتين طرفى الليل وعن عائشة رضى الله عنها انه عليه الصلوة والسلام كان يقرأ والصلوة الوسطى وصلاة العصر فتكون صلاة
من الاربع خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ بالنصب على الاختصاص وقوموا لله فى الصلوة قانتين ذاكرين له فى القيام والقنوت الذكر فيه وقيل خاشعين وقال
ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان خفتم من عدو او غيره فرجالا او ركبانا فصلوا راجلين او راكبين ورجال جمع راجل او رجل بمعناه كقائم وقيام وفيه دليل على وجوب

الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾
وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ
وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ
وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ
أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ
مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَٰئِكَةُ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ
مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ

الصلاة حال المسايفة واليه ذهب الشافعى وقال ابو حنيفة لا يصلى حال المشى والمسايفة
مالم يمكن الوقوف فاذا امنتم وزال خوفكم فاذكروا الله صلوا صلاة الامن او اشكروه
على الامن كما علمكم ذكرا مثل ما علمكم من الشرائع وكيفية الصلاة حالتى الخوف والامن
او شكرا يوازيه وما مصدرية او موصولة ما لم تكونوا تعلمون مفعول علمكم والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم قرأ بالنصب ابو عمرو وابن عامر
وحمزة وحفص عن عاصم على تقدير والذين يتوفون منكم يوصون وصية او ليوصوا
وصية او كتب الله عليهم وصية او الزم الذين يتوفون وصية ويؤيد ذلك قراءة كتب
عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكانه وقرأ الباقون بالرفع على تقدير ووصية
الذين يتوفون او وحكمهم وصية او والذين يتوفون اهل وصية او كتب عليهم وصية
او عليهم وصية وقرئ متاع بدلها متاعا الى الحول نصب بيوصون ان اضمرت
والا فبالوصية وبمتاع على قراءة من قرأه لانه بمعنى التمتيع غير اخراج بدل منه
او مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او حال من ازواجهم اى غير مخرجات
والمعنى انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن
بعدهم حولا بالسكنى والنفقة وكان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
اربعة اشهر وعشرا وهو وان كان متقدما فى التلاوة فهو متأخر فى النزول وسقطت
النفقة بتوريثها الربع او الثمن والسكنى لها بعد ثابتة عندنا خلافا لابى حنيفة رحمه
الله فان خرجن عن منزل الازواج فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن
كالتطيب وترك الحداد من معروف مما لم ينكره الشرع وهذا يدل على انه لم يكن يجب
عليها ملازمة مسكن الزوج والحداد عليه وانما كانت مخيرة بين الملازمة واخذ
النفقة وبين الخروج وتركها والله عزيز ينتقم ممن خالفه منهم حكيم
راعى مصالحهم وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اثبت المتعة
للمطلقات جميعا بعدما اوجبها لواحدة منهن وافراد بعض العام بالحكم لا يخصصه
الا اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم ولذلك اوجبها ابن جبير لكل مطلقة
واول غيره بما يعم التمتيع الواجب والمستحب وقال قوم المراد بالمتاع نفقة العدة
ويجوز ان تكون اللام للعهد والتكرير للتأكيد او لتكرير القصة كذلك اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدة يبين الله لكم آياته وعد بانه سيبين لعباده
من الدلائل والاحكام ما يحتاجون اليه معاشا ومعادا لعلكم تعقلون لعلكم تفهمونها فتستعملون العقل فيها ألم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب
وارباب التواريخ وقد يخاطب به من لم ير ومن لم يسمع فانه صار مثلا فى التعجيب الى الذين خرجوا من ديارهم يريد اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم طاعون فخرجوا هاربين
فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويتيقنوا ان لا مفر من قضاء الله تعالى وقدره او قوما من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم
وهم الوف اى الوف كثيرة قيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون وقيل متألفون جمع الف او آلف كقاعد وقعود والواو للحال حذر الموت مفعول له فقال لهم الله موتوا اى قال لهم موتوا فماتوا
كقوله كن فيكون والمعنى انهم ماتوا ميتة رجل واحد من غير علة بامر الله ومشيئته وقيل ناداهم به ملك وانما اسند الى الله تعالى تخويفا وتهويلا ثم احياهم قيل مر

حزقيل عليه السلام على اهل داوردان وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فتعجب من ذلك فاوحى الله تعالى اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فقاموا يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وفائدة القصة تشجيع المسلمين على الجهاد والتعريض للشهادة وحثهم على التوكل والاستسلام للقضاء ان الله لذو فضل على الناس حيث احياهم ليعتبروا ويفوزوا وقص عليكم حالهم ليستبصروا ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يشكرونه كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار وقاتلوا فى سبيل الله لما بين ان الفرار من الموت غير مخلص وان المقدر لا محالة واقع امرهم بالقتال اذ لو جاء اجلهم ففى سبيل الله والا فالنصر والثواب واعلموا ان الله سميع لما يقوله المتخلف والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء من ذا الذى يقرض الله من استفهامية مرفوعة الموضع بالابتداء وذا خبره والذى صفة ذا او بدله واقراض الله مثل لتقديم العمل الذى يطلب به ثوابه قرضا حسنا اقراضا حسنا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا وقيل القرض الحسن المجاهدة والانفاق فى سبيل الله فيضاعفه له فيضاعف

فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ

جزاءه اخرجه على صورة المغالبة للمبالغة وقرأ عاصم بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فان من ذا الذى يقرض الله فى معنى ايقرض الله احد وقرأ ابن كثير فيضعفه بالرفع والتشديد وابن عامر ويعقوب بالنصب اضعافا كثيرة كثرة لا يقدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة واضعافا جمع ضعف ونصبه على الحال من الضمير المنصوب او المفعول الثانى لتضمن المضاعفة معنى التصيير او المصدر على ان الضعف اسم المصدر وجمعه للتنويع والله يقبض ويبسط يقتر على بعض ويوسع على بعض حسب ما اقتضت حكمته فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدل حالكم وقرأ نافع والكسائى والبزى وابو بكر بالصاد ومثله فى الاعراف فى قوله تعالى وزادكم فى الخلق بصطة واليه ترجعون فيجازيكم على حسب ما قدمتم الم تر الى الملأ من بنى اسرائيل الملأ جماعة يجتمعون للتشاور ولا واحد له كالقوم ومن للتبعيض من بعد موسى اى من بعد وفاته ومن للابتداء اذ قالوا لنبى لهم هو يوشع او شمعون او اشمويل عليهم السلام ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله اقم لنا اميرا ننهض معه للقتال يدبر امره ونصدر فيه عن رأيه وجزم نقاتل على الجواب وقرئ بالرفع على انه حال اى ابعثه لنا مقدرين القتال ويقاتل بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب والوصف لملكا قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ان لا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشرط والمعنى اتوقع جبنكم عن القتال ان كتب عليكم فادخل هل على فعل التوقع مستفهما عما هو المتوقع عنده تقريرا وتثبيتا وقرأ نافع عسيتم بكسر السين قالوا وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى اى غرض لنا فى ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه ويحث عليه من الاخراج عن الاوطان والافراد عن الاولاد وذلك ان جالوت ومن معه من العمالقة كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بنى اسرائيل فاخذوا ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء الملوك اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم فى ترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا طالوت علم عبرى كداود وجعله فعلوتا من الطول تعسف يدفعه منع صرفه



روى ان نبيهم عليه السلام لما دعا الله ان يملكهم اتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت قالوا انى يكون له الملك علينا من اين يكون له ذلك ويتأهل ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال والحال انا احق بالملك منه وراثة ومكنة وانه فقير لا مال له يعتضد به وانما قالوا ذلك لان طالوت كان فقيرا راعيا او سقاء او دباغا من اولاد بنيامين ولم يكن فيهم النبوة والملك وانما كانت النبوة فى اولاد لاوى بن يعقوب والملك فى اولاد يهوذا وكان فيهم من السبطين خلق قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم لما استبعدوا تملكه لفقره وسقوط نسبه رد عليهم ذلك اولا بان العمدة فيه اصطفاء الله وقد اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان الشرط فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة البدن ليكون اعظم خطرا فى القلوب واقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم وقد زاده الله فيهما وكان الرجل القائم يمد يده فينال رأسه وثالثا بانه تعالى مالك الملك على الاطلاق فله ان يؤتيه من يشاء ورابعا بانه واسع الفضل يوسع على الفقير ويغنيه عليم

بن يليق بالملك من النسب وغيره وقال لهم نبيهم لما طلبوا منه حجة على انه سبحانه وتعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت الصندوق فعلوت من التوب
وهو الرجوع فانه لايزال يرجع اليه ما يخرج منه وليس بفاعول لقلته نحو سلس وقلق ومن قراءه بالهاء فلعله ابدله منه كما ابدل من تاء التأنيث لاشتراكهما في الهمس والزيادة
يريد به صندوق التورية وكان من خشب الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين فيه سكينة من ربكم الضمير للاتيان اى في اتيانه سكون لكم وطمانينة او للتابوت
اى مودع فيه ما تسكنون اليه وهو التورية وكان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون وقيل صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس
وذنب كرأس الهرة وذنبها وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يتبعونه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وقيل صور الانبياء من آدم الى محمد عليهم الصلاة والسلام وقيل
التابوت هو القلب والسكينة ما فيه من العلم والاخلاص واتيانه مصير قلبه مقر العلم والوقار بعد ان لم يكن وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه
وعمامة هرون وآلهما ابناؤهما وانفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني اسرائيل
لانهم ابناء عمهما تحمله الملائكة قيل رفعه الله بعد موسى فنزلت به الملائكة وهم
ينظرون اليه وقيل كان بعده مع انبيائهم يستفتحون به حتى افسدوا فغلبهم الكفار
عليه وكان في ارض جالوت الى ان ملك الله طالوت فاصابهم ببلاء حتى هلكت خمس
مدائن فتشأموا بالتابوت فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مؤمنين يحتمل ان يكون من تمام كلام النبي عليه السلام وان يكون ابتداء
خطاب من الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود انفصل بهم عن بلده لقتال العمالقة
واصله فصل نفسه عنه ولكن لما كثر حذف مفعوله صار كاللازم روى انه قال لهم
لايخرج معي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت
قيظا فسلكوا مفازة وسألوا ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر معاملكم
معاملة المختبر بما اقترحتموه فمن شرب منه فليس مني فليس من اشياعي او ليس
بمتحد معي ومن لم يطعمه فانه مني اى ومن لم يذقه من طعم الشيء اذ اذاقه مأكولا
او مشروبا قال الشاعر وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا وانما علم ذلك بالوحي ان كان
نبيا كما قيل او باخبار النبي عليه السلام الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله فمن
شرب وانما قدمت عليه الجملة الثانية للعناية بها كما قدم الصابئون على الخبر في قوله
ان الذين امنوا والذين هادوا والمعنى الرخصة في القليل دون الكثير وقرأ ابن عامر والكوفيون
بضم الغين فشربوا منه الا قليلا منهم اى فكرعوا فيه اذ الاصل في الشرب منه ان لا يكون
بوسط وتعميم الاول ليتصل الاستثناء او افرطوا في الشرب الا قليلا منهم وقرئ بالرفع
حملا على المعنى فان قوله فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه والقليل كانوا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا وقيل ثلاثة آلاف وقيل الفا روى ان من اقتصر على الغرفة
كفته لشربه واداوته ومن لم يقتصر غلب عليه عطشه واسودت شفته ولم
يقدر ان يمضي وهكذا الدنيا لطالب الآخرة فلما جاوزه هو والذين امنوا معه
اى القليل الذين لم يخالفوه قالوا اى بعضهم لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت
وجنوده لكثرتهم وقوتهم قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى قال الخلص
منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه او علموا انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل هم القليل الذين ثبتوا معه والضمير في قالوا للكثير المنخزلين عنه اعتذارا
في التخلف وتخذيلا للقليل وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بحكمه وتيسيره وكم يحتمل الاستفهام والخبر ومن مزيدة او مبينة
والفئة الفرقة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته او من فاء اذا رجع فوزنها فعة او فلة والله مع الصابرين بالنصر والاثابة ولما برزوا لجالوت وجنوده
اى ظهروا لهم ودنوا منهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين التجأوا الى الله تعالى بالدعاء وفيه ترتيب بليغ اذ سألوا اولا افراغ الصبر في قلوبهم
الذي هو ملاك الامر ثم ثبات القدم في مداحض الحرب المسبب عنه ثم النصر على العدو المترتب عليهما غالبا فهزموهم باذن الله لكسروهم بنصره او مصاحبين لنصره
اياهم اجابة لدعائهم وقتل داود جالوت قيل كان ايشا في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيهم انه الذي

اللّٰهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ
وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اقْتَتَلُوا
وَلَٰكِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا
شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللّٰهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا
شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ

يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد كلمه في الطريق ثلاثة احجار وقالت لمانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته ورماه بها فقتله ثم زوجه طالوت بنته وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل ولم يجتمعوا قبل داود على ملك والحكمة اي النبوة وعلمه مما يشاء كالسرد وكلام الدواب والطير ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين ولولا ان الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم لغلبوا وافسدوا في الارض او لفسدت الارض بشؤمهم وقرأ نافع هنا وفي الحج دفاع الله تلك آيات الله اشارة الى ما قص من حديث الالوف وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت نتلوها عليك بالحق بالوجه المطابق الذي لا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وانك لمن المرسلين لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تلك الرسل اشارة الى الجماعة المذكورة قصصها في السورة او المعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم او جماعة الرسل واللام للاستغراق فضلنا بعضهم على بعض بان خصصناه بمنقبة ليست لغيره منهم من كلم الله تفصيل له وهو موسى وقيل

حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ

موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كلم موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمدا عليه السلام ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وبينهما بون بعيد وقرئ كلم الله وكالم الله بالنصب فانه كلم الله كما ان الله كلمه ولذلك قيل كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه متعددة او بمراتب متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خص بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا الوصف المستغني عن التعيين وقيل ابرهيم عليه السلام خصصه بالخلة التي هي اعلى المراتب وقيل ادريس عليه السلام لقوله تعالى ورفعناه مكانا عليا وقيل اولوا العزم من الرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس خصه بالتعيين لافراط اليهود والنصارى في تحقيره وتعظيمه وجعل معجزاته سبب تفضيله لانها آيات واضحة ومعجزات عظيمة لم يجمعها غيره ولو شاء الله هدى الناس جميعا ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الواضحة لاختلافهم في الدين وتضليل بعضهم بعضا ولكن اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيقه لالتزام دين الانبياء تفضلا ومنهم من كفر لاعراضه عنه بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل ما يريد فيوفق من يشاء فضلا ويخذل من يشاء عدلا والآية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتة الاقدام وانه يجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع لان اعتبار الظن فيما يتعلق بالعمل وان الحوادث بيد الله تعالى تابعة لمشيئته خيرا كان او شرا ايمانا او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم ما اوجبنا عليكم انفاقه من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة من قبل ان يأتي يوم لا تقدرون فيه على تدارك ما فرطتم والخلاص من عذابه اذ لا بيع فيه فتحصلون ما تنفقونه او تفتدون به من العذاب ولا خلة حتى يعينكم عليه اخلاؤكم او يسامحوكم به ولا شفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا حتى تتكلوا على شفعاء تشفع لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت ثلاثتها مع قصد التعميم لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقد فتحها

ابن كثير وابو عمرو ويعقوب على الاصل والكافرون هم الظالمون يريد التاركون للزكاة هم الظالمون الذين ظلموا انفسهم او وضعوا المال في غير موضعه وصرفوه على غير وجهه فوضع الكافرون موضعه تغليظا وتهديدا كقوله ومن كفر مكان من لم يحج وايذانا بان ترك الزكاة من صفات الكفار لقوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر والمعنى انه المستحق للعبادة لا غير وللنحاة خلاف في انه هل يضمر للاخبر مثل في الوجود او يصح ان يوجد الحي الذي يصح ان يعلم ويقدر وكل ما يصح له فهو واجب لا يزول لامتناعه عن القوة والامكان القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه فيعول من قام بالامر اذا حفظه وقرئ القيام والقيم لا تأخذه سنة ولا نوم السنة فتور يتقدم النوم قال ابن الرقاع وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم والنوم حال تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف الحواس الظاهرة عن الاحساس رأسا وتقديم السنة عليه وقياس المبالغة عكسه على ترتيب الوجود

والجملة نفي للتشبيه وتأكيد لكونه حيا قيوما فان من اخذه نعاس اونوم كان مأوف الحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير ولذلك ترك العاطف فيه وفي الجمل التي بعده له ما في السموات وما في الارض تقرير لقيوميته واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما اوخارجا عنهما متمكنا فيهما فهو ابلغ من قوله له ملك السموات والارض ومافيهن من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه بيان لكبرياء شأنه وانه لا احد يساويه او يدانيه ليستقل بان يدفع مايريده شفاعة واستكانة فضلا عن ان يعاوقه عنادا ومناصبة اي مخاصمة يعلم مابين ايديهم وماخلفهم ماقبلهم ومابعدهم اوبالعكس لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي اوامور الدنيا وامور الآخرة اوعكسه اومايحسونه ومايعقلونه ومايدركونه ومالايدركونه والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء اولما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء ولايحيطون بشيء من علمه من معلوماته الا بما شاء ان يعلموا وعطفه على ماقبله لان مجموعهما يدل على تفرده بالعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض تصوير لعظمته وتمثيل مجرد كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ولاكرسي في الحقيقة ولاقاعد وقيل كرسيه مجاز عن علمه اوملكه مأخوذ من كرسي العالم والملك وقيل جسم بين يدي العرش ولذلك سمي كرسيا محيط بالسموات السبع لقوله عليه الصلوة والسلام ما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك المشهور بفلك البروج وهو في الاصل اسم لما يقعد عليه ولايفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي وهو الملبد ولايؤده اي ولايثقله مأخوذ من الأود وهو الاعوجاج حفظهما اي حفظ السموات والارض فحذف الفاعل واضاف المصدر الى المفعول وهو العلي المتعالي عن الانداد والاشباه العظيم المستحقر بالاضافة اليه كل ماسواه وهذه الاية مشتملة على امهات المسائل الالهية فانها دالة على انه تعالى موجود واحد في الالوهية متصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره اذ القيوم هو القائم بنفسه المقيم لغيره منزه عن التحيز والحلول مبرأ عن التغير والفتور لايناسب الاشباح ولا يعتريه مايعتري الارواح مالك الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشديد الذي لايشفع عنده الا من اذن له العالم الاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة كل مايصح ان يملك ويقدر عليه لايؤده شاق ولايشغله شأن متعال عمايدركه وهم عظيم لايحيط به فهم ولذلك قال النبي عليه السلام ان اعظم آية في القرآن آية الكرسي من قرأها بعث الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته الى الغد من تلك الساعة وقال من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولايواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله لااكراه في الدين اذ الاكراه في الحقيقة الزام الغير فعلا لايرى فيه خيرا يحمله عليه ولكن قد تبين الرشد من الغي تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلائل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابدية والكفر غي يؤدي الى الشقاوة السرمدية والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار بمعنى النهي اي لاتكرهوا في الدين وهو اما عام منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم اوخاص باهل الكتاب لما روى ان انصاريا كان له ابنان تنصرا قبل البعث ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يارسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر اليه فنزلت فخلاهما فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان اوالاصنام اوكل ماعبد من دون الله اوصد عن عبادة الله تعالى فعلوت من الطغيان قلب عينه ولامه ويؤمن بالله بالتوحيد وتصديق الرسل فقد استمسك بالعروة الوثقى طلب الامساك من نفسه بالعروة الوثقى من الحبل الوثيق وهي مستعارة لمتمسك الحق من النظر الصحيح والرأي القويم لاانفصام لها لاانقطاع لها يقال فصمته فانفصم اذا كسرته والله سميع بالاقوال عليم بالنيات ولعله تهديد على النفاق الله ولي الذين آمنوا محبهم اومتولي امرهم والمراد بهم من اراد ايمانه وثبت في علمه انه يؤمن يخرجهم بهدايته وتوفيقه من الظلمات ظلمات الجهل واتباع الهوى وقبول الوساوس والشبه المؤدية الى الكفر الى النور الى الهدى الموصل الى الايمان

وهي خاوية على عروشها قال انى يحيي هذه الله بعد
موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت
قال لبثت يوما او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك
ولنجعلك اية للناس وانظر الى العظام كيف ننشزها
ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال اعلم ان الله على كل
شيء قدير ﴿٢٥٩﴾ واذ قال ابرهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال
فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل
جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان
الله عزيز حكيم ﴿٢٦٠﴾ مثل الذين ينفقون اموالهم

والجملة خبر بعد خبر او حال من المستكن فى الخبر او من الموصول او منهما او استئناف مبين او مقرر للولاية والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت اى الشياطين او المضلات من الهوى والشياطين وغيرهما يخرجونهم من النور الى الظلمات من النور الذى منحوه بالفطرة الى الكفر وفساد الاستعداد والانهماك فى الشهوات او من نور البينات الى ظلمات الشكوك والشبهات وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام واسناد الاخراج الى الطاغوت باعتبار السبب لا يأبى تعلق قدرته تعالى وارادته به اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير ولعل عدم مقابلته بوعد المؤمنين تعظيم لشأنهم الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته ان آتاه الله الملك لان آتاه اى ابطره ايتاء الملك وحمله على المحاجة او حاج لاجله شكرا لله على طريقة العكس كقولك عادانى لانى احسنت اليه او وقت ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك الكافر من المعتزلة اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من ان آتاه الله على الوجه الثانى ربى الذى يحيى ويميت يخلق الحيوة والموت فى الاجساد وقرأ حمزة رب بحذف الياء قال انا احيى واميت بالعفو عن القتل والقتل وقرأ نافع انا بالالف قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب اعرض ابراهيم عليه السلام عن الاعتراض عن معارضته الفاسدة الى الاحتجاج بما لا يقدر فيه على نحو هذا التمويه دفعا للمشاغبة وهو فى الحقيقة عدول عن مثال خفى الى مثال جلى من مقدوراته التى يعجز عن الاتيان بها غيره لا عن حجة الى اخرى ولعل نمرود زعم انه يقدر ان يفعل كل جنس يفعله الله فنقضه ابراهيم بذلك وانما حمله عليه بطر الملك وحماقته او اعتقاد الحلول وقيل لما كسر ابراهيم عليه السلام الاصنام سجنه اياما ثم اخرجه ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه وحاجه فيه فبهت الذى كفر فصار مبهوتا وقرئ فبهت اى فغلب ابراهيم الكافر والله لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالامتناع عن قبول الهداية وقيل لا يهديهم محجة الاحتجاج او سبيل النجاة او طريق الجنة يوم القيامة او كالذى مر على قرية تقديره او أرأيت مثل الذى فحذف لدلالة الم تر الى الذى حاج عليه وتخصيصه بحرف التشبيه لان المنكر للاحياء كثير والجاهل بكيفيته اكثر من ان يحصى بخلاف مدعى الربوبية وقيل الكاف مزيدة وتقدير الكلام الم تر الى الذى حاج او الذى مر وقيل انه عطف محمول على المعنى كأنه قيل الم تر كالذى حاج او كالذى مر وقيل انه من كلام ابراهيم ذكره جوابا لمعارضته وتقديره وان كنت تحيى فاحى كاحياء الله تعالى الذى مر وهو عزير بن شرخيا او الخضر او كافر بالبعث ويؤيده نظمه مع نمرود والقرية بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل القرية التى خرج منها الالوف وقيل غيرهما واشتقاقها من القرى وهو الجمع وهى خاوية على عروشها خالية ساقطة حيطانها على سقوفها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها اعترافا بالقصور عن معرفة طريق الاحياء واستعظاما لقدرة المحيى ان كان القائل مؤمنا واستبعادا ان كان كافرا وانى فى موضع نصب على الظرف بمعنى متى او على الحال بمعنى كيف فاماته الله مائة عام فالبثه ميتا مائة عام او اماته الله فلبث ميتا مائة عام ثم بعثه بالاحياء قال كم لبثت القائل هو الله وساغ ان يكلمه وان كان كافرا لانه آمن بعد البعث او شارف الايمان وقيل ملك او نبى قال لبثت يوما او بعض يوم كقول الظان وقيل انه مات ضحى وبعث بعد المائة قبيل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم على الاضراب قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير بمرور الزمان واشتقاقه من السنة والهاء اصلية ان قدر لام السنة هاء وهاء سكت ان قدرت واوا وقيل اصله لم يتسنن من الحمأ المسنون فابدلت النون الثالثة حرف علة كتقضى البازى وانما افرد الضمير لان الطعام والشراب كالجنس الواحد وقيل كان طعامه تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا وكان الكل على حاله وقرأ حمزة والكسائى لم يتسن بغير الهاء فى الوصل وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه او انظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته حفظناه بلا ماء وعلف كما حفظنا الطعام والشراب من التغير والاول ادل على الحال واوفق لما بعده ولنجعلك آية للناس اى وفعلنا ذلك لنجعلك آية روى انه اتى قومه على حماره وقال انا عزير فكذبوه فقرأ التورية من الحفظ ولم يحفظها احد قبله فعرفوه بذلك وقالوا هو ابن الله وقيل لما رجع الى منزله كان شابا واولاده شيوخا فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام يعنى عظام الحمار او الاموات الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها نحييها

فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ

اونرفع بعضها الى بعض وتركيبه عليه وكيف منصوب بننشزها والجملة حال من العظام اى انظر اليها محياة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب ننشرها من انشر الله الموتى وقرئ ننشرها
من نشر بمعنى انشر ثم نكسوها لحما فلما تبين له فاعل تبين مضمر يفسره ما بعده تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثانى
عليه او ماقبله اى فلما تبين له ما اشكل عليه وقرأ حمزة والكسائى قال اعلم على الامر والآمر مخاطبه او هو نفسه خاطبها به على طريق التبكيت واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى الموتى
انما سأل ذلك ليصير علمه عيانا وقيل لما قال نمرود انا احيى واميت قال له ان احياء الله تعالى برد الروح الى بدنها فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير آخر ثم
سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه على الجواب ان سئل عنه مرة اخرى قال اولم تؤمن بانى قادر على الاحياء باعادة التركيب والحيوة قال له ذلك وقد علم انه اعرق الناس فى الايمان ليجيب
بما اجاب به فيعلم السامعون غرضه قال بلى ولكن ليطمئن قلبى اى بلى آمنت ولكن سألت ذلك لازيد بصيرة وسكون قلب بمضامة العيان الى الوحى والاستدلال قال فخذ اربعة من الطير
قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة ومنهم من ذكر النسر بدل الحمامة وفيه ايماء الى ان احياء

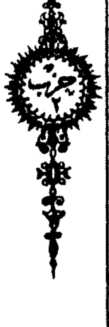
ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها
ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون
بصير ﴿٢٦٥﴾ ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب
تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه
الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار فيه نار
فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون ﴿٢٦٦﴾ يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات
ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا
الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا
فيه واعلموا ان الله غنى حميد ﴿٢٦٧﴾ الشيطان يعدكم

النفس بالحيوة الابدية انما يتأتى باماتة حب الشهوات والزخارف الذى هو صفة الطاوس
والصولة المشهور بها الديك وخسة النفس وبعد الامل المتصف بهما الغراب وقلة الرغبة
فى الترفع والمسارعة الى الهوى الموسوم بهما الحمام وانما خص الطير لانه اقرب الى الانسان
واجمع لخواص الحيوان والطير مصدر سمى به او جمع كصحب فصرهن اليك فاملهن
واضممهن اليك لتتأملها وتعرف شياتها لئلا يلتبس عليك بعد الاحياء وقرأ حمزة
ويعقوب فصرهن بالكسر وهما لغتان قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال
وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرئ فصرهن
بضم الصاد وكسرها مشددة الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه وفصرهن
من التصرية وهى الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا اى ثم جزئهن
وفرق اجزاءهن على الجبال التى بحضرتك قيل كانت اربعة وقيل سبعة وقرأ ابو بكر
جزأ وجزء وابضم الزاى حيث وقع ثم ادعهن قل لهن تعالين باذن الله يأتينك
سعيا ساعيات مسرعات طيرانا او مشيا روى انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها ويمسك رؤسها ويخلط سائر اجزائها ويوزعها على الجبال ثم
يناديهن ففعل ذلك فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم اقبلن
فانضممن الى رؤسهن وفيه اشارة الى ان من اراد احياء نفسه بالحيوة الابدية
فعليه ان يقبل على القوى البدنية فيقتلها ويمزج بعضها ببعض حتى تنكسر سورتها
فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع وكفى لك شاهدا على فضل
ابراهيم عليه السلام ويمن الضراعة فى الدعاء وحسن الادب فى السؤال انه تعالى
اراه ما اراد ان يريه فى الحال على ايسر الوجوه واراه عزيرا بعد ان اماته مائة عام
واعلم ان الله عزيز لا يعجز عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى كل ما يفعله ويذره
مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة اى مثل نفقتهم كمثل حبة او
مثلهم كمثل باذر حبة على حذف المضاف انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة
حبة اسند الانبات الى الحبة لما كانت من الاسباب كما يسند الى الارض والماء
والمنبت على الحقيقة هو الله والمعنى انه يخرج منها ساق يتشعب منها سبع شعب لكل منها سنبلة فيها مائة حبة وهو تمثيل لا يقتضى وقوعه وقد يكون فى الذرة والدخن
وفى البر فى الاراضى المغلة والله يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتعبه ومن اجل ذلك تفاوتت الاعمال فى مقادير
الثواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية المنفق وقدر انفاقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا
اذى نزلت فى عثمان رضى الله تعالى عنه فانه جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف فانه اتى النبى صلى الله عليه وسلم باربعة آلاف درهم
صدقة والمن ان يعتد باحسانه على من احسن اليه والاذى ان يتطاول عليه بسبب ما انعم عليه وثم للتفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون لعله لم يدخل الفاء فيه وقد تضمن ما اسند اليه معنى الشرط ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا قول معروف رد جميل

ومغفرة وتجاوز عن السائل للحاجة او نيل مغفرة من الله بالرد الجميل او عفو من السائل بان يعذره ويغتفر رده خير من صدقة يتبعها اذى خبر عنهما وانما صح الابتداء بالنكرة لاختصاصها بالصفة والله غنى عن انفاق بمن وايذاء حليم عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى لا تحبطوا اجرها بكل واحد منهما كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر كابطال المنافق الذى يرائى بانفاقه ولا يريد به رضاء الله تعالى ولا ثواب الآخرة او مماثلين الذى ينفق رياء الناس فالكاف فى محل النصب على المصدر او الحال ورياء نصب على المفعول له او الحال بمعنى مرئيا او المصدر اى انفاقا رياء فمثله اى فمثل المرائى فى انفاقه كمثل صفوان كمثل حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا املس نقيا من التراب لا يقدرون على شئ مما كسبوا لا ينتفعون بما فعلوا رياء ولا يجدون له ثوابا والضمير للذى ينفق باعتبار المعنى لان المراد به الجنس او الجمع كما فى قوله وان الذى حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد والله لا يهدى القوم الكافرين الى الخير والرشاد وفيه تعريض بان الرياء

الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ﴿٢٦٨﴾ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب ﴿٢٦٩﴾ وما انفقتم من نفقة او نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ﴿٢٧٠﴾ ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ﴿٢٧١﴾ ليس عليك هديهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم

والمن والاذى على الانفاق من صفات الكفار ولا بد للمؤمن ان يتجنب عنها ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم وتثبيتا لبعض انفسهم على الايمان فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء مبتدأ من اصل انفسهم وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية للنفس عن البخل وحب المال كمثل جنة بربوة اى ومثل نفقة هؤلاء فى الزكوة كمثل بستان بموضع مرتفع فان شجره يكون احسن منظرا وازكى ثمرا وقرأ ابن عامر وعاصم بربوة بالفتح وقرئ بالكسر وثلاثتها لغات فيها اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو بالسكون للتخفيف ضعفين مثلى ما كانت تثمر بسبب الوابل والمراد بالضعف المثل كما اريد بالزوج الواحد فى قوله تعالى من كل زوجين اثنين وقيل اربعة امثاله ونصبه على الحال اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فيصيبها او فالذى يصيبها طل او فطل يكفيها لكرم منبتها وبرودة هوائها لارتفاع مكانها وهو المطر الصغير القطر والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله لا تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من احواله ويجوز ان يكون التمثيل لحالهم عند الله تعالى بالجنة على الربوة ونفقاتهم الكثيرة والقليلة الزائدتين فى زلفاهم بالوابل والطل والله بما تعملون بصير تحذير عن الرياء وترغيب فى الاخلاص ايود احدكم الهمزة فيه للانكار ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات جعل الجنة منهما مع ما فيها من سائر الاشجار تغليبا لهما لشرفهما وكثرة منافعهما ثم ذكر ان فيها كل الثمرات ليدل على احتوائها على سائر انواع الاشجار ويجوز ان يكون المراد بالثمرات المنافع واصابه الكبر اى كبر السن فان الفاقة والعالة فى الشيخوخة اصعب والواو للحال او للعطف حملا على المعنى فكانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء صغار لا قدرة لهم على الكسب فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت عطف على اصابه او تكون باعتبار المعنى والاعصار ريح عاصفة تنعكس من الارض



الى السماء مستديرة كعمود والمعنى تمثيل حال من يفعل الافعال الحسنة ويضم اليها ما يحبطها كرياء وايذاء فى الحسرة والاسف اذا كان يوم القيامة واشتد حاجته اليها وجدها محبطة بحال من هذا شانه واشبههم به من جال بسره فى عالم الملكوت وترقى بفكره الى جناب الجبروت ثم نكص على عقبيه الى عالم الزور والتفت الى ما سوى الحق وجعل سعيه هباء منثورا كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون اى تتفكرون فيها فتعتبرون بها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من حلاله او جياده ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا من الحبوب والثمار والمعادن فحذف المضاف لتقدم ذكره ولا تيمموا الخبيث اى ولا تقصدوا الردئ منه اى من المال او مما اخرجنا لكم وتخصيصه بذلك لان التفاوت فيه اكثر وقرئ ولا تأمموا ولا تيمموا بضم التاء تنفقون حال مقدرة من فاعل تيمموا ويجوز ان يتعلق منه به ويكون الضمير للخبيث والجملة حالا منه ولستم بآخذيه اى وحالكم انكم لا تأخذونه فى حقوقكم لرداءته الا ان تغمضوا فيه الا ان تتسامحوا فيه مجاز من اغمض بصره اذا غضه وقرئ تغمضوا اى تحملوا على الاغماض او توجدوا مغمضين وعن ابن عباس

رضي الله عنه كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يامركم به لانتفاعكم حميد بقبوله واثابته الشيطان يعدكم الفقر في الانفاق والوعد في الاصل شائع في الخير والشر وقرئ الفقر بالضم والسكون وبضمتين وفتحتين ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل والعرب تسمي البخيل فاحشا وقيل المعاصي والله يعدكم مغفرة منه اي يعدكم في الانفاق مغفرة ذنوبكم وفضلا خلفا افضل مما انفقتم في الدنيا او في الاخرة والله واسع اي واسع الفضل لمن انفق عليم بانفاقه يؤتي الحكمة تحقيق العلم واتقان العمل من يشاء مفعول اول اخر للاهتمام بالمفعول الثاني ومن يؤت الحكمة بناؤه للمفعول لانه المقصود وقرأ يعقوب بالكسر اي ومن يؤته الله فقد اوتي خيرا كثيرا اي اي خير كثير اذ حيز له خير الدارين وما يذكر وما يتعظ بما قص من الآيات او ما يتفكر فان المتفكر كالمتذكر لما اودع الله في قلبه من العلوم بالقوة الا اولوا الالباب ذووا العقول الخالصة عن شوائب الوهم والركون الى متابعة الهوى وما انفقتم من نفقة قليلة او كثيرة سرا او علانية في حق او باطل او نذرتم من نذر بشرط او بغير شرط في طاعة او معصية فان الله يعلمه فيجازيكم عليه وما للظالمين الذين ينفقون في المعاصي وينذرون فيها او يمنعون الصدقات ولا يوفون بالنذور من انصار من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون وكسر العين على الاصل وقرأ ابو بكر وابو عمرو وقالون بكسر النون وسكون العين وروي عنهم بكسر النون واخفاء حركة العين وهو اقيس وان تخفوها وتؤتوها الفقراء اي تعطوها مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم وهذا في التطوع ومن لم يعرف بالمال فان ابداء الفرض لغيره افضل لنفي التهمة عن ابن عباس صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم قرأه ابن عامر وعاصم في رواية حفص بالياء اي والله يكفر او الاخفاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم في رواية ابن عياش ويعقوب بالنون مرفوعا على انه جملة فعلية مبتدأة او اسمية معطوفة على ما بعد الفاء اي ونحن نكفر وقرأ نافع وحمزة والكسائي به مجزوما على محل الفاء وما بعده وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعل الناس مهديين وانما عليك الارشاد والحث على المحاسن والنهي عن القبائح كالمن والاذى وانفاق الخبيث ولكن الله يهدي من يشاء صريح بان الهداية من الله تعالى وبمشيئته وانما تخص بقوم دون قوم وما تنفقوا من خير من نفقة معروفة فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا عليه ولا تنفقوا الخبيث وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله حال وكانه قال وما تنفقوا من خير فلانفسكم غير منفقين الا لابتغاء وجه الله وطلب ثوابه او عطف على ما قبله اي وليس نفقتكم الا لابتغاء وجهه فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث وقيل نفي في معنى النهي وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة فهو تأكيد للشرطية السابقة او ما يخلف للمنفق استجابة لقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا روي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار ورضاع في اليهود وكانوا ينفقون عليهم فكرهوا لما اسلموا ان ينفقوهم فنزلت وهذا في غير الواجب اما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكفار وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون ثواب نفقتكم للفقراء متعلق بمحذوف اي اعمدوا الفقراء او اجعلوا ما تنفقونه للفقراء او صدقاتكم للفقراء الذين احصروا في سبيل الله احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض ذهابا فيها للكسب وقيل هم اهل الصفة كانوا نحوا من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والعبادة وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين اغنياء من التعفف من اجل تعففهم عن السؤال تعرفهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد لا يسألون الناس الحافا الحاحا وهو ان يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده والمعنى انهم لا يسألون وان سألوا عن ضرورة لم يلحوا وقيل هو نفي للامرين كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره ونصبه على المصدر فانه كنوع من السؤال او على الحال وما تنفقوا من خير فان الله به عليم ترغيب في الانفاق وخصوصا

لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي

على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة بالعلانية وقيل في علي رضي الله تعالى عنه لايملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا ودرهم نهارا ودرهم سرا ودرهم علانية وقيل في ربط الخيل في سبيل الله والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون خبر الذين ينفقون والفاء للسببية وقيل للعطف والخبر محذوف اى ومنهم الذين ولذلك جوز الوقف على وعلانية الذين يأكلون الربوا اى الآخذون له وانما ذكر الاكل لانه اعظم منافع المال ولان الربوا شايع في المطعومات وهو زيادة في الاجل بان يباع مطعوم بمطعوم او نقد بنقد الى اجل او في العوض بان يباع احدهما باكثر منه من جنسه وانما كتب بالواو كالصلوة للتفخيم على لغة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لايقومون اذا بعثوا من قبورهم الاكما يقوم الذى يتخبطه الشيطان الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على مايزعمون ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط ضرب على غير اتساق كخبط العشواء من المس

الصَّدَقٰتِ وَاللّٰهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ اَثِيْمٍ ﴿٢٧٦﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ وَاَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتَوُا الزَّكٰوةَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ ﴿٢٧٧﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللّٰهَ وَذَرُوْا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبٰوٓا اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿٢٧٨﴾ فَاِنْ لَّمْ تَفْعَلُوْا فَاْذَنُوْا بِحَرْبٍ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوْسُ اَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُوْنَ وَلَا تُظْلَمُوْنَ ﴿٢٧٩﴾ وَاِنْ كَانَ ذُوْ عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ اِلٰى مَيْسَرَةٍ وَاَنْ تَصَدَّقُوْا خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوْا يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ﴿٢٨١﴾ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْۤا اِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ اِلٰۤى اَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوْهُ وَلْيَكْتُبْ بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِالْعَدْلِ

اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنى يمسه فيختلط عقله ولذلك قيل جن الرجل وهو متعلق بلايقومون اى لايقومون من المس الذى بهم بسبب اكل الربوا او بيقوم او يتخبط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم ولكن لان الله اربى في بطونهم ما اكلوه من الربوا فاثقلهم ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا اى ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربوا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه استحلاله وكان الاصل انما الربوا مثل البيع ولكن عكس للمبالغة كانهم جعلوا الربوا اصلا وقاسوا به البيع والفرق بين فان من اعطى درهمين بدرهم ضيع درهما ومن اشترى سلعة تساوى درهما بدرهمين فلعل مساس الحاجة اليها او توقع رواجها يجبر هذا الغبن واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم وابطال للقياس لمعارضته النص فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله تعالى وزجر بالنهى عن الربوا فانتهى فاتعظ وتبع النهى فله ماسلف تقدم اخذه التحريم ولايسترد منه وما في موضع الرفع بالظرف ان جعل من موصولة وبالابتداء ان جعل شرطية على رأى سيبويه اذ الظرف غير معتمد على ماقبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد الى تحليل الربوا اذ الكلام فيه فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لانهم كفروا به يمحق الله الربوا يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك فيما اخرجت منه وعنه عليه الصلوة والسلام ان الله يقبل الصدقة فيربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه الصلاة والسلام مانقصت زكاة من مال قط والله لايحب لايرضى ولايحب محبته للتوابين كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكوة عطفهما على مايعمهما لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم من آت ولاهم يحزنون على فائت ياايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقى من الربوا واتركوا بقايا ماشرطتم على الناس من الربوا ان كنتم مؤمنين بقلوبكم فان دليله امتثال ما امرتم به روى انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحل بالمال والربوا فنزلت فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشئ اذا علم به وقرأ حمزة وعاصم في رواية ابن عياش فآذنوا اى فاعلموا بها غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وتنكير حرب للتعظيم وذلك يقتضى ان يقاتل المربي بعد الاستتابة حتى يفئ الى امر الله كالباغي ولايقتضى كفره روى انها لما نزلت قال ثقيف لايدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء واعتقاد حله فلكم رؤس اموالكم لاتظلمون باخذ الزيادة ولاتظلمون بالمطل والنقصان ويفهم منه انهم ان لم يتوبوا فليس لهم رأس مالهم وهو سديد على ماقلنا اذ المصر على التحليل مرتد وماله فئ وان كان ذو عسرة وان وقع غريم ذو عسرة وقرئ ذا عسرة اى وان كان الغريم ذا عسرة فنظرة فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار وقرئ فناظره على الخبر اى فالمستحق ناظره بمعنى منتظره او صاحب نظرته على طريق النسب او على الامر اى فسامحه بالنظرة الى ميسرة يسار وقرأ نافع وحمزة بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين

بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عدالامر الذي وعدوا وان تصدقوا بالابراء وقرأ عاصم بتخفيف الصاد خير لكم اكثر ثوابا من الانظار او خير مما تأخذون لمضاعفة ثوابه ودوامه وقيل المراد بالتصدق الانظار لقوله عليه الصلوة والسلام لايحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون ما فيه من الذكر الجميل والاجر الجزيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله يوم القيامة او يوم الموت فتأهبوا لمصيركم اليه وقرأ ابو عمرو ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لايظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين اى اذا داين بعضكم بعضا تقول داينته اذا عاملته نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين ان لايتوهم من التداين المجازاة ويعلم تنوعه الى المؤجل والحال فانه الباعث على الكتبة ويكون مرجع الضمير فاكتبوه الى اجل مسمى معلوم

وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ اَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّٰهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا فَاِنْ كَانَ
الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا اَوْ ضَعِيفًا اَوْ لَا يَسْتَطِيعُ اَنْ يُمِلَّ هُوَ
فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ
فَاِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَاَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاۤءِ اَنْ تَضِلَّ اِحْدٰىهُمَا فَتُذَكِّرَ اِحْدٰىهُمَا الْاُخْرٰى
وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاۤءُ اِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْـَٔمُوا اَنْ تَكْتُبُوهُ
صَغِيرًا اَوْ كَبِيرًا اِلٰى اَجَلِهِ ذٰلِكُمْ اَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ وَاَقْوَمُ
لِلشَّهَادَةِ وَاَدْنٰى اَلَّا تَرْتَابُوا اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً
تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَلَّا تَكْتُبُوهَا
وَاَشْهِدُوا اِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَاۤرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ

بالايام والاشهر لا بالحصاد وقدوم الحاج فاكتبوه لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على انه استحباب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم وليكتب بينكم كاتب بالعدل من يكتب بالسوية لايزيد ولاينقص وهو في الحقيقة امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء مكتوبه موثوقا به معدلا بالشرع ولايأب كاتب ولايمتنع احد من الكتاب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه من كتبة الوثائق او لايأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن الاباء عنها تأكيدا ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر فيكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق وليكن المملي من عليه الحق لانه المقر المشهود عليه والاملال والاملاء واحد وليتق الله ربه اى المملي او الكاتب ولايبخس ولاينقص منه شيئا اى من الحق او مما املى عليه فان كان الذي عليه الحق سفيها ناقص العقل مبذرا اوضعيفا صبيا او شيخا مختلا اولايستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او جهل باللغة فليملل وليه بالعدل اى الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم ان كان صبيا او مختل عقل او وكيلا ومترجم ان كان غير مستطيع وهو دليل جريان النيابة في الاقرار ولعله مخصوص بما تعاطاه القيم والوكيل واستشهدوا شهيدين واطلبوا ان يشهد على الدين شاهدان من رجالكم من رجال المسلمين وهو دليل اشتراط اسلام الشهود واليه ذهب عامة العلماء وقال ابو حنيفة تقبل شهادة الكفار بعضهم على بعض فان لم يكونا رجلين فان لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان فليشهد رجل او فالمستشهد رجل وامرأتان وهذا مخصوص بالاموال عندنا وبما عدا الحدود والقصاص عند ابي حنيفة ممن ترضون من الشهداء لعلمكم بعدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى علة اعتبار العدد اى لاجل ان احديهما ان ضلت الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى والعلة في الحقيقة التذكير ولكن لما كان الضلال سببا له نزل منزلته كقولهم اعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه وكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن وقرأ حمزة ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع وابن كثير وابو عمرو ويعقوب فتذكر من الاذكار ولايأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او التحمل وسموا شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الواقع وما مزيدة ولاتسأموا ان تكتبوه ولاتملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوا الدين او الحق او الكتاب وقيل كنى بالسأم عن الكسل لانه صفة المنافق ولذلك قال عليه السلام لايقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا صغيرا كان الحق او كبيرا او مختصرا كان الكتاب او مشبعا الى اجله الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ان تكتبوه اقسط عند الله اكثر قسطا واقوم للشهادة واثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام على غير قياس او من قاسط بمعنى ذي قسط وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لاترتابوا واقرب في ان لاتشكوا في جنس الدين وقدره واجله والشهود ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ان لاتكتبوها استثناء من الامر بالكتابة والتجارة الحاضرة تعم المبايعة بدين او عين وادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد اى الا ان تتبايعوا يدا بيد فلا بأس

ان لاتكتبوا لبعده عن التنازع والنسيان ونصب عاصم تجارة على انه الخبر والاسم مضمر تقديره الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كقوله بنى اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان
يوما ذا كواكب اشنعا ورفعها الباقون على انها الاسم والخبر تديرونها او على كان التامة واشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر التى فى هذه الاية
للاستحباب عند اكثر الائمة وقيل انها للوجوب ثم اختلف فى احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البنائين ويدل عليه انه قرئ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو
نهيهما عن ترك الاجابة والتحريف والتغيير فى الكتبة والشهادة او النهى عن الضرار بهما مثل ان يعجلا عن مهم ويكلفا الخروج عما حد لهما ولا يعطى الكاتب جعله والشهيد مؤنة
مجيئه حيث كان وان تفعلوا الضرار او ما نهيتم عنه فانه فسوق بكم خروج عن الطاعة لاحق بكم واتقوا الله فى مخالفة امره ونهيه ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم
والله بكل شئ عليم كرر لفظة الله فى الجمل الثلاث لاستقلالها فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه ولانه ادخل فى التعظيم من الكناية وان كنتم

وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم (٢٨٢) وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم (٢٨٣) لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير (٢٨٤) آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك

على سفر اى مسافرين ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فالذى يستوثق به رهان
فليكم رهان او فليؤخذ رهان وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى الارتهان كما
ظنه مجاهد والضحاك رحمهما الله لانه عليه السلام رهن درعه فى المدينة من يهودى
بعشرين صاعا من شعير اخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثيق
بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة اعوازها والجمهور على اعتبار القبض فيه غير مالك
وقرأ ابن كثير وابو عمرو فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ باسكان
الهاء على التخفيف فان امن بعضكم بعضا اى بعض الدائنين بعض المديونين
واستغنى بامانته عن الارتهان فليؤد الذى اؤتمن امانته اى دينه سماه امانة لائتمانه
عليه بترك الارتهان به وقرئ الذى ايتمن بقلب الهمزة ياء والذى اتمن بادغام الياء فى
التاء وهو خطأ لان المنقلبة عن الهمزة فى حكمها فلا تدغم وليتق الله ربه فى الخيانة وانكار
الحق وفيه مبالغات ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود او المديونون والشهادة شهادتهم
على انفسهم ومن يكتمها فانه اثم قلبه اى يأثم قلبه او قلبه يأثم والجملة خبر ان واسناد
الاثم الى القلب لان الكتمان يقترفه ونظيره العين زانية والاذن زانية او للمبالغة فانه
رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال وكانه قيل تمكن الاثم فى نفسه واخذ اشرف اجزائه
وفاق سائر ذنوبه وقرئ قلبه بالنصب كحسن وجهه والله بما تعملون عليم تهديد
لله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه
يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه لترتب المغفرة والعذاب عليه يحاسبكم به الله
يوم القيامة وهو حجة على من انكر الحساب كالمعتزلة والروافض فيغفر لمن يشاء مغفرته
ويعذب من يشاء تعذيبه وهو صريح فى نفى وجوب التعذيب وقد رفعهما ابن عامر وعاصم
ويعقوب على الاستئناف وجزمهما الباقون عطفا على جواب الشرط ومن جزم بغير فاء
جعلهما بدلا عنه بدل البعض من الكل او الاشتمال كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وادغام الراء فى اللام لحن اذ الراء لا تدغم الا فى مثلها
والله على كل شئ قدير فيقدر على الاحياء والمحاسبة امن الرسول بما انزل اليه من ربه
شهادة وتنصيص من الله تعالى على صحة ايمانه والاعتداد به وانه جازم فى امره

غير شاك فيه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يخلو من ان يعطف المؤمنون على الرسول فيكون الضمير الذى ينوب عنه التنوين راجعا الى الرسول والمؤمنين
او يجعل مبتدأ فيكون الضمير للمؤمنين وباعتباره يصح وقوع كل بخبره خبر المبتدأ ويكون افراد الرسول بالحكم اما لتعظيمه او لان ايمانه عن مشاهدة وعيان وايمانهم
عن نظر واستدلال وقرأ حمزة والكسائى وكتابه يعنى القران او الجنس والفرق بينه وبين الجمع انه شائع فى وحدان الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب
لا نفرق بين احد من رسله اى يقولون لا نفرق وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرئ لا يفرقون حملا على معناه كقوله تعالى وكل اتوه داخرين واحد فى معنى
الجمع لوقوعه فى سياق النفى كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين والمراد نفى الفرق بالتصديق والتكذيب وقالوا سمعنا اجبنا واطعنا امرك غفرانك ربنا
اغفر غفرانك او نطلب غفرانك واليك المصير المرجع بعد الموت وهو اقرار منهم بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما تسعه قدرتها فضلا ورحمة او ما دون مدى طاقتها بحيث يتسع فيه طوقها

ويتيسر عليها كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر فهو يدل على عدم وقوع التكليف بالمحال ولا يدل على امتناعه لها ما كسبت من خير وعليها ما اكتسبت من شر لا ينتفع بطاعتها ولا يتضرر بمعاصيها غيرها وتخصيص الكسب بالخير والاكتساب بالشر لان الاكتساب فيه اعتمال والشر تشتهيه النفس وتنجذب اليه فكانت اجد في تحصيله واعمل بخلاف الخير ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اى لا تؤاخذنا بما ادى بنا الى نسيان او خطأ من تفريط وقلة مبالاة او بانفسهما اذ لا تمتنع المؤاخذة بهما عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يؤدى الى الهلاك وان كان خطأ فتعاطى الذنوب لا يبعد ان يفضى الى العقاب وان لم يكن عزيمة لكنه تعالى وعد التجاوز عنه رحمة وفضلا فيجوز ان يدعو الانسان به استدامة واعتدادا بالنعمة فيه ويؤيد ذلك مفهوم قوله عليه الصلاة والسلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان ربنا ولا تحمل علينا اصرا عبأ ثقيلا يأصر صاحبه اى يحبسه في مكانه يريد به التكاليف الشاقة وقرئ ولا تحمل بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا حملا مثل حملك اياه من قبلنا او مثل الذى حملته اياهم فيكون صفة لاصرا والمراد به ما كلف به بنى اسرائيل من قتل الانفس وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى اليوم والليلة وصرف ربع المال للزكاة او ما اصابهم من الشدائد والمحن ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء والعقوبة او من التكاليف التى لا تفى بها الطاقة البشرية وهو يدل على جواز التكليف بما لا يطاق والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثانى واعف عنا وامح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا انت مولانا سيدنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر مواليه على الاعداء والمراد به عامة الكفرة روى انه عليه الصلاة والسلام لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام انزل الله تعالى آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى سنة من قرأهما بعد العشاء الاخرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وهو يرد قول من استكره ان يقال سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل يا رسول الله وما البطلة قال السحرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو انما فتح الميم فى المشهور وكان حقها ان يوقف عليها لالقاء حركة الهمزة عليها ليدل على انها فى حكم الثابت لانها اسقطت للتخفيف لا للدرج فان الميم فى حكم الوقف كقولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال لا لالتقاء الساكنين فانه غير محذور فى باب الوقف ولذلك لم تحرك الميم فى لام وقرئ بكسرها على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وقرأ ابو بكر بسكونها والابتداء بما بعدها على الاصل الحى القيوم روى انه عليه الصلاة والسلام قال ان اسم الله الاعظم فى ثلاث سور فى البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى آل عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه وعنت الوجوه للحى القيوم نزل عليك الكتاب القرآن نجوما بالحق بالعدل او بالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله وهو فى موضع الحال مصدقا لما بين يديه من الكتب وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى واشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل تعسف لانهما اعجميان ويؤيد ذلك انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من ابنية العرب وقرأ ابو عمرو وابن ذكوان والكسائى التورية بالامالة فى جميع القرآن ونافع وحمزة بين اللفظين الا قالون فانه قرأ بالفتح كقراءة الباقين من قبل من قبل تنزيل القرآن هدى للناس على العموم ان قلنا انا متعبدون بشرايع من قبلنا والا فالمراد به قومهما وانزل الفرقان يريد به جنس الكتب الالهية فانها فارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلاثة ليعم ما عداها كأنه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل او الزبور او القرآن وكرر ذكره بما هو نعت له مدحا وتعظيما واظهارا لفضله من حيث انه يشاركهما فى كونه وحيا منزلا ويتميز بانه معجز يفرق بين المحق والمبطل او المعجزات ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد بسبب كفرهم والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم والنقمة عقوبة المجرم والفعل منه نقم بالفتح والكسر وهو وعيد جئ به بعد تقرير التوحيد والاشارة الى ما هو العمدة فى اثبات النبوة تعظيما للامر

الْمَصِيرُ ۞ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ مِائَتَا آيَةٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم ۞ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۞ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ

وزجرا عن الاعراض عنه ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء اى شئ كائن فى العالم كليا كان او جزئيا ايمانا او كفرا فعبر عنه بالسماء والارض اذ الحس لا يتجاوزهما وانما قدم الارض ترقيا من الادنى الى الاعلى ولان المقصود بالذكر ما اقترف فيها وهو كالدليل على كونه حيا وقوله هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء اى من الصور المختلفة كالدليل على القيومية والاستدلال على انه عالم باتقان فعله فى خلق الجنين وتصويره وقرئ تصوركم اى صوركم لنفسه وعبادته لا اله الا هو اذ لا يعلم غيره جملة ما يعلمه ولا يقدر على مثل ما يفعله العزيز الحكيم اشارة الى كمال قدرته وتناهى حكمته قيل هذا حجاج على من زعم ان عيسى كان ربا فان وفد نجران لما حاجوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت السورة من اولها الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليهم واجاب عن شبههم هو الذى انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات احكمت عبارتها بان حفظت من الاجمال والاحتمال هن ام الكتاب اصله ترد اليها غيرها والقياس امهات فافرد على تأويل كل واحدة او على ان الكل بمنزلة آية واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة ظاهر الا بالفحص

وَالْاِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَاَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ۝٤ اِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝٥ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَخْفٰى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْاَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٦ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْاَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٧ هُوَ الَّذِي اَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتٰبَ مِنْهُ اٰيٰتٌ مُحْكَمٰتٌ هُنَّ اُمُّ الْكِتٰبِ وَاُخَرُ مُتَشٰبِهٰتٌ فَاَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشٰبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَاْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَاْوِيلَهُ اِلَّا اللّٰهُ وَالرّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ اٰمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ اِلَّا اُولُوا الْاَلْبَابِ ۝٨ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً

والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد حرصهم على ان يجتهدوا فى تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباتعاب القرائح فى استخراج معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالى الدرجات واما قوله تعالى الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من فساد المعنى وركاكة اللفظ وقوله كتابا متشابها فمعناه انه يشبه بعضه بعضا فى صحة المعنى وجزالة اللفظ واخر جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف معدول عن الاخر ولا يلزم منه معرفته لان معناه ان القياس ان يعرف ولم يعرف الا انه فى معنى المعرف او عن اخر من فاما الذين فى قلوبهم زيغ عدول عن الحق كالمبتدعة فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بظاهره او بتأويل باطل ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه وابتغاء تأويله وطلب ان يؤلوه على ما يشتهونه ويحتمل ان يكون الداعى الى الاتباع مجموع الطلبتين او كل واحدة منهما على التعاقب والاول يناسب المعاند والثانى يلائم الجاهل وما يعلم تأويله الذى يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون فى العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على ان ظاهره غير مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به استئناف موضح لحال الراسخين او حال منهم او خبر ان جعلته مبتدأ كل من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده وما يذكر الا اولوا الالباب مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تأويله وهو تجرد العقل عن غواشى الحس واتصال الآية بما قبلها من حيث انها فى تصوير الروح بالعلم وتربيته وما قبلها فى تصوير الجسد وتسويته او انها جواب عن تشبث النصارى بنحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه كما انه جواب قولهم لا اب له غير الله فتعين ان يكون هو ابا له بانه مصور الاجنة كيف يشاء فيصور من نطفة اب ومن غيرها وبانه صوره فى الرحم والمصور لا يكون اب المصور ربنا لا تزغ قلوبنا من مقال الراسخين وقيل استئناف والمعنى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتأويل لا ترتضيه

قال عليه الصلاة والسلام قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا الى الحق او الايمان بالقسمين وبعد نصب على الظرف واذ فى موضع الجر باضافته اليه وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او توفيقا للثبات على الحق او مغفرة للذنوب انك انت الوهاب لكل سؤل وفيه دليل على ان الهدى والضلال من الله وانه متفضل بما ينعم على عباده لا يجب عليه شئ ربنا انك جامع الناس ليوم لحساب يوم او لجزائه لا ريب فيه فى وقوع اليوم وما فيه من الحشر والجزاء نبهوا به على ان معظم غرضهم من الطلبتين ما يتعلق بالآخرة فانها المقصد والمآل ان الله لا يخلف الميعاد فان الالهية تنافيه وللاشعار به وتعظيم الموعود لون الخطاب واستدل به الوعيدية واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو لدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا ان الذين كفروا عام فى الكفرة وقيل المراد به وفد نجران او اليهود او مشركوا العرب لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اى من رحمته او طاعته على معنى البدلية او من عذابه

واولئك هم وقود النار حطبها وقرئ بالضم بمعنى اهل وقودها كداب ال فرعون متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او استئناف مرفوع المحل وتقديره دأب هؤلاء كدأبهم في الكفر والعذاب وهو مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فنقل الى معنى الشان والذين من قبلهم عطف على ال فرعون وقيل استئناف كذبوا باياتنا فاخذهم الله بذنوبهم حال باضمار قد او استئناف بتفسير حالهم او خبر ان ابتدأت بالذين من قبلهم والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة وزيادة تخويف للكفرة قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم اى قل لمشركى مكة ستغلبون يعنى يوم بدر وقيل لليهود فانه عليه الصلاة والسلام جمعهم بعد بدر في سوق بنى قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك اصبت اغمارا لا علم لهم بالحرب لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلائل النبوة وقرأ حمزة والكسائى بالياء فيهما على ان الامر بان يحكى لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه وبئس المهاد تمام ما يقال لهم او استئناف وتقديره وبئس المهاد جهنم او ما مهدوه

إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٩﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٣﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ

لانفسهم قد كان لكم آية الخطاب لقريش او لليهود وقيل للمؤمنين في فئتين التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم يرى المشركون المؤمنين مثلى عدد المشركين وكان قريبا الفا او مثلى عدد المسلمين وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وذلك كان بعد ما قللهم في اعينهم حتى اجترأوا عليهم وتوجهوا اليهم فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا مددا من الله تعالى للمؤمنين او يرى المؤمنون المشركين مثلى المؤمنين وكانوا ثلاثة امثالهم ليثبتوا لهم ويتيقنوا بالنصر الذى وعدهم الله به في قوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ويؤيده قراءة نافع ويعقوب بالتاء وقرئ بهما على البناء للمفعول اى يريهم الله او يريكم ذلك بقدرته وفئة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او الحال من فاعل التقتا رأى العين رؤية ظاهرة معاينة والله يؤيد بنصره من يشاء نصره كما ايد اهل بدر ان في ذلك اى التقليل والتكثير او غلبة القليل عديم العدة على الكثير شاكى السلاح وكون الوقعة آية ايضا يحتملهما ويحتمل وقوع الامر على ما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم لعبرة لاولى الابصار اى لعظة لذوى البصائر وقيل لمن ابصرهم زين للناس حب الشهوات اى المشتهيات سماها شهوات مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا في محبتها حتى احبوا شهوتها كقوله تعالى احببت حب الخير والمزين هو الله تعالى لانه الخالق للافعال والدواعى ولعله زينه ابتلاء او لانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله تعالى ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل الشيطان فان الاية في معرض الذم وفرق الجبائى بين المباح والمحرم من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث بيان للشهوات والقنطار المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملء مسك ثور واختلف في انه فعلال او فنعال والمقنطرة مأخوذة منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة والمسومة المعلمة من السومة وهى العلامة او المرعية من اسام الدابة وسومها او المطهمة والانعام الابل والبقر والغنم ذلك متاع الحيوة الدنيا اشارة الى ما ذكر والله عنده حسن المآب اى المرجع وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الابدية بالشهوات المخدجة الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم يريد به تقرير ان ثواب الله تعالى خير من مستلذات الدنيا للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها استئناف لبيان ما هو خير ويجوز ان يتعلق اللام بخير ويرتفع جنات على هو جنات ويؤيده قراءة من جرها بدلا من خير وازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله قرأ عاصم بضم الراء وهما لغتان والله بصير بالعباد اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسيء او باحوال الذين اتقوا فلذلك اعد لهم جنات وقد نبه بهذه الآية على نعمه فادناها متاع الحياة الدنيا واعلاها رضوان الله تعالى لقوله تعالى ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار صفة للمتقين او للعباد او مدح منصوب او مرفوع وفي ترتيب السؤال على مجرد الايمان دليل على انه كاف في استحقاق المغفرة او الاستعداد لها الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار حصر لمقامات السالك على احسن ترتيب فان معاملته مع الله تعالى اما توسل

واما الطلب والتوسل اما بالنفس وهو منعها عن الرذائل وحبسها على الفضائل والصبر يشملهما واما بالبدن وهو اما قولى وهو الصدق واما فعلى وهو القنوت الذى هو ملازمة الطاعة
واما بالمال وهو الانفاق فى سبيل الخير واما الطلب فبالاستغفار لان المغفرة اعظم المطالب بل الجامع لها وتوسيط الواو بينها للدلالة على استقلال كل واحدة منها وكمالهم فيها او
لتغاير الموصوفين بها وتخصيص الاسحار لان الدعاء فيها اقرب الى الاجابة لان العبادة حينئذ اشق والنفس اصفى والروع اجمع سيما للمتهجدين قيل انهم كانوا يصلون الى السحر ثم
يستغفرون بالاسحار ويدعون شهد الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة بها والملائكة بالاقرار واولوا العلم
بالايمان بها والاحتجاج عليها شبه ذلك فى البيان والكشف بشهادة الشاهد قائما بالقسط مقيما للعدل فى قسمه وحكمه وانتصابه على الحال من الله وانما جاز افراده بها ولم يجز جاء
زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او من هو والعامل فيها معنى الجملة اى تفرد قائما او احقه لانها حال مؤكدة او على المدح او الصفة للمنفى وفيه ضعف



وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ
الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٥﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ
مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا
وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ
وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٨﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٩﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ
الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ
مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ

للفصل وهو مندرج فى المشهود به اذا جعلته صفة وحالا من الضمير وقرئ القائم بالقسط
على البدل من هو او الخبر لمحذوف لا اله الا هو كرره للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة
ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة وليبنى عليه قوله العزيز الحكيم فيعلم انه الموصوف
بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته ورفعهما على البدل من الضمير او الصفة
لفاعل شهد وقد روى فى فضلها انه عليه الصلاة والسلام قال يجاء بصاحبها يوم القيمة
فيقول الله تعالى ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدى الجنة وهى دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستأنفة مؤكدة للاولى اى لا دين مرضى عند الله سوى الاسلام
وهو التوحيد والتدرع بالشرع الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ الكسائى
بالفتح على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان او بما يتضمنه وبدل
الاشتمال ان فسر بالشريعة وقرئ انه بالكسر وان بالفتح على وقوع الفعل على الثانى
واعتراض ما بينهما او اجراء شهد مجرى قال تارة وعلم اخرى لتضمنه معناهما وما اختلف
الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى او من ارباب الكتب المتقدمة فى دين الاسلام
فقال قوم انه حق وقال قوم انه مخصوص بالعرب ونفاه اخرون مطلقا او فى التوحيد
فثلث النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقيل هم قوم موسى اختلفوا بعده وقيل
هم النصارى اختلفوا فى امر عيسى عليه السلام الا من بعد ما جاءهم العلم اى بعد
ما علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالايات والحجج بغيا بينهم حسدا بينهم
وطلبا للرياسة لا لشبهة وخفاء فى الامر ومن يكفر بايات الله فان الله سريع
الحساب وعيد لمن كفر منهم فان حاجوك فى الدين وجادلوك فيه بعد ما اقمت
الحجج فقل اسلمت وجهى لله اخلصت نفسى وجملتى له لا اشرك فيها غيره وهو
الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل وانما عبر بالوجه
عن النفس لانه اشرف الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والحواس ومن اتبعن
عطف على التاء وحسن للفصل او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب والاميين
الذين لا كتاب لهم كمشركى العرب ءاسلمتم كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم

بعد على كفركم ونظيره قوله فهل انتم منتهون وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم بان اخرجوها من الضلال وان تولوا فانما عليك
البلاغ اى فلم يضروك اذ ما عليك الا ان تبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط
من الناس فبشرهم بعذاب اليم هم اهل الكتاب الذين فى عصره عليه السلام قتل اولوهم الانبياء ومتابعيهم وهم رضوا به وقصدوا قتل النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ولكن الله
عصمهم وقد سبق مثله فى سورة البقرة وقرأ حمزة ويقاتلون الذين وقد منع سيبويه ادخال الفاء فى خبر ان كليت ولعل ولذلك قيل الخبر اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا
والاخرة كقولك زيد فافهم رجل صالح والفرق انه لا يغير معنى الابتداء بخلافهما وما لهم من ناصرين يدفعون عنهم العذاب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية او جنس
الكتب السماوية ومن للتبعيض او البيان وتنكير النصيب يحتمل التعظيم والتحقير يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم الداعى محمد عليه الصلاة والسلام وكتاب الله القرآن او التورية

فان لهم اللعنة والخزى فى الدنيا والعذاب فى الاخرة

فَإِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٢﴾ أُولٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللّٰهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾

لما روى انه عليه الصلاة والسلام دخل مدراسهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال على دين ابرهيم فقالا له ان ابرهيم كان يهوديا فقال هلموا الى التورية فانها بيننا وبينكم فأبيا فنزلت وقيل نزلت فى الرجم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول فيكون الاختلاف فيما بينهم وفيه دليل على ان الادلة السمعية حجة فى الاصول ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض والجملة حال من فريق وانما ساغ لتخصصه بالصفة ذلك اشارة الى التولى والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات بسبب تسهيلهم امر العقاب على انفسهم لهذا الاعتقاد الزايغ والطمع الفارغ وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم او انه تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه استعظام لما يحيق بهم فى الاخرة وتكذيب لقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودات روى ان اول راية ترفع يوم القيامة من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله تعالى على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء ما كسبت وفيه دليل على ان العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها فاذاً هى بعد الخلاص منها وهم لا يظلمون الضمير لكل نفس على المعنى لانه فى معنى كل انسان قل اللهم الميم عوض عن يا ولذلك لا يجتمعان وهو من خصائص هذا الاسم كدخولها عليه مع لام التعريف وقطع همزته وتاء القسم وقيل اصله يا الله امنا بخير فخفف بحذف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك يتصرف فيما يمكن التصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء تعطى منها ما تشاء من تشاء وتسترد فالملك الاول عام والاخران بعضان منه وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم الى قوم وتعز من تشاء وتذل من تشاء فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان بيدك الخير انك على كل شئ قدير ذكر الخير وحده لانه المقضى بالذات والشر مقضى بالعرض اذ لا يوجد شر جزئى ما لم يتضمن خيرا كليا او لمراعاة الادب فى الخطاب او لان الكلام وقع فيه اذ روى انه عليه السلام لما خط الخندق وقطع لكل عشرة اربعين ذراعا واخذوا يحفرون فظهر فيه صخرة عظيمة لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه السلام فاخذ المعول منه فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا فى جوف بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى جبرئيل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق فنزلت ونبه على ان الشر ايضا بيده بقوله انك على كل شئ قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب عقب ذلك ببيان قدرته على معاقبة الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على ان من قدر على ذلك قدر على معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه والولوج الدخول فى مضيق وايلاج الليل والنهار ادخال احدهما فى الاخر بالتعقيب او الزيادة والنقص واخراج الحى من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها واماتتها او انشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه وقيل اخراج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت بالتخفيف لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية ونحوهما حتى لا يكون حبهم وبغضهم الا فى الله او عن الاستعانة بهم فى الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم اولياء فليس من الله فى شئ من ولايته فى شئ يصح ان يسمى ولاية فان موالاة المتعاديين لا يجتمعان قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم ما يجب اتقاؤه او اتقاء والفعل معدى بمن لانه فى معنى تحذروا وتخافوا وقرأ يعقوب تقية منع من موالاتهم ظاهرا وباطنا فى الاوقات كلها الا وقت المخافة

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٧﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٨﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٩﴾ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾

فان اظهار الموالاة حينئذ جائز كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه والى الله المصير فلا تتعرضوا لسخطه بمخالفة احكامه وموالاة اعدائه وهو تهديد عظيم مشعر بتناهى المنهى فى القبح وذكر النفس ليعلم ان المحذر منه عقاب يصدر منه تعالى فلا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله اى انه يعلم ضمائركم من ولاية الكفار وغيرها ان تخفوها او تبدوها ويعلم ما فى السموات وما فى الارض فيعلم سركم وعلنكم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه والآية بيان لقوله ويحذركم الله نفسه فكانه قال ويحذركم نفسه لانها متصفة بعلم ذاتى محيط بالمعلومات كلها وقدرة ذاتية تعم المقدورات باسرها فلا تجسروا على عصيانه اذ ما من معصية الا وهو مطلع عليها قادر على العقاب بها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم منصوب بتود اى تتمنى كل نفس يوم تجد صحائف اعمالها اوجزاء اعمالها من الخير والشر حاضرة لو ان بينها وبين ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا او بمضمر نحو اذكر وتود حال من الضمير فى عملت او خبر لما عملت من سوء وتجد مقصور على ما عملت من خير ولا تكون ما شرطية لارتفاع تود وقرئ ودت وعلى هذا يصح ان تكون شرطية ولكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانه حكاية كائن واوفق للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه كرر للتاكيد والتذكير والله رؤف بالعباد اشارة الى انه تعالى انما نهاهم وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لصلاحهم او انه لذو مغفرة وذو عقاب فترجى رحمته ويخشى عذابه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقى ليس الا لله وان كل ما يراه كمالا من نفسه او غيره فهو من الله وبالله والى الله لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول فى عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اى يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة والله غفور رحيم لمن تحبب اليه بطاعته واتباع نبيه روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله واحباؤه وقيل نزلت فى وفد نجران لما قالوا انما نعبد المسيح حبا لله وقيل فى اقوام زعموا على عهده صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فامروا ان يجعلوا لقولهم تصديقا من العمل قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا يحتمل المضى والمضارعة بمعنى فان تتولوا فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وانما لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولى كفر وانه من هذه الحيثية ينفى محبة الله وان محبته مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين بالرسالة والخصائص الروحانية والجسمانية ولذلك قووا على ما لم يقو عليه غيرهم لما اوجب طاعة الرسل وبين انها الجالبة لمحبة الله عقب ذلك ببيان مناقبهم تحريضا عليها وبه استدل على فضلهم على الملائكة وآل ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وقد دخل فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وعيسى وامه مريم بنت عمران بن ماثان بن اسعازار بن ابى يود بن يوزن بن زرب بابل بن سالتان بن يوحنا بن وشا بن اموز بن ميشكى بن حاز قا بن احاد بن يوتام بن عزريا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن راجيم بن سليمان بن داود بن ايشا بن عريد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عميا رب بن رام بن حضروم بن فارض بن يهودا بن يعقوب عليه السلام وكان بين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بعضها من بعض حال او بدل من الآلين او منهما ومن نوح اى انهم ذرية واحدة متشعبة بعضها من بعض وقيل بعضها من بعض فى الدين والذرية الولد يقع على الواحد والجمع فعلية من الذر او فعولة من الذرء ابدلت همزتها ياء ثم قلبت الواو ياء وادغمت والله سميع عليم باقوال الناس واعمالهم فيصطفى من كان مستقيم القول والعمل او سميع بقول امرأة عمران عليم بنيتها اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى فينتصب به اذ على التنازع وقيل نصبه باضمار اذكر وهذه حنة بنت فاقوذا جدة عيسى وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون فظن ان المراد وزوجته ويرده كفالة زكريا فانه كان معاصرا لابن ماثان وتزوج بنت ايشاع وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابنى خالة من الاب روى انها كانت عاقرا عجوزا فبينما هى فى ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق به على بيت

المقدس فيكون من خدمه فحملت بمريم وهلك عمران وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان فلعلها بنت الامر على التقدير وطلبت ذكرا محررا معتقا لخدمته لا اشغله بشئ او
مخلصا للعبادة ونصبه على الحال فتقبل منى ما نذرته انك انت السميع العليم لقولى ونيتى فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى الضمير لما فى بطنها وتأنيثه لانه كان انثى وجاز انتصاب
انثى حالا منه لان تأنيثها علم منه فان الحال وصاحبها بالذات واحد او على تأويل مؤنث كالنفس والحبلة وانما قالته تحسرا وتحزنا الى ربها لانها كانت ترجوان تلد ذكرا ولذلك نذرت
تحريره والله اعلم بما وضعت اى بالشئ الذى وضعت وهو استئناف من الله تعالى تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بشأنها وقرأ ابن عامر وابو بكر عن عاصم ويعقوب وضعت
على انه من كلامها تسلية لنفسها اى ولعل لله فيه سرا او الانثى كان خيرا وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها وليس الذكر كالانثى بيان لقوله والله اعلم اى وليس الذكر
الذى طلبت كالانثى التى وهبت واللام فيهما للعهد ويجوز ان يكون من قولها بمعنى وليس الذكر والانثى سيين فيما نذرت فتكون اللام للجنس وانى سميتها مريم عطف على ما قبلها
من مقالها وما بينهما اعتراض وانما ذكرت ذلك لربها تقربا اليه وطلبا لان يعصمها
ويصلحها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة وفيه
دليل على ان الاسم والمسمى والتسمية امور متغايرة وانى اعيذها بك اجيرها بحفظك
وذريتها من الشيطان الرجيم المطرود واصل الرجم الرمى بالحجارة وعن النبى صلى الله
عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل من مسه الا
مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتأثر منه الا مريم وابنها
فان الله تعالى عصمهما ببركة الاستعاذة فتقبلها ربها رضى بها فى النذر مكان
الذكر بقبول حسن بوجه حسن يقبل به النذائر وهو اقامتها مقام الذكر او تسلمها
عقيب ولادتها قبل ان تكبر وتصلح للسدانة روى ان حنة لما ولدتها لفتها فى خرقة
وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل
وملوكهم فقال زكريا انا احق بها عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين
فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فتكفلها زكريا
ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير مضاف اى بذى قبول حسن وان يكون تقبل بمعنى استقبل
كتقضى وتعجل اى فأخذها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا
مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها وكفلها زكريا شدد الفاء حمزة والكسائى
وعاصم وقصر زكريا غير عاصم فى رواية ابن عياش على ان الفاعل هو الله تعالى
وزكريا مفعول اى جعله كافلا لها وضامنا بمصالحها وخففها الباقون ومدوا
زكرياء مرفوعا كلما دخل عليها زكريا المحراب اى الغرفة التى بنيت لها او المسجد او اشرف
مواضعه ومقدمها سمى به لانه محل محاربة الشيطان كانها وضعت فى اشرف موضع
من بيت المقدس وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه روى انه كان لا يدخل عليها
غيره واذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب فكان يجد عندها فاكهة الشتاء فى الصيف
وبالعكس قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الاتى فى غير اوانه والابواب
مغلقة عليك وهو دليل جواز الكرامة للاولياء وجعل ذلك معجزة زكريا يدفعه اشتباه
الامر عليه قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت صغيرة كعيسى عليه السلام ولم ترضع ثديا قط وكان رزقها ينزل عليها من الجنة ان الله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير لكثرته او بغير
استحقاق تفضلا به وهو يحتمل ان يكون من كلامها وان يكون من كلام الله تعالى روى ان فاطمة رضى الله تعالى عنها اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع
بها اليها فقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة
سيدة نساء بنى اسرائيل ثم جمع عليا والحسن والحسين وجميع اهل بيته حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك دعا زكريا ربه فى ذلك المكان او الوقت اذ يستعار
هنا وثم وحيث للزمان لما رأى كرامة مريم ومنزلتها من الله تعالى قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة كما وهبتها لحنة العجوز العاقر وقيل لما رأى الفاكهة فى غير اوانها انتبه على جواز ولادة
العاقر من الشيخ فسأل وقال هب لى من لدنك ذرية لانه لم يكن على الوجوه المعتادة وبالاسباب المعهودة انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملائكة اى من جنسهم

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ
سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ
وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ
عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي
مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا
قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ
الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ

كقولهم زيد يركب الخيل فان المنادى كان جبرائيل وحده وقرأ حمزة والكسائى فناداه بالامالة والتذكير وهو قائم يصلى فى المحراب اى قائما فى الصلاة ويصلى صفة قائم او خبر
او حال اخرى او حال من الضمير فى قائم ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرأ نافع وابن عامر بالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع منه وقرأ حمزة والكسائى يبشرك ويحيى اسم اعجمى
وان جعل عربيا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل مصدقا بكلمة من الله اى بعيسى سمى بذلك لانه وجد بامره تعالى دون اب فشابه البدعيات التى هى عالم الامر او بكتاب الله سمى كلمة كما
قيل الحويدرة لقصيدته وسيدا يسود قومه ويفوقهم وكان فائقا للناس كلهم فى انه ما هم بمعصية وحصورا مبالغا فى حبس النفس عن الشهوات والملاهى روى انه مر فى صباه
بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشئا منهم او كائنا من عداد من لم يأت كبيرة ولا صغيرة قال رب انى يكون لى غلام استبعادا من حيث العادة
او استعظاما او تعجبا او استفهاما عن كيفية حدوثه وقد بلغنى الكبر ادركنى كبر السن واثر فى وكان له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون وامرأتى عاقر لا تلد من العقر وهو القطع

وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٧﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ

لانها ذات عقر من الاولاد قال كذلك الله يفعل ما يشاء اى يفعل ما يشاء من العجائب
مثل ذلك الفعل وهو انشاء الولد من شيخ فان وعجوز عاقر او كما انت عليه وزوجك
من الكبر والعقر يفعل ما يشاء من خلق الولد او كذلك الله مبتدأ وخبر اى الله على مثل
هذه الصفة ويفعل ما يشاء بيان له او كذلك خبر مبتدأ محذوف اى الامر كذلك
والله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لى اية علامة اعرف بها الحبل لاستقبله
بالبشاشة والشكر وتزيح مشقة الانتظار قال ايتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام ان
لا تقدر على تكليم الناس ثلاثا وانما حبس لسانه عن مكالمتهم خاصة ليخلص المدة لذكر
الله تعالى وشكره قضاء لحق النعمة وكأنه قال ايتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اشارة بنحو يد او رأس واصله التحرك ومنه الراموز
للبحر والاستثناء منقطع وقيل متصل والمراد بالكلام ما دل على الضمير وقرئ رمزا
كخدم جمع رامز ورمزا كرسل جمع رموز على انه حال منه ومن الناس بمعنى مترامزين
كقوله متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك كثيرا
فى ايام الحبسة وهو مؤكد لما قبله مبين للغرض منه وتقييد الامر بالكثرة يدل على انه
لا يفيد التكرار وسبح بالعشى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر او الغروب الى
ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع الفجر الى الضحى وقرئ بفتح الهمزة جمع بكر
كسحر واسحار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك
على نساء العالمين كلموها شفاها كرامة لها ومن انكر الكرامة زعم ان ذلك كانت معجزة
لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام فان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة
لقوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا وقيل ألهموها والاصطفاء الاول تقبلها من
امها ولم تقبل قبلها انثى وتفريغها للعبادة واغناؤها برزق الجنة عن الكسب وتطهيرها
عما يستقذر من النساء والثانى هدايتها وارسال الملائكة اليها وتخصيصها
بالكرامات السنية كالولد من غير اب وتبرئتها مما قذفتها اليهود بانطاق الطفل
وجعلها وابنها اية للعالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين امرت
بالصلاة فى الجماعة بذكر اركانها مبالغة فى المحافظة عليها وقدم السجود

على الركوع اما لكونه كذلك فى شريعتهم او للتنبيه على ان الواو لا توجب الترتيب او ليقترن اركعى بالراكعين للايذان بان من ليس فى صلاتهم ركوع ليسوا مصلين وقيل المراد بالقنوت
ادامة الطاعة كقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلاة كقوله تعالى وادبار السجود وبالركوع الخشوع والاخبات ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك
اى ما ذكرنا من القصص من الغيوب التى لم تعرفها الا بالوحى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اقداحهم للاقتراع وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا
والمراد تقرير كونه وحيا على سبيل التهكم بمنكريه فان طريق معرفة الوقائع المشاهدة او السماع وعدم السماع معلوم لا شبهة فيه عندهم فبقى ان يكون الاتهام باحتمال العيان ولا
يظن به عاقل ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ليعلموا او يقولون ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون تنافسا فى كفالتها اذ قالت الملائكة بدل
من اذ قالت الاولى وما بينهما اعتراض او من اذ يختصمون على ان وقوع الاختصام والبشارة فى زمان متسع كما تقول لقيته سنة كذا يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن

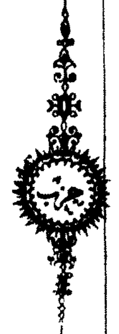
كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفٰكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفٰكِ عَلٰى نِسَآءِ الْعٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يٰمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذٰلِكَ مِنْ أَنْبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلٰٓئِكَةُ يٰمَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنّٰى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكِ اللّٰهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ

مريم المسيح لقبه وهو من الالقاب المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح لانه مسح بالبركة او بما طهره من الذنوب أو مسح الارض ولم يقم في موضع او مسحه جبريل ومن العيس وهو بياض يعلوه حمرة تكلف لاطائل تحته وابن مريم لما كانت صفة تميز تمييز الاسماء نظمت في سلكها ولا ينافي تعدد الخبر افراد المبتدا فانه اسم جنس مضاف ويحتمل ان يراد ان الذي يعرف به ويتميز عن غيره هذه الثلاثة فان الاسم علامة المسمى والمميز له ممن سواه ويجوز ان يكون عيسى خبر مبتدأ محذوف وابن مريم صفته وانما قيل ابن مريم والخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب اذ الاولاد تنسب الى الاباء ولا تنسب الى الام الا اذا فقد الاب وجيها في الدنيا والاخرة حال مقدرة من كلمة وهي وان كانت نكرة لكنها موصوفة وتذكيرها للمعنى والوجاهة في الدنيا النبوة وفي الاخرة الشفاعة ومن المقربين من الله وقيل اشارة الى علو درجته في الجنة او رفعه الى السماء وصحبة الملائكة ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وذكر احواله المختلفة المتنافية ارشادا الى انه بمعزل عن الالوهية ومن الصالحين حال ثالث من كلمة او ضميرها الذي في يكلم قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجبا او استبعادا عاديا او استفهاما عن انه يكون بتزوج او غيره قال كذلك الله يخلق ما يشاء القائل جبريل او الله تعالى وجبريل حكى لها قول الله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اشارة الى انه تعالى كما يقدر ان يخلق الاشياء مدرجا باسباب ومواد يقدر ان يخلقها دفعة من غير ذلك ونعلمه الكتاب والحكمة والتورية والانجيل كلام مبتدأ ذكر تطييبا لقلبها وازاحة لما همها من خوف اللوم لما علمت انها تلد من غير زواج او عطف على يبشرك او وجيها والكتاب الكتبة او جنس الكتب المنزلة وخص الكتابان لفضلهما وقرأ نافع وعاصم ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرائيل اني قد جئتكم باية من ربكم منصوب بمضمر على ارادة القول تقديره ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم او بالعطف على الاحوال المتقدمة مضمنا معنى النطق فكأنه قال وناطقا باني قد جئتكم وتخصيص بني اسرائيل لخصوص بعثته اليهم او للرد على من زعم انه مبعوث الى غيرهم اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من اية او رفع على هي اني اخلق لكم والمعنى اقدر لكم واصور شيئا مثل صورة الطير وقرأ نافع اني بالكسر فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل فيكون طيرا باذن الله فيصير حيا طائرا بامر الله نبه به على ان احياءه من الله تعالى لا منه وقرأ نافع هنا وفي المائدة طائرا بالالف والهمزة وابرئ الاكمه والابرص الاكمه الذي ولد اعمى او الممسوح العين روي انه ربما كان يجتمع عليه الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوي الا بالدعاء واحيي الموتى باذن الله كرر باذن الله دفعا لتوهم الالوهية فان الاحياء ليس من جنس افعال البشرية وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين موفقين للايمان فان غيرهم لا ينتفع بالمعجزات او مصدقين للحق غير معاندين ومصدقا لما بين يدي من التورية عطف على رسولا على الوجهين او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اي وجئتكم مصدقا ولاحل لكم مقدر باضماره او مردود على قوله اني قد جئتكم باية او معطوف على معنى مصدقا كقولهم جئتك معتذرا ولاطيب قلبك بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام كالشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل والعمل في السبت وهو يدل على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى عليه السلام ولا يخل ذلك بكونه مصدقا للتورية كما لا يعود نسخ القرآن بعضه ببعض عليه بتناقض وتكاذب فان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي جئتكم باية اخرى الهمنيها ربكم وهي قولي ان الله ربي وربكم فانه دعوة الحق المجمع عليها فيما بين الرسل الفارقة بين النبي والساحر او جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لقوله قد جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية بعد اخرى مما ذكرت لكم والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الظاهرة والايات الباهرة فاتقوا الله في المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال القوة النظرية

بالاعتقاد الحق الذي غايته التوحيد وقال فاعبدوه اشارة الى استكمال القوة العملية فانه بملازمة الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل امنت بالله ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق كفرهم عنده تحقق ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله ملتجئا الى الله تعالى او ذاهبا او ضاما اليه ويجوز ان يتعلق الجار بانصاري مضمنا معنى الاضافة اي من الذين يضيفون انفسهم الى الله في نصري وقيل الى هنا بمعنى مع او في او اللام قال الحواريون حواري الرجل خالصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن سمي بها اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نيتهم ونقاء سريرتهم وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض استنصر بهم عيسى عليه السلام من اليهود وقيل قصارون يحورون الثياب اي يبيضونها نحن انصار الله اي انصار دين الله امنا بالله واشهد بانا مسلمون لتشهد لنا يوم القيامة حين يشهد الرسل لقومهم وعليهم ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين اي مع الشاهدين بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَيٰةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَيٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ۝ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝

لاتباعهم او امة محمد صلى الله عليه وسلم فانهم شهداء على الناس ومكروا اي الذين احس منهم الكفر من اليهود بان وكلوا عليه من يقتله غيلة ومكر الله حين رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرة لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج والله خير الماكرين اقواهم مكرا واقدرهم على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب اذ قال الله ظرف لمكر الله او خير الماكرين او لمضمر مثل وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما اياك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما اذ روي انه رفع نائما او مميتك عن الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته الله سبع ساعات ثم رفعه الى السماء واليه ذهبت النصارى ورافعك الي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم او قصدهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يغلبونهم بالحجة او السيف في غالب الامر ومتبعوه من امن بنبوته من المسلمين والنصارى والى الآن لم يسمع غلبة اليهود عليهم ولم يتفق لهم ملك ودولة ثم الي مرجعكم الضمير لعيسى عليه السلام ومن تبعه ومن كفر به وغلب المخاطب على الغائبين فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والاخرة وما لهم من ناصرين واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم تفسير الحكم وتفصيل له وقرأ حفص فيوفيهم بالياء والله لا يحب الظالمين تقرير لذلك ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك وقوله من الايات حال من الهاء ويجوز ان يكون الخبر ونتلوه حالا على ان العامل معنى الاشارة وان يكونا خبرين وان ينتصب بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع عن تطرق الخلل اليه يريد به القرآن وقيل اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأنه الغريب كشأن آدم خلقه من تراب



جملة مفسرة للتمثيل مبينة لما له الشبه وهو انه خلقه بلا اب كما خلق آدم من التراب بلا اب وام شبه حاله بما هو اغرب افحاما للخصم وقطعا لمواد الشبه والمعنى خلق قالبه من التراب ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر وقدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز ان يكون ثم لتراخي الخبر لا المخبر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق وقيل الحق مبتدأ ومن ربك خبره اي الحق المذكور من الله تعالى

رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ

فلا تكن من الممترين خطاب النبي صلى الله عليه وسلم على طريقة التهييج لزيادة الثبات او لكل سامع فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم اى من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا بالرأى والعزم ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى يدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه الى المباهلة ويحمل عليها وانما قدمهم على النفس لان الرجل يخاطر بنفسه لهم ويحارب دونهم ثم نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم ابهلت الناقة اذا تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف فيه بيان روى انهم لما دعوا الى المباهلة قالوا حتى ننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ما ترى فقال والله لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل في امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا الا هلكوا فان ابيتم الا الف دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي رضي الله تعالى عنه خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقفهم يا معشر النصارى انى لأرى وجوها لو سألوا الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تباهلوا فتهلكوا فأذعنوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا له الجزية ألفي حلة حمراء وثلاثين درعا من حديد فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لو تباهلوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وهو دليل على نبوته وفضل من اتى بهم من اهل بيته ان هذا اى ما قص من نبأ عيسى ومريم لهو القصص الحق بجملتها خبر ان او هو فصل يفيد أن ما ذكره في شأن عيسى ومريم حق دون ما ذكروه وما بعده خبر واللام دخلت فيه لانه اقرب الى المبتدأ من الخبر واصلها ان تدخل على المبتدأ وما من اله الا الله صرح فيه بمن المزيدة للاستغراق تأكيدا للرد على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم لا احد سواه يساويه في القدرة التامة والحكمة البالغة ليشاركه في الالوهية فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم ووضع المظهر موضع المضمر ليدل على ان التولى عن الحجج والاعراض عن التوحيد افساد للدين والاعتقاد المؤدى الى فساد النفس بل الى فساد العالم قل يا اهل الكتاب يعم اهل الكتابين وقيل يريد به وفد نجران او يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وتفسيرها ما بعدها ان لا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ولا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انها لما نزلت اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون بما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل تنبيه انظر الى ما راعى في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في الحجاج بين اولا احوال عيسى وما تعاور عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر ما يحل عقدتهم ويزيح شبهتهم فلما راى عنادهم ولجاجهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد عاد عليهم بالارشاد وسلك طريقا اسهل وألزم بان دعاهم الى ما وافق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما لم يجد ذلك ايضا عليهم وعلم ان الايات والنذر لا تغنى عنهم اعرض عن ذلك وقال فقولوا اشهدوا بانا مسلمون

يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم كل فريق انه منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى ان اليهودية والنصرانية حدثتا بنزول التورية والانجيل على موسى وعيسى عليهما السلام وكان ابراهيم قبل موسى بألف سنة وعيسى بالفين فكيف يكون عليها افلا تعقلون فتدعون المحال ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ها حرف تنبيه نبهوا بها على حالهم التى غفلوا عنها وانتم مبتدأ وهؤلاء خبره وحاججتم جملة اخرى مبينة للاولى اى انتم هؤلاء الحمقى وبيان حماقتكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما وجدتموه فى التورية والانجيل عنادا او تدعون وروده فيه فلم تجادلون فيما لا علم لكم به ولا ذكر فى كتابكم من دين ابراهيم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته وقيل ها أنتم اصله أأنتم على الاستفهام للتعجب من حماقتهم فقلبت الهمزة هاء وقرأ نافع وابو عمرو ها انتم حيث وقع بالمد من غير همز وورش اقل مدا وقنبل بالهمز من غير الف بعد الهاء والباقون

فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا
جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا
وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ
عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا
اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ
بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا
فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ
تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم

بالمد والهمز والبزى يقتصر على المد على اصله والله يعلم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا تصريح بمقتضى ما قرره من البرهان ولكن كان حنيفا مائلا عن العقائد الزائغة مسلما منقادا لله وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين تعريض بانهم مشركون لاشراكهم به عزيرا والمسيح ورد لادعاء المشركين انهم على ملة ابراهيم ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب للذين اتبعوه من امته وهذا النبى والذين امنوا لموافقتهم له فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ وهذا النبى بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولى المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى لايمانهم ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت فى اليهود لما دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى أن وما يضلون الا انفسهم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا عليهم اذ يضاعف به عذابهم او وما يضلون الا امثالهم وما يشعرون وزره واختصاص ضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون انها ايات الله او بالقرأن وانتم تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بالتحريف وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التميز بينهما وقرئ تلبسون بالتشديد وتلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله عليه السلام كلابس ثوبى زور وتكتمون الحق نبوة محمد عليه السلام ونعته وانتم تعلمون عالمين بما تكتمونه وقالت طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار اى اظهروا الايمان بالقرأن اول النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون واكفروا به اخره لعلهم يشكون فى دينهم ظنا بانكم رجعتم لخلل ظهر لكم والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا فى الاسلام اول النهار ويقولوا اخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى ورد فى التورية لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ولا تقروا عن تصديق قلب الا لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى هدى الله يهدى من يشاء الى الايمان ويثبته عليه

أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم متعلق بمحذوف أي دبرتم ذلك وقلتم لأن يؤتى أحد والمعنى أن الحسد حملكم على ذلك أو بلا تؤمنوا أي ولا تظهروا إيمانكم بأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم الا لأشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض يدل على أن كيدهم لا يجدي بطائل أو خبر ان على أن هدى الله بدل من الهدى وقراءة ابن كثير أأن يؤتى على الاستفهام للتقريع تؤيد الوجه الاول أي ألأن يؤتى أحد دبرتم وقرئ ان على أنها النافية فيكون من كلام الطائفة أي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم عطف على أن يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير أحد لأنه في معنى الجمع اذ المراد به غير أتباعهم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم رد وابطال لما زعموه بالحجة الواضحة ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه

بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٩﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ

قرشي ألفا ومائتي أوقية ذهبا فأداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة وقرأ حمزة وأبو بكر وأبو عمرو يؤده اليك باسكان الهاء وقالون باختلاس الهاء وكذا روي عن حفص والباقون باشباع الكسرة الا ما دمت عليه قائما الا مدة دوامك قائما على رأسه مبالغا في مطالبته بالتقاضي والترافع واقامة البينة ذلك اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله لا يؤده بأنهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل أي ليس علينا في شأن من ليسوا من أهل الكتاب ولم يكونوا على ديننا عتاب وذم ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون أنهم كاذبون وذلك لأنهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل لهم في التورية حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلما أسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا أنه كذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عند نزولها كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه أي بلى عليهم فيهم سبيل من أوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من وأشعر بأن التقوى ملاك الامر وهو يعم الوفاء وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهي ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوا الله عليه من الايمان بالرسول والوفاء بالامانات وأيمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا متاع الدنيا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله بما يسرهم أو بشيء أصلا وان الملائكة يسألونهم يوم القيامة أو لا ينتفعون بكلمات الله وآياته والظاهر أنه كناية عن غضبه عليهم لقوله ولا ينظر اليهم يوم القيامة فان من سخط على غيره واستهان به أعرض عنه وعن التكلم معه والالتفات نحوه كما أن من اعتد بغيره يقاوله ويكثر النظر اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم بالجميل ولهم عذاب أليم على ما فعلوه قيل انها نزلت في أحبار حرفوا التورية وبدلوا نعت محمد صلى الله عليه وسلم وحكم الامانات وغيرها وأخذوا على ذلك رشوة وقيل نزلت في رجل أقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يشترها به وقيل في ترافع كان بين الاشعث بن قيس ويهودي في بئر أو أرض وتوجه الحلف على اليهودي وان منهم لفريقا يعني المحرفين ككعب ومالك وحيي بن أخطب

يلونا السنتهم بالكتاب يفتلونها بقرآءته فيميلونها عن المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلون على قلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب الضمير للمحرف المدلول عليه بقوله يلوون وقرئ ليحسبوه بالياء والضمير ايضا للمسلمين ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله تاكيد لقوله وما هو من الكتاب وتشنيع عليهم وبيان لانهم يزعمون ذلك تصريحا لا تعريضا اى ليس هو نازلا من عنده وهذا لا يقتضى ان لا يكون فعل العبد فعل الله تعالى ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله والتعمد فيه ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله تكذيب ورد على عبدة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى قالا يا محمد اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان يعبد غير الله وان نأمر بغير عبادة الله فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض

افلا نسجد لك قال لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا ربانيين والربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى وهو الكامل فى العلم والعمل بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له فان فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب تعلمون بمعنى عالمين وقرئ تدرّسون من التدريس وتدرسون من ادرس بمعنى درّس كاكرم وكرّم ويجوز ان تكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير وبما كنتم تدرسونه على الناس ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا نصبه ابن عامر وحمزة وعاصم ويعقوب عطفا على ثم يقول وتكون لا مزيدة لتأكيد معنى النفى فى قوله ما كان اى ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا او غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته ولا يأمر باتخاذ اكفائه اربابا بل نهى عنه وهو ادنى من العبادة ورفعه الباقون على الاستئناف ويحتمل الحال وقرأ ابو بكر على اصله برواية الدورى باختلاس الضم ايأمركم بالكفر انكار والضمير فيه للبشر وقيل لله بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون لان يسجدوا له واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قيل انه على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين وامهم واستغنى بذكرهم عن ذكر الامم وقيل اضافة الميثاق الى النبيين اضافته الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على امهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل او سماهم نبيين تهكما لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ

قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

الميثاق بمعنى الاستحلاف وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرأ حمزة لما بالكسر على ان ما مصدرية اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم مجئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذى اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلاث استثقالا قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمى به لانه يؤصر اى يشد وقرئ بالضم وهو اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به

قالوا اقررنا قال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة وانا معكم من الشاهدين وانا ايضا على اقراركم وتشاهدكم شاهد وهو توكيد وتحذير عظيم فمن تولى بعد ذلك بعد الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فاولئك هم الفاسقون المتمردون من الكفرة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار او محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار والفعل بلفظ الغيبة عند ابى عمرو وعاصم فى رواية حفص ويعقوب وبالتاء عند الباقين على تقدير وقل لهم وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين او مسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون ان يمتنعوا عما قضى عليهم واليه ترجعون وقرئ بالياء على ان الضمير لمن قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومتابعيه بالايمان والقرآن كما هو منزل عليه منزل عليهم بتوسيط تبليغه اليهم وايضا المنسوب الى واحد من الجمع قد ينسب اليهم او بان يتكلم عن نفسه على طريقة الملوك اجلالا له والنزول كما يعدى بالى لانه ينتهى الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق وانما قدم المنزل عليه على المنزل على سائر الرسل لانه المعرف له والعيار عليه لا نفرق بين احد منهم بالتصديق والتكذيب ونحن له مسلمون منقادون او مخلصون فى عبادته ومن يبتغ غير الاسلام دينا اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله فلن يقبل منه وهو فى الاخرة من الخاسرين الواقعين فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة السليمة التى فطر الناس عليها واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره لا قبول كل ما يغايره ولعل الدين ايضا للاعمال كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وشهدوا عطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل ونظيره فأصدق واكن او حال باضمار قد من كفروا وهو على الوجهين دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه على نفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق انهم مطبوعون على الكفر ممنوعون عن الهدى مأيوسون عن الرحمة رأسا بخلاف غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او العموم فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين فيها فى اللعنة او العقوبة او النار وان لم يجر ذكرهما لدلالة الكلام عليهما لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا ما افسدوا ويجوز ان لا يقدر له مفعول بمعنى ودخلوا فى الصلاح فان الله غفور يقبل توبته رحيم يتفضل عليه قيل انها نزلت فى الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سألوا هل لى من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالآية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا بمحمد والقرآن او كفروا بمحمد بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار والعناد والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بمحمد ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهاره

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٩﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا

لن تقبل توبتهم لانهم لايتوبون اولايتوبون الا اذا أشفوا على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة اولان توبتهم لاتكون الا نفاقا لارتدادهم وزيادة كفرهم ولذلك لم تدخل الفاء فيه واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية أدخل الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملأه وذهبا نصب على التمييز وقرئ بالرفع على البدل من ملء اوالخبر لمحذوف ولو افتدى به محمول على المعنى كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تقرب به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الآخرة اوالمراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك لهم عذاب اليم مبالغة في التحذير واقناط لان من

قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٢﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٣﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٤﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٦﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

لا يقبل منه الفداء ربما يعفى عنه تكرما وما لهم من ناصرين في دفع العذاب ومن مزيدة للاستغراق لن تنالوا البر اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي هو كمال الخير اولن تنالوا بر الله الذي هو الرحمة والرضى والجنة حتى تنفقوا مما تحبون اي من المال او ما يعمه وغيره كبذل الجاه في معاونة الناس والبدن في طاعة الله والمهجة في سبيله روي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحى فضعها حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح او رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين وجاء زيد بن حارثة بفرس كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فقال زيد انما اردت ان اتصدق بها فقال عليه السلام ان الله قد قبلها منك وذلك يدل على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وان الآية تعم الانفاق الواجب والمستحب وقرئ بعض ما تحبون وهو يدل على ان من للتبعيض ويحتمل التبيين وما تنفقوا من شيء اي من اي شيء محبوب اوغيره ومن لبيان ما فان الله به عليم فيجازيكم بحسبه كل الطعام اي المطعومات والمراد اكلها كان حلا لبني اسرائيل حلالا لهم وهو مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث قال تعالى لاهن حل لهم الا ما حرم اسرائيل يعقوب على نفسه كلحوم الابل والبانها وقيل كان به عرق النساء فنذر ان شفي لم يأكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج به من جوز للنبي ان يجتهد وللمانع ان يقول ذلك باذن من الله فيه فهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل التورية اي من قبل انزالها مشتملة على تحريم ما حرم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وذلك رد على اليهود في دعوى البراءة مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الآيتين بان قالوا لسنا باول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وفي منع النسخ والطعن في دعوى الرسول عليه السلام موافقة ابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل وألبانها قل فأتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين امر بمحاجتهم بكتابهم وتبكيتهم بما فيه من انه قد حرم عليهم بسبب ظلمهم ما لم يكن محرما روي انه عليه السلام لما قال لهم بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية وفيه دليل على نبوته فمن افترى على الله الكذب ابتدعه على الله بزعمه انه حرم ذلك قبل نزول التورية على بني اسرائيل ومن قبلهم من بعد ذلك من بعد ما لزمهم الحجة فاولئك هم الظالمون الذين لا ينصفون من انفسهم ويكابرون الحق بعد ما وضح لهم

قل صدق الله تعريض بكذبهم اى ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا اى ملة الاسلام التى هى فى الاصل ملة ابراهيم او مثل ملته حتى تتخلصوا من اليهودية التى اضطرتكم الى التحريف والمكابرة لتسوية الاغراض الدنيوية وألزمتكم تحريم طيبات احلها لابراهيم ومن تبعه وما كان من المشركين فيه اشارة الى ان اتباعه واجب فى التوحيد الصرف والاستقامة فى الدين والتجنب عن الافراط والتفريط وتعريض بشرك اليهود ان اول بيت وضع للناس اى وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ على البناء للفاعل للذى ببكة للبيت الذى ببكة وهى لغة فى مكة كالنبيط والنميط وامر راتب وراتم ولازب ولازم وقيل هى موضع المسجد ومكة البلد من بكه اذا زحمه او من بكه اذا دقه فانها تبك اعناق الجبابرة روى انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم ثم هدم فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش وقيل

أجمعين ﴿٨٧﴾ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴿٨٨﴾ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴿٨٩﴾ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ﴿٩٠﴾ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴿٩١﴾ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴿٩٢﴾ كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴿٩٣﴾ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم

هو اول بيت بناه ادم فانطمس فى الطوفان ثم بناه ابراهيم وقيل كان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح ويطوف به الملائكة فلما اهبط ادم امر بان يحجه ويطوف حوله ورفع فى الطوفان الى السماء الرابعة يطوف به ملائكة السماء وهو لا يلائم ظاهر الآية وقيل المراد انه اول بالشرف لا بالزمان مباركا كثير الخير والنفع لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله حال من المستكن فى الظرف وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه آيات عجيبة كما قال فيه آيات بينات كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار وان ضوارى السباع تخالط الصيود فى الحرم ولا تتعرض لها وان كل جبار قصده بسوء قهره كاصحاب الفيل والجملة مفسرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم مبتدأ محذوف خبره اى منها مقام ابراهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكل وقيل عطف بيان على ان المراد بالآيات اثر القدم فى الصخرة الصماء وغوصها فيها الى الكعبين وتخصيصها بهذه الالانة من بين الصخار وابقاؤه دون اثار سائر الانبياء وحفظه مع كثرة اعدائه ألوف سنة ويؤيده انه قرئ آية بينة على التوحيد وسبب هذا الاثر انه لما ارتفع بنيان الكعبة قام على هذا الحجر ليتمكن من رفع الحجارة فغاصت فيه قدماه ومن دخله كان امنا جملة ابتدائية او شرطية معطوفة من حيث المعنى على مقام لانه فى معنى أمن من دخله اى ومنها أمن من دخله وفيه ايات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله اقتصر بذكرهما من الآيات الكثيرة وطوى ذكر غيرهما كقوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عينى فى الصلوة لان فيهما غنية عن غيرهما فى الدارين بقاء الاثر مدى الدهر والأمن من العذاب يوم القيمة قال عليه السلام من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا وعند ابى حنيفة من لزمه القتل بردة او قصاص او غيرهما لم يتعرض له ولكن الجئ الى الخروج ولله على الناس حج البيت قصده للزيارة على الوجه المخصوص وقرأ حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص حج بالكسر وهو لغة نجد من استطاع اليه سبيلا بدل من الناس بدل البعض من الكل مخصص له وقد فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة وهو يؤيد قول الشافعى رضى الله تعالى عنه انها بالمال ولذلك اوجب الاستنابة على الزمن اذا وجد اجرة من ينوب عنه وقال مالك رحمه الله تعالى انها بالبدن فيجب على من قدر على المشى والكسب فى الطريق وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى انها بمجموع الامرين والضمير فى اليه للبيت او الحج وكل ما اتى الى الشئ فهو سبيله



الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرٰهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ

ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ومنع كفر موضع من لم يحج تأكيدا الوجوب وتغليظا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وقد اكد امر الحج فى هذه الآية من وجوه الدلالة على وجوبه بصيغة الخبر وابرازه فى الصورة الاسمية وايراده على وجه يفيد انه حق واجب لله تعالى فى رقاب الناس وتعميم الحكم اولا وتخصيصه ثانيا فانه كايضاح بعد ابهام وتثنية وتكرير للمراد وتسمية ترك الحج كفرا من حيث انه فعل الكفرة وذكر الاستغناء فانه فى هذا الموضع مما يدل على المقت والخذلان وقوله عن العالمين يدل عليه لما فيه من مبالغة التعميم والدلالة على الاستغناء عنه بالبرهان والاشعار بعظم السخط لانه تكليف شاق جامع بين كسر النفس واتعاب البدن وصرف المال والتجرد عن الشهوات والاقبال على الله روى انه لما نزل صدر الاية جمع رسول الله ارباب الملل فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وكفرت به خمس ملل فنزل ومن كفر قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله بآياته السمعية والعقلية الدالة على صدق محمد فيما يدعيه من وجوب الحج وغيره وتخصيص اهل الكتاب بالخطاب دليل على ان كفرهم اقبح لأن معرفتهم بالايات اقوى وانهم وان زعموا انهم مؤمنون بالتورية والانجيل فهم كافرون بهما والله شهيد على ما تعملون والحال انه شهيد مطلع على اعمالكم فيجازيكم عليها لا ينفعكم التحريف والاستسرار قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن كرر الخطاب والاستفهام مبالغة فى التقريع ونفى العذر لهم واشعارا بان كل واحد من الامرين مستقبح فى نفسه مستقل باستجلاب العذاب وسبيل الله دينه الحق المأمور بسلوكه وهو الاسلام قيل كانوا يفتنون المؤمنين ويحرشون بينهم حتى أتوا الاوس والخزرج فذكروهم ما بينهم فى الجاهلية من التعادى والتحارب ليعودوا لمثله ويحتالون لصدهم عنه تبغونها عوجا حال من الواو اى باغين طالبين لها اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه عوجا عن الحق بمنع النسخ وتغيير صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحوهما او بان تحرشوا بين المؤمنين لتختلف كلمتهم ويختل امر دينهم وانتم شهداء انها سبيل الله والصد عنها ضلال واضلال او انتم عدول عند اهل ملتكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم فى القضايا وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم ولما كان المنكر فى الآية الاولى كفرهم وهم يجهرون به ختمها بقوله والله شهيد على ما تعملون ولما كان فى هذه الآية صدهم المؤمنين عن الاسلام وكانوا يخفونه ويحتالون فيه قال وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نزلت فى نفر من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودى فغاظه تألفهم واجتماعهم فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه وكان الظفر فى ذلك اليوم للاوس ففعل فتنازع القوم وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح واجتمع من القبيلتين خلق عظيم فتوجه اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وقال أتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية وألف بين قلوبكم فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما خاطبهم الله بنفسه بعد ما امر الرسول بان يخاطب اهل الكتاب اظهارا لجلالة قدرهم واشعارا بانهم هم الاحقاء بان يخاطبهم الله ويكلمهم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار وتعجب لكفرهم فى حال اجتمع لهم الاسباب الداعية الى الايمان الصارفة عن الكفر

ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه اويلتجئ اليه في جامع اموره فقد هدي الى صراط مستقيم فقد اهتدى لا محالة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام بالمواجب والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات عليها وفي هذا الامر تاكيد النهي عن طاعة اهل الكتاب واصل تقاة وقية فقلبت واوها المضمومة تاء كما في تؤدة وتخمة والياء الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت فان النهي عن المقيد بحال او غيرها قد يتوجه بالذات نحو الفعل تارة والقيد اخرى وقد يتوجه نحو المجموع دونهما وكذلك النفي واعتصموا بحبل الله بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القرآن حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب النجاة من الردى كما ان التمسك بالحبل سبب السلامة من التردي وللوثوق

آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ

به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز جميعا مجتمعين عليه ولا تفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تتفرقوا تفرقكم الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة واذكروا نعمة الله عليكم التي من جملتها الهداية والتوفيق للاسلام المؤدي الى التألف وزوال الغل اذ كنتم اعداء في الجاهلية متقاتلين فالف بين قلوبكم بالاسلام فاصبحتم بنعمته اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة في الله وقيل كان الاوس والخزرج اخوين لابوين فوقع بين اولادهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة حتى اطفأ الله بالاسلام والف بينهم برسوله صلى الله عليه وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار مشفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت في تلك الحال لوقعتم في النار فانقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وتأنيثه لتأنيث ما اضيف اليه او لانه بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها طرفها كالجانب والجانبة واصله شفو فقلبت الواو في المذكر وحذفت في المؤنث كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم اياته دلائله لعلكم تهتدون ارادة ثباتكم على الهدى وازديادكم فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفاية ولانه لا يصلح له كل احد اذ للتصدي له شروط لا يشترك فيها جميع الامة كالعلم بالاحكام ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها والتمكن من القيام بها خاطب الجميع وطلب فعل بعضهم ليدل على انه واجب على الكل حتى لو تركوه رأسا اثموا جميعا ولكن يسقط بفعل بعضهم وهكذا كل ما هو فرض كفاية او للتبيين بمعنى وكونوا امة يأمرون بالمعروف كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف والدعاء الى الخير يعم الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي وعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه عطف الخاص على العام للايذان بفضله واولئك هم المفلحون المخصوصون بكمال الفلاح روي انه عليه الصلوة والسلام سئل من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم والامر بالمعروف

يكون واجبا ومندوبا على حسب ما يؤمر به والنهي عن المنكر واجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والاظهر ان العاصي يجب عليه ان ينهى عما يرتكبه لانه يجب عليه تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب الآخر ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا كاليهود والنصارى اختلفوا في التوحيد والتنزيه واحوال الآخرة على ما عرفت من بعد ما جاءهم البينات الآيات والحجج المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه والاظهر ان النهي فيه مخصوص بالتفرق في الاصول دون الفروع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة ولقوله عليه الصلاة والسلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد واولئك لهم عذاب عظيم وعيد للذين تفرقوا وتهديد على التشبه بهم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بما في لهم من معنى الفعل او باضمار اذكر وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك

فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم وهم المرتدون او اهل الكتاب كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم به قبل مبعثه او جميع الكفار كفروا بعد ما اقروا به حين اشهدهم على انفسهم او تمكنوا من الايمان بالنظر في الدلائل والايات فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او جزاء لكفركم واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله يعني الجنة والثواب المخلد عبر عن ذلك بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى لا يدخل الجنة الا برحمته وفضله وكان حق الترتيب ان يقدم ذكرهم لكن قصد ان يكون مطلع الكلام ومقطعه حلية المؤمنين وثوابهم هم فيها خالدون اخرجه مخرج الاستئناف للتأكيد كانه قيل كيف يكونون فيها فقال هم فيها خالدون تلك آيات الله الواردة في وعده ووعيده نتلوها عليك بالحق ملتبسة بالحق لا شبهة فيها وما الله يريد ظلما للعالمين اذ يستحيل الظلم منه لانه لا يحق عليه شئ فيظلم بنقصه ولا يمنع عن شئ

اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ

فيظلم بفعله لانه المالك على الاطلاق كما قال ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور فيجازى كلا بما وعد له واوعد كنتم خير امة دل على خيريتهم فيما مضى ولم يدل على انقطاع طرأ كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل كنتم في علم الله او في اللوح المحفوظ او فيما بين الامم المتقدمين اخرجت للناس اى اظهرت لهم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف بين به كونهم خير امة او خبر ثان لكنتم وتؤمنون بالله يتضمن الايمان بكل ما امر ان يؤمن به وانما اخره وحقه ان يقدم لانه قصد بذكره الدلالة على انهم امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به واظهارا لدينه واستدل بهذه الآية على ان الاجماع حجة لانها تقتضى كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر اذ اللام فيهما للاستغراق فلو اجمعوا على باطل كان امرهم على خلاف ذلك ولو آمن اهل الكتاب ايمانا كما ينبغى لكان خيرا لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر وهذه الجملة والتى بعدها واردتان على سبيل الاستطراد لن يضروكم الا اذى ضررا يسيرا كطعن وتهديد وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ينهزموا ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون احد ينصرهم عليكم او يدفع بأسكم عنهم نفى اضرارهم سوى ما يكون بقول وقرر ذلك بانهم لو قاموا الى القتال كانت الدائرة عليهم ثم اخبر بانه تكون عاقبتهم العجز والخذلان وقرئ لا ينصروا عطفا على يولوا على ان ثم للتراخى في المرتبة فيكون عدم النصر مقيدا بقتالهم وهذه الآية من المغيبات التى وافقها الواقع اذ كان كذلك حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر ضربت عليهم الذلة هدر النفس والمال والاهل وذل التمسك بالباطل والجزية اينما ثقفوا وجدوا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم عام الاحوال اى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا معتصمين او ملتبسين بذمة الله او كتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين او بدين الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤ بغضب من الله رجعوا به مستوجبين له وضربت عليهم المسكنة فهى محيطة بهم احاطة البيت المضروب على اهله واليهود في غالب الامر فقراء ومساكين

ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق بسبب كفرهم بالايات وقتلهم الانبياء والتقييد بغير حق مع انه كذلك فى نفس الامر للدلالة على انه لم يكن حقا بحسب اعتقادهم ايضا ذلك اى الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضى الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة فى الدنيا واستيجاب الغضب فى الاخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع ايضا ليسوا سواء فى المساوى والضمير لاهل الكتاب من اهل الكتاب امة قائمة استئناف لبيان نفى الاستواء والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون ايات الله اناء اليل وهم يسجدون يتلون القرآن فى تهجدهم عبر عنه بالتلاوة فى ساعات الليل مع السجود ليكون ابين وابلغ فى المدح وقيل المراد صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى انه عليه الصلوة والسلام أخرها ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات صفات أخر لامة وصفهم بخصائص ما كانت فى اليهود فانهم منحرفون عن الحق غير متعبدين فى الليل مشركون بالله ملحدون بصفاته واصفون اليوم الآخر بخلاف صفته مداهنون فى الاحتساب متباطئون عن الخيرات واولئك من الصالحين اى الموصوفون بتلك الصفات ممن صلحت احوالهم عند الله واستحقوا رضاه وثناءه وما يفعلوا من خير فلن يكفروه فلن يضيع ولا ينقص ثوابه البتة سمى ذلك كفرانا كما سمى توفية الثواب شكرا وتعديته الى مفعولين لتضمنه معنى الحرمان وقرأ حفص وحمزة والكسائى وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء والباقون بالتاء والله عليم بالمتقين بشارة لهم واشعار بان التقوى مبدأ الخير وحسن العمل وان الفائز عند الله هو اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من العذاب او من الغناء فيكون مصدرا واولئك اصحاب النار ملازموها هم فيها خالدون مثل ما ينفقون ما ينفق الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر برد شديد والشائع اطلاقه للريح الباردة كالصرصر فهو فى الاصل مصدر نعت به او نعت وصف بها البرد للمبالغة كقولك برد بارد اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فاهلكته عقوبة لهم لان الاهلاك عن سخط اشد والمراد تشبيه ما انفقوا فى ضياعه بحرث كفار ضربته صر فاستأصلته ولم يبق لهم فيه منفعة ما فى الدنيا والآخرة وهو من التشبيه المركب ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يقدر كمثل مهلك ريح وهو الحرث وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون اى ما ظلم المنفقين بضياع نفقاتهم ولكنهم ظلموا انفسهم لما لم ينفقوها بحيث يعتد بها او ما ظلم اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكنّ اى ولكنّ انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يقدر ضمير الشأن لانه لا يحذف الا فى ضرورة الشعر كقوله ولكنّ من يبصر جفونك يعشق

عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (١١٢) ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون (١١٣) يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين (١١٤) وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين (١١٥) ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون (١١٦) مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم

اللّٰهُ وَلٰكِنْ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴿١١٧﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوْا بِطَانَةً مِّنْ دُوْنِكُمْ لَا يَاْلُوْنَكُمْ خَبَالًا وَدُّوْا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَآءُ مِنْ اَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِيْ صُدُوْرُهُمْ اَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْاٰيٰتِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴿١١٨﴾ هٰٓاَنْتُمْ اُولَآءِ تُحِبُّوْنَهُمْ وَلَا يُحِبُّوْنَكُمْ وَتُؤْمِنُوْنَ بِالْكِتٰبِ كُلِّهٖ وَاِذَا لَقُوْكُمْ قَالُوْٓا اٰمَنَّا وَاِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الْاَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ﴿١١٩﴾ اِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَّفْرَحُوْا بِهَا وَاِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ مُحِيْطٌ ﴿١٢٠﴾ وَاِذْ غَدَوْتَ مِنْ اَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِيْنَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّٰهُ سَمِيْعٌ عَلِيْمٌ ﴿١٢١﴾ اِذْ هَمَّتْ

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة وليجة وهو الذي يعرفه الرجل اسراره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما شبه بالشعار قال عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار من دونكم من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف هو صفة بطانة اى بطانة كائنة من دونكم لا يألونكم خبالا اى لا يقصرون لكم في الفساد والألو التقصير واصله ان يعدى بالحرف وعدى الى مفعولين كقولهم لا آلوك نصحا على تضمين معنى المنع او النقص ودوا ما عنتم تمنوا عنتكم وهو شدة الضرر والمشقة وما مصدرية قد بدت البغضاء من افواههم اى في كلامهم لانهم لا يتمالكون انفسهم لفرط بغضهم وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم والجمل الاربع جاءت مستأنفات على التعليل ويجوز ان تكون الثلاث الاول صفات لبطانة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم اى انتم اولاء الخاطئون في موالاة الكفار وتحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطأهم في موالاتهم وهو خبر ثان او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلته او حال والعامل فيها معنى الاشارة ويجوز ان ينصب اولاء بفعل مضمر يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله بجنس الكتاب كله وهو حال من لا يحبونكم والمعنى انهم لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم ايضا فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم قالوا امنا نفاقا وتغريرا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ من اجله تأسفا وتحسرا حيث لم يجدوا الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله حتى يهلكوا به ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدورهم من البغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تخفونه من عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى قل لهم ذلك ولا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بالاخفى من ضمائرهم ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة والمس مستعار للاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله جل جلاله عليكم لا يضركم كيدهم شيئا بفضل الله عز وجل وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد في الامر المتدرب بالاتقاء والصبر يكون قليل الانفعال جريئا على الخصم وضمة الراء للاتباع كضمة مد وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب لا يضركم من ضاره يضيره ان الله بما تعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط اى محيط علمه فيجازيكم بما انتم اهله وقرئ بالياء اى بما يعملون في عداوتكم عالم فيعاقبهم عليه واذ غدوت اى واذكر اذ غدوت من اهلك اى من حجرة عائشة رضي الله عنها تبوئ المؤمنين تنزلهم او تسوى وتهيئ لهم ويؤيده القراءة باللام مقاعد للقتال مواقف واماكن له وقد يستعمل المقعد والمقام بمعنى المكان على الاتساع كقوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فاستشار الرسول عليه السلام اصحابه وقد دعا عبد الله ابن ابي بن سلول ولم يدعه من قبل فقال هو واكثر الانصار اقم يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين واشار بعضهم الى الخروج فقال عليه السلام انى رأيت في منامي بقرة مذبوحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا وبالغوا حتى دخل فلبس لامته فلما رأوا ذلك ندموا على مبالغتهم وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج بعد صلاة الجمعة واصبح بشعب احد يوم السبت ونزل في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وسوى صفهم وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا

اذ همت متعلق بقوله سميع عليم او بدل من اذ غدوت طائفتان منكم بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس وكانا جناحي العسكر ان تفشلا ان تجبنا وتضعفا روى انه عليه السلام خرج فى زهاء ألف رجل ووعدهم النصر ان صبروا فلما بلغوا الشوط انخزل ابن ابى فى ثلاثمائة رجل وقال علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى وقال انشدكم الله فى نبيكم وانفسكم فقال ابن ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباعه فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والظاهر انها ما كانت عزيمة لقوله تعالى والله وليهما اى عاصمهما من اتباع تلك الخطرة ويجوز ان يراد والله ناصرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون اى فليتوكلوا عليه ولا يتوكلوا على غيره لينصرهم كما نصرهم ببدر ولقد نصركم الله ببدر تذكير ببعض ما افادهم التوكل وبدر ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمى به وانتم اذلة حال من الضمير وانما قال اذلة ولم يقل ذلائل تنبيها على قلتهم مع ذلتهم لضعف الحال وقلة المراكب والسلاح فاتقوا الله فى الثبات لعلكم تشكرون ما انعم به عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم الله عليكم فتشكرون فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه

طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن

اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم وقيل بدل ثان من اذ غدوت على ان قولهم يوم احد وكان مع اشتراط الصبر والتقوى عن المخالفة فلما لم يصبروا عن الغنائم وخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم لم تنزل الملائكة الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين انكار ان لا يكفيهم ذلك وانما جئ بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم قيل امدهم الله يوم بدر اولا بألف من الملائكة ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة وقرأ ابن عامر منزلين بالتشديد للتكثير او للتدريج بلى ايجاب لما بعد لن اى بلى يكفيكم ثم وعد لهم الزيادة على الصبر والتقوى حثا عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم اطلق للحال التى لا ريث فيها ولا تراخى والمعنى ان يأتوكم فى الحال يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة فى حال اتيانهم بلا تراخ ولا تأخير مسومين معلمين من التسويم الذى هو اظهار سيما الشئ لقوله عليه الصلاة والسلام لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت او مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو وما جعله الله وما جعل امدادكم بالملائكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم به ولتسكن اليه من الخوف وما النصر الا من عند الله لا من العدة والعدد وهو تنبيه على انه لا حاجة فى نصرهم الى مدد وانما امدهم ووعد لهم به بشارة لهم وربطا على قلوبهم من حيث ان نظر العامة الى الاسباب اكثر وحثا على ان لا يبالوا بمن تأخر عنهم العزيز الذى لا يغالب فى اقضيته الحكيم الذى ينصر ويخذل بوسط وبغير وسط على مقتضى الحكمة والمصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم او وما النصر ان كان اللام فيه للعهد والمعنى لينقص منهم بقتل بعض واسر آخرين وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من صناديدهم او يكبتهم او يخزيهم والكبت شدة الغيظ او وهن يقع فى القلب وأو للتنويع دون الترديد فينقلبوا خائبين فينهزموا منقطعى الآمال ليس لك من الامر شئ اعتراض او يتوب عليهم او يعذبهم

عطف على قوله او يكبتهم والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شئ وانما انت عبد مأمور لانذارهم وجهادهم ويحتمل ان يكون معطوفا على الامر او شئ باضمار ان اى ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم شئ او ليس لك من امرهم شئ او التوبة عليهم او تعذيبهم وان يكون او بمعنى الا ان اى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او يعذبهم فتتشفى منهم روى ان عتبة بن ابى وقاص شجه يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فنزلت وقيل هم ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه بان فيهم من يؤمن فانهم ظالمون قد استحقوا التعذيب بظلمهم ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا فله الامر كله لا لك

يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم لعباده فلا تبادر الى الدعاء عليهم يا ايها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافا فامضاعفة لا تزيدوا ازيادات مكررة ولعل التخصيص بحسب الواقع اذ كان الرجل منهم يربي الى اجل ثم يزيد فيه بزيادة
اخرى حتى يستغرق بالشيء الطفيف مال المديون وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون راجين الفلاح
واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطي افعالهم وفيه تنبيه على ان النار بالذات معدة للكافرين وبالعرض للعصاة
واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون اتبع الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا في الطاعة ولعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل
خبراله وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة من ربكم الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام والتوبة والاخلاص وقرأ نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة عرضها

يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم ﴿١٢٩﴾ يا أيها
الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله
لعلكم تفلحون ﴿١٣٠﴾ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴿١٣١﴾
وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴿١٣٢﴾ وسارعوا
إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت
للمتقين ﴿١٣٣﴾ الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين
الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴿١٣٤﴾
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم
يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴿١٣٥﴾ أولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها

السموات والارض اي عرضها كعرضهما وذكر العرض للمبالغة في وصفها
بالسعة على طريقة التمثيل لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع
ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين هيئت لهم وفيه دليل على
ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون صفة
مادحة للمتقين او مدح منصوب او مرفوع في السراء والضراء في حالي
الرخاء والشدة او الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة
والمعنى لا يخلون في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير
والكاظمين الغيظ الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة من كظمت
القربة اذا ملأتها وشددت رأسها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس
التاركين عقوبة من استحقوا مؤاخذته وعن النبي عليه الصلاة والسلام
ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت والله يحب المحسنين يحتمل الجنس ويدخل تحته هؤلاء
او العهد فتكون الاشارة اليهم والذين اذا فعلوا فاحشة فعلة بالغة
في القبح كالزنى او ظلموا انفسهم بأن اذنبوا اي ذنب كان وقيل
الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ولعل الفاحشة ما يتعدى
وظلم النفس ما ليس كذلك ذكروا الله تذكروا وعيده او حكمه
او حقه العظيم فاستغفروا لذنوبهم بالندم والتوبة ومن يغفر
الذنوب الا الله استفهام بمعنى النفي معترض بين المعطوفين والمراد به
وصفه تعالى بسعة الرحمة وعموم المغفرة والحث على الاستغفار
والوعد بقبول التوبة ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على ذنوبهم
غير مستغفرين لقوله صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان
عاد في اليوم سبعين مرة وهم يعلمون حال من يصروا اي
ولم يصروا على قبيح فعلهم عالمين به اولئك جزاؤهم مغفرة
من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر للذين ان ابتدأت به وجملة مستأنفة مبينة لما قبلها ان عطفت على المتقين او على
الذين ينفقون ولا يلزم من اعداد الجنة للمتقين والتائبين جزاء لهم ان لا يدخلها المصرون كما لا يلزم من اعداد النار للكافرين جزاء لهم
ان لا يدخلها غيرهم وتنكير جنات على الاول يدل على ان ما لهم ادون مما للمتقين الموصوفين بتلك الصفات المذكورة في الآية المتقدمة
وكفاك فارقا بين القبيلين انه فصل آيتهم بان بين انهم محسنون مستوجبون لمحبة الله وذلك لانهم حافظوا على حدود الشرع
وتخطوا الى التخصيص بمكارمه وفصل آية هؤلاء بقوله



وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ

ونعم اجر العاملين لان المتدارك لتقصيره كالعامل لتحصيل بعض ما فوّت على نفسه وكم بين المحسن والمتدارك والمحبوب والاجير ولعل تبديل لفظ الجزآء بالاجر لهذه النكتة والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت من قبلكم سنن وقائع سنها الله في الامم المكذبة كقوله تعالى وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل امم قال ما عاين الناس من فضل كفضلكم ولا رأوا امثله في سالف السنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لتعتبروا بما ترون من آثار هلاكهم هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين اشارة الى قوله قد خلت او مفهوم قوله فانظروا اي انه مع كونه بيانا للمكذبين فهو زيادة بصيرة وموعظة للمتقين او الى ما لخص من امر المتقين والتائبين وقوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان والتوبة وقيل الى القرآن ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية لهم عما اصابهم يوم احد والمعنى لا تضعفوا عن الجهاد بما اصابكم ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى منهم شأنا فانكم على الحق وقتالكم لله وقتلاكم في الجنة وانهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم او وانتم الاعلون في العاقبة فيكون بشارة لهم بالنصر والغلبة ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي اي لا تهنوا ان صح ايمانكم فانه يقتضي قوة القلب بالوثوق على الله او بالاعلون ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم بضم القاف والباقون بالفتح وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها والمعنى ان اصابوا منكم يوم احد فقد اصبتم منهم يوم بدر مثله ثم انهم لم يضعفوا ولم يجبنوا فانتم اولى بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم وتلك الايام نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقوله فيوم علينا ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر والمداولة كالمعاودة يقال داولت الشئ بينهم فتداولوه والايام تحتمل الوصف والخبر ونداولها يحتمل الخبر والحال والمراد بها اوقات النصر والغلبة وليعلم الله الذين امنوا عطف على علة محذوفة اي نداولها ليكون كيت وكيت وليعلم الله ايذانا بان العلة فيه غير واحدة وان ما يصيب المؤمن فيه من المصالح ما لا يعلم او الفعل المعلل به محذوف تقديره وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك والقصد في امثاله ونقائضه ليس الى اثبات علمه تعالى ونفيه بل الى اثبات المعلوم ونفيه على طريقة البرهان وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزآء وهو العلم بالشئ موجودا ويتخذ منكم شهداء ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد شهداء احد او يتخذ منكم شهودا معدلين بما صودف منهم من الثبات والصبر على الشدآئد والله لا يحب الظالمين الذين يضمرون خلاف ما يظهرون او الكافرين وهو اعتراض وفيه تنبيه على انه تعالى لا ينصر الكافرين على الحقيقة وانما يغلبهم احيانا استدراجا لهم وابتلاء للمؤمنين وليمحص الله الذين امنوا ليطهرهم ويصفيهم من الذنوب ان كانت عليهم ويمحق الكافرين ويهلكهم ان كانت عليهم والمحق نقص الشئ قليلا قليلا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة بل احسبتم ومعناه الانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولما تجاهدوا وفيه دليل على ان الجهاد فرض كفاية والفرق بين لما ولم ان فيه توقع الفعل فيما يستقبل وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون ويعلم الصابرين نصب باضمار ان على ان الواو للجمع وقرئ بالرفع على ان الواو للحال كانه قال ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت اي الحرب فانها من اسباب الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وتمنوا ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا يوم احد على الخروج من قبل ان تلقوه من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته فقد رأيتموه وانتم تنظرون اي فقد رأيتموه معاينين له حين قتل دونكم من قتل من اخوانكم وهو توبيخ لهم على انهم تمنوا الحرب وتسببوا لها ثم جبنوا وانهزموا عنها او على تمني الشهادة فان في تمنيها تمني غلبة الكفار وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا بالموت او القتل

أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ
اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ
الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ
وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ
كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا
وَمَا اسْتَكَانُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ
إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ
أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ
ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ

افان مات اوقتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم على اعقابهم عن الدين لخلوه بموت اوقتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به وقيل الفاء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد وفاته روى انه لما رمى عبدالله بن قمئة الحارثى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل النبى عليه السلام فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول عليه السلام يدعو الى عباد الله فانحاز اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى يأخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لوكان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم ودينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى لايموت وما تصنعون بالحياة بعده فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقولون وابرأ منه وشد بسيفه فقاتل حتى قتل فنزلت ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ بارتداده بل يضر نفسه وسيجزى الله الشاكرين على نعمة الاسلام بالثبات عليه كأنس واضرابه وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله الا بمشيئته تعالى او باذنه لملك الموت عليه السلام فى قبض روحه والمعنى ان لكل نفس اجلا مسمى فى علمه تعالى وقضائه لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون بالاحجام عن القتال والاقدام عليه وفيه تحريض وتشجيع على القتال ووعد للرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ وتأخير الاجل كتابا مصدر مؤكد اذ المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا صفة له اى موقتا لايتقدم ولايتأخر ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها تعريض بمن شغلتهم الغنائم يوم احد فان المسلمين حملوا على المشركين وهزموهم واخذوا ينهبون فلما رأى الرماة ذلك اقبلوا على النهب وخلوا مكانهم فانتهز المشركون وحملوا عليهم من ورائهم فهزموهم ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها اى من ثوابها وسنجزى الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شئ عن الجهاد وكأين اصله اى دخلت الكاف عليها وصارت بمعنى كم والنون تنوين اثبت فى الخط على غير قياس وقرأ ابن كثير وكائن ككاعن ووجهه انه قلب قلب الكلمة الواحدة كقولهم رعملى فى لعمرى فصار كيأن ثم حذفت الياء الثانية للتخفيف ثم ابدلت الياء الاخرى الفا كما ابدلت من طائى من نبى بيان له قاتل معه ربيون كثير ربانيون علماء اتقياء او عابدون لربهم وقيل جماعات والربى منسوب الى الربة وهى الجماعة للمبالغة وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ويعقوب قتل واسناده الى ربيون او ضمير النبى ومعه ربيون حال منه ويؤيد الاول انه قرئ بالتشديد وقرئ ربيون بالفتح على الاصل وبالضم وهو من تغييرات النسب كالكسر فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله فما فتروا ولم تنكسر حدتهم لما اصابهم من قتل النبى او بعضهم وما ضعفوا عن العدو او فى الدين وما استكانوا وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل به مايريده والالف من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه يطلب من نفسه ان تكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم عند الارجاف بقتله عليه الصلاة والسلام والله يحب الصابرين فينصرهم ويعظم قدرهم وماكان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين اى وماكان قولهم مع ثباتهم وقوتهم فى الدين وكونهم ربانيين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم هضما لها واضافة لما اصابهم الى سوء اعمالها والاستغفار عنها ثم طلب التثبيت فى مواطن الحرب لله والنصر على العدو ليكون عن خضوع وطهارة فيكون اقرب الى الاجابة وانما جعل قولهم خبرا لان أن قالوا اعرف لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث فآتيهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين فآتاهم الله بسبب الاستغفار واللجأ الى الله النصر والغنيمة والعز وحسن الذكر فى الدنيا والجنة والنعيم فى الآخرة وخص ثوابها بالحسن اشعارا بفضله وانه المعتد به عنده

يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم اى الى الكفر على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى دينكم واخوانكم ولو كان محمد نبيا ما قتل وقيل ان تستكينوا لابى سفيان واشياعه وتستأمنوهم يردوكم الى دينهم وقيل عام فى مطاوعة الكفرة والنزول على حكمهم فانه يستجر الى موافقتهم بل الله مولاكم ناصركم وقرئ بالنصب على تقدير بل اطيعوا الله مولاكم وهو خير الناصرين فاستغنوا به عن ولاية غيره ونصره سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب يريد ما قذف فى قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ونادى ابو سفيان يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله وقيل لما رجعوا وكانوا ببعض الطريق ندموا وعزموا ان يعودوا عليهم ليستأصلوهم فألقى الله الرعب فى قلوبهم وقرأ ابن عامر والكسائى ويعقوب بالضم على الاصل فى كل القرآن بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا اى آلهة ليس على اشراكها حجة ولم ينزل عليهم به سلطان وهو كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر واصل السلطنة القوة ومنه السليط لقوة اشتعاله والسلاطة لحدة اللسان

على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴿١٤٩﴾ بل الله مولىكم وهو خير الناصرين ﴿١٥٠﴾ سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطنا ومأوىهم النار وبئس مثوى الظلمين ﴿١٥١﴾ ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنزعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اركم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴿١٥٢﴾ اذ تصعدون ولا تلون على احد والرسول يدعوكم فى اخرىكم فاثبكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصبكم والله خبير بما تعملون ﴿١٥٣﴾ ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا

ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتغليظ والتعليل ولقد صدقكم الله وعده اى وعده اياهم بالنصر بشرط التقوى والصبر وكان كذلك حتى خالف الرماة فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم بالنبل والباقون يضربونهم بالسيف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم باذنه تقتلونهم من حسه اذا ابطل حسه حتى اذا فشلتم جبنتم وضعف رأيكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف العقل وتنازعتم فى الامر يعنى اختلاف الرماة حين انهزم المشركون فقال بعضهم فما موقفنا ههنا وقال آخرون لا نخالف امر الرسول فثبت مكانه اميرهم فى نفر دون العشرة ونفر الباقون للنهب وهو المعنى بقوله وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون من الظفر والغنيمة وانهزام العدو وجواب اذا محذوف وهو امتحنكم منكم من يريد الدنيا وهم التاركون المركز للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة وهم الثابتون محافظة على امر الرسول ثم صرفكم عنهم ثم كفكم عنهم حتى حالت الحال فغلبوكم ليبتليكم على المصائب ويمتحن ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمهم على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او فى الاحوال كلها سواء اديل لهم او عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بيبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض يقال اصعدنا من مكة الى المدينة ولا تلوون على احد ولا يقف احد لاحد ولا ينتظره والرسول يدعوكم كان يقول الى عباد الله الى عباد الله انا رسول الله من يكر فله الجنة فى اخراكم فى ساقتكم او جماعتكم الاخرى فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم عطف على صرفكم والمعنى فجازاكم الله عن فشلكم وعصيانكم غما متصلا بغم من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم او فجازاكم غما بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على نفع فائت وضر لاحق وقيل لا مزيدة والمعنى لتأسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجرح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى فاثابكم للرسول الله صلى الله عليه وسلم اى فآساكم فى الاغتمام فاغتم بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثربكم على عصيانكم تسلية لكم كيلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر ولا على ما اصابكم من الهزيمة والله خبير بما تعملون عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله عليكم الامن حتى اخذكم النعاس وعن ابى طلحة غشينا النعاس فى المصاف حتى كان السيف يسقط من يد احدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه والامنة الامن نصب على المفعول ونعاسا بدل منها او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة او مفعول له او حال من المخاطبين بمعنى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها المرة من الامن

يغشى طائفة منكم اى النعاس وقرأ حمزة والكسائى بالتاء ردا على الامنة والطائفة المؤمنون حقا وطائفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم اوقعتهم انفسهم فى الهموم اوما يهمهم الا هم انفسهم وطلب خلاصها يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية صفة اخرى لطائفة او حال او استئناف على وجه البيان لما قبله وغير الحق نصب على المصدر اى يظنون بالله غير الظن الحق الذى يحق ان يظن به وظن الجاهلية بدله وهو الظن المختص بالملة الجاهلية واهلها يقولون اى لرسول الله صلى الله عليه وهو بدل من يظنون هل لنا من الامر من شئ هل لنا مما امر الله ووعده من النصر والظفر نصيب وقيل اخبر ابن ابى بقتل بنى الخزرج فقال ذلك والمعنى انا منعنا تدبير انفسنا او تصريفها باختيارنا فلم يبق لنا من الامر شئ او هل يزول عنا هذا القهر فيكون لنا من الامر شئ قل ان الامر كله لله اى الغلبة الحقيقية لله واوليائه فان حزب الله هم الغالبون او القضاء له يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو اعتراض وقرأ

يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ
بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ
قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ
فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ
وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى
الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ
عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا
فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا

ابو عمرو ويعقوب كله بالرفع على الابتداء يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك حال من ضمير يقولون اى يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصرة مبطنين الانكار والتكذيب يقولون اى فى انفسهم او اذا خلا بعضهم الى بعض وهو بدل من يخفون او استئناف على وجه البيان له لو كان لنا من الامر شئ كما وعد محمد او زعم ان الامر كله لله ولاوليائه او لو كان لنا اختيار وتدبير لم نبرح كما كان رأى ابن ابى وغيره ما قتلنا ههنا ما غلبنا ولما قتل من قتل منا فى هذه المعركة قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم اى لخرج الذين قدر الله عليهم القتل وكتب فى اللوح المحفوظ الى مصارعهم ولم ينفعهم الاقامة بالمدينة ولم ينج منه احد فانه قدر الامور ودبره فى سابق قضائه لا معقب لحكمه وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمتحن الله ما فى صدوركم ويظهر سرائرها من الاخلاص والنفاق وهو علة فعل محذوف اى وفعل ذلك ليبتلى او عطف على محذوف اى لبرز لنفاذ القضاء او لمصالح جمة وللابتلاء او على قوله لكيلا تحزنوا وليمحص ما فى قلوبكم وليكشفه ويميزه او يخلصه من الوساوس والله عليم بذات الصدور بخفياتها قبل اظهارها وفيه وعد ووعيد وتنبيه على انه غنى عن الابتلاء وانما فعل ذلك لتمييز المؤمنين واظهار حال المنافقين ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا يعنى ان الذين انهزموا يوم احد انما كان السبب فى انهزامهم ان الشيطان طلب منهم الزلل فاطاعوه واقترفوا ذنوبا بترك المركز والحرص على الغنيمة او الحياة ومخالفة النبى صلى الله عليه وسلم فمنعوا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بسبب ذنوب تقدمت لهم فان المعاصى يجر بعضها بعضا كالطاعة وقيل استزلهم بذكر ذنوب سلفت منهم فكرهوا القتل قبل اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل فى عقوبة المذنب كى يتوب يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعنى المنافقين وقالوا لاخوانهم لاجلهم وفيهم ومعنى اخوتهم اتفاقهم فى النسب او المذهب اذا ضربوا فى الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وكان حقه اذ لقوله قالوا لكنه جاء على حكاية الحال الماضية او كانوا غزى جمع غاز كعاف وعفى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا مفعول قالوا وهو يدل على ان اخوانهم لم يكونوا مخاطبين به

ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم متعلق بقالوا على ان اللام لام العاقبة مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لاتكونوا مثلهم في النطق بذلك القول والاعتقاد ليجعله
حسرة في قلوبهم خاصة فذلك اشارة الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد وقيل الى ما دل عليه النهي اي لاتكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان
مخالفتهم ومضادتهم مما يغمهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي هو المؤثر في الحياة والممات لا الاقامة والسفر فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان يماثلوهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي بالياء على انه وعيد للذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم اي متم في سبيله وقرأ
نافع وحمزة والكسائي بكسر الميم من مات يمات لمغفرة من الله ورحمة خير مما تجمعون جواب القسم وهو ساد مسد الجزاء والمعنى ان السفر والغزاء ليس مما يجلب
الموت ويقدم الاجل وان وقع ذلك في سبيل الله فما تنالون من المغفرة والرحمة بالموت خير مما تجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وقرأ حفص بالياء ولئن متم

ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير ﴿١٥٦﴾ ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴿١٥٧﴾ ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون ﴿١٥٨﴾ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ﴿١٥٩﴾ ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٦٠﴾ وما كان لنبي ان يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴿١٦١﴾ أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴿١٦٢﴾

او قتلتم على اي وجه اتفق هلاككم لالى الله تحشرون لالى معبودكم
الذي توجهتم اليه وبذلتم مهجكم لوجهه لا الى غيره لامحالة تحشرون فيوفي
جزاءكم ويعظم ثوابكم فبما رحمة من الله لنت لهم اي فبرحمة وما مزيدة
للتأكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله وهو ربطه على
جأشه وتوفيقه للرفق بهم حتى اغتم لهم بعد ان خالفوه ولو كنت فظا
سيئ الخلق جافيا غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك ولم يسكنوا اليك فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم
فيما لله وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ الكلام فيه او فيما يصح
ان يشاور فيه استظهارا برأيهم وتطييبا لنفوسهم وتمهيدا لسنة المشاورة
للامة فاذا عزمت فاذا وطنت نفسك على شيء بعد الشورى فتوكل
على الله في امضاء امرك على ما هو اصلح لك فانه لا يعلمه سواه وقرئ فاذا
عزمت على التكلم اي فاذا عزمت لك على شيء وعينته لك فتوكل علي ولا تشاور
فيه احدا ان الله يحب المتوكلين فينصرهم ويهديهم الى الصلاح ان
ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان
يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم من بعده من بعد خذلانه
او من بعد الله بمعنى اذا جاوزتموه فلا ناصر لكم وهذا تنبيه على المقتضي للتوكل
وتحريض على ما يستحق به النصر من الله وتحذير عما يستجلب خذلانه وعلى الله
فليتوكل المؤمنون فليخصوه بالتوكل عليه لما علموا ان لا ناصر سواه وآمنوا به
وما كان لنبي ان يغل وما صح لنبي ان يخون في الغنائم فان النبوة تنافي
الخيانة يقال غل شيأ من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية
والمراد منه اما برآءة الرسول عليه السلام مما اتهم به اذ روي ان قطيفة
حمرآء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخذها او ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز للغنيمة وقالوا
نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيأ فهو له ولا يقسم

الغنائم واما المبالغة في النهي للرسول صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسم على من معه ولم يقسم للطلائع
فنزلت فيكون تسمية حرمان بعض المستحقين غلولا تغليظا ومبالغة ثانية وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب ان يغل على البناء للمفعول والمعنى
ما صح له ان يوجد غالا او ان ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يأت بالذي غله يحمله على عنقه كما جاء في الحديث او بما احتمل من وباله واثمه
ثم توفى كل نفس ما كسبت تعطى جزاء ما كسبت وافيا وكان اللائق بما قبله ان يقال ثم يوفى ما كسب لكنه عمم الحكم ليكون كالبرهان على المقصود والمبالغة فيه فانه اذا
كان كل كاسب مجزيا بعمله فالغال مع عظم جرمه بذلك اولى وهم لا يظلمون فلا ينقص ثواب مطيعهم ولا يزاد في عقاب عاصيهم أفمن اتبع رضوان الله بالطاعة
كمن باء رجع بسخط من الله بسبب المعاصي ومأواه جهنم وبئس المصير الفرق بينه وبين المرجع ان المصير يجب ان يخالف الحالة الاولى ولا كذلك المرجع

هم درجات عند الله شبهوا بالدرجات لما بينهم من التفاوت فى الثواب والعقاب او هم ذوو درجات والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها صادرة عنهم فيجازيهم على حسبها
لقد من الله على المؤمنين انعم على من امن مع الرسول صلى الله عليه وسلم من قومه وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها وقرئ لمن من الله على انه خبر مبتدأ محذوف مثل منه او
بعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اى من اشرفهم لانه عليه
السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونهم يتلوا عليهم اياته اى القرآن بعد ما كانوا جهالا لم يسمعوا الوحى ويزكيهم يطهرهم من دنس الطباع وسوء الاعتقاد والاعمال ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشأن كانوا من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى ضلال
ظاهر اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا الهمزة للتقرير والتقريع والواو عاطفة للجملة على ما سبق من قصة احد او على محذوف مثل أفعلتم كذا وقلتم ولما ظرفه المضاف

هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ اِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ اَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهٖ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَاِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ اَوَلَمَّا اَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ اَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ اَنّٰى هٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اَنْفُسِكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا اَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِاِذْنِ اللّٰهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ اَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ اَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْاِيمَانِ يَقُولُونَ بِاَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ اَلَّذِينَ قَالُوا لِاِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ اَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُا

الى اصابتكم اى حين اصابتكم مصيبة وهى قتل سبعين منكم يوم احد والحال انكم نلتم
ضعفها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من اين هذا اصابنا وقد وعدنا الله النصر
قل هو من عند انفسكم اى مما اقترفته انفسكم من مخالفة الامر بترك المركز فان الوعد
كان مشروطا بالثبات والمطاوعة او اختيار الخروج من المدينة وعن على رضى الله تعالى
عنه باختياركم الفداء يوم بدر ان الله على كل شئ قدير فيقدر على النصر ومنعه وعلى
ان يصيب بكم ويصيب منكم وما اصابكم يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع المشركين
يريد يوم احد فبأذن الله فهو كائن بقضائه وتخليته الكفار سماها اذنا لانها من لوازمه
وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وليتميز المؤمنون والمنافقون فيظهر ايمان هؤلاء وكفر
هؤلاء وقيل لهم عطف على نافقوا داخل فى الصلة او كلام مبتدأ تعالوا قاتلوا فى سبيل
الله او ادفعوا تقسيم للامر عليهم وتخيير بين ان يقاتلوا للآخرة او الدفع عن الانفس والاموال
وقيل معناه قاتلوا الكفرة او ادفعوهم بتكثيركم سواد المجاهدين فان كثرة السواد مما يروع
العدو ويكسر همته قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم فيه لكن
ما انتم عليه ليس بقتال بل القاء بالانفس الى التهلكة او لو نحسن قتالا لاتبعناكم فيه وانما
قالوه دغلا واستهزاء هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان لانخزالهم وكلامهم هذا فانهما
اول امارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم وقيل هم لاهل الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان
اذ كان انخزالهم ومقالهم تقوية للمشركين وتخذيلا للمؤمنين يقولون بافواههم ما ليس
فى قلوبهم يظهرون خلاف ما يضمرون لا تواطئ قلوبهم السنتهم بالايمان واضافة
القول الى الافواه تأكيد وتصوير والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يخلو به بعضهم
الى بعض فانه يعلمه مفصلا بعلم واجب وانتم تعلمونه مجملا بأمارات الذين قالوا
رفع بدلا من واو يكتمون او نصب على الذم او الوصف للذين نافقوا او جر بدلا من
الضمير فى بافواههم او قلوبهم كقوله على جوده لضن بالماء حاتم لاخوانهم
اى لاجلهم يريد من قتل يوم احد من اقاربهم او من جنسهم وقعدوا
حال مقدر بقد اى قالوا قاعدين عن القتل لو اطاعونا فى العقود ما قتلوا
كما لم نقتل وقرأ هشام ما قتلوا بالتشديد فى التاء قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين اى ان كنتم صادقين انكم تقدرون على دفع القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت واسبابه فانه احرى بكم والمعنى ان القعود غير مغن عن الموت فان
اسباب الموت كثيرة وكما ان القتال يكون سببا للهلاك والقعود يكون سببا للنجاة قد يكون الامر بالعكس ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا نزلت فى شهداء احد وقيل
فى شهداء بدر والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على اسناده الى ضمير الرسول او من يحسب او الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف
لانه فى الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة وقرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اى بل هم احياء وقرئ بالنصب على معنى بل احسبهم احياء عند ربهم
ذوو زلفى منه يرزقون من الجنة وهو تأكيد لكونهم احياء فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والقرب من الله والتمتع بنعيم الجنة
ويستبشرون ويسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اى باخوانهم المؤمنين الذين لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم اى الذين من خلفهم زمانا أو رتبة

ان لاخوف عليهم ولاهم يحزنون بدل من الذين والمعنى انهم يستبشرون بما تبين لهم من امر الآخرة وحال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم اذا ماتوا اوقتلوا كانوا احياء حياة لا يكدرها خوف وقوع محذور وحزن فوات محبوب والآية تدل على ان الانسان غير الهيكل المحسوس بل هو جوهر مدرك بذاته لايفنى بخراب البدن ولايتوقف عليه ادراكه وتألمه والتذاذه ويؤيد ذلك قوله تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها الآية وماروى ابن عباس رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال ارواح الشهداء في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش ومن انكر ذلك ولم ير الروح الا ريحا وعرضا قال هم احياء يوم القيامة وانما وصفوا به في الحال لتحققه ودنوه اواحياء بالذكر اوبالايمان وفيها حث على الجهاد وترغيب في الشهادة وبعث على ازدياد الطاعة واحماد لمن يتمنى لاخوانه مثل ما انعم عليه وبشرى للمؤمنين بالفلاح يستبشرون كرره للتأكيد وليعلق به ماهو بيان لقوله ان لاخوف ويجوز ان يكون الاول بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بنعمة من الله ثوابا لاعمالهم وفضل زيادة عليه كقوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وتنكيرهما للتعظيم وان الله لايضيع اجر المؤمنين

عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٧٠﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧١﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٣﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٤﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٥﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ

من جملة المستبشر به عطف على فضل وقرأ الكسائي بالكسر على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجرهم على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة واجوره مضيعة الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين اونصب على المدح اومبتدأ خبره للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود من ذكر الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون متقون روي ان اباسفيان واصحابه لما رجعوا فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب اصحابه للخروج في طلبه وقال لايخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج عليه الصلاة والسلام مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي على ثمانية اميال من المدينة وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لايفوتهم الاجر وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلهم من عبد قيس اونعيم بن مسعود الاشجعي واطلق عليه الناس لانه من جنسه كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد ولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم يعني اباسفيان واصحابه روي انه نادى عند انصرافه من احد يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج في اهل مكة حتى نزل بمر الظهران فانزل الله الرعب في قلبه وبدا له ان يرجع فمر به ركب من عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك والتزم له عشرا من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احد الا شريد أفترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففتروا فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله فزادهم ايمانا الضمير المستكن للقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والبارز للمقول لهم والمعنى انهم لم يلتفتوا اليه ولم يضعفوا بل ثبت به يقينهم بالله وازداد ايمانهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يزيد



وينقص ويعضده قول ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وهذا ظاهر ان جعل الطاعة من جملة الايمان وكذا ان لم تجعل فان اليقين يزداد بالالف وكثرة التأمل وتناصر الحجج وقالوا حسبنا الله محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب انه لايستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله عافية وثبات على الايمان وزيادة فيه وفضل ربح في التجارة فانهم لما اتوا بدرا وافوا بها سوقا فاتجروا وربحوا لم يمسسهم سوء من جراحة وكيد عدو واتبعوا رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين بجرأتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجرأة على العدو وبالحفظ عن كل مايسوءهم واصابة النفع مع ضمان الاجر حتى انقلبوا بنعمة من الله وفضل وفيه تحسير للمتخلف وتخطئة رأيه حيث حرم نفسه ما فازوا به

يُخَوِّفُ اَوْلِيَآءَهٗ فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافُوْنِ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِيْنَ يُسَارِعُوْنَ فِى الْكُفْرِ اِنَّهُمْ لَنْ يَّضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا يُرِيْدُ اللّٰهُ اَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْاٰخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴿١٧٦﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْاِيْمَانِ لَنْ يَّضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اَنَّمَا نُمْلِىْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّاَنْفُسِهِمْ اِنَّمَا نُمْلِىْ لَهُمْ لِيَزْدَادُوْا اِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِيْنٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ عَلٰى مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتّٰى يَمِيْزَ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يَجْتَبِىْ مِنْ رُّسُلِهٖ مَنْ يَّشَآءُ فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ وَاِنْ تُؤْمِنُوْا وَتَتَّقُوْا فَلَكُمْ اَجْرٌ عَظِيْمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ يَبْخَلُوْنَ بِمَآ اٰتٰهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ

انما ذلكم الشيطان يريد به المثبط نعيما او اباسفيان والشيطان خبر ذلكم وما بعده بيان لشيطنته او صفته وما بعده خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انما ذلكم قول الشيطان يعنى ابليس يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع الرسول او يخوفكم اولياءه الذين هم ابوسفيان واصحابه فلا تخافوهم الضمير للناس الثانى على الاول والى الاولياء على الثانى وخافون من مخالفة امرى فجاهدوا مع رسولى ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ايثار خوف الله على خوف الناس ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر يقعون فيه سريعا حرصا عليه وهم المنافقون من المتخلفين او قوم ارتدوا عن الاسلام والمعنى لا يحزنك خوف ان يضروك ويعينوا عليك لقوله انهم لن يضروا الله شيأ اى لن يضروا اولياء الله شيأ بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون بها انفسهم وشيأ يحتمل المفعول والمصدر وقرأ نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاى حيث وقع ما خلا قوله فى الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر فانه فتح الياء وضم الزاى فيه والباقون كذلك فى الكل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا فى الآخرة نصيبا من الثواب فى الآخرة وهو يدل على تمادى طغيانهم وموتهم على الكفر وفى ذكر الارادة اشعار بان كفرهم بلغ الغاية حتى اراد ارحم الراحمين ان لا يكون لهم حظ من رحمته وان مسارعتهم الى الكفر لانه تعالى لم يرد لهم ان يكون لهم حظ فى الآخرة ولهم عذاب عظيم مع الحرمان عن الثواب ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب اليم تكرير للتأكيد او تعميم للكفرة بعد تخصيص من نافق من المتخلفين او ارتد من الاعراب ولا تحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم خطاب للرسول عليه السلام او لكل من يحسب والذين مفعول وانما نملى لهم بدل منه وانما اقتصر على مفعول واحد لان التعويل على البدل وهو ينوب عن المفعولين كقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او المفعول الثانى على تقدير مضاف مثل ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وما مصدرية وكان حقها ان تفصل فى الخط ولكنها وقعت متصلة فى الامام فاتبع وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم والكسائى ويعقوب بالياء على ان الذين فاعل وان مع ما فى حيزه مفعول وفتح سينه فى جميع القرآن ابن عامر وحمزة وعاصم والاملاء الامهال واطالة العمر وقيل تخليتهم وشأنهم من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء انما نملى لهم ليزدادوا اثما استئناف بما هو العلة للحكم قبلها وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ انما بالفتح هنا وبكسر الاولى ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لهم لازديادا الاثم بل للتوبة والدخول فى الايمان وانما نملى لهم خير اعتراض معناه ان املاءنا لهم خير ان انتبهوا وتداركوا فيه ما فرط منهم ولهم عذاب مهين على هذا يجوز أن يكون حالا من الواو اى ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب لعامة المخلصين والمنافقين فى عصره والمعنى لا يترككم مختلطين لا يعرف مخلصكم من منافقكم حتى يميز المنافق من المخلص بالوحى الى نبيه باحوالكم او بالتكاليف الشاقة التى لا يصبر عليها ولا يذعن لها الا الخلص المخلصون منكم كبذل الاموال والانفس فى سبيل الله ليختبر به بواطنكم ويستدل به على عقائدكم وقرأ حمزة والكسائى حتى يميز هنا وفى الانفال بضم الياء وفتح الميم وكسر الياء وتشديدها والباقون بفتح الياء وكسر الميم وسكون الياء وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء وما كان الله ليؤتى احدكم علم الغيب فيطلع على ما فى القلوب من كفر او ايمان ولكنه يجتبى لرسالته من يشاء فيوحى اليه ويخبره ببعض المغيبات او ينصب له ما يدل عليها فآمنوا بالله ورسله بصفة الاخلاص او بان تعلموا الله وحده مطلعا على الغيب وتعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يقولون الا ما اوحى اليهم روى ان الكفرة قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر منا فنزلت وعن السدى انه عليه السلام قال عرضت على امتى واعلمت من يؤمن بى ومن يكفر فقال المنافقون انه يزعم انه يعرف من يؤمن ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فنزلت وان تؤمنوا حق الايمان وتتقوا النفاق فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم القراآت فيه على ما سبق ومن قرأ بالتاء قدر مضافا ليتطابق مفعولاه اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء ان جعل الفاعل ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم او من يحسب وان جعله الموصول كان المفعول الاول محذوفا لدلالة يبخلون عليه اى ولا يحسبن البخلاء بخلهم هو خيرا لهم

بل هو اى البخل شرلهم لاستجلاب العقاب عليهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بيان لذلك والمعنى سيلزمون وبال ما بخلوا به ولزم الطوق وعنه عليه الصلاة والسلام ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا جعل الله له شجاعا فى عنقه يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارث فما لهؤلاء يبخلون عليه بماله ولا ينفقونه فى سبيله او أنه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقون فى سبيله بهلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والعقوبة والله بما يعملون من المنع والاعطاء خبير فيجازيكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى بالتاء على الالتفات وهو ابلغ فى الوعيد لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قاله اليهود لما سمعوا من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا وروى انه عليه الصلاة والسلام كتب مع ابى بكر رضى الله تعالى عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام الصلاة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء ان الله فقير حتى سأل القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه على وجهه وقال لولا ما بيننا من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والمعنى انه لم يخف عليه وانه اعدلهم العقاب عليه

شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ
الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٢﴾ ذَٰلِكَ
بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ
قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي
قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ
فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ
الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ

سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اى سنكتبه فى صحائف الكتبة او سنحفظه فى علمنا ولا نهمله لانه كلمة عظيمة اذ هو كفر بالله واستهزاء بالقرآن والرسول ولذلك نظمه مع قتل الانبياء وفيه تنبيه على انه ليس اول جريمة ارتكبوها وان من اجترأ على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذا القول وقرأ حمزة سيكتب بالياء وضمها وفتح التاء وقتلهم بالرفع ويقول بالياء ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق وفيه مبالغات فى الوعيد والذوق ادراك الطعوم وعلى الاتساع يستعمل لادراك سائر المحسوسات والحالات وذكره ههنا لان العذاب مرتب على قولهم الناشئ عن البخل والتهالك على المال وغالب حاجة الانسان اليه لتحصيل المطاعم ومعظم بخله للخوف من فقدانه ولذلك كثر ذكر الاكل مع المال ذلك اشارة الى العذاب بما قدمت ايديكم من قتل الانبياء وقولهم هذا وسائر معاصيهم عبر بالايدى عن الانفس لان اكثر اعمالها بهن وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم يستلزم العدل المقتضى اثابة المحسن ومعاقبة المسيئ الذين قالوا هم كعب بن الاشرف ومالك وحيى وفنحاص ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا امرنا فى التوراة واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار بان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بهذه المعجزة الخاصة التى كانت لانبياء بنى اسرآئيل وهو ان يقرب بقربان فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار سماوية فتأكله اى تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وسائر المعجزات شرع فى ذلك قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين تكذيب والزام بان رسلا جاؤهم قبله كزكريا ويحيى بمعجزات أخر موجبة للتصديق وبما اقترحوه فقتلوهم فلو كان الموجب للتصديق هو الاتيان به وكان توقفهم وامتناعهم عن الايمان لاجله فما لهم لم يؤمنوا بمن جاء به فى معجزات أخر واجترأوا على قتله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه واليهود والزبر جمع زبور وهو الكتاب المقصور على الحكم من زبرت الشئ اذا حبسته والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرآئع والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة القرآن وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته وقرأ ابن عامر وبالزبر باعادة الجار للدلالة على انها مغايرة للبينات بالذات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة الموت بالنصب مع التنوين وعدمه كقوله ولا ذاكرا الله الا قليلا وانما توفون اجوركم تعطون جزآء اعمالكم خيرا كان او شرا تاما وافيا يوم القيامة يوم قيامكم من القبور ولفظ التوفية يشعر بانه قد يكون قبلها بعض الاجور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار فمن زحزح عن النار بعد عنها والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويؤتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه

وما الحياة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهها بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الاخرة فاما من طلب بها الآخرة فهى له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار لتبلون اى والله لتختبرن فى اموالكم بتكليف الانفاق وما يصيبها من الآفات وانفسكم بالجهاد والقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من المخاوف والامراض والمتاعب ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من هجاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فى الدين واغراء الكفرة على المسلمين اخبرهم بذلك قبل وقوعها ليوطنوا انفسهم على الصبر والاحتمال ويستعدوا للقائها حتى لا يرهقهم نزولها وان تصبروا على ذلك وتتقوا مخالفة امر الله فان ذلك يعنى الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات الامور التى يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اى امر به وبالغ فيه والعزم فى الاصل ثبات الرأى على الشئ نحو امضائه واذ اخذ الله اى اذكر وقت اخذه ميثاق الذين اوتوا الكتاب يريد به العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه حكاية لمخاطبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وعاصم فى رواية ابن عياش بالياء لانهم غيب واللام جواب القسم الذى ناب

وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُولِى الْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا

عنه قوله اخذ الله ميثاق الذين والضمير للكتاب فنبذوه اى الميثاق وراء ظهورهم فلم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل فى ترك الاعتداد وعدم الالتفات ونقيضه جعله نصب عينه وألقاه بين عينيه واشتروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا من حطام الدنيا واعراضها فبئس ما يشترون يختارون لانفسهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله ألجم بلجام من نار وعن على رضى الله تعالى عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ومن ضم الباء جعل الخطاب له وللمؤمنين والمفعول الاول الذين يفرحون والثانى بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تأكيد والمعنى لا تحسبن الذين يفرحون بما فعلوا من التدليس وكتم الحق ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من الوفاء بالميثاق واظهار الحق والاخبار بالصدق بمفازة منجاة من العذاب اى فائزين بالنجاة منه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء وفتح الباء فى الاول وضمها فى الثانى على ان الذين فاعل ومفعولا لا يحسبن محذوفان يدل عليهما مفعولا مؤكده وكأنه قيل ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا فلا يحسبن انفسهم بمفازة او المفعول الاول محذوف وقوله فلا تحسبنهم تأكيد للفعل وفاعله ومفعوله الاول ولهم عذاب اليم بكفرهم وتدليسهم روى انه عليه السلام سأل اليهود عن شئ مما فى التوراة فاخبروه بخلاف ما كان فيها واروه انهم قد صدقوه وفرحوا بما فعلوا فنزلت وقيل نزلت فى قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم رأوا المصلحة فى التخلف واستحمدوا به وقيل نزلت فى المنافقين فانهم يفرحون بمنافقتهم ويستحمدون الى المسلمين بالايمان الذى لم يفعلوه على الحقيقة ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شئ قدير فيقدر على عقابهم وقيل هو رد لقولهم ان الله فقير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لذوى العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم كما سبق فى سورة البقرة ولعل الاقتصار على هذه الثلاثة فى هذه الآية لان مناط الاستدلال هو التغير وهذه متعرضة لجملة انواعه فانه اما ان يكون فى ذات الشئ كتغير الليل والنهار او جزئه كتغير العناصر بتبدل صورها او الخارج عنه كتغير الافلاك بتبدل اوضاعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم اى يذكرون الله دائما على الحالات كلها قائمين وقاعدين ومضطجعين وعنه عليه الصلاة والسلام من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون على الهيئات الثلاث حسب طاقتهم لقوله عليه الصلاة والسلام لعمران ابن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك تومى ايماء فهو حجة للشافعى رضى الله عنه فى ان المريض يصلى مضطجعا على جنبه الايمن مستقبلا بمقاديم بدنه

وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ
أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا
بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا
سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ
رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾
فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ
ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ
عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

ويتفكرون في خلق السموات والارض استدلالا واعتبارا وهو افضل العبادات كما قال عليه الصلاة والسلام لاعبادة كالتفكر لانه المخصوص بالقلب والمقصود من الخلق وعنه عليه الصلاة والسلام بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى السماء والنجوم فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وهذا دليل واضح على شرف علم الاصول وفضل اهله ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول اى يتفكرون قائلين ذلك وهذا اشارة الى المتفكر فيه او الخلق على انه اريد به المخلوق من السموات والارض او اليهما لانهما في معنى المخلوق والمعنى ما خلقته عبثا ضائعا من غير حكمة بل خلقته لحكم عظيمة من جملتها ان يكون مبدأ لوجود الانسان وسببا لمعاشه ودليلا يدله على معرفتك ويحثه على طاعتك لينال الحياة الابدية والسعادة السرمدية في جوارك سبحانك تنزيها لك من العبث وخلق الباطل وهو اعتراض فقنا عذاب النار للاخلال بالنظر فيه والقيام بما يقتضيه وفائدة الفاء هي الدلالة على ان علمهم بما لاجله خلقت السموات والارض حملهم على الاستعاذة ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته اى فقد اخزيته غاية الاخزاء وهو نظير قولهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك والمراد به تهويل المستعاذ منه تنبيها على شدة خوفهم وطلبهم الوقاية منه وفيه اشعار بان العذاب الروحاني افظع وما للظالمين من انصار اراد بهم المدخلين ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان ظلمهم تسبب لادخالهم النار وانقطاع النصرة عنهم في الخلاص منها ولا يلزم من نفي النصرة نفي الشفاعة لان النصرة دفع بقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان اوقع الفعل على المسمع وحذف المسموع لدلالة وصفه عليه وفيه مبالغة ليست في ايقاعه على نفس المسموع وفي تنكير المنادي واطلاقه ثم تقييده تعظيم لشأنه والمراد به الرسول عليه الصلاة والسلام وقيل القرآن والنداء والدعاء ونحوهما يعدى بالى واللام لتضمنها معنى الانتهاء والاختصاص ان آمنوا بربكم فآمنا اى بان امنوا فامتثلنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبائرنا فانها ذات تبعة وكفر عنا سيئاتنا صغائرنا فانها مستقبحة ولكن مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار مخصوصين بصحبتهم معدودين في زمرتهم وفيه تنبيه على انهم يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب الله لقاءه والابرار جمع بر او بار كارباب واصحاب ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك اى ما وعدتنا على تصديق رسلك من الثواب لما اظهر امتثاله لما امر به سأل ما وعد عليه لا خوفا من اخلاف الوعد بل مخافة ان لا يكون من الموعودين لسوء عاقبة او قصور في الامتثال او تعبدا او استكانة ويجوز ان يتعلق على بمحذوف تقديره ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا عليهم وقيل معناه على السنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة بان تعصمنا مما يقتضيه انك لا تخلف الميعاد باثابة المؤمن واجابة الداعي وعن ابن عباس رضي الله عنهما الميعاد البعث بعد الموت وتكرير ربنا للمبالغة في الابتهال والدلالة على استقلال المطالب وعلو شأنها وفي الآثار من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف فاستجاب لهم ربهم الى طلبتهم وهو اخص من اجاب ويعدى بنفسه وباللام اني لا اضيع عمل عامل منكم اى باني لا اضيع وقرئ بالكسر على ارادة القول من ذكر او انثى بيان عامل بعضكم من بعض لان الذكر من الانثى والانثى من الذكر او لانهما من اصل واحد او لفرط الاتصال والاتحاد او للاجتماع والاتفاق في الدين وهي جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد للعمال روي ان ام سلمة رضي الله عنها قالت يا رسول الله اني اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت فالذين هاجروا الى آخرها تفصيل لاعمال العمال وما اعد لهم من الثواب على سبيل المدح والتعظيم والمعنى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشائر للدين واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيلي بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وقاتلوا الكفار وقتلوا في الجهاد وقرأ حمزة والكسائي بالعكس لان الواو لا توجب ترتيبا والثاني افضل او لان المراد لما قتل منهم قوم قاتل الباقون ولم يضعفوا وشدد ابن كثير وابن عامر قتلوا للتكثير لأكفرن عنهم سيئاتهم لأمحونها ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله اى اثيبهم بذلك اثابة من عند الله تفضلا منه فهو مصدر مؤكد

والله عنده حسن الثواب على الطاعات قادر عليه لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب للنبي عليه السلام والمراد امته او تثبيته على ما كان كقوله ولا تطع المكذبين او لكل احد والنهي في المعنى للمخاطب وانما جعل للتقلب تنزيلا للسبب منزلة السبب للمبالغة والمعنى لا تنظر الى ما كان الكفرة عليه من السعة والحظ ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في مكاسبهم ومتاجرهم ومزارعهم روي ان بعض المسلمين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد فنزلت متاع قليل خبر مبتدأ محذوف اي ذلك التقلب متاع قليل لقصر مدته او في جنب ما اعد الله للمؤمنين قال عليه الصلاة والسلام ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد اي ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يعد للنازل من شراب وطعام وصلة قال ابو السعد الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على الحال من جنات والعامل فيه الظرف وقيل انه مصدر مؤكد والتقدير

ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ وَمَا عِنْدَ اللّٰهِ خَيْرٌ لِلْاَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَاِنَّ مِنْ اَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّٰهِ لَا يَشْتَرُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ ثَمَنًا قَلِيلًا اُولٰئِكَ لَهُمْ اَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ اِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية

انزلوها نزلا وما عند الله لكثرته ودوامه خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار لقلته وسرعة زواله وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله نزلت في عبد الله ابن سلام واصحابه وقيل في اربعين من نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي لما نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فصلى عليه فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وانما دخلت اللام على الاسم للفصل بينه وبين ان بالظرف وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن وجمعه باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم ما خص بهم من الاجر ووعدوه في قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ان الله سريع الحساب لعلمه بالاعمال وما يستوجبه من الجزاء واستغنائه عن التأمل والاحتياط والمراد ان الاجر الموعود سريع الوصول فان سرعة الحساب تستدعي سرعة الجزاء يا ايها الذين امنوا اصبروا على مشاق الطاعات وما يصيبكم من الشدائد وصابروا وغالبوا اعداء الله بالصبر على شدائد الحرب او اعدى عدوكم في الصبر على مخالفة الهوى وتخصيصه بعد الامر بالصبر مطلقا لشدته ورابطوا ابدانكم وخيولكم في الثغور مترصدين للغزو وانفسكم على الطاعة كما قال عليه الصلاة والسلام من الرباط انتظار الصلاة بعد الصلاة وعنه عليه السلام من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله لعلكم تفلحون فاتقوا بالتبري مما سواه لكي تفلحوا غاية الفلاح او واتقوا القبائح لعلكم تفلحون بنيل المقامات الثلاثة المترتبة التي هي الصبر على مضض الطاعات ومصابرة النفس في رفض العادات ومرابطة السر على جناب الحق لترصد الواردات المعبر عنها بالشريعة والطريقة والحقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مائة وخمس وسبعون آية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي آدم وخلق منها زوجها عطف على خلقكم اي خلقكم من شخص واحد وخلق منه امكم حواء من ضلع من اضلاعه او محذوف تقديره من نفس واحدة خلقها وخلق منها زوجها وهو تقرير لخلقهم من نفس واحدة وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان لكيفية تولدهم منهما والمعنى ونشر من تلك النفس والزوج المخلوقة منها بنين وبنات كثيرة واكتفى بوصف الرجال بالكثرة عن وصف النساء بها اذ الحكمة تقتضي ان يكن اكثر وذكر كثيرا حملا على الجمع وترتيب الامر بالتقوى على هذه القصة لما فيها من الدلالة على القدرة القاهرة التي من حقها ان تخشى والنعمة الباهرة التي توجب طاعة موليها او لان المراد به تمهيد الامر بالتقوى فيما يتصل بحقوق اهل منزله وبني جنسه على ما دلت عليه الآيات

الى بعدها وقرئ وخالق وباث على حذف مبتدأ تقديره وهو خالق وباث وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ اى يسأل بعضكم بعضا فيقول اسألك بالله واصله تتساءلون فادغمت التاء الثانية فى السين وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بطرحها وَالْأَرْحَامَ بالنصب عطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وعلى الله اى اتقوا الله واتقوا الارحام فصلوها ولا تقطعوها وقرأ حمزة بالجر عطفا على الضمير المجرور وهو ضعيف لانه كبعض الكلمة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما يتقى او يتساءل به وقد نبه سبحانه وتعالى اذ قرن الارحام باسمه على ان صلتها بمكان منه وعنه عليه الصلاة والسلام الرحم معلقة بالعرش تقول الا من وصلنى وصله الله ومن قطعنى قطعه الله إِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا حافظا مطلعا وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ اى اذا بلغوا واليتامى جمع يتيم وهو الذى مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة اما على انه لما جرى مجرى الاسماء كفارس وصاحب جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او على انه جمع على يتمى كاسرى لانه من باب الآفات ثم جمع يتمى على يتامى كاسرى واسارى والاشتقاق يقتضى وقوعه على الصغار والكبار لكن العرف خصصه بمن لم يبلغ وورود

فى الآية اما للبلغ على الاصل او الاتساع لقرب عهدهم بالصغر حثا على ان يدفع اليهم اموالهم اول بلوغهم قبل ان يزول عنهم هذا الاسم ان اونس منهم الرشد ولذلك امر بابتلائهم صغارا او لغير البلغ والحكم مقيد وكأنه قال وآتوهم اذا بلغوا ويؤيد الاول ما روى ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال منه فمنعه فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله ورسوله نعوذ بالله من الحوب الكبير وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ولا تستبدلوا الحرام من اموالهم بالحلال من اموالكم والامر الخبيث وهو اختزال اموالهم بالامر الطيب الذى هو حفظها وقيل ولا تأخذوا الرفيع من اموالهم وتعطوا الخسيس مكانها وهذا تبديل وليس بتبدل وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ولا تأكلوها مضمومة الى اموالكم اى لا تنفقوهما معا ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وهو فيما زاد على قدر اجره لقوله تعالى فليأكل بالمعروف إِنَّهُ الضمير للاكل كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ذنبا عظيما وقرئ حوبا وهو مصدر حاب حوبا وحابا كقال قولا وقالا وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ اى ان خفتم ان لا تعدلوا فى يتامى النساء اذا تزوجتم بهن فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن اذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها ضنا بها فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن او ان خفتم ان لا تعدلوا فى حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ان لا تعدلوا بين النساء وانكحوا مقدارا يمكنكم الوفاء بحقه لان المتحرج من الذنب ينبغى ان يتحرج من الذنوب كلها على ما روى انه تعالى لما عظم امر اليتامى تحرجوا من ولايتهم وما كانوا يتحرجون من تكثير النساء واضاعتهن فنزلت وقيل كانوا يتحرجون من ولاية اليتامى ولا يتحرجون من الزنى فقيل لهم ان خفتم ان لا تعدلوا فى امر اليتامى فخافوا الزنى فانكحوا ما حل لكم وانما عبر عنهن بما ذهابا الى الصفة او اجراء لهن مجرى غير العقلاء لنقصان عقلهن ونظيره او ما ملكت ايمانهم وقرئ تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة اى ان خفتم ان تجوروا مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ معدولة عن اعداد مكررة هى ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهى غير منصرفة للعدل والصفة فانها بنيت صفات وان كانت اصولها لم تبن لها وقيل لتكرير العدل فانها معدولة باعتبار الصيغة والتكرير منصوبة على الحال من فاعل طاب ومعناها الاذن لكل ناكح يريد الجمع ان ينكح ما شاء من العدد المذكور متفقين فيه ومختلفين كقولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة ولو افردت كان المعنى تجويز الجمع بين هذه الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت باو لذهب تجويز الاختلاف فى العدد فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا بين هذه الاعداد ايضا فَوَاحِدَةً فاختاروا او فانكحوا واحدة وذروا الجمع وقرئ بالرفع على انه فاعل محذوف او خبره تقديره فيكفيكم واحدة او فالمقنع واحدة أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ سوى بين الواحدة من الازواج والعدد من السرارى لخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم بينهن ذٰلِكَ اى التقليل منهن او اختيار الواحدة او التسرى أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا اقرب من ان لا تميلوا يقال عال الميزان اذا مال وعال الحاكم اذا جار وعول الفريضة الميل عن حد السهام المسماة وفسر بان لا تكثر عيالكم على انه من عال الرجل عياله يعولهم اذا مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤن على الكناية ويؤيده قراءة أن لا تعيلوا

من اعال الرجل اذا كثر عياله ولعل المراد بالعيال الازواج وان اريد الاولاد فلأن التسري مظنة قلة الولد بالاضافة الى التزوج لجواز العزل فيه كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وقرئ بفتح الصاد وسكون الدال على التخفيف وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمهما على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة اي عطية يقال نحله كذا نحلة ونحلا اذا اعطاه اياه عن طيب نفس بلا توقع عوض ومن فسرها بالفريضة ونحوها نظر الى مفهوم الآية لا الى موضوع اللفظ ونصبها على المصدر لانها في معنى الايتاء او الحال من الواو او الصدقات اي آتوهن صدقاتهن ناحلين او منحولة وقيل المعنى نحلة من الله وتفضلا منه عليهن فتكون حالا من الصدقات وقيل ديانة من قولهم انتحل فلان كذا اذا دان به على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله تعالى شرعه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور مولياتهم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير للصداق حملا على المعنى او يجري مجرى اسم الاشارة كقول رؤبة كانه في الجلد توليع البهق اذ سئل فقال اردت كان ذاك وقيل للايتاء ونفسا تمييز لبيان الجنس ولذلك

جَعَلَ اللّٰهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَابْتَلُوا الْيَتَامٰى حَتّٰى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفٰى بِاللّٰهِ حَسِيبًا ۝ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۝ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللّٰهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا

وحد والمعنى فان وهبن لكم من الصداق عن طيب نفس لكن جعل العمدة طيب النفس للمبالغة وعداه بعن لتضمن معنى التجافي والتجاوز وقال منه بعثا لهن على تقليل الموهوب فكلوه هنيئا مريئا فخذوه وانفقوه حلالا بلا تبعة والهنيء والمريء صفتان من هنأ الطعام ومرأ اذا ساغ من غير غصص اقيمتا مقام مصدريهما او وصف بهما المصدر او جعلتا حالا من الضمير وقيل الهنيء ما يلذه الانسان والمريء ما تحمد عاقبته روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساق اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء اموالكم نهي للاولياء عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالهم فيضيعوها وانما اضاف الاموال الى الاولياء لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وهو الملائم للآيات المتقدمة والمتأخرة وقيل نهي لكل احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امرأته واولاده ثم ينظر الى ايديهم وانما سماهم سفهاء استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم وهو اوفق لقوله التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون وعلى الاول يؤول بانها التي من جنس ما جعل الله لكم قياما وسمي ما به القيام قياما للمبالغة وقرئ قيما بمعناه كعوذ بمعنى عياذ وقواما وهو ما يقام به وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا فيها وتحصلوا من نفعها ما يحتاجون اليه وقولوا لهم قولا معروفا عدة جميلة تطيب بها نفوسهم والمعروف ما عرفه الشرع او العقل بالحسن والمنكر ما انكره احدهما لقبحه وابتلوا اليتامى اختبروهم قبل البلوغ بتتبع احوالهم في صلاح الدين والتهدي الى ضبط المال وحسن التصرف بان يكل اليه مقدمات العقد وعند ابي حنيفة بان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا بلغوا حد البلوغ بان يحتلم او يستكمل خمس عشرة سنة عندنا لقوله عليه الصلاة والسلام اذا استكمل المولود خمس عشرة سنة كتب ماله وما عليه واقيمت عليه الحدود وثماني عشرة عند ابي حنيفة وبلوغ النكاح كناية عن البلوغ لانه يصلح للنكاح عنده فان آنستم منهم رشدا فان ابصرتم منهم رشدا وقرئ احستم بمعنى احسستم فادفعوا اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ ونظم الآية ان الشرطية جواب اذا المتضمنة معنى الشرط والجملة غاية الابتلاء فكأنه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت

بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وهو دليل على انه لا يدفع اليهم ما لم يؤنس منهم الرشد وقال ابو حنيفة اذا زادت على سن البلوغ سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير الاحوال اذ الطفل يميز بعدها ويؤمر بالعبادة دفع اليه المال وان لم يؤنس منه الرشد ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم ومن كان غنيا فليستعفف من اكلها ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف بقدر حاجته واجرة سعيه ولفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف مشعر بان الولي له حق في مال الصبي وعنه عليه الصلاة والسلام ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افآكل من ماله قال كل بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وايراد هذا التقسيم بعد قوله ولا تأكلوها يدل على انه نهي للاولياء ان يأخذوا وينفقوا على انفسهم اموال اليتامى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم قبضوها فانه انفى للتهمة وابعد للخصومة ووجوب الضمان وظاهره يدل على ان القيم لا يصدق في دعواه الا بالبينة وهو المختار عندنا ومذهب مالك خلافا لابي حنيفة

وكفى بالله حسيبا محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تتجاوزوا ما حدّ لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين بالقرابة مما قل منه اوكثر بدل مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله اوحال اذ المعنى ثبت لهم مفروضا نصيبا او على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مقطوعا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه روى ان اوس بن الصامت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابناء عمه سويد وعرفطة اوقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون انما يرث من يحارب ويذب عن الحوزة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى تبين فنزل يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقى ابنى العم وهو دليل على جواز تأخر البيان عن وقت الخطاب واذا حضر القسمة اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين فارزقوهم منه فاعطوهم شيأ من المقسوم تطييبا لقلوبهم وتصدقا عليهم

سديدا ﴿١٠﴾ ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴿١١﴾ يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصى بها او دين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ﴿١٢﴾ ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية	وهو امر ندب للبلغ من الورثة وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه والضمير لما ترك او ما دل عليه القسمة وقولوا لهم قولا معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او الحاضرين المريض عند الايصاء بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوه ان يضرهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للموصين بان ينظروا للورثة فلا يسرفوا فى الوصية ولو بما فى حيزه جعل صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ذرية ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاده وتهديد المخالف بحال اولاده فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التى هى غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ والمنتهى اذ لا ينفع الاول دون الثانى ثم امرهم ان يقولوا لليتامى مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذرا جميلا ووعدا حسنا او ان يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى مجاوزة الثلث وتضييع الورثة ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم انما يأكلون فى بطونهم ملء بطونهم نارا ما يجر الى النار ويؤول اليها وعن ابى بردة رضى الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال يبعث الله قوما من قبورهم تتأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال الم تر ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا سيدخلون نارا واى نار وقرأ ابن عامر وابن عياش عن عاصم بضم الياء مخففا وقرئ به مشددا يقال صلى النار قاسى حرها وصليته شويته واصليته وصليته ألقيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار اذا ألهبتها

يوصيكم الله يأمركم ويعهد اليكم فى اولادكم فى شأن ميراثهم وهو اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين اى يعد كل ذكر بانثيين حيث اجتمع الصنفان فيضعف نصيبه وتخصيص الذكر بالتنصيص على حظه لان القصد الى بيان فضله والتنبيه على ان التضعيف كاف للتفضيل فلا يحرمن بالكلية فقد اشتركا فى الجهة والمعنى للذكر منهم فحذف للعلم به فان كن نساء اى ان كان الاولاد نساء خلصا ليس معهن ذكر فانث الضمير باعتبار الخبر او على تأويل المولودات فوق اثنتين خبر ثان او صفة نساء اى نساء زائدات على اثنتين فلهن ثلثا ما ترك المتوفى منكم ويدل عليه المعنى وان كانت واحدة فلها النصف اى وان كانت المولودة واحدة وقرأ نافع بالرفع على كان التامة واختلف فى الثنتين فقال ابن عباس رضى الله عنهما حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الباقون حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد ذلك بقوله فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها فبالحرى

ان تستحقه مع اخت مثلها وان البنتين أمس رحما من الاختين وقد فرض لهما الثلثين بقوله فلهما الثلثان مما ترك ولابويه ولابوى الميت لكل واحد منهما بدل منه بتكرير العامل وفائدته
التنصيص على استحقاق كل منهما السدس والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا السدس مما ترك ان كان له اى الميت ولد ذكرا وانثى غيران الاب يأخذ السدس مع الانثى بالفريضة وما بقى من ذوى
الفروض ايضا بالعصوبة فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك وانما لم يذكر حصة الاب لانه لما فرض ان الوارث ابواه فقط وعين نصيب الام علم ان الباقى للاب وكأنه
قال فلهما ما ترك اثلاثا وعلى هذا ينبغى ان يكون لها حيث كان معهما احد الزوجين ثلث ما بقى من فرضه كما قاله الجمهور لا ثلث المال كما قاله ابن عباس فانه يفضى الى تفضيل الانثى على الذكر
المساوى لها فى الجهة والقرب وهو خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة فلامه السدس باطلاقه يدل على ان الاخوة يردونها من الثلث الى السدس وان كانوا لا يرثون مع الاب
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انهم يأخذون السدس الذى حجبوا عنه الام والجمهور على ان المراد بالاخوة عدد ممن له اخوة من غير اعتبار الثلث سوآء كان من الاخوة او الاخوات

يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ
فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ
تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ
وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟
أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ
بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾
تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا
فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن
نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟

وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لا يحجب الام من الثلث ما دون الثلاثة ولا الاخوات
الخلص اخذا بالظاهر وقرأ حمزة والكسائى فلامه بكسر الهمزة اتباعا للكسرة التى قبلها
من بعد وصية يوصى بها او دين متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها اى هذه الانصباء
للورثة من بعد ما كان من وصية او دين وانما قال باو التى للاباحة دون الواو للدلالة على انهما
متساويان فى الوجوب مقدمان على القسمة مجموعين ومنفردين وقدم الوصية على الدين وهى
متأخرة فى الحكم لانها مشبهة بالميراث شاقة على الورثة مندوب اليها الجميع والدين انما يكون على
الندور وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر بفتح الصاد اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم
نفعا اى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم فى عاجلكم وآجلكم فتحروا فيهم ما
اوصاكم الله به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمانه روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة
من الآخر فى الجنة سأل ان يرفع اليه فيرفع بشفاعته او من مورثكم منهم او من اوصى منهم فعرضكم
للثواب بامضاء وصيته او من لم يوص فوفر عليكم ماله فهو اعتراض مؤكد لامر القسمة او
تنفيذ الوصية فريضة من الله مصدر مؤكد او مصدر يوصيكم لانه فى معنى يأمركم ويفرض
عليكم ان الله كان عليما بالمصالح والرتب حكيما فيما قضى وقدر ولكم نصف ما ترك
ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن اى ولد وارث من
بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى منكم او من غيركم من بعد
وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين فرض للرجل بحق الزواج
ضعف ما للمرأة كما فى النسب وهكذا قياس كل رجل وامرأة اشتركا فى الجهة والقرب
ولا يستثنى منه الا أولاد الام والمعتق والمعتقة وتستوى الواحدة والعدد منهن
فى الربع والثمن وان كان رجل اى الميت يورث اى يورث منه من ورث صفة
رجل كلالة خبر كان او يورث خبره وكلالة حال من الضمير فيه وهو من لم يخلف
ولدا ولا والدا او مفعول له والمراد بها قرابة ليست من جهة الوالد والولد ويجوز
ان يكون الرجل الوارث ويورث من اورث وكلالة من ليس له بوالد ولا ولد وقرئ
يورث على البناء للفاعل فالرجل الميت وكلالة تحتمل المعانى الثلاثة وعلى الاول

خبرا وحال وعلى الثانى مفعول له وعلى الثالث مفعول به وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال قال الاعشى فآليت لا ارثى لها من كلالة ولا من حفى حتى الاقى محمدا
فاستعيرت لقرابة ليست بالبعضية لانها كلالة بالاضافة اليها ثم وصف بها المورث والوارث بمعنى ذى كلالة كقولك فلان من قرابتى او امرأة عطف على رجل وله اى
وللرجل واكتفى بحكمه عن حكم المرأة لدلالة العطف على تشاركهما فيه اخ او اخت اى من الام ويدل عليه قرآءة ابى وسعد بن مالك وله اخ او اخت من الام وانه ذكر فى آخر
السورة ان للاختين الثلثين وللاخوة الكل وهو لا يليق باولاد الام وان ما قدر ههنا فرض الام فناسب ان يكون لاولادها فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء
فى الثلث سوى بين الذكر والانثى فى القسمة لان الادلاء بمحض الانوثة ومفهوم الآية انهم لا يرثون ذلك مع الام والجدة كما لا يرثون مع البنت وبنت الابن فخص فيه بالاجماع من بعد
وصية يوصى بها او دين غير مضار اى غير مضار لورثته بالزيادة على الثلث او قصد المضارة بالوصية دون القربة والاقرار بدين لا يلزمه وهو حال من فاعل يوصى المذكور فى هذه القرآءة

والمدلول عليه بقوله يوصى على البناء للمفعول فى قرآءة ابن كثير وابن عامر وابن عياش عن عاصم وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب بغير مضار على المفعول به ويؤيده انه قرئ غير مضار وصية بالاضافة اى لا تضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بالزيادة او وصية منه بالاولاد بالاسراف فى الوصية والاقرار الكاذب والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بعقوبته تلك اشارة الى الاحكام التى تقدمت فى امر اليتامى والوصايا والمواريث حدود الله شرائعه التى هى كالحدود المحدودة التى لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين توحيد الضمير فى يدخله وجمع خالدين للفظ والمعنى وقرأ ابن عامر ونافع ندخله بالنون وخالدين حال مقدرة كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا وكذلك خالدا وليستا صفتين لجنات ونارا والا لوجب ابراز الضمير لانهما جريا على غير من هما له واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم اى يفعلنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها اذا فعلها والفاحشة الزنى لزيادة قبحها وشناعتها فاستشهدوا عليهن

فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ
لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن
تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾
إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ
مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾
وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن
تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ
إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن
كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا

اربعة منكم فاطلبوا ممن قذفهن اربعة من رجال المؤمنين تشهد عليهن فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت فاحبسوهن فى البيوت واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن الموت حتى يستوفى ارواحهن الموت او يتوفاهن ملائكة الموت قيل كان ذلك عقوبتهن فى اوائل الاسلام فنسخ بالحد ويحتمل ان يكون المراد به التوصية بامساكهن بعد ان يجلدن كيلا يجرى عليهن ما جرى بسبب الخروج والتعرض للرجال ولم يذكر الحد استغناء بقوله الزانية والزانى او يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص عن الحبس او النكاح المغنى عن السفاح واللذان يأتيانها منكم يعنى الزانية والزانى وقرأ ابن كثير بتشديد النون وتمكين مد الالف والباقون بالتخفيف من غير تمكين فآذوهما بالتوبيخ والتقريع وقيل بالتعزير والجلد فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما فاقطعوا عنهما الايذاء او اعرضوا عنهما بالاغماض والستر ان الله كان توابا رحيما علة الامر بالاعراض وترك المذمة قيل هذه الآية سابقة على الاولى نزولا وكان عقوبة الزناة الاذى ثم الحبس ثم الجلد وقيل الاولى فى السحاقات وهذه فى اللواطين والزانية والزانى فى الزناة انما التوبة على الله اى ان قبول التوبة كالمحتوم على الله بمقتضى وعده من تاب عليه اذا قبل توبته للذين يعملون السوء بجهالة ملتبسين بها سفها فان ارتكاب الذنب سفه وتجاهل ولذلك قيل من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون من قريب من زمان قريب اى قبل حضور الموت لقوله تعالى حتى اذا حضر احدهم الموت وقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يقبل توبة عبده ما لم يغرغر وسماه قريبا لان امد الحياة قريب لقوله تعالى قل متاع الدنيا قليل او قبل ان يشرب فى قلوبهم حبه فيطبع عليها فيتعذر عليهم الرجوع ومن للتبعيض اى يتوبون فى اى جزء من الزمان القريب الذى هو ما قبل ان ينزل بهم سلطان الموت او تزين السوء فاولئك يتوب الله عليهم وعد بالوفاء بما وعد به وكتب على نفسه بقوله انما التوبة على الله وكان الله عليما فهو يعلم باخلاصهم فى التوبة حكيما والحكيم لا يعاقب التائب وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار سوى بين من سوف التوبة الى حضور الموت من الفسقة والكفار وبين من مات على الكفر فى نفى التوبة للمبالغة فى عدم الاعتداد بها فى تلك الحالة وكأنه قال وتوبة هؤلاء وعدم توبة هؤلاء سواء وقيل المراد بالذين يعملون السوء عصاة المؤمنين وبالذين يعملون السيئات المنافقون لتضاعف كفرهم وسوء اعمالهم وبالذين يموتون الكفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما تأكيد لعدم قبول توبتهم وبيان ان العذاب اعده لهم لا يعجزه عذابهم متى شاء والاعتاد التهيئة من العتاد وهو العدة وقيل اصله اعددنا فابدلت الدال الاولى تاء يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كان الرجل اذا مات وله عصبة القى ثوبه على امرأته وقال انا احق بها ثم ان شاء تزوجها بصداقها الاول وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها وان شاء عضلها لتفتدى بما ورثت من زوجها فنهوا عن ذلك وقيل لا يحل لكم ان تأخذوهن على سبيل الارث فتتزوجوهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقرأ حمزة والكسائى كرها بالضم فى مواضعه وهما لغتان وقيل بالضم المشقة وبالفتح ما يكره عليه ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن عطف على ان ترثوا ولا لتأكيد النفى اى ولا تمنعوهن من التزوج واصل العضل التضييق يقال عضلت الدجاجة ببيضها وقيل الخطاب مع الازواج كانوا يحبسون النساء من غير حاجة ورغبة

حتى يرثوا منهن او يختلعن بمهورهن وقيل ثم الكلام بقوله كرها ثم خاطب الازواج ونهاهم عن العضل الا ان يأتين بفاحشة مبينة كالنشوز وسوء العشرة وعدم التعفف والاستثناء من اعم عام الظرف او المفعول له تقديره ولا تعضلوهن للافتداء الا وقت ان يأتين بفاحشة اولا تعضلوهن لعلة الا لان يأتين بفاحشة وقرأ ابن كثير وابو بكر مبينة هنا وفي الاحزاب والطلاق بفتح الياء والباقون بكسرها فيهن وعاشروهن بالمعروف بالانصاف في الفعل والاجمال في القول فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا اى فلا تفارقوهن لكراهة النفس فانها قد تكره ما هو اصلح دينا واكثر خيرا وقد تحب ما هو بخلافه وليكن نظركم الى ما هو اصلح للدين وادنى الى الخير وعسى في الاصل علة الجزاء فاقيم مقامه والمعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن فعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وان اردتم استبدال زوج مكان زوج تطليق امرأة وتزوج اخرى واتيتم احداهن اى احدى الزوجات جمع الضمير لانه اراد بالزوج الجنس قنطارا مالا كثيرا فلا تأخذوا منه شيأ اى من القنطار اتأخذونه بهتانا واثما مبينا استفهام انكار وتوبيخ اى اتأخذونه باهتين وآثمين ويحتمل النصب على العلة كما في قولك قعدت عن الحرب

كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ

جبنا الان الاخذ بسبب بهتانهم واقترافهم المأثم قيل كان الرجل منهم اذا اراد امرأة جديدة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب عليه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض انكار لاسترداد المهر والحال انه وصل اليها بالملامسة ودخل بها وتقرر المهر واخذن منكم ميثاقا غليظا عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والممازجة او ما اوثق الله عليهم في شأنهن بقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم ولا تنكحوا التي نكحها آباؤكم وانما ذكر ما دون من لانه اريد به الصفة وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول من المصدر من النساء بيان ما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء من المعنى اللازم للنهي فكأنه قيل تستحقون العقاب بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف او من اللفظ للمبالغة في التحريم والتعميم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب والمعنى ولا تنكحوا حلائل آبائكم الا ما قد سلف الا ما امكنكم ان تنكحوهن وقيل الاستثناء منقطع ومعناه لكن ما قد سلف فانه لا مؤاخذة عليه لا انه مقرر انه كان فاحشة ومقتا علة للنهي اى ان نكاحهن كان فاحشة عند الله ما رخص فيه لامة من الامم ممقوتا عند ذوي المروءات ولذلك سمي ولد الرجل من زوجة ابيه المقتي وساء سبيلا سبيل من يراه ويفعله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس المراد تحريم ذاتهن بل تحريم نكاحهن لانه معظم ما يقصد منهن ولانه المتبادر الى الفهم كتحريم الاكل من قوله حرمت عليكم الميتة ولان ما قبله وما بعده في النكاح وامهاتكم يعم من ولدتك او ولدت من ولدك وان علت وبناتكم يتناول من ولدتها او ولدت من ولدها وان سفلت واخواتكم الاخوات من الاوجه الثلاثة وكذلك الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد ذكرا ولدك والخالة كل انثى ولدها من ولد انثى ولدتك قريبا او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما والمراضعة اختا وامرها على قياس النسب باعتبار المرضعة ووالد الطفل الذي در عليه اللبن قال عليه الصلاة والسلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب واستثناء اخت ابن الرجل وام اخيه من الرضاع من هذا الاصل ليس بصحيح فان حرمتهما من النسب بالمصاهرة دون النسب وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ذكر اولا محرمات النسب ثم محرمات الرضاعة لان لها لحمة كلحمة النسب ثم محرمات المصاهرة فان تحريمهن عارض لمصلحة الزواج والربائب جمع ربيبة والربيب ولد المرأة من آخر سمي به لانه يربه كما يرب ولده في غالب الامر فعيل بمعنى مفعول وانما لحقه التاء لانه صار اسما ومن نسائكم متعلق بربائبكم واللاتي بصلتها صفة لها مقيدة للفظ والحكم بالاجماع قضية النظم ولا يجوز تعليقها بالامهات ايضا لان من اذا علقتها بالربائب كانت ابتدائية فان علقتها بالامهات لم يجز ذلك بل وجب ان يكون بيانا لنسائكم والكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين عند جمهور الادباء اللهم الا اذا جعلتها للاتصال كقوله فانى لست منك ولست منى على معنى ان امهات النساء وبناتهن متصلات بهن لكن الرسول صلى الله عليه وسلم

فرق بينهما فقال فى رجل تزوج امرأة فطلقها قبل ان يدخل بها انه لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها واليه ذهب عامة العلماء غير انه روى عن على رضى الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما ولا يجوز ان يكون الموصول الثانى صفة النساءين لان عاملهما مختلف وفائدة قوله فى حجوركم تقوية العلة وتكميلها والمعنى ان الربائب اذا دخلتم بامهاتهن وهن فى احتضانكم او بصدده قوى الشبه بينها وبين اولادكم فصارت احقاء بان تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة واليه ذهب جمهور العلماء وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه انه جعله شرطا والامهات والربائب تتناولان القريبة والبعيدة وقوله دخلتم بهن اى دخلتم معهن الستر وهى كناية عن الجماع ويؤثر فى حرمة المصاهرة ما ليس بزنى كالوطئ بشبهة او ملك يمين وعن ابى حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد اشعار دفعا للقياس وحلائل ابنائكم زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها او لحلولها مع الزوج الذين من اصلابكم احتراز عن المتبنى لا عن ابناء الولد وان تجمعوا بين الاختين فى موضع الرفع عطفا على المحرمات والظاهر ان الحرمة غير مقصورة على النكاح فان المحرمات المعدودة كما هى محرمة فى النكاح فهى محرمة فى ملك اليمين ولذلك قال عثمان وعلى رضى الله تعالى عنهما حرمتهما آية واحلتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح على كرم الله وجهه التحريم وعثمان رضى الله عنه التحليل وقول على اظهر لان آية التحليل مخصوصة فى غير ذلك ولقوله عليه الصلاة والسلام ما اجتمع الحلال والحرام الا غلب الحرام الا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى او منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج وقرأ الكسائى بكسر الصاد فى جميع القرآن غير هذا الحرف لانهن احصن فروجهن الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتى سبين ولهن ازواج كفار فهن حلال للسابين والنكاح مرتفع بالسبى لقول ابى سعيد اصبنا سبايا يوم اوطاس ولهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسألنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فاستحللناهن واياه عنى الفرزدق بقوله وذات حليل انكحتها رماحنا حلال لمن يبنى بها لم تطلق وقال ابو حنيفة لو سبى الزوجان لم يرتفع النكاح ولا تحل للسابى واطلاق الآية والحديث حجة عليه كتاب الله عليكم مصدر مؤكد اى كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وكتب الله بلفظ الفعل واحل لكم عطف على الفعل المضمر الذى نصب كتاب وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة وخص عنه بالسنة ما فى معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها ان تبتغوا باموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى احل لكم ما وراء ذلك ارادة ان تبتغوا النساء باموالكم بالصرف فى مهورهن او اثمانهن فى حال كونكم محصنين غير مسافحين ويجوز ان لا يقدر مفعول تبتغوا فكأنه قيل ارادة ان تصرفوا اموالكم محصنين غير مسافحين او بدل من ما وراء ذلكم بدل الاشتمال واحتج به الحنفية على ان المهر لا بد وان يكون مالا ولا حجة فيه والاحصان العفة فانها تحصين للنفس عن اللوم والعقاب والسفاح الزنى من السفح وهو صب المنى فانه الغرض منه فما استمتعتم به منهن فمن تمتعتم به من المنكوحات او فما استمتعتم به منهن من جماع او عقد عليهن فآتوهن اجورهن مهورهن فان المهر فى مقابلة الاستمتاع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او صفة مصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما يزاد على المسمى او يحط عنه بالتراضى او فيما تراضيا به من نفقة او مقام او فراق وقيل نزلت الآية فى المتعة التى كانت ثلاثة ايام حين فتحت مكة ثم نسخت لما روى انه عليه الصلاة والسلام اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وهى النكاح الموقت بوقت معلوم سمى بها اذ الغرض منه مجرد الاستمتاع بالمرأة وتمتعها بما تعطى وجوزها ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثم رجع عنه ان الله كان عليما بالمصالح حكيما فيما شرع من الاحكام ومن لم يستطع منكم طولا غنى واعتلاء واصله الفضل والزيادة ان ينكح المحصنات المؤمنات فى موضع النصب بطولا او بفعل مقدر صفة له اى ومن لم يستطع منكم ان يعتلى نكاح المحصنات او من لم يستطع غنى يبلغ به نكاح المحصنات يعنى الحرائر لقوله فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات يعنى الاماء المؤمنات وظاهر الآية حجة للشافعى رضى الله تعالى عنه فى تحريم نكاح الامة



وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ

على من ملك مايجعله صداق حرة ومنع نكاح الامة الكتابية مطلقا واوّل ابو حنيفة رحمه الله تعالى طول المحصنات بان يملك فراشهن على ان النكاح هو الوطئ وحمل قوله من فتياتكم المؤمنات على الافضل كما حمل عليه في قوله المحصنات المؤمنات ومن اصحابنا من حمله ايضا على التقييد وجوّز نكاح الامة لمن قدر على الحرّة الكتابية دون المؤمنة حذرا عن مخالطة الكفار وموالاتهم والمحذور في نكاح الامة رقّ الولد ومافيه من المهانة ونقصان حق الزوج والله اعلم بايمانكم فاكتفوا بظاهر الايمان فانه العالم بالسّرائر وبتفاضل مابينكم في الايمان فربّ امة تفضل الحرة فيه ومن حقكم ان تعتبروا فضل الايمان لافضل النسب والمراد تأنيسهم بنكاح الاماء ومنعهم عن الاستنكاف منه ويؤيده بعضكم من بعض انتم وارقاؤكم متناسبون نسبكم من آدم ودينكم الاسلام فانكحوهن باذن اهلهن يريد اربابهن واعتبار اذنهم مطلقا لا اشعار له على ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن حتى يحتج به للحنفية واتوهن اجورهن اى ادّوا اليهن مهورهن باذن اهلهن فحذف ذلك لتقدم ذكره او الى مواليهن فحذف المضاف للعلم بان المهر للسيّد لانه

مِنَ الْعَذَابِ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَاَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللّٰهُ يُرِيدُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ اَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَاْكُلُوا اَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ اِلَّا اَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

عوض حقه فيجب ان يؤدّى اليه وقال مالك رضى الله عنه المهر للامة ذهابا الى الظاهر بالمعروف بغير مطل واضرار ونقصان محصنات عفائف غير مسافحات غير مجاهرات بالسفاح ولا متخذات اخدان اخلاء في السرّ فاذا احصنّ بالتزويج قرأ ابو بكر وحمزة والكسائى بفتح الهمزة والباقون بضم الهمزة وكسر الصاد فان اتين بفاحشة زنى فعليهن نصف ما على المحصنات يعنى الحرائر من العذاب من الحدّ كقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهو يدل على ان حدّ العبد نصف حدّ الحرّ وانه لا يرجم لان الرجم لا يتنصف ذلك اى نكاح الاماء لمن خشى العنت منكم لمن خاف الوقوع في الزنى وهو في الاصل انكسار العظم بعد الجبر مستعار لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة الاثم بافحش القبائح وقيل المراد به الحدّ وهذا شرط آخر لنكاح الاماء وان تصبروا خير لكم اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم قال عليه الصلاة والسلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاكه والله غفور لمن لم يصبر رحيم بان رخص له يريد الله ليبين لكم ما تعبدكم به من الحلال والحرام او ما خفى عنكم من مصالحكم ومحاسن اعمالكم وليبين مفعول يريد واللام زيدت لتأكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة كما في قول قيس بن سعد اردت لكيما يعلم الناس انه سراويل قيس والوفود شهود وقيل المفعول محذوف وليبين مفعول له اى يريد الحق لاجله ويهديكم سنن الذين من قبلكم مناهج من تقدمكم من اهل الرشد لتسلكوا طريقهم ويتوب عليكم ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يمنعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم والله عليم بها حكيم في وضعها والله يريد ان يتوب عليكم كرره للتأكيد والمبالغة ويريد الذين يتبعون الشهوات يعنى الفجرة فان اتباع الشهوات الائتمار لها واما المتعاطى لما سوّغه الشرع منها دون غيره فهو متبع له في الحقيقة لا لها وقيل المجوس وقيل اليهود فانهم يحلّون الاخوات من الاب وبنات الاخ والاخت ان تميلوا عن الحق ميلا بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات عظيما بالاضافة الى ميل من اقترف خطيئة على ندور غير مستحل لها يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق كاحلال نكاح الامة وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق الطاعات وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ثمان آيات في سورة النساء هى خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث وان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وان الله لا يغفر ان يشرك به وان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا يجز به وما يفعل الله بعذابكم يا ايها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشرع كالغصب والربا والقمار الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء منقطع اى ولكن كون تجارة عن تراض غير منهى عنه او اقصد واكون تجارة وعن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض المتعاقدين وتخصيص التجارة من الوجوه التى بها يحل تناول مال الغير لانها اغلب واوفق لذوى المروءات ويجوز ان يراد بها الانتقال مطلقا وقيل المراد بالنهى المنع عن صرف المال فيما لا يرضاه الله وبالتجارة صرفه فيما يرضاه وقرأ الكوفيون تجارة بالنصب على كان الناقصة واضمار الاسم اى الا ان تكون التجارة او الجهة تجارة ولا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله جهلة الهند او بالقاء النفس الى التهلكة ويؤيده ما روى ان عمرو بن العاص تأوّله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم او بارتكاب ما يؤدى الى قتلها او باقتراف

مايذللها ويرديها فانه القتل الحقيقى للنفس وقيل المراد بالانفس من كان من اهل دينهم فان المؤمنين كنفس واحدة جمع فى التوصية بين حفظ النفس والمال الذى هو شقيقها من حيث انه سبب قوامها استبقاء لهم ريثما تستكمل النفوس وتستوفى فضائلها رأفة بهم ورحمة كما اشار اليه بقوله ان الله كان بكم رحيما اى امر ما امر ونهى عما نهى لفرط رحمته عليكم معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما لما امر بنى اسرائيل بقتل الانفس ونهاكم عنه ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل او ما سبق من المحرمات عدوانا وظلما افراطا فى التجاوز عن الحق واتيانا بما لا يستحقه وقيل اراد بالعدوان التعدى على الغير وبالظلم ظلم النفس بتعريضها للعقاب فسوف نصليه نارا ندخله اياها وقرئ بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك من حيث انه سبب الصلى وكان ذلك على الله يسيرا لا عسر فيه ولا صارف عنه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه كبائر الذنوب التى نهاكم الله ورسوله عنها وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم سيئاتكم نغفر لكم صغائركم ونمحها عنكم واختلف فى الكبائر

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا

والاقرب ان الكبيرة كل ذنب رتب الشارع عليه حدا او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الكبائر الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وقيل اراد به ههنا انواع الشرك لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى ما فوقها وما تحتها فاكبر الكبائر الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وبينهما وسائط يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ولعل هذا مما يتفاوت باعتبار الاشخاص والاحوال الا ترى انه تعالى عاتب نبيه فى كثير من خطراته التى لم يعدها على غيره خطيئة فضلا ان يؤاخذه عليها وندخلكم مدخلا كريما الجنة وما وعد من الثواب او ادخالا مع كرامة وقرأ نافع بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض من الامور الدنيوية كالجاه والمال فلعل عدمه خير والمقتضى للمنع كونه ذريعة الى التحاسد والتعادى معربة عن عدم الرضى بما قسم الله له وانه تشهى لحصول الشئ له من غير طلب وهو مذموم لان تمنى ما لم يقدر له معارضة لحكمة القدر وتمنى ما قدر له بكسب بطالة وتضييع حظ وتمنى ما قدر له بغير كسب ضائع ومحال للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن بيان لذلك اى لكل من الرجال والنساء فضل ونصيب بسبب ما اكتسب ومن اجله فاطلبوا الفضل بالعمل لا بالحسد والتمنى كما قال عليه الصلاة والسلام ليس الايمان بالتمنى وقيل المراد نصيب الميراث وتفضيل الورثة بعضهم على بعض فيه وجعل ما قسم الله لكل منهم على حسب ما عرف من حاله الموجبة للزيادة والنقص كالمكتسب له واسألوا الله من فضله اى لا تتمنوا ما للناس واسألوا الله مثله من خزائنه التى لا تنفد وهو يدل على ان المنهى عنه هو الحسد او لا تتمنوا واسألوا الله من فضله بما يقربه ويسوقه اليكم وقرأ ابن كثير والكسائى وسلوا الله من فضله وسلم فسل الذين وشبهه اذا كان امرا مواجها به وقبل السين واو او فاء بغير همز وحمزة فى الوقف على اصله والباقون بالهمز ان الله كان بكل شئ عليما فهو يعلم ما يستحقه كل انسان فيفضل عن علم وتبيان روى ان ام سلمة قالت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وانما لنا نصف الميراث ليتنا كنا رجالا فنزلت ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون اى ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها ومما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل او ولكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوراث وفى ترك ضمير كل والوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالى وفيه خروج الاولاد فان الاقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين او ولكل قوم جعلناهم موالى حظ مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة كل والراجع اليه محذوف وعلى هذا فالجملة من مبتدأ وخبر والذين عاقدت ايمانكم موالى الموالاة كان الحليف يورث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وعن ابى حنيفة رضى الله تعالى عنه لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح وورث او الازواج على ان العقد عقد النكاح وهو مبتدأ ضمن معنى الشرط وخبره فآتوهم نصيبهم او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف على الوالدين وقوله فآتوهم جملة مسببة عن الجملة المتقدمة مؤكدة لها والضمير للموالى

وقرأ الكوفيون عقدت بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم فحذف العهود واقيم الضمير المضاف اليه مقامه ثم حذف كما حذف في القراءة الاخرى ﴿ان الله كان على كل شئ شهيدا﴾ تهديد على منع نصيبهم ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك بامرين وهبي وكسبي فقال ﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الاعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها والتعصيب وزيادة السهم في الميراث والاستبداد بالفراق ﴿وبما انفقوا من اموالهم﴾ في نكاحهن كالمهر والنفقة روي ان سعد بن الربيع احد نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ﴿فالصالحات قانتات﴾ مطيعات لله قائمات بحقوق الازواج ﴿حافظات للغيب﴾ لمواجب الغيب اي يحفظن في غيبة الازواج

اِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللّٰهُ بَيْنَهُمَا اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَاعْبُدُوا اللّٰهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ اِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبٰى وَالْيَتَامٰى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبٰى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ اَيْمَانُكُمْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ اَلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا اٰتٰيهُمُ اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ اَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَاَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّٰهُ وَكَانَ اللّٰهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَاِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ

ما يجب حفظه في النفس والمال وعنه عليه الصلاة والسلام خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها وتلا الآية وقيل لاسرارهم ﴿بما حفظ الله﴾ بحفظ الله اياهن بالامر على حفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له او بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة فانها لو كانت مصدرية لم يكن لحفظ فاعل والمعنى بالامر الذي حفظ حق الله اوطاعته وهو التعفف والشفقة على الرجال ﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن وترفعهن عن مطاوعة الازواج من النشز ﴿فعظوهن واهجروهن في المضاجع﴾ في المراقد فلا تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايت اي لا تبايتوهن ﴿واضربوهن﴾ يعني ضربا غير مبرح ولا شائن والامور الثلاثة مرتبة ينبغي ان يتدرج فيها ﴿فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا﴾ بالتوبيخ والايذاء والمعنى فازيلوا عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ﴿ان الله كان عليا كبيرا﴾ فاحذروه فانه اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم ويتوب عليكم فانتم احق بالعفو عن ازواجكم او انه متعال وكبير ان يظلم احدا او ينقص حقه ﴿وان خفتم شقاق بينهما﴾ خلافا بين المرأة وزوجها اضمرهما وان لم يجر ذكرهما لجري ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما لاجرائه مجرى المفعول به كقوله يا سارق الليلة او الفاعل كقوله نهارك صائم ﴿فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها﴾ فابعثوا ايها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الامر او اصلاح ذات البين رجلا وسيطا يصلح للحكومة والاصلاح من اهله وآخر من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب فلو نصبا من الاجانب جاز وقيل الخطاب للازواج والزوجات واستدل به على جواز التحكيم والاظهر ان النصب لاصلاح ذات البين او لتبيين الامر ولا يليان الجمع والتفريق الا باذن الزوجين وقال مالك لهما ان يتخالعا ان وجدا الصلاح فيه ﴿ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما﴾ الضمير الاول للحكمين والثاني للزوجين اي ان قصدا الاصلاح اوقع الله بحسن سعيهما الموافقة بين الزوجين وقيل كلاهما للحكمين اي ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما لتتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل للزوجين اي ان ارادا الاصلاح وزوال الشقاق اوقع الله بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتحراه اصلح الله مبتغاه ﴿ان الله كان عليما خبيرا﴾ بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا﴾ صنما او غيره او شيئا من الاشراك جليا او خفيا ﴿وبالوالدين احسانا﴾ واحسنوا بهما احسانا ﴿وبذي القربى﴾ وبصاحب القرابة ﴿واليتامى والمساكين والجار ذي القربى﴾ الذي قرب جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بنسب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما لحقه ﴿والجار الجنب﴾ البعيد او الذي لا قرابة له وعنه عليه الصلاة والسلام الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له حق واحد حق الجوار وهو المشرك من اهل الكتاب ﴿والصاحب بالجنب﴾ الرفيق في امر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجنبك وقيل المرأة ﴿وابن السبيل﴾ المسافر والضيف ﴿وما ملكت ايمانكم﴾ العبيد والاماء ﴿ان الله لا يحب من كان مختالا﴾ متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت اليهم ﴿فخورا﴾ يتفاخر عليهم ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ بدل من قوله من كان او نصب على الذم او رفع عليه اي هم الذين

او مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون بما منحوا به ويأمرون الناس بالبخل به وقرأ حمزة والكسائي ههنا وفي الحديد بالبخل بفتح الحرفين وهو لغة ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الغنى والعلم فهم احقاء بكل ملامة واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر فيه موضع المضمر اشعارا بان من هذا شأنه فهو كافر لنعمة الله ومن كان كافرا لنعمة الله فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا يقولون للانصار تنصحا لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس عطف على الذين يبخلون او الكافرين وانما شاركهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق لا على ما ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء في القبح واستجلاب الذم او مبتدأ خبره محذوف مدلول عليه بقوله ومن يكن الشيطان له قرينا ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ليتحروا بالانفاق مراضيه وثوابه وهم مشركوا مكة وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا تنبيه على ان الشيطان قرنهم فحملهم على ذلك وزينه لهم كقوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين والمراد ابليس واعوانه الداخلة والخارجة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان يقرن بهم الشيطان في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي وما الذي عليهم او اي تبعة تحيق بهم بالايمان والانفاق في سبيل الله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء على خلاف ما هو عليه وتحريض على الفكر لطلب الجواب لعله يؤديهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا تضمن المنافع وانما قدم الايمان ههنا واخره في الاية الاخرى لان القصد بذكره الى التخصيص ههنا والتعليل ثمة وكان الله بهم عليما وعيد لهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة لا ينقص من الاجر ولا يزيد في العقاب اصغر شيء كالذرة وهي النملة الصغيرة ويقال لكل جزء من اجزاء الهباء والمثقال مفعال من الثقل وفي ذكره ايماء الى انه وان صغر قدره عظم جزاؤه وان تك حسنة وان يك مثقال الذرة حسنة وانث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافة المثقال الى مؤنث وحذف النون من غير قياس تشبيها بحروف العلة وقرأ ابن كثير ونافع حسنة بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفها وكلاهما بمعنى ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل زائدا على ما وعد في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لانه تابع للاجر مزيد عليه فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيهم يشهد على فساد عقائدهم وقبح اعمالهم والعامل في الظرف مضمون المبتدأ والخبر من هول الامر وتعظيم الشأن وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا تشهد على صدق هؤلاء الشهداء لعلمك بعقائدهم واستجماع شرعك مجامع قواعدهم وقيل هؤلاء اشارة الى الكفرة المستفهم عن حالهم وقيل الى المؤمنين لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض بيان لحالهم حينئذ اي يود الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الامر او الكفرة والعصاة في ذلك الوقت ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى او لم يبعثوا او لم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان تسوى بهم الارض وحالهم انهم لا يكتمون من الله حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روي انهم اذا قالوا ذلك ختم الله على افواههم فيشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرأ نافع وابن عامر تسوى على ان اصله تتسوى فادغمت التاء في السين وحمزة والكسائي تسوى على حذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون اي لا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم روي عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه صنع مأدبة ودعا نفرا من الصحابة حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون فنزلت وقيل اراد بالصلاة مواضعها وهي المساجد وليس المراد منه نهي السكران عن قربان الصلاة وانما المراد منه النهي عن الافراط في الشرب والسكر من السكر وهو السد وقرئ سكارى بالفتح وسكرى على انه جمع كهلكى ومفرد بمعنى وانتم قوم سكرى وسكرى كحبلى على انها صفة للجماعة

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا

ولاجنبا عطف على قوله وانتم سكارى اذ الجملة في موضع النصب على الحال والجنب الذى اصابه الجنابة يستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لانه يجرى مجرى المصدر الاعابرى سبيل متعلق بقوله ولاجنبا استثناء من اعم الاحوال اى ولاتقربوا الصلاة جنبا في عامة الاحوال الا في السفر وذلك اذا لم يجد الماء وتيمم ويشهد له تعقيبه بذكر التيمم اوصفة لقوله جنبا اى جنبا غير عابرى سبيل وفيه دليل على ان التيمم لايرفع الحدث ومن فسر الصلاة بمواضعها فسر عابرى سبيل بالمجتازين فيها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رضى الله عنه وقال ابو حنيفة رضى الله تعالى عنه لايجوز له المرور في المسجد الا اذا كان فيه الماء او الطريق حتى تغتسلوا غاية النهى عن القربان حال الجنابة وفى الاية تنبيه على ان المصلى ينبغى له ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه ويزكى نفسه عما يجب تطهيرها عنه وان كنتم مرضى مرضا يخاف معه من استعمال الماء فان الواجد له كالفاقد او مرضا يمنعه عن الوصول اليه او على سفر لاتجدونه فيه اوجاء احد منكم من الغائط فاحدث بخروج الخارج من احد السبيلين واصل الغائط الموضع المطمئن من الارض

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

اولامستم النساء اوماسستم بشرتهن ببشرتكم وبه استدل الشافعى على ان اللمس ينقض الوضوء وقيل او جامعتموهن وقرأ حمزة والكسائى ههنا وفى المائدة لمستم واستعماله كناية عن الجماع اقل من الملامسة فلم تجدوا ماء فلم تتمكنوا من استعماله اذ الممنوع عنه كالمفقود ووجه هذا التقسيم ان المترخص بالتيمم اما محدث او جنب والحالة المقتضية له في غالب الامر مرض او سفر وللجنب لما سبق ذكره اقتصر على بيان حاله والمحدث لما لم يجر ذكره ذكر اسباب ما يحدث له بالذات وما يحدث بالعرض واستغنى عن تفصيل احواله بتفصيل احوال الجنب وبيان العذر مجملا وكانه قيل وان كنتم جنبا مرضى او على سفر او محدثين جئتم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا ولذلك قالت الحنفية لوضرب المتيمم يده على حجر صلد ومسح به اجزأ وقال اصحابنا لابد ان يعلق باليد شئ من التراب لقوله تعالى في المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اى من بعضه وجعل من لابتداء الغاية تعسف اذ لايفهم من نحو ذلك الا التبعيض واليد اسم للعضو الى المنكب وما روى انه عليه الصلاة والسلام تيمم ومسح يديه الى مرفقيه والقياس على الوضوء دليل على ان المراد ههنا وايديكم الى المرافق ان الله كان عفوا غفورا فلذلك يسر الامر عليكم ورخص لكم الم تر الى الذين اوتوا من رؤية البصر اى الم تنظر اليهم او القلب وعدى بالى لتضمن معنى الانتهاء نصيبا من الكتاب حظا يسيرا من علم التوراة لان المراد احبار اليهود يشترون الضلالة يختارونها على الهدى او يستبدلونها به بعد تمكنهم منه او حصوله لهم بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يأخذون الرشى ويحرفون التوراة ويريدون ان تضلوا ايها المؤمنون السبيل سبيل الحق والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء وبما يريدون بكم فاحذروهم وكفى بالله وليا يلى امركم وكفى بالله نصيرا يعينكم فثقوا عليه واكتفوا به عن غيره والباء تزاد في فاعل كفى لتاكيد الاتصال الاسنادى بالاتصال الاضافى من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا فانه يحتملهم وغيرهم وما بينهما اعتراض او بيان لاعدائكم او صلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا ويحفظكم منهم او خبر محذوف صفته يحرفون الكلم عن مواضعه اى من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها بازالته عنها واثبات غيره فيها او يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما انزل الله فيه وقرئ الكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون سمعنا قولك وعصينا امرك واسمع غير مسمع اى مدعوا عليك بلا سمعت لصمم او موت او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه او اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك تنبو عنه فيكون مفعولا به او اسمع غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان اذا سبه وانما قالوه نفاقا وراعنا انظرنا نكلمك او نفهم كلامك ليا بألسنتهم فتلا بها وصرفا للكلام الى ما يشبه السب حيث وضعوا راعنا المشابه لما يتسابون به موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا سمعت مكروها او فتلا بها وضما ما يظهرون من الدعاء والتوقير الى ما يضمرون من السب والتحقير نفاقا وطعنا في الدين استهزاء به وسخرية ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا ولو ثبت قولهم هذا مكان ما قالوه لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم لكان خيرا لهم واقوم واعدل وانما يجب حذف الفعل بعد لو في مثل ذلك لدلالة ان عليه ووقوعه موقعه ولكن لعنهم الله بكفرهم ولكن خذلهم الله وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم

فلا يؤمنون الا قليلا اى الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الآيات والرسل ويجوز ان يراد بالقلة العدم كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه او الا قليلا منهم امنوا او سيؤمنون يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونجعلها على هيئة ادبارها يعنى الاقفاء او ننكسها الى ورائها فى الدنيا او فى الآخرة واصل الطمس ازالة الاعلام الماثلة وقد يطلق بمعنى الطلس فى ازالة الصورة ولمطلق القلب والتغيير ولذلك قيل معناه من قبل ان نغير وجوها فنسلب وجاهتها واقبالها ونكسوها الصغار والادبار او نردها الى حيث جاءت منه وهى اذرعات الشام يعنى اجلاء بنى النضير ويقرب منه قول من قال ان المراد بالوجوه الرؤساء او من قبل ان نطمس وجوها بان نعمى الابصار عن الاعتبار ونصم الاسماع عن الاصغاء الى الحق بالطبع ونردها من الهداية الى الضلالة او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت او نخزيهم بالمسخ كما اخزينا به اصحاب السبت اى نمسخهم مثل مسخهم او نلعنهم على لسانك كما لعناهم على لسان داود والضمير لاصحاب الوجوه او للذين على طريقة الالتفات او للوجوه ان اريد بها الوجهاء وعطفه على الطمس بالمعنى الاول يدل على ان المراد به ليس مسخ الصورة فى الدنيا ومن حمل الوعيد على تغيير الصورة فى الدنيا قال انه بعد مترقب او كان وقوعه مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن منهم طائفة وكان امر الله بايقاع شئ او وعيده او ما حكم به وقضاه مفعولا نافذا او كائنا فيقع لا محالة ما اوعدتم به ان لم تؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به لانه بت الحكم على خلود عذابه او لان الذنب لا يمحى عنه اثره فلا يستعد للعفو بخلاف غيره ويغفر ما دون ذلك اى ما دون الشرك صغيرا كان او كبيرا لمن يشاء تفضلا عليه واحسانا وعلقه المعتزلة بالفعلين على معنى ان الله لا يغفر الشرك لمن يشاء وهو من لم يتب ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو من تاب وفيه تقييد بلا دليل اذ ليس عموم آيات الوعيد بالمحافظة اولى منه ونقض لمذهبهم فان تعليق الامر بالمشيئة ينافى وجوب التعذيب قبل التوبة والصفح بعدها فالآية كما هى حجة عليهم فهى حجة على الخوارج الذين زعموا ان كل ذنب شرك وان صاحبه خالد فى النار ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ارتكب ما يستحقر دونه من الآثام وهو اشارة الى المعنى الفارق بينه وبين سائر الذنوب والافتراء كما يطلق على القول يطلق على الفعل وكذلك الاختلاق الم تر الى الذين يزكون انفسهم يعنى اهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار وفى معناهم من زكى نفسه واثنى عليها بل الله يزكى من يشاء تنبيه على ان تزكيته تعالى هى المعتد بها دون تزكية غيره فانه العالم بما ينطوى عليه الانسان من حسن وقبح وقد ذمهم وزكى المرتضين من عباده المؤمنين واصل التزكية نفى ما يستقبح فعلا او قولا ولا يظلمون بالذم او العقاب على تزكيتهم انفسهم بغير حق فتيلا ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى الحقارة انظر كيف يفترون على الله الكذب فى زعمهم انهم ابناء الله وازكياء عنده وكفى به بزعمهم هذا او بالافتراء اثما مبينا لا يخفى كونه مأثما من بين آثامهم

وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت فى يهود كانوا يقولون ان عبادة الاصنام ارضى عند الله مما يدعوا اليه محمد وقيل فى حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف وجمع من اليهود خرجوا الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا والجبت فى الاصل اسم صنم فاستعمل فى كل ما عبد من دون الله وقيل اصله الجبس وهو الذى لا خير فيه فقلبت سينه تاء والطاغوت يطلق لكل باطل من معبود او غيره ويقولون للذين كفروا لاجلهم وفيهم هؤلاء اشارة اليهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اقوم دينا وارشد طريقا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا يمنع عنه العذاب بشفاعة او غيرها ام لهم نصيب من الملك ام منقطعة ومعنى الهمزة انكار ان يكون لهم نصيب من الملك وجحد لما زعمت اليهود من ان الملك سيصير اليهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا ما يوازى نقيرا وهو النقرة فى ظهر النواة وهذا هو الاغراق فى بيان شحهم فانهم بخلوا بالنقير وهم ملوك فما ظنك بهم اذا كانوا فقراء اذلاء متفاقرين ويجوز ان يكون المعنى انكار انهم اوتوا نصيبا من الملك على الكناية وانهم لا يؤتون الناس شيئا واذا اذا وقع بعد الواو والفاء لا لتشريك

سَنُدْخِلُهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوٰجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰنٰتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّٰهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّٰهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطٰنُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلٰلًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾

مفرد جاز فيه الالغاء والاعمال ولذلك قرئ فاذا لا يؤتوا على النصب ام يحسدون الناس بل يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه او العرب او الناس جميعا لان من حسد على النبوة فكانما حسد الناس كلهم كمالهم ورشدهم وبخهم وانكر عليهم الحسد كما ذمهم على البخل وهما شر الرذائل فكان بينهما تجاذبا وتلازما على ما آتاهم الله من فضله يعنى النبوة والكتاب والنصرة والاعزاز وجعل النبى الموعود منهم فقد آتينا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد وابناء عمه الكتاب والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما فلا يبعد ان يؤتيهم الله مثل ما آتاهم فمنهم فمن اليهود من آمن به بمحمد صلى الله عليه وسلم او بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من صد عنه اعرض عنه ولم يؤمن به وقيل معناه فمن آل ابراهيم من آمن به ومنهم من كفر ولم يكن فى ذلك توهين امره فكذلك لا يوهن كفر هؤلاء امرك وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعورة يعذبون بها اى ان لم يعجلوا بالعقوبة فقد كفاهم ما اعد لهم من سعير جهنم ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كالبيان والتقرير لذلك كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها بان يعاد ذلك الجلد بعينه على صورة اخرى كقولك بدلت الخاتم قرطا او بان يزال عنه اثر الاحراق ليعود احساسه للعذاب كما قال ليذوقوا العذاب اى ليدوم لهم ذوقه وقيل يخلق مكانه جلد آخر والعذاب فى الحقيقة للنفس العاصية المدركة لا لآلة ادراكها فلا محذور ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريد حكيما يعاقب على وفق حكمته والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قدم ذكر الكفار ووعيدهم على ذكر المؤمنين ووعدهم لان الكلام فيهم وذكر المؤمنين بالعرض لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وهو اشارة الى النعمة التامة الدائمة والظليل صفة مشتقة من الظل لتاكيده كقولهم شمس شامس وليل اليل ويوم ايوم ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها خطاب يعم المكلفين والامانات وان نزلت يوم الفتح فى عثمان بن طلحة بن عبد الدار لما اغلق باب الكعبة وابى ان يدفع المفتاح ليدخل فيها وقال لو علمت انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى على كرم الله وجهه يده واخذه منه وفتح فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس رضى الله عنه ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامره الله ان يرده اليه فامر عليا رضى الله عنه بان يرده ويعتذر اليه وصار ذلك سببا لاسلامه ونزل الوحى بان السدانة فى اولاده ابدا واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اى وان تحكموا بالانصاف والسوية اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة الولاة قيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اى نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به فما منصوبة موصوفة بيعظكم او مرفوعة موصولة به والمخصوص بالمدح محذوف وهو المامور به من اداء الامانات والعدل فى الحكومات ان الله كان سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم وما تفعلون فى الامانات يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فان تنازعتم انتم واولوا الامر منكم فى شئ من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد فى حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولى الامر على طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه فى زمانه والمراجعة الى سنته بعده واستدل به منكروا القياس وقالوا انه تعالى اوجب رد المختلف الى الكتاب والسنة دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يوجب ذلك ذلك اى الرد خير لكم واحسن تأويلا عاقبة او احسن تأويلا من تأويلكم بلا رد الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت عن ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق بقضائه وقال نتحاكم



الى عمر فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه وخاصم اليك فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اكذلك فقال نعم فقال مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاخذ سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبرائيل ان عمر قد فرق بين الحق والباطل فسمي الفاروق والطاغوت على هذا كعب بن الاشرف وفي معناه من يحكم بالباطل ويؤثر لاجله فسمي بذلك لفرط طغيانه او للتشبيه بالشيطان او لان التحاكم اليه تحاكم الى الشيطان من حيث انه الحامل عليه كما قال وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كقوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف لام الفعل اعتباطا ثم ضم اللام لواو الضمير رايت المنافقين يصدون عنك صدودا هو مصدر او اسم للمصدر الذي هو الصد والفرق بينه وبين السد انه غير محسوس والسد محسوس ويصدون في موضع الحال فكيف تكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة كقتل عمر المنافق او النقمة من الله تعالى بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك وعدم الرضى بحكمك ثم جاؤك حين يصابون للاعتذار عطف على اصابتهم وقيل على يصدون وما بينهما اعتراض يحلفون بالله حال ان اردنا الا احسانا وتوفيقا ما اردنا بذلك الا الفصل بالوجه الاحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفتك وقيل جاء اصحاب القتيل طالبين بدمه وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا ويوفق بينه وبين خصمه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق فلا يغني عنهم الكتمان والحلف الكاذب من العقاب فاعرض عنهم اي عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم او عن قبول معذرتهم وعظهم بلسانك وكفهم عما هم عليه وقل لهم في انفسهم اي في معنى انفسهم او خاليا بهم فان النصح في السر انجع قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم امرهم بالتجافي عن ذنوبهم والنصح لهم والمبالغة فيه بالترغيب والترهيب وذلك مقتضى شفقة الانبياء عليهم السلام وتعليق الظرف ببليغا على معنى بليغا في انفسهم مؤثرا فيها ضعيف لان معمول الصفة لا يتقدم الموصوف والقول البليغ في الاصل هو الذي يطابق مدلوله المقصود به وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته وامره المبعوث اليهم بان يطيعوه وكانه احتج بذلك على ان الذي لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كان كافرا مستوجب القتل وتقريره ان ارسال الرسول لما لم يكن الا ليطاع كان من لم يطعه ولم يرض بحكمه لم يقبل رسالته ومن كان كذلك كان كافرا مستوجب القتل ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالنفاق والتحاكم الى الطاغوت جاؤك بالتوبة تائبين من ذلك وهو خبر ان واذ متعلق به فاستغفروا الله لذنوبهم بالتوبة والاخلاص واستغفر لهم الرسول واعتذروا اليك حتى انتصبت لهم شفيعا وانما عدل عن الخطاب ولم يقل واستغفرت لهم لان القياس يقتضي هذا القول جاؤك تفخيما لشانه وتنبيها على ان من حق الرسول ان يقبل اعتذار التائب وان عظم جرمه ويشفع له ومن منصبه ان يشفع في كبائر الذنوب لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه قابلا لتوبتهم متفضلا عليهم بالرحمة وان فسر وجد بصادف كان توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة لتاكيد القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله تعالى لا اقسم بهذا البلد حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من اجله فان الشاك في ضيق من امره ويسلموا تسليما وينقادوا لك انقيادا بظاهرهم وباطنهم ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد او اقتلوها كما قتل بنو اسرائيل وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا في معنى امرنا او اخرجوا من دياركم خروجهم حين استتيبوا من عبادة العجل وقرأ ابو عمرو ويعقوب ان اقتلوا بكسر النون على اصل التحريك او اخرجوا بضم الواو للاتباع والتشبيه بواو الجمع في نحو قوله تعالى ولا تنسوا الفضل وقرأ حمزة وعاصم بكسرهما على الاصل والباقون بضمهما اجراء لهما مجرى الهمزة المتصلة بالفعل ما فعلوه الا قليل منهم الا ناس قليل وهم المخلصون لما بين ان ايمانهم لا يتم الا بان يسلموا حق التسليم نبه على قصور اكثرهم ووهن اسلامهم والضمير للمكتوب ودل عليه كتبنا او لاحد مصدري الفعلين وقرأ ابن عامر بالنصب على الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومطاوعته طوعا ورغبة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ

لكان خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا في دينهم لانه اشد لتحصيل العلم ونفي الشك وتثبيتا لثواب اعمالهم ونصبه على التمييز والاية ايضا مما نزلت في شأن المنافق واليهودي وقيل انها والتي قبلها نزلتا في حاطب بن ابي بلتعة خاصم زبيرا في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال حاطب لان كان ابن عمتك فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم احبس الماء الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وما يكون لهم بعد التثبيت فقال واذا لو ثبتوا لآتيناهم لان اذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه جناب القدس ويفتح عليهم ابواب الغيب قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم مزيد ترغيب في الطاعة بالوعد عليها مرافقة اكرم الخلائق واعظمهم قدرا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من ضميرعليهم قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس على ان لا يتأخروا

مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ

عنهم وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليها ثم الشهداء الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم هم العارفون بالله وهؤلاء اما ان يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبرهان والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء قريبا وهم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد وهم الصديقون والآخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم العلماء الراسخون الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا روي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه فسأله عن حاله فقال ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت ذلك مبتدأ اشارة الى ما للمطيعين من الاجر ومزيد الهداية ومرافقة المنعم عليهم او الى فضل هؤلاء المنعم عليهم ومزيتهم الفضل صفته من الله خبره او الفضل خبر ومن الله حال والعامل فيه معنى الاشارة وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه او بمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للاعداء والحذر والحذر كالاثر والاثر وقيل ما يحذر به كالحزم والسلاح فانفروا فاخرجوا الى الجهاد ثبات جماعات متفرقة جمع ثبة من ثبيت على فلان تثبية اذا ذكرت متفرق محاسنه ويجمع ايضا على ثبين جبرا لما حذف من عجزه او انفروا جميعا مجتمعين كوكبة واحدة والاية وان نزلت في الحرب لكن يقتضي اطلاق لفظها وجوب المبادرة الى الخيرات كلها كيفما امكن قبل الفوات وان منكم لمن ليبطئن الخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ وهو لازم او بطئون غيرهم كما بطأ ابن ابي اناسا يوم احد من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا حاضرا في تلك الغزاة فيصيبني ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله كفتح وغنيمة ليقولن اكده تنبيها على فرط تحسره وقرئ بضم اللام اعادة للضمير على معنى من كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين الفعل ومفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما للتنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا قول من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم لمجرد المال او حال من الضمير في ليقولن او داخل في المقول اي يقول المبطئ لمن بطأه من المنافقين وضعفة المسلمين تضريبا وحسدا كان لم يكن بينكم وبين محمد

مودة حيث لم يستعن بكم فتفوزوا بما فاز يا ليتني كنت معهم وقيل انه متصل بالجملة الاولى وهو ضعيف اذ لا يفصل ابعاض الجملة بما لا يتعلق بها لفظا ومعنى وكأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهو محذوف وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم ورويس عن يعقوب تكن بالتاء لتأنيث لفظ المودة والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع فأفوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على تقدير فانا افوز في ذلك الوقت او العطف على كنت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة اي الذين يبيعونها بها والمعنى ان بطأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم المبطئون والمعنى حثهم على ترك ما حكي عنهم ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وعده الاجر العظيم غلب او غلب ترغيبا في القتال وتكذيبا لقولهم قد انعم الله علي اذ لم اكن معهم شهيدا وانما قال فيقتل او يغلب تنبيها على ان المجاهد ينبغي ان يثبت في المعركة حتى يعز نفسه بالشهادة او الدين بالظفر والغلبة وان لا يكون قصده بالذات الى القتل بل الى اعلاء الحق واعزاز الدين وما لكم مبتدأ وخبر

يَشْرُونَ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا بِالْاٰخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ فَيُقْتَلْ اَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ اَجْرًا عَظِيْمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالْمُسْتَضْعَفِيْنَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِيْنَ يَقُوْلُوْنَ رَبَّنَآ اَخْرِجْنَا مِنْ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ اَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا وَّاجْعَلْ لَّنَا مِنْ لَّدُنْكَ نَصِيْرًا ﴿٧٥﴾ اَلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ الطَّاغُوْتِ فَقَاتِلُوْٓا اَوْلِيَآءَ الشَّيْطٰنِ اِنَّ كَيْدَ الشَّيْطٰنِ كَانَ ضَعِيْفًا ﴿٧٦﴾ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ قِيْلَ لَهُمْ كُفُّوْٓا اَيْدِيَكُمْ وَاَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاٰتُوا الزَّكٰوةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ اِذَا فَرِيْقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّٰهِ اَوْ اَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوْا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَآ اَخَّرْتَنَآ

لا تقاتلون في سبيل الله حال والعامل فيها ما في الظرف من معنى الفعل والمستضعفين عطف على اسم الله اي وفي سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على سبيل بحذف المضاف اي وفي خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة المسلمين من ايدي الكفار اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او ضعفهم عن الهجرة مستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان مبالغة في الحث وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان وان دعوتهم اجيبت بسبب مشاركتهم في الدعاء حتى يشاركوا في استنزال الرحمة واستدفاع البلية وقيل المراد به العبيد والاماء وهو جمع وليد الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا فاستجاب الله دعاءهم بان يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقي منهم خير ولي وناصر ففتح مكة على يد نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم ونصرهم ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها والقرية مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل او المفعول اذا جرى على غير من هو له كان كالفعل يذكر ويؤنث على حسب ما عمل فيه الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله فيما يصلون به الى الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فيما يبلغ بهم الى الشيطان فقاتلوا اولياء الشيطان لما ذكر مقصد الفريقين امر اولياءه ان يقاتلوا اولياء الشيطان ثم شجعهم بقوله ان كيد الشيطان كان ضعيفا اي ان كيده للمؤمنين بالاضافة الى كيد الله للكافرين ضعيف لا يؤبه به فلا تخافوا اولياءه فان اعتمادهم على اضعف شيء واوهنه الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم اي عن القتال واقيموا الصلوة وآتوا الزكاة واشتغلوا بما امرتم به فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله يخشون الكفار ان يقتلوهم كما يخشون الله ان ينزل عليهم بأسه واذا للمفاجأة جواب لما وفريق مبتدأ ومنهم صفته ويخشون خبره وكخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول وقع

موقع المصدر او الحال من فاعل يخشون على معنى يخشون الناس مثل اهل خشية الله منه او اشد خشية عطف عليه ان جعلته حالا وان جعلته مصدرا فلا لان افعل التفضيل اذا نصب ما بعده لم يكن من جنسه بل هو معطوف على اسم الله تعالى اي كخشية الله او كخشية اشد خشية منه على الفرض اللهم الا ان يجعل الخشية ذات خشية كقولهم جد جده على معنى يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف عن القتال حذرا عن الموت ويحتمل انهم ما تفوهوا به ولكن قالوه في انفسهم فحكى الله عنهم

قل متاع الدنيا قليل سريع التقضي والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادنى شيء من ثوابكم فلا ترغبوا عنه او من آجالكم المقدرة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي ولا يظلمون لتقدم الغيبة اينما تكونوا يدرككم الموت قرئ بالرفع على حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على انه كلام مبتدأ واينما متصل بلا تظلمون ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور او حصون مرتفعة والبروج في الاصل بيوت على اطراف القصر من تبرجت المرأة اذا ظهرت وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بوصف فاعلها كقولهم قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك كما تقع الحسنة والسيئة على الطاعة والمعصية يقعان على النعمة والبلية وهما المراد في الآية اي ان تصبهم نعمة كخصب نسبوها الى الله وان تصبهم بلية كقحط اضافوها اليك وقالوا ان هي الا بشؤمك كما قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها قل كل من عند الله اي يقبض

إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ۝ مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

ويبسط حسب ارادته فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يوعظون به وهو القرآن فانهم لو فهموه وتدبروا معانيه لعلموا ان الكل من عند الله او حديثا ما كبهائم لا افهام لهم او حادثا من صروف الزمان فيتفكروا فيها فيعلموا ان القابض والباسط هو الله تعالى ما اصابك يا انسان من حسنة من نعمة فمن الله اي تفضلا منه فان كل ما يفعله الانسان من الطاعة لا يكافئ نعمة الوجود فكيف يقتضي غيره ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى قيل ولا انت قال ولا انا وما اصابك من سيئة من بلية فمن نفسك لانها السبب فيها لاستجلابها بالمعاصي وهو لا ينافي قوله تعالى كل من عند الله فان الكل منه ايجادا وايصالا غير ان الحسنة احسان وامتحان والسيئة مجازاة وانتقام كما قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر والآيتان كما ترى لا حجة فيهما لنا وللمعتزلة وارسلناك للناس رسولا حال قصد بها التأكيد ان علق الجار بالفعل والتعميم ان علق بها اي رسولا للناس جميعا كقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس ويجوز نصبه على المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وكفى بالله شهيدا على رسالتك بنصب المعجزات من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه عليه الصلاة والسلام في الحقيقة مبلغ والآمر هو الله روي انه عليه السلام قال من احبني فقد احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون لقد قارف الشرك وهو ينهى عنه ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ربا فنزلت ومن تولى عن طاعته فما ارسلناك عليهم حفيظا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها انما عليك البلاغ وعلينا الحساب وهو حال من الكاف ويقولون اذا امرتهم بامر طاعة اي امرنا طاعة او منا طاعة واصلها النصب على المصدر ورفعها للدلالة على الثبات فاذا برزوا من عندك خرجوا بيت طائفة منهم غير الذي تقول اي زورت خلاف ما قلت لها او ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة والتبييت اما من البيتوتة لان الامور تدبر بالليل او من بيت الشعر او البيت المبني لانه يسوى ويدبر وقرأ ابو عمرو وحمزة بيت طائفة بالادغام لقربهما في المخرج والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحائفهم للمجازاة او في جملة ما يوحى اليك لتطلع على اسرارهم فاعرض عنهم قلل المبالاة بهم او تجاف عنهم وتوكل على الله في الامور كلها سيما في شأنهم وكفى بالله وكيلا يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم

افلا يتدبرون القرآن يتأملون في معانيه ويتبصرون بما فيه واصل التدبر النظر في ادبار الشيء ولو كان من عند غير الله اي ولو كان من كلام البشر كما زعم الكفار لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض اخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض احكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض في الحكم بل لاختلاف الاحوال في الحكم والمصالح واذا جاءهم امر من الامن او الخوف مما يوجب الامن او الخوف اذاعوا به افشوه كان يفعله قوم من ضعفة المسلمين اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم او اخبرهم الرسول بما اوحي اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة اذاعوا به لعدم حزمهم فكانت اذاعتهم مفسدة والباء مزيدة او لتضمن الاذاعة معنى التحدث ولو ردوه ولو ردوا ذلك الخبر الى الرسول والى اولى الامر منهم الى رأيه ورأي كبار الصحابة البصراء بالامور او الامراء لعلمه على اي وجه يذكره الذين يستنبطونه منهم يستخرجون تدابيره بتجاربهم وانظارهم وقيل كانوا يسمعون اراجيف المنافقين فيذيعونها فتعود وبالا على المسلمين ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم حتى يسمعوه منهم ويعرفوا انه هل يذاع او لا يذاع لعلم ذلك هؤلاء الذين يستنبطونه من الرسول واولى الامر اي يستخرجون علمه من جهتهم واصل الاستنباط اخراج النبط وهو الماء يخرج من البئر اول ما تحفر ولولا فضل الله عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان بالكفر والضلال الا قليلا الا قليلا منكم تفضل الله عليه بعقل راجح اهتدى به الى الحق والصواب وعصمه من متابعة الشيطان كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل او الا اتباعا قليلا على الندور فقاتل في سبيل الله ان تثبطوا وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك الا فعل نفسك لا يضرك مخالفتهم وتقاعدهم فتقدم الى الجهاد وان لم يساعدك احد فان الله ناصرك لا الجنود روي انه عليه الصلاة والسلام دعا الناس في بدر الصغرى الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج عليه السلام وما معه الا سبعون لم يلو على احد وقرئ لا تكلف بالجزم ولا نكلف بالنون على بناء الفاعل اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا انا لا نكلف احدا الا نفسه لقوله وحرض المؤمنين على القتال اذ ما عليك في شأنهم الا التحريض عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا يعني قريشا وقد فعل بان القى في قلوبهم الرعب حتى رجعوا والله اشد بأسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا منهم وهو تقريع وتهديد لمن لم يتبعه من يشفع شفاعة حسنة راعى بها حق مسلم ودفع بها عنه ضرا او جلب اليه نفعا ابتغاء لوجه الله تعالى ومنها الدعاء للمسلم قال صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك يكن له نصيب منها وهو ثواب الشفاعة والتسبب الى الخير الواقع بها ومن يشفع شفاعة سيئة يريد بها محرما يكن له كفل منها نصيب من وزرها مساو لها في القدر وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات على الشيء اذا قدر قال وذي ضغن كففت الضغن عنه وكنت على اساءته مقيتا او شهيدا حافظا واشتقاقه من القوت فانه يقوي البدن ويحفظه واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها الجمهور على انه في السلام ويدل على وجوب الجواب اما باحسن منه وهو ان يزيد عليه ورحمة الله فان قاله المسلم زاد وبركاته وهي النهاية واما برد مثله لما روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وذلك لاستجماعه اقسام المطالب السلامة عن المضار وحصول المنافع وثباتها ومنه قيل او للترديد بين ان يحيي المسلم ببعض التحية وبين ان يحيي بتمامها وهذا الوجوب على الكفاية وحيث السلام مشروع فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة ونحوها والتحية في الاصل مصدر حياك الله على الاخبار من الحياة ثم استعمل للحكم والدعاء بذلك ثم قيل لكل دعاء فغلب في السلام وقيل المراد بالتحية العطية واوجب الثواب او الرد على المتهب وهو قول قديم للشافعي رضي الله تعالى عنه ان الله كان على كل شيء حسيبا يحاسبكم على التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ وخبر او الله مبتدأ والخبر

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ



لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ
حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ
بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ
تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ
سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا
مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ
أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ
فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ
السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ

ليجمعنكم الى يوم القيمة اى الله والله ليحشرنكم من قبوركم الى يوم القيامة او مفضين اليه او في يوم القيامة والى للاهو اعتراض والقيام والقيامة كالطلاب والطلابة وهي قيام
الناس من القبور او للحساب لاريب فيه في اليوم او الجمع فهو حال من اليوم او صفة للمصدر ومن اصدق من الله حديثا انكار ان يكون احد اكثر صدقا منه فانه لايتطرق
الكذب الى خبره بوجه لانه نقص وهو على الله محال فما لكم في المنافقين فما لكم تفرقتم في امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم وذلك ان ناسا
منهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون
في اسلامهم وقيل نزلت في المتخلفين يوم احد او في قوم هاجروا ثم رجعوا معتلين باجتواء المدينة والاشتياق الى الوطن او قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وفئتين
حال عاملها لكم كقولك مالك قائما وفي المنافقين حال من فئتين اى متفرقين فيهم او من الضمير اى فما لكم متفرقين فيهم ومعنى الافتراق مستفاد من فئتين والله اركسهم
بما كسبوا ردهم الى حكم الكفرة او نكسهم بان صيرهم للنار واصل الركس
رد الشيء مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من المهتدين
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الهدى ودوا لو تكفرون كما كفروا
تمنوا ان تكفروا ككفرهم فتكونون سواء فتكونون معهم سواء في الضلال
وهو عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز فلا تتخذوا منهم
اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم حتى يؤمنوا وتحققوا ايمانهم
بهجرة هي لله ورسوله لا لاغراض الدنيا وسبيل الله ما امر بسلوكه فان تولوا
عن الايمان الظاهر بالهجرة او عن اظهار الدين فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
كسائر الكفرة ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اى جانبوهم رأسا ولا تقبلوا
منهم ولاية ولا نصرة الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم اى الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم
عاهدوكم ويفارقون محاربتكم والقوم هم خزاعة وقيل هم الاسلميون فانه
عليه الصلاة والسلام وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لايعينه ولا يعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله وقيل
بنو بكر بن زيد مناة او جاؤكم عطف على الصلة اى والذين جاؤكم
كافين عن قتالكم وقتال قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم من ترك
المحاربين فلحق بالمعاهدين او اتى الرسول وكف عن قتال الفريقين او على صفة
قوم وكانه قال الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم كافين عن القتال
لكم وعليكم والاول اظهر لقوله فان اعتزلوكم وقرئ بغير العاطف
على انه صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استئناف حصرت صدورهم
حال باضمار قد ويدل عليه انه قرئ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم
او بيان لجاؤكم وقيل صفة محذوف اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر
الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اى عن ان او لان
اوكراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان قوى قلوبهم وبسط صدورهم وازال الرعب عنهم فلقاتلوكم ولم يكفوا عنكم
فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم فان لم يتعرضوا لكم والقوا اليكم السلم الاستسلام والانقياد فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن لكم في اخذهم وقتلهم

آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّمَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا

ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم أسد وغطفان وقيل بنو عبد الدار أتوا المدينة وأظهروا الإسلام ليأمنوا المسلمين فلما رجعوا كفروا
كلما ردوا إلى الفتنة دعوا إلى الكفر وإلى قتال المسلمين أركسوا فيها عادوا إليها وقلبوا فيها أقبح قلب فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم وينبذوا إليكم العهد
ويكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم فإن مجرد الكف لا يوجب نفي التعرض وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة
واضحة في التعرض لهم بالقتل والسبي لظهور عداوتهم ووضوح كفرهم وغدرهم أو تسلطا ظاهرا حيث أذن لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح لمؤمن وليس من شأنه أن يقتل مؤمنا
بغير حق إلا خطأ فإنه على عرضته ونصبه على الحال أو المفعول له أي لا يقتله في شيء من الأحوال إلا حال الخطأ أو لا يقتله لعلة إلا للخطأ أو على أنه صفة مصدر محذوف أي إلا قتلا
خطأ وقيل ما كان نفي في معنى النهي والاستثناء منقطع أي لكن إن قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يضامه القصد إلى الفعل أو الشخص أو ما لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو ما
لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف الكفار مع الجهل بإسلامه أو يكون فعل غير
المكلف وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة والآية نزلت في عياش بن أبي
ربيعة أخي أبي جهل من الأم لقي حارث بن زيد في طريق وكان قد أسلم ولم يشعر به عياش
فقتله ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة أي فعليه أو فواجبه تحرير رقبة والتحرير
الإعتاق والحر كالعتيق الكريم من الشيء ومنه حر الوجه لأكرم موضع منه سمي به لأن
الكرم في الأحرار واللؤم في العبيد والرقبة عبر بها عن النسمة كما عبر عنها بالرأس
مؤمنة محكوم بإسلامها وإن كانت صغيرة ودية مسلمة إلى أهله مؤداة إلى
ورثته يقتسمونها كسائر المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابي كتب إلي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني أن أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها
وهي على العاقلة فإن لم تكن فعلى بيت المال فإن لم يكن ففي ماله إلا أن يصدقوا يتصدقوا
عليه بالدية سمي العفو عنها صدقة حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله
عليه وسلم كل معروف صدقة وهو متعلق بعليه أو بمسلمة أي تجب الدية عليه
أو يسلمها إلى أهله إلا حال تصدقهم عليه أو زمانه فهو في محل النصب على الحال
من القاتل أو الأهل أو الظرف فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير
رقبة مؤمنة أي إن كان المؤمن المقتول من قوم كفار محاربين أو في تضاعيفهم
ولم يعلم إيمانه فعلى قاتله الكفارة دون الدية لأهله إذ لا وراثة بينه وبينهم
ولأنهم محاربون وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله
وتحرير رقبة مؤمنة أي وإن كان من قوم كفرة معاهدين أو أهل الذمة فحكمه
حكم المسلم في وجوب الكفارة والدية ولعله فيما إذا كان المقتول معاهدا أو كان
له وارث مسلم فمن لم يجد رقبة بأن لم يملكها ولا ما يتوصل به إليها فصيام
شهرين متتابعين فعليه أو فالواجب عليه صيام شهرين توبة نصب على المفعول
له أي شرع ذلك له توبة من تاب الله عليه إذا قبل توبته أو على المصدر أي وتاب
عليكم توبة أو حال بحذف مضاف أي فعليه صيام شهرين ذا توبة من الله
صفتها وكان الله عليما بحاله حكيما فيما أمر في شأنه ومن يقتل
مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما لما فيه من التهديد العظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تقبل توبة قاتل
المؤمن عمدا ولعله أراد به التشديد إذ روي عنه خلافه والجمهور على أنه مخصوص بمن لم يتب لقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب ونحوه وهو عندنا إما مخصوص
بالمستحل له كما ذكره عكرمة وغيره ويؤيده أنه نزل في مقيس بن ضبابة وجد أخاه هشاما قتيلا في بني النجار ولم يظهر قاتله فأمرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أن يدفعوا إليه ديته فدفعوا إليه ثم حمل على مسلم فقتله ورجع إلى مكة مرتدا أو المراد بالخلود المكث الطويل فإن الدلائل متظاهرة على أن عصاة المسلمين
لا يدوم عذابهم

يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله سافرتم وذهبتم الى الغزو فتبينوا فاطلبوا بيان الامر وثباته ولا تعجلوا فيه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لمن حياكم بتحية الاسلام وقرأ نافع وابن عامر وحمزة السلم بغير الالف اى الاستسلام والانقياد وفسر به السلام ايضاً لست مؤمناً وانما فعلت ذلك متعوذاً وقرئ مؤمناً بالفتح اى مبذولاً له الامان تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون ماله الذى هو حطام سريع النفاد وهو حال من الضمير فى تقولوا مشعر بما هو الحامل لهم على العجلة وترك التثبت فعند الله مغانم كثيرة تغنيكم عن قتل امثاله لماله كذلك كنتم من قبل اى اول ما دخلتم فى الاسلام تفوهتم بكلمتى الشهادة فحصنتم بها دماءكم واموالكم من غير ان يعلم مواطأة قلوبكم السنتكم فمن الله عليكم بالاشتهار بالايمان والاستقامة فى الدين فتبينوا وافعلوا بالداخلين فى الاسلام كما فعل الله بكم ولا تبادروا الى قتلهم ظناً بانهم دخلوا فيه اتقاء وخوفاً فان ابقاء الف كافر اهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الامر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم ان الله كان بما تعملون خبيراً عالماً به وبالغرض منه فلا تتهافتوا فى القتل واحتاطوا فيه روى ان سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت اهل فدك فهربوا وبقى مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا به وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة واستاق غنمه فنزلت وقيل نزلت فى المقداد مر برجل فى غنيمة فاراد قتله فقال لا اله الا الله فقتله اسامة وقال ود لو فر باهله وماله وفيه دليل على صحة ايمان المكره وان المجتهد قد يخطئ وان خطأه مغتفر لا يستوى القاعدون عن الحرب من المؤمنين فى موضع الحال من القاعدين او من الضمير الذى فيه غير اولى الضرر بالرفع صفة للقاعدين لانه لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالنصب على الحال او الاستثناء وقرئ بالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه وعن زيد بن ثابت انها نزلت ولم يكن فيها غير اولى الضرر فقال ابن ام مكتوم وكيف وانا اعمى فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلسه الوحى فوقعت فخذه على فخذى فخشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اى لا مساواة بينهم وبين من قعد عن الجهاد من غير علة وفائدته تذكير ما بينهما من التفاوت ليرغب القاعد فى الجهاد رفعاً لرتبته وانفة عن انحطاط منزلته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة جملة موضحة لما نفى الاستواء فيه والقاعدون على التقييد السابق ودرجة نصب بنزع الخافض اى بدرجة او على المصدر لانه تضمن معنى التفضيل ووقع موقع المرة منه او الحال بمعنى ذوى درجة وكلا من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى المثوبة الحسنى وهى الجنة لحسن عقيدتهم وخلوص نيتهم وانما التفاوت فى زيادة العمل المقتضى لمزيد الثواب وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً نصب على المصدر لان فضل بمعنى اجر او المفعول الثانى له لتضمنه معنى الاعطاء كانه قيل واعطاهم زيادة على القاعدين اجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة كل واحد منها بدل من اجراً ويجوز ان ينتصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطاً واجراً على الحال منها تقدمت عليها لانها نكرة ومغفرة ورحمة على المصدر باضمار فعلهما كرر تفضيل المجاهدين وبالغ فيه اجمالاً وتفصيلاً تعظيماً للجهاد وترغيباً فيه وقيل الاول ما خولهم فى الدنيا من الغنيمة والظفر وجميل الذكر والثانى ما جعل لهم فى الاخرة وقيل المراد بالدرجة ارتفاع منزلتهم عند الله وبالدرجات منازلهم فى الجنة وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والقاعدون الثانى هم الذين اذن لهم فى التخلف اكتفاء بغيرهم وقيل المجاهدون الاولون من جاهد الكفار والاخرون من جاهد نفسه وعليه قوله عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وكان الله غفوراً لما عسى ان يفرط منهم رحيماً بما وعد لهم ان الذين توفيهم الملائكة يحتمل الماضى والمضارع وقرئ توفتهم وتوفاهم على مضارع من وفيت بمعنى ان الله يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمى انفسهم فى حال ظلمهم انفسهم بترك الهجرة وموافقة الكفرة فانها نزلت فى ناس من مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة واجبة قالوا اى الملائكة توبيخاً لهم فيم كنتم اى فى اى شئ كنتم من امر دينكم

وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَاَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا اَيُّهَا
الَّذِينَ اٰمَنُوا اِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ اَلْقٰى
اِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
فَعِنْدَ اللّٰهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذٰلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللّٰهُ
عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا اِنَّ اللّٰهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي
الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ اُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللّٰهِ بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجَاهِدِينَ بِاَمْوَالِهِمْ
وَاَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنٰى
وَفَضَّلَ اللّٰهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ اَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ
مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللّٰهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾
اِنَّ الَّذِينَ تَوَفّٰيهُمُ الْمَلٰٓئِكَةُ ظَالِمِي اَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ

قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾

قالوا كنا مستضعفين في الارض اعتذروا مما وبخوا به بضعفهم وعجزهم عن الهجرة او عن اظهار الدين واعلاء كلمته قالوا اى الملائكة تكذيبا لهم او تبكيتا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر آخر كما فعل المهاجرون الى المدينة والحبشة فاولئك مأويهم جهنم لتركهم الواجب ومساعدتهم الكفار وهو خبر ان والفاء فيه لتضمن الاسم معنى الشرط وقالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد او الخبر قالوا والعائد محذوف اى قالوا لهم وهو جملة معطوفة على الجملة التى قبلها مستنتجة منها وساءت مصيرا مصيرهم اى جهنم وفى الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن الرجل فيه من اقامة دينه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره والاشارة اليه وذكر الولدان ان اريد به المماليك فظاهر وان اريد به الصبيان فللمبالغة فى الامر والاشعار بانهم على صدد وجوب الهجرة فانهم اذا بلغوا وقدروا على الهجرة فلا محيص لهم عنها وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا صفة للمستضعفين اذ لا توقيت فيه او حال منه او من المستكن فيه واستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة وما تتوقف عليه واهتداء السبيل معرفة الطريق بنفسه او بدليل فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم ذكر بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان ترك الهجرة امر خطير حتى ان المضطر من حقه ان لا يأمن ويترصد الفرصة ويعلق بها قلبه وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا متحولا من الرغام وهو التراب وقيل طريقا يراغم قومه بسلوكه اى يفارقهم على رغم انوفهم وهو ايضا من الرغام وسعة فى الرزق واظهار الدين ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ يدركه بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى ثم هو يدركه وبالنصب على اضمار ان كقوله ولالحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما الوقوع والوجوب متقاربان والمعنى ثبت اجره عند الله تعالى كثبوت الامر الواجب والآية الكريمة نزلت فى جندب بن ضمرة حمله بنوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله وقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايع عليه رسولك فمات واذا ضربتم فى الارض سافرتم فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة بتنصيف ركعاتها ونفى الحرج فيه يدل على جوازه دون وجوبه ويؤيده انه صلى الله عليه وسلم اتم فى السفر وان عائشة رضى الله تعالى عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة واوجبه ابو حنيفة لقول عمر رضى الله تعالى عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم ولقول عائشة رضى الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وظاهرهما يخالف الآية الكريمة فان صحا فالاول مؤول بانه كالتام فى الصحة والاجزاء والثانى لا ينفى جواز الزيادة فلا حاجة الى تأويل الآية بانهم الفوا الاربع فكانت مظنة لان يخطر ببالهم ان ركعتى السفر قصر ونقصان فسمى الاتيان بهما قصرا على ظنهم ونفى الجناح فيه لتطيب به نفوسهم واقل سفر تقصر فيه اربعة برد عندنا وستة عند ابى حنيفة وقرئ تقصروا من اقصر بمعنى قصر ومن الصلاة صفة محذوف اى شيئا من الصلاة عند سيبويه ومفعول تقصروا بزيادة من عند الاخفش ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا شرطية باعتبار الغالب فى ذلك الوقت ولذلك لم يعتبر مفهومها كما لم يعتبر فى قوله تعالى فان خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وقد تظاهرت السنن على جوازه ايضا فى حال الامن وقرئ من الصلاة ان يفتنكم بغير ان خفتم بمعنى كراهة ان يفتنكم وهو القتال والتعرض بما يكره

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ

واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة تعلق بمفهومه من خص صلاة الخوف بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لفضل الجماعة وعامة الفقهاء على انه تعالى علم الرسول صلى الله عليه وسلم كيفيتها ليأتم به الائمة بعده فانهم نواب عنه فيكون حضورهم كحضوره فلتقم طائفة منهم معك فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك يصلون وتقوم الطائفة الاخرى تجاه العدو وليأخذوا اسلحتهم اى المصلون حزما وقيل الضمير للطائفة الاخرى وذكر الطائفة الاولى يدل عليهم فاذا سجدوا يعنى المصلين فليكونوا اى غير المصلين من ورائكم يحرسونكم يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ومن يصلى معه فغلب المخاطب على الغائب ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا لاشتغالهم بالحراسة فليصلوا معك ظاهره يدل على ان الامام يصلى مرتين بكل طائفة مرة كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن النخل وان اريد به ان يصلى بكل ركعة ان كانت الصلاة ركعتين فكيفيته ان يصلى بالاولى ركعة وينتظر قائما حتى يتموا صلاتهم منفردين ويذهبوا الى وجه العدو وتأتى الاخرى فيتم بهم الركعة الثانية ثم ينتظرهم قاعدا حتى يتموا صلاتهم ويسلم بهم كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع وقال ابو حنيفة يصلى بالاولى ركعة ثم تذهب هذه وتقف بازاء العدو وتأتى الاخرى فتصلى معه ركعة وتتم صلاتها ثم تعود الى وجه العدو وتأتى الاولى فتؤدى الركعة الثانية بغير قراءة وتتم صلاتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر آلة يتحصن بها الغازى فجمع بينه وبين الاسلحة فى وجوب الاخذ ونظيره قوله تعالى والذين تبوأوا الدار والايمان ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة تمنوا ان ينالوا منكم غرة فى صلاتكم فيشدون عليكم شدة واحدة وهو بيان ما لاجله امروا باخذ السلاح ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم رخصة لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم اخذها بسبب مطر او مرض وهذا مما يؤيد ان الامر بالاخذ للوجوب دون الاستحباب وخذوا حذركم امرهم مع ذلك باخذ الحذر كيلا يهجم عليهم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا وعد للمؤمنين بالنصر على الكفار بعد الامر بالحذر ليقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لضعفهم وغلبة عدوهم بل لان الواجب ان يحافظوا فى الامور على مراسم التيقظ والتدبر فيتوكلوا على الله فاذا قضيتم الصلاة اديتم وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فدوموا على الذكر فى جميع الاحوال او اذا اردتم اداء الصلاة واشتد الخوف فادوها كيف ما امكن قياما مسايفين ومقارعين وقعودا مرامين وعلى جنوبكم مثخنين فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف فاقيموا الصلاة فعدلوها واحفظوا اركانها وشرائطها وأتوا بها تامة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا فرضا محدودا الاوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها فى شىء من الاحوال وهذا دليل على ان المراد بالذكر الصلاة وانها واجبة الاداء حال المسايفة والاضطراب فى المعركة وتعليل للامر بالاتيان بها كيف ما امكن وقال ابو حنيفة لا يصلى المحارب حتى يطمئن ولا تهنوا ولا تضعفوا فى ابتغاء القوم فى طلب الكفار بالقتال ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الزام لهم وتقريع على التوانى فيه بان ضرر القتال دائر بين الفريقين غير مختص بهم وهم يرجون من الله بسببه من اظهار الدين واستحقاق الثواب ما لا يرجو عدوهم فينبغى ان يكونوا ارغب منهم فى الحرب واصبر عليها وقرئ ان تكونوا بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تألمون ويكون قوله فانهم يألمون علة للنهى من الوهن لاجله والآية نزلت فى بدر الصغرى

كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَكَانَ ٱللَّهُ

وكان الله عليماً باعمالكم وضمائركم حكيماً فيما يأمر وينهى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس نزلت في طعمة بن أبيرق من بني ظفر سرق درعاً من جاره قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بما اريك الله بما عرفك الله واوحى به اليك وليس من الرؤية بمعنى العلم والا لاستدعى ثلاثة مفاعيل ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم خصيماً للبراء واستغفر الله مما هممت به ان الله كان غفوراً رحيماً لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم يخونونها فان وبال خيانتهم يعود عليها اوجعل المعصية خيانة لها كما جعلت ظلماً عليها والضمير لطعمة وامثاله اوله ولقومه فانهم شاركوه في الاثم حين شهدوا على براءته وخاصموا عنه ان الله لا يحب من كان خواناً مبالغاً في الخيانة مصراً عليها اثيماً منهمكا فيه روى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطاً بها ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفاً ولا يستخفون من الله وهو احق بان يستحيى ويخاف منه وهو معهم لا يخفى عليه سرهم فلا طريق معه الا ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمي البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون محيطا لا يفوت عنه شئ ها انتم هؤلاء مبتدأ وخبر جادلتم عنهم في الحياة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبراً او صلة عند من يجعله موصولاً فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلاً محامياً يحميهم من عذاب الله ومن يعمل سوءاً قبيحاً يسوء به غيره او يظلم نفسه بما يختص به ولا يتعداه وقيل المراد بالسوء مادون الشرك وبالظلم الشرك وقيل الصغيرة والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة يجد الله غفوراً لذنوبه رحيماً متفضلاً عليه وفيه حث لطعمة وقومه على التوبة والاستغفار ومن يكسب اثماً فانما يكسبه على نفسه فلا يتعداه وباله لقوله وان اسأتم فلها وكان الله عليماً حكيماً فهو عالم بفعله حاكم في مجازاته ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه او اثماً كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به بريئاً كما رمى طعمة زيداً ووحد الضمير لمكان او فقد احتمل بهتاناً واثماً مبيناً بسبب رمي البرئ وتبرئة النفس الخاطئة ولذلك سوى بينهما وان كان مقترفاً احدهما دون مقترف الاخر ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلام ما هم عليه بالوحي والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق مع علمهم بالحال والجملة جواب لولا وليس القصد فيه الى نفي همهم بل الى نفي تأثيره فيه وما يضلون الا انفسهم لانه ما ازلك عن الحق وعاد وباله عليهم وما يضرونك من شئ فان الله عصمك وما خطر ببالك كان اعتماداً منك على ظاهر الامر لا ميلا في الحكم ومن شئ في موضع النصب على المصدر اى شيئاً من الضرر وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور او من امور الدين والاحكام وكان فضل الله عليك عظيماً اذ لا فضل اعظم من النبوة لا خير في كثير من نجواهم من متناجيهم كقوله تعالى واذ هم نجوى او من تناجيهم فقوله الا من امر بصدقة او معروف على حذف مضاف اى الا نجوى من امر او على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل وفسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع وسائر ما فسر به او اصلاح بين الناس او اصلاح ذات بين ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجراً عظيماً بنى الكلام على الامر ورتب الجزاء على الفعل ليدل على انه لما دخل الآمر في زمرة الخيرين كان الفاعل ادخل فيهم فان العمدة والغرض هو الفعل واعتبار الامر من حيث انه وصلة اليه وقيد الفعل بان يكون لطلب مرضات الله تعالى لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيراً رياء وسمعة لم يستحق به من الله اجراً ووصف الاجر بالعظم تنبيهاً على حقارة ما فات في جنبه من اعراض الدنيا وقرأ حمزة وابو عمرو يؤتيه بالياء

ومن يشاقق الرسول يخالفه من الشق فان كلا من المخالفين فى شق غير شق الاخر من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات ويتبع غير سبيل المؤمنين غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلى بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وندخله فيها وقرئ بفتح النون من صلاه وساءت مصيرا جهنم والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المؤمنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثانى باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها اولم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم وقد استقصيت الكلام فيه فى مرصاد الافهام الى مبادى الاحكام ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره للتأكيد او لقصة طعمة وقيل جاء شيخ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انى

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ

شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى جراءة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب فما ترى حالى عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة وانما ذكر فى الاية الاولى فقد افترى لانها متصلة بقصة اهل الكتاب ومنشأ شركهم نوع افتراء وهو دعوى التبنى على الله عز وجل ان يدعون من دونه الا اناثا يعنى اللات والعزى ومنات ونحوها كان لكل حى صنم يعبدونه ويسمونه انثى بنى فلان وذلك اما لتأنيث اسمائها كما قال وما ذكر فان يسمن فانثى شديد الازم ليس له ضروس فانه عنى القراد وهو ما كان صغيرا سمى قرادا فاذا كبر سمى حلمة او لانها كانت جمادات والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث لانفعالها ولعله تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيها على انهم يعبدون ما يسمونه اناثا لانه ينفعل ولا يفعل ومن حق المعبود ان يكون فاعلا غير منفعل ليكون دليلا على تناهى جهلهم وفرط حماقتهم وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله وهو جمع انثى كرباب وربى وقرئ انثى على التوحيد وانثا على انه جمع انيث كخبث وخبيث ووثنا بالتخفيف والتثقيل وهو جمع وثن كاسد واسد واثنا بهما على قلب الواو لضمها همزة وان يدعون وان يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا لانه الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكان طاعته فى ذلك عبادة له والمارد والمريد الذى لا يعلق بخير واصل التركيب للملاسة ومنه صرح ممرد وغلام امرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية للشيطان وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا عطف عليه اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الدال على فرط عداوته للناس وقد برهن سبحانه اولا على ان الشرك ضلال فى الغاية على سبيل التعليل بان ما يشركون به ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة فان الاله ينبغى ان يكون فاعلا غير منفعل ثم استدل عليه بانه عبادة الشيطان وهى افظع الضلال لثلاثة اوجه الاول انه مريد منهمك فى الضلال لا يعلق بشئ من الخير والهدى فتكون طاعته ضلالا بعيدا عن الهدى والثانى انه ملعون لضلاله فلا تستجلب مطاوعته سوى الضلال واللعن والثالث انه فى غاية العداوة والسعى فى اهلاكهم وموالاة من هذا شأنه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء ولاضلنهم عن الحق ولامنينهم الامانى الباطلة كطول الحياة وان لا بعث ولا عقاب ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام يشقونها لتحريم ما احله الله وهى عبارة عما كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب واشارة الى تحريم كل ما احل ونقص كل ما خلق كاملا بالفعل او القوة ولامرنهم فليغيرن خلق الله عن وجهه صورة او صفة ويندرج فيه ما قيل من فقئ عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر واللواط والسحق ونحو ذلك وعبادة الشمس والقمر وتغيير فطرة الله التى هى الاسلام واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالا ولا يوجب لها من الله زلفى وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى خصاء البهائم للحاجة والجمل الاربع حكاية عما ذكره الشيطان نطقا او اتاه فعلا



ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثاره مايدعوه اليه على ما امره الله به ومجاوزته عن طاعة الله الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا اذضيع رأس ماله وبدل مكانه من الجنة بمكانه من النار يعدهم مالاينجزه ويمنيهم مالاينالون ومايعدهم الشيطان الاغرورا وهواظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد امابالخواطر الفاسدة اوبلسان اوليائه اولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا معدلا ومهربا من حاص يحيص اذا مال عن حق وعنها حال منه وليس صلة له لانه اسم مكان وان جعل مصدرا فلايعمل ايضا فيما قبله والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا اى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية التي قبله وعد والثاني مؤكد لغيره ويجوز ان ينصب الموصول بفعل يفسره مابعده ووعد الله بقوله سندخلهم لانه بمعنى نعدهم ادخالهم وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة المواعيد الشيطانية الكاذبة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه

ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ
إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ
نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ
فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَ
مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا
مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا
﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ
مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ
مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾

والمبالغة في توكيده ترغيبا للعباد في تحصيله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب اى ليس ماوعد الله من الثواب ينال بامانيكم ايها المسلمون ولا باماني اهل الكتاب وانماينال بالايمان والعمل الصالح وقيل ليس الايمان بالتمني ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمل روي ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويدل عليه تقدم ذكرهم اى ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لاجنة ولانارا وقولهم ان كان الامر كمايزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا ولااماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الامن كان هودا اونصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك وقال من يعمل سوءا يجز به عاجلا واجلا لماروي انها لما نزلت قال ابوبكر فمن ينجو مع هذا يارسول الله فقال عليه الصلوة والسلام اماتحزن اماتمرض امايصيبك اللاواء قال بلى يارسول الله قال هو ذاك ولايجد له من دون الله وليا ولانصيرا ولايجد لنفسه اذاجاوز موالاة الله ونصرته من يواليه وينصره في دفع العذاب عنه ومن يعمل من الصالحات بعضها وشيئا منها فان كل احد لايتمكن من كلها وليس مكلفابها من ذكر او انثى في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان اومن الصالحات اى كائنة من ذكر اوانثى ومن للابتداء وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لااعتداد به دونه فيه فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا بنقص شئ من الثواب واذالم ينقص ثواب المطيع فبالحرى ان لايزاد عقاب العاصي لان المجازي ارحم الراحمين ولذلك اقتصر على ذكره عقيب الثواب وقرأ ابن كثير وابوعمرو ويدخلون الجنة هنا وفي غافر ومريم بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اخلص نفسه لله لايعرف لها ربا سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وفي هذا الاستفهام تنبيه على ان ذلك منتهى ماتبلغه القوة البشرية وهو محسن آت بالحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها حنيفا مائلا عن سائر الاديان الى دين الاسلام وهو حال من المتبع اومن الملة او ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله وانما اعاد ذكره ولم يضمره تفخيما لشأنه وتنصيصا على انه الممدوح والخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر اومن الخل وهو الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة اومن الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتوافقان في الخصال والجملة استئناف جيء بها للترغيب في اتباع ملته صلى الله عليه وسلم والايذان بانه نهاية في الحسن

وغاية كمال البشر روى ان ابراهيم عليه الصلوة والسلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يريد لنفسه لفعلت ولكن يريد للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه الخبر فغلبته عيناه فنام وقامت سارة الى غرارة منها فاخرجت حوارى واختبزت فاستيقظ ابرهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم هذا فقالت من خليلك المصرى فقال بل هو من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا يختار منهما من يشاء وما يشاء وقيل هو متصل بذكر العمال مقرر لوجوب طاعته على اهل السموات والارض وكمال قدرته على مجازاتهم على الاعمال وكان الله بكل شئ محيطا احاطة علم وقدرة فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها ويستفتونك فى النساء فى ميراثهن اذ سبب نزوله ان عيينة بن حصين اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنا انك تعطى الابنة

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا

النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال عليه الصلاة والسلام بذلك امرت قل الله يفتيكم فيهن يبين الله لكم حكمه فيهن والافتاء تبيين المبهم وما يتلى عليكم فى الكتاب عطف على اسم الله او ضميره المستكن فى يفتيكم وساغ للفصل فيكون الافتاء مسندا الى الله تعالى والى ما فى القرآن من قوله يوصيكم الله ونحوه باعتبارين مختلفين ونظيره اغنانى زيد وعطاؤه او استئناف معترض لتعظيم المتلو عليهم على ان ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره والمراد به اللوح المحفوظ ويجوز ان ينصب على معنى ويبين لكم ما يتلى عليكم او يخفض على القسم كانه قيل اقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب ولا يجوز عطفه على المجرور فى فيهن لاختلاله لفظا ومعنى فى يتامى النساء صلة يتلى ان عطف الموصول على ما قبله اى يتلى عليكم فى شانهن والا فبدل من فيهن او صلة اخرى ليفتيكم على معنى الله يفتيكم فيهن بسبب يتامى النساء كما تقول كلمتك اليوم فى زيد وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه وقرئ ييامى بياءين على انه ايامى فقلبت همزته ياء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن اى فرض لهن من الميراث وترغبون ان تنكحوهن فى ان تنكحوهن او عن ان تنكحوهن فان اولياء اليتامى كانوا يرغبون فيهن ان كن جميلات ويأكلون مالهن والا كانوا يعضلونهن طمعا فى ميراثهن والواو يحتمل الحال والعطف وليس فيه دليل على جواز تزويج اليتيمة اذ لا يلزم من الرغبة فى نكاحها جريان العقد فى صغرها والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء والعرب ما كانوا يورثونهم كما لا يورثون النساء وان تقوموا لليتامى بالقسط ايضا عطف عليه اى ويفتيكم او ما يتلى فى ان تقوموا هذا اذا جعلت فى يتامى صلة لاحدهما فان جعلته بدلا فالوجه نصبهما عطفا على موضع فيهن ويجوز ان ينصب وان تقوموا باضمار فعل اى يأمركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة فى ان ينظروا لهم ويستوفوا حقوقهم او للقوام بالنصفة فى شأنهم وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وعد لمن آثر الخير فى ذلك وان امرأة خافت من بعلها توقعت منه لما ظهر لها من المخايل وامرأة فاعل فعل يفسره الظاهر نشوزا تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجالستها ومحادثتها فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا ان يتصالحا بان تحط له بعض المهر او القسم او تهب له شيأ تستميله به وقرأ الكوفيون ان يصلحا من اصلح بين المتنازعين وعلى هذا جاز ان ينتصب صلحا على المفعول به وبينهما ظرف او حال منه او على المصدر كما فى القراءة الاولى والمفعول بينهما او هو محذوف وقرئ يصلحا من اصلح بمعنى اصطلح والصلح خير من الفرقة وسوء العشرة او من الخصومة ويجوز ان لا يراد به التفضيل بل بيان انه من الخيور كما ان الخصومة من الشرور وهو اعتراض وكذا قوله

واحضرت الانفس الشح ولذلك اغتفر عدم تجانسهما والاول للترغيب في المصالحة والثاني لتمهيد العذر في المماكسة ومعنى احضار الانفس الشح جعلها حاضرة له مطبوعة عليه فلا تكاد المرأة تسمح بالاعراض عنها والتقصير في حقها ولا الرجل يسمح بان يمسكها ويقوم بحقها على ما ينبغي اذا كرهها او احب غيرها وان تحسنوا في العشرة وتتقوا النشوز والاعراض ونقص الحق فان الله كان بما تعملون من الاحسان والخصومة خبيرا عليما به وبالغرض فيه فيجازيكم عليه اقام كونه عالما باعمالهم مقام اثابته اياهم عليها الذي هو في الحقيقة جواب الشرط اقامة السبب مقام المسبب ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء لان العدل ان لا يقع ميل البتة وهو متعذر ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك ولو حرصتم على تحري ذلك وبالغتم فيه فلا تميلوا كل الميل بترك المستطاع والجور على المرغوب

فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ

عنها فان ما لا يدرك كله لا يترك كله فتذروها كالمعلقة التي ليست ذات بعل ولا مطلقة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا فيما يستقبل من الزمان فان الله كان غفورا رحيما يغفر لكم ما مضى من ميلكم وان يتفرقا وقرئ وان يتفارقا اي وان يفارق كل منهما صاحبه يغن الله كلا منهما عن الآخر ببدل او سلو من سعته غناه وقدرته وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه ولله ما في السموات وما في الارض تنبيه على كمال سعته وقدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن قبلهم والكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتأكيد الامر بالاخلاص واياكم عطف على الذين ان اتقوا الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية في معنى القول وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض على ارادة القول اي وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان الله مالك الملك كله لا يتضرر بكفركم ومعاصيكم كما لا ينتفع بشكركم وتقواكم وانما وصاكم لرحمته لا لحاجته ثم قرر ذلك بقوله وكان الله غنيا عن الخلق وعبادتهم حميدا في ذاته حمد او لم يحمد ولله ما في السموات وما في الارض ذكره ثالثا للدلالة على كونه غنيا حميدا فان جميع المخلوقات تدل بحاجتها على غناه وبما افاض عليها من الوجود وانواع الخصائص والكمالات على كونه حميدا وكفى بالله وكيلا راجع الى قوله يغن الله كلا من سعته فانه توكل بكفايتهما وما بينهما تقرير لذلك ان يشأ يذهبكم ايها الناس يفنكم ومفعول يشأ محذوف دل عليه الجواب ويأت بآخرين ويوجد قوما آخرين مكانكم او خلقا آخرين مكان الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يعجزه مراد وهذا ايضا تقرير لغناه وقدرته وتهديد لمن كفر به وخالف امره وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب ومعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم لما روي انه لما نزل ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يجاهد للغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب الاشرف منهما فان من جاهد خالصا لله لم تخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء او فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريد كقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه الآية وكان الله سميعا بصيرا عارفا بالاغراض فيجازي كلا بحسب قصده

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ
أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ
الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن
يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ
ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا
لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾
الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مواظبين على العدل لمجتهدين في اقامته شهداء لله اي بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله وهو خبر ثان او حال ولو على انفسكم ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها لان الشهادة بيان للحق سواء كان عليه او على غيره او الوالدين والاقربين ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه او كل واحد منه ومن المشهود له غنيا او فقيرا فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة اولا تجوروا فيها ميلا وترحما فالله اولى بهما بالغني والفقير وبالنظر لهما فلو لم تكن الشهادة عليهما او لهما صلاحا لهما لما شرعها وهو علة الجواب اقيمت مقامه والضمير في بهما راجع لما دل عليه المذكور وهو جنسا الغني والفقير لا اليه والى الوحد ويشهد عليه انه قرئ فالله اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا لان تعدلوا عن الحق او كراهة ان تعدلوا من العدل وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل قرأ نافع وابن كثير وابو بكر وابو عمرو وعاصم والكسائي باسكان اللام وبعدها واوان الاولى مضمومة والثانية ساكنة وقرأ حمزة وابن عامر وان تلوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة فأديتموها او تعرضوا عن ادائها فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا خطاب للمسلمين او للمنافقين او لمؤمني اهل الكتاب اذ روي ان ابن سلام واصحابه قالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او امنوا به بقلوبكم كما امنتم بلسانكم او امنوا ايمانا عاما يعم الكتب والرسل فان الايمان بالبعض كلا ايمان والكتاب الاول القرآن والثاني الجنس وقرأ نافع والكوفيون الذي نزل والذي انزل بفتح الهمزة والزاي والباقون بضم النون وكسر الزاي ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اي ومن يكفر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن المقصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه ان الذين امنوا يعني اليهود امنوا بموسى ثم كفروا حين عبدوا العجل ثم امنوا بعد عوده اليهم ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم او قوما تكرر منهم الارتداد ثم اصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا اذ يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم ضربت بالكفر وبصائرهم عميت عن الحق لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان في امثال ذلك محذوف تعلق به اللام مثل لم يكن الله مريدا ليغفر لهم بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل على ان الآية في المنافقين وهم قد آمنوا في الظاهر وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا بالاصرار على النفاق وافساد الامر على المؤمنين ووضع بشر موضع انذرتهم بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد الذين او هم الذين

ايبتغون عندهم العزة ايتعززون بموالاتهم لا يتعزز الا من اعزه فقد كتب العزة لاوليائه فقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين لا يؤبه بعزة غيرهم بالاضافة اليهم وقد نزل عليكم في الكتاب يعني القرءان وقرأ غير عاصم نزل والقائم مقام فاعله ان اذا سمعتم ايات الله وهي المخففة والمعنى انه اذا سمعتم يكفر بها ويستهزأ بها حالان من الايات جئ بهما لتقييد النهي عن المجالسة في قوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره الذي هو جزاء الشرط بما اذا كان من يجالسه هازئا معاندا غير مرجو ويؤيده الغاية وهذا تذكار لما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الاية والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ بها انكم اذا مثلهم في الاثم لانكم قادرون على الاعراض عنهم والانكار عليهم او الكفر ان رضيتم بذلك او لان الذين يقاعدون الخائضين

ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا ﴿١٣٩﴾ وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴿١٤٠﴾ الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴿١٤١﴾ ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ﴿١٤٢﴾ مذبذبين بين ذلك

في القرآن من الاحبار كانوا منافقين ويدل عليه ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم واذا ملغاة لوقوعها بين الاسم والخبر ولذلك لم يذكر بعدها الفعل وافراد مثلهم لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ بالفتح على البناء لاضافته الى مبنى كقوله مثل ما انكم تنطقون الذين يتربصون بكم ينتظرون وقوع امركم وهو بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين والكافرين او ذم مرفوع او منصوب او مبتدأ خبره فان كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم مظاهرين لكم فاسهموا لنا فيما غنمتم وان كان للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا الم نستحوذ عليكم اى قالوا للكفرة الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم فابقينا عليكم والاستحواذ الاستيلاء وكان القياس ان يقال استحاذ يستحيذ استحاذة فجاءت على الاصل ونمنعكم من المؤمنين بان خذلناهم بتخييل ما ضعفت به قلوبهم وتوانينا في مظاهرتهم فاشركونا فيما اصبتم وانما سمى ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظهم فانه مقصور على امر دنيوي سريع الزوال فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا حينئذ او في الدنيا والمراد بالسبيل الحجة واحتج به اصحابنا على فساد شرى الكافر المسلم والحنفية على حصول البينونة بنفس الارتداد وهو ضعيف لانه لا ينفي ان يكون اذا عاد الى الايمان قبل مضي العدة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم سبق الكلام فيه اول سورة البقرة واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ كسالى بالفتح وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليخالوهم مؤمنين والمراآة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يريه من يرائيه عمله وهو يريه استحسانه ولا يذكرون الله الا قليلا اذ المرائي لا يفعل الا بحضرة من يرائيه وهو اقل احواله او لان ذكرهم باللسان قليل بالاضافة الى الذكر بالقلب وقيل المراد بالذكر الصلاة وقيل الذكر فيها فانهم لا يذكرون فيها غير التكبير والتسليم

مذبذبين بين ذلك حال من واو يراؤن كقوله ولا يذكرون اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او واو يذكرون او منصوب على الذم والمعنى مرددين بين الايمان والكفر من الذبذبة وهي جعل الشئ مضطربا واصله الذب بمعنى الطرد وقرئ بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او يتذبذبون كقولهم صلصل بمعنى تصلصل وقرئ بالدال الغير المعجمة بمعنى اخذوا تارة في دبة وتارة في دبة وهي الطريقة

لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء لامنسوبين الى المؤمنين ولا الى الكافرين اولا صائرين الى احد الفريقين بالكلية ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا الى الحق والصواب ونظيره قوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صنيع المنافقين وديدنهم فلا تتشبهوا بهم اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة فان موالاتهم دليل على النفاق اوسلطانا يسلط عليكم عقابه ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهى الطبقة التى فى قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة لانهم ضموا الى الكفر استهزاء بالاسلام وخداعا للمسلمين واما قوله عليه الصلوة والسلام ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ وانما سميت طبقاتها السبع دركات لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرأ الكوفيون بسكون الراء وهو لغة كالسطر والسطر والفتح والتحريك اوجه لانه يجمع على ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخرجهم منه الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق واعتصموا بالله وثقوا به او تمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله لا يريدون بطاعتهم غير وجهه فاولئك مع المؤمنين ومن عدادهم فى الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم ايتشفى به غيظا او يدفع به ضررا او يستجلب به نفعا وهو الغنى المتعالى عن النفع والضرر وانما يعاقب المصر بكفره لان اصراره عليه كسوء مزاج يؤدى الى مرض فاذا ازاله بالايمان والشكر ونقى نفسه عنه تخلص من تبعته وانما قدم الشكر لان الناظر يدرك النعمة اولا فيشكر شكرا مبهما ثم يمعن النظر حتى يعرف المنعم فيؤمن به وكان الله شاكرا مثيبا يقبل اليسير ويعطى الجزيل عليما بحق شكركم وايمانكم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بالدعاء على الظالم والتظلم منه روى ان رجلا ضاف قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب عليه فنزلت وقرئ من ظلم على البناء للفاعل فيكون الاستثناء منقطعا اى ولكن الظالم يفعل ما لا يحبه الله وكان الله سميعا لكلام المظلوم عليما بالظالم ان تبدوا خيرا طاعة وبرا او تخفوه او تفعلوه سرا او تعفوا عن سوء لكم المؤاخذة عليه وهو المقصود وذكر ابداء الخير واخفائه تشبيب له

لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لَّا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ



ولذلك رتب عليه قوله فان الله كان عفوا قديرا اى يكثر العفو عن العصاة مع كمال قدرته على الانتقام فانتم اولى بذلك وهو حث للمظلوم على تمهيد العفو بعدما رخص له فى الانتصار حملا على مكارم الاخلاق ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله بان يؤمنوا بالله ويكفروا برسله

ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا طريقا وسطا بين الايمان والكفر ولا واسطة اذ الحق لا يختلف فان الايمان بالله لا يتم الا بالايمان برسله وتصديقهم فيما بلغوا عنه تفصيلا او اجمالا فالكافر ببعض ذلك كالكافر بالكل في الضلال كما قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال اولئك هم الكافرون هم الكاملون في الكفر لا عبرة بايمانهم هذا حقا مصدر مؤكد لغيره او صفة لمصدر الكافرين بمعنى هم الذين كفروا كفرا حقا اي يقينا محققا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اضداد هم ومقابلوهم وانما دخل بين على احد وهو يقتضي متعددا لعمومه من حيث انه وقع في سياق النفي اولئك سوف نؤتيهم

وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم

اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتأكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تأخر وقرأ حفص عن عاصم وقالون عن يعقوب بالياء على تلوين الخطاب وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما عليهم بتضعيف حسناتهم

يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود قالوا ان كنت صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام وقيل كتابا محررا بخط سماوي على الواح كما كانت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا انك رسول الله فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان استكبرت ما سألوه منك فقد سألوا موسى عليه السلام اكبر منه وهذا السؤال وان كان من ابائهم اسند اليهم لانهم كانوا اخذين بمذهبهم تابعين لهديهم والمعنى ان عرقهم راسخ في ذلك وان ما اقترحوه عليك ليس باول جهالاتهم وخيالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة عيانا اي ارناه نره جهرة او مجاهرين معاينين له فاخذتهم الصاعقة نار جاءت من السماء فاهلكتهم بظلمهم بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات هذه الجناية الثانية التي اقترفها ايضا اوائلهم والبينات المعجزات ولا يجوز حملها على التورية اذ لم تأتهم بعد فعفونا عن ذلك واتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن اتخاذهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليقبلوه وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا على لسان موسى والطور مطل عليهم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت على لسان داود ويحتمل ان يراد على لسان موسى حين ظلل الجبل عليهم فانه شرع السبت ولكن كان الاعتداء فيه والمسخ به في زمن داود وقرأ ورش عن نافع لا تعدوا على ان اصله لا تعتدوا فادغمت التاء في الدال وقرأ قالون باخفاء حركة العين وتشديد الدال والنص عنه بالاسكان واخذنا منهم ميثاقا غليظا على ذلك وهو قولهم سمعنا واطعنا

فبما نقضهم ميثاقهم اى فخالفوا ونقضوا ففعلنا بهم ما فعلنا بنقضهم وما مزيدة للتأكيد والباء متعلقة بالفعل المحذوف ويجوز ان يتعلق بحرمنا عليهم طيبات فيكون التحريم بسبب النقض وما عطف عليه الى قوله فبظلم لا بما دل عليه قوله بل طبع الله عليها مثل لا يؤمنون لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فتكون من صلة وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بآيات الله بالقرآن او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلوم او في اكنة مما تدعونا اليه بل طبع الله عليها بكفرهم فجعلها محجوبة عن العلم او خذلها ومنعها التوفيق للتدبر في الآيات والتذكر في المواعظ فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا اذ لا عبرة به لنقصانه وبكفرهم بعيسى وهو معطوف على بكفرهم لانه من اسباب الطبع او على قوله فبما نقضهم ويجوز ان يعطف مجموع هذا وما عطف عليه على مجموع ما قبله ويكون تكرير ذكر الكفر ايذانا بتكرر كفرهم فانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلاة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني نسبتها الى الزنى وقولهم

مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ

انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله اى بزعمهم ويحتمل انهم قالوه استهزاء ونظيره ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وان يكون استئنافا من الله بمدحه او وضعا للذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم روى ان رهطا من اليهود سبوه وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقام رجل منهم فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافقه فخرج ليدل عليه فالقى الله عليه شبهه فاخذ وصلب وقتل وقيل دخل طيطانوس اليهودي بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وصلب وامثال ذلك من الخوارق التي لا تستبعد في زمان النبوة وانما ذمهم الله تعالى بما دل عليه الكلام من جراءتهم على الله وقصدهم قتل نبيه المؤيد بالمعجزات القاهرة وتبجحهم به لا بقولهم هذا على حسب حسبانهم وشبه مسند الى الجار والمجرور وكأنه قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله فشاع بين الناس او الى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثم قتيلا وان الذين اختلفوا فيه في شأن عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لا يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكده بقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع اى ولكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن اليه النفس جزما كان او غيره فيتصل الاستثناء وما قتلوه يقينا قتلا يقينا كما زعموه بقولهم انا قتلنا المسيح او متيقنين وقيل معناه ما علموه يقينا كقول الشاعر كذاك يخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغلب على ما يريده حكيما فيما دبر لعيسى لا يبعث وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به فقوله ليؤمنن جملة قسمية وقعت صفة لاحد ويعود اليه الضمير الثاني والاول لعيسى والمعنى ما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن بان عيسى عبد الله ورسوله قبل ان يموت ولو حين ان تزهق روحه ولا ينفعه ايمانه ويؤيد ذلك انه قرئ الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لان احدا في معنى الجمع وهذا كالوعيد لهم والتحريض على معاجلة الايمان به قبل ان يضطروا اليه ولم ينفعهم ايمانهم وقيل الضميران لعيسى والمعنى انه اذا نزل من السماء آمن به اهل الملل جميعا روى انه ينزل من السماء حين يخرج الدجال فيهلكه ولا يبقى احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله فبظلم من الذين هادوا اى فباى ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا

واخذهم الربوا وقد نهوا عنه كان الربا محرما عليهم كما هو محرم علينا وفيه دليل على دلالة النهي على التحريم واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما دون من تاب وآمن لكن الراسخون في العلم منهم كعبدالله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر المبتدأ والمقيمين الصلاة نصب على المدح ان جعل يؤمنون الخبر لاولئك او عطف على ما انزل اليك والمراد بهم الانبياء اي يؤمنون بالكتب وبالانبياء وقرئ بالرفع عطفا على الراسخون او على الضمير في يؤمنون او على انه مبتدأ والخبر اولئك سنؤتيهم والمؤتون الزكاة رفعه لاحد الاوجه المذكورة والمؤمنون بالله واليوم الآخر قدم عليه الايمان بالانبياء والكتب وما يصدقه من اتباع الشرائع لانه المقصود بالآية اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما على جمعهم بين الايمان الصحيح والعمل الصالح وقرأ حمزة سيؤتيهم بالياء انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب عن اقتراحهم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان امره في الوحي كسائر الانبياء واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان خصهم بالذكر مع اشتمال النبيين عليهم تعظيما لهم فان ابراهيم اول اولي العزم منهم وعيسى آخرهم والباقون اشرف الانبياء ومشاهيرهم واتينا داود زبورا قرأ حمزة زبورا بالضم وهو جمع زبر بمعنى مزبور ورسلا نصب بمضمر دل عليه اوحينا اليك كارسلنا اوفسره قد قصصناهم عليك من قبل اي من قبل هذه السورة او اليوم ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما وهو منتهى مراتب الوحي خص به موسى من بينهم وقد فضل الله محمدا صلى الله عليه وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم رسلا مبشرين ومنذرين نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال ويكون رسلا موطئا لما بعده كقولك مررت بزيد رجلا صالحا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فينبهنا ويعلمنا ما لم نكن نعلم وفيه تنبيه على ان بعثة الانبياء الى الناس ضرورة لقصور الكل عن ادراك جزئيات المصالح والاكثر عن ادراك كلياتها واللام متعلقة بارسلنا او بقوله مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وخبره للناس او على الله والآخر حال ولا يجوز تعلقه بحجة لانه مصدر وبعد ظرف لها او صفة وكان الله عزيزا لا يغلب فيما يريده حكيما فيما دبر من امر النبوة وخص كل نبي بنوع من الوحي والاعجاز

وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ

عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ
بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا
بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ
لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ
وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ
اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ

لكن الله يشهد استدراك عن مفهوم ماقبله فكانه لما تعنتوا عليه بسؤال كتاب ينزل عليهم من السماء واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال انهم لايشهدون ولكن الله يشهد او انهم انكروه ولكن الله يثبته ويقرره بما انزل اليك من القرآن المعجز الدال على نبوتك روى انه لما نزل انا اوحينا اليك قالوا مانشهد لك فنزلت انزله بعلمه انزله ملتبسا بعلمه الخاص به وهو العلم بتأليفه على نظم يعجز عنه كل بليغ او بحال من يستعد للنبوة ويستأهل نزول الكتاب عليه او بعلمه الذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاولين حال من الفاعل وعلى الثالث حال من المفعول والجملة كالتفسير لما قبلها والملائكة يشهدون ايضا بنبوتك وفيه تنبيه على انهم يودون ان يعلموا صحة دعوى النبوة على وجه يستغنى عن النظر والتامل وهذا النوع من خواص الملك ولاسبيل للانسان الى العلم بامثال ذلك سوى الفكر والنظر فلواتى هؤلاء بالنظر الصحيح لعرفوا نبوتك وشهدوا بها كما عرفت الملائكة وشهدوا عليها وكفى بالله شهيدا اى وكفى بما اقام من الحجج على صحة نبوتك عن الاستشهاد بغيره ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا لانهم جمعوا بين الضلال والاضلال ولان المضل يكون اغرق فى الضلال وابعد من الانقلاع عنه ان الذين كفروا وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او الناس بصدهم عما فيه صلاحهم وخلاصهم او باعم من ذلك والاية تدل على ان الكفار مخاطبون بالفروع اذ المراد بهم الجامعون بين الكفر والظلم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا لجرى حكمه السابق ووعده المحتوم على ان من مات على كفره فهو خالد فى النار وخالدين حال مقدرة وكان ذلك على الله يسيرا لايعسر عليه ولا يستعظمه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم لما قرر امر النبوة وبين الطريق الموصل الى العلم بها ووعيد من انكرها خاطب الناس عامة بالدعوة والزام الحجة والوعد بالاجابة والوعيد على الرد فآمنوا خيرا لكم اى ايمانا خيرا لكم او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم عليه وقيل تقديره يكن الايمان خيرا لكم ومنعه البصريون لان كان لايحذف مع اسمه الا فيما لابد منه ولانه يؤدى الى حذف الشرط وجوابه وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض يعنى وان تكفروا فهو غنى عنكم لايتضرر بكفركم كما لاينتفع بايمانكم ونبه على غناه بقوله لله ما فى السموات والارض وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه وكان الله عليما باحوالهم حكيما فيما دبر لهم يا اهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم الخطاب للفريقين غلت اليهود فى حط عيسى عليه السلام حتى رموه بانه ولد من غير رشدة والنصارى فى رفعه حتى اتخذوه الها وقيل الخطاب للنصارى خاصة فانه اوفق لقوله ولاتقولوا على الله الا الحق يعنى تنزيهه عن الصاحبة والولد انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها وروح منه وذو روح صدر منه لابتوسط ما يجرى مجرى الاصل والمادة له وقيل سمى روحا لانه كان يحيى الاموات او القلوب فآمنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة اى الآلهة ثلاثة الله والمسيح ومريم ويشهد عليه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله او الله ثلاثة ان صح انهم يقولون الله ثلاثة اقانيم الاب والابن وروح القدس ويريدون بالاب الذات وبالابن العلم وبروح القدس الحياة

انتهوا عن التثليث خيرا لكم نصبه لما سبق انما الله اله واحد اى واحد بالذات لا تعدد فيه بوجه ما سبحانه ان يكون له ولد اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد فانه يكون لمن يعادله مثل ويتطرق اليه فناء له ما فى السموات وما فى الارض ملكا وخلقا لا يماثله شئ من ذلك فيتخذه ولدا وكفى بالله وكيلا تنبيه على غناه عن الولد فان الحاجة اليه ليكون وكيلا لابيه والله سبحانه قائم بحفظ الاشياء كاف فى ذلك مستغن عمن يخلفه او يعينه لن يستنكف المسيح لن يأنف من نكفت الدمع اذا نحيته باصبعك كى لا يرى اثره عليك ان يكون عبدا لله من ان يكون عبدا له فان عبوديته شرف يتباهى به وانما المذلة والاستنكاف فى عبودية غيره روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحبكم قالوا عيسى عليه السلام

وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ
سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ
أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ
مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا
إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا
بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا

قال عليه السلام واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا واحتج به من زعم فضل الملائكة على الانبياء وقال مساقه لرد قول النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم كالدليل على عدم استنكافه وجوابه ان الآية للرد على عبدة المسيح والملائكة فلا يتجه ذلك وان سلم اختصاصها بالنصارى فلعله اراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير دون التكبير كقولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس وان اراد به التكبير فغايته تفضيل المقربين من الملائكة وهم الكروبيون الذين هم حول العرش او من اعلى منهم رتبة من الملائكة على المسيح من الانبياء وذلك لا يستلزم فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا والنزاع فيه ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر ومن يترفع عنها والاستكبار دون الاستنكاف ولذلك عطف عليه وانما يستعمل حيث لا استحقاق بخلاف التكبر فانه قد يكون بالاستحقاق فسيحشرهم اليه جميعا فيجازيهم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا تفصيل للمجازاة العامة المدلول عليها من فحوى الكلام وكأنه قال فيحشرهم اليه جميعا يوم يحشر العباد للمجازاة او لمجازاتهم فان اثابة مقابليهم والاحسان اليهم تعذيب لهم بالغم والحسرة

يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا عنى بالبرهان المعجزات وبالنور القرآن اى جاءكم دلائل العقل وشواهد النقل ولم يبق لكم عذر ولا علة وقيل البرهان الدين او رسول الله او القرآن فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه فى ثواب قدره بازاء ايمانه وعمله رحمة منه لا قضاء لحق واجب وفضل احسان زائد عليه ويهديهم اليه الى الله وقيل الى الموعود صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة فى الدنيا وطريق الجنة فى الآخرة يستفتونك اى فى الكلالة حذف لدلالة الجواب عليه روى ان جابر بن عبد الله كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى فنزلت وهى آخر ما نزل فى الاحكام قل الله يفتيكم فى الكلالة سبق تفسيرها فى اول السورة

ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر وليس له ولد صفة او حال من المستكن في هلك
والواو في وله يحتمل الحال والعطف والمراد بالاخت الاخت من الابوين او الاب لانه جعل اخوها عصبة وابن الام لا يكون عصبة والولد
على ظاهره فان الاخت وان ورثت مع البنت عند عامة العلماء غير ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لكنها لا ترث النصف
وهو يرثها اي والمرء يرث اخته ان كان الامر بالعكس ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى ان اريد بيرثها يرث جميع
مالها والا فالمراد به الذكر اذ البنت لا تحجب الاخ والاية كما لم تدل على سقوط الاخوة بغير الولد لم تدل على عدم سقوطهم به
وقد دلت السنة على انهم لا يرثون مع الاب وكذا مفهوم قوله قل الله يفتيكم في الكلالة ان فسرت بالميت فان كانتا اثنتين فلهما

مُسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ
وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ
فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا
وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

سُورَةُ الْمَائِدَةِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ وَثَلَاثُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴿١﴾ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ
الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ

الثلثان مما ترك الضمير لمن يرث بالاخوة وتثنيته محمولة على المعنى وفائدة
الاخبار عنه باثنتين التنبيه على ان الحكم باعتبار العدد دون الصغر والكبر
وغيرهما وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ
الانثيين اصله وان كانوا اخوة واخوات فغلب المذكر
يبين الله لكم ان تضلوا اي يبين لكم ضلالكم الذي
من شأنكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا
خلافه او يبين لكم الحق والصواب كراهة ان تضلوا وقيل
لئلا تضلوا فحذف لا وهو قول الكوفيين والله بكل شيء عليم
فهو عالم بمصالح العباد في المحيا والممات عن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل
مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى
محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم
سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية
بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود الوفاء هو القيام بمقتضى العهد وكذلك
الايفاء والعقد العهد الموثق قال الحطيئة قوم اذا عقدوا
عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا واصله
الجمع بين الشيئين بحيث يعسر الانفصال ولعل المراد بالعقود
ما يعم العقود التي عقدها الله تعالى على عباده والزمها اياهم
من التكاليف وما يعقدون بينهم من عقود الامانات
والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن ان حملنا الامر
على المشترك بين الوجوب والندب احلت لكم بهيمة الانعام تفصيل
للعقود والبهيمة كل حي لا يميز وقيل كل ذات اربع قوائم واضافتها الى الانعام للبيان
كقولك ثوب خز ومعناه البهيمة من الانعام وهي الازواج الثمانية والحق بها

الظباء وبقر الوحش وقيل هما المراد بالبهيمة ونحوهما مما يماثل الانعام في الاجترار وعدم الانياب واضافتها الى الانعام لملابسة التشبيه الا ما يتلى
عليكم الا محرم ما يتلى عليكم كقوله تعالى حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه غير محلي الصيد
حال من الضمير في لكم وقيل من واو اوفوا وقيل استثناء وفيه تعسف والصيد يحتمل المصدر والمفعول وانتم حرم حال مما
استكن في محلي والحرم جمع حرام وهو المحرم ان الله يحكم ما يريد من تحليل او تحريم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله
يعني مناسك الحج جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا سمي به اعمال الحج ومواقفه لانها علامات الحج واعلام النسك
وقيل دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اي دينه وقيل فرائضه التي حدها لعباده ولا الشهر الحرام بالقتال فيه او بالنسيء

ولا الهدى ما اهدى الى الكعبة جمع هدية كجدى في جمع جدية السرج ولا القلائد اى ذوات القلائد من الهدى وعطفها على الهدى للاختصاص فانها اشرف الهدى او القلائد انفسها والنهى عن احلالها مبالغة في النهى عن التعرض للهدى ونظيره قوله تعالى ولا يبدين زينتهن والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدى من نعل ولحاء شجر او غيرهما ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له ولا آمين البيت الحرام قاصدين لزيارته يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا ان يثيبهم ويرضى عنهم والجملة في موضع الحال من المستكن في آمين وليست صفة له لانه عامل والمختار ان اسم الفاعل الموصوف لا يعمل وفائدته استنكار تعرض من هذا شانه والتنبيه على المانع له وقيل معناه يبتغون من الله رزقا بالتجارة ورضوانا بزعمهم اذ روى ان الآية نزلت عام القضية في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يتعرضوا لهم بسبب انه كان فيهم الحطيم شريح بن ضبيعة وكان قد استاق سرح المدينة وعلى هذا فالآية منسوخة وقرئ تبتغون على خطاب المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اذن في الاصطياد بعد زوال الاحرام ولا يلزم من ارادة الاباحة ههنا من الامر دلالة الامر الآتى بعد الحظر على الاباحة مطلقا وقرئ بكسر الفاء على القاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا وقرئ احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم لا يحملنكم او لا يكسبنكم شنآن قوم شدة بغضهم وعداوتهم وهو مصدر اضيف الى المفعول او الفاعل وقرأ ابن عامر واسماعيل عن نافع وابن عياش عن عاصم بسكون النون وهو ايضا مصدر كليان او نعت بمعنى بغيض قوم وفعلان في النعت اكثر كعطشان وسكران ان صدوكم عن المسجد الحرام لان صدوكم عام الحديبية وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر الهمزة على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم ان تعتدوا بالانتقام ثانى مفعولى يجرمنكم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب ومن قرأ يجرمنكم بضم الياء جعله منقولا من المتعدى الى مفعول بالهمزة الى مفعولين وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء ومتابعة الامر ومجانبة الهوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان للتشفى والانتقام واتقوا الله ان الله شديد العقاب فانتقامه اشد حرمت عليكم الميتة بيان ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير تذكية والدم اى الدم المسفوح لقوله او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونها ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اى رفع الصوت لغير الله به كقولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التى ماتت بالخنق والموقوذة المضروبة بنحو خشب او حجر حتى تموت من وقذته اذا ضربته والمتردية التى تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء فيها للنقل وما اكل السبع اى وما اكل منه السبع فمات وهو يدل على ان جوارح الصيد اذا اكلت مما اصطادته لم يحل الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وفيه حياة مستقرة من ذلك وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب النصب واحد الانصاب وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام وعلى بمعنى اللام او على اصلها بتقدير وما ذبح مسمى على الاصنام وقيل هو جمع والواحد نصاب وان تستقسموا بالازلام اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا



إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا
شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا
آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا
حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ
التَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ
وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَ
النَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى
النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ
يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ

ثلاثة قداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى والثالث غفل فان خرج الآمر مضوا على ذلك وان خرج الناهى تجنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها ثانيا فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم دون ما لم يقسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصباء المعلومة وواحد الازلام زلم كجمل وزلم كصرد ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام وكونه فسقا لانه دخول في علم الغيب وضلال باعتقاد ان ذلك طريق اليه وافتراء على الله ان اريد ربى الله وجهالة وشرك ان اريد به الصنم او الميسر المحرم او الى تناول ما حرم عليهم اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمن الحاضر وما يتصل به من الازمنة الآتية وقيل اراد يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم الجمعة عرفة حجة الوداع يئس الذين كفروا من دينكم اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث وغيرها او من ان يغلبوكم عليه فلا تخشوهم ان يظهروا عليكم واخشون واخلصوا الخشية لى

اليوم

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٥ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٦ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٧

اليوم اكملت لكم دينكم بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بالهداية والتوفيق او باكمال الدين او بفتح مكة وهدم منار الجاهلية ورضيت لكم الاسلام اخترته لكم دينا من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب التجنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضي والمعنى فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة مجاعة غير متجانف لاثم غير مائل له ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او متجاوزا حد الرخصة لقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه باكله يسألونك ماذا احل لهم لما تضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة وقد سبق الكلام في ماذا وانما قال لهم ولم يقل لنا على الحكاية لان يسألونك بلفظ الغيبة وكلا الوجهين سائغ في امثاله والمسؤول ما احل لهم من المطاعم كانهم لما تلي عليهم ما حرم عليهم سألوا عما احل لهم قل احل لكم الطيبات ما لم تستخبثه الطباع السليمة ولم تنفر عنه ومن مفهومه حرم مستخبثات العرب او ما لم يدل نص ولا قياس على حرمته وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات ان جعلت ما موصولة على تقدير وصيد ما علمتم وجملة شرطية ان جعلت شرطا وجوابها فكلوا والجوارح كواسب الصيد على اهلها من سباع ذوات الاربع والطير مكلبين معلمين اياه الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب يكون اكثر فيه اثرا ولان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه الصلوة والسلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وانتصابه على الحال من علمتم وفائدتها المبالغة في التعليم تعلمونهن حال ثانية او استئناف مما علمكم الله من الحيل وطرق التاديب فان العلم بها الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما علمكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وان ينزجر بزجره وينصرف بدعائه ويمسك عليه الصيد ولا ياكل منه فكلوا مما امسكن عليكم وهو ما لم ياكل منه لقوله عليه الصلوة والسلام لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط ذلك في سباع الطير لان تاديبها الى هذا الحد متعذر وقال آخرون لا يشترط مطلقا واذكروا اسم الله عليه الضمير لما علمتم والمعنى سموا عليه عند ارساله او لما امسكن عليكم بمعنى سموا عليه اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في محرماته ان الله سريع الحساب فيؤاخذكم بما جل ودق اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يتناول الذبائح وغيرها ويعم الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله تعالى عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر ولا يلحق بهم المجوس في ذلك وان الحقوا بهم في التقرير على الجزية لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا آكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا حرج عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز ذلك والمحصنات من المؤمنات اي الحرائر العفائف وتخصيصهن بعث على ما هو الاولى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وان كن حربيات وقال ابن عباس لا تحل الحربيات اذا آتيتموهن اجورهن مهورهن وتقييد الحل بايتائها لتاكيد وجوبها والحث على ما هو الاولى وقيل المراد بايتائها التزامها محصنين اعفاء بالنكاح غير مسافحين غير مجاهرين بالزنى ولا متخذي اخدان مسترين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يريد بالايمان شرائع الاسلام وبالكفر به انكاره والامتناع عنه

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا

يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة اذا اردتم القيام كقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها للايجاز والتنبيه على ان من اراد العبادة ينبغي ان يبادر اليها بحيث لا ينفك الفعل عن الارادة او اذا قصدتم الصلاة لان التوجه الى الشيء والقيام اليه قصد له وظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة وان لم يكن محدثا والاجماع على خلافه لما روى انه عليه الصلاة والسلام صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد يوم الفتح فقال عمر رضي الله تعالى عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته فقيل مطلق اريد به التقييد والمعنى اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل الامر فيه للندب وقيل كان ذلك اول الامر ثم نسخ وهو ضعيف لقوله صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا وجوهكم امروا الماء عليها ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق للجمهور على دخول المرفقين في المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كقوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم او متعلقة بمحذوف تقديره وايديكم مضافة الى المرافق ولو كان كذلك لم يبق لمعنى التحديد ولا لذكره مزيد فائدة لان مطلق اليد يشتمل عليها وقيل الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما يعلم من خارج ولم يكن في الآية وكان الايدي متناولة لها فحكم بدخولها احتياطا وقيل الى من حيث انها تفيد الغاية تقتضي خروجها والا لم تكن غاية كقوله فنظرة الى ميسرة وقوله ثم اتموا الصيام الى الليل لكن لما لم تتميز الغاية ههنا عن ذي الغاية وجب ادخالها احتياطا وامسحوا برؤسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل ووجهه ان يقال انها تدل على تضمن الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضي الاستيعاب بخلاف ما لو قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء في قدر الواجب فاوجب الشافعي رضي الله تعالى عنه اقل ما يقع عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة رضي الله تعالى عنه مسح ربع الرأس لانه عليه الصلوة والسلام مسح على ناصيته وهو قريب من الربع ومالك رضي الله عنه مسح كله اخذا بالاحتياط وارجلكم الى الكعبين نصبه نافع وابن عامر وحفص والكسائي ويعقوب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشائعة وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد اذ المسح لم يحد وجره الباقون على الجوار ونظيره كثير في القرآن والشعر كقوله تعالى عذاب يوم اليم وحور عين بالجر في قراءة حمزة والكسائي وقولهم جحر ضب خرب وللنحاة باب في ذلك وفائدته التنبيه على انه ينبغي ان يقتصد في صب الماء عليها ويغسل غسلا يقرب من المسح وفي الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى وجوب الترتيب وقرئ بالرفع على وارجلكم مغسولة وان كنتم جنبا فاطهروا فاغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه سبق تفسيره ولعل تكريره ليتصل الكلام في بيان انواع الطهارة ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي ما يريد الامر بالطهارة للصلاة او الامر بالتيمم تضييقا عليكم ولكن يريد ليطهركم لينظفكم او ليطهركم من الذنوب فان الوضوء تكفير للذنوب او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء فمفعول يريد في الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ان يطهركم وهو ضعيف لان ان لا تقدر بعد المزيدة وليتم ليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته عليكم في الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته والآية مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مائع وجامد وموجبهما حدث اصغر او اكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم في شكره وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا يعني الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره او ميثاق ليلة العقبة او بيعة الرضوان واتقوا الله في انساء نعمه ونقض ميثاقه ان الله عليم بذات الصدور اي بخفياتها فيجازيكم عليها فضلا عن جليات اعمالكم يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم

اعدلوا هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب للتقوى صرح لهم الامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المؤمنين واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فيجازيكم به وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر عظيم انما حذف ثانى مفعولى وعد استغناء بقوله لهم مغفرة فانه استئناف يبينه وقيل الجملة فى موضع المفعول فان الوعد ضرب من القول وكانه قال وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم هذا من عادته تعالى ان يتبع حال احد الفريقين حال الآخر وفاء بحق الدعوة وفيه مزيد وعد للمؤمنين وتطييب لقلوبهم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا الى العصر فرد الله كيدهم بان انزل صلاة الخوف والآية اشارة الى ذلك وقيل اشارة الى ما روى انه عليه الصلاة والسلام اتى قريظة ومعه الخلفاء الاربعة يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه وهموا بقتله فعمد عمرو ابن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده فنزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا وعلق سلاحه بشجرة وتفرق الناس عنه فجاء اعرابى فسل سيفه فقال من يمنعك منى فقال الله فاسقطه جبريل من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فنزلت اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه فكف ايديهم عنكم منعها ان تمد اليكم ورد مضرتها عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون فانه الكافى لايصال الخير ودفع الشر ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا شاهدا من كل سبط ينقب عن احوال قومه ويفتش عنها او كفيلا يكفل عليهم بالوفاء بما امروا به روى ان بنى اسرائيل لما فرغوا من فرعون واستقروا بمصر امرهم الله بالمسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فانى ناصركم وامر موسى ان ياخذ من كل سبط كفيلا عليهم بالوفاء بما امروا به فاخذ عليهم الميثاق واختار منهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون الاخبار ونهاهم ان يحدثوا قومهم فرأوا اجراما عظيمة وبأسا شديدا فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم الا كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وقال الله انى معكم بالنصرة لئن اقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلى وعزرتموهم اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب ومنه التعزير واقرضتم الله قرضا حسنا بالانفاق فى سبيل الخير وقرضا يحتمل المصدر والمفعول لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام فى لئن ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم

هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾
وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ
أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ
عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ
الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ

منكم فقد ضل سواء السبيل ضلالا لاشبهة فيه ولاعذر معه بخلاف من كفر قبل ذلك اذ قد يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم من رحمتنا او مسخناهم او ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية لاتنفعل عن الآيات والنذر وقرأ حمزة والكسائي قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى رديئة من قولهم درهم قسي اذا كان مغشوشا وهو ايضا من القسوة فان المغشوش فيه يبس وصلابة وقرئ قسية باتباع القاف للسين يحرفون الكلم عن مواضعه استئناف لبيان قسوة قلوبهم فانه لاقسوة اشد من تغيير كلام الله تعالى والافتراء عليه ويجوز ان يكون حالا من مفعول لعناهم لا من القلوب اذ لاضمير له فيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم حرفوا التوراة وتركوا حظهم مما انزل عليهم فلم ينالوه وقيل معناه انهم حرفوها فزلت بشؤمه اشياء منها عن حفظهم لما روي ابن مسعود قال قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية ولاتزال تطلع على خائنة منهم خيانة منهم او فرقة خائنة او خائن والتاء للمبالغة والمعنى ان الخيانة والغدر من عادتهم وعادة اسلافهم لاتزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم لم يخونوا وهم الذين امنوا منهم وقيل استثناء من قوله وجعلنا قلوبهم قاسية فاعف عنهم واصفح ان تابوا وآمنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ بآية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر بالصفح وحث عليه وتنبيه على ان العفو عن الكافر الخائن احسان فضلا عن العفو عن غيره ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم اي واخذنا من النصارى ميثاقهم كما اخذنا ممن قبلهم وقيل تقديره ومن الذين قالوا انا نصارى قوم اخذنا وانما قال قالوا انا نصارى ليدل على انهم سموا انفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا فالزمنا من غري بالشيء اذا لصق به بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة بين فرق النصارى ومنهم نسطورية ويعقوبية وملكانية او بينهم وبين اليهود وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون بالجزاء والعقاب يا اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى ووحد الكتاب لانه للجنس قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كنعت محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة وبشارة عيسى باحمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل ويعفو عن كثير مما تخفونه لايخبر به اذا لم يضطر اليه في امر ديني او عن كثير منكم فلا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يعني القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك والضلال والكتاب الواضح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم يهدي به الله وحد الضمير لان المراد بهما واحد او لانهما كواحد في الحكم من اتبع رضوانه من اتبع رضاه بالايمان منهم سبل السلام طرق السلامة من العذاب او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور من انواع الكفر الى الاسلام باذنه بارادته او بتوفيقه

فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ السَّبِيلِ ﴿١٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٦﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿١٧﴾ قَدْ جَآءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ

ويهديهم الى صراط مستقيم طريق هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم هم الذين قالوا بالاتحاد منهم وقيل لم يصرح به احد منهم ولكن لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته وارادته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الارض جميعا احتج بذلك على فساد قولهم وتقريره ان المسيح مقدور مقهور قابل للفناء كسائر الممكنات ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الالوهية ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير ازاحة لما عرض لهم من الشبهة في امره والمعنى انه تعالى قادر على الاطلاق

وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

يخلق من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل كخلق ما بينهما فينشيء من اصل ليس من جنسه كآدم خلقه من تراب وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كحوآء او من انثى وحدها كعيسى او منهما كسائر الناس وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اشياع ابنيه عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن الزبير الخبيبون او مقربون عنده قرب الاولاد من والدهم وقد سبق لنحو ذلك مزيد بيان في سورة آل عمران قل فلم يعذبكم بذنوبكم اي فان صح ما زعمتم فلم يعذبكم بذنوبكم فان من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه وقد عذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ واعترفتم انه سيعذبكم بالنار اياما معدودة بل انتم بشر ممن خلق ممن خلقه الله تعالى يغفر لمن يشاء وهم من آمن به وبرسله ويعذب من يشاء وهم من كفر والمعنى انه يعاملكم معاملة سائر الناس لا مزية لكم عليه ولله ملك السموات والارض وما بينهما كلها سواء في كونه خلقا وملكا له واليه المصير فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم اي الدين وحذف لظهوره او ما كتمتم وحذف لتقدم ذكره ويجوز ان لا يقدر مفعول على معنى يبذل لكم البيان والجملة في موضع الحال اي جاءكم رسولنا مبينا لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي او بيبين حال من الضمير ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير كراهة ان تقولوا ذلك وتعتذروا به فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا بما جاءنا فقد جاءكم والله على كل شيء قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام اذ كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى الارسال على فترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستون سنة واربعة انبياء ثلاثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وفي الآية امتنان عليهم بان بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي وكانوا احوج ما يكون اليه

واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء فارشدكم وشرفكم بهم ولم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم ملوكا اى وجعل منكم او فيكم وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء بعد فرعون حتى قتلوا يحيى وهموا بقتل عيسى عليهما السلام وقيل لما كانوا مملوكين في ايدى القبط فانقذهم الله وجعلهم مالكين لانفسهم وامورهم سماهم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى ونحوها مما آتاهم الله وقيل المراد بالعالمين عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الشام التي كتب الله لكم قسمها لكم او كتب في

وَاِذْ قَالَ مُوسٰى لِقَوْمِهٖ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ اِذْ جَعَلَ فِيكُمْ اَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَاٰتٰيكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ اَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْاَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّٰهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلٰى اَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسٰى اِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَاِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتّٰى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَاِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَاِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَاِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴿٢٣﴾ وَعَلَى اللّٰهِ فَتَوَكَّلُوا اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَا مُوسٰى اِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا اَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ اَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا اِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ اِنِّي لَا اَمْلِكُ اِلَّا نَفْسِي وَاَخِي

اللوح انها تكون مسكنا لكم ولكن ان آمنتم واطعتم لقوله لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم ولا ترتدوا على ادباركم ولا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق على الله تعالى فتنقلبوا خاسرين ثواب الدارين ويجوز في فتنقلبوا الجزم على العطف والنصب على الجواب قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين لا نتأتى مقاومتهم والجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره وهو الذي يجبر الناس على ما يريده وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة لنا بهم قال رجلان كالب ويوشع من الذين يخافون اى يخافون الله ويتقونه وقيل كانا رجلين من الجبابرة اسلما وسارا الى موسى فعلى هذا الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويشهد له ان قرئ الذين يخافون بالضم اى المخوفين وعلى المعنى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله بالتذكير او يخوفهم الوعيد انعم الله عليهما بالايمان والتثبيت وهو صفة ثانية لرجلين او اعتراض ادخلوا عليهم الباب باب قريتهم اى باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم من الاصحار فاذا دخلتموه فانكم غالبون لتعسر الكر عليهم في المضايق من عظم اجسامهم ولانهم اجسام لا قلوب فيها ويجوز ان يكون علمهما بذلك من اخبار موسى وقوله كتب الله لكم او مما علما من عادته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من صنيعه لموسى وقهر اعدائه وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به ومصدقين لوعده قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا نفوا دخولهم على التأكيد والتأبيد ما داموا فيها بدل من ابدا بدل البعض فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وعدم مبالاة بهما وقيل تقديره اذهب انت وربك يعينك

قال رب

قال رب انى لا املك الا نفسى واخى قاله شكوى بثه وحزنه الى الله تعالى لما خالفه قومه وأيس منهم ولم يبق معه موافق يثق به غير هرون عليه السلام والرجلان المذكوران وان كانا يوافقانه لم يثق بهما لما كابد من تلون قومه ويجوز ان يراد باخى من يواخينى فى الدين فيدخلان فيه ويحتمل نصبه عطفا على نفسى او على اسم ان ورفعه عطفا على الضمير فى لا املك او على محل ان واسمها وجره عند الكوفيين عطفا على الضمير فى نفسى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين بان تحكم لنا بما نستحقه وتحكم عليهم بما يستحقونه او بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانها فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها بسبب عصيانهم اربعين سنة يتيهون فى الارض عامل الظرف اما محرمة فيكون التحريم موقتا غير مؤبد فلا يخالف ظاهر قوله التى كتب الله لكم ويؤيد ذلك ما روى ان موسى عليه الصلاة والسلام سار بعده بمن بقى من بنى اسرائيل ففتح اريحاء واقام بها ما شاء الله ثم قبض وقيل انه قبض فى التيه ولما احتضر اخبرهم بان يوشع بعده نبى وان الله تعالى امره بقتال الجبابرة فسار بهم يوشع وقتل الجبابرة وصار الشام كله لبنى اسرائيل واما يتيهون اى يسيرون فيها متحيرين لا يرون طريقا فيكون التحريم مطلقا وقد قيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن

فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ



قال انا لن ندخلها بل هلكوا فى التيه وانما قاتل الجبابرة اولادهم روى انهم لبثوا اربعين سنة فى ستة فراسخ يسيرون من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من الشمس وعمود من نور يطلع بالليل فيضئ لهم وكان طعامهم المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه والاكثر على ان موسى وهرون كانا معهم فى التيه الا انه كان ذلك روحا لهما وزيادة فى درجتهما وعقوبة لهم وانهما ماتا فيه مات هرون وموسى بعده بسنة ثم دخل يوشع اريحاء بعد ثلاثة اشهر ومات النقباء فيه بغتة غير كالب ويوشع فلا تأس على القوم الفاسقين خاطب به موسى لما ندم على الدعاء عليهم وبين انهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم نبأ ابنى آدم قابيل وهابيل اوحى الله تعالى الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط منه قابيل لان توأمته كانت اجمل فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وفعل ما فعل وقيل لم يرد بهما ابنى آدم لصلبه وانهما رجلان من بنى اسرائيل ولذلك قال كتبنا على بنى اسرائيل بالحق صفة مصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحق او حال من الضمير فى اتل او من نبأ اى ملتبسا بالصدق موافقا لما فى كتب الاولين اذ قربا قربانا ظرف للنبأ او حال منه او بدل على حذف المضاف اى واتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او غيرها كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطى وهو فى الاصل مصدر ولذلك لم يثن وقيل تقديره اذ قرب كل واحد منهما قربانا قيل كان قابيل صاحب زرع وقرب اردأ قمح عنده وهابيل صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر لانه سخط حكم الله ولم يخلص النية فى قربانه وقصد الى اخس ما عنده قال لاقتلنك توعده بالقتل لفرط الحسد على تقبل قربانه ولذلك قال انما يتقبل الله من المتقين فى جوابه اى انما اتيت من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا من مؤمن متق لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك انى اخاف الله رب العالمين قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم له خوفا من الله تعالى لان الدفع لم يبح بعد او تحريا لما هو الافضل قال عليه الصلاة والسلام كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل وانما قال ما انا بباسط فى جواب لئن بسطت للتبرى عن هذا الفعل الشنيع رأسا والتحرز من ان يوصف به ويطلق عليه ولذلك اكد النفى بالباء انى اريد ان تبوء باثمى و

اثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين تعليل ثان للامتناع عن المعارضة والمقاومة والمعنى انما استسلم لك ارادة ان تحمل اثمى لو بسطت اليك يدى واثمك ببسطك يدك الى ونحوه المستبان ما قالا فعلى البادئ ما لم يعتد المظلوم وقيل معنى باثمى باثم قتلى وباثمك الذى لم يتقبل لاجله قربانك وكلاهما فى موضع الحال اى ترجع ملتبسا بالاثمين حاملا لهما ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا يكون له لا ان يكون لاخيه ويجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائزة فطوعت له نفسه قتل اخيه فسهلته له ووسعته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل اخيه كأنه دعاها الى الاقدام عليه فطاوعته وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ بقى مدة عمره مطرودا محزونا قيل قتل هابيل وهو ابن عشرين سنة عند عقبة حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه روى انه لما قتله تحير فى امره ولم يدر ما يصنع به اذ كان اول ميت من بنى آدم فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة والضمير فى ليريه لله تعالى او للغراب وكيف حال من الضمير فى يوارى والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى

قال يا ويلتى كلمة جزع وتحسر والالف فيها بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى لااهتدى الى مثل ما اهتدى اليه وقوله فاوارى عطف على اكون وليس جواب الاستفهام اذ ليس المعنى ان عجزت لواريت وقرئ بالسكون على فأنا اوارى او على تسكين المنصوب تخفيفا فاصبح من النادمين على قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته سنة او اكثر على ما قيل وتلمذه للغراب واسوداد لونه وتبرئ ابويه منه اذ روى انه لما قتله اسود جسده فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وتبرأ منه ومكث بعد ذلك مائة سنة لايضحك وعدم الظفر بما فعله من اجله من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل بسببه قضينا عليهم واجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل فى تعليل الجنايات كقولهم من جرائك فعلته اى من ان جررته اى جنيته ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تعليل ومن ابتدائية متعلقة بكتبنا اى ابتداء الكتب وانشاؤه من اجل ذلك

أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٥﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا

انه من قتل نفسا بغير نفس اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد فى الارض او بغير فساد فيها كالشرك وقطع الطريق فكانما قتل الناس جميعا من حيث انه هتك حرمة الدماء وسن القتل وجرأ الناس عليه او من حيث ان قتل الواحد وقتل الجميع سواء فى استجلاب غضب الله والعذاب العظيم ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا اى ومن تسبب لبقاء حياتها بعفو او منع عن القتل او استنقاذ من بعض اسباب الهلكة فكأنما فعل ذلك بالناس جميعا والمقصود منه تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ترهيبا عن التعرض لها وترغيبا فى المحاماة عليها ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون اى بعد ما كتبنا عليهم هذا التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالايات الواضحة تأكيدا للامر وتجديدا للعهد كى يتحاموا عنها كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولايبالون به وبهذا اتصلت القصة بما قبلها والاسراف التباعد عن حد الاعتدال فى الامر انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله اى يحاربون اولياءهما وهم المسلمون جعل محاربتهم محاربتهما تعظيما واصل الحرب التسلب والمراد به ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة باللصوصية وان كانت فى مصر ويسعون فى الارض فسادا اى مفسدين ويجوز نصبه على العلة او المصدر لان سعيهم كان فسادا فكأنه قيل ويفسدون فى الارض فسادا ان يقتلوا اى قصاصا من غير صلب ان افردوا القتل او يصلبوا اى يصلبوا مع القتل ان قتلوا واخذوا المال وللفقهاء خلاف فى انه يقتل ويصلب او يصلب حيا ويترك او يطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف تقطع ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اخذوا المال ولم يقتلوا او ينفوا من الارض او ينفوا من بلد الى بلد بحيث لا يمكنون من القرار فى موضع ان اقتصروا على الاخافة وفسر ابو حنيفة النفى بالحبس واو فى الآية على هذا للتفصيل وقيل انه للتخيير والامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق ذلك لهم خزى فى الدنيا ذل وفضيحة ولهم فى الاخرة عذاب عظيم لعظم ذنوبهم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو حق الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور رحيم اما القتل قصاصا فالى الاولياء يسقط بالتوبة وجوبه لا جوازه وتقييد التوبة بالتقدم على القدرة يدل على انها بعد القدرة لاتسقط الحد وان اسقطت العذاب وان الآية فى قطاع المسلمين لان توبة المشرك تدرأ عنه العقوبة قبل القدرة وبعدها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة اى ما تتوسلون به الى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اذا تقرب اليه وفى الحديث الوسيلة منزلة فى الجنة

وجاهدوا

وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لعلكم تفلحون بالوصول الى الله تعالى والفوز بكرامته ان الذين كفروا لوان لهم ما في الارض من صنوف الاموال جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم القيامة واللام متعلقة بمحذوف تستدعيه لو اذ التقدير لو ثبت ان لهم ما في الارض وتوحيد الضمير في به والمذكور شيئان اما لاجرائه مجرى اسم الاشارة في نحو قوله تعالى عوان بين ذلك او لان الواو في ومثله بمعنى مع ما تقبل منهم جواب لو ولو بما في حيزه خبر ان والجملة تمثيل للزوم العقاب لهم وانه لا سبيل لهم الى الخلاص منه ولهم عذاب اليم تصريح بالمقصود منه وكذلك قوله يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم وقرئ يخرجوا من اخرج وانما قال وما هم بخارجين بدل وما يخرجون للمبالغة والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جملتان عند سيبويه اذ التقدير فيما يتلى عليكم السارق

إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا
أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ
فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ

والسارقة اى حكمهما او جملة عند المبرد والفاء للسببية دخل الخبر لتضمنهما معنى الشرط اذ المعنى والذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنصب وهو المختار في امثاله لان الانشاء لا يقع خبرا الا باضمار وتأويل والسرقة اخذ مال الغير في خفية وانما توجب القطع اذا كانت من حرز والماخوذ ربع دينار او ما يساويه لقوله عليه الصلاة والسلام القطع في ربع دينار فصاعدا وللعلماء خلاف في ذلك لأحاديث وردت فيه وقد استقصيت الكلام فيه في شرح المصابيح والمراد بالايدى الايمان ويؤيده قراءة ابن مسعود ايمانهما ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم تمام العضو ولذلك ذهب الخوارج الى ان المقطع هو المنكب والجمهور على انه الرسغ لانه عليه الصلاة والسلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء بما كسبا نكالا من الله منصوبان على المفعول له او المصدر ودل على فعلهما فاقطعوا والله عزيز حكيم فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اى سرقته واصلح امره بالتفصى من التبعات والعزم على ان لا يعود اليها فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم يقبل توبته فلا يعذبه في الاخرة اما القطع فلا يسقط بها عند الاكثرين لان فيه حق المسروق منه الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام او لكل احد يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير قدم التعذيب على المغفرة اتيا على ترتيب ما سبق او لان استحقاق التعذيب مقدم او لان المراد به القطع وهو في الدنيا يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر اى صنيع الذين يقعون في الكفر سريعا اى في اظهاره اذا وجدوا منه فرصة من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم اى من المنافقين والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا والواو يحتمل الحال والعطف

ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين
لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا
فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك
له من الله شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم
في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم (٤١) سماعون
للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض
عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين (٤٢)
وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله
ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين (٤٣) انا
انزلنا التورية فيها هدى ونور يحكم بها النبيون

ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا سماعون للكذب خبر مبتدأ محذوف اى هم سماعون والضمير للفريقين او للذين يسارعون ويجوز ان يكون مبتدأ ومن الذين خبره اى ومن اليهود قوم سماعون واللام فى للكذب اما مزيدة للتأكيد او لتضمين السماع معنى القبول اى قابلون لما تفتريه الاحبار او للعلة والمفعول محذوف اى سماعون كلامك ليكذبوا عليك فيه سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اى لجمع آخرين من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء والمعنى على الوجهين اى مصغون لهم قابلون كلامهم او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم ويجوز ان تتعلق اللام بالكذب لان سماعون الثانى مكرر للتأكيد اى سماعون ليكذبوا للقوم آخرين يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يميلونه عن مواضعه التى وضعه الله فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه فى غير مورده والجملة صفة اخرى لقوم او صفة لسماعون او حال من الضمير فيه او استئناف لا موضع له او فى موضع الرفع خبر لمحذوف اى هم يحرفون وكذلك يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه اى ان اوتيتم هذا المحرف فاقبلوه واعملوا به وان لم تؤتوه بل افتاكم محمد بخلافه فاحذروا اى احذروا قبول ما افتاكم به روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وكانا محصنين فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا فامرهم بالرجم فأبوا عنه فجعل ابن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجد فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته ضلالته او فضيحته فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من الله شيئا فى دفعها اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الكفر وهو كما ترى نص على فساد قول المعتزلة لهم فى الدنيا خزى هوان بالجزية والخوف من المؤمنين ولهم فى الآخرة عذاب عظيم وهو الخلود فى النار والضمير للذين هادوا ان استأنفت بقوله ومن الذين والا فللفريقين سماعون للكذب كرره للتأكيد اكالون للسحت اى الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله لانه مسحوت البركة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى ويعقوب بضمتين وهما لغتان كالعنق والعنق وقرئ بفتح السين على لفظ المصدر فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم تخيير لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحاكموا اليه بين الحكم والاعراض ولهذا قيل لو تحاكم كتابيان الى القاضى لم يجب عليه الحكم وهو قول للشافعى والاصح وجوبه اذا كان المترافعان او احدهما ذميا لانا التزمنا الذب عنهم ودفع الظلم عنهم والآية ليست فى اهل الذمة وعند ابى حنيفة يجب مطلقا وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا بان يعادوك لاعراضك عنهم فان الله يعصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط اى بالعدل الذى امر الله به ان الله يحب المقسطين فيحفظهم ويعظم شأنهم وكيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم من لا يؤمنون به والحال ان الحكم منصوص عليه فى الكتاب الذى هو عندهم وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله تعالى فى زعمهم وفيها حكم الله حال من التورية ان رفعتها بالظرف وان جعلتها مبتدأ فمن ضميرها المستكن فيه وتأنيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وهو عطف على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا او بك وبه انا انزلنا التورية فيها هدى يهدى الى الحق ونور يكشف ما اشتبه من الاحكام يحكم بها النبيون يعنى انبياء بنى اسرائيل او موسى ومن بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ وبهذه الآية تمسك القائل به

الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين مدحا لهم وتنويها بشأن المسلمين وتعريضا باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء واقتفاء هديهم للذين
هادوا متعلق بانزل او بيحكم اى يحكمون بها فى تحاكمهم وهو يدل على ان النبيون انبياؤهم والربانيون والاحبار زهادهم وعلماؤهم
السالكون طريقة انبيائهم عطف على النبيون بما استحفظوا من كتاب الله بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع والتحريف
والراجع الى ما محذوف ومن للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لا يتركون ان يغيروا او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا
فلا تخشوا الناس واخشونى نهى للحكام ان يخشوا غير الله فى حكوماتهم ويداهنوا فيها خشية ظالم او مراقبة كبير ولا تشتروا باياتى ولا تستبدلوا
باحكامى التى انزلتها ثمنا قليلا هو الرشوة والجاه ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به منكرا له فاولئك هم الكافرون لاستهانتهم به وتمردهم بان حكموا بغيره ولذلك
وصفهم بقوله الظالمون والفاسقون فكفرهم لانكاره وظلمهم بالحكم بخلافه
وفسقهم بالخروج عنه ويجوز ان يكون كل واحدة من الصفات
الثلاث باعتبار حال انضمت الى الامتناع عن الحكم به ملائمة
لها او لطائفة كما قيل هذه فى المسلمين لاتصالها بخطابهم والظالمون
فى اليهود والفاسقون فى النصارى وكتبنا عليهم وفرضنا
على اليهود فيها فى التوراة ان النفس بالنفس اى ان النفس
تقتل بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن رفعها الكسائى على انها جمل معطوفة على ان وما
فى حيزها باعتبار المعنى وكانه قيل وكتبنا عليهم النفس بالنفس
والعين بالعين فان الكتبة والقراءة تقعان على الجمل كالقول
او جمل مستانفة ومعناها وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف
مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة
بالسن او على ان المرفوع منها معطوف على المستكن فى قوله بالنفس
وانما ساغ لانه فى الاصل مفصول عنه بالظرف والجار والمجرور فى فيها
حال مبينة للمعنى وقرأ نافع والاذن بالاذن باسكان الذال وفى
اذنيه حيث وقع والجروح قصاص اى ذات قصاص وقرأ
الكسائى ايضا بالرفع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر على انه اجمال
للحكم بعد التفصيل فمن تصدق من المستحقين به بالقصاص
اى فمن عفا عنه فهو فالتصدق كفارة له للمتصدق
يكفر الله به ذنوبه وقيل للجانى يسقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته
له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها
شئ ومن لم يحكم بما انزل الله من القصاص وغيره فاولئك هم
الظالمون وقفينا على آثارهم اى واتبعناهم على آثارهم فحذف
المفعول لدلالة الجار والمجرور عليه والضمير للنبيون بعيسى بن مريم

الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا
اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا
تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ
لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝
وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ
وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ
قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ
الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ
وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ

وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور فى موضع النصب بالحال ومصدقا لما بين يديه من التوراة مفعول ثان عدى اليه الفعل بالباء مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل
عطف عليه وكذا قوله وهدى وموعظة للمتقين ويجوز نصبها على المفعول له عطفا على محذوف او تعليقا به وعطف وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه
عليه فى قراءة حمزة وعلى الاول اللام متعلقة بمحذوف اى وآتيناه ليحكم بما انزل الله وقرئ وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كقوله
امرتك بأن قم اى وامرنا بان ليحكم

ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون عن حكمه اوعن الايمان ان كان مستهينا به والآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان اليهودية منسوخة ببعثة عيسى عليه السلام وانه كان مستقلا بالشرع وحملها على وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب بالحق اى القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب من جنس الكتب المنزلة فان اللام الاولى للعهد والثانية للجنس ومهيمنا عليه ورقيبا على سائر الكتب يحفظه عن التغيير ويشهد لها بالصحة والثبات وقرئ على بنية المفعول اى هومن عليه وحوفظ من التحريف والحافظ له هوالله تعالى اوالحفاظ فى كل عصر فاحكم بينهم بما انزل الله اى بما انزل الله اليك ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق بالانحراف عنه الى مايشتهونه فعن صلة للاتتبع لتضمنه معنى لاتنحرف وحال من فاعله اى لاتتبع اهواءهم مائلا عما جاءك لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وهى الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ماهو سبب الحياة الابدية وقرئ بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا فى الدين من نهج الامر اذا وضح واستدل به على انا غير متعبدين بالشرائع المتقدمة

بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون ﴿٤٧﴾ وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتيكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ﴿٤٨﴾ وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون ﴿٤٩﴾ افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن

ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير نسخ وتحويل ومفعول لوشاء محذوف دل عليه الجواب وقيل المعنى لوشاء الله اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم فيما آتاكم من الشرائع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة الالهية ام تزيغون عن الحق وتفرطون فى العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها انتهازا للفرصة وحيازة لفضل السبق والتقدم الى الله مرجعكم جميعا استئناف فيه تعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين والمقصرين فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بالجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر وان احكم بينهم بما انزل الله عطف على الكتاب اى انزلنا اليك الكتاب والحكم او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم ويجوز ان يكون جملة بتقدير وامرنا ان احكم ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اى ان يضلوك ويصرفوك عنه وان بصلته بدل منهم بدل الاشتمال اى احذرهم فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم المنزل وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعنى ذنب التولى عن حكم الله تعالى فعبر عنه بذلك تنبيها على ان لهم ذنوبا كثيرة وهذا مع عظمه واحد منها معدود من جملتها وفيه دلالة على التعظيم كما فى التنكير ونظيره قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون فى الكفر ومعتدون فيه افحكم الجاهلية يبغون الذى هو الميل والمداهنة فى الحكم والمراد بالجاهلية الملة التى هى متابعة الهوى وقيل نزلت فى بنى قريظة والنضير طلبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ ويبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى الصلة فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا واستضعف ذلك فى غير الشعر وقرئ افحكم الجاهلية اى يبغون حاكما كحاكم الجاهلية يحكم بحسب شهيتهم وقرأ ابن عامر تبغون بالتاء على قل لهم افحكم الجاهلية تبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اى عندهم واللام للبيان كما فى قوله تعالى هيت لك اى هذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتدبرون الامور ويتحققون الاشياء بانظارهم فيعلمون ان لا احسن حكما من الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشروهم معاشرة الاحباب بعضهم اولياء بعض ايماء الى علة النهى اى فانهم متفقون على خلافكم يوالى بعضهم بعضا لاتحادهم فى الدين واجتماعهم على مضادتكم ومن يتولهم منكم فانه منهم اى ومن والاهم منكم فانه من جملتهم وهذا التشديد فى وجوب مجانبتهم كما قال عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما اولان الموالين لهم كانوا منافقين ان الله لا يهدى القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار او المؤمنين بموالاة اعدائهم فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى ابن ابى واضرابه يسارعون فيهم اى فى موالاتهم ومعاونتهم

يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يعتذرون بانهم يخافون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان بان ينقلب الامر وتكون الدولة للكفار روى ان عبادة بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثير عددهم وانى ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال ابن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى فنزلت فعسى الله ان يأتى بالفتح لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شأفة اليهود من القتل والاجلاء او الامر باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا اى هؤلاء المنافقون على ما اسروا فى انفسهم نادمين على ما استبطنوه من الكفر والشك فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم فضلا عما اظهروه مما اشعر على نفاقهم ويقول الذين امنوا بالرفع قراءة عاصم وحمزة والكسائى على انه كلام مبتدأ ويؤيده قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر مرفوعا بغير واو على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ وبالنصب قراءة ابو عمرو ويعقوب عطفا على ان يأتى باعتبار المعنى وكانه قال عسى الله ان يأتى بالفتح وان يقول الذين امنوا او يجعله بدلا من اسم الله داخلا فى اسم عسى مغنيا عن الخبر بما تضمنه من الحدث او على الفتح بمعنى عسى الله ان يأتى بالفتح وبقول المؤمنين فان الاتيان بما يوجبه كالاتيان به اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم يقوله المؤمنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين وتبجحا بما من الله عليهم من الاخلاص او يقولون لليهود فان المنافقين حلفوا لهم بالمعاضدة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولذلك ساغ كونها معرفة او على المصدر لانه بمعنى اقسموا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما من جملة القول او من قول الله تعالى شهادة لهم بحبوط اعمالهم وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم وما اخسرهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه قرأه على الاصل نافع وابن عامر وهو كذلك فى الامام والباقون بالادغام وهذا من الكائنات التى اخبر الله عنها قبل وقوعها وقد ارتد من العرب فى اواخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث فرق بنو مدلج وكان رئيسهم ذو الحمار الاسود العنسى تنبأ باليمن واستولى على بلاده ثم قتله فيروز الديلمى ليلة قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من غدها واخبر الرسول فى تلك الليلة فسر المسلمون واتى الخبر فى اواخر ربيع الاول وبنو حنيفة اصحاب مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله تعالى عنه بجند المسلمين وقتله الوحشى قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فهرب بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وفى خلافة ابى بكر سبع فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة زوجة مسيلمة وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم وكفى الله امرهم على يده وفى امرة عمر غسان قوم جبلة بن الايهم تنصر وسار الى الشام فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه قيل هم اهل اليمن لما روى انه عليه الصلاة والسلام اشار الى ابى موسى الاشعرى وقال هم قوم هذا وقيل الفرس لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان فقال هذا وذووه وقيل الذين جاهدوا يوم القادسية الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء الناس والراجع الى من محذوف تقديره فسوف يأتى الله بقوم مكانهم ومحبة الله تعالى للعباد ارادة الهدى والتوفيق لهم فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة ومحبة العباد له ارادة طاعته والتحرز عن معاصيه اذلة على المؤمنين عاطفين عليهم متذللين لهم جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل واستعماله مع على اما لتضمن معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم او للمقابلة اعزة على الكافرين شداد متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه وقرئ بالنصب على الحال يجاهدون فى سبيل الله صفة اخرى لقوم او حال من الضمير فى اعزة

مِنَ اللّٰهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُّوقِنُوْنَ ﴿٥٤﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُوْدَ وَالنَّصٰرٰٓى اَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَاِنَّهٗ مِنْهُمْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ﴿٥٥﴾ فَتَرَى الَّذِيْنَ فِىْ قُلُوْبِهِمْ مَّرَضٌ يُّسَارِعُوْنَ فِيْهِمْ يَقُوْلُوْنَ نَخْشٰٓى اَنْ تُصِيْبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّٰهُ اَنْ يَّاْتِىَ بِالْفَتْحِ اَوْ اَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهٖ فَيُصْبِحُوْا عَلٰى مَآ اَسَرُّوْا فِىْٓ اَنْفُسِهِمْ نٰدِمِيْنَ ﴿٥٦﴾ وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَهٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ اَقْسَمُوْا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمَانِهِمْ اِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فَاَصْبَحُوْا خٰسِرِيْنَ ﴿٥٧﴾ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَنْ يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهٖ فَسَوْفَ يَاْتِى اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُّحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهٗٓ اَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ اَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ يُجَاهِدُوْنَ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُوْنَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذٰلِكَ



ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم الجامعون بين المجاهدة في سبيل الله والتصلب في دينه او حال بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين فانهم يخرجون في جيش المسلمين خائفين ملامة اوليائهم من اليهود فلا يعملون شيأ يلحقهم فيه لوم من جهتهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فضل الله يؤتيه من يشاء يمنحه ويوفق له والله واسع كثير الفضل عليم بمن هو اهله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهى عن موالاة الكفرة ذكر عقيبه من هو حقيق بها وانما قال وليكم الله ولم يقل اولياؤكم للتنبيه على ان الولاية لله على الاصالة ولرسوله وللمؤمنين على التبع الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة صفة للذين امنوا فانه جرى مجرى الاسم او بدل منه ويجوز رفعه ونصبه على المدح وهم راكعون متخشعون في صلاتهم وزكاتهم وقيل هو حال مخصوصة بيؤتون اي يؤتون الزكاة في حال ركوعهم في الصلاة حرصا على الاحسان ومسارعة اليه وهي نزلت في علي رضي الله تعالى عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلاته فطرح له خاتمه واستدل بها الشيعة على امامته زاعمين ان المراد بالولي المتولي للامور والمستحق للتصرف فيها والظاهر ما ذكرناه مع ان حمل الجمع على الواحد ايضا خلاف الظاهر وان صح انه نزل فيه فلعله جيء بلفظ الجمع لترغيب الناس في مثل فعله فيندرجوا فيه وعلى هذا يكون دليلا على ان الفعل القليل في الصلاة لا يبطلها وان صدقة التطوع تسمى زكاة

فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٨﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٦٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللّٰهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦١﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلٰوةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللّٰهِ

ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا ومن يتخذهم اولياء فان حزب الله هم الغالبون اي فانهم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه فكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشانهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا لمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء نزلت في رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما وقد رتب النهي عن موالاتهم على اتخاذهم دينهم هزوا ولعبا ايماء الى العلة وتنبيها على ان من هذا شانه بعيد عن الموالاة جدير بالمعاداة وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار على قراءة من جره وهم ابو عمرو والكسائي ويعقوب والكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة لتضاعف كفرهم ومن نصبه عطفه على الذين اتخذوا على ان النهي عن موالاة من ليس على الحق راسا سواء من كان ذا دين تبع فيه الهوى وحرفه عن الصواب كاهل الكتاب ومن لم يكن كالمشركين واتقوا الله بترك المناهي ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا اي اتخذوا الصلاة او المناداة وفيه دليل على ان الاذان مشروع للصلاة روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطاير شررها في البيت فاحرقه واهله ذلك بانهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بالحق والهزؤ به والعقل يمنع منه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تنكرون منا وتعيبون يقال نقم منه كذا اذا انكره وانتقم اذا كافاه وقرئ تنقمون بفتح القاف وهي لغة الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل الايمان بالكتب المنزلة كلها وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا وكان المستثنى لازم الامرين وهو المخالفة اي ما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في الايمان وانتم خارجون منه او كان الاصل واعتقاد ان اكثركم فاسقون فحذف المضاف او على ما اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون او على علة محذوفة والتقدير هل تنقمون منا الا ان امنا لقلة انصافكم وفسقكم او نصب باضمار فعل يدل عليه تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او رفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة والمال يمنعكم عن الانصاف والاية خطاب ليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن يؤمن به فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام لا نعلم دينا شرا من دينكم قل هل انبئكم بشر من ذلك اي من ذلك المنقوم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ونصبها على التمييز من بشر

من

من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير بدل من بشر على حذف مضاف اى بشر من اهل ذلك من لعنه الله او بشر من ذلك دين من لعنه الله او خبر مبتدأ محذوف اى هو من لعنه الله وهم اليهود ابعدهم الله من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد وضوح الآيات ومسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت وبعضهم خنازير وهم كفار اهل مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت مسخت شبانهم قردة ومشايخهم خنازير وعبد الطاغوت عطف على صلة من وكذا عبد الطاغوت على البناء للمفعول وقرئ الطاغوت وعبد كظرف بمعنى صار معبودا فيكون الراجع محذوفا اى فيهم او بينهم ومن قرأ وعابد الطاغوت او عبد على انه نعت كفطن ويقظ او عبدة او عبد الطاغوت على انه جمع كخدم او ان اصله عبدة فحذفت التاء للاضافة عطفه على القردة ومن قرأ وعبد الطاغوت بالجر عطفه على من والمراد من الطاغوت العجل وقيل الكهنة وقيل كل من اطاعوه فى معصية الله تعالى اولئك اى الملعونون شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل قصد الطريق المتوسط بين غلو النصارى وقدح اليهود

مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ
وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ
السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ
وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾
وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ
السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ
الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ
مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ
يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

والمراد من صيغتى التفضيل الزيادة مطلقا لا بالاضافة الى المؤمنين فى الشرارة والضلال واذا جاؤكم قالوا آمنا نزلت فى يهود نافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او فى عامة المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك كما دخلوا لا يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا لما فيها من التوقع ان امارة النفاق كانت لائحة عليهم وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ولذلك قال والله اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد لهم وترى كثيرا منهم اى من اليهود او المنافقين يسارعون فى الاثم اى الحرام وقيل الكذب لقوله تعالى عن قولهم الاثم والعدوان الظلم او مجاوزة الحد فى المعاصى وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر للمبالغة لبئس ما كانوا يعملون لبئس شيئا عملوه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض لعلمائهم على النهى عن ذلك فان لولا اذا دخل على الماضى افاد التوبيخ واذا دخل على المستقبل افاد التحضيض لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب فيه وترو وتحرى اجادة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ الذم وقالت اليهود يد الله مغلولة اى هو ممسك يقتر بالرزق وغل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ولا قصد فيه الى اثبات يد وغل وبسط ولذلك يستعمل حيث لا يتصور ذلك كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده ونظيره من المجازات المركبة شابت لمة الليل وقيل معناه انه فقير كقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا دعاء عليهم بالبخل والنكد او بالفقر والمسكنة او بغل الايدى حقيقة يغلون اسارى فى الدنيا ومسحبين الى النار فى الآخرة فتكون المطابقة من حيث اللفظ وملاحظة الاصل كقولك سبنى سب الله دابره بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة فى الرد ونفى البخل عنه تعالى واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخى من ماله ان يعطيه بيديه وتنبيها على منح الدنيا والآخرة وعلى ما يعطى للاستدراج وما يعطى للاكرام ينفق كيف يشاء تأكيد لذلك اى هو مختار فى انفاقه يوسع تارة ويضيق اخرى على حسب مشيئته ومقتضى حكمته لا على تعاقب سعة وضيق فى ذات يد ولا يجوز جعله حالا من الهاء للفصل بينهما بالخبر ولانها مضاف اليها ولا من اليدين اذ لا ضمير لهما فيه ولا من ضميرهما لذلك والآية نزلت فى فنحاص بن عازوراء فانه قال ذلك لما كف الله عن اليهود ما بسط عليهم من السعة بشؤم تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم واشرك فيه الآخرون لانهم رضوا بقوله وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اى هم طاغون كافرون ويزدادون طغيانا وكفرا مما يسمعون من القرآن كما يزداد المريض مرضا من تناول الغذاء الصالح للاصحاء والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة فلا تتوافق قلوبهم ولا تتطابق اقوالهم

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا
اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ
أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا
مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾
قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَ
الْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا

كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله كلما ارادوا حرب الرسول صلى الله عليه وسلم واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها عنه شرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وللحرب صلة اوقدوا او صفة نارا ويسعون في الارض فسادا اي للفساد وهو اجتهادهم في الكيد واثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا ولو ان اهل الكتاب آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به واتقوا ما عددنا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم داخلين فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل باذاعة ما فيهما من نعت محمد عليه الصلاة والسلام والقيام باحكامهما وما انزل اليهم من ربهم يعني سائر الكتب المنزلة فانها من حيث انهم مكلفون بالايمان بها كالمنزل اليهم او القرءان لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات من السماء والارض او يكثر ثمرة الاشجار وغلة الزروع او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنونها من رأس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض بين بذلك ان ما كف عنهم بشؤم كفرهم ومعاصيهم لا لقصور الفيض ولو انهم آمنوا واقاموا ما امروا به لوسع عليهم وجعل لهم خير الدارين منهم امة مقتصدة عادلة غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل مقتصدة متوسطة في عداوته وكثير منهم ساء ما يعملون اي بئس ما يعملونه وفيه معنى التعجب اي ما اسوأ عملهم وهو المعاندة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط في العداوة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احدا ولا خائف مكروها وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته فما اديت شيئا منها لان كتمان بعضها يضيع ما ادي منها كترك بعض اركان الصلاة فان غرض الدعوة ينتقض به او فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء في الشناعة واستجلاب العقاب وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر رسالاته بالجمع وكسر التاء والله يعصمك من الناس عدة وضمان من الله بعصمة روحه من تعرض الاعادي وازاحة لمعاذيره ان الله لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم مما يريدون بك وعن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالته فضقت بها ذرعا فاوحى الله تعالى الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج رأسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وظاهر الآية يوجب تبليغ كل ما انزل ولعل المراد بالتبليغ ما يتعلق به مصالح العباد وقصد بانزاله اطلاعهم عليه فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه قل يا اهل الكتاب لستم على شيء اي دين يعتد به ويصح ان يسمى شيئا لانه باطل حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية باسرها آمرة بالايمان بمن صدقه المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له والمراد اقامة اصولها وما لم ينسخ من فروعها

وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم بما تبلغه اليهم فان ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى سبق تفسيره في سورة البقرة والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية فيه التأخير عما في حيز ان والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك كقوله فاني وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اى فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك وهو كاعتراض دل به على انه لما كان الصابئون مع ظهور ضلالهم وميلهم عن الاديان كلها يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح كان غيرهم اولى بذلك ويجوز ان يكون والنصارى معطوفا عليه ومن امن خبرهما وخبر ان مقدر دل عليه ما بعده كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف ولا يجوز عطفه على محل ان واسمها فانه مشروط بالفراغ

مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

من الخبر اذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ وخبر ان معا فيجتمع عليه عاملان ولا على الضمير في هادوا لعدم التأكيد والفصل ولانه يوجب كون الصابئين هودا وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها في موضع الرفع بالابتداء وقيل الصابئون منصوب بالفتحة وذلك كما جوز بالياء جوز بالواو من امن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا في محل الرفع بالابتداء وخبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والجملة خبر ان او خبر المبتدأ كما مر والراجع محذوف اى من امن منهم او النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه وقرئ والصابئين وهو الظاهر والصابيون بقلب الهمزة ياء والصابون بحذفها من صبا بابدال الهمزة الفا او من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الشهوات ولم يتبعوا شرعا ولا عقلا لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ليذكروهم وليبينوا لهم امر دينهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف هواهم من الشرائع ومشاق التكاليف فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب الشرط والجملة صفة رسلا والراجع محذوف اى رسلا منهم وقيل الجواب محذوف دل عليه ذلك وهو استئناف وانما جيء بيقتلون موضع قتلوا على حكاية الحال الماضية استحضارا لها واستفظاعا للقتل وتنبيها على ان ذلك ديدنهم ماضيا ومستقبلا ومحافظة على رؤس الآي وحسبوا ان لا تكون فتنة اى وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الانبياء وتكذيبهم وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب ان لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة واصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشأن وادخال فعل الحسبان عليها وهي للتحقيق تنزيل له منزلة العلم لتمكنه في قلوبهم وان او ان بما في حيزها ساد مسد مفعوليه فعموا عن الدين او الدلائل والهدى وصموا عن استماع الحق كما فعلوا حين عبدوا العجل ثم

تاب الله عليهم اى ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا مرة اخرى وقرئ بالضم فيهما على ان الله عماهم وصمهم اى رماهم بالعمى والصمم وهو قليل واللغة الفاشية اعمى واصم كثير منهم بدل من الضمير او فاعل والواو علامة الجمع كقولهم اكلوني البراغيث او خبر مبتدأ محذوف اى العمى والصم كثير منهم وقيل مبتدأ والجملة قبله خبره وهو ضعيف لان تقديم الخبر في مثله ممتنع والله بصير بما يعملون فيجازيهم وفق اعمالهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اى اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله اى في عبادته او فيما يختص به من الصفات والافعال فقد حرم الله عليه الجنة يمنع من دخولها كما يمنع المحرم عليه من المحرم فانها دار الموحدين ومأواه النار فانها المعدة للمشركين

لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وما للظالمين من انصار اى وما لهم احد ينصرهم من النار فوضع الظاهر موضع للضمر تسجيلا على انهم ظلموا بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق وهو يحتمل ان يكون من تمام كلام عيسى عليه السلام وان يكون من كلام الله تعالى نبه به على انهم قالوا ذلك تعظيما لعيسى وتقربا اليه وهو معاديهم بذلك ومخاصمهم فيه فما ظنك بغيره لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة اى احد ثلاثة وهو حكاية عما قاله النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وما من اله الا اله واحد وما فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشرك ومن مزيدة للاستغراق وان لم ينتهوا عما يقولون ولم يوحدوا ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اى ليمسن الذين بقوا منهم على الكفر او ليمسن الذين كفروا من النصارى وضعه موضع ليمسنهم تكريرا للشهادة على كفرهم وتنبيها على ان العذاب على من دام على الكفر ولم ينقلع عنه فلذلك عقبه بقوله افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه اى افلا يتوبون بالانتهاء عن تلك العقائد والاقوال الزائغة ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عن الاتحاد والحلول بعد هذا التقرير والتهديد والله غفور رحيم يغفر لهم ويمنحهم من فضله ان تابوا وفى هذا الاستفهام تعجيب من اصرارهم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل اى ما هو الا رسول كالرسل قبله خصه الله بآيات كما خصهم بها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا وجعلها حية تسعى على يد موسى عليه السلام وهو اعجب وان خلقه من غير اب فقد خلق آدم من غير اب وام وهو اغرب وامه صديقة كسائر النساء اللاتى يلازمن الصدق او يصدقن الانبياء كانا ياكلان الطعام ويفتقران اليه افتقار الحيوانات بين او لا اقصى ما لهما من الكمال ودل على انه لا يوجب لهما الوهية لان كثيرا من الناس يشاركهما فى مثله ثم نبه على نقصهما وذكر ما ينافى الربوبية ويقتضى ان يكونا من عداد المركبات الكائنة الفاسدة ثم عجب ممن يدعى الربوبية لهما مع امثال هذه الادلة الظاهرة فقال انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله وثم لتفاوت ما بين العجبين اى ان بياننا للايات عجب واعراضهم عنها اعجب قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعنى ان عيسى وان ملك ذلك بتمليك الله اياه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر الله تعالى به من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وانما قال ما نظرا الى ما هو عليه فى ذاته توطئة لنفى القدرة عنه رأسا وتنبيها على انه من هذا الجنس ومن كان له حقيقة تقبل المجانسة والمشاركة فبمعزل عن الالوهية وانما قدم الضر لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع والله هو السميع العليم بالاقوال والعقائد فيجازى عليها ان خيرا فخير وان شرا فشر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق اى غلوا باطلا فترفعوا عيسى الى ان تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وقيل الخطاب للنصارى خاصة ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل يعنى اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم واضلوا كثيرا ممن شايعهم على بدعهم وضلالهم وضلوا عن سواء السبيل عن قصد السبيل الذى هو الاسلام بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم لما كذبوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثانى اشارة الى ضلالهم عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم اى لعنهم الله فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت لعنهم داود عليه السلام فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا دعا عليهم عيسى عليه السلام ولعنهم فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل

عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا
يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ
لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ
كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ
عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝
وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ

ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى ذلك اللعن الشنيع المقتضى للمسخ بسبب عصيانهم
واعتدائهم ما حرم عليهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه اى لا ينهى بعضهم بعضا عن معاودة
منكر فعلوه اوعن مثل منكر فعلوه اوعن منكر ارادوا فعله وتهيئوا له او لا ينتهون
عنه من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لبئس ما كانوا يفعلون تعجيب
من سوء فعلهم مؤكد بالقسم ترى كثيرا منهم من اهل الكتاب يتولون الذين
كفروا يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين
لبئس ما قدمت لهم انفسهم اى لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيامة
ان سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون هو المخصوص بالذم والمعنى
موجب سخط الله والخلود فى العذاب اوعلة الذم والمخصوص محذوف اى لبئس
شيئا ذلك لانه كسبهم السخط والخلود ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى
يعنى نبيهم وان كانت الآية فى المنافقين فالمراد نبينا عليه السلام وما انزل
اليه ما اتخذوهم اولياء اذ الايمان يمنع ذلك ولكن كثيرا منهم فاسقون
خارجون عن دينهم اومتمردون فى نفاقهم لتجدن اشد الناس عداوة
للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم
فى اتباع الهوى وركونهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على
تكذيب الانبياء ومعاداتهم ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين
قالوا انا نصارى للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا
وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ذلك بان منهم قسيسين
ورهبانا وانهم لا يستكبرون عن قبول الحق اذا فهموه اويتواضعون ولا
يتكبرون كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل
والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت من كافر واذا سمعوا ما انزل
الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون وهو بيان
لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه
والفيض انصباب عن امتلاء فوضع موضع الامتلاء للمبالغة اوجعلت اعينهم من فرط البكاء
كانها تفيض بانفسها



مما عرفوا من الحق من الاولى للابتداء والثانية لتبيين ما عرفوا او للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله يقولون ربنا آمنا بذلك او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين استفهام انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام الداعي وهو الطمع في الانخراط مع الصالحين والدخول في مداخلهم وجواب سائل قال لم آمنتم ولا نؤمن حال من الضمير والعامل ما في اللام من معنى الفعل اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين بالله اي بوحدانيته فانهم كانوا مثلثين او بكتابه ورسوله فان الايمان بهما ايمان به حقيقة وذكره توطئة وتعظيما ونطمع عطف على نؤمن او خبر محذوف والواو للحال اي ونحن نطمع والعامل فيها عامل الاولى مقيدا بها او نؤمن فاثابهم الله بما قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور والآيات الاربع

مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ

روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فبكوا وآمنوا بالقرآن وقيل نزلت في ثلاثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وآمنوا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم عطف التكذيب بآيات الله على الكفر وهو ضرب منه لان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه النهي عن الافراط في ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم فتكون الآية ناهية عن تحريم ما احل وتحليل ما حرم داعية الى القصد بينهما روي انه صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما وبالغ في انذارهم فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم أومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر وآكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي كلوا ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فيكون حلالا مفعول كلوا ومما رزقكم الله حالا منه تقدمت عليه لانه نكرة ويجوز ان تكون من ابتدائية متعلقة بكلوا ويجوز ان تكون مفعولا لكلوا وحلالا حالا من الموصول او العائد المحذوف او صفة لمصدر محذوف وعلى الوجوه لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو ما يبدو من المرء بلا قصد كقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعي وقيل الحلف على ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وفي ايمانكم صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما وثقتم الايمان عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرأ حمزة والكسائي وابن عياش عن عاصم عقدتم بالتخفيف وابن عامر في رواية ابن ذكوان عاقدتم وهو من فاعل بمعنى فعل فكفارته فكفارة نكثه اي الفعلة التي تذهب اثمه وتستره واستدل بظاهره على جواز التكفير بالمال قبل الحنث وهو عندنا خلافا للحنفية لقوله عليه السلام من حلف على يمين ورأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده في النوع او القدر وهو مد لكل مسكين عندنا ونصف صاع عند الحنفية ومحله النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما من اوسط ما تطعمون او الرفع على البدل من اطعام واهلون كارضون وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكنها في الاحوال الثلاث كالالف وهو جمع اهل كالليالي في جمع ليل والاراضي في جمع ارض وقيل جمع اهلاة

اوكسوتهم عطف على اطعام او من اوسطان جعل بدلا وهو ثوب يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص او رداء او ازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة او كأسوتهم بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا تواسون بينهم وبينهم ان لم تطعموهم الاوسط والكاف في محل الرفع وتقديره او اطعامهم كأسوتهم او تحرير رقبة او اعتاق انسان وشرط الشافعي فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى الخصال الثلاث مطلقا وتخيير المكلف في التعيين فمن لم يجد واحدا منها فصيام ثلاثة ايام فكفارته صيام ثلاثة ايام وشرط ابو حنيفة فيه التتابع لانه قرئ ثلاثة ايام متتابعات والشواذ ليست بحجة عندنا اذ لم تثبت كتابا ولم ترو سنة ذلك اى المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها لكل امر او بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خيرا او بأن تكفروها اذا حنثتم كذلك اى مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها فان مثل هذا التبيين يسهل لكم المخرج منه يا ايها

أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون ﴿٩٣﴾ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴿٩٤﴾ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون ﴿٩٥﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴿٩٦﴾ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات

الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب اى الاصنام التى نصبت للعبادة والازلام سبق تفسيرها في اول السورة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر الخمر وخبر المعطوفات محذوف او لمضاف محذوف كأنه قال انما تعاطى الخمر والميسر من عمل الشيطان لانه مسبب عن تسويله وتزيينه فاجتنبوه الضمير للرجس او لما ذكر او للتعاطي لعلكم تفلحون لكي تفلحوا بالاجتناب عنه واعلم انه تعالى اكد تحريم الخمر والميسر في هذه الآية بان صدر الجملة بانما وقرنهما بالاصنام والازلام وسماهما رجسا وجعلهما من عمل الشيطان تنبيها على ان الاشتغال بهما شر بحت او غالب وامر بالاجتناب عن عينهما وجعله سببا يرجى منه الفلاح ثم قرر ذلك بان بين ما فيهما من المفاسد الدينية والدنيوية المقتضية للتحريم فقال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة وانما خصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال تنبيها على انهما المقصود بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وخص الصلاة من الذكر بالافراد للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماده والفارق بينه وبين الكفر ثم اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من انواع الصوارف فقال فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر في المنع والتحذير بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا ما نهيا عنه او مخالفتهما فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين اى فاعلموا انكم لم تضروا الرسول عليه السلام بتوليكم فانما عليه البلاغ وقد ادى وانما ضررتم به انفسكم ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم لقوله اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات اى اتقوا المحرم وثبتوا على الايمان والاعمال الصالحة ثم اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر وآمنوا بتحريمه ثم اتقوا ثم استمروا وثبتوا على اتقاء المعاصي واحسنوا وتحروا الاعمال الجميلة واشتغلوا بها روي انه لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر فنزلت ويحتمل ان يكون هذا التكرار باعتبار الاوقات الثلاثة او باعتبار الحالات الثلاث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى ولذلك بدل الايمان بالاحسان في الكرة الثالثة اشارة الى ما قاله عليه الصلاة والسلام في تفسيره او باعتبار المراتب الثلاث للمبدأ والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغي ان يترك المحرمات توقيا من العقاب والشبهات تحرزا عن الوقوع في الحرام وبعض المباحات تحفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس الطبيعة والله يحب المحسنين فلا يؤاخذهم بشيء وفيه دليل ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا

يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها
اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون والتقليل والتحقير في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم التي تدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت عندما هو اشد منه
ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز الخائف من عقابه وهو غائب منتظر لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فذكر العلم واراد وقوع المعلوم وظهوره او تعلق العلم فمن اعتدى
بعد ذلك بعد ذلك الابتلاء بالصيد فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان من لا يملك جاشه في مثل ذلك ولا يراعي حكم الله فيه فكيف به فيما تكون النفس اميل اليه واحرص عليه يا ايها
الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم اي محرمون جمع حرام كرداح وردح ولعله ذكر القتل دون الذبح والذكاة للتعميم واراد بالصيد ما يؤكل لحمه لانه الغالب فيه عرفا ويؤيده قوله عليه
الصلاة والسلام خمس يقتلن في الحل والحرم الحداة والغراب والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية اخرى الحية بدل العقرب مع ما فيه من التنبيه على جواز قتل كل مؤذ واختلف في ان هذا
النهي هل يلغي حكم الذبح فيلحق مذبوح المحرم بالميتة ومذبوح الوثني او لا فيكون كالشاة المغصوبة
اذا ذبحها الغاصب ومن قتله منكم متعمدا ذاكرا لاحرامه عالما بانه حرام عليه قتل ما يقتله
والاكثر على ان ذكره ليس لتقييد وجوب الجزاء فان اتلاف العامد والمخطئ واحد في ايجاب الضمان
بل لقوله ومن عاد فينتقم الله منه ولان الآية نزلت فيمن تعمد اذ روي انه عن لهم في عمرة الحديبية
حمار وحش فطعنه ابو اليسر برمحه فقتله فنزلت فجزاء مثل ما قتل من النعم برفع الجزاء والمثل قراءة
الكوفيون ويعقوب بمعنى فعليه او فواجبه جزاء يماثل ما قتل من النعم وعليه لا يتعلق
الجار بجزاء للفصل بينهما بالصفة فان متعلق المصدر كالصلة له فلا يوصف
ما لم يتم بها وانما يكون صفته وقرأ الباقون على اضافة المصدر الى المفعول واقحام
مثل كما في قولهم مثلي لا يقول كذا والمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما
قتل بنصبهما على فليجز جزاء او فعليه ان يجزي جزاء يماثل ما قتل وفجزاؤه مثل ما قتل
وهذه المماثلة باعتبار الخلقة والهيئة عند مالك والشافعي والقيمة عند ابي
حنيفة وقال يقوم الصيد حيث صيد فان بلغت القيمة ثمن هدي تخير بين
ان يهدي ما قيمته قيمته وبين ان يشتري بها طعاما فيعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما وان لم تبلغ
تخير بين الاطعام والصوم واللفظ للاول اوفق يحكم به ذوا عدل منكم
صفة جزاء ويحتمل ان يكون حالا من ضميره في خبره او منه اذا اضفته او وصفته
ورفعته بخبر مقدر لمن وكان التقويم يحتاج الى نظر واجتهاد تحتاج المماثلة
في الخلقة والهيئة اليهما فان الانواع تتشابه كثيرا وقرئ ذو عدل على ارادة
الجنس او الامام هديا حال من الهاء في به او من جزاء وان نون لتخصصه بالصفة
او بدل من مثل باعتبار محله او لفظه فيمن نصبه بالغ الكعبة وصف به هديا لان
اضافته لفظية ومعنى بلوغه الكعبة ذبحه بالحرم والتصدق به ثمة وقال ابو حنيفة يذبح
بالحرم ويتصدق به حيث شاء او كفارة عطف على جزاء ان رفعته وان نصبته فخبر
محذوف طعام مساكين عطف بيان او بدل منه او خبر محذوف اي هي طعام وقرأ نافع
وابن عامر كفارة طعام بالاضافة للتبيين كقولك خاتم فضة والمعنى عند الشافعي او ان يكفر باطعام
مساكين ما يساوي قيمة الهدي من غالب قوت البلد فيعطي كل مسكين مدا او عدل ذلك صياما او ما ساواه من الصوم فيصوم عن اطعام كل مسكين يوما وهو في
الاصل مصدر اطلق للمفعول وقرئ بكسر العين وهو ما عدل بالشيء في المقدار كعدل الحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل ليذوق وبال امره
متعلق بمحذوف اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق ثقل فعله وسوء عاقبة هتكه حرمة الاحرام او الثقل الشديد على مخالفة امر الله واصل الوبل
الثقل ومنه الطعام الوبيل عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما في الجاهلية او قبل التحريم او في هذه المرة ومن عاد الى مثل هذا فينتقم الله
منه فهو ينتقم الله منه وليس فيه ما يمنع الكفارة عن العائد كما حكي عن ابن عباس وشريح والله عزيز ذو انتقام ممن اصر على عصيانه

ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ﴿٩٣﴾
يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله
ايديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى
بعد ذلك فله عذاب اليم ﴿٩٤﴾ يا ايها الذين امنوا
لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا
فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم
هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل
ذلك صياما ليذوق وبال امره عفا الله عما سلف ومن
عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴿٩٥﴾
احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة
وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي

احل لكم صيد البحر ماصيد منه مما لا يعيش الا في الماء وهو حلال كله لقوله عليه السلام في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته وقال ابو حنيفة لا يحل منه الا السمك وقيل يحل السمك وما يؤكل نظيره في البر وطعامه ماقذفه اونضب عنه وقيل الضمير للصيد وطعامه اكله متاعا لكم تمتيعا لكم نصب على الغرض وللسيارة اى ولسيارتكم يتزودونه قديدا وحرم عليكم صيد البر اى ماصيد فيه او الصيد فيه فعلى الاول يحرم على المحرم ايضا ماصاده الحلال وان لم يكن له فيه مدخل والجمهور على حله لقوله عليه السلام لحم الصيد حلال لكم مالم تصطادوه او يصد لكم مادمتم حرما اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة صيرها وانما سمي البيت كعبة لتكعبه البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح او المفعول الثاني قياما للناس انتعاشا لهم اى سبب انتعاشهم في امر معاشهم ومعادهم يلوذ به الخائف ويأمن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار او ما يقوم به امر دينهم ودنياهم وقرأ ابن عامر قيما على انه مصدر على فعل كالشبع اعل عينه كما اعلت في فعله ونصبه على المصدر او الحال والشهر الحرام والهدي والقلائد سبق تفسيرها والمراد بالشهر الشهر الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لانه المناسب لقرنائه وقيل الجنس ذلك اشارة الى الجعل او الى ماذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها دليل على حكمة الشارع وكمال علمه وان الله بكل شئ عليم تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها او لمن اصر عليه ولمن انقلع عنه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر اى الرسول اتى بما امر به من التبليغ ولم يبق لكم عذر في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون من تصديق وتكذيب وفعل وعزيمة قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديئ من الاشخاص والاعمال والاموال وجيدها رغب به في صالح العمل وحلال المال ولو اعجبك كثرة الخبيث فان العبرة بالرداءة والجودة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فاتقوا الله يا اولي الالباب اى فاتقوه في تحري الخبيث وان كثر وآثروا الطيب وان قل لعلكم تفلحون راجين ان تبلغوا الفلاح روي انها نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم الشرطية وما عطف عليها صفتان لاشياء والمعنى لا تسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء ان تظهر لكم تغمكم وان تسألوا عنها في زمان الوحي تظهر لكم وهما كمقدمتين ينتجان ما يمنع السؤال وهو انه مما يغمكم والعاقل لا يفعل ما يغمه واشياء اسم جمع كطرفاء غير انه قلبت لامه فجعلت لفعاء وقيل افعلاء حذفت لامه جمع لشئ على ان اصله شيئ كهين او شيئ كصديق فخفف وقيل افعال جمع له من غير تغيير كبيت وابيات ويرده منع صرفه عفا الله عنها صفة اخرى اى عن اشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها اذ روي انه لما نزلت ولله على الناس

اِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠٠﴾ جَعَلَ اللّٰهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَاَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ اِعْلَمُوا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاَنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٢﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ اِلَّا الْبَلَاغُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ اَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ يَا اُولِي الْاَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَسْاَلُوا عَنْ اَشْيَاءَ اِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَاِنْ تَسْاَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْاٰنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللّٰهُ عَنْهَا وَاللّٰهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ قَدْ سَاَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ اَصْبَحُوا

حج البيت قال سراقة بن مالك اكل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد ثلاثا فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فنزلت او استئنافا اى عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه عليه الصلاة والسلام كان يخطب ذات يوم غضبان من كثرة ما يسألون عنه مما لا يعنيهم فقال لا اسأل عن شئ الا اجبت فقال رجل اين ابي فقال في النار وقال آخر من ابي فقال حذافة وكان يدعى لغيره فنزلت قد سألها قوم الضمير للمسألة التي دل عليها تسألوا ولذلك لم يعد بعن او لاشياء بحذف الجار من قبلكم متعلق بسألها وليس صفة لقوم فان ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة ولا حالا منها ولا خبرا عنها ثم اصبحوا بها كافرين اى بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا او جحدوا

ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ردّ وانكار لما ابتدعه اهل الجاهلية وهو انهم اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوها وخلوا
سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول ان شفيت فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها واذا ولدت الشاة انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو
لآلهتهم وان ولدتهما قالوا وصلت الانثى اخاها فلا يذبح لها الذكر واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره
ومعنى ما جعل ما شرع ووضع ولذلك تعدّى الى مفعول واحد وهو البحيرة ومن مزيدة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب بتحريم ذلك ونسبته اليه واكثرهم
لا يعقلون اى الحلال من الحرام والمبيح من المحرم او الامر من الناهى ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه ان منهم من يعرف بطلان ذلك ولكن منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء ان يعترفوا به
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم فى التقليد وان لا سند لهم سواه اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون

بها كافرين ۝ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على
الله الكذب واكثرهم لا يعقلون ۝ واذا قيل لهم تعالوا
الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا
اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ۝ يا ايها
الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم
الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون ۝
يا ايها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت
حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم او آخران من غيركم
ان انتم ضربتم فى الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما
من بعد الصلوة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا

الواو للحال والهمزة دخلت عليها لانكار الفعل على هذه الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه
آباءهم ولو كانوا جهلة ضالين والمعنى ان الاقتداء انما يصح بمن علم انه عالم مهتد وذلك
لا يعرف الا بالحجة فلا يكفى التقليد يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم اى احفظوها والزموا
اصلاحها والجار مع المجرور جعل اسما لالزموا ولذلك نصب انفسكم وقرئ بالرفع على الابتداء
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال اذا كنتم مهتدين ومن الاهتداء
ان ينكر المنكر حسب طاقته كما قال عليه السلام من رأى منكم منكرا واستطاع
ان يغيره بيده فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه والآية
نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على الكفرة ويتمنون ايمانهم وقيل كان الرجل اذا اسلم
قالوا له سفهت اباك فنزلت ولا يضركم يحتمل الرفع على انه مستأنف ويؤيده ان
قرئ لا يضيركم والجزم على الجواب او النهى لكنه ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد
المنقولة اليها من الراء المدغمة وتنصره قراءة من قرأ لا يضركم بالفتح ولا يضركم بكسر
الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم
تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بذنب غيره يا ايها الذين
آمنوا شهادة بينكم اى فيما امرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الاشهاد فى الوصية
واضافتها الى الظرف على الاتساع وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ليقم اذا حضر
احدكم الموت اذا شارفه وظهرت اماراته وهو ظرف للشهادة حين الوصية
بدل منه وفى ابداله تنبيه على ان الوصية مما ينبغى ان لا يتهاون فيه او ظرف حضر
اثنان فاعل شهادة ويجوز ان يكون خبرها على حذف المضاف ذوا عدل منكم
اى من اقاربكم او من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران من غيركم عطف على
اثنان ومن فسر الغير باهل الذمة جعله منسوخا فان شهادته على المسلم لا تسمع اجماعا
ان انتم ضربتم فى الارض اى سافرتم فيها فاصابتكم مصيبة الموت
اى قاربتم الاجل تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما صفة
لآخران والشرط بجوابه المحذوف المدلول عليه بقوله او آخران من غيركم اعتراض
فائدته الدلالة على انه ينبغى ان يشهد اثنان منكم فان تعذر كما فى السفر

فمن غيركم او استئناف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا بالشاهدين فقال تحبسونهما من بعد الصلاة صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وتصادم ملائكة الليل
وملائكة النهار وقيل اى صلاة كانت فيقسمان بالله ان ارتبتم اى ارتاب الوارث منكم لا نشترى به ثمنا مقسم عليه وان ارتبتم اعتراض يفيد اختصاص القسم
بحال الارتياب والمعنى لا نستبدل بالقسم او بالله عرضا من الدنيا اى لا نحلف بالله كاذبين بالطمع

ولو كان ذا قربى ولو كان المقسم له قريبا منا وجوابه ايضا محذوف اي لا نشتري ولا نكتم شهادة الله اي الشهادة التي امرنا باقامتها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغيره كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اي ان كتمنا وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما كتحريف فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم من الذين جني عليهم وهم الورثة وقرأ حفص استحق على البناء للفاعل وهو الاوليان الاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وهو خبر مبتدأ محذوف اي هما الاوليان او خبر آخران او مبتدأ خبره آخران او بدل منهما او من الضمير في يقومان وقرأ حمزة ويعقوب وابو بكر عن عاصم الاولين على انه صفة للذين او بدل منه اي من الاولين الذين استحق عليهم وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح والاولان واعرابه اعراب الاوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما اصدق منها واولى بان تقبل وما اعتدينا وما تجاوزنا فيها الحق انا اذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق او الظالمين انفسهم ان اعتدينا ومعنى الآيتين ان المحتضر اذا اراد الوصية ينبغي ان يشهد عدلين من ذوي نسبه او دينه على وصيته او يوصي اليهما احتياطا فان لم يجدهما بان كان في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع نزاع وارتياب اقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فان اطلع على انهما كذبا بامارة ومظنة حلف آخران من اولياء الميت والحكم منسوخ ان كان الاثنان شاهدين فانه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت ان كانا وصيين ورد اليمين الى الورثة اما لظهور خيانة الوصيين فان تصديق الوصي باليمين لامانته او لتغيير الدعوى اذ روي ان تميما الداري وعدي بن زيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به واوصى اليهما بان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه واخذا منه اناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فوجد اهله الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا ايها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الاناء في ايديهما فاتاهما بنو سهم في ذلك فقالا قد اشتريناه منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فان عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي رفاعة السهميان وحلفا ولعل تخصيص العدد لخصوص الواقعة ذلك اي الحكم الذي تقدم او تحليف الشاهد ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها على نحو ما تحملوها من غير تحريف وخيانة فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد اليمين على المدعين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور الخيانة واليمين الكاذبة وانما جمع الضمير لانه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله واسمعوا ما توصون به سمع اجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين اي ان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهديهم الى حجة او الى طريق الجنة فقوله تعالى يوم يجمع الله الرسل ظرف له وقيل بدل من مفعول واتقوا بدل الاشتمال او مفعول واسمعوا على حذف المضاف اي واسمعوا خبر يوم جمعهم او منصوب باضمار اذكر فيقول اي للرسل ماذا اجبتم



وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١١٠﴾
فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا
مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا
أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾
ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ
تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٢﴾ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ
مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٣﴾
إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ

اي اجابة اجبتم على ان ماذا في موضع المصدر او باي شيء اجبتم فحذف الجار وهذا السؤال لتوبيخ قومهم كما ان سؤال الموءودة لتوبيخ الوائد ولذلك قالوا لا علم لنا اي لا علم لنا بما كنت تعلمه انك انت علام الغيوب فتعلم ما نعلمه مما اجابونا واظهروا لنا وما لا نعلم مما اضمروا في قلوبهم وفيه التشكي منهم ورد الامر الى علمه بما كابدوا منهم وقيل المعنى لا علم لنا الى جنب علمك او لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة وقرئ علام بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف بصفاتك المعروفة وعلام منصوب على الاختصاص او النداء وقرأ ابو بكر وحمزة الغيوب بكسر الغين حيث وقع اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة والمعنى انه تعالى يوبخ الكفرة يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وتعديد ما اظهر عليهم من الآيات فكذبتهم طائفة وسموهم سحرة وغلا آخرون فاتخذوهم آلهة او نصب باضمار اذكر

اذ ايدتك قويتك وهو ظرف لنعمتي او حال منه وقرئ آيدتك بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيى به الدين او النفس بحياة ابدية وتطهر من الآثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا اى كائنا في المهد وكهلا والمعنى تكلمهم في الطفولة والكهولة على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية في كمال العقل والتكلم وبه استدل على انه سينزل فانه رفع قبل ان يتكهل واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة

وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي
فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ
إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا
سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي
قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً
مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا
نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا
وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ
رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا

الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني سبق تفسيره في سورة آل عمران وقرأ نافع ويعقوب طائرا ويحتمل الافراد والجمع كالباقر واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات ظرف لكففت فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين اى ما هذا الذي جئت به الا سحر وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين اى امرتهم على السنة رسلي ان آمنوا بي وبرسولي يجوز ان تكون ان مصدرية وان تكون مفسرة قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم منصوب باذكر او ظرف لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء لم يكن بعد عن تحقيق واستحكام معرفة وقيل هذه الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يطيع ربك اى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام من ماد الماء يميد اذا تحرك او من ماده اذا اعطاه كانها تميد من تقدم اليها ونظيره قولهم شجرة مطعمة قال اتقوا الله من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعائكم الايمان قالوا نريد ان نأكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال وهو ان يتمتعوا بالاكل منها وتطمئن قلوبنا بانضمام علم المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا في ادعاء النبوة او ان الله يجيب دعوتنا ونكون عليها من الشاهدين اذا استشهدتنا او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر قال عيسى بن مريم لما رأى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك او انهم لا يقلعون عنه فاراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اى يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن على جواب الامر لاولنا وآخرنا بدل من لنا باعادة العامل اى عيدا للمتقدمين منا والمتأخرين روى انها نزلت يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل يأكل منها اولنا وآخرنا وقرئ لاولانا واخرانا بمعنى الامة او الطائفة

وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٨﴾
قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي
أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ
يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ
مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ
إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي
نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٢٠﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٢١﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اللَّهُ

وآية عطف على عيدا منك صفة لها اى آية كائنة منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين اى خير من يرزق لانه خالق الرزق ومعطيه بلا عوض قال الله انى منزلها عليكم اجابة الى سؤالكم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم منزلها بالتشديد فمن يكفر بعد منكم فانى اعذبه عذابا اى تعذيبا ويجوز ان يجعل مفعولا به على السعة لا اعذبه الضمير للمصدر او للعذاب ان اريد به ما يعذب به على حذف حرف الجر احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم او العالمين مطلقا فانهم مسخوا قردة وخنازير ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم روى انها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله تعالى بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية اخرى فقال يا سمكة احيى بأذن الله فاضطربت ثم قال لها عودى كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصغار والكبار يأكلون حتى اذا فاء الفيئ طارت وهم ينظرون فى ظلها ولم يأكل منها فقير الا غنى مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم ثلاثة وثمانون رجلا وقيل لما وعد الله انزالها بهذه الشريطة استعفوا وقالوا لا نريد فلم تنزل وعن مجاهد ان هذا مثل ضربه الله لمقترحى المعجزات وعن بعض الصوفية المائدة ههنا عبارة عن حقائق المعارف فانها غذاء الروح كما ان الاطعمة غذاء البدن وعلى هذا فلعل الحال انهم رغبوا فى حقائق لم يستعدوا للوقوف عليها فقال لهم عيسى عليه السلام ان حصلتم الايمان فاستعملوا التقوى حتى تتمكنوا من الاطلاع عليها فلم يقلعوا عن السؤال وألحوا فيه فسأل لاجل اقتراحهم فبين الله تعالى ان انزاله سهل ولكن فيه خطر وخوف عاقبة فان السالك اذا انكشف له ما هو اعلى من مقامه لعله لا يحتمله ولا يستقر له فيضل به ضلالا بعيدا واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله يريد به توبيخ الكفرة وتبكيتهم ومن دون الله صفة لالهين او صلة اتخذونى ومعنى دون اما المغايرة فيكون فيه تنبيه على ان عبادة الله مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده مع عبادتهما كأنه عبدهما ولم يعبده او القصور فانهم لم يعتقدوا انهما مستقلان باستحقاق العبادة وانما زعموا ان عبادتهما توصل الى عبادة الله عز وجل وكأنه قيل اتخذونى وامى الهين متوصلين بنا الى الله تعالى قال سبحانك اى انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق ما ينبغى لى ان اقول قولا لا يحق لى ان اقوله ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك تعلم ما اخفيه فى نفسى كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات انك انت علام الغيوب تقرير للجملتين باعتبار منطوقه ومفهومه ما قلت لهم الا ما امرتنى به تصريح بنفى المستفهم عنه بعد تقديم ما يدل عليه ان اعبدوا الله ربى وربكم عطف بيان للضمير فى به او بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل مطلقا ليلزم منه بقاء الموصول بلا راجع او خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعنى ولا يجوز ابداله من ما امرتنى به فان المصدر لا يكون مفعول القول ولا ان تكون ان مفسرة لان الامر مسند الى الله تعالى وهو لا يقول اعبدوا الله ربى وربكم والقول لا يفسر بل الجملة تحكى بعده الا ان يؤول القول بالامر فكان ما امرتهم الا بما امرتنى به ان اعبدوا الله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم اى رقيبا عليهم امنعهم ان يقولوا ذلك ويعتقدوه او مشاهدا لاحوالهم من كفر وايمان فلما توفيتنى بالرفع الى السماء لقوله تعالى انى متوفيك ورافعك والتوفى اخذ الشئ وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها كنت انت الرقيب عليهم المراقب لاحوالهم فتمنع من اردت عصمته من القول به بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات

وانت على كل شئ شهيد مطلع عليه مراقب له ان تعذبهم فانهم عبادك اى ان تعذبهم فانك تعذب عبادك ولا اعتراض على المالك المطلق فيما فعل بملكه وفيه تنبيه على انهم استحقوا ذلك لانهم عبادك وقد عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فلا عجز ولا استقباح فانك القادر القوى على الثواب والعقاب الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك مقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمتنع الترديد والتعليق بان قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقرأ نافع يوم بالنصب على انه ظرف لقال وخبر هذا محذوف او ظرف مستقر وقع خبرا والمعنى هذا الذى من كلام عيسى واقع يوم ينفع وقيل انه خبر ولكن بنى على الفتح لاضافته الى الفعل وليس بصحيح لان المضاف اليه معرب والمراد بالصدق الصدق فى الدنيا فان النافع ما كان حال التكليف لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم بيان النفع

هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَخَمْسٌ وَسِتُّونَ آيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضٰى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللّٰهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ

لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شئ قدير تنبيه على كذب النصارى وفساد دعواهم فى المسيح وامه وانما لم يقل ومن فيهن تغليبا للعقلاء وقال وما فيهن اتباعا لهم غير اولى العقل فى غاية القصور عن معنى الربوبية والنزول عن رتبة المعبودية واهانة لهم وتنبيها على المجانسة المنافية للالوهية ولان ما يطلق متناولا للاجناس كلها فهو اولى بارادة العموم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا سورة الانعام مكية غير ست آيات او ثلاث آيات من قوله قل تعالوا وهى مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض اخبر بانه تعالى حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد او لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وجمع السموات دون الارض وهى مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الآثار والحركات وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها وجعل الظلمات والنور انشأهما والفرق بين خلق وجعل الذى له مفعول واحد ان الخلق فيه معنى التقدير والجعل فيه معنى التضمين ولذلك عبر عن احداث النور والظلمات بالجعل تنبيها على انهما لا يقومان بانفسهما كما زعمت الثنوية وجمع الظلمات لكثرة اسبابها والاجرام الحاملة لها او لان المراد بالظلمة الضلال وبالنور الهدى والهدى واحد والضلال متعدد وتقديمها لتقدم الاعدام على الملكات ومن زعم ان الظلمة عرض يضاد النور احتج بهذه الآية ولم يعلم ان عدم الملكة كالعمى ليس صرف العدم حتى لا يتعلق به الجعل ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته ويكون بربهم تنبيها على انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمد عليها ولا يكفر او على قوله خلق على معنى انه خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شئ منه ومعنى ثم استبعاد عدولهم بعد هذا البيان والباء على الاول متعلقة بكفروا وصلة يعدلون محذوفة اى يعدلون عنه ليقع الانكار على نفس الفعل وعلى الثانى متعلقة بيعدلون والمعنى ان الكفار يعدلون بربهم الاوثان اى يسوونها به هو الذى خلقكم من طين اى ابتدأ خلقكم منه فانه المادة الاولى وان آدم الذى هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم فحذف المضاف ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيامة وقيل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث فان الاجل كما يطلق لآخر المدة يطلق لجملتها وقيل الاول النوم والثانى الموت وقيل الاول لمن مضى والثانى لمن بقى ولمن يأتى واجل نكرة خصصت بالصفة ولذلك استغنى عن تقديم الخبر والاستئناف به لتعظيمه ولذلك نكر ووصف بانه مسمى اى مثبت معين لا يقبل التغيير واخبر عنه بانه عند الله لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة ولانه المقصود بيانه ثم انتم تمترون استبعاد لامترائهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد وجمعها وايداع الحياة فيها وابقائها ما يشاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا فالآية الاولى دليل التوحيد والثانية دليل البعث والامتراء الشك واصله المرى وهو استخراج اللبن من الضرع وهو الله الضمير لله وهو

في السموات وفي الارض متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او بقوله يعلم سركم وجهركم والجملة خبر ثان او هي الخبر والله بدل ويكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيهما كقولك رميت الصيد في الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه او ظرف مستقر وقع خبرا وبمعنى انه تعالى لكمال علمه بما فيهما كانه فيهما ويعلم سركم وجهركم بيان وتقرير له وليس متعلق المصدر لان صلته لا تتقدم عليه ويعلم ما تكسبون من خير او شر فيثيب عليه ويعاقب ولعله اريد بالسر والجهر ما يخفى وما يظهر من احوال الانفس وبالمكتسب اعمال الجوارح وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى مزيدة للاستغراق والثانية للتبعيض اي ما يظهر لهم دليل قط من الادلة او معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني بالقرآن وهو كاللازم لما قبله كانه قيل انهم لما كانوا معرضين عن الآيات كلها كذبوا به لما جاءهم او كالدليل عليه على معنى انهم لما اعرضوا عن القرآن وكذبوا به وهو اعظم الآيات فكيف لا يعرضون عن غيره

سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۝٤ وَمَا تَأْتِيهِمْ
مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝٥
فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٦ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ
قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ
وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ
قَرْنًا آخَرِينَ ۝٧ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ
بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٨
وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ
الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ۝٩ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ

ولذلك رتب عليها بالفاء فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن اي سيظهر لهم ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم في الدنيا والآخرة او عند ظهور الاسلام وارتفاع امره الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهي سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت واشتقاقه من قرنت مكناهم في الارض جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا بها من انواع التصرف فيها ما لم نمكن لكم ما لم نجعل لكم في السعة وطول المقام يا اهل مكة او ما لم نعطكم من القوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب وارسلنا السماء عليهم اي المطر او السحاب او المظلة فان مبدأ المطر منها مدرارا اي مغزارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في الخصب والريف بين الانهار والثمار فاهلكناهم بذنوبهم اي لم يغن ذلك عنهم شيئا وانشأنا واحدثنا من بعدهم قرنا آخرين بدلا منهم والمعنى انه تعالى كما قدر على ان يهلك من قبلهم كعاد وثمود وينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده يقدر ان يفعل ذلك بكم ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس مكتوبا في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه وتخصيص اللمس لان التزوير لا يقع فيه فلا يمكنهم ان يقولوا انما سكرت ابصارنا ولانه يتقدمه الابصار حيث لا مانع وتقييده بالايدي لدفع التجوز فانه قد يتجوز به للفحص كقوله وانا لمسنا السماء لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا وقالوا لولا انزل عليه ملك هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبي كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ولو انزلنا ملكا لقضي الامر جواب لقولهم وبيان لما هو المانع مما اقترحوه والخلل فيه والمعنى ان الملك لو انزل بحيث عاينوه كما اقترحوا لحق اهلاكهم فان سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب ثان ان جعل الهاء للمطلوب وان جعل للرسول فهو جواب اقتراح ثان فانهم تارة يقولون لولا انزل عليه ملك وتارة يقولون
لو شاء ربنا لانزل ملائكة والمعنى ولو جعلنا قرينا لك ملكا يعاينونه او الرسول ملكا لمثلناه رجلا كما مثل جبريل في صورة دحية الكلبي فان القوة البشرية لا تقوى على رؤية الملك في صورته
وانما رآهم كذلك الافراد من الانبياء بقوتهم القدسية وللبسنا جواب محذوف اى ولو جعلناه رجلا للبسنا اى لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا بشر مثلكم
وقرئ لبسنا بلام واحدة وللبسنا بالتشديد للمبالغة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يرى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن
فاحاط بهم الذي كانوا يستهزؤن به حيث اهلكوا لاجله او فنزل بهم وبال استهزائهم قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين كيف اهلكهم الله بعذاب الاستئصال
كي تعتبروا والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض فانظروا ان السير ثمه لاجل النظر ولا كذلك ههنا ولذلك قيل معناه اباحة السير للتجارة وغيرها وايجاب النظر في آثار الهالكين

<table>
<tr>
<td>

رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴿١٠﴾ ولقد استهزئ
برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به
يستهزؤن ﴿١١﴾ قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف
كان عاقبة المكذبين ﴿١٢﴾ قل لمن ما في السموات والارض
قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيمة
لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ﴿١٣﴾
وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم
﴿١٤﴾ قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض
وهو يطعم ولا يطعم قل انى امرت ان اكون اول من
اسلم ولا تكونن من المشركين ﴿١٥﴾ قل انى اخاف ان
عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴿١٦﴾ من يصرف عنه يومئذ

</td>
<td>

قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا وهو سؤال تبكيت قل لله تقرير لهم
وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان يذكروا غيره كتب
على نفسه الرحمة التزمها تفضلا واحسانا والمراد بالرحمة ما يعم الدارين ومن ذلك
الهداية الى معرفته والعلم بتوحيده بنصب الادلة وانزال الكتب والامهال على الكفر
ليجمعنكم الى يوم القيمة استئناف وقسم للوعيد على اشراكهم واغفالهم النظر
اى ليجمعنكم في القبور مبعوثين الى يوم القيمة فيجازيكم على شرككم او في يوم القيمة
والى بمعنى في وقيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم وانعامه
عليكم لا ريب فيه في اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بتضييع رأس
مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم وموضع الذين نصب على الذم
او رفع على الخبر اى انتم الذين او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والفاء للدلالة
على ان عدم ايمانهم مسبب عن خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم
والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع عن
الايمان وله عطف على لله ما سكن في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي
كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم والمعنى ما اشتملا عليه او من
السكون اى ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الآخر وهو السميع
لكل مسموع العليم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ ويجوز ان يكون وعيدا للمشركين
على اقوالهم وافعالهم قل اغير الله اتخذ وليا انكار لاتخاذ غير الله وليا لا لاتخاذ
الولى فلذلك قدم واولى الهمزة والمراد بالولى المعبود لانه رد لمن دعاه الى الشرك
فاطر السموات والارض مبدعهما وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر حتى اتانى
اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتدأتها وجره على الصفة
لله فانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر وقرئ بالرفع والنصب على المدح وهو
يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وتخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه وقرئ
ولا يطعم بفتح الياء وبعكس الاول على ان الضمير لغير الله والمعنى كيف اشرك بمن
هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما للفاعل

</td>
</tr>
</table>

على ان الثاني من اطعم بمعنى استطعم او على معنى انه يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله يقبض ويبسط قل انى امرت ان اكون اول من اسلم لان النبى صلى الله عليه وسلم سابق امته
في الدين ولا تكونن من المشركين وقيل لى ولا تكونن ويجوز عطفه على قل قل انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم مبالغة اخرى في قطع اطماعهم وتعريض لهم
بانهم عصاة مستوجبون للعذاب والشرط معترض بين الفعل والمفعول به وجوابه محذوف دل عليه الجملة من يصرف عنه يومئذ اى يصرف العذاب عنه وقرأ حمزة
والكسائي ويعقوب وابو بكر عن عاصم يصرف على ان الضمير فيه لله وقد قرئ باظهاره والمفعول به محذوف او يومئذ بحذف المضاف

فقد

فقد رحمه بنجاة وانعم عليه وذلك الفوز المبين اى الصرف او الرحمة وان يمسسك الله بضر ببلية كمرض وفقر فلا كاشف له فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير بنعمة كصحة وغنى فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على حفظه وادامته فلا يقدر غيره على دفعه كقوله فلا راد لفضله وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في امره وتدبيره الخبير بالعباد وخفايا احوالهم قل اى شيء اكبر شهادة نزلت حين قال قريش يا محمد لقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك انك رسول الله والشيء يقع على كل موجود وقد سبق القول فيه في سورة البقرة قل الله اى الله اكبر شهادة ثم ابتدأ شهيد بيني وبينكم اى هو شهيد ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه تعالى اذا كان الشهيد كان اكبر شيء شهادة واوحى الى هذا القرآن لانذركم به اى بالقرآن واكتفى بذكر الانذار عن ذكر البشارة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة وسائر من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن بلغه الى يوم القيمة وهو دليل على ان احكام القرآن تعم الموجودين وقت نزوله ومن بعدهم وانه لا يؤاخذ بها من لم تبلغه ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد بما تشهدون قل انما هو اله واحد اى بل اشهد ان لا اله الا هو وانني بريء مما تشركون يعني الاصنام الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته المذكورة في التورية والانجيل كما يعرفون ابناءهم بحلاهم الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين فهم لا يؤمنون لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كقولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله او كذب بآياته كان كذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده بالغ غاية الافراط في الظلم على النفس انه الضمير للشان لا يفلح الظالمون فضلا عمن لا احد اظلم منه ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمضمر تهويلا للامر ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اى الهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقرأ يعقوب يحشر ويقول بالياء

فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ
بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ
شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ
وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُلْ
لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾
الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ
﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا

الذين كنتم تزعمون اى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان والمراد من الاستفهام التوبيخ ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها فى الساعة التى علقوا بها الرجاء فيها ويحتمل ان يشاهدوهم ولكن لما لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا اى كفرهم والمراد عاقبته وقيل معذرتهم التى يتوهمون ان يتخلصوا بها من فتنة الذهب اذا خلصته وقيل جوابهم وانما سماه فتنة لانه كذب اولانهم قصدوا به الخلاص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحفص لم تكن بالتاء وفتنتهم بالرفع على انها الاسم ونافع وابو عمرو وابو بكر عنه بالتاء والنصب على ان الاسم ان قالوا والتأنيث للخبر كقولهم من كانت امك والباقون بالياء والنصب والله ربنا ما كنا مشركين يكذبون ويحلفون عليه مع علمهم بانه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقيل معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وهو لا يوافق قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم اى بنفى الشرك عنها وحمله على كذبهم فى الدنيا فيه تعسف يخل بالنظم ونظير ذلك قوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقرأ حمزة والكسائى ربنا بالنصب على النداء او المدح وضل عنهم ما كانوا يفترون من الشركاء ومنهم من يستمع اليك حين تتلو القرآن والمراد ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم اجتمعوا فسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فقالوا للنضر ما يقول فقال والذى جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا يمنع من استماعه وقد مر تحقيق ذلك فى اول سورة البقرة وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حتى اذا جاؤك يجادلونك اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك يجادلونك وحتى هى التى تقع بعدها الجمل لا عمل لها والجملة اذا وجوابه وهو يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين فانه جعل اصدق الحديث خرافات الاولين غاية التكذيب ويجادلونك حال لمجيئهم ويجوز ان تكون الجارة واذا جاؤك فى موضع الجر ويجادلونك جواب ويقول تفسير له والاساطير الاباطيل جمع اسطورة او اسطارة او اسطار جمع سطر واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه اى ينهون الناس عن القرآن او الرسول والايمان به وينأون عنه بانفسهم او ينهون عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأون عنه فلا يؤمنون به كابى طالب وان يهلكون وما يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ان ضرره لا يتعداهم الى غيرهم ولو ترى اذ وقفوا على النار جوابه محذوف اى ولو تراهم حين يقفون على النار حتى يعاينوها او يطلعون عليها او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها لرأيت امرا شنيعا وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا للرجوع الى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين استئناف كلام منهم على وجه الاثبات كقولهم دعنى ولا اعود اى وانا لا اعود تركتنى او لم تتركنى او عطف على نرد او حال من الضمير فيه فيكونان فى حكم المتمنى وقوله وانهم لكاذبون راجع الى ما تضمنه التمنى من الوعد ونصبهما حمزة ويعقوب وحفص على الجواب باضمار ان بعد الواو واجراء لها مجرى الفاء وقرأ ابن عامر برفع الاول على العطف ونصب الثانى على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل الاضراب عن ارادة الايمان المفهوم من التمنى والمعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا ولو ردوا اى الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصى

أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٤﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم وقالوا عطف على لعادوا او على انهم لكاذبون او على نهوا او استئناف بذكر ما قالوه في الدنيا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير للحياة وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للسوال والتوبيخ وقيل معناه وقفوا على قضاء ربهم او جزائه وعرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه جواب قائل قال ماذا قال ربهم حينئذ والهمزة للتقريع على التكذيب والاشارة الى البعث وما يتبعه من الثواب والعقاب قالوا بلى وربنا اقرار مؤكد باليمين لانجلاء الامر غاية الانجلاء قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بسبب كفركم او ببدله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حتى اذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بغتة فجاة ونصبها على الحال او المصدر فانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا اى تعالى فهذا اوانك على ما فرطنا قصرنا فيها في الحيوة الدنيا اضمرت وان لم يجر ذكرها للعلم بها او في الساعة يعني في شانها والايمان بها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم تمثيل لاستحقاقهم آصار الآثام الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو اى وما اعمالها الا لعب ولهو تلهي الناس وتشغلهم عما يعقبه منفعة دائمة ولذة حقيقية وهو جواب لقولهم ان هي الا حياتنا الدنيا وللدار الآخرة خير للذين يتقون لدوامها وخلوص منافعها ولذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر ولدار الآخرة افلا يعقلون اى الامرين خير وقرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب بالتاء على خطاب المخاطبين به او تغليب الحاضرين على الغائبين قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون معنى قد زيادة الفعل وكثرته كما في قوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في انه للشان وقرئ ليحزنك من احزن فانهم لا يكذبونك في الحقيقة وقرأ نافع والكسائي لا يكذبونك من اكذبه اذا وجده كاذبا او نسبه الى الكذب ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بآيات الله ويكذبونها فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم او جحدوا لتمرنهم على الظلم والباء لتضمن الجحود معنى التكذيب روى ان ابا جهل كان يقول ما نكذبك وانك عندنا الصادق وانما نكذب ما جئتنا به فنزلت ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فصبروا على ما كذبوا واوذوا على تكذيبهم وايذائهم فتأس بهم واصبر حتى اتاهم نصرنا فيه ايماء بوعد النصر للصابرين ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين الآيات ولقد جاءك من نبإ المرسلين اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم

لَكَاذِبُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوٓا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ

وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ۘ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ

وان كان كبر عليك عظم وشق اعراضهم عنك وعن الايمان بما جئت به فان استطعت ان تبتغى نفقا فى الارض وسلما فى السماء فتاتيهم باية منفذا تنفذ فيه الى جوف الارض فتطلع لهم آية او مصعدا تصعد به الى السماء فتنزل منها اية وفى الارض صفة لنفقا وفى السماء صفة لسلما ويجوز ان يكونا متعلقين بتبتغى او حالين من المستكن وجواب الشرط الثانى محذوف تقديره فافعل والجملة جواب الاول والمقصود بيان حرصه البالغ على اسلام قومه وانه لو قدر ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى ولو شاء الله جمعهم على الهدى لوفقهم للايمان حتى يؤمنوا ولكن لم تتعلق به مشيئته فلا تتهالك عليه والمعتزلة اولوه بانه لو شاء الله لجمعهم على الهدى بان ياتيهم باية ملجئة ولكن لم يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين بالحرص على ما لا يكون والجزع فى مواطن الصبر فان ذلك من دأب الجهلة انما يستجيب الذين يسمعون انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتأمل كقوله او القى السمع وهو شهيد وهؤلاء كالموتى الذين لا يسمعون والموتى يبعثهم الله فيعلمهم حيث لا ينفعهم الايمان ثم اليه يرجعون للجزاء وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه اى اية مما اقترحوه او اية اخرى سوى ما انزل من الايات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قل ان الله قادر على ان ينزل اية مما اقترحوه او اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل او اية ان جحدوها هلكوا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره وقرا ابن كثير ينزل بالتخفيف والمعنى واحد وما من دابة فى الارض تدب على وجهها ولا طائر وقرئ بالرفع على المحل يطير بجناحيه فى الهواء وصفه به قطعا لمجاز السرعة ونحوها وقرئ ولا طائر بالرفع على المحل الا امم امثالكم محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل اية وجمع الامم للحمل على المعنى ما فرطنا فى الكتاب من شئ يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجرى فى العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه امر حيوان ولا جماد او القران فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا ومن مزيدة وشئ فى موضع المصدر لا المفعول به فان فرط لا يتعدى بنفسه وقد عدى بفى الى الكتاب وقرئ ما فرطنا بالتخفيف ثم الى ربهم يحشرون يعنى الامم كلها فينصف بعضها من بعض كما روى انه يأخذ للجماء من القرناء وعن ابن عباس حشرها موتها والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون مثل هذه الايات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا تتأثر به نفوسهم وبكم لا ينطقون بالحق فى الظلمات خبر ثالث اى خابطون فى ظلمات الكفر او فى ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى الخبر من يشأ الله يضلله من يشأ الله اضلاله يضلله وهو دليل واضح لنا على المعتزلة ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم بان يرشده الى الهدى ويحمله عليه قل ارايتكم استفهام وتعجيب والكاف حرف خطاب اكد به الضمير للتاكيد لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا كما قاله الكوفيون لعديت الفعل الى ثلاثة مفاعيل وللزم فى الاية ان يقال ارايتموكم بل الفعل معلق او المفعول محذوف تقديره ارايتكم آلهتكم تنفعكم اذ تدعونها وقرأ نافع ارايتكم وارايت وارايتم وافرايتم وافرايت اذا كان قبل الراء همزة بتسهيل الهمزة التى بعد الراء والكسائى يحذفها اصلا والباقون يحققون وحمزة اذا وقف وافق نافعا ان اتاكم عذاب الله كما اتى من قبلكم

اواتتكم الساعة وهولها ويدل عليه اغير الله تدعون وهو تبكيت لهم ان كنتم صادقين ان الاصنام آلهة وجوابه محذوف اى فادعوه بل اياه تدعون بل تخصونه
بالدعاء كما حكى عنهم فى مواضع وتقديم المفعول لافادة التخصيص فيكشف ماتدعون اليه اى ماتدعون الى كشفه ان شاء ان يتفضل عليكم ولايشاء فى الاخرة
وتنسون ماتشركون وتتركون الهتكم فى ذلك الوقت لما ركز فى العقول من انه القادر على كشف الضر دون غيره اوتنسونه من شدة الامر وهوله ولقد ارسلنا الى امم من قبلك
اى قبلك ومن زائدة فاخذناهم اى فكفروا وكذبوا المرسلين فاخذناهم بالباساء بالشدة والفقر والضراء الضر والآفات وهما صيغتا تانيث لامذكر لهما
لعلهم يتضرعون يتذللون لنا ويتوبون من ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام مايدعوهم ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون استدراك على المعنى وبيان للصارف لهم عن التضرع وانه لامانع لهم الاقساوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التى زينها
الشيطان لهم فلما نسوا ماذكروا به من البأساء والضراء ولم يتعظوا به
فتحنا عليهم ابواب كل شئ من انواع النعم مراوحة عليهم واستدراجا بين
نوبتى الضراء والسراء وامتحانا لهم بالشدة والرخاء الزاما للحجة وازاحة
للعلة اومكرا بهم لماروى انه عليه الصلاة والسلام قال مكر بالقوم ورب
الكعبة وقرأ ابن عامر فتحنا بالتشديد فى جميع القرآن ووافقه يعقوب فيما
عدا هذا والذى فى الاعراف حتى اذا فرحوا اعجبوا بما اوتوا من النعم
ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعمة عن المنعم والقيام بحقه اخذناهم
بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا
اى آخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اذا تبعه والحمد لله
رب العالمين على اهلاكهم فان هلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص
لاهل الارض من شؤم عقائدهم واعمالهم نعمة جليلة يحق ان يحمد عليها
قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اصمكم واعماكم وختم على قلوبكم
بان يغطى عليها مايزول به عقلكم وفهمكم من اله غير الله يأتيكم به اى بذلك
او بما اخذ وختم عليه او باحد هذه المذكورات انظر كيف نصرف الآيات
نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب والترهيب
وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين

أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿٤١﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٣﴾
فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ
وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا
ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا
بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٥﴾ فَقُطِعَ
دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ قُلْ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ

ثم هم يصدفون يعرضون عنها وثم لاستبعاد الاعراض بعد تصريف الايات وظهورها قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة من غير مقدمة او جهرة يتقدمها امارة تؤذن بحلوله وقيل ليلا او نهارا وقرئ بغتة وجهرة هل يهلك اى مايهلك به هلاك سخط وتعذيب الا القوم الظالمون ولذلك صح الاستثناء المفرغ منه وقرئ يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين المؤمنين بالجنة ومنذرين الكافرين بالنار ولم نرسلهم ليقترح عليهم ويتلهى بهم فمن آمن واصلح مايجب اصلاحه على ماشرع لهم فلاخوف عليهم من العذاب ولاهم يحزنون بفوت الثواب والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب جعل العذاب ماسا لهم كانه الطالب للوصول اليهم واستغنى بتعريفه عن التوصيف بماكانوا يفسقون بسبب خروجهم عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى خزائن الله مقدوراته اوخزائن رزقه ولا اعلم الغيب مالم يوح الى ولم ينصب عليه دليل وهو من جملة المقول ولا اقول لكم انى ملك اى من جنس الملائكة او اقدر على مايقدرون عليه ان اتبع الا مايوحى الى تبرأ من دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردا لاستبعادهم دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قل هل يستوى الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى او الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية ومدعى المستقيم كالنبوة افلا تتفكرون فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل او فتعلموا ان اتباع الوحى مما لامحيص عنه وانذر به الضمير لما يوحى الى الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم هم المؤمنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه ولى ولاشفيع فى موضع الحال من يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحال لعلهم يتقون لكى يتقوا ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى بعدما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم وان لايطردهم ترضية لقريش روى انهم قالوا لو طردت هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان جلسنا اليك وحادثناك فقال ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئناك قال نعم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون فدعا بالصحيفة وبعلى رضى الله تعالى عنه ليكتب فنزلت والمراد بذكر الغدوة والعشى الدوام وقيل صلاتا الصبح والعصر وقرأ ابن عامر بالغدوة هنا وفى الكهف يريدون وجهه حال من يدعون اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه ملاك الامر ورتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ اى ليس عليك حساب ايمانهم فلعل ايمانهم عند الله اعظم من ايمان من تطردهم بسؤالهم طمعا فى ايمانهم لو امنوا وليس عليك اعتبار بواطنهم واخلاصهم لما اتسموا بسيرة المتقين فان كان لهم باطن غير مرضى كما ذكره المشركون وطعنوا فى دينهم فحسابهم عليهم لايتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لايتعداك اليهم وقيل ما عليك من حساب رزقهم اى من فقرهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى لاتؤاخذ بحسابهم ولاهم بحسابك حتى يهمك ايمانهم بحيث تطرد المؤمنين طمعا فيه

ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَيكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٨﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ اٰمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللّٰهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ

فتطردهم فتبعدهم وهو جواب النفى فتكون من الظالمين جواب النهى ويجوز عطفه على فتطردهم على وجه التسبب وفيه نظر وكذلك فتنا بعضهم ببعض ومثل ذلك الفتن وهو اختلاف احوال الناس فى امور الدنيا فتنا اى ابتلينا بعضهم ببعض فى امر الدين فقدمنا هؤلاء الضعفاء على اشراف قريش بالسبق الى الايمان ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اى اهؤلاء من انعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا ونحن الاكابر والرؤساء وهم المساكين والضعفاء وهو انكار لان يخص هؤلاء من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة او للتعليل على ان فتنا متضمن معنى خذلنا اليس الله باعلم بالشاكرين بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا يقع منه فيخذله واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة الذين يؤمنون هم الذين يدعون ربهم وصفهم بالايمان بالقرآن واتباع الحجج بعدما وصفهم بالمواظبة على العبادة وامره بان يبدأ بالتسليم او يبلغ سلام الله اليهم ويبشرهم بسعة رحمته وفضله بعد النهى عن طردهم

عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ

ايذانا بانهم لجامعون لفضيلتى العلم والعمل ومن كان كذلك ينبغى ان يقرب ولا يطرد ويعز ولا يذل ويبشر من الله بالسلامة فى الدنيا والرحمة فى الآخرة وقيل ان قوما جاؤا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوء استئناف بتفسير الرحمة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالفتح على البدل منها بجهالة فى موضع الحال اى من عمل ذنبا جاهلا بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد كعمر رضى الله عنه فيما اشار اليه او ملتبسا بفعل الجهالة فان ارتكاب ما يؤدى الى الضرر من افعال اهل السفه والجهل ثم تاب من بعده من بعد العمل او السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود اليه فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاول غير نافع على اضمار مبتدأ او خبر اى فامره او فله غفرانه وكذلك ومثل ذلك التفصيل الواضح نفصل الآيات آيات القرآن فى صفة المطيعين والمجرمين المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين قرأه نافع بالتاء ونصب السبيل على معنى ولتستوضح يا محمد سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل وابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص عن عاصم برفعه على معنى ولتبين سبيلهم والباقون بالياء وبالرفع على تذكير السبيل فانه يذكر ويؤنث ويجوز ان يعطف على علة مقدرة اى نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين قل انى نهيت صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل على من الآيات فى امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون من دون الله عن عبادة ما تدعون من دون الله او ما تدعونها آلهة اى تسمونها قل لا اتبع اهواءكم تاكيد لقطع اطماعهم واشارة الى الموجب للنهى وعلة الامتناع عن متابعتهم واستجهال لهم وبيان لمبدأ ضلالهم وان ما هم عليه هوى وليس بهدى وتنبيه لمن تحرى الحق على ان يتبع الحجة ولا يقلد قد ضللت اذا اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وما انا من المهتدين اى وما انا فى شئ من الهدى حتى اكون من عدادهم وفيه تعريض بانهم كذلك قل انى على بينة تنبيه على ما يجب اتباعه بعد ما بين ما لا يجوز اتباعه والبينة الدلالة الواضحة التى تفصل الحق من الباطل وقيل المراد بها القرآن والوحى او الحجج العقلية او ما يعمها من ربى من معرفته وانه لا معبود سواه ويجوز ان يكون صفة لبينة وكذبتم به الضمير لربى اى كذبتم به حيث اشركتم به غيره او للبينة باعتبار المعنى ما عندى ما تستعجلون به يعنى العذاب الذى استعجلوه بقولهم فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ان الحكم الا لله فى تعجيل العذاب وتأخيره يقص الحق اى القضاء الحق او يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها فيما يقضى من تعجيل وتاخير واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه منع الباطل وقرأ ابن كثير ونافع وعاصم يقص من قص الاثر او قص الخبر وهو خير الفاصلين القاضين قل لو ان عندى اى فى قدرتى ومكنتى ما تستعجلون به من العذاب

لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾

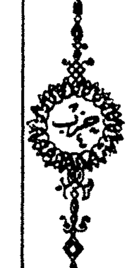
لقضى الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وانقطع ما بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قال ولكن الامر الى الله وهو اعلم بمن ينبغي ان يؤخذ وبمن ينبغي ان يمهل منهم وعنده مفاتح الغيب خزائنه جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح الذي هو جمع مفتح بالكسر وهو المفتاح ويؤيده انه قرئ مفاتيح والمعنى انه المتوصل الى المغيبات المحيط علمه بها لا يعلمها الا هو فيعلم اوقاتها وما في تعجيلها وتأخيرها من الحكم فيظهرها على ما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته وفيه دليل على انه تعالى يعلم الاشياء قبل وقوعها ويعلم ما في البر والبحر عطف للاخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به وما تسقط من ورقة الا يعلمها مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس معطوفات على ورقة وقوله الا في كتاب مبين بدل من الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب المبين علم الله او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح وقرئت بالرفع للعطف على محل من ورقة او رافعا على الابتداء والخبر الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفيكم بالليل ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز فان اصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار كسبتم فيه خص الليل بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثم يبعثكم ثم يوقظكم اطلق البعث ترشيحا للتوفي فيه في النهار ليقضى اجل مسمى ليبلغ المتيقظ آخر اجله المسمى له في الدنيا ثم اليه مرجعكم بالموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه وقيل الآية خطاب للكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للآثام بالنهار وانه تعالى مطلع على اعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضى الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم بالحساب ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملائكة تحفظ اعمالكم وهم الكرام الكاتبون والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله تكتب عليه وتعرض على رؤس الاشهاد كان ازجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت واعوانه وقرأ حمزة توفاه بالف ممالة وهم لا يفرطون بالتواني والتأخير وقرئ بالتخفيف والمعنى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة ونقصان ثم ردوا الى الله الى حكمه وجزائه مولاهم الذي يتولى امرهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ لا حكم لغيره فيه وهو اسرع الحاسبين يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر من شدائدهما استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتهما في الهول وابطال الابصار فقيل لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب او من الخسف في البر والغرق في البحر وقرأ يعقوب ينجيكم بالتخفيف والمعنى واحد تدعونه تضرعا وخفية معلنين ومسرين او اعلانا واسرارا وقرئ خفية بالكسر لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول اي تقولون لئن انجيتنا وقرأ الكوفيون لئن انجانا ليوافق قوله تدعونه وهذه اشارة الى الظلمة

قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٦﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٧﴾ لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٧٠﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ

قل الله ينجيكم منها شدده الكوفيون وهشام وخففه الباقون ومن كل كرب غم سواها ثم انتم تشركون تعودون الى الشرك ولا توفون بالعهد وانما وضع تشركون موضع لا تشكرون تنبيها على ان من اشرك في عبادة الله تعالى فكانه لم يعبده رأسا قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما فعل بقوم نوح ولوط واصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم اكابركم وحكامكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى فينشب القتال بينكم قال وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي ويذيق بعضكم بأس بعض يقاتل بعضكم بعضا انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد لعلهم يفقهون وكذب به قومك اى بالعذاب او بالقرآن وهو الحق الواقع لا محالة او الصدق قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب واجازيكم انما انا منذر والله الحفيظ لكل نبإ خبر يريد به اما العذاب والايعاد به مستقر وقت استقرار ووقوع وسوف تعلمون عند وقوعه في الدنيا او في الاخرة واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره اعاد الضمير على معنى الايات لانها القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهى وقرا ابن عامر ينسينك بالتشديد فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان تذكره مع القوم الظالمين اى معهم فوضع الظاهر موضعه دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام وما على الذين يتقون وما يلزم المتقين من قبائح اعمالهم واقوالهم الذين يجالسونهم من حسابهم من شئ شئ مما يحاسبون عليه من قبائح اعمالهم واقوالهم ولكن ذكرى ولكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويمنعوهم عن الخوض وغيره من القبائح ويظهروا كراهتها وهو يحتمل النصب على المصدر والرفع على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز عطفه على محل من شئ لان من حسابهم يأباه ولا على شئ لذلك ولان من لا تزاد بعد الاثبات لعلهم يتقون يجتنبون ذلك حياء او كراهة لمساءتهم ويحتمل ان يكون الضمير للذين يتقون والمعنى لعلهم يثبتون على تقويهم ولا تنثلم بمجالستهم روى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزأوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف فنزلت وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اى بنوا امر دينهم على التشهى وتدينوا بما لا يعود عليهم بنفع عاجلا وآجلا كعبادة الصنم وتحريم البحائر والسوائب او اتخذوا دينهم الذى كلفوه لعبا ولهوا حيث سخروا به او جعلوا عيدهم الذى جعل ميقات عبادتهم زمان لهو ولعب والمعنى اعرض عنهم ولا تبال بافعالهم واقوالهم ويجوز ان يكون تهديدا لهم كقوله تعالى ذرنى ومن خلقت وحيدا ومن جعله منسوخا باية السيف حمله على الامر بالكف عنهم وترك التعرض لهم وغرتهم الحيوة الدنيا حتى انكروا البعث وذكر به اى بالقرآن ان تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك وترهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام

ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع يدفع عنها العذاب وان تعدل كل عدل وان تفد كل فداء والعدل الفدية لانها تعادل المفدى وههنا الفداء وكل نصب على المصدرية لا يؤخذ منها الفعل مسند الى منها لا الى ضميره بخلاف قوله ولا يؤخذ منها عدل فانه المفدى به اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اى اسلموا الى العذاب بسبب اعمالهم القبيحة وعقائدهم الزائغة لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون تاكيد وتفصيل لذلك والمعنى هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم ونار تشتعل بابدانهم بسبب كفرهم قل اندعوا انعبد من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا وضرنا ونرد على اعقابنا ونرجع الى الشرك بعد اذ هدينا الله فانقذنا منه ورزقنا الاسلام كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن الى المهامه استفعال من هوى يهوي هويا اذا ذهب وقرأ حمزة استهواه بالف ممالة ومحل الكاف النصب على الحال من فاعل نرد اى مشبهين بالذي استهوته او على المصدر اى ردا مثل ردا الذي استهوته في الارض حيران متحيرا ضالا عن الطريق له اصحاب لهذا المستهوى رفقة يدعونه الى الهدى اى يهدونه الطريق المستقيم او الى الطريق المستقيم وسماه هدى تسمية للمفعول بالمصدر ائتنا يقولون له ائتنا قل ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى وحده وما عداه ضلال وامرنا لنسلم لرب العالمين من جملة المقول عطف على ان هدى الله واللام لتعليل الامر اى امرنا بذلك لنسلم وقيل هي بمعنى الباء وقيل هي زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم اى للاسلام ولاقامة الصلوة او على موقعه كانه قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا الصلوة روي ان عبد الرحمن بن ابي بكر دعا اباه الى عبادة الاوثان فنزلت وعلى هذا كان امر الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا القول اجابة عن الصديق تعظيما لشأنه واظهارا للاتحاد الذي كان بينهما وهو الذي اليه تحشرون يوم القيمة وهو الذي خلق السموات والارض بالحق قائما بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق جملة اسمية قدم فيها الخبر اى قوله الحق يوم يقول كقولك القتال يوم الجمعة والمعنى انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ في الكائنات وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او الهاء في واتقوه او بمحذوف دل عليه بالحق وقوله الحق مبتدأ وخبر او فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اى لقضائه كن فيكون والمراد حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها وله الملك يوم ينفخ في الصور كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالم الغيب وهو الحكيم الخبير كالفذلكة للاية واذ قال ابرهيم لابيه آزر هو عطف بيان لابيه وفي كتب التواريخ ان اسمه تارح فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل العلم تارح وآزر وصف معناه الشيخ او المعوج ولعل منع صرفه لانه اعجمي حمل على موازنه او نعت مشتق من الازر او الوزر والاقرب انه علم اعجمي على فاعل كعابر وشالخ وقيل اسم صنم يعبده فلقب به للزوم عبادته او اطلق عليه بحذف المضاف وقيل المراد به الصنم ونصبه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى تعبد آزر ثم قال

بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ
كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا
لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾
قُلْ أَنَدْعُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ
أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِي ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَاطِينُ
فِي ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾
وَأَنْ أَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَٱتَّقُوهُ وَهُوَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾
وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ
فَيَكُونُ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ
عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ



اتتخذ اصناما الهة تفسيرا وتقرير ويدل عليه ان قرئ ازرا تتخذ اصناما بفتح همزة ازر وكسرها وهو اسم صنم وقرا يعقوب بالضم على النداء وهو يدل على انه علم
انى اراك وقومك فى ضلال عن الحق مبين ظاهر الضلالة وكذلك نرى ابرهيم ومثل هذا التبصير نبصره وهو حكاية حال ماضية وقرئ ترى
بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية ملكوت السموات والارض ربوبيتها وملكها وقيل عجائبها وبدائعها والملكوت اعظم الملك والتاء
فيه للمبالغة وليكون من الموقنين اى ليستدل وليكون او وفعلنا ذلك ليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربى تفصيل وبيان لذلك وقيل عطف
على قال ابرهيم وكذلك نرى اعتراض فان اباه وقومه كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فاراد ان ينبههم على ضلالتهم ويرشدهم الى الحق من طريق النظر والاستدلال
وجن عليه الليل ستره بظلامه والكوكب كان الزهرة او المشترى وقوله هذا ربى على سبيل الوضع فان المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكر عليه
بالافساد او على وجه النظر والاستدلال وانما قاله زمان مراهقته
او اول اوان بلوغه فلما افل اى غاب قال لا احب الافلين فضلا عن عبادتهم
فان الانتقال والاحتجاب بالاستار يقتضى الامكان والحدوث وينافى الالوهية
فلما راى القمر بازغا مبتدأ فى الطلوع قال هذا ربى فلما افل قال لئن لم
يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين استعجز نفسه واستعان بربه
فى درك الحق فانه لا يهتدى اليه الا بتوفيقه ارشادا لقومه وتنبيها لهم
على ان القمر ايضا لتغير حاله لا يصلح للالوهية وان من اتخذه الها فهو ضال
فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى ذكر اسم الاشارة لتذكير الخبر وصيانة
للرب عن شبهة التانيث هذا اكبر كبره استدلالا او اظهارا لشبهة الخصم
فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون من الاجرام المحدثة المحتاجة
الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما تختص به ثم لما تبرأ منها توجه
الى موجدها ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال انى وجهت
وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وانما
احتج بالافول دون البزوغ مع انه ايضا انتقال لتعدد دلالته ولانه رأى
الكوكب الذى يعبدونه فى وسط السماء حين حاول الاستدلال
وحاجه قومه وخاصموه فى التوحيد قال اتحاجونى فى الله فى وحدانيته
وقرا نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدان الى توحيده ولا اخاف
ما تشركون به اى لا اخاف معبوداتكم فى وقت لانها لا تضر بنفسها ولا
تنفع الا ان يشاء ربى شيئا ان يصيبنى بمكروه من جهتها ولعله جواب
لتخويفهم اياه من آلهتهم وتهديد لهم بعذاب الله وسع ربى كل شئ علما
كانه علة الاستثناء اى احاط به علما فلا يبعد ان يكون فى علمه ان يحيق بى
مكروه من جهتها افلا تتذكرون فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر
والعاجز

إِبْرٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرٰىكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ وَكَذٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ الْأٰفِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّى هٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى اللّٰهِ وَقَدْ هَدٰىنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ

وكيف اخاف ما اشركتم ولايتعلق به ضر ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهوحقيق بان يخاف منه كل الخوف لانه اشراك للمصنوع بالصانع وتسوية بين المقدور العاجز والقادر والضار والنافع مالم ينزل به عليكم سلطانا مالم ينزل باشراكه كتابا اولم ينصب عليه دليلا فاى الفريقين احق بالامن اى الموحدون او المشركون وانما لم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه ان كنتم تعلمون مايحق ان يخاف منه الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استئناف منه او من الله بالجواب عما استفهم عنه والمراد بالظلم هنا الشرك لما روى ان الاية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلوة والسلام ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يابنى لاتشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس الايمان به ان تصدق بوجود الصانع الحكيم وتخلط بهذا التصديق الاشراك به وقيل المعصية وتلك اشارة الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون او من قوله اتحاجونى اليه حجتنا اتيناها ابرهيم ارشدناه اليها وعلمناه اياها على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبر تلك وبمحذوف ان جعل بدلا اى اتيناها ابرهيم حجة على قومه نرفع درجات من نشاء فى العلم والحكمة وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين ان ربك حكيم فى رفعه وخفضه عليم بحال من يرفعه واستعداده له ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا اى كلا منهما ونوحا هدينا من قبل من قبل ابرهيم عدهداه نعمة على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم فلوكان لابرهيم لختص البيان بالمعدودين فى تلك الاية والتى بعدها والمذكورون فى الاية الثالثة عطف على نوحا داود وسليمان وايوب وايوب بن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين اى ونجزى المحسنين جزاء مثل ما جزينا ابرهيم برفع درجاته وكثرة اولاده والنبوة فيهم وزكريا ويحيى وعيسى هو ابن مريم وفى ذكره دليل على ان الذرية تتناول اولاد البنت والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى كل من الصالحين الكاملين فى الصلاح وهو الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لاينبغى واسمعيل واليسع هو اليسع بن اخطوب وقرأ حمزة والكسائى والليسع وعلى القراءتين علم اعجمى ادخل عليه اللام كما ادخل اليزيد فى قوله رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله ويونس هو يونس بن متى ولوطا هو ابن هاران ابن اخى ابرهيم وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة وفيه دليل فضلهم على من عداهم من الخلق ومن اباءهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا او نوحا اى فضلنا كلا منهم او هدينا هؤلاء وبعض اباءهم وذرياتهم واخوانهم فان منهم من لم يكن نبيا ولا مهديا واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه

وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٤﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ

إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٨﴾ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ
مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٩﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن
يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ
﴿٩٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ
الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُ
قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ
وَلَا آبَاؤُكُمْ ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٢﴾ وَهَٰذَا
كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ

ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا به يهدى به من يشاء من عباده دليل على انه متفضل بالهداية ولو اشركوا اى ولو اشرك هؤلاء الانبياء مع فضلهم وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم بسقوط ثوابها اولئك الذين اتيناهم الكتاب يريد به الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة والرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثلاثة هؤلاء يعنى قريشا فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين وهم الانبياء المذكورون ومتابعوهم وقيل هم الانصار واصحاب النبى صلى الله عليه وسلم او كل من آمن به او الفرس وقيل الملائكة اولئك الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فاختص طريقهم بالاقتداء والمراد بهداهم ما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التأسى بهم جميعا فليس فيه دليل على انه عليه السلام متعبد بشرع من قبله والهاء فى اقتده للوقف ومن اثبتها فى الدرج ساكنة كابن كثير ونافع وابى عمرو وعاصم اجرى الوصل مجرى الوقف ويحذف الهاء فى الوصل خاصة حمزة والكسائى واشبعها ابن عامر برواية ابن ذكوان على انها كناية المصدر ويكسر الهاء بغير اشباع برواية هشام قل لا اسئلكم عليه اى على التبليغ او القران اجرا جعلا من جهتكم كما لم يسال من قبلى من النبيين وهذا من جملة ما امر بالاقتداء بهم فيه ان هو اى التبليغ او القرآن او الغرض الا ذكرى للعالمين الا تذكيرا وموعظة لهم وما قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة والانعام على العباد اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ حين انكروا الوحى وبعثة الرسل وذلك من عظائم رحمته وجلائل نعمته او فى السخط على الكفار وشدة البطش بهم حين جسروا على هذه المقالة والقائلون هم اليهود قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن بدليل نقض كلامهم والزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وقراءة الجمهور بالتاء وانما قرأ بالياء ابن كثير وابو عمرو حملا على قالوا وما قدروا وتضمين ذلك توبيخهم على سوء جهلهم بالتورية وذمهم على تجزئتها بابداء بعض ما انتخبوه وكتبوه فى ورقات متفرقة واخفاء بعض لا يشتهونه روى ان مالك ابن الصيف قاله لما اغضبه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين قال نعم قال فانت الحبر السمين وقيل هم المشركون والزامهم بانزال التورية لانه كان من المشهورات الذائعة عندهم ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليكم وعلى ابائكم الذين كانوا اعلم منكم ونظيره ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش قل الله اى انزله الله او الله انزله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين لا يمكن غيره وتنبيها على انهم بهتوا بحيث لا يقدرون على الجواب ثم ذرهم فى خوضهم فى اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يلعبون حال من هم الاول والظرف صلة ذرهم او يلعبون او حال من مفعوله او فاعل يلعبون او من هم الثانى والظرف متصل بالاول وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفائدة والنفع مصدق الذى بين يديه يعنى التورية او الكتب التى قبله

ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولتنذر او علة محذوف اى ولتنذر اهل ام القرى انزلناه وانما سميت مكة بذلك لانها قبلة اهل القرى ومحجهم ومجتمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها مكان اول بيت وضع للناس وقرأ ابو بكر عن عاصم بالياء اى لينذر الكتاب ومن حولها اهل المشرق والمغرب والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالنبى والكتاب والضمير يحتملهما ويحافظ على الطاعة وتخصيص الصلاة لانها عماد الدين وعلم الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم انه بعثه نبيا كمسيلمة و الاسود العنسى او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحى ومتابعيه اوقال اوحى الى ولم يوح اليه شئ كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ قوله ثم انشاناه خلقا آخر قال عبد الله فتبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان فقال عليه السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين فى غمرات الموت شدائده من غمره الماء اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم كالمتقاضى الملظ او بالعذاب اخرجوا انفسكم اى يقولون لهم اخرجوها الينا من اجسادكم تغليظا وتعنيفا عليهم او اخرجوها من العذاب وخلصوها من ايدينا اليوم يريد به وقت الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون اى الهوان يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهون لعراقته وتمكنه فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد والشريك له ودعوى النبوة والوحى كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتأملون فيها ولا تؤمنون ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وسائر ما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاوثان التى زعمتم انها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتأنيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل منه اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد او حال ثانية ان جوز التعدد فيها او حال من الضمير فى فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كما خلقناكم وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا ولم تحتملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء الله فى ربوبيتكم واستحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم اى تقطع وصلكم وتشتت جمعكم والبين من الاضداد يستعمل للوصل والفصل وقيل هو الظرف اسند اليه الفعل اتساعا والمعنى وقع التقطع بينكم ويشهد له قراءة نافع والكسائى وحفص عن عاصم بالنصب على اضمار الفاعل لدلالة ما قبله عليه او اقيم مقام موصوفه واصله لقد تقطع ما بينكم وقد قرئ به وضل عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وقيل المراد به الشقاق الذى فى الحنطة والنواة يخرج الحى يريد به ما ينمو من الحيوان والنبات ليطابق ما قبله من الميت مما لا ينمو كالنطف والحب

أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ

ويخرج الميت من الحى ومخرج ذلك من الحيوان والنبات ذكره بلفظ الاسم حملا على فالق الحب فان قوله يخرج الحى واقع موقع البيان له ذلكم الله اى ذلكم المحيى المميت هو الذى يحق له العبادة فانى تؤفكون تصرفون عنه الى غيره فالق الاصباح شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار او شاق ظلمة الاصباح وهو الغبش الذى يليه والاصباح فى الاصل مصدر اصبح اذا دخل فى الصباح سمى به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على الجمع وقرئ فالق بالنصب على المدح وجاعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استئناسا به او يسكن فيه الخلق من قوله لتسكنوا فيه ونصبه بفعل دل عليه جاعل لا به فانه فى معنى الماضى ويدل عليه قراءة الكوفيين وجعل الليل حملا على معنى المعطوف عليه فان فالق بمعنى فلق ولذلك قرئ به او به على ان المراد منه جعل مستمر فى الازمنة المختلفة وعلى هذا يجوز ان يكون والشمس والقمر عطفا على محل الليل ويشهد له قراءتهما بالجر والاحسن نصبهما بجعل مقدرا وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى

مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة تحسب بهما الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب وقيل جمع حساب كشهاب وشهبان ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اى ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذى قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص العليم بتدبيرهما والانفع من التداوير الممكنة لهما وهو الذى جعل لكم النجوم خلقها لكم لتهتدوا بها فى ظلمات البر والبحر فى ظلمات الليل فى البر والبحر واضافتها اليهما للملابسة او فى مشتبهات الطرق وسماها ظلمات على الاستعارة وهو افراد لبعض منافعها بالذكر بعد ما اجملها بقوله لكم قد فصلنا الايات بيناها فصلا فصلا لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به وهو الذى انشأكم من نفس واحدة هو آدم عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار فى الاصلاب او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر القاف على انه اسم فاعل والمستودع اسم مفعول اى فمنكم قار ومنكم مستودع لان الاستقرار منا دون الاستيداع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون ذكر مع ذكر النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر تخليق بنى آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنة وتدقيق نظر وهو الذى انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء فاخرجنا على تلوين الخطاب به بالماء نبات كل شئ نبت كل صنف من النبات والمعنى اظهار القدرة فى انبات الانواع المفننة بماء واحد كما فى قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل فاخرجنا منه من النبات او الماء خضرا شيئا اخضر يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو الخارج من الحبة المتشعب نخرج منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان اى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان ويجوز ان يكون من النخل خبر قنوان ومن طلعها بدل منه والمعنى وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق

جمع قنو كصنوان جمع صنو وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع اذ ليس فعلان من ابنية الجمع دانية قريبة من المتناول او ملتفة قريب بعضها من بعض وانما اقتصر على ذكرها من مقابلها لدلالتها عليه وزيادة النعمة فيها وجنات من اعناب عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثم جنات او من الكرم جنات ولا يجوز عطفه على قنوان اذ العنب لا يخرج من النخل والزيتون والرمان ايضا عطف على نباتا او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم مشتبها وغير متشابه حال من الرمان او من الجميع اى بعض ذلك متشابه وبعضه غير متشابه فى الهيئة والقدر والطعم واللون انظروا الى ثمره اى ثمر كل واحد من ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الثاء والميم وهو جمع ثمرة كخشبة وخشب او ثمار ككتاب وكتب اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وينعه والى حال نضجه او الى نضجه كيف يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهو لغة فيه ويانعه

ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون لايات على وجود القادر الحكيم وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المفننة من اصل واحد ونقلها من حال الى حال لايكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من احوالها ولا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وجعلوا لله شركاء الجن اى الملائكة بان عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم او الشياطين لانهم اطاعوهم كما يطاع الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا لله شركاء والجن بدل من شركاء او شركاء الجن ولله متعلق بشركاء او حال منه وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال بتقدير قد والمعنى وقد علموا ان الله خالقهم دون الجن وليس من يخلق كمن لا يخلق وقرئ وخلقهم عطفا على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم للافك

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا

حيث نسبوه اليه وخرقوا له افتعلوا وافتروا له وقرأ نافع بتشديد الراء للتكثير وقرئ وحرفوا اى وزوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوا ويروا عليه دليلا وهو في موضع الحال من الواو او المصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون وهو ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها او الى الظرف كقولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما وقيل معناه المبدع وقد سبق الكلام فيه ورفعه على الخبر والمبتدأ محذوف او على الابتداء وخبره انى يكون له ولد اى من اين او كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة يكون منها الولد وقرئ بالياء للفصل ولان الاسم ضمير الله او ضمير الشان وخلق كل شئ وهو بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وانما لم يقل به لتطرق التخصيص الى الاول وفي الاية استدلال على نفي الولد من وجوه الاول ان من مبدعاته السموات والارضون وهي مع انها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها وطول مدتها فهو اولى بان يتعالى عنها والثانى ان المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وانثى متجانسين والله تعالى منزه عن المجانسة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له بوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه فلا يكافئه والثانى انه لذاته عالم بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذلكم اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات وهو مبتدأ الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شئ اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض بدلا او صفة والبعض خبرا فاعبدوه حكم مسبب عن مضمونها فان من استجمع هذه الصفات استحق العبادة وهو على كل شئ وكيل اى وهو مع تلك الصفات متولى اموركم فكلوها اليه وتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها لا تدركه اى لا تحيط به الابصار جمع بصر وهو حاسة النظر وقد يقال للعين من حيث انها محلها واستدل به المعتزلة على امتناع الرؤية

وهو ضعيف لانه ليس الادراك مطلق الرؤية ولا النفي في الاية عاما في الاوقات فلعله مخصوص ببعض الحالات ولا في الاشخاص فانه في قوة قولنا لا كل بصر يدركه مع ان النفي لا يوجب الامتناع وهو يدرك الابصار يحيط علمه بها وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار كالابصار ويجوز ان يكون من باب اللف اى لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للنفس كالبصر للبدن سميت بها الدلالة لانها تجلى لها الحق وتبصرها به فمن ابصر اى ابصر الحق وآمن به فلنفسه ابصر لان نفعه لها ومن عمى عن الحق وضل فعليها وباله وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وهذا كلام ورد على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف الايات ومثل ذلك التصريف نصرف وهو اجراء المعنى الدائر في المعانى المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشئ من حال الى حال

وليقولوا درست اى وليقولوا درست صرفنا واللام لام العاقبة والدرس القراءة والتعلم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دارست اى دارست اهل الكتاب وذاكرتهم وابن عامر ويعقوب درست من الدروس اى قدمت هذه الايات وعفت كقولهم اساطير الاولين وقرئ درست بضم الراء مبالغة في درست ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفت ودارست بمعنى درست او دارست اليهود محمدا وجاز اضمارهم بلا ذكر لشهرتهم بالدارسة ودرسن اى عفون ودرس اى درس محمد ودارسات اى قديمات اوذات درس كقوله في عيشة راضية ولنبينه اللام على اصله لان التبيين مقصود التصريف والضمير للايات باعتبار المعنى او للقران وان لم يذكر لكونه معلوما او للمصدر لقوم يعلمون فانهم المنتفعون به اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به لا اله الا هو اعتراض أكد به ايجاب الاتباع او حال مؤكدة من ربك بمعنى منفردا في الالوهية واعرض عن المشركين ولا تحتفل باهوائهم ولا تلتفت الى رائهم ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله

وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٠﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١١﴾ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ

توحيدهم وعدم اشراكهم ما اشركوا وهو دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر وان مراده واجب الوقوع وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل تقوم بامورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى ولا تذكروا آلهتهم التي يعبدونها بما فيها من القبائح فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به وقرأ يعقوب عدوا يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعداء وعدوانا روي انه عليه السلام كان يطعن في آلهتهم فقالوا لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك فنزلت وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى وفيه دليل على ان الطاعة اذا ادت الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز تخصيص العمل بالشر وكل امة بالكفرة لان الكلام فيهم والمشبه به تزيين سب الله لهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون بالمحاسبة والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال والداعي لهم الى هذا القسم والتاكيد فيه التحكم على الرسول عليه الصلوة والسلام في طلب الايات واستحقار ما رأوا منها لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الايات عند الله هو قادر عليها يظهر منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي وارادتي وما يشعركم وما يدريكم استفهام انكار انها اي ان الاية المقترحة اذا جاءت لا يؤمنون اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بخلاف عنه عن عاصم ويعقوب انها بالكسر كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بما علم منهم والخطاب للمؤمنين فانهم يتمنون مجيء الاية طمعا في ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرأ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم فيكون انكارا لهم على حلفهم اى وما يشعرهم ان قلوبهم



حينئذ لم تكن مطبوعة كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الايات فيؤمنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون اى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا به اى بما انزل من الايات اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون وندعهم متحيرين لا نهديهم هداية المؤمنين وقرئ ويقلب ويذرهم على الغيبة وتقلب على البناء للمفعول والاسناد الى الافئدة ولو اننا نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا كما اقترحوا فقالوا لولا انزل علينا الملئكة فأتوا بآبائنا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وقبلا جمع قبيل بمعنى كفيل اى كفلاء بما بشروا به وانذروا به او جمع قبيل الذي هو جمع قبيلة بمعنى جماعات او مصدر بمعنى مقابلة كقبلا وهو قراءة نافع وابن عامر وهو على الوجوه حال من كل وانما جاز ذلك لعمومه ما كانوا ليؤمنوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر الا ان يشاء الله استثناء من اعم الاحوال اى لا يؤمنون في حال الا حال مشيئة الله تعالى ايمانهم وقيل منقطع وهو حجة واضحة على المعتزلة ولكن اكثرهم يجهلون انهم لو اوتوا بكل اية لم يؤمنوا فيقسمون بالله

جهدايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون نزول الاية طمعا في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا اى كما جعلنا لك عدو لجعلنا لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شياطين الانس والجن مردة الفريقين وهو بدل من عدوا او
اول مفعولى جعلنا وعدوا مفعوله الثاني ولكل متعلق بها او حال منه يوحى بعضهم الى بعض يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض
زخرف القول الاباطيل المموهة من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له او مصدر في موقع الحال ولو شاء ربك ايمانهم ما فعلوه اى ما فعلوا ذلك يعنى معاداة الانبياء
وايحاء الزخارف ويجوز ان يكون الضمير للايحاء او الزخرف او الغرور وهو ايضا دليل على المعتزلة فذرهم وما يفترون وكفرهم ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة
عطف على غرورا ان جعل علة او متعلق بمحذوف اى وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا والمعتزلة لما اضطروا فيه قالوا اللام لام العاقبة او لام القسم كسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون

وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٦﴾ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ

اولام الامر وضعفه ظاهر والصغو الميل والضمير لما له الضمير في فعلوه وليرضوه
لانفسهم وليقترفوا وليكتسبوا ما هم مقترفون من الاثام افغير الله
ابتغى حكما على ارادة القول اى قل لهم يا محمد افغير الله اطلب من يحكم بيني وبينكم
ويفصل المحق منا من المبطل وغير مفعول ابتغى وحكما حال منه ويحتمل عكسه وحكما
ابلغ من حاكم ولذلك لا يوصف به غير العادل وهو الذى انزل اليكم الكتاب القران
المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفى التخليط والالتباس وفيه
تنبيه على ان القران باعجازه وتقريره مغن عن سائر الايات والذين اتيناهم الكتاب
يعلمون انه منزل من ربك بالحق تاييد لدلالة الاعجاز على ان القران حق منزل من
عند الله يعلم اهل الكتاب به لتصديقه ما عندهم مع انه عليه الصلوة والسلام لم يمارس
كتبهم ولم يخالط علماءهم وانما وصف جميعهم بالعلم لان اكثرهم يعلمون ومن لم يعلم فهو
متمكن منه بادنى تأمل وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم
منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود
اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله ولا تكونن من المشركين او خطاب الرسول صلى الله
عليه وسلم خطاب الامة وقيل الخطاب لكل احد على معنى ان الادلة لما تعاضدت على صحته فلا
ينبغى لاحد ان يمترى فيه وتمت كلمت ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده
صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام ونصبهما يحتمل التمييز
والحال والمفعول له لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل او لا احد
يقدر ان يحرفها شائعا ذائعا كما فعل بالتورية او على ان المراد بها القران فيكون ضمانا لها من الله
تعالى بالحفظ كقوله وانا له لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها ويبدل احكامها وقرأ
الكوفيون ويعقوب كلمة ربك اى ما تكلم به او القران وهو السميع لما يقولون العليم
بما يضمرون فلا يهملهم وان تطع اكثر من في الارض اى اكثر الناس يريد الكفار وجهال
اتباع الهوى وقيل الارض ارض مكة يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه فان
الضال في غالب الامر لا يامر الا بما فيه ضلال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم
كانوا على الحق او جهالاتهم واراءهم الفاسدة فان الظن يطلق على ما يقابل العلم وان هم

الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر او يقدرون انهم على شئ وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين
ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اى اعلم بالفريقين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اعلم لا به فان افعل لا ينصب الظاهر في مثل
ذلك او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها الفعل المقدر وقرئ من يضل اى يضله الله فتكون من منصوبة بالفعل المقدر او مجرورة باضافة
اعلم اليه اى اعلم المضلين من قوله تعالى من يضلل الله او من اضللته اذا وجدته ضالا والتفضيل في العلم بكثرته واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات
لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم
غيره او مات حتف انفه

ان كنتم

ان كنتم باياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضى استباحة ما احله الله واجتناب ما حرّمه وما لكم ان لا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واى غرض لكم فى ان تتحرجوا عن اكله وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرّم عليكم مما لم يحرّم بقوله حرّمت عليكم الميتة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر فصل على البناء للمفعول ونافع ويعقوب وحفص حرّم على البناء للفاعل الا ما اضطررتم اليه مما حرّم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال قرأه الكوفيون بضم الياء والباقون بالفتح باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين بالمجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن به وما يسرّ او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنى فى الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكتسبون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر فى تحريم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد مثله وقال مالك والشافعى بخلافه لقوله عليه الصلوة والسلام

بِاٰيَاتِهٖ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَمَا لَكُمْ اَلَّا تَاْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ اِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ اِلَيْهِ وَاِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِاَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ اِنَّ رَبَّكَ هُوَ اَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١٢٠﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنَهُ اِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْاِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢١﴾ وَلَا تَاْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّٰهِ عَلَيْهِ وَاِنَّهُ لَفِسْقٌ وَاِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ اِلٰى اَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَاِنْ اَطَعْتُمُوهُمْ اِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢٢﴾ اَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَاَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهٖ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ اَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ

ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليها وفرق ابو حنيفة بين العمد والنسيان واوّلوه بالميتة او بما ذكر اسم غيره عليه لقوله وانه لفسق فانّ الفسق ما اهل لغير الله به والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل الذى دل عليه لا تأكلوا وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من الكفار ليجادلوكم بقولهم تأكلون ما قتلتم انتم وجوارحكم وتدعون ما قتله الله وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم فى استحلال ما حرّم انكم لمشركون فان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد اشرك وانما حسن حذف الفاء فيه لان الشرط بلفظ الماضى اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها فى الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل وقرأ نافع ويعقوب ميتا على الاصل كمن مثله صفة وهو مبتدأ خبره فى الظلمات وقوله ليس بخارج منها حال من المستكن فى الظرف لا من الهاء فى مثله للفصل وهو مثل لمن بقى على الضلالة لا يفارقها بحال كذلك كما زين للمؤمنين ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون والاية نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمر او عمار وابى جهل وكذلك جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اى كما جعلنا فى مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وجعلنا بمعنى صيرنا ومفعولاه اكابر مجرميها على تقديم المفعول الثانى او فى كل قرية اكابر ومجرميها بدل ويجوز ان يكون مضافا اليه ان فسر الجعل بالتمكين وافعل التفضيل اذا اضيف جاز فيه الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وتخصيص الاكابر لانهم اقوى على استتباع الناس والمكر بهم

وما يمكرون الا بانفسهم لان وباله يحيق بهم وما يشعرون ذلك واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله يعنى كفار قريش لما روى
ان اباجهل قال زاحمنا بنى عبد مناف فى الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى اليه والله لا نرضى به الا ان يأتينا وحى كما يأتيه فنزلت الله اعلم حيث
يجعل رسالاته استئناف للرد عليهم بأن النبوة ليست بالنسب والمال وانما هى بفضائل نفسانية يخص الله بها من يشاء من عباده فيجتبى لرسالته من علم انه يصلح
لها وهو اعلم بالمكان الذى يضعها فيه وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيامة
وقيل تقديره من عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او جزاء على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يعرّفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح
صدره للاسلام فيتسع له ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلاة والسلام

إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن
نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ
رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ
شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ
يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ
ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ
اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ
مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ
دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾
وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ
وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا

حين سئل عنه فقال نور يقذفه الله فى قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقالوا
هل لذلك من امارة يعرف بها قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا
حرجا بحيث ينبو عن قبول الحق فلا يدخله الايمان وقرأ ابن كثير ضيقا
بالتخفيف ونافع وابو بكر عن عاصم حرجا بالكسر اى شديد الضيق والباقون
بالفتح وصفا بالمصدر كأنما يصعد فى السماء شبهه مبالغة فى ضيق
صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما يبعد
عن الاستطاعة ونبه به على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل
معناه كأنه يتصاعد الى السماء نبوا عن الحق وتباعدا فى الهرب منه واصل
يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرأ ابن كثير يصعد وابو بكر عن عاصم يصاعد
بمعنى يتصاعد كذلك اى كما يضيق صدره ويبعد قلبه عن الحق يجعل الله
الرجس على الذين لا يؤمنون يجعل العذاب والخذلان عليهم فوضع الظاهر
موضع المضمر للتعليل وهذا اشارة الى البيان الذى جاء به القرآن
او الى الاسلام او الى ما سبق من التوفيق والخذلان صراط ربك
الطريق الذى ارتضاه الله او عادته وطريقه الذى اقتضته حكمته مستقيما
لا عوج فيه او عادلا مطردا وهو حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا
او مقيدة والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الايات لقوم يذكرون
فيعلمون ان القادر هو الله تعالى وان كل ما يحدث من خير او شر فهو
بقضائه وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم لهم
دار السلام دار الله اضاف الجنة الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة
من المكاره او دار تحيتهم فيها سلام عند ربهم فى ضمانه او ذخيرة لهم
عنده لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم مواليهم او ناصرهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزائها فيتولى ايصاله اليهم ويوم
نحشرهم جميعا نصب باضمار اذكر او نقول والضمير لمن يحشر من الثقلين
وقرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب يحشرهم بالياء يا معشر الجن يعنى الشياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم
بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وقال اولياؤهم من الانس الذين اطاعوهم ربنا استمتع بعضنا ببعض
اى انتفع الانس بالجن بأن دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها والجن بالانس بأن اطاعوهم وحصلوا مرادهم وقيل استمتاع الانس بهم انهم
كانوا يعوذون بهم فى المفاوز وعند المخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم يقدرون على اجارتهم

وبلغنا اجلنا الذی اجلت لنا ای البعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشیطان واتباع الهوی وتکذیب البعث وتحسر علی حالهم قال النار مثواکم منزلکم اوذات مثواکم خالدین فیها حال والعامل فیها مثواکم ان جعل مصدرا ومعنی الاضافة ان جعل مکانا الا ماشاء الله الا الاوقات التی ینقلون فیها من النار الی الزمهریر وقیل الا ماشاء قبل الدخول کأنه قیل النار مثواکم ابدا الا ما امهلکم ان ربک حکیم فی افعاله علیم باعمال الثقلین واحوالهم وکذلک نولی بعض الظالمین بعضا نکل بعضهم الی بعض او نجعل بعضهم یتولی بعضا فیغویهم اواولیاء بعض وقرناءهم فی العذاب کما کانوا فی الدنیا بما کانوا یکسبون من الکفر والمعاصی یامعشر الجن والانس الم یأتکم رسل منکم الرسل من الانس خاصة لکن لما جمعوا مع الجن فی الخطاب صح ذلک ونظیره یخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمرجان یخرج من الملح دون العذب وتعلق بظاهره قوم وقالوا بعث الی کل من الثقلین رسل من جنسهم وقیل الرسل من الجن رسل الرسل الیهم کقوله تعالی ولوا الی قومهم منذرین یقصون علیکم ایاتی وینذرونکم لقاء یومکم هذا یعنی یوم القیامة قالوا جوابا شهدنا علی انفسنا بالجرم والعصیان وهو اعتراف منهم بالکفر واستیجاب العذاب وغرتهم الحیاة الدنیا وشهدوا علی انفسهم انهم کانوا کافرین ذم لهم علی سوء نظرهم وخطأ رأیهم فانهم اغتروا بالحیاة الدنیا واللذات المخدجة واعرضوا عن الآخرة بالکلیة حتی کان عاقبة امرهم ان اضطروا الی الشهادة علی انفسهم بالکفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذیرا للسامعین من مثل حالهم ذلک اشارة الی ارسال الرسل وهو خبر مبتدا محذوف ای الامر ذلک ان لم یکن ربک مهلک القری بظلم واهلها غافلون تعلیل للحکم وان مصدریة او مخففة من الثقیلة ای الامر ذلک لانتفاء کون ربک اولان الشان لم یکن ربک مهلک اهل القری بسبب ظلم فعلوه او ملتبسین بظلم او ظالما وهم غافلون لم ینبهوا برسل او بدل من ذلک ولکل من المکلفین درجات مراتب مما عملوا من اعمالهما ومن جزائها اومن اجلها وما ربک بغافل عما یعملون فیخفی علیه عمل او قدر ما یستحق به من ثواب او عقاب وقرأ ابن عامر بالتاء علی تغلیب الخطاب علی الغیبة وربک الغنی عن العباد والعبادة ذو الرحمة یترحم علیهم بالتکلیف تکمیلا لهم ویمهلهم علی المعاصی وفیه تنبیه علی ان ما سبق ذکره من الارسال لیس لنفعه بل لترحمه علی العباد وتأسیس لما بعده وهو قوله ان یشأ یذهبکم ای ما به الیکم حاجة ان یشأ یذهبکم ایها العصاة ویستخلف من بعدکم ما یشاء من الخلق کما انشأکم من ذریة قوم آخرین ای قرنا بعد قرن لکنه ابقاکم ترحما علیکم انما توعدون من البعث واحواله لآت لکائن لامحالة وما انتم بمعجزین طالبکم به

أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا
إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٩﴾ وَكَذَٰلِكَ
نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣٠﴾ يَا مَعْشَرَ
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ
آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا
وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا
كَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ
وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٣﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ
يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ
ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٤﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٥﴾

قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على ناحيتكم وجهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرأ ابوبكر عن عاصم مكاناتكم بالجمع فى كل القرآن وهو امر تهديد والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم انى عامل على ما كنت عليه من المصابرة والثبات على الاسلام والتهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كأن المهدد يريد تعذيبه مجمعا عليه فيحمله بالامر على ما يفضى به اليه وتسجيل بأن المهدد لا يأتى منه الا الشر كالمأمور به الذى لا يقدر ان يتفصى عنه فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ان جعل من استفهامية بمعنى اينا تكون له العاقبة الحسنى التى خلق الله لها هذه الدار فمحلها الرفع وفعل العلم معلق عنه وان جعلت خبرية فالنصب بتعلمون اى فسوف تعرفون الذى يكون له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وحسن الادب وتنبيه على وثوق المنذر بانه محق وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء لان تأنيث العاقبة غير حقيقى انه لا يفلح الظالمون وضع الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة وجعلوا اى مشركوا العرب لله مما ذرأ خلق من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم روى انهم كانوا يعينون شيأ من حرث ونتاج لله ويصرفونه الى الضيفان والمساكين وشيأ منهما لآلهتهم وينفقونه على سدنتها ويذبحون عندها ثم ان رأوا ما عينوا لله ازكى بدلوه بما لآلهتهم وان رأوا ما لآلهتهم ازكى تركوه لها حبا لآلهتهم وفى قوله مما ذرأ تنبيه على فرط جهالتهم فانهم اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر على شئ ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكى له وفى قوله بزعمهم تنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يأمرهم الله به وقرأ الكسائى بالضم فى الموضعين وهو لغة فيه وقد جاء ايضا الكسر كالود ساء ما يحكمون حكمهم هذا وكذلك ومثل ذلك التزيين فى قسمة القربات زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بالوأد ونحرهم لآلهتهم شركاؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين وقرأ ابن عامر زين على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وهو ضعيف فى العربية معدود من ضرورات الشعر كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابى مزاده وقرئ بالبناء للمفعول وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار فعل دل عليه زين ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما يفترون افتراءهم او وما يفترونه من الافك وقالوا هذه اشارة الى ما جعل لآلهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى وقرئ حجر بالضم وحرج اى مضيق لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعنى البحائر والسوائب والحوامى وانعام لا يذكرون اسم الله عليها فى الذبح وانما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقيل لا يحجون على ظهورها افتراء عليه نصب على المصدر لان ما قالوه تقول على الله تعالى والجار متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له او على الحال او على المفعول له والجار متعلق به او بمحذوف سيجزيهم بما كانوا يفترون بسببه او بدله وقالوا ما فى بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب

قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ
تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ
وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ
وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٧﴾
وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ
لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ
لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا
وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ
بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٩﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ

خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلال للذكور خاصة دون الاناث ان ولد حيا لقوله وان يكن ميتة فهم فيه شركاء فالذكور والاناث فيه سواء وتأنيث الخالصة للمعنى فان ما فى معنى الاجنة ولذلك وافق عاصم فى رواية ابى بكر ابن عامر فى تكن بالتاء وخالفه هو وابن كثير فى ميتة فنصب كغيرهم او التاء فيه للمبالغة كما فى راوية الشعراء او هو مصدر كالعافية وقع موقع الخالص وقرئ بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى لذكورنا ولا من الذكور لانها لا تتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبها المجرور وقرئ خالص بالرفع والنصب وخالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدأ ثان والمراد به ما كان حيا والتذكير فيه لان المراد بالميتة ما يعم الذكر والانثى فغلب الذكر سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها يريد بهم العرب الذين كانوا يقتلون بناتهم مخافة السبى والفقر وقرأ ابن كثير وابن عامر

لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ



قتلوا بالتشديد بمعنى التكثير بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لاهم ويجوز نصبه على الحال او المصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر ونحوها افتراء على الله يحتمل الوجوه المذكورة فى مثله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الحق والصواب وهو الذى انشأ جنات من الكروم معروشات مرفوعات على ما يحملها وغير معروشات ملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس فعرشوه وغير معروشات ما نبت فى الجبال والبرارى والنخل والزرع مختلفا اكله ثمره الذى يؤكل فى الهيئة والكيفية والضمير للزرع والباقى مقيس عليه او للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منهما ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن كذلك عند الانشاء والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه يتشابه بعض افرادهما فى اللون والطعم ولا يتشابه بعضها كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده يريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد لا الزكاة المقدرة لانها فرضت بالمدينة والآية مكية وقيل الزكاة والآية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتنقية وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة والكسائى حصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا فى التصدق كقوله ولا تبسطها كل البسط انه لا يحب المسرفين لا يرتضى فعلهم ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اى وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان فى التحليل والتحريم من عند انفسكم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا او مفعول كلوا ولا تتبعوا معترض بينهما او فعل دل عليه او حال من ما بمعنى مختلفة او متعددة والزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه وقد يقال لمجموعهما والمراد الاول من الضأن اثنين زوجين اثنين الكبش والنعجة وهو بدل من ثمانية وقرئ اثنان على الابتداء والضأن اسم جنس كالابل وجمعه ضئين او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة وهو لغة فيه ومن المعز اثنين التيس والعنز وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالفتح وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ المعزى قل آلذكرين ذكر الضأن وذكر المعز حرم ام الانثيين ام انثييهما ونصب الذكرين والانثيين بحرم ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى والمعنى انكار ان يحرم الله من جنس الغنم شيأ

نبؤني بعلم بامر معلوم يدل على ان الله تعالى حرم شيأ من ذلك ان كنتم صادقين في دعوى التحريم عليه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين ام ما اشتملت عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم شيأ من الاجناس الاربعة ذكرا كان او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة اخرى واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة المؤسس لذلك ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد فيما اوحي الي اي في القرآن او فيما اوحي الي مطلقا وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحي لا بالهوى محرما طعاما محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الطعام ميتة وقرأ ابن كثير وحمزة تكون بالتاء لتأنيث الخبر وقرآءة ابن عامر بالياء ورفع ميتة على ان كان هي التامة وقوله او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في حيزه اي الا وجود ميتة او دما مسفوحا اي مصبوبا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال او لحم خنزير فانه رجس فان الخنزير او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث مخبث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل اهل لغير الله به صفة له موضحة وانما سمي ما ذبح على اسم الصنم فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لأهل وهو عطف على يكون والمستكن فيه راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر فمن دعته الضرورة الى تناول شيء من ذلك غير باغ على مضطر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم لا يؤاخذه والآية محكمة لانها تدل على انه لم يجد فيما اوحي الى تلك الغاية محرما غير هذه وذلك لا ينافي ورود التحريم في شيء آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر كل ما له اصبع كالابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب وحافر وسمي الحافر ظفرا مجازا ولعل المسبب عن الظلم تعميم التحريم ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما الا ما علقت بظهورهما

أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا

اوالحوايا اوما اشتمل على الامعاء جمع حاوية اوحاوياء كقاصعاء وقواصع اوحوية كسفينة وسفائن وقيل هو عطف على شحومهما وأو بمعنى الواو اوما اختلط بعظم هو شحم الالية لاتصالها بالعصعص ذلك التحريم اوالجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فى الاخبار اوالوعد والوعيد فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بامهاله فانه لايهمل ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين حين ينزل اوذو رحمة واسعة على المطيعين وذو بأس شديد على المجرمين فأقام مقامه ولا يرد بأسه لتضمنه التنبيه على انزال البأس عليهم مع الدلالة على انه لا ريب بهم لايمكن رده عنهم سيقول الذين اشركوا اخبار عن مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه لوشاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولاحرمنا من شئ اى لوشاء خلاف ذلك مشيئة ارتضاء كقوله فلوشاء لهداكم اجمعين لما فعلنا نحن ولا آباؤنا ارادوا بذلك انهم على الحق المشروع المرضى عند الله لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بارادة الله اياها منهم حتى ينهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ويؤيد ذلك قوله كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل هذا التكذيب لك فى أن الله تعالى منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل وعطف اباؤنا على الضمير فى اشركنا من غير تأكيد للفصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن ما تتبعون فى ذلك الا الظن وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآية فيه قل فلله الحجة البالغة البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة على الاثبات او بلغ بها صاحبها صحة دعواه وهى من الحج بمعنى القصد كأنها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلوشاء لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن شاء هداية قوم وضلال آخرين قل هلم شهداءكم أحضروهم وهو اسم فعل لايتصرف عند اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع عند بنى تميم واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام فانه الاصل وعند الكوفيين هل أم فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الآية ولازما كقوله هلم الينا الذين يشهدون ان الله حرم هذا يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليلزمهم الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة ووصفهم بما يقتضى العهد بهم فان شهدوا فلا تشهد معهم فلا تصدقهم فيه وبين لهم فساده فان تسليمهم موافقة لهم فى الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب الآيات متبع الهوى لا غير وان متبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان وهم بربهم يعدلون يجعلون له عديلا

اَوِ الْحَوَايَآ اَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَاِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٧﴾ فَاِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَاْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٨﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ اَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا اَشْرَكْنَا وَلَا اٰبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتّٰى ذَاقُوا بَاْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا اِنْ تَتَّبِعُونَ اِلَّا الظَّنَّ وَاِنْ اَنْتُمْ اِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ فَلِلّٰهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدٰيكُمْ اَجْمَعِينَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ اَنَّ اللّٰهَ حَرَّمَ هٰذَا فَاِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥١﴾

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ
نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ
وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ
الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ
بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا
فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ
وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

قل تعالوا امر من التعالى واصله ان يقوله من كان فى علو لمن كان فى سفل فاتسع فيه بالتعميم أتل أقرأ ما حرّم ربكم منصوب بأتل وما تحتمل الخبرية والمصدرية ويجوز ان تكون استفهامية منصوبة بحرّم والجملة مفعول أتل لانه بمعنى أتل اى شئ حرّم ربكم عليكم متعلق بحرّم او أتل ان لا تشركوا به اى لا تشركوا به ليصح عطف الامر عليه ولا يمنعه تعليق الفعل المفسر بما حرّم فان التحريم باعتبار الاوامر يرجع الى اضدادها ومن جعل ان ناصبة فمحلهما النصب بعليكم على انه للاغراء او بالبدل من ما او من عائده المحذوف على ان لا زائدة او الجرّ بتقدير اللام او الرفع على تقدير المتلوّ أن لا تشركوا او المحرّم ان تشركوا شيأ يحتمل المصدر والمفعول وبالوالدين احسانا اى وأحسنوا بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة فى شأنهما غير كاف بخلاف غيرهما ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق نحن نرزقكم واياهم منع لموجبية ما كانوا يفعلون لاجله واحتجاج عليه ولا تقربوا الفواحش كبائر الذنوب او الزنى ماظهر منها وما بطن بدل منه وهو مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التى حرّم الله الا بالحق كالقود وقتل المرتدّ ورجم المحصن ذلكم اشارة الى ماذكر مفصلا وصاكم به بحفظه لعلكم تعقلون ترشدون فان كمال العقل هو الرشد ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن اى بالفعلة التى هى احسن ما يفعل بماله كحفظه وتثميره حتى يبلغ اشدّه حتى يصير بالغا وهو جمع شدّة كنعمة وانعم او شدّ كصرّ وأصرّ وقيل مفرد كآنك واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها وذكره عقيب الامر معناه ان ايفاء الحق عسير فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفوّ عنكم واذا قلتم فى حكومة ونحوها فاعدلوا فيه ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه من ذوى قرابتكم وبعهد الله اوفوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتأدية احكام الشرع ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون تتعظون به وقرأ حمزة وحفص والكسائى تذكرون بتخفيف الذال حيث وقع اذا كان بالتاء والباقون بتشديدها وان هذا صراطى مستقيما الاشارة فيه الى ماذكر فى السورة فانها بأسرها فى اثبات التوحيد والنبوّة وبيان الشريعة وقرأ حمزة والكسائى ان بالكسر على الاستئناف وابن عامر ويعقوب بالفتح والتخفيف وقرأ الباقون به مشدّدة بتقدير اللام على انه علة لقوله فاتبعوا وقرأ ابن عامر صراطى بفتح الياء وقرئ وهذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الاديان المختلفة او الطرق التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبائع والعادات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ذلكم الاتباع وصاكم به لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق ثم آتينا موسى الكتاب عطف على وصاكم وثم للتراخى فى الاخبار او للتفاوت فى الرتبة كأنه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب تماما للكرامة والنعمة

على الذى احسن على من احسن القيام به ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على الذى احسن تبليغه وهو موسى او تماما على ما احسنه اى اجاده من العلم والشرائع اى زيادة على علمه اتماما له وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن او على الوجه الذى هو احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شئ وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما يحتمل العلة والحال والمصدر وهدى ورحمة لعلهم لعل بنى اسرآئيل بلقاء ربهم يؤمنون اى بلقائه للجزآء وهذا كتاب يعنى القرءآن انزلناه مبارك كثير النفع فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ان تقولوا كراهة ان تقولوا علة لانزاله انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى ولعل الاختصاص فى انما لان الباقى المشهور حينئذ من الكتب السماوية لم يكن غير كتبهم وان كنا ان هى المخففة من الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة خبر كان

تَمَامًا عَلَى الَّذِيٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا

اى وانه كنا عن دراستهم قرآءتهم لغافلين لا ندرى ما هى اولا نعرف مثلها او تقولوا عطف على الاول لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا ولذلك تلقفنا فنونا من العلم كالقصص والاشعار والخطب على انا اميون فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة تعرفونها وهدى ورحمة لمن تأمل فيه وعمل به فمن اظلم ممن كذب بآيات الله بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وصدف اعرض او صد عنها فضل وأضل سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب شدته بما كانوا يصدفون باعراضهم او صدهم هل ينظرون اى ما ينتظرون يعنى اهل مكة وهم ما كانوا منتظرين لذلك ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب وقرأ حمزة والكسائى بالياء هنا وفى النحل او يأتى ربك اى امره بالعذاب او كل آياته يعنى آيات القيامة والعذاب والهلاك الكلى لقوله او يأتى بعض آيات ربك يعنى اشراط الساعة وعن حذيفة والبرآء بن عازب رضى الله تعالى عنهما كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها كالمحتضر اذا صار الامر عيانا والايمان برهانى وقرئ تنفع بالتاء لاضافة الايمان الى ضمير المؤنث لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على آمنت والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها او مقدمة ايمانها غير كاسبة فى ايمانها خيرا وهو دليل لمن لم يعتبر الايمان المجرد عن العمل وللمعتبر تخصيص هذا الحكم بذلك اليوم وحمل الترديد على اشتراط النفع بأحد الامرين على معنى لا ينفع نفسا خلت عنهما ايمانها والعطف على لم تكن بمعنى لا ينفع نفسا ايمانها الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا

قل انتظروا انا منتظرون وعيد لهم اى انتظروا اتيان احد الثلاثة فانا منتظرون له وحينئذ لنا الفوز وعليكم الويل ان الذين فرقوا دينهم بددوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض او افترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الروم فارقوا اى باينوا وكانوا شيعا فرقا يشيع كل فرقة اماما لست منهم فى شئ اى فى شئ من السؤال عنهم وعن تفرقهم او عن عقابهم او انت برئ منهم وقيل هو نهى عن التعرض لهم وهو منسوخ بآية السيف انما امرهم الى الله يتولى جزاءهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون بالعقاب من جاء بالحسنة فله عشر امثالها اى عشر حسنات امثالها فضلا من الله تعالى وقرأ يعقوب عشر بالتنوين وامثالها بالرفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بالعشر الكثرة دون العدد ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها قضية للعدل وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العذاب قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم بالوحى والارشاد الى ما نصب من الحجج دينا بدل من محل الى صراط اذ المعنى هدانى صراطا كقوله ويهديكم صراطا مستقيما او مفعول فعل مضمر دل عليه الملفوظ قيما فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة والمستقيم ابلغ منه باعتبار الصيغة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى قيما على انه مصدر نعت به وكان قياسه قوما كعوض فأعل لاعلال فعله كالقيام ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم وما كان من المشركين عطف عليه قل ان صلاتى ونسكى عبادتى كلها او قربانى او حجى ومحياى ومماتى وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحياة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير او الحياة والممات انفسهما وقرأ نافع محياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيرا وبذلك القول والاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبى متقدم على اسلام امته قل اغير الله ابغى ربا فاشركه فى عبادتى وهو جواب عن دعائهم له عليه السلام الى عبادة آلهتهم وهو رب كل شئ حال فى موقع العلة للانكار والدليل له اى وكل ما سواه مربوب مثلى لا يصلح للربوبية ولا تكسب كل نفس الا عليها فلا ينفعنى فى ابتغاء رب سواه ما انتم عليه من ذلك ولا تزر وازرة وزر اخرى جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يبين الرشد من الغى ويميز المحق من المبطل وهو الذى جعلكم خلائف الارض يخلف بعضكم بعضا او خلفاء الله فى ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام او خلفاء الامم السابقة على ان الخطاب للمؤمنين

خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا اِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٩﴾ اِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ
كَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ اِنَّمَا اَمْرُهُمْ اِلَى اللّٰهِ ثُمَّ
يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٦٠﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
اَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى اِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١٦١﴾ قُلْ اِنَّنِي هَدٰينِي رَبِّي اِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦٢﴾ دِينًا قِيَمًا
مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ اِنَّ
صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذٰلِكَ اُمِرْتُ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾ قُلْ اَغَيْرَ اللّٰهِ اَبْغِي رَبًّا
وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ اِلَّا عَلَيْهَا
وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ اُخْرٰى ثُمَّ اِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ
بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ

ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والغنى ليبلوكم فيما اتيكم من الجاه والمال ان ربك سريع العقاب لان ماهوآت قريب اولانه يسرع اذا اراده وانه لغفور رحيم وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه و وصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى ببناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علىّ سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة والله اعلم سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسألهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكم كلها وقيل الا قوله وأعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس اوست آيات بسم الله الرحمن الرحيم المص سبق الكلام في مثله كتاب خبر مبتدأ محذوف

خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ
فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

سُورَةُ الْأَعْرَافِ مَكِّيَّةٌ
وَهِيَ مِائَتَانِ وَخَمْسُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓصٓ ۝ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ
حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ اتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا
تَذَكَّرُونَ ۝ وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا فَجَآءَهَا
بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم
بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝ فَلَنَسْـَٔلَنَّ الَّذِينَ

اى هو كتاب او خبر المص والمراد به السورة او القرآن انزل اليك صفته فلا يكن في صدرك حرج منه اى شك فان الشاك حرج الصدر اوضيق قلب من تبليغه مخافة ان تكذب فيه اوتقصر في القيام بحقه وتوجيه النهي اليه للمبالغة كقولهم لا اربنك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا انزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك لتنذر به متعلق بانزل او بلا يكن لانه اذا ايقن انه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم او علم انه موفق للقيام بتبليغه وذكرى للمؤمنين يحتمل النصب باضمار فعلها اى لتنذر ولتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجرّ عطفا على محل لتنذر والرفع عطفا على كتاب او خبر المحذوف اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم يعم القرآن والسنة لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير في من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتاكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على ان الخطاب بعد مع النبي صلى الله عليه وسلم وكم من قرية وكثيرا من القرى اهلكناها اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان فجاءها فجاء اهلها بأسنا عذابنا بياتا بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال اوهم قائلون عطف عليه اى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفي عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجيء العذاب فيهما افظع فما كان دعويهم اى دعاؤهم واستغاثتهم او ما كانوا يدّعونه من دينهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فلنسئلن الذين ارسل اليهم عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل

ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاوّل فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة فلنقصنّ عليهم على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ماكانوا عليه بعلم عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وماكنا غائبين عنهم فيخفى علينا شئ من احوالهم والوزن اى القضاء او وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على ان صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم ويؤيده ماروى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مدّ البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لماروى انه عليه السلام قال ليأتى العظيم

أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ

السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة يومئذ خبر المبتدأ الذى هو الوزن الحق صفته او خبر محذوف ومعناه العدل السوىّ فمن ثقلت موازينه حسناته او ما يوزن به حسناته وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدّد الوزن فهو جمع موزون او ميزان فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرّضها للعذاب بما كانوا بآياتنا يظلمون فيكذبون بدل التصديق ولقد مكناكم فى الارض اى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش اسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع انه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف قليلا ما تشكرون فيما صنعت اليكم ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم اى خلقنا اباكم آدم طينا غير مصوّر ثم صوّرناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره او ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بأن خلقنا آدم ثم صوّرناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل ثم لتأخير الاخبار فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك ان لا تسجد اى ان تسجد ولا صلة مثلها فى لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذى دخلت عليه ومنبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ان لا تسجد اذ امرتك دليل على ان مطلق الامر للوجوب والفور قال انا خير منه جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع انى خير منه ولا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن ان يؤمر به فهو الذى سنّ التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين اوّلا خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لفضله عليه وقد غلط فى ذلك بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ اى بغير واسطة وباعتبار الصورة كما نبه



عليه بقوله ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وباعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك امر الملائكة بسجوده لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب قال فاهبط منها من السماء او الجنة فما يكون لك فما يصح ان تتكبر فيها وتعصى فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده واهبطه لتكبره لا لمجرّد عصيانه فاخرج انك من الصاغرين ممن اهانه الله لكبره قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرنى الى يوم يبعثون امهلنى الى يوم القيامة فلا تمتنى او لا تعجل عقوبتى قال انك من المنظرين يقتضى الاجابة الى ما ساله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى او وقت يعلمه الله انتهاء اجله فيه وفى اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته

قال فبما اغويتني اى بعد ان امهلتني لاجتهدن فى اغوائهم باى طريق يمكنني بسبب اغوائك اياى بواسطتهم تسمية او حملا على الغى او تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة
بفعل القسم المحذوف لا بأقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم لاقعدن لهم ترصدا لهم كما يقعد القاطع للسابلة صراطك المستقيم طريق الاسلام ونصبه على الظرف
كقوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من جميع الجهات
الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من اى وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه
ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس من بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم
وسيئاتهم ويحتمل ان يقال من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم ان يعلموا

مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا

ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين
بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتي
منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه ولا تجد
اكثرهم شاكرين مطيعين وانما قاله ظنا لقوله ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه لما راى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وهو الملك الملهم
وقيل سمعه من الملائكة قال اخرج منها مذؤما مذموما من ذأمه اذا ذمه
وقرئ مذما كمسول فى مسؤل او ككول فى مكيل من ذامه يذيمه ذيما مدحورا
مطرودا لمن تبعك منهم اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه لاملأن جهنم
منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على انه
خبر لاملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب
قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب ويا آدم اى وقلنا يا آدم
اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ
هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء فتكونا من الظالمين فتصيرا
من الذين ظلموا انفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب فوسوس
لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة
والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق فى سورة البقرة كيفية وسوسته ليبدى لهما
ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض على انه اراد ايضا بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف
عورتهما ولذلك عبر عنها بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند
الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما
ما غطى عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما
لم يقلب الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان
الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا
وادغام الواو الساكنة فيها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا
الا كراهة ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون او يخلدون

فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء وجوابه انه كان من المعلوم ان الحقائق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما ايضا ما للملائكة من الكمالات الفطرية
والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لا يدل على فضلهم مطلقا وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما على ذلك واخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل
اقسما له بالقبول وقيل اقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فاقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من درجة
عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من اعلى الى اسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يحلف بالله كاذبا او ملتبسين
بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما
وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللباس كان نورا او حلة او ظفرا

وطفقا يخصفان اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ورق التين وقرئ يخصفان من اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان اصله يختصفان وناديهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم قالا ربنا ظلمنا انفسنا اضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين دليل ان الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستحقار العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحوآء وذريتهما اولهما ولابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال لهم متفرقا بعضكم لبعض عدو فى موضع الحال اى متعادين ولكم فى الارض مستقر استقرار او موضع استقرار ومتاع وتمتع الى حين الى تقضى آجالكم قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزآء وقرأ حمزة والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف وكذلك تخرجون بفتح التاء وضم الرآء يا بنى ادم قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وانزل لكم من الانعام وقوله تعالى وانزلنا الحديد يوارى سوءاتكم التى قصد الشيطان ابدآءها ويغنيكم عن خصف الورق روى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم تقدمة لذلك حتى يعلم ان انكشاف العورة اول سوء اصاب الانسان من الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدآء وخبره ذلك خير اوخير وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا ذلك اى انزال اللباس من ايات الله الدالة على فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح يا بنى ادم لا يفتننكم الشيطان لا يمحنكم بان يمنعكم دخول الجنة باغوائكم كما اخرج ابويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم تعليل للنهى وتاكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون بما اوجدنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادٰيهُمَا رَبُّهُمَا اَلَمْ اَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَاَقُلْ لَكُمَا اِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا اَنْفُسَنَا وَاِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ اِلٰى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِى اٰدَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِى سَوْاٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ مِنْ اٰيَاتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِى اٰدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا اَخْرَجَ اَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْاٰتِهِمَا اِنَّهُ يَرٰيكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ اَوْلِيَاءَ

وانا فعلوا فاحشة فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله فاعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لان عادته تعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه اجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ماينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن اين اخذ آباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار يتضمن النهى عن الافترآء على الله قل امر ربى بالقسط بالعدل وهو الوسط من كل امر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين

الذين لا يؤمنون ﴿٢٧﴾ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون
على الله ما لا تعلمون ﴿٢٨﴾ قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم
عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ﴿٢٩﴾ كما
بداكم تعودون ﴿﴾ فريقا هدى وفريقا حق عليهم
الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله و
يحسبون انهم مهتدون ﴿٣٠﴾ يا بنى ادم خذوا زينتكم
عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين ﴿٣١﴾ قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده و
الطيبات من الرزق قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا خالصة
يوم القيمة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون ﴿٣٢﴾

الى غيرها او اقيموها نحو القبلة عند كل مسجد فى كل وقت سجود او مكانه وهو الصلاة او فى اى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة فان اليه مصيركم كما بداكم كما انشأكم ابتدآء تعودون باعادته فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابتدآء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانهم او تحقيق لضلالهم ويحسبون انهم مهتدون يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سوآء فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على المقصر فى النظر يا بنى ادم خذوا زينتكم ثيابكم لموارات عوراتكم عند كل مسجد لطواف اوصلاة ومن السنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة وكلوا واشربوا ما طاب لكم روى ان بنى عامر فى ايام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وسائر ما يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان ومن الحيوان كالحرير والصوف ومن المعادن كالدروع والطيبات من الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم

قل انما حرّم ربي الفواحش ماتزايد قبحه وقيل مايتعلق بالفروج ماظهر منها وما بطن جهرها وسرّها والاثم ومايوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر والبغى الظلم او الكبر افرده بالذكر للمبالغة بغير الحق متعلق بالبغى مؤكد له معنى وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع مالم يدل عليه برهان وان تقولوا على الله مالا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافترآء عليه كقولهم والله امرنا بها ولكل امة اجل مدّة او وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة فاذا جاء اجلهم انقرضت مدّتهم او حان وقتهم لايستاخرون ساعة ولا يستقدمون اى لايتأخرون ولا يتقدّمون اقصر وقت او لا يطلبون التأخر والتقدّم لشدّة الهول يابنى ادم اما يا تينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على ان اتيان الرسل امر جائز غير واجب كما ظنه اهل التعليم وضمت اليها ما التاكيد معنى الشرط ولذلك اكد فعلها بالنون وجوابه فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والمعنى فمن اتقى التكذيب واصلح عمله منكم والذين كذبوا باياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاوّل دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته فمن تقوّل على الله مالم يقله او كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ اى مما اثبت لهم فيه حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم اى يتوفون ارواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام قالوا جواب اذا اينما كنتم تدعون من دون الله اى اين الآلهة التى كنتم تعبدونها وما وصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه

قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغى
بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا
على الله ما لا تعلمون ﴿٣٣﴾ ولكل امة اجل فاذا جاء اجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿٣٤﴾ يا بنى ادم اما
يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتى فمن اتقى
واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿٣٥﴾ والذين كذبوا
باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون ﴿٣٦﴾ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب
باياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم
رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله
قالوا ضلوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ﴿٣٧﴾

قال ادخلوا اى قال الله لهم يوم القيامة او احد من الملائكة فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم يوم القيامة من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية من النوعين فى النار متعلق بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار قالت اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى لاجل اوليهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون مالكم او ما لكل فريق وقرأ عاصم برواية ابى بكر بالياء على الانفصال وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله لاخراهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء لادعيتهم واعمالهم او لارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وارواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ ابو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون وكذا ما يتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهى الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم غواش اغطية والتنوين فيه للبدل من الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف وكذلك نجزى الظالمين عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم للآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على انه اعظم الاجرام

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ
فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ
﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ
غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ
عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ

والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون على عادته سبحانه وتعالى في ان يشفع الوعيد بالوعد
ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدأ وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس ونزعنا
ما في صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التواد وعن علي كرم الله وجهه انى لأرجوان اكون
انا وعثمان وطلحة والزبير منهم تجري من تحتهم الانهار زيادة في لذتهم وسرورهم وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما جزاؤه هذا
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتأكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها
مبينة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بأن ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة

الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ
رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ
وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا
قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ
رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ
أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾

ونودوا ان تلكم الجنة اذا رأوها من بعيد او بعد دخولها والمنادى له
بالذات اورثتموها بما كنتم تعملون اعطيتموها بسبب اعمالكم وهو
حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة او خبر والجنة صفة تلكم
وان في المواضع الخمسة هي المخففة او المفسرة لان المناداة والتأذين
من القول ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة
باصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا
لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث
والحساب ونعيم اهل الجنة قالوا نعم وقرأ الكسائي بكسر
العين وهما لغتان فاذن مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم
بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين وقرأ ابن كثير وابن
عامر وحمزة والكسائي ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ
انّ بالكسر على ارادة القول او اجراء اذن مجرى قال الذين يصدون
عن سبيل الله صفة للظالمين مقررة او ذم مرفوع او منصوب
ويبغونها عوجا زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعانى
والاعيان ما لم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط
والرمح وهم بالاخرة كافرون وبينهما حجاب اى بين الفريقين
كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر
احداهما الى الاخرى وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب اى على
اعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس
وقيل العرف ما ارتفع من الشيء فانه يكون بظهوره اعرف من غيره رجال
طائفة من الموحدين قصروا في العمل فيحبسون بين الجنة والنار
حتى يقضي الله فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء
او الشهداء او خيار المؤمنين وعلمائهم او ملائكة يرون في صورة
الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة والنار بسيميهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها
في المرعى معلمة او من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم اى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم لم يدخلوها وهم يطمعون حال من الواو على الوجه الاول ومن اصحاب على الوجه الثانى

وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ

وإذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا تعوّذا بالله ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى فى النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيميهم من رؤساء الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرتكم او جمعكم المال وما كنتم تستكبرون عن الحق وعلى الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو اوفق للوجوه الاخيرة او فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله او بعض الملائكة اهؤلاء الذين اقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء اى صبوه وهو دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الطعام كقوله علفتها تبنا وماء باردا قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهما عنهم منع المحرّم عن المكلف الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب به وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وما كانوا بآياتنا يجحدون وكما كانوا منكرين انها من عند الله ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على انه تعالى عالم بعلم او مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه اى على سائر الكتب عالمين بانه حقيق بذلك هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من الهاء



وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ
الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن
شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ
قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ
رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ
ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ
وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ

هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا مايؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور مانطق به من الوعد والوعيد يوم يأتی تأويله يقول الذين نسوه من قبل تركوه ترك الناسی قد جاءت رسل ربنا بالحق ای قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم اونرد اوهل نرد الی الدنيا وقرئ بالنصب عطفا علی فيشفعوا ولان او بمعنی الی ان فعلی الاول المسئول احد الامرين الشفاعة اوردهم الی الدنيا وعلی الثانی ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين اولامر واحد وهوالرد فنعمل غير الذی كنا نعمل جواب الاستفهام الثانی وقرئ بالرفع ای فنحن نعمل قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم فی الكفر وضل عنهم ماكانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم ان ربكم الله الذی خلق السموات والارض فی ستة ايام ای فی ستة اوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره اوفی مقدار ستة ايام فان اليوم المتعارف زمان طلوع الشمس الی غروبها ولم يكن حينئذ و فی خلق الاشياء مدرجا مع القدرة علی ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث علی التأنی فی الامور ثم استوی علی العرش استوی امره اواستولی وعن اصحابنا ان الاستواء علی العرش صفة لله بلا كيف والمعنی ان له تعالی استواء علی العرش علی الوجه الذی عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمی به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشی الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به اولان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشی الليل النهار بنصب الليل ورفع النهار وقرأ حمزة والكسائی ويعقوب وابوبكر عن عاصم بالتشديد فيه وفی الرعد للدلالة علی التكرير يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له لايفصل بينهما شیء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنی حاثا او المفعول بمعنی محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف علی السموات ونصب مسخرات علی الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع علی الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد والمتصرف تبارك الله رب العالمين تعالی بالواحدانية فی الالوهية وتعظم بالتفرد فی الربوبية وتحقيق الآية والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد وهو الله تعالی لانه الذی له الخلق والامر فانه تعالی خلق العالم علی ترتيب قويم وتدبير حكيم فأبدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما اشار اليه بقوله تعالی فقضاهن سبع سموات فی يومين وعمد الی ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال واشار اليه بقوله خلق الارض فی يومين ای ما فی جهة السفل فی يومين ثم انشأ انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالی بعد قوله وخلق الارض فی يومين وجعل فيها رواسی من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فی اربعة ايام ای مع اليومين الاولين لقوله تعالی فی سورة السجدة الله الذی خلق السموات والارض ومابينهما فی ستة ايام ثم لما تم له عالم الملك عمد الی تدبيره كالملك الجالس علی عرشه لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الی الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالی والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امرهم بأن يدعوه متذللين مخلصين فقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية ای ذوی تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لايحب المعتدين المجاوزين ما امروا به فی الدعاء وغيره نبه به علی ان الداعی ينبغی ان لايطلب ما لايليق به كرتبة الانبياء والصعود الی السماء وقيل هو الصياح فی الدعاء والاسهاب فيه وعن النبی صلی الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فی الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انی اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لايحب المعتدين ولاتفسدوا فی الارض بالكفر والمعاصی بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام وادعوه خوفا وطمعا ذوی خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فی اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ترجيح للطمع وتنبيه علی مايتوسل به الی الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنی الرحم اولانه صفة محذوف ای امر قريب او علی تشبيهه بفعيل الذی هو بمعنی مفعول اوالذی هو مصدر كالنقيض اوللفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره

وهو الذي يرسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح على الوحدة نشرا جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائي نشرا بفتح النون حيث وقع على انه مصدر
في موضع الحال بمعنى ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به وبشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات او للبشارة وبشرى
بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقله سحابا ثقالا
بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله اولاحيائه اولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء بالبلد او بالسحاب او بالسوق او
بالريح وكذلك فاخرجنا به ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول وللظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهي للسببية من كل الثمرات من كل انواعها كذلك
نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد

رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا
بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ
رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ
لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ
اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ
يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ
مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ

ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر
على ذلك قدر على هذا والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه
بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة
والذي خبث اي كالحرة والسبخة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال
وتقدير الكلام والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج اي يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا
ونكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك نصرف الايات نرددها
ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والاية مثل
لمن تدبر الايات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم يتأثر بها لقد ارسلنا نوحا الى قومه
جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع فان
المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس اول
نبي بعده بعث وهو ابن خمسين سنة او اربعين فقال يا قوم اعبدوا الله اي
اعبدوه وحده لقوله تعالى ما لكم من اله غيره وقرأ الكسائي غيره بالكسر نعتا
او بدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التي تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء
اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان لم تؤمنوا وهو وعيد وبيان للداعي الى عبادته
واليوم يوم القيامة او يوم نزول الطوفان قال الملأ من قومه اي الاشراف
فانهم يملؤون العيون رواء انا لنراك في ضلال في زوال عن الحق مبين بين
قال يا قوم ليس بي ضلالة اي شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا في الاثبات
وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه
على هدى كأنه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات
ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول او استئناف ومساقها
على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات
لاختلاف اوقاتها او لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام او لان
المراد بها ما اوحي اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة

اللام في لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفي اعلم من الله تقرير لما اوعدهم به فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته بالوحي اشياء لا علم لكم بها
اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف اي اكذبتم وعجبتم ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم رسالة او موعظة على رجل
على لسان رجل منكم من جملتكم او من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لانزل ملائكة ما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين
لينذركم عاقبة الكفر والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفائدة حرف الترجي التنبيه على ان التقوى غير موجب
والترحم من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله

فكذبوه فانجيناه والذين معه وهم من امن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به في الفلك متعلق بمعه او بانجيناه او حال من الموصول او من الضمير في معه واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين واصله عميين فخفف وقرئ عامين والاول ابلغ لدلالته على الثبات والى عاد اخاهم عطف على نوحا الى قومه هودا عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم يا اخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الجلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لقوله واعرف بحاله وارغب في اقتفائه قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين ارسل وكذلك جوابهم افلا تتقون عذاب الله وكأن قومه كانوا اقرب من قوم نوح ولذلك قال قال الملا الذين كفروا من قومه اذ كان من اشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد انا لنريك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره وفي اجابة الانبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح وفي قوله وانا لكم ناصح امين تنبيه على انهم عرفوه بالامرين وقرأ ابو عمرو ابلغكم في الموضعين في هذه السورة وفي الاحقاف مخففا واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اى في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة قامة وقوة فاذكروا آلاء الله تعميم بعد تخصيص لعلكم تفلحون لكي يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدي الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به آباؤهم انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء في اجئتنا اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني

تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ
وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾
وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ
يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ
أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ
وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ
بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا
أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا

فأتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله افلا تتقون ان كنت من الصادقين فيه قال قد وقع قد وجب او حق عليكم او نزل عليكم على ان المتوقع كالواقع من ربكم رجس عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اى في اشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية او بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه به بقوله اظهار الغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على ان الاسم هو المسمى وان اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بانها اسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على العناد ونزول العذاب انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اى استأصلناهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان روى انهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا وعتوا فامسك الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد في سبعين من اعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة اولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة انزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له اهمه ذلك واستحيى ان يكلمهم فيه مخافة ان يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا الغماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما حتى غنتا به فازعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله فيها حتى ماتوا والى ثمود قبيلة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحي او باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى اخاهم صالحا صالح ابن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله هذه ناقة الله لكم آية استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا او عطف بيان ولكم خبرا عاملا في آية واضافة الناقة الى الله تعظيما لها ولانها جاءت من عند الله بلا وسائط واسباب معهودة ولذلك كانت آية فذروها تاكل في ارض الله العشب ولا تمسوها بسوء نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فيأخذكم عذاب اليم جواب للنهى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض ارض الحجر تتخذون من سهولها قصورا اى تبنون في سهولها او من سهولة الارض بما تعملون منها كاللبن والآجر وتنحتون الجبال بيوتا وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة او المفعول على ان التقدير بيوتا من الجبال او تنحتون بمعنى تتخذون فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه عن الايمان للذين استضعفوا اى للذين استضعفوهم واستذلوهم

بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا

لمن امن منهم بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملو بالواو اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه قالوه على الاستهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن امن به ومن كفر فلذلك قال قال الذين استكبروا انا بالذى امنتم به كافرون على وجه المقابلة ووضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فعقروا الناقة فنحروها اسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة اولانه كان برضاهم وعتوا عن امر ربهم واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام بقوله فذروها وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة الزلزلة فاصبحوا فى دارهم جاثمين خامدين ميتين روى انهم من بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا اعمارا طوالا لا تفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وافسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من اشرافهم فانذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو الهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا اصنامهم فلم تجبهم ثم اشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له اخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فامن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال لهم صالح ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ظاهره ان توليه عنهم كان بعد ان ابصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر وقال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا او ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم

فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ

ولوطا اى وارسلنا لوطا اذ قال لقومه وقت قوله لهم او واذكر لوطا واذ بدل منه اتاتون الفاحشة توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين ما فعلها قبلكم احد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتاكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقررة للانكار كأنه وبخهم اولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه اسوأ انكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بيان لقوله اتاتون الفاحشة وهو ابلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له او مصدر وقع موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى ادت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف مثل لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم الاسراف

وماكان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اى ماجاؤا بمايكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فى من معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا انهم اناس يتطهرون اى من الفواحش فانجيناه واهله اى من آمن به الا امرأته استثناء من اهله فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فانظر كيف كان عاقبة المجرمين روى ان لوط بن هاران بن تارخ لما هاجر مع عمه ابراهيم الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى اهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم والى مدين اخاهم شعيبا اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم

جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ

من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن انها ماهى وما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من اولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع فتأخر عن هذه المقاولة ويحتمل ان تكون كرامة لموسى او ارهاصا لنبوته فاوفوا الكيل اى آلة الكيل على الاضمار او اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله والميزان كما قال فى سورة هود فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان مصدرا كالميعاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال اشياءهم للتعميم تنبيها على انهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والحيف بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم بالشرائع او اصلحوا فيها والاضافة فيها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط توعدون بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا واحدا يسعى فى شىء منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون من آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله من آمن به اى بالله او بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة فى النسل او المال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا فتربصوا

حتى يحكم الله بيننا اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لامعقب لحكمه ولاحيف
فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
من القرية او عودكم فى الكفر وشعيب عليه السلام لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لايجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه
بخطابهم وعلى ذلك اجرى الجواب فى قوله قال اولو كنا كارهين اى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها او اتعيدوننا فى حال كراهتنا قد افترينا على الله
كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه
جعل كالواقع للمبالغة وادخل عليه قد لتقريبه من الحال اى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم ان لله تعالى ندا وانه
قد تبين لنا ان ما كنا عليه باطل وما انتم عليه حق وقيل انه جواب
قسم تقديره والله لقد افترينا وما يكون لنا وما يصح لنا
ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل
على ان الكفر بمشيئته وقيل اراد به حسم اطماعهم فى العود
بالتعليق على ما لا يكون وسع ربنا كل شئ علما اى احاط
علمه بكل شئ مما كان ومما يكون منا ومنكم على الله توكلنا
فى ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ربنا افتح
بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة
الحكومة او اظهر امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من
المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين على المعنيين
وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم
دينكم انكم اذا لخاسرون لاستبدالكم ضلالة بهداكم او
لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب
الشرط والقسم الموطأ باللام فاخذتهم الرجفة الزلزلة
وفى سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها
فاصبحوا فى دارهم جاثمين فى مدينتهم الذين كذبوا شعيبا
مبتدأ خبره كان لم يغنوا فيها اى استؤصلوا كأن لم
يقيموا بها والمغنى المنزل

بِهٖ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوْا فَاصْبِرُوْا حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا ۚ
وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَاُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ
لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَآ اَوْ
لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَا ۚ قَالَ اَوَلَوْ كُنَّا كٰرِهِيْنَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا
عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجّٰىنَا اللّٰهُ مِنْهَا ۚ
وَمَا يَكُوْنُ لَنَآ اَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَآ اِلَّآ اَنْ يَّشَآءَ اللّٰهُ رَبُّنَا ۚ
وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى اللّٰهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا افْتَحْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَاَنْتَ خَيْرُ الْفٰتِحِيْنَ ﴿٨٩﴾
وَقَالَ الْمَلَاُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا اِنَّكُمْ
اِذًا لَّخٰسِرُوْنَ ﴿٩٠﴾ فَاَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاَصْبَحُوْا فِيْ دَارِهِمْ
جٰثِمِيْنَ ﴿٩١﴾ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا شُعَيْبًا كَاَنْ لَّمْ يَغْنَوْا فِيْهَا ۚ

الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون في الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول واستأنف بالجملتين واتى بهما اسميتين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فكيف اسى على قوم كافرين ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار وبذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ اسى بامالتين
وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء بالبؤس والضر لعلهم يضرعون كي يتضرعوا ويتذللوا ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين حتى عفوا حتى كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بانه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا منه مثل ما مسنا فاخذناهم بغتة فجأة وهم لا يشعرون بنزول العذاب ولو ان اهل القرى يعني القرى المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرا ابن عامر لفتّحنا بالتشديد ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بما كانوا يكسبون من الكفر والمعاصي افامن اهل القرى عطف على قوله فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز والمستتر في بياتا اوامن اهل القرى وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر او بالسكون على الترديد ان ياتيهم باسنا ضحى ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم افامنوا مكر الله تقرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد واخذه من حيث لا يحتسب فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار

الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين ﴿٩٢﴾ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴿٩٣﴾ وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ﴿٩٤﴾ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿٩٥﴾ ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ﴿٩٦﴾ افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون ﴿٩٧﴾ اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون ﴿٩٨﴾ افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله

اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم ويرثون ديارهم وانما عدّى يهد باللام لانه بمعنى يبين ان لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا ونطبع على قلوبهم
عطف على مادل عليه اولم يهد اى يغفلون عن الهداية اومنقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولايجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى وطبعنا لانه فى سياقه جواب
لولافضائه الى نفى الطبع عنهم فهم لايسمعون سماع تفهم واعتبار تلك القرى يعنى قرى الامم المار ذكرهم نقص عليك من انبائها حال ان جعل
القرى خبرا ويكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة ويجوز ان يكونا خبرين ومن للتبعيض اى نقص بعض انبائها ولها انباء غيرها لا نقصها
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فما كانوا ليؤمنوا عند مجيئهم بها بما كذبوا من قبل بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على
التكذيب اى فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم
الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام
لتأكيد النفى والدلالة على انهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم فى التصميم
على الكفر والطبع على قلوبهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
فلا تلين شكيمتهم بالآيات والنذر وما وجدنا لاكثرهم لاكثر
الناس والآية اعتراض او لاكثر الامم المذكورين من عهد من وفاء
عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال
الايات ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل
لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وان وجدنا اكثرهم لفاسقين
اى علمناهم من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة
وذلك لايجوز الا فى المبتدأ او الخبر او الافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين
ان للنفى واللام بمعنى الا ثم بعثنا من بعدهم موسى الضمير للرسل فى
قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم بآياتنا يعنى المعجزات الى فرعون
وملئه فظلموا بها بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها
لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن
ملك مصر ككسرى لملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن
مصعب بن ريان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى
يا فرعون انى رسول من رب العالمين اليك وقوله حقيق على ان لا اقول
على الله الا الحق لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم
يذكره لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان اصله حقيق على ان لا اقول
كما قرأ نافع فقلب لأمن الالتباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة
الحمر اولان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى الوصف بالصدق
والمعنى انه حق واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لايرضى الا بمثلى
ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع على مكان الباء لافادة
التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حالة حسنة ويؤيده قرآءة ابىّ بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول بدون على قد جئتكم ببينة من ربكم
فارسل معى بنى اسرائيل فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن ابائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال
قال ان كنت جئت بآية من عند من ارسلك

الا القوم الخاسرون (٩٩) اولم يهد للذين يرثون الارض
من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على
قلوبهم فهم لا يسمعون (١٠٠) تلك القرى نقص عليك من
انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين (١٠١) وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا
اكثرهم لفاسقين (١٠٢) ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا
الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة
المفسدين (١٠٣) وقال موسى يا فرعون انى رسول من رب
العالمين (١٠٤) حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم
ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل (١٠٥) قال ان كنت

فائت بها   فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك   ان كنت من الصادقين   فى الدعوى   فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين   ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان وهى الحية العظيمة روى انه لما القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا وصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصا   ونزع يده   من جيبه او من تحت ابطه   فاذا هى بيضاء للناظرين   اى بيضاء بياضا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة او بيضاء للنظار لا انها كانت بيضاء فى جبلتها روى انه عليه السلام كان ادم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه او تحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس   قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم

جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ
فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ
عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ
﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾
يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ
قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا
أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا
أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا
إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾

قيل قال هو واشراف قومه على سبيل التشاور فى امره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا   يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون   ماذا تشيرون فى ان نفعل   قالوا ارجه واخاه وارسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم   كأنه اتفقت عليه اراؤهم فاشاروا به الى فرعون والارجاء التأخير اى أخر امره واصله ارجئه كما قرأ ابو عمرو وابو بكر ويعقوب من ارجأت وكذلك ارجئهو على قراءة ابن كثير وهشام عن ابن عامر على الاصل فى الضمير وارجهى من أرجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسمعيل والكسائى واما قراءته فى رواية قالون ارجه بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها واما قراءة حمزة وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه واما قراءة ابن عامر ارجئه بالهمزة وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لا تكسر الا اذا كان قبلها كسرة او ياء ساكنة ووجهه ان الهمزة لما كانت تقلب ياء اجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده اتفاقهم عليه فى الشعراء   وجاء السحرة فرعون   بعد ما ارسل الشرط فى طلبهم   قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين   استأنف به كأنه جواب سائل قال ماذا قالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع وحفص عن عاصم ان لنا لأجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم   قال نعم   ان لكم اجرا   وانكم لمن المقربين   عطف على ما سد مسده نعم وزيادة على الجواب لتحريضهم   قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين   خيروا موسى مراعاة للادب واظهارا للجلادة ولكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وتأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك قال   قال القوا   اكراما وتسامحا او ازدراء بهم ووثوقا على شأنه   فلما القوا سحروا اعين الناس   بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه   واسترهبوهم   وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم

وجاؤا بسحر عظيم   فى فنه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا   واوحينا الى موسى ان الق عصاك   فالقاها فصارت حية   فاذا هى تلقف ما يافكون   ما يزورونه من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز ان تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها اقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا حتى هلك جمع عظيم ثم اخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا و فى طه والشعراء

فوقع الحق فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه والقى السحرة ساجدين لله جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على ان الحق بهرهم واضطرهم الى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك اوان الله الهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين اراد بهم كسر موسى وينقلب الامر عليه اومبالغة فى سرعة خرورهم وشدته قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم انهم ارادوا به فرعون قال فرعون امنتم به بالله او بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وابوبكر عن عاصم وروح عن يعقوب وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص امنتم به على الاخبار قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها انتم وموسى فى المدينة فى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد لتخرجوا منها اهلها يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى

وَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ

اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة الله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا انا الى ربنا منقلبون بالموت لامحالة فلا نبالى بوعيدك اوانا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله اومصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا وما تنقم منا وما تنكر منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء اوصب علينا ما يطهرنا من الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام وقيل انه فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليهم لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك ويذرك عطف على ليفسدوا اوجواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى وبينكم المودة والاخاء على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على انه عطف على أتذر او استئناف اوحال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن والهتك ومعبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ الهتك اى عبادتك قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم كما كنا نفعل من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون غالبون وهم مقهورون تحت ايدينا قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم

ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر والعاقبة للمتقين وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان واللام فى الارض تحتمل العهد والجنس قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا من قبل ان تاتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ماجئتنا باعادته قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض تصريحا بما كنى عنه اولا لما رأى انهم لم يتسلوا بذلك ولعله اتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم او اولادهم وقد روى ان مصرانما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام فينظر كيف تعملون فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه ويؤرخ به ثم اشتق منها فقيل اسنت القوم اذا قحطوا ونقص من الثمرات بكثرة العاهات لعلهم يذكرون لكى يتنبهوا على ان ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا او ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله ويرغبوا فيما عنده فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والسعة

وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا
جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾
فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا
بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ
وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ
فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ

قالوا لنا هذه لاجلنا ونحن مستحقوها وان تصبهم سيئة جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الايات وهى لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع اداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع الا انما طائرهم عند الله اى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته او سبب شؤمهم عند الله وهو اعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع وقيل هو جمع ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم من الله او من شؤم اعمالهم وقالوا مهما اصلها ما الشرطية ضمت اليها ما الزائدة للتأكيد ثم قلبت الفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب بفعل يفسره تأتنا به اى اىما شئ تحضرنا تأتنا به من آية بيان لمهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين اى لتسحر بها اعيننا وتشبه علينا والضمير فى به وبها لما ذكر قبل التبيين باعتبار اللفظ وانثه بعده باعتبار المعنى فارسلنا عليهم الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يقدر احد ان يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم ولم يدخل فيها قطرة وركد على اراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم اسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع ما لم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فأكلت زروعهم وثمارهم ثم اخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما ابقاه الجراد وكان يقع فى اطعمتهم ويدخل بين اثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم ارسل الله عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهى تغلى وافواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم فنقضوا العهود ثم ارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء حتى كان يجتمع القبطى مع الاسرائيلى على اناء فيكون ما يليه دما وما يلى الاسرائيلى ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلى فيصير دما فى فيه وقيل سلط عليهم الرعاف آيات نصب على الحال مفصلات مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله ونقمته عليهم او مفصلات لامتحان احوالهم اذ كان بين كل آيتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل فاستكبروا عن الايمان

الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ
عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾
فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا
يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي
إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى
اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾
إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾

وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز يعني العذاب المفصل او الطاعون الذي ارسله الله عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد ماليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في آياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه
بما عهد عندك او متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل أسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك او قسم مجاب بقوله لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن
لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه
الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه او مهلكون وهو وقت الغرق او الموت وقيل الى اجل عينوه لايمانهم اذا هم ينكثون جواب لما اى فلما كشفنا
عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فيه فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم اى في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل
لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى كان اغراقهم بسبب
تكذيبهم بالايات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير
للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم مشارق
الارض ومغاربها يعني ارض الشام ومصر ملكها بنوا اسرائيل بعد
الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها التي باركنا فيها بالخصب وسعة
العيش وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ومضت عليهم
واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد
ان نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد
بما صبروا بسبب صبرهم على الشدائد ودمرنا وخربنا ما كان
يصنع فرعون وقومه من القصور والعمارات وما كانوا يعرشون
من الجنات او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر
وابو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا اخر قصة فرعون وقومه وقوله
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وما بعده ذكر ما احدثه بنوا اسرائيل من
الامور الشنيعة بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات
العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا
للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم روى ان
موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه
فصاموه شكرا فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون على اصنام لهم
يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك اول شأن العجل
والقوم كانوا من العمالقة الذين امر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة
والكسائي يعكفون بالكسر قالوا يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده
كما لهم آلهة يعبدونها وما كافة للكاف قال انكم قوم تجهلون
وصفهم بالجهل المطلق واكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا
من الايات الكبرى عن العقل ان هؤلاء اشارة الى القوم متبر مكسر مدمر ما هم فيه يعني ان الله يهدم دينهم الذي هم عليه ويحطم اصنامهم
ويجعلها رضاضا وباطل مضمحل ما كانوا يعملون من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ في هذا الكلام بايقاع
هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين في الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على ان الدمار لاحق
لما هم فيه لا محالة وان الاحباط الكلي لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا

قَالَ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَبْغِيكُمْ إِلٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسٰى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسٰى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسٰى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسٰى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَا مُوسٰى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي

قال اغير الله ابغيكم الها اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء مقابلتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم عن امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا ان يشركوا به اخس شيء من مخلوقاته وإذ انجيناكم من آل فرعون واذكروا صنيع الله معكم في هذا الوقت وقرأ ابن عامر انجاكم يسومونكم سوء العذاب استئناف لبيان ما انجاهم او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل منه مبين وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم وفي الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وقرأ ابو عمرو ويعقوب ووعدنا واتممناها بعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين روى انه عليه السلام وعد بني اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه فأمره بصوم ثلاثين يوما فلما اتم انكر خلوف فيه اى فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فأمره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل امره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم انزل الله التوراة عليه في العشر وكلمه فيها وقال موسى لاخيه هرون اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ما يجب ان يصلح من امورهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تتبع من سلك سبيل الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختص مجيئه بميقاتنا وكلمه ربه من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى ان موسى عليه السلام كان يسمع هذا الكلام من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته جائزة في الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضي الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن تراني دون لن أرى او لن اريك او لن تنظر الىّ تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدّ في الرائي ولم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبههم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على ان لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة او جهالة بحقيقة الرؤية قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك يريد ان يبين به انه لا يطيقه وفي تعليق الرؤية بالاستقرار ايضا دليل الجواز ضرورة ان المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل جبل زبير فلما تجلى ربه للجبل ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى له حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء للتي لا اسنام لها وقرئ دكا اى قطعا دكا جمع دكاء وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال تعظيما لما رأى سبحانك تبت اليك من الجرأة والاقدام على السؤال بغير اذن وانا اول المؤمنين مر تفسيره وقيل معناه انا اول من آمن بانك لا ترى في الدنيا قال يا موسى اني اصطفيتك اخترتك على الناس اى الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع برسالاتي يعني اسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك



فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين ﴿١٤٤﴾ وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين ﴿١٤٥﴾ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين ﴿١٤٦﴾ والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ﴿١٤٧﴾ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا

فخذ ما اتيتك اعطيتك من الرسالة وكن من الشاكرين على النعمة فيه روى ان سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شئ مما يحتاجون اليه من امر الدين موعظة وتفصيلا لكل شئ بدل من الجار والمجرور اى كتبنا كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في ان الالواح كانت عشرة او سبعة وكانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر او صخرة صماء لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده وشقها بأصابعه وكان فيها التوراة او غيرها فخذها على اضمار القول عطفا على كتبنا او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والهاء للالواح او لكل شئ فانه بمعنى الاشياء او للرسالات بقوة بجد وعزيمة وامر قومك يأخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريق الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم او بواجباتها فان الواجب احسن من غيره ويجوز ان يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها او منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا او دارهم في الاخرة وهى جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من اوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله واورثنا القوم الذين استضعفوا ساصرف عن اياتى المنصوبة في الافاق والانفس الذين يتكبرون في الارض بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها او باهلاكهم بغير الحق صلة يتكبرون اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل او حال من فاعله وان يروا كل اية منزلة او معجزة لا يؤمنوا بها لعنادهم واختلال عقلهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائى الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للايات ويجوز ان ينصب ذلك على المصدر اى سأصرف ذلك الصرف بسببهما والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة اى ولقائهم الدار الاخرة او ما وعد الله في الاخرة حبطت اعمالهم لا ينتفعون بها هل يجزون الا ما كانوا يعملون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه الى الميقات من حليهم التى استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في ايديهم او ملكوها بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع كدلى ويعقوب على الافراد عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم او جسدا من الذهب خاليا عن الروح ونصبه على البدل له خوار صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل ألقى في فمه من تراب اثر فرس جبريل فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو فعله اما لانهم رضوا به او لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار اى صياح الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى الم يروا حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا انه خالق الاجسام والقوى والقدر اتخذوه تكرير للذم اى اتخذوه الها وكانوا ظالمين واضعين الاشياء في غير مواضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم

ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ

ولما سقط فى ايديهم كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها وقيل معناه سقط الندم فى انفسهم ورأوا وعلموا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا بالتجاوز عن الخطيئة لنكونن من الخاسرين وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا شديد الغضب وقيل حزينا قال بئسما خلفتمونى من بعدى فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل والخطاب للعبدة او قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى او من بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه والكف عما ينافيه اعجلتم امر ربكم اتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدّى تعديته او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدّرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح اى طرحها من شدّة الغضب وفرط الضجرة حمية للدين روى ان التوراة كانت سبعة اسباع فى سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفع ستة اسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه يجره اليه توهما بانه قصر فى كفهم وهرون كان اكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل قال ابن ام ذكر الام ليرققه عليه وكانا من اب وام وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابوبكر عن عاصم هنا وفى طه يا ابن أمّ بالكسر واصله يا ابن امى بالياء فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله او تشبيها بخمسة عشر ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى فلا تشمت بى الاعداء فلا تفعل بى ما يشمتون بى لاجله ولا تجعلنى مع القوم الظالمين معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة اونسبة التقصير قال رب اغفر لى بما صنعت باخى ولاخى ان فرط فى كفهم ضمه الى نفسه فى الاستغفار ترضية له ودفعا للشماتة عنه وادخلنا فى رحمتك بمزيد الانعام علينا وانت ارحم الراحمين فانت ارحم بنا منا على انفسنا ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وذلة فى الحيوة الدنيا وهو خروجهم من ديارهم وقيل الجزية وكذلك نجزى المفترين على الله ولا فرية اعظم من فريتهم وهى قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها احد قبلهم ولا بعدهم والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصى ثم تابوا من بعدها من بعد السيئات وامنوا واشتغلوا بالايمان وما هو بمقتضاه من الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور رحيم وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرائيل

ولما سكت سكن وقد قرئ به عن موسى الغضب باعتذار هرون او بتوبتهم وفي هذا الكلام مبالغة وبلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على ما فعل كالآمر به والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت واسكت على ان المسكت هو الله واخوه او الذين تابوا اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها اي كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى بيان للحق ورحمة ارشاد الى الصلاح والخير للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير او حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصي الله لربهم واختار موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل اليه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة روي انه تعالى امره ان يأتيه في سبعين من بني اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من

عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدى ورحمة
للذين هم لربهم يرهبون ﴿١٥٤﴾ واختار موسى قومه سبعين
رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء
انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين ﴿١٥٥﴾
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة انا
هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت
كل شيء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة
والذين هم باياتنا يؤمنون ﴿١٥٦﴾ الذين يتبعون الرسول
النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية

الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي تمنى هلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما رأى او بسبب آخر او عنى به انك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة اخرى لم يبعد من عميم احسانك اتهلكنا بما فعل السفهاء منا من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم واشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم ان هي الا فتنتك ابتلاؤك حين اسمعتهم كلامك حتى طمعوا في الرؤية او اوجدت في العجل خوارا فزاغوا به تضل بها من تشاء ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وتهدي من تشاء هداه فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم بامرنا فاغفر لنا بمغفرة ما قارفنا وارحمنا وانت خير الغافرين تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة حسن معيشة وتوفيق طاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى أملنا انفسنا أو املنا اليك ويجوز ان يكون المضموم ايضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض قال عذابي اصيب به من اشاء تعذيبه ورحمتي وسعت كل شيء في الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره فساكتبها فسأثبتها في الآخرة او فسأكتبها كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم والذين هم باياتنا يؤمنون فلا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول النبي مبتدأ خبره يأمرهم او خبر مبتدأ محذوف تقديره هم الذين او بدل من الذين يتقون بدل البعض او الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد الامي الذي لا يكتب ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل اسما وصفة

يأمرهم بالمعروف وينهيهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات مما حرّم عليهم كالشحوم ويحرّم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة واصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم فالذين امنوا به وعزّروه وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه بى واتبعوا النور الذى انزل معه اى مع نبوته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر غيره اولانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى عليه السلام قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذى له ملك السموات والارض صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف الذى اضيف اليه لانه كالمتقدم عليه او مدح منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره لا اله الا هو وهو على الوجوه الاول بيان لما قبله فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفى يحيى ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس والقرآن او عيسى عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد فى خطط الضلالة ومن قوم موسى يعنى بنى اسرآئيل امة يهدون بالحق يهدون الناس محقين او بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من اهل زمانه اتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيها على ان تعارض الخير والشر وتزاحم اهل الحق والباطل امر مستمر وقيل مؤمنوا اهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين راهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به وقطعناهم اى قوم موسى وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض اثنتى عشرة مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير او حال وتأنيثه للحمل على الامة او القطعة اسباطا بدل منه ولذلك جمع او تمييز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة اسباط وكأنه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه فى التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على ان موسى عليه السلام لم يتوقف فى الامتثال وان ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس كل سبط

وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهٰيهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ
لَهُمُ الطَّيِّبٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
وَالْأَغْلٰلَ الَّتِىْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِهٖ وَعَزَّرُوْهُ
وَنَصَرُوْهُ وَاتَّبَعُوا النُّوْرَ الَّذِىْٓ اُنْزِلَ مَعَهٗٓ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ
۝ قُلْ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنِّىْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ جَمِيْعًا
الَّذِىْ لَهٗ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ يُحْيٖ وَيُمِيْتُ
فَاٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ النَّبِىِّ الْاُمِّىِّ الَّذِىْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَكَلِمٰتِهٖ
وَاتَّبِعُوْهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ۝ وَمِنْ قَوْمِ مُوْسٰٓى اُمَّةٌ
يَهْدُوْنَ بِالْحَقِّ وَبِهٖ يَعْدِلُوْنَ ۝ وَقَطَّعْنٰهُمُ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ
اَسْبَاطًا اُمَمًا وَاَوْحَيْنَآ اِلٰى مُوْسٰٓى اِذِ اسْتَسْقٰىهُ قَوْمُهٗٓ اَنِ
اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا

مشربهم وظللنا عليهم الغمام ليقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن والسلوى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق تفسيره فى سورة البقرة واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية باضمار اذكروا القرية بيت المقدس وكلوا منها
حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل مافى سورة البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له
ههنا اكتفاء بذكره ثمه اوبدلالة الحال عليه واما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا اثر له فى المعنى لانه لم يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما
نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على انه تفضل محض
ليس فى مقابلة ما امروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيئاتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ ابو عمرو
خطاياكم فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا
عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيره فيها
وسئلهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما
هو من علومهم التى لاتعلم الا بتعليم او وحى ليكون ذلك معجزة لك
عليهم عن القرية عن خبرها وما وقع باهلها التى كانت
حاضرة البحر قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على
شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية اذ يعدون فى السبت
يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت او حاضرة
او للمضاف المحذوف او بدل منه بدل الاشتمال اذ تاتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعد بدل وقرئ يعدّون واصله يعتدون
ويعدّون من الاعداد اى يعدّون الات الصيد يوم السبت وقد نهوا
ان يشتغلوا فيه بغير العبادة يوم سبتهم شرعا يوم تعظيمهم
امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة
وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد
الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرئ لايسبتون من اسبت ولايسبتون على البناء للمفعول بمعنى
لايدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة
على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا واشرف كذلك نبلوهم بما كانوا
يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل
كذلك متصل بما قبله اى لاتأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء
متعلق بيعدون واذ قالت عطف على اذ يعدون امة منهم
جماعة من اهل القرية يعنى صلحاءهم وهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم
حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم

قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا
عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ
وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ
لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ
وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ
سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ
الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا
يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ
إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ

او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم او سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم او قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر او العلة اى اعتذرنا به معذرة او وعظناهم معذرة ولعلهم يتقون اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ ابو بكر بيئس على وزن فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمزة على انه بئس كحذر كما قرئ به فخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد وكبد ونافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت في ذئب او على انه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ

قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون ﴿١٦٤﴾ فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴿١٦٥﴾ فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴿١٦٦﴾ واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم ﴿١٦٧﴾ وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون ﴿١٦٨﴾ فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله



بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها وبيس على التخفيف كهين وبائس كفاعل بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين كقوله انما قولنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والظاهر يقتضي ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز ان تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى ان الناهين لما يئسوا من اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم احد من المعتدين فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا انسباءهم ولكن القرود تعرفهم فجعلت تأتي انسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا ابدانهم واذ تاذن ربك اى اعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد او عزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بجوابه وهو ليبعثن عليهم الى يوم القيمة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل بهم ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تتمة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وامما مفعول ثان او حال منهم الصالحون صفة او بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم ومنهم دون ذلك تقديره ومنهم ناس دون ذلك اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم

وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتبهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بالفتح في الخير والمراد به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة من اسلافهم يقرأونها ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى حطام هذا الشئ الادنى يعني الدنيا وهو من الدنو او من الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشى في الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر يأخذون وان ياتهم عرض مثله يأخذوه حال من الضمير في لنا اى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه

ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى فى الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا يعقلون فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الادنى الدنيء المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص ويعقوب بالتاء على التلوين والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون وقوله افلا يعقلون اعتراض او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين على تقدير منهم او وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ ابو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر انواع التمسكات واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه فوقهم واصل النتق الجذب كانه ظلة سقيفة وهى كل ما اظلك وظنوا وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما اطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى وقلنا خذوا او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريق التمثيل ويدل عليه قوله قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه بدليل او تقولوا عطف على ان تقولوا وقرأ ابو عمرو كليهما بالياء لان اول الكلام على الغيبة انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعنى آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم اخرج من ظهره ذرية كالذر واحياهم وجعل لهم العقل والنطق والهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضى الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه فى شرحى لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون اى عن التقليد واتباع الباطل

أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ
مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا
لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ
كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ
ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ
لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي
وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا
مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ
لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

واتل عليهم اى على اليهود نبأ الذى آتيناه اياتنا هو احد علماء بنى اسرائيل او امية بن ابى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان يكون هو نفسه فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به او بلعم بن باعوراء من الكنعانيين اوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الايات بان كفر بها واعرض عنها فاتبعه الشيطان حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين روى ان قومه سألوه ان يدعو على موسى ومن معه فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات وملازمتها ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه واعرض عن مقتضى الايات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وان عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وان السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه ان يقول ولكنه اعرض عنها فاوقع موقعه اخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وان حب الدنيا رأس كل خطيئة فمثله فصفته التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفته فى اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم لعلهم يتفكرون تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم اى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم الذين كذبوا باياتنا بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الايات وظلم انفسهم او منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح بان الهدى والضلال من الله وان هداية الله تختص ببعض دون بعض وانها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على ان المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها ولقد ذرأنا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها اى لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله ولهم اعين لا يبصرون بها اى لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار ولهم آذان لا يسمعون بها الايات والمواعظ سماع تأمل وتذكر اولئك كالانعام فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر او فى ان مشاعرهم وقواهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها تدرك ما يمكن لها ان تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جذبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار اولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة ولله الاسماء الحسنى لانها دالة على معان هى احسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا

فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه او لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة او وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق اسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه او اعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال سيجزون ما كانوا يعملون وقرأ حمزة هنا وفي فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد والحد اذا مال عن القصد ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون ذكر ذلك بعد ما بين انه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على انه ايضا خلق للجنة امة هادين بالحق عادلين بالامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه ان في كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تزال من امتي طائفة على الحق الى ان يأتي امر الله اذ لو اختص بعهد الرسول او غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة من حيث لا يعلمون ما نريد بهم وذلك ان تتواتر عليهم النعم فيظنوا انها لطف من الله بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا في الغي حتى يحق عليهم كلمة العذاب واملي لهم وامهلهم عطف على سنستدرجهم ان كيدي متين ان اخذي شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني محمدا عليه الصلاة والسلام من جنة من جنون روي انه عليه الصلاة والسلام صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء مما يقع عليه الشيء من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم اليه وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مصدرية او مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى او لم ينظروا في اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مفاجأة الموت ونزول العذاب فباي حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان كانه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا به وقوله من يضلل الله فلا هادي له كالتقرير والتعليل له ونذرهم في طغيانهم بالرفع على الاستئناف وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائي به وبالجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل لا يهده احد غيره ويذرهم يعمهون حال منهم يسئلونك عن الساعة اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او لانها على طولها عند الله كساعة ايان مرساها متى ارساؤها اي اثباتها واستقرارها ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة واشتقاق ايان من اي لان معناه اي وقت وهو من اويت اليه لان البعض آو الى الكل قل انما علمها عند ربي استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا لا يجليها لوقتها لا يظهر امرها في وقتها الا هو والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام في قوله اقم الصلاة لدلوك الشمس ثقلت في السموات والارض عظمت على اهلها من الملائكة والثقلين لهولها وكانه اشارة الى الحكمة في اخفائها لا تأتيكم الا بغتة الا فجأة على غفلة كما قال عليه السلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها عالم بها فعيل من حفي عن الشيء اذا سأل عنه فان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ولذلك عدي بعن وقيل هو صلة يسألونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كانك حفي تتحفى بهم فتخصهم لاجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل كانك حفي من حفي بالشيء اذا فرح ومعناه كانك حفي بالسؤال عنها تحبه اي وانت تكرهه لانه من الغيب الذي استأثر الله بعلمه

قل انما علمها عندالله كرره لتكريريسألونك لمانيط به من هذه الزيادة وللمبالغة ولكن اكثرالناس لايعلمون ان علمها عندالله لم يؤته احدا من خلقه
قل لا املك لنفسى نفعا ولاضرا جلب نفع ولادفع ضر وهواظهار العبودية والتبرى من ادعاء العلم بالغيوب الاماشاء الله من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء ولوكنت اعلمه لخالفت حالى ماهى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لايمسنى سوء
ان انا الا نذير وبشير وماانا الاعبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يؤمنون فانهم المنتفعون بهما ويجوزان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوفا
هوالذى خلقكم من نفس واحدة هوادم وجعل منها من جسدها من ضلع من اضلاعها او من جنسها كقوله تعالى وجعل لكم من انفسكم ازواجا
زوجها حواء ليسكن اليها ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه اوجنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب فلما تغشاها

قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾
قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ۚ إِنْ أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن
نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا
تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ
رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾
فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ۚ فَتَعَالَى
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ
يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ
يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ

اى جامعها حملت حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ماتلق منه
الحوامل غالبا من الاذى او محمولا خفيفا وهو النطفة فمرت به
فاستمرت به وقامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت
وفمارت من المور وهو المجيئ والذهاب ومن المرية اى فظنت الحمل
وارتابت به فلما اثقلت صارت ذا ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ
على البناء للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله ربهما لئن اتيتنا
صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين لك على هذه
النعمة المجددة فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما
اى جعل اولادهما له شركاء فيما آتى اولادهما فسموه عبد العزى
وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه
قوله فتعالى الله عما يشركون ايشركون مالايخلق شيئا وهم يخلقون
يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها
مايدريك مافى بطنك لعله بهيمة اوكلب ومايدريك من اين يخرج
فخافت من ذلك وذكرت لادم فهما منه ثم عاد اليها وقال انى
من الله بمنزلة فان دعوت الله ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك
خروجه فسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فقبلت فلما
ولدت سمياه عبد الحارث وامثال ذلك لايليق بالانبياء ويحتمل ان يكون
الخطاب فى خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان
لها زوج من جنسها عربية قريشية فطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة
بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون
الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وابوبكر
شركا اى شركة بان اشركا فيه غيره اوذوى شرك وهم
الشركاء وهم ضمير الاصنام جيئ به على تسميتهم اياها الهة ولا
يستطيعون لهم نصرا اى لعبدتهم ولا انفسهم ينصرون
فيدفعون عنها مايعتريها

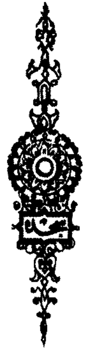
وان تدعوهم اى المشركين الى الهدى الى الاسلام لايتبعوكم وقرأنافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للشركين وهم ضمير الاصنام اى ان تدعوهم الى ان يهدوكم لايتبعوكم الى مرادكم ولايجيبوكم كما يجيبكم الله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وانما لم يقل ام صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات اولانهم ماكانوا يدعونها لحوائجهم فكانه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعاءهم ان الذين تدعون من دون الله اى تعبدونهم وتسمونهم الهة عباد امثالكم من حيث انها مملوكة مسخرة فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء امثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال ألهم ارجل يمشون بها ام لهم أيد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذن يسمعون بها وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على انها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم فى عداوتى ثم كيدون فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروه انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فلا تمهلونى فانى لا ابالى بكم لوثوقى على ولاية الله وحفظه ان وليى الله الذى نزل الكتاب القرآن وهو يتولى الصالحين اى ومن عادته تعالى ان يتولى الصالحين من عباده فضلا عن انبيائه والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من يواجهه خذ العفو اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد او خذ العفو عن المذنبين او الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة وأمر بالعرف المعروف المستحسن من الافعال واعرض عن الجاهلين فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل افعالهم وهذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها واما ينزغنك من الشيطان نزغ ينخسنك منه نخس اى وسوسة تحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراء لهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه فاستعذ بالله انه سميع يسمع استعاذتك عليم يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان

سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾

سورة الانفال مدنية وهي خمس وسبعون آية ٧٥

ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر ان تؤثر فيهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي ويعقوب طيف على انه مصدر او تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والاية تأكيد وتقرير لما قبلها وكذا قوله واخوانهم يمدونهم اى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشيطان في الغي بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من امد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغواء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يكفون عن الغي ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على من هو له واذا لم تأتهم بآية من القرآن او مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها هلا جمعتها تقولا من نفسك كسائر ما تقرأ او هلا طلبتها من الله قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي لست بمختلق للايات ولست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وهدى ورحمة لقوم يؤمنون سبق تفسيره واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما او امر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام من قراءته كما هو مذهب الشافعي رضي الله تعالى عنه تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه ادخل في الخشوع والاخلاص بالغدو والآصال باوقات الغدو والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل في الاصيل مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله ان الذين عند ربك يعني ملائكة الملأ الاعلى لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وينزهونه وله يسجدون ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة



سُورَةُ الانفال مدنية وهى ست وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يسئلونك عن الانفال اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به ما يشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه قل الانفال لله والرسول اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر انها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم او الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام ان يفى بما وعد وهو قول الشافعى رحمه الله تعالى وعن سعد بن ابى وقاص رضى الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها ويسئلونك الانفال اى يسألك الشبان ما شرطت لهم فيها فاتقوا الله فى الاختلاف والمشاجرة واصلحوا ذات بينكم الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم امره الى الله والرسول واطيعوا الله ورسوله فيه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى ذلك او ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون اى الكاملون فى الايمان الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت اى خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لزيادة المؤمن به او لاطمئنان النفس ورسوخ اليقين بتظاهر الادلة او بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية بناء على ان العمل داخل فيه وعلى ربهم يتوكلون يفوضون اليه امورهم ولا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن افعال الجوارح التى هى العيار عليها الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف او مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا لهم درجات عند ربهم كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم اعد لهم فى الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهى امده كما اخرجك ربك من بيتك بالحق خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له او صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول اى الانفال تثبت لله والرسول عليه السلام مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه او بيته فيها مع كراهتهم وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موقع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر اهل مكة فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجاء على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب ان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت فى مكة الا اصابه شئ منها فحدثت بها العباس وبلغ ذلك ابا جهل فقال ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تنبأت نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما فى السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادى ذفران فنزل عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه اصحابه فقال بعضهم هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انا خرجنا للعير فرد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع

٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الْاَنْفَالِ قُلِ الْاَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُوْلِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَصْلِحُوْا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَاَطِيْعُوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهُ اِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ ﴿١﴾ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ اِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوْبُهُمْ وَاِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ اٰيَاتُهُ زَادَتْهُمْ اِيْمَانًا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُوْنَ ﴿٢﴾ اَلَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُوْنَ ﴿٣﴾ اُولٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيْمٌ ﴿٤﴾ كَمَا اَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَاِنَّ فَرِيْقًا مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ لَكَارِهُوْنَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُوْنَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَاَنَّمَا يُسَاقُوْنَ اِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُوْنَ ﴿٦﴾ وَاِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ اِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ اَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّوْنَ



العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام ابوبكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فيه والله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لانا لا نقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه بالعقبة انهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف ان لا يروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ وقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال انا قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٩﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١١﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١٢﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٣﴾

على بركة الله فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله قد وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك فكره بعضهم قوله يجادلونك في الحق في ايثارك الجهاد باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه بعد ما تبين انهم ينصرون اينما توجهوا باعلام الرسول عليه الصلاة والسلام كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون اى يكرهون القتال كراهة من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روى انهم كانوا رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم كانت لفرط فزعهم ورعبهم واذ يعدكم الله احدى الطائفتين على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد ابدل منها انها لكم بدل الاشتمال وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم يعني العير فانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد الله ان يحق الحق اى يثبته ويعليه بكلماته الموحى بها في هذه الحال او بأوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين ويستأصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل اى يفعل ما فعل وليس بتكرير لان الاول لبيان المراد وما بينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها ولو كره المجرمون ذلك اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق او على اضمار اذكر واستغاثتهم انهم لما علموا ان لا محيص من القتال اخذوا يقولون اى رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه عليه السلام نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم انى ممدكم

بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ ابو عمرو بالكسر على ارادة القول او اجرى استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول بالف من الملائكة مردفين متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت بعده او متبعين بعضهم بعضا او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة للجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها واصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل عليها وما جعله الله اى الامداد الا بشرى الا بشارة لكم بالنصر ولتطمئن به قلوبكم فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ۚ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَمَأْوٰيهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلٰكِنَّ اللّٰهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذٰلِكُمْ وَأَنَّ اللّٰهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ ۖ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۖ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّٰهَ مَعَ

اذ يغشيكم النعاس بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة او متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بجعل او باضمار اذكر وقرأ نافع يغشيكم بالتخفيف من اغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع امنة منه أمنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز ان يراد بها الايمان فتكون فعل المغشي وان تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه او لانه كان من حقه ان لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكانه حصلت له امنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة كرحمة وهي لغة وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به من الحدث والجنابة ويذهب عنكم رجز الشيطان يعني الجنابة لانها من تخييله او وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وانتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم اولياء الله وفيكم رسوله فاشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة وليربط على قلوبكم بالوثوق على لطف الله بهم ويثبت به الاقدام اي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل او بالربط على القلوب حتى تثبت في المعركة اذ يوحي ربك بدل ثالث او متعلق بيثبت الى الملائكة اني معكم في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول او اجراء الوحي مجراه فثبتوا الذين امنوا بالبشارة او بتكثير سوادهم او بمحاربة اعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير للخطاب او على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة ما يثبتون المؤمنين به كانه قال قولوا لهم قولي هذا فاضربوا فوق الاعناق اعاليها التي هي المذابح او الرؤس واضربوا منهم كل بنان اصابع اي حزوا رقابهم واقطعوا اطرافهم ذلك اشارة الى الضرب والامر به والخطاب للرسول او لكل احد من المخاطبين قبل بانهم شاقوا الله ورسوله بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الاخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب تقرير للتعليل او وعيد بما اعد لهم في الاخرة بعد ما حاق بهم في الدنيا ذلكم الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع اي الامر ذلكم او ذلكم واقع او نصب بفعل دل عليه فذوقوه او غيره مثل باشروا او عليكم لتكون الفاء عاطفة وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم او نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ما عجل لكم مع ما اجل لكم في الاخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الاجل او الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال فلا تولوهم الادبار بالانهزام فضلا عن ان يكونوا مثلكم او اقل منكم والاظهر انها محكمة لكنها مخصوصة بقوله حرض المؤمنين الاية ويجوز ان ينتصب زحفا على الحال من الفاعل والمفعول اي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا او من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حتى تولوا وهم اثنا عشر الفا ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب او متحيزا الى فئة او منحازا الى فئة اخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنه انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لا عمل له او الاستثناء من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر والحاضرين معه في الحرب فلم تقتلوهم بقوتكم

ولكن الله

ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب في قلوبهم روي انه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه السلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبريل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا اقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت واسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت يا محمد رميا توصلها الى اعينهم ولم تقدر عليه اذ رميت اي اتيت بصورة الرمي ولكن الله رمى اتى بما هو غاية الرمي فاوصلها الى اعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت ان اللفظ يطلق على المسمى وعلى ما هو كماله والمقصود منه وقيل معناه ما رميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم وقيل انه نزل في طعنة طعن بها ابي بن خلف يوم احد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات او رمية سهم رماه يوم حنين نحو الحصن فاصاب ابن ابي الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ولكن بالتخفيف ورفع ما بعده في الموضعين

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ

وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الايات ان الله سميع لاستغاثتهم ودعائهم عليم بنياتهم واحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن والقتل والرمي ومحله الرفع اي المقصود او الامر ذلكم وقوله وان الله موهن كيد الكافرين معطوف عليه اي المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وان تنتهوا عن الكفر ومعاداة الرسول فهو خير لكم لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني ولن تدفع عنكم فئتكم جماعتكم شيئا من الاغناء او المضار ولو كثرت فئتكم وان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وان بالفتح على ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل في القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار او تهييج العدو ولن تغني حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين في ايمانهم ويؤكد ذلك يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه اي ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الاية الامر بطاعته والنهي عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على ان طاعة الله في طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد او للامر الذي دل عليه الطاعة وانتم تسمعون القرآن والمواعظ سماع فهم وتصديق ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع وهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به فكأنهم لا يسمعون رأسا ان شر الدواب عند الله شر ما يدب على الارض او شر البهائم الصم عن الحق البكم الذين لا يعقلون

اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ما ميزوا به وفضلوا لاجله ولو علم الله فيهم خيرا سعادة كتبت لهم او انتفاعا بالايات لاسمعهم سماع تفهم ولو اسمعهم وقد علم ان لا خير فيهم لتولوا ولم ينتفعوا به او ارتدوا بعد التصديق والقبول وهم معرضون لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصي يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة اذا دعاكم وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول روي انه عليه السلام مر على ابي سعيد الخدري وهو يصلي فدعاه فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لا تقطع الصلاة فان الصلاة ايضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لا يحتمل التأخير وللمصلي ان يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول لما يحييكم من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن او مما يورثكم الحياة الابدية في النعيم الدائم من العقائد والاعمال او من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لو تركوه لغلبهم العدو وقتلهم او الشهادة لقوله تعالى بل احياء عند ربهم

واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ان يحول الله بينه وبين قلبه بالموت او غيره اوتصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران اراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المرّ بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه وانه اليه تحشرون فيجازيكم باعمالكم واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اتقوا ذنبا يعمكم اثره كاقرار المنكر بين اظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله لاتصيبن اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه ان جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى فى غير القسم اوللنهى على ارادة القول كقوله حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل ان يكون نهيا بعد الامر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض ارض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء فى ايدى فارس والروم تخافون ان يتخطفكم الناس كفار قريش اومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين مضادين لهم فآواكم الى المدينة اوجعل لكم مأوى تحصنون به عن اعدائكم وايدكم بنصره على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون هذه النعم يا ايها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول بتعطيل الفرائض والسنن اوبان تضمروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى المغانم روى انه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحاء بارض الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به واصل الخون النقص كما ان اصل الوفاء التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه وتخونوا اماناتكم فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول اومنصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون اووانتم علماء تميزون الحسن من القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانهم سبب الوقوع فى الاثم او العقاب اومحنة من الله تعالى ليبلوكم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كابى لبابة وان الله عنده اجر عظيم لمن آثر رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة عما تحذرون فى الدارين او ظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سيئاتكم ويسترها ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيئات الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها فى اهل بدر وقد غفرها الله تعالى لهم والله ذو الفضل العظيم تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم

لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٣﴾

والمعنى واذكر اذ يمكرون بك ليثبتوك بالوثاق او الحبس او الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبّتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فزعوا فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد سمعت اجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدّوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيي ان تحملوه على جمل فتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم واذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وامره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع ابي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار ويمكرون ويمكر الله برد مكرهم عليهم او بمجازاتهم عليه او بمعاملة الماكرين معهم بان اخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في اعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا والله خير الماكرين اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد امثال هذا الى الله انما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا هو قول النضر بن الحارث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصّهم او قول الذين ائتمروا في امره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا خصوصا في باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين ما سطره الاولون من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ في الجحود روي انه لما قال النضر ان هذا الا اساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فامطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره او ائتنا بعذاب اليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق به كونه حقا بالوجه الذي يدعيه النبي وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كاساطير الاولين وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف في اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم عذابا استئصال والنبي بين اظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم في قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقي فيهم من المؤمنين او قولهم اللهم غفرانك او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا

وهم يصدون عن المسجد الحرام وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضميران لله ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر على ان منهم من يعلم ويعاند او اراد به الكل كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت اي دعاؤهم او ما يسمونه صلاة او ما يضعون موضعها الا مكاء صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا وتصدية تصفيقا تفعلة من الصدى او من الصد على ابدال الحرف بالتضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على انه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روي انهم كانوا يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا العذاب يعني القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الاخرة

والّلام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود أثنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي سفيان استأجر ليوم احد الفين من العرب سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية او في اصحاب العير فانه لما اصيب قريش ببدر قيل لهم اعينوا بهذا على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال وهو انفاق بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذ اسلم بعضهم الى جهنم يحشرون يساقون ليميز الله الخبيث من الطيب الكافر من المؤمن او الفساد من الصلاح والّلام متعلقة بيحشرون او يغلبون او ما انفقه المشركون في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما انفقه المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب ليميز من التمييز وهو ابلغ من الميز ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال للكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث او الى المنفقين هم الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا يعني ابا سفيان واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداة الرسول عليه الصلاة والسلام بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على انه خطابهم ويغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة لا يوجد فيهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل عنهم الاديان الباطلة فان انتهوا عن الكفر فان الله بما يعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير يجازيكم فيكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعي اثابتهم للمباشرة يستدعي اثابة مقاتليهم للتسبب وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم اى الذي اخذتموه من الكفار قهرا من شيء مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم كما في قوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعل الشيخان رضي الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضي الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وذهب ابو العالية الى ظاهر الاية فقال يقسم ستة اقسام ويصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول وذووا القربى بنو هاشم وبنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوي القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارأيت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا في اسلام وشبك بين اصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش والغني والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والاية نزلت ببدر.

يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنت الاولين ۝ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير ۝ وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير ۝ واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير ۝ اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا ۝ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى



وقيل كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا اي ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا انه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملي اذا امر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل وما انزلنا على عبدنا محمد من الايات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين اي الرسول والمؤمنين يوم الفرقان يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان المسلمون والكفار والله على كل شئ قدير فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادي وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب وهم بالعدوة القصوى البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اي العير او قوادها اسفل منكم في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو منصوب

من حي عن بينة وان الله لسميع عليم ﴿٤٢﴾ اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اريكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور ﴿٤٣﴾ واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور ﴿٤٤﴾ يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴿٤٥﴾ واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ﴿٤٦﴾ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴿٤٧﴾ واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب

على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتياث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة ولذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اي لو تواعدتم انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا ولكن جمع بينكم على هذه الحالة من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للهلاك والحياة او من هذا حاله في علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر ويعقوب من حيي بفك الادغام للحمل على المستقبل وان الله لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وايمان من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك قليلا مقدر باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم ولتنازعتم في الامر امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم انعم بالسلامة من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثاني وانما قللهم في اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة جزور وقللهم في اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفاجئهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم ايات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوي في الشرط ليقضي الله امرا كان مفعولا كرره لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمه الالتقاء على الوجه المحكي وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الاشراك والى الله ترجع الامور يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة حاربتم جماعة ولم يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فاثبتوا للقائهم واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه في شئ من الاحوال

واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب النهي وقيل عطف عليه ولذلك قرئ وتذهب ريحكم بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا ان الله مع الصابرين بالكلاءة والنصر ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يعني اهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير بطرا فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول ابي سفيان ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال ابو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القينات ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كاس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامرهم بان يكونوا اهل التقوى والاخلاص من حيث ان النهي عن الشيء امر بضده ويصدون عن سبيل الله معطوف على بطرا ان جعل مصدرا في موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر والله بما يعملون محيط فيجازيكم عليه

واذ زين لهم الشيطان مقدر باذكر اعمالهم في معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اي تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اي بطل كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سبب هلاكهم وقال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكناني وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده في يد الحارث بن هشام فقال له الى اين تخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله اني اخاف الله اني اخافه ان يصيبني بمكروه من الملائكة او يهلكني ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ رأى فيه ما لم ير قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستأنفا اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعد وبقي في قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا يدي لهم به فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم فان الله عزيز غالب لا يذل من استجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولو ترى ولو رأيت فان لو تجعل المضارع ماضيا عكس ان اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف اي ولو ترى الكفرة او حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز ان يكون الفاعل ضمير الله عز وجل وهو مبتدأ خبره يضربون وجوههم والجملة حال من الذين كفروا واستغني فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم او من الملائكة او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم ظهورهم او استاههم ولعل المراد تعميم الضرب اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون باضمار القول اي ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف لتفظيع الامر وتهويله ذلك الضرب والعذاب بما قدمت ايديكم بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصي وهو خبر لذلك وان الله ليس بظلام للعبيد عطف على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا ان لا يعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفي الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد كدأب آل فرعون اي دأب هؤلاء مثل دأب

لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ

آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذي دأبوا فيه اي داموا عليه والذين من قبلهم من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله تفسير لدأبهم فاخذهم الله بذنوبهم كما اخذ هؤلاء ان الله قوي شديد العقاب لا يغلبه في دفعه شئ ذلك اشارة الى ما حل بهم بان الله بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم مبدلا اياها بالنقمة حتى يغيروا ما بانفسهم يبدلوا ما بهم من الحال الى حال اسوأ كتغيير قريش حالهم في صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول ومن تبعه منهم والسعي في اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما احدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما انعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جري عادته تعالى على تغيير نعمته تغييرا حالهم واصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينية تخفيفا وان الله سميع لما يقولون عليم بما يفعلون كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني لتشبيه التغيير في النعمة بسبب تغييرهم ما بانفسهم وكل من الفرق المكذبة او من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالظلم والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فهم لا يؤمنون فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على ان تحقق المعطوف عليه يستدعي تحقق المعطوف وقوله الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة او المحاربة وهم لا يتقون سبة الغدر ومغبته او لا يتقون الله فيه او نصره للمؤمنين وتسليطه عليهم فاما تثقفنهم فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم من خلفهم من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ شرذ بالذال المعجمة وكانه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء لعلهم يذكرون لعل المشردين يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم عهدهم على سواء على عدل وطريق قصد في العداوة ولا تناجزهم في الحرب فانه يكون خيانة منك او على سواء في الخوف او العلم بنقض العهد وهو في موضع الحال من النابذ على الوجه الاول اي ثابتا على طريق سوي او منه او من المنبوذ اليهم او منهما على غيره وقوله ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف ولا تحسبن خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام وقوله الذين كفروا سبقوا مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير احد او من خلفهم او الذين كفروا والمفعول الاول انفسهم فحذف للتكرار او على تقدير ان سبقوا وهو ضعيف لان ان المصدرية كالموصول فلا تحذف او على ايقاع الفعل على انهم لا يعجزون بالفتح على قراءة ابن عامر وان لا صلة وسبقوا حال بمعنى سابقين اي مفلتين والاظهر انه تعليل للنهي اي لا تحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لا يفوتون الله او لا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الا انه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن افلت من فل المشركين واعدوا ايها المؤمنون لهم لناقضي العهد او الكفار ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلوة والسلام يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه اقواه ومن رباط الخيل اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول او مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة ترهبون به تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم او للاعداد عدو الله وعدوكم يعني كفار مكة

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ

وآخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم لا تعرفونهم باعيانهم الله يعلمهم يعرفهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم جزاؤه وانتم لا تظلمون بتضييع العمل او نقص الثواب وان جنحوا مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى للسلم للصلح والاستسلام وقرأ ابو بكر بالكسر فاجنح لها وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب تكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بالضم وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم انه هو السميع لاقوالهم العليم بنياتهم والاية مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان محسبك الله وكافيك قال جرير انى وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين جميعا والف بين قلوبهم مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شيء والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم وبيانه لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم اى تناهى عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات بينهم ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح ولكن الله الف بينهم بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء انه عزيز تام القدرة والغلبة لا يعصى عليه ما يريده حكيم يعلم انه كيف ينبغى ان يفعل ما يريده وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا يا ايها النبى حسبك الله كافيك ومن اتبعك من المؤمنين اما في محل النصب على المفعول معه كقوله اذا كانت الهيجاء واشتجر القنى فحسبك والضحاك سيف مهند او الجر عطفا على المكنى عند الكوفيين او الرفع عطفا على اسم الله اى كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت بالبيداء في غزوة بدر وقيل اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت في اسلامه يا ايها النبى حرض المؤمنين على القتال بالغ في حثهم عليه واصله الحرض وهو ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بانهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتأييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء في الايتين ووافقهم البصريان في فان تكن منكم مائة صابرة بانهم قوم لا يفقهون بسبب انهم جهلة بالله واليوم الآخر لا يثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا او قتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله لما اوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين

فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٣﴾ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ ۚ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٦﴾ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ

وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا

والله مع الصابرين بالنصر والمعونة فكيف لا يغلبون ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد ان يكون له اسرى وقرأ البصريان بالتاء حتى يثخن في الارض يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله واصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا حطامها باخذكم الفداء والله يريد الآخرة والله يريد لكم ثواب الآخرة او سبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي انه عليه السلام اتي يوم بدر بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضي الله تعالى عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكني من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من اخويهما فلنضرب اعناقهم فلم يهو ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضي الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان اجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والاية دليل على ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وانه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه لولا كتاب من الله سبق لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو ان لا يعاقب المخطئ في اجتهاده او لا يعذب اهل بدر او قوما بما لم يصرح لهم بالنهي عنه او ان الفدية التي اخذوها ستحل لهم لمسكم لنالكم فيما اخذتم من الفداء عذاب عظيم روي انه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه ايضا اشار بالاثخان فكلوا مما غنمتم من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل امسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره ابحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع في نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة او حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله طيبا واتقوا الله في مخالفته ان الله غفور غفر لكم ذنبكم رحيم اباح لكم ما اخذتم يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى وقرأ ابو عمرو من الاسارى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا ايمانا واخلاصا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء روي انها نزلت في العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدي نفسه وابني اخويه عقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال وما يدريك قال اخبرني به ربي تعالى قال فاشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك رسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربكم يعني الموعود بقوله ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا يعني الاسرى خيانتك نقض ما عاهدوك فقد خانوا الله بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل من قبل فامكن منهم اي فامكنك منهم كما فعل يوم بدر فان عادوا الى الخيانة فسيمكنك منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا اوطانهم وهم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله ولرسوله وجاهدوا باموالهم فصرفوها في الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم في سبيل الله بمباشرة القتال والذين آووا ونصروا هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم

اولٰئك بعضهم اولياء بعض في الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض او بالنصرة والمظاهرة والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي من توليتهم في الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيهًا لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كانه بتوليه صاحبه يزاول عملا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا ينقض عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض في الميراث والموازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث والموازرة بينهم وبين المسلمين الا تفعلوه الا تفعلوا ما امرتم به من التواصل بينكم وتولي بعضكم لبعض حتى في التوارث وقطع العلائق بينكم وبين الكفار تكن فتنة في الارض تحصل فتنة فيها عظيمة وهي ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد كبير في الدين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولٰئك هم المؤمنون حقًا لما قسم المؤمنين ثلاثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصرة الحق ووعدهم الموعد الكريم فقال لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولٰئك منكم اي من جملتكم ايها المهاجرون والانصار واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث من الاجانب في كتاب الله في حكمه او في اللوح او في القرآن واستدل به على توريث ذوي الارحام ان الله بكل شيء عليم من المواريث والحكمة في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته سورة براءة مدنية وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهي آخر ما نزلت ولها اسماء اخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهي التبري منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم ويفضحهم وينكلهم ويشرد بهم ويدمدم عليهم ويذكر عذابهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان وبسم الله امان وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة او آية بين موضعها وتوفي ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال وتناسبها لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في انهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال او سورتان تركت بينهما فرجة ولم يكتب بسم الله براءة من الله ورسوله اي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز ان تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم من المشركين وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى ان الله ورسوله بريئان من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على انه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما بريئان منها وذلك انهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا اناسا منهم بني ضمرة وبني كنانة فامرهم بنبذ العهد الى الناكثين وامهل المشركين اربعة اشهر ليسيروا اين شاؤا فقال فسيحوا في الارض اربعة اشهر شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي انها لما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله تعالى عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم وكان قد بعث ابا بكر رضي الله عنه اميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله تعالى عنه سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير ام مأمور قال مأمور

وَنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِى الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

سُورَةُ التَّوْبَةِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً

فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة وقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه عليه السلام بعث لان يؤدي عنه كثير لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب ان لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها ويدل عليه انه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطا ورفعه كرفع براءة على الوجهين يوم الحج الاكبر يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي انه عليه الصلاة والسلام وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام الحج

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٢﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٤﴾ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ



عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقي الاعمال او لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون ووافق عيده اعياد اهل الكتاب او لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله اي بان الله بريء من المشركين اي من عهودهم ورسوله عطف على المستكن في بريء او على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخص بالمعاهدين فان تبتم من الكفر والغدر فهو فالتوب خير لكم وان توليتم عن التوبة او ثبتم على التولي عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا في الدنيا وبشر الذين كفروا بعذاب اليم في الآخرة الا الذين عاهدتم من المشركين استثناء من المشركين او استدراك فكانه قيل لهم بعد ان امروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من شروط العهد ولم ينكثوه او لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين ان الله يحب المتقين تعليل وتنبيه على ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ انقضى واصل الانسلاخ خروج الشيء مما لابسه من سلخ الشاة الاشهر الحرم التي ابيح للناكثين ان يسيحوا فيها وقيل هي رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضي بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فاقتلوا المشركين الناكثين حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم واحبسوهم او حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر لئلا ينبسطوا في البلاد وانتصابه على الظرف فان تابوا عن الشرك بالايمان واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة تصديقا لتوبتهم وايمانهم فخلوا سبيلهم فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشيء من ذلك وفيه دليل على ان تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله ان الله غفور رحيم تعليل للامر اي فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعدهم الثواب بالتوبة وان احد من المشركين المأمور بالتعرض لهم استجارك استأمنك وطلب منك جوارك فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر ثم ابلغه مأمنه موضع امنه ان لم يسلم واحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل ذلك الامن او الامر بانهم قوم لا يعلمون ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من امانهم ريثما يسمعون ويتدبرون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم او لان يفي الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف وقدم للاستفهام او للمشركين او عند الله وهو على الاولين صفة للعهد او ظرف له او ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء او الجر على البدل

رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٩﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٠﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٢﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا

اوالرفع على ان الاستثناء منقطع اى ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم اى فتربصوا امرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتموا اليهم عهدهم غيرانه مطلق وهذا مقيد وما يحتمل الشرطية والمصدرية ان الله يحب المتقين سبق بيانه كيف تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد اوبقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله وخبرتماني انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب اى فكيف مات وان يظهروا عليكم اى وحالهم انهم ان يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم لا يراعوا فيكم الا حلفا وقيل قرابة قال حسان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رأل النعام وقيل ربوبية ولعله اشتق الحلف من الال وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من أل الشئ اذا حدده اومن أل البرق اذا لمع وقيل انه عبرى بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل ولا ذمة عهدا اوحقا يعاب على اغفاله يرضونكم بافواههم استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه وتأبى قلوبهم ما تفوه به افواههم واكثرهم فاسقون متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروءة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر احدوثة السوء اشتروا بايات الله استبدلوا بالقرآن ثمنا قليلا عوضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن سبيله دينه الموصل اليه اوسبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على ان اشتراءهم ادّاهم الى الصد انهم ساء ما كانوا يعملون عملهم هذا اوما دل عليه قوله لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في المنافقين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود او الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم واولئك هم المعتدون في الشرارة فان تابوا عن الكفر واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الايات لقوم يعلمون اعتراض للحث على تأمل ما فصل من احكام المعاهدين اوخصال التائبين وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وان نكثوا بعد ما بايعوا عليه من الايمان او الوفاء بالعهود وطعنوا في دينكم بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم اهم وهم احق به او للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي وروح عن يعقوب ائمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن انهم لا ايمان لهم اى لا ايمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على ان يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفي الوثوق عليها لا انها ليست بايمان لقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان بمعنى لا امان اولا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتدين وهو ضعيف لجواز ان يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين اوليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله لعلهم ينتهون متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين الا تقاتلون قوما تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفي للانكار فافادت المبالغة في الفعل نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول حين تشاوروا في امره بدار الندوة على ما مر ذكره في قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة وهم بدأوكم اول مرة بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدي به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم ان تعارضوهم وتصادموهم اتخشونهم أتتركون قتالهم خشية ان ينالكم مكروه منهم فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان ان لا يخشى الا منه

فاتلوا

قاتلوهم امر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعيد عليه يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم وعد لهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم ويشف صدور قوم مؤمنين يعني بني خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقوا منهم وقد اوفى الله بما وعدهم والاية من المعجزات ويتوب الله على من يشاء ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على انه من جملة ما اجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين والله عليم بما كان وما سيكون حكيم لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ام حسبتم خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم واراد نفي المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه ولم يتخذوا عطف على جاهدوا وداخل في الصلة من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة بطانة يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم وما في لما من معنى التوقع منبه على ان تبين ذلك متوقع والله خبير بما تعملون يعلم غرضكم منه وهو كالمزيح لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله ما كان للمشركين ما صح لهم ان يعمروا مساجد الله شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع ويدل عليه قرآءة ابن كثير وابي عمرو ويعقوب بالتوحيد شاهدين على انفسهم بالكفر باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روي انه لما اسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم واغلظ له علي رضي الله تعالى عنه في القول فقال تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك وفي النار هم خالدون لاجله انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة وآتى الزكاة اي انما يستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول لما علم ان الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله واقام الصلاة وآتى الزكوة عليه

فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ
يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ
الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾
وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا
مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا
مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ

ولم يخش الا الله اى فى ابواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لايكاد العاقل يتمالك عنها فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ذكره بصيغة التوقع قطعا لأطماع المشركين فى الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين ان يغتروا باحوالهم ويتكلوا عليها اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد فى سبيل الله السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا تشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج كمن آمن او اجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قرآءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار ان يشبه المشركون واعمالهم المحبطة بالمؤمنين واعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله لايستوون عند الله وبين عدم تساويهم بقوله والله لايهدى القوم الظالمين اى الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم منهمكون فى الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم وبين المؤمنين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى مرتبة واكثر كرامة ممن لم تستجمع هذه الصفات فيه او من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها فى الجنات نعيم مقيم دائم وقرا حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف خالدين فيها ابدا اكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل ان الله عنده اجر عظيم يستحقرون دونه مااستوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين امنوا لاتتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وبقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لاتتخذوهم اولياء يمنعونكم عن الايمان ويصدونكم عن الطاعة لقوله ان استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير محلها قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم ماخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ ابوبكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم واموال اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لايدخل تحت التكليف فى التحفظ عنه فتربصوا حتى يأتى الله بامره جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة او آجلة وقيل فتح مكة والله لايهدى القوم الفاسقين لايرشدهم وفى الاية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَآتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٢٠﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٢﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢٣﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ

لقد نصركم الله في مواطن كثيرة يعني مواطن الحرب وهي مواقعها ويوم حنين وموطن يوم حنين ويجوز ان يقدر في ايام مواطن او يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابداله قوله اذ اعجبتكم كثرتكم منه ان يعطف على موضع في مواطن فانه لا يقتضي تشاركهما فيما اضيف اليه المعطوف حتى يقتضي كثرتهم واعجابها اياهم في جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثني عشر الفا العشرة الذين حضروا فتح مكة والفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فلما التقوا قال النبي صلى الله عليه وسلم او ابو بكر او غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فادرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مركزه ليس معه الا عمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه ابو سفيان بن الحارث وناهيك بهذا شهادة على تناهي شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى يا عباد الله يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال عليه الصلاة والسلام

وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ

هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا فلم تغن عنكم اي الكثرة شيئا من الغناء او من امر العدو وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها اي بسعتها لا تجدون فيها مقرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب او لا تثبتون فيها كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم الكفار ظهوركم مدبرين منهزمين والادبار الذهاب الى الخلف خلاف الاقبال ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا وانزل جنودا لم تروها باعينكم يعني الملائكة وكانوا خمسة آلاف او ثمانية او ستة عشر على اختلاف الاقوال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك جزاء الكافرين اي ما فعل بهم جزاء كفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روي ان اناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقد سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سبايا كم واما اموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس لخبث باطنهم او لانه يجب ان يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس او لانهم لا يتطهرون ولا يجتنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على ان ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد في كبد واكثر ما جاء تابعا لرجس

فلا يقربوا المسجد الحرام لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهي عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع بعد عامهم هذا يعني سنة براءة وهي التاسعة وقيل سنة حجة الوداع وان خفتم عيلة فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارزاق فسوف يغنيكم الله من فضله من عطائه او تفضله بوجه آخر وقد انجز وعده بان ارسل السماء عليهم مدرارا ووفق اهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض وقرئ عائلة على انها مصدر كالعافية او حال

ان شاء قيده بالمشيئة ليقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على انه تعالى متفضل فى ذلك وان الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام ان الله عليم باحوالكم حكيم
فيما يعطى ويمنع قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر اى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه فى اول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ما ثبت تحريمه
بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى انهم يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها
من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين لا يؤمنون حتى يعطوا الجزية ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه عن يد حال من الضمير فى يعطوا اى عن يد مواتية بمعنى منقادين
او عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه او عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير او عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين اذلاء او
عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة او من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد وهم صاغرون اذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما تؤخذ الجزية من الذمى وتوجأ عنقه

هٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا
الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ
وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ
﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى
اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي

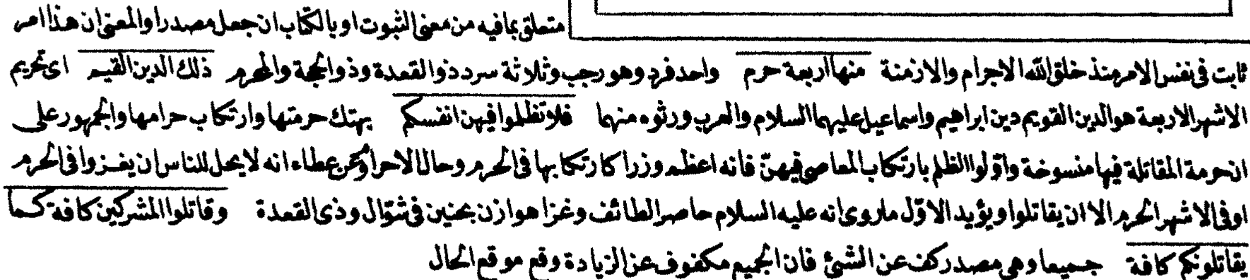
ومفهوم الاية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده ان عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن
يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه انه عليه
السلام اخذها من مجوس هجر وانه قال سنوا بهم سنة اهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة
كتاب فالحقوا بالكتابيين واما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند ابى حنيفة
رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى انه عليه الصلاة والسلام
صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر
الا المرتد واقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
على الغنى ثمانية واربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ
على الفقير غير الكسوب وقالت اليهود عزير ابن الله انما قال بعضهم من متقدميهم
او ممن كان بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة بخت نصر من يحفظ
التوراة وهو لما احياه الله بعد مائة عام املى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا
ما هذا الا لانه ابن الله والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية قرئت عليهم فلم
يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائى ويعقوب عزير بالتنوين على انه عربى
مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه فى القرآءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف
او لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين او لان الابن وصف والخبر محذوف
مثل معبودنا او صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدى الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر
وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون
ولد بلا اب او لان يفعل ما فعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها
ذلك قولهم بافواههم اما تأكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفى للتجوز عنها او اشعار بانه
قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذى يوجد فى الافواه ولا يوجد مفهومه
فى الاعيان يضاهؤن قول الذين كفروا اى يضاهى قولهم قول الذين كفروا فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه من قبل اى من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى
ان الكفر قديم فيهم او المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله او اليهود على ان الضمير
للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمزة لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم
امرأة ضهيأ على فعيل للتى شابهت الرجال فى انها لا تحيض قاتلهم الله دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او تعجب من شناعة قولهم انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق الى الباطل
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله بان اطاعوهم فى تحريم ما احل الله وتحليل ما حرم الله او بالسجود لهم والمسيح بن مريم بان جعلوه ابنا لله وما امروا اى
وما امر المتخذون او المتخذون اربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ الا ليعبدوا ليطيعوا الها واحدا وهو الله واما طاعة الرسل وسائر من امر الله بطاعته فهو فى
الحقيقة طاعة الله لا اله الا هو صفة ثانية او استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن ان يكون له شريك يريدون ان يطفؤا يخمدوا
نور الله حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد او القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بافواههم بشركهم او بتكذيبهم ويأبى الله اى لا يرضى

الا ان يتم نوره باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي ولو كره الكافرون محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله كالبيان لقوله ويأبى الله الا ان يتم نوره ولذلك كرره ولو كره المشركون غير انه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق او للرسول عليه السلام واللام في الدين للجنس اي على سائر الاديان فينسخها او على اهلها فيخذلهم يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بالرشى في الاحكام سمي اخذ المال اكلا لانه الغرض الاعظم منه ويصدون عن سبيل الله دينه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله يجوز ان يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد به المسلمون الذين يجمعون المال

ويقتنونه ولا يؤدون حقه ويكون اقترانه بالمرتشين من اهل الكتاب للتغليظ ويدل عليه انه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم وقوله عليه السلام ما ادي زكاته فليس بكنز اي بكنز اوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما امر الله ان ينفق فيه واما قوله من ترك صفراء او بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منه من لم يؤد حقها لقوله عليه الصلوة والسلام فيما اورده الشيخان مرويا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم بعذاب اليم هو الكي بهما يوم يحمى عليها في نار جهنم اي يوم توقد النار ذات حمي شديد عليها واصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيئان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه اربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول او للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب اولى بهذا الحكم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقادم البدن ومآخره وجنباه هذا ما كنزتم على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون ان عدة الشهور اي مبلغ عددها عند الله معمول عدة لانها مصدر اثنا عشر شهرا في كتاب الله في اللوح المحفوظ او في حكمه وهو صفة لاثنا عشر وقوله يوم خلق السموات والارض متعلق بما فيه من معنى الثبوت او بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى ان هذا امر



أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ



ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة منها اربعة حرم واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذلك الدين القيم اي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة واولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم او في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي انه عليه السلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة جميعا وهي مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال

زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَ
يُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ
زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا
يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ
شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ
اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ
إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا

واعلموا ان الله مع المتقين بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء اى تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر كانوا اذا جاءهم شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسئ والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا أخره زيادة فى الكفر لانه تحريم ما احله الله وتحليل ما حرمه الله فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم يضل به الذين كفروا ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على ان الفاعل الله تعالى يحلونه عاما يحلون النسيء من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر ويحرمونه عاما فيتركونه على حرمته قيل اول من احدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال او حال ليواطئوا عدة ما حرم الله اى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم واضلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا والله لا يهدى القوم الكافرين هداية موصلة الى الاهتداء يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ الى الارض متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك امروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الاخرة بدل الاخرة ونعيمها فما متاع الحيوة الدنيا فما التمتع بها فى الاخرة فى جنب الآخرة الا قليل مستحقر الا تنفروا ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم عذابا اليما بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو ويستبدل قوما غيركم ويستبدل بكم آخرين مطيعين كاهل اليمن وابناء فارس ولا تضروه شيئا اى لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيأ فانه الغنى عن كل شئ وفى كل امر وقيل الضمير للرسول عليه الصلوة والسلام اى ولا تضروه فان الله وعد له بالعصمة والنصرة ووعده حق والله على كل شئ قدير فيقدر على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كما قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اى ان لم تنصروه فينصره الله كما نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين ولم يكن معه الا رجل واحد فحذف الجزاء واقيم ما هو كالدليل عليه مقامه او ان لم تنصروه فقد اوجب الله له النصرة حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه او قتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال اذ هما فى الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار ثقب فى اعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكث فيه ثلاثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثانى لصاحبه وهو ابو بكر رضى الله تعالى عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمعونة روى ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى اسفله والعنكبوت فنسجت عليه فانزل الله سكينته امنته التى تسكن عندها القلوب عليه على النبى او على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا وايده بجنود لم تروها يعنى الملائكة انزلهم ليحرسوه فى الغار او ليعينوه على العدو يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعنى الشرك او دعوة الكفر

وكلمة الله هي العليا يعني التوحيد او دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم من ايدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له او بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن او بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب كلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع ابلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل والله عزيز حكيم في امره وتدبيره انفروا خفافا لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او لقلة عيالكم ولكثرتها او ركبانا ومشاة او خفافا وثقالا من السلاح او صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن ام مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى ان انفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله بما امكن لكم منهما كليهما او احدهما ذلكم خير لكم من تركه ان كنتم تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذا خبار الله به صدق فبادروا اليه لو كان عرضا اي لو كان ما دعوا اليه نفعا دنيويا قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا متوسطا لاتبعوك

ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٢﴾ ٱنفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٤﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ ٱلْكَاذِبِينَ ﴿٤٥﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَوْ أَرَادُوا ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً

لوافقوك ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون بالله اي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين لو استطعنا يقولون لو كان لنا استطاعة العدة او البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج عفا الله عنك كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لأي شيء اذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت حتى يتبين لك الذين صدقوا في الاعتذار وتعلم الكاذبين فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما اخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك في ان يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يوقفونه على الاذن فيه فضلا ان يستأذنوا في التخلف عنه او ان يستأذنوك في التخلف كراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بالثواب انما يستأذنك في التخلف الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تخصيص الايمان بالله واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له للخروج عدة اهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وعده بكسر العين باضافة وبغيرها

ولكن كره الله انبعاثهم استدراك عن مفهوم قوله ولوارادوا الخروج كانه قال ماخرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم اى نهوضهم للخروج فثبطهم
فحبسهم بالجبن والكسل وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود او حكاية قول بعضهم
لبعض او اذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لايخلوعن ذم لوخرجوا فيكم مازادوكم بخروجهم شيأ الاخبالا
فسادا او شرا ولايستلزم ذلك ان يكون لهم خبال حتى لوخرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء
منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا ولاوضعوا خلالكم ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب اوالهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا اسرع
يبغونكم الفتنة يريدون ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم اوالرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى اوضعوا وفيكم سماعون لهم ضعفة يسمعون قولهم

وَلٰكِنْ كَرِهَ اللّٰهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ
﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا
خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ
حَتّٰى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللّٰهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ
تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ
فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا
وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا
إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللّٰهُ

ويطيعونهم او نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم والله عليم بالظالمين
فيعلم ضمائرهم ومايتأتى منهم لقد ابتغوا الفتنة تشتيت امرك وتفريق اصحابك
من قبل يعنى يوم احد فان ابن ابى واصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما
خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من ثنية الوداع
انصرفوا يوم احد وقلبوا لك الامور ودبروا لك المكايد والحيل ودوّروا
الآراء فى ابطال امرك حتى جاء الحق النصر والتأييد الالهى وظهر امر الله
وعلا دينه وهم كارهون اى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله
عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم
له وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول
عليه الصلاة والسلام بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه ومنهم
من يقول ائذن لى فى القعود ولاتفتنى ولاتوقعنى فى الفتنة اى العصيان
والمخالفة بان لاتأذن لى وفيه اشعار بانه لامحالة متخلف اذن له اولم يأذن او
فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لاكافل لهم بعدى او فى الفتنة بنساء
الروم لما روى ان جد بن قيس قال قد علمت الانصار انى مولع بالنساء فلا
تفتنى ببنات اصفر ولكنى اعينك بمالى فاتركنى الا فى الفتنة سقطوا اى
ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف وظهور النفاق لا ما احترزوا
عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين جامعة لهم يوم القيامة او الآن
لاحاطة اسبابها بهم ان تصبك فى بعض غزواتك حسنة ظفر
وغنيمة تسؤهم لفرط حسدهم وان تصبك فى بعضها مصيبة
كسر او شدة كما اصاب يوم احد يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل تبجحوا
بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف ويتولوا عن متحدثهم بذلك
ومجتمعهم له او عن الرسول صلى الله عليه وسلم وهم فرحون مسرورون
قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة
او الشهادة او ماكتب لاجلنا فى اللوح المحفوظ ولايتغير بموافقتكم ولا
بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشئ فيما
قصد به وقيل من الصوب هو مولانا ناصرنا ومتولى امرنا وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان حقهم ان لايتوكلوا على غيره قل هل تربصون بنا تنتظرون بنا
الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم ايضا احدى السوءيين ان يصيبكم الله
بعذاب من عنده بقارعة من السماء

اوبايدينا اوبعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا ماهو عاقبتنا انا معكم متربصون ماهو عاقبتكم قل انفقوا طوعا اوكرها لن يتقبل منكم امر في معنى الخبر اى لن يقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا اوكرها وفائدته المبالغة في تساوى الانفاقين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس واعينك بمالى ونفى التقبل يحتمل امرين ان لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله انكم كنتم قوما فاسقين تعليل له على سبيل الاستئناف ومابعده بيان وتقرير له وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اى وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائى ان يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقى وقرئ يقبل على ان الفعل لله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب مايكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب ومايرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم واصل الزهوق الخروج بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية لو يجدون ملجأ حصنا يلجأون اليه اومغارات غيرانا اومدخلا نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا اى مكانا يدخلون فيه انفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شئ كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك يعيبك وقرأ ابن كثير يلامزك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم في الصدقات في قسمها فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون قيل انها نزلت في ابي الجواظ المنافق قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يارسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل واذ للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية

بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلٰوةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾

ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله ما اعطاهم الرسول من الغنيمة او الصدقة وذكر الله للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بامره وقالوا حسبنا الله كفانا فضله سيؤتينا الله من فضله ورسوله صدقة او غنيمة اخرى فيؤتينا اكثر مما آتانا انا الى الله راغبون في ان يغنينا من فضله والآية بأسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام فقال انما الصدقات للفقراء والمساكين اى الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على ان المراد باللام لزم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه اصيب فقاره والمسكين من له مال او كسب لا يكفيه من السكون كأن العجز اسكنه ويدل عليه قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وانه عليه السلام كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى او مسكينا ذا متربة والعاملين عليها الساعين في تحصيلها وجمعها والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل اشراف يستألفون على ان يسلموا فانه كان عليه الصلاة والسلام يعطيهم والاصح انه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما اعزه الله وكثر اهله سقط وفى الرقاب وللصرف في فك الرقاب بأن يعاون المكاتب بشئ منها على اداء النجوم وقيل بأن يبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك واحمد او بأن يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على ان الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم احق بها والغارمين المديونين لانفسهم في غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن لهم وفاء او لحمالة لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء لقوله عليه الصلاة والسلام لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او رجل اشتراها بماله او رجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفى سبيل الله وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر والمصانع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر لما دل عليه الآية اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن في للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة والله عليم حكيم يضع الاشياء في مواضعها وظاهر الآية يقتضي تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية الاشتراك واليه ذهب الشافعي رضي الله عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين جواز صرفها الى صنف واحد واختاره بعض اصحابنا وبه قال الائمة الثلاثة وبه كان يفتي شيخي ووالدي رحمهما الله تعالى على ان الآية بيان ان الصدقة لا تخرج منهم لا لايجاب قسمها عليهم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمي بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمي الجاسوس عينا لذلك او اشتق له فعل من اذن اذنا اذا استمع كأنف وشلل روى انهم قالوا محمد اذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول قل اذن خير لكم تصديق لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله يؤمن بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان ورحمة اى وهو رحمة للذين آمنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئت بالنصب على انها علة فعل دل عليه اذن خير اى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع اذن بالتخفيف فيهما وقرئ اذن خير على ان خير صفة له او خبر ثان والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم بايذائه يحلفون بالله لكم على معاذيرهم فيما قالوا او يحلفون

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾



ليرضوكم لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين والله ورسوله احق ان يرضوه احق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الارضاءين اولان الكلام في ايذاء
الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه اولان التقدير والله احق ان يرضوه والرسول كذلك ان كانوا مؤمنين صدقا الم يعلموا انه ان الشان وقرئ بالتاء من يحادد الله
ورسوله يشاقق مفاعلة من الحد فان له نار جهنم خالدا فيها على حذف الخبر اى فحق ان له او على تكرير ان للتأكيد ويحتمل ان يكون معطوفا على انه ويكون الجواب
محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فانّ له بالكسر ذلك الخزى العظيم يعنى الهلاك الدائم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم على المؤمنين سورة
تنبئهم بما فى قلوبهم وتهتك عليهم استارهم ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل
على ترددهم ايضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى امر الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله قل استهزؤا ان الله

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ
قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ
كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ
إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا
مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ
نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ
اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ
فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾
كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ

مخرج مبرز ومظهر ما تحذرون اى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم او
ما تحذرون اظهاره من مساويكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب
روى ان ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك
فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات
فاخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ
من امرك وامر اصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على
بعض السفر قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن توبيخا على استهزائهم
بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب قد كفرتم
قد اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه بعد
ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم
واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء نعذب طائفة بانهم
كانوا مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء
وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء وبناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف
بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى متشابهة فى النفاق والبعد
عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيبهم فى حلفهم بالله
انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل
على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله يأمرون بالمنكر بالكفر
والمعاصى وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعة ويقبضون
ايديهم عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر
الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من فضله ولطفه ان
المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة
الخير وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها

مقدرين الخلود هى حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم من رحمته واهانهم ولهم عذاب مقيم لا ينقطع
والمراد به ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا
واولادا بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم

فاستمتعوا بخلاقهم نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيد الذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم ودخلتم فى الباطل كالذى خاضوا كالذين خاضوا وكالفوج الذى خاضوا وكالخوض الذى خاضوه اولئك حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين واولئك هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والاخرة الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح اغرقوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اى انقلبت فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفاكهن انقلاب احوالهن من الخير الى الشر اتتهم رسلهم يعنى الكل بالبينات فما كان الله ليظلمهم اى لم يكن من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله فى سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده حكيم يضع الاشياء فى مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة تستطيبها النفس او يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر

أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي
خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿٧١﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٢﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ

في جنات عدن اقامة وخلود وعنه عليه الصلوة والسلام عدن دار الله التي لم ترها عين قط ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل ان يكون الى تعدد الموعود لكل واحد او للجميع على سبيل التوزيع او الى تغاير وصفه وكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى الاماكن التي يعرفونها لتميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه بانه محفوف بطيب العيش معرى من شوائب الكدورات التي لا تخلو عن شئ منها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اكبر من ذلك فقال ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شئ افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك اي الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي تستحقر دونه الدنيا وما فيها يا ايها النبي جاهد

طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ
بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ
وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ
عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ
لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ
فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا
فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا

الكفار بالسيف والمنافقين بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك ولا تحابهم وماويهم جهنم وبئس المصير مصيرهم يحلفون بالله ما قالوا روى انه عليه الصلاة والسلام اقام في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان ما يقول محمد لاخواننا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ما قاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام وهموا بما لم ينالوا من قتل الرسول وهو ان خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك ان يدفعوه عن ظهر راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا او اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة او بان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نقموا وما انكروا وما وجدوا وما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان اكثر اهل المدينة كانوا محاويج في ضنك من العيش فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم اثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او العلل فان يتوبوا يك خيرا لهم هو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب وان يتولوا بالاصرار على النفاق يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير فينجيهم من العذاب ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه الكتاب الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله منعني ان اقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا جزاء عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان فلما آتاهم من فضله بخلوا به منعوا حق الله منه وتولوا عن طاعة الله وهم معرضون وهم قوم عادتهم الاعراض عنها فاعقبهم نفاقا في قلوبهم اي فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد في قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم الى يوم يلقونه يلقون الله بالموت او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيامة بما اخلفوا الله ما وعدوه بسبب اخلافهم ما وعدوه من التصدق والصلاح

يكذبون ﴿٧٧﴾ الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب ﴿٧٨﴾ الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم ﴿٧٩﴾ استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴿٨٠﴾ فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ﴿٨١﴾ فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ﴿٨٢﴾ فان رجعك

وبما كانوا يكذبون وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين او المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا اى المنافقون او من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات ان الله يعلم سرهم ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف ونجويهم وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكاة جزية وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه ذلك الذين يلمزون ذم مرفوع او منصوب او بدل من الضمير في سرهم وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين من المؤمنين في الصدقات روى انه عليه السلام حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين الف درهم وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء ولقد كان الله ورسوله غنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ فيه فيسخرون منهم يستهزؤن بهم سخر الله منهم جازاهم على سخريتهم كقوله الله يستهزئ بهم ولهم عذاب اليم على كفرهم استغفر لهم او لا تستغفر لهم يريد به التساوى بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم روى ان عبد الله بن عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له ففعل فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لأزيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوز ان يكون ذلك حدا يخالفه حكم ما وراءه فبين له ان المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها في التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكأنه العدد بأسره ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها والله لا يهدي القوم الفاسقين المتمردين في كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك في كفره المطبوع عليه لا ينقلع ولا يهتدى والتنبيه على عذر الرسول في استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم ما لم يعلم انهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه يقال اقام خلاف الحي اى بعدهم ويجوز ان يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة او الحال وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله فيه وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج وقالوا لا تنفروا في الحر اى قاله بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا قل نار جهنم اشد حرا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لو كانوا يفقهون ان مآبهم اليها او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون اخبار عما يؤول اليه حالهم في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه حتم واجب ويجوز ان يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم

فان رجعك الله الى طائفة منهم فان ردك الله الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعني منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين او من بقي منهم وكان المتخلفون اثني عشر رجلا فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا اخبار في معنى النهي للمبالغة انكم رضيتم بالقعود اول مرة تعليل لهم وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فاقعدوا مع الخالفين اي المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين ولا تصل على احد منهم مات ابدا روي ان ابن ابي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فلما دخل عليه سأله ان يستغفر له ويكفنه في شعاره الذي يلي جسده ويصلي عليه فلما مات ارسل قميصه ليكفن فيه وذهب ليصلي عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين في قميصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضنة بالقميص كانت مخلة بالكرم ولانه كان

اللّٰهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٨﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٩﴾ لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ

مكافأة لالباسه العباس قميصه حين اسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع في حق الكافر ولذلك رتب النهي على قوله مات ابدا يعني الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحي ولا تقم على قبره ولا تقف عند قبره للدفن او الزيارة انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي او لتأبيد الموت ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز ان تكون هذه في فريق غير الاول واذا انزلت سورة من القرءان ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله بان امنوا بالله ويجوز ان تكون ان المفسرة وجاهدوا مع رسوله استأذنك اولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين قعدوا لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذي لاخير فيه وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم اي ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهي جمع خيرة تخفيف خيرة

واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم بيان لما لهم من الخيرات الاخروية وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم يعني اسدا وغطفان استاذنوا في التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طيء على اهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر في الامر اذا قصر فيه موهما ان له عذرا ولا عذر له او من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب معذرون من اعذر اذا اجتهد في العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على انه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم في العين وقد اختلف في انهم كانوا معتذرين بالتصنع او بالصحة فيكون قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله في غيرهم وهم منافقوا الاعراب كذبوا الله ورسوله في ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التأخر اذا نصحوا لله ورسوله بالايمان والطاعة في السر والعلانية كما يفعل المولى الناصح او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل اي ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون في سلك المحسنين غير معاتبين لذلك والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين وهم البكاؤون سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا اجد فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى واصحابه قلت لا اجد ما احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع اي دمعا اي دمعها فان من للبيان وهي مع المجرور في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من يفيض دمعها لانه يدل على ان العين صارت دمعا فياضا حزنا نصب على العلة او الحال او المصدر لفعل دل عليه ما قبله ان لا يجدوا لئلا يجدوا متعلق بحزنا او بتفيض ما ينفقون في مغزاهم انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون للاهبة رضوا بان يكونوا مع الخوالف استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ايثارا للدعة وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون مغبته

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ



يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم اليهم من هذه السفرة قل لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لانه لن نؤمن لكم لن نصدقكم لانه قد نبأنا الله من اخباركم اعلمنا بالوحى الى نبيه بعض اخباركم وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد وسيرى الله عملكم ورسوله أتتوبون عن الكفر ام تثبتون عليه وكأنه استتابة وامهال للتوبة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة اى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على انه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم واعمالهم فينبئكم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم ولا توبخوهم انهم رجس لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فهو علة الاعراض وترك المعاتبة ومأويهم جهنم من تمام التعليل وكأنه قال انهم ارجاس من اهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة او تعليل ثان والمعنى ان النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم جزاء بما كانوا يكسبون يجوز ان يكون مصدرا وان يكون علة يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم لا يستلزم رضى الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه او ان امكنهم ان يلبسوا عليكم لا يمكنهم ان يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق يصرفه فى سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا اذ لا يحتسبه عند الله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء او تقية ويتربص بكم الدوائر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم بنحو ما يتربصونه او الاخبار عن وقوع ما يتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر او اسم فاعل من دار يدور سمى بها عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابو عمرو وابن كثير السوء هنا وفى الفتح بضم السين والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون

ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ وعند الله صفتها او ظرف ليتخذ

وصلوات الرسول وسبب صلواته لانه عليه الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين ويستغفر لهم ولذلك سنّ للمتصدق عليه ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما قال عليه الصلاة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى لانه منصبه فله ان يتفضل به على غيره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش بضم الراء سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله ان الله غفور رحيم لتقريره قيل الاولى في اسد وغطفان وبني تميم والثانية في عبد الله ذي البجادين وقومه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة والانصار واهل بيعة العقبة الاولى وكانوا اسبعة واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اللاحقون بالسابقين من القبيلين او من الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار وقرأ ابن كثير من تحتها كما هو في سائر المواضع خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم ممن حول بلدتكم يعني المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم او خبر لمحذوف صفته مردوا على النفاق ونظيره في حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها وبينه بالمعطوف على الخبر او كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم في النفاق لا تعلمهم لا تعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم في تحامي مواقع التهم الى حد اخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم ونطلع على اسرارهم ان قدروا ان يلبسوا عليك لم يقدروا ان يلبسوا علينا سنعذبهم مرتين بالفضيحة والقتل او باحدهما وعذاب القبر او باخذ الزكاة ونهك الابدان ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار واخرون اعترفوا بذنوبهم ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد لما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا خلطوا العمل الصالح الذي هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة اهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما او للدلالة على ان كل واحد منهما مخلوط بالآخر عسى الله ان يتوب عليهم ان يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه خذ من اموالهم صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيأ فنزلت تطهرهم من الذنوب او حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر وتزكيهم بها وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان صلواتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد

وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللّٰهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ اَلَآ اِنَّهَا قُرُبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠١﴾ وَالسَّابِقُونَ الْاَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْاَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِاِحْسَانٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا اَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٢﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْاَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ اَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ اِلٰى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٣﴾ وَاٰخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَاٰخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللّٰهُ اَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٤﴾ خُذْ مِنْ اَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ اِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ

والله سميع باعترافهم عليم بندامتهم ألم يعلموا الضمير اما للتوب عليهم والمراد ان يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم او لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما ان الله هو يقبل التوبة عن عباده اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز ويأخذ الصدقات يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدي بدله وان الله هو التواب الرحيم وان من شانه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم وقل اعملوا ما شئتم فسيرى الله عملكم فانه لا يخفى عليه خيرا كان او شرا ورسوله والمؤمنون فانه تعالى لا يخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم وستردون الى عالم الغيب والشهادة بالموت فينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة عليه واخرون من المتخلفين مرجون مؤخرون اي موقوف امرهم من ارجاته اذا اخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان لامر الله في شأنهم اما يعذبهم ان اصروا على النفاق واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على ان كلا الامرين بارادة الله تعالى والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك اخلصوا نياتهم وفوضوا امرهم الى الله فرحمهم الله والذين اتخذوا مسجدا عطف على وآخرون مرجون او مبتدأ خبره محذوف اي فيمن وصفنا الذين اتخذوا او منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير واو ضرارا مضارة للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم بن عوف فبنوا مسجدا على قصد ان يؤمهم فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما اتموه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فاخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة وكفرا وتقوية للكفر الذي يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء وارصادا ترقبا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين وانهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب او باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف لما روي انه بني قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيه فقال انا على جناح سفر واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل كرر عليه فنزلت وليحلفن ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم لا تقم فيه ابدا للصلاة لمسجد اسس على التقوى يعني مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه اوفق للقصة او مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول ابي سعيد رضي الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده ومن تعم الزمان والمكان كقوله لمن الديار بقنة الحجر اقوين من حجج ومن دهر احق ان تقوم فيه اولى بان تصلي فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون انتم فسكتوا فاعادها فقال عمر انهم مؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا رجال يحبون ان يتطهروا

وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٦﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٧﴾ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٨﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١١٠﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ

افمن اسس بنيانه بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها فانهار به في نار جهنم فادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادي الهائر في مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به في النار ووضعه في مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى رضوان الله ومقتضياته التي الجنة ادناها وتأسيس هذا على ما هم بسببه على صدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لا محالة وقرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول وقرئ اساس بنيانه واس بنيانه على الاضافة واسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع اس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لا للتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر جرف بالتخفيف والله لا يهدي القوم الظالمين الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم لا يزال بنيانهم الذي بنوا بناؤهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء ووصف بالمفرد واخبر عنه بقوله ريبة في قلوبهم اى شكا ونفاقا والمعنى ان بناءهم هذا لا يزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك في قلوبهم وازداد بحيث لا يزول وسمه عن قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو في غاية المبالغة والاستثناء من اعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ما هو كائن بالقتل او في القبر او في النار وقيل التقطع بالتوبة ندما واسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول والله عليم بنياتهم حكيم فيما امر بهدم بنائهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون استئناف ببيان ما لاجله الشرى وقيل يقاتلون في معنى الامر وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المبني للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وان فعل البعض قد يسند الى الكل وعدا عليه حقا مصدر مؤكد لما دل عليه الشرى فانه في معنى الوعد في التورية والانجيل والقرآن مذكورا فيهما كما اثبت في القرآن ومن اوفى بعهده من الله مبالغة في الانجاز وتقرير لكونه حقا فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به فافرحوا به غاية الفرح فانه اوجب لكم عظائم المطالب كما قال وذلك هو الفوز العظيم التائبون رفع على المدح اى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز ان يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من اهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى او خبره ما بعده اى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح او جرا صفة للمؤمنين العابدون الذين عبدوا الله مخلصين له الدين الحامدون لنعمائه او لما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلوة والسلام سياحة امتي الصوم شبه بها من حيث انه يعوق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت او السائحون للجهاد او لطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلاة الآمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والناهون عن المنكر عن الشرك والمعاصي والعاطف فيه للدلالة على انه بما عطف عليه في حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفي قوله تعالى والحافظون لحدود الله اى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على ان ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمي واو الثمانية وبشر المؤمنين يعني به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام

خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ

وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ

ماكان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين روى انه عليه الصلاة والسلام قال لابي طالب لما حضره الوفاة قل كلمة احاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا ازال استغفر لك مالم انه عنه فنزلت وقيل لما فتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر امى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل على الآيتين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بأن ماتوا على الكفر وفيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم لابيه الكافر فقال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابراهيم اباه بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ اباه او وعدها ابراهيم ابوه وهو الوعد بالايمان فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحى فيه بانه لن يؤمن تبرأ منه قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه حليم صبور على الاذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه وما كان الله ليضل قوما اى ليسميهم ضلالا او يؤاخذهم مؤاخذتهم بعد اذ هديهم للاسلام حتى يبين لهم ما يتقون حتى يبين لهم خطر ما يجب اتقاؤه وكأنه بيان عذر للرسول فى قوله لعمه او لمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الامر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف ان الله بكل شئ عليم فيعلم امرهم فى الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرئ منهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى امره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرأوا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار من اذن المنافقين فى التخلف او برأهم من علقة الذنوب كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من احد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى والمهاجرين والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من احد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده الذين اتبعوه فى ساعة العسرة فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او اتباع الرسول وفى كاد ضمير الشان او ضمير القوم والعائد عليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين ثم تاب عليهم تكرير للتأكيد وتنبيه على انه تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة او المراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة ابن الربيع الذين خلفوا تخلفوا عن الغزو او خلف امرهم فانهم المرجون حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخطه

الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم بالتوفيق للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليعدوا فى جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة الرحيم المتفضل عليه بالنعم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم وعهودهم او فى دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين اى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة واضرابهم ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله عن حكمه نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه لا يصونوا انفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الاهوال روى ان ابا خيثمة بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكان هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف او وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شئ من العطش ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة فى سبيل الله ولا يطؤن موطئا ولا يدوسون مكانا يغيظ الكفار يغضبهم وطؤه ولا ينالون من عدو نيلا كالقتل والاسر والنهب الا كتب لهم به عمل صالح الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة ان الله لا يضيع اجر المحسنين على احسانهم وهو تعليل للكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون واما فى حق المؤمنين فلانه صيانة لهم من سطوة الكفار واستيلائهم ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو علاقة ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة ولا يقطعون واديا فى مسيرهم وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الارض الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون جزاء احسن اعمالهم او احسن جزاء اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو وطلب علم كما لا يستقيم لهم ان يتثبطوا جميعا فانه يخل بامر المعاش فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة واهل بلدة جماعة قليلة ليتفقهوا فى الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه والتذكير من فروض الكفاية وانه ينبغى ان يكون غرض المتعلم فيه ان يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد

إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾
مَا كَانَ لِأَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ وَمَنۡ حَوۡلَهُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ
عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرۡغَبُواْ بِأَنفُسِهِمۡ عَن نَّفۡسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ
لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا
يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا
كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢٠﴾
وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ
وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٢١﴾
وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ
فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ

لعلهم

لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على ان اخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضي ان ينفر من كل ثلاثة تفرّدوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كي يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار الآحاد ما لم تتواتر لم يفد ذلك وقد اشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا في كتابي المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو انها نزل في المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير في ليتفقهوا ولينذروا البواقي الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي ولينذر البواقي قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اوّلا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح وقيل هم يهود حوالي المدينة كقريظة والنضير وخيبر



اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴿١٢٢﴾ يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان الله مع المتقين ﴿١٢٣﴾ واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ﴿١٢٤﴾ واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون ﴿١٢٥﴾ اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون ﴿١٢٦﴾ واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون ﴿١٢٧﴾ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام وهو قريب من المدينة وليجدوا فيكم غلظة شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالحراسة والاعانة واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ ايكم بالنصب على اضمار فعل يفسره زادته فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم واما الذين في قلوبهم مرض كفر فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه اولا يرون يعني المنافقين وقرأ حمزة بالتاء انهم يفتنون يبتلون بأصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون ما يظهر عليه من الايات في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ثم لا ينتبهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية او غيظا لما فيها من عيوبهم هل يراكم من احد اي يقولون هل يراكم احد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم احد قاموا وان رآهم احد أقاموا ثم انصرفوا عن حضرته مخافة الفضيحة صرف الله قلوبهم عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون لسوء فهمهم وعدم تدبرهم لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم عربي مثلكم وقرئ من انفسكم اي اشرفكم عزيز عليه شديد شاق ما عنتم عنتكم ولقاؤكم المكروه حريص عليكم اي على ايمانكم وصلاح شأنكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم

رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك معرتهم ويعينك عليهم لا اله الا هو كالدليل عليه عليه توكلت فلا ارجوا ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان آخر ما نزل هاتان الايتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم الر فخمها ابن كثير ونافع وحفص واما لها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة عن الياء تلك آيات الكتاب الحكيم اشارة الى ما تضمنه السورة او القرآن من الآي والمراد من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم او لانه كلام حكيم او محكم اياته لم ينسخ شئ منها أكان للناس عجبا استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

سُورَةُ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَتِسْعُ آيَاتٍ

١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

ان اوحينا وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس او على ان كان تامة وان اوحينا بدل من عجبا واللام للدلالة على انهم جعلوه اعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم الى رجل منهم من افناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحي والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا في المال وخفة الحال اعون شئ في هذا الباب ولذلك كان اكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من انه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره في سورة الانعام ان انذر الناس ان هي المفسرة او المخففة من الثقيلة فتكون في موقع مفعول اوحينا وبشر الذين امنوا عمم الانذار اذ قلما من احد ليس فيه ما ينبغي ان ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار ما يصح ان يبشروا به ان لهم بان لهم قدم صدق عند ربهم سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على انهم انما ينالونها بصدق القول والنية قال الكافرون ان هذا يعنون الكتاب وما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام لسحر مبين وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على ان الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول امورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ما هذا الا سحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض التي هي اصول الممكنات في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيئ بتحريك اسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في ادبار الامور لتجئ محمودة العاقبة ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله ورد على من زعم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن اذن له ذلكم الله اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية ربكم لا غير اذ لا يشاركه احد في شئ من ذلك فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه

إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٨﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ

اليه مرجعكم جميعا بالموت او النشور لا الى غيره فاستعدوا للقائه وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله حقا مصدر آخر مؤكد لغيره وهو ما دل عليه وعد الله انه يبدأ الخلق ثم يعيده بعد بدئه واهلاكه ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بعدله او بعدالتهم وقيامهم على العدل في امورهم او بايمانهم لانه العدل القويم كما ان الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب اليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على ان المقصود بالذات من الابدآء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وانه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه واما عقاب الكفرة فكانه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم افعالهم والآية كالتعليل لقوله اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على اعمالهم كان مرجع الجميع اليه لا محالة ويؤيده قراءة من قرأ انه يبدأ بالفتح اى لانه ويجوز ان يكون منصوبا او مرفوعا بما نصب وعد الله او بما نصب حقا هو الذى جعل الشمس ضياء اى ذات ضياء وهو مصدر كقيام او جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وعن ابن كثير ضئاء بهمزتين في كل القرأن على القلب بتقديم اللام على العين والقمر نورا اى ذا نور او سمى نورا للمبالغة وهو اعم من الضوء كما عرفت وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وقدره منازل الضمير لكل واحد اى قدر مسير كل واحد منهما منازل او قدره ذا منازل او للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب وحساب الاوقات من الاشهر و الايام في معاملاتكم وتصرفاتكم ما خلق الله ذلك الا بالحق الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة نفصل الايات لقوم يعلمون فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من انواع الكائنات لايات على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لقوم يتقون العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة لغفلتهم عنها واطمأنوا بها وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها او سكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها والذين هم عن اياتنا غافلون لا يتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع بين الذهول عن الايات رأسا والانهماك في الشهوات بحيث لا تخطر الاخرة ببالهم اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرد الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التأمل في الآجل والاعداد له اولئك ماويهم النار بما كانوا يكسبون بما واظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة او لادراك الحقائق كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم او لما يريدونه في الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على ان سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وان العمل الصالح كالتتمة والرديف له تجرى من تحتهم الانهار استئناف او خبر ثان او حال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله

في جنات النعيم خبر او حال آخر منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي دعويهم فيها اي دعاؤهم سبحانك اللهم اللهم انا نسبحك تسبيحا وتحيتهم ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم فيها سلام واخر دعويهم واخر دعائهم ان الحمد لله رب العالمين اي ان يقولوا ذلك ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة من الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام وان هي المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر ولو يسرعه اليهم استعجالهم بالخير وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم او بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقديره الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ما حذف لدلالة الباقي عليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرأ ابن عامر ويعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا واذا مس الانسان الضر دعانا لازالته مخلصا فيه لجنبه ملقيا لجنبه اي مضطجعا او قاعدا او قائما وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال او لاصناف المضار فلما كشفنا عنه ضره مر مضى على طريقته واستمر على كفره او مر عن موقف الدعاء لا يرجع اليه كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما قال ونحر مشرق اللون كان ثدياه حقان الى ضر مسه الى كشف ضر كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة لما ظلموا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ما ينبغي وجاءتهم رسلهم بالبينات بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد او عطف على ظلموا وما كانوا ليؤمنوا وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بانهم يموتون على كفرهم واللام لتاكيد النفي كذلك مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق انه لا فائدة في امهالهم نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم او نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وانهم اعلام فيه ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم استخلفناكم فيها بعد القرون التي اهلكناها استخلاف من يختبر لننظر كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على مقتضى اعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ما قبله وفائدته الدلالة على ان المعتبر في الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هي من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح اخرى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا يعني المشركين ائت بقرآن غير هذا بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت او ما نكرهه من معايب آلهتنا او بدله بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى ولعلهم سألوا ذلك كي يسعفهم اليه فيلزموه

الانهار في جنات النعيم ⑩ دعويهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب
العالمين ⑪ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير
لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم
يعمهون ⑫ واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا
او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى
ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ⑬
ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم
بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين
⑭ ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف
تعملون ⑮ واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون

قل ما يكون لى ما يصح لى ان ابدله من تلقاء نفسى من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن اخر ان اتبع الا ما يوحى الى تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى امر لم يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال انى اخاف ان عصيت ربى اى بالتبديل عذاب يوم عظيم وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا ادريكم به ولا اعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولادريكم بلام التاكيد اى لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا علمكم به على لسان غيرى والمعنى انه الحق الذى لا محيص عنه لو لم ارسل به لارسل به غيرى وقرئ ولا ادرأكم ولا ادرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال والمعنى ان الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتى حتى اجعله على نحو ما تشتهونه

لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاءى نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ﴿١٥﴾ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادريكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون ﴿١٦﴾ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ﴿١٧﴾ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿١٨﴾ وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون ﴿١٩﴾ ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب

ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر اربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا اتلوه ولا اعلمه فانه اشارة الى ان القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين اظهرهم اربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع واعرب عن اقاصيص الاولين واحاديث الآخرين على ما هى عليه علم انه معلم به من الله تعالى افلا تعقلون اى افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما اضافوه اليه كناية او تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد او كذب بآياته فكفر بها انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر والمعبود ينبغى ان يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع او دفع ضر ويقولون هؤلاء الاوثان شفعاؤنا عند الله تشفع لنا فيما يهمنا من امور الدنيا وفى الآخرة ان يكن بعث وكانهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع على توهم انه ربما يشفع لهم عنده قل اتنبئون الله اتخبرونه بما لا يعلم وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم او هؤلاء شفعاؤنا عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق ما فى السموات ولا فى الارض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على ان ما تعبدون من دون الله اما سماوى واما ارضى ولا شئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لا يليق ان يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى اول النحل والروم بالتاء وما كان الناس الا امة واحدة موجودين على الفطرة او متفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى ان قتل قابيل هابيل

او بعد الطوفان او على الضلال فى فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والاباطيل وببعثة الرسل فتبعتهم طائفة واصرت اخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لقضى بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون باهلاك المبطل وابقاء المحق ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه اى من الايات التى اقترحوها فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الايات المقترحة مفاسد تصرف عن انزالها

فانتظروا لنزول ما اقترحتموه انى معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل عليه من الايات العظام واقتراحكم غيره واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض اذا لهم مكر فى اياتنا بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط اهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى ايات الله ويكيدون رسوله قل الله اسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجاة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج او الجزاء على المكر ان رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا ان يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذى يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك فى السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب لاذا والضمير للفلك او الريح الطيبة بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا انهم احيط بهم اهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن احاط به العدو دعوا الله مخلصين له الدين من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او مفعول دعوا لانه من جملة القول فلما انجيهم اجابة لدعائهم اذا هم يبغون فى الارض فاجأوا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه بغير الحق مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة واحراق زروعهم وقلع اشجارهم فانها افساد بحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فان وباله عليكم او انه على امثالكم وابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا منفعة الحيوة الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى انفسكم صلته او خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك متاع الحيوة الدنيا وعلى انفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على انه مصدر مؤكد اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا او مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ضلال او مفعول فعل دل عليه البغى وعلى انفسكم خبره ثم الينا مرجعكم فى القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا

لِلّٰهِ فَانْتَظِرُوٓا اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢١﴾ وَاِذَآ اَذَقْنَا
النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ اِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِيٓ اٰيَاتِنَا
قُلِ اللّٰهُ اَسْرَعُ مَكْرًا اِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢٢﴾
هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتّٰىٓ اِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ
بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ
الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا اَنَّهُمْ اُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللّٰهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ اَنْجَيْتَنَا مِنْ هٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ
﴿٢٣﴾ فَلَمَّآ اَنْجٰيهُمْ اِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَآ اَيُّهَا
النَّاسُ اِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلٰٓى اَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ
اِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ اِنَّمَا مَثَلُ
الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ اَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَآءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

مما يأكل الناس والانعام من الزروع والبقول والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها تزينت باصناف النبات واشكالها والوانها المختلفة كعروس اخذت من الوان الثياب والزينة وتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقد قرئ على الاصل وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا ضرب زرعها مايجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن اى كان لم يغن زرعها اى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل بالامس فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ماكان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه اهله وظنوا انه قد سلم من الجوايح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لانه من التشبيه المركب كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون به والله يدعوا الى دار السلام دار السلامة من التقضى والآفة او دار الله وتخصيص هذا الاسم للتنبيه على ذلك او دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة ويهدى من يشاء بالتوفيق الى صراط مستقيم وهو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان المصر على الضلالة لم يرد الله رشده للذين احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة ومايزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هو اللقاء ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم مايرهق اهل النار او لا يرهقهم مايوجب ذلك من حزن وسوء حال اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها عطف على قوله للذين احسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو او الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اى ان يجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هى الفضل والتضعيف او كانما اغشيت او اولئك اصحاب النار ومابينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف اى فجزاء سيئة بمثلها واقع او بمثلها على زيادة الباء او تقدير مقدر بمثلها وترهقهم ذلة وقرئ بالياء مالهم من الله من عاصم ماهن احد يعصمهم من سخط الله ومن جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة او معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى ويعقوب قطعا بالسكون وعلى هذا يصح ان يكون مظلما صفة له او حالا منه اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مما يحتج بها الوعيدية والجواب ان الاية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين احسنوا يتناول اصحاب الكبيرة من اهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه ويوم نحشرهم جميعا يعنى الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم

الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتيها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون ﴿٢٤﴾ والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴿٢٥﴾ للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴿٢٦﴾ والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴿٢٧﴾ ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم

انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه فزيلنا بينهم وفرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هى المخففة من المثقلة واللام هى الفارقة هنالك فى ذلك المقام تبلو كل نفس ما اسلفت تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة اى تقرأ ذكر ما قدمت او من التلو اى تتبع عمله فيقودها الى الجنة او الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها اى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما اسلفت من اعمالها ويجوز ان يراد به نصيب بالبلاء اى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض وردوا الى الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولى امرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح او المصدر المؤكد وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها آلهة قل من يرزقكم من السماء والارض اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار امن يستطيع خلقهما وتسويتهما او من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من ادنى شئ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يحيى ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه ومن يدبر الامر ومن يلى تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا يشاركه فى شئ من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى انشأكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال استفهام انكارى اى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال كذلك حقت كلمة ربك اى كما حقت الربوبية لله او ان الحق بعده الضلال او انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك امر الرسول عليه الصلاة والسلام ان ينوب عنهم فى الجواب فقال قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها

أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ



فأنى تؤفكون تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على ان المنتهى غاية الهداية وانها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما اسند الى الله قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدّي بفتح الهاء وتشديد الدال ويعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وروى ابو بكر يهدي باتباع الياء الهاء وقرأ ابو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم في حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا ان يهدى للمبالغة فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه وما يتبع

فأنى تؤفكون ﴿٣٤﴾ قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون ﴿٣٥﴾ وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ﴿٣٦﴾ وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴿٣٧﴾ ام يقولون افتريه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين ﴿٣٨﴾ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ﴿٣٩﴾ ومنهم من يؤمن به ومنهم

اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغة واقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد الحق شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز ان الله عليم بما يفعلون وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله افتراء من الخلق ولكن تصديق الذي بين يديه مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بانه خبر لكان مقدرا او علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق الذي وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق وتفصيل الكتاب وتفصيل ما حقق واثبت من العقائد والشرائع لا ريب فيه منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك ويجوز ان يكون حالا من الكتاب فانه مفعول في المعنى وان يكون استئنافا من رب العالمين خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض او بالفعل المعلل بهما ويجوز ان يكون حالا من الكتاب او الضمير في فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه ام يقولون بل ايقولون افتريه محمد ومعنى الهمزة فيها الانكار قل فأتوا بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان تستعينوا به من دون الله سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم بشأنه او بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم ولما يأتهم تأويله ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ اذهانهم معانيه او ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجأوا تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفحصوا معناه ومعنى التوقع في لما انه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدي فازدادوا قواهم في معارضته فتضاءلت دونها او لما شاهدوا وقوع ما اخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ومنهم ومن المكذبين من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره

ومنهم من لا يؤمن به في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر وربك اعلم بالمفسدين بالمعاندين او المصرين وان كذبوك وان اصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم فتبرأ منهم فقد اعذرت والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا انتم بريئون مما اعمل وانا بري مما تعملون لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف ومنهم من يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا افانت تسمع الصم تقدر على اسماعهم ولو كانوا لا يعقلون ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على ان حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم في تدبره وعقولهم لما كانت مؤوفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعاني الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع

مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهٖ ۚ وَرَبُّكَ اَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِيْنَ ﴿٤١﴾ وَاِنْ كَذَّبُوْكَ فَقُلْ لِّيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۚ اَنْتُمْ بَرِيْٓـُٔوْنَ مِمَّآ اَعْمَلُ وَاَنَا بَرِيْٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُوْنَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّسْتَمِعُوْنَ اِلَيْكَ ۭ اَفَاَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوْا لَا يَعْقِلُوْنَ ﴿٤٣﴾ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَّنْظُرُ اِلَيْكَ ۭ اَفَاَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوْا لَا يُبْصِرُوْنَ ﴿٤٤﴾ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْـًٔـا وَّلٰكِنَّ النَّاسَ اَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُوْنَ ﴿٤٥﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَاَنْ لَّمْ يَلْبَثُوْٓا اِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُوْنَ بَيْنَهُمْ ۭ قَدْ خَسِرَ الَّذِيْنَ كَذَّبُوْا بِلِقَاۗءِ اللّٰهِ وَمَا كَانُوْا مُهْتَدِيْنَ ﴿٤٦﴾ وَاِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللّٰهُ شَهِيْدٌ عَلٰي مَا يَفْعَلُوْنَ ﴿٤٧﴾ وَلِكُلِّ اُمَّةٍ رَّسُوْلٌ ۚ فَاِذَا جَاۗءَ رَسُوْلُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ﴿٤٨﴾

بالبهائم من كلام الناعق ومنهم من ينظر اليك يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك افانت تهدي العمي تقدر على هدايتهم ولو كانوا لا يبصرون وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للامر بالتبري والاعراض عنهم ان الله لا يظلم الناس شيئا بسلب حواسهم وعقولهم ولكن الناس انفسهم يظلمون بافسادها وتفويت منافعها عليها وفيه دليل على ان للعبد كسبا وانه ليس مسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة ويجوز ان يكون وعيدا لهم بمعنى ان ما يحيق بهم يوم القيمة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا انفسهم باقتراف اسبابه ويوم نحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او في القبور لهول ما يرون والجملة التشبيهية في موقع الحال اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة او صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كان لم يلبثوا قبله او لمصدر محذوف اي حشرا كان لم يلبثوا قبله يتعارفون بينهم يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا اول ما نشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الامر عليهم وهو حال اخرى مقدرة او بيان لقوله كان لم يلبثوا او متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم نحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز ان يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول وما كانوا مهتدين لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت بهم الى الردى والعذاب الدائم واما نرينك نبصرنك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك كما اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ان نريك فالينا مرجعهم فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم او مؤدي شهادته على افعالهم يوم القيمة ولكل امة من الامم الماضية رسول يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه قضي بينهم بين الرسول ومكذبيه بالقسط بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وهم لا يظلمون وقيل معناه لكل امة يوم القيمة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمن وعقاب الكافر لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم

ويقولون متى هذا الوعد استبعاداله واستهزاء به ان كنتم صادقين خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا فكيف املك لكم فاستعجل في جلب العذاب اليكم الا ما شاء الله ان املكه او ولكن ما شاء الله من ذلك كائن لكل امة اجل مضروب لهلاكهم اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون لا يتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم قل ارأيتم ان اتيكم عذابه الذي تستعجلون به بياتا وقت بيات واشتغال بالنوم اونهارا حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم ماذا يستعجل منه المجرمون اي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لا يلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لانه بمعنى اخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجئ الوعيد لا ان يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطأه ويجوز ان يكون الجواب ماذا كقولك ان اتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم او بقوله

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا
أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ
إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ
مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ
بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ
تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ
هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ
نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا
الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ

اثم اذا ما وقع امنتم به بمعنى ان اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير الآن على ارادة القول اي قيل لهم ان امنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون من الكفر والمعاصي ويستنبؤنك ويستخبرونك احق هو احق ما تقول من الوعد او ادعاء النبوة تقوله بجد ام باطل تهزل به قاله حيي ابن اخطب لما قدم مكة والاظهر ان الاستفهام فيه على اصله لقوله ويستنبؤنك وقيل انه للانكار ويؤيده انه قرئ الحق هو فان فيه تعريضا بانه باطل واحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم والجملة في موضع النصب بيستنبؤنك قل اي وربي انه لحق ان العذاب لكائن او ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه في التصديق فيقال اي والله ولا يقال اي وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت بالشرك او التعدي على الغير ما في الارض من خزائنها واموالها لافتدت به لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا ان ينطقوا وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان اخفاءها اخلاصها او لانه يقال سر الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل اظهروها من قولهم سر الشئ واسره اذا اظهره وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم الا ان لله ما في السموات والارض تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب الا ان وعد الله حق ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه ولكن اكثرهم لا يعلمون لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحيوة الدنيا

هو يحيي ويميت في الدنيا فهو يقدر عليهما في العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما ابدا واليه ترجعون بالموت او النشور يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والمرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث انزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم قل بفضل الله وبرحمته بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله فبذلك فليفرحوا فان اسم اشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا او فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التاكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب

اَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُوۡنَ ۞ هُوَ يُحۡيٖ وَيُمِيۡتُ وَاِلَيۡهِ تُرۡجَعُوۡنَ
يٰۤاَيُّهَا النَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُمۡ مَّوۡعِظَةٌ مِّنۡ رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٌ
لِّمَا فِى الصُّدُوۡرِ ۙ وَهُدًى وَّرَحۡمَةٌ لِّلۡمُؤۡمِنِيۡنَ ۞ قُلۡ بِفَضۡلِ اللّٰهِ
وَبِرَحۡمَتِهٖ فَبِذٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُوۡا ؕ هُوَ خَيۡرٌ مِّمَّا يَجۡمَعُوۡنَ ۞ قُلۡ اَرَءَيۡتُمۡ
مَّاۤ اَنۡزَلَ اللّٰهُ لَـكُمۡ مِّنۡ رِّزۡقٍ فَجَعَلۡتُمۡ مِّنۡهُ حَرَامًا وَّحَلٰلًا ؕ قُلۡ آٰللّٰهُ
اَذِنَ لَـكُمۡ اَمۡ عَلَى اللّٰهِ تَفۡتَرُوۡنَ ۞ وَمَا ظَنُّ الَّذِيۡنَ يَفۡتَرُوۡنَ
عَلَى اللّٰهِ الۡـكَذِبَ يَوۡمَ الۡقِيٰمَةِ ؕ اِنَّ اللّٰهَ لَذُوۡ فَضۡلٍ عَلَى النَّاسِ
وَلٰـكِنَّ اَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُوۡنَ ۞ وَمَا تَكُوۡنُ فِىۡ شَاۡنٍ
وَّمَا تَتۡلُوۡا مِنۡهُ مِنۡ قُرۡاٰنٍ وَّلَا تَعۡمَلُوۡنَ مِنۡ عَمَلٍ اِلَّا كُنَّا
عَلَيۡكُمۡ شُهُوۡدًا اِذۡ تُفِيۡضُوۡنَ فِيۡهِ ؕ وَمَا يَعۡزُبُ عَنۡ رَّبِّكَ مِنۡ
مِّثۡقَالِ ذَرَّةٍ فِى الۡاَرۡضِ وَلَا فِى السَّمَآءِ وَلَاۤ اَصۡغَرَ مِنۡ ذٰلِكَ

اختصاص الفضل والرحمة بالفرح او بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره اى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فبهما فليفرحوا او للربط بما قبلها والدلالة على ان مجيء الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتاكيد كقوله واذا هلكت فعند ذلك فاجزعي وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده انه قرئ فافرحوا هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه ايها المخاطبون قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق جعل الرزق منزلا لانه مقدر في السماء محصل باسباب منها وما في موضع النصب بانزل او بارأيتم فانه بمعنى اخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال فجعلتم منه حراما وحلالا مثل هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل ءالله اذن لكم في التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه ام على الله تفترون في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون المنفصلة متصلة بارأيتم وقل مكرر للتاكيد وان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب اى شيء ظنهم يوم القيمة ايحسبون ان لا يجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضي لانه كائن وفي ابهام الوعيد تهديد عظيم ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة وما تكون في شان ولا تكون في امر واصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير في وما تتلو منه له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول عليه الصلاة والسلام او لان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من اجله ومفعول تتلو من قرآن على ان من تبعيضية او مزيدة لتاكيد النفي او للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له او لله ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو راسهم ولذلك ذكر حيث خص ما فيه فخامة وذكر حيث عم ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا رقباء مطلعين عليه اذ تفيضون فيه تخوضون فيه وتندفعون وما يعزب عن ربك ولا يبعد عنه ولا يغيب عن علمه وقرأ الكسائي بكسر الزاي هنا وفي سبأ من مثقال ذرة موازن نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اى في الوجود والامكان فان العامة لا تعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف وعلى محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ

الا ان اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون بفوات مأمول والاية مجمل فسره قوله الذين امنوا وكانوا يتقون وقيل الذين امنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وهو ما بشر به المتقين في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم وما يريهم في الرؤيا الصالحة وما يسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع وفي الاخرة بتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين امنوا النصب او الرفع على المدح او على وصف الاولياء او على الابتداء وخبره لهم البشرى لا تبديل لكلمات الله اي لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين هو الفوز العظيم هذه الجملة والتي قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يقع بعده كلام يتصل بما قبله ولا يحزنك قولهم اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من احزنه وكلاهما بمعنى ان العزة

وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

لله جميعا استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بهم لان الغلبة لله جميعا لا يملك غيره شيئا منها فهو يقهرهم وينصرك عليهم هو السميع لاقوالهم العليم بعزماتهم فيكافيهم عليها الا ان لله من في السموات ومن في الارض من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم اشرف الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبية فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا وشريكا فهو كالدليل على قوله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء اي شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز ان يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه ان يتبعون الا الظن اي ما يتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز ان تكون ما استفهامية منصوبة بيتبع او موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء والمعنى واي شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين اي انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فما لكم لا تتبعونهم فيه لقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان وما بعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم وان هم الا يخرصون يكذبون فيما ينسبون الى الله او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على كمال قدرته وعظيم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذي هو سبب ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تدبر واعتبار قالوا اتخذ الله ولدا اي تبناه سبحانه تنزيه له عن التبني فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه ان عندكم من سلطان بهذا نفي لمعارض ما اقامه من البرهان مبالغة في تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان او نعت له او بعندكم كانه قيل ان عندكم في هذا سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو جهالة وان العقائد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ

قل ان الذين يفترون على الله الكذب باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه لا يفلحون لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة متاع في الدنيا خبر مبتدأ محذوف اى افتراؤهم متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او حياتهم او تقلبهم متاع او مبتدأ خبره محذوف اى لهم تمتع في الدنيا ثم الينا مرجعهم بالموت فيلقون الشقاء المؤبد ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون بسبب كفرهم واتل عليهم نبأ نوح خبره مع قومه اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم عظم عليكم وشق مقامي نفسي كقولك فعلت كذا لمكان فلان او كوني واقامتي بينكم مدة مديدة او قيامي على الدعوة وتذكيري اياكم بآيات الله فعلى الله توكلت وثقت به فاجمعوا امركم فاعزموا عليه وشركاءكم اى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير ان يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على امركم بحذف المضاف اى وامر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى امرهم بالعزم او الاجتماع على قصده والسعي في اهلاكه على اى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم ثم لا يكن امركم في قصدي عليكم غمة مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره او ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا اهلكتموني وتخلصتم من ثقل مقامي وتذكيري ثم اقضوا ادوا الي ذلك الامر الذي تريدون بي وقرئ ثم افضوا بالفاء اى انتهوا الي بشركم او ابرزوا الي من افضى اذا خرج الى الفضاء ولا تنظرون ولا تمهلوني فان توليتم اعرضتم عن تذكيري فما سألتكم من اجر يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوتني لتوليكم ان اجري ما ثوابي على الدعوة والتذكير الا على الله لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فكذبوه فاصروا على تكذيبه بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لا جرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه من الغرق ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين به واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له ثم بعثنا ارسلنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه فجاؤهم بالبينات بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في الكفر وخذلان الله اياهم بما كذبوا به من قبل اى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل



قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون ﴿٧٠﴾ متاع في الدنيا
ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون ﴿٧١﴾ واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان
كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله
توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن امركم
عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون ﴿٧٢﴾ فان توليتم
فما سألتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون
من المسلمين ﴿٧٣﴾ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك و
جعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر
كيف كان عاقبة المنذرين ﴿٧٤﴾ ثم بعثنا من بعده رسلا
الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا

بِهِۦ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ نَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٧٥﴾ ثُمَّ بَعَثۡنَا
مِنۢ بَعۡدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا
فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ
مِنۡ عِندِنَا قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰذَا لَسِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٧﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ
لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمۡۖ أَسِحۡرٌ هَٰذَا وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا
لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ
فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي
بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ
أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٨١﴾ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ
إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨٢﴾ وَيُحِقُّ
ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ

كذلك نطبع على قلوب المعتدين بخذلانهم لانهماكهم في الضلال واتباع المألوف وفي امثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقد مر تحقيق ذلك ثم بعثنا من بعدهم من بعد هؤلاء الرسل موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا بالآيات التسع فاستكبروا عن اتباعها وكانوا قوما مجرمين معتادين للاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيحة للشك قالوا من فرط تمردهم ان هذا لسحر مبين ظاهر انه سحر او فائق في فنه واضح فيما بين اخوانه قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم انه لسحر فحذف المحكي بالقول لدلالة ما قبله عليه ولا يجوز ان يكون أسحر هذا لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ما قالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكي مفهوم قولهم ويجوز ان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المقول ولا يفلح الساحرون من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر او من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كانهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر والتكبر على الناس باستتباعهم وما نحن لكما بمؤمنين بمصدقين فيما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار عليم حاذق فيه فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر اي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا وقرأ ابو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه او خبر مبتدأ محذوف تقديره أهو السحر او مبتدأ خبره محذوف اي آلسحر هو ويجوز ان ينتصب ما بفعل يفسره ما بعده تقديره اي شيء اتيتم ان الله سيبطله سيمحقه او سيظهر بطلانه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك فما آمن لموسى في مبدأ امره

الاذرية من قومه الا اولاد من اولاد قومه بني اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا بها ومؤمن ال فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته على خوف من فرعون وملائهم اى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ما هو المعتاد في ضمير العظماء او على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او للقوم ان يفتنهم ان يعذبهم فرعون وهو بدل منه او مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على ان الخوف من الملأ كان بسببه وان فرعون لعال في الارض لغالب فيها وانه لمن المسرفين في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق اسباط الانبياء وقال موسى لما راى تخوف المؤمنين به يا قوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فثقوا به واعتمدوا عليه ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضي له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت فقالوا على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك اجيبت دعوتهم ربنا لا تجعلنا فتنة موضع فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم علينا فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين من كيدهم وشؤم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل اولا لتجاب دعوته واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا يسكنون فيها او يرجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما بيوتكم تلك البيوت قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة وكان موسى يصلي اليها واقيموا الصلوة فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا والجنة في العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة مما ينبغي ان يفعله كل احد ثم وحد لان البشارة في الاصل وظيفة صاحب الشريعة وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوها واموالا في الحيوة الدنيا وانواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة احوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهي متعلقة باتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكانهم اوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالاتهم وكفرانهم تقدمة لقوله ربنا اطمس على اموالهم اى اهلكها والطمس المحق وقرئ واطمس بالضم واشدد على قلوبهم اى واقسها واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء او دعاء بلفظ النهي او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض قال قد اجيبت دعوتكما يعني موسى وهرون عليهما السلام لانه كان يؤمن فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن في وقته روي انه مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة

إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٤﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٥﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٩﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا

ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة
وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببني اسرائيل البحر اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوّزنا
وهو من فعّل المرادف لفاعل كضعّف وضاعف فأتبعهم فأدركهم يقال تبعته حتى اتبعته فرعون وجنوده بغيا وعدوا باغين وعادين او للبغي
والعدو وقرئ وعدوّا حتى اذا ادركه الغرق لحقه قال آمنت انه اي بانه لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين وقرأ حمزة والكسائي
انه بالكسر على اضمار القول او الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان اوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل آلآن اتؤمن الآن وقد ايست
من نفسك ولم يبق لك اختيار وقد عصيت قبل قبل ذلك مدة عمرك وكنت من المفسدين الضالين المضلين عن الايمان فاليوم ننجيك نبعدك مما وقع

وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٢﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٤﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَكُونَنَّ

فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا او نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنوا
اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من انجى وقرئ ننحيك بالحاء اي نلقيك بناحية
الساحل ببدنك في موضع الحال اي ببدنك عاريا عن الروح او كاملا سويا
او عريانا من غير لباس او بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ
بابدانك اي باجزاء البدن كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان
مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك علامة وهم بنوا اسرائيل
اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه
السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل او
لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا
عن الطغيان او حجة تدلهم على ان الانسان على ما كان عليه من عظم الشان
وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك
اي لخالقك آية اي كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل
دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك
دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه ايضا محتمل على المشهور
وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها
ولقد بوأنا انزلنا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا صالحا مرضيا وهو الشام
ومصر ورزقناهم من الطيبات من اللذائذ فما اختلفوا حتى جاءهم
العلم فما اختلفوا في امر دينهم الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا احكامها
او في امر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر
معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك فان كنت في شك مما انزلنا اليك
من القصص على سبيل الفرض والتقدير فسئل الذين يقرؤن الكتاب
من قبلك فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما القيناه اليك والمراد
تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق
لما فيها او وصف اهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل اليك او تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة
والسلام لا اشك ولا اسئل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او كل من يسمع اي ان كنت ايها السامع في شك مما انزلنا على لسان نبيك
اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم لقد جاءك الحق من ربك واضحا انه لا مدخل للمرية فيه
بالآيات القاطعة فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ايضا من
باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين

ان الذين حقت عليهم ثبتت عليهم كلمة ربك بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى العذاب لا يؤمنون اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه ولو جاءتهم كل اية فان السبب الاصلى لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حتى يروا العذاب الاليم وحينئذ لا ينفعهم كما لا ينفع فرعون فلولا كانت قرية امنت فهلا كانت قرية من القرى التى اهلكناها امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما اخر فرعون فنفعها ايمانها بان يقبله الله منها ويكشف العذاب عنها الا قوم يونس لكن قوم يونس عليه السلام لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ويجوز ان تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى اهاليها كانه قال ما امن اهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل ومتعناهم الى حين الى اجالهم روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من الموصل فكذبوه واصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى اربعين فلما دنا الموعد غامت السماء غيما اسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فايقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واخلصوا التوبة واظهروا الايمان وتضرعوا الى الله فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم بحيث لا يشذ منهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى انه تعالى لم يشأ ايمانهم اجمعين وان من شاء ايمانه يؤمن لا محالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر افانت تكره الناس بما لم يشأ الله منهم حتى يكونوا مؤمنين وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على ان خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله وما كان لنفس ان تؤمن بالله الا باذن الله الا بارادته واطلاقه وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله ويجعل الرجس العذاب او الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ ابو بكر ونجعل بالنون على الذين لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والايات او لا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله قل انظروا اى تفكروا ماذا فى السموات والارض من عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فى علم الله وحكمه وما نافية او استفهامية فى موضع النصب فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم مثل وقائعهم من نزول بأس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم

مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٦﴾ إِنَّ
الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٧﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ
كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٨﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ
قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا
عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ
﴿٩٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا
أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ
لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ
إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ

ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا عطف على محذوف دل عليه الا مثل ايام الذين خلوا كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية كذلك حقا علينا ننج المؤمنين كذلك الانجاء او انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائي ننج المؤمنين مخففا قل يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم فهذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو اني لا اعبد ما تختلقونه وتعبدونه ولكن اعبد خالقكم الذي هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفي بالذكر للتهديد وامرت ان اكون من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وحذف الجار من ان يجوز ان يكون من المطرد مع ان وان وان يكون من غيره كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به فقد تركتك ذا مال وذا نسب وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون غير ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا فرق بينهما في الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وامرت بالاستقامة في الدين والاستبداد فيه باداء الفرائض والانتهاء عن القبائح او في الصلاة باستقبال القبلة حنيفا حال من الدين او الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك بنفسه ان دعوته او خذلته فان فعلت فان دعوته فانك اذا من الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وان يمسسك الله بضر وان يصبك به فلا كاشف له يرفعه الا هو الا الله وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي ارادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على ان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسهم لا بالقصد الاول ووضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده يصيب به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم رسوله او القرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها لان وبال الضلال عليها وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وانما انا بشير ونذير

مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا

واتبع مايوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر على دعوتهم وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصرة اوبالامر بالقتال وهوخير الحاكمين اذ لايمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرآئر اطلاعه على الظواهر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس ومن كذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب مبتدأ وخبرا وكتاب خبر مبتدأ محذوف احكمت اياته نظمت نظما محكما لايعتريه اختلال من جهة اللفظ والمعنى اومنعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ اواحكمت بالحجج والدلائل اوجعلت حكيمة منقولة من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفرائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار اوبجعلها سورا اوبالانزال نجما نجما اوفصل فيها ولخص مايحتاج اليه وقرئ ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل واحكمت اياته ثم فصلت على البناء للتكلم وثم للتفاوت فى الحكم اوللتراخى فى الاخبار من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب اوخبر بعد خبر او صلة لاحكمت اوفصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على اكمل ماينبغى باعتبار ماظهر امره وماخفى ان لاتعبدوا الا الله لان لاتعبدوا وقيل ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ للاغرآء على التوحيد اوالامر بالتبرى من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه اواتركوها تركا انني لكم منه من الله نذير وبشير بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد وان استغفروا ربكم عطف على ان لاتعبدوا ثم توبوا اليه ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة ويجوز ان يكون ثم لتفاوت مابين الامرين يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم فى امن ودعة الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة اولايهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والآجال وان كانت متعلقة بالاعمال لكنها مسماة بالاضافة الى كل احد فلا تتغير ويؤت كل ذى فضل فضله ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا والاخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين وان تولوا وان تتولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيامة وقيل يوم الشدآئد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى الى الله مرجعكم رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس وهو على كل شئ قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب فكأنه تقرير لكبر اليوم الا انهم يثنون صدورهم يثنونها عن الحق وينحرفون عنه او يعطفونها على الكفر وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم او يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء المبالغة ويثنون واصله يثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف اراد به ضعف قلوبهم اومطاوعة صدورهم للثنى ويثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة وتثنوى ليستخفوا منه من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا ارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد عليه السلام كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة

عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

سُورَةُ هُودٍ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا

الا حين يستغشون ثيابهم الا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون بافواههم يستوي في علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه انه عليم بذات الصدور بالاسرار ذات الصدور او بالقلوب واحوالها وما من دابة في الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها اماكنها في الحياة والممات او الاصلاب والارحام او مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة كل كل واحد من الدواب واحوالها في كتاب مبين مذكور في اللوح المحفوظ وكانه اريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف او ما في جهتي العلو والسفل وجمع السموات دون الارض

مِنْهُ اَلَا حِيْنَ يَسْتَغْشُوْنَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ
اِنَّهٗ عَلِيْمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ۝٦ وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْاَرْضِ
اِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ
فِيْ كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ ۝٧ وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ
فِيْ سِتَّةِ اَيَّامٍ وَّكَانَ عَرْشُهٗ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ
عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ اِنَّكُمْ مَّبْعُوْثُوْنَ مِنْۢ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُوْلَنَّ
الَّذِيْنَ كَفَرُوْا اِنْ هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۝٨ وَلَئِنْ اَخَّرْنَا
عَنْهُمُ الْعَذَابَ اِلٰٓى اُمَّةٍ مَّعْدُوْدَةٍ لَّيَقُوْلُنَّ مَا يَحْبِسُهٗ اَلَا
يَوْمَ يَاْتِيْهِمْ لَيْسَ مَصْرُوْفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوْا
بِهٖ يَسْتَهْزِءُوْنَ ۝٩ وَلَئِنْ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
ثُمَّ نَزَعْنٰهَا مِنْهُ اِنَّهٗ لَيَئُوْسٌ كَفُوْرٌ ۝١٠ وَلَئِنْ اَذَقْنٰهُ

لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات وكان عرشه على الماء قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما الا انه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله اعلم بذلك ليبلوكم ايكم احسن عملا متعلق بخلق اي خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما يحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار الشامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على احاسن المحاسن والتحضيض على الترقي دائما في مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله والمعنى ايكم اكمل علما وعملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القول به او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة او البطلان وقرأ حمزة والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل وقرئ انكم بالفتح على تضمين قلت معنى ذكرت او ان يكون ان بمعنى علّ اي ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولا تبتوا بانكاره لعدوه من قبيل ما لا حقيقة له مبالغة في انكاره ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم ياتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها وحاق بهم واحاط بهم وضع الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه ثم سلبنا تلك النعمة منه انه ليؤس قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به كفور مبالغ في كفران ما سلف له من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفي اختلاف الفعلين نكتة لا تخفى



ليقولن ذهب السيئات عنى اى المصائب التى ساءتنى انه لفرح بطر بالنعم مغتربها فخور على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على ان مايجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لما يجده فى الاخرة وانه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبدأ الوصول الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير اقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام افاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا فلعلك تارك بعض مايوحى اليك تترك تبليغ بعض مايوحى اليك وهو مايخالف راى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولا يلزم من توقع الشئ لوجود مايدعوا اليه وقوعه لجواز ان يكون ما يصرف عنه وهو عصمة الرسل من الخيانة فى الوحى والتقية فى التبليغ مانعا وضائق به صدرك وعارض لك احيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان يقولوا

نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١١﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ

لولا انزل عليه كنز ينفقه فى الاستتباع كالملوك او جاء معه ملك يصدقه وقيل الضمير فى به مبهم يفسره ان يقولوا انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك ولا عليك ردوا او اقترحوا فما بالك يضيق به صدرك والله على كل شئ وكيل فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتريه ام منقطعة والهاء لما يوحى قل فأتوا بعشر سور مثله فى البيان وحسن النظم تحداهم اولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحد مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح انى اختلقته من عند نفسى فانكم عرب فصحاء مثلى تقدرون على مثل مااقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم باتيان مادعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم او لان المؤمنين ايضا كانوا يتحدونهم وكان امر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم فى كل امر الا ماخصه الدليل وللتنبيه على ان التحدى مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما لايعلمه الا الله ولايقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لايعلم ولايقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من ان يجيرهم من بأس الله آلهتهم فهل انتم مسلمون ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز ان يكون الكل خطابا للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من انفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا انه نظم لايعلمه الا الله وانه منزل من عنده وان ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل انتم داخلون فى الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة

وفى مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها باحسانه وبره نوف اليهم اعمالهم فيها نوصل اليهم جزاء اعمالهم فى الدنيا من الصحة والرياسه وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء اى يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوفى بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله وان اتاه كريم يوم مسغبة يقول لا غائب مالى ولا حرم وهم فيها لايبخسون لاينقصون شيأ من اجورهم والآية فى اهل الرياء وقيل فى المنافقين وقيل فى الكفرة بربهم اولئك الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار مطلقا فى مقابلة ماعملوا لانهم استوفوا ماتقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة

مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى
بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى
إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ
فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ
هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
﴿١٩﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي
الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ
الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

وحبط ما صنعوا فيها لانهم لم يبق لهم ثواب فی الآخرة اولم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله تعالى والعمدة فی اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على ان الضمير للدنيا وباطل فی نفسه ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغی وكان كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على انه مفعول يعملون وما ابهامية او فی معنى المصدر كقوله ولاخارجا من فی زور كلام وبطل على الفعل افمن كان على بينة من ربه برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار ان يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وافكارهم على الدنيا وان يقارب بينهم فی المنزلة وهو الذی اغنى عن ذكر الخبر وتقديره افمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبی صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان الذی هو دليل العقل شاهد منه شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى يعنی التوراة فانها ايضا تتلوه فی التصديق وقيل البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل اولسان الرسول صلى الله عليه وسلم على ان ضمير منه له اومن التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير فی يتلوه اما لمن اوللبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير فی يتلوه ای يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على انه حق كقوله وشهد شاهد من بنی اسرآئيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة اماما كتابا مؤتما به فی الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين اولئك اشارة الى من كان على بينة يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لامحالة فلا تك فی مرية منه من الموعد اوالقرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم واختلال فكرهم ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا كأن اسند اليه ما لم ينزله او نفی عنه ما انزله اولئك يعرضون على ربهم فی الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد من الملائكة والنبيين اومن جوارحهم وهو جمع شاهد كاصحاب اوشهيد كاشراف جمع شريف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله الذين يصدون عن سبيل الله عن دينه ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب اويبغون اهلها ان يعوجوا بالردة وهم بالآخرة هم كافرون والحال انهم كافرون بالآخرة وتكريرهم لتاكيد كفرهم واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين فی الارض ای ما كانوا معجزين الله فی الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لتصامّهم عن الحق وبغضهم له وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من اولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض

اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهي الارض المطمئنة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم والبصير والسميع يجوز ان يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان امره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين او تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب وهذا من باب اللف والطباق هل يستويان هل يستوي الفريقان مثلا اي تمثيلا او صفة او حالا افلا تذكرون بضرب الامثال والتأمل فيها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم باني لكم وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول نذير مبين ابين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل من اني لكم او مفعول مبين ويجوز ان تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم وهو في الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نريك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اخساؤنا جمع ارذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر او ارذل جمع رذل بادي الرأي ظاهر الرأي من غير تعمق من البدو او اول الرأي من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ ابو عمرو بالهمز وانتصابه بالظرف على حذف المضاف اي وقت حدوث بادي الرأي والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك او لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها اشرف عندهم والمحروم منها ارذل وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين قال يا قوم ارأيتم اخبروني ان كنت على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده بايتاء البينة او النبوة

أُولٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٧﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي

فعميت عليكم خفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة اولان خفاءها يوجب خفاء النبوة او على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار اولانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت اى اخفيت وقرئ فعماها على ان الفعل لله انلزمكموها أنكرهكم على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لاتختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع ضميران وليس احدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز فى الثانى الفصل والوصل ويا قوم لا اسئلكم عليه على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر مالا جعلا ان اجرى الا على الله فانه المأمول منه وما انا بطارد الذين امنوا جواب لهم حين سألوا طردهم انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده اوانهم يلاقونه ويفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكنى اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم اوفى التماس طردهم اوتتسفهون عليهم بان تدعوهم اراذل ويا قوم من ينصرنى من الله يدفع انتقامه ان طردتهم وهم بتلك الصفة والمثابة افلا تذكرون لتعرفوا ان التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب ولا اقول لكم عندى خزائن الله خزائن رزقه وامواله حتى جحدتم فضلى ولا اعلم الغيب عطف على عندى خزائن الله اى ولا اقول لكم انا اعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا اوحتى اعلم ان هؤلاء اتبعونى بادئ الرأى من غير بصيرة ولا عقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على اقول ولا اقول انى ملك حتى تقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدرى اعينكم ولا اقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم لن يؤتيهم الله خيرا فان ما اعد الله لهم فى الاخرة خير مما آتاكم فى الدنيا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ان قلت شيأ من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الزاى فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادئ الرؤية من غير روية وبما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة منالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته اواتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من الصادقين فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا قال انما يأتيكم به الله ان شاء عاجلا اوآجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب اوالهرب منه ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله ان كان الله يريد ان يغويكم تقدير الكلام ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل انت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما اوهموا من ان جداله كلام بلا طائل وهو دليل على ان ارادة الله يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده محال وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك

رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ﴿٢٩﴾ ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اريكم قوما تجهلون ﴿٣٠﴾ ويا قوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون ﴿٣١﴾ ولا اقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين ﴿٣٢﴾ قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ﴿٣٣﴾ قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ﴿٣٤﴾ ولا ينفعكم نصحى ان اردت ان انصح لكم ان كان الله

هو ربكم خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلى اجرامى وباله وقرئ اجرامى على الجمع وانا برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الامن قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اقنطه الله من ايمانهم ونهاه ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء واصنع الفلك باعيننا ملتبسا باعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ ويراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريقة التمثيل ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا ولا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع العذاب عنهم انهم مغرقون محكوم عليهم بالاغراق فلا سبيل الى كفه ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها فى برية بعيدة من الماء اوان عزته فكانوا يضحكون منه ويقولون له صرت نجارا بعد ماكنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه يعنى به اياهم وبالعذاب الغرق ويحل عليه وينزل او يحل عليه حلول الدين الذى لا انفكاك عنه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه او حتى هى التى يبتدأ بعدها الكلام وفار التنور نبع الماء فيه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها او فى الهند او بعين وردة بارض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض او اشرف موضع منها قلنا احمل فيها فى السفينة من كل من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها زوجين اثنين ذكرا وانثى هذا على قراءة حفص والباقون اضافوا على معنى احمل اثنين من كل زوجين اى من كل صنف ذكر وصنف انثى واهلك عطف على زوجين او اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الامن سبق عليه القول بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين ومن امن والمؤمنين من غيرهم وما امن معه الا قليل قيل كانوا تسعة وسبعين زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم روى انه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة فى سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى اسفلها الدواب والوحش وفى اوسطها الانس وفى اعلاها الطير وقال اركبوا فيها اى صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها فى الماء كالمركوب فى الارض بسم الله مجريها ومرسيها متصل باركبوا حال من الواو اى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها او مكانهما على ان المجرى والمرسى للوقت او المكان او المصدر والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما ببسم الله على ان المراد بهما المصدر او جملة من مبتدأ وخبر اى اجراؤها بسم الله على ان بسم الله خبر او صلة والخبر محذوف وهى اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها او حال مقدرة من الواو او الهاء وروى انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يكون الاسم مقحما كقوله ثم اسم السلام عليكما وقرأ حمزة والكسائى وعاصم برواية حفص مجراها بالفتح من جرى وقرئ مرساها ايضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل صفتين لله

يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٧﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٣٨﴾ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٩﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤١﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِيهَا

ان ربي لغفور رحيم اى لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم وهي تجري بهم متصل بمحذوف دل عليه اركبوا اى فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها في موج كالجبال
في موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجري في جوفه
ليس بثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق ونادى نوح ابنه كنعان وقرأ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير
لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية
سوغ حذف الحرف وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه او عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا ابعده يا بني اركب معنا في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء
الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف

وَمُرْسٰيهَا اِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي
مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادٰى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ
مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ سَاٰوِي اِلٰى جَبَلٍ
يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ اِلَّا مَنْ رَحِمَ
وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَا اَرْضُ
ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ اَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْاَمْرُ وَاسْتَوَتْ
عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَنَادٰى نُوحٌ رَبَّهُ
فَقَالَ رَبِّ اِنَّ ابْنِي مِنْ اَهْلِي وَاِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَاَنْتَ اَحْكَمُ
الْحَاكِمِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ يَا نُوحُ اِنَّهُ لَيْسَ مِنْ اَهْلِكَ اِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ
صَالِحٍ فَلَا تَسْئَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ اِنِّي اَعِظُكَ اَنْ تَكُونَ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٧﴾ قَالَ رَبِّ اِنِّي اَعُوذُ بِكَ اَنْ اَسْئَلَكَ مَا لَيْسَ لِي

المبدلة من ياء الاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد ادغم الياء في الميم
ابو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما ولا تكن مع الكافرين في الدين والانعزال
قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء ان يغرقني قال لا عاصم اليوم من امر الله الا
من رحم الا الراحم وهو الله تعالى او الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون ورد بذلك
ان يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة
وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله تعالى في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع
اى لكن من رحمه الله يعصمه وحال بينهما الموج بين نوح وابنه او بين ابنه والجبل
فكان من المغرقين فصار من المهلكين بالماء وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء
اقلعي نوديا بما ينادى به اولو العلم وامرا بما يؤمرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما
لما يشاء تكوينه فيهما بالآمر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره
مهابة من عظمته وخشية من اليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك وغيض



الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين واستوت
واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روي انه
ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم وصار ذلك سنة
وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث
لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة
لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وايراد الاخبار
على البناء للمفعول للدلالة على تعظيم الفاعل وانه متعين في نفسه مستغن عن ذكره
اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بان مثل هذه الافعال لا يقدر عليه سوى الواحد القهار
ونادى نوح ربه واراد نداءه بدليل عطف قوله فقال رب ان ابني من اهلي
فانه النداء وان وعدك الحق وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف
وقد وعدت ان تنجي اهلي فما حاله او فما له لم ينج ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه
وانت احكم الحاكمين لانك اعلم الحكام واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوي الحكم على
ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع قال يا نوح انه ليس من اهلك لقطع الولاية

بين المؤمن والكافر واشار اليه بقوله انه عمل غير صالح فانه تعليل لنفي كونه من اهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة ترتع
ترعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه وقرأ الكسائي
ويعقوب انه عمل اى عمل عملا غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم ما لم تعلم اصواب هو ام ليس بصواب وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الموعد بنجاة اهله استنجازه
في شأن ولده او استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجر عنه بقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين لان استثناء من سبق عليه القول من اهله
قد دله على الحال واغناه عن السؤال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون المشددة وكذلك نافع وابن عامر غير انهما كسرا النون
على ان اصله تسئلنني فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت المشددة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع اثباتها في الوصل

قال رب انى اعوذبك ان اسئلك فيما يستقبل ماليس لى به علم مالا علم لى بصحته والا تغفرلى وان لم تغفرلى ما فرط منى من السؤال وترحمنى بالتوبة والتفضل على اكن من الخاسرين اعمالا قيل يانوح اهبط بسلام منا انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا اومسلما عليك وبركات عليك ومباركا عليك او زيادات فى نسلك حتى تصير آدم ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهى الخير النامى وعلى امم ممن معك وعلى امم هم الذين معك سموا امما لتحزبهم او لتشعب الامم منهم او على امم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله وامم سنمتعهم اى وممن معك امم سنمتعهم فى الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم فى الاخرة والمراد بهم الكفار من ذرية من معه وقيل قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم تلك اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها من انباء الغيب اى بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اى موحاة اليك او حال من الانباء او هو الخبر ومن انباء متعلق به او حال من الهاء ماكنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا خبر آخر اى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على انه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لم يسمعوها فكيف بواحد منهم فاصبر على مشاق الرسالة واذية القوم كما صبر نوح ان العاقبة فى الدنيا بالظفر وفى الاخرة بالفوز للمتقين عن الشرك والمعاصى والى عاد اخاهم هودا عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان قال ياقوم اعبدوا الله وحده مالكم من اله غيره وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده ان انتم الا مفترون على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء ياقوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع مادامت مشوبة بالمطامع افلا تعقلون افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وايضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده يرسل السماء عليكم مدرارا كثير الدر ويزدكم قوة الى قوتكم ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم ثلاث سنين فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل ولا تتولوا ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على اجرامكم قالوا ياهود ماجئتنا ببينة بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات ومانحن بتاركى آلهتنا بتاركى عبادتهم عن قولك صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى ومانحن لك بمؤمنين اقناط له من الاجابة والتصديق

بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٨﴾ قِيلَ
يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ
مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٩﴾
تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا
قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِلَى عَادٍ
أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ
أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥١﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ
يَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا يَا هُودُ
مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ

ان نقول الا اعتريك ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذى وتتكلم بالخرافات والجملة مفعول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون اجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه من اضرارهم تأكيدا لذلك وتثبيتا له وامرهم بان يشهدوا عليه استهانة لهم وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه ولم يبق لهم شبهة ان آلهتهم التى هى جماد لا تضر ولا تنفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله انى توكلت على الله ربى وربكم تقرير له والمعنى انكم وان بذلتم غاية وسعكم لم تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو

بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾

ومالككم لا يحيق بى مالم يرده ولا تقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم اى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربى قوما غيركم استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلككم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القرآءة بالجزم على الموضع فكانه قيل وان تتولوا يعذرنى ربى ويستخلف ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر ومن جزم يستخلف اسقط النون منه ان ربى على كل شئ حفيظ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستولى عليه فلا يمكن ان يضره شئ ولما جاء امرنا عذابنا او امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا وكانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطع اعضاءهم والمراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها وعصوا رسله لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكانما عصى الكل لانهم امروا بطاعة كل رسول واتبعوا امر كل جبار عنيد يعنى كبرآءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعنودا وعندا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم واطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب الا ان عادا كفروا ربهم جحدوه او كفروا نعمه او كفروا به فحذف الجار الا بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم وانما كرر الا واعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم قوم هود عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود

والى ثمود اخاهم صلحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشاكم من الارض هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب واستعمركم فيها عمركم فيها واستبقاكم من العمر او اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب قريب الرحمة مجيب لداعيه قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا فى الامور وان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك اتنهينا ان نعبد ما يعبد اباؤنا على حكاية الحال الماضية واننا لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد والتبرئ من الاوثان مريب موقع فى الريبة من ارابه او ذى ريبة على الاسناد المجازى من اراب فى الامر قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين واتانى منه رحمة نبوة فمن ينصرنى من الله فمن يمنعنى من عذابه ان عصيته فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به فما تزيدوننى اذا باستتباعكم اياى غير تخسير غير ان تخسرونى بابطال ما منحنى الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية انتصبت اية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها فذروها تاكل فى ارض الله ترع نباتها وتشرب ماءها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة ايام فعقروها فقال تمتعوا فى داركم عيشوا فى منازلكم او فى داركم الدنيا ثلاثة ايام الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون ذلك وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب على المجاز وكان الواعد قال له افى بك فان وفى به صدقه والا كذبه او وعد غير كذب على انه مصدر كالمجلود والمعقول فلما جاء امرنا نجينا صلحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ اى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة او ذلهم او فضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه ههنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَا قَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ

ان ربك هو القوى العزيز القادر على كل شئ والغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين قد سبق تفسير ذلك فى سورة الاعراف كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا كفروا ربهم نونه ابوبكر ههنا وفى النجم والكسائى فى جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وابو عمرو وفى قوله الا بعدا لثمود ذهابا الى الحق اوالاب الاكبر ولقد جاءت رسلنا ابرهيم يعنى الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل بالبشرى ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما قال سلام اى امركم سلام او جوابى سلام او وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائى سلم وكذلك فى الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فما ابطأ مجيئه به او فما ابطأ فى المجيئ به اوفما تأخر عنه والجار فى ان مقدر او محذوف والحنيذ المشوى بالرضف وقيل الذى يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين فلما رأى

ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم نكرهم واوجس منهم خيفة انكر ذلك منهم وخاف ان يريدوا به مكروها ونكر وانكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار قالوا له لما احسوا منه اثر الخوف لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الفساد او باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فانى اعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال وعهدى بسلمى ضاحكا فى لبابة ولم تعد حقا ثديها ان تحلما ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره ووهبنا ها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق او على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير منصرف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف اى ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمى به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما فى البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها الدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد قالت ياويلتا يا عجبا واصله فى الشر فاطلق فى كل امر فظيع وقرئ بالياء على الاصل ءالد وانا عجوز ابنة تسعين او تسع وتسعين وهذا بعلى زوجى واصله القائم بالامر شيخا ابن مائة اومائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلى بدل ان هذا لشئ عجيب يعنى الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث

ان ربك هو القوى العزيز ﴿٦٦﴾ واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا فى ديارهم جاثمين ﴿٦٧﴾ كان لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ﴿٦٨﴾ ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ ﴿٦٩﴾ فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط ﴿٧٠﴾ وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ﴿٧١﴾ قالت يا ويلتى ءالد وانا عجوز وهذا بعلى شيخا ان هذا لشئ عجيب ﴿٧٢﴾ قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله وبركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد ﴿٧٣﴾ فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ﴿٧٤﴾ ان ابرهيم لحليم

العادة دون القدرة ولذلك قالوا اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت منكرين عليها فان خوارق العادات باعتبار اهل بيت النبوة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببديع ولاحقيق بان يستغربه عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات واهل البيت نصب على المدح او النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد مجيد كثير الخير والاحسان فلما ذهب عن ابراهيم الروع اى ما اوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم وجاءته البشرى بدل الروع يجادلنا فى قوم لوط يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جيئ به مضارعا على حكاية الحال اولانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو او دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا او شرع فى جدالنا او متعلق به اقيم مقامه مثل اخذ او اقبل يجادلنا ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام من المسيئ اليه

اواه كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس منيب راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه يا ابراهيم على ارادة القول اى قالت الملائكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو اعلم بحالهم وانهم اتيهم عذاب غير مردود مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ساءه مجيئهم لانهم جاؤا فى صورة غلمان فظن انهم اناس فخاف عليهم ان يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم وضاق بهم ذرعا وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه كانهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون السيئات الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى فدى بهن اضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ او مبالغة فى تناهى خبث ما يرومونه حتى ان ذلك اهون منه او اظهار الشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى ابو امته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود وازواجه امهاتهم وهو اب لهم هن اطهر لكم انظف فعلا واقل فحشا كقولك الميتة اطيب من المغصوب واحل منه وقرئ اطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتى كقولك هذا اخى هو ولا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحونى من الخزى او ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء فى ضيفى فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق من حاجة وانك لتعلم ما نريد وهو اتيان الذكران قال لو ان لى بكم قوة لو قويت بنفسى على دفعكم او اوى الى ركن شديد الى قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ او آوى بالنصب على اضمار ان كأنه قال لو ان لى بكم قوة او اويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم احد ولا يتخلف او ولا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط الا امرأتك استثناء من قوله فاسر باهلك ويدل عليه انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قرآءة ابن كثير وابى عمرو بالرفع على البدل من احد ولا يجوز حمل القرآءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها او اخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة والاولى جعل الاستثناء فى القرآءتين من قوله لا يلتفت مثله فى قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون اكثر القرآء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قرآءة الرفع ان موعدهم الصبح كأنه علة الامر بالاسراء اليس الصبح بقريب جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب فلما جاء امرنا عذابنا او امرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله

أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٦﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٧﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٨﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٩﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨٠﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨١﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا

جعلنا عاليها سافلها فانه جواب لما كان حقه جعلوا عاليها اي الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى ان جبريل عليه السلام ادخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وامطرنا عليها على المدن او على شذاذها حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل انه من اسجله اذا ارسله اوادر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل او من مثل العطية في الادرار او من السجل اي مما كتب الله ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت نونه لاما منضود نضد معدا للعذاب او نضد في الارسال يتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار او نضد بعضه على بعض والصق به مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيما تتميز بها عن حجارة الارض او باسم من يرمى بها عند ربك في خزائنه وماهي من الظالمين ببعيد فانهم بظلمهم حقيق بان يمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام انه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة

جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ
مَّنضُودٍ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾
وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ
وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ
أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ
لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ
مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ

يمرون بها في اسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر او المكان والى مدين اخاهم شعيبا ارادا ولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي باسمه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض انى اريكم بخير بسعة تغنيكم عن البخس او بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا ان تنقصوا حقوقهم او بسعة فلا تزيلوها بما انتم عليه وهو في الجملة علة النهي واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ منه احد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله واحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستئصال وتوصيف اليوم بالاحاطة وهي صفة العذاب لاشتماله عليه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح الامر بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم السعي في الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى دونها بالقسط بالعدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص فانه اعم من ان يكون في المقدار او في غيره وكذا قوله ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كأخذ العشور من المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقية الله ما ابقاه الله لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم خير لكم مما تجمعون بالتطفيف ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيرها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان او ان كنتم مصدقين لي في قولي لكم وقيل البقية الطاعة لقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه التي تكف عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم عن القبائح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم عليها وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت

حين انذرت او لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به بعد ان امرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ما تواظب عليه وكان شعيب كثير الصلوات فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائي وحفص على الافراد والمعنى اصلوتك تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف على ما اي وان نترك فعلنا ما نشاء في اموالنا وقرئ بالتاء فيهما على ان العطف على ان نترك وهو جواب النهي عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فارادوا به ذلك انك لانت الحليم الرشيد تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك او عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بانه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى امثال ذلك



قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربى اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقنى منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه واخالفه فى امره ونهيه وهو اعتذار عما انكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه لله اى من عنده وباعانته بلا كدّ منى فى تحصيله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه اى وما اريد ان آتى ما انهاكم عنه لاستبدّ به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم اعرض عنه فضلا عن ان انهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مولّ عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس ان اريد الا الاصلاح ما استطعت ما اريد الا ان اصلحكم بامرى بالمعروف ونهيى عن المنكر ما دمت استطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما انتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على ان العاقل يجب ان يراعى فى كل ما يأتيه ويذره احد حقوق ثلاثة اهمها واعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما امرتكم به وانهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته او اصلاح ما استطعته فحذف المضاف وما توفيقى الا بالله وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته عليه توكلت فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو اقصى مراتب العلم بالمبدأ واليه انيب اشارة الى معرفة المعاد وهو ايضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع امره والاقبال عليه بشراشره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بمعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم شقاقى معاداتى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح او قوم صالح من الرجفة وان بصلتها ثانى مفعولى جرم فانه يعدّى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدى الى مفعول والاول افصح فان اجرم اقل دورانا على السنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبنى كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة فى غصون ذات اوقال وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم اوليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمساوى فلا يبعد عنكم ما اصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم او وما هم بشئ بعيد ولا يبعد ان يسوّى فى امثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربى رحيم عظيم الرحمة للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه ما نفهم كثيرا مما تقول كوجوب التوحيد وحرمة التبخيس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقلهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدّة نفرتهم عنه وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع منا ان اردنا بك سوأ او مهينا لا عز لك وقيل اعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يردّه التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة لرجمناك لقتلناك برمى الاحجار او باصعب وجه وما انت علينا بعزيز فتمنعنا عزتك من الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفى ايلاء ضميره حرف النفى تنبيه على ان الكلام فيه لا فى ثبوت العزة وان المانع لهم من ايذائه عزة قومه ولذلك قال يا قوم ارهطى اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسى المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله افلا تبقون على الله وتبقون على رهطى وهو يحتمل الانكار والتوبيخ والردّ والتكذيب وظهريا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربى بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها

إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٩﴾ وَيَٰقَوْمِ
لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ
أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ ﴿٩٠﴾
وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩١﴾
قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا
وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ
أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا
إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٣﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٩٤﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ
وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٥﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا

ويا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه سبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثمه للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو ابلغ في التهويل ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما اوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب مني ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثاني اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب كالرفيع ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا انما ذكره بالواو كما في قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجري مجرى السبب له بخلاف قصتي صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية واخذت الذين ظلموا الصيحة قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩٦﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٩٨﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٩﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿١٠٠﴾ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٢﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠٣﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٤﴾

واصل الجثوم اللزوم في المكان كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود شبههم بهم لان عذابهم ايضا كان بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتوراة او المعجزات وسلطان مبين وهو المعجزات القاهرة او العصا وافرادها بالذكر لانها ابهرها ويجوز ان يراد بهما واحد اي ولقد ارسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا في نفسه او موضحا اياها فان ابان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء الى فرعون وملئه فاتبعوا امر فرعون فاتبعوا امره بالكفر بموسى او فما اتبعوا موسى الهادي الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك في الضلال والطغيان الداعي الى ما لا يخفى فساده على من له ادنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم وما امر فرعون برشيد مرشد او ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم النار ذكره بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال وبئس الورد المورود اي بئس المورد الذي وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد فان من هذه عاقبته لم يكن في امره رشد او تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها واتبعوا في هذه في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا والاخرة بئس الرفد المرفود بئس العون المعان او العطاء المعطى واصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة في الدارين ذلك اي ذلك النبأ من انباء القرى المهلكة نقصه عليك مقصوص عليك منها قائم من تلك القرى باق كالزرع القائم وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء في نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم بان عرضوها له بارتكاب ما يوجبه فما اغنت عنهم فما نفعتهم ولا قدرت ان تدفع عنهم بل ضرتهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك او تخسير وكذلك ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك وقرئ اخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة حال من القرى وهي في الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامه اجريت عليها وفائدتها الاشعار بانهم اخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة ان اخذه اليم شديد وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة في التهديد والتحذير

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ۖ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ

ان في ذلك اى فيما نزل بالامم الهالكة او فيما قصه الله من قصصهم لآية لعبرة لمن خاف عذاب الآخرة يعتبر بها لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعدالله للمجرمين في الآخرة او ينزجر بها عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من انكر الآخرة واحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت في تلك الايام لالذنوب المهلكين بها ذلك اشارة الى يوم القيمة وعذاب الآخرة دل عليه يوم مجموع له الناس اى يجمع له الناس والتغيير الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لامحالة وان الناس لاينفكون عنه فهو ابلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله في محفل من نواصي الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا في نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك وما نؤخره اى اليوم الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا انتهاءها فانه غير معدود يوم يأت اى الجزاء او اليوم لقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين او الله عز وجل لقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر او بالانتهاء المحذوف الا باذنه الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف آخر او المأذون فيه هي الجوابات الحقة والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لا تكلم نفس او للناس فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما في اول النهيق وآخره فالمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم خالدين فيها ما دامت السموات والارض ليس لارتباط دوامهم في النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم ايضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامهما دوامه الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وارضها ويدل عليه قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان اهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف اكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدي له التشبيه الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف في صحة الاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثاني فانهم مفارقون عن الجنة ايام عقابهم فان التأبيد من مبدأ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقي وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه ان تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط من حيث التقسيم لانفصال حقيقي او مانع من الجمع وههنا المراد ان اهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين في شخص باعتبارين او لان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا وكذلك اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه او من اصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب لان ظاهره يقتضي ان يكونوا في النار حين يأتي اليوم او مدة لبثهم في الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل ان يكون الاستثناء من الخلود على ما عرفت وقيل هو من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك علي الف الا الالفان القديمان والمعنى سوى ما شاء ربك من الزيادة التي لا آخر لها على مدة بقاء السموات والارض

لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٢﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٣﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٤﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١١٥﴾ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٦﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٧﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٩﴾

ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب في التأبيد وقرأ حمزة والكسائي وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى اسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد اى اعطوا عطاء او الحال من الجنة فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مآل الناس مما يعبد هؤلاء من عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم او من حال ما يعبدونه في انه يضر ولا ينفع ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل استئناف معناه تعليل النهي عن المرية اى هم وآباؤهم سواء في الشرك اى ما يعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم او ما يعبدون شيأ الا مثل ما عبدوه من الاوثان وقد بلغك ما لحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل في الاسباب يقتضي التماثل في المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة قبل عليه وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كآبائهم او من الرزق فيكون عذرا لتأخير العذاب عنهم مع قيام ما يوجبه غير منقوص حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بانزال ما يستحقه المبطل ليتميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي شك منه من القرآن مريب موقع للريبة وان كلا وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وابو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتاكيد او بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان اصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت اولاهن والمعنى لمن الذين ليوفينهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اى جميعا كقوله اكلا لما وان كل لما على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به انه بما يعملون خبير فلا يفوت عنه شيء منه وان خفي فاستقم كما امرت لما بين امر المختلفين في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما امر بها وهي شاملة للاستقامة في العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحي وبيان الشرائع كما انزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهي في غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتني سورة هود ومن تاب معك اى ومن تاب من الشرك والكفر وآمن معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه بما تعملون بصير فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الاية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان ولا تركنوا الى الذين ظلموا ولا تميلوا اليهم ادنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه ما يسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين اى الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الاية ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى احد طرفيه افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه او غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من اركنه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال ثم لا تنصرون اى ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه ان يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد اوعدهم بالعذاب عليه واوجبه لهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر على نصرهم انتج ذلك انهم لا ينصرون اصلا واقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه وزلفا من الليل وساعات منه قريبة من النهار فانه من ازلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها اقرب الصلوات من اول النهار وصلاة العشية العصر

وقيل الظهر والعصر لان مابعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات يذهبن السيئات يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة مابينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد اصبت من امرأة غير اني لم آتها فنزلت ذلك اشارة الى قوله فاستقم ومابعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين واصبر على الطاعات وعن المعاصي فان الله لايضيع اجر المحسنين عدول عن المضمر ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على ان الصبر والصلاة احسان وايماء بانه لايعتد بهما دون الاخلاص فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية من الرأي والعقل او اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل مايخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ويجوز ان يكون مصدرا كالتقية اي ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده انه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك ولايصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٢٠ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝١٢١ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ۝١٢٢ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ۝١٢٣ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝

سُورَةُ يُوسُفَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَاحِدَىٰ عَشْرَةَ آيَةً

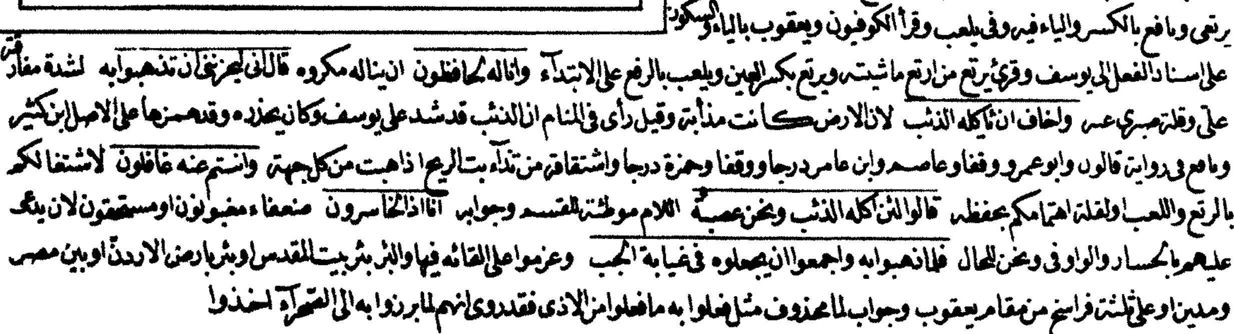
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اي ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عماوراء ذلك وكانوا مجرمين كافرين كانه اراد ان يبين ماكان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع او اعتراض وقرئ واتبع اي واتبعوا لجزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء وماكان ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم لايضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ولذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد وقيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة وانه تعالى لم يرد الايمان من كل احد وان ما اراده يجب وقوعه ولايزالون مختلفين بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة او اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة وتمت كلمة ربك وعيده او قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اي من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا وكل نبأ نقص عليك من انباء الرسل نخبرك به ما نثبت به فؤادك بيان لكلا او بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذى الكفار او مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من انباء الرسل وجاءك في هذه السورة او الانباء المقتصة عليك الحق ماهو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين اشارة الى سائر فوائده العامة وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم على حالكم انا عاملون على حالنا وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم ولله غيب السموات والارض خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما واليه يرجع الامر كله فيرجع لامحالة امرهم وامرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وماربك بغافل عما تعملون انت وهم فيجازي كلا مايستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء هنا وفي آخر النمل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق نوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب المبين تلك اشارة الى آيات السورة وهي المرادة بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الظاهر امرها في الاعجاز او الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها انها من عند الله او لليهود ما سألوا اذ روي ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ١٢

الٓرٰ تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِيْنِ ﴿١﴾ اِنَّآ اَنْزَلْنَاهُ قُرْاٰنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ اَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَآ اَوْحَيْنَآ اِلَيْكَ هٰذَا الْقُرْاٰنَ وَاِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهٖ لَمِنَ الْغَافِلِيْنَ ﴿٣﴾ اِذْ قَالَ يُوْسُفُ لِاَبِيْهِ يَآ اَبَتِ اِنِّيْ رَاَيْتُ اَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَّالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَاَيْتُهُمْ لِيْ سَاجِدِيْنَ ﴿٤﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلٰٓى اِخْوَتِكَ فَيَكِيْدُوْا لَكَ كَيْدًا اِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْاِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ ﴿٥﴾ وَكَذٰلِكَ يَجْتَبِيْكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَاْوِيْلِ الْاَحَادِيْثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهٗ عَلَيْكَ وَعَلٰٓى اٰلِ يَعْقُوْبَ كَمَآ اَتَمَّهَا عَلٰٓى اَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْحٰقَ اِنَّ رَبَّكَ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِيْ يُوْسُفَ وَاِخْوَتِهٖٓ اٰيَاتٌ

انا انزلناه اى الكتاب قرآنا عربيا سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا او حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له او حال من الضمير فيه او حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف لعلكم تعقلون علة لانزاله بهذه الصفة اى انزلناه مجموعا او مقروا بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لا يتصور الا بالايحاء نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص لانه اقتص على ابدع الاساليب او احسن ما يقص لاشتماله على العجائب والحكم والايات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص اثره اذا تبعه بما اوحينا اى بايحائنا اليك هذا القرآن يعنى السورة ويجوز ان يجعل هذا مفعول نقص على ان احسن نصب على المصدر وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة اذ قال يوسف بدل من احسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال او منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وكسروها لانها عوض حرف يناسبها الا ابن عامر ففتحها فى كل القرآن لانها حركة اصلها او لانه كان يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز يا ابتا ولم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب انى رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياى من قبل احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر ان يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا اخبرتك فهل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها رايتهم لى ساجدين استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما اجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم قال يا بنى تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لانه كان ابن ثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه ان الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير انها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرفى التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يعدى به تأكيدا ولذلك اكد بالمصدر وعلله بقوله ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة كما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يالوا جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد وكذلك اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك ويعلمك كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كانه قيل وهو يعلمك من تأويل الاحاديث من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت صادقة واحاديث النفس والشيطان ان كانت كاذبة او من تأويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل

ويتم نعمته عليك بالنبوة اي بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الاخرة وعلى آل يعقوب يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب اونسله كما اتمها على ابويك بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم من قبل اي من قبلك او من قبل هذا الوقت ابراهيم واسحق عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم يفعل الاشياء على ما ينبغي لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم آيات دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية للسائلين لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته علاته العشرة وهم يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر و دينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب اولا فلما توفيت تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ واربعة آخرون دان ونفتالي وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة اذ قالوا ليوسف واخوه بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين احب الى ابينا منا وحده لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه والمذكر وما يقابله بخلاف اخويه فان الفرق واجب في المحلى جائز في المضاف ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فما فوقها سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ضلال مبين لتفضيله المفضول ولترك التعديل في المحبة روي انه كان احب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف من جملة المحكي بعد قوله اذ قالوا كانهم اتفقوا على ذلك الامر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون او دان ورضي به الآخرون او اطرحوه ارضا منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه ابيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم في محبته احد وتكونوا جزم بالعطف على يخل او نصب باضمار ان من بعده من بعد يوسف او الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تائبين الى الله تعالى عما جنيتم او صالحين مع ابيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه ابيكم قال قائل منهم يعني يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب في قعره سمي به لغيبوبته عن اعين الناظرين وقرأ نافع في غيابات الجب في الموضعين على الجمع كانه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الذين يسيرون في الارض ان كنتم فاعلين بمشورتي او ان كنتم على ان تفعلوا ما يفرق بينه وبين ابيه قالوا يا ابانا ما لك لا تأمنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارادوا به استنزاله عن رأيه في حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهورة تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء ارسله معنا غدا الى الصحراء يرتع نتسع في اكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب ونلعب بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على انه من ارتعى يرتعي ونافع بالكسر والياء فيه وفي يلعب وقرأ الكوفيون ويعقوب بالياء والسكون



على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان يأكله الذئب لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى في المنام ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع في رواية قالون وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر درجا ووقفا وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب او لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اللام موطئة للقسم وجوابه انا اذا لخاسرون ضعفاء مغبونون او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو في ونحن للحال فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس او بئر بارض الاردن او بين مصر ومدين او على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى الصحراء اخذوا

لِلسَّائِلِينَ ۝٨ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٩ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝١٠ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝١١ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝١٢ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝١٣ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ۝١٤ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝١٥ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا



يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك ويؤنسوك فلما بلغ نصفها القوه وكان فيها ماء فسقط ثم اوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكي فجاءه جبرائيل بالوحي كما قال واوحينا اليه وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا اوحي اليه في صغره كما اوحي الى يحيى وعيسى عليهم السلام وفي القصص ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها بيوسف فاخرجه جبريل عليه السلام فالبسه اياه لتنبئنهم بامرهم هذا لتحدثنهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وبعده عن اوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيئات وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤول اليه امره ايناسا له وتطييبا للقلب وقيل وهم لا يشعرون متصل باوحينا

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٦﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٧﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ

اى آنسناه بالوحي وهم لا يشعرون ذلك وجاؤا اباهم عشاء اى آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشي وعشى بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء يبكون متباكين روى انه لما سمع بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق في العدو او في الرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب اى ذي كذب بمعنى مكذوب فيه ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو اى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة اى كدرا وطري وقيل اصله البياض الخارج على اظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه في موضع النصب على الظرف اى فوق قميصه او على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور وروى انه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اى سهلت لكم انفسكم وهونت في اعينكم امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل اى فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل وفي الحديث الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه اى الى الخلق والله المستعان على ما تصفون على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح وجاءت سيارة رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاثة ايام من القائه فيه فارسلوا واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعي فادلى دلوه فارسلها في الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام نادى البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال تعالى فهذا اوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي بالاضافة وقرئ يا بشري بالادغام وهو لغة وبشراي بالسكون على قصد الوقف واسروه اى الوارد واصحابه من سائر الرفقة وقيل اخفوا امره وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك لان يهودا كان يأتيه بالطعام كل يوم فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه بضاعة نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة والله عليم بما يعملون لم يخف عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم وشروه وباعوه وفي مرجع الضمير الوجهان او اشتروه من اخوته بثمن بخس مبخوس لزيف او نقصان دراهم بدل من الثمن معدودة قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية ويعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين وكانوا فيه في يوسف من الزاهدين الراغبين عنه والضمير في وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل في بيعه وان كانوا مبتاعين فلانهم اعتقدوا انه ابق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذي فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول

وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر واسمه قطفير او اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد امن بيوسف ومات في حياته وقيل كان فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور انه من اولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روي انه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وكان ابن ثلاثين وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان ابيضان وقيل مثله فضة وقيل ذهبا لامرأته راعيل او زليخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه عندنا كريما اي حسنا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل افرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استأجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكما مكنا محبته في قلب العزيز او كما مكناه في منزله او كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز مكنا له فيها ولنعلمه من تأويل الاحاديث عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه اي كان القصد في انجائه وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتاب الله واحكامه فينفذها او يعبر المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان تحل كما فعل بسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء او على امر يوسف اراد به اخوة يوسف شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وعلما يعني علم تأويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين تنبيه على انه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه في عمله واتقائه في عنفوان امره وراودته التي هو في بيتها عن نفسه طلبت منه وتمحلت ان يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك اي اقبل وبادر او تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بني على الفتح كأين واللام للتبيين كالتي في سقيا لك وقرأ ابن كثير بالضم تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وهي لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هئت وعلى هذا فاللام من صلته قال معاذ الله اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن ربي احسن مثواي سيدي قطفير احسن تعهدي اذ قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخونه في اهله وقيل الضمير لله تعالى اي انه خالقي واحسن منزلتي بان عطف علي قلبه فلا اعصيه انه لا يفلح الظالمون المجاوزون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنى ظلم على الزاني والمزني باهله ولقد همت به وهم بها قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بشيء امضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم او مشارفة الهم كقولك قتلته لو لم اخف الله لولا ان رأى برهان ربه في قبح الزنى وسوء مغبته لخالطها لشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولا يجوز ان يجعل وهم بها جواب لولا فانها في حكم ادوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه السلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على انامله وقيل قطفير وقيل نودي يا يوسف انت مكتوب في الانبياء وتعمل عمل السفهاء كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنى انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر في كل القرآن اذا كان في اوله الالف واللام اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا الباب اي تسابقا الى الباب فحذف الجار او ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك ان يوسف فر منها ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا والفيا سيدها وصادفا زوجها

عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ

لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم ايهاما بانها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية او استفهامية بمعنى اى شئ جزاؤه الا السجن قال هى راودتنى عن نفسى طالبتنى بالمواتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن او العذاب ولو لم تكذب عليه لما قاله وشهد شاهد من اهلها قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليه السلام وانما القى الله الشهادة على لسان اهلها ليكون الزم عليها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانه يدل على انها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها او انه اسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه يدل على انها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول او على ان فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها ادت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان احسنت الى فقد احسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على

وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٨﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٩﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣١﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ

باحسانك امنن عليك باحسانى السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه اى ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان السوء او ان هذا الامر من كيدكن من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم فان كيد النساء الصق واعلق بالقلب واشد تأثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة يوسف حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث اعرض عن هذا اكتمه ولا تذكره واستغفرى لذنبك يا راعيل انك كنت من الخاطئين من القوم المذنبين من خطئ اذا اذنب متعمدا والتذكير للتغليب وقال نسوة هى اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها فى المدينة ظرف لقال اى اشعن الحكاية فى مصر او صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب امرأت العزيز تراود فتيها عن نفسه تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك واصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فاحرقه انا لنريها فى ضلال مبين فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن اخفينه كما يخفى الماكر مكره او قلن ذلك لتريهن يوسف او لانها استكتمتهن سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من الوسائد وآتت كل واحدة منهن سكينا حتى يتكئن والسكاكين بايديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع سكينهن على ايديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة او يهاب يوسف من مكرها اذا خرج وحده على اربعين امرأة فى ايديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما او مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وقيل المتكأ طعام يحز حزا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل اكبرن بمعنى حضن من اكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر او ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام اى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت فى الخدور العواتق وقطعن ايديهن جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة وقلن حاش لله تنزيها لله من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الالف الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاشا الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا لله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر

وقيل حاشى فاعل من الحشا الذي هو الناحية وفاعله ضمير يوسف اى صار في ناحية لله مما يتوهم فيه ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز في اعمال
ما عمل ليس لمشاركتها في نفي الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص
الملئكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اى فهو ذلك العبد الكنعاني الذي لمتنني فيه بالافتتان به قبل ان تتصورنه حق تصوره ولو
تصورتنه بما عاينتن لعذرتنني او فهذا هو الذي لمتنني فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم فامتنع طلبا للعصمة اقرت لهن
حين عرفت انهن يعذرنها كي يعاونها على الانة عريكته ولئن لم يفعل ما آمره اى ما آمر به فحذف الجار او امري اياه بمعنى موجب امري فيكون الضمير ليوسف ليسجنن وليكونا من
الصاغرين من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم
الوقف وذلك في الخفيفة لشبهها بالتنوين قال رب السجن وقرأ يعقوب بالفتح على
المصدر احب الي مما يدعونني اليه اى آثر عندي من مؤاتاتها نظرا الى العاقبة وان كان
هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه
من مخالفتها وزين له مطاوعتها او دعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلي بالسجن لقوله هذا
وانما كان الاولى به ان يسأل الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم
على من كان يسأل الصبر والا تصرف وان لم تصرف عني كيدهن في تحبيب ذلك
الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الى جانبهن او الى
انفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تستطيبها وتميل اليها وقرئ اصب من الصبابة وهي الشوق واكن من الجاهلين
من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون
بما يعلمون فانهم والجهال سواء فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه الذي تضمنه
قوله والا تصرف فصرف عنه كيدهن فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة
السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان انه هو السميع لدعاء الملتجئين اليه
العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله
من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع
النساء ايديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره ليسجننه حتى حين
وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه او
يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم
خاطب به العزيز على التعظيم او العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل ودخل معه السجن
فتيان اى ادخل يوسف السجن واتفق انه ادخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه
وخبازه للاتهام بانهما يريدان ان يسماه قال احدهما يعني الشرابي اني اراني
اى ارى في المنام وهي حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا وسماه بما يؤول اليه
وقال الآخر اى الخباز اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه تنهش منه نبئنا
بتأويله انا نريك من المحسنين من الذين يحسنون تأويل الرؤيا او من العالمين وانما قالا
ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله اى بتأويل ما قصصتما علي او بتأويل الطعام
يعني ببيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كانه اراد ان يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل ان يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم
من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير قبل ان يأتيكما ذلكما اى ذلك التأويل مما علمني ربي بالالهام والوحي وليس من
قبيل التكهن والتنجيم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب او كلام مبتدأ
لتمهيد الدعوة واظهار انه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة
على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء

السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ

ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان ذلك اى التوحيد من فضل الله علينا بالوحى وعلى الناس وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه ولكن اكثر الناس المبعوث اليهم
لا يشكرون هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون او من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن اكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة
ولا يشكرها يا صاحبى السجن اى يا ساكنيه او يا صاحبىّ فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار ءارباب متفرقون شتى متعددة متساوية الاقدام خير ام
الله الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب الذى لا يعادله ولا يقاومه غيره ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله
بها من سلطان اى الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل على استحقاق الالوهية
عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم فى امر العبادة الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره امر على

اللهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ

لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم الحق وانتم
لا تميزون المعوج من القويم وهذا من التدرج فى الدعوة والزام الحجة بين لهم اولا رجحان
التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على ان ما يسمونها آلهة ويعبدونها
لا تستحق الالهية فان استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف
عنها ثم نص على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذى لا يقتضى العقل غيره ولا يرتضى
العلم دونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيخبطون فى جهالاتهم يا صاحبى
السجن اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه خمرا كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما
كان عليه واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتاكل الطير من رأسه فقالا كذبنا
فقال قضى الامر الذى فيه تستفتيان اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما
يؤول اليه امركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا فى امرين لكنهما ارادا استبانة عاقبة
ما نزل بهما وقال للذى ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد
وان ذكره عن وحى فهو الناجى الا ان يأول الظن باليقين اذكرنى عند ربك اذكر
حالى عند الملك كى يخلصنى فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابى ان يذكره
لربه فاضاف اليه المصدر لملابسته له او على تقدير ذكر اخبار ربه او انسى يوسف
ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام رحم الله
اخى يوسف لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس
والاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة
لكنها لا تليق بمنصب الانبياء فلبث فى السجن بضع سنين البضع ما بين
الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع وقال الملك انى ارى سبع بقرات
سمان يأكلهن سبع عجاف لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان
خرجن من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان
وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها

خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴿٤٤﴾ قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ﴿٤٥﴾ وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون ﴿٤٦﴾ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴿٤٧﴾ قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ﴿٤٨﴾ ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون ﴿٤٩﴾ ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون ﴿٥٠﴾ وقال الملك ائتوني به فلما جاءه

واخر يابسات وسبعا اخر يابسات قد ادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات واجرى السمان على المميز دون المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه يا ايها الملأ افتوني في رؤياي عبروها ان كنتم للرؤيا تعبرون ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان او لتقوية العامل فان الفعل لما اخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل او لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا قالوا اضغاث احلام اي هذه اضغاث احلام وهي تخاليطها جمع ضغث واصله ما جمع من اخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل او لتضمنه اشياء مختلفة وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة اي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كانه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله وقال الذي نجا منهما من صاحبي السجن وهو الشرابي وادكر بعد امة وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة اي مدة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي نسيان يقال أمه يأمه امها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول انا انبئكم بتأويله فارسلون اي الى من عنده علمه او الى السجن يوسف ايها الصديق اي فارسل الى يوسف فجاء وقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب احواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك لعلي ارجع الى الناس اعود الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه لعلهم يعلمون تأويلها او فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم قال تزرعون سبع سنين دأبا اي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين او المصدر باضمار فعله اي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون امر اخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة الا قليلا مما تأكلون في تلك السنين ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن اي يأكل اهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به الا قليلا مما تحصنون تحرزون لبزور الزراعة ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس يمطرون من الغيث او يغاثون من القحط من الغوث وفيه يعصرون ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا انجاه ويحتمل ان يكون المبني للفاعل منه اي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا او من اعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض او تضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم بها بعد ان اول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان باكلها ما جمع في السنين المخصبة في السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحي او بان انتهاء الجدب بالخصب او بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعدما ضيق عليهم وقال الملك ائتوني به بعد ما جاءه الرسول بالتعبير فلما جاءه الرسول ليخرجه

قال ارجع الى ربك فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل
به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وانما قال فاسأله ما
بال النسوة ولم يقل فاسأله ان يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ما صنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون ان ربى
بكيدهن عليم حين قلن لى اطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى انه برئ مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن قال ما خطبكن قال الملك لهن ما
شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما علمنا عليه من سوء من ذنب
قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق ثبت واستقر من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ قال شعر فحصحص فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما او ظهر من حص شعره

ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ۝ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ۝ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ۝ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ

اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول انا راودته عن
نفسه وانه لمن الصادقين فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذلك ليعلم قاله يوسف
لما عاد اليه الرسول واخبره بكلامهن اى ذلك التثبت ليعلم العزيز انى لم اخنه بالغيب
بظهر الغيب وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب
عنى او ظرف اى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة وان الله لا يهدى
كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع
الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته
ولذلك عقبه بقوله وما ابرئ نفسى اى لا انزهها تنبيها على انه لم يرد بذلك
تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما انعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن
عباس انه لما قال ليعلم انى لم اخنه قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك ان النفس
لامارة بالسوء من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى
والجوارح فى اثرها كل الاوقات الا ما رحم ربى الا وقت رحمة ربى او الا ما
رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة ربى
هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف
واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام ان ربى غفور
رحيم يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف
على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه وقال الملك ائتونى به
استخلصه لنفسى اجعله خالصا لنفسى فلما كلمه اى فلما اتوا به فكلمه
وشاهد منه الرشد والدهاء قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
امين مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا
جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه بالعربية فقال الملك ما هذا اللسان فقال لسان
عمى اسمعيل ودعا له بالعبرية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان
الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب

ان اسمع رؤياى منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما رآها فاجلسه على السرير وفوض اليه امره وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه منصبه
وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولدت له منها افراثيم وميشا قال اجعلنى على خزائن الارض ولنى امرها والارض ارض مصر انى حفيظ لها ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله فى امره لا محالة آثر ما تعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار
انه مستعد لها والتولى من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يده وكذلك مكنا
ليوسف فى الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون



نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والآخرة ولا نضيع اجر المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش لعظمه ودوامه وجاء اخوة يوسف روي انه لما استوزره الملك اقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيها وتوجه اليه الناس فباعها اولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأي رأيك فاعتقهم ورد عليهم اموالهم وكان قد اصاب كنعان ما اصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون اي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم انه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام ولما جهزهم بجهازهم اصلحهم بعدتهم واوقر ركابهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى اخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني باخ لكم من ابيكم روي انهم لما دخلوا عليه قال من انتم وما امركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب احدنا الى البرية فهلك قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند ابينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لا يعرفنا احد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوا حملا زائدا لاخ لهم من ابيهم فاعطاهم وشرط عليهم ان يأتوه به ليعلم صدقهم ألا ترون اني اوفي الكيل اتمه وانا خير المنزلين للضيف والمضيفين لهم وكان احسن انزالهم وضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون اي ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ذلك لا نتواني فيه وقال لفتيانه لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على جمع الكثرة ليوافق قوله اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من ان يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به لعلهم يعرفونها لعلهم يعرفون حق ردها او لكي يعرفوها اذا انقلبوا الى اهلهم انصرفوا ورجعوا الى اهلهم وفتحوا اوعيتهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين فارسل معنا اخانا نكتل نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ اي يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يناله مكروه قال يعقوب لهم هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون

نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ﴿٥٧﴾ ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون ﴿٥٨﴾ وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴿٥٩﴾ ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم ألا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين ﴿٦٠﴾ فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون ﴿٦١﴾ قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون ﴿٦٢﴾ وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون ﴿٦٣﴾ فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون ﴿٦٤﴾ قال هل آمنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل

فالله خير حفظا فاتوكل عليه وافوض امري اليه وانتصاب حفظا على التميز وحافظا على قرآءة حمزة والكسائي وحفص يحتمله والحال كقولهم لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الرآء نقلها في بيع وقيل قالوا يا ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك اكرمنا واحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا او لا نطلب وراء ذلك احسانا او لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغي على الخطاب اي اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الدليل على صدقنا هذه بضاعتنا ردت الينا استئناف موضح لقوله ما نبغي ونمير اهلنا معطوف على محذوف اي ردت الينا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك ونحفظ اخانا من المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باستصحاب اخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل ان تكون الجمل معطوفة على ما نبغي اي لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ذلك كيل يسير اي مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا ان يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما

فَاللّٰهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ
وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ
بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ
كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ
حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللّٰهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا
آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّٰهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ
لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا
أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلّٰهِ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ
حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ

يكال لاخيهم ويجوز ان تكون الاشارة الى كيل بعير اي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم اذ رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اي عهدا مؤكدا بذكر الله لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلا تطيقوا ذلك او الا ان تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال والتقدير لتأتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم او من اعم العلل على ان قوله لتأتنني به في تأويل النفي اي لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم اقسمت بالله الا فعلت اي ما اطلب الا فعلك فلما آتوه موثقهم عهدهم قال الله على ما نقول من طلب الموثق واتيانه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة مشتهرين في مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ وكان الداعي اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام في عوذته اللهم اني اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وما اغني عنكم من الله من شيء مما قضي عليكم بما اشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر ان الحكم الا لله يصيبكم لا محالة ان قضي عليكم سوء ولا ينفعكم ذلك عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كان الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من ابواب متفرقة في البلد ما كان يغني عنهم رأي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا واخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب الا حاجة في نفس يعقوب استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفسه يعني شفقته عليهم وحزازته من ان يعانوا قضاها اظهرها ووصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره

ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر وانه لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين على الطعام او في المنزل روي انهم اضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و قال اني انا اخوك فلا تبتئس فلا تحزن افتعال من البؤس بما كانوا يعملون في حقنا فيما مضى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية المشربة في رحل اخيه قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير انكم لسارقون لعله لم يقله بامر يوسف عليه الصلاة والسلام او كان تعبية السقاية والنداء عليها برضى بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من ابيه او انكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد فقيل لاصحابها كقوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير واصلها فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة ولمن جاء به حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل اودّيه الى من ردّه وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين استشهدوا بعلمهم على براءة انفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط امانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد قالوا فما جزاؤه فما جزاء السارق والسرق والصواع على حذف المضاف ان كنتم كاذبين في ادعاء البراءة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له او خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط او جواب لها على انها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كانه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو كذلك نجزي الظالمين بالسرقة فبدأ باوعيتهم فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر قبل وعاء اخيه بنيامين نفيا للتهمة ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف بان علمناه اياه واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما اخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من اعم الاحوال ويجوز ان يكون منقطعا اي لكن اخذه بمشيئة الله واذنه

اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلٰى يُوسُفَ اٰوٰىٓ اِلَيْهِ اَخَاهُ قَالَ اِنِّيٓ اَنَا اَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧٠﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ اَخِيهِ ثُمَّ اَذَّنَ مُؤَذِّنٌ اَيَّتُهَا الْعِيرُ اِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا وَاَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَآءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَاَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٣﴾ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْاَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُ اِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا جَزَآؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَآؤُهُ كَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ فَبَدَاَ بِاَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ اَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَآءِ اَخِيهِ كَذٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَاْخُذَ اَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ اِلَّآ اَنْ

يَشَآءَ اَللّٰهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوٓا اِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ اَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَاَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ اَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَآ اَيُّهَا الْعَزِيزُ اِنَّ لَهُ اَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ اَحَدَنَا مَكَانَهُ اِنَّا نَرٰيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللّٰهِ اَنْ نَاْخُذَ اِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ اِنَّآ اِذًا لَظَالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ اَلَمْ تَعْلَمُوٓا اَنَّ اَبَاكُمْ قَدْ اَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللّٰهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ اَبْرَحَ الْاَرْضَ حَتّٰى يَاْذَنَ لِىٓ اَبِىٓ اَوْ يَحْكُمَ اللّٰهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ اِرْجِعُوٓا اِلٰٓى اَبِيكُمْ فَقُولُوا يَآ اَبَانَآ اِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ اِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا

نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجته وفوق كل ذى علم عليم ارفع درجة منه واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو اعلم منه والجواب ان المراد كل ذى علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله تعالى ومعناه الذى له العلم البالغ ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يعنون يوسف قيل ورثت عمته من ابيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب اراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم اظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدها محزومة عليه فصار احق به فى حكمها وقيل كان لابى امه صنم فسرقه وكسره والقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق او دجاجة فاعطى السائل وقيل دخل كنيسة واخذ تمثالا صغيرا من الذهب فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم اكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة او المقالة او نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله قال انتم شر مكانا فانه بدل من اسرها والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا اى منزلة فى السرقة لسرقتكم اخاكم او فى السوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة او الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان والله اعلم بما تصفون وهو يعلم ان الامر ليس كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فى السن او القدر ذكروا له حاله استعطافا له عليه فخذ احدنا مكانه بدله فان اباه ثكلان على اخيه الهالك مستأنس به انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من المتعودين الاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده فان اخذ غيره ظلم على فتواكم فلو اخذنا احدكم مكانه انا اذا لظالمون فى مذهبكم هذا او ان مراده ان الله اذن ان آخذ ما وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره كنت ظالما فلما استيأسوا منه يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة وعن البزى استايسوا بالالف وفتح الياء من غير همز واذا وقف حمزة القى حركة الهمزة على الياء على اصله خلصوا انفردوا واعتزلوا نجيا متناجين وانما وحد لانه مصدر او بزنته كما قيل هم صديق وجمعه انجية كندى واندية قال كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى الرأى وهو شمعون وقيل يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته ومن قبل ومن قبل هذا ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شأنه وما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف او على اسم ان وخبره فى يوسف او من قبل او الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا او صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وان تكون موصولة اى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه فى حقه من الخيانة ومحله ما تقدم فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لى ابى فى الرجوع او يحكم الله لى او يقضى الله لى بالخروج منها او بخلاص اخى منهم او بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك والله لتتركنا او لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب احدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبذرا من بذر يعقوب وهو خير الحاكمين لان حكمه لا يكون الا بالحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا بان رأينا ان الصواع استخرج من وعائه

وماكنا للغيب بباطن الحال حافظين فلاندرى انه سرق اوسرق ودس الصاع فى رحله او وماكنا للعواقب عالمين فلم ندر حين اعطيناك الموثق انه سيسرق اوانك تصاب به كما اصبت بيوسف واسأل القرية التى كنا فيها يعنون مصر اوقرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى ارسل الى اهلها واسألهم عن القصة والعير التى اقبلنا فيها واصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم وانا لصادقون تاكيد فى محل القسم قال بل سولت اى فلما رجعوا الى ابيهم وقالوا له ماقال لهم اخوهم قال بل سولت اى زينت وسهلت لكم انفسكم امرا اردتموه فقررتموه والا فما ادرى الملك ان السارق يؤخذ بسرقته فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتينى بهم جميعا بيوسف وبنيامين واخيهما الذى توقف بمصر انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم فى تدبيره فتولى عنهم فاعرض عنهم كراهة لما صادف منهم وقال يا اسفا على يوسف اى يا اسفى تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون اخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين اصابه ما اصاب لم يسترجع وقال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه من الحزن كان العبرة محقت سوادها وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون فهو كظيم مملوء من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف اى لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى حتى تكون حرضا مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى اذابه هم او مرض فهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب او تكون من الهالكين من الميتين قال انما اشكو بثى وحزنى همى الذى لا اقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر الى الله لا الى احد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى واعلم من الله من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجى اليه اومن الله بنوع من الالهام ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف انه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه فتعرفوا منهما وتفحصوا من حالهما والتحسس طلب الاحساس

كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٣﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٥﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٦﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا

ولا تيأسوا من روح الله لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله اى من رحمته التى يحيى بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز بعدما رجعوا الى مصر رجعة ثانية مسنا واهلنا الضر شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة او قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ازجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل فاوف لنا الكيل فاتمم لنا الكيل

وتصدق علينا برد اخينا او بالمساعة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها واختلف في ان حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام او تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام في القصر هذه صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال او لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وامي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا اى بالسلامة والكرامة انه من يتق اى يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على ان المحسن من جمع بين التقوى والصبر قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك قال لا تثريب عليكم لا تانيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشي الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب او بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها حينئذ وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام انهم لما عرفوه ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم عليه السلام اذهبوا بقميصي هذا القميص الذي كان عليه وقيل القميص المتوارث الذي كان في التعويذ فالقوه على وجه ابي يات بصيرا اى يرجع بصيرا اى ذا بصر واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم ولما فصلت العير من مصر وخرجت من عمرانها قال ابوهم لمن حضره اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهودا من ثمانين فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتي وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني او لقلت انه قريب قالوا اى الحاضرون تالله انك لفي ضلالك القديم اى لفي ذهابك عن الصواب قدما بالافراط في محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه فلما ان جاء البشير يهودا روي انه قال كما احزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه القاه على وجهه طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام او يعقوب نفسه فارتد بصيرا عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة

الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩١﴾ قَالُوا تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩٢﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّٰهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٣﴾ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿٩٥﴾ قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٦﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ

قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل اني اعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله او اني لاجد ريح يوسف
قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق المعترف بذنبه ان يصفح عنه ويسأل له المغفرة قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم اخره الى السحر او
الى صلاة الليل او الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة او الى ان يستحل لهم من يوسف او يعلم انه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روي انه استقبل القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى نزل جبريل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح
فدليل على نبوتهم وان ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم فلما دخلوا على يوسف روي انه وجه اليه رواحل واموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك باهل
مصر وكان اولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين

الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون ﴿٩٦﴾ قالوا يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ﴿٩٧﴾ قال سوف
استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم ﴿٩٨﴾ فلما دخلوا
على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين ﴿٩٩﴾ ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت
هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي
اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو
العليم الحكيم ﴿١٠٠﴾ رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من
تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا
والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ﴿١٠١﴾ ذلك من انباء

رجلا سوى الذرية والهرمى اوى اليه ابويه ضم اليه اباه وخالته واعتنقهما
نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب في قوله واله ابائك ابراهيم واسمعيل
واسحق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه والرابة تدعى اما وقال ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين من القحط واصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول
المكيف بالامن والدخول الاول كان في موضع خارج البلد حين استقبلهم ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم
يجري مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو
لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما
وقال يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل التي رأيتها ايام الصبى قد جعلها ربي
حقا صدقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن ولم يذكر الجب لئلا يكون
تثريبا عليهم وجاء بكم من البدو من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشي واهل
البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي افسد بيننا وحرش من نزغ
الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجري ان ربي لطيف لما يشاء لطيف التدبير
له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها انه هو العليم بوجوه
المصالح والتدابير الحكيم الذي يفعل كل شيء في وقته وعلى وجه يقتضي
الحكمة روي ان يوسف طاف بابيه عليهما السلام في خزائنه فلما ادخله خزانة
القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان
مراحل قال امرني جبريل عليه السلام قال او ما تسأله قال انت ابسط مني اليه
فسأله قال جبريل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا
خفتني رب قد آتيتني من الملك بعض الملك وهو ملك مصر وعلمتني من
تأويل الاحاديث الكتب والرؤيا ومن ايضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل
فاطر السموات والارض مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى او منادى
برأسه انت وليي ناصري ومتولي امري في الدنيا والآخرة او الذي يتولاني
بالنعمة فيهما توفني مسلما اقبضني والحقني بالصالحين من آبائي



او بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة روي ان يعقوب عليه السلام اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم توفي واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه فذهب به ودفنه ثمه
وعاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا
ان يجعلوه في صندوق من مرمر ويدفنوه في النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه السلام الى مدفن آبائه وكان
عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افراثيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة ايوب عليه السلام

ذلك اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون كالدليل عليهما والمعنى هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من ان يجعلوه فى غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذبيك انك ما لقيت احدا سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا وما اكثر الناس ولو حرصت على ايمانهم وبالغت فى اظهار الايات عليهم بمؤمنين لعنادهم وتصميمهم على الكفر وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله تعالى للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية والمعنى وكاى عدد تشته من الدلائل الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده فى السموات والارض يمرون عليها على الايات ويشاهدونها

الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ

وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض يمشون عليها اى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة وما يؤمن اكثرهم بالله فى اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا ونسبة التبنى اليه او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الاية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين وقيل فى اهل الكتاب افامنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشاهم وتشملهم او تأتيهم الساعة بغتة فجأة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلى يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله ادعو الى الله وقيل هو حال من الياء على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء انا تأكيد للمستتر فى ادعو او فى على بصيرة لانه حال منه او مبتدأ خبره على بصيرة ومن اتبعنى عطف عليه وسبحان الله وما انا من المشركين وانزهه تنزيها من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء يوحى اليهم كما يوحى اليك ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء من اهل القرى لان اهلها اعلم واحلم من اهل البدو افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة ولدار الحال او الساعة او الحياة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى

افلا يعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلي اي قل لهم افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اي لا يغررهم تمادي ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل من النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر مترفهين متمادين فيه من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او كذبهم القوم بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم اي وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد وقيل الاول للمرسل اليهم والثاني للرسل اي وظنوا ان الرسل قد كذبوا واخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الامر عليهم وما روي عن ابن عباس ان الرسل ظنوا انهم اخلفوا ما وعدهم الله من النصر ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخي والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد اي وظن الرسل ان القوم قد كذبوهم فيما اوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل اي وظنوا انهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء النبي عليه السلام والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستاهلون ان تشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرئ فنجا ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين اذا نزل بهم وفيه بيان المشيئين لقد كان في قصصهم في قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون يصدقونه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه الله القوة على ان لا يحسد مسلما سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم المر قيل معناه انا الله اعلم وارى تلك آيات الكتاب يعني بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها اي تلك الايات آيات السورة الكاملة او القرآن والذي انزل اليك من ربك وهو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص او احدى الصفتين على الاخرى او الرفع بالابتداء وخبره الحق والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو اعم من المنزل صريحا او ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه الله الذي رفع السموات مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد او استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام المساوية لها في حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضي ذلك لا بد وان يكون لمخصص ليس بجسم ولا جسماني يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ما ذكر من الآيات ثم استوى على العرش بالحفظ والتدبير وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها

اتقوا افلا تعقلون ﴿١٠٩﴾ حتى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين ﴿١١٠﴾ لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿١١١﴾

سورة الرعد مدنية وهي اربعون وخمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ﴿١﴾ الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ

كل يجري لاجل مسمى لمدة معينة يتم فيها ادواره اولغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهي اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكي تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء وهو الذي مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت فيها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان وجعل فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتانيث على انها صفة اجبل او للمبالغة وانهارا ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها ومن كل الثمرات متعلق بقوله جعل فيها زوجين اثنين اى جعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يغشى الليل النهار يلبسه مكانه فيصير الجو مظلما بعد ما كان مضيئا وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر يغشى بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون فيها فان تكونها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر امرها وهيأ اسبابها وفي الارض قطع متجاورات بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع في الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة في النسب والاوضاع وجنات من اعناب وزرع ونخيل وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر في اصله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات صنوان نخلات اصلها واحد وغير صنوان ومتفرقات مختلفة الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان في جمع قنو تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل في الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالتفكر وان تعجب يا محمد من انكارهم البعث فعجب قولهم حقيق بان تتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هي دالة على وجود المبدأ فهي دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته أئذا كنا ترابا ائنا لفي خلق جديد بدل من قولهم ومعمول له والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم لانهم كفروا بقدرته على البعث واولئك الاغلال في اعناقهم مقيدون بالضلالة لا يرجى خلاصهم او يغلون يوم القيمة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالعقوبة قبل العافية وذلك انهم استعجلوا بما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء

وقد خلت من قبلهم المثلات العقوبات لامثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على انها جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم مع ظلمهم انفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر او اول المغفرة بالستر والامهال وان ربك لشديد العقاب للكفار او لمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما اوتي موسى وعيسى عليهما السلام انما انت منذر مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تتضح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك ولكل

مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٨﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٩﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿١٠﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١١﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٢﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١٣﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ

قوم هاد نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب او قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل من الآيات ثم اردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على انه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اي حملها او ما تحمله انه على اي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة وما تغيض الارحام وما تزداد وما تنقص وما تزداده في الجثة والمدة والعدد واقصى مدة الحمل اربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند ابي حنيفة روي ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين واعلى عدده لا حد له وقيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب ابو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله اخبرني شيخ باليمن ان امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين ان تكون ما مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى او لما فيها وكل شيء عنده بمقدار بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له اسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك عالم الغيب الغائب عن الحس والشهادة الحاضر له الكبير العظيم الشأن الذي لا يخرج عن علمه شيء المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه سواء منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لغيره ومن هو مستخف بالليل طالب للخفاء في مختبأ بالليل وسارب بارز بالنهار يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من او مستخف على ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله له لمن اسر او جهر او استخفى او سرب معقبات ملئكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقب مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونها او اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين من بين يديه ومن خلفه من جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر يحفظونه من امر الله من بأسه متى اذنب بالاستمهال او الاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له فلا رد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على ان خلاف مراده تعالى محال

هو الذي يريكم البرق خوفا من اذاه وطمعا في الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف اي اراءة خوف وطمع او التأويل بالاخافة والاطماع او الحال من البرق او المخاطبين على اضمار ذوي او اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره ويطمع فيه من ينفعه وينشئ السحاب الغيم المنسحب في الهواء الثقال وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع ويسبح الرعد ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين به فيصيحون بسبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب والملائكة من خيفته من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه وهم يجادلون في الله حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد في الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة او للحال

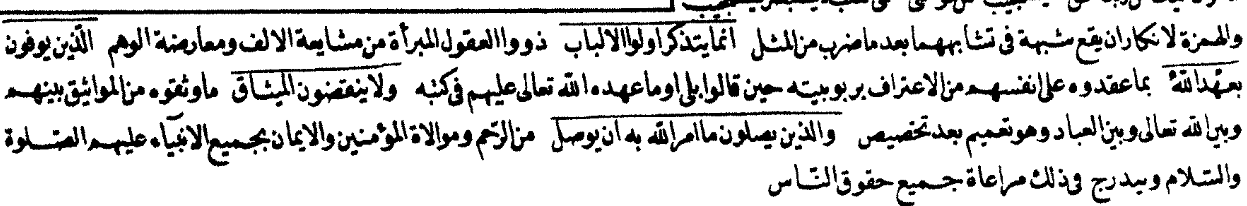
السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٤﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٥﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٦﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٧﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴿١٨﴾ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ

فانه روي ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله عليه السلام فاخذه عامر بالمجادلة ودار اربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له الرسول صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فنزلت وهو شديد المحال المماحلة المكايدة لاعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل اصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله اشد وموساه احد له دعوة الحق الدعاء الحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره او له الدعوة المجابة فان من دعاه اجاب ويؤيده ما بعده والحق على الوجهين ما يناقض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة او على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية في عامر واربد ان اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله تعالى واجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم ودلالة على انه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسوله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم او بيان ضلالهم وفساد رأيهم والذين يدعون اي والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع او المشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة من دونه عليه لا يستجيبون لهم بشيء من الطلبات الا كباسط كفيه الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه يطلب منه ان يبلغه وما هو ببالغه لانه جماد لا يشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ما جبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لها بمن اراد ان يغترف الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقرئ تدعون بالتاء وباسط بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وخسار وباطل ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها يحتمل ان يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتي الشدة والرخاء والكفرة له كرها حالة الشدة والضرورة وظلالهم بالعرض وان يراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاؤا او كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال او المفعول له وقوله بالغدو والآصال ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او ثنا من الظلال وتخصيص الوقتين لان الامتداد والتقليص اظهر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده انه قرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل قل من رب السموات والارض خالقهما ومتولي امرهما قل الله اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه ولانه البين الذي لا يمكن المراء فيه او لقنهم الجواب قل افاتخذتم من دونه ثم الزمهم بذلك ان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يقدرون على ان يجلبوا اليها نفعا او يدفعوا عنها ضرا



وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ اَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَآءَ حِلْيَةٍ اَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَاَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَاَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْاَرْضِ كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنٰى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ اَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ الْحِسَابِ وَمَاْوٰيهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٨﴾ اَفَمَنْ يَعْلَمُ اَنَّمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ اَعْمٰى اِنَّمَا يَتَذَكَّرُ اُولُوا الْاَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّٰهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ اَمَرَ اللّٰهُ

فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم في اتخاذهم اولياء رجاء ان يشفعوا لهم قل هل يستوى الاعمى والبصير المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على احوالكم ام هل تستوى الظلمات والنور الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالياء ام جعلوا لله شركاء بل جعلوا والهمزة للانكار وقوله خلقوا كخلقه صفة لشركاء داخلة في حكم الانكار فتشابه الخلق عليهم خلق الله وخلقهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء اى لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عما سواه ليدل على قوله وهو الواحد المتوحد بالالوهية القهار الغالب على كل شيء انزل من السماء ماء من السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادى منها فسالت اودية انهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على التناوب بين البقاع بقدرها بمقدارها الذى علم الله تعالى انه نافع غير ضار او بمقدارها في الصغر والكبر فاحتمل السيل زبدا رفعه والزبد وضر الغليان رابيا عاليا ومما توقدون عليه في النار يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه ابتغاء حلية اى طلب حلية او متاع كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها زبد مثله اى ومما توقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء او للتبعيض وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالياء على ان الضمير للناس واضماره للعلم به كذلك يضرب الله الحق والباطل مثل الحق والباطل فانه مثل الحق في افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به انواع المنافع ويمكث في الارض بان يثبت بعضه في منابعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به في صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل في قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله فاما الزبد فيذهب جفاء يجفاه اى يرمى به السيل او الفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد واما ما ينفع الناس كالماء وخلاصة الفلز فيمكث في الارض ينتفع به اهلها كذلك يضرب الله الامثال لايضاح المشتبهات للذين استجابوا للمؤمنين الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على انه جعل ضرب المثل لشأن الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين اولئك لهم سوء الحساب وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شيء ومأواهم مرجعهم جهنم وبئس المهاد المستقر والمخصوص بالذم محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق فيستجيب كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستجيب


والهمزة لانكار ان يقع شبهة في تشابههما بعد ما ضرب من المثل انما يتذكر اولوا الالباب ذووا العقول المبرأة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم الذين يوفون بعهد الله بما عقدوه على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى او ما عهد الله تعالى عليهم في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلوة والسلام ويندرج في ذلك مراعاة جميع حقوق الناس


ويخشون

بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَ
أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا
وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلٰئِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ
فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّٰهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ
لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ

ويخشون ربهم وعيده عموما ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا على ما تكرهه النفس ومخالفة الهوى
ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم بعضه الذي وجب عليهم انفاقه سرا لمن
لم يعرف بالمال وعلانية لمن عرف به ويدرءون بالحسنة السيئة ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها
اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مآل اهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لاولي الالباب
فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات جنات عدن بدل من عقبى الدار او مبتدأ خبره يدخلونها والعدن الاقامة اي جنات يقيمون فيها وقيل
هو بطنان الجنة ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر او مفعول معه والمعنى انه
يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما
لشأنهم وهو دليل على ان الدرجة تعلو بالشفاعة او ان الموصوفين
بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول
الجنة زيادة في انسهم والتقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب
لا تنفع والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من
ابواب الفتوح والتحف قائلين سلام عليكم بشارة بدوام السلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اي هذا بما صبرتم لا بسلام فان
الخبر فاصل والباء للسببية او للبدلية فنعم عقبى الدار وقرئ فنعم
بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره والذين
ينقضون عهد الله يعني مقابلي الاولين من بعد ميثاقه من بعد ما
اوثقوه به من الاقرار والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض بالظلم وتهييج الفتن اولئك لهم اللعنة ولهم
سوء الدار عذاب جهنم او سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار
الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه وفرحوا اي اهل
مكة بالحيوة الدنيا بما بسط لهم في الدنيا وما الحيوة الدنيا في
الآخرة اي في جنب الآخرة الا متاع الا متعة لا تدوم كعجالة الراكب
وزاد الراعي والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون
به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء
باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات

ويهدي اليه من اناب اقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كأنه قال قل لهم ما اعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية ويهدي اليه من اناب بما جئت به بل باد في منه من الآيات الذين آمنوا بدل من من او خبر مبتدأ محذوف وتطمئن قلوبهم بذكر الله انسا به واعتمادا عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته او بكلامه يعني القرآن الذي هو اقوى المعجزات الا بذكر الله تطمئن القلوب تسكن اليه الذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ خبره طوبى لهم وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ وحسن مآب بالنصب كذلك مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها تقدمتها امم ارسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليها لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت

عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ
أَنَابَ ﴿٣٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ
أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ
فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ
إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ
ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ
جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَا۟يْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى
ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟
قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيوية عليهم وقيل نزلت في مشركي اهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن قل هو ربي اي الرحمن خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغة في عناد الكفرة وتصميمهم اي ولو ان كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته او شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فتقرأه او فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار او لما آمنوا به لقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك ان نتبعك فسير بقراءتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام او ابعث لنا به قصي بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب متقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقي بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفي اي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بانه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم مع ما رأوا من احوالهم وذهب اكثرهم الى ان معناه افلم يعلم لما روي ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم بان الميئوس منه لا يكون ولذلك علقه بقوله ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فان معناه نفي هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره افلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم علما منهم ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او بآمنوا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر وسوء الاعمال قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية في كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتخطف مواشيهم وعلى هذا يجوز ان يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية حتى يأتي وعد الله الموت او القيامة او فتح مكة

ان الله لايخلف الميعاد لامتناع الكذب فى كلامه ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء ان يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اى عقابى اياهم افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليها بما كسبت من خير اوشر لايخفى عليه شئ من اعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك وجعلوا لله شركاء استئناف اوعطف على كسبت ان جعلت مامصدرية ويجوز ان يقدر مايقع خبرا للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا اى فمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على انه المستحق للعبادة وقوله قل سموهم تنبيه على ان هؤلاء الشركاء لايستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم مايستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ام تنبئونه بل أتنبئونه وقرئ تنبئونه بالتخفيف بما لايعلم فى الارض بشركاء يستحقون العبادة

لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ
﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا
لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ
السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ
وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ
النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ
إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ

لايعلمهم الله اوبصفات لهم يستحقونها لاجلها لايعلمها وهو العالم بكل شئ ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجى كافورا وهذا احتجاج بليغ على اسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز بل زين للذين كفروا مكرهم تمويههم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها حقا اوكيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح اى وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين ومن يضلل الله يخذله فماله من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب فى الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه ومالهم من الله من عذابه اورحمته من واق حافظ مثل الجنة التى وعد المتقون صفتها التى هى مثل فى الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره تجرى من تحتها الانهار على طريقة قولك صفة زيد اسمر اوعلى حذف موصوف اى مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار اوعلى زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف من الصلة اكلها دائم لاينقطع ثمرها وظلها اى وظلها كذلك لاينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لاغير وفى ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعنى المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة اوعامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم ومن الاحزاب يعنى كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب ابن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو مايخالف شرائعهم اومايوافق ماحرفوه منها قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم انى امرت فيما انزل الى بان اعبد الله واوحده وهو العمدة فى الدين ولاسبيل لكم الى انكاره واما ماتنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية فى جزئيات الاحكام وقرئ ولا اشرك بالرفع على الاستئناف

اللّٰهَ وَلَآ اُشْرِكَ بِهٖ اِلَيْهِ اَدْعُوا وَاِلَيْهِ مَاٰبِ ﴿٣٩﴾ وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ اَهْوَآءَهُمْ بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا وَاقٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ اَزْوَاجًا وَّذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُوْلٍ اَنْ يَّاْتِيَ بِاٰيَةٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللّٰهِ لِكُلِّ اَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٤١﴾ يَمْحُوا اللّٰهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهٗٓ اُمُّ الْكِتٰبِ ﴿٤٢﴾ وَاِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِيْ نَعِدُهُمْ اَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَاِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلٰغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٣﴾ اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّا نَاْتِي الْاَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ اَطْرَافِهَا وَاللّٰهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهٖ وَهُوَ سَرِيْعُ الْحِسَابِ ﴿٤٤﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلّٰهِ الْمَكْرُ جَمِيْعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٤٥﴾

اليه ادعوا لاالى غيره واليه مآب واليه مرجعى للجزاء لاالى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء فاما ماعدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلامعنى لانكاركم المخالفة فيه وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم فى القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك مالك من الله من ولى ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك بشرا مثلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما هى لك وماكان لرسول وما صح له ولم يكن فى وسعه ان يأتى بآية تقترح عليه وحكم يلتمس منه الا باذن الله فانه الملى بذلك لكل اجل كتاب لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحوا الله مايشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت ما تقتضيه حكمته وقيل يمحو سيئات التائب ويثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة ما لا يتعلق به جزاء ويترك غيره مثبتا اويثبت مارآه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا ويثبت آخر وقيل يمحو الفاسدات ويثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى ويثبت بالتشديد وعنده ام الكتاب اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ مامن كائن الا وهو مكتوب فيه واما نرينك بعض الذى نعدهم اونتوفينك وكيف مادارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم اوتوفيناك قبله فانما عليك البلاغ لاغير وعلينا الحساب للمجازاة لاعليك فلاتحتفل باعراضهم ولاتستعجل بعذابهم فانا فاعلون له وهذا طلائعه اولم يروا انا نأتى الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتحه على المسلمين منها والله يحكم لامعقب لحكمه لاراد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لامع المنفى النصب على الحال اى يحكم نافذا حكمه وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعد ماعذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا وقد مكر الذين من قبلهم بانبيائهم والمؤمنين منهم فلله المكر جميعا اذلايؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره يعلم ماتكسب كل نفس فيعد جزاءها وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على ان المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع ما فى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وابوعمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر اى اهله وسيعلم من علمه اذا اخبره

ويقول

ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل المراد بهم رؤساء اليهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه اظهر من الادلة على رسالتي مايغني عن شاهد يشهد عليها ومن عنده علم الكتاب علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم التوراة وهو ابن سلام واضرابه او علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى اى وكفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لايعلم ما في اللوح الا هو شهيدا بيننا فيخزي الكاذب منا ويؤيده قرآءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول ويجوز ان يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين للثانية وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله سورة ابرهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب اى هو كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك اياهم الى ماتضمنه من الظلمات من انواع الضلال الى النور الى الهدى باذن ربهم بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذي هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج او حال من فاعله او مفعوله الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور بتكرير العامل او استئناف على انه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده او المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لايذل سالكه ولايخيب سائله الله الذي له ما في السموات وما في الارض على قرآءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر او الله خبر مبتدأ محذوف والذي صفته وعلى قرآءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق وويل للكافرين من عذاب شديد وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة واصله النصب لانه مصدر الا انه لم يشتق منه لكنه رفع لافادة الثبات الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها من غيره ويصدون عن سبيل الله بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من اصده وهو منقول من صد صدودا اذا نكب وليس فصيحا لان في صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة ويبغونها عوجا ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه او على انه مبتدأ خبره اولئك في ضلال بعيد اى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد في الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة او للامر الذي به الضلال فوصف به لملابسته وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الا بلغة قومه الذي هو منهم وبعث فيهم ليبين لهم ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته اولا ولو نزل على من بعث الى امم مختلفة كتب على السنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز ولكن ادى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد في تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما في اتعاب القرائح وكد النفس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فان الله انزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام او كل نبي بلغة المنزل عليهم وذلك يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم ينزل ليبين للعرب فيضل الله من يشاء فيخذله عن الايمان

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ۞

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ اثْنَانِ وَخَمْسُونَ آيَةً

١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ۝٣ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّهُ

ويهدى من يشاء بالتوفيق له وهو العزيز فلا يغلب على مشيئته الحكيم فلا يهدى ولا يضل الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اى اخرج كان فى الارسال معنى القول او بأن اخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح ان يوصل بها ان الناصبة وذكرهم بايام الله بوقائعه التى وقعت على الامم الدارجة وايام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يصبر على بلائه ويشكر لنعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وافيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون اى اذكروا نعمته وقت انجائه اياكم ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا اريدت بها العطية دون الانعام ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به فى سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثم ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب او استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة وفى ذلكم من حيث انه باقدار الله تعالى اياهم وامهالهم فيه بلاء من ربكم عظيم ابتلاء منه ويجوز ان تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة واذ تأذن ربكم ايضا من كلام موسى عليه السلام وتأذن بمعنى آذن كتوعد بمعنى وعد غير انه ابلغ لما فى التفعل من معنى التكلف والمبالغة لئن شكرتم يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابى لشديد فلعلى اعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة اكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر او مفعول تأذن على انه يجرى مجرى قال لانه ضرب منه وقال موسى ان تكفروا انتم ومن فى الارض جميعا من الثقلين فان الله لغنى عن شكركم لنعمته حميد مستحق للحمد فى ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمه ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من كلام موسى عليه الصلاة والسلام او كلام مبتدأ من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة وقعت اعتراضا او الذين من بعدهم عطف على ما قبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كذب النسابون

مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٥ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ۝٦ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن
رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝٧ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٨ وَقَالَ مُوسَىٰ
إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ
۝٩ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ
وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ

جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه اواستهزاء عليه كمن غلبه الضحك اواسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام اوامرا لهم باطباق الافواه واشاروا بها الى السنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على ان لاجواب لهم سواه اوردوها في افواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي اي ردوا ايادي الانبياء التي هي مواعظهم وما اوحي اليهم من الحكم والشرائع في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام مريب موقع في الريبة اوذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك ادخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك اي انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه واشاروا

رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه
مريب ﴿١٠﴾ قالت رسلهم افي الله شك فاطر السماوات
والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى
اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا
عما كان يعبد اباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴿١١﴾ قالت لهم
رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من
يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴿١٢﴾ وما لنا الا نتوكل
على الله وقد هدينا سبلنا ولنصبرن على ما اذيتمونا وعلى
الله فليتوكل المتوكلون ﴿١٣﴾ وقال الذين كفروا لرسلهم

الى ذلك بقولهم فاطر السموات والارض وهو صفة او بدل وشك مرتفع بالظرف يدعوكم الى الايمان ببعثه ايانا ليغفر لكم اويدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل جيء بمن في خطاب الكفرة دون المؤمنين في جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت في خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت في خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصي ونحو ذلك فيتناول الخروج من المظالم ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا بهذه الدعوى فأتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية اوعلى صحة ادعائكم النبوة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوة فضل الله تعالى ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اي ليس لنا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتي بما اقترحتموه وانما هو امر متعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فلنتوكل عليه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا الاترى قوله وما لنا الا نتوكل على الله اي اي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا التي نعرفه بها ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ ابو عمرو بالتخفيف ههنا وفي العنكبوت ولنصبرن على ما آذيتمونا جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم



وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا حلفوا على ان يكون احد الامرين اما اخراجهم للرسل او عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط ويجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ولمن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم اى الى الرسل لنهلكن الظالمين على اضمار القول او اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه ولنسكننكم الارض من بعدهم اى ارضهم وديارهم كقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لأوحى كقولك اقسم زيد ليخرجن ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين لمن خاف مقامى موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم وخاف وعيد اى وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار واستفتحوا سألوا من الله الفتح على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه ان ينصر المحق ويهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن وخاب كل جبار عنيد اى ففتح لهم فافلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر على الله معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة او من القبيلين كان اوقع من ورائه جهنم اى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى من ماء عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من صديد عطف بيان للماء وهو ما يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه وهو صفة للماء او حال من الضمير فى يسقى ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس ويأتيه الموت من كل مكان اى اسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام رجله وما هو بميت فيستريح ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اى يستقبل فى كل وقت عذابا اشد مما هو فيه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى اهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى ارسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم واوعد لهم ان يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد اهل النار مثل الذين كفروا بربهم مبتدأ خبره محذوف اى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة او قوله اعمالهم كرماد وهى على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل اعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح فى يوم عاصف العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه او اعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصفة لا يقدرون يوم القيامة مما كسبوا من اعمالهم على شىء لحبوطه فلا يرون له اثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل ذلك اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق الم تر خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين ان الله خلق السموات والارض بالحق بالحكمة والوجه الذى يحق ان يخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء

لَيُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٥﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٦﴾ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٧﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٨﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٢٠﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢١﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا

وبرزوا لله جميعا اى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند انفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتبت بالواو و على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم انا كنا لكم تبعا فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة او على اضمار مضاف فهل انتم مغنون عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشيء الذى هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض اى بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب ما سبق ويحتمل ان تكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء قالوا اى الذين استكبروا جوابا عن معاتبة الاتباع

فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا

واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله للايمان ووفقنا له لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اى اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناه لكم ولكن سد دوننا طريق الخلاص سواء علينا اجزعنا ام صبرنا مستو علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجى ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة الفرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصدرا كالمغيب ويجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا وقال الشيطان لما قضى الامر احكم وفرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق وعدا من حقه ان ينجز او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب وان كان فالاصنام تشفع لكم فاخلفتكم جعل تبين خلف وعده كالاخلاف منه وما كان لى عليكم من سلطان تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم الا دعائى اياكم اليهما بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا فاستجبتم لى اسرعتم اجابتى فلا تلومونى بوسوستى فان من صرح بالعداوة لا يلام بامثال ذلك ولوموا انفسكم حيث اطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها ما يدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل ما فى فعله وهو الكسب الذى يقوله اصحابنا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب وما انتم بمصرخى بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو اصل مرفوض فى مثله لما فيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها الف فبالحرى ان لا تكسر وقبلها ياء او على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته

واعطيتكه وحذف الياء اكتفاء بالكسرة انى كفرت بما اشركتمون من قبل ما اما مصدرية ومن متعلقة باشركتمونى اى انى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم اى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم او موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت اى كفرت بالذى اشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت امره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان ان الظالمين لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية امثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم باذن الله تعالى وامره والمدخلون هم الملائكة وقرئ ادخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله تحيتهم فيها سلام اى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم الم تر كيف ضرب الله مثلا كيف اعتمده ووضعه

ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٥﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ
رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾
وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٧﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ
فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ
اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٩﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا
فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣١﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا
الصَّلَوٰةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ
يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

كلمة طيبة كشجرة طيبة اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز ان يكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدأ محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء لها مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء اصلها ثابت فى الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها فى السماء ويجوز ان يريد وفروعها اى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت اصلها والاول على اصله ولذلك قيل انه اقوى ولعل الثانى ابلغ تؤتى اكلها تعطى ثمرها كل حين اقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس ومثل كلمة خبيثة كشجرة كمثل شجرة خبيثة اجتثت استؤصلت واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لان عروقها قريبة منه ما لها من قرار استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما ما يعم ذلك فالكلمة الطيبة ما اعرب عن حق او دعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظل والكشوث ولعل المراد بهما ايضا ما يعم ذلك يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم فى الحياة الدنيا فلا يزلون اذا افتتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفى الآخرة فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال يوم القيامة روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ويضل الله الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالاقتصار على التقليد فلا يهتدون الى الحق ولا يثبتون فى مواقف الفتن ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى واسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم ابواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين واحلوا قومهم الذين شايعوهم فى الكفر دار البوار دار الهلاك بحملهم على الكفر جهنم عطف بيان لها يصلونها حال منها او من القوم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم وبئس القرار اى وبئس المقر جهنم وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد ولكن لما كان نتيجته جعل كالغرض قل تمتعوا بشهواتكم او بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وان الامرين كائنان لا محالة ولذلك علله بقوله فان مصيركم الى النار وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع قل لعبادى الذين آمنوا خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومقول قل محذوف دل عليه جوابه اى قل لعبادى الذين آمنوا اقيموا الصلاة وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن امره وانه كالسبب الموجب له ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قائمين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان امر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة اذا كان الفاعل واحدا

سرا وعلانية منصبان على المصدر اى انفاق سر وعلانية او على الحال اى ذوى سر وعلانية او على الظرف اى وقتى سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به من قبل ان يأتى يوم لابيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفدى به نفسه ولاخلال ولا مخالة فيشفع لك خليل او من قبل ان يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام الله الذى خلق السموات والارض مبتدأ وخبر وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن الثمرات بيان له حال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز ان يراد به المصدر فينتصب بالعلة او المصدر لان اخرج فى معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره بمشيئته الى حيث توجهتم وسخر لكم الانهار فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح مايصلحانه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم

وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ

وآتاكم من كل ماسألتموه اى بعض جميع ماسألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسأل لاحتياج الناس اليه سئل اولم يسأل وما يحتمل ان تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين اى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز ان تكون ما نافية فى موضع الحال اى وآتاكم من كل شئ غير سائليه وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها لاتحصروها ولا تطيقوا عد انواعها فضلا عن افرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على ان المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد بلدة مكة آمنا ذا أمن لمن فيها والفرق بينه وبين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسئول فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا و فى الثانى جعله من البلاد الآمنة واجنبنى وبنى بعدنى واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منها فى جانب وقرئ واجنبنى وهما على لغة نجد واما اهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء بتوفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لايتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسماعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعنى على دينى فانه منى اى بعضى لاينفك عنى فى امر الدين ومن عصانى فانك غفور رحيم تقدر ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على ان كل ذنب فلله ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره ربنا انى اسكنت من ذريتى اى بعض ذريتى او ذرية من ذريتى فحذف المفعول وهو اسماعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذى زرع يعنى وادى مكة فانها حجرية لاتنبت عند بيتك المحرم الذى حرمت التعرض له والتهاون به اولم يزل معظما ممنعا تهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا اى اعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء اول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان او ما سيئول اليه روى ان هاجر كانت لسارة رضى الله عنها فوهبتها لابرهيم عليه السلام فولدت منه اسماعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثمه طيورا فقالوا لاطير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا اشركينا فى مائك نشركك فى ألباننا ففعلت ربنا ليقيموا الصلاة اللام لام كى وهى متعلقة باسكنت اى ما اسكنتهم بهذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمه والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى ان يوفقهم لها

فاجعل افئدة من الناس اى افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى او للابتداء كقولك القلب منى سقيم اى افئدة ناس وقرأ هشام افئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل ان يكون مقلوب افئدة كآدر فى ادؤر وان يكون اسم فاعل من افدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة يعجلون نحوهم وافدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز ان يكون من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ تهوى على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا احب وتعديته بالى لتضمين معنى النزوع وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لانبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفى من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والالتجاء الى الله تعالى وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء لان العالم بعلم ذاتى يستوى نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اى وهب لى وانا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من الآية اسماعيل واسحق روى انه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة وثنتى عشرة سنة ان ربى لسميع الدعاء اى لمجيبه من قولك سمع الملك كلامى اذا اعتد به وهو من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع اليأس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلنى مقيم الصلاة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتى عطف على المنصوب فى اجعلنى والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته فى الامم الماضية انه يكون فى ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء واستجب دعائى او وتقبل عبادتى ربنا اغفر لى ولوالدى وقرئ ولابوى وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل اراد بهما آدم وحواء وللمؤمنين يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف واسند اليه قيامهم مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما هو عليه من انه مطلع على احوالهم وافعالهم لا يخفى عليه خافية والوعيد بانه معاقبهم على قليله وكثيره لا محالة او لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم انما يؤخرهم يؤخر عذابهم وعن ابى عمرو بالنون ليوم تشخص فيه الابصار اى تشخص فيه ابصارهم فلا تقر فى اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعى او مقبلين بابصارهم لا يطرفون هيبة وخوفا واصل الكلمة هو الاقبال على الشئ مقنعى رؤسهم رافعيها لا يرتد اليهم طرفهم بل بقيت عيونهم شاخصة لا تطرف او لا يرجع اليهم نظرهم فينظرون الى انفسهم

> تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء ﴿٣٩﴾ الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء ﴿٤٠﴾ رب اجعلنى مقيم الصلوة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء ﴿٤١﴾ ربنا اغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ﴿٤٢﴾ ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴿٤٣﴾ مهطعين مقنعى رءوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء ﴿٤٤﴾ وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ﴿٤٥﴾ وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم

وافئدتهم هواء خلاء اى خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق والجبان قلبه هواء اى لا رأى فيه ولا قوة قال زهير من الظلمان جؤجؤه هواء وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق وانذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعنى يوم القيامة او يوم الموت فانه اول ايام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر فيقول الذين ظلموا بالشرك والتكذيب ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا الى حد من الزمان قريب او اخر آجالنا وابقنا مقدار ما نؤمن بك ونجيب دعوتك نجب دعوتك ونتبع الرسل جواب للامر ونظيره لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال على ارادة القول وما لكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى اقسمتم انكم باقون فى الدنيا لا تزالون بالموت ولعلهم اقسموا بطرا وغرورا ودل عليه حالهم حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا وقيل اقسموا انهم لا ينتقلون الى دار اخرى وانهم اذا ماتوا لا يزالون عن تلك الحالة الى حالة اخرى كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت

وسكنتم

وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود واصل سكن ان يعدى بفي كقر وغنى واقام وقد يستعمل بمعنى التبوء فيجرى مجراه كقولك سكنت الدار وتبين لكم كيف فعلنا بهم بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال من احوالهم اى بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب او صفات ما فعلوا وما فعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده ما يمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له وان كان مكرهم في العظم والشدة لتزول منه الجبال مسوى لازالة الجبال ومعدا لها وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ما هو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على انها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كاد مكرهم فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بانه لا يخلف الوعد اصلا لقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده احدا فكيف يخلف رسله ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده ولا يجوز ان ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده والسموات عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم بالدنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيئاتهم حسنات والآية تحتملهما فمن علي رضي الله تعالى عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وانس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا واعلم انه لا يلزم على الوجه الاول ان يكون الحاصل بالتبديل ارضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة كما اشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين وبرزوا من اجداثهم لله الواحد القهار لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على ان الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال لقوله واذا النفوس زوجت او قرنوا مع الشياطين او مع ما اكتسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل ان يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته ايديهم وارجلهم في الاصفاد متعلق بمقرنين او حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق واصله الشد سرابيلهم قمصانهم من قطران وجاء قطران وقطران لتبين فيه وهو ما يحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو اسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة يطلى به جلود اهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيئات الوحشية فيجلب اليها انواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية او حال من ضمير مقرنين وتغشى وجوههم النار اى وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على افئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوءة بالجهالات ونظيره قوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم

وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٥٢﴾

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

ليجزي الله كل نفس اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة اومطيعة لانه اذا بين ان المجرمين يعاقبون لاجرامهم علم ان المطيعين يثابون لطاعتهم ويتميز ذلك ان علق اللام ببرزوا ان الله سريع الحساب لانه لايشغله حساب عن حساب هذا اشارة الى القرآن او السورة او مافيه من العظة والتذكير او ماوصفه من قوله ولا تحسبن الله بلاغ للناس كفاية لهم في الموعظة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز ان تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به انزل اوتلي وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا الالباب فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم انه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوآئد هي الغاية والحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمالهم القوة النظرية التي منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذي هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله من الفآئزين بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الٓرٰ تِلْكَ اٰيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْاٰنٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٣﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْاَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ وَمَا اَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ اِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٥﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ اُمَّةٍ اَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٦﴾ وَقَالُوا يَا اَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ اِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٧﴾ لَوْمَا تَأْتِينَا بِالْمَلٰٓئِكَةِ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ مَا نُنَزِّلُ الْمَلٰٓئِكَةَ اِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا اِذًا مُنْظَرِينَ ﴿٩﴾ اِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَاِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْاَوَّلِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴿١٢﴾ كَذٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ

سورة ابرهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي بيانا غريبا ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر او حلول الموت او يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيها ثمان لغات ضم الراء وفتحه مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ربتما ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه ان يدخل الماضي لكن لما كان المترقب في اخبار الله تعالى كالماضي في تحققه اجري مجراه وقيل ما نكرة موصوفة كقوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم اهوال القيامة فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة في حكاية ودادتهم كالغيبة في قولك حلف بالله ليفعلن ذرهم دعهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بانهم من اهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لاطائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم وما يؤدي اليه طول الامل وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل ان لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال ادخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون اي وما يستأخرون عنه وتذكير ضمير امة للحمل على المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر نادوا به النبي صلى الله عليه وسلم على التهكم الا ترى الى ما نادوه له وهو قولهم انك لمجنون ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حتى تدعي ان الله تعالى نزل عليك الذكر اي القرآن لوما تأتينا ركب لو مع ما كما ركب مع لا لمعنيين امتناع الشيء لوجود غيره والتحضيض بالملآئكة ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او للعقاب على تكذيبنا لك كما اتت الامم المكذبة قبل ان كنت من الصادقين في دعواك ما ننزل الملآئكة بالياء مسندا الى ضمير اسم الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون وابو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملآئكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل الا بالحق الا تنزيلا ملتبسا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان تأتيكم بصورة تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا في معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر اي ولو نزلنا الملآئكة ما كانوا منظرين انا نحن نزلنا الذكر رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون اي من التحريف والزيادة والنقص بان جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه

على اهل اللسان او نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى ان يطعن فيه بانه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم ولقد ارسلنا من قبلك فى شيع الاولين فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه واصله الشياع وهو الحطب الصغار يوقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعناه او ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية كذلك نسلكه ندخله فى قلوب المجرمين والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على ان الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله لا يؤمنون به له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به او بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين ان تكون الجملة حالا من الضمير لجواز ان تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه وقد خلت سنة الاولين اى سنة الله فيهم بان خذلهم وسلك الكفر فى قلوبهم او باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لاهل مكة ولو فتحنا عليهم على هؤلاء المقترحين بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون او تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم لقالوا من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق انما سكرت ابصارنا سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف او حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر ولقد جعلنا فى السماء بروجا اثنى عشر مختلفة الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وزيناها بالاشكال والهيئات البهية للناظرين المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس اهلها ويتصرف فى امرها ويطلع على احوالها الا من استرق السمع بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجوهر او بالاستدلال من اوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز ان يكون لها اسباب اخر وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن من استرق السمع فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكواكب والسنان لما فيهما من البريق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسى جبالا ثوابت وانبتنا فيها فى الارض او فيها وفى الجبال من كل شئ موزون مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او ما يوزن ويقدر او له وزن فى ابواب النعمة والمنفعة وجعلنا لكم فيها معايش

المجرمين ﴿١٢﴾ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ﴿١٣﴾ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ﴿١٤﴾ لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴿١٥﴾ ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين ﴿١٦﴾ وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴿١٧﴾ الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين ﴿١٨﴾ والارض مددناها والقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شئ موزون ﴿١٩﴾ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴿٢٠﴾ وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ﴿٢١﴾ وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين ﴿٢٢﴾ وانا لنحن نحيى ونميت ونحن

تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ بالهمزة على التشبيه بشمائل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها انواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز ان لا يكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما انعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال وان من شئ الا عندنا خزائنه اى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره او شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد وما ننزله من بقاع القدرة الا بقدر معلوم حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم وارسلنا الرياح لواقح حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم او ملقحات للشجر او السحاب ونظيره الطوائح

بمعنى الملقحات في قوله ومختبط مما تطيح الطوائح وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس فانزلنا من السماء ماء بقدر فاسقيناكموه فجعلناه لكم سقيا وما انتم له بخازنين قادرين متمكنين من اخراجه نفي عنهم ما اثبته لنفسه او حافظين في الغدران والعيون والآبار وذلك ايضا يدل على المدبر الحكيم كما تدل حركة الهواء في بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضي الغور فوقوفه دون حده لا بد له من مخصص وانا لنحن نحيي بايجاد الحياة في بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر ونحن الوارثون الباقون اذا مات الخلائق كلها ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم في الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة وتأخر لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت وان ربك هو يحشرهم لا محالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على انه القادر المتولي لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على ان ما سبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله انه حكيم باهر الحكمة متقن في افعاله عليم وسع علمه كل شيء ولقد خلقنا الانسان من صلصال طين يابس يصلصل اي يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا انتن تضعيف صل من حمإ طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال اي كائن من حمإ مسنون مصور من سنة الوجه او مصبوب ليبس ويتصور كالجواهر المذابة تصب في القوالب من السن وهو الصب كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه او منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل منهما يكون منتنا ويسمى السنين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره قوله خلقناه من قبل من قبل خلق الانسان من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في المسام ولا يمتنع خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك واذكر وقت قوله للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فاذا سويته عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه ونفخت فيه من روحي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه كما مر في سورة النساء فقعوا له فاسقطوا له ساجدين امر من وقع يقع فسجد الملائكة كلهم اجمعون اكد بتأكيدين للمبالغة في التعميم ومنع التخصيص وقيل اكد بالكل للاحاطة وباجمعين للدلالة على انهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثاني حالا لا تأكيدا الا ابليس ان جعل منقطعا اتصل به قوله ابى ان يكون مع الساجدين اي لكن ابليس ابى وان جعل متصلا كان استئنافا على انه جواب سائل قال هلا سجد قال يا ابليس ما لك الا تكون اي غرض لك في ان لا تكون مع الساجدين لآدم قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر جسماني كثيف وانا ملك روحاني خلقته من صلصال من حمإ مسنون وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهو اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قال فاخرج منها من السماء او الجنة او زمر الملائكة فانك رجيم مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب

الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي

وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وان عليك اللعنة هذا الطرد والابعاد الى يوم الدين فانه منتهى امد اللعن فانه يناسب ايام التكليف ومنه زمان الجزآء وما في قوله فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه ابعد غاية يضربها الناس او لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل قال رب فانظرني فأخرني والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم الى يوم يبعثون اراد ان يجد فسحة في الاغوآء او نجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم المسمى فيه اجلك عند الله او انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز ان يراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه اولا بيوم الجزآء لما عرفت وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس من التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم من ذلك ان لا يموت فلعله يموت اول اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على علو منصب ابليس لان خطاب الله

إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ
الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ
لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾
قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ
عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ
لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ
مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا
بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ
سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا
بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾
وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

تعالى له على سبيل الاهانة والاذلال قال رب بما اغويتني الباء للقسم وما مصدرية وجوابه لأزينن لهم في الارض والمعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله اخلد الى الارض وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة اولوا الاغوآء بالنسبة الى الغي او التسبب له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او بالاضلال عن طريق الجنة واعتذروا عن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليطه له على اغوآء بني آدم بان الله تعالى علم منه وممن يتبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل او لم يمهل وان في امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف ذلك لا يخفى على ذوي الالباب ولاغوينهم اجمعين ولاحملنهم اجمعين على الغواية الا عبادك منهم المخلصين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوآئب فلا يعمل فيهم كيدي وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو بالكسر في كل القرآن اي الذين اخلصوا نفوسهم لله قال هذا صراط علي حق علي ان اراعيه مستقيم لا انحراف عنه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على معنى انه طريق علي يؤدي الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ علي من علو الشرف ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط ان يكون المستثنى اقل من الباقي لافضائه الى تناقض الاستثناءين وان جهنم لموعدهم لموعد الغاوين او المتبعين اجمعين تأكيد للضمير او حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لا يعمل لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم في المتابعة وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار جميع المهلكات في الركون الى المحسوسات ومتابعة القوة الشهوية والغضبية او لان اهلها سبع فرق لكل باب منهم من الاتباع جزء مقسوم افرز له فاعلاها للموحدين العصاة والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ ابو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاي ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه او من المستكن في الظرف لا في مقسوم لان الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه في الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة في جنات وعيون لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وابو عمرو وهشام وعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين ادخلوها على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على انه ماض فلا يكسر التنوين بسلام سالمين او مسلما عليكم آمنين من الآفات والزوال ونزعنا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم ما في صدورهم من غل من حقد كان

في الدنيا وعن علي رضي الله تعالى عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم او من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب اخوانا حال من الضمير في جنات او فاعل ادخلوها او الضمير في آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفتين لاخوانا او حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وان يكون متقابلين حالا من المستقر في على سرر لا يمسهم فيها نصب استئنافا وحال بعد حال او حال من الضمير في متقابلين وما هم منها بمخرجين فان تمام النعمة بالخلود نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق من الوعد والوعيد وتقرير له وفي ذكر المغفرة دليل على انه لم يرد بالمتقين من يتقي الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفي عطف ونبئهم عن ضيف ابرهيم على نبئ عبادي تحقيق لهما بما يعتبرون به اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما اي نسلم عليك سلاما او سلمنا سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت او لانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ما تكره

إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٤﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٥﴾ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٦﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٧﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٦٠﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٥﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ

قالوا لا توجل وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل فان المبشر لا يخاف منه وقرأ حمزة نبشرك من البشر بغلام هو اسحق عليه السلام لقوله فبشرناها باسحق عليم اذا بلغ قال ابشرتموني على ان مسني الكبر تعجب من ان يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به في مثل هذه الحالة وكذلك قوله فبم تبشرون اي فباي اعجوبة تبشروني او فباي شيء تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة في كل القرآن على ادغام نون الجمع في نون الوقاية وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية على الياء قالوا بشرناك بالحق بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو قول الله تعالى وامره فلا تكن من القانطين من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على ان يخلق بشرا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابرهيم صلوات الله عليه باعتبار العادة دون القدرة ولذلك قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ ابو عمرو والكسائي يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا تحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد في بشارة زكريا ومريم او لانهم بشروه في تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعني قوم لوط الا آل لوط ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط ويدل عليه قوله انا لمنجوهم اجمعين اي مما نعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز ان يكون قوله الا امرأته استثناء من آل لوط او من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ ابو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز ان يكون قدرنا اجري مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسنادهم اياه الى انفسهم وهو فعل الله تعالى لما لهم من القرب والاختصاص به فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان تطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه واتيناك بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السري وهما بمعنى وقرئ فسر من السير بقطع من الليل في طائفة من الليل وقيل في آخره قال الشاعر افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم

واتبع ادبارهم وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم ولا يلتفت منكم احد لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه او فيصيبه ما اصابهم او لا ينصرف احدكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا انفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله بالمضى اليه وهو الشام او مصر فعدى وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع وقضينا اليه اى اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدى بالى ذلك الامر مبهم يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع ومحله النصب على البدل منه وفى ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى انهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين داخلين فى الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير فى مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون بفضيحة ضيفى فان من اسيئ الى ضيفه فقد اسيئ اليه واتقوا الله فى ركوب الفاحشة ولا تخزون

وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾

ولا تذلون بسببهم من الخزى وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهو الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا وتمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتى يعنى نساء القوم فان نبى كل امة بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود ان كنتم فاعلين قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على السنتهم انهم لفى سكرتهم لفى غوايتهم او شدة غلمتهم التى ازالت عقولهم وتمييزهم بين خطائهم والصواب الذى يشار به اليهم يعمهون يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها عالى المدينة او عالى قراهم سافلها فصارت منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود ان فى ذلك لآيات للمتوسمين المتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته وانها وان المدينة او القرى لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان فى ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة فانتقمنا منهم بالاهلاك وانهما يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الآخر لبإمام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به اللوح ومطمر البناء لانهما مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز ان يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزاته كالناقة وسقيها وشربها ودرها او ما نصب لهم من الادلة

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين ﴿٨٢﴾ فأخذتهم الصيحة مصبحين ﴿٨٣﴾ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴿٨٤﴾ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴿٨٥﴾ إن ربك هو الخلاق العليم ﴿٨٦﴾ ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ﴿٨٧﴾ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين ﴿٨٨﴾ وقل إني أنا النذير المبين ﴿٨٩﴾ كما أنزلنا على المقتسمين ﴿٩٠﴾ الذين جعلوا القرآن عضين ﴿٩١﴾ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴿٩٢﴾ عما كانوا يعملون ﴿٩٣﴾ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴿٩٤﴾ إنا كفيناك المستهزئين ﴿٩٥﴾

وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها او من العذاب لفرط غفلتهم او حسبانهم ان الجبال تحميهم منه فأخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور ولذلك اقتضت الحكمة اهلاك امثال هؤلاء وازاحة افسادهم من الارض وان الساعة لآتية فينتقم الله لك فيها ممن كذبك فاصفح الصفح الجميل ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وبيده امرك وامرهم العليم بحالك وحالهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وقيل سبع سور وهي الطول وسابعتها الانفال والتوبة فانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس او الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع والمثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قرآءته والفاظه او قصصه ومواعظه او مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز او مثن على الله بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى ويجوز ان يراد بالمثاني القرآن او كتب الله كلها فتكون من للتبعيض والقرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض او العام على الخاص وان اريد به الاسباع فمن عطف احد الوصفين على الآخر لا تمدن عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ما اوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وعن ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروي انه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع لهم وارفق بهم وقل اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا كما انزلنا على المقتسمين مثل العذاب الذي انزلنا عليهم فهو وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فاهلكهم الله تعالى يوم بدر او الرهط الذين اقتسموا اي تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى انزلنا اليك والمقتسمون هم اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما او قسموه الى شعر وسحر وكهانة واساطير الاولين او اهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن ما يقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لا تمدن الخ اعتراضا ممدا لها الذين جعلوا القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفي الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل اسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين او مبتدأ خبره فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون من التقسيم او النسبة الى السحر فيجازيهم عليه وقيل هو عام في كل ما فعلوا من الكفر والمعاصي فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او فافرق به بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والراجع محذوف اي بما تؤمر به من الشرائع واعرض عن المشركين فلا تلتفت الى ما يقولون

انا كفيناك المستهزئين بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد ابن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود ابن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى انف عدى بن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عينى الاسود بن المطلب فعمى الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم فى الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن فى القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق وكن من الساجدين من المصلين

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آيات

١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا

وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى الموت فانه متيقن لحاقه كل حى مخلوق والمعنى فاعبده ما دمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وهى مائة وثمان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة او اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما يقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتى المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب او على ان الخطاب للمؤمنين اولهم ولغيرهم لما روى انه لما نزلت اتى امر الله فوثب النبى صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه ينزل الملائكة بالروح بالوحى او القرآن فانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل او يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذى به علم الرسول ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل من انزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ ابو بكر تنزل على المضارع المبنى للمفعول من التنزيل من امره بامره او من اجله على من يشاء من عباده ان يتخذه رسولا ان انذروا بان انذروا اى اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون ان الشأن لا اله الا انا فاتقون او خوفوا اهل الكفر والمعاصى بانه لا اله الا انا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحى الدال على القول او مصدرية فى موضع الجر بدلا من الروح



او النصب بنزع الخافض او مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحى بوساطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذى هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذى هو اقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التى بعدها دليل وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل واوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون منهما او مما يفتقر فى وجوده او بقائه اليهما او مما لا يقدر على خلقهما وفيه دليل على انه سبحانه وتعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان من نطفة جماد لا حس لها ولا حراك سيالة لا تحفظ الوضع والشكل فاذا هو خصيم منطيق مناظر مجادل مبين للحجة او خصيم مكافح لخالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم روى ان ابى بن خلف اتى النبى صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يا محمد أترى ان الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره

خلقها لكم اوبالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان لما خلق لاجله وما بعده تفصيل له. فيها دفء مايدفأ به فيقي البرد ومنافع نسلها ودرها وظهورها وانما عبرعنها بالمنافع ليتناول عوضها ومنها تأكلون اى تأكلون مايؤكل منها كاللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى اولان الاكل منها هو المعتاد المعتمد عليه في المعاش واما الاكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى اوالتفكه ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى وحين تسرحون تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين بها في الوقتين ويجل اهلها في اعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها اظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا عن ان تحملوها على ظهوركم اليه الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اى لتركبوها ولتتزينوا بها زينة وقيل هي معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها او مصدرا في موضع الحال من احد الضميرين اى متزينين او متزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولا دليل فيه اذ لا يلزم من تعليل الفعل بما يقصد منه غالبا ان لا يقصد منه غيره اصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر ويخلق ما لا تعلمون لما فصل الحيوانات التي يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا او غير ضرورى اجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به وان يراد به ما خلق في الجنة والنار مما لا يخطر على قلب بشر وعلى الله قصد السبيل بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق واقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا او عليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة يقال سبيل قصد وقاصد اى مستقيم كانه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لا يميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك اضاف اليه القصد وقال ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طريق الضلالة اولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر اى عن القصد ولو شاء لهديكم اجمعين اى ولو شاء هدايتكم اجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء هو الذى انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب ما تشربونه ولكم صلة انزل او خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه في الارض ومنه شجر ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما ينبت على الارض شجر قال الشاعر نعلفها اللحم اذا عز الشجر والخيل في اطعامها اللحم ضرر فيه تسيمون ترعون من سامت الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات ينبت لكم به الزرع وقرأ ابو بكر بالنون على التفخيم والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات وبعض كلها اذ لم ينبت في الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا وهو اشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع في الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجر وينشق اسفلها فيخرج منه عروقها ثم تنمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على اجسام مختلفة الاشكال والطبائع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هيأها لمنافعكم

لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٦﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٨﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٠﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١١﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ

مسخرات بامره حال من الجميع اى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء اولما خلقن له بايجاده وتقديره او بحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها فان ذلك ان سلم فلاريب فى انها ايضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلابد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود رفعا للدور والتسلسل او مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر ايضا ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الآية وذكر العقل لانها تدل انواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وماذرألكم فى الارض عطف على الليل اى ومسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تتخالف باللون غالبا ان فى ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها فى الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذى سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا

مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾
وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا
مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ
تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ
وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ
﴿١٧﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ
أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ
فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ

هو السمك ووصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم فيسرع اليه الفساد فيسارع الى اكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا ياكل لحما حنث باكل السمك واجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق الا ترى ان الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على ان لا يركب دابة بركوبه وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه اقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى فى الارض رواسى جبالا رواسى ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التى تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا لان القى فيه معناه وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله سبحانه وتعالى وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيرى الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء فى مسائرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام افمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه اولوا العلم منهم او الاصنام واجراؤها مجرى اولى العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او للمبالغة فكانه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بمن لا علم عنده افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذى يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تضبطوا عددها فضلا عن ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا ينحصر وان حق عبادته غير مقدور ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقائدكم واعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم

والذين تدعون من دون الله اى والالهة الذين تعبدونهم من دون الله وقرأ ابو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء لا يخلقون شيئا لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين انهم لا يخلقون شيئا لينتج انهم لا يشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافى الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغى ان يكون واجب الوجود اموات هم اموات لا تعتريهم الحياة او اموات حالا او مآلا غير احياء بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغى ان يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغى ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب وفيه تنبيه على ان البعث من توابع التكليف الهكم اله واحد تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها تكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافى النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة فى الباب ولذلك رتب عليه ثبوت الآخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر او فعل انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم القائل بعضهم على التهكم او الوافدون عليهم او المسلمون قالوا اساطير الاولين اى ما تدعون نزوله او المنزل اساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم او على الفرض اى على تقدير انه منزل فهو اساطير لا تحقيق فيه والقائلون له قيل هم المقتسمون ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة اى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزار ضلالتهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم اى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التى بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم وصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد من فى السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيامة يخزيهم يذلهم او يعذبهم بالنار لقوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركائى اضاف الى نفسه استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم وقرأ البزى بخلاف عنه اين شركاى بغير همز والباقون بالهمز الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عز وجل قال الذين اوتوا العلم اى الانبياء او العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم ويتكبرون عليهم او الملائكة ان الخزى اليوم والسوء الذلة والعذاب على الكافرين وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه الذين تتوفاهم الملائكة وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمى انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد فالقوا السلم فسالموا واخبتوا حين عاينوا الموت ما كنا نعمل من سوء قائلين ما كنا نعمل من سوء كفران وعدوان ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان المراد به القول الدال على الاستسلام بلى اى فتجيبهم الملائكة بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فالقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا اول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا نعمل من سوء بانا لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل ان يكون الراد عليهم هو الله او اولوا العلم

مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٦﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٧﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

فادخلوا ابواب جهنم كل صنف بابه المعدله وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين جهنم وقيل للذين اتقوا يعني المؤمنين ماذا انزل ربكم قالوا خيرا اي انزل خيرا وفي نصبه دليل على انهم لم يتلعثموا في الجواب واطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ما قالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة مكافاة في الدنيا ولدار الآخرة خير اي ولثوابهم في الاخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز ان يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على انه منتصب بقالوا ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن من انواع المشتهيات وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يلحقكم بعد مكروه ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون حين تبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ هل ينظرون ما ينتظر الكفار المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملائكة لقبض ارواحهم وقرأ حمزة والكسائي بالياء او يأتي امر ربك القيامة او العذاب المستأصل كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم فاصابهم ما اصاب وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم على حذف المضاف او تسمية الجزاء باسمها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه والحيق لا يستعمل الا في الشر وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ انما قالوا ذلك استهزاء ومنعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما او انكارا لقبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهتين

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا

كذلك فعل الذين من قبلهم فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله فهل على الرسول الا البلاغ المبين الا الابلاغ الموضح للحق وهوان لم يؤثر في هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدي اليه على سبيل التوسط وماشاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال لمن اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يأمر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت فمنهم من هدى الله وفقهم للايمان بارشادهم ومنهم من حقت عليه الضلالة اذ لم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على ان تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به في الآية الاخرى فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون ان تحرص يا محمد على هداهم فان الله لا يهدي من يضل من يريد ضلاله وهو المعني بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لا يهدى على البناء للمفعول وهو ابلغ وما لهم من ناصرين من ينصرهم بدفع العذاب عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت عطف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه زيادة في البت على فساده ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد فقال بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان يبعث موعد من الله تعالى عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده اولان البعث مقتضى حكمته حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصر نظرهم على المألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال ليبين لهم اي يبعثهم ليبين لهم الذي يختلفون فيه وهو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون وهو بيان امكانه وتقريره ان تكوين الله تعالى بمحض قدرته ومشيئته لا توقف له على سبق المواد والمدد والا لزم التسلسل فكما امكن له تكوين الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائي ههنا وفي يس فيكون عطفا على نقول او جوابا للامر

مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَٰهُ أَن

نقول له كن فيكون ﴿٤١﴾ والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم فى الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ﴿٤٢﴾ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ﴿٤٣﴾ وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴿٤٤﴾ بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون ﴿٤٥﴾ افامن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿٤٦﴾ او يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين ﴿٤٧﴾ او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم ﴿٤٨﴾ اولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيؤا ظلاله عن اليمين

والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة وبعضهم الى المدينة او المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وابو جندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله اى فى حقه ولوجهه لنبوئنهم فى الدنيا حسنة مباءة حسنة وهى المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الآخرة اكبر مما تعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله تعالى عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم الذين صبروا على الشدائد كأذى الكفرة ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم يتوكلون منقطعين الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم رد لقول قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا اى جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحى اليهم على السنة الملائكة والحكمة فى ذلك قد ذكرت فى سورة الانعام فان شككتم فيه فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب او علماء الاخبار ليعلموكم ان كنتم لا تعلمون وفى الآية دليل على انه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روى انه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل عليه السلام على صورته التى هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر اى ارسلناهم بالبينات والزبر اى المعجزات والكتب كانه جواب قائل بم ارسلوا ويجوز ان يتعلق بما ارسلنا داخلا فى الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او صفة لهم اى رجالا ملتبسين بالبينات او بيوحى على المفعولية او الحال من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله فاسألوا اعتراض او بلا تعلمون على ان الشرط للتبكيت والالزام وانزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمى ذكرا لانه موعظة وتنبيه لتبين للناس ما نزل اليهم فى الذكر بتوسط انزاله اليك مما امروا به ونهوا عنه او مما تشابه عليهم والتبيين اعم من ان ينص بالمقصود او يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل ولعلهم يتفكرون وارادة ان يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق افامن الذين مكروا السيئات اى المكرات السيئات وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء او الذين مكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد اصحابه عن الايمان ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط او يأخذهم فى تقلبهم اى متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون او على ان ينقص شيأ بعد شئ فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعانى كلامكم فان ربكم لرؤف رحيم حيث لا يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله من شئ استفهام انكار اى قد رأوا امثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها يتفيؤا ظلاله اى اولم ينظروا الى المخلوقات التى لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائى تروا بالتاء وابو عمرو تتفيأ بالتاء عن اليمين والشمائل عن ايمانها وشمائلها او عن جانبى كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير فى ظلاله وجمعه فى قوله

سجدا لله وهم داخرون وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع او الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب او سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى ترجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في انفسها ايضا داخرة اي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها وجمع داخرون بالواو لان من جملتها من يعقل او لان الدخور من اوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب تظهر منه آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقي من الارض ولله يسجد ما في السموات وما في الارض اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح اسناده الى عامة اهل السموات والارض وقوله من دابة بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت في ارض

﴿وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾﴾

او سماء والملائكة عطف على المبين عطف جبريل على الملائكة للتعظيم او عطف المجردات على الجسمانيات وبه احتج من قال ان الملائكة ارواح مجردة او بيان لما في الارض والملائكة تكرير لما في السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما والمراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء وهم لا يستكبرون عن عبادته يخافون ربهم من فوقهم يخافونه ان يرسل عذابا من فوقهم او يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته ويفعلون ما يؤمرون من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان الاثنينية تنافي الالهية كما ذكر الواحد في قوله انما هو اله واحد للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او للتنبيه على ان الوحدة من لوازم الالهية فاياي فارهبون نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غيري وله ما في السموات والارض خلقا وملكا وله الدين اي الطاعة واصبا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله اي واي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية او موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله تعالى لا لحصولها منه ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم كفاركم ليكفروا بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان



خاصا بالمشركين كان من للبيان فكأنه قال فاذا فريق وهم انتم ويجوز ان يكون من للتبعيض على ان يعتبر بعضهم كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله تعالى فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون اغلظ وعيده وقرئ فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب ويجعلون لما لا يعلمون اي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما او التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف او لجهلهم على ان ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به نصيبا مما رزقناهم من الزروع والانعام تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة يقولون ان الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له من قولهم او تعجب منه

ولهم

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٩﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٠﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٢﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٣﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

ولهم مايشتهون يعنى البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهوان افضى الى ان يكون ضمير الفاعل والمفعول لشئ واحد لكنه لايبعد تجويزه فى المعطوف واذا بشر احدهم بالانثى اخبر بولادتها ظل وجهه صار او دام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم مملوء غيظا من المرأة يتوارى من القوم يستخفى منهم من سوء مابشر به من سوء المبشر به عرفا ايمسكه محدثا نفسه متفكرا فى ان يتركه على هون ذل ام يدسه فى التراب ام يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرئ بالتأنيث فيهما الاساء مايحكمون حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ماهذا محله عندهم للذين لايؤمنون بالآخرة مثل السوء صفة السوء وهى الحاجة الى الولد المنادية بالموت واشتهاء الذكور استظهارابهم وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق ولله المثل الاعلى وهو الوجوب الذاتى والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو العزيز الحكيم المنفرد بكمال القدرة والحكمة ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ماترك عليها على الارض وانما اضمرها من غير ذكر لدلالة الناس او الدابة عليها من دابة قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم اومن دابة ظالمة وقيل لواهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى سماه لاعمارهم اولعذابهم كى يتوالدوا فاذا جاء اجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون بل هلكوا وعذبوا حينئذ لامحالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم ان يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز ان يضاف اليهم ماشاع فيهم وصدر عن اكثرهم ويجعلون لله مايكرهون اى مايكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء فى الرياسة والاستخفاف بالرسل واراذل الاموال وتصف السنتهم الكذب مع ذلك وهو ان لهم الحسنى اى عند الله تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة لاجرم ان لهم النار رد لكلامهم واثبات لضده وانهم مفرطون مقدمون الى النار من افرطته فى طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على انه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين فهو وليهم اليوم اى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها اوفهو وليهم حين كان يزين لهم اويوم القيامة على انه حكاية حال ماضية اوآتية ويجوز ان يكون الضمير لقريش اى زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغرهم ويغويهم وان يقدر مضاف اى فهو ولى امثالهم والولى القرين حيث كان اوالناصر فيكون نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ولهم عذاب اليم فى القيامة وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين والله انزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها انبت فيها انواع النبات بعد يبسها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تدبر وانصاف وان لكم فى الانعام لعبرة دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم نسقيكم مما فى بطونه استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وانثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على افعال كاخلاق واكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها اولواحده اوله على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وابوبكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين من بين فرث ودم لبنا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لايتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة

تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين ويدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقي على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على ما يليق به بتقدير العليم الحكيم ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرودة والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى في احداث الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهي رحمته ومن الاولى تبعيضية لان اللبن بعض ما في بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذي يبتدئ منه الاسقاء وهي متعلقة بنسقيكم او حال من لبنا قدمت عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث او مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه سائغا للشاربين سهل المرور في حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف اى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرهما وقوله تتخذون منه سكرا استئناف لبيان الاسقاء او تتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا او خبر لمحذوف صفته تتخذون اى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذي هو العصير او لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمي به الخمر ورزقا حسنا كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال جعلت اعراض الكرام سكرا اى تنقلت باعراضهم وقيل ما يسد الجوع من السكر فيكون الرزق ما يحصل من اثمانه ان في ذلك لآية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل في الآيات واوحى ربك الى النحل الهمها وقذف في قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين ان اتخذى بان اتخذى ويجوز ان تكون ان مفسرة لان في الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم او سقف ولا في كل مكان منها وانما سمي ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التي لا يقوى عليها حذاق المهندسين الا بآلات وانظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء للياء وقرأ ابن عامر وابو بكر يعرشون بكسر الراء ثم كلي من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فاسلكي ما اكلت سبل ربك في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكي الطرق التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل اى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك او من الضمير في اسلكي اى وانت ذليل منقادة لما امرت به يخرج من بطونها عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم شراب يعني العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فيستحيل في باطنها عسلا ثم تقيئ ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها في بيوتها ادخارا فاذا اجتمع في بيوتها شيء كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه مختلف الوانه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل فيه شفاء للناس اما بنفسه كما في الامراض البلغمية او مع غيره كما في سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم وعن قتادة ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرئ فكأنما انشط من عقال وقيل الضمير للقرآن او لما بين الله من احوال النحل ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لا بد من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه والله خلقكم ثم يتوفاكم بآجال مختلفة

الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴿٦٤﴾ والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴿٦٥﴾ وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ﴿٦٦﴾ ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴿٦٧﴾ واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴿٦٨﴾ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴿٦٩﴾ والله خلقكم ثم يتوفيكم

ومنكم من يرد يعاد الى ارذل العمر اخسه يعني الهرم الذي يشابه الطفولية في نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون سنة لكيلا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولية في النسيان وسوء الفهم ان الله عليم بمقادير اعمارهم قدير يميت الشاب النشيط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالي يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فما الذين فضلوا برادي رزقهم بمعطي رزقهم على ما ملكت ايمانهم على مماليكهم فانما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله تعالى في ايديهم فهم فيه سواء فالموالي والمماليك سواء في ان الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية او مقررة لها ويجوز ان تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم يشركون

وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا

بالله بعض مخلوقاته في الالوهية ولا يرضون ان تشاركهم عبيدهم فيما انعم الله عليهم فيساووهم فيه افبنعمة الله يجحدون حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله او حيث انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمين الجحود معنى الكفر وقرأ ابو بكر تجحدون بالتاء لقوله تعالى خلقكم وفضل بعضكم والله جعل لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة واولادا اولاد او بنات فان الحافد هو المسرع في الخدمة والبنات يخدمن في البيوت اتم خدمة وقيل هم الاختان على البنات وقيل الربائب ويجوز ان يراد بها البنون انفسهم والعطف لتغاير الوصفين ورزقكم من الطيبات من اللذائذ او من الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ان الاصنام تنفعهم او ان من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب وبنعمة الله هم يكفرون حيث اضافوا نعمه الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام او لايهام التخصيص مبالغة او للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيئا منصوب به والا فبدل منه ولا يستطيعون ان يتملكوه اذ لا استطاعة لهم اصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده في ما لا يملك لان ما مفرد في معنى الآلهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فلا تضربوا لله الامثال فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال ان الله يعلم فساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد الملك ادخل في التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون وانتم لا تعلمون ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهي او انه يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال فانه يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف تضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء واحتج بامتناع الاشراك والتسوية بينهما مع تشاركهما في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله الغني القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوك للتمييز من الحر فانه ايضا عبد الله وسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على ان المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة لتطابق عبدا وجمع الضمير في يستوون لانه للجنسين فان المعنى هل يستوي الاحرار والعبيد

الحمد لله كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى النعم كلها بل اكثرهم لايعلمون فيضيفون نعمه الى غيره ويعبدونه لاجلها وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم ولد اخرس لايفهم ولا يفهم لايقدر على شئ من الصنائع والتدابير لنقصان عقله وهو كل على مولاه عيال وثقل على من يلى امره اينما يوجهه حيث ما يرسله مولاه فى امر وقرئ يوجه على البناء للمفعول ويوجه بمعنى يتوجه كقوله اينما اوجه الق سعدا وتوجه بلفظ الماضى لايات بخير بنجح وكفاية مهم هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل ومن هو فهم منطيق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وهو على صراط مستقيم وهو فى نفسه على طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا ويبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين لانهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه وبينها او للمؤمن والكافر ولله غيب السموات والارض يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وما امر الساعة وما امر قيام القيامة فى سرعته وسهولته الا كلمح البصر الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى اسفلها او هو اقرب او امرها اقرب منه بان يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى يبتدأ فيه فانه تعالى يحيى الخلائق دفعة وما يوجد دفعة كان فى آن واو للتخيير او بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ الذى يقولون هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة فى استقرابه ان الله على كل شئ قدير فيقدر على ان يحيى الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة او اتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة مثلها فى اهراق لاتعلمون شيئا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وجعل لكم السمع والابصار والافئدة اداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم لمشاركات ومباينات بينها بتكرار الاحساس حتى يتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل العلم الكسبية بالنظر فيها لعلكم تشكرون كى تعرفوا ما انعم الله عليكم طورا بعد طور فتشكروا الم يروا الى الطير قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالتاء على انه خطاب للعامة مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له فى جو السماء فى الهواء المتباعد من الارض ما يمسكهن فيه الا الله فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها ان فى ذلك لايات تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بها والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هى القباب المتخذة من الادم ويجوز ان تتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر من حيث انها نابتة على جلودها يصدق عليها انها من جلودها تستخفونها تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها

وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٨﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا

يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ
سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ
يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٣﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ
الْكَافِرُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ
لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى
الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٦﴾
وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا
الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ

يوم ظعنكم وقت ترحالكم ويوم اقامتكم ووضعها او ضربها وقت الحضر او النزول وقرأ الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة ومن اصوافها واوبارها واشعارها
الصوف للضأن والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها اثاثا ما يلبس ويفرش ومتاعا ما يتجر به الى حين الى مدة من الزمان
فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة او الى حين مماتكم او الى ان تقضوا منه اوطاركم والله جعل لكم مما خلق من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظلالا تتقون بها
حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن وجعل لكم سرابيل ثيابا من الصوف والكتان والقطن
وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان وقاية الحر كانت اهم عندهم وسرابيل تقيكم باسكم يعني الدروع والجواشن والسربال يعم
كل ما يلبس كذلك كاتمام هذه النعم التي تقدمت يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اي تنظرون في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من
السلامة اي تشكرون فتسلمون من العذاب او تنظرون فيها فتسلمون من
الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا
منك فانما عليك البلاغ المبين فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد
بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب يعرفون نعمة الله اي يعرف
المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها
من الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة
آلهتنا او بسبب كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد
الانكار بعد المعرفة واكثرهم الكافرون الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما
لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة
لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم
لا يعلمون ويوم نبعث من كل امة شهيدا وهو نبيها يشهد لهم وعليهم
بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل
في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار
لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم السلام
ولا هم يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضى وانتصاب يوم
بمحذوف تقديره اذكر او خوفهم او يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله واذا
رأى الذين ظلموا العذاب عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب
ولا هم ينظرون يمهلون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي
دعوها شركاء او الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا
ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك نعبدهم او نطيعهم
وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس بان يشطروا عذابهم فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم شركاء الله او انهم
ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون
بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ او في انهم حملوهم على الكفر والزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي

والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السّلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار فى الدنيا وضلّ عنهم وضاع عنهم وبطل ماكانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرأوا منهم الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا لصدّهم فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدّهم ويوم نبعث فى كلّ امّة شهيدا عليهم من انفسهم يعنى نبيهم فان نبى كلّ امّة بعث منهم وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء على امتك ونزلنا عليك الكتاب استئناف اوحال باضمار قد تبيانا بيانا بليغا لكلّ شئ من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصّة انّ الله يأمر بالعدل بالتوسط فى الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد باداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وايتاء ذى القربى واعطاء الاقارب مايحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط فى متابعة القوة الشهوية كالزنى فانه اقبح احوال الانسان واشنعها والمنكر ماينكر على متعاطيه من اثارة القوة الغضبية والبغى والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التى هى مقتضى القوة الوهمية ولايوجد من الانسان شر الا وهو مندرج فى هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه هى اجمع آية فى القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان ابن مظعون رضى الله تعالى عنه ولو لم يكن فى القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه يعظكم بالامر والنهى والميز بين الخير والشر لعلكم تذكّرون تتعظون واوفوا بعهد الله يعنى البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى انّ الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل امر يجب الوفاء به ولايلائمه قوله اذا عاهدتم وقيل النذر وقيل الايمان بالله ولاتنقضوا الايمان ايمان البيعة او مطلق الايمان بعد توكيدها بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه اكد بقلب الواو همزة وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه انّ الله يعلم ماتفعلون فى نقض الايمان والعهود ولاتكونوا كالتى نقضت غزلها ماغزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوّة متعلق بنقضت اى نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام انكاثا طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها او المفعول الثانى لنقضت فانه بمعنى صيّر والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هى ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك

لَكَاذِبُونَ ﴿٨٧﴾ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٨﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٩﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩١﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا



تتخذون ايمانكم دخلا بينكم حال من الضمير في ولا تكونوا او في الجار الواقع موقع الخبر اى ولا تكونوا مشتبهين بامرأة هذا شأنها متخذى ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه ان تكون امة هى اربى من امة بان تكون جماعة ازيد عددا واوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم اولكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في اعادى حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به الضمير لان تكون امة لانه بمعنى المصدر اى يختبركم بكونكم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للاربى وقيل للامر بالوفاء وليبيّنن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن يضلّ من يشاء بالخذلان ويهدى من يشاء بالتوفيق ولتسألن عما كنتم تعملون

تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٥﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ

سؤال تبكيت ومجازاة ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم تصريح بالنهى عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهى فتزل قدم اى عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها والمراد اقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السّوء العذاب في الدنيا بما صددتم عن سبيل الله بصدودكم عن الوفاء او صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره ولكم عذاب عظيم في الآخرة ولا تشتروا بعهد الله ولا تستبدلوا عهد الله وبيعة رسوله ثمنا قليلا عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد انما عند الله من النصر والتغنيم في الدنيا والثواب في الآخرة هو خير لكم مما يعدونكم ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز ما عندكم من اعراض الدنيا ينفد ينقضى وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على ان نعيم اهل الجنة باق ولنجزين الذين صبروا على الفاقة واذى الكفار او على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون باحسن ما كانوا يعملون بما ترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى بينه بالنوعين دفعا للتخصيص وهو مؤمن اذ لا اعتداد باعمال الكفرة في استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضى بالقسمة وتوقع الاجر العظيم في الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه وقيل في الآخرة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعة

فاذا قرأت القرآن اذا اردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك في القراءة والجمهور على انه للاستحباب وفيه دليل على ان المصلي يستعيذ في كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بان الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون اوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك امروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه ان له سلطانا انما سلطانه على الذين يتولونه يحبونه ويطيعونه والذين هم به

اَجْرَهُمْ بِاَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ فَاِذَا قَرَاْتَ الْقُرْاٰنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٩﴾ اِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَلٰى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٠٠﴾ اِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠١﴾ وَاِذَا بَدَّلْنَا اٰيَةً مَكَانَ اٰيَةٍ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا اِنَّمَا اَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرٰى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٣﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ اَنَّهُمْ يَقُولُونَ اِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ اِلَيْهِ اَعْجَمِيٌّ وَهٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٤﴾ اِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللّٰهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ اِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَاُولٰئِكَ هُمُ

بالله او بسبب الشيطان مشركون واذا بدلنا آية مكان آية بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا او حكما والله اعلم بما ينزل من المصالح فلعل ما يكون مصلحة في وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو ينزل بالتخفيف قالوا اي الكفرة انما انت مفتر متقول على الله تأمر بشيء ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله اعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز ان يكون حالا بل اكثرهم لا يعلمون حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قل نزله روح القدس يعني جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفي ينزل ونزله تنبيه على انزاله مدرجا على حسب المصالح مما يقتضي التبديل من ربك بالحق ملتبسا بالحكمة ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه وانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر يعنون جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسي لسان الذي يلحدون اليه اعجمي لغة الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائي يلحدون بفتح الياء والحاء لسان اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان

وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين احدهما ان ما يسمعه منه كلام اعجمي لا يفهمه هو ولا انتم والقرآن عربي تفهمونه بادنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب انه يفهم منه المعنى باستماع كلامه ولكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذاك اعجمي وهذا عربي والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع ان العلوم الكثيرة التي في القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق في تلك العلوم مدة متطاولة فكيف يعلم جميع ذلك من غلام سوقي سمع منه بعض اوقات مروره عليه كلمات اعجمية تعلمها لم يعرف معناها وطعنهم في القرآن بامثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يصدقون انها من عند الله لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة ولهم عذاب اليم في الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه واولئك اشارة الى الذين كفروا او الى قريش

الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ
وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ
أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ
كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ
مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا

هم الكاذبون اى الكاذبون على الحقيقة اوالكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات اعظم الكذب اوالذين عادتهم الكذب لايصرفهم عنه دين ولا مروءة اوالكاذبون فى قولهم انما انت مفتر انما يعلمه بشر من كفر بالله من بعد ايمانه بدل من الذين لايؤمنون وما بينهما اعتراض اومن اولئك اومن الكاذبون اومبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب ويجوز ان ينتصب بالذم وان تكون من شرطية محذوفة الجواب الا من اكره على الافتراء اوكلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان وقلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من شرح بالكفر صدرا اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم اذ لا اعظم من جرمه روى ان قريشا اكرهوا عمارا وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين ووجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين فى الاسلام واعطاهم عمار بلسانه ما ارادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من فرقه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال مالك ان عادوا لك فعدلهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه لما روى ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فىّ فقال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله قال فما تقول فىّ قال انا اصم فاعاد عليه ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثانى فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان اوالوعيد بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة بسبب انهم آثروها عليها وان الله لايهدى القوم الكافرين اى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان ولا يعصمهم من الزيغ اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتأمل فيه واولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة عما يراد بهم اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا اى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح اى بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمى اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا وصبروا على الجهاد وما اصابهم من المشاق ان ربك من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما فعلوا قبل رحيم منعم عليهم مجازاة على ما صنعوا بعد يوم تأتى كل نفس منصوب برحيم اوباذكر تجادل عن نفسها تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى وتوفى كل نفس ما عملت جزاء ما عملت وهم لايظلمون لاينقصون اجورهم وضرب الله مثلا قرية اى وجعلها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا فانزل الله بهم النقمة اولمكة كانت آمنة مطمئنة لايزعج اهلها خوف يأتيها رزقها اقواتها رغدا واسعا

من كل مكان من نواحيها فكفرت بانعم الله بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فاذاقها الله لباس الجوع والخوف استعار الذوق لادراك اثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف واوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه واضاف اليه الغمر الذي هو وصف المعروف والنوال لا وصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار بما كانوا يصنعون بصنيعهم ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فاخذهم العذاب وهم ظالمون اي حال التباسهم بالظلم والعذاب ما اصابهم من الجدب الشديد او وقعة بدر فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم عليه بما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا لهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة ان كنتم اياه تعبدون تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لما امرهم بتناول ما احل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم ان ما عداها حل لهم ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام كما قالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية وسياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات في الاجناس الاربعة الا ما اقيم عليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلا تقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او متعلق بتصف على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام او مفعول لا تقولوا والكذب منتصب بتصف وما مصدرية اي ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي ولا تحرموا ولا تحللوا بمجرد قول تنطق به السنتكم من غير دليل ووصف السنتهم بالكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب او كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم او بمعنى الكلم الكواذب لتفتروا على الله الكذب تعليل لا يتضمن الغرض ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله متاع قليل اي ما يفترون لاجله او ما هم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب ولهم عذاب اليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك اي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر من قبل متعلق بحرمنا او بقصصنا وما ظلمناهم بالتحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة

مِن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٤﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٥﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ

ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة بسببها او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها من بعد التوبة لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على الانابة ان ابراهيم كان امة لكماله واستجماعه فضائل لا تكاد توجد الا متفرقة في اشخاص كثيرة كقوله وليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وهو عليه السلام رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وابطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما احله او لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته لقوله اني جاعلك للناس اماما قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن الباطل ولم يك من المشركين كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم صلوات الله عليه شاكرا لانعمه ذكر بلفظ القلة للتنبيه على انه كان لا يخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة اجتبيه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم في الدعوة الى الله

كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢١﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٣﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٥﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ

وآتيناه في الدنيا حسنة بان حببه الى الناس حتى ان ارباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه اولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة وانه في الآخرة لمن الصالحين لمن اهل الجنة كما ساله بقوله والحقني بالصالحين ثم اوحينا اليك يا محمد وثم اما لتعظيمه والتنبيه على ان اجل ما اوتي ابراهيم اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ملته او لتراخي ايامه ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد اخرى والمجادلة مع كل احد على حسب فهمه وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت تعظيم السبت والتخلي فيه للعبادة على الذين اختلفوا فيه اي على نبيهم وهم اليهود امرهم موسى عليه السلام ان يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فابوا الا طائفة منهم وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم ههنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله تعالى وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمجازاة على الاختلاف او بمجازاة كل فريق من الآبين والمعظمين بما يستحقه ادع من بعثت اليهم الى سبيل ربك الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم وجادلهم وجادل معانديهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التي هي اشهر فان ذلك انفع في تسكين لهبهم وتبيين شغبهم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اي انما عليك البلاغ والدعوة واما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله اعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازي لهم وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به لما امره بالدعوة وبين طرقها اشار اليه والى من شايعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح في دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه الصلاة

والسلام لما رأى حمزة وقد مثل به قال والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على ان للمقتص ان يماثل الجاني وليس له ان يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله ولئن صبرتم لهو اي الصبر خير للصابرين من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال واصبر وما صبرك الا بالله الا بتوفيقه وتثبيته ولا تحزن عليهم على الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم ولا تك في ضيق مما يمكرون في ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير في ضيق بالكسر هنا وفي النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز ان يكون الضيق تخفيف ضيق ان الله مع الذين اتقوا المعاصي والذين هم محسنون في اعمالهم بالولاية والفضل او مع الذين اتقوا الله بتعظيم امره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه

اِعْلَمُ بِالْمُهْتَدِيْنَ ۝ وَاِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوْا بِمِثْلِ مَا عُوْقِبْتُمْ بِهٖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصّٰبِرِيْنَ ۝ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ اِلَّا بِاللّٰهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِيْ ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُوْنَ ۝ اِنَّ اللّٰهَ مَعَ الَّذِيْنَ اتَّقَوْا وَّالَّذِيْنَ هُمْ مُّحْسِنُوْنَ ۝

سُورَةُ اسْرٰى مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَاِحْدٰى عَشَرَ اٰيَةً

١٧

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سُبْحٰنَ الَّذِيْٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِيْ بٰرَكْنَا حَوْلَهٗ لِنُرِيَهٗ مِنْ اٰيٰتِنَا اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ ۝ وَاٰتَيْنَا مُوْسَى الْكِتٰبَ وَجَعَلْنٰهُ هُدًى لِّبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ اَلَّا تَتَّخِذُوْا مِنْ دُوْنِيْ وَكِيْلًا ۝ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا

عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات يوم تلاها اوليلته كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية سورة بني اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهي مائة وعشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان اسم بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة ويمنع الصرف قال قد قلت لما جاءني فخره سبحان من علقمة الفاخر وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد واسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل اي بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به من المسجد الحرام بعينه لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل بالبراق او من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد او لانه محيط به ليطابق المبدأ المنتهى لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت ام هاني بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لي النبيون فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام واخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلي له فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون العير الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف في انه كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده والاكثر على انه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفي كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى في اقل من ثانية وقد برهن في الكلام ان الاجسام متساوية في قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر ان يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات الى المسجد الاقصى بيت المقدس لانه حينئذ لم يكن وراءه مسجد الذي باركنا حوله ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالانهار والاشجار لنريه من آياتنا كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم البصير بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ان لا تتخذوا على ان لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا وقرأ ابو عمرو بالياء على لئلا يتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه اموركم غيري ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء ان قرئ ان لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا مع نوح او على انه احد مفعولي لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وبدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم في انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام في السفينة

انه ان نوحا عليه السلام كان عبداً شكوراً يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام وقضينا الى بنى اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا فى الكتاب فى التورية لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف او قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم مرتين افسادتين اولاهما مخالفة احكام التوراة وقتل شعياء وثانيتهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علواً كبيراً ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى او لتظلمن الناس فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا بخت نصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى اولى بأس شديد ذوى قوة وبطش فى الحرب شديد فجاسوا ترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء وهما اخوان خلال الديار وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله

مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ

الكافر على ذلك اولوا البعث بالتخلية وعدم المنع وكان وعداً مفعولا وكان وعد عقابهم لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم وذلك بان القى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد اسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو ان احسنتم احسنتم لانفسكم لان ثوابه لها وان اسأتم فلها فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة وعد عقوبة المرة الآخرة ليسوؤا وجوهكم اى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم اى ليجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره اولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وابو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد او البعث او لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ ليسوءن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة وليسوءن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على انه جواب اذا واللام فى قوله وليدخلوا المسجد متعلق بمحذوف هو بعثناهم كما دخلوه اول مرة وليتبروا ليهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم تتبيرا وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة اخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جوذرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل ان لا ابقى احدا منهم فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الاخرى وان عدتم نوبة اخرى عدنا مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة واجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا محبسا لا يقدرون على الخروج منها ابد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير ان هذا القرآن يهدى للتى هى اقوم للحالة او الطريقة التى هى اقوم الحالات او الطرق ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف

يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا

وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطفا على ان لهم اجرا كبيرا والمعنى انه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر باضمار يخبر ويدع الانسان بالشر ويدع الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله اويدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر دعاءه بالخير مثل دعائه بالخير وكان الانسان عجولا يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه السلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى انه عليه السلام دفع اسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لانينه فارخت اكتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما انا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائي رحمة له فنزلت ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحارث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه يوم بدر صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره فمحونا آية الليل اى الآية التي هي الليل بالاشراق والاضافة فيها للتبيين كاضافة العدد الى المعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة او مبصرة للناس من ابصره فبصر او مبصرا اهله كقولهم اجبن الرجل اذا كان اهله جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين او جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحو آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة النور او نقص نورها شيئا فشيئا الى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع تبصر الاشياء بضوئها لتبتغوا فضلا من ربكم لتطلبوا في بياض النهار اسباب معاشكم وتتوصلوا به الى استبانة اعمالكم ولتعلموا باختلافهما او بحركتهما عدد السنين والحساب وجنس الحساب وكل شيء تفتقرون اليه في امر الدين والدنيا فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس وكل انسان الزمناه طائره عمله وما قدر له كانه طير اليه من عش الغيب ووكر القدر لما كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله وعمل العبد في عنقه لزوم الطوق في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا هي صحيفة عمله او نفسه المنتقشة بآثار اعماله فان الافعال الاختيارية تحدث في النفس احوالا ولذلك يفيد تكريرها لها ملكات ونصبه بانه مفعول او حال من مفعول محذوف هو ضمير الطائر ويعضده قراءة يعقوب ويخرج من خرج يخرج وقرئ ويخرج اى الله تعالى يلقاه منشورا لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على البناء للمفعول من لقيته كذا اقرأ كتابك على ارادة القول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اى كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لانه اما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا او بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعي ما اهمه وتذكيره على ان الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال او على تأويل النفس بالشخص من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها لا ينجي اهتداؤه غيره ولا يردي ضلاله سواه ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس اخرى بل انما تحمل وزرها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة وفيه دليل على ان لا وجوب قبل الشرع واذا اردنا ان نهلك قرية واذا تعلقت ارادتنا باهلاك قوم لانفاذ قضائنا السابق او دنا وقته المقدر كقولهم اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة امرنا مترفيها متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه اليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فان الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل امرناهم بالفسق لقوله

ففسقوا فيها كقولك امرته فقرأ فانه لا يفهم منه الا الامر بالقراءة على ان الامر مجاز من الحمل عليه او التسبب له بان صب عليهم من النعم ما ابطرهم وافضى
بهم الى الفسوق ويحتمل ان لا يكون له مفعول منوي كقولهم امرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال امرت الشئ وامرته فامر اذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة
مأبورة ومهرة مأمورة اى كثيرة النتاج وهو ايضا مجاز من معنى الطلب ويؤيده قرآءة يعقوب آمرنا ورواية امّرنا عن ابي عمرو ويحتمل ان يكون منقولا من امر
بالضم امارة اى جعلناهم امرآء وتخصيص المترفين لان غيرهم يتبعهم ولانهم اسرع الى الحماقة واقدر على الفجور فحق عليها القول يعنى كلمة العذاب السابقة بحلوله
او بظهور معاصيهم او بانهماكهم في المعاصي فدمرناها تدميرا اهلكناها باهلاك اهلها وتخريب ديارهم وكم اهلكنا وكثيرا اهلكنا من القرون
بيان لكم وتمييز له من بعد نوح كعاد وثمود وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه

فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا
مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا
بَصِيرًا ﴿١٨﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ
لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٩﴾
وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿٢٠﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ
مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾ انْظُرْ
كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ
وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢٢﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ
مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٣﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا

من كان يريد العاجلة مقصورا عليها همه عجلنا له فيها ما نشاء لمن
نريد قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه
ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل
من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة
وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن اراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين
كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم
ونحوها ثم جعلنا له جهنم يصليها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة
الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها حقها من السعي وهو
الاتيان بما امر به والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم
وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا
لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة فاولئك الجامعون للشروط
الثلثة كان سعيهم مشكورا من الله تعالى اى مقبولا عنده مثابا
عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة كلا كل واحد من الفريقين
والتنوين بدل من المضاف اليه نمد بالعطاء مرة بعد اخرى ونجعل
آنفه مددا للسالف هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء ربك
من معطاه متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا لا يمنعه
في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال وللآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا اى التفاوت في الآخرة اكبر لان التفاوت فيها بالجنة
ودرجاتها والنار ودركاتها لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب
للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته او لكل احد فتقعد فتصير
من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة او فتعجز من قولهم
قعد عن الشئ اذا عجز عنه مذموما مخذولا جامعا على نفسك
الذم من الملئكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه

ان الموحد يكون ممدوحا منصورا وقضى ربك وامر امرا مقطوعا به ان لا تعبدوا بان لا تعبدوا الا اياه لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن
له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية وبالوالدين احسانا وبان تحسنوا او
واحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز ان تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه اما يبلغن عندك
الكبر احدهما او كلاهما اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل واحدهما فاعل يبلغن او بدل على قراءة
حمزة والكسائى من الف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا او بدلا ولذلك لم يجز ان يكون تأكيدا للالف ومعنى
عندك ان يكونا في كنفه وكفالته

فلا تقل لهما اف فلا تتضجر مما يستقذر منهما ولا تستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل اسم الفعل الذى هو اتضجر وهو مبنى على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه فى قراءة نافع وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر انواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لا يملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل ابيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما ولا تنهرهما ولا تزجرهما عما لا يعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا لا شراسة فيه واخفض لهما جناح الذل تذلل لهما وتواضع معهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة اذا اصبحت بيد الشمال زمامها للشمال يدا وللقرة زماما وامره بخفضه مبالغة او اراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما اضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول من الرحمة من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان افقر خلق الله تعالى اليهما بالامس وقل رب ارحمهما وادع الله تعالى ان يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة ان يهديهما كما ربيانى صغيرا رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما ربكم اعلم بما فى نفوسكم من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكانه تهديد على ان يضمر لهما كراهة واستثقالا ان تكونوا صالحين قاصدين للصلاح فانه كان للاوابين للتوابين غفورا ما فرط منهم عند حرج الصدر من اذية او تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز ان يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على ابويه اندراجا اوليا لوروده على اثره وات ذا القربى حقه من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال ابو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء ان ينفق عليهم وقيل المراد بذا القربى اقارب الرسول صلى الله عليه وسلم والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا بصرف المال فيما لا ينبغى وانفاقه على وجه الاسراف واصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف فقال او فى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين امثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر او اصدقاءهم واتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون اموالهم فى السمعة فنهاهم الله تعالى عن ذلك وامرهم بالانفاق فى القربات وكان الشيطان لربه كفورا مبالغا فى الكفر به فما ينبغى ان يطاع واما تعرضن عنهم وان اعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز ان يراد بالاعراض عنهم ان لا ينفعهم على سبيل الكناية ابتغاء رحمة من ربك

ترجوها لانتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك فتعطيه او منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز ان يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى فقل لهم قولا ميسورا اى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل اغناكم الله تعالى ورزقنا الله واياكم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما امرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم فتقعد ملوما فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير محسورا نادما او منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل له ان امى تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا الصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله

ان

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم سرهم
وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد ان البسط والقبض من امر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فاما العباد فعليهم ان يقتصدوا او انه تعالى يبسط تارة ويقبض
اخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وان يكون تمهيدا لقوله تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق مخافة الفاقة وقتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم
مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم ارزاقهم فقال نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطء الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما
وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من اخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه او مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء
في قوله تخاطأه القناص حتى وجدته وخرطومه في منقع الماء راسب وهو مبني عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا ولا تقربوا الزنى بالعزم

وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ
إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُ
كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾
وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا
كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ
تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ
وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ
فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾

والاتيان بالمقدمات فضلا ان تباشروه انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح
زائدته وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدي الى
قطع الانساب وتهييج الفتن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا باحدى
ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا ومن قتل مظلوما
غير مستوجب للقتل فقد جعلنا لوليه للذي يلي امره بعد وفاته وهو الوارث
سلطانا تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من قتله او بالقصاص على القاتل
فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما
فلا يسرف اى القاتل في القتل بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل
ما يعود عليه بالهلاك او الولي بالمثلة او قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة ابي
فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائي فلا تسرف على خطاب احدهما انه كان منصورا
علة النهي على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور في الدنيا بثبوت القصاص
بقتله وفي الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث اوجب القصاص
له وامر الولاة بمعونته واما للذي يقتله الولي اسرافا بايجاب القصاص والتعزير
والوزر على المسرف ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن ان تتصرفوا فيه الا بالتي
هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن بان تحميه او تثمره حتى يبلغ اشده غاية
لجواز التصرف الذي دل عليه الاستثناء واوفوا بالعهد بما عاهدكم الله من
تكاليفه او ما عاهدتموه وغيره ان العهد كان مسئولا مطلوبا يطلب من المعاهد
ان لا يضيعه ويفي به او مسئولا عنه يسال الناكث ويعاتب عليه او يسأل العهد
لم نكثت تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز
ان يراد ان صاحب العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم ولا تبخسوا فيه
وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوي وهو رومي عرب ولا يقدح ذلك
في عربية القرآن لان العجمي اذا استعملته العرب واجرته مجرى كلامهم في الاعراب
والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائي وحفص
بكسر القاف هنا وفي الشعراء ذلك خير واحسن تأويلا واحسن عاقبة تفعيل من

آل اذا رجع ولا تقف ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف اثره اذا قفاه ومنه القافة ما ليس لك به علم ما لم يتعلق به علمك تقليدا او رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه ان
المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا او ظنا واستعماله بهذا المعنى شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة
والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وقول الكميت ولا ارمي البريء بغير ذنب ولا اقفو الحواصن ان قفينا ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك
اى كل هذه الاعضاء فاجراها مجرى العقلاء لما كانت مسئولة عن احوالها شاهدة على صاحبها هذا وان اولاء وان غلب في العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله والعيش
بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا في ثلاثتها ضمير كل اى كان كل واحد منها مسئولا عن نفسه يعني عما فعل به صاحبه ويجوز ان يكون الضمير في عنه لمصدر لا تقف او لصاحب السمع والبصر وقيل مسئولا
مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسأل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على ان العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح

ولا تمش في الارض مرحا اى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم ابلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت انك لن تخرق الارض لن تجعل فيها خرقا لشدة وطئتك ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل النهي بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس في التذلل كل ذلك اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى ولا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها المكتوبة في الواح موسى عليه السلام كان سيئه يعني المنهي عنه فان المذكورات مأمورات ومناهي وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على انها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهي عنه خاصة وعلى هذا قوله عند ربك مكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به ويجوز ان ينتصب مكروها على الحال من المستكن في كان او في الظرف على انه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضي لا ما يقابل المراد لقيام القاطع على ان الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى ذلك اشارة الى الاحكام المتقدمة مما اوحى اليك ربك من الحكمة التي هي معرفة الحق لذاته والخير

كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴿٣٨﴾ ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ﴿٣٩﴾ افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ﴿٤٠﴾ ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا ﴿٤١﴾ قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ﴿٤٢﴾ سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا ﴿٤٣﴾ تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا ﴿٤٤﴾ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ﴿٤٥﴾ وجعلنا على

للعمل به ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على ان التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له لا يفيد عمله ومن قصد بفعله او تركه غيره ضاع سعيه وانه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه اولا ما هو غاية الشرك في الدنيا وثانيا ما هو نتيجته في العقبى فقال تعالى فتلقى في جهنم ملوما تلوم نفسك مدحورا مبعدا من رحمة الله تعالى افاصفاكم ربكم بالبنين خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى افخصكم ربكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا بنات لنفسه هذا خلاف ما عليه عقولكم وعادتكم انكم لتقولون قولا عظيما باضافة الاولاد اليه وهي خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل انفسكم عليه حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من اشرف الخلق دونهم ولقد صرفنا كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير في هذا القرآن في مواضع منه ويجوز ان يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول في هذا المعنى او اوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف ليذكروا ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائي هنا وفي الفرقان ليذكروا من الذكر الذي هو بمعنى التذكر وما يزيدهم الا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة اليه قل لو كان معه آلهة كما تقولون ايها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده على ان الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم

ووافقهما نافع وابن عامر وابو عمرو وابو بكر ويعقوب في الثانية على ان الاولى مما امر الرسول صلى الله عليه وسلم ان يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض او بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه ينزه تنزيها وتعالى عما يقولون علوا تعاليا كبيرا متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص

ما يمتنع بقاؤه تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم تسبيحهم ويجوز ان يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى ما يتصور منه اللفظ والى ما لا يتصور منه وعليهما عند من جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وابو بكر يسبح بالياء انه كان حليما حين لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم غفورا لمن تاب منكم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا يحجبهم عن فهم ما تقرأه عليهم مستورا ذا ستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم او مستورا عن الحس او بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون انهم لا يفهمون نفى عنهم ان يفهموا ما انزل عليهم من الآيات بعد ما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة في الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله

وجعلنا على قلوبهم أكنة تكنها وتحول دونها عن إدراك الحق وقبوله أن يفقهوه كراهة أن يفقهوه ويجوز أن يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أي منعناهم أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا يمنعهم عن استماعه استماع تأمل في لفظه وتدبر في معناه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وإدراك اللفظ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده أو بمعنى واحدا وحده ولوا على أدبارهم نفورا هربا من استماع التوحيد ونفرة أو توليه ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود نحن أعلم بما يستمعون به بسببه ولأجله من الهزء بك وبالقرآن إذ يستمعون إليك ظرف لأعلم وكذا وإذ هم نجوى أي نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون إليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نجي إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا مقدر باذكر أو بدل من إذ هم نجوى على وضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من الظلم والمسحور هو الذي سحر به فزال عقله وقيل الذي له سحر وهو الرئة أي إلا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم انظر كيف ضربوا لك الأمثال مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون فضلوا عن الحق في جميع ذلك فلا يستطيعون سبيلا إلى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير في أمره لا يدري ما يصنع أو إلى الرشاد وقالوا أإذا كنا عظاما ورفاتا وحطاما أإنا لمبعوثون خلقا جديدا على الإنكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لأن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال قل جوابا لهم كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم أي مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شيء منها فإن قدرته تعالى لا تقصر عن إحيائكم لاشتراك الأجسام في قبول الأعراض فكيف إذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحيوة قبل والشيء أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة وكنتم ترابا وما هو أبعد منه من الحياة فسينغضون إليك رؤسهم فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا فإن كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أي يكون في زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر يوم يدعوكم فتستجيبون أي يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما وأن المقصود منهما الإحضار للمحاسبة والجزاء بحمده حال منهم أي حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل إنهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه وتظنون إن لبثتم إلا قليلا وتستقصرون مدة لبثكم في القبور كالذي مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول وقل لعبادي


يعني المؤمنين يقولوا التي هي أحسن الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٧﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٨﴾ انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٥٠﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥١﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥٢﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٣﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ



يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ
زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ
كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ
وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ
إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا
شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا
أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ

ان الشيطان ينزغ بينهم يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضى الى العناد وازديا د الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ظاهر العداوة
ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اى قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من اهل النار فانه
يهيجهم على الشر مع ان ختام امرهم غيب لا يعلمه الا الله وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك مبشرا ونذيرا
فدارهم وامر اصحابك بالاحتمال منهم روى ان المشركين افرطوا فى ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم عمر رجل منهم فهم به فامره الله
بالعفو وربك اعلم بمن فى السموات والارض وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان
يكون العراة الجوع اصحابه ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل النفسانية والتبرى من العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود
عليه السلام فان شرفه بما اوحى اليه من الكتاب لا بما اوتيه من الملك
وقيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
وآتينا داود زبورا تنبيه على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء
وامته خير الامم المدلول عليه بما كتب فى الزبور من ان الارض يرثها
عبادى الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه فى قوله ولقد كتبنا فى
الزبور لانه فى الاصل فعول للمفعول كالحلوب او المصدر كالقبول ويؤيده
قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس او الفضل او لان المراد وآتينا داود بعض
الزبر او بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة والسلام قل
ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه كالملائكة والمسيح وعزير
فلا يملكون فلا يستطيعون كشف الضر عنكم كالمرض والفقر
والقحط ولا تحويلا ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم اولئك
الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة هؤلاء الآلهة يبتغون الى
الله القربة بالطاعة ايهم اقرب بدل من واو يبتغون اى يبتغى
من هو اقرب منهم الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه كسائر العباد فكيف تزعمون انهم آلهة ان عذاب
ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل احد حتى الرسل والملائكة
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة بالموت والاستئصال
او معذبوها عذابا شديدا بالقتل وانواع البلية كان ذلك فى الكتاب
فى اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا وما منعنا ان نرسل
بالآيات وما صرفنا عن ارسال الآيات التى اقترحتها قريش الا ان
كذب بها الاولون الا تكذيب الاولين الذين هم امثالهم
فى الطبع كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك
واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا ان
لا نستأصلهم لان فيهم من يؤمن او يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب
الآيات المقترحة فقال وآتينا ثمود الناقة بسؤالهم

مبصرة بينة ذات ابصار او بصائر او جاعلتهم ذوى بصائر وقرئ بالفتح فظلموا بها فكفروا بها او فظلموا انفسهم بسبب عقرها وما نرسل بالايات اى بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل او بغير المقترحة كالمعجزات وايات القرآن الا تخويفا بعذاب الاخرة فان امر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيمة والباء مزيدة او فى موقع الحال والمفعول محذوف واذ قلنا لك واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس فهم فى قبضة قدرته او احاط بقريش بمعنى اهلكهم من احاط بهم العدو فهو بشارة بوقعة بدر والتعبير بلفظ الماضى لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا التى اريناك ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية او عام الحديبية حين رأى انه دخل مكة وفيه ان الاية مكية الا ان يقال رأها بمكة وحكاها حينئذ ولعله رؤيا رأها فى وقعة بدر لقوله اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى انه عليه السلام لما ورد ماءه قال لكانى انظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى امية يرقون منبره وينزون

النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي

عليه نزو القردة فقال هو حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله الا فتنة للناس ما حدث فى ايامهم والشجرة الملعونة فى القرآن عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر ان يحمى وبر السمندل من ان تاكله النار واحشاء النعامة من اذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها ووصفت به على المجاز للمبالغة او وصفها بانها فى اصل الجحيم فانه ابعد مكان من الرحمة او بانها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد اولت بالشيطان وابى جهل والحكم بن ابى العاصى وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك ونخوفهم بانواع التخويف فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا الا عتوا متجاوز الحد واذ قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض ويجوز ان يكون حالا من الراجع الى الموصول اى خلقته وهو طين او منه اى ءاسجد له واصله طين وفيه على الوجوه ايماء بعلة الانكار قال ارأيتك هذا الذى كرمت على الكاف لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول اول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى اخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على لئن اخرتنى الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه لاحتنكن ذريته الا قليلا اى لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا اقدر ان اقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا ماخوذا من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملئكة اتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير او تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب قال اذهب امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون الخطاب للتابعين على الالتفات جزاء موفورا مكملا من قولهم فر

لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله او بما فى جزاؤكم من معنى تجازون او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز واستخف من استطعت منهم ان تستفزه والفز الخفيف بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح بخيلك ورجلك باعوانك من راجل وراكب والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب ويجوز ان يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من اماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك وشاركهم فى الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى والاولاد بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة لطول الامل

وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان مواعيده والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب ان عبادى يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد في قوله الا عبادك منهم المخلصين يخصصهم ليس لك عليهم سلطان اى على اغوائهم قدرة وكفى بربك وكيلا يتوكلون به فى الاستعاذة منك على الحقيقة ربكم الذى يزجى هو الذى يجرى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله الربح وانواع الامتعة التى لا تكون عندكم انه كان بكم رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من اسبابه واذا مسكم الضر فى البحر خوف الغرق ضل من تدعون ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه الا اياه او ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله فلما نجاكم من الغرق الى البر اعرضتم عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة عطاء فتى تمكن فى المعالى فاعرض فى المكارم واستطالا وكان الانسان كفورا كالتعليل للاعراض افأمنتم الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر ان يهلككم فى البحر بالغرق قادر ان يهلككم فى البر بالخسف وغيره. ان يخسف بكم جانب البر ان يقلبه الله وانتم عليه او يقلبه بسببكم فبكم حال او صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على انهم لما وصلوا الساحل كفروا واعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من اسباب الهلاك او يرسل عليكم حاصبا ريحا تحصب اى ترمى بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله ام امنتم ان يعيدكم فيه فى البحر تارة اخرى بخلق دواعى تلجئكم الى ان ترجعوا فتركبوه فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشئ الا قصفته اى كسرته فيغرقكم وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب اشراككم او كفرانكم نعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يتبعنا بانتصار او صرف ولقد كرمنا بنى ادم بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى اسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وحملناهم فى البر والبحر على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه او حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء ورزقناهم من الطيبات المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا بالغلبة والاستيلاء او بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملئكة او الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد اول الكثير بالكل وفيه تعسف يوم ندعوا نصب باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعوا ويدعى ويدعوا على قلب الالف واوا فى لغة من يقول افعوا او على ان الواو علامة الجمع كما فى قوله واسروا النجوى الذين ظلموا او ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما يدعى كل اناس بامامهم بمن ائتموا به من نبى او مقدم فى الدين او كتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا اى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وافعالهم وقيل بامهاتهم جمع ام كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وان لا يفتضح اولاد الزنى فمن اوتى من المدعوين كتابه بيمينه اى كتاب عمله فاولئك يقرؤن كتابهم ابتهاجا وتبجحا بما يرون فيه

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ

ولايظلمون فتيلا ولاينقصون من اجورهم ادنى شيء وجمع اسم الاشارة والضمير لان من اوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على ان من اوتى كتابه بشماله اذا اطلع على ما فيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس السنتهم من القراءة ولذلك لم يذكرهم مع ان قوله ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى ايضا مشعر بذلك فان الاعمى لايقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا اعمى القلب لايبصر رشده كان فى الاخرة اعمى لايرى طريق النجاة واضل سبيلا منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الالة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لاينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله ابو عمرو ويعقوب فان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم المتوسطة كما فى اعمالكم بخلاف النعت فان الفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد امالهما حمزة والكسائى وابو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما وان كادوا ليفتنونك نزلت فى ثقيف قالوا لاندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لانعشر ولانحشر ولانحنى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى وقيل فى قريش قالوا لانمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشان قاربوا بمبالغتهم ان يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال عن الذى اوحينا اليك من الاحكام لتفترى علينا غيره غير ما اوحينا اليك واذا لاتخذوك خليلا ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك وليا لهم بريئا من ولايتى ولولا ان ثبتناك ولولا تثبيتنا اياك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت ان تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن ادركتك عصمتنا فمنعت ان تقرب من الركون فضلا عن ان تركن اليهم وهو صريح فى انه عليه السلام ما هم باجابتهم مع قوة الداعى اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه اذا لاذقناك اى لو قاربت لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات اى عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطاء الخطير اخطر وكان اصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من اسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لاتجد لك علينا نصيرا يدفع العذاب عنك وان كادوا وان كاد اهل مكة ليستفزونك ليزعجونك بمعاداتهم من الارض ارض مكة ليخرجوك منها واذا لايلبثون خلافك ولو خرجت لايبقون بعد خروجك الا قليلا الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الاية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك فى قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلى بنو النضير بقليل وقرئ لايلبثوا منصوبا باذا على انه معطوف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان

يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ
أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا
لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ
إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ
الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ
مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا
﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا
تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ
الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ
نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ

اذا لاتعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر اى سن الله ذلك سنة وهو ان يهلك كل امة اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من اجلهم ويدل عليه ولاتجد لسنتنا تحويلا اى تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام اتانى جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بى الظهر وقيل لغروبها واصل التركيب للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لاتستقر يده وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت مثلها لثلاث خلون الى غسق الليل الى ظلمته وهو وقت صلوة العشاء الاخيرة وقرآن الفجر وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز ان يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة فى صلاة الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفى غيرها قياسا

انّ قرآن الفجر كان مشهودا تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار او شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي هو اخو الموت بالانتباه او كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم
الغفير والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدأ الوقت
ومنتهاه واستدل به على ان الوقت يمتد الى غروب الشفق ومن الليل فتهجد به وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير للقرآن نافلة لك فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة او فضيلة
لك لاختصاص وجوبه بك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام يتضمن كرامة والمشهور انه مقام الشفاعة لما روى ابو هريرة رضى
الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال هو المقام الذي اشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله اي فيقيمك
مقاما او بتضمين يبعثك معناه او الحال بمعنى ان يبعثك ذا مقام وقل رب ادخلني اي في القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اخراجا ملقى

أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨١﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٢﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٣﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٤﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٧﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٨﴾ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ

بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها
واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله
فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل ما يلابسه
من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني فادخل دخولا
واخرجني فاخرج خروجا واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من
خالفني او ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون
ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق الاسلام و
زهق الباطل وذهب وهلك الشرك من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان
زهوقا مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود انه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم
الفتح وفيها ثلاثمائة وستون صنما فجعل ينكث بمخصرة في عين واحد واحد منها فيقول
جاء الحق وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق
الكعبة وكان من صفر فقال يا علي ارم به فصعد فرمى به وكسره وننزل من القرآن
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ما هو في تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء
الشافي للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انها للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي
من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف ولا يزيد الظالمين
الا خسارا لتكذيبهم وكفرهم به واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة
اعرض عن ذكر الله ونأى بجانبه لوى عطفه وبعد بنفسه عنه كانه مستغن
مستبد بامره ويجوز ان يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين
وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفي فصلت وناء على القلب او على انه بمعنى نهض
واذا مسه الشر من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله قل كل
يعمل على شاكلته قل كل احد يعمل على طريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة
او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا اسد
طريقا وابين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك
عن الروح الذي يحيى به بدن الانسان ويدبره قل الروح من امر ربي من الابداعيات
الكائنة بكن من غير مادة وتولد من اصل كاعضاء جسده او وجد بامره وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى ان اليهود قالوا
لقريش سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح
وهو مبهم في التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق اعظم من الملك وقيل القرآن ومن امر ربي معناه من وحيه وما اوتيتم من العلم الا قليلا تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب
العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشياء لا يدركه الحس ولا شيئا من احواله
المعرفة لذاته وهو اشارة الى ان الروح مما لا يمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب
العالمين بذكر بعض صفاته روى انه عليه الصلاة والسلام

لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وما قالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير والحق ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لا نهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك اللام الاولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور ثم لا تجد لك به علينا وكيلا من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز ان يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله ان فضله كان عليك كبيرا كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن

لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ
النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا
مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ
فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ
عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ
يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ
لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي
هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ
الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَ فِي
الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ

فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى لا يأتون بمثله وفيهم العرب العرباء وارباب البيان واهل التحقيق وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولا هى لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير وان اتاه خليل يوم مسئلة يقول لا غائب مالى ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة ولانهم كانوا وسائط فى اتيانه ويجوز ان تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا ولقد صرفنا كررنا بوجوه مختلفة زيادة فى التقرير والبيان للناس فى هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل فى غرابته ووقوعه موقعا فى الانفس فابى اكثر الناس الا كفورا الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا تعنتا واقتراحا بعد ما الزمهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض ارض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او يكون لك بستان يشتمل على ذلك او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعنون قوله تعالى او نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى ويعقوب فى جميع القرآن الا فى الروم وابن عامر الا فى هذه السورة وابو بكر ونافع فى غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدر وسدر او فعل بمعنى مفعول كالطحن او تأتى بالله والملائكة قبيلا كفيلا بما تدعيه او شاهدا على صحته ضامنا لدركه او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر فى قوله ومن يك امسى فى المدينة رحله فانى وقيار بها لغريب او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف من ذهب

وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى فى السماء فى معارجها ولن نؤمن لرقيك وحده حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وكان فيه تصديقك قل سبحان ربى تعجبا من اقتراحاتهم او تنزيها لله من ان يأتى او يتحكم عليه او يشاركه احد فى القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربى اى قال الرسول هل كنت الا بشرا كسائر الناس رسولا كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الآيات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى يتخيروها على هذا هو الجواب المجمل واما التفصيل فقد ذكر فى آيات اخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى وما منعهم الايمان بعد نزول الوحى وظهور الحق الا ان قالوا ابعث الله بشرا رسولا الا قولهم هذا والمعنى انه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم ان يرسل الله بشرا

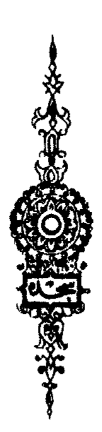
قل جوابا لشبهتهم لوكان فى الارض ملئكة يمشون كما يمشى بنوادم مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لتمكنهم من الاجتماع به والتلقى منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول اوفق قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم على انى رسول اليكم باظهاره المعجزة على وفق دعواى او على انى بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال او التمييز انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعلم احوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يهدونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم يسحبون عليها او يمشون بها روى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالايات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وابوا ان ينطقوا بالصدق ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤوفى القوى والحواس مأواهم جهنم كلما خبت سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم زدناهم سعيرا توقدا بان تبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة فانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بان لا يزالون على الاعادة والافناء واليه اشار بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا لان الاشارة الى ما تقدمه من عذابهم اولم يروا اولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم فانهم ليسوا اشد خلقا منهن ولا الاعادة اصعب عليه من الابداء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه هو الموت او القيامة فابى الظالمون مع وضوح الحق الا كفورا الا جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى خزائن رزقه وسائر نعمه وانتم مرفوع بفعل يفسره ما بعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم خشية الانفاق لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا احد الا ويختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء اغلب فيهم وكان الانسان قتورا بخيلا لان بناء امره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاث الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سئل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرئ الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالايات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الاخرة من السعادة والشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام

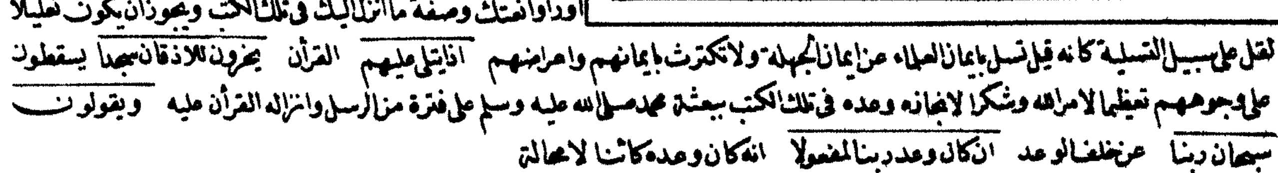
مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٦﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٧﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ
وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ
كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٨﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ
كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ
أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿١٠٠﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ
تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ
وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ



فسئل بني اسرائيل اذ جاءهم فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك او سلهم عن ايمانهم وحال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال على لفظ المضي بغير همز وهو لغة قريش والمتعلق بقلنا او سال على هذه القراءة او فسل يا محمد بني اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم او عن الايات ليظهر للمشركين صدقك اولتتسلى نفسك او لتعلم انه تعالى لو اتى بما اقترحوا لاصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم او ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمانينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا او باضمار يخبروك على انه جواب الامر او باضمار اذكر على الاستئناف فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت يا فرعون وقرا الكسائي بالضم على اخباره عن نفسه ما انزل هؤلاء يعني الايات الا رب السموات والارض بصائر بينات تبصرك صدقي ولكنك تعاند وانتصابه على الحال واني لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما صرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان ما بين الظنين فان ظن فرعون كذب محض وظن موسى يحوم حوم اليقين من تظاهر اماراته وقرئ وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة فاراد فرعون ان يستفزهم ان يستخف موسى وقومه وينفيهم من الارض ارض مصر او الارض مطلقا بالقتل والاستئصال فاغرقناه ومن معه جميعا فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد فرعون واغراقه لبني اسرائيل اسكنوا الارض التي اراد ان يستفزكم منها فاذا جاء وعد الاخرة الكرة او الحياة او الساعة او الدار الاخرة يعني قيام القيامة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اي وما انزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملئكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله اراد به نفي اعتراء البطلان له اول الامر وآخره وما ارسلناك الا مبشرا للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصي من العقاب فلا عليك الا التبشير والانذار وقرآنا فرقناه نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة لتقراه على الناس على مكث على مهل وتؤدة فانه ايسر للحفظ واعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا على حسب الحوادث قل امنوا به اولا تؤمنوا فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصانا وقوله ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل له اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وامارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل اوراوا نعتك وصفة ما انزل اليك في تلك الكتب ويجوز ان يكون تعليلا

بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِيٓ اِسْرَآئِيلَ اِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ اِنِّي لَاَظُنُّكَ يَا مُوسٰى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ اَنْزَلَ هٰٓؤُلَآءِ اِلَّا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ بَصَآئِرَ وَاِنِّي لَاَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَاَرَادَ اَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْاَرْضِ فَاَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِيٓ اِسْرَآئِيلَ اسْكُنُوا الْاَرْضَ فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ الْاٰخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِالْحَقِّ اَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ اَرْسَلْنَاكَ اِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْاٰنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَاَهُ عَلَى النَّاسِ عَلٰى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ اٰمِنُوا بِهِٓ اَوْ لَا تُؤْمِنُوا اِنَّ الَّذِينَ اُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِٓ اِذَا يُتْلٰى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْاَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ اِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ





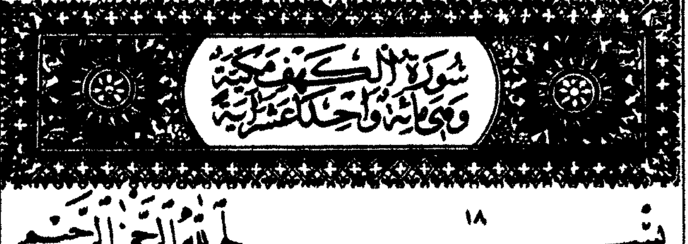
لقل على سبيل التسلية كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم اذا يتلى عليهم القرآن يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله وشكرا لانجازه وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزاله القرآن عليه ويقولون سبحان ربنا عن خلف الوعد ان كان وعد ربنا لمفعولا انه كان وعده كائنا لا محالة

ويخرون للاذقان يبكون كرره لاختلاف الحال والسبب فانا لاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما اثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه اول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به ويزيدهم سماع القرآن خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر او قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله في التورية فالمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بانهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلفا اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو اجوب لقوله اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو للتخيير والتنوين في ايا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتاكيد ما في ايا من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام ولا تجهر بصلاتك بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك سبيلا بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفت ويقول انا اناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمران يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ولي يواليه من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه ان يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه ويقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على انه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المتفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة او منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي ان يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وهي مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه اعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى او انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان قيما مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما او على الحال من الضمير في له او من الكتاب على ان الواو في ولم يجعل للحال دون العطف اذ لو كان للعطف كان المعطوف فاصلا بين بعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما لينذر بأسا شديدا اي لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه من لدنه صادرا من عنده وقرأ ابو بكر باسكان الدال اسكان الباء من سبع مع الاشمام ليدل على اصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هو الجنة ماكثين فيه في الاجر ابدا بلا انقطاع

لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾



١٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَاكِثِينَ

و

فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ

وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره ما لهم به من علم اى بالولد او باتخاذه او بالقول والمعنى انهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب او تقليد لما سمعوه من اوائلهم من غير علم بالمعنى الذى ارادوا به فانهم كانوا يطلقون الاب والابن بمعنى المؤثر والاثر او بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه ولا لآبائهم الذين تقولوه بمعنى التبنى كبرت كلمة عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية تخرج من افواههم صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من افواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك قاتلها على آثارهم اذا ولوا عن الايمان شبهه لما يداخله من الوجد على توليهم بمن فارقه اعزته فهو يتحسر على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث بهذا القرآن اسفا للتأسف عليهم او متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ ان بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية انا جعلنا ما على الارض من الحيوان والنبات والمعادن زينة لها ولاهلها لنبلوهم ايهم احسن عملا فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجى به ايامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد املس لا نبات فيه ام حسبت بل احسبت ان اصحاب الكهف والرقيم فى ابقاء حياتهم مدة مديدة كانوا من آياتنا عجبا وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيئات متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع انه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل او الوادى الذى فيه كهفهم او اسم قريتهم او كلبهم قال امية بن ابى الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهموا والقوم فى الكهف هجدا او لوح رصاصى او حجرى رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل اصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهليهم فاخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال احدهم اذكروا ايكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال احدهم استعملت اجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل اجرهم فغضب احدهم وترك اجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لا اعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال الآخر كان فى فضل واصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فابت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال اجيبى له واغيثى عيالك فاتت وسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت ما لك قالت اخاف الله فقلت لها خفته فى الشدة ولم اخفه فى الرخاء فتركتها واعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى ابوان همان وكانت لى غنم وكنت اطعمهما واسقيهما ثم ارجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم ارح حتى امسيت فاتيت اهلى واخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على ان اوقظهما فوقفت جالسا ومحلبى على يدى حتى ايقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير اذ اوى الفتية الى الكهف يعنى فتية من اشراف الروم ارادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو وهيئ لنا من امرنا من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار رشدا نصير بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت منك اسدا واصل التهيئة احداث هيئة الشئ

فضربنا على آذانهم اى ضربنا عليها حجابا يمنع السماع بمعنى انمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته فى الكهف سنين ظرفان لضربنا عددا اى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه اولا تعلقا استقباليا اى الحزبين المختلفين منهم او من غيرهم فى مدة لبثهم احصى لما لبثوا امدا ضبط امد الزمان لبثهم وما فى اى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدأ واحصى خبره وهو فعل ماض وامدا مفعوله ولما لبثوا حال منه او مفعول له وقيل ان المفعول واللام مزيدة وما موصولة وامدا تمييز وقيل احصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو احصى للمال وافلس من ابن المذلق وامدا نصب بفعل دل عليه احصى كقوله واضرب منا بالسيوف القوانسا نحن نقص عليك نبأهم بالحق بالصدق انهم فتية شبان جمع فتى كصبى وصبية آمنوا بربهم وزدناهم هدى بالتثبت وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجرأة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار اذ قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا والله لقد قلنا قولا اذا شططا اى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم هؤلاء مبتدأ قومنا عطف بيان اتخذوا من دونه آلهة خبره وهو اخبار فى معنى انكار لولا يأتون هلا يأتون عليهم على عبادتهم بسلطان بين ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على ان ما لا دليل عليه من الديانات مردود وان التقليد فيه غير جائز فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ اعتزلتموهم خطاب بعضهم لبعض وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب اى واذ اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز ان تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وان تكون نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم من رحمته فى الدارين ويهيئ لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح وترى الشمس لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا او لان الله تعالى زورها عنه واصله تتزاور فادغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلها من الزور بمعنى الميل ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين واذا غربت تقرضهم تقطعهم وتصرم عنهم ذات الشمال يعنى يمين الكهف وشماله لقوله وهم فى فجوة منه اى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات النعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم ويبلى ثيابهم ذلك من آيات الله اى شأنهم وايواؤهم الى كهف شأنه كذلك او اخبارك قصتهم او ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة من آياته من يهد الله بالتوفيق فهو المهتد الذى اصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم او التنبيه على ان امثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله تعالى للتأمل فيها والاستبصار بها ومن يضلل ومن يخذله فلن تجد له وليا مرشدا من يليه ويرشده وتحسبهم ايقاظا لانفتاح عيونهم او لكثرة تقلبهم وهم رقود نيام ونقلبهم فى رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال كيلا تأكل الارض ما يليها من ابدانهم على طول الزمان وقرئ يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم اى وترى تقلبهم

وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٥﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٦﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٧﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٨﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ

وكلبهم هو كلب مرّوا به فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال انا احب احباء الله فناموا وانا احرسكم او كلب راع مرّوا به فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ
وكالبهم اى وصاحب كلبهم باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذا لم يعمل اسم الفاعل بالوصيد بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة لو اطلعت
عليهم فنظرت اليهم وقرئ لو اطلعت عليهم بضم الواو لوليت منهم فرارا لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال ولملئت منهم رعبا
خوفا يملأ صدرك لما البسهم الله من الهيبة او لعظم اجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف
لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنه ليس لك ذلك وقد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث
ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملّئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل وكذلك بعثناهم وكما انمناهم آية بعثناهم

وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ
عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٩﴾
وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ
كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ
بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ
فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ
وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ
يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢١﴾
وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا
ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ

اية على كمال قدرتنا ليتساءلوا بينهم ليسال بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما
صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به امر البعث
ويشكروا ما انعم به عليهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة لبثه ولذلك احالوا العلم الى الله تعالى
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم ويجوز ان يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين
عليهم وقيل انهم لما دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا انهم فى يومهم او اليوم
الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا ان
الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه اخذوا فيما يهمهم وقالوا فابعثوا احدكم بورقكم
هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غيرها وقرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر
وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف
مكسور الواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له
دليل على ان التزود راى المتوكلين والمدينة طرسوس فلينظر ايها اى اهلها ازكى
طعاما احل واطيب واكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف وليتكلف
اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن او فى التخفى حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا
ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور انهم ان يظهروا عليكم ان يطلعوا عليكم او يظفروا
بكم والضمير للاهل المقدر فى ايها يرجموكم يقتلوكم بالرجم او يعيدوكم فى ملتهم
او يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا اولا على دينهم فآمنوا ولن
تفلحوا اذا ابدا اذ دخلتم فى ملتهم وكذلك اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم
لتزداد بصيرتهم اطلعنا عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله
بالبعث والموعود الذى هو البعث حق لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث
وان الساعة لا ريب فيها وان القيامة لا ريب فى امكانها فان من توفى نفوسهم وامسكها
ثلاثمائة سنين حافظا ابدانها عن التحلل والتفتت ثم ارسلها اليها قادر ان يتوفى نفوس
جميع الناس ممسكا اياها الى ان يحشر ابدانها فيردها عليها اذ يتنازعون ظرف
لاعثرنا اى اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امرهم امر دينهم وكان بعضهم
يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان ليرتفع الخلاف ويتبين انهما يبعثان معا او امر الفتية حين اماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم اول مرة
او قالت طائفة نبنى عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم
مسجدا وقوله ربهم اعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين فى امرهم من اولئك المتنازعين فى زمانهم او من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او من المتنازعين للرد
الى الله بعدما تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام فى انسابهم واحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكى ان المبعوث لما دخل السوق واخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا
فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مؤمن
وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك فى الكهف

لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢٣﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٥﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٦﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ

وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا سيقولون اى الخائضون فى قصتهم فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين ثلاثة رابعهم كلبهم اى هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قاله النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفى الذى لا اطلاع لهم عليه واتيانا به او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم انما قاله المسلمون باخبار الرسول صلى الله عليه وسلم لهم عن جبرائيل عليه السلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان اثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر اقوال الطوائف فى الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع فى نحو هذا المحل دليل العدم مع ان الاصل بنفيه ثم رد الاولين بان اتبعهما رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان ادخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت وعن على رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم واسماءهم يمليخا ومكشلينا ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش اصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلثة لاهل الكتاب والقليل منهم فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا فلا تجادل فى شان الفتية الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما اوحى اليك لمندوحة عن غيره مع انه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل عنه وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح واصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى اى ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعل فيما يستقبل الا بان يشاء الله اى الا ملتبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله او الا وقت ان يشاء الله ان تقوله بمعنى ان يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهى واذكر ربك مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روى انه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله اذا نسيت اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب وليس فى الاية والخبر ان الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه او اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك على التدارك واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى وقل عسى ان يهدين ربى يدلنى لاقرب من هذا رشدا لاقرب رشدا واظهر دلالة على انى نبى من نبأ اصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعد عنه ايامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام الساعة او لاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا يعنى لبثهم فيه احياء مضروبا على اذانهم وهو بيان لما اجمله قبل وقيل انه حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلاثمائة سنين وقال بعضهم ثلاثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلاثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وان الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف ابدل السنين من ثلاث قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض له ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما فلا خلق يخفى عليه علما ابصر به واسمع ذكر بصيغة التعجب للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان اصله ابصر اى صار ذا بصر

ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير لاهل السموات والارض من دونه من ولى يتولى امورهم ولا يشرك فى حكمه فى قضائه احدا منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء والجزم على نهى كل احد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة اصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحى معجز امره بان يداوم درسه ويلازم اصحابه فقال واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا او بدله لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره ولن تجد من دونه ملتحدا ملجأ تعدل اليه ان هممت به واصبر نفسك احبسها وثبتها مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى فى مجامع اوقاتهم او فى طرفى النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه ان غدوة علم فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير يريدون وجهه رضى الله وطاعته ولا تعد عيناك عنهم ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا يقال نبت وعلت عنه عينه اقتحمته ولم تعلق به والغرض فى هذا اعطاء معينيها اى لا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من اعداه وعداه والمراد نهى الرسول ان يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء تريد زينة الحياة الدنيا حال من الكاف فى القراءة المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى غيرها ولا تطع من اغفلنا قلبه من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا كامية بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على ان الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه ان الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وانه لو اطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل اجبنته اذا وجدته كذلك ونسبته اليه او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على ان المراد ليس ظاهر ما ذكر اولا بقوله واتبع هواه وجوابه ما مر غير مرة وقرئ اغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة وكان امره فرطا اى تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط اى متقدم للخيل ومنه الفرط وقل الحق من ربكم الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز ان يكون الحق خبر مبتدأ محذوف ومن ربكم حالا فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لا ابالى بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست الا بمشيئة انا اعتدنا هيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالجسد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم يشوى الوجوه اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة ثانية لماء او حال من المهل او الضمير فى الكاف بئس الشراب المهل

مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰوةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوٰيهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ

وساءت النار مرتفقا متكأ واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من احسن عملا منهم او مستغنى عنه بعموم من احسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيدا او واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا على الحقيقة لا يحسن اطلاقه الا على الذين امنوا وعملوا الصالحات وخبرها اولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى الاول فاستئناف لبيان الاجر او خبر ثان يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيرها للتعظيم حسنها عن الاحاطة به وهو جمع اسورة او اسوار فى جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان واكثرها طراوة من سندس واستبرق مما رق من الديباج وما غلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين متكئين فيها على الارائك على السرر كما هو هيئة المتنعمين نعم الثواب الجنة ونعيمها

وحسنت الارائك مرتفقا متكأ واضرب لهم مثلا للكافر والمؤمن رجلين حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بني اسرائيل كافر اسمه قرطوس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن في وجوه الخير وآل امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل المثل بهما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاسد ومؤمن وهو ابو سلمة عبد الله زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم جعلنا لاحدهما جنتين بستانين من اعناب من الكروم والجملة بتمامها بيان التمثيل او صفة للرجلين وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا احاطوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيد الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته وغشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله ولم تظلم منه ولم تنقص من اكلها شيئا يعهد في سائر البساتين فان الثمار تتم في عام وتنقص في عام غالبا وفجرنا خلالهما نهرا ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف وكان له ثمر انواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره قرأ عاصم بفتح الثاء والميم وابو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك واحيط بثمره فقال لصاحبه وهو يحاوره وهو يراجعه في الكلام من حار اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ما هو جنته وهي ما متع به من الدنيا تنبيها على انه لا جنة له غيرها ولا حظ له في الجنة التي وعد المتقون او لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون في واحدة واحدة وهو ظالم لنفسه ضار لها بعجبه وكفره قال ما اظن ان تبيد هذه اي تفنى هذه الجنة ابدا لطول امله وتماديه في غفلته واغتراره بمهلته وما اظن الساعة قائمة كائنة ولئن رددت الى ربي بالبعث كما زعمت لاجدن خيرا منها من جنته وقرأ الحجازيان والشامي منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما اقسم على ذلك لاعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه اينما يلقاه قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب لانه اصل مادتك او مادة اصلك ثم من نطفة فانها مادتك القريبة ثم سواك رجلا ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك في كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر على ان يعيده منه لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان وكان الادغام وقراءة ابن عامر ويعقوب في رواية بالالف في الوصل لتعويضها عن الهمزة او لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن انا على الاصل وهو ضمير الشان وهو بالجملة الواقعة خبر له خبر انا او ضمير الله والله بدله وربي خبره والجملة خبر انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر بالله لكني مؤمن به وقرئ ولكن هو الله ربي ولكن انا لا اله الا هو ربي ولولا اذ دخلت جنتك قلت وهلا قلت عند دخولها ما شاء الله الامر ما شاء الله او ما شاء الله كائن على ان ما موصولة او اي شيء شاء الله كان على انها شرطية والجواب محذوف اقرارا بانها وما فيها بمشيئة الله ان شاء ابقاها وان شاء ابادها لا قوة الا بالله فهلا قلت لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير امرها فبمعونته واقداره وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رأى شيئا فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا يحتمل ان يكون انا فصلا وان يكون تاكيدا للمفعول الاول وقرئ اقل بالرفع على انه خبر انا والجملة مفعول ثان لترني وفي قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد

وَجَنّٰتٍ مُرْتَفَقًا ﴿٣٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٣﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ اٰتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴿٣٤﴾ وَفَجَّرْنَا خِلٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٥﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصٰحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٦﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هٰذِهِ أَبَدًا ﴿٣٧﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلٰى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٨﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوّٰكَ رَجُلًا ﴿٣٩﴾ لٰكِنَّا هُوَ اللّٰهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٠﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللّٰهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ

حزب

فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك في الدنيا او في الآخرة لايماني وهو جواب الشرط ويرسل عليها على جنتك لكفرك حسبانا من السماء مرامي جمع حسبانة وهي الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها او عذاب حساب الاعمال السيئة فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها واشجارها او يصبح ماؤها غورا غائرا في الارض مصدر وصف به كالزلق فلن تستطيع له طلبا للماء الغائر ترددا في رده واحيط بثمره واهلك امواله حسبما توقعه صاحبه وانذره منه وهو مأخوذ من احاط به العدو فانه اذا احاط به غلبه واذا غلبه اهلكه ونظيره اتى عليه اذا اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا على ما انفق فيها في عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكانه قيل فاصبح يندم او حال اي متحسرا على ما انفق فيها وهي خاوية ساقطة على عروشها بان سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها ويقول عطف على يقلب وحال من ضميره يا ليتني لم اشرك بربي احدا كانه تذكر موعظة اخيه وعلم انه اتى من قبل شركه فتمنى انه لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل ان يكون توبة من الشرك وندما على ما سبق منه ولم تكن له فئة وقرأ حمزة والكسائي بالياء لتقدمه ينصرونه يقدرون على نصره بدفع الاهلاك ورد المهلك والاتيان بمثله من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه هنالك في ذلك المقام وتلك الحال الولاية لله الحق النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه او ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي الولاية بالكسر ومعناها السلطان والملك اي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمتنع منه اولا يعبد غيره كقوله فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على ان قوله يا ليتني لم اشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اذكر لهم ما تشبهه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها او صفتها الغريبة كماء هو كماء ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا لاضرب على انه بمعنى صير انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه او نجع في النبات حتى روي ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكن لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته فاصبح هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ تذريه من اذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا قادرا

مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ۝ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

المال والبنون زينة الحياة الدنيا يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب والباقيات الصالحات واعمال الخيرات تبقى له ثمرتها ابد الاباد ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس واعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر والكلام الطيب خير عند ربك من المال والبنين ثوابا عائدة

وخيرا ملا لان صاحبها ينال بها في الاخرة ما كان يأمل بها في الدنيا ويوم نسير الجبال واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو او نذهب بها فنجعلها هباء منبثا ويجوز عطفه على عند ربك اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت وترى الارض بارزة بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى لتحقيق الحشر او للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد فلم نغادر فلم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء وعرضوا على ربك تشبيه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم صفا مصطفين لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا او عاملا في يوم نسير كما خلقناكم اول مرة عراة لا شئ

وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ

معكم من المال والولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى او احياء كخلقتكم الاولى لقوله بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وان الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى ووضع الكتاب صحائف الاعمال في الايمان والشمائل او في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فيه من الذنوب ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوا بها من بين المهلكات ما لهذا الكتاب تعجبا من شأنه لا يغادر صغيرة هنة صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الا عدها واحاط بها ووجدوا ما عملوا حاضرا مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم اولا في زخارف الدنيا بانها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وابقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكر ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن كان من الجن حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه فخرج عن امره بترك السجود والفاء للتسبب وفيه دليل على ان الملك لا يعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا في اصله والكلام المستقصى فيه في سورة البقرة افتتخذونه اعقيب ما وجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب وذريته اولاده او اتباعه وسماهم ذرية مجازا اولياء من دوني فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا من الله تعالى ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرح به بقوله

وما كنت متخذ المضلين عضدا اى اعوانا ردّ لاتخاذهم اولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذمالهم واستبعاداً للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما خصصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد بالمضلين لدينى ويعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذا قواه ويوم يقول اى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون نادوا شركائى الذين زعمتم انهم شركائى اوشفعاء كم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ما عبد من دونه وقيل ابليس وذريته فدعوهم فنادوهم للاغاثة فلم يستجيبوا لهم فلم يغيثوا وجعلنا بينهم بين الكفار وآلهتهم موبقا مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة هى فى شدتها هلاك كقول

وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥٣﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٤﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٦﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ

عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان او مصدر من وبق يوبق وبقا اذا هلك وقيل البين الوصل اى جعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيمة ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا انصرافا او مكانا ينصرفون اليه ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل من كل جنس يحتاجون اليه وكان الانسان اكثر شئ يتأتى منه الجدل جدلا خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز وما منع الناس ان يؤمنوا من الايمان اذ جاءهم الهدى وهو الرسول الداعى والقرآن المبين ويستغفروا ربهم ومن الاستغفار من الذنوب الا ان تأتيهم سنة الاولين الا طلب او انتظار او تقدير ان تأتيهم سنة الاولين وهو الاستئصال فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او يأتيهم العذاب عذاب الآخرة قبلا عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى انواع وقرئ بفتحتين وهو ايضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير او العذاب وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف ونحوها تعنتا ليدحضوا به ليزيلوا بالجدال الحق عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحو ذلك واتخذوا آياتى يعنى القرآن وما انذروا وانذارهم او والذى انذروا به من العقاب هزوا استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن فاعرض عنها فلم يتدبرها ولم يتذكرها ونسى ما قدمت يداه من الكفر والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى وفى آذانهم وقرا يمنعهم ان يستمعوه حق استماعه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لا ادعوهم فان حرصه على اسلامهم يدل عليه وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب استشهد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر او يوم القيمة لن يجدوا من دونه موئلا منجى ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه وتلك القرى يعنى قرى عاد وثمود واضرابهم وتلك مبتدأ خبره اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولا بد من تقدير مضاف فى احدهما ليكون مرجع الضمائر لما ظلموا كقريش بالتكذيب والمراء وانواع المعاصى

إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٩﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ﴿٦٠﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٦١﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦٣﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٤﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٥﴾

وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم وقتا معلوما لايستأخرون عنه ساعة ولايستقدمون فليعتبروا بهم ولايغتروا بتاخير العذاب عنهم وقرأ ابو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام اى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ماشذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض واذ قال موسى مقدر باذكر لفتاه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده لاابرح اى لاازال اسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله حتى ابلغ مجمع البحرين من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز ان يكون اصله لايبرح مسيرى حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وان يكون لاابرح بمعنى لاازول عما انا عليه من السير والطلب ولا افارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم ممايلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع اوامضى حقبا اواسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع اومضى الحقب وحتى ابلغ الا ان امضى زمانا اتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى ان موسى عليه السلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم احدا اعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى ايام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى ايام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذى يذكرنى ولاينسانى قال فاى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولايتبع الهوى قال فاى عبادك اعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى اوترده من ردى فقال ان كان فى عبادك اعلم منى فادللنى عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان فلما بلغا مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف اضيف اليه على الاتساع اوبمعنى الوصل نسيا حوتهما نسى موسى ان يطلبه ويتعرف حاله ويوشع ان يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر روى ان موسى رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى اوالخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد امره ومايكون منه امارة على الظفر بالمطلوب فاتخذ سبيله فى البحر سربا فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل امسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه اومن السبيل ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا مجمع البحرين قال لفتاه آتنا غداءنا ما نتغدى به لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر القى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره ويؤيده التقييد باسم الاشارة قال ارأيت اذ اوينا ارأيت مادهانى اذ اوينا الى الصخرة يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت فانى نسيت الحوت فقدته اونسيت ذكره بما رأيت منه وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اى وما انسانى ذكره الا الشيطان فان ان اذكره بدل من الضمير وقرئ ان اذكر له وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لاينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة امثالها عند موسى والفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الايات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه اولان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الاخر يعد من نقصان صاحبها واتخذ سبيله فى البحر عجبا سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب وثانى ذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر اى قال فى آخر كلامه اوموسى فى جوابه عجبا تعجبا من تلك الحال وقيل الفعل لموسى اى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا

قال

قال ذلك اى امر الحوت ماكنا نبغ نطلب لانه امارة المطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا فى الطريق الذى جاآ فيه قصصا يقصان قصصا اى يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس آتيناه رحمة من عندنا هى الوحى والنبوة وعلمناه من لدنا علما مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن على شرط ان تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف مما علمت رشدا علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز ان يكون علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا فى ابواب الدين فان الرسول ينبغى ان يكون اعلم ممن ارسل اليه فيما بعث به من اصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن ان يكون تابعا له

قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٦﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٧﴾ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٨﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٩﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٧٠﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٢﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧٣﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٥﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ

وسأل منه ان يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما انعم الله عليه قال انك لن تستطيع معى صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اى وكيف تصبر وانت نبى على ما اتولى من امور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز او مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره قال ستجدنى ان شاء الله صابرا معك غير منكر عليك ولا اعصى لك امرا عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص او على ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن او لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد بلا خلف وفيه دليل على ان افعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ انكرته منى ولم تعلم وجه صحته حتى احدث لك منه ذكرا حتى ابتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى بالنون الثقيلة فانطلقا على الساحل يطلبان السفينة حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها اخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها قال اخرقتها لتغرق اهلها فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق اهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائى ليغرق اهلها على اسناده الى الاهل لقد جئت شيئا امرا اتيت امرا عظيما من امر الامر اذا عظم قال الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا تذكير لما ذكره قبل قال لا تؤاخذنى بما نسيت بالذى نسيته او بشئ نسيته يعنى وصيته بان لا يعترض عليه او بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان اخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك اول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه ولا ترهقنى من امرى عسرا ولا تغشنى عسرا من امرى بالمضايقة والمؤاخذة على المنسى فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا اى بعدما خرجا من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل قتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه والفاء للدلالة على انه لما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك

قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس اى طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التى لم تذنب قط والزكية التى اذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم او انه لم يرها قد اذنبت ذنبا يقتضى قتلها او قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على ان القتل انما يباح حدا او قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بان جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا وفى الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله لقد جئت شيئا نكرا اى منكرا وقرأ نافع فى رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وابو بكر بضمتين قال الم اقل لك انك لن تستطيع معى صبرا زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير اول مرة حتى زاد فى الاستنكار ثانى مرة قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبنى اى وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبنى اى فلا تجعلنى صاحبك قد بلغت من لدنى عذرا قد وجدت عذرا من قبلى لما خالفتك

قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك ولو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدنى بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله قدنى من نصر الخبيبين قدى وابو بكر لدنى بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية قرية انطاكية وقيل ابلة بصرة وقيل ارمينية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما وقرئ يضيفوهما من اضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا واضافه وضيفه انزله واصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يدانى ان يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال يريد الرمح صدر ابى براء ويعدل عن دماء بنى عقيل وقال آخر ان دهرا يلف شملى بجمل لزمان يهم بالاحسان وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكوكب لهويه او افعل من النقض وقرئ ان ينقض وان ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا فاقامه بعمارته او بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا تحريضا على اخذ الجعل لينتعشا به او تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كانه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت اى لاخذت واظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وادغمه الباقون قال هذا فراق بينى وبينك الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبنى او الى الاعتراض الثالث او الوقت اى هذا الاعتراض سبب فراقنا او هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر اما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر لمحاويج وهو دليل على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك ولزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر فاردت ان اعيبها اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك قدامهم او خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى يأخذ كل سفينة غصبا من اصحابها وكان حق النظم ان يتأخر قوله فاردت ان اعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعييب مسبب عن خوف الغصب وانما قدم للعناية او لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على اقوى الجزئين وادعاهما وعقبه بالآخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما ان يغشاهما طغيانا وكفرا لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله او بممالأته على طغيانه وكفره حبا له وانما خشى ذلك لان الله تعالى اعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علم عالم موسى فلك ان تقتل وقرئ فخاف ربك اى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية قول الله تعالى



فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه ان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه زكوة طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة واقرب رحما رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها
نبى فولدت نبيا هدى الله به امة من الامم قرأ نافع وابو عمرو ويبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب رحما بالتثقيل وانتصابه على التميز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكوة واما الجدار
فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم واسم المقتول جيسون وكان تحته كنز لهما من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما في قوله والذين يكنزون
الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق
كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه وقيل كان بينهما وبين الاب الذى حفظا فيه سبعة اباء وكان سياحا واسمه كاشح فاراد ربك ان يبلغا اشدهما

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٥﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٦﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ﴿٨٨﴾ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٩﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٩٠﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩١﴾ وَسَنَقُولُ لَهُۥ

اى الحلم وكمال الرأى ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مرحومين من ربك
ويجوز ان يكون علة او مصدرا لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمحذوف
تقديره فعلت ما فعلت رحمة من ربك ولعل اسناد الارادة اولا الى نفسه لانه المباشر
للتعييب وثانيا الى الله والى نفسه لان التبديل باهلاك الغلام وايجاد الله بدله
وثالثا الى الله وحده لانه لا مدخل له في بلوغ الغلامين اولان الاول في نفسه شر
والثالث خير والثاني ممتزج اولاختلاف حال العارف في الالتفات الى الوسائط
وما فعلته وما فعلت ما رأيته عن امرى عن رأيى وانما فعلته بامر الله عز وجل
ومبنى ذلك على انه متى تعارض ضرران يجب تحمل اهونهما لدفع اعظمهما وهو
اصل ممهد غير ان الشرائع في تفاصيله مختلفة ذلك تأويل ما لم تسطع عليه
صبرا اى ما لم تستطع فحذف التاء تخفيفا ومن فوائد هذه القصة ان لا يعجب
المرء بعلمه ولا يبادر الى انكار ما لم يستحسنه فلعل فيه سرا لا يعرفه وان يداوم
على التعلم ويتذلل للمعلم ويراعى الادب في المقال وان ينبه المجرم على جرمه ويعفو
عنه حتى يتحقق اصراره ثم يهاجر عنه ويسئلونك عن ذى القرنين يعنى اسكندر
الرومى ملك فارس والروم وقيل المشرق والمغرب ولذلك سمى ذا القرنين او
لانه طاف قرنى الدنيا شرقها وغربها وقيل لانه انقرض في ايامه قرنان من الناس
وقيل كان له قرنان اى ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان ويحتمل انه لقب بذلك لشجاعته
كما يقال الكبش للشجاع كانه ينطح اقرانه واختلف في نبوته مع الاتفاق على ايمانه وصلاحه
والسائلون هم اليهود سألوه امتحانا او مشركوا مكة قل سأتلوا عليكم منه ذكرا
خطاب للسائلين والهاء لذى القرنين وقيل لله انا مكنا له في الارض اى مكنا
له امره من التصرف فيها كيف شاء فحذف المفعول وآتيناه من كل شئ اراده
وتوجه اليه سببا وصلة توصله اليه من العلم والقدرة والآلة فاتبع سببا
اى فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وقرأ الكوفيون وابن عامر بقطع الالف
مخففة التاء حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ذات
حمأة من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو

بكر حامية اى حارة ولا تنافى بينهما لجواز ان تكون العين جامعة للوصفين او حمية على ان ياءها مقلوبة عن الهمزة لكسرة ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحيط فرآها كذلك اذ لم يكن
في مطمح بصره غير الماء ولذلك قال وجدها تغرب ولم يقل كانت تغرب وقيل ان ابن عباس سمع معاوية يقرأ حامية فقال حمئة فبعث معاوية الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس
تغرب قال في ماء وطين كذلك نجده في التوراة ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره
الله بين ان يعذبهم او يدعوهم الى الايمان كما حكى بقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب اى بالقتل على كفرهم واما ان تتخذ فيهم حسنا بالارشاد وتعليم الشرائع وقيل خيره بين
القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا اى فاختار الدعوة وقال اما من دعوته فظلم نفسه بالاصرار على كفره
او استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه انا ومن معى في الدنيا بالقتل ثم يعذبه الله في الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا وهو ما يقتضيه الايمان فله في الدارين

جزاء الحسنى فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب وحفص جزآء منونا منصوبا على الحال اى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها او على المصدر لفعله المقدر حالا اى يجزي بها جزاء او التمييز وقرئ منصوبا غير منون على ان تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على انه المبتدأ والحسنى بدله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير اى ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن اصر على الكفر والثاني لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فوحي وان كان غيره فبالهام او على لسان نبي وسنقول له من امرنا مما نأمر به يسرا سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع الشمس عليه اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف اى مكان مطلع الشمس فانه مصدر وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا من اللباس او البناء فان ارضهم لا تمسك الابنية او انهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية كذلك اى امر ذى القرنين كما وصفناه في رفعة المكانة وبسطة الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف لوجد او نجعل او صفة قوم اى على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر والحكم وقد احطنا بما لديه من الجنود والالات والعدد والاسباب خبرا علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد ان كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير ثم اتبع سببا يعني طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين المبني بينهما سده وهما جبلا ارمينية وآذربيجان وقيل جبلان في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك منيفان من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى والمفتوح لما عمله الناس لانه في الاصل مصدر سمي به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا مفعول به وهو من الظروف المتصرفة وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائي يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه قالوا يا ذا القرنين اى قال مترجموهم وفي مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم ان يأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع الصرف للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اى في ارضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون في الربيع فلا يتركون اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس فهل نجعل لك خرجا جعلا نخرجه من اموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر على ان تجعل بيننا وبينهم سدا يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السدين غير حمزة والكسائي قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لي من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني على الاصل فاعينوني بقوة اى بقوة فعلة او بما اتقوى به من الالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا وهو اكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان فيه رقاع فوق رقاع اتوني زبر الحديد قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة ويدل عليه قراءة ابي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد والباء محذوفة حذفها في امرتك الخير ولان اعطاء الالة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل حتى اذا ساوى بين الصدفين بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان بضمتين وابو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل قال انفخوا اى قال للعملة انفخوا في الاكوار والحديد حتى اذا جعله جعل المنفوخ فيه نارا كالنار بالاحماء

مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۝٨٨ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝٩٦ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ

قال آتونى افرغ عليه قطرا اى آتونى قطرا اى نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثانى عليه وبه تمسك البصريون على ان اعمال الثانى من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد اولى اذ لو كان قطرا مفعول آتونى لاضمر مفعول افرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وابو بكر قال ائتونى موصولة الالف فما اسطاعوا بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير حده وقرئ بقلب السين صادا ان يظهروه ان يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه وما استطاعوا له نقبا لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى اعلى الجبلين ثم وضع المنافخ حتى صار كالنار فصب النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها قال هذا هذا السد او الاقدار على تسويته رحمة من ربى على عباده فاذا جاء وعد ربى وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج او بقيام الساعة بان

وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

شارف يوم القيمة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى المفعول ومنه جمل ادك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد اى ارضا مستوية وكان وعد ربى حقا كائنا لا محالة وهو آخر حكاية ذى القرنين وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض وجعلنا بعض يأجوج ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون بعضهم فى بعض مزدحمين فى البلاد او يموج بعض الخلائق فى بعض ويضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويؤيده ونفخ فى الصور لقيام الساعة فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا وابرزناها واظهرناها لهم الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى عن آياتى التى ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم وكانوا لا يستطيعون سمعا استماعا لذكرى وكلامى لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم اصميت مسامعهم بالكلية افحسب الذين كفروا افظنوا والاستفهام للانكار ان يتخذوا عبادى اتخاذهم الملئكة والمسيح من دونى اولياء معبودين نافعهم او لا اعذبهم به فحذف المفعول الثانى كما يحذف الخبر للقرينة او سد ان يتخذوا مسد مفعوليه وقرئ افحسب الذين كفروا اى افكافيهم فى النجاة وان بما فى حيزه مرتفع بانه فاعل حسب فان النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل او خبر له انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على ان لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا نصب على التمييز وجمع لانه من اسماء الفاعلين او لتنوع اعمالهم الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا ضاع وبطل لكفرهم وعجبهم كالرهبانية فانهم خسروا دنياهم واخرتهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال او الجر على البدل او النصب على الذم وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا لعجبهم واعتقادهم انهم على الحق اولئك الذين كفروا بآيات ربهم

بالقرآن او بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة ولقائه بالبعث على ما هو عليه او لقاء عذابه فحبطت اعمالهم بكفرهم فلا يثابون عليها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا او لا نضع لهم ميزانا يوزن به اعمالهم لانحباطها ذلك اى الامر ذلك وقوله جزاؤهم جهنم جملة مبينة له ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف اى جزاؤهم به او جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا اى بسبب ذلك ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس اعلى درجات الجنة واصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل

خالدين فيها حال مقدرة لايبغون عنها حولا تحولا اذ لايجدون اطيب منها حتى تنازعهم اليه انفسهم ويجوز ان يراد به تاكيد الخلود قل لوكان البحر مدادا مايكتب به وهو اسم مايمد به الشئ كالحبر للدوات والسليط للسراج لكلمات ربى لكلمات علمه وحكمته لنفد البحر لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه قبل ان تنفد كلمات ربى فانها غير متناهية لاتنفد كعلمه ولوجئنا بمثله بمثل البحر الموجود مددا زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع مايدخل فى الوجود من الاجسام لايكون الامتناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل ان ينفد غير المتناهى لامحالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهو مايستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها ان اليهود قالوا فى كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وتقرؤن وما اوتيتم من العلم الاقليلا قل انما انا بشر مثلكم لاادعى الاحاطة على كلماته يوحى الى انما الهكم اله واحد وانما تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجوا لقاء ربه يأمل حسن لقائه فليعمل عملا صالحا يرتضيه الله ولايشرك بعبادة ربه احدا بان يرائيه اويطلب منه اجرا روى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل فاذا اطلع عليه سرنى فقال عليه الصلاة والسلام ان الله لايقبل ما شورك فيه ونزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والاية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ خاتمة الكهف عند مضجعه كان له نور فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نور يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب سورة مريم مكية الا اية السجدة وهى ثمان اوتسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص امال ابو عمرو الهاء لان الفات اسماء التهجى يا آت وابن عامر وحمزة الياء والكسائى وابوبكر كليهما ونافع بين بين ونافع وابن كثير وعاصم يظهرون دال الهجاء عند الذال والباقون يدغمونها ذكر رحمة ربك خبر ماقبله ان اول بالسورة اوبالقران فانه مشتمل عليه اوخبر محذوف اى هذا المتلو ذكر رحمة ربك ومبتدأ حذف خبره اى فيما يتلى عليكم ذكرها وقرئ ذكر رحمة على الماضى وذكر على الامر عبده مفعول الرحمة اوالذكر على ان الرحمة فاعله على الاتساع كقولك ذكرنى جود زيد زكرياء بدل منه اوعطف بيان له اذنادى ربه نداء خفيا لان الاخفاء والجهر عند الله سيان والاخفاء اشد اخباتا واكثر اخلاصا اولئلا يلام على طلب الولد فى ابان الكبر اولئلا يطلع عليه مواليه الذين خافهم اولان ضعف الهرم اخفى صوته واختلف فى سنه حينئذ فقيل ستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون وقيل تسع وتسعون قال رب انى وهن العظم منى تفسير النداء والوهن الضعف وتخصيص العظم لانه دعامة البدن واصل بنائه ولانه اصلب مافيه فاذا وهن كان ماوراءه اوهن وتوحيده لان المراد به الجنس وقرئ وهن بالضم والكسر ونظيره كمل بالحركات الثلاث

كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

سُورَةُ مَرْيَمَ مَكِّيَّةٌ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ آيَةً

١٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي

وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾
وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي
مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ
رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ
نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ
امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ
قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾
قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ
سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا
بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ
الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾

واشتعل الرأس شيبا شبه الشيب في بياضه وانارته بشواظ النار وانتشاره وفشوه في الشعر باشتعالها ثم اخرج مخرج الاستعارة واسند الاشتعال الى الرأس الذي هو مكان الشيب مبالغة وجعله مميزا ايضاحا للمقصود واكتفى باللام عن الاضافة للدلالة على ان علم المخاطب بتعين المراد يغني عن التقييد ولم اكن بدعاءك رب شقيا بل كلما دعوتك استجبت لي وهو توسل بما سلف معه من الاستجابة وتنبيه على ان المدعو له وان لم يكن معتادا فاجابته معتادة وانه تعالى عوده بالاجابة واطمعه فيها ومن حق الكريم ان لا يخيب من اطمعه واني خفت الموالي يعني بني عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته على امته ويبدلوا عليهم دينهم من ورائي بعد موتي وعن ابن كثير المد والقصر بفتح الياء وهو متعلق بمحذوف اي خفت فعل الموالي من ورائي او الذين يلون الامر من ورائي وقرئ خفت الموالي من ورائي اي قلوا وعجزوا عن اقامة الدين او خفوا ودرجوا قدامي فعلى هذا كان الظرف متعلقا بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد فهب لي من لدنك فان مثله لا يرجى الا من فضلك وكمال قدرتك فاني وامرأتي لا تصلح للولادة وليا من صلبي يرثني ويرث من آل يعقوب صفتان له وجزمهما ابو عمرو والكسائي على انهما جواب الدعاء والمراد وراثة الشرع والعلم فان الانبياء لا يورثون المال وقيل يرثني الحبورة فانه كان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك وهو يعقوب بن اسحق عليهما الصلاة والسلام وقيل يعقوب كان اخا زكريا او كان اخا عمران بن ماثان من نسل سليمان عليه السلام وقرئ يرثني وارث آل يعقوب على الحال من احد الضميرين واو يرث بالتصغير لصغره ووارث من آل يعقوب على انه فاعل يرثني وهذا يسمى التجريد في علم البيان لانه جرد من المذكور اولا مع انه المراد واجعله رب رضيا ترضاه قولا وعملا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى جواب لندائه ووعد باجابة دعائه وانما تولى تسميته تشريفا له لم نجعل له من قبل سميا لم يسم احد بيحيى قبله وهو شاهد بان التسمية بالاسامي الغريبة تنويه للمسمى وقيل سميا شبيها كقوله تعالى هل تعلم له سميا لان المتماثلين يتشاركان في الاسم والاظهر انه اعجمي وان كان عربيا فمنقول من فعل كيعيش ويعمر قيل سمي به لانه حيي به رحم امه او لان دين الله حيي بدعوته قال رب اني يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا جساوة وقحولا في المفاصل واصله عتوو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين والواوين فكسروا التاء فانقلبت الواو الاولى ياء ثم قلبت الثانية وادغمت وقرأ حمزة والكسائي عتيا بالكسر وانما استعجب الولد من شيخ فان وعجوز عاقر اعترافا بان المؤثر فيه كمال قدرته فان الوسائط عند التحقيق ملغاة ولذلك قال اي الله او الملك المبلغ للبشارة تصديقا له كذلك الامر كذلك ويجوز ان تكون الكاف منصوبة بقال في قال ربك وذلك اشارة الى مبهم تفسيره هو علي هين ويؤيد الاول قراءة من قرأ وهو علي هين اي الامر كما قلت او كما وعدت وهو علي هين لا احتاج فيما اريد ان افعله الى الاسباب ومفعول قال الثاني محذوف اي افعل ذلك وهو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا بل كنت معدوما صرفا وفيه دليل على ان المعدوم ليس بشيء وقرأ حمزة والكسائي وقد خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة اعلم بها وقوع ما بشرتني به قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا سوي الخلق ما بك من خرس ولا بكم وانما ذكر الليالي ههنا والايام في آل عمران للدلالة على انه استمر عليه المنع من كلام الناس والتجرد للذكر والشكر ثلاثة ايام ولياليهن فخرج على قومه من المحراب من المصلى او من الغرفة فاوحى اليهم فاومأ اليهم لقوله الا رمزا وقيل كتب لهم على الارض ان سبحوا صلوا او نزهوا ربكم بكرة وعشيا طرفي النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح ويأمر قومه بان يوافقوه وان يحتمل ان تكون مصدرية وان تكون مفسرة يا يحيى على تقدير القول خذ الكتاب التوراة بقوة بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا يعني الحكمة وفهم التوراة وقيل النبوة احكم الله عقله في صباه واستنبأه وحنانا من لدنا ورحمة منا عليه او رحمة وتعطفا في قلبه على ابويه وغيرهما عطف على الحكم وزكاة وطهارة من الذنوب او صدقة اي تصدق الله به على ابويه او مكنه ووفقه للتصدق على الناس وكان تقيا مطيعا متجنبا عن المعاصي

وبرا بوالديه وبارا بهما ولم يكن جبارا عصيا عاقا او عاصي ربه وسلام عليه من الله يوم ولد من ان ينال الشيطان بما ينال به بني آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب النار وهول القيامة واذكر في الكتاب في القرآن مريم يعني قصتها اذ انتبذت اعتزلت بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة على ما فيها او بدل الكل لان المراد بمريم قصتها وبالظرف الامر الواقع فيه وهما واحد او ظرف لمضاف مقدر وقيل اذ بمعنى ان المصدرية كقولك لا اكرمك اذ لم تكرمني فتكون بدلا لا محالة من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها ولذلك اتخذ النصارى المشرق قبلة ومكانا ظرف او مفعول لان انتبذت متضمن معنى اتت فاتخذت من دونهم حجابا سترا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بشيء يسترها وكانت تتحول من المسجد الى بيت خالتها اذا حاضت وتعود اليه اذا طهرت فبينا هي في مغتسلها اتاها جبرائيل متمثلا بصورة شاب امرد سوي الخلق لتستأنس بكلامه ولعله ليهيج شهوتها به فتنحدر نطفتها الى رحمها

وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾

قالت اني اعوذ بالرحمن منك من غاية عفافها ان كنت تقيا تتقي الله وتحتفل بالاستعاذة وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله اي فاني عائذة منك او فتتعظ بتعويذي او فلا تتعرض لي ويجوز ان يكون للمبالغة اي ان كنت تقيا متورعا فاني اعوذ منك فكيف اذا لم تكن كذلك قال انما انا رسول ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما اي لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون حكاية لقوله سبحانه ويؤيده قراءة ابي عمرو وابن كثير عن نافع ويعقوب بالياء زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اي مترقيا من سن الى سن على الخير والصلاح قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم يباشرني رجل بالحلال فان هذه الكنايات انما تطلق فيه اما الزنى فانما يقال فيه خبث بها وفجر ونحو ذلك ويعضده عطف قوله ولم اك بغيا عليه وهو فعول من البغي قلبت واوه ياء وادغمت ثم كسرت الغين اتباعا ولذلك لم تلحقه التاء او فعيل بمعنى فاعل ولم تلحقه التاء لانه للمبالغة او للنسبة كطالق قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله اي ونفعل ذلك لنجعله او لنبين به قدرتنا ولنجعله وقيل عطف على لاهب على طريقة الالتفات اية للناس علامة لهم وبرهانا على كمال قدرتنا ورحمة منا على العباد يهتدون بارشاده وكان امرا مقضيا اي تعلق به قضاء الله في الازل وقدر وسطر في اللوح او كان امرا حقيقا بان يقضى ويفعل لكونه آية ورحمة فحملته بان نفخ في درعها فدخلت النفخة في جوفها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ستة وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية غيره وقيل ساعة كما حملته نبذته وسنها ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به فاعتزلت وهو في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار فاجاءها المخاض فالجأها المخاض وهو في الاصل وهو منقول من جاء لكنه خص به في الاستعمال كآتى في اعطى وقرئ المخاض بالكسر وهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العذق والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فيها وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني مت قبل هذا استحياء من الناس ومخافة لومهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت من مات يموت وكنت نسيا ما من شأنه ان ينسى ولا يطلب ونظيره الذبح لما يذبح وقرا حمزة وحفص بالفتح وهو لغة فيه او مصدر سمي به وقرئ به وبالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته منسيا منسي الذكر بحيث لا يخطر ببالهم وقرئ بكسر الميم على الاتباع

فناديها من تحتها عيسى وقيل جبريل كان يقبل الولد وقيل تحتها اسفل من مكانها وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص وروح من تحتها بالكسر والجر على ان في نادى ضميراحدهما وقيل الضمير في تحتها للنخلة الا تحزني اى لا تحزني او بان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا جدولا هكذا روي مرفوعا وقيل سيدا من السرو وهو عيسى وهزي اليك بجذع النخلة واميليه اليك والباء مزيدة للتاكيد او افعلي الهز والامالة به اوهزي الثمرة بهزه والهز تحريك بجذب ودفع تساقط عليك تتساقط فادغمت التاء الثانية في السين وحذفها حمزة وقرأ يعقوب بالياء وحفص تساقط من ساقطت بمعنى اسقطت وقرئ تتساقط ويسقط وتسقط فالتاء للنخلة والياء للجذع رطبا جنيا تمييز او مفعول روي انها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ثمر وكان الوقت شتاء فهزتها فجعل الله تعالى لها رأسا وخوصا ورطبا وتسليتها بذلك لما فيه من المعجزات الدالة على براءة ساحتها فان مثلها لا يتصور لمن يرتكب الفواحش والمنبهة لمن رآها عليه على ان من قدر

فَنَادٰيهَا مِنْ تَحْتِهَآ اَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ اِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَاِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ اَحَدًا فَقُولِيٓ اِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا فَلَنْ اُكَلِّمَ الْيَوْمَ اِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَاَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَآ اُخْتَ هٰرُونَ مَا كَانَ اَبُوكِ امْرَاَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ اُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَاَشَارَتْ اِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ اِنِّي عَبْدُ اللّٰهِ اٰتٰينِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا اَيْنَ مَا كُنْتُ وَاَوْصٰنِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ اَمُوتُ وَيَوْمَ اُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

ان يثمر النخلة اليابسة في الشتاء قدر ان يحبلها من غير فحل وانه ليس ببدع من شانها مع ما فيه من الشراب والطعام ولذلك رتب عليه الامرين فقال فكلي واشربي اى من الرطب وماء السري او من الرطب وعصيره وقري عينا وطيبي نفسك وارفضي عنها ما احزنك وقرئ وقري بالكسر وهو لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين وسخنتها للمحبوب والمكروه فاما ترين من البشر احدا فان ترى آدميا وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لتآخ بين الهمزة وحرف اللين فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا وقد قرئ به او صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم فلن اكلم اليوم انسيا بعد ان اخبرتكم بنذري وانما اكلم الملئكة واناجي ربي وقيل اخبرتهم بنذرها بالاشارة وامرها بذلك لكراهة المجادلة والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه كاف في قطع الطاعن فاتت به اى مع ولدها قومها راجعة اليهم بعدما طهرت من النفاس تحمله حاملة اياه قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا من فرى الجلد يا اخت هرون يعنون هرون النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من اعقاب من كان معه في طبقة الاخوة وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او طالح كان في زمانهم شبهوها به تهكما او لما رأوا قبل من صلاحها او شتموها به ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لان ما جاءت به فري وتنبيه على ان الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه الى عيسى ان كلموه ليجيبكم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ولم نعهد صبيا في المهد كلم عاقلا وكان زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او تامة او دائمة كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما او بمعنى صار قال اني

عبد الله انطقه الله تعالى به اولا لانه اول المقامات وللرد على من زعم ربوبيته آتاني الكتاب الانجيل وجعلني نبيا وجعلني مباركا نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضي اما باعتبار ما سبق في قضائه او بجعل المحقق وقوعه كالواقع وقيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت حيث كنت واوصاني وامرني بالصلاة والزكاة زكاة المال ان ملكته او تطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا وبرا بوالدتي وبارا بها عطف على مباركا وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به او منصوب بفعل دل عليه اوصاني اى وكلفني برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة ولم يجعلني جبارا شقيا عند الله من فرط تكبره والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا كما هو على يحيى والتعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فانه لما جعل جنس السلام على نفسه عرض بان ضده عليهم كقوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون ﴿٣٥﴾ ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون ﴿٣٦﴾ وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴿٣٧﴾ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم ﴿٣٨﴾ أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين ﴿٣٩﴾ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ﴿٤٠﴾ إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون ﴿٤١﴾ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴿٤٢﴾ إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا ﴿٤٣﴾ يا أبت إني قد جاءني من العلم

ذلك عيسى ابن مريم اى الذى تقدم نعته هو عيسى بن مريم لاما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما يصفونه على الوجه الابلغ والطريق البرهانى حيث جعله الموصوف باضداد
ما يصفونه ثم عكس الحكم قول الحق خبر محذوف اى هو قول الحق الذى لاريب فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدله
او خبر ثان ومعناه كلمة الله وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب قول بالنصب على انه مصدر مؤكد وقرئ قال الحق وهو بمعنى القول الذى فيه يمترون فى امره يشكون او
يتنازعون فقالت اليهود ساحر وقالت النصارى ابن الله وقرئ بالتاء على الخطاب ما كان لله ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه لله تعالى عما بهتوه اذا
قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم بان من اذا اراد شيئا اوجده بكن كان منزها عن شبه الخلق والحاجة فى اتخاذ الولد باحبال الاناث وقرأ ابن عامر فيكون بالنصب
على الجواب وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم سبق تفسيره فى سورة آل عمران وقرأ الحجازيان والبصريان ان بالفتح على ولان وقيل انه معطوف على الصلاة
فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى او فرق النصارى نسطورية قالوا
انه ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء وملكانية
قالوا هو ثالث ثلاثة وموحدون قالوا هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا من
مشهد يوم عظيم من شهود يوم عظيم هوله وحسابه وجزاؤه وهو يوم القيمة
او من وقت الشهود او من مكانه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان يشهد عليهم
الملئكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر والفسوق او من وقت
الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى عيسى وامه اسمع بهم وابصر
تعجب معناه ان اسماعهم وابصارهم يوم يأتوننا اى يوم القيمة جديران يتعجب منهما
بعدما كانوا صما عميا فى الدنيا او التهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان
يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موضع
الرفع وعلى الثانى فى موضع النصب لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين اوقع الظالمين موقع الضمير اشعارا بانهم
ظلموا انفسهم حيث اغفلوا الاستماع والنظر حين ينفعهم وسجل على اغفالهم بانه ضلال
بين وانذرهم يوم الحسرة يوم يتحسر الناس المسيئ على اساءته والمحسن على قلة
احسانه اذ قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار واذ بدل
من اليوم او ظرف للحسرة وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون حال متعلقة بقوله فى ضلال مبين
وما بينهما اعتراض او بانذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فيكون حالا متضمنة للتعليل
انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى
الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه والينا يرجعون يردون
للجزاء واذكر فى الكتاب ابرهيم انه كان صديقا ملازما للصدق كثير التصديق لكثرة ما
صدق به من غيوب الله وآياته وكتبه ورسله نبيا استنبأه الله تعالى اذ قال
بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان او بصديقا نبيا لابيه يا ابت التاء معوضة
من ياء الاضافة ولذلك لا يقال يا ابتى ويقال يا ابتا وانما يذكر للاستعطاف ولذلك كررها
لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر فيعرف حالك ويسمع ذكرك ويرى خشوعك ولا يغنى
عنك شيئا فى جلب نفع ودفع ضر دعاه الى الهدى وبين ضلاله واحتج عليه ابلغ
احتجاج وارشقه برفق وحسن ادب حيث لم يصرح بضلاله بل طلب العلة التى تدعوه الى عبادة ما يستخف به العقل الصريح ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التى هى
غاية التعظيم ولا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام وهو الخالق الرازق المحيى المميت المعاقب المثيب ونبه على ان العاقل ينبغى ان يفعل ما يفعل لغرض صحيح والشئ
لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على النفع والضر ولكن كان ممكنا لاستنكف العقل القويم عن عبادته وان كان اشرف الخلق كالملئكة والنبيين لما يراه مثله فى الحاجة
والانقياد للقدرة الواجبة فكيف اذا كان جمادا لا يسمع ولا يبصر ثم دعاه الى ان يتبعه ليهديه الحق القويم والصراط المستقيم لما لم يكن محظوظا من العلم الالهى مستقلا
بالنظر السوى فقال يا ابت انى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا ولم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق بل جعل نفسه كرفيق له
فى مسير يكون اعرف بالطريق ثم ثبطه عما كان عليه بانه مع خلوه عن النفع مستلزم للضر فانه فى الحقيقة عبادة للشيطان من حيث انه الآمر به فقال

يابت لاتعبد الشيطان واستهجن ذلك وبين وجه الضر فيه بان الشيطان مستعص على ربك المولى للنعم كلها بقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا ومعلوم ان المطاوع للعاصي عاص وكل عاص حقيق بان يسترد منه النعم وينتقم منه ولذلك عقبه بتخويفه سوء عاقبته وما يجر اليه فقال ياابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا قرينا في اللعن او العذاب تليه ويليك اوثابتا على موالاته فانه اكبر من العذاب كما ان رضوان الله اكبر من الثواب وذكر الخوف والمس وتنكير العذاب اما للمجاملة او لخفاء العاقبة ولعل اقتصاره على عصيان الشيطان من جناياته لارتقاء همته في الربانية اولانه ملاكها اولانه من حيث انه نتيجة معاداته لآدم وذريته منبه عليها قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم قابل استعطافه ولطفه في الارشاد بالفظاظة وغلظة العناد فناديه باسمه ولم يقابل ياابت بيابني واخره وقدم الخبر على المبتدأ وصدره بالهمزة لانكار نفس الرغبة على ضرب من التعجب كانها مما لايرغب عنها عاقل ثم هدده فقال لئن لم تنته عن مقالك فيها والرغبة عنها لارجمنك

مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٥﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٧﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٨﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٥٠﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥١﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٢﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ

بلساني يعني الشتم والذم او بالحجارة حتى تموت او تبعد مني واهجرني عطف على ما دل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة او مليا بالذهاب عني قال سلام عليك توديع ومتاركة ومقابلة للسيئة بالحسنة اي لا اصيبك بمكروه ولا اقول لك بعد ما يؤذيك ولكن ساستغفر لك ربي لعله يوفقك للتوبة والايمان فان حقيقة الاستغفار للكافر استدعاء التوفيق لما يوجب مغفرته وقد مر تقريره في سورة التوبة انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف واعتزلكم وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني وادعو ربي واعبده وحده عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا خائبا ضائع السعي مثلكم في دعاء الهتكم وفي تصدير الكلام بعسى التواضع وهضم النفس والتنبيه على ان الاجابة والاثابة تفضل غير واجب وان ملاك الامر خاتمته وهو غيب فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالهجرة الى الشام وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من الكفرة قيل انه لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج بسارة وولدت له اسحق وولد منه يعقوب ولعل تخصيصهما بالذكر لانهما شجرتا الانبياء اولانه اراد ان يذكر اسمعيل بفضله على الانفراد وكلا جعلنا نبيا وكلا منهما اومنهم ووهبنا لهم من رحمتنا النبوة والاموال والاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس ويثنون عليهم استجابة لدعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان ما يوجد به ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق وتوصيفه بالعلو للدلالة على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لاتخفى على تباعد الاعصار وتحول الدول وتبدل الملل واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والرياء او اسلم وجهه لله واخلص نفسه عما سواه

وقرأ الكوفيون بالفتح على ان الله اخلصه وكان رسولا نبيا ارسله الله الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع انه اخص واعلى ونادیناه من جانب الطور الايمن من ناحيته اليمنى من اليمين وهي التي تلي يمين موسى او من جانبه الميمون من اليمن بان تمثل له الكلام من تلك الجهة

وقربناه تقريب تشريف شبهه بمن قربه الملك لمناجاته نجيا مناجيا حال من احد الضميرين وقيل مرتفعا من النجو وهو الارتفاع لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير القلم ووهبنا له من رحمتنا من اجل رحمتنا او بعض رحمتنا اخاه معاضدة اخيه وموازرته اجابة لدعوته واجعل لى وزيرا من اهلى فانه كان اسن من موسى وهو مفعول او بدل هرون عطف بيان له نبيا حال منه واذكر فى الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد ذكره بذلك لانه المشهور به والموصوف باشياء فى هذا الباب لم تعهد من غيره وناهيك انه وعد الصبر على الذبح فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فوفى وكان رسولا نبيا يدل على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب شريعة فان اولاد ابراهيم كانوا على شريعته وكان يأمر اهله بالصلاة والزكاة اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل على نفسه ومن هو اقرب الناس اليه بالتكميل قال الله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اهله امته فان الانبياء اباء الامم وكان عند ربه مرضيا لاستقامة اقواله وافعاله واذكر

الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٥﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٦﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٧﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٩﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٦٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦١﴾

فى الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابى نوح واسمه اخنوخ واشتقاق ادريس من الدرس يرده منع صرفه نعم لا يبعد ان يكون معناه فى تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة درسه اذ روى انه تعالى انزل عليه ثلاثين صحيفة وانه اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا يعنى شرف النبوة والزلفى عند الله وقيل الجنة وقيل السماء السادسة او الرابعة اولئك اشارة الى المذكورين فى السورة من زكريا الى ادريس الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين بيان للموصول من ذرية ادم بدل منه باعادة الجار ويجوز ان تكون من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبياء واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح اى ومن ذرية من حملنا خصوصا ومنهم من عدا ادريس فان ابراهيم كان من ذرية سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل اى يعقوب وكان منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا ومن جملة من هديناه الى الحق واجتبينا للنبوة والكرامة اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاولئك ان جعلت الموصول صفته واستئناف ان جعلته خبره لبيان خشيتهم من الله واخباتهم له مع ما لهم من علو الطبقة فى شرف النسب وكمال النفس والزلفى من الله عز وجل وعن النبى عليه السلام اتلوا القرأن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود فى جمع ساجد وقرئ يتلى بالياء لان التأنيث غير حقيقى وقرأ حمزة والكسائى بكيا بكسر الباء فخلف من بعدهم خلف فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء يقال خلف صدق بالفتح وخلف سوء بالسكون اضاعوا الصلاة تركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات كشرب الخمر واستحلال نكاح الاخت من الاب والانهماك فى المعاصى وعن على رضى الله عنه واتبعوا الشهوات من بناء المشيد وركوب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا شرا كقوله فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغى لائما او جزاء غى كقوله يلق اثاما او غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية فى الكفرة فاولئك يدخلون الجنة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويعقوب على البناء للمفعول من ادخل ولا يظلمون شيئا ولا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم ويجوز ان ينتصب شيئا على المصدر وفيه تنبيه بان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ
مَأْتِيًّا ﴿٦٢﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ
فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٣﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا
مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٤﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا
خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ
سَمِيًّا ﴿٦٦﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا
﴿٦٧﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ
شَيْئًا ﴿٦٨﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ
حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ
أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٧٠﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا

جنات عدن بدل من الجنة بدل البعض لاشتمالها عليها اومنصوب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر محذوف وعدن علم لانه المضاف اليه في العلم او علم للعدن بمعنى الاقامة كبرة ولذلك صح وصف ما اضيف اليه بقوله التي وعد الرحمن عباده بالغيب اى وعدها اياهم وهي غائبة عنهم اووهم غائبون عنها اووعدهم بايمانهم بالغيب انه ان الله كان وعده الذي هو الجنة ماتيا ياتيها اهلها الموعود لهم لا محالة وقيل هو من اتى اليه احسانا اى مفعولا منجزا لا يسمعون فيها لغوا فضول كلام الا سلاما ولكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة اوالا تسليم الملئكة عليهم اوتسليم بعضهم على بعض على الاستثناء المنقطع او على معنى ان التسليم ان كان لغوا فلا يسمعون لغوا سواه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اوعلى ان معناه الدعاء بالسلامة واهلها اغنياء عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فائدته الاكرام ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا على عادة المتنعمين والتوسط بين الزهادة والرغابة وقيل المراد دوام الرزق ودروره تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا نبقيها عليهم من ثمرة تقواهم كما نبقى على الوارث مال مورثه والوراثة اقوى لفظ يستعمل في التمليك والاستحقاق من حيث انها لا تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا تبطل برد واسقاط وقيل يورث المتقون من الجنة المساكن التي كانت لاهل النار لو اطاعوا زيادة في كرامتهم وعن يعقوب نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية قول جبريل حين استبطأه رسول الله عليه الصلاة والسلام لما سئل عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فابطأ عليه خمسة عشر يوما وقيل اربعين حتى قال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع نزل وقد يطلق بمعنى النزول مطلقا كما يطلق نزل بمعنى انزل والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله على ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل بالياء والضمير للوحي له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وهو ما نحن فيه من الاماكن والاحايين لا ننتقل من مكان الى مكان اولا ننزل في زمان دون زمان الا بامره ومشيئته وما كان ربك نسيا تاركا لك اى ما كان عدم النزول الا لعدم الامر به ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وانما كان لحكمة رآها فيه وقيل ان الآية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة والمعنى وما ننزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله وما كان ربك نسيا تقرير من الله لقولهم اى وما كان ربك ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله رب السموات والارض وما بينهما بيان لامتناع النسيان عليه وهو خبر محذوف او بدل من ربك فاعبده واصطبر لعبادته خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم مرتب عليه اى لما عرفت ربك بانه لا ينبغي له ان ينساك او اعمال العمال فاقبل على عبادته واصطبر عليها ولا تتشوش بابطاء الوحي وهزء الكفرة وانما عدى باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق كقولك للمحارب اصطبر لقرنك هل تعلم له سميا مثلا يستحق ان يسمى الها او احدا يسمى الله فان المشركين وان سموا الصنم آلها لم يسموه الله قط وذلك لظهور احديته وتعالى ذاته عن المماثلة بحيث لم يقبل اللبس والمكابرة وهو تقرير للامر اى اذا صح ان لا احد مثله ولا يستحق العبادة غيره لم يكن بد من التسليم لامره والاشتغال بعبادته والاصطبار على مشاقها ويقول الانسان المراد به الجنس باسره فان المقول مقول فيما بينهم وان لم يقل كلهم كقولك بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم او بعضهم المعهود وهم الكفرة او ابي بن خلف فانه اخذ عظاما بالية ففتها وقال يزعم محمد انا نبعث بعد الموت ائذا مامت لسوف اخرج حيا من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي هنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام في يا الله للتعويض فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وروى عن ابن ذكوان اذا مامت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر اولا يذكر الانسان عطف على يقول وتوسيط همزة الانكار بينه وبين العاطف مع ان الاصل ان يتقدمها للدلالة على ان المنكر بالذات هو المعطوف وان المعطوف عليه انما نشأ منه فانه لو تذكر وتأمل

صِلِيًّا ﴿٧١﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٣﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٤﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٥﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٧﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٨﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٩﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٠﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ

انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا فانه اعجب من جمع المواد بعد التفريق وايجاد مثل ما كان فيها من الاعراض وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وقالون عن يعقوب يذكر من الذكر الذي يراد به التفكر وقرئ يتذكر على الاصل فوربك لنحشرنهم اقسام باسمه مضافا الى نبيه تحقيقا للامر وتفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم والشياطين عطف او مفعول معه لما روي ان الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم كل مع شيطانه في سلسلة وهذا وان كان مخصوصا بهم ساغ نسبته الى الجنس باسره فانهم اذا حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا جميعا معهم ثم لنحضرنهم حول جهنم ليرى السعداء ما نجاهم الله منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقياء ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعداء عنهم الى دار الثواب وشماتتهم عليهم جثيا على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب واهل الموقف جاثون لقوله وترى كل امة جاثية على المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون جثاة من الموقف الى شاطئ جهنم اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما عراهم من الشدة وقرأ حمزة والكسائي وحفص جثيا بالكسر ثم لننزعن من كل شيعة من كل امة شايعت دينا ايهم اشد على الرحمن عتيا من كان اعصى واعتى منهم فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن كثير من اهل العصيان ولو خص ذلك بالكفرة فالمراد انه يميز طوائفهم اعتاهم فاعتاهم ويطرحهم في النار على الترتيب او يدخل كلا طبقتها التي تليق بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كسائر الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة فاذا حذف صدر صلته زاد نقصه فعاد الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرئ منصوبا ومرفوع عند غيره اما بالابتداء على انه استفهامي وخبره اشد والجملة محكية وتقدير الكلام لننزعن من كل شيعة الذين يقال فيهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز اللازم للعلم او مستأنفة والفعل واقع على كل شيعة على زيادة من او على معنى لننزعن بعض كل شيعة واما شيعة لانها بمعنى تشيع وعلى للبيان او متعلق بافعل وكذا الباء في قوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي لنحن اعلم بالذين هم اولى بالصلي او صليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤساء الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص صليا بكسر الصاد وان منكم وما منكم التفات الى الانسان ويؤيده انه قرئ وان منهم الا واردها الا واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه عليه السلام سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط فانه ممدود عليها كان على ربك حتما مقضيا كان ورودهم واجبا اوجبه الله على نفسه وقضى بان وعد به وعدا لا يمكن خلفه وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا فيساقون الى الجنة وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف وقرئ ثم بفتح الثاء اي هناك ونذر الظالمين فيها جثيا منهارة بهم كما كانوا وهو دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الفجرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الفجرة فيها منهارة بهم على هيئاتهم واذا تتلى عليهم آياتنا بينات مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او واضحات الاعجاز قال الذين كفروا للذين آمنوا لاجلهم او معهم اي الفريقين المؤمنين والكافرين خير مقاما موضع قيام او مكانا وقرأ ابن كثير بالضم اي موضع اقامة ومنزل واحسن نديا مجلسا ومجتمعا والمعنى انهم لما سمعوا الآيات الواضحات وعجزوا عن معارضتها والدخل عليها اخذوا في الافتخار بما لهم من حظوظ الدنيا والاستدلال بزيادة حظهم فيها على فضلهم وحسن حالهم عند الله لقصور نظرهم على الحال وعلمهم بظاهر من الحياة الدنيا فرد عليهم ذلك ايضا مع التهديد نقضا بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا وكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيانه وانما سمي اهل كل عصر قرنا لانه يتقدم من بعده وهم احسن صفة لكم واثاثا تمييز عن النسبة وهو متاع البيت وقيل هو ما جد منه والخرثي ما رث منه ورئيا منظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن والخبز وقرأ قالون وابن ذكوان ريا

على قلب الهمزة وادغامها او على انه من الرى الذى هو النعمة وابو بكر ريئا على القلب وقرئ ريا بحذف الهمزة وزيا من الزى وهو الجمع فانها محاسن مجموعة ثم بين ان تمتيعهم استدراج وليس باكرام وانما العيار على الفضل والنقص ما يكون فى الآخرة بقوله قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا يمده ويمهله بطول العمر والتمتع به وانما اخرجه على لفظ الامر ايذانا بان امهاله مما ينبغى ان يفعله استدراجا وقطعا للمعاذير كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما وكقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر حتى اذا راوا ما يوعدون غاية المد وقيل غاية قول الذين كفروا للذين آمنوا اى الفريقين خير حتى اذا راوا ما يوعدون اما العذاب واما الساعة تفصيل للموعود فانه اما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيامة وما ينالهم فيه من الخزى والنكال فسيعلمون من هو شر مكانا من الفريقين بان عاينوا الامر على عكس ما قدروه وعاد ما متعوا به خذلانا ووبالا عليهم وهو جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى واضعف جندا اى فئة وانصارا قابل به احسن نديا من حيث ان حسن النادى باجتماع وجوه القوم واعيانهم وظهور شوكتهم واستظهارهم ويزيد

مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

الله الذين اهتدوا هدى عطف على الشرطية المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة الدنيا ليس لفضله اراد ان يبين ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لان الله عز وجل اراد به ما هو خير وعوضه منه وقيل عطف على فليمدد لانه فى معنى الخبر كانه قيل من كان فى الضلالة يزيد الله فى ضلاله ويزيد المقابل له هداية والباقيات الصالحات الطاعات التى تبقى عائدتها ابد الآباد ويدخل فيها ما قيل من الصلوات الخمس وقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر خير عند ربك ثوابا عائدة مما متع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى يفتخرون بها سيما ومآلها النعيم المقيم ومآل هذه الحسرة والعذاب الدائم كما اشار اليه بقوله وخير مردا والخير ههنا اما لمجرد الزيادة او على طريقة قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده افرايت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالا وولدا نزلت فى العاص بن وائل كان لخباب عليه مال فتقاضاه فقال له لا حتى تكفر بمحمد فقال لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئنى فيكون لى ثم مال وولد فاعطيك ولما كانت الرؤية اقوى سند الاخبار استعمل ارأيت بمعنى الاخبار والفاء على اصلها والمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب حديث اولئك وقرأ حمزة والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد او لغة فيه كالعرب والعرب اطلع الغيب اقد بلغ من عظمة شانه الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى توحد به الواحد القهار حتى ادعى ان يؤتى فى الآخرة مالا وولدا وتالى عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا او اتخذ من علام الغيوب عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم به الا باحد هذين الطريقين وقيل العهد كلمة الشهادة والعمل الصالح فان وعد الله بالثواب عليهما كالعهد عليه كلا ردع وتنبيه على انه مخطئ فيما تصوره لنفسه سنكتب ما يقول سنظهر له انا كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة اى تبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام من كتب جريمة العدو وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تتاخر عن القول لقوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ونمد له من العذاب مدا ونطول له من العذاب ما يستأهله او نزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه

واستهزائه على الله ولذلك اكده بالمصدر دلالة على فرط غضبه عليه ونرثه بموته ما يقول يعنى المال والولد ويأتينا يوم القيامة فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له فى الدنيا فضلا ان يؤتى ثم زائدا وقيل فردا رافضا لهذا القول منفردا عنه واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ليتعززوا بهم حيث يكونون لهم وصلة الى الله وشفعاء عنده كلا ردع وانكار لتعززهم بها سيكفرون بعبادتهم سيجحد الآلهة عبادتهم ويقولون ما عبدتمونا لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا او سينكر الكفرة لسوء العاقبة انهم عبدوها لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا يؤيد الاول اذا فسر الضد بضد العز اى ويكونون عليهم ذلا او بضدهم على معنى انها تكون معونة فى عذابهم بان توقد بها نيرانهم او جعل الواو للكفرة اى يكونون كافرين بهم بعد ان كانوا يعبدونها وتوحيده لوحدة المعنى الذى به مضادتهم فانهم بذلك كالشئ الواحد ونظيره قوله عليه الصلاة والسلام وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بالتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله اقلى اللوم عاذل والعتابن *

او على معنى كل هذا الرأى كلا وكلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا سيكفرون بعبادتهم الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين بان سلطناهم عليهم او قيضنا لهم قرناء تؤزهم ازا تهزهم وتغريهم على المعاصى بالتسويلات وتحبيب الشهوات والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقاويل الكفرة وتماديهم فى الغى وتصميمهم على الكفر بعد وضوح الحق على ما نطقت به الآيات المتقدمة فلا تعجل عليهم بان يهلكوا حتى تستريح انت والمؤمنون من شرورهم وتطهر الارض من فسادهم انما نعد لهم ايام آجالهم عدا والمعنى لا تعجل بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة يوم نحشر المتقين نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذى غمرهم برحمته ولاختيار هذا الاسم فى هذه السورة شأن ولعله لان مساق الكلام فيها لتعداد نعمه الجسام وشرح حال الشاكرين لها والكافرين بها وفدا وافدين عليه كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين لكرامتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء لا يملكون الشفاعة الضمير فيه للعباد

المدلول عليه بذكر القسمين وهو الناصب لليوم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا الا من تحلى بما يستعد به ويستأهل ان يشفع للعصاة من الايمان والعمل الصالح على ما وعد الله او الا من اخذ من الله اذنا فيها لقوله لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به ومحله الرفع على البدل من الضمير او النصب على تقدير مضاف اى الا شفاعة من اتخذ او على الاستثناء وقيل الضمير للمجرمين والمعنى لا يملكون الشفاعة فيهم الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يستعد به ان يشفع له بالاسلام وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الضمير يحتمل الوجهين لان هذا لما كان مقولا فيما بين الناس جاز ان ينسب اليهم لقد جئتم شيئا ادا على الالتفات للمبالغة فى الذم والتسجيل عليهم بالجرأة على الله والاد بالفتح والكسر العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على تكاد السموات قرأ نافع والكسائى بالياء يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وابو بكر ويعقوب ينفطرن والاول ابلغ لان التفعل مطاوع فعل والانفعال مطاوع فعل ولان اصل التفعل للتكلف وتنشق الارض وتخر الجبال هدا تهد هدا او مهدودة او لانها تهد اى تكسر وهو تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول هذه الكلمة وعظمها بحيث لو تصور بصورة محسوسة لم تتحملها هذه الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او لان فظاعتها مجلبة لغضب الله بحيث لولا حلمه لخرب العالم وبدد قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا يحتمل النصب على العلة لتكاد او لهدا على حذف اللام وافضاء الفعل اليه والجر باضمار اللام او بالابدال من الهاء فى منه والرفع على انه خبر محذوف تقديره الموجب لذلك ان دعوا او فاعل هدا اى هدها دعاء الولد للرحمن وهو من دعا بمعنى سمى المتعدى الى المفعولين وانما اقتصر على المفعول الثانى ليحيط بكل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى هو مطاوعه ادعى الى فلان اذا انتسب اليه وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا ولا يليق به اتخاذ الولد ولا ينطلب له لو طلب مثلا لانه مستحيل ولعل ترتيب الحكم بصفة الرحمانية للاشعار بان كل ما عداه نعمة ومنعم عليه فلا يجانس من هو مبدأ النعم كلها ومولى اصولها وفروعها



إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سورة طه مكية مائة وخمس وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٢٠

طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

فكيف يمكن ان يتخذه ولدا ثم صرح به فى قوله ان كل من فى السموات والارض اى ما منهم الا آتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم حصرهم واحاط بهم بحيث لا يخرجون عن حوزة علمه وقبضة قدرته وعدهم عدا اى عد اشخاصهم وانفاسهم وافعالهم فان كل شئ عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيامة فردا منفردا من الاتباع والانصار فلا يجانسه شئ من ذلك ليتخذه ولدا ولا يناسبه ليشرك به ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها وعن النبى عليه الصلاة والسلام اذا احب الله عبدا يقول لجبرائيل احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل فينادى فى اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم توضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا ممقوتين حينئذ بين الكفرة فوعدهم ذلك اذا دجا الاسلام او لان الموعود فى القيامة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما فى صدورهم من الغل فانما يسرناه بلسانك بان انزلناه بلغتك والباء بمعنى على او على اصله لتضمن يسرنا معنى انزلنا اى انزلناه بلغتك لتبشر به المتقين الصائرين الى التقوى

وننذر به قوما لدا اشداء الخصومة آخذين في كل لديداي شق من المراء لفرط لجاجهم فبشر به وانذر وكم اهلكنا قبلهم من قرن تخويف للكفرة وتجسير للرسول صلى الله عليه وسلم على انذارهم هل تحس منهم من احد هل تشعر باحد منهم وتراه او تسمع لهم ركزا وقرئ تسمع من اسمعت والركز الصوت الخفي واصل التركيب هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله في الدنيا ومن لم يدع سورة طه مكية وهي مائة واربع وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمهما ابن كثير وابن عامر وحفص وقالون عن نافع ويعقوب على الاصل وفخم الطاء وحده ابو عمرو وورش عن نافع لاستعلائه واما لهما الباقون وهما من اسماء الحروف وقيل معناه يا رجل على لغة عك فان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بالقلب والاختصار والاستشهاد بقوله ان السفاهة طاها في خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين ضعيف لجواز ان يكون قسما كقوله حم لا ينصرون وقرئ طه على انه امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه فانه كان يقوم في تهجده على احدى رجليه وان اصله طأ فقلبت همزته هاء او قلبت من يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر وضم اليه هاء السكت وعلى هذا يحتمل ان يكون اصل طه طأ ها والالف مبدلة من الهمزة والهاء كناية الارض لكن يرد ذلك كتبتهما على صورة الحرف وكذا التفسير بيا رجل او اكتفي بشطري الكلمتين وعبر عنهما باسمهما ما انزلنا عليك القرآن لتشقى خبر طه ان جعلته مبتدأ على انه مأول بالسورة او القرآن والقرآن فيه واقع موقع العائد وجواب ان جعلته مقسما به ومنادى له ان جعلته نداء واستئناف ان كانت جملة فعلية او اسمية باضمار مبتدأ او طائفة من الحروف محكية والمعنى ما انزلنا عليك القرآن لتتعب بفرط تأسفك على كفر قريش اذ ما عليك الا ان تبلغ او بكثرة الرياضة وكثرة التهجد والقيام على ساق والشقاء شائع بمعنى التعب ومنه اشقى من رائض المهر وسيد القوم اشقاهم ولعله عدل اليه للاشعار بانه انزل عليه ليسعد وقيل رد وتكذيب للكفرة فانهم لما راوا كثرة عبادته قالوا انك لتشقى بترك ديننا وان القرآن انزل عليك لتشقى به الا تذكرة لكن تذكيرا وانتصابها على الاستثناء المنقطع ولا يجوز ان يكون بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين ولا مفعولا له لانزلنا فان الفعل الواحد لا يتعدى الى علتين وقيل هو مصدر في موقع الحال من الكاف او القرآن او المفعول له على ان لتشقى متعلق بمحذوف هو صفة القرآن اي ما انزلنا عليك القرآن المنزل لتتعب بتبليغه الا تذكرة لمن يخشى لمن في قلبه خشية ورقة يتأثر بالانذار او لمن علم الله منه انه يخشى بالتخويف منه فانه المنتفع به تنزيلا نصب باضمار فعله او بيخشى او على المدح او البدل من تذكرة ان جعل حالا وان جعل مفعولا له لفظا او معنى فلا لان الشيء لا يعلل بنفسه ولا بنوعه ممن خلق الارض والسموات العلى مع ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تفخيم لشأن المنزل بعرض تعظيم المنزل بذكر افعاله وصفاته على الترتيب الذي هو عند العقل فبدأ بخلق الارض والسموات التي هي اصول العالم وقدم الارض لانها اقرب الى الحس واظهر عنده من السموات العلى وهو جمع العليا تأنيث الاعلى

وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٧﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ
يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٨﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
﴿٩﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٠﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ
عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ
فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٣﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ
فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٤﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي
وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٥﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ
أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٦﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا
مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٧﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ
يَا مُوسَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا

ثم اشار الى وجه احداث الكائنات وتدبير امرها بان قصد العرش فاجرى منه الاحكام والتقادير وانزل منه الاسباب على ترتيب ومقادير حسبما اقتضته حكمته وتعلقت به مشيئته فقال الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى ليدل بذلك على كمال قدرته وارادته ولما كانت القدرة تابعة للارادة وهي لا تنفك عن العلم عقب ذلك باحاطة علمه تعالى بجليات الامور وخفياتها على سواء فقال وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي وان تجهر بذكر الله ودعائه فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى منه وهو ضمير النفس وفيه تنبيه على ان شرع الذكر والدعاء والجهر فيهما ليس لاعلام الله بل لتصوير النفس بالذكر ورسوخه فيها ومنعها عن الاشتغال بغيره وهضمها بالتضرع والجؤار ثم لما ظهر بذلك انه المستجمع لصفات الالوهية بين انه المتفرد بها والمتوحد بمقتضاها فقال الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ومن في ممن خلق الارض صلة لتنزيلا او صفة له والانتقال من التكلم الى الغيبة للتفنن في الكلام وتفخيم المنزل من وجهين اسناد انزاله الى ضمير الواحد العظيم الشأن ونسبته الى المختص بصفات الجلال والاكرام والتنبيه على انه واجب الايمان به

والانفياد له من حيث انه كلام من هذا شأنه ويجوز ان يكون انزلنا حكاية كلام جبرائيل والملئكة النازلين معه وقرئ الرحمن على الجر صفة لمن خلق فيكون على العرش استوى خبر محذوف وكذلك ان رفع الرحمن على المدح دون الابتداء ويجوز ان يكون خبرا ثانيا والثرى الطبقة الترابية من الارض وهي آخر طبقاتها والحسنى تأنيث الاحسن وفضل اسماء الله تعالى على سائر الاسماء في الحسن لدلالتها على معان هي اشرف المعاني وافضلها وهل اتيك حديث موسى قفى تمهيد نبوته صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ليأتم به في تحمل اعباء النبوة وتبليغ الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد فان هذه السورة من اوائل ما نزل اذ رأى نارا ظرف للحديث لانه حدث او مفعول لاذكر قيل انه استأذن شعيبا عليه الصلاة والسلام في الخروج الى امه وخرج باهله فلما وافى وادي طوى وفيه الطور ولد له ابن في ليلة شاتية مظلمة مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته اذ رأى من جانب الطور نارا فقال لاهله امكثوا اقيموا بمكانكم وقرأ حمزة لاهله امكثوا هنا وفي القصص بضم الهاء في الوصل والباقون بكسرها فيه انى آنست نارا ابصرتها ابصارا لاشبهة فيه وقيل الايناس ابصار ما يؤنس به لعلى آتيكم منها بقبس بشعلة من النار وقيل جمرة

عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾
فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ
سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ
تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا
الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ
اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ
لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾
هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾
كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ
بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ
مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾

او اجد على النار هدى هاديا يدلني على الطريق او يهديني ابواب الدين فان افكار الابرار مائلة اليها في كل ما يعن لهم ولما كان حصولهما مترقبا بنى الامر فيهما على الرجاء بخلاف الايناس فانه كان محققا ولذلك حققه لهم ليوطنوا انفسهم عليه ومعنى الاستعلاء في على النار ان اهلها مشرفون عليها او مستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب منه فلما اتاها اتى النار وجد نارا بيضاء تتقد في شجرة خضراء نودى يا موسى انى انا ربك فتحه ابن كثير وابو عمرو اي بانى وكسره الباقون باضمار القول او اجراء النداء مجراه وتكرير الضمير للتوكيد والتحقيق قيل انه لما نودى قال من المتكلم قال انى انا الله فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام الشيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع الجهات وبجميع الاعضاء وهو اشارة الى انه عليه الصلاة والسلام تلقى من ربه كلامه تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك الكلام لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتقش به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره بذلك لان الحفوة تواضع وادب ولذلك طاف السلف حافين وقيل لنجاسة نعليه فانهما كانتا من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ قلبك من الاهل والمال انك بالواد المقدس تعليل للامر باحترام البقعة والمقدس يحتمل المعنيين طوى عطف بيان للوادي ونونه ابن عامر والكوفيون بتأويل المكان وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اي نودى نداءين او قدس مرتين وانا اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرأ حمزة وانا اخترناك فاستمع لما يوحى للذى يوحى اليك او للوحى واللام تحتمل التعلق بكل من الفعلين انني انا الله لا اله الا انا فاعبدنى بدل مما يوحى دال على انه مقصور على تقرير التوحيد الذى هو منتهى العلم والامر بالعبادة التى هى كمال العمل واقم الصلاة لذكرى خصها بالذكر وافردها بالامر للعلة التى اناط بها اقامتها وهى تذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وقيل لذكرى لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالثناء او لذكرى خاصة لا ترائى بها ولا تشوبها بذكر غيرى وقيل لاوقات ذكرى وهو مواقيت الصلاة او لذكر صلاتى لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال من نام عن صلاة او نسيها فليقضها اذا ذكرها ان الله تعالى يقول واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية كائنة لا محالة اكاد اخفيها اريد اخفاء وقتها او اقرب ان اخفيها فلا اقول انها آتية ولولا ما فى الاخبار باتيانها من اللطف وقطع الاعذار لما اخبرت به او اكاد اظهرها من اخفاه اذا سلب خفاءه ويؤيده القراءة بالفتح من خفاه اذا اظهره لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق بآتية او باخفيها على المعنى الاخير فلا يصدنك عنها عن تصديق الساعة او عن الصلاة من لا يؤمن بها نهى الكافر ان يصد موسى عنها والمراد نهيه ان ينصد عنها كقوله لا ارينك ههنا تنبيها على ان فطرته السليمة لو خليت بحالها لاختارها ولم يعرض عنها وانه ينبغى ان يكون راسخا فى دينه فان صد الكافر انما يكون بسبب ضعفه فيه واتبع هواه ميل نفسه الى اللذات المحسوسة المخدجة فقصر نظره عن غيرها فتردى فتهلك بالانصداد بصده وما تلك استفهام يتضمن استيقاظا لما يريه فيها من العجائب بيمينك حال من معنى الاشارة وقيل صلة تلك يا موسى تكرير لزيادة الاستئناس والتنبيه قال هى عصاى وقرئ عصى على لغة هذيل

اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع واهش بها على غنمى واخبط الورق بها على رؤس غنمى وقرئ اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين من الهس وهو زجر الغنم اى انحى عليها زاجرا لها ولى فيها مآرب اخرى حاجات اخر مثل انه كان اذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها وكانه عليه السلام فهم ان المقصود من السؤال ان يذكر حقيقتها وما يرى من منافعها حتى اذا رآها بعد ذلك على خلاف تلك الحقيقة ووجد منها خصائص اخرى خارقة للعادة مثل ان يشتعل شعبتاها بالليل كالشمع ويصيران دلوا عند الاستقاء وتطول بطول البئر وتحارب عنه اذا ظهر عدو وينبع الماء بركزها وينضب بنزعها وتورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة فركزها علم ان ذلك آيات باهرة ومعجزات قاهرة احدثها الله فيها لاجله وليست من خواصها فذكر حقيقتها ومنافعها مفصلا ومجملا على معنى انها من جنس العصى تنفع منافع امثالها ليطابق جوابه الغرض الذى فهمه قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت فلذلك سماها جانا تارة نظرا الى المبدأ وثعبانا مرة باعتبار المنتهى وحية اخرى بالاسم الذى يعم الحالين وقيل كانت فى ضخامة الثعبان وجلادة الجان ولذلك قال كأنها جان قال خذها ولا تخف فانه لما رآها حية تسرع وتبتلع الحجر والشجر خاف وهرب منها سنعيدها سيرتها الاولى هيئتها وحالتها المتقدمة وهى فعلة من السير تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض او على ان اعاد منقول من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرف اى سنعيدها فى طريقتها او على تقدير فعلها اى سنعيد العصا بعد ذهابها تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها ما كنت تنتفع قبل قيل لما قال له ربه ذلك اطمأنت نفسه حتى ادخل يده فى فمها واخذ بلحييها واضمم يدك الى جناحك الى جنبك تحت العضد يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحى العسكر استعارة من جناحى الطائر سميا بذلك لانه يجنحهما عند الطيران تخرج بيضاء كانها مشعة من غير سوء من غير عاهة وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة عن العورة لان الطباع تعافه وتنفر عنه آية اخرى معجزة ثانية وهى حال من ضمير تخرج كبيضاء او من ضميرها او مفعول باضمار خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى متعلق بهذا المضمر او بما دل عليه الآية او القصة اى دللنا بها او فعلنا ذلك لنريك والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين وادعه الى العبادة انه طغى عصى وتكبر قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى لما امره الله بخطب عظيم وامر جسيم سأله ان يشرح صدره ويفسح قلبه لتحمل اعبائه والصبر على مشاقه والتلقى لما ينزل عليه ويسهل الامر له باحداث الاسباب ورفع الموانع وفائدة لى ابهام المشروح والميسر اولا ثم رفعه بذكر الصدر والامر تأكيدا ومبالغة واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فانما يحسن التبليغ من البليغ وكان فى لسانه رتة من جمرة ادخلها فاه وذلك ان فرعون حمله يوما فاخذ لحيته ونتفها فغضب وامر بقتله فقالت آسية انه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضرا بين يديه فاخذ الجمرة ووضعها فى فيه ولعل تبييض يده كان لذلك وقيل احترقت يده واجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اى رب تدعونى قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنه واختلف فى زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك بقوله قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل احتج بقوله هو افصح منى لسانا وقوله ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه مطلقا بل عقدة تمنع الافهام ولذلك نكرها وجعل يفقهوا جواب الامر ومن لسانى يحتمل ان يكون صفة عقدة وان يكون صلة احلل واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى يعيننى على ما كلفتنى به واشتقاق الوزير اما من الوزر لانه يحمل الثقل عن اميره او من الوزر وهو الملجأ لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه فى اموره ومنه الموازرة وقيل اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى مفاعل كالعشير والجليس قلبت همزته واوا كقلبها فى موازر ومفعولا اجعل وزيرا وهرون قدم ثانيهما للعناية به ولى صلة او حال او لى وزيرا وهرون عطف بيان للوزير او وزيرا ومن اهلى ولى تبيين كقوله ولم يكن له كفوا احد واخى على الوجوه بدل من هرون او مبتدأ خبره اشدد به ازرى واشركه فى امرى على لفظ الامر وقرأهما ابن عامر بلفظ الخبر على انهما جواب الامر

انا قذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لى وعدو له والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى ﴿٤٠﴾ اذ تمشى اختك فتقول هل ادلكم على من يكفله فرجعناك الى امك كى تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا فلبثت سنين فى اهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ﴿٤١﴾ واصطنعتك لنفسى ﴿٤٢﴾ اذهب انت واخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى ﴿٤٣﴾ اذهبا الى فرعون انه طغى ﴿٤٤﴾ فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ﴿٤٥﴾ قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى ﴿٤٦﴾ قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى ﴿٤٧﴾ فأتياه فقولا انا رسولا ربك

فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ
مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا
أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا
يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ
رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا
نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ
آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا

كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون يهيج الرغبات ويؤدى الى تكاثر الخير وتزايده انك كنت بنا بصيرا عالما باحوالنا وان التعاون مما يصلحنا وان هرون نعم المعين لى فيما امرتنى به قال قد اوتيت سؤلك يا موسى اى مسئولك فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والمأكول ولقد مننا عليك مرة اخرى اى انعمنا عليك فى وقت آخر اذ اوحينا الى امك بالهام او فى منام او على لسان نبى فى وقتها او ملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم ما يوحى ما لا يعلم الا بالوحى او مما ينبغى ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه وفرط الاهتمام به ان اقذفيه فى التابوت بان اقذفيه او اى اقذفيه لان الوحى بمعنى القول فاقذفيه فى اليم القذف يقال للالقاء وللوضع كقوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى كقوله غلام رماه الله بالحسن يافعا فليلقه اليم بالساحل لما كان القاء البحر اياه الى الساحل امرا واجب الحصول لتعلق الارادة به جعل البحر كأنه ذو تمييز مطيع امره بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والاولى ان تجعل الضمائر كلها لموسى مراعاة للنظم والمقذوف فى البحر والملقى الى الساحل وان كان التابوت بالذات فموسى بالعرض يأخذه عدو لى وعدو له جواب فليلقه وتكرير عدو للمبالغة او لان الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع قيل انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا على رأسها مع امرأته آسية بنت مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه حبا شديدا كما قال والقيت عليك محبة منى اى محبة كائنة منى قد زرعتها فى القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك فلذلك احبك فرعون ويجوز ان يتعلق منى بالقيت اى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب وظاهر اللفظ ان اليم القاه بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله فالتقط منه لكن لا يبعد ان يؤول الساحل بجنب فوهة نهره ولتصنع على عينى ولتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك والعطف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك او على الجملة السابقة باضمار فعل معلل مثل فعلت ذلك وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر ولتصنع بالنصب وفتح التاء اى وليكون عملك على عين منى لئلا تخالف به عن امرى اذ تمشى اختك ظرف لالقيت او لتصنع او بدل من اذ اوحينا على ان المراد بها وقت متسع فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انه كان لا يقبل ثدى المراضع فجاءت اخته مريم متفحصة خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها فقالت هل ادلكم فجاءت بامه فقبل ثديها فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك كى تقر عينها بلقائك ولا تحزن هى بفراقك او انت بفراقها وفقد اشفاقها وقتلت نفسا نفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى فنجيناك من الغم غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى واقتصاص فرعون بالمغفرة والامن منه بالهجرة الى مدين وفتناك فتونا وابتليناك ابتلاء او انواعا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بالتاء كحجور وبدور فى حجرة وبدرة فخلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال لما ناله فى سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الالاف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد واجر نفسه الى غير ذلك اوله ولما سبق ذكره فلبثت سنين فى اهل مدين لبث فيهم عشر سنين قضاء لاوفى الاجلين ومدين على ثمانى مراحل من مصر ثم جئت على قدر قدرته لان اكلمك واستنبئك غير مستقدم وقته المعين ولا مستأخر او على مقدار من السن يوحى فيه الى الانبياء يا موسى كرره عقيب ما هو غاية الحكاية للتنبيه على ذلك واصطنعتك لنفسى واصطفيتك لمحبتى مثله فيما خوله من الكرامة بمن قربه الملك واستخلصه لنفسه اذهب انت واخوك بآياتى بمعجزاتى ولا تنيا ولا تفترا ولا تقصرا وقرئ تنيا بكسر التاء فى ذكرى لا تنسيانى حيثما تقلبتما وقيل فى تبليغ ذكرى والدعاء الى اذهبا الى فرعون انه طغى امر به اولا موسى وحده وههنا اياه واخاه فلا تكرير قيل اوحى الى هرون ان يتلقى موسى وقيل سمع بمقبله فاستقبله فقولا له قولا لينا مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى فانه دعوة فى صورة عرض ومشورة حذرا ان تحمله الحماقة على ان يسطو عليكما او احتراما لما له من حق التربية عليك وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا يزول الا بالموت لعله يتذكر او يخشى متعلق باذهبا او قولا اى باشرا الامر على رجائكما وطمعكما انه يثمر ولا يخيب سعيكما فان الراجى مجتهد والآيس متكلف والفائدة فى ارسالهما والمبالغة

عليهما

عليهما في الاجتهاد مع علمه بانه لايؤمن الزام الحجة وقطع للمعذرة واظهار ماحدث في تضاعيف ذلك من الآيات والتذكر للمتحقق والخشية للمتوهم ولذلك قدم الاول اى ان لم يتحقق صدقكما ولم يتذكر فلا اقل من ان يتوهمه فيخشى قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا ان يعجل علينا بالعقوبة ولايصبر الى اتمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطته اذا حملته على العجلة اى نخاف ان يحمله حامل من استكبار او خوف على الملك او شيطان انسى او جنى على المعاجلة بالعقاب ويفرط من الافراط في الاذية او ان يطغى ان يزداد طغيانا فيتخطى الى ان يقول فيك مالاينبغي لجرآءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والنصرة اسمع وارى مايجرى بينكما وبينه من قول وفعل فاحدث في كل حال مايصرف شره عنكما ويوجب نصرتى لكما ويجوز ان لايقدر شئ على معنى انني حافظكما سامعا مبصرا والحافظ اذا كان قادرا سميعا بصيرا تم الحفظ فأتياه فقولا انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسرائيل اطلقهم ولا تعذبهم بالتكاليف الصعبة وقتل الولدان فانهم كانوا في ايدى القبط

بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٨﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٩﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٦٠﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦١﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦٢﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٣﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٤﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٦﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٧﴾

يستخدمونهم ويتعبونهم في العمل ويقتلون ذكور اولادهم في عام دون عام وتعقيب الاتيان بذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى الايمان ويجوز ان يكون للتدريج في الدعوة قد جئناك بآية من ربك جملة مقررة لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وانما وحد الآية وكان معه آيتان لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا الاشارة الى وحدة الحجة وتعددها وكذلك قوله قد جئتكم ببينة فأت بآية اولو جئتك بشئ مبين والسلام على من اتبع الهدى سلام الملئكة وخزنة الجنة على المهتدين او السلامة في الدارين لهم انا قد اوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى ان عذاب المشركين على المكذبين للرسل ولعل تغيير النظم والتصريح بالوعيد والتوكيد فيه لان التهديد في اول الامر انجع وبالواقع اليق قال فمن ربكما يا موسى اى بعدما اتياه وقالا له ما امرا به ولعله حذف لدلالة الحال عليه فان المطيع اذا امر بشئ فعله لامحالة وانما خاطب الاثنين وخص موسى بالنداء لانه الاصل وهرون وزيره وتابعه اولانه عرف ان له رتة ولاخيه فصاحة فاراد ان يفحمه ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين قال ربنا الذى اعطى كل شئ من الانواع خلقه صورته وشكله الذى يطابق كماله الممكن له او اعطى خليقته كل شئ يحتاجون اليه ويرتفقون به وقدم المفعول الثانى لانه المقصود بيانه وقيل اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة زوجا وقرئ خلقه صفة للمضاف اليه او المضاف على شذوذ فيكون المفعول الثانى محذوفا اى اعطى كل مخلوق مايصلحه ثم هدى ثم عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل به الى بقائه وكماله اختيارا او طبعا وهو جواب في غاية البلاغة لاختصاره واعرابه عن الموجودات باسرها على مراتبها ودلالته على ان الغنى القادر بالذات المنعم على الاطلاق هو الله تعالى وان جميع ماعداه مفتقر اليه منعم عليه في حد ذاته وصفاته وافعاله ولذلك بهت الذى كفر وافحم عن الدخل عليه فلم يرالا صرف الكلام عنه قال فما بال القرون الاولى فما حالهم بعد موتهم من السعادة والشقاوة قال علمها عند ربى اى انه غيب لايعلمه الا الله وانما انا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرنى به في كتاب مثبت في اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا لتمكنه في علمه بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة ويؤيده لا يضل ربى ولا ينسى والضلال ان تخطئ الشئ في مكانه فلم تهتد اليه والنسيان ان تذهب عنه بحيث لايخطر ببالك وهما محالان على العالم بالذات ويجوز ان يكون سؤاله دخلا على احاطة قدرة الله بالاشياء كلها وتخصيصه ابعاضها بالصور والخواص المختلفة بان ذلك يستدعى علمه بتفاصيل الاشياء وجزئياتها والقرون الخالية مع كثرتهم وتمادى مدتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمه بهم وباجزائهم واحوالهم فيكون معنى الجواب ان علمه تعالى محيط بذلك كله وانه مثبت عنده لايضل ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربى او خبر لمحذوف او منصوب على المدح وقرأ الكوفيون مهدا اى كالمهد تتمهدونها وهو مصدر سمى به والباقون مهادا وهو اسم مايمهد كالفراش او جمع مهد وسلك لكم فيها سبلا وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والاودية والبرارى تسلكونها من ارض الى ارض لتبلغوا منافعها وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به عدل به من لفظ الغيبة الى صيغة التكلم على الحكاية لكلام الله تعالى تنبيها على ظهور مافيه من الدلالة

على كمال القدرة والحكمة وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لمشيئته وعلى هذا نظائره كقوله الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران بعضها ببعض من نبات بيان وصفة لازواجا وكذلك شتى ويحتمل ان يكون صفة لنبات فانه من حيث انه مصدر فى الاصل يستوى فيه الواحد والجمع وهو جمع شتيت كمريض ومرضى اى متفرقات فى الصور والاغراض والمنافع يصلح بعضها للناس وبعضها للبهائم فلذلك قال كلوا وارعوا انعامكم وهو حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اى فاخرجنا اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا والمعنى معديها لانتفاعكم بالاكل والعلف آذنين فيه ان فى ذلك لايات لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل وارتكاب القبائح جمع نهية منها خلقناكم فان التراب اصل خلقة اول ابائكم واول مواد ابدانكم وفيها نعيدكم بالموت وتفكيك الاجزاء ومنها نخرجكم تارة اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الصورة السابقة ورد الارواح اليها ولقد اريناه آياتنا بصرناه اياها او عرفناه صحتها كلها تاكيد لشمول الانواع او لشمول الافراد على ان المراد بآياتنا آيات معهودة هى الايات التسع المختصة بموسى او انه عليه السلام اراه اياه وعدد عليه ما اوتى غيره من المعجزات فكذب موسى من فرط عناده وابى الايمان والطاعة لعتوه قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا ارض مصر بسحرك يا موسى هذا تعلل وتحير ودليل على انه علم كونه محقا حتى خاف منه على ملكه فان الساحر لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه فلنأتينك بسحر مثله مثل سحرك فاجعل بيننا وبينك موعدا وعدا لقوله لا نخلفه نحن ولا انت فان الاخلاف لا يلائم الزمان والمكان وانتصاب مكانا سوى بفعل دل عليه المصدر لا به لانه موصوف او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مضاف اليه وعلى هذا يكون طباق الجواب فى قوله قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع الناس فيه فى ذلك اليوم او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر فى ان المراد بهما المصدر ومعنى سوى منتصفا يستوى مسافته الينا واليك وهو فى النعت كقولهم قوم عدى فى الشذوذ وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب بالضم وقيل فى يوم الزينة يوم عاشوراء ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم فى كل عام وانما عينه ليظهر الحق ويزهق الباطل على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فى الاقطار وان يحشر الناس ضحى عطف على اليوم او على الزينة وقرئ على بناء الفاعل بالتاء على خطاب فرعون والياء على ان فيه ضمير اليوم او ضمير فرعون على ان الخطاب لقومه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكاد به يعنى السحرة وآلاتهم ثم اتى بالموعد قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا آياته سحرا فيسحتكم بعذاب فيهلككم ويستأصلكم وقرأ حمزة والكسائى وحفص ويعقوب بالضم من الاسحات وهو لغة نجد وتميم والسحت لغة الحجاز وقد خاب من افترى كما خاب فرعون فانه افترى واحتال ليبقى الملك عليه فلم ينفعه فتنازعوا امرهم بينهم اى تنازعت السحرة فى امر موسى حين سمعوا كلامه فقال بعضهم هذا ليس من كلام السحرة واسروا النجوى بان موسى ان غلبنا اتبعناه او تنازعوا واختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السر وقيل الضمير لفرعون وقومه وقوله قالوا ان هذان لساحران تفسير لاسروا النجوى كانهم تشاوروا فى تلفيقه حذرا ان يغلبا فيتبعهما الناس

فَاَوْجَسَ فِى نَفْسِهٖ خِيفَةً مُوسٰى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ اِنَّكَ اَنْتَ الْاَعْلٰى ﴿٦٨﴾ وَاَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا اِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ اَتٰى ﴿٦٩﴾ فَاُلْقِىَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا اٰمَنَّا بِرَبِّ هٰرُونَ وَمُوسٰى ﴿٧٠﴾ قَالَ اٰمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ اَنْ اٰذَنَ لَكُمْ اِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَاُقَطِّعَنَّ اَيْدِيَكُمْ وَاَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَاُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ اَيُّنَا اَشَدُّ عَذَابًا وَاَبْقٰى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا اَنْتَ قَاضٍ اِنَّمَا تَقْضِى هٰذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ اِنَّا اٰمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا اَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللّٰهُ خَيْرٌ وَاَبْقٰى ﴿٧٣﴾ اِنَّهُ مَنْ يَاْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَاِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ

وهذان اسم ان على لغة بلحارث بن كعب فانهم جعلوا الالف للتثنية واعربوا المثنى تقديرا وقيل اسمها ضمير الشأن المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها مبتدأ وخبر وفيهما ان اللام لا يدخل خبر المبتدأ وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرأ ابو عمرو ان هذين وهو ظاهر وابن كثير وحفص ان هذان على انها هى المخففة واللام هى الفارقة او النافية واللام بمعنى الا يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بالاستيلاء عليها بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الذى هو افضل المذاهب باظهار مذهبه واعلاء دينه لقوله انى اخاف ان يبدل دينكم وقيل اراد واهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل فانهم كانوا ارباب علم فيما بينهم لقول موسى ارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم من حيث انهم قدوة لغيرهم فاجمعوا كيدكم فازمعوه واجعلوه مجمعا عليه لا يتخلف عنه واحد منكم وقرأ ابو عمرو فاجمعوا ويعضده قوله فجمع كيده والضمير فى قالوا ان كان للسحرة فهو قول بعضهم لبعض

ثم ائتوا صفا مصطفين لانه اهيب في صدور الرائين قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقد افلح اليوم من استعلى فاز بالمطلوب من غلب وهو اعتراض

قالوا ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى اي بعد ما اتوا مراعاة للادب وان بما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اي اختر القاءك اولا او القاءنا او الامر القاؤك او

القاؤنا قال بل القوا مقابلة ادب بادب وعدم مبالاة بسحرهم واسعافا الى ما اوهموا من الميل الى البدء بذكر الاول في شقهم وتغيير النظم الى وجه ابلغ ولان يبرزوا ما معهم ويستنفدوا

اقصى وسعهم ثم يظهر الله سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى اي فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجأة والتحقيق انها طرفية

تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف اليها لكنها خصت بان يكون المتعلق فعل المفاجأة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجأ موسى وقت تخيل سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك

بانهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت فخيل اليه انها تتحرك وقرأ ابن عامر وروح تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال انها تسعى منه بدل الاشتمال وقرئ

يخيل على اسناده الى الله وتخيل بمعنى تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى فاضمر فيها خوفا من مفاجأته على ما هو مقتضى الجبلة البشرية او من ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف ما توهمت انك انت الاعلى تعليل للنهي وتقرير لغلبته مؤكدا بالاستئناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير وتعريف الخبر ولفظ العلو الدال على الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه ولم يقل عصاك تحقيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويدة التي في يدك او تعظيما لها اي لا تحتفل بكثرة هذه الاجرام وعظمها فان في يمينك ما هو اعظم منها اثرا فالقه تلقف ما صنعوا تبتلعه بقدرة الله تعالى واصله تتلقف فحذف احدى التاءين وتاء المضارعة تحتمل التانيث والخطاب على اسناد الفعل الى السبب وقرأ ابن عامر بالرفع على الحال او الاستئناف وحفص بالجزم والتخفيف على انه من لقفته بمعنى تلقفته انما صنعوا ان الذي زوروا وافتعلوا كيد ساحر وقرئ بالنصب على ان ما كافة وهو مفعول صنعوا وقرأ حمزة والكسائي سحر بمعنى ذي سحر او بتسمية الساحر سحرا على المبالغة او باضافة الكيد الى السحر للبيان كقولهم علم فقه وانما وحد الساحر لان المراد به الجنس المطلق ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس وتنكير الاول لتنكير المضاف كقول العجاج يوم ترى النفوس ما اعدت في سعي دنيا طالما قد مدت كأنه قيل ان ما صنعوا كيد سحري حيث اتى حيث كان واين اقبل فالقي السحرة سجدا اي فالقى فتلقفت فتحقق عند السحرة انه ليس بسحر وانما هو من آيات الله ومعجزة من معجزاته فالقاهم ذلك على وجوههم سجدا لله توبة عما صنعوا واعتابا وتعظيما لما رأوا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدم هرون لكبر سنه او لروي الآية او لان فرعون ربى موسى في صغره فلو اقتصر على موسى او قدم ذكره فربما توهم ان المراد فرعون وذكر هرون على الاستتباع روي انهم رأوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها قال آمنتم له اي لموسى واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان له انه لكبيركم لعظيمكم في فنكم واعلمكم به او لاستاذكم الذي علمكم السحر وانتم تواطأتم على ما فعلتم فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كأن

القطع ابتدئ من مخالفة العضو العضو وهي مع المجرور بها في موضع النصب على الحال اي لاقطعنها مختلفات وقرئ لاقطعن ولاصلبن بالتخفيف ولاصلبنكم في جذوع النخل شبه تمكن المصلوب بالجذوع بتمكن المظروف بالظرف وهو اول من صلب ولتعلمن اينا يريد نفسه وموسى لقوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله اراد به توضيع موسى والهزؤ به فانه لم يكن من التعذيب في شيء وقيل رب موسى الذي آمنوا به اشد عذابا وابقى وادوم عذابا قالوا لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا موسى به ويجوز ان يكون الضمير فيه لما من البينات المعجزات الواضحات والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض ما انت قاضيه اي صانعه او حاكم به انما تقضي هذه الحياة الدنيا انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه في هذه الدنيا والآخرة خير وابقى فهو كالتعليل لما قبله والتمهيد لما بعده وقرئ تقضى هذه الحياة كقولك صيم يوم الجمعة انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي وما اكرهتنا عليه من السحر في معارضة المعجزة روي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما

فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٥﴾ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٦﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٨﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٩﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٨٠﴾ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨١﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨٢﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٣﴾



ففصل فوجدوه تحرسه العصا فقالوا ما هذا بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فأبى الا ان يعارضوه والله خير وابقى جزاء او خير ثوابا وابقى عقابا انه ان الامر من يأت ربه مجرما بان يموت على كفره وعصيانه فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة مهنأة ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى للمنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها حال والعامل فيها معنى الاشارة او الاستقرار وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الكفر والمعاصى والآيات الثلاث يحتمل ان تكون من كلام السحرة وان تكون ابتداء كلام الله ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادى اى من مصر فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما او فاتخذ من ضرب اللبن اذا عمله في البحر يبسا يابسا مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا كسقم سقما وسقما ولذلك وصف به المؤنث فقيل شاة يبس للتى جف لبنها وقرئ يبسا وهو اما مخفف منه او وصف على فعل كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الواحد مبالغة كقوله كأن قتود رحلى حين ضمت حوالب غرزا ومعى جياعا اولتعدده معنى فانه جعل لكل سبط منهم طريقا لا تخاف دركا حال من المأمور اى آمنا من ان يدرككم العدو او صفة ثانية والعائد محذوف وقرأ حمزة لا تخف على انه جواب الامر ولا تخشى استئناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف فيه للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا او حال بالواو والمعنى لا تخشى الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده وذلك ان موسى خرج بهم اول الليل فاخبر فرعون بذلك فقص اثرهم والمعنى فاتبعهم فرعون نفسه ومعه جنوده فحذف المفعول الثانى وقيل فاتبعهم بمعنى فاتبعهم ويؤيده القراءة به والباء للتعدية وقيل الباء مزيدة والمعنى فاتبعهم جنوده وذادهم خلفهم فغشيهم من اليم ما غشيهم الضمير لجنوده او له ولهم وفيه مبالغة ووجازة اى غشيهم ما سمعت قصته ولا يعرف كنهه الا الله وقرئ فغشاهم ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله تعالى او ما غشاهم او فرعون لانه الذى ورطهم للهلاك واضل فرعون قومه وما هدى اى اضلهم فى الدين وما هداهم وهو تهكم به فى قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او اضلهم فى البحر وما نجا يا بنى اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك فرعون على اضمار قلنا او للذين منهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بما فعل بآبائهم قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه وواعدناكم جانب الطور الايمن لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه وانما عدى المواعدة اليهم وهى لموسى او له وللسبعين المختارين للملابسة ونزلنا عليكم المن والسلوى يعنى فى التيه كلوا من طيبات ما رزقناكم لذائذه او حلاله وقرأ حمزة والكسائى انجيتكم وواعدتكم ما رزقتكم على التاء وقرئ ووعدتكم ووعدناكم والايمن بالجر على الجوار مثل جحر ضب خرب ولا تطغوا فيه فيما رزقناكم بالاخلال بشكره والتعدى لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق فيحل عليكم غضبى فيلزمكم عذابى ويجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى فقد تردى وهلك وقيل وقع فى الهاوية وقرأ الكسائى يحل ويحلل بالضم من حل يحل اذا نزل وانى لغفار لمن تاب عن الشرك وآمن بما يجب الايمان به وعمل صالحا ثم اهتدى ثم استقام على الهدى المذكور

وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي

وما اعجلك عن قومك يا موسى سؤال عن سبب العجلة يتضمن انكارها من حيث انها نقيصة فى نفسها انضم اليها اغفال القوم وايهام التعظم عليهم فلذلك اجاب موسى عن الامرين وقدم جواب الانكار لانه اهم قال هم اولاء على اثرى ما تقدمتهم الا بخطى يسيرة لا يعتد بها عادة وليس بينى وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم الرفقة بها بعضهم بعضا وعجلت اليك رب لترضى فان المسارعة الى امتثال امرك والوفاء بعهدك توجب مرضاتك قال فانا قد فتنا قومك من بعدك ابتليناهم بعبادة العجل بعد خروجك من بينهم وهم الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا واضلهم السامرى باتخاذ العجل والدعاء الى عبادته وقرئ واضلهم اى اشدهم ضلالة لانه كان ضالا مضلا فان صح انهم اقاموا على الدين بعد ذهابه عشرين ليلة وحسبوها باياها اربعين وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل وان هذا الخطاب كان له عند مقدمه اذ ليس فى الآية ما يدل عليه كان ذلك اخبارا من الله له عن المترقب بلفظ الواقع على عادته فان اصل وقوع الشئ ان يكون فى علمه ومقتضى مشيئته والسامرى منسوب الى قبيلة من بنى اسرائيل

يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل باجرماء واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا فرجع موسى الى قومه بعدما استوفى الاربعين واخذ التوراة غضبان عليهم
اسفا حزينا بما فعلوا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها هدى ونور افطال عليكم العهد اى الزمان يعني زمان مفارقته لهم ام اردتم ان يحل عليكم
يجب عليكم غضب من ربكم بعبادة ما هو مثل فى الغباوة فاخلفتم موعدى وعدكم اياى بالثبات على الايمان بالله والقيام على ما امرتكم به وقيل هو من اخلفت وعده اذا
وجدت الخلف فيه اى فوجدتم الخلف فى وعدى لكم بالعود بعد الاربعين وهو لا يناسب الترتيب على الترديد ولا على الشق الذى يليه ولا جوابهم له قالوا ما اخلفنا موعدك
بملكنا بان ملكنا امرنا اذ لو خلينا وامرنا ولم يسول لنا السامرى لما اخلفناه وقرأ نافع وعاصم بملكنا بالفتح وحمزة والكسائى بالضم وثلاثها فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ
ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم حملنا احمالا من حلى القبط التى استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل استعاروا العيد كان لهم ثم لم يردوا عند الخروج
مخافة ان يعلموا به وقيل هى ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوه ولعلهم
سموها اوزارا لانها آثام فان الغنائم لم تكن تحل بعد ولانهم كانوا مستأمنين وليس
للمستأمن ان ياخذ مال الحربى فقذفناها اى فى النار فكذلك القى السامرى
اى ما كان معه منها روى انهم لما حسبوا ان العدة قد كملت قال لهم السامرى انما اخلف
موسى ميعادكم لما معكم من حلى القوم وهو حرام عليكم فالرأى ان نحفر حفيرة ونسجر فيها
نارا ونقذف كل ما معنا فيها ففعلوا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر وروح حملنا
بالفتح والتخفيف فاخرج لهم عجلا جسدا من تلك الحلى المذابة له خوار صوت
العجل فقالوا يعنى السامرى ومن افتتن به اول ما رأوه هذا الهكم واله موسى
فنسى اى فنسيه موسى وذهب يطلبه عند الطور او فنسى السامرى اى ترك ما كان
عليه من اظهار الايمان افلا يرون افلا يعلمون ان لا يرجع اليهم قولا انه لا يرجع
اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا وقرئ يرجع بالنصب وفيه ضعف لان ان الناصبة
لا تقع بعد افعال اليقين ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولا يقدر على انفاعهم
واضرارهم ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل رجوع موسى او قول السامرى كانه
اول ما وقع عليه بصره حين طلع من الحفرة توهم ذلك وبادر تحذيرهم يا قوم انما فتنتم
به بالعجل وان ربكم الرحمن لا غير فاتبعونى واطيعوا امرى فى الثبات على الدين
قالوا لن نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا
موسى وهذا الجواب يؤيد الوجه الاول قال يا هرون اى قال له موسى لما رجع
ما منعك اذ رايتهم ضلوا بعبادة العجل ان لا تتبعن ان تتبعنى فى الغضب لله
والمقاتلة مع من كفر به او ان تأتى عقبى وتلحقنى ولا مزيدة كما فى قوله ما منعك ان
لا تسجد افعصيت امرى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه قال يا ابن ام
خص الأم استعطافا وترقيقا وقيل لانه كان اخاه من الام والجمهور على انهما كانا
من اب وام لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى اى بشعر راسى قبض عليهما يجره اليه من
شدة غيظه وفرط غضبه لله وكان عليه الصلاة والسلام حديدا خشنا
متصلبا فى كل شئ فلم يتمالك حين رآهم يعبدون العجل انى خشيت ان تقول فرقت

وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩١﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
مُوسَىٰ ﴿٩٢﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٣﴾
أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٤﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِى
وَلَا بِرَأْسِىٓ إِنِّى خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِى ﴿٩٥﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِىُّ ﴿٩٦﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ
يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ
سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٧﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ
لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى
ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا
﴿٩٨﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ
عِلْمًا ﴿٩٩﴾ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ

بين بنى اسرائيل لو قاتلت او فارقت بعضهم ببعض ولم ترقب قولى حين قلت اخلفنى فى قومى واصلح فان الاصلاح كان فى حفظ الدهماء والمداراة بهم الى ان ترجع اليهم فتدارك الامر برأيك
قال فما خطبك يا سامرى اى ثم اقبل عليه وقال له منكرا ما خطبك اى ما طلبك له او ما الذى حملك عليه وهو مصدر خطب الشئ اذا طلبه قال بصرت بما لم يبصروا به وقرأ
حمزة والكسائى بالتاء على الخطاب اى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له وهو ان الرسول الذى جاءك روحانى محض لا يمس اثره شيئا الا احياه او رايت ما لم تروه وهو ان جبرائيل
جاءك على فرس الحياة وقيل انما عرفه لان امه القته حين ولدته خوفا من فرعون وكان جبرائيل يغذوه حتى استقل فقبضت قبضة من اثر الرسول من تربة موطئه والقبضة المرة من
القبض فاطلق على المقبوض كضرب الامير وقرئ بالصاد والاول الاخذ بجميع الكف والثانى الاخذ باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والرسول جبرائيل عليه الصلاة والسلام ولعله لم يسمه
لانه لم يعرف انه جبرائيل او اراد ان ينبه على الوقت وهو حين ارسل اليه ليذهب به الى الطور فنبذتها فى الحلى المذاب او فى جوف العجل حتى حيى وكذلك سولت لى نفسى زينته وحسنته لى

قال فاذهب فان لك في الحياة عقوبة على ما فعلت ان تقول لا مساس خوفا من ان يمسك احد فتأخذك الحمى ومن مسك فتحامى الناس ويحاموك وتكون طريدا وحيدا كالوحشى النافر وقرئ لا مساس كفجار وهو علم للمسة وان لك موعدا في الآخرة لن تخلفه لن يخلفكه الله وينجزه لك في الآخرة بعد ما عاقبك في الدنيا وقرأ ابن كثير والبصريان بكسر اللام اى لن تخلف الواعد اياه وستأتيه لا محالة فحذف المفعول الاول لان المقصود هو الموعد ويجوز ان يكون من اخلفت الموعد اذا وجدته خلفا وقرئ بالنون على حكاية قول الله وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ظللت على عبادته مقيما فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء على نقل حركة اللام اليها لنحرقنه اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه او بالمبرد على انه مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه ثم لنذرينه رمادا او مبرودا وقرئ بضم السين في اليم نسفا فلا يصادف منه بشئ والمقصود من ذلك زيادة عقوبته واظهار غباوة المفتتنين به لمن له ادنى نظر انما الهكم المستحق لعبادتكم الله الذى لا اله الا هو اذ لا احد يماثله او يدانيه في كمال العلم والقدرة وسع كل شئ علما وسع علمه

آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٠٠﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا ﴿١٠١﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠٢﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٣﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٧﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١١﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٢﴾

كل ما يصح ان يعلم لا العجل الذى يصاغ ويحرق وان كان حيا في نفسه كان مثلا في الغباوة وقرئ وسع فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه وان انتصب على التمييز في المشهورة لكنه فاعل في المعنى فلما عدى الفعل بالتضعيف الى المفعولين صار مفعولا كذلك مثل ذلك الاقتصاص يعنى اقتصاص قصة موسى نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الامور الماضية والامم الدارجة تبصرة لك وزيادة في علمك وتكثيرا لمعجزاتك وتنبيها وتذكيرا للمستبصرين من امتك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار حقيقا بالتفكر والاعتبار والتنكير فيه للتعظيم وقيل ذكرا جميلا وصيتا عظيما بين الناس من اعرض عنه عن الذكر الذى هو القرآن الجامع لوجوه السعادة والنجاة وقيل عن الله تعالى فانه يحمل يوم القيامة وزرا عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وذنوبه سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذى يفدح الحامل وينقض ظهره او اثما عظيما خالدين فيه في الوزر او في حمله والجمع فيه والتوحيد في اعرض للحمل على المعنى واللفظ وساء لهم يوم القيامة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ولو جعلت ساء بمعنى احزن والضمير الذى فيه للوزر اشكل امر اللام ونصب حملا ولم يفد مزيد معنى يوم ينفخ في الصور وقرأ ابو عمرو بالنون على اسناد النفخ الى الآمر به تعظيما له او للنافخ وقرئ بالياء المفتوحة على ان فيه ضمير الله او ضمير اسرافيل وان لم يجر ذكره لانه المشهور بذلك وقرئ في الصور وهو جمع صورة وقد سبق بيان ذلك ونحشر المجرمين يومئذ وقرئ ويحشر المجرمون زرقا زرق العيون وصفوا بذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها الى العرب لان الروم كانوا اشد اعدائهم وهم زرق العين ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين او عميا فان حدقة الاعمى تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملأ صدورهم من الرعب والهول والخفت خفض الصوت واخفاؤه ان لبثتم الا عشرا اى في الدنيا يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوالها او لاستطالتهم مدة الآخرة او لتأسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وعلموا انهم استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات او في القبر لقوله ويوم تقوم الساعة الى آخر الآيات نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة اعدلهم رأيا او عملا ان لبثتم الا يوما استرجاح لقول من يكون اشد تقالا منهم ويسألونك عن الجبال عن مآل امرها وقد سأل عنها رجل من ثقيف فقل ينسفها ربى نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فيفرقها فيذرها فيذر مقارها او الارض واضمارها من غير ذكر لدلالة الجبال عليها كقوله ما ترك على ظهرها من دابة قاعا خاليا صفصفا مستويا كأن اجزاءها على صف واحد لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا ان تأملت فيها بالقياس الهندسى وثلاثتها احوال مترتبة فالاولان باعتبار الاحساس والثالث باعتبار المقياس ولذلك ذكر العوج بالكسر وهو يختص بالمعانى والامت وهو النتو اليسير وقيل لا ترى استئناف مبين للحالين يومئذ اى يوم اذ نسفت على اضافة اليوم الى وقت النسف ويجوز ان يكون بدلا ثانيا من يوم القيامة يتبعون الداعى داعى الله الى المحشر قيل هو اسرافيل

يدعوا

يدعو الناس قائما على صخرة بيت المقدس فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات للرحمن خفضت لمهابته فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن الاستثناء من الشفاعة اى الا شفاعة من اذن او من اعم المفاعيل اى الا من اذن فى ان يشفع له فان الشفاعة تنفعه فمن على الاول مرفوع بالبدلية وعلى الثانى منصوب على المفعولية واذن يحتمل ان يكون من الاذن او من الاذن ورضى له قولا اى ورضى لمكانه عند الله قوله فى الشفاعة او رضى لاجله قول الشافع فى شأنه او قوله لاجله وفى شأنه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم من الاحوال وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا يحيط علمهم بمعلوماته وقيل بذاته وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما فانهم لم يعلموا جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحى القيوم ذلت وخضعت له خضوع العناة وهم الاسارى فى يد الملك القهار وظاهرها يقتضى العموم ويجوز ان يراد بها وجوه المجرمين فتكون

وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا

اللام بدل الاضافة ويؤيده وقد خاب من حمل ظلما وهو يحتمل الحال والاستئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم ومن يعمل من الصالحات بعض الطاعات وهو مؤمن لان الايمان شرط فى صحة الطاعات وقبول الخيرات فلا يخاف ظلما منع ثواب مستحق بالوعد ولا هضما ولا كسرا منه بنقصان او جزاء ظلم وهضم لانه لم يظلم غيره ولم يهضم حقه وقرئ فلا يخف على النهى وكذلك عطف على كذلك نقص اى مثل ذلك الانزال ومثل انزال هذه الآيات المتضمنة للوعيد انزلناه قرآنا عربيا كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون المعاصى فتصير التقوى لهم ملكة او يحدث لهم ذكرا عظة واعتبارا حين يسمعونها فيثبطهم عنها ولهذه النكتة اسند التقوى اليهم والاحداث الى القرآن فتعالى الله فى ذاته وصفاته عن مماثلة المخلوقين لا يماثل كلامه كلامهم كما لا يماثل ذاته ذاتهم الملك النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق فى ملكوته يستحقه لذاته او الثابت فى ذاته وصفاته ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه نهى عن الاستعجال فى تلقى الوحى من جبريل ومساوقته فى القراءة حتى يتم وحيه بعد ذكر الانزال على سبيل الاستطراد وقيل نهى عن تبليغ ما كان مجملا قبل ان يأتى بيانه وقل رب زدنى علما اى سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال فان ما اوحى اليك تناله لا محالة ولقد عهدنا الى آدم ولقد امرناه يقال تقدم الملك اليه واوعز عليه وعزم عليه وعهد اليه اذا امره واللام جواب قسم محذوف وانما عطف قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد للدلالة على ان اساس بنى آدم على العصيان وعرقهم راسخ فى النسيان من قبل من قبل هذا الزمان فنسى العهد ولم يعن به حتى غفل عنه او ترك ما وصى به من الاحتراز عن الشجرة ولم نجد له عزما تصميم رأى وثبات على الامر اذ لو كان ذا عزيمة وتصلب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره ولعل ذلك كان فى بدء امره قبل ان يجرب الامور ويذوق شريها واريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى آدم بحلم آدم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد

ولم نجد ان كان من الوجود الذى بمعنى العلم فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود المناقض للعدم فله حال من عزما او متعلق بنجد واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم مقدر باذكر اى اذكر حاله فى ذلك الوقت ليتبين لك انه نسى ولم يكن من اولى العزيمة والثبات فسجدوا الا ابليس قد سبق فيه القول ابى جملة مستأنفة لبيان ما منعه من السجود وهو الاستكبار وعلى هذا لا يقدر له معمول مثل السجود المدلول عليه بقوله فسجدوا لان المعنى اظهر الاباء عن المطاوعة فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان الى اخراجهما من الجنة فتشقى افرده باسناد الشقاء اليه بعد اشراكهما فى الخروج اكتفاء باستلزام شقائه شقاءها من حيث انه قيم عليها او محافظة على الفواصل او لان المراد بالشقاء التعب فى طلب المعاش وذلك وظيفة الرجال ويؤيده قوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه بيان وتذكير لما له فى الجنة من اسباب الكفاية واقطاب الكفاف التى هى الشبع والرى والكسوة والكن مستغنيا عن اكتسابها والسعى فى تحصيل اعواز ما عسى ينقطع ويزول منها بذكر نقائضها ليطرق سمعه باصناف الشقوة المحذر منها

والعاطف وان ناب عن انّ لكنه من حيث انه عامل لا من حيث انه حرف تحقيق فلا يمنع دخوله على ان امتناع دخول ان عليه وقرأ نافع وابو بكر وانك لا تظمأ بكسر الهمزة والباقون بفتحها فوسوس اليه الشيطان فأنهى اليه وسوسته قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد الشجرة التي من اكل منها خلد ولم يمت اصلا فاضافها الى الخلد وهو الخلود لانه سببه بزعمه وملك لا يبلى لا يزول ولا يضعف فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة اخذا يلزقان الورق على سوآتهما للتستر وهو ورق التين وعصى آدم ربه باكل الشجرة فغوى فضل عن المطلوب وخاب حيث طلب الخلد باكل الشجرة او عن المأمور به او عن الرشد حيث اغتر بقول العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفي النعي عليه بالعصيان والغواية مع صغر زلته تعظيم للزلة وزجر بليغ لاولاده عنها ثم اجتباه ربه اصطفاه وقربه بالحمل على التوبة والتوفيق لها من جبى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع فتاب عليه فقبل توبته لما تاب وهدى الى الثبات على التوبة والتشبث باسباب العصمة قال

يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴿١٢٩﴾

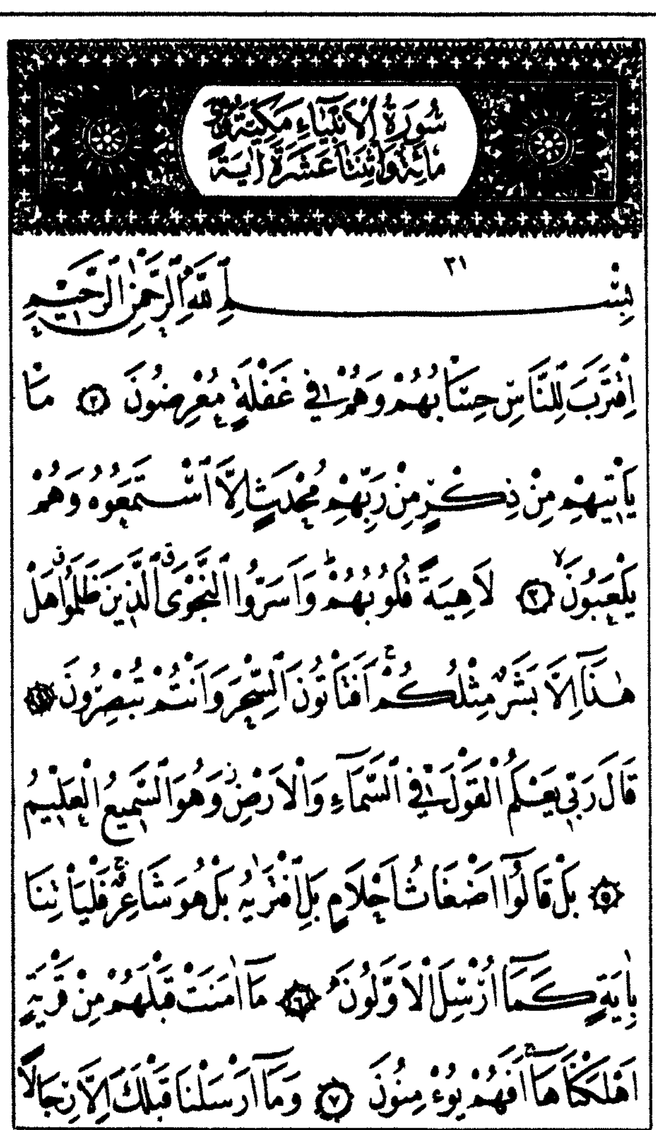
اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحوّاء او له ولابليس ولما كانا اصلى الذرية خاطبهما مخاطبتهم فقال بعضكم لبعض عدوّ لامر المعاش كما عليه الناس من التجاذب والتحارب او لاختلال حال كل من النوعين بواسطة الآخر ويؤيد الاول قوله فاما يأتينكم مني هدى كتاب ورسول فمن اتبع هداى فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ومن اعرض عن ذكرى عن الهدى الذاكر لي والداعي الى عبادتي فان له معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همه ومطامح نظره تكون الى اعراض الدنيا متهالكا على ازديادها خائفا على انتقاصها بخلاف المؤمن الطالب للآخرة مع انه تعالى قد يضيق بشؤم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال وضربت عليهم الذلة والمسكنة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل ولو ان اهل القرى آمنوا الآيات وقيل هو الضريع والزقوم في النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط يوم القيامة اعمى اعمى البصر او القلب ويؤيد الاول قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وقد امالهما حمزة والكسائي لان الالف منقلبة من الياء وفرق ابو عمرو بان الاول رأس الآية ومحل الوقف فهو جدير بالتغيير قال كذلك اى مثل ذلك فعلت ثم فسره فقال اتتك آياتنا واضحة نيرة فنسيتها فعميت عنها وتركتها غير منظور اليها وكذلك ومثل تركك اياها اليوم تنسى تترك في العمى والعذاب وكذلك نجزى من اسرف بالانهماك في الشهوات والاعراض عن الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بل كذبها وخالفها ولعذاب الآخرة وهو الحشر على العمى وقيل عذاب النار اى والنار بعد ذلك اشد وابقى من ضنك العيش او منه ومن العمى ولعله اذا دخل النار زال عماه ليرى محله وحاله او مما فعله من ترك الآيات والكفر بها افلم يهد لهم مسند الى الله او الرسول او ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من القرون اى اهلاكنا اياهم او الجملة بمضمونها والفعل على الاولين معلق يجرى مجرى علم ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم ويشاهدون آثار اهلاكهم ان في ذلك لآيات لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن التغافل والتعامى ولولا كلمة سبقت من ربك وهي العدة بتأخير عذاب هذه الامة الى الآخرة لكان لزاما لكان مثل ما نزل بعاد وثمود لازما لهؤلاء الكفرة وهو مصدر وصف به او اسم آلة سمى به اللازم لفرط لزومه كقولهم لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اى ولولا العدة بتأخير العذاب واجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيامة او بدر لكان العذاب لزاما والفصل للدلالة على استقلال كل منهما بنفى لزوم العذاب ويجوز عطفه على المستكن في كان اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك وصل وانت حامد لربك على هدايته وتوفيقه او نزهه عن الشرك وسائر ما يضيفون اليه من النقائص حامدا له على ما ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما من آخر النهار او العصر وحده ومن آناء الليل ومن ساعاته جمع انى بالكسر والقصر وآناء بالفتح والمد فسبح يعني المغرب والعشاء وانما قدم زمان الليل فيه لاختصاصه بمزيد الفضل فان القلب فيه اجمع والنفس اميل الى الاستراحة فكانت العبادة فيه احمز ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هي اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتي الصبح والمغرب ارادة الاختصاص ومجيئه بلفظ الجمع لأمن الالباس كقوله ظهراهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة الظهر فانها نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الآخر وجمعه باعتبار النصفين او لان النهار جنس او بالتطوع في اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اي سبح في هذه الاوقات طمعا ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك وقرأ الكسائي وابو بكر بالبناء للمفعول

فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح واطراف النهار لعلك ترضى ﴿١٣٠﴾ ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى ﴿١٣١﴾ وأمر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴿١٣٢﴾ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ﴿١٣٣﴾ ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى ﴿١٣٤﴾ قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴿١٣٥﴾

اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك الى ما متعنا به استحسانا له وتمنيا ان يكون لك مثله ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان يكون حالا من الضمير في به والمفعول منهم اي الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم او ناسا منهم زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف دل عليه متعنا او به على تضمينه معنى اعطينا او بالبدل من محل به او من ازواجا بتقدير مضاف ودونه او بالذم وهي الزينة والبهجة وقرأ يعقوب بالفتح وهي لغة كالجهرة في الجهرة او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون الزهاد لنفتنهم فيه لنبلوهم ونختبرهم فيه او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك وما ادخر لك في الآخرة او ما رزقك من الهدى والنبوة خير مما منحهم في الدنيا وابقى فانه لا ينقطع وأمر اهلك بالصلاة امره بان يأمر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعد ما امره بها ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة واصطبر عليها وداوم عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة المحمودة للتقوى لذوي التقوى روي انه عليه الصلاة والسلام كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه بآية تدل على صدقه في ادعاء النبوة او بآية مقترحة انكارا لما جاء به من الآيات او للاعتداد به تعنتا وعنادا فالزمهم باتيانه بالقرآن الذي هو ام المعجزات واعظمها وانفعها لان حقيقة المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من العلم او العمل على وجه خارق للعادة ولا شك ان العلم اصل العمل واعلى منه قدرا وابقى اثرا فكذا ما كان من هذا القبيل ونبههم ايضا على وجه ابين من وجوه اعجازه المختصة بهذا الباب فقال اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى من التوراة والانجيل وسائر الكتب السماوية فان اشتماله على زبدة ما فيها من العقائد والاحكام الكلية مع ان الآتي بها امي لم يرها ولم يتعلم ممن علمها اعجاز بين وفيه اشعار بانه كما يدل على نبوته برهان لما تقدمه من الكتب من حيث انه معجز وتلك ليست كذلك بل هي مفتقرة الى ما يشهد على صحتها قرأ نافع وابو عمرو وحفص اولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل محمد او البينة والتذكير لانها في معنى البرهان او المراد بها القرآن لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل بالقتل والسبي في الدنيا ونخزى بدخول النار يوم القيامة وقد قرئ بالبناء للمفعول فيهما قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤول اليه امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي المستقيم وقرئ السواء اي الوسط الجيد والسوء والسوآى اي الشر والسوي وهو تصغيره ومن اهتدى من الضلالة ومن في الموضعين للاستفهام ومحلها الرفع بالابتداء ويجوز ان تكون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العائد فتكون معطوفة على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على الصراط على ان المراد به النبي عليه الصلاة والسلام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والانصار

سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم بالاضافة الى الماضي او عند الله لقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا وقوله ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدّون اولان كل ما هو آت قريب وانما البعيد ما انقرض ومضى واللام صلة لاقترب او تأكيد للاضافة واصله اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب ثم اقترب للناس حسابهم وخص الناس بالكفار لتقييدهم بقوله وهم في غفلة معرضون اي في غفلة من الحساب معرضون عن التفكر فيه وهما خبران للضمير ويجوز ان يكون الظرف حالا من المستكن في معرضون ما يأتيهم من ذكر ينبههم من سنة الغفلة والجهالة من ربهم صفة لذكر او صلة ليأتيهم محدث تنزيله ليكرر على اسماعهم التنبيه كي يتعظوا وقرئ بالرفع حملا على المحل الا استمعوه وهم يلعبون يستهزئون به ويستسخرون منه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر في الامور والتفكر في العواقب وهم يلعبون حال من الواو وكذلك لاهية قلوبهم اي استمعوه جامعين بين الاستهزاء به والتلهي والذهول عن التفكر فيه ويجوز ان يكون من واو يلعبون وقرئت


سورة الانبياء مكية
مائة واثنتا عشرة آية
٣١
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ
اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ اِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَاَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ اَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَاَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٤ بَلْ قَالُوا اَضْغَاثُ اَحْلَامٍ بَلِ افْتَرٰيهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِاٰيَةٍ كَمَا اُرْسِلَ الْاَوَّلُونَ ۝٥ مَا اٰمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ اَهْلَكْنَاهَا اَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَمَا اَرْسَلْنَا قَبْلَكَ اِلَّا رِجَالًا



بالرفع على انه خبر آخر للضمير واسروا النجوى بالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث حتى تناجيهم بها الذين ظلموا بدل من واو اسروا للايماء بانهم ظالمون فيما اسروا به او فاعل له والواو لعلامة الجمع او مبتدأ والجملة المتقدمة خبره واصله وهؤلاء اسروا النجوى فوضع الموصول موضعه تسجيلا على فعلهم بانه ظلم او منصوب على الذم هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون باسره في موضع النصب بدلا من النجوى او مفعولا لقول مقدر كانهم استدلوا بكونه بشرا على كذبه في ادعاء الرسالة لاعتقادهم ان الرسول لا يكون الا ملكا واستلزموا منه ان ما جاء به من الخوارق كالقرآن سحر فانكروا حضوره وانما اسروا به تشاورا واستنباطا لما يهدم امره ويظهر فساده للناس عامة قل ربي يعلم القول في السماء والارض جهرا كان او سرا فضلا عما اسروا به وهو آكد من قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض ولذلك اختير ههنا وليطابق قوله واسروا النجوى في المبالغة وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال بالاخبار عن الرسول وهو السميع العليم فلا يخفى عليه ما تسرون ولا ما تضمرون بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر اضراب لهم عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط الاحلام ثم الى انه كلام افتراه ثم الى انه قول شاعر والظاهر ان بل الاولى لتمام حكاية والابتداء باخرى او للاضراب عن تحاورهم في شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وما ظهر عليه من الآيات الى تقاولهم في امر القرآن والثانية والثالثة لاضرابهم عن كونه اباطيل خيلت اليه وخلطت عليه الى كونه مفتريات اختلقها من تلقاء نفسه ثم الى انه كلام شعري يخيل الى السامع معاني لا حقيقة لها ويرغبه فيها ويجوز ان يكون الكل من الله تنزيلا لاقوالهم في درج الفساد لان كونه شعرا ابعد من كونه مفترى لانه مشحون بالحقائق والحكم وليس فيه ما يناسب قول الشعراء وهو من كونه احلاما لانه مشتمل على مغيبات كثيرة طابقت الواقع والمفترى لا يكون كذلك بخلاف الاحلام ولانهم جربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نيفا واربعين سنة وما سمعوا منه كذبا قط وهو من كونه سحرا لانه يجانسه من حيث انهما من الخوارق فليأتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل به الاولون مثل اليد البيضاء والعصا وابراء الاكمه واحياء الموتى وصحة التشبيه من حيث ان الارسال يتضمن الاتيان بالآية ما آمنت قبلهم من قرية من اهل قرية اهلكناها باقتراح الآيات لما جاءتهم افهم يؤمنون لو جئتهم بها وهم اعتى منهم وفيه تنبيه على ان عدم الاتيان بالمقترح للابقاء عليهم اذ لو اتى به ولم يؤمنوا استوجبوا عذاب الاستئصال كمن قبلهم وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب عن حال الرسل المتقدمة ليزول عنهم الشبهة والاحالة عليهم اما للالزام فان المشركين كانوا يشاورونهم في امر النبي عليه السلام ويثقون بقولهم ولان اخبار الجم الغفير يوجب العلم وان كانوا كفارا وقرأ حفص نوحي بالنون

نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿١٠﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٣﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٥﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٧﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا

وماجعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين نفي لما اعتقدوا انها من خواص الملك عن الرسل تحقيقا لانهم كانوا بشرا امثالهم وقيل جواب لقولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كانوا خالدين تأكيد وتقرير له فان التعيش بالطعام من توابع التحليل المؤدي الى الفناء وتوحيد الجسد لارادة الجنس او لانه مصدر في الاصل او على حذف المضاف او تأويل الضمير بكل واحد وهو جسم ذو لون ولذلك لا يطلق على الماء والهواء ومنه الجساد للزعفران وقيل جسم ذو تركيب لان اصله لجمع الشيء واشتداده ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد فانجيناهم ومن نشاء يعني المؤمنين بهم ومن في ابقائه حكمة كمن سيؤمن هو او احد من ذريته ولذلك حميت العرب من عذاب الاستئصال واهلكنا المسرفين في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم يا قريش كتابا يعني القرآن فيه ذكركم صيتكم لقوله وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق افلا تعقلون فتؤمنون به وكم قصمنا من قرية واردة من غضب عظيم لان القصم كسر يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم كانت ظالمة صفة لاهلها وصفت بها لما اقيمت مقامه وانشانا بعدها بعد اهلاك اهلها قوما آخرين مكانهم فلما احسوا بأسنا فلما ادركوا شدة عذابنا ادراك المشاهد المحسوس والضمير للاهل المحذوف اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم من فرط اسراعهم لا تركضوا على ارادة القول اي قيل لهم استهزاء لا تركضوا اما بلسان الحال او المقال والقائل ملك او من ثمه من المؤمنين وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ او الاتراف ابطار النعمة ومساكنكم التي كانت لكم لعلكم تسألون غدا عن اعمالكم او تعذبون فان السؤال من مقدمات العذاب او تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين لما رأوا العذاب ولم يروا وجه النجاة فلذلك لم ينفعهم وقيل ان اهل حضور من قرى اليمن بعث اليهم نبي فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر فوضع السيف فيهم فنادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء فندموا وقالوا ذلك فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يرددون ذلك وانما سماه دعوى لان المولول كانه يدعو الويل ويقول يا ويل تعال فهذا اوانك وكل من تلك ودعواهم يحتمل الاسمية والخبرية حتى جعلناهم حصيدا مثل الحصيد وهو النبت المحصود ولذلك لم يجمع خامدين ميتين من خمدت النار وهو مع حصيدا بمنزلة المفعول الثاني كقولك جعلته حلوا حامضا اذ المعنى جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود او صفة له او حال من ضميره وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين وانما خلقناها مشحونة بضروب البدائع تبصرة للنظار وتذكرة لذوي الاعتبار وتسبيبا لما ينتظم به امور العباد في المعاش والمعاد فينبغي ان يتسلقوا بها الى تحصيل الكمال ولا يغتروا بزخارفها فانها سريعة الزوال لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه من لدنا من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بحضرتنا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة والاجرام المبسوطة كعادتكم في رفع السقوف وتزويقها وتسوية الفرش وتزيينها وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل الزوجة والمراد به الرد على النصارى

ان كنا فاعلين ذلك ويدل على جوابه الجواب المتقدم وقيل ان نافية والجملة كالنتيجة للشرطية بل نقذف بالحق على الباطل اضراب من اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته عن العبث اي بل من شأننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل الذي من عداده اللهو فيدمغه فيمحقه وانما استعار لذلك القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو كسر الدماغ بحيث يشق غشاءه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا لابطاله به ومبالغة فيه وقرئ فيدمغه بالنصب كقوله سأترك منزلي لبني تميم والحق بالحجاز فاستريحا ووجهه مع بعده الحمل على المعنى والعطف على الحق فاذا هو زاهق هالك والزهوق ذهاب الروح وذكره لترشيح المجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه به مما لا يجوز عليه وهو في موضع الحال وما مصدرية او موصولة او موصوفة وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده يعني الملائكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او لانه اعم منه من وجه او المراد به نوع من الملائكة متعال عن التبوء في السماء والارض او مبتدأ خبره لا يستكبرون

اِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٨﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَاِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٢٠﴾ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢١﴾ اَمِ اتَّخَذُوا اٰلِهَةً مِنَ الْاَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا اٰلِهَةٌ اِلَّا اللّٰهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللّٰهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٣﴾ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴿٢٤﴾ اَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اٰلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هٰذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ اَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَا اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ اِلَّا نُوحِي اِلَيْهِ اَنَّهُ لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٦﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ

عن عبادته لا يتعظمون عنها ولا يستحسرون ولا يعيون منها وانما جيء بالاستحسار الذي هو ابلغ من الحسور تنبيها على ان عبادتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار ينزهونه ويعظمونه دائما لا يفترون حال من الواو في يسبحون او هو استئناف او حال من ضمير قبله ام اتخذوا آلهة بل اتخذوا والهمزة لانكار اتخاذهم وقوله من الارض صفة لآلهة او متعلقة بالفعل على معنى الابتداء وفائدتها التحقير دون التخصيص هم ينشرون الموتى وهم وان لم يصرحوا به لكن لزم من ادعائهم لها الالهية فان من لوازمها الاقتدار على جميع الممكنات والمراد به تجهيلهم والتهكم بهم وللمبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم لاختصاص الانشار بهم لو كان فيهما آلهة الا الله غير الله وصفت بالا لما تعذر الاستثناء لعدم شمول ما قبلها لما بعدها ودلالته على ملازمة الفساد لكون الآلهة فيهما دونه والمراد ملازمته لكونها مطلقا او معه حملا لها على غير كما استثني بغير حملا عليها ولا يجوز الرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب لفسدتا لبطلتا لما يكون بينهما من الاختلاف والتمانع فانها ان توافقت في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت فيه تعاوقت عنه فسبحان الله رب العرش المحيط بجميع الاجسام الذي هو محل التدابير ومنشأ التقادير عما يصفون من اتخاذ الشريك والصاحبة والولد لا يسأل عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه وتفرده بالالوهية والسلطنة الذاتية وهم يسألون لانهم مملوكون مستعبدون والضمير للآلهة او للعباد ام اتخذوا من دونه آلهة كرره استعظاما لكفرهم واستفظاعا لامرهم وتبكيتا واظهارا لجهلهم او ضما للانكار لما يكون لهم سندا من النقل الى انكار ما يكون لهم دليلا من العقل على معنى اوجدوا آلهة ينشرون الموتى فاتخذوهم آلهة لما وجدوا فيهم من خواص الالوهية او وجدوا في الكتب الالهية الامر باشراكهم فاتخذوهم متابعة للامر ويعضد ذلك انه رتب على الاول ما يدل على فساده عقلا وعلى الثاني ما يدل على فساده نقلا قل هاتوا برهانكم على ذلك اما من العقل او من النقل فانه لا يصح القول بما لا دليل عليه كيف وقد تطابقت الحجج على بطلانه عقلا ونقلا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي من الكتب السماوية فانظروا هل تجدون فيها الا الامر بالتوحيد والنهي عن الاشراك والتوحيد لما لم يتوقف على صحته بعثة الرسل وانزال الكتب صح الاستدلال فيه بالنقل ومن معي امته ومن قبلي الامم المتقدمة واضافة الذكر اليهم لانه عظتهم وقرئ بالتنوين والاعمال وبه وبمن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد وشبههما وبعدهما بل اكثرهم لا يعلمون الحق ولا يميزون بينه وبين الباطل وقرئ الحق بالرفع على انه خبر محذوف وسط للتأكيد بين السبب والمسبب فهم معرضون عن التوحيد واتباع الرسول من اجل ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون تعميم بعد تخصيص فان ذكر من قبلي من حيث انه خبر لاسم الاشارة مخصوص بالموجود بين اظهرهم وهو الكتب الثلاثة قرأ حفص وحمزة والكسائي نوحي بالنون وكسر الحاء والباقون بالياء وفتح الحاء وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له عن ذلك

بالعباد

بل عباد بل هم عباد من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد مكرمون مقربون وفيه تنبيه على مدحض القوم وقرئ بالتشديد لا يسبقونه بالقول لا يقولون شيأ حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها على استهجان السبق المعرض به للقائلين على الله ما لم يقله وانيب اللام عن الاضافة اختصارا وتجانبا عن تكرير الضمير وقرئ لا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه وهم بامره يعملون لا يعملون قط ما لم يامرهم به يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه خافية مما قدموا واخروا وهو كالعلة لما قبله والتمهيد لما بعده فانهم لاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراقبون احوالهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه وهم من خشيته عظمته ومهابته مشفقون مرتعدون واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء والاشفاق خوف مع اعتناء فان عدى بمن فمعنى الخوف فيه اظهر وان عدى بعلى فبالعكس ومن يقل منهم من الملائكة او من الخلائق انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم يريد به نفي النبوة وادعاء

بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ

ذلك عن الملائكة وتهديد المشركين بتهديد مدعي الربوبية كذلك نجزي الظالمين من ظلم بالاشراك وادعاء الربوبية اولم ير الذين كفروا اولم يعلموا وقرأ ابن كثير بغير واو ان السموات والارض كانتا رتقا ذات رتق او مرتوقتين وهو الضم والالتحام اى كانتا شيأ واحدا وحقيقة متحدة ففتقناهما بالتنويع والتمييز او كانت السموات واحدة ففتقت بالتحريكات المختلفة حتى صارت افلاكا وكانت الارضون واحدة فجعلت باختلاف كيفياتها واحوالها طبقات او اقاليم وقيل كانتا بحيث لا فرجة بينهما ففرج وقيل كانتا رتقا لا تمطر ولا تنبت ففتقناهما بالمطر والنبات فيكون المراد بالسموات سماء الدنيا وجمعها باعتبار الآفاق او السموات بأسرها على ان لها مدخلا ما في الامطار والكفرة وان لم يعلموا ذلك فهم متمكنون من العلم به نظرا فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر واجب ابتداء او بوسط او استفسارا من العلماء ومطالعة الكتب وانما قال كانتا ولم يقل كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وقرئ رتقا بالفتح على تقدير شيأ رتقا اى مرتوقا كالرفض بمعنى المرفوض وجعلنا من الماء كل شيء حي وخلقنا من الماء كل حيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده في التركيب او لفرط احتياجه اليه وانتفاعه به بعينه او صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا يحيى دونه وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف لغو والشيء مخصوص بالحيوان افلا يؤمنون مع ظهور الآيات وجعلنا في الارض رواسي ثابتات من رسا الشيء اذا ثبت ان تميد بهم كراهة ان تميل بهم وتضطرب وقيل لان لا تميد فحذف لا لأمن الالباس وجعلنا فيها في الارض او الرواسي فجاجا سبلا مسالك واسعة وانما قدم فجاجا وهو وصف له ليصير حالا فيدل على انه حين خلقها خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه خلقها ووسعها للسابلة مع ما يكون فيه من التوكيد لعلهم يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع بقدرته او الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيئته او استراق السمع بالشهب وهم عن آياتها احوالها الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته التي يحس ببعضها ويبحث عن بعضها في علمي الطبيعة والهيئة معرضون غير متفكرين وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر بيان لبعض تلك الآيات كل في فلك اى كل واحد منهما والتنوين بدل من المضاف اليه والمراد بالفلك الجنس كقولهم كساهم الامير حلة يسبحون يسرعون على سطح الفلك اسراع السابح على سطح الماء وهو خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما بها لعدم اللبس والضمير لهما وانما جمع باعتبار المطالع وجعل واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون وفي معناه قوله فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا والفاء لتعلق الشرط بما قبله والهمزة لانكاره بعد ما تقرر ذلك

فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ
بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥ وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ
وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٣٦ خُلِقَ الْإِنْسَانُ
مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ۝٣٧ وَيَقُولُونَ
مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٣٨ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ
يُنْصَرُونَ ۝٣٩ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ۝٤٠ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ
قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
۝٤١ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ بَلْ هُمْ

كل نفس ذائقة الموت ذائقة مرارة مفارقتها جسدها وهو برهان على ما انكره ونبلوكم ونعاملكم معاملة المختبر بالشر والخير بالبلايا والنعم
فتنة ابتلاء مصدر من غير لفظه والينا ترجعون فنجازيكم حسب ما يوجد منكم من الصبر والشكر وفيه ايماء بان المقصود من هذه الحياة الابتلاء
والتعريض للثواب والعقاب تقريرا لما سبق واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا هزوا مهزوا به ويقولون اهذا الذى يذكر
الهتكم اى بسوء وانما اطلقه لدلالة الحال فان ذكر العدو لا يكون الا بسوء وهم بذكر الرحمن بالتوحيد او بارشاده الخلق ببعث الرسل وانزال الكتب رحمة
عليهم او بالقرآن هم كافرون منكرون فهم احق بان يهزأ بهم وتكرير الضمير للتأكيد والتخصيص ولحيلولة الصلة بينه وبين الخبر خلق الانسان من عجل
كانه منه خلق لفرط استعجاله وقلة تأنيه كقولك خلق زيد من الكرم جعل ما طبع عليه بمنزلة المطبوع هو منه مبالغة فى لزومه له ولذلك قيل انه على القلب
ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجال الوعيد روى انها نزلت فى النضر بن
الحارث حين استعجل العذاب ساريكم اياتى نقماتى فى الدنيا كوقعة بدر
وفى الاخرة عذاب النار فلا تستعجلون بالاتيان بها والنهى عما
جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد
وقت وعد العذاب او القيامة ان كنتم صادقين يعنون النبى صلى الله
عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون
عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون محذوف الجواب
وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذى يستعجلون منه بقولهم
متى هذا الوعد وهو حين تحيط بهم النار من كل جانب بحيث لا يقدرون
على دفعها ولا يجدون ناصرا يمنعها لما استعجلوا ويجوز ان يترك مفعول
يعلم ويضمر لحين فعل بمعنى لو كان لهم علم لما استعجلوا ويعلمون بطلان
ما عليهم حين لا يكفون وانما وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة
على ما اوجب لهم ذلك بل تاتيهم العدة او النار او الساعة بغتة
فجأة مصدر او حال وقرئ بفتح الغين فتبهتهم فتغلبهم او تحيرهم
وقرئ الفعلان بالياء والضمير للوعد او الحين وكذا فى قوله فلا يستطيعون
ردها لان الوعد بمعنى النار او العدة والحين بمعنى الساعة ويجوز ان
يكون للنار او للبغتة ولا هم ينظرون يمهلون وفيه تذكير بامهالهم
فى الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعد له
بان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا يعنى
جزاءه قل يا محمد للمستهزئين من يكلؤكم يحفظكم
بالليل والنهار من الرحمن من بأسه ان اراد بكم وفى لفظ الرحمن تنبيه
على ان لا كالئ غير رحمته العامة وان اندفاعه بها بمهلته

بل هم عن ذكر ربهم معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا عن ان يخافوا بأسه حتى اذا كلئوا منه عرفوا الكالئ وصلحوا للسؤال عنه ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا او من عذاب يكون من عندنا والاضراب عن الامر بالسؤال على الترتيب فانه عن المعرض الغافل عن الشئ بعيد وعن المعتقد لنقيضه ابعد لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استئناف بابطال ما اعتقدوه فان ما لا يقدر على نصر نفسه ولا يصحبه نصر من الله كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموا ببيان ما هو الداعي الى حفظهم وهو الاستدراج والتمتيع بما قدر لهم من الاعمار او عن الدلالة على بطلانه ببيان ما اوهمهم ذلك وهو انه تعالى متعهم بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه ولذلك عقبه بما يدل على انه امل كاذب فقال افلا يرون انا نأتي الارض ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بتسليط المسلمين عليها

عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٤﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنْذَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٥٠﴾

وهو تصوير لما يجريه الله تعالى على ايدي المسلمين افهم الغالبون رسول الله والمؤمنين قل انما انذركم بالوحي بما اوحي الي ولا يسمع الصم الدعاء وقرأ ابن عامر ولا تسمع الصم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ بالياء على ان فيه ضميره وانما سماهم الصم ووضعه موضع ضميرهم للدلالة على تصامهم وعدم انتفاعهم بما يسمعون اذا ما ينذرون منصوب بيسمع او بالدعاء والتقييد به لان الكلام في الانذار او للمبالغة في تصامهم وتجاسرهم ولئن مستهم نفحة ادنى شئ وفيه مبالغات ذكر المس وما في النفحة من معنى القلة فان اصل النفح هبوب رائحة الشئ والبناء الدال على المرة من عذاب ربك من الذي ينذرون به ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين لدعوا على انفسهم بالويل واعترفوا عليها بالظلم ونضع الموازين القسط العدل توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين تمثيل لارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل وافراد القسط لانه مصدر وصف به للمبالغة ليوم القيمة لجزاء يوم القيامة او لاهله او فيه كقولك جئت لخمس خلون من الشهر فلا تظلم نفس شيئا من حقه او من الظلم وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل او الظلم مقدار حبة ورفع نافع مثقال على كان التامة اتينا بها احضرناها وقرئ آتينا بمعنى جازينا بها من الايتاء فانه قريب من اعطينا او من المؤاتاة فانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء واثبنا من الثواب وجئنا والضمير للمثقال وتأنيثه لاضافته الى الحبة وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين اي الكتاب الجامع لكونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات الحيرة والجهالة وذكرا يتعظ به المتقون او ذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان الذين يخشون ربهم صفة للمتقين او مدح لهم منصوب او مرفوع بالغيب حال من الفاعل او المفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون وفي تصديره الضمير وبناء الحكم عليه مبالغة وتعريض

وهذا ذكر يعني القرآن مبارك كثير خيره انزلناه على محمد افانتم له منكرون استفهام توبيخ ولقد اتينا ابراهيم رشده الاهتداء لوجوه الصلاح واضافته ليدل على انه رشد مثله وان له شأنا وقرئ رشده وهو لغة من قبل من قبل موسى وهرون او محمد وقيل من قبل استنبائه او بلوغه حيث قال اني وجهت وكنا به عالمين علمنا انه اهل لما اتيناه او جامع لمحاسن الاوصاف ومكارم الخصال وفيه اشارة الى ان فعله تعالى باختيار وحكمة وانه عالم بالجزئيات اذ قال لابيه وقومه متعلق بآتينا او برشده او بمحذوف اي اذكر من اوقات رشده وقت قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون تحقير لشأنها وتوبيخ على اجلالها فان التمثال صورة لا روح فيها لا تضر ولا تنفع واللام للاختصاص لا للتعدية فان تعدية العكوف بعلى والمعنى انتم فاعلون العكوف لها ويجوز ان يؤول بعلى او يضمن العكوف معنى العبادة قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين فقلدناهم وهو جواب عما لزم الاستفهام من السؤال عما اقتضى عبادتها وحملهم عليها قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على عاقل لعدم استناد الفريقين الى دليل والتقليد وان جاز فانما يجوز لمن علم في الجملة انه على حق قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين كانهم لاستبعادهم تضليل آبائهم ظنوا ان ما قاله على وجه الملاعبة فقالوا اجد تقوله ام تلعب به قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وهن للسموات والارض او للتماثيل وهو ادخل في تضليلهم والزام الحجة عليهم وانا على ذلكم المذكور من التوحيد من الشاهدين من المتحققين له والمبرهنين عليه فان الشاهد من تحقق الشيء وحققه وتالله وقرئ بالباء وهي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم لاجتهدن في كسرها ولفظ الكيد وما في التاء من التعجب لصعوبة الامر وتوقفه على نوع من الحيل بعد ان تولوا عنها مدبرين الى عيدكم ولعله قال ذلك سرا فجعلهم جذاذا قطعا فعال بمعنى مفعول كالحطام من الجذ وهو القطع وقرأ الكسائي بالكسر وهو لغة او جمع جذيذ كخفاف وخفيف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة الا كبيرا لهم للاصنام كسر غيره واستبقاه وجعل الفأس على عنقه لعلهم اليه يرجعون لانه غلب على ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لتفرده واشتهاره بعداوة آلهتهم فيحاجهم بقوله بل فعله كبيرهم فيحجهم او لانهم يرجعون الى الكبير فيسألونه عن كاسرها اذ من شأن المعبود ان يرجع اليه في حل العقد فيبكتهم بذلك او الى الله اي يرجعون الى توحيده عند تحققهم عجز آلهتهم قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجرأته على الآلهة الحقيقة بالاعظام او بافراطه في حطمها او بتوريط نفسه للهلاك قالوا سمعنا فتى يذكرهم يعيبهم فلعله فعله ويذكر ثاني مفعولي سمع او صفة لفتى مصححة لان يتعلق به السمع وهو ابلغ في نسبة الذكر اليه يقال له ابراهيم هو ابراهيم ويجوز رفعه بالفعل لان المراد به الاسم قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم بحيث يتمكن صورته في اعينهم تمكن الراكب على المركوب

وَهٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ اَنْزَلْنٰهُ اَفَاَنْتُمْ لَهٗ مُنْكِرُوْنَ ۞٥١ وَلَقَدْ اٰتَيْنَآ اِبْرٰهِيْمَ رُشْدَهٗ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهٖ عٰلِمِيْنَ ۞٥٢ اِذْ قَالَ لِاَبِيْهِ وَقَوْمِهٖ مَا هٰذِهِ التَّمَاثِيْلُ الَّتِيْٓ اَنْتُمْ لَهَا عٰكِفُوْنَ ۞٥٣ قَالُوْا وَجَدْنَآ اٰبَآءَنَا لَهَا عٰبِدِيْنَ ۞٥٤ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ اَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ ۞٥٥ قَالُوْٓا اَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ اَمْ اَنْتَ مِنَ اللّٰعِبِيْنَ ۞٥٦ قَالَ بَلْ رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ الَّذِيْ فَطَرَهُنَّ وَاَنَا عَلٰى ذٰلِكُمْ مِّنَ الشّٰهِدِيْنَ ۞٥٧ وَتَاللّٰهِ لَاَكِيْدَنَّ اَصْنَامَكُمْ بَعْدَ اَنْ تُوَلُّوْا مُدْبِرِيْنَ ۞٥٨ فَجَعَلَهُمْ جُذٰذًا اِلَّا كَبِيْرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ اِلَيْهِ يَرْجِعُوْنَ ۞٥٩ قَالُوْا مَنْ فَعَلَ هٰذَا بِاٰلِهَتِنَآ اِنَّهٗ لَمِنَ الظّٰلِمِيْنَ ۞٦٠ قَالُوْا سَمِعْنَا فَتًى يَّذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهٗٓ اِبْرٰهِيْمُ ۞٦١ قَالُوْا فَاْتُوْا بِهٖ

حزب

لعلهم يشهدون بفعله او قوله او يحضرون عقوبتنا له قالوا ءانت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم حين احضروه قال بل فعله كبيرهم هذا فسئلوهم ان كانوا ينطقون اسند الفعل اليه تجوزا لان غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبب لمباشرته اياه او تقريرا لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على اسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق ءانت كتبته فقلت بل كتبته او حكاية لما يلزم من مذهبهم جوازه وقيل انه في المعنى متعلق بقوله ان كانوا ينطقون وما بينهما اعتراض او الى ضمير فتى او ابراهيم وقوله كبيرهم هذا مبتدأ وخبر ولذلك وقف على فعله وما روى انه عليه الصلوة والسلام قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات فتسمية للمعاريض كذبا لما شابهت صورتها صورته فرجعوا الى انفسهم وراجعوا عقولهم فقالوا فقال بعضهم لبعض انكم انتم الظالمون بهذا السؤال او بعبادة ما لا ينطق ولا يضر ولا ينفع لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين ثم نكسوا على رؤسهم

عَلَىٰٓ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٣﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَرَجَعُوٓا إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٦﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٧﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوٓا ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٧٠﴾ وَأَرَادُوا بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧١﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٣﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ

انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة اسفل الشئ مستعليا على اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا اى نكسوا انفسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فكيف تامر بسؤالها وهو على ارادة القول قال افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم انكار لعبادتهم لها بعد اعترافهم بانها جمادات لا تنفع ولا تضر فانه ينافي الالوهية اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه على اصرارهم بالباطل البين واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا واللام لبيان المتأفف له افلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اخذوا في المضارة لما عجزوا عن المحاجة حرقوه فان النار اهول ما يعاقب به وانصروا الهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين ان كنتم ناصرين لها نصرا مؤزرا والقائل منهم رجل من اكراد فارس اسمه هيون خسف به الارض وقيل نمرود قلنا يا نار كوني بردا وسلاما ذات برد وسلام اى ابردى بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة لقدرته مأمورة مطيعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردى ثم حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روى انهم بنوا حظيرة بكوثى وجمعوا فيها نارا عظيمة ثم وضعوه في المنجنيق مغلولا فرموا به فيها فقال له جبريل هل لك حاجة فقال اما اليك فلا فقال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي فجعل الله ببركة قوله الحظيرة روضة ولم يحترق منها الا وثاقه فاطلع عليه نمرود من الصرح فقال اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان اذ ذاك ابن ست عشرة سنة وانقلاب النار هواء طيبة ليس ببدع غير انه هكذا على خلاف المعتاد فهو اذا من معجزاته وقيل كانت النار بحالها لكنه تعالى دفع عنه اذاها كما ترى في السمندل ويشعر به قوله على ابراهيم وارادوا به كيدا مكرا في اضراره فجعلناهم الاخسرين اخسر من كل خاسر لما عاد سعيهم برهانا قاطعا على انهم على الباطل وابراهيم على الحق وموجبا لمزيد درجته واستحقاقهم اشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادى الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب ولا بأس به للقرينة وكلا يعني الاربعة جعلنا صالحين بان وفقناهم للصلاح وحملناهم عليه فصاروا كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم

يهدون الناس الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك قوله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام للتفضيل وحذف تاء الاقامة المعوضة عن احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامها وكانوا لنا عابدين موحدين مخلصين في العبادة ولذلك قدم الصلة ولوطا اتيناه حكما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم وعلما بما ينبغي علمه للانبياء ونجيناه من القرية قرية سدوم التي كانت تعمل الخبائث يعني اللواط وصفها بصفة اهلها واسندها اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه ويدل عليه انهم كانوا قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اذ نادى اذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل من قبل المذكورين فاستجبنا له دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان او اذى قومه والكرب الغم الشديد ونصرناه مطاوعه انتصر اى جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين لاجتماع الامرين تكذيب الحق والانهماك في الشر ولم يجتمعا في قوم الا واهلكهم الله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع وقيل في كرم تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا وكنا لحكمهم شاهدين لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما عالمين ففهمناها سليمان الضمير للحكومة او للفتوى وقرئ فافهمناها روى ان داود حكم بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بهما فامر بدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بالبانها واولادها واشعارها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود الى ما كان ثم يترادان ولعلهما قالا اجتهادا والاول نظير قول ابي حنيفة في العبد الجاني والثاني مثل قول الشافعي بغرم الحيلولة للعبد المغصوب اذا ابق وحكمه في شرعنا عند الشافعي وجوب ضمان المتلف بالليل اذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وكذلك قضى النبي صلى الله عليه وسلم لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته فقال على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وعند ابي حنيفة لا ضمان الا ان يكون معها حافظ لقوله عليه السلام جرح العجماء جبار وكلا اتينا حكما وعلما دليل على ان خطأ المجتهد لا يقدح فيه وقيل على ان كل مجتهد مصيب وهو يخالف مفهوم قوله ففهمناها ولولا النقل لاحتمل توافقهما على ان قوله ففهمناها لاظهار ما تفضل عليه في صغره وسخرنا مع داود الجبال يسبحن يقدسن الله معه اما بلسان الحال او بصوت يتمثل له او بخلق الله فيها وقيل يسرن معه من

أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَوٰةِ
وَإِيتَاءَ الزَّكَوٰةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ
حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ
إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا
إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ
إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾
فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ
الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

السباحة وهو حال او استئناف لبيان وجه التسخير ومع متعلقة به او بسخرنا والطير عطف على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء او العطف على الضمير على ضعف وكنا فاعلين لامثاله فليس ببدع منا وان كان عجيبا عندكم وعلمناه صنعة لبوس عمل الدرع وهو في الاصل اللباس قال البس لكل حالة لبوسها قيل كانت صفائح فحلقها وسردها

لكم متعلق بعلم او صفة للبوس لتحصنكم من باسكم بدل منه بدل الاشتمال باعادة الجار والضمير لداود او للبوس وفي قراءة ابن عامر وحفص بالتاء للصنعة او اللبوس على تاويل الدرع وفي قراءة ابي بكر ورويس بالنون لله عز وجل فهل انتم شاكرون ذلك امر اخرجه في صورة الاستفهام للمبالغة والتقريع ولسليمان الريح وسخرنا له الريح ولعل اللام فيه دون الاول لان الخارق فيه عائد الى سليمان نافع له وفي الاول امر يظهر في الجبال والطير مع داود بالاضافة اليه عاصفة شديدة الهبوب من حيث انها تبعد بكرسيه في مدة يسيرة كما قال غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها الى الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة وكنا بكل شيء عالمين فنجريه على ما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويخرجون نفائسها ومن عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله وهي نكرة موصوفة ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى اعمال اخر كبناء المدن والقصور واختراع الصنائع الغريبة كقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وكنا لهم حافظين ان يزيغوا عن امره او يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر باني مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح شائع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس كمرض وهزال وانت ارحم الراحمين وصف ربه بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب لطفا في السؤال وكان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله وكثر اهله وماله فابتلاه ربه بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امرأته ماخر بنت ميشا بن يوسف او رحمة بنت افراثيم بن يوسف قالت له يوما لو دعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر بالشفاء من مرضه واتيناه اهله ومثلهم معهم بان ولد له ضعف ما كان او احيي ولده وولد له منهم نوافل رحمة من عندنا وذكرى للعابدين رحمة على ايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان ولا ننساهم واسمعيل وادريس وذا الكفل يعني الياس وقيل يوشع وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله او تكفل منه او له ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم والكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل كل هؤلاء من الصابرين على مشاق التكاليف وشدائد النوائب وادخلناهم في رحمتنا يعني النبوة او نعمة الاخرة انهم من الصالحين الكاملين في الصلاح وهم الانبياء فان صلاحهم معصوم عن كدر الفساد وذا النون وصاحب الحوت يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما برم لطول دعوتهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم يأتهم لميعادهم بتوبتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم وغضب من ذلك وهو من بناء المبالغة للمبالغة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويعضده انه قرئ مثقلا او لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا او خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء وقرأ يعقوب على البناء للمفعول وقرئ به مثقلا فنادى في الظلمات في الظلمة الشديدة المتكاثفة او ظلمات بطن الحوت والبحر والليل ان لا اله الا انت بانه لا اله الا انت سبحانك من ان يعجزك شيء اني كنت من الظالمين لنفسي بالمبادرة الى المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له

لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨١﴾ وَلِسُلَيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨٢﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٨﴾

فاستجبنا له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فى بطنه وقيل ثلاثة ايام والغم غم الالتقام وقيل غم الخطيئة وكذلك ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله فيها بالاخلاص وفى الامام نجي فلذلك اخفى الجماعة النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرأ ابن عامر وابو بكر بتشديد الجيم على ان اصله ننجي فحذفت النون الثانية كما حذفت التاء فى تظاهرون وهى وان كانت فاء فحذفها اوقع من حروف المضارعة التى لمعنى ولا يقدح فيه اختلاف حركتى النونين فان الداعى الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف فى تجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضى لا يسكن آخره وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وحيدا بلا ولد يرثنى وانت خير الوارثين فان لم ترزقنى من يرثنى فلا ابالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او لزكريا بتحسين خلقها وكان خردة انهم يعنى المتوالدين او المذكورين من الانبياء عليهم السلام كانوا يسارعون فى الخيرات يبادرون الى ابواب الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ذوى رغب او راغبين فى الثواب راجين للاجابة اوفى الطاعة وخائفين من العقاب او المعصية وكانوا لنا خاشعين مخبتين او دائمى الوجل والمعنى انهم نالوا من الله ما نالوا بهذه الخصال والتى احصنت فرجها من الحلال والحرام يعنى مريم فنفخنا فيها فى عيسى فيها اى احييناه فى جوفها وقيل فعلنا النفخ فيها من روحنا من الروح الذى هو بامرنا وحده او من جهة روحنا جبرائيل وجعلناها وابنها اى قصتهما او حالهما ولذلك وحد قوله اية للعالمين فان من تأمل حالهما تحقق كمال قدرة الصانع تعالى ان هذه امتكم ان ملة التوحيد او الاسلام ملتكم التى يجب عليكم ان تكونوا عليها فكونوا عليها امة واحدة غير مختلفة فيما بين الانبياء ولا مشاركة لغيرها فى صحة الاتباع وقرئ امتكم بالنصب على البدل من هذه وامة بالرفع على الخبر وقرئتا بالرفع على انهما خبران وانا ربكم لا اله لكم غيرى فاعبدون لا غير وتقطعوا امرهم بينهم صرفه الى الغيبة التفاتا للنعى على الذين تفرقوا فى الدين وجعلوا امره قطعا موزعة بقبيح فعلهم الى غيرهم كل من الفرق المتجزئة الينا راجعون فنجازيهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن بالله ورسوله فلا كفران لسعيه فلا تضييع لسعيه استعير لمنع الثواب كما استعير الشكر لاعطائه ونفى نفى الجنس للمبالغة وانا له لسعيه كاتبون مثبتون فى صحيفة عمله لا نضيع بوجه ما وحرام على قرية وممتنع على اهلها غير متصور منهم وقرئ حرم اهلكناها حكمنا باهلاكها او وجدناها هالكة انهم لا يرجعون رجوعهم الى التوبة او الحياة ولا صلة او عدم رجوعهم للجزاء وهو مبتدأ خبره حرام او فاعل له ساد مسد خبره او دليل عليه وتقديره توبتهم او حياتهم او عدم بعثهم او لانهم لا يرجعون ولا ينيبون وحرام خبر محذوف اى وحرام عليها ذاك وهو المذكور فى الاية ويؤيده القراءة بالكسر وقيل حرام عزم وموجب عليهم انهم لا يرجعون حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج متعلق بحرام او بمحذوف دل الكلام عليه او بلا يرجعون اى يستمر الامتناع او الهلاك او عدم الرجوع الى قيام الساعة وظهور اماراتها وهو فتح سد ياجوج ومأجوج وحتى هى التى يحكى الكلام بعدها والمحكى هى الجملة الشرطية وقرأ ابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد وهم يعنى ياجوج ومأجوج او الناس كلهم من كل حدب نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴿٨٨﴾ وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرنى فردا وانت خير الوارثين ﴿٩٠﴾ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴿٩١﴾ والتى احصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها اية للعالمين ﴿٩٢﴾ ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون ﴿٩٣﴾ وتقطعوا امرهم بينهم كل الينا راجعون ﴿٩٤﴾ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون ﴿٩٥﴾ وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون ﴿٩٦﴾ حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب

ينسلون يسرعون من نسلان الذئب وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق وهو القيامة فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجأة تسد مسد الفاء الجزائية كقوله اذا هم يقنطون فاذا جاءت معها تظاهرتا على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد والضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار يا ويلنا مقدر بالقول واقع موقع الحال من الموصول قد كنا في غفلة من هذا لم نعلم انه حق بل كنا ظالمين لانفسنا بالاخلال بالنظر والاعتداد بالنذر انكم وما تعبدون من دون الله يحتمل الاوثان وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام لما تلا الآية على المشركين قال له ابن الزبعري قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنوا مليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وعلى هذا يعم الخطاب ويكون ما مأولا بمن او بما يعمه ويدل عليه ما روى ان ابن الزبعري قال هذا شئ لآلهتنا

يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

خاصة او لكل من عبد من دون الله فقال عليه الصلاة والسلام بل لكل من عبد من دون الله ويكون قوله ان الذين بيانا للتجوز او التخصيص تأخر عن الخطاب حصب جهنم ما يرمى به اليها وتهيج به من حصبه يحصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر انتم لها واردون استئناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة عن على للاختصاص والدلالة على ان ورودهم لاجلها لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها لان المؤاخذ المعذب لا يكون الها وكل فيها خالدون لا خلاص لهم عنها لهم فيها زفير انين وتنفس شديد وهو من اضافة فعل البعض الى الكل للتغليب ان اريد بما تعبدون الاصنام وهم فيها لا يسمعون من الهول وشدة العذاب وقيل لا يسمعون ما يسرهم ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الخصلة الحسنى وهي السعادة او التوفيق للطاعة او البشرى بالجنة اولئك عنها مبعدون لانهم يرفعون الى اعلى عليين روى ان عليا كرم الله وجهه خطب وقرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وابن الجراح ثم اقيمت الصلاة فقام يجر رداءه ويقول لا يسمعون حسيسها وهو بدل من مبعدون او حال من ضميره سيق للمبالغة في ابعادهم عنها والحسيس صوت يحس به وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للاختصاص والاهتمام به لا يحزنهم الفزع الاكبر النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض او الانصراف الى النار او حين يطبق على النار او يذبح الموت على صورة كبش املح وتتلقاهم الملائكة تستقبلهم مهنئين هذا يومكم يوم ثوابكم وهو مقدر بالقول الذي كنتم توعدون في الدنيا يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والمراد بالطي ضد النشر او المحو من قولك اطو عني هذا الحديث وذلك لانها نشرت مظلة لبني آدم فاذا انتقلوا قوضت عنهم وقرئ بالياء وبالتاء والبناء للمفعول كطي السجل للكتب طيا كطي الطومار لاجل الكتابة او لما يكتب او كتب فيه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص على الجمع اي للمعاني الكثيرة المكتوبة فيه وقيل السجل ملك يطوي كتب الاعمال اذا رفعت اليه او كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ السجل كالدلو والسجل كالعتل وهما لغتان فيه كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا عن العدم او جمعا من الاجزاء المتبددة والمقصود بيان صحة الاعادة بالقياس على الابداء لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة القديمة لهما على السواء وما كافة او مصدرية واول مفعول لبدأنا او لفعل يفسره نعيده او موصولة والكاف متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأناه واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير الموصول المحذوف وعدا مقدر بفعله تأكيد النعيده او منتصب به لانه عدة بالاعادة علينا اي علينا انجازه انا كنا فاعلين ذلك لا محالة

ولقد كتبنا في الزبور كتاب داود من بعد الذكر اى التوراة وقيل المراد بالزبور جنس الكتب المنزلة وبالذكر اللوح المحفوظ ان الارض ارض الجنة او الارض المقدسة يرثها عبادى الصالحون يعنى عامة المؤمنين او الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها او امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا فيما ذكرنا من الاخبار والمواعظ والمواعيد لبلاغا لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين همهم العبادة دون العادة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم به من الخسف والمسخ وعذاب الاستئصال قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد اى ما يوحى الى الا انه لا اله لكم الا اله واحد وذلك لان المقصود الاصلى من بعثته مقصور على التوحيد فالاولى لقصر الحكم على الشئ والثانية على العكس فهل انتم مسلمون مخلصون العبادة لله تعالى على مقتضى الوحى المصدق بالحجة وقد عرفت ان التوحيد مما يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل آذنتكم اعلمتكم ما امرت به او حربى لكم على سواء مستوين في الاعلام به او مستوين انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا على سواء وقيل اعلمتكم انى على سواء اى عدل واستقامة رأى بالبرهان النير وان ادرى وما ادرى اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين او من الحشر لكنه كائن لا محالة انه يعلم الجهر من القول ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلين فيجازيكم عليه وان ادرى لعله فتنة لكم وما ادرى لعل تأخير عذابكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين وتمتيع الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته قل رب احكم بالحق اقض بيننا وبين اهل مكة بالعدل المقتضى لاستعجال العذاب والتشديد عليهم وقرأ حفص قال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ رب بالضم وربى احكم على بناء التفضيل واحكم من الاحكام وربنا الرحمن كثير الرحمة على خلقه المستعان المطلوب منه المعونة على ما تصفون من الحال بان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن وان الموعد به لو كان حقا لنزل بهم فأجاب الله دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم فخيب امانيهم ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم عليهم وقرئ بالياء وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه في القرآن

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٩﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١١﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١٢﴾ قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿﴾



سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان خصمان الى صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا
ربكم ان زلزلة الساعة تحريكها للاشياء على الاسناد المجازي او تحريك الاشياء فيها فاضيفت اليها اضافة معنوية بتقدير في واضافة المصدر الى الظرف على
اجرائه مجرى المفعول به وقيل هي زلزلة تكون قبيل طلوع الشمس من مغربها واضافتها الى الساعة لانها من اشراطها شيء عظيم هائل علل امرهم
بالتقوى بفظاعة الساعة ليتصوروها بعقولهم ويعلموا انه لا يؤمنهم منها سوى التدرع بلباس التقوى فيبقوا على انفسهم ويقوها بملازمة التقوى
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت تصوير لهولها والضمير للزلزلة ويوم منتصب بتذهل وقرئ تذهل وتذهل مجهولا ومعلوما اي تذهلها الزلزلة
والذهول الذهاب عن الامر بدهشة والمقصود الدلالة على ان هولها بحيث اذا دهشت التي القمت الرضيع ثديها نزعته من فيه وذهلت عنه وما موصولة

٢٢

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾
يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ
كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ
بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ
يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ
عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ
﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ
مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى



او مصدرية وتضع كل ذات حمل حملها جنينها وترى الناس
سكارى كأنهم سكارى وما هم بسكارى على الحقيقة ولكن
عذاب الله شديد فارهقهم هوله بحيث طير عقولهم واذهب تمييزهم
وقرئ ترى من اريتك قائما او رأيتك قائما بنصب الناس ورفعه على انه
نائب مناب الفاعل وتأنيثه على تأويل الجماعة وافراده بعد جمعه لان الزلزلة
يراها الجميع واثر السكر انما يراه كل احد على غيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى
كعطشى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقرآن
اساطير الاولين ولا بعث بعد الموت وهي تعمه واضرابه ويتبع في
المجادلة او في عامة احواله كل شيطان مريد متجرد للفساد واصله العري
كتب عليه على الشيطان انه من تولاه تبعه والضمير للشان فانه يضله
خبر لمن او جواب له والمعنى كتب عليه اضلال من يتولاه لانه جبل عليه
وقرئ بالفتح على تقدير فشأنه انه يضله لا على العطف فانه يكون بعد
تمام الكلام وقرئ بالكسر في الموضعين على حكاية المكتوب او اضمار
القول او تضمين الكتب معناه ويهديه الى عذاب السعير بالحمل على ما
يؤدي اليه يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث من امكانه وكونه
مقدورا وقرئ من البعث بالتحريك كالجلب فانا خلقناكم اي فانظروا
في بدء خلقكم فانه يزيح ريبكم فانا خلقناكم من تراب اذ خلق آدم منه
والاغذية التي يتكون منها المني ثم من نطفة مني من النطف وهو الصب
ثم من علقة قطعة من الدم جامدة ثم من مضغة قطعة من اللحم
وهي في الاصل قدر ما يمضغ مخلقة وغير مخلقة مسواة لا نقص
فيها ولا عيب وغير مسواة او تامة وساقطة او مصورة وغير مصورة
لنبين لكم بهذا التدريج قدرتنا وحكمتنا وان ما قبل التغير والفساد
والتكون مرة قبلها اخرى وان من قدر على تغييره وتصويره اولا قدر
على ذلك ثانيا وحذف المفعول ايماء الى ان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وحكمته ما لا يحيط به الذكر ونقر في الارحام ما نشاء ان نقره الى اجل
مسمى هو وقت الوضع وادناه بعد ستة اشهر واقصاه آخر اربع سنين وقرئ ونقر بالنصب وكذا قوله ثم نخرجكم طفلا عطفا على نبين كان
خلقهم مدرجا لغرضين تبيين القدرة وتقريرهم في الارحام حتى يولدوا وينشأوا ويبلغوا حد التكليف وقرئا بالياء رفعا ونصبا ويقر بالياء ونقر
من قررت الماء اذا صببته وطفلا حال اجريت على تأويل كل واحد والدلالة على الجنس او لانه في الاصل مصدر ثم لتبلغوا اشدكم كمالكم في القوة
والعقل جمع شدة كالانعم جمع نعمة كانها شدة في الامور ومنكم من يتوفى عند بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى اي يتوفاه الله

وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا
وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ
آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٨﴾ وَمِنَ
النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ
مُنِيرٍ ﴿٩﴾ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ
وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١١﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ
حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ
عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾

ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر من عرفه والاية استدلال ثان على امكان البعث بما يعتري الانسان في اسنانه من الامور المختلفة والاحوال المتضادة فان من قدر على ذلك قدر على نظائره وترى الارض هامدة ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وقرئ ربأت اى ارتفعت وانبتت من كل زوج من كل صنف بهيج حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مشاهدة ذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان في اطوار مختلفة وتحويله على احوال متضادة واحياء الارض بعد موتها وهو مبتدأ خبره بان الله هو الحق اى بسبب انه الثابت في نفسه الذي به يتحقق الاشياء وانه يحيي الموتى وانه يقدر على احيائها والا لما احيى النطفة والارض الميتة وانه على كل شئ قدير لان قدرته لذاته الذي نسبته الى الكل على سواء فلما دلت المشاهدة على قدرته على احياء بعض الاموات لزم اقتداره على احياء كلها وان الساعة اتية لا ريب فيها فان التغير من مقدمات الانصرام وطلائعه وان الله يبعث من في القبور بمقتضى وعده الذي لا يقبل الخلف ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تكرير للتاكيد ولما نيط به من الدلالة بقوله ولا هدى ولا كتاب منير على انه لا سند له من استدلال او وحى او الاول في المقلدين وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الفطري ليصح عطف الهدى والكتاب عليه ثاني عطفه متكبرا وثني العطف كناية عن التكبر كلي الجيد او معرضا عن الحق استخفافا به وقرئ بفتح العين اى مانع تعطفه ليضل عن سبيل الله علة للجدال وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء على ان اعراضه عن الهدى المتمكن منه بالاقبال على الجدال الباطل خروج من الهدى الى الضلال وانه من حيث هو مؤداه كالغرض له له في الدنيا خزى وهو ما اصابه يوم بدر ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق المحرق وهو النار ذلك بما قدمت يداك على الالتفات او ارادة القول اى يقال له يوم القيامة ذلك الخزى والتعذيب بسبب ما اقترفته من الكفر والمعاصى وان الله ليس بظلام للعبيد وانما هو مجازيهم على اعمالهم والمبالغة لكثرة العبيد ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذي يكون على طرف الجيش فان احس بظفر قرّ والا فر فان اصابه خير اطمان به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه روى انها نزلت في اعاريب قدموا الى المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا فاطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت خسر الدنيا والاخرة بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه خبر محذوف ذلك هو الخسران المبين اذ لا خسر مثله

يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه يعبد جمادا لا يضر بنفسه ولا ينفع ذلك هو الضلال البعيد عن المقصد مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا يدعوا لمن ضره بكونه معبودا لانه يوجب القتل في الدنيا والعذاب في الاخرة اقرب من نفعه الذي يتوقع بعبادته وهو الشفاعة والتوسل بها الى الله تعالى واللام معلقة ليدعو من حيث انه بمعنى يزعم والزعم قول مع اعتقاد او داخلة على الجملة الواقعة مفعولا اجراء له مجرى يقول اي يقول الكافر ذلك بدعاء وصراخ حين يرى استضراره به او مستأنفة على ان يدعو تكرير للاول ومن مبتدأ وخبره لبئس المولى الناصر ولبئس العشير الصاحب ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد من اثابة الموحد الصالح وعقاب المشرك لا دافع له ولا مانع من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة كلام فيه اختصار والمعنى ان الله ناصر رسوله

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ اَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلٰى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ اِنَّ اللّٰهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ اِنَّ اللّٰهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ اَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللّٰهُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ اِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذٰلِكَ اَنْزَلْنَاهُ اٰيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَاَنَّ اللّٰهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارٰى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ اَشْرَكُوا اِنَّ اللّٰهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ وَالشَّمْسُ

في الدنيا والآخرة فمن كان يظن خلاف ذلك ويتوقعه من غيظه وقيل المراد بالنصر الرزق والضمير لمن فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فليستقص في ازالة غيظه او جزعه بان يفعل كل ما يفعله الممتلئ غضبا او المبالغ جزعا حتى يمد حبلا الى سماء بيته فيختنق من قطع اذا اختنق فان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه او فليمدد حبلا الى السماء الدنيا ثم ليقطع به المسافة حتى يبلغ عنانه فيجتهد في دفع نصره او تحصيل رزقه وقرأ ورش وابو عمرو وابن عامر ليقطع بكسر اللام فلينظر فليتصور في نفسه هل يذهبن كيده فعله ذلك وسماه على الاول كيدا لانه منتهى ما يقدر عليه ما يغيظ غيظه او الذي يغيظه من نصر الله وقيل نزلت في قوم من المسلمين استبطأوا نصر الله لاستعجالهم وشدة غيظهم على المشركين وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلناه انزلنا القرآن كله ايات بينات واضحات وان الله يهدي ولان الله يهدي به او يثبت على الهدى من يريد هدايته او ثباته انزله كذلك مبينا ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بالحكومة بينهم واظهار المحق منهم من المبطل او الجزاء فيجازي كلا ما يليق به ويدخله المحل المعد له وانما دخلت ان على كل واحد من طرفي الجملة لمزيد التأكيد ان الله على كل شيء شهيد عالم به مراقب لاحواله الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض يتسخر لقدرته ولا يتأبى عن تدبيره او يدل بذله على عظمة مدبره ومن يجوز ان يعم اولي العقل وغيرهم على التغليب فيكون قوله



والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب افرادها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها وقرئ والدواب بالتخفيف كراهة التضعيف او الجمع بين الساكنين وكثير من الناس عطف عليها ان جوّز اعمال اللفظ الواحد فى كل واحد من مفهوميه واسناده باعتبار احدهما الى امر وباعتبار الآخر الى آخر فان تخصيص الكثير يدل على خصوص المعنى المسند اليهم او مبتدأ خبره محذوف دل عليه خبر قسيمه نحو حق له الثواب او فاعل فعل مضمر اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وكثير حق عليه العذاب بكفره وابائه عن الطاعة ويجوز ان يجعل وكثير تكريرا للاول مبالغة فى تكثير المحقوقين بالعذاب وان يعطف به على الساجدين بالمعنى العام موصوفا بما بعده وقرئ حق بالضم وحقا باضمار فعله ومن يهن الله بالشقاوة فما له من مكرم يكرمه بالسعادة وقرئ بالفتح بمعنى الاكرام ان الله يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة هذان خصمان اى فوجان مختصمان ولذلك قال اختصموا حملا على المعنى ولو عكس جاز والمراد بهما المؤمنون والكافرون فى ربهم فى دينه او فى ذاته وصفاته وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقال اليهود نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم والمؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد ونبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا فصل لخصومتهم وهو المعنى بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم قدرت على مقادير جثثهم وقرئ بالتخفيف ثياب من نار نيران تحيط بهم احاطة الثياب يصب من فوق رؤسهم الحميم حال من الضمير فى لهم او خبر ثان والحميم الماء الحار يصهر به ما فى بطونهم والجلود اى يؤثر من فرط حرارته فى باطنهم تأثيره فى ظاهرهم فيذاب به احشاؤهم كما يذاب به جلودهم والجملة حال من الحميم او ضميرهم وقرئ بالتشديد للتكثير ولهم مقامع من حديد سياط منه يجلدون بها جمع مقمعة وحقيقتها ما يقمع به اى يكف بعنف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم من غمومها بدل من الهاء باعادة الجار اعيدوا فيها اى فخرجوا اعيدوا لان الاعادة لا تكون الا بعد الخروج وقيل يضربهم لهب النار فيرفعهم الى اعلاها فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وذوقوا اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق النار البالغة فى الاحراق ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار غير الاسلوب فيه واسند الادخال الى الله تعالى واكده بانّ احمادا لحال المؤمنين وتعظيما لشأنهم يحلون فيها من حليت المرأة اذا لبستها الحلىّ وقرئ بالتخفيف والمعنى واحد من اساور صفة مفعول محذوف واساور جمع اسورة وهى جمع سوار من ذهب بيان له ولؤلؤ عطف عليها لا على ذهب لانه لم يعهد السوار منه الا ان يراد المرصعة به ونصبه نافع وعاصم عطفا على محلها او اضمار الناصب مثل ويؤتون وروى حفص بهمزتين وترك ابو بكر والسوسى عن ابى عمرو الهمزة الاولى وقرئ لؤلو بقلب الثانية واوا ولوليا بقلبهما واوين ثم قلبت الثانية ياء وليليا بقلبهما ياءين ولول كأدل ولباسهم فيها حرير غير اسلوب الكلام فيه للدلالة على ان الحرير ثيابهم المعتادة او للمحافظة على هيئة الفواصل وهدوا الى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذى صدقنا وعده او كلمة التوحيد وهدوا الى صراط الحميد المحمود نفسه او عاقبته وهو الجنة او الحق او المستحق لذاته الحمد وهو الله تعالى وصراطه الاسلام ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله لا يريد به حالا ولا استقبالا وانما يريد استمرار الصد منهم كقولهم فلان يعطى ويمنع ولذلك حسن عطفه على الماضى وقيل هو حال من فاعل كفروا وخبر انّ محذوف دل عليه آخر الآية اى معذبون

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ
النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ
مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٩﴾ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا
فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ
مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿٢٠﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ
﴿٢١﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢٢﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا
مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ
يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا
وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ
وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ

والمسجد الحرام عطف على اسم الله واوله الحنيفة بمكة واستشهد وابقوله الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد اى المقيم والطارئ على عدم جواز بيع دورها واجارتها وهو مع ضعفه معارض بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم وشراء عمر دار السجن فيها من غير نكير وسواء خبر مقدم والجملة مفعول ثان لجعلناه ان جعل للناس حالا من الهاء والاحال من المستكن فيه ونصبه حفص على انه المفعول او الحال والعاكف مرتفع به وقرئ العاكف بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول وقرئ بالفتح من الورود بالحاد عدول عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثانى بدل من الاول باعادة الجار وصلة له اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب لمن واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اى واذكر اذ عيناه وجعلناه له مباءة وقيل اللام زائدة ومكان ظرف اى واذ انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء او انطمس ايام الطوفان فاعلمه الله مكانه بريح ارسلها فكنست

عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٧﴾ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٨﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٩﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٠﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ

ما حوله فبناه على اسه القديم ان لا تشرك بى شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود ان مفسرة لبوأنا من حيث انه تضمن معنى تعبدنا لان التبوئة من اجل العبادة او مصدرية موصولة بالنهى اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بعبادتى وتطهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعله عبر عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك كيف وقد اجتمعت وقرئ يشرك بالياء واذن فى الناس ناد فيهم وقرئ آذن بالحج بدعوة الحج والامر به روى انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله من فى اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه ان يحج وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك فى حجة الوداع ياتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ بضم الراء مخففا الجيم ومثقله ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد السفر فهزله ياتين صفة لضامر محمولة على معناه او استئناف فيكون الضمير للناس وقرئ ياتون صفة للرجال والركبان من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق يقال بئر بعيد العمق والمعق بمعنى ليشهدوا ليحضروا منافع لهم دينية ودنيوية وتنكيرها لان المراد بها نوع من المنافع مخصوص بهذه العبادة ويذكروا اسم الله عند اعداد الهدايا والضحايا وذبحها وقيل كنى بالذكر عن النحر لان ذبح المسلمين لا ينفك عنه تنبيها على انه المقصود مما يتقرب به الى الله فى ايام معلومات هى عشر ذى الحجة وقيل ايام النحر على ما رزقهم من بهيمة الانعام علق الفعل بالمرزوق وبينه بالبهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على مقتضى الذكر فكلوا منها من لحومها امر بذلك اباحة وازاحة لما عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او ندبا الى مواساة الفقراء ومساواتهم وهذا فى المتطوع به دون الواجب واطعموا البائس الذى اصابه بؤس اى شدة الفقير المحتاج والامر فيه للوجوب وقد قيل به فى الاول ثم ليقضوا تفثهم ثم ليزيلوا وسخهم بقص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون

من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرأ ابو بكر بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذى به تمام التحلل فانه قرينة قضاء التفث وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله واما الحجاج فانما قصد اخراج ابن الزبير منه دون التسلط عليه ذلك خبر محذوف اى الامر ذلك وهو وامثاله يطلق للفصل بين كلامين ومن يعظم حرمات الله احكامه وسائر ما لا يحل هتكه او الحرم وما يتعلق بالحج من التكاليف وقيل الكعبة والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم فهو خير له فالتعظيم خير له عند ربه ثوابا واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم الا المتلو عليكم تحريمه وهو ما حرم منها العارض كالميتة وما اهل به لغير الله فلا تحرموا منها غير ما حرمه الله كالبحيرة والسائبة فاجتنبوا الرجس من الاوثان فاجتنبوا الرجس الذى هو الاوثان كما تجتنب الانجاس وهو غاية المبالغة فى النهى عن تعظيمها والتنفير عن عبادتها

وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣١﴾ حُنَفَاءَ لِلّٰهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٢﴾ ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّٰهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٣﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٤﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٦﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللّٰهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللّٰهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا

واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبعه ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب وتعظيم
الاوثان والافتراء على الله بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه عليه السلام قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو الانحراف كما
ان الافك من الافك وهو الصرف فان الكذب منحرف مصروف عن الواقع حنفاء لله مخلصين له غير مشركين به وهما حالان من الواو ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء لانه
سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر فتخطفه الطير فان الاهواء المردية توزع افكاره وقرأ نافع بفتح الخاء وتشديد الطاء او تهوى به الريح في مكان سحيق بعيد فان الشيطان
قد طوح به في الضلالة واو للتخيير كما في قوله او كصيب او للتنويع فان من المشركين من لا خلاص له اصلا ومنهم من يمكن خلاصه بالتوبة ولكن على بعد ويجوز ان يكون من التشبيهات
المركبة فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد هلكت نفسه هلاكا يشبه احد الهلاكين ذلك ومن يعظم شعائر الله دين الله او فرائض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو
اوفق لظاهر ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روى انه عليه الصلاة
والسلام اهدى مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر رضي الله عنه
اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها
من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعائد الى من وذكر القلوب
لانها منشأ التقوى والفجور والآمرة بهما لكم فيها منافع الى اجل مسمى ثم محلها الى
البيت العتيق اى لكم فيها منافع درها ونسلها وصوفها وظهرها الى ان تنحر ثم وقت
نحرها منتهية الى البيت اى ما يليه من الحرم وثم يحتمل التراخي في الوقت والتراخي في الرتبة
اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت النحر وبعده منافع دينية اعظم منها وهو على
الاولين اما متصل بحديث الانعام والضمير فيه لها او المراد على الاول لكم فيها
منافع دينية تنتفعون بها الى اجل مسمى هو الموت ثم محلها منتهية الى البيت العتيق
الذي ترفع اليه الاعمال او يكون فيه ثوابها وهو البيت المعمور او الجنة وعلى الثاني لكم
فيها منافع التجارات في الاسواق الى وقت المراجعة ثم وقت الخروج منها منتهية
الى الكعبة بالاحلال بطواف الزيارة ولكل امة ولكل اهل دين جعلنا منسكا
متعبدا او قربانا يتقربون به الى الله وقرأ حمزة والكسائي بالكسر اى موضع نسك
ليذكروا اسم الله دون غيره ويجعلوا نسيكتهم لوجهه علل الجعل به تنبيها على
ان المقصود من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها
وفيه تنبيه على ان القربان يجب ان يكون نعما فالهكم اله واحد فله اسلموا
اخلصوا التقرب او الذكر ولا تشوبوه بالاشراك وبشر المخبتين المتواضعين
او المخلصين فان الاخبات صفتهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة
منه لاشراق اشعة جلاله عليها والصابرين على ما اصابهم من الكلف
والمصائب والمقيمي الصلاة في اوقاتها وقرئ المقيمين الصلاة على الاصل
ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير والبدن جمع بدنة كخشب
وخشبة واصله الضم وقد قرئ به وانما سميت بها الابل لعظم بدنها مأخوذة
من بدن بدانة ولا يلزم من مشاركة البقرة لها في اجزائها عن سبعة بقوله عليه
الصلاة والسلام البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة تناول اسم البدنة لها شرعا بل الحديث يمنع ذلك وانتصابه بفعل يفسره جعلناها لكم ومن رفع جعله مبتدأ
من شعائر الله من اعلام دينه التي شرعها الله لكم فيها خير منافع دينية ودنيوية فاذكروا اسم الله عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله
والله اكبر اللهم منك واليك صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وطرف سنبك الرابعة لان البدنة
تعقل احدى يديها وتقوم على ثلاث وصوافيا بابدال التنوين من حرف الاطلاق عند الوقف وصوافي اى خوالص لوجه الله وصواف على لغة من يسكن الياء
مطلقا كقولهم اعط القوس باريها فاذا وجبت جنوبها سقطت على الارض وهو كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع الراضي بما
عنده وبما يعطى من غير مسألة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنعت اليه قنوعا اذا خضعت له في السؤال

والمعتر

والمعتر المعترض بالسؤال وقرئ والمعترى يقال عرّه وعراه واعترّه واعتراه كذلك مثل ما وصفنا من نحرها قياما سخرناها لكم مع عظمها وقوتها حتى تأخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون فى لباتها لعلكم تشكرون انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله لن يصيب رضاه ولن يقع منه موقع القبول لحومها اى المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه ما يصحبه من تقوى قلوبكم التى تدعوكم الى تعظيم امر الله والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية اذا ذبحوا القرابين لطخوا الكعبة بدمائها قربة الى الله فهم به المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم كرره تذكيرا للنعمة وتعليلا له بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال او الذبح على ما هديكم ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما يحتمل المصدرية

الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
﴿٣٧﴾ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ
التَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ
مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٩﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ
بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن
دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ
النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ
وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ
مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ
فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ

والخبرية وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين المخلصين فيما يأتونه ويذرونه ان الله يدفع عن الذين امنوا غائلة المشركين وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون يدافع اى يبالغ فى الدفع مبالغة من يغالب فيه ان الله لا يحب كل خوان فى امانة الله كفور لنعمته كمن يتقرب الى الاصنام بذبيحته فلا يرتضى فعلهم ولا ينصرهم اذن رخص وقرأ ابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى على البناء للفاعل وهو الله للذين يقاتلون المشركين والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بفتح التاء اى الذين يقاتلهم المشركون بانهم ظلموا بسبب انهم ظلموا وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه فيقول لهم اصبروا فانى لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت وهى اول اية نزلت فى القتال بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر كما وعد بدفع اذى الكفار عنهم الذين اخرجوا من ديارهم يعنى مكة بغير حق بغير موجب استحقوا به الا ان يقولوا ربنا الله على طريقة قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وقيل منقطع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين منهم على الكافرين لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرأ نافع دفاع ولهدمت بالتخفيف صوامع صوامع الرهبانية وبيع وبيع النصارى وصلوات وكنائس اليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل اصلها صلوثا بالعبرانية فعربت ومساجد ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للاربع او لمساجد خصت بها تفضيلا ولينصرن الله من ينصره من ينصر دينه وقد انجز وعده بان سلط المهاجرين والانصار على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرتهم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوى على نصرهم عزيز لا يمانعه شئ الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف للذين اخرجوا وهو ثناء قبل بلاء وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين اذ لم يستجمع ذلك غيرهم من المهاجرين وقيل بدل ممن ينصره



ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وفيه تاكيد لما وعده وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين تسلية له عليه الصلاة والسلام بان قومه ان كذبوه فهو ليس باوحدي في التكذيب فان هؤلاء قد كذبوا رسلهم قبل قومه وكذب موسى غير فيه النظم وبنى الفعل للمفعول لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه وانما كذبه القبط ولان تكذيبه كان اشنع واياته كانت اعظم واشيع فامليت للكافرين فامهلتهم حتى انصرمت آجالهم المقدرة ثم اخذتهم فكيف كان نكير اى انكارى عليهم بتغيير النعمة محنة والحياة هلاكا والعمارة خرابا فكاين من قرية اهلكناها باهلاك اهلها وقرأ البصريان اهلكتها بغير لفظ التعظيم وهي ظالمة اى اهلها فهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف اوخالية مع بقاء عروشها وسلامتها فيكون الجار متعلقا بخاوية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اى هي خالية وهي على عروشها اى مطلة عليها بان سقطت وبقيت الحيطان مائلة مشرفة عليها والجملة معطوفة على اهلكناها لا على وهي ظالمة فانها حال والاهلاك ليس حال ظلمها فلا محل لها ان نصبت كاين بمقدر يفسره اهلكنا وان رفعته بالابتداء فمحلها الرفع وبئر معطلة عطف على قرية اى وكم بئر عامرة في البوادى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع او مجصص اخليناه عن ساكنيه وذلك يقوى ان معنى خاوية على عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد ببئر بئر على سفح جبل بحضرموت وبقصر قصر مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح فلما قتلوه اهلكهم الله وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا لم يسافروا لذلك فتكون لهم قلوب يعقلون بها ما يجب ان يعقل من التوحيد بما حصل لهم من الاستبصار والاستدلال او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي والتذكير بحال من يشاهد اثارهم فانها الضمير للقصة او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى راجع اليها والظاهر اقيم مقامه لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور عن الاعتبار اى ليس الخلل في مشاعرهم وانما ايفت عقولهم باتباع الهوى والانهماك في التقليد وذكر الصدور للتاكيد ونفي التجوز وفضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف الذي يخص البصر قيل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الآخرة اعمى فنزلت ويستعجلونك بالعذاب المتوعد به ولن يخلف الله وعده لامتناع الخلف في خبره فيصيبهم ما اوعدهم به ولو بعد حين لكنه صبور لا يعجل بالعقوبة وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون بيان لتناهي صبره وتانيه حتى استقصر المدد الطوال او لتمادي عذابه وطول ايامه حقيقة او من حيث ان ايام الشدائد مستطالة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى يعدون بالياء وكاين من قرية وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل وانما عطف الاولى بالفاء وهذه بالواو لان الاولى بدل من قوله فكيف كان نكير وهذه في حكم ما تقدمها من الجملتين لبيان ان المتوعد به يحيق بهم لا محالة وان تأخر لعادته تعالى امليت لها كما امهلتكم وهي ظالمة مثلكم ثم اخذتها بالعذاب والى المصير والى حكمى مرجع الجميع قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين اوضح لكم ما انذركم به والاقتصار على الانذار مع عموم الخطاب وذكر الفريقين لان صدر الكلام ومساقه للمشركين وانما ذكر المؤمنين وثوابهم زيادة في غيظهم

وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ

فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة لما ندر منهم ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع مايجمع فضائله والذين سعوا في اياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين مشاقين للساعين فيها بالقبول والتحقيق من عاجزه فاعجز وعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يطلب اعجاز الآخر عن اللحاق به وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين على الحال المقدرة اولئك اصحاب الجحيم النار الموقدة وقيل اسم دركة وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام ولذلك شبه النبي عليه السلام علماء امته بهم فان النبي اعم من الرسول ويدل عليه انه عليه الصلاة والسلام سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول وهو من لا كتاب له وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اذا زور في نفسه مايهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيه مايوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة

نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

فينسخ الله مايلقي الشيطان فيبطله ويذهب به بعصمته من الركون اليه والارشاد الى مايزيحه ثم يحكم الله اياته ثم يثبت اياته الداعية الى الاستغراق في امر الآخرة والله عليم باحوال الناس حكيم فيما يفعله بهم قيل حدث نفسه بزوال المسكنة فنزلت وقيل تمنى لحرصه على ايمان قومه ان ينزل عليه مايقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة والنجم فاخذ يقرأها فلما بلغ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبرائيل فاغتم به فعزاه الله بهذه الاية وهو مردود عند المحققين وان صح فابتلاء يتميز به الثابت على الايمان من المتزلزل فيه وقيل تمنى بمعنى قرأ لقوله تمنى كتاب الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل فامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان تكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق على القرآن ولا يندفع بقوله فينسخ الله مايلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته لانه ايضا يحتمله والآية تدل على جواز السهو على الانبياء وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل مايلقي الشيطان علة لتمكين الشيطان منه وذلك يدل على ان الملقى امر ظاهر عرفه المحق والمبطل فتنة للذين في قلوبهم مرض شك ونفاق والقاسية قلوبهم المشركين وان الظالمين يعني الفريقين فوضع الظاهر موضع ضميرهم قضاء عليهم بالظلم لفي شقاق بعيد عن الحق وعن الرسول والمؤمنين وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك ان القرآن هو الحق النازل من عند الله او تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق الصادر من الله لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم فيؤمنوا به بالقرآن او بالله فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية وان الله لهادي الذين امنوا فيما اشكل عليهم الى صراط مستقيم هو نظر صحيح يوصلهم الى ماهو الحق ولا يزال الذين كفروا في مرية في شك منه من القرآن او الرسول او مما القى الشيطان في امنيته يقولون ماباله ذكرها بخير ثم ارتد عنه حتى تاتيهم الساعة القيامة او الموت او اشراطها بغتة فجأة او ياتيهم عذاب يوم عقيم يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كالعقم او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا قتلوا صارت عقيما فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لاخير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة فيه او يوم القيامة على ان المراد بالساعة غيره او على وضعه موضع ضميرها للتهويل الملك يومئذ لله التنوين فيه ينوب عن الجملة التي دلت عليها الغاية اي يوم تزول مريتهم يحكم بينهم بالمجازاة والضمير يعم المؤمنين والكافرين لتفصيله بقوله فالذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين وادخال الفاء في خبر الثاني دون الاول تنبيه على ان اثابة المؤمنين بالجنات تفضل من الله تعالى وان عقاب الكفار مسبب عن اعمالهم ولذلك قال لهم عذاب ولم يقل هم في عذاب

والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا فى الجهاد او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا الجنة ونعيمها وانما سوّى بين من قتل فى الجهاد ومن مات حتف انفه فى الوعد لاستوائهما فى القصد واصل العمل روى ان بعض الصحابة قالوا يا نبى الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا فنزلت وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب ليدخلنهم مدخلا يرضونه هو الجنة فيها ما يحبونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال معاديهم حليم لا يعاجل فى العقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد فى الاقتصاص وانما سمى الابتداء بالعقاب الذى هو الجزاء للازدواج او لانه سببه ثم بغى عليه بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله لا محالة ان الله لعفو غفور للمنتصر حيث اتبع هواه فى الانتقام واعرض عما ندب الله اليه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وفيه تعريض بالحث على العفو والمغفرة فانه تعالى مع كمال قدرته وتعالى شأنه لما كان يعفو ويغفر فغيره بذلك اولى وتنبيه على انه قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اى ذلك النصر بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل بسبب ان الله قادر على تغليب بعض الامور على بعض جار عادته على المداولة بين الاشياء المتعاندة ومن ذلك ايلاج احد الملوين فى الآخر بان يزيد فيه ما ينقص منه او بتحصيل ظلمة الليل فى مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها وان الله سميع يسمع قول المعاقب والمعاقب بصير يرى افعالهما فلا يهملهما ذلك الوصف بكمال القدرة والعلم بان الله هو الحق الثابت فى نفسه الواجب لذاته وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان ان يكون مبدأ لكل ما يوجد سواه عالما بذاته وبما عداه او الثابت الالهية ولا يصلح لها الا من كان قادرا عالما وان ما يدعون من دونه الها وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وابو بكر بالتاء على مخاطبة المشركين وقرئ بالبناء للمفعول فيكون الواو لما فانه فى معنى الآلهة هو الباطل المعدوم فى حد ذاته او باطل الالوهية وان الله هو العلى على الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك ولا شئ اعلى منه شانا واكبر منه سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير ولذلك رفع فتصبح الارض مخضرة عطف على انزل اذ لو نصب جوابا لدل على نفى الاخضرار كما فى قولك الم تر انى جئتك فتكرمنى والمقصود اثباته وانما عدل به عن صيغة الماضى للدلالة على بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان ان الله لطيف يصل علمه او لطفه الى كل ما جل ودق خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا وان الله لهو الغنى فى ذاته عن كل شئ الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما فى الارض جعلها مذللة لكم معدة لمنافعكم والفلك عطف على ما او على اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجرى فى البحر بامره حال منها او خبر ويمسك السماء ان تقع على الارض من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى الاستمساك الا باذنه الا بمشيئته وذلك يوم القيامة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية لسائر الاجسام فى الجسمية فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيأ لهم اسباب الاستدلال وفتح عليهم ابواب المنافع ودفع عنهم انواع المضارّ

فاولئك لهم عذاب مهين ﴿٥٨﴾ والذين هاجروا فى سبيل الله ثم
قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم حليم ﴿٦٠﴾ ذلك ومن
عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ان الله لعفو غفور
﴿٦١﴾ ذلك بان الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وان
الله سميع بصير ﴿٦٢﴾ ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه
هو الباطل وان الله هو العلى الكبير ﴿٦٣﴾ الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير ﴿٦٤﴾ له
ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى الحميد ﴿٦٥﴾ الم تر ان
الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامره ويمسك
السماء ان تقع على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرءوف رحيم ﴿٦٦﴾

وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر ونطفا ثم يميتكم اذا جاء اجلكم ثم يحييكم في الآخرة ان الانسان لكفور لجحود للنعم مع ظهورها لكل امة اهل دين جعلنا منسكا متعبدا او شريعة تعبدوا بها وقيل عيدا هم ناسكوه ينسكونه فلا ينازعنك سائر ارباب الملل في الامر في امر الدين او النسائك لانهم بين جهال واهل عناد او لان امر دينك اظهر من ان يقبل النزاع وقيل المراد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن الالتفات الى قولهم وتمكينهم من المناظرة المؤدية الى نزاعهم فانها انما تنفع طالب الحق وهؤلاء اهل مراء او عن منازعتهم كقولك لا يضاربنك زيد وهذا انما يجوز في افعال المغالبة للتلازم وقيل نزلت في كفار خزاعة قالوا للمسلمين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله وقرئ فلا ينزعنك على تهييج الرسول والمبالغة في تثبيته على دينه على انه من نازعته فنزعته اذا غلبته وادع الى ربك الى توحيده وعبادته انك لعلى هدى مستقيم طريق الى الحق سوي وان جادلوك وقد ظهر الحق ولزمت الحجة فقل الله اعلم بما تعملون من المجادلة الباطلة وغيرها فيجازيكم عليها وهو وعيد فيه رفق الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين بالثواب والعقاب يوم القيمة كما فصل في الدنيا بالحجج والآيات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض فلا يخفى عليه شئ ان ذلك في كتاب هو اللوح المحفوظ كتبه فيه قبل حدوثه فلا يهمنك امرهم مع علمنا به وحفظنا له ان ذلك ان الاحاطة به واثباته في اللوح المحفوظ او الحكم بينكم على الله يسير لان علمه مقتضى ذاته المتعلق بكل المعلومات على سواء ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة تدل على جواز عبادته وما ليس لهم به علم حصل لهم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير يقرر مذهبهم او يدفع العذاب عنهم واذا تتلى عليهم آياتنا من القرآن بينات واضحات الدلالة على العقائد الحقة والاحكام الالهية تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر الانكار لفرط نكيرهم للحق وغيظهم لاباطيل اخذوها تقليدا وهذا منتهى الجهالة وللاشعار بذلك وضع الذين كفروا موضع الضمير او ما يقصدونه من الشر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا يثبون ويبطشون بهم قل أفأنبئكم بشر من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوتكم عليهم او مما اصابكم من الضجر بسبب ما تلوا عليكم النار اي هو النار كأنه جواب سائل قال ما هو ويجوز ان يكون مبتدأ خبره وعدها الله الذين كفروا وقرئ بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون الجملة استئنافا كما اذا رفعت خبرا او حالا منها

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٧﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٨﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٧٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا

وبئس المصير النار يا ايها الناس ضرب مثل بين لكم حال مستغربة اوقصة رائعة ولذلك سماها مثلا او جعل لله مثل اى مثل فى استحقاق العبادة فاستمعوا له للمثل او لشأنه
استماع تدبر وتفكر ان الذين تدعون من دون الله يعنى الاصنام وقرأ يعقوب بالياء وقرئ به مبنيا للمفعول والراجع الى الموصول محذوف على الاولين لن يخلقوا ذبابا لا
يقدرون على خلقه مع صغره لان لن بما فيها من تأكيد النفى دالة على منافاة ما بين المنفى والمنفى عنه والذباب من الذب لانه يذب وجمعه اذبة وذبان ولو اجتمعوا له بجوابه المقدر فى
موضع حال جئ به للمبالغة اى لا يقدرون على خلقه مجتمعين له متعاونين عليه فكيف اذا كانوا منفردين وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه جهلهم غاية التجهيل بان اشركوا
الها قدر على المقدورات كلها وتفرد بايجاد الموجودات بأسرها تماثيل هى اعجز الاشياء وبين ذلك بانها لا تقدر على خلق اقل الاحياء واذلها ولو اجتمعوا له بل لا تقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل
وتعجز عن ذبه عن نفسها واستنقاذ ما يختطفه من عندها قيل كانوا يطلونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ضعف الطالب والمطلوب

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ
يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾
اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ
الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا
رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا
لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ

عابد الصنم ومعبوده او الذباب يطلب ما يسلب عن الصنم من الطيب والصنم يطلب منه
الذباب السلب او الصنم والذباب كانه يطلبه ليستنقذ منه ما سلبه ولو حققت وجدت الصنم
اضعف بدرجات ما قدروا الله حق قدره ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا به
وسموا باسمه ما هو ابعد الاشياء عنه مناسبة ان الله لقوى على خلق الممكنات بأسرها
عزيز لا يغلبه شئ وآلهتهم التى يدعونها عاجزة عن اقلها مقهورة من اذلها الله يصطفى
من الملائكة رسلا يتوسطون بينه وبين الانبياء بالوحى ومن الناس يدعون سائرهم
الى الحق ويبلغون اليهم ما نزل عليهم كانه لما قرر وحدانيته فى الالوهية ونفى ان يشاركه غيره
فى صفاتها بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم والاقتداء بهم الى عبادة الله
سبحانه وتعالى وهو اعلى المراتب ومنتهى الدرجات لمن عداه من الموجودات تقريرا للنبوة
وتزييفا لقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى والملائكة بنات الله ونحو ذلك ان الله
سميع بصير مدرك للاشياء كلها يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم عالم بواقعها
ومتوقعها والى الله ترجع الامور واليه مرجع الامور كلها لانه مالكها بالذات لا يسأل
عما يفعل من الاصطفاء وغيره وهم يسألون يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا فى
صلاتكم امرهم بهما لانهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا وعبر عن الصلاة بهما
لانهما اعظم اركانها او اخضعوا لله وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فيما تأتون وتذرون كنوافل الطاعات وصلة
الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون الفلاح
غير متيقنين له واثقين على اعمالكم والآية آية سجدة عندنا لظاهر ما فيها من الامر
بالسجود ولقوله عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما
فلا يقرأهما وجاهدوا فى الله اى لله ومن اجله اعداء دينه الظاهرة كأهل الزيغ
والباطنة كالهوى والنفس وعنه عليه الصلاة والسلام انه رجع من غزوة تبوك
فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا
خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق الى الجهاد مبالغة كقولك هو حق عالم واضيف
الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص بالله من حيث انه مفعول لوجه الله ومن
اجله هو اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته وفيه تنبيه على المقتضى للجهاد والداعى اليه وفى قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشتد القيام به عليكم اشارة
الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشئ فأتوا منه ما استطعتم
وقيل ذلك بان جعل لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وشرع لهم الكفارات فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة
ابيكم ابراهيم منتصبة على المصدر بفعل دل عليه مضمون ما قبلها بحذف المضاف اى وسع دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغراء او على الاختصاص وانما جعله
اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته من حيث انه سبب لحياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الآخرة او لان اكثر العرب كانوا
من ذريته فغلبوا على غيرهم

فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝

سورة المؤمنون مكية وهي مائة وتسع عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٢٣

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ ۝٤ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۝٧ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ۝٨ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُولَٰئِكَ

هو سميكم المسلمين من قبل من قبل القرآن في الكتب المتقدمة وفي هذا وفي القرآن والضمير لله ويدل عليه انه قرئ الله سماكم اولابراهيم وتسميتهم مسلمين في القرآن وان لم يكن منه كان بسبب تسميته من قبل في قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل وفي هذا تقديره وفي هذا بيان تسميته اياكم مسلمين ليكون الرسول يوم القيامة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهداء على الناس بتبليغ الرسل اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فتقربوا الى الله بانواع الطاعات لما خصكم بانواع الفضل والشرف واعتصموا بالله وثقوا به في مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه هو موليكم ناصركم ومتولي اموركم فنعم المولى ونعم النصير هو اذ لا مثل له سبحانه في الولاية والنصرة بل لا مولى ولا ناصر سواه في الحقيقة عن النبي عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة اية عند البصريين وثماني عشرة عند الكوفيين بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد فازوا بأمانيهم

وقد تثبت المتوقع كما ان لما تنفيه وتدل على ثباته اذا دخلت الماضي ولذلك تقربه من الحال ولما كان المؤمنون متوقعين ذلك من فضل الله صدرت بها بشارتهم وقرأ ورش عن نافع قد افلح بالقاء حركة الهمزة على الدال وحذفها وقرئ أفلحوا على لغة اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وافلح اجتزاء بالضمة عن الواو وافلح على البناء للمفعول الذين هم في صلاتهم خاشعون خائفون من الله متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روي انه عليه السلام كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى رجلا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه والذين هم عن اللغو عما لا يعنيهم من قول وفعل معرضون لما بهم من الجد ما يشغلهم عنه وهو ابلغ من الذين لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبناء الحكم على الضمير والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على بعدهم عنه رأسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون في عرض غير عرضه وكذلك قوله والذين هم للزكوة فاعلون وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع في الصلاة ليدل على انهم بلغوا الغاية في القيام على الطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وسائر ما توجب المروءة اجتنابه والزكاة تقع على المعنى والعين والمراد الاول لان الفاعل فاعل الحدث لا المحل الذي هو موقعه او الثاني على تقدير مضاف والذين هم لفروجهم حافظون لا يبذلونها الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم زوجاتهم او سرياتهم وعلى صلة لحافظين من قولك احفظ على عنان فرسي او حال اي حفظوها في كافة الاحوال الا في حال التزوج او التسري او لفعل دل عليه غير ملومين وانما قال ما اجراء للمماليك مجرى غير العقلاء اذ الملك اصل شائع فيه وافراد ذلك بعد تعميم قوله والذين هم عن اللغو معرضون لان المباشرة اشهى الملاهي الى النفس واعظمها خطرا فانهم غير ملومين الضمير لحافظون او لمن دل عليه الاستثناء اي فان بذلوها لازواجهم او امائهم فانهم غير ملومين على ذلك فمن ابتغى وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون من جهة الحق او الخلق راعون قائمون بحفظها واصلاحها وقرأ ابن كثير هنا وفي المعارج لامانتهم على الافراد لأمن الالباس او لانها في الاصل مصدر والذين على صلواتهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها ولفظ الفعل فيها لما في الصلاة من التجدد والتكرر ولذلك جمعه غير حمزة والكسائي وليس ذلك تكريرا لما وصفهم به اولا فان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي تصديرالاوصاف وختمها بامر الصلاة تعظيم لشأنها اولئك الجامعون لهذه الصفات



هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتقييد للوراثة بعد اطلاقها تفخيما لها وتأكيدا وهي مستعارة لاستحقاقهم الفردوس من اعمالهم وان كان بمقتضى وعده مبالغة فيه وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها خالدون انث الضمير لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا ولقد خلقنا الانسان من سلالة من خلاصة سلت من بين الكدر من طين متعلق بمحذوف لانه صفة لسلالة او من بيانية او بمعنى سلالة لانها في معنى مسلولة فتكون من ابتدائية كالاولى والانسان آدم خلق من صفوة سلت من الطين او الجنس فانهم خلقوا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار وقيل المراد بالطين آدم لانه خلق منه والسلالة نطفته ثم جعلناه ثم جعلنا نسله فحذف المضاف نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة وتذكير الضمير على تأويل الجوهر او المسلول او الماء في قرار مكين مستقر حصين يعني الرحم وهو في الاصل صفة للمستقر وصف به المحل مبالغة كما عبر عنه بالقرار ثم خلقنا النطفة علقة بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء فخلقنا العلقة مضغة فصيرناها قطعة لحم فخلقنا المضغة عظاما بان صلبناها فكسونا العظام لحما مما بقي من المضغة او مما انبتنا عليها مما يصل اليها واختلاف العواطف لتفاوت الاستحالات والجمع لاختلافها في الهيئة والصلابة وقرأ ابن عامر وابو بكر على التوحيد فيهما اكتفاء باسم الجنس عن الجمع وقرئ بافراد احدهما وجمع الآخر ثم انشأناه خلقا آخر هو صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لما بين الخلقين من التفاوت واحتج به ابو حنيفة على ان من غصب بيضة فافرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا الفرخ لانه خلق آخر فتبارك الله فتعالى شأنه في قدرته وحكمته احسن الخالقين المقدرين تقديرا فحذف المميز لدلالة الخالقين عليه ثم انكم بعد ذلك لميتون لصائرون الى الموت لا محالة ولذلك ذكر النعت الذي للثبوت دون اسم الفاعل وقد قرئ به ثم انكم يوم القيمة تبعثون للمحاسبة والمجازاة ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق سبع سموات لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل وكل ما فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة او الكواكب فيها مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو السموات او عن جميع المخلوقات غافلين مهملين امرها بل نحفظها من الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت به المشيئة وانزلنا من السماء ماء بقدر بتقدير يكثر نفعه ويقل ضرره او بمقدار ما علمنا من صلاحهم فاسكناه فجعلناه ثابتا مستقرا في الارض وانا على ذهاب به على ازالته بالافساد او التصعيد او التعميق بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين على انزاله وفي تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة في الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين فانشأنا لكم به بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها ومن الجنات ثمارها وزروعها تاكلون تغذيا او ترتزقون وتحصلون معايشكم من قولهم فلان يأكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب اي لكم في ثمرتهما انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك وطعام تأكلونه وشجرة عطف على جنات وقرئت بالرفع على الابتداء اي ومما انشئ لكم به شجرة تخرج من طور سيناء جبل موسى بين مصر وأيلة وقيل بفلسطين وقد يقال له طور سينين ولا يخلو من ان يكون الطور للجبل وسيناء اسم بقعة اضيف اليها والمركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف والعجمة او التأنيث على تأويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بألف التأنيث بخلاف سيناء على قراءة الكوفيين والشامي ويعقوب فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء لا فعلال اذ ليس في كلامهم وقرئ بالكسر والقصر

هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ
نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا
الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا
الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ
الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ
وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ
فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٩﴾
فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ
كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ

تنبت بالدهن اى تنبت ملتبسة بالدهن ومستصحبة له ويجوز ان تكون الباء صلة معدية لتنبت كما فى قولك ذهبت بزيد وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب فى رواية تنبت وهى اما من انبت بمعنى نبت كقول زهير رأيت ذوى الحاجات عند بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن وتخرج الدهن وتنبت بالدهان وصبغ للآكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الآخر اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى يغمس فيه للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ وان لكم فى الانعام لعبرة تعتبرون بحالها وتستدلون بها نسقيكم مما فى بطونها من الالبان او من العلف فان اللبن يتكون منه فمن للتبعيض او للابتداء ولكم فيها منافع كثيرة فى ظهورها واصوافها وشعورها ومنها تأكلون فتنتفعون باعيانها وعليها وعلى الانعام فان منها ما يحمل عليه كالابل والبقر وقيل المراد الابل لانها هى المحمول عليها عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدى زمامها فيكون الضمير فيها كالضمير فى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك تحملون فى البر والبحر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله الى آخر القصص مسوق لبيان كفران الناس ما عدد عليهم من النعم المتلاحقة وما حاق بهم من زوالها ما لكم من اله غيره استئناف لتعليل الامر بالعبادة وقرأ الكسائى غيره بالجر على اللفظ افلا تتقون افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه فيهلككم ويعذبكم برفضكم عبادته الى عبادة غيره وكفرانكم نعمه التى لا تحصونها فقال الملأ الاشراف الذين كفروا من قومه لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم اى يطلب الفضل عليكم ويسودكم ولو شاء الله ان يرسل رسولا لانزل ملائكة رسلا ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين يعنون نوحا اى ما سمعنا به انه نبى او ما كلمهم به من الحث على عبادة الله ونفى اله غيره او من دعوى النبوة وذلك اما من فرط عنادهم او لانهم كانوا فى فترة متطاولة ان هو الا رجل به جنة اى جنون ولاجله يقول ذلك فتربصوا به فاحتملوه وانتظروا حتى حين لعله يفيق من جنونه قال بعد ما ايس من ايمانهم رب انصرنى باهلاكهم او بانجاز ما وعدتهم من العذاب بما كذبون بدل تكذيبهم اياى او بسببه فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا بحفظنا نحفظه ان تخطئ فيه او يفسده عليك مفسد ووحينا وامرنا وتعليمنا كيف تصنع فاذا جاء امرنا بالركوب او نزول العذاب وفار التنور روى انه قيل لنوح اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك فلما نبع الماء منه اخبرته امرأته فركب ومحله فى مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وقيل عين وردة بالشام وفيه وجوه اخر ذكرتها

تَنۢبُتُ بِالدُّهۡنِ وَصِبۡغٍ لِّلۡاٰكِلِيۡنَ ﴿۲۰﴾ وَاِنَّ لَكُمۡ فِى الۡاَنۡعَامِ لَعِبۡرَةً ؕ نُسۡقِيۡكُمۡ مِّمَّا فِىۡ بُطُوۡنِهَا وَلَكُمۡ فِيۡهَا مَنَافِعُ كَثِيۡرَةٌ وَّمِنۡهَا تَاۡكُلُوۡنَ ۙ﴿۲۱﴾ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى الۡفُلۡكِ تُحۡمَلُوۡنَ ﴿۲۲﴾ وَلَقَدۡ اَرۡسَلۡنَا نُوۡحًا اِلٰى قَوۡمِهٖ فَقَالَ يٰقَوۡمِ اعۡبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمۡ مِّنۡ اِلٰهٍ غَيۡرُهٗ ؕ اَفَلَا تَتَّقُوۡنَ ﴿۲۳﴾ فَقَالَ الۡمَلَؤُا الَّذِيۡنَ كَفَرُوۡا مِنۡ قَوۡمِهٖ مَا هٰذَاۤ اِلَّا بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ ۙ يُرِيۡدُ اَنۡ يَّتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ ؕ وَلَوۡ شَآءَ اللّٰهُ لَاَنۡزَلَ مَلٰٓئِكَةً ۖۚ مَّا سَمِعۡنَا بِهٰذَا فِىۡۤ اٰبَآئِنَا الۡاَوَّلِيۡنَ ﴿۲۴﴾ اِنۡ هُوَ اِلَّا رَجُلٌۢ بِهٖ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوۡا بِهٖ حَتّٰى حِيۡنٍ ﴿۲۵﴾ قَالَ رَبِّ انۡصُرۡنِىۡ بِمَا كَذَّبُوۡنِ ﴿۲۶﴾ فَاَوۡحَيۡنَاۤ اِلَيۡهِ اَنِ اصۡنَعِ الۡفُلۡكَ بِاَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا فَاِذَا جَآءَ اَمۡرُنَا وَفَارَ التَّنُّوۡرُ ۙ فَاسۡلُكۡ فِيۡهَا مِنۡ كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ اثۡنَيۡنِ وَاَهۡلَكَ اِلَّا مَنۡ سَبَقَ عَلَيۡهِ الۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡ ۚ

فى هود فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيه وسلك غيره قال تعالى ما سلككم فى سقر من كل زوجين اثنين من كل امتى الذكر والانثى واحدا مزدوجين وقرأ حفص من كل بالتنوين اى من كل نوع زوجين واثنين تأكيد واهلك واهل بيتك او ومن آمن معك الا من سبق عليه القول منهم اى القول من الله باهلاكه لكفره وانما جئ بعلى لان السابق ضار كما جئ باللام حيث كان نافعا فى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى

ولاتخاطبنى فى الذين ظلموا بالدعاء لهم بالانجاء انهم مغرقون لامحالة لظلمهم بالاشراك والمعاصى ومن هذا شأنه لايشفع له ولايشفع فيه كيف وقد امره بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذى نجانا من القوم الظالمين كقوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلنى فى السفينة اوفى الارض منزلا مباركا يتسبب لمزيد الخير فى الدارين وقرئ منزلا بمعنى انزالا اوموضع انزال وانت خير المنزلين ثناء مطابق لدعائه امره بان يشفعه به مبالغة فيه وتوسلا به الى الاجابة وانما افرده بالامر والمعلق به ان يستوى هو ومن معه اظهارا لفضله واشعارا بان فى دعائه مندوحة عن دعائهم فانه محيط بهم ان فى ذلك فيما فعل بنوح وقومه لايات يستدل بها ويعتبر اولوا الاستبصار والاعتبار وان كنا لمبتلين لمصيبين قوم نوح ببلاء عظيم او ممتحنين عبادنا بهذه الايات وان هى المخففة واللام هى الفارقة ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين هم عاد او ثمود فارسلنا فيهم رسولا منهم هو هود او صالح وانما جعل القرن موضع الارسال ليدل على انه لم يأتهم من مكان غير مكانهم وانما اوحى اليه وهو بين اظهرهم ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره تفسير لارسلنا اى قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله افلا تتقون عذاب الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا لعله ذكر بالواو لان كلامهم لم يتصل بكلام الرسول بخلاف قول قوم نوح وحيث استؤنف به فعلى تقدير سؤال وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب او بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم فى الحيوة الدنيا بكثرة الاموال والاولاد ماهذا الا بشر مثلكم فى الصفة والحال ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون تقرير للمماثلة وما خبرية والعائد الى الثانى منصوب محذوف او مجرور حذف مع الجار لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم فيما يامركم انكم اذا لخاسرون حيث اذللتم انفسكم واذا جزاء للشرط وجواب الذين قاولوهم من قومه ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما مجردة عن اللحوم والاعصاب انكم مخرجون من الاجداث او من العدم تارة اخرى الى الوجود وانكم تكرير للاول اكد به لما طال الفصل بينه وبين خبره او انكم مخرجون مبتدأ خبره الظرف المقدم او فاعل للفعل المقدر جوابا للشرط والجملة خبر الاول اى انكم اخراجكم اذا متم او انكم اذا متم وقع اخراجكم ويجوز ان يكون خبر الاول محذوفا لدلالة خبر الثانى عليه لا ان يكون الظرف لان اسمه جثة هيهات هيهات بعد التصديق او الصحة لما توعدون او بعد ما توعدون واللام للبيان كما فى هيت لك كأنهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل فما له هذا الاستبعاد قالوا لما توعدون وقيل هيهات بمعنى البعد وهو مبتدأ خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وبابدال التاء هاء

وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٥﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٧﴾

ان هي الا حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا من التكرير واشعارا بان تعيينها مغن عن التصريح به كقوله هي النفس ما حملتها تتحمل ومعناه لا حياة الا هذه الحياة الدنيا لان ان نافية دخلت على هي التي في معنى الحياة الدالة على الجنس فكانت مثل لا التي تنفي ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيى يموت بعضنا ويولد بعض وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو ما هو الا رجل افترى على الله كذبا فيما يدعيه من ارساله له اوفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون بسبب تكذيبهم اياي قال عما قليل عن زمان قليل وما صلة لتاكيد معنى القلة او نكرة موصوفة ليصبحن نادمين على التكذيب اذا عاينوا العذاب فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم صيحة هائلة تصدعت منها قلوبهم فماتوا واستدل به على ان القرن قوم صالح بالحق بالوجه الثابت الذي لا دافع له او بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق

إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ ﴿٤٧﴾

اوبالوعد الصدق فجعلناهم غثاء شبههم في دمارهم بغثاء السيل وهو حميله كقول العرب سال به الوادي لمن هلك فبعدا للقوم الظالمين يحتمل الاخبار والدعاء وبعدا مصدر بعد اذا هلك وهو من المصادر التي تنصب بافعال لا يستعمل اظهارها واللام لبيان من دعي عليه بالبعد ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتعليل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين يعني قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها ومن مزيدة للاستغراق وما يستاخرون الأجل ثم ارسلنا رسلنا تترى متواترين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كتولج وتيقور والالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتنوين على انه مصدر بمعنى المتواترة وقع حالا كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسول مع الارسال الى المرسل ومع المجيء الى المرسل اليهم لان الارسال الذي هو مبدأ الامر منه والمجيء الذي هو منتهاه اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات يسمر بها وهو اسم جمع للحديث اوجمع احدوثة وهي ما يتحدث به تلهيا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا بالآيات التسع وسلطان مبين وحجة واضحة ملزمة للخصم ويجوز ان يراد به العصا وافرادها لانها اول المعجزات وامها تعلقت بها معجزات شتى كانقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وحراستها ومصيرها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ورشاء ودلوا وان يراد به المعجزات وبالآيات الحجج وان يراد بهما المعجزات فانها آيات للنبوة وحجة بينة على ما يدعيه النبي الى فرعون وملئه فاستكبروا عن الايمان والمتابعة وكانوا قوما عالين متكبرين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ثني البشر لانه يطلق للواحد كقوله بشرا سويا كما يطلق للجمع كقوله فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل لانه في حكم المصدر وهذه القصص كما ترى تشهد بان قصارى شبه المنكرين النبوة قياس حال الانبياء على احوالهم لما بينهم من المماثلة في الحقيقة وفساده يظهر للمستبصر بادنى تأمل فان النفوس البشرية وان تشاركت في اصل القوى والادراك لكنها متباينة الاقدام فيهما وكما ترى في جانب النقصان اغبياء لا يعود عليهم الفكر برادة يمكن ان يكون في طرف الزيادة اغنياء عن التعلم والتفكر في اكثر الاشياء واغلب الاحوال فيدركون ما لا يدرك غيرهم ويعلمون ما لا ينتهي اليه علمهم واليه اشار بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد وقومهما يعني بني اسرائيل لنا عابدون خادمون منقادون كالعباد

فكذبوهما فكانوا من المهلكين ﴿٥٠﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ﴿٥١﴾ وجعلنا ابن مريم وامه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ﴿٥٢﴾ يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم ﴿٥٣﴾ وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون ﴿٥٤﴾ فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون ﴿٥٥﴾ فذرهم في غمرتهم حتى حين ﴿٥٦﴾ ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين ﴿٥٧﴾ نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون ﴿٥٨﴾ ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴿٥٩﴾ والذين هم بآيات ربهم يؤمنون ﴿٦٠﴾ والذين هم بربهم لا يشركون ﴿٦١﴾ والذين يؤتون ما آتوا

فكذبوهما فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر قلزم ولقد آتينا موسى الكتاب التوراة لعلهم لعل بني اسرائيل ولا يجوز عود الضمير الى فرعون وقومه لان التوراة نزلت بعد اغراقهم يهتدون الى المعارف والاحكام وجعلنا ابن مريم وامه آية بولادتها اياه من غير مسيس فالآية امر واحد مضاف اليهما او جعلنا ابن مريم آية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات اخر وامه آية بان ولدت من غير مسيس فحذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة ارض بيت المقدس فانها مرتفعة او دمشق او رملة فلسطين او مصر فان قراها على الربى وقرأ ابن عامر وعاصم بفتح الراء وقرئ رباوة بالضم والكسر ذات قرار مستقر من ارض منبسطة وقيل ذات ثمار وزروع فان ساكنيها يستقرون فيها لاجلها ومعين وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصله الابعاد في المشي او من الماعون وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بعينه لانه لظهوره مدرك بالعيون وصف ماؤها بذلك لانه الجامع لاسباب التنزه وطيب المكان يا ايها الرسل كلوا من الطيبات نداء وخطاب لجميع الانبياء لا على انهم خوطبوا بذلك دفعة لانهم ارسلوا في ازمنة مختلفة بل على معنى ان كلا منهم خوطب به في زمانه فيدخل تحته عيسى دخولا اوليا فيكون ابتداء كلام ذكر تنبيها على ان تهيئة اسباب التنعم لم تكن له خاصة وان اباحة الطيبات للانبياء شرع قديم واحتجاجا على الرهبانية في رفض الطيبات او حكاية لما ذكر لعيسى وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل في تناول ما رزقا وقيل النداء له ولفظ الجمع للتعظيم والطيبات ما يستلذ من المباحات وقيل الحلال الصافي القوام فالحلال ما لا يعصى الله فيه والصافي ما لا ينسى الله فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل واعملوا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون عليم فاجازيكم عليه وان هذه اي ولان هذه والمعلل به فاتقون او اعلموا ان هذه وقيل انه معطوف على ما تعملون وقرأ ابن عامر بالتخفيف والكوفيون بالكسر على الاستئناف امتكم امة واحدة ملتكم ملة واحدة اي متحدة في العقائد واصول الشرائع او جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة ونصب امة على الحال وانا ربكم فاتقون في شق العصا ومخالفة الكلمة فتقطعوا امرهم بينهم فتقطعوا امر دينهم وجعلوه اديانا مختلفة او فتفرقوا وتحزبوا وامرهم منصوب بنزع الخافض او التمييز والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها زبرا قطعا جمع زبور الذي بمعنى الفرقة ويؤيده القراءة بفتح الباء فانه جمع زبرة وهو حال من امرهم او من الواو او مفعول ثان لتقطعوا فانه متضمن معنى جعل وقيل كتبا من زبرت الكتاب فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على تقدير مثل كتب وقرئ بتخفيف الباء كرسل في رسل كل حزب من المتحزبين بما لديهم من الدين فرحون معجبون معتقدون انهم على الحق فذرهم في غمرتهم في جهالتهم شبهها بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها او لاعبون بها وقرئ في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا ايحسبون انما نمدهم به ان ما نعطيهم ونجعله مددا لهم من مال وبنين بيان لما وليس خبرا له فانه غير معاب عليه وانما المعاب عليه اعتقادهم ان ذلك خير لهم فخبره نسارع لهم في الخيرات والراجع ضمير محذوف والمعنى ايحسبون ان الذي نمدهم به نسارع به لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم بل لا يشعرون بل هم كالبهائم لا فطنة بهم ولا شعور ليتأملوا فيعلموا ان ذلك الامداد استدراج لا مسارعة في الخير وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية ربهم من خوف عذابه مشفقون حذرون والذين هم بآيات ربهم المنصوبة والمنزلة يؤمنون بتصديق مدلولها والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا والذين يؤتون ما آتوا يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما أتوا اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات

وقلوبهم وجلة اى خائفة ان لايقبل منهم وان لايقع على الوجه اللائق فيؤاخذوا به انهم الى ربهم راجعون لان مرجعهم اليه اومن ان مرجعهم اليه وهو يعلم مايخفى عليهم اولئك يسارعون فى الخيرات يرغبون فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها اويسارعون فى نيل الخيرات الدنيوية الموعودة على صالح الاعمال بالمبادرة اليها كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا فيكون اثباتا لهم مانفى عن اضدادهم وهم لها سابقون لاجلها فاعلون السبق اوسابقون الناس الى الطاعة اوالثواب اوالجنة اوسابقونها اى ينالونها قبل الاخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا كقوله هم لها عاملون ولانكلف نفسا الا وسعها قدر طاقتها يريد به التحريض على ما وصف به الصالحين وتسهيله على النفوس ولدينا كتاب يعنى اللوح اوصحيفة الاعمال ينطق بالحق بالصدق لايوجد فيه مايخالف الواقع وهم لايظلمون بزيادة عقاب اونقصان ثواب بل قلوبهم قلوب الكفرة فى غمرة فى غفلة غامرة لها من هذا من الذى وصف به هؤلاء اومن كتاب الحفظة ولهم اعمال خبيثة من دون ذلك متجاوزة

وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ

لما وصفوا به اومخطة عما هم عليه من الشرك هم لها عاملون معتادون فعلها حتى اذا اخذنا مترفيهم متنعميهم بالعذاب يعنى القتل يوم بدر أو الجوع حين دعا عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحترقة اذا هم يجأرون فاجأوا الصراخ بالاستغاثة وهو جواب الشرط والجملة مبتدأة بعد حتى ويجوز ان يكون الجواب لاتجأروا اليوم فانه مقدر بالقول اى قيل لهم لاتجأروا انكم منا لاتنصرون تعليل للنهى اى لاتجأروا فانه لاينفعكم اذ لاتمنعون منا اولا يلحقكم نصر ومعونة من جهتنا قد كانت اياتى تتلى عليكم يعنى القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون تعرضون مدبرين عن سماعها وتصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى مستكبرين به الضمير للتكذيب اوالبيت وشهرة استكبارهم وافتخارهم بانهم قوامه اغنى عن سبق ذكره اولاياتى فانها بمعنى كتابى والباء متعلقة بمستكبرين لانه بمعنى مكذبين اولان استكبارهم على المسلمين حدث بسبب استماعه اوبقوله سامرا اى تسمرون بذكر القرآن والطعن فيه وهو فى الاصل مصدر جاء على لفظ الفاعل كالعافية وقرئ سمرا جمع سامر وسمارا تهجرون من الهجر بالفتح اما بمعنى القطيعة اوالهذيان اى تعرضون عن القرآن اوتهذون فى شانه والهجر بالضم الفحش ويؤيد الثانى قرآءة نافع تهجرون من اهجر وقرئ تهجرون على المبالغة افلم يدبروا القول اى القرآن ليعلموا انه الحق من ربهم باعجاز لفظه ووضوح مدلوله ام جاءهم مالم يات اباءهم الاولين من الرسول والكتاب اومن الامن من عذاب الله فلم يخافوا كما خاف اباؤهم الاقدمون كاسمعيل واعقابه فامنوا به وكتبه ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم بالامانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم الى غير ذلك مما هو صفة الانبياء فهم له منكرون دعواه لاحد هذه الوجوه اذ لاوجه له غيرها فان انكار الشئ قطعا اوظنا انما يتجه اذا ظهر امتناعه بحسب النوع او الشخص او بحث عما يدل عليه اقصى ما يمكن فلم يوجد ام يقولون به جنة فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون نه ارجحهم عقلا واتقنهم نظرا بل جاءهم بالحق واكثرهم للحق كارهون لانه يخالف شهواتهم واهواءهم فلذلك انكروه وانما قيد الحكم بالاكثر لانه كان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه ولقلة فطنته وعدم فكرته لا لكراهته للحق ولواتبع الحق اهواءهم بان كان فى الواقع آلهة شتى

لفسدت السموات والارض ومن فيهن كما سبق تقريره في قوله لوكان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقيل لو اتبع الحق اهواءهم وانقلب باطلا لذهب ما قام به العالم فلا يبقى او لو اتبع الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اهواءهم وانقلب الحق شركا لجاء الله بالقيامة واهلك العالم من فرط غضبه او لو اتبع الله اهواءهم بان انزل ما يشتهونه من الشرك والمعاصي لخرج عن الالوهية ولم يقدر ان يمسك السموات والارض وهو على اصل المعتزلة بل اتيناهم بذكرهم بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او صيتهم او الذكر الذي تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقرئ بذكراهم فهم عن ذكرهم معرضون لا يلتفتون اليه ام تسئلهم قيل انه قسيم قوله ام به جنة خرجا اجرا على اداء الرسالة فخراج ربك رزقه في الدنيا او ثوابه في العقبى خير لسعته ودوامه ففيه مندوحة لك عن عطائهم والخرج بازاء الدخل يقال لكل ما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض ففيه اشعار بالكثرة واللزوم فيكون ابلغ ولذلك عبر به عن عطاء الله اياه وقرأ ابن عامر خرجا فخرج وحمزة والكسائي خراجا فخراج للمزاوجة وهو خير الرازقين تقرير لخيرية خراجه وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة على استقامته لا عوج فيه يوجب اتهامهم له واعلم انه سبحانه الزمهم الحجة وازاح العلة في هذه الايات بان حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاء ما عدا كراهة الحق وقلة الفطنة وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط عن الصراط السوي لناكبون لعادلون عنه فان خوف الاخرة اقوى البواعث على طلب الحق وسلوك طريقه ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر يعني القحط للجوا لثبتوا واللجاج التمادي في الشيء في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار عن الحق وعداوة الرسول والمؤمنين يعمهون عن الهدى روي انهم قحطوا حتى اكلوا العلهز فجاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين قتلت الاباء بالسيف والابناء بالجوع فنزلت ولقد اخذناهم بالعذاب يعني القتل يوم بدر فما استكانوا لربهم وما يتضرعون بل اقاموا على عتوهم واستكبارهم واستكان استفعل من الكون لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعل من السكون اشبعت فتحته وليس من عادتهم التضرع وهو استشهاد على ما قبله حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد يعني الجوع فانه اشد من الاسر والقتل اذا هم فيه مبلسون متحيرون ايسون من كل خير حتى جاءك اعتاهم يستعطفك وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتحسوا بها ما نصب من الايات والافئدة لتتفكروا فيها وتستدلوا بها الى غير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية قليلا ما تشكرون تشكرونها شكرا قليلا لان العمدة في شكرها استعمالها فيما خلقت لاجله والاذعان لمانحها من غير اشراك وما صلة للتاكيد وهو الذي ذرأكم في الارض خلقكم وبثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون يوم القيامة بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون رد النسبة الى الشمس حقيقة او مجازا او لامره وقضائه تعاقبهما او انتقاص احدهما وازديادا لاخر

لَفَسَدَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ بَلْ اَتَيْنٰهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴿٧٣﴾ اَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَّهُوَ خَيْرُ الرّٰزِقِيْنَ ﴿٧٤﴾ وَاِنَّكَ لَتَدْعُوْهُمْ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ ﴿٧٥﴾ وَاِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنٰكِبُوْنَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ رَحِمْنٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّلَجُّوْا فِيْ طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُوْنَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ اَخَذْنٰهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوْا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُوْنَ ﴿٧٨﴾ حَتّٰى اِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيْدٍ اِذَا هُمْ فِيْهِ مُبْلِسُوْنَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِيْ اَنْشَاَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ وَالْاَفْـِٕدَةَ قَلِيْلًا مَّا تَشْكُرُوْنَ ﴿٨٠﴾ وَهُوَ الَّذِيْ ذَرَاَكُمْ فِي الْاَرْضِ وَاِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ ﴿٨١﴾ وَهُوَ الَّذِيْ يُحْيٖ وَيُمِيْتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ الَّيْلِ



افلا تعقلون بالنظر والتأمل ان الكل منا وان قدرتنا تعم الممكنات كلها وان البعث من جملتها وقرئ بالياء على ان الخطاب السابق لتغليب المؤمنين بل قالوا اي كفار مكة مثل ما قال الاولون اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون استبعادا ولم يتأملوا انهم كانوا قبل ذلك ايضا ترابا فخلقوا لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم التي كتبوها جمع اسطورة لانه يستعمل فيما يتلهى به كالاعاجيب والاضاحيك وقيل جمع اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم او من العالمين بذلك فيكون استهانة لهم وتقريرا لفرط جهالتهم حتى جهلوا مثل هذا الجلي الواضح والزاما بما لا يمكن لمن له مسكة من العلم انكاره ولذلك اخبر عن جوابهم قبل ان يجيبوا فقال سيقولون لله لان العقل الصريح قد اضطرهم بادنى نظر الى الاقرار بانه خالقها قل اي بعد ما قالوه افلا تذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها ابتداء قدر على ايجادها ثانيا فان بدأ الخلق ليس اهون من اعادته وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم فانها اعظم من ذلك سيقولون لله وقرأ ابو عمرو ويعقوب بغير لام فيه وفيما بعده على ما يقتضيه لفظ السؤال قل افلا تتقون عقابه فلا تشركوا به بعض مخلوقاته ولا تنكروا قدرته على بعض مقدوراته قل من بيده ملكوت كل شئ ملكه غاية ما يمكن وقيل خزائنه وهو يجير يغيث من يشاء ويحرسه ولا يجار عليه ولا يغاث احد ولا يمنع منه وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون فمن اين تخدعون فتصرفون عن الرشد مع ظهور الامر وتظاهر الادلة بل اتيناهم بالحق من التوحيد والوعد بالنشور وانهم لكاذبون حيث انكروا ذلك ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة احد وما كان معه من اله يساهمه في الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض جواب محاجتهم وجزاء شرط حذف لدلالة ما قبله عليه اي لو كان معه الهة كما يقولون لذهب كل واحد منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه عن ملك الآخرين ووقع بينهم التحارب وظهر التغالب كما هو حال ملوك الدنيا فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ واللازم باطل بالاجماع والاستقراء وقيام البرهان على استناد جميع الممكنات الى واجب واحد سبحان الله عما يصفون من الولد والشريك لما سبق من الدليل على فساده

وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾

عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾

عالم الغيب والشهادة خبر مبتدأ محذوف وقد جره ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب وحفص على الصفة وهو دليل اخر على نفي الشريك بناء على توافقهم في انه المتفرد بذلك ولهذا رتب عليه فتعالى عما يشركون بالفاء قل رب اما تريني ان كان لابد من ان تريني لان ما والنون للتاكيد مايوعدون من العذاب في الدنيا والاخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا لهم في العذاب وهو اما لهضم النفس او لان شؤم الظلمة قد يحيق بما وراءهم كقوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة عن الحسن انه تعالى اخبر نبيه ان له في امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل واحد من الشرط والجزاء به فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون لكنا نؤخره علما بان بعضهم او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم ولعله رد لانكارهم الموعود واستهجالهم له استهزاء به وقيل قد اراه وهو قتل بدر او فتح مكة ادفع بالتي هي احسن السيئة وهو الصفح عنها والاحسان في مقابلتها لكن بحيث لم يؤد الى وهن في الدين وقيل هي كلمة التوحيد والسيئة الشرك وقيل هو الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل نحن اعلم بما يصفون اي بما يصفونك به او بوصفهم اياك بخلاف حالك واقدر على جزائهم فكل الينا امرهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز النخس ومنه مهماز الرائض شبه حثهم الناس على المعاصي بهمز الراضة الدواب على المشي والجمع للمرات او لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون ويحوموا حولي في شيء من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن وحلول الاجل لانها احرى الاحوال بان يخاف عليه حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون وما بينهما اعتراض لتاكيد الاغضاء بالاستعاذة بالله من الشيطان ان يزله عن الحلم ويغريه على الانتقام او بقوله انهم لكاذبون قال تحسرا على ما فرط منه من الايمان والطاعة لما اطلع على الامر رب ارجعون ردوني الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله ارجعني كما قيل في قفا واطرقا لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي تركته اي لعلي آتي بالايمان واعمل فيه وقيل في المال او في الدنيا وعنه عليه السلام اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا انرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة واستبعاد لها انها كلمة يعني قوله رب ارجعون الى اخره والكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم امامهم والضمير للجماعة برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيامة وهو اقناط كلي عن الرجوع الى الدنيا لما علم انه لا رجعة يوم البعث الى الدنيا وانما الرجوع فيه الى حياة تكون في الاخرة فاذا نفخ في الصور لقيام الساعة والقراءة بفتح الواو وبه وبكسر الصاد تؤيد ان الصور ايضا جمع الصورة فلا انساب بينهم ينفعهم لزوال التعاطف والتراحم من فرط الحيرة واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او يفتخرون بها يومئذ كما يفعلون اليوم ولا يتساءلون ولا يسال بعضهم بعضا لاشتغاله بنفسه وهو لا يناقض قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون لانه عند النفخة وذلك بعد المحاسبة ودخول اهل الجنة الجنة واهل النار النار فمن ثقلت موازينه موزونات عقائده واعماله اي فمن كانت له عقائد واعمال صالحة يكون لها وزن عند الله وقدر فاولئك هم المفلحون الفائزون بالنجاة والدرجات ومن خفت موازينه اي ومن لم يكن له ما يكون له وزن وهم الكفار لقوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا فاولئك الذين خسروا انفسهم غبنوها حيث ضيعوا زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها في جهنم خالدون بدل من الصلة او خبر ثان لاولئك

تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم تكن
اياتى تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم الم تكن فكنتم بها تكذبون تأنيب وتذكير لهم بما استحقوا هذا العذاب لاجله قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا ملكتنا
بحيث صارت احوالنا مؤدية الى سوء العاقبة وقرأ حمزة والكسائى شقاوتنا بالفتح كالسعادة وقرئ بالكسر كالكتابة وكنا قوما ضالين عن الحق ربنا اخرجنا منها
من النار فان عدنا الى التكذيب فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها اسكتوا سكوت هوان فانها ليست مقام سؤال من خسأت الكلب اذا زجرته
فخسأ ولا تكلمون فى دفع العذاب اولا تكلمون رأسا قيل ان اهل النار يقولون الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول منى فيقولون الفا ربنا امتنا اثنتين
فيجابون ذلكم بانه اذا دعى الله وحده فيقولون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فيقولون الفا ربنا اخرنا الى اجل قريب فيجابون او لم تكونوا اقسمتم

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي
تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ
عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا
فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾
إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ
أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي
جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ
لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ

فيقولون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فيقولون الفا رب ارجعون
فيجابون اخسأوا فيها ثم لايكون لهم فيها الا زفير وشهيق وعواء انه
ان الشان وقرئ بالفتح اى لانه كان فريق من عبادى يعنى المؤمنين وقيل
الصحابة وقيل اهل الصفة يقولون ربنا امنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير
الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزؤا وقرأ نافع وحمزة والكسائى هنا وفى ص
بالضم وهما مصدرا سخر زيدت فيهما ياء النسبة للمبالغة وعند الكوفيين
المكسور بمعنى الهزؤ والمضموم من السخرة بمعنى الانقياد والعبودية حتى
انسوكم ذكرى من فرط تشاغلكم بالاستهزاء بهم فلم تخافونى فى اوليائى
وكنتم منهم تضحكون استهزاء بهم انى جزيتهم اليوم بما صبروا
على اذاكم انهم هم الفائزون فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به
وهو ثانى مفعولى جزيتهم وقرأ حمزة والكسائى بالكسر استئنافا قال
اى الله او الملك المأمور بسؤالهم وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى على الامر
للملك اولبعض رؤساء اهل النار كم لبثتم فى الارض احياء اوامواتا
فى القبور عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
استقصار المدة لبثهم فيها بالنسبة الى خلودهم فى النار اولانها كانت
ايام سرورهم وايام السرور قصار اولانها منقضية والمنقضى فى حكم
المعدوم فاسئل العادين الذين يتمكنون من عد ايامها ان اردت
تحقيقها فانا لما نحن فيه من العذاب مشغولون عن تذكرها واحصائها
او الملائكة الذين يعدون اعمار الناس ويحصون اعمالهم وقرئ العادين
بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون ما نقول والعاديين اى القدماء
المعمرين فانهم ايضا يستقصرون قال وفى قراءة الكوفيين قل
ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم فى تقالهم
افحسبتم انما خلقناكم عبثا توبيخ على تغافلهم وعبثا حال
بمعنى عابثين او مفعول له اى انا لم نخلقكم تلهيا بكم وانما خلقناكم لنعيدكم
ونجازيكم على اعمالكم وهو كالدليل على البعث وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم او عبثا وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بفتح التاء وكسر الجيم

فتعالى الله الملك الحق الذي يحق له الملك مطلقا فان من عداه مملوك بالذات مالك بالعرض من وجه دون وجه وفي حال دون حال لا اله الا هو فان ما عداه عبيد رب العرش الكريم الذي يحيط بالاجرام وتنزل منه محكمات الاقضية والاحكام ولذلك وصفه بالكرم او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ بالرفع على انه صفة الرب ومن يدع مع الله الها آخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة اخرى لاله لازمة له فان الباطل لا برهان به جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء لذلك فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له مقدار ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان وقرئ بالفتح على التعليل او الخبر اي حسابه عدم الفلاح بدأ السورة بتقرير فلاح المؤمنين وختمها بنفي الفلاح عن الكافرين ثم امر رسوله بان يستغفره ويسترحمه فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وعنه انه قال لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر وروى ان اولها وآخرها من كنوز الجنة ومن عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع من آخرها فقد نجا وافلح والله اعلم

إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٧﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٨﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٩﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ

سورة النور مدنية وهي اربع وستون آية

٢٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

سورة النور مدنية وهي ثنتان او اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سورة اي هذه سورة او فيما اوحينا اليك سورة انزلناها صفتها ومن نصبها جعله مفسرا لناصبها فلا يكون له محل الا اذا قدر اتل او دونك او نحوه وفرضناها وفرضنا ما فيها من الاحكام وشدده ابن كثير وابو عمرو لكثرة فرائضها او المفروض عليهم او للمبالغة في ايجابها وانزلنا فيها آيات بينات واضحات الدلالة لعلكم تذكرون فتتقون المحارم وقرئ بتخفيف الذال الزانية والزاني اي فيما فرضنا او انزلنا حكمهما وهو الجلد ويجوز ان يرفعا بالابتداء والخبر فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والفاء لتضمنها معنى الشرط اذ اللام بمعنى الذي وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من نصب سورة لاجل الامر والزان بلا ياء وانما قدم الزانية لان الزنى في الاغلب يكون بتعرضها للرجل وعرض نفسها عليه ولان مفسدته تتحقق بالاضافة اليها والجلد ضرب الجلد وهو حكم يخص بمن ليس بمحصن لما دل على ان حد المحصن هو الرجم وزاد الشافعي عليه تغريب الحر سنة لقوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وليس في الآية ما يدفعه لينسخ احدهما بالآخر نسخا مقبولا او مردودا وله في العبد ثلاثة اقوال والاحصان بالحرية والبلوغ والعقل والاصابة في نكاح صحيح واعتبرت الحنفية الاسلام ايضا وهو مردود برجمه عليه السلام يهوديين ولا يعارضه من اشرك بالله فليس بمحصن اذ المراد المحصن الذي يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة رحمة في دين الله في طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه فلذلك قال عليه السلام لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها وقرأ ابن كثير بفتح الهمزة وقرئت بالمد على فعالة ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فان الايمان يقتضي الجد في طاعة الله والاجتهاد في اقامة احكامه وحدوده وهو من باب التهييج وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين زيادة في التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول شيء من الطوف واقلها ثلاثة وقيل واحد او اثنان والمراد جمع يحصل به التشهير

الزاني لا ينكح الا زانية اومشركة والزانية لا ينكحها الا زان اومشرك اذ الغالب ان المائل الى الزنى لا يرغب في نكاح الصوالح والمسافحة لا يرغب فيها الصلحاء
فان المشاكلة علة الالفة والتضام والمخالفة سبب النفرة والافتراق فكان حق المقابلة ان يقال والزانية لا تنكح الا من زان اومشرك لكن المراد بيان احوال الرجال في الرغبة
فيهن لان الآية نزلت في ضعفة المهاجرين لما هموا ان يتزوجوا بغايا يكرين انفسهن لينفقن عليهم من اكسابهن على عادة الجاهلية ولذلك قدم الزاني وحرم ذلك
على المؤمنين لانه تشبه بالفساق وتعرض للتهمة وتسبب لسوء المقالة والطعن في النسب وغير ذلك من المفاسد ولذلك عبر عن التنزيه بالتحريم مبالغة وقيل النفي
بمعنى النهي وقد قرئ به والحرمة على ظاهرها والحكم مخصوص بالسبب الذي ورد فيه اومنسوخ بقوله وانكحوا الايامى منكم فانه يتناول المسافحات ويؤيده انه عليه السلام
سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء فيؤول الى نهي الزاني عن الزنى الا بزانية والزانية اذ يزني بها الا زان وهو

الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا
إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ
يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ
ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن
لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ
بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ
إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن
تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ
أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا

فاسد والذين يرمون المحصنات يقذفونهن بالزنى لوصف المقذوفات
بالاحصان وذكرهن عقيب الزواني واعتبار اربعة شهداء بقوله ثم لم ياتوا
باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة والقذف بغيره مثل يا فاسق ويا شارب
الخمر يوجب التعزير كقذف غير المحصن والاحصان ههنا بالحرية والبلوغ والعقل
والاسلام والعفة عن الزنى ولا فرق فيه بين الذكر والانثى وتخصيص المحصنات
لخصوص الواقعة اولان قذف النساء اغلب واشنع ولا يشترط اجتماع الشهود
عند الاداء ولا يعتبر شهادة زوج المقذوفة خلافا لابي حنيفة وليكن ضربه
اخف من ضربات الزاني لضعف سببه واحتماله ولذلك نقص عدده ولا تقبلوا لهم
شهادة اي شهادة كانت لانه مفتري وقيل شهادتهم في القذف ولا يتوقف
ذلك على استيفاء الجلد خلافا لابي حنيفة فان الامر بالجلد والنهي عن القبول
سيان في وقوعهما جوابا للشرط لا ترتيب بينهما فيترتبان عليه دفعة كيف
وحاله قبل الحد اسوأ مما بعده ابدا ما لم يتب وعند ابي حنيفة الى اخر عمره
واولئك هم الفاسقون المحكوم بفسقهم الا الذين تابوا من بعد ذلك عن القذف
واصلحوا اعمالهم بالتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف
والاستثناء راجع الى اصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الامور ولا يلزمه
سقوط الحد به كما قيل لان من تمام التوبة الاستسلام له او الاستحلال
ومحل المستثنى النصب على الاستثناء وقيل الى النهي ومحله الجر على البدل من هم
في لهم وقيل الى الاخيرة ومحله النصب لانه من موجب وقيل منقطع متصل
بما بعده فان الله غفور رحيم علة للاستثناء والذين يرمون ازواجهم
ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم نزلت في هلال بن امية رأى رجلا على فراشه
وانفسهم بدل من شهداء او صفة لهم على ان الا بمعنى غير فشهادة احدهم اربع
شهادات فالواجب شهادة احدهم او فعليهم شهادة احدهم واربع نصب على
المصدر وقد رفعه حمزة والكسائي وحفص على انه خبر شهادة بالله
متعلق بشهادات لانها اقرب وقيل بشهادة لتقدمها انه لمن الصادقين

اي فيما رماها به من الزنى واصله على انه فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل عنه باللام تاكيدا والخامسة والشهادة الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين
في الرمي وقرأ نافع ويعقوب بالتخفيف في الموضعين ورفع لعنة هذا لعان الرجل وحكمه سقوط حد القذف عنه وحصول الفرقة بينهما بنفسه فرقة فسخ عندنا لقوله عليه
السلام المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وبتفريق الحاكم فرقة طلاق عند ابي حنيفة ونفي الولد ان تعرض له فيه وثبوت حد الزنى على المرأة لقوله ويدرؤا عنها العذاب اي الحد
ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين في ذلك ورفع الخامسة بالابتداء وما بعدها
الخبر او بالعطف على ان تشهد ونصبها حفص عطفا على اربع وقرأ نافع ان غضب الله بكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله

ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم متروك الجواب للتعظيم اى لفضحكم وعاجلكم بالعقوبة ان الذين جاؤا بالافك بابلغ ما يكون من الكذب من الافك وهو الصرف لانه قول مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة رضى الله عنها وذلك انه عليه الصلاة والسلام استصحبها فى بعض الغزوات فاذن ليلة فى القفول بالرحيل فمشت لقضاء حاجة ثم عادت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقدها من جزع ظفار قد انقطع فرجعت لتلتمسه فظن الذى كان يرحلها انها دخلت الهودج فرحله على مطيها وسار فلما عادت الى منزلها لم تجد ثمه احدا فجلست كى يرجع اليها منشد وكان صفوان بن المعطل السلمى قد عرس وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلها فعرفها فاناخ راحلته فركبتها فقادها حتى اتيا الجيش فاتهمت به عصبة منكم جماعة منكم وهى من العشرة الى الاربعين وكذلك العصابة يريد عبد الله بن ابى وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وهى خبر ان وقوله لا تحسبوه شرا لكم مستأنف والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وابى بكر وعائشة

فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَاَنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ اِنَّ الَّذِينَ جَاۤءُو بِالْاِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْاِثْمِ وَالَّذِي تَوَلّٰى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِاَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هٰذَا اِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاۤءُو عَلَيْهِ بِاَرْبَعَةِ شُهَدَاۤءَ فَاِذْ لَمْ يَاْتُوا بِالشُّهَدَاۤءِ فَاُولٰۤئِكَ عِنْدَ اللّٰهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْاٰخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا اَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ اِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِاَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِاَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللّٰهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا اِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا

وصفوان والهاء للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله بانزال ثمانى عشرة اية فى براءتكم وتعظيم شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم لكل جزاء ما اكتسب بقدر ما خاض فيه مختصا به والذى تولى كبره معظمه وقرأ يعقوب بالضم وهو لغة فيه منهم من الخائضين وهو ابن ابى فانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم او هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه بالتصريح به والذى بمعنى الذين له عذاب عظيم فى الاخرة او فى الدنيا بان جلدوا وصار ابن ابى مطرودا مشهورا بالنفاق وحسان اعمى واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر لولا هلا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وانما عدل فيه من الخطاب الى الغيبة مبالغة فى التوبيخ واشعارا بان الايمان يقتضى ظن الخير بالمؤمنين والكف عن الطعن فيهم وذب الطاعنين عنهم كما يذبونهم عن انفسهم وانما جاز الفصل بين لولا وفعله بالظرف لانه منزل منزلته من حيث انه لا ينفك عنه ولذلك يتسع فيه ما لا يتسع فى غيره وذلك لان ذكر الظرف اهم فان التحضيض على ان لا يخلوا باوله وقالوا هذا افك مبين كما يقول المستيقن المطلع على الحال لولا جاؤا عليه باربعة شهداء فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون من جملة المقول تقريرا لكونه كذبا فان ما لا حجة عليه مكذب عند الله اى فى حكمه ولذلك رتب الحد عليه ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشئ لوجود غيره والمعنى لولا فضل الله عليكم فى الدنيا بانواع النعم التى من جملتها الامهال للتوبة ورحمته فى الاخرة بالعفو والمغفرة المقدران لكم لمسكم عاجلا فيما افضتم فيه خضتم فيه عذاب عظيم يستحقر دونه اللوم والجلد اذ ظرف لمسكم او افضتم تلقونه بالسنتكم والمعنى يأخذه بعضكم من بعض بالسؤال عنه يقال تلقى القول وتلقفه وتلقنه وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه اذا لقفه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته وتقفونه اى تتبعونه وتقولون بافواهكم اى وتقولون كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب ما ليس لكم به علم لانه ليس تعبيرا عن علم به فى قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة فيه وهو عند الله عظيم فى الوزر واستجرار العذاب فهذه ثلاثة آثام مترتبة علق بها مس العذاب العظيم تلقى الافك بالسنتهم والتحدث به من غير تحقق واستصغارهم لذلك وهو عند الله عظيم ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ما ينبغى لنا وما يصح

أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا سُبْحَانَكَ هٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٧﴾ يَعِظُكُمُ اللّٰهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَيُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللّٰهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلٰكِنَّ اللّٰهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ

ان نتكلم بهذا يجوز ان تكون الاشارة الى القول المخصوص وان تكون الى نوعه فان قذف آحاد الناس محرم شرعا فضلا عن تعرض الصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحانك تعجب ممن يقول ذلك واصله ان يذكر عند كل متعجب تنزيها لله تعالى من ان يصعب عليه مثله ثم كثر فاستعمل لكل متعجب او تنزيه لله تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها ينفر عنه ويخل بمقصود الزواج بخلاف كفرها فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله هذا بهتان عظيم لعظم المبهوت عليه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله كراهة ان تعودوا لمثله او فى ان تعودوا ابدا مادمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين فان الايمان يمنع عنه وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الايات الدالة على الشرائع ومحاسن الآداب كى تتعظوا وتتأدبوا والله عليم بالاحوال كلها حكيم فى تدابيره ولا يجوز الكشخنة على نبيه ولا يقرره عليها ان الذين يحبون يريدون ان تشيع ان تنتشر الفاحشة فى الذين امنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة بالحد والسعير الى غير ذلك والله يعلم ما فى الضمائر وانتم لا تعلمون فعاقبوا فى الدنيا على ما دل عليه الظاهر والله سبحانه يعاقب على ما فى القلوب من حب الاشاعة ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للدلالة على عظم الجريمة ولذا عطف قوله وان الله رؤف رحيم على حصول فضله ورحمته عليهم وحذف الجواب وهو مستغنى عنه بذكره مرة يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان باشاعة الفاحشة وقرئ بفتح الطاء وقرأ نافع والبزى وابو عمرو وابو بكر وحمزة بسكونها ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر بيان لعلة النهى عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة الماحية للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى ما طهر من دنسها منكم من احد ابدا آخر الدهر ولكن الله يزكى من يشاء بحمله على التوبة وقبولها والله سميع لمقالتهم عليم بنياتهم ولا يأتل ولا يحلف افتعال من الألية او ولا يقصر من الألو ويؤيد الاول انه قرئ ولا يتأل وانه نزل فى ابى بكر وقد حلف ان لا ينفق على مسطح بعد وكان ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين اولوا الفضل منكم فى الدين والسعة فى المال وفيه دليل على فضل ابى بكر رضى الله عنه وشرفه ان يؤتوا على ان لا يؤتوا او فى ان يؤتوا وقرئ بالتاء على الالتفات اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله صفات لموصوف واحد اى ناسا جامعين لها لان الكلام فيمن كان كذلك او لموصوفات اقيمت مقامها فيكون ابلغ فى تعليل المقصود



وليعفوا لما فرط منهم وليصفحوا بالاغماض عنه الا تحبون ان يغفر الله لكم على عفوكم وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مع كمال قدرته فتخلقوا باخلاقه روى انه عليه الصلاة والسلام قرأها على ابى بكر فقال بلى احب ورجع الى مسطح نفقته ان الذين يرمون المحصنات العفائف الغافلات مما قذفن به المؤمنات بالله وبرسوله استباحة لعرضهن وطعنا فى الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين كابن ابىّ لعنوا فى الدنيا والآخرة كما طعنوا فيهن ولهم عذاب عظيم لعظم ذنوبهم وقيل هو حكم كل قاذف ما لم يتب وقيل مخصوص بمن قذف ازواج النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما لا توبة له ولو فتشت وعيدات القرآن لم تجد اغلظ مما نزل فى افك عائشة يوم تشهد عليهم ظرف لما فى لهم من معنى الاستقرار لا للعذاب لانه موصوف وقرأ حمزة والكسائى بالياء للتقدم والفصل السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يعترفون بها بانطاق الله اياها بغير اختيارهم او بظهور آثاره عليها وفى ذلك مزيد تهويل للعذاب يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ

جزاءهم المستحق ويعلمون لمعاينتهم الامر ان الله هو الحق المبين الثابت بذاته الظاهر الوهيته لا يشاركه فى ذلك غيره ولا يقدر على الثواب والعقاب سواه او ذو الحق البين اى العادل الظاهر عدله ومن كان هذا شأنه ينتقم من الظالم للمظلوم لا محالة الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات اى الخبائث يتزوجن الخباث وبالعكس وكذلك اهل الطيب فيكون كالدليل على قوله اولئك يعنى اهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم او الرسول وعائشة وصفوان مبرؤن مما يقولون اذ لو صدق لم تكن زوجته ولم يقرر عليها وقيل الخبيثات والطيبات من الاقوال والاشارة الى الطيبين والضمير فى يقولون للآفكين اى مبرأون مما يقولون فيهم او للخبيثين والخبيثات اى مبرأون من ان يقولوا مثل قولهم لهم مغفرة ورزق كريم يعنى الجنة ولقد برّأ الله اربعة باربعة برّأ يوسف عليه السلام بشاهد من اهلها وموسى عليه السلام من قول اليهود فيه بالحجر الذى ذهب بثوبه ومريم بانطاق ولدها وعائشة رضى الله عنها بهذه الآيات مع هذه المبالغات وما ذلك الا لاظهار منصب الرسول صلى الله عليه وسلم واعلاء منزلته يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم التى تسكنونها فان الآجر والمعير ايضا لا يدخلان الا باذن حتى تستانسوا تستأذنوا من الاستئناس بمعنى الاستعلام من آنس الشئ اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يراد دخوله او يؤذن له من الاستئناس الذى هو خلاف الاستيحاش فان المستأذن مستوحش خائف ان لا يؤذن له فاذا اذن استأنس او تتعرفوا اهلها من الانس وتسلموا على اهلها بان تقولوا السلام عليكم ءادخل وعنه صلى الله عليه وسلم التسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل ثلاث مرات فان اذن له دخل والا رجع ذلكم خير لكم اى الاستئذان والتسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او من تحية الجاهلية كان الرجل منهم اذا دخل بيتا غير بيته قال حييتم صباحا وحييتم مساء ودخل فربما اصاب الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى عليه السلام استأذن على امى قال نعم قال لا خادم لها غيرى ءاستأذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمحذوف اى انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتعملوا بما هو اصلح لكم فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم حتى يأتى من يأذن لكم فان المانع من الدخول ليس الاطلاع على العورات فقط بل وعلى ما يخفيه الناس عادة مع ان التصرف فى ملك الغير بغير اذنه محظور واستثنى ما اذا عرض فيه حرق او غرق او كان فيه منكر ونحوها

وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا هو ازكى لكم الرجوع اطهر لكم مما لايخلوا الالحاح والوقوف على الباب عنه من الكراهة وترك المروءة او انفع لدينكم ودنياكم والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة كالربط والخانات والحوانيت فيها متاع استمتاع لكم كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الامتعة والجلوس للمعاملة وذلك استثناء من الحكم السابق لشموله البيوت المسكونة وغيرها والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن دخل مدخلا لفساد او تطلع على عورات قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اى ما يكون نحو محرم ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم ولما كان المستثنى منه كالشاذ النادر بخلاف الغض اطلقه وقيد الغض بحرف التبعيض وقيل حفظ الفروج ههنا خاصة سترها ذلك ازكى لهم انفع لهم واطهر لما فيه من البعد عن الريبة ان الله خبير بما يصنعون لايخفى عليه اجالة ابصارهم واستعمال سائر

وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٣٠﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣١﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ ٱلتَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ ٱلنِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ

حواسهم وتحريك جوارحهم وما يقصدون بها فليكونوا على حذر منه في كل حركة وسكون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لايحل لهن النظر اليه من الرجال ويحفظن فروجهن بالتستر او التحفظ عن الزنى وتقديم الغض لان النظر بريد الزنى ولا يبدين زينتهن كالحلى والثياب والاصباغ فضلا عن مواضعها لمن لايحل ان تبدى له الا ما ظهر منها عند مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم فان فى سترها حرجا وقيل المراد بالزينة مواقعها على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست بعورة والاظهر ان هذا فى الصلاة لا فى النظر فان كل بدن الحرة عورة لايحل لغير الزوج والمحرم النظر الى شئ منها الا لضرورة كالمعالجة وتحمل الشهادة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ستر الاعناقهن وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وحمزة والكسائى بكسر الجيم ولا يبدين زينتهن كرره لبيان من يحل له الابداء ومن لايحل له الا لبعولتهن فانهم المقصودون بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الفرج بكره او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن لكثرة مداخلتهم عليهن واحتياجهن الى مداخلتهم وقلة توقع الفتنة من قبلهم لما فى الطباع من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن ما يبدو عند المهنة والخدمة وانما لم يذكر الاعمام والاخوال لانهم فى معنى الاخوان او لان الاحوط ان يتسترن عنهم حذرا ان يصفوهن لابنائهم او نسائهن يعنى المؤمنات فان الكافرات لايتحرجن عن وصفهن للرجال او النساء كلهن وللعلماء فى ذلك خلاف او ما ملكت ايمانهن يعم الاماء والعبيد لما روى انه عليه السلام اتى فاطمة بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال عليه السلام انه ليس عليك بأس انما هو ابوك وغلامك وقيل المراد بها الاماء وعبد المرأة كالاجنبى منها او التابعين غير اولى الاربة من الرجال اى اولى الحاجة الى النساء وهم الشيوخ الأهمام والممسوخون وفى المجبوب والخصى خلاف وقيل البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا يعرفون شيأ من امور النساء وقرأ ابن عامر وابو بكر غير بالنصب على الحال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف

ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال فان ذلك يورث ميلا فى الرجال وهو ابلغ من النهى عن اظهار الزينة وادل على المنع من رفع الصوت
وتوبوا الى الله جميعا ايه المؤمنون اذ لا يكاد يخلو احد منكم من تفريط سيما فى الكف عن الشهوات وقيل توبوا مما كنتم تفعلونه فى الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه والعزم
على الكف عنه كلما يتذكر لعلكم تفلحون بسعادة الدارين وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم واماءكم لما نهى عما عسى ان يفضى الى السفاح المخل بالنسب المقتضى للالفة وحسن
التربية ومزيد الشفقة المؤدية الى بقاء النوع بعد الزجر عنه مبالغة فيه عقبه بالامر بالنكاح الحافظ له والخطاب للاولياء والسادة وفيه دليل على وجوب تزويج المولية والمملوك
وذلك عند طلبها واشعار بان المرأة والعبد لا يستبدان به اذ لو استبدا لما وجب على الولى والمولى وايامى مقلوب اياتم كيتامى جمع ايم وهو العزب ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا قال
فان تنكحى انكح وان تتأيمى وان كنت افتى منكم اتأيم وتخصيص الصالحين لان احصان دينهم والاهتمام بشأنهم اهم وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء

بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا
أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ
مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ
يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَالَّذِينَ
يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ
فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا
فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾
وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا
مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

يغنهم الله من فضله رد لما عسى ان يمنع من النكاح والمعنى لا يمنعن فقر الخاطب او
المخطوبة من المناكحة فان فى فضل الله غنية عن المال فانه غاد ورائح او وعد من الله
بالاغناء لقوله عليه السلام اطلبوا الغنى فى هذه الاية لكن مشروطة بالمشيئة لقوله
تعالى وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع ذو سعة
لا تنفد نعمته اذ لا تنتهى قدرته عليم يبسط الرزق ويقدر على ما يقتضيه حكمته
وليستعفف وليجتهد فى العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اسبابه ويجوز
ان يراد بالنكاح ما ينكح به وبالوجدان التمكن منه حتى يغنيهم الله من فضله فيجدوا
ما يتزوجون به والذين يبتغون الكتاب المكاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه
كاتبتك على كذا من الكتاب لان السيد كتب على نفسه عتقه اذا ادى المال او لانه مما يكتب
لتأجيله او من الكتب بمعنى الجمع لان العوض فيه يكون منجما بنجوم يضم بعضها الى
بعض مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة والموصول بصلته مبتدأ خبره فكاتبوهم
او مفعول لمضمر هذا تفسيره والفاء لتضمن معنى الشرط والامر فيه للندب عند اكثر العلماء
لان الكتابة معاوضة تتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها واحتجاج الحنفية باطلاقه
على جواز الكتابة الحالة ضعيف لان المطلق لا يعم مع ان العجز عن الاداء فى الحال يمنع
صحتها كما فى السلم فيما لا يوجد عند المحل ان علمتم فيهم خيرا امانة وقدرة على
اداء المال بالاحتراف وقد روى مثله مرفوعا وقيل صلاحا فى الدين وقيل مالا
وضعفه ظاهر لفظا ومعنى وهو شرط الامر فلا يلزم من عدمه عدم الجواز
وآتوهم من مال الله الذى آتيكم امر للموالى كما قبله بان يبذلوا لهم شيأ من اموالهم
وفى معناه حط شئ من مال الكتابة وهو للوجوب عند الاكثر ويكفى اقل ما يتمول
وعن على رضى الله عنه يحط الربع وعن ابن عباس رضى الله عنهما الثلث وقيل ندبهم
الى الانفاق عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وقيل امر لعامة المسلمين باعانة المكاتبين
واعطائهم سهمهم من الزكاة ويحل للمولى وان كان غنيا لانه لا يأخذه صدقة
كالدائن والمشترى ويدل عليه قوله عليه السلام فى حديث بريرة هو لها صدقة ولنا
هدية ولا تكرهوا فتياتكم اماءكم على البغاء على الزنى كانت لعبد الله بن ابى
ست جوار يكرههن على الزنى وضرب عليهن الضرائب فشكا بعضهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اردن تحصنا تعففا شرط للاكراه فانه لا يوجد دونه وان جعل
شرطا للنهى لم يلزم من عدمه جواز الاكراه لجواز ان يكون ارتفاع النهى بامتناع المنهى عنه وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالشاذ النادر لتبتغوا عرض الحيوة
الدنيا ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اى لهن او له ان تاب والاول اوفق للظاهر ولما فى مصحف ابن مسعود بعد اكراههن لهن غفور رحيم ولا يرد عليه ان المكرهة
غير آثمة فلا حاجة الى المغفرة لان الاكراه لا ينافى المؤاخذة بالذات ولذلك حرم على المكره القتل واوجب عليه القصاص ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات يعنى الايات التى بينت فى
هذه السورة واوضحت فيها الاحكام والحدود وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وحفص فى هذا وفى الطلاق بالكسر لانها واضحات يصدقها الكتب المتقدمة والعقول المستقيمة من بين بمعنى
تبين او لانها بينت الاحكام والحدود ومثلا من الذين خلوا من قبلكم اى ومثلا من امثال من قبلكم اى وقصة عجيبة مثل قصصهم وهى قصة عائشة فانها كقصة يوسف ومريم

وموعظة للمتقين يعنى ما وعظ به فى تلك الايات وتخصيص المتقين لانهم المنتفعون بها وقيل المراد بالآيات القرآن وبالصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض النور فى الاصل كيفية تدركها الباصرة اولا وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من النيرين على الاجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح اطلاقه على الله تعالى الا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذو كرم او على تجوز اما بمعنى منور السموات والارض وقد قرئ به فانه تعالى نورهما بالكواكب وما يفيض عنها من الانوار او بالملئكة والانبياء او مدبرهما من قولهم للرئيس الفائق فى التدبير نور القوم لانهم يهتدون به فى الامور او موجدهما فان النور ظاهر بذاته مظهر لغيره واصل الظهور هو الوجود كما ان اصل الخفاء هو العدم والله سبحانه وتعالى موجود بذاته موجد لما عداه او الذى به تدرك او يدرك اهلها من حيث انه يطلق على الباصرة لتعلقها به او لمشاركتها له فى توقف الادراك عليه ثم على البصيرة لانها اقوى ادراكا فانها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات وتغوص فى بواطنها وتتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم ان هذه الادراكات ليست لذاتها والا لما فارقتها فهى اذا من سبب يفيضها عليها وهو الله سبحانه وتعالى ابتداء او بتوسط من الملائكة والانبياء ولذلك سموا انوارا ويقرب منه قول ابن عباس معناه هادى من فيهما فهم بنوره يهتدون واضافته اليهما للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالهما على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما مثل نوره صفة نوره العجيبة الشأن واضافته الى ضميره سبحانه وتعالى دليل على ان اطلاقه عليه لم يكن على ظاهره كمشكاة كصفة مشكاة وهى الكوة غير النافذة فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة فى وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح فى زجاجة فى قنديل من الزجاج الزجاجة كأنها كوكب درى مضيء متلألئ كالزهرة فى صفائه وزهرته منسوب الى الدر او فعيل كمريق من الدرء فانه يدفع الظلام بضوئه او بعض ضوئه بعضا من لمعانه الا انه قلبت همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وابى بكر على الاصل وقراءة ابى عمرو والكسائى درىء كشريب وقد قرئ به مقلوبا يوقد من شجرة مباركة زيتونة اى ابتداء ثقوب المصباح من شجرة الزيتون المتكاثر نفعه بان رويت ذبالته بزيتها وفى ابهام الشجرة ووصفها بالبركة ثم ابدال الزيتونة منها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من اوقد وحمزة والكسائى وابو بكر بالتاء كذلك على اسناده الى الزجاجة بحذف المضاف وقرأ ابن كثير وابو عمرو توقد بمعنى تتوقد وقرئ يوقد بحذف التاء لاجتماع زيادتين وهو غريب لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها حينا دون حين بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة او صحراء واسعة فان ثمرتها تكون انضج وزيتها اصفى او لا نابتة فى شرق المعمورة وغربها بل فى وسطها وهو الشام فان زيتونه اجود الزيتون او لا فى مضحى تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها او فى مفيأة تغيب عنها دائما فتتركها نيئا وفى الحديث لا خير فى شجرة ولا فى نبات فى مفيأة ولا خير فيهما فى مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اى يكاد يضيء بنفسه من غير نار لتلألؤه وفرط وبيصه نور على نور نور متضاعف فان نور المصباح زاد فى انارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لاشعته وقد ذكر فى معنى التمثيل وجوه الاول انه تمثيل للهدى الذى دل عليه الايات المبينات فى جلاء مدلولها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة او تشبيه للهدى من حيث انه محفوف بظلمات اوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وانما ولى الكاف المشكاة لاشتمالها عليه وتشبيهه به اوفق من تشبيهه بالشمس او تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المنبث فيها من مصباحها ويؤيده قراءة ابى مثل نور المؤمن او تمثيل لما منح الله به عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التى ينوط بها المعاش والمعاد وهى الحساسة التى تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التى تحفظ صور تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعاقلة التى تدرك الحقائق الكلية والمفكرة وهى التى تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم يعلم والقوة القدسية التى تتجلى فيها لوائح الغيب واسرار الملكوت المختصة بالانبياء والاولياء المعنية بقوله تعالى ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالاشياء الخمسة المذكورة فى الآية وهى المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فان الحساسة كالمشكاة لان محلها كالكوى ووجهها الى الظاهر لا تدرك ما وراءها واضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة

مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي
زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ
تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾
رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَوٰةِ
وَإِيتَاءِ الزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ
﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ
كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ

فى قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للانوار العقلية وانارتها بما تشتمل عليه من المعقولات والعاقلة كالمصباح لاضاءتها بالادراكات الكلية والمعارف الالهية والمفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها الى ثمرات لانهاية لها والزيتونة المثمرة للزيت الذى هو مادة المصابيح التى لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية او لوقوعها بين الصور والمعانى متصرفة فى القبيلين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فانها لصفائها وشدة ذكائها تكاد تضيئ بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم او تمثيل للقوة العقلية فى مراتبها بذلك فانها فى بدء امرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم تنتقش بالعلوم الضرورية بتوسط احساس الجزئيات بحيث تتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متلألئة فى نفسها قابلة للانوار وذلك التمكن ان كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتونة وان كان بالحدس فكالزيت وان كان بقوة قدسية فكالذى يكاد زيتها يضيئ لانها تكاد تعلم ولو لم تتصل بملك الوحى والالهام الذى مثله النار من حيث ان العقول تشتعل عنها ثم اذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فاذا استحضرها كان نورا على نور

شَيْئًا وَوَجَدَ اللّٰهَ عِنْدَهُ فَوَفّٰيهُ حِسَابَهُ وَاللّٰهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ اَوْ كَظُلُمَاتٍ فِى بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشٰيهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ اِذَا اَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرٰيهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّٰهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاِلَى اللّٰهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ اَلَمْ تَرَ اَنَّ اللّٰهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْاَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللّٰهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَعِبْرَةً

يهدى الله لنوره لهذا النور الثاقب من يشاء فان الاسباب دون مشيئته لاغية اذ بها تمامها ويضرب الله الامثال للناس ادناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا والله بكل شئ عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او خفيا وفيه وعد ووعيد لمن تدبرها ولمن لم يكترث بها فى بيوت متعلق بما قبله اى كمشكاة فى بعض بيوت او توقد فى بعض بيوت فيكون تقييدا للممثل به بما يكون تحبيرا ومبالغة فيه فان قناديل المساجد تكون اعظم او تمثيلا لصلاة المؤمنين وابدانهم بالمساجد ولا ينافى جمع البيوت وحدة المشكاة اذ المراد بها ماله هذا الوصف بلا اعتبار وحدة ولا كثرة او بما بعده وهو يسبح وفيها تكرير مؤكد لا يذكر لانه من صلة ان فلا يعمل فيما قبلها او بمحذوف مثل سبحوا فى بيوت والمراد بها المساجد لان الصفة تلائمها وقيل المساجد الثلثة والتنكير للتعظيم اذن الله ان ترفع بالبناء والتعظيم ويذكر فيها اسمه عام فيما يتضمن ذكره حتى المذاكرة فى افعاله والمباحثة فى احكامه يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال ينزهونه اى يصلون له فيها بالغدوات والعشايا والغدو مصدر اطلق للوقت ولذلك حسن اقترانه بالاصال وهو جمع اصيل وقرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل وقرأ ابن عامر وعاصم يسبح بالفتح على اسناده الى احد الظروف الثلاثة ورفع رجال بما يدل عليه وقرئ بالتاء مكسورا لتأنيث الجمع ومفتوحا على اسناده الى اوقات الغدو لا تلهيهم تجارة لا تشغلهم معاملة رابحة ولا بيع عن ذكر الله مبالغة بالتعميم بعد التخصيص ان اريد به مطلق المعاوضة او بافراد ما هو الاهم من قسمى التجارة فان الربح يتحقق بالبيع ويتوقع بالشرى وقيل المراد بالتجارة الشرى فانه اصلها ومبدأها وقيل الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر فى كذا اذا جلبه وفيه ايماء بانهم تجار واقام الصلاة عوض فيه الاضافة عن التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال كقوله واخلفوك عد الامر الذى وعدوا وايتاء الزكاة ما يجب اخراجه من المال للمستحقين يخافون يوما مع ما هم عليه من الذكر والطاعة تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب وتتغير من الهول او تتقلب احوالها فتفقه القلوب ما لم تكن تفقه وتبصر الابصار ما لم تكن تبصر او تتقلب القلوب من توقع النجاة وخوف الهلاك من اى ناحية يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم

ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا احسن جزاء ما عملوا او الموعود لهم من الجنة ويزيدهم من فضله اشياء لم يعدهم على اعمالهم ولم يخطر ببالهم والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير للزيادة وتنبيه على كمال القدرة ونفاذ المشيئة وسعة الاحسان والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة والذين كفروا حالهم على ضد ذلك فان اعمالهم التى يحسبونها صالحة نافعة عند الله يجدونها لاغية مخيبة فى العاقبة كالسراب وهو ما يرى فى الفلاة من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ماء يسرب اى يجرى والقيعة بمعنى القاع وهو الارض المستوية وقيل جمعه كجار وجيرة وقرئ بقيعات كديمات فى ديمة يحسبه الظمآن ماء اى العطشان وتخصيصه لتشبيه الكافر به فى شدة الخيبة عند مسيس الحاجة حتى اذا جاءه جاء ما توهمه ماء او موضعه لم يجده شيئا مما ظنه ووجد الله عنده عقابه او زبانيته او وجده محاسبا اياه فوفاه حسابه استعراضا او مجازاة والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب روى انها نزلت فى عتبة بن ربيعة بن امية تعبد فى الجاهلية والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر

اوكظلمات عطف على كسراب واو للتخيير فان اعمالهم لكونها لاغية لامنفعة لها كالسراب ولكونها خالية عن نور الحق كالظلمات المتراكمة من لج البحر والامواج والسحاب او للتنويع فان اعمالهم ان كانت حسنة فكالسراب وان كانت قبيحة فكالظلمات او للتقسيم باعتبار وقتين فانها كالظلمات فى الدنيا والسراب فى الاخرة فى بحر لجى ذى لج اى عميق منسوب الى اللج وهو معظم الماء يغشاه يغشى البحر موج من فوقه موج اى امواج مترادفة متراكمة من فوقه من فوق الموج الثانى سحاب غطى النجوم وحجب انوارها والجملة صفة اخرى للبحر ظلمات اى هذه ظلمات بعضها فوق بعض وقرأ ابن كثير ظلمات بالجر على ابدالها من الاولى وباضافة السحاب اليها فى رواية البزى اذا اخرج يده وهى اقرب مايرى اليه لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا ان يراها كقوله اذا غير النأى المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضمائر للواقع فى البحر وان لم يجر ذكره لدلالة المعنى عليه ومن لم يجعل الله له نورا ومن لم يقدر له الهداية ولم يوفقه لاسبابها فماله من نور بخلاف الموفق الذى له نور على نور الم تر الم تعلم علما يشبه المشاهدة فى اليقين والوثاقة بالوحى والاستدلال

لِأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٦﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٥٠﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا

ان الله يسبح له من فى السموات والارض ينزه ذاته عن كل نقص وآفة اهل السموات والارض ومن لتغليب العقلاء او الملائكة والثقلان بما يدل عليه من مقال ودلالة حال والطير على الاول تخصيص لما فيها من الصنع الظاهر والدليل الباهر ولذلك قيدها بقوله صافات فان اعطاء الاجرام الثقيلة ماتقوى به على الوقوف فى الجو صافة باسطة اجنحتها بما فيها من القبض والبسط حجة قاطعة على كمال قدرة الصانع ولطف تدبيره كل كل واحد مما ذكر او من الطير قد علم صلاته وتسبيحه اى قد علم الله دعاءه وتنزيهه اختيارا او طبعا لقوله تعالى والله عليم بما يفعلون او علم كل على تشبيه حاله فى الدلالة على الحق والميل الى النفع على وجه يخصه بحال من علم ذلك مع انه لايبعد ان يلهم الله الطير دعاء وتسبيحا كما الهمها علوما دقيقة فى اسباب تعيشها لايكاد يهتدى اليها العقلاء ولله ملك السموات والارض فانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات والافعال من حيث انها ممكنة واجبة الانتهاء الى الواجب والى الله المصير واليه مرجع الجميع الم تر ان الله يزجى سحابا يسوق ومنه البضاعة المزجاة فانها يزجيها كل احد ثم يؤلف بينه بان يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وبهذا الاعتبار صح بينه اذ المعنى بين اجزائه وقرأ نافع برواية ورش يولف غير مهموز ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج من خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال فى جبل وقرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام وكل ما علاك فهو سماء من جبال فيها من قطع عظام تشبه الجبال فى عظمها او جمودها من برد بيان للجبال والمفعول محذوف اى ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من برد بردا ويجوز ان تكون من الثانية او الثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما فى الارض جبال من حجر وليس فى العقل قاطع يمنعه والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوى البرد هناك اجتمع وصار سحابا فان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان وصل الى الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا والا نزل بردا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر او الثلج وكل ذلك

لابد وان يستند الى ارادة الواجب الحكيم لقيام الدليل على انها الموجبة لاختصاص الحوادث بمحالها واوقاتها واليه اشار بقوله فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء والضمير للبرد يكاد سنا برقه ضوء برقه وقرئ بالمد بمعنى العلو وبادغام الدال فى السين وبرقه بفتح الراء وهو جمع برقة وهى المقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع يذهب بالابصار بابصار الناظرين اليه من فرط الاضاءة وذلك اقوى دليل على كمال القدرة من حيث انه توليد الضد من الضد وقرئ يذهب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الآخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد والظلمة والنور او بما يعم ذلك ان فى ذلك فيما تقدم ذكره لعبرة لاولى الابصار لدلالة على وجود الصانع القديم وكمال قدرته واحاطة علمه ونفاذ مشيئته وتنزهه عن الحاجة ومايفضى اليها لمن يرجع الى بصيرة والله خلق كل دابة حيوان يدب على الارض وقرأ حمزة والكسائى خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب

سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِعِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللّٰهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللّٰهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

منزلته الكل اذ من الحيوانات ما يتولد لا عن النطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليس صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وانما سمي الزحف مشيا على الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على اربع كالنعم والوحش ويندرج فيه ماله اكثر من اربع كالعناكب فان اعتمادها اذا مشت على اربع وتذكير الضمير لتغليب العقلاء والتعبير بمن عن الاصناف ليوافق التفصيل الجملة والترتيب لتقديم ما هو اعرف في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا ومركبا على اختلاف الصور في الاعضاء والهيئات والحركات والطبائع والقوى والافعال مع اتحاد العنصر بمقتضى مشيئته ان الله على كل شئ قدير فيفعل ما يشاء لقد انزلنا آيات مبينات للحقائق بانواع الدلائل والله يهدي من يشاء بالتوفيق للنظر فيها والتدبر لمعانيها الى صراط مستقيم هو دين الاسلام الموصل الى درك الحق والفوز بالجنة ويقولون آمنا بالله وبالرسول نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف وهو يدعوه الى النبي عليه الصلاة والسلام وقيل في مغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله عنه في ارض فابى ان يحاكمه الى الرسول صلى الله عليه وسلم واطعنا اى واطعناهما ثم يتولى بالامتناع عن قبول حكمه فريق منهم من بعد ذلك بعد قولهم هذا وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين باسرهم فيكون اعلاما من الله بان جميعهم وان آمنوا بلسانهم لم تؤمن قلوبهم او الى الفريق المتولي منهم وسلب الايمان عنهم لتوليهم والتعريف فيه للدلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفتهم وهم المخلصون في الايمان او الثابتون عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اى يحكم النبي صلى الله عليه وسلم فانه الحاكم ظاهرا والمدعو اليه وذكر الله لتعظيمه والدلالة على ان حكمه في الحقيقة حكم الله اذا فريق منهم معرضون فاجأ فريق منهم الاعراض اذا كان الحق عليهم لعلمهم بانك لا تحكم لهم وهو شرح للتولي ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق اى الحكم لا عليهم يأتوا اليه مذعنين منقادين لعلمهم بانه يحكم لهم والى صلة ليأتوا او لمذعنين وتقديمه للاختصاص أفي قلوبهم مرض كفر او ميل الى الظلم ام ارتابوا بان رأوا منك تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم بك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله في الحكومة بل اولئك هم الظالمون اضراب عن القسمين الاخيرين لتحقيق القسم الاول ووجه التقسيم ان امتناعهم اما لخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما ان يكون محققا عندهم او متوقعا وكلاهما باطل لان منصب نبوته وفرط امانته يمنعه فتعين الاول وظلمهم يعم خلل عقيدتهم وميل نفوسهم الى الحيف والفصل لنفي ذلك عن غيرهم سيما المدعو الى حكمه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون على عادته تعالى في اتباع ذكر المحق المبطل والتنبيه على ما ينبغي بعد انكاره لما لا ينبغي وقرئ قول بالرفع وليحكم على البناء للمفعول واسناده الى ضمير مصدره على معنى ليفعل الحكم ومن يطع الله ورسوله فيما يأمرانه او في الفرائض والسنن ويخش الله على ما صدر عنه من الذنوب ويتقه فيما بقي من عمره وقرأ يعقوب وقالون عن نافع بلا ياء وابو عمرو وابو بكر بسكون الهاء وحفص بسكون القاف فشبه تقه بكتف وخفف والهاء في الوقف ساكنة بالاتفاق فاولئك هم الفائزون بالنعيم المقيم واقسموا بالله جهد ايمانهم انكار للامتناع عن حكمه لئن امرتهم بالخروج عن ديارهم واموالهم ليخرجن جواب لاقسموا على الحكاية قل لا تقسموا على الكذب طاعة معروفة اى المطلوب منكم طاعة معروفة لا اليمين والطاعة النفاقية المنكرة او طاعة معروفة امثل منها او ليكن طاعة وقرئت بالنصب على اطيعوا طاعة ان الله خبير بما تعملون فلا يخفى عليه سرائركم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول امر بتبليغ ما خاطبهم الله به على الحكاية مبالغة في تبكيتهم فان تولوا فانما عليه اى على محمد صلى الله عليه وسلم ما حمل من التبليغ وعليكم ما حملتم من الامتثال وان تطيعوه في حكمه تهتدوا الى الحق وما على الرسول الا البلاغ المبين التبليغ الموضح لما كلفتم به وقد ادى وانما بقي ما حملتم فان اديتم فلكم وان توليتم فعليكم وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات خطاب للرسول والامة او له ولمن معه ومن للبيان ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الارض تصرف الملوك في ممالكهم وهو جواب قسم مضمر تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او الوعد في تحققه منزل منزلة القسم كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرائيل استخلفهم في مصر والشام بعد الجبابرة

وقرأ ابو بكر بضم التاء وكسر اللام واذا ابتدأ ضم الالف والباقون بفتحهما واذا ابتدأوا كسروا الالف وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام بالتقوية والتثبيت وليبدلنهم
من بعد خوفهم من الاعداء وقرأ ابن كثير وابو بكر بالتخفيف امنا منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ثم هاجروا الى المدينة
وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى انجز الله وعده فاظهرهم على العرب كلهم وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وفيه دليل على صحة النبوة بالاخبار عن الغيب على ما هو وخلافة
الخلفاء الراشدين اذ لم يجتمع الموعود والموعود عليه لغيرهم بالاجماع وقيل الخوف من العذاب والامن منه في الآخرة يعبدونني حال من الذين لتقييد الوعد بالثبات على التوحيد
او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف والامن لا يشركون بي شيئا حال من الواو اي يعبدونني غير مشركين ومن كفر ومن ارتد او كفر هذه النعمة بعد ذلك بعد الوعد وحصول
الخلافة فاولئك هم الفاسقون الكاملون في فسقهم حيث ارتدوا بعد وضوح مثل هذه الآيات او كفروا تلك النعمة العظيمة واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول في سائر

لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ

امركم به ولا يبعد عطف ذلك على اطيعوا الله فان الفاصل وعد على المأمور به فيكون
تكرير الامر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأكيد وتعليق الرحمة بها او بالمندرجة
هي فيه بقوله لعلكم ترحمون كما علق به الهدى لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض
لا تحسبن يا محمد الكفار معجزين لله عن ادراكهم واهلاكهم وفي الارض صلة معجزين
ولا يحسبن الكفار في الارض احدا يعجز الله فيكون معجزين في الارض مفعوليه او لا
يحسبونهم معجزين فحذف المفعول الاول لان الفاعل والمفعولين لشئ واحد فاكتفى
بذكر اثنين عن الثالث وقرأ ابن عامر وحمزة بالياء وهو كالاول في الاحتمالات ومأواهم
النار عطف عليه من حيث المعنى كانه قيل الذين كفروا ليسوا معجزين ومأواهم النار
لان المقصود من النهي عن الحسبان تحقيق نفي الاعجاز ولبئس المصير المأوى الذي
يصيرون اليه يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم رجوع الى تتمة الاحكام
السالفة بعد الفراغ من الالهيات الدالة على وجوب الطاعة فيما سلف من الاحكام
وغيرها والوعد عليها والوعيد على الاعراض عنها والمراد به خطاب الرجال والنساء
غلب فيه الرجال لما روي ان غلام اسماء بنت ابي مرثد دخل عليها في وقت كرهته فنزلت وقيل
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصاري وكان غلاما وقت الظهيرة
ليدعو عمر فدخل وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى
آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا هذه الساعات علينا الا باذن ثم انطلق معه الى النبي
صلى الله عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية والذين لم يبلغوا الحلم منكم
والصبيان الذين لم يبلغوا من الاحرار فعبر عن البلوغ بالاحتلام لانه اقوى دلائله
ثلاث مرات في اليوم والليلة مرة من قبل صلاة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع
وطرح ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ومحله النصب بدلا من ثلث مرات او الرفع خبرا
لمحذوف اي هي من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم اي ثيابكم لليقظة للقيلولة
من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلاة العشاء لانه وقت التجرد عن اللباس
والالتحاف باللحاف ثلاث عورات لكم اي هي ثلاث اوقات يختل فيها تستركم
ويجوز ان يكون مبتدأ وما بعده خبره واصل العورة الخلل ومنها اعور المكان ورجل
اعور وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالنصب بدلا من ثلاث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد هذه الاوقات في ترك الاستئذان وليس فيه ما ينافي آية الاستئذان
فينسخها لانه في الصبيان ومماليك المدخول عليه وتلك في الاحرار البالغين طوافون عليكم اي هم طوافون استئناف ببيان العذر المرخص في ترك الاستئذان وهو المخالطة
وكثرة المداخلة وفيه دليل على تعليل الاحكام وكذا في الفرق بين الاوقات الثلثة وغيرها بانها عورات بعضكم على بعض بعضكم طائف على بعض او يطوف بعضكم على بعض
كذلك مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات اي الاحكام والله عليم باحوالكم حكيم فيما شرع لكم واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم الذين بلغوا من قبلهم في الاوقات كلها واستدل به من اوجب استئذان العبد البالغ على سيدته وجوابه ان المراد
بهم المعهودون الذين جعلوا قسيما للمماليك فلا يندرجون فيهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم كرره تأكيدا ومبالغة في الامر بالاستئذان

والقواعد من النساء العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اي الثياب الظاهرة كالجلباب والفاء فيه لان اللام في القواعد بمعنى اللاتي او لوصفها بها غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة مما امرن باخفائه في قوله ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف في اظهار ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن خير لهن من الوضع لانه ابعد من التهمة والله سميع لمقالتهن للرجال عليم بمقصودهن ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفي لما كانوا يتحرجون من مؤاكلة الاصحاء حذرا من استقذارهم او اكلهم من بيت من يدفع اليهم المفتاح ويبيح لهم التبسط فيه اذا خرج الى الغزو وخلفهم على المنازل مخافة ان لا يكون ذلك عن طيب قلب او من اجابة من يدعوهم الى بيوت آبائهم واولادهم واقاربهم فيطعمونهم كراهة ان يكونوا كلا عليهم وهذا انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة او كان في اول الاسلام ثم نسخ بنحو قوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام وقيل نفي الحرج عنهم في القعود عن الجهاد وهو لا يلائم ما قبله وما بعده ولا على انفسكم ان تأكلوا من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيت الولد كبيته لقوله عليه السلام انت ومالك لابيك وقوله ان اطيب ما يأكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه وهو ما يكون تحت ايديكم وتصرفكم من ضيعة او ماشية وكالة او حفظا وقيل بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وهو ما يفتح به وقرئ مفتاحه او صديقكم او بيوت صديقكم فانهم ارضى بالتبسط في اموالهم واسر به وهو يقع على الواحد والجمع كالخليط هذا كله انما يكون اذا علم رضى صاحب البيت باذن او قرينة ولذلك خصص هؤلاء فانه يعتاد التبسط منهم او كان في اول الاسلام فنسخ فلا احتجاج للحنفية به على ان لا قطع بسرقة مال المحرم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده او في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا يأكلون الا معه او في قوم تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الطباع في القذارة والنهمة فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت فسلموا على انفسكم على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة تحية من عند الله ثابتة بامره مشروعة من لدنه ويجوز ان تكون من صلة للتحية فانها طلب الحياة وهي من عنده وانتصابها على المصدر لانها بمعنى التسليم مباركة لانها يرجى بها زيادة الخير والثواب طيبة يطيب بها نفس المستمع وعن انس انه عليه السلام قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات كرره ثالثا لمزيد التأكيد وتفخيم الاحكام المختتمة به وفصل الاولين بما هو المقتضي لذلك وهذا بما هو المقصود منه فقال لعلكم تعقلون اي الحق والخير في الامور انما المؤمنون اي الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله من صميم قلوبهم واذا كانوا معه على امر جامع كالجمعة والاعياد والحروب والمشاورة في الامور ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا حتى يستأذنوه يستأذنوا رسول الله فيأذن لهم واعتباره في كمال الايمان لانه كالمصداق لصحته والمميز للمخلص فيه من المنافق فان ديدنه التسلل والفرار ولتعظيم الجرم في الذهاب عن مجلس الرسول عليه السلام بغير اذنه ولذلك اعاده مؤكدا على اسلوب ابلغ فقال ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فانه يفيد ان المستأذن مؤمن لا محالة وان الذاهب بغير اذن ليس كذلك

وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ

فاذا استأذنوك لبعض شأنهم ما يعرض لهم من المهام وفيه ايضا مبالغة وتضييق للامر فأذن لمن شئت منهم تفويض للامر الى رأى الرسول عليه الصلاة والسلام واستدل به على ان بعض الاحكام مفوضة الى رايه عليه الصلاة والسلام ومن منع ذلك قيد المشيئة بان تكون تابعة لعلمه بصدقه وكان المعنى فأذن لمن علمت ان له عذرا واستغفر لهم الله بعد الاذن فان الاستئذان ولو لعذر قصور لانه تقديم لامر الدنيا على امر الدين ان الله غفور لفرطات العباد رحيم بالتيسير عليهم لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء بعضكم بعضا فى جواز الاعراض والمساهلة فى الاجابة والرجوع بغير اذن فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعة بغير اذنه محرمة وقيل لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به والنداء وراء الحجرة ولكن بلقبه المعظم مثل يا نبى الله ويا رسول الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت او لا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعض فلا تبالوا بسخطه فان دعاءه موجب او لا تجعلوا دعاءه ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى

بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ فَاِذَا اسْتَاْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَاْنِهِمْ فَاْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ اَمْرِهِ اَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ اَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ اَلَا اِنَّ لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ اِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ وَهِىَ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ آيَةً

٢٥

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلٰى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

فان دعاءه مستجاب قد يعلم الله الذين يتسللون منكم ينسلون قليلا قليلا من الجماعة ونظير تسلل تدرج وتدخل لواذا ملاوذة بان يستتر بعضكم ببعض حتى يخرج او يلوذ بمن يؤذن فينطلق معه كانه تابعه وانتصابه على الحال وقرئ بالفتح فليحذر الذين يخالفون عن امره يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض او يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له فى الحقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة محنة فى الدنيا او يصيبهم عذاب اليم فى الآخرة واستدل به على ان الامر للوجوب فانه يدل على ان ترك مقتضى الامر مقتض لاحد العذابين فان الامر بالحذر عنه يدل على حسنه المشروط بقيام المقتضى له وذلك يستلزم الوجوب الا ان لله ما فى السموات والارض قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من المخالفة والموافقة والنفاق والاخلاص وانما اكد علمه بقد لتأكيد الوعيد ويوم يرجعون اليه يوم يرجع المنافقون اليه للجزاء ويجوز ان يكون الخطاب ايضا مخصوصا بهم على طريق الالتفات فينبئهم بما عملوا من سوء الاعمال بالتوبيخ والمجازاة عليه والله بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقى سورة الفرقان مكية وآيها سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده تكاثر خيره من البركة وهى كثرة الخير او تزايد على كل شئ وتعالى عنه فى صفاته وافعاله فان البركة تتضمن معنى الزيادة وترتيبه على انزال الفرقان لما فيه من كثرة الخير او لدلالته على تعاليه وقيل دام من بروك الطير على الماء ومنه البركة لدوام الماء فيها وهو لا يتصرف فيه ولا يستعمل الا لله تعالى والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اذا فصل بينهما سمى به القرآن لفصله بين الحق والباطل بتقريره او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض فى الانزال وقرئ على عباده وهم رسول الله وامته كقوله لقد انزلنا اليكم او الانبياء على ان الفرقان اسم جنس للكتب السماوية ليكون العبد او الفرقان للعالمين للجن والانس

نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار وهذه الجملة وان لم تكن معلومة لكنها لقوة دليلها اجريت مجرى المعلوم وجعلت صلة الذى له ملك السموات والارض بدل من الاول او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ ولدا كزعم النصارى ولم يكن له شريك فى الملك كقول الثنوية اثبت له الملك مطلقا ونفى ما يقوم مقامه وما يقاومه فيه ثم نبه على ما يدل عليه فقال وخلق كل شئ احدثه احداثا مراعى فيه التقدير حسب ارادته كخلقه الانسان من مواد مخصوصة وصور واشكال معينة فقدره تقديرا فقدره وهيأه لما اراد منه من الخصائص والافعال كتهيئة الانسان للادراك والفهم والنظر والتدبير واستنباط الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة الى غير ذلك او فقدره للبقاء الى اجل مسمى وقد يطلق الخلق لمجرد الايجاد من غير نظر الى وجه الاشتقاق فيكون المعنى واوجد كل شئ فقدره فى ايجاده حتى لا يكون متفاوتا واتخذوا من دونه آلهة لما تضمن الكلام اثبات التوحيد والنبوة اخذ فى الرد على المخالفين فيهما لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لان عبدتهم ينحتونهم ويصورونهم ولا يملكون ولا يستطيعون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا ولا جلب نفع ولا يملكون موتا ولا حياتا ولا نشورا ولا يملكون اماتة احد ولا احياءه اولا وبعثه ثانيا ومن كان كذلك فبمعزل عن الالوهية لعرائه عن لوازمها واتصافه بما ينافيها وفيه تنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا على البعث والجزاء وقال الذين كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه افتراه اختلقه واعانه عليه قوم آخرون اى اليهود فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار وعداس وقد سبق فى قوله انما يعلمه بشر فقد جاؤا ظلما بجعل الكلام المعجز افكا مختلقا متلقفا من اليهود وزورا بنسبة ما هو برئ منه اليه واتى وجاء يطلقان بمعنى فعل ويعديان تعديته وقالوا اساطير الاولين ما سطره المتقدمون اكتتبها كتبها لنفسه او استكتبها وقرئ على البناء للمفعول لانه امى واصله اكتتبها كاتب له فحذف اللام وافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل وبنى الفعل للضمير فاستتر فيه فهى تملى عليه بكرة واصيلا ليحفظها فانه امى لا يقدر ان يكرر من الكتاب او ليكتب قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض لانه اعجزكم عن آخركم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف تجعلونه اساطير الاولين انه كان غفورا رحيما فلذلك لا يعجل فى عقوبتكم على ما تقولون مع كمال قدرته عليها واستحقاقكم ان يصب عليكم العذاب صبا وقالوا ما لهذا الرسول ما لهذا الذى يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم يأكل الطعام كما نأكل ويمشى فى الاسواق لطلب المعاش كما نمشى فالمعنى ان صح دعواه فما باله لم يخالف حاله حالنا وذلك لعمههم وقصور نظرهم على المحسوسات فان تميز الرسل عمن عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو باحوال نفسانية كما اشار اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا لنعلم صدقه بتصديق الملك او يلقى اليه كنز فيستظهر به ويستغنى عن تحصيل المعاش او تكون له جنة يأكل منها هذا على سبيل التنزل اى ان لم يلق اليه كنز فلا اقل من ان يكون له بستان كالدهاقين والمياسير فيتعيش بريعه وقرأ حمزة والكسائى بالنون

نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا

وقال الظالمون وضع الظالمين موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوه ان تتبعون ما تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله وقيل ذا سحر
وهو الرئة اى بشرا لا ملكا انظر كيف ضربوا لك الامثال اى قالوا فيك الاقوال الشاذة واخترعوا لك الاحوال النادرة فضلوا عن الطريق الموصل الى معرفة خواص
النبى والمميز بينه وبين المتنبى فخبطوا خبط عشواء فلا يستطيعون سبيلا الى القدح فى نبوتك او الى الرشد والهدى تبارك الذى ان شاء جعل لك فى الدنيا خيرا
من ذلك مما قالوه ولكن اخره الى الآخرة لانه خير وابقى جنات تجرى من تحتها الانهار بدل من خيرا ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء وقرأ ابن كثير وابن
عامر وابو بكر بالرفع لان الشرط اذا كان ماضيا جاز فى جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسألة يقول لا غائب مالى ولا حرم ويجوز ان يكون
استئنافا بوعد ما يكون له فى الآخرة وقرئ بالنصب على انه جواب بالواو بل كذبوا بالساعة فقصرت انظارهم على الحطام الدنيوية وظنوا ان الكرامة انما هى بالمال

وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٩﴾ انْظُرْ كَيْفَ
ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٠﴾
تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا
بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِذَا
رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٣﴾ وَإِذَا أُلْقُوا
مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٤﴾
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٥﴾
قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ
جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٦﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ
عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ

فطعنوا فيك بفقرك او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن الفاسدة
او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب ويصدقونك بما وعد الله لك فى الآخرة
او فلا تعجب من تكذيبهم اياك فانه اعجب منه واعتدنا لمن كذب بالساعة
سعيرا نارا شديدة الاستعار وقيل هو اسم لجهنم فيكون صرفه باعتبار
المكان اذا رأتهم اذا كانت بمرأى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراءى
ناراهما اى لا تتقاربا بحيث تكون احديهما بمرأى من الاخرى على المجاز
والتأنيث لانه بمعنى النار او جهنم من مكان بعيد وهو اقصى ما يمكن ان
يرى منه سمعوا لها تغيظا وزفيرا صوت تغيظ شبه صوت غليانها
بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن
مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله فيها حياة فترى وتتغيظ
وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا
منها مكانا اى فى مكان ومنها بيان تقدم فصار حالا ضيقا لزيادة
العذاب فان الكرب مع الضيق والروح مع السعة ولذلك وصف الله
الجنة بان عرضها السموات والارض وقرأ ابن كثير بسكون الياء مقرنين
قرنت ايديهم الى اعناقهم بالسلاسل دعوا هنالك فى ذلك المكان
ثبورا هلاكا اى يتمنون الهلاك وينادونه فيقولون يا ثبوراه تعال فهذا
حينك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اى يقال لهم ذلك وادعوا ثبورا
كثيرا لان عذابكم انواع كثيرة كل نوع منها ثبور لشدته او لانه يتجدد
كقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب
او لانه لا ينقطع فهو فى كل وقت ثبور قل اذلك خير ام جنة الخلد التى
وعد المتقون الاشارة الى العذاب والاستفهام والتفضيل والترديد
للتقريع مع التهكم او الى الكنز والجنة والراجع الى الموصول محذوف واضافة
الجنة الى الخلد للمدح او للدلالة على خلودها او التمييز عن جنات الدنيا
كانت لهم فى علم الله او اللوح او لان ما وعده الله فى تحققه كالواقع

جزاء على اعمالهم بالوعد ومصيرا ينقلبون اليه ولا يمنع كونها جزاء لهم ان يتفضل بها على غيرهم برضاهم مع جواز ان يراد بالمتقين من يتقى الكفر
والتكذيب لانهم فى مقابلتهم لهم فيها ما يشاؤون ما يشاؤونه من النعيم ولعله تقصر همم كل طائفة على ما يليق برتبته اذ الظاهر ان الناقص
لا يدرك شأو الكامل بالتشهى وفيه تنبيه على ان كل المرادات لا تحصل الا فى الجنة خالدين حال من احد ضمائرهم كان على ربك وعدا مسئولا الضمير
فى كان لما يشاؤون والوعد الموعود اى كان ذلك موعودا حقيقيا بان يسأل ويطلب او مسئولا سأله الناس فى دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة
بقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن وما فى على من معنى الوجوب لامتناع الخلف فى وعده ولا يلزم منه الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود مقدم
على الوعد الموجب للانجاز ويوم يحشرهم للجزاء وقرئ بكسر الشين وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص بالياء

وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما اما لان وضعه اعم ولذلك يطلق لكل شبح يرى ولا يعرف ولانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبوديهم اولتغليب الاصنام تحقيرا او اعتبارا لغلبة عبادها او يخص الملائكة وعزيرا والمسيح لقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها الله او تتكلم بلسان الحال كما قيل في كلام الايدى والارجل فيقول اى للمعبودين وهو على تلوين الخطاب وقرأ ابن عامر بالنون ءانتم اضللتم عبادى هؤلاء ام هم ضلوا السبيل لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد النصيح وهو استفهام تقريع وتبكيت للعبدة واصله ءاضللتم ام ضلوا فغير النظم ليلى حرف الاستفهام المقصود بالسؤال وهو المتولى للفعل دونه لانه لاشبهة فيه والا لما توجه العتاب وحذف صلة ضل للمبالغة قالوا سبحانك تعجبا مما قيل لهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون او جمادات لاتقدر على شئ اواشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال عبيده اوتنزيها لله عن الانداد ما كان ينبغى لنا يصح لنا ان نتخذ من دونك من اولياء للعصمة اولعدم القدرة فكيف يصح لنا ان ندعو غيرنا ان يتولى احدا دونك وقرئ ان نتخذ على البناء للمفعول من اتخذ الذى له مفعولان كقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثانى من اولياء ومن للتبعيض وعلى الاول مزيدة لتأكيد النفى ولكن متعتهم وآباءهم بانواع النعم فاستغرقوا فى الشهوات حتى نسوا الذكر حتى غفلوا عن ذكرك والتذكر لآلائك والتدبر فى آياتك وهو نسبة للضلال اليهم من حيث انه بكسبهم واسناده له الى ما فعل الله بهم فحملهم عليه وهو عين ما ذهبنا اليه فلا ينتهض حجة علينا للمعتزلة وكانوا فى قضائك قوما بورا هالكين مصدر وصف به ولذلك يستوى فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعائذ وعوذ فقد كذبوكم التفات الى العبدة بالاحتجاج والالزام على حذف القول والمعنى فقد كذبكم المعبودون بما تقولون فى قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا والباء بمعنى فى او مع المجرور بدل من الضمير وعن ابن كثير بالياء اى كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغى لنا فما يستطيعون اى المعبودون وقرأ حفص بالتاء على خطاب العابدين صرفا دفعا للعذاب عنكم وقيل حيلة من قولهم انه ليصرف اى يحتال ولا نصرا يعينكم عليه ومن يظلم منكم ايها المكلفون نذقه عذابا كبيرا هى النار والشرط وان عم كل من كفر او فسق لكنه فى اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الاسواق اى الا رسلا انهم فحذف الموصوف لدلالة المرسلين عليه واقيمت الصفة مقامه كقوله وما منا الا له مقام معلوم ويجوز ان يكون حالا اكتفى فيها بالضمير وهو جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق وقرئ يمشون اى يمشيهم حوائجهم او الناس وجعلنا بعضكم ايها الناس لبعض فتنة ابتلاء ومن ذلك ابتلاء الفقراء بالاغنياء والمرسلين بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه بعد نقضه وفيه دليل على القضاء والقدر اتصبرون علة للجعل والمعنى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة لنعلم ايكم يصبر ونظيره قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا او حث على الصبر على ما افتتنوا به وكان ربك بصيرا بمن يصبر او بالصواب فيما يبتلى به وغيره وقال الذين لايرجون لا يأملون لقاءنا بالخير لكفرهم بالبعث ولا يخافون لقاءنا بالشر على لغة تهامة واصل اللقاء الوصول الى الشئ ومنه الرؤية فانه وصول الى المرئى والمراد به الوصول الى جزائه ويمكن ان يراد به الرؤية على الاول لولا هلا انزل علينا الملائكة فيخبروننا بصدق محمد وقيل فيكونون رسلا الينا اونرى ربنا فيأمرنا بتصديقه واتباعه لقد استكبروا فى انفسهم اى فى شأنها حتى ارادوا لها ما يتفق للافراد من الانبياء الذين هم اكمل خلق الله فى اكمل اوقاتها وما هو اعظم من ذلك وعتوا وتجاوزوا الحد فى الظلم عتوا كبيرا بالغا اقصى مراتبه حيث عاينوا المعجزات القاهرة فاعرضوا عنها واقترحوا لانفسهم الخبيثة ما سدت دونه مطامح النفوس القدسية واللام جواب قسم محذوف وفى الاستئناف بالجملة حسن واشعار بالتعجب من استكبارهم وعتوهم كقوله وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها يوم يرون الملائكة ملائكة الموت او العذاب ويوم نصب باذكر او بما دل عليه

مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِى لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٩﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۞ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِى أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ



لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه بمعنى يمنعون البشرى او يعدمونها ويومئذ تكرير او خبر وللمجرمين تبيين او خبر ثان او ظرف لما تعلق به اللام او لبشرى ان قدرت منونة غير مبنية مع لا فانها لا تعمل وللمجرمين اما عام يتناول حكمه حكمهم من طريق البرهان ولا يلزم من نفي البشرى لعامة المجرمين حينئذ نفي البشرى بالعفو والشفاعة في وقت آخر واما خاص وضع موضع ضميرهم تسجيلا على جرمهم واشعارا بما هو المانع للبشرى والموجب لما يقابلها ويقولون حجرا محجورا عطف على المدلول اي ويقول الكفرة حينئذ هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله ان يمنع لقاءهم وهي مما كانوا يقولون عند لقاء عدو او هجوم مكروه او يقولها الملائكة بمعنى حراما محرما عليكم الجنة او البشرى وقرئ حجرا بالضم واصله الفتح غير انه لما اختص بموضع مخصوص غير كقعدك وعمرك ولذلك لا يتصرف فيه ولا يظهر ناصبه ووصفه بمحجورا للتأكيد كقولهم موت مائت وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا اي وعمدنا الى ما عملوا في كفرهم من المكارم كقرى الضيف وصلة الرحم واغاثة الملهوف فاحبطناه

حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً

لفقد ما هو شرط اعتباره وهو تشبيه حالهم واعمالهم بحال قوم استعصوا سلطانهم فقدم الى اسبابهم فمزقها وابطلها ولم يبق لها اثرا والهباء غبار يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوة وهي الغبار ومنثورا صفته شبه به عملهم المحبط في حقارته وعدم نفعه ثم بالمنثور منه في انتثاره بحيث لا يمكن نظمه او تفرقه نحو اغراضهم التي كانوا يتوجهون به نحوها او مفعول ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كقوله كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقر فيه في اكثر الاوقات للتجالس والتحادث واحسن مقيلا مكانا يؤوى اليه للاسترواح بالازواج والتمتع بهن تجوزا له من مكان القيلولة على التشبيه او لانه لا يخلو من ذلك غالبا اذ لا نوم في الجنة وفي احسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الصور وغيره من التحاسين ويحتمل ان يراد باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمان والتفضيل اما لارادة الزيادة مطلقا او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا روي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ويوم تشقق السماء اصله تتشقق فحذف التاء وادغمها ابن كثير ونافع وابن عامر ويعقوب بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام المذكور في قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرأ ابن كثير وننزل الملائكة وقرئ ونزلت وانزل ونزل وننزل ونزل الملائكة بحذف نون الكلمة الملك يومئذ الحق للرحمن الثابت له لان كل ملك يبطل يومئذ ولا يبقى الا ملكه فهو الخبر وللرحمن صلته او تبيين ويومئذ معمول الملك لا الحق لانه متأخر او صفته والخبر يومئذ او للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا شديدا ويوم يعض الظالم على يديه من فرط الحسرة وعض اليدين واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم الجنس وقيل عقبة بن ابي معيط كان يكثر مجالسة النبي عليه الصلاة والسلام فدعاه الى ضيافته فابى ان يأكل طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت فقال لا ولكن ابى ان يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال لا ارضى منك الا ان تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت رأسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا فقتله وطعن ابيا باحد في المبارزة فرجع الى مكة ومات يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة يا ويلتا وقرئ بالياء على الاصل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يعني من اضله وفلان كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او كتابه او موعظة الرسول او كلمة الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وكان الشيطان يعني الخليل المضل او ابليس لانه حمله على مخالته ومخالفة الرسول او كل من تشيطن من جن وانس للانسان خذولا يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه فعول من الخذلان وقال الرسول محمد يومئذ او في الدنيا بثا الى الله يا رب ان قومي قريشا اتخذوا هذا القرآن مهجورا بان تركوه وصدوا عنه وعنه صلى الله عليه وسلم من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به ويقول يا رب عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه او هجروا فيه ولغوا فيه اذا سمعوه

او زعموا انه هجر واساطير الاولين فيكون اصله مهجورا فيه فحذف الجار ويجوز ان يكون بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول وفيه تخويف لقومه لان الانبياء اذا شكوا الى الله قومهم عجل لهم العذاب وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلناه لك فاصبر كما صبروا وفيه دليل على انه خالق الشر والعدو يحتمل الواحد والجمع وكفى بربك هاديا الى طريق قهرهم ونصيرا لك عليهم وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن اى انزل عليه كخبر بمعنى اخبر لئلا يناقض قوله جملة واحدة دفعة واحدة كالكتب الثلثة وهو اعتراض لا طائل تحته لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتفريق فوائد منها ما اشار اليه بقوله كذلك لنثبت به فؤادك اى كذلك انزلناه مفرقا لنقوي بتفريقه فؤادك على حفظه وفهمه لان حاله يخالف حال موسى وداود وعيسى عليهم السلام حيث كان اميا وكانوا يكتبون فلو القي اليه جملة تعنى بحفظه ولعله لم يستتب له فان التلقف لا يتأتى الا شيئا فشيئا ولان نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة وغوص في المعنى ولانه اذا انزل منجما وهو يتحدى بكل نجم فيعجزون عن معارضته زاد ذلك قوة قلبه ولانه اذا نزل به جبرائيل حالا بعد حال يتثبت به فؤاده ومنها معرفة الناسخ والمنسوخ ومنها انضمام القرائن الحالية الى الدلالات اللفظية فانه يعين على البلاغة وكذلك صفة مصدر محذوف والاشارة الى انزاله مفرقا فانه مدلول عليه بقوله لولا نزل عليه القرآن جملة ويحتمل ان يكون من تمام كلام الكفرة ولذلك وقف عليه فيكون حالا والاشارة الى الكتب السابقة واللام على الوجهين متعلق بمحذوف ورتلناه ترتيلا وقرأناه عليك شيئا بعد شيء على تؤدة وتمهل في عشرين سنة او ثلاث وعشرين سنة واصله الترتيل في الاسنان وهو تفليجها ولا يأتونك بمثل سؤال عجيب كانه مثل في البطلان يريدون به القدح في نبوتك الا جئناك بالحق الدامغ له في جوابه واحسن تفسيرا وبما هو احسن بيانا او معنى من سؤالهم او ولا يأتونك بحال عجيبة يقولون هلا كانت هذه حاله الا اعطيناك من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا وما هو احسن كشفا لما بعثت له الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اى مقلوبين ومسحوبين اليها او متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها وعنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اصناف صنف على الدواب وصنف على الاقدام وصنف على الوجوه وهو ذم منصوب او مرفوع او مبتدأ خبره اولئك شر مكانا واضل سبيلا والمفضل عليه هو الرسول عليه السلام على طريقة قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه كانه قيل ان حاملهم على هذه الاسئلة تحقير مكانه وتضليل سبيله ولا يعلمون حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل انه متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا يوازره في الدعوة واعلاء الكلمة ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة لان المتشاركين في الامر متوازران عليه فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا يعني فرعون وقومه باياتنا فدمرناهم تدميرا اى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود منها وهو الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم والتعقيب باعتبار الحكم لا الوقوع وقرئ فدمرتهم فدمراهم فدمرانهم على التأكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله او نوحا وحده ولكن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الكل او بعثة الرسل مطلقا كالبراهمة اغرقناهم بالطوفان وجعلناهم وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية عبرة واعتدنا للظالمين عذابا اليما يحتمل التعميم والتخصيص فيكون وضعا للظاهر موضع المضمر تظليما لهم وعادا وثمودا عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ وثمود على تأويل القبيلة واصحاب الرس قوم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فبيناهم حول الرس وهي البئر الغير المطوية فانهارت فخسفت بهم وبديارهم وقيل الرس قرية عظيمة بفلج اليمامة كان فيها بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل هم اصحاب حنظلة ابن صفوان النبي ابتلاهم الله بطير عظيم كان فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ وتنقض على صبيانهم فتخطفهم اذا اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقيل قوم كذبوا نبيهم ورسوه اى دسوه في بئر

كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٣﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٦﴾ فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٧﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٨﴾ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٩﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤١﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِنْ يَتَّخِذُونَكَ

وقرونا واهل اعصار قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك اشارة الى ما ذكر كثيرا لا يعلمها الا الله وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين انذارا واعذارا فلما اصروا اهلكوا كما قال وكلا تبرنا تتبيرا فتتناه تفتيتا ومنه التبر لفتات الذهب والفضة وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا كانذرنا والثانى بتبرنا لانه فارغ عن الضمير ولقد اتوا يعنى قريشا مروا مرارا فى متاجرهم الى الشام على القرية التى امطرت مطر السوء يعنى سدوم عظمى قرى قوم لوط امطرت عليها الحجارة افلم يكونوا يرونها فى مرار مرورهم فيتعظون بما يرون فيها من آثار عذاب الله بل كانوا لا يرجون نشورا بل كانوا كفرة لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فلذلك لم ينظروا ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم اولا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون طمعا فى الثواب ولا يخافونه على اللغة التهامية واذا رأوك ان يتخذونك الا هزوا ما يتخذونك الا موضع هزؤ ومهزوا به اهذا الذى بعث الله رسولا محكى بعد قول مضمر والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا فى معرض التسليم بجعله صلة وهم على غاية الانكار تهكم واستهزاء ولولاه لقالوا اهذا الذى زعم انه بعثه الله

إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

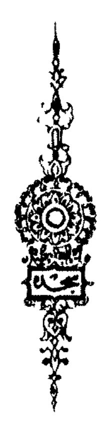
رسولا ان كاد انه كاد ليضلنا عن آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها بفرط اجتهاده فى الدعاء الى التوحيد وكثرة ما يورد مما يسبق الى الذهن انها حجج ومعجزات لولا ان صبرنا عليها ثبتنا عليها واستمسكنا بعبادتها ولولا فى مثله تقيد الحكم المطلق من حيث المعنى دون اللفظ وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا كالجواب لقولهم ان كاد ليضلنا فانه يفيد نفى ما يلزمه ويكون الموجب له وفيه وعيد ودلالة على انه لا يهملهم وان امهلهم ارأيت من اتخذ الهه هواه بان اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا يبصر دليلا وانما قدم المفعول الثانى للعناية افانت تكون عليه وكيلا حفيظا تمنعه عن الشرك والمعاصى وحاله هذا فالاستفهام الاول للتقرير والتعجيب والثانى للانكار ام تحسب بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون فيجدى لهم الآيات والحجج فتهتم بشأنهم وتطمع فى ايمانهم وهو اشد مذمة مما قبله حتى حق بالاضراب عنه اليه وتخصيص الاكثر لانه كان منهم من آمن ومنهم من عقل الحق وكابر استكبارا او خوفا على الرياسة ان هم الا كالانعام فى عدم انتفاعهم بقرع الآيات آذانهم وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلائل والمعجزات بل هم اضل سبيلا من الانعام لانها تنقاد لمن يتعهدها وتميز من يحسن اليها ممن يسيئ اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه من اساءة الشيطان ولا يطلبون الثواب الذى هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذى هو اشد المضار ولانها ان لم تعتقد حقا ولم تكتسب خيرا لم تعتقد باطلا ولم تكتسب شرا بخلاف هؤلاء ولان جهالتها لا تضر باحد وجهالة هؤلاء تؤدى الى هيج الفتن وصد الناس عن الحق ولانها غير متمكنة من طلب الكمال فلا تقصير منها ولا ذم وهؤلاء مقصرون مستحقون اعظم العقاب على تقصيرهم الم تر الى ربك الم تنظر الى صنعه كيف مد الظل كيف بسطه او الم تنظر الى الظل كيف مده ربك فغير النظم اشعارا بان المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرفه على الوجه النافع باسباب ممكنة على ان ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئى فكيف بالمحسوس منه او الم ينته علمك الى ان ربك كيف مد الظل وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو اطيب الاحوال فان الظلمة الخالصة تنفر الطبع وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنة وقال وظل ممدود ولو شاء لجعله ساكنا ثابتا من السكنى او غير متقلص من السكون بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد ثم جعلنا الشمس عليه دليلا فانه لا يظهر للحس حتى يطلع فيقع ضوءها على بعض الاجرام او لا يوجد ولا يتفاوت الا بسبب حركتها ثم قبضناه الينا اى ازلناه بايقاع الشعاع موقعه لما عبر عن احداثه بالمد بمعنى البسط عبر عن ازالته بالقبض الى نفسه الذى هو فى معنى الكف قبضا يسيرا قليلا قليلا حسبما ترتفع الشمس لينتظم بذلك مصالح الكون ويتحصل به ما لا يحصى من منافع الخلق وثم فى المواضع لتفاضل الامور او لتفاضل مبادى اوقات ظهورها وقيل مد الظل لما بنى السماء بلا نير ودحا الارض تحتها فالقت عليها ظلها ولو شاء لجعله ثابتا على تلك الحال ثم خلق الشمس عليه دليلا اى مسلطا عليه مستتبعا اياه كما يستتبع الدليل المدلول او دليل الطريق من يهديه ليتفاوت بحركتها ويتحول بتحولها ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا شيئا فشيئا الى ان تنتهى غاية نقصانه او قبضا سهلا عند قيام الساعة بقبض

وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا
﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ
وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا
مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا
وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ
وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ
يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ

اسبابه من الاجرام المظلة والمظل عليها وهو الذى جعل لكم الليل لباسا شبه ظلامه باللباس فى ستره والنوم سباتا راحة للابدان بقطع المشاغل واصل السبت القطع او موتا كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل لانه قطع الحياة ومنه المسبوت للميت وجعل النهار نشورا ذا نشور اى انتشار ينتشر فيه الناس للمعاش او بعثا من النوم بعث الاموات ويكون اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان يا بنى كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذى ارسل الرياح وقرأ ابن كثير على التوحيد ارادة للجنس نشرا ناشرات للسحاب جمع نشور وقرأ ابن عامر بالسكون على التخفيف وحمزة والكسائى به وبفتح النون على انه مصدر وصف به وعاصم بشرا تخفيف بشر جمع بشير بمعنى مبشر بين يدى رحمته يعنى قدام المطر وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا لقوله ليطهركم به وهو اسم لما يتطهر به كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به قال عليه الصلاة والسلام التراب طهور المؤمن طهور اناء احدكم اذا ولغ الكلب فيه ان يغسل سبعا احداهن بالتراب وقيل بليغا فى الطهارة وفعول وان غلب فى المعنيين لكنه قد جاء للمفعول كالضبوث بمعنى المضبوث وللمصدر كالقبول وللاسم كالذنوب وتوصيف الماء به اشعار بالنعمة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنأ وانفع مما خالطه ما يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغى ان يطهروها فبواطنهم بذلك اولى لنحيى به بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لان البلدة فى معنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجرى مجرى الجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسى كثيرا يعنى اهل البوادى الذين يعيشون بالحيا ولذلك نكر الانعام والاناسى وتخصيصهم لان اهل المدن والقرى يقيمون بقرب الانهار والمنابع فبهم وبما حولهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد فى طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق هذه الآيات كما هو للدلالة على عظم القدرة فهو لتعداد انواع النعمة والانعام قنية الانسان وعامة منافعهم وعلية معايشهم منوطة بها ولذلك قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا واناسى بحذف ياء وهو جمع انسى او انسان كظرابى فى ظربان على ان اصله اناسين فقلبت النون ياء ولقد صرفناه بينهم صرفنا هذا القول بين الناس فى القرآن وسائر الكتب او المطر بينهم فى البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة من وابل وطل وغيرهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عام امطر من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية او فى الانهار والمنابع ليذكروا ليتفكروا ويعرفوا كمال القدرة وحق النعمة فى ذلك ويقوموا بشكره او ليعتبروا بالصرف عنهم واليهم فابى اكثر الناس الا كفورا الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او جحودها بان يقولوا مطرنا بنوء كذا ومن لا يرى الامطار الا من الانواء كان كافرا بخلاف من يرى انها من خلق الله والانواء وسائط او امارات بجعله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا نبيا ينذر اهلها فيخف عليك اعباء النبوة لكن قصرنا الامر عليك اجلالا لك وتعظيما لشانك وتفضيلا لك على سائر الرسل فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق فلا تطع الكافرين فيما يريدونك عليه وهو تهييج له وللمؤمنين وجاهدهم به بالقرآن او بترك طاعتهم الذى يدل عليه فلا تطع والمعنى انهم يجتهدون فى ابطال حقك فقابلهم بالاجتهاد فى مخالفتهم وازاحة باطلهم جهادا كبيرا لان مجاهدة السفهاء بالحجج اكبر من مجاهدة الاعداء بالسيف او لان مخالفتهم ومعاداتهم فيما بين اظهرهم مع عتوهم وظهورهم او لانه جهاد مع كل الكفرة لانه مبعوث الى كافة القرى وهو الذى مرج البحرين خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها هذا عذب فرات قامع للعطش من فرط عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح على فعل ولعل اصله مالح فخفف كبرد فى بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته وحجرا محجورا وتنافرا بليغا كان كلا منهما يقول للآخر ما يقوله المتعوذ منه وقيل حدا محدودا وذلك كدجلة تدخل البحر فتشقه فتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر العذب النهر العظيم مثل النيل وبالبحر الملح البحر الكبير وبالبرزخ ما يحول بينهما من الارض فتكون القدرة فى الفصل واختلاف الصفة مع ان مقتضى طبيعة كل اجزاء عنصر ان تضامت وتلاصقت وتشابهت فى الكيفية وهو الذى خلق من الماء بشرا يعنى الذى خمر به طينة آدم او جعله جزأ من مادة البشر لتجتمع وتسلس وتقبل الاشكال والهيئات بسهولة او النطفة

فجعله نسبا وصهرا اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن كقوله فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين وربما يخلق من نطفة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم يعنى الاصنام او كل ما عبد من دون الله اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابوجهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا للمؤمنين والكافرين قل ما اسئلكم عليه على تبليغ الرسالة الذى يدل عليه الا مبشرا ونذيرا من اجر الا من شاء الا فعل من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى عنده بالايمان والطاعة فصور ذلك بصورة الاجر من حيث انه مقصود فعله واستثناه منه قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث اعتد بانفاعك نفسك بالتعرض للثواب والتخلص من العقاب اجرا وافيا مرضيا به مقصورا عليه واشعارا بان طاعتهم تعود عليه بالثواب من حيث انها بدلالته وقيل الاستثناء منقطع معناه لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحى الذى لا يموت فى استكفاء شرورهم والاغناء عن اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين يموتون فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه باوصاف الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا مطلعا فلا عليك ان آمنوا او كفروا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش قد سبق الكلام فيه ولعل ذكره زيادة تقرير لكونه حقيقا بان يتوكل عليه من حيث انه الخالق للكل والمتصرف فيه وتحريض على الثبات والتأنى فى الامر فانه تعالى مع كمال قدرته وسرعة نفاذ امره فى كل مراد خلق الاشياء على تؤدة وتدرج الرحمن خبر للذى ان جعلته مبتدأ او لمحذوف ان جعلته صفة للحى او بدل من المستكن فى استوى وقرئ بالجر صفة للحى فاسأل به خبيرا فاسأل عما ذكر من الخلق والاستواء عالما يخبرك بحقيقته وهو الله تعالى او جبرائيل او من وجده فى الكتب المتقدمة ليصدقوك فيه وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه على الله تعالى فاسأل عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجيئ ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان يكون الرحمن مبتدأ والخبر ما بعده والسؤال كما يعدى بعن لتضمنه معنى التفتيش يعدى بالباء لتضمنه معنى الاعتناء وقيل انه صلة خبيرا واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لانهم ما كانوا يطلقونه على الله او لانهم ظنوا انه اراد به غيره ولذلك قالوا انسجد لما تأمرنا اى للذى تأمرناه بمعنى تأمرنا سجوده او لامرك لنا من غير عرفان وقيل لانه كان معربا لم يسمعوه وقرأ حمزة والكسائى يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اى الامر بالسجود للرحمن نفورا عن الايمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا يعنى البروج الاثنى عشر سميت به وهى القصور العالية لانها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره

عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهٖ خَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَاِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ اَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦١﴾ تَبَارَكَ الَّذِى جَعَلَ فِى السَّمَاۤءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦٢﴾ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ اَرَادَ اَنْ يَذَّكَّرَ اَوْ اَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٣﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْاَرْضِ هَوْنًا وَاِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٥﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ اِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٦﴾ اِنَّهَا سَاۤءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ اِذَا اَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ اِلٰهًا اٰخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللّٰهُ



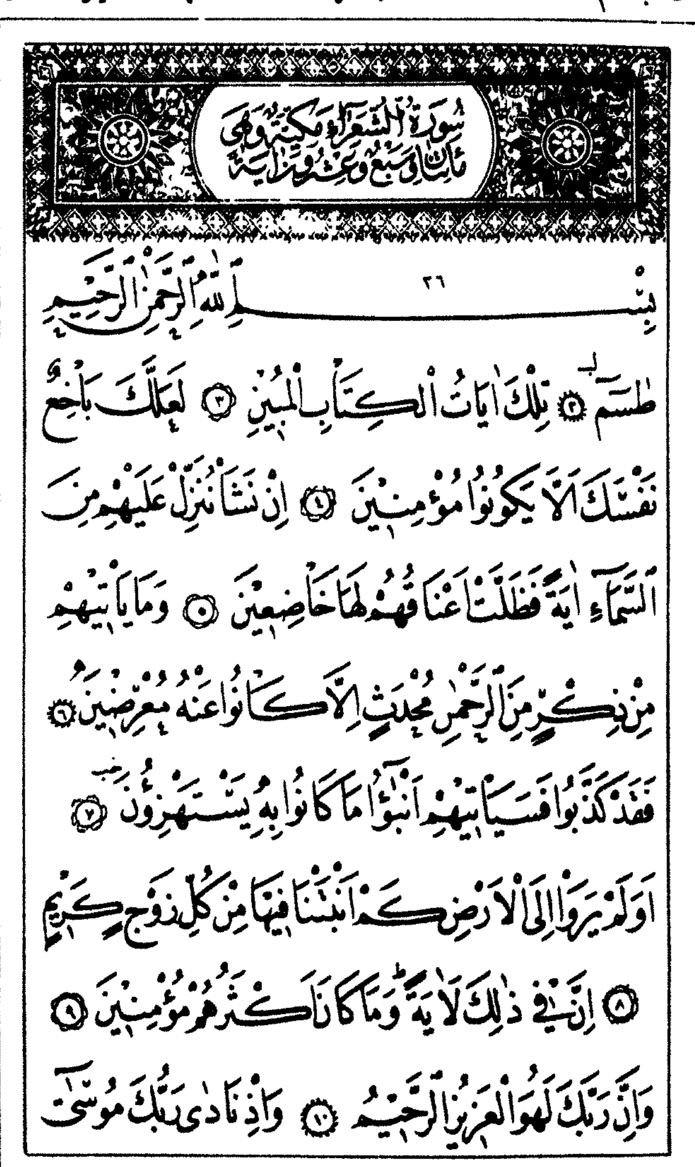
وجعل فيها سراجا يعنى الشمس لقوله وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائى سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا مضيئا بالليل وقرئ وقمرا اى ذا قمر وهو جمع قمراء ويحتمل ان يكون بمعنى القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله واختلاف الليل والنهار وهى للحالة من خلف كالركبة والجلسة لمن اراد ان يذكر ان يتذكر آلاء الله ويتفكر فى صنعه فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد او اراد شكورا ان يشكر الله على ما فيه من النعم او ليكونا وقتين للمتذكرين والشاكرين من فاته ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرأ حمزة ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وكذلك ليذكروا ووافقه الكسائى فيه وعباد الرحمن مبتدأ خبره اولئك يجزون الغرفة الذين يمشون على الارض واضافتهم الى الرحمن للتخصيص والتفضيل او لانهم الراسخون فى عبادته على ان عبادا جمع عابد كتاجر وتجار هونا هينين او مشيا هينا مصدر وصف به والمعنى انهم يمشون بسكينة وتواضع واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما تسلما منكم ومتاركة لكم

لاخير بيننا ولا شر اوسدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم ولا ينافيه اية القتال لتنسخه لان المراد هو الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم فى الكلام والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما فى الصلاة وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل احمز وابعد من الرياء وتأخير القيام للروى وهو جمع قائم او مصدر اجرى مجراه والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان
عذابها كان غراما لازما ومنه الغريم لملازمته وهو ايذان بانهم مع حسن مخالقتهم مع الخلق واجتهادهم فى عبادة الحق وجلون من العذاب مبتهلون الى الله فى صرفه عنهم لعدم اعتدادهم
باعمالهم وعدم وثوقهم على استمرار احوالهم انها ساءت مستقرا ومقاما اى بئست مستقرا وفيها ضمير مبهم يفسره المميز والمخصوص بالذم ضمير محذوف به ترتبط الجملة باسم ان او احزنت
وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والجملة تعليل للعلة الاولى وتعليل ثان وكلاهما يحتملان الحكاية والابتداء من الله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا لم يجاوزوا حد الكرم ولم يقتروا
ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق فى المحارم والتقتير منع الواجب قرأ الكوفيون بفتح الياء وضم التاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء وقرأ
نافع وابن عامر ولم يقتروا بضم الياء وكسر التاء من اقتر وقرئ بالتشديد والكل واحد

> إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٩﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٥﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٧﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٨﴾

وكان بين ذلك قواما وسطا وعدلا سمى به لاستقامة الطرفين كما سمى سواء
لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص وهو خبر
ثان لكان او حال مؤكدة ويجوز ان يكون الخبر وبين ذلك لغوا وقيل انه اسم كان لكنه
مبنى لاضافته الى غير متمكن وهو ضعيف لانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشئ
عن نفسه والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله
اى حرمها بمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بالقتل المحذوف او بلا يقتلون ولا
يزنون نفى عنهم امهات المعاصى بعد ما اثبت لهم اصول الطاعات اظهارا لكمال ايمانهم
واشعارا بان الاجر المذكور موعود للجامع بين ذلك وتعريضا للكفرة باضداده ولذلك
عقبه بالوعيد تهديدا لهم فقال ومن يفعل ذلك يلق اثاما جزاء اثم او اثما باضمار الجزاء
وقرئ اياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام اى صعب يضاعف له العذاب يوم القيمة
بدل من يلق لانه فى معناه كقوله متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وقرأ ابو بكر بالرفع على الاستئناف او الحال وكذلك ويخلد فيه مهانا وابن كثير
ويعقوب يضعف بالجزم وابن عامر بالرفع وابو عمرو ويخلد على البناء للمفعول مخففا
وقرئ مثقلا ويضعف له العذاب ومضاعفة العذاب لانضمام المعصية الى الكفر
ويدل عليه قوله الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات
بان يمحوا سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل ملكة
المعصية فى النفس بملكة الطاعة وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه او بان يثبت
له بدل كل عقاب ثوابا وكان الله غفورا رحيما فلذلك يعفو عن السيئات ويثيب
على الحسنات ومن تاب عن المعاصى بتركها والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به
ما فرط او خرج عن المعاصى ودخل فى الطاعة فانه يتوب الى الله يرجع الى الله بذلك
متابا مرضيا عند الله ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله
الذى يحب التائبين ويصطنع بهم او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا
تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور لا يقيمون الشهادة الباطلة او لا
يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل شركة فيه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك
الاغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم بالوعظ والقراءة لم يخروا عليها صما وعميانا لم يقيموا عليها غير
واعين لها ولا متبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر بل اكبوا عليها سامعين باذان واعية مبصرين بعيون راعية فالمراد من النفى نفى الحال دون الفعل كقولك لا يلقانى زيد مسلما وقيل الهاء
للمعاصى المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضائل فان المؤمن اذا شارك اهله فى طاعة الله سرّبهم قلبه
وقرّبهم عينه لما رأى من مساعدتهم له فى الدين وتوقع لحوقهم به فى الجنة ومن ابتدائية او بيانية كقوله رايت منك اسدا وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وابو بكر
وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين وهى قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا فى امر الدين بافاضة العلم

والتوفيق للعمل وتوحيده لدلالته على الجنس وعدم اللبس كقوله ثم نخرجكم طفلا او لانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم
واتفاق كلمتهم وقيل جمع آم كصائم وصيام ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم اولئك يجزون الغرفة اعلى مواضع الجنة وهي اسم جنس اريد به الجمع لقوله وهم في الغرفات آمنون
والقراءة بها وقيل هي من اسماء الجنة بما صبروا بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها تحية وسلاما دعاء بالتعمير والسلامة
اي يحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او تبقية دائمة وسلامة من كل آفة وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر يلقون من لقي خالدين فيها
لا يموتون ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما مقابل ساءت مستقرا معنى ومثله اعرابا قل ما يعبأ بكم ربي ما يصنع بكم من عبأت الجيش اذا هيأته او لا يعتد بكم لولا دعاؤكم
لولا عبادتكم فان شرف الانسان وكرامته بالمعرفة والطاعة والا فهو وسائر الحيوانات سواء وقيل معناه ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة وما ان جعلت استفهامية
فمحلها النصب على المصدرية كأنه قيل اي عبء يعبأ بكم فقد كذبتم بما اخبرتكم به
حيث خالفتموه وقيل فقد قصرتم في العبادة من قولهم كذب القتال اذا لم يبالغ فيه
وقرئ فقد كذب الكافرون اي الكافرون منكم لان توجه الخطاب الى الناس عامة بما وجد
في جنسهم من العبادة والتكذيب فسوف يكون لزاما يكون جزاء التكذيب لازما
يحيق بكم لا محالة او اثره لازما بكم حتى يكبكم في النار وانما اضمر من غير ذكر للتهويل والتنبيه
على انه مما لا يكتنهه الوصف وقيل المراد قتل يوم بدر وانه لوزم بين القتلى لزاما وقرئ
لزاما بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة
الفرقان لقي الله وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب


سورة الشعراء مكية وهي مائتان وسبع وعشرون آية

٢٦

بسم الله الرحمن الرحيم

طسم ﴿١﴾ تلك آيات الكتاب المبين ﴿٢﴾ لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ﴿٣﴾ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ﴿٤﴾ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ﴿٥﴾ فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن ﴿٦﴾ اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم ﴿٧﴾ ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين ﴿٨﴾ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴿٩﴾ واذ نادى ربك موسى

سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الى آخرها وآيها مائتان
وست او سبع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
طسم قرأ حمزة والكسائي وابو بكر بالامالة ونافع بين بين كراهة العود الى الياء
المهروب منها واظهر نونه حمزة لانه في الاصل منفصل عما بعده تلك آيات الكتاب
المبين الظاهر اعجازه وصحته والاشارة الى السورة او القرآن على ما مر في اول
البقرة لعلك باخع نفسك قاتل نفسك واصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع وهو عرق
مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك بالاضافة ولعل
للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها الا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او خيفة
ان لا يؤمنوا ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية دلالة ملجئة الى الايمان او بلية
قاسرة عليه فظلت اعناقهم لها خاضعين منقادين واصله فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الخبر على اصله وقيل لما وصفت
الاعناق بصفات العقلاء اجريت مجراهم وقيل المراد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم جاءنا
عنق من الناس لفوج منهم وقرئ خاضعة وظلت عطف على ننزل عطف واكن
على فاصدق لانه لو قيل انزلنا بدله لصح وما يأتيهم من ذكر موعظة او طائفة من
القرآن من الرحمن بوحيه الى نبيه محدث مجدد انزاله لتكرير التذكير وتنويع
التقرير الا كانوا عنه معرضين الا جددوا اعراضا عنه واصرارا على ما كانوا
عليه فقد كذبوا اي بالذكر بعد اعراضهم وامعنوا في تكذيبه بحيث ادى بهم الى الاستهزاء به المخبر به عنهم ضمنا في قوله فسيأتيهم اي اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم
القيامة انباء ما كانوا به يستهزؤن من انه كان حقا ام باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم قدره او يكذب فيستخف امره اولم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجائبها
كم انبتنا فيها من كل زوج صنف كريم محمود كثير المنفعة وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وههنا يحتمل ان تكون مقيدة لما يتضمن الدلالة على القدرة وان تكون مبينة
منبهة على انه ما من نبت الا وله فائدة اما وحده او مع غيره وكل لاحاطة الازواج وكم لكثرتها ان في ذلك ان في انبات تلك الاصناف او في كل واحد لآية على ان
منبتها تام القدرة والحكمة سابغ النعمة والرحمة وما كان اكثرهم مؤمنين في علم الله وقضائه فلذلك لا ينفعهم امثال هذه الآيات العظام وان ربك لهو العزيز
الغالب القادر على الانتقام من الكفرة الرحيم حيث امهلهم او العزيز في انتقامه ممن كفر الرحيم لمن تاب وآمن واذ نادى ربك موسى مقدر باذكر او ظرف لما بعده



اَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ اَلَا يَتَّقُوْنَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ اِنِّيْٓ اَخَافُ اَنْ يُّكَذِّبُوْنِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيْقُ صَدْرِيْ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِيْ فَاَرْسِلْ اِلٰى هٰرُوْنَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْۢبٌ فَاَخَافُ اَنْ يَّقْتُلُوْنِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِاٰيٰتِنَآ اِنَّا مَعَكُمْ مُّسْتَمِعُوْنَ ﴿١٥﴾ فَاْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُوْلَآ اِنَّا رَسُوْلُ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١٦﴾ اَنْ اَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ﴿١٧﴾ قَالَ اَلَمْ نُرَبِّكَ فِيْنَا وَلِيْدًا وَّلَبِثْتَ فِيْنَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِيْنَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِيْ فَعَلْتَ وَاَنْتَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ اِذًا وَّاَنَا مِنَ الضَّآلِّيْنَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِيْ رَبِّيْ حُكْمًا وَّجَعَلَنِيْ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ اَنْ عَبَّدْتَّ بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمٰوٰتِ

ان ائت اى ائت وبان ائت القوم الظالمين بالكفر واستعباد بنى اسرائيل وذبح اولادهم قوم فرعون بدل من الاول وعطف بيان له ولعل الاقتصار على القوم للعلم بان فرعون كان اولى بذلك الا يتقون استئناف اتبعه ارساله اليهم للانذار تعجيبا له من افراطهم فى الظلم واجترائهم عليه وقرئ بالتاء على الالتفات اليهم زجرا لهم وغضبا عليهم وهم وان كانوا غيبا حينئذ اجروا مجرى الحاضرين فى كلام المرسل اليهم من حيث انه مبلغه اليهم واسماعه مبدأ اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبره وتأمل مورده وقرئ بكسر النون اكتفاء بها عن ياء الاضافة ويحتمل ان يكون بمعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يا اسجدوا قال رب انى اخاف ان يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فارسل الى هرون رتب استدعاء ضم اخيه اليه واشراكه له فى الامر على الامور الثلثة خوف التكذيب وضيق القلب انفعالا عنه وازدياد الحبسة فى اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها اذا اجتمعت مست الحاجة الى معين يقوى قلبه وينوب منابه متى يعتريه حبسة حتى لا تختل دعوته ولا تنبتر حجته وليس ذلك تعللا منه وتوقفا فى تلقى الامر بل طلبا لما يكون معونة على امتثاله وتمهيد عذر فيه وقرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبوا فيكونان من جملة ما خاف منه ولهم على ذنب اى تبعة ذنب فحذف المضاف او سمى باسمه والمراد قتل القبطى وانما سماه ذنبا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوطة فى مواضع فاخاف ان يقتلون به قبل اداء الرسالة وهو ايضا ليس تعللا وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة كما ان ذاك استمداد واستظهار فى امر الدعوة وقوله قال كلا فاذهبا بآياتنا اجابة له الى الطلبتين بوعده لدفع بلائهم اللازم بردعه عن الخوف وضم اخيه اليه فى الارسال والخطاب فى فاذهبا على تغليب الحاضر لانه معطوف على الفعل الذى يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت والذى طلبته انا معكم يعنى موسى وهرون وفرعون مستمعون سامعون لما يجرى بينكما وبينه فاظهركما عليه مثل نفسه بمن حضر مجادلة قوم استماعا لما يجرى بينهم وترقبا لامدادا وليائه منهم مبالغة فى الوعد بالاعانة ولذلك تجوز بالاستماع الذى هو بمعنى الاصغاء للسمع الذى هو مطلق ادراك الحروف والاصوات وهو خبر ثان او الخبر وحده ومعكم لغو فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين افرد الرسول لانه مصدر وصف به فانه مشترك بين المرسل والرسالة قال لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ولذلك ثنى تارة وافرد اخرى او لاتحادهما للاخوة او لوحدة المرسل والمرسل به او لانه اراد ان كل واحد منا ان ارسل معنا بنى اسرائيل اى قولا ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال المتضمن معنى القول والمراد خلهم يذهبوا معنا الى الشام قال اى فرعون لموسى بعدما اتياه فقالا له ذلك الم نربك فينا فى منزلنا وليدا طفلا سمى به لقربه من الولادة ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلاثين ثم بقى بعد الغرق خمسين وفعلت فعلتك التى فعلت يعنى قتل القبطى وبخه به معظما اياه بعدما عدد عليه نعمته وقرئ فعلتك بالكسر لانها كانت قتلة بالوكز وانت من الكافرين بنعمتى حتى عمدت الى قتل خواصى او ممن تكفرهم الآن فانه عليه السلام كان يعايشهم بالتقية فهو حال من احدى التائين ويجوز ان يكون حكما مبتدأ عليه بانه من الكافرين بالهيته او بنعمته لما عاد عليه بالمخالفة او من الذين كانوا يكفرون فى دينهم قال فعلتها اذا وانا من الضالين من الجاهلين وقد قرئ به والمعنى من الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله او الذاهلين عما يؤول اليه الوكز لانه اراد به التأديب او الناسين من قوله ان تضل احداهما ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما حكمة وجعلنى من المرسلين ردا اولا بذلك ما وبخه به قدحا فى نبوته ثم كر على ما عدد عليه من النعمة ولم يصرح برده لانه كان صدقا غير قادح فى دعواه بل نبه على انه كان فى الحقيقة نقمة لكونه مسببا عنها فقال وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل اى وتلك التربية نعمة تمن على بها ظاهرا وهى فى الحقيقة تعبيدك بنى اسرائيل وقصدهم بذبح ابنائهم فانه السبب فى وقوعى اليك وحصولى فى تربيتك وقيل انه مقدر بهمزة الانكار اى او تلك نعمة تمنها على وهى ان عبدت ومحل ان عبدت الرفع على انه خبر محذوف او بدل نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيانها والمعنى تعبيدك بنى اسرائيل نعمة تمنها على وانما وحد الخطاب فى تمنها وجمع

فيما قبله لان المنة كانت منه وحده والخوف والفرار منه ومن ملئه قال فرعون وما رب العالمين لما سمع جواب ما طعن به فيه ورأى انه لم يرعوا بذلك شرع في الاعتراض على دعواه فبدأ بالاستفسار عن حقيقة المرسل قال رب السموات والارض وما بينهما عرّفه باظهر خواصه وآثاره لما امتنع تعريف الافراد الا بذكر الخواص والافعال واليه اشار بقوله ان كنتم موقنين اى ان كنتم موقنين الاشياء محققين لها علمتم ان هذه الاجرام المحسوسة ممكنة لتركبها وتعددها وتغير احوالها فلها مبدأ واجب لذاته وذلك المبدأ لابد وان يكون مبدأ لسائر الممكنات ما يمكن ان يحس بها وما لا يمكن والا لزم تعدد الواجب واستغناء بعض الممكنات عنه وكلاهما محال ثم ذلك الواجب لا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته قال لمن حوله الا تستمعون جوابه سألته عن حقيقته وهو يذكر افعاله او يزعم انه رب السموات وهى واجبة متحركة لذواتها كما هو مذهب الدهرية او غير معلوم افتقارها الى مؤثر قال ربكم ورب آبائكم الاولين عدولا الى ما لا يمكن ان يتوهم فيه مثله ويشك في افتقاره الى مصور حكيم ويكون اقرب الى الناظر واوضح عند التأمل

والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ﴿٢٥﴾ قال لمن حوله الا تستمعون ﴿٢٦﴾ قال ربكم ورب آبائكم الاولين ﴿٢٧﴾ قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ﴿٢٨﴾ قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ﴿٢٩﴾ قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين ﴿٣٠﴾ قال اولو جئتك بشىء مبين ﴿٣١﴾ قال فأت به ان كنت من الصادقين ﴿٣٢﴾ فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ﴿٣٣﴾ ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ﴿٣٤﴾ قال للملا حوله ان هذا لساحر عليم ﴿٣٥﴾ يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون ﴿٣٦﴾ قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين ﴿٣٧﴾ يأتوك بكل سحار عليم ﴿٣٨﴾ فجمع السحرة لميقات يوم معلوم ﴿٣٩﴾

قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون اسأله عن شىء ويجيبنى عن آخر وسماه رسولا على السخرية قال رب المشرق والمغرب وما بينهما تشاهدون كل يوم انه يأتى بالشمس من المشرق ويحركها على مدار غير مدار اليوم الذى قبله حتى يبلغها الى المغرب على وجه نافع ينتظم به امور الكائنات ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل علمتم ان لا جواب لكم فوق ذلك لاينهم اولا ثم لما راى شدة شكيمتهم وحشانهم عارضهم بمثل مقالتهم قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين عدولا الى التهديد عن المحاجة بعد الانقطاع وهكذا ديدن المعاند المحجوج واستدل به على ادعائه الالوهية وانكاره للصانع وتعجبه بقوله الا تستمعون من نسبة الربوبية الى غيره ولعله كان دهريا او اعتقد ان من ملك قطرا وتولى امره بقوة طالعه استحق العبادة من اهله واللام فى المسجونين للعهد اى ممن عرفت حالهم فى سجونى فانه كان يطرحهم فى هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك جعل ابلغ من لاسجننك قال اولو جئتك بشىء مبين اى اتفعل ذلك ولو جئتك بشىء يبين صدق دعواى يعنى المعجزة فانها الجامعة بين الدلالة على وجود الصانع وحكمته والدلالة على صدق مدعى نبوته فالواو للحال وليها الهمزة بعد حذف الفعل قال فأت به ان كنت من الصادقين فى ان لك بينة او فى دعواك فان مدعى النبوة لابد له من حجة فالقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ظاهر ثعبانيته واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء فانثعب اذا فجرته فانفجر ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين روى ان فرعون لما رأى الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده قال فما فيها فادخلها فى ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشى الابصار ويسد الافق قال للملا حوله مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم فائق فى علم السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة حتى حطه عن دعوى الربوبية الى مؤامرة القوم وائتمارهم وتنفيرهم عن موسى واظهار الاستشعار عن ظهوره واستيلائه على ملكه قالوا ارجه واخاه اخر امرهما وقيل احبسهما وابعث فى المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار عليم يفضلون عليه فى هذا الفن وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة

وقيل للناس هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في الاجتماع حثا على مبادرتهم اليه كقول تأبط شرا   هل انت باعث دينار لحاجتنا   او عبد رب اخا عون بن
مخراق   اى ابعث احدهما الينا سريعا لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لعلنا نتبعهم في دينهم ان غلبوا والترجي باعتبار الغلبة المقتضية للاتباع ومقصودهم
الاصلي ان لا يتبعوا موسى لا ان يتبعوا السحرة فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يتبعوا موسى فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم اذا لمن المقربين التزم لهم الاجر والقربة عنده زيادة عليه ان غلبوا فاذا على ما يقتضيه من الجواب والجزاء وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان قال لهم موسى
القوا ما انتم ملقون اى بعدما قالوا له اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ولم يرد به امرهم بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به
الى اظهار الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على ان الغلبة لهم لفرط اعتقادهم في انفسهم او اتيانهم باقصى ما يمكن
ان يؤتى به من السحر فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف تبتلع وقرأ حفص
تلقف بالتخفيف ما يأفكون ما يقلبونه عن وجهه بتمويههم وتزويرهم
فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم تسمية للمأفوك به مبالغة
فالقي السحرة ساجدين لعلمهم بان مثله لا يتأتى بالسحر وفيه دليل على ان
منتهى السحر تمويه وتزويق يخيل شيئا لا حقيقة له وان التبحر في كل فن
نافع وانما بدل الخرور بالالقاء ليشاكل ما قبله ويدل على انهم لما رأوا
ما رأوا لم يتمالكوا انفسهم فكأنهم اخذوا وطرحوا على وجوههم
وانه تعالى القاهم بما خولهم من التوفيق قالوا آمنا برب العالمين
بدل من القى بدل الاشتمال او حال باضمار قد رب موسى وهرون
ابدال للتوضيح ودفع التوهم والاشعار على ان الموجب لايمانهم ما اجراه
على ايديهما قال آمنتم له قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم
السحر فعلمكم شيئا دون شيء ولذلك غلبكم او فواعدكم ذلك
وتواطأتم عليه اراد به التلبيس على قومه لئلا يعتقدوا انهم آمنوا
عن بصيرة وظهور حق وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر وروح ءآمنتم
بهمزتين فلسوف تعلمون وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان له قالوا
لا ضير لا ضرر علينا في ذلك انا الى ربنا منقلبون بما توعدنا به
فان الصبر عليه محاء للذنوب موجب للثواب والقرب من الله تعالى
او بسبب من اسباب الموت والقتل انفعها وارجاها انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا لان كنا

وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٠﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا
هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا
إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٣﴾
قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَ
عِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَىٰ
مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٦﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ
سَاجِدِينَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ
﴿٤٩﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ
السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ
وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا

اوّل المؤمنين من اتباع فرعون او من اهل المشهد والجملة فى المعنى تعليل ثان لنفى الضير او تعليل للعلة المتقدمة وقرئ ان كنا على الشرط لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره ان احسنت اليك فلا تنس حقى وذلك بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الآيات فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا واوحينا الى موسى ان اسر بعبادى وقرأ ابن كثير ونافع ان اسر بكسر النون ووصل الالف من سرى وقرئ ان سر من السير انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده وهو علة الامر بالاسراء اى اسر بهم حتى اذا اتبعوكم مصبحين كان لكم تقدم عليهم بحيث لا يدركونكم قبل وصولكم الى البحر بل يكونون على اثركم حين تلجون البحر فيدخلون مدخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بسراهم فى المدائن حاشرين العساكر ليتبعوهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون على ارادة القول وانما استقلهم وكانوا ستمائة وسبعين الفا بالاضافة الى جنوده اذ روى انه خرج وكانت مقدمته سبعمائة الف والشرذمة الطائفة القليلة ومنها

اَوَّلَ الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٥١﴾ وَاَوْحَيْنَآ اِلٰى مُوْسٰٓى اَنْ اَسْرِ بِعِبَادِيْٓ اِنَّكُمْ مُّتَّبَعُوْنَ ﴿٥٢﴾ فَاَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَآئِنِ حٰشِرِيْنَ ﴿٥٣﴾ اِنَّ هٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيْلُوْنَ ﴿٥٤﴾ وَاِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُوْنَ ﴿٥٥﴾ وَاِنَّا لَجَمِيْعٌ حٰذِرُوْنَ ﴿٥٦﴾ فَاَخْرَجْنٰهُمْ مِّنْ جَنّٰتٍ وَّعُيُوْنٍ ﴿٥٧﴾ وَّكُنُوْزٍ وَّمَقَامٍ كَرِيْمٍ ﴿٥٨﴾ كَذٰلِكَ وَاَوْرَثْنٰهَا بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ﴿٥٩﴾ فَاَتْبَعُوْهُمْ مُّشْرِقِيْنَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَآءَ الْجَمْعٰنِ قَالَ اَصْحٰبُ مُوْسٰٓى اِنَّا لَمُدْرَكُوْنَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا اِنَّ مَعِيَ رَبِّيْ سَيَهْدِيْنِ ﴿٦٢﴾ فَاَوْحَيْنَآ اِلٰى مُوْسٰٓى اَنِ اضْرِبْ بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيْمِ ﴿٦٣﴾ وَاَزْلَفْنَا ثَمَّ الْاٰخَرِيْنَ ﴿٦٤﴾ وَاَنْجَيْنَا مُوْسٰى وَمَنْ مَّعَهٗٓ اَجْمَعِيْنَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ اَغْرَقْنَا الْاٰخَرِيْنَ ﴿٦٦﴾ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً ؕ وَمَا كَانَ اَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِيْنَ ﴿٦٧﴾ وَاِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ﴿٦٨﴾

ثوب شراذم لما بلى وتقطع وقليلون باعتبار انهم اسباط كل سبط منهم قليل وانهم لنا لغائظون لفاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حاذرون وانا لجميع من عادتنا الحذر واستعمال الحزم فى الامور اشار اولا الى عدم ما يمنع اتباعهم من شوكتهم ثم الى تحقق ما يدعوا اليه من فرط عداوتهم ووجوب التيقظ فى شأنهم حثا عليه واعتذر بذلك الى اهل المدائن كيلا يظن به ما يكسر سلطانه وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان والكوفيون حاذرون والاوّل للثبات والثانى للتجدد وقيل الحاذر المؤدى فى السلاح وهو ايضا من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا وقرئ حادرون بالدال اى اقوياء قال احب الصبى السوء من اجل امه وابغضه من بغضها وهو حادر اوتاموا السلاح فان ذلك يوجب حدارة فى اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا داعية الخروج بهذا السبب فحملناهم عليه من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم يعنى المنازل الحسنة والمجالس البهية كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم فهو مصدر او مثل ذلك المقام الذى كان لهم على انه صفة مقام او الامر كذلك فيكون خبر المحذوف واورثناها بنى اسرائيل فاتبعوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين فى وقت شروق الشمس فلما تراءا الجمعان تقاربا بحيث رأى كل منهما الآخر وقرئ تراءت الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون لملحقون وقرئ لمدركون من ادرك الشئ اذا تتابع ففنى اى لمتتابعون فى الهلاك على ايديهم قال كلا لن يدركوكم فان الله وعدكم الخلاص منهم ان معى ربى بالحفظ والنصرة سيهدين طريق النجاة منهم روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى فقال اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولعلى اومر بما اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق اى فضرب فانفلق وصار اثنى عشر فرقا بينها مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت فى مقره فدخلوا فى شعابها كل سبط فى شعب وازلفنا وقربنا ثم الآخرين فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا ثم اغرقنا الآخرين باطباقه عليهم ان فى ذلك لآية واية آية وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم اذ لم يؤمن بها احد ممن بقى فى مصر من القبط وبنوا اسرائيل بعدما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه

واتل عليهم على مشركي العرب نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سألهم ليريهم ان ما يعبدونه لا يستحق العبادة قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين فاطالوا جوابهم بشرح حالهم معه تبجحا به وافتخارا ونظل ههنا بمعنى ندوم وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة اذ تدعون عليه وقرئ يسمعونكم اي يسمعونكم الجواب عن دعائكم ومجيئه مضارعا مع اذ على حكاية الحال الماضية استحضارا لها او ينفعونكم على عبادتكم لها او يضرون من اعرض عنها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اضربوا عن ان يكون لهم سمع او يتوقع منهم ضر او نفع والتجأوا الى التقليد قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فان التقدم لا يدل على الصحة ولا ينقلب به الباطل حقا فانهم عدو لي يريد انهم اعداء لعابديهم من حيث انهم يتضررون من جهتهم فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او ان المغري بعبادتهم اعدى اعدائهم وهو الشيطان لكنه صور الامر في نفسه تعريضا لهم فانه انفع في النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او بمعنى النسب الا رب العالمين استثناء منقطع او متصل على ان الضمير لكل معبود عبدوه وكان من آبائهم من عبد الله الذي خلقني فهو يهدين لانه يهدي كل مخلوق لما خلق له من امور المعاش والمعاد كما قال والذي قدر فهدى هداية مدرجة من مبدأ ايجاده الى منتهى اجله يتمكن بها من جلب المنافع ودفع المضار مبدأها بالنسبة الى الانسان هداية الجنين الى امتصاص دم الطمث من الرحم ومنتهاها الهداية الى طريق الجنة والتنعم بلذائذها والفاء للسببية ان جعل الموصول مبتدأ وللعطف ان جعل صفة رب العالمين فيكون اختلاف النظم لتقدم الخلق واستمرار الهداية وقوله والذي هو يطعمني ويسقين على الاول مبتدأ محذوف الخبر لدلالة ما قبله عليه وكذا اللذان بعده وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على ان كل واحدة من الصلات مستقلة باقتضاء الحكم واذا مرضت فهو يشفين عطف على يطعمني ويسقين لانه من روادفهما من حيث ان الصحة والمرض في الاغلب يتبعان المأكول والمشروب وانما لم ينسب المرض اليه لان مقصوده تعديد النعم ولا ينتقض باسناد الاماتة اليه فان الموت من حيث انه لا يحس به لا ضرر فيه انما الضرر في مقدماته وهي المرض ثم انه لاهل الكمال وصلة الى نيل المحاب التي يستحقر دونها الحياة الدنيوية وخلاص من انواع المحن والبلية ولان المرض في غالب الامر انما يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وبما بين الاخلاط والاركان من التنافي والتنافر والصحة انما تحصل باستحفاظ اجتماعها والاعتدال المخصوص عليها قهرا وذلك بقدرة العزيز الحكيم والذي يميتني ثم يحيين في الآخرة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ذكر ذلك هضما لنفسه وتعليما للامة ان يجتنبوا المعاصي ويكونوا على حذر وطلب لان يغفر لهم ما يفرط منهم واستغفار لما عسى يندر منه من الصغائر وحمل الخطيئة على كلماته الثلاث اني سقيم بل فعله كبيرهم وقوله هي اختي ضعيف لانها معاريض وليست خطايا رب هب لي حكما كمالا في العلم والعمل استعد به لخلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني للكمال في العمل لانتظم به في عداد الكاملين في الصلاح الذين لا يشوب صلاحهم كبير ذنب ولا صغيره واجعل لي لسان صدق في الآخرين جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك ما من امة الا وهم محبون له مثنون عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه وهو محمد صلوات الله وسلامه عليه واجعلني من ورثة جنة النعيم في الآخرة وقد مر معنى الوراثة فيها واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان انه كان من الضالين طريق الحق وان كان هذا الدعاء بعد موته فلعله كان لظنه انه كان يخفي الايمان تقية من نمرود ولذلك وعده به او لانه لم يمنع بعد من الاستغفار للكفار ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن رتبة بعض الوراث او بتعذيبي لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا او بتعذيب والدي او ببعثه في عداد الضالين وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون الضمير للعباد لانهم معلومون او للضالين

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ ﴿٧٣﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٦﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٧﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٨﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٨٠﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٣﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٦﴾ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٨﴾

يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اى لا ينفعان احدا الا مخلصا سليم القلب من الكفر وميل المعاصى وسائر آفاته او لا ينفعان الا مال من هذا شأنه وبنوه حيث انفق ماله فى سبيل البر وارشد بنيه الى الحق وحثهم على الخير وقصد بهم ان يكونوا عباد الله مطيعين شفعاء له يوم القيامة وقيل الاستثناء مما دل عليه المال والبنون اى لا ينفع غنى الاغناء وقيل منقطع والمعنى ولكن سلامة من اتى الله بقلب سليم تنفعه وازلفت الجنة للمتقين بحيث يرونها من الموقف فيتبجحون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فيرونها مكشوفة ويتحسرون على انهم المسوقون اليها وفى اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله اين آلهتكم الذين تزعمون انهم شفعاؤكم هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم لانهم وآلهتهم يدخلون النار كما قال فكبكبوا فيها هم والغاوون اى الالهة وعبدتهم والكبكبة تكرير الكب لتكرير معناه كأن من القى فى النار ينكب مرة بعد اخرى حتى يستقر فى قعرها وجنود ابليس متبعوه من عصاة الثقلين او شياطينه اجمعون تاكيد للجنود ان جعل مبتدأ خبره ما بعده او للضمير وما عطف عليه وكذا الضمير المنفصل وما يعود اليه فى قوله قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين على ان الله ينطق الاصنام فتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب فى قوله اذ نسويكم برب العالمين اى فى استحقاق العبادة ويجوز ان تكون الضمائر للعبدة كما فى قالوا والخطاب للمبالغة فى التحسر والندامة والمعنى انهم مع تخاصمهم فى مبدأ ضلالهم معترفون بانهماكهم فى الضلالة متحسرون عليها وما اضلنا الا المجرمون فما لنا من شافعين كما للمؤمنين من الملائكة والانبياء ولا صديق حميم اذ الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ممن نعدهم شفعاء واصدقاء او وقعنا فى مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق وجمع الشافع ووحدة الصديق لكثرة الشفعاء فى العادة وقلة الصديق ولان الصديق الواحد يسعى اكثر مما يسعى الشفعاء او لاطلاق الصديق على الجمع كالعدو لانه فى الاصل مصدر كالحنين والصهيل فلو ان لنا كرة تمن للرجعة واقيم فيه لو مقام ليت لتلاقيهما فى معنى التقدير او شرط حذف جوابه فنكون من المؤمنين جواب التمنى او عطف على كرة اى لو ان لنا ان نكر فنكون ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصة ابرهيم لاية لحجة وعظة لمن اراد ان يستبصر بها ويعتبر فانها جاءت على انظم ترتيب واحسن تقرير يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الاشارة الى اصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحسن دعوته للقوم وحسن مخالقته معهم وكمال اشفاقه عليهم وتصور الامر فى نفسه واطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضا وايقاظا لهم ليكون ادعى لهم الى الاستماع والقبول وما كان اكثرهم اكثر قومه مؤمنين به وان ربك لهو العزيز القادر على تعجيل الانتقام الرحيم بالامهال لكى يؤمنوا او احد من ذريتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة ولذلك تصغر على قويمة وقدم الكلام فى تكذيبهم للمرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح لانه كان منهم الا تتقون الله فتتركوا عبادة غيره انى لكم رسول امين مشهور بالامانة فيكم

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٩٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩١﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩٢﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٣﴾ مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٤﴾ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٥﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٧﴾ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٨﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٠٠﴾ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ﴿١٠١﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٧﴾ إِنِّي لَكُمْ

فاتقوا الله واطيعون فيما آمركم به من التوحيد والطاعة لله وما اسئلكم عليه على ما انا عليه من الدعاء والنصح من اجر ان اجرى الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتنبيه على دلالة كل واحد من امانته وحسم طمعه على وجوب طاعته فيما يدعوهم اليه فكيف اذا اجتمعا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون الاقلون جاها ومالا جمع الارذل على الصحة وقرأ يعقوب واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او تبع كبطل وابطال وهذا من سخافة عقلهم وقصور رأيهم على الحطام الدنيوية حتى جعلوا اتباع المقلين فيها مانعا عن اتباعهم وايمانهم بما يدعوهم اليه دليلا على بطلانه واشاروا بذلك الى ان اتباعهم ليس عن نظر وبصيرة وانما هو لتوقع مال ورفعة فلذلك قال وما علمي بما كانوا يعملون انهم عملوه اخلاصا او طمعا في طعمة وما علىّ الا اعتبار الظاهر ان حسابهم الا على ربى ما حسابهم على بواطنهم الا على الله فانه المطلع عليها لو تشعرون لعلمتم ذلك ولكنكم تجهلون فتقولون ما لا تعلمون وما انا بطارد المؤمنين جواب لما اوهم قولهم من استدعاء طردهم وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه وقوله ان انا الا نذير مبين كالعلة له اى ما انا الا رجل مبعوث لانذار المكلفين عن الكفر والمعاصى سوآء كانوا اعزآء او اذلاء فكيف يليق بى طرد الفقرآء لاستتباع الاغنياء او ما علىّ الا انذاركم انذارا بينا بالبرهان الواضح ولا علىّ ان اطردهم لاسترضائكم قالوا لئن لم تنته يا نوح عما تقول لتكونن من المرجومين من المشتومين او المضروبين بالحجارة قال رب ان قومى كذبون اظهارا لما يدعو عليهم لاجله وهو تكذيب الحق لا تخويفهم له واستخفافهم عليه فافتح بينى وبينهم فتحا فاحكم بينى وبينهم من الفتاحة ونجنى ومن معى من المؤمنين من قصدهم او شؤم عملهم فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون المملوء ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين من قومه ان فى ذلك لاية شاعت وتواترت وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار القبيلة وهو فى الاصل اسم ابيهم

رسول امين ﴿١٠٨﴾ فاتقوا الله واطيعون ﴿١٠٩﴾ وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين ﴿١١٠﴾ فاتقوا الله واطيعون ﴿١١١﴾ قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون ﴿١١٢﴾ قال وما علمى بما كانوا يعملون ﴿١١٣﴾ ان حسابهم الا على ربى لو تشعرون ﴿١١٤﴾ وما انا بطارد المؤمنين ﴿١١٥﴾ ان انا الا نذير مبين ﴿١١٦﴾ قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين ﴿١١٧﴾ قال رب ان قومى كذبون ﴿١١٨﴾ فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين ﴿١١٩﴾ فانجيناه ومن معه فى الفلك المشحون ﴿١٢٠﴾ ثم اغرقنا بعد الباقين ﴿١٢١﴾ ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ﴿١٢٢﴾ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٢٣﴾ كذبت عاد المرسلين ﴿١٢٤﴾ اذ قال لهم اخوهم هود

حزب

اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين تصدير القصص بها دلالة على ان البعثة مقصورة على الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ثوابه ويبعده عن عقابه وكان الانبياء متفقين على ذلك وان اختلفوا فى بعض التفاريع مبرئين من المطامع الدنية والاغراض الدنيوية اتبنون بكل ريع بكل مكان مرتفع ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم فى اسفارهم فلا يحتاجون اليها او بروج الحمام او بنيانا يجتمعون اليه للعبث بمن يمر عليهم او قصورا يفتخرون بها وتتخذون مصانع مآخذ الماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون فتحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ونظر فى العاقبة فاتقوا الله بترك هذه الاشياء واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذى امدكم بما تعلمون كرره مرتبا على امداد الله اياهم بما يعرفونه من انواع النعم تعليلا وتنبيها على الوعد عليه بدوام الامداد والوعيد على تركه بالانقطاع ثم فصل بعض تلك النعم كما فصل بعض مساويهم المدلول عليها اجمالا بالانكار فى الا تتقون مبالغة فى الايقاظ والحث على التقوى فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون ثم اوعدهم فقال انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فى الدنيا والآخرة فانه كما قدر على الانعام قدر على الانتقام قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لا نرعوى عما نحن عليه وتغيير شق النفى عما يقتضيه المقابلة للمبالغة فى قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين ما هذا الذى جئتنا به الا كذب الاولين او ما خلقنا هذا الا خلقهم نحيى ونموت مثلهم ولا بعث ولا حساب وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة خلق بضمتين اى ما هذا الذى جئت به الا عادة الاولين كانوا يلفقون مثله او ما هذا الذى نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذى نحن عليه من الحياة والموت الا عادة قديمة لم يزل الناس عليها وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه فكذبوه فاهلكناهم بسبب التكذيب بريح صرصر

الا تتقون ﴿١٢٤﴾ انى لكم رسول امين ﴿١٢٥﴾ فاتقوا الله واطيعون ﴿١٢٦﴾ وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين ﴿١٢٧﴾ اتبنون بكل ريع اية تعبثون ﴿١٢٨﴾ وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴿١٢٩﴾ واذا بطشتم بطشتم جبارين ﴿١٣٠﴾ فاتقوا الله واطيعون ﴿١٣١﴾ واتقوا الذى امدكم بما تعلمون ﴿١٣٢﴾ امدكم بانعام وبنين ﴿١٣٣﴾ وجنات وعيون ﴿١٣٤﴾ انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ﴿١٣٥﴾ قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين ﴿١٣٦﴾ ان هذا الا خلق الاولين ﴿١٣٧﴾ وما نحن بمعذبين ﴿١٣٨﴾ فكذبوه فاهلكناهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين ﴿١٣٩﴾ وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴿١٤٠﴾ كذبت ثمود المرسلين ﴿١٤١﴾ اذ قال لهم

ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين
امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون فيما ههنا امنين انكار لان يتركوا كذلك او تذكير بالنعمة
في تخلية الله اياهم واسباب تنعمهم آمنين ثم فسره بقوله في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم لطيف لين للطف الثمر ولان النخل
انثى وطلع اناث النخل الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو او متدل منكسر من كثرة الحمل وافراد النخل لفضله
على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق
يعمل بنشاط وطيب قلب وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي
هي انقياد الآمر لامتثال الامر او نسب حكم الآمر الى امره مجازا
الذين يفسدون في الارض وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف
ولا يصلحون على يفسدون دلالة على خلوص فسادهم قالوا انما
انت من المسحرين الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقلهم
او من ذوي السحر وهي الرئة اي من الاناسي فيكون ما انت الا بشر
مثلنا تأكيدا له فأت باية ان كنت من الصادقين في دعواك
قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله من الصخرة بدعائه كما
اقترحوها لها شرب نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ
من السقي والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم
فاقتصروا على شربكم ولا تزاحموها في شربها ولا تمسوها بسوء
كضرب وعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم
لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من تعظيم العذاب فعقروها
اسند العقر الى كلهم لان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك
اخذوا جميعا فاصبحوا نادمين على عقرها خوفا من حلول
العذاب لا توبة او عند معاينة العذاب ولذلك لم ينفعهم
فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية
وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء بانه لو آمن اكثرهم او
شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من آمن منهم

اَخُوهُمْ صَالِحٌ اَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ اِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ اَمِينٌ ﴿١٤٣﴾
فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ اَجْرٍ اِنْ
اَجْرِيَ اِلَّا عَلٰى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ اَتُتْرَكُونَ فِي مَا هٰهُنَا اٰمِنِينَ ﴿١٤٦﴾
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾
وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾
وَلَا تُطِيعُوا اَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ اَلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْاَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا اِنَّمَا اَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا اَنْتَ اِلَّا بَشَرٌ
مِثْلُنَا فَأْتِ بِاٰيَةٍ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هٰذِهِ
نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا
بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَاَصْبَحُوا
نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَاَخَذَهُمُ الْعَذَابُ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً وَمَا كَانَ

كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اتاتون الذكران من العالمين اى اتأتون من بين من عداكم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون الذكران من اولاد آدم مع كثرتهم وغلبة الاناث فيهم كانهن قد اعوزتكم فالمراد بالعالمين على الاول كل من ينكح وعلى الثانى الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم من ازواجكم لبيان ما خلق ان اريد به جنس الاناث او للتبعيض ان اريد به العضو المباح منهن فيكون تعريضا بانهم كانوا يعملون مثل ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات او مفرطون فى المعاصى وهذا من جملة ذلك او احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه الجريمة قالوا لئن لم تنته يالوط عما تدعيه او عن نهينا او تقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من المنفيين من بين اظهرنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على عنف وسوء حال قال انى لعملكم من القالين من المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد وهو ابلغ من ان يقول انى لعملكم قال لدلالته على انه معدود فى زمرتهم مشهور بانه من جملتهم رب نجنى واهلى مما يعملون اى من شؤمه وعذابه فنجيناه واهله اجمعين اهل بيته والمتبعين له على دينه باخراجهم من بينهم وقت حلول العذاب بهم الا عجوزا هى امرأة لوط فى الغابرين مقدرة فى الباقين فى العذاب اصابها حجر فى الطريق فاهلكها لانها كانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل كانت فيمن بقى فى القرية فانها لم تخرج مع لوط ثم دمرنا الآخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا قيل امطر الله على شذاذ القوم حجارة فاهلكهم فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف اليه فاعل ساء والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة غيضة تنبت ناعم الشجر يريد غيضة بقرب مدين تسكنها طائفة فبعث الله اليهم شعيبا كما بعث الى مدين وكان اجنبيا منهم فلذلك قال

أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٧﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٨﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٩﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧١﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧٢﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ

اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم شعيب وقيل الايكة شجر ملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر ليكة بحذف الهمزه والقاء حركتها على اللام وقرئت كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم مسكنهم وانما كتبت ههنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل أتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوق الناس بالتطفيف وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان السوىّ وهو ان كان عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تنقصوا شيأ من حقوقهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين وذوى الجبلة الاولين يعنى من تقدمهم من الخلائق قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا اتوا بالواو للدلالة على انه جامع بين وصفين منافيين للرسالة مبالغة فى تكذيبه وان نظنك لمن الكاذبين فى دعواك فاسقط علينا كسفا من السماء قطعة منها ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد وقرأ حفص بفتح السين ان كنت من الصادقين فى دعواك قال ربى اعلم بما تعملون وبعذابه المنزل عليكم ما اوجبه لكم عليه فى وقته المقدر له لا محالة فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة على نحو ما اقترحوا بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام حتى غلت انهارهم واظلتهم سحابة فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا انه كان عذاب يوم عظيم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم هذا آخر القصص السبع المذكورة على الاختصار تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين به واطراد نزول العذاب على تكذيب الامم بعد انذار الرسل به واقتراحهم له استهزاء وعدم مبالاة به يدفع ان يقال انه كان بسبب اتصالات فلكية اوكان ابتلاء لهم لا مؤاخذة على تكذيبهم

لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٦﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ
﴿١٧٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٩﴾
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٨٠﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨١﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ
﴿١٨٢﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٣﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٤﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي
خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ
﴿١٨٦﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٧﴾
فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٨﴾
قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٩﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ
يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٩٠﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً

وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك تقرير لحقية تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا من الله عز وجل والقلب ان اراد به الروح فذاك وان اراد به العضو فتخصيصه لان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد منه الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الامين جبرائيل فانه امين الله على وحيه وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بتشديد الزاي ونصب الروح والامين لتكون من المنذرين عما يؤدي الى عذاب من فعل او ترك بلسان عربي مبين واضح المعنى لئلا يقولوا ما نصنع بما لا نفهمه فهو متعلق بنزل ويجوز ان يتعلق بالمنذرين اي لتكون ممن انذروا بلغة العرب وهم هود وصالح واسماعيل وشعيب ومحمد عليه الصلاة والسلام وانه لفي زبر الاولين وان ذكره او معناه لفي الكتب المتقدمة اولم يكن لهم آية على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان يعلمه علماء بني اسرائيل ان يعرفوه بنعته المذكور في كتبهم وهو تقرير لكونه دليلا وقرأ ابن عامر تكن بالتاء وآية بالرفع على انها الاسم والخبر لهم وان يعلمه بدلا والفاعل وان يعلمه بدل ولهم حال او ان الاسم ضمير القصة وآية خبر ان يعلمه والجملة خبر تكن ولو نزلناه على بعض الاعجمين كما هو زيادة في اعجازه او بلغة العجم فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين لفرط عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم والاعجمين جمع اعجمي على التخفيف ولذلك جمع جمع السلامة كذلك سلكناه ادخلناه في قلوب المجرمين والضمير للكفر المدلول عليه بقوله ما كانوا به مؤمنين فتدل الآية على انه بخلق الله وقيل للقرآن اي ادخلناه فيها فعرفوا معانيه واعجازه ثم لم يؤمنوا به عنادا لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم الملجئ الى الايمان فيأتيهم بغتة في الدنيا والآخرة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا وتأسفا افبعذابنا يستعجلون فيقولون امطر علينا حجارة من السماء فائتنا بما تعدنا وحالهم عند نزول العذاب طلب النظرة افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول في دفع العذاب وتخفيفه وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون انذروا اهلها الزاما للحجة

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾

ذكرى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها في معنى الانذار او الرفع على انها صفة منذرون باضمار ذووا او بجعلهم ذكرى لامعانهم في التذكرة او خبر محذوف والجملة اعتراضية وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقبل الانذار وما تنزلت به الشياطين كما زعم المشركون انه من قبيل ما تلقي الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما يصح لهم ان يتنزلوا به وما يستطيعون وما يقدرون انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانه مشروط بمشاركة في صفات الذات وقبول فيضان الحق والانتقاش بالصور الملكوتية ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات لا تقبل ذلك والقرآن مشتمل على حقائق ومغيبات لا يمكن تلقيها الا من الملائكة فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين تهييج لازدياد الاخلاص ولطف لسائر المكلفين وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان الاهتمام بشأنهم اهم روي انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا اليه فقال لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين لين جانبك لهم مستعار من خفض الطائر جناحه اذا اراد ان ينحط ومن للتبيين لان من اتبع اعم ممن اتبع لدين او غيره او للتبعيض على ان المراد من المؤمنين المشارفون للايمان او المصدقون باللسان

ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٠﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١١﴾
وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٢﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ
﴿٢١٣﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَنْذِرْ
عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٥﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
﴿٢١٦﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى
الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٨﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٩﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي
السَّاجِدِينَ ﴿٢٢٠﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢١﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ
عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٢﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٣﴾
يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ
الْغَاوُونَ ﴿٢٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٦﴾ وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٧﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون مما تعملونه او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذي يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم وقرأ نافع وابن عامر فتوكل على الابدال من جواب الشرط الذي يراك حين تقوم الى التهجد وتقلبك في الساجدين وترددك في تصفح احوال المتهجدين كما روي انه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون حرصا على كثرة طاعاتهم فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع بها من دندنتهم بذكر الله وتلاوة القرآن او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصفه الله تعالى بعلمه بحاله التي بها يستأهل ولايته بعد ان وصفه بان من شأنه قهر اعدائه ونصر اوليائه تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه عليه انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم لما بين ان القرآن لا يصح ان يكون مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك بان بين ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يصلح لان يتنزلوا عليه من وجهين احدهما انه انما يكون على شرير كذاب كثير الاثم فان اتصال الانسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد وحال محمد صلوات الله عليه وسلامه على خلاف ذلك وثانيهما قوله يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون منهم ظنونا وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم اشياء لا يطابق اكثرها كما جاء في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد عليه الصلاة والسلام فانه اخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وقد فسر الاكثر بالكل لقوله كل افاك اثيم والاظهر ان الاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل من يصدق منهم فيما يحكي عن الجني وقيل الضمائر للشياطين اي يلقون السمع الى الملأ الاعلى قبل ان رجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات ويوحون به الى اوليائهم او يلقون مسموعهم منهم الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم والشعراء يتبعهم الغاوون واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كذلك وهو استئناف ابطل كونه شاعرا وقرره بقوله الم تر انهم في كل واد يهيمون لان اكثر مقدماتهم خيالات لا حقيقة لها واغلب كلماتهم في النسيب بالحرم والغزل والابتهار وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والوعد الكاذب والافتخار الباطل ومدح من لا يستحقه والاطراء فيه واليه اشار بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون فكأنه لما كان اعجاز القرآن من جهة المعنى واللفظ وقد قدحوا في المعنى بانه مما تنزلت به الشياطين وفي اللفظ بانه من جنس كلام الشعراء تكلم في القسمين وبين منافاة القرآن لهما ومضادة حال الرسول عليه السلام لحال اربابهما وقرأ نافع يتبعهم على التخفيف وقرئ بالتشديد وتسكين العين تشبيها لبعه بعضد

الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثناء للشعرآء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله ويكون اكثر اشعارهم في التوحيد والثناء على الله والحث على طاعته ولو قالوا هجوا ارادوا به الانتصار ممن هجاهم ومكافحة هجاة المسلمين كعبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبين وكان عليه السلام يقول لحسان قل وروح القدس معك وعن كعب بن مالك انه عليه السلام قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون اي بعد الموت من الابهام والتهويل وقد تلاها ابوبكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ باي منفلت ينفلتون من الانفلات وهو النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ

وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ﴿٢٢٧﴾

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون اية

٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

طس تلك ايات القران وكتاب مبين ﴿١﴾ هدى وبشرى للمؤمنين ﴿٢﴾ الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون ﴿٣﴾ ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون ﴿٤﴾ اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم في الاخرة هم الاخسرون ﴿٥﴾ وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم ﴿٦﴾ اذ قال موسى لاهله اني انست نارا سأتيكم

سورة الشعرآء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلوات الله عليهما اجمعين سورة النمل مكية وهي ثلاث او اربع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم طس تلك ايات القران وكتاب مبين الاشارة الى اي السورة والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه خط فيه ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه وتأخيره باعتبار تعلق علمنا به وتقديمه في الحجر باعتبار الوجود او القرآن وابانته لما اودع فيه من الحكم والاحكام او لصحته باعجازه وعطفه على القرآن كعطف احدى الصفتين على الاخرى وتنكيره للتعظيم وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الآيات والعامل فيهما معنى الاشارة او بدلان منها او خبران آخران او خبر ان لمحذوف الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة الذين يعملون الصالحات من الصلاة والزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون من تتمة الصلة والواو للحال او للعطف وتغيير النظم للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم الاوحدون فيه او جملة اعتراضية كأنه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة فان تحمل المشاق انما يكون لخوف العاقبة والوثوق على المحاسبة وتكرير الضمير للاختصاص ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم زين لهم اعمالهم القبيحة بان جعلها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس او الاعمال الحسنة التي وجب عليهم ان يعملوها بترتيب المثوبات عليها فهم يعمهون عنها لا يدركون ما يتبعها من ضر او نفع اولئك الذين لهم سوء العذاب كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الآخرة هم الاخسرون اشد الناس خسرانا لفوت المثوبة واستحقاق العقوبة وانك لتلقى القرآن لتؤتاه من لدن حكيم عليم اي حكيم واي عليم والجمع بينهما مع ان العلم داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان علوم القرآن منها ما هي حكمة كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان بعض تلك العلوم بقوله اذ قال موسى لاهله اني انست نارا اي اذكر قصته اذ قال ويجوز ان يتعلق بعليم سأتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق لانه قد ضله وجمع الضمير ان صح انه لم يكن معه غير امرأته لما كنى عنها بالاهل والسين للدلالة على بعد المسافة والوعد بالاتيان وان ابطأ



مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٠﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٤﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ

او اتيكم بشهاب قبس شعلة نار مقبوسة واضافة الشهاب اليه لانه يكون قبسا وغير قبس ونوّنه الكوفيون ويعقوب على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والعدتان على سبيل الظنّ ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجى فى طله والترديد للدلالة على انه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر وثقة بعادة الله تعالى انه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودى ان بورك اى بورك فانّ النداء فيه معنى القول او بان بورك على انها مصدرية او مخففة من الثقيلة والتخفيف وان اقتضى التعويض بلا او قد او السين او سوف لكنه دعاء وهو يخالف غيره فى احكام كثيرة من فى النار ومن حولها من فى مكان النار وهو البقعة المباركة المذكورة فى قوله تعالى نودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة ومن حول مكانها والظاهر انه عام فى كل من فى تلك البقعة وحواليها من ارض الشأم الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم احياء وامواتا وخصوصا تلك البقعة التى كلّم الله فيها موسى وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضى له امر عظيم ينتشر بركته فى اقطار الشأم وسبحان الله رب العالمين من تمام ما نودى به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجيب من عظمة ذلك الامر او تعجب من موسى لما دهاه من عظمته يا موسى انه انا الله الهاء للشأن وانا الله جملة مفسرة له او للمتكلم وانا خبره والله بيان له العزيز الحكيم صفتان لله ممهدتان لما اراد ان يظهره يريد انا القوىّ القادر على ما يبعد عن الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير والق عصاك عطف على بورك اى نودى ان بورك من فى النار وان الق ويدل عليه قوله وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى انى انا الله بتكرير أن فلما رآها تهتز تتحرك باضطراب كانها جان حية خفيفة سريعة وقرئ جأنّ على لغة من جدّ فى الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا ولم يعقب ولم يرجع من عقب المقاتل اذا كرّ بعد الفرار وانما رعب لظنه ان ذلك لأمر اريد به ويدل عليه قوله يا موسى لا تخف اى من غيرى ثقة بى او مطلقا لقوله انى لا يخاف لدىّ المرسلون حين يوحى اليهم من فرط الاستغراق فانهم اخوف الناس من الله ولا يكون لهم عندى سوء عاقبة فيخافون منه الا من ظلم ثم بدّل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم استثناء منقطع استدرك به ما يختلج فى الصدر من نفى الخوف عن كلهم وفيهم من فرطت منه صغيرة فانهم وان فعلوها اتبعوا فعلها ما يبطلها ويستحقون به من الله مغفرة ورحمة فانه لا يخافا يضا وقصد تعريض موسى بوكزه القبطى وقيل متصل وثم بدل مستأنف معطوف على محذوف اى من ظلم ثم بدّل ذنبه بالتّوبة وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجاب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء آفة كبرص فى تسع ايات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم ولمن عدّ العصا واليد من التسع ان يعدّ الاخيرين واحدا ولا يعدّ الفلق لانه لم يبعث به الى فرعون او اذهب فى تسع آيات على انه استئناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاوّلين يتعلق بنحو مبعوثا ومرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم آياتنا بان جاءهم موسى بها مبصرة بينة اسم فاعل اطلق للمفعول اشعارا بانها لفرط اجتلائها للابصار بحيث تكاد تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات بصر من حيث انها تهدى والعمى لا تهتدى فضلا عن ان تهدى او مبصرة كل من نظر اليها وتأمل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصر قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها وكذبوا بها واستيقنتها انفسهم وقد استيقنتها لان الواو للحال ظلما لانفسهم وعلوّا ترفعا عن الايمان وانتصابهما على العلة من جحدوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهو علم الحكم والشرائع او علما اىّ علم وقالا الحمد لله عطفه بالواو اشعارا بان ما قالاه بعض ما أتيا به فى مقابلة هذه النعمة كانه قال ففعلا شكرا له ما فعلا وقالا الحمد لله

الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين يعنى من لم يؤت علما او مثل علمها وفيه دليل على فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه ماا وتيا من الملك الذى لم يؤت غيرهما وتحريض العالم على ان يحمد الله تعالى على ما آتاه من فضله وان يتواضع ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير وورث سليمان داود النبوة او العلم او الملك بان قام مقامه فى ذلك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شئ تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك من عظائم ما اوتيه والنطق والمنطق فى التعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا كان او مركبا وقد يطلق لكل ما يصوت به على التشبيه او التبع كقولهم نطقت الحمامة ومنه الناطق والصامت للحيوان والجماد فان الاصوات الحيوانية من حيث انها تابعة للتخيلات منزلة منزلة العبارات سيما وفيها ما يتفاوت باختلاف الاغراض بحيث يفهمها ما هو من جنسه ولعل سليمان عليه الصلاة والسلام مهما سمع صوت حيوان علم بقوته الحدسية التخيل الذى صوته والغرض الذى توخاه به ومن ذلك

مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمٰنُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمٰنَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتّٰى إِذَا أَتَوْا عَلٰى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمٰنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلٰى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضٰيهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ

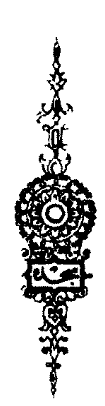
ما حكى انه مر ببلبل يصوت ويترقص فقال يقول اذا اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فقال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا فلعله كان صوت البلبل عن شبع وفراغ بال وصياح الفاختة عن مقاساة شدة وتألم قلب والضمير فى علمنا واوتينا له ولابيه او له وحده على عادة الملوك لمراعاة قواعد السياسة والمراد من كل شئ كثرة ما اوتى كقولك فلان يقصده كل احد ويعلم كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين الذى لا يخفى على احد وحشر وجمع لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون يحبسون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا حتى اذا اتوا على واد النمل واد بالشأم كثير النمل وتعدية الفعل اليه بعلى اما لان اتيانهم كان من عال او لان المراد قطعه من قولهم اتى على الشئ اذا نفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا اخريات الوادى قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم كانها لما رأتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة فنبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك اجروا مجراهم مع انه لا يمتنع ان خلق الله فيها العقل والنطق لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهى لهم عن الحطم والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم لا ارينك ههنا فهو استئناف او بدل من الامر لا جواب له فان النون لا يدخله فى السعة وهم لا يشعرون انهم يحطمونكم اذ لو شعروا لم يفعلوا كانها شعرت عصمة الانبياء من الظلم والايذاء وقيل استئناف اى فهم سليمان والقوم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها وتحذيرها واهتدائها الى مصالحها او سرورا بما خصه الله به من ادراك همسها وفهم غرضها ولذلك سأل توفيق شكره وقال رب اوزعنى ان اشكر نعمتك اجعلنى ازع شكر نعمتك عندى اى اكفه وارتبطه لا ينفلت عنى بحيث لا انفك عنه وقرأ البزى وورش بفتح ياء اوزعنى التى انعمت على وعلى والدى ادرج فيه ذكر والديه تكثيرا للنعمة او تعميما لها فان النعمة عليهما نعمة عليه والنعمة عليه يرجع نفعها اليهما سيما الدينية وان اعمل صالحا ترضيه تماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين

فى عدادهم الجنة وتفقد الطير وتعرف الطير فلم يجد فيها الهدهد فقال ما لى لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين ام منقطعة كأنه لما لم يره ظن انه حاضر ولا يراه لساتر او غيره فقال ما لى لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول بل اهو غائب كأنه يسأل عن صحة ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا كنتف ريشه والقائه فى الشمس او حيث النمل تأكله او جعله مع ضده فى قفص اولاذبحنه ليعتبر به ابناء جنسه اوليأتينى بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف فى الحقيقة على احد الاولين بتقدير عدم الثالث لكن لما اقتضى ذلك وقوع احد الامور الثلاثة ثلث المحلوف عليه بعطفه عليهما فمكث غير بعيد زمانا غير مديد يريد به الدلالة على سرعة رجوعه خوفا منه وقرأ عاصم بفتح الكاف فقال احطت بما لم تحط به يعنى حال سبأ وفى مخاطبته اياه بذلك تنبيه له على ان فى ادنى خلق الله تعالى من احاط علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه نفسه ويتصاغر لديه علمه وقرئ بادغام الطاء فى التاء باطباق وبغير اطباق

وجئتك من سبأ وقرأ ابن كثير وابو عمرو غير مصروف على تأويل القبيلة او البلدة بنبأ يقين بخبر محقق روى انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاء ثم توجه الى اليمن فخرج من مكة صباحا فوافى صنعاء ظهيرة فاعجبته نزاهة ارضها فنزل بها ثم لم يجد الماء وكان الهدهد رائده لانه يحسن طلب الماء فتفقده لذلك فلم يجده اذ حلق حين نزل سليمان فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فتواصفا فطار معه لينظر ما وصف له ثم رجع بعد العصر وحكى ما حكى ولعل فى عجائب قدرة الله وما خص به خاصة عباده اشياء اعظم من ذلك يستكبرها من يعرفها ويستنكرها من ينكرها انى وجدت امرأة تملكهم يعنى بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان والضمير فى تملكهم لسبأ او لاهلها واوتيت من كل شئ يحتاج اليه الملوك ولها عرش عظيم عظمه بالنسبة اليها او الى عروش امثالها وقيل كان ثلاثين ذراعا فى ثلاثين عرضا وسمكا او ثمانين فى ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله كانهم كانوا يعبدونها وزين لهم الشيطان اعمالهم عبادة الشمس وغيرها من

مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٣﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ
مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ
عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٥﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ
الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٦﴾
اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٧﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ
أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ
ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ
إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٣٠﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣١﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ
﴿٣٢﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا

مقابح افعالهم فصدهم عن السبيل سبيل الحق والصواب فهم لا يهتدون اليه الا يسجدوا لله فصدهم لأن لا يسجدوا او زين لهم ان لا يسجدوا على انه بدل من اعمالهم او لا يهتدون الى ان يسجد بزيادة لا وقرأ الكسائى ويعقوب الا بالتخفيف على انها للتنبيه ويا للنداء ومناداه محذوف اى الا يا قوم اسجدوا كقوله الا يا اسلمى يا اسمع اعظك بخطة فقلت سميعا فانطق واصيبى وعلى هذا صح ان يكون استئنافا من الله او من سليمان والوقف على لا يهتدون وكان امرا بالسجود وعلى الاول ذما على تركه وعلى الوجهين يقتضى وجوب السجود فى الجملة لا عند قراءتها وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزة هاء والا تسجدون وهلا تسجدون على الخطاب الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون وصف له بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على سجوده وردا على من يسجد لغيره والخبأ ما خفى فى غيره واخراجه اظهاره وهو يعم اشراق الكواكب وانزال الامطار وانبات النبات بل الانشاء فانه اخراج ما فى الشئ بالقوة الى الفعل والابداع فانه اخراج ما فى الامكان والعدم الى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته وقرأ حفص والكسائى ما تخفون وما تعلنون بالتاء الله لا اله الا هو رب العرش العظيم الذى هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها فبين العظيمين بون عظيم قال سننظر سنتعرف من النظر بمعنى التأمل اصدقت ام كنت من الكاذبين اى ام كذبت والتغيير للمبالغة ومحافظة الفواصل اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر ماذا يرجعون ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول قالت اى بعد ما القى اليها يا ايها الملأ انى القى الى كتاب كريم لكرم مضمونه او مرسله او لانه كان مختوما او لغرابة شانه اذ كانت مستلقية فى بيت مغلقة الابواب فدخل الهدهد من كوة والقاه على نحرها بحيث لم تشعر به انه من سليمان استئناف كأنه قيل لها ممن هو وما هو



فقالت انه اى الكتاب او العنوان من سليمان وانه اى وان المكتوب او المضمون وقرئا بالفتح على الابدال من كتاب او التعليل لكرمه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا على ان مفسرة او مصدرية فيكون بصلته خبر محذوف اى هو او المقصود ان لا تعلوا او بدل من كتاب واتونى مسلمين مؤمنين او منقادين وهذا الكلام فى غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الصانع وصفاته صريحا او التزاما والنهى عن الترفع الذى هو أم الرذائل والامر بالاسلام الجامع لامهات الفضائل وليس الامر فيه بالانقياد قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يكون استدعاء للتقليد فان القاء الكتاب اليها على تلك الحالة من اعظم الادلة قالت يا ايها الملؤا افتونى فى امرى اجيبونى فى امرى الفتى واذكروا ما تستصوبون فيه ما كنت قاطعة امرا ما ابت امرا

حتى تشهدون الا بمحضركم استعطفتهم بذلك ليمالئوها على الاجابة قالوا نحن اولوا قوة بالاجساد والعدد واولوا باس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك موكول فانظرى ماذا تامرين من المقاتلة والصلح نطعك ونتبع رأيك قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها تزييف لما حست منهم من الميل الى المقاتلة بادعائهم القوى الذاتية والعرضية واشعار بالهاترى الصلح مخافة ان يتخطى سليمان خططهم فيسرع الى افساد مايصادفه من اموالهم وعماراتهم ثم ان الحرب سجال لايدرى عاقبتها وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وتخريب ديارهم الى غير ذلك من الاهانة والاسر وكذلك يفعلون تاكيد لما وصفت من حالهم وتقرير بان ذلك من عادتهم الثابتة المستمرة اوتصديق لها من الله عزوجل وانى مرسلة اليهم بهدية بيان لماترى تقديمه للصالحة والمعنى انى مرسلة رسلا بهدية ادفعه بها عن ملكى فناظرة بم يرجع المرسلون من حاله حتى اعمل بحسب ذلك روى انها بعثت منذر بن عمرو فى وفد وارسلت معهم غلمانا على زى الجوارى وجوارى على زى الغلمان وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وقالت ان كان نبيا

حَتّٰى تَشْهَدُوْنِ ﴿٣٣﴾ قَالُوْا نَحْنُ اُولُوْا قُوَّةٍ وَّاُولُوْا بَاْسٍ شَدِيْدٍ وَّالْاَمْرُ
اِلَيْكِ فَانْظُرِيْ مَاذَا تَاْمُرِيْنَ ﴿٣٤﴾ قَالَتْ اِنَّ الْمُلُوْكَ اِذَا دَخَلُوْا
قَرْيَةً اَفْسَدُوْهَا وَجَعَلُوْا اَعِزَّةَ اَهْلِهَا اَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُوْنَ
﴿٣٥﴾ وَاِنِّيْ مُرْسِلَةٌ اِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنٰظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُوْنَ
﴿٣٦﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمٰنَ قَالَ اَتُمِدُّوْنَنِ بِمَالٍ فَمَآ اٰتٰىنِۦَ اللّٰهُ خَيْرٌ
مِّمَّآ اٰتٰىكُمْ بَلْ اَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُوْنَ ﴿٣٧﴾ اِرْجِعْ اِلَيْهِمْ
فَلَنَاْتِيَنَّهُمْ بِجُنُوْدٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَآ اَذِلَّةً وَّهُمْ
صٰغِرُوْنَ ﴿٣٨﴾ قَالَ يٰٓاَيُّهَا الْمَلَؤُا اَيُّكُمْ يَاْتِيْنِيْ بِعَرْشِهَا قَبْلَ
اَنْ يَّاْتُوْنِيْ مُسْلِمِيْنَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عِفْرِيْتٌ مِّنَ الْجِنِّ اَنَا اٰتِيْكَ بِهٖ قَبْلَ
اَنْ تَقُوْمَ مِنْ مَّقَامِكَ وَاِنِّيْ عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ اَمِيْنٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ الَّذِيْ
عِنْدَهٗ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتٰبِ اَنَا اٰتِيْكَ بِهٖ قَبْلَ اَنْ يَّرْتَدَّ اِلَيْكَ طَرْفُكَ

ميز بين الغلمان والجوارى وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك فى الخرزة خيطا فلما وصلوا الى معسكره وراوا عظم شأنه تقاصر اليهم نفوسهم فلما وقفوا بين يديه وقد سبقهم جبريل بالحال طلب الحق واخبر عما فيه فأمر الارضة فأخذت شعرة ونفذت فى الدرة وامر دودة بيضاء فأخذت الخيط ونفذت فى الجزعة ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله فى الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية فلما جاء سليمن اى الرسول اوما اهدت اليه وقرئ فلما جاؤا قال اتمدونن بمال خطاب للرسول ومن معه اوللرسول والمرسل على تغليب المخاطب وقرأ حمزة ويعقوب بالادغام وقرئ بنون واحدة و بنونين وحذف الياء فما اتانى الله من النبوة والملك الذى لامزيد عليه وقرأ نافع وابو عمرو وحفص باسكان الياء وباسقاطها الباقون وبامالتها الكسائى وحده خير مما اتيكم فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندى بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم لاتعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فتفرحون بما يهدى اليكم حبا لزيادة اموالكم او بما تهدونه افتخارا على امثالكم والاضراب عن انكار الامداد بالمال عليهم وتعليله الى بيان السبب الذى حملهم عليه وهو قياس حاله على حالهم فى قصور الهمة بالدنيا والزيادة فيها ارجع ايها الرسول اليهم الى بلقيس وقومها فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بمقاومتها ولا قدرة على مقاتلتها وقرئ بهم ولنخرجنهم منها من سبأ اذلة بذهاب ماكانوا فيه من العز وهم صاغرون اسراء مهانون قال يا ايها الملاء ايكم ياتينى بعرشها اراد بذلك ان يريها بعض ماخصه الله به من العجائب الدالة على عظيم القدرة وصدقه فى دعوى النبوة ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام تنكره قبل ان ياتونى مسلمين فانها اذا اتت مسلمة لم يحل اخذه الا برضاها قال عفريت خبيث مارد من الجن بيان له لانه يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر اقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار وانى عليه على حمله لقوى امين لا اختزل منه شيأ ولا ابدله قال الذى عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وزيره او الخضر او جبريل او ملك ايده الله به اوسليمان نفسه فيكون التعبير عنه بذلك للدلالة على شرف العلم وان هذه الكرامة كانت بسببه والخطاب فى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك للعفريت كانه استبطأه فقال له ذلك او اراد اظهار معجزة فى نقله فتحداهم اولا ثم اراهم انه يتأتى له ما لا يتهيأ لعفاريت الجن فضلا عن غيرهم والمراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة او اللوح وآتيك فى الموضعين صالح للفعلية والاسمية والطرف تحريك الاجفان للنظر فوضع موضعه ولما كان الناظر يوصف بارسال الطرف كما فى قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف والطرف بالارتداد والمعنى انك ترسل طرفك نحو شيء فقبل ان ترده احضر عرشها بين يديك وهذا غاية فى الاسراع ومثل فيه

فَلَمَّا رَاٰهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهٗ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّيْ لِيَبْلُوَنِيْٓ ءَاَشْكُرُ
اَمْ اَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَاِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهٖ وَمَنْ كَفَرَ
فَاِنَّ رَبِّيْ غَنِيٌّ كَرِيْمٌ ۝٤٠ قَالَ نَكِّرُوْا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ
اَتَهْتَدِيْٓ اَمْ تَكُوْنُ مِنَ الَّذِيْنَ لَا يَهْتَدُوْنَ ۝٤١ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيْلَ
اَهٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَاَنَّهٗ هُوَ وَاُوْتِيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا
وَكُنَّا مُسْلِمِيْنَ ۝٤٢ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنَّهَا
كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كٰفِرِيْنَ ۝٤٣ قِيْلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا
رَاَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَّكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ اِنَّهٗ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ
مِّنْ قَوَارِيْرَ قَالَتْ رَبِّ اِنِّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِيْ وَاَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمٰنَ
لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ۝٤٤ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَآ اِلٰى ثَمُوْدَ اَخَاهُمْ صٰلِحًا
اَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ فَاِذَا هُمْ فَرِيْقٰنِ يَخْتَصِمُوْنَ ۝٤٥ قَالَ يٰقَوْمِ

فلما راه رأى العرش مستقرا عنده حاصلا بين يديه قال تلقيا للنعمة بالشكر على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى هذا من فضل ربي تفضل به علي من غير استحقاق والاشارة الى التمكن من احضار العرش في مدة ارتداد الطرف من مسيرة شهرين بنفسه او غيره والكلام في امكان مثله قد مر في آية الاسراء ليبلوني ءاشكر باذاراه فضلا من الله بلاحول مني ولا قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد نفسي في البين او اقصر في اداء مواجبه ومحلهما النصب على البدل من الياء ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه به يستجلب لها دوام النعمة ومزيدها ويحط عنها عبء الواجب ويحفظها من وصمة الكفران ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم بالانعام عليه ثانيا قال نكروا لها عرشها بتغيير هيئته وشكله ننظر جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستئناف اتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته او الجواب الصواب وقيل الى الايمان بالله ورسوله اذا رأت تقدم عرشها وقد خلفته مغلقة عليه الابواب موكلة عليه الحراس فلما جاءت قيل اهكذا عرشك تشبيها عليها زيادة في امتحان عقلها اذ ذكرت عنده بسخافة العقل قالت كانه هو ولم تقل هو لاحتمال ان يكون مثله وذلك من كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين من تتمة كلامها كانها ظنت انه اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا العلم بكمال قدرة الله وصحة نبوتك قبل هذه الحالة او المعجزة بما تقدم من الآيات وقيل انه كلام سليمان وقومه عطفوه على جوابها لما فيه من الدلالة على ايمانها بالله ورسوله حيث جوزت ان يكون ذلك عرشها تجويزا غالبا واحضاره ثمه من المعجزات التي لا يقدر عليها غير الله ولا تظهر الا على يد الانبياء عليهم الصلاة والسلام اي واوتينا العلم بالله وقدرته وصحة ما جاء من عنده قبلها وكنا منقادين لحكمه لم نزل على دينه ويكون غرضهم فيه التحدث بما انعم الله عليهم من التقدم في ذلك شكرا له وصدها ما كانت تعبد من دون الله اي وصدها الله عبادتها الشمس عن التقدم الى الاسلام او وصدها الله عن عبادتها بالتوفيق للايمان انها كانت من قوم كافرين وقرئ بالفتح على الابدال من فاعل صد على الاول اي صدها نشوها بين اظهر الكفار او التعليل له قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل عرصة الدار فلما راته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها روي انه امر قبل قدومها فبني قصر صحنه من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره فجلس عليه فلما ابصرته ظنته ماء راكدا فكشفت عن ساقيها وعن ابن كثير برواية قنبل سأقيها بالهمزة حملا على جمعه سئوق واسؤق قال انه ان ما تظنينه ماء صرح ممرد مملس من قوارير من الزجاج قالت رب اني ظلمت نفسي بعبادتي الشمس وقيل بظني بسليمان فانها حسبت انه يغرقها في اللجة واسلمت مع سليمن لله رب العالمين فيما امر به عباده وقد اختلف في انه تزوجها او زوجها من ذي تبع ملك همدان ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه وقرئ بضم النون على اتباعها الباء فاذا هم فريقان يختصمون ففاجأوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق والواو لمجموع الفريقين قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة بالعقوبة فتقولون ائتنا بما تعدنا

قبل الحسنة قبل التوبة فتؤخرونها الى نزول العقاب فانهم كانوا يقولون ان صدق ايعاده تبنا حينئذ لولا تستغفرون الله قبل نزوله لعلكم ترجمون بقبولها فانها لاتقبل حينئذ قالوا اطيرنا تشاءمنا بك وبمن معك اذ تتابعت علينا الشدآئد ووقع بيننا الافتراق منذ اخترعتم دينكم قال طائركم سببكم الذى جاء منه شركم عند الله وهو قدره او عملكم المكتوب عنده بل انتم قوم تفتنون تختبرون بتعاقب السرّاء والضرّاء والاضراب عن بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر ما هو الداعى اليه وكان فى المدينة تسعة رهط تسعة انفس وانما وقع تمييزا للتسعة باعتبار المعنى والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة يفسدون فى الارض ولا يصلحون اى شأنهم الافساد الخالص عن شوائب الصلاح قالوا اى قال بعضهم لبعض تقاسموا بالله امر مقول او خبر وقع بدلا او حالا باضمار قد لنبيتنه واهله لنباغتن صالحا واهله ليلا وقرأ حمزة والكسائى بالتاء على خطاب بعضهم لبعض وقرئ بالياء على ان تقاسموا خبر ثم لنقولن فيه القراآت الثلاث لوليه لولى دمه ماشهدنا مهلك اهله فضلا ان توليناهلاكهم وهو يحتمل المصدر والزمان والمكان وكذا مهلك فى قرآءة حفص فان مفعلا قد جاء مصدرا كمرجع وقرأ ابو بكر بالفتح فيكون مصدرا وانا لصادقون ونحلف انا لصادقون او والحال انا لصادقون فيما ذكرنا اذ الشاهد للشئ غير المباشر له عرفا او لانا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك ما رأيت ثمه رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه المواضعة ومكرنا مكرا بان جعلناها سببا لاهلاكهم وهم لا يشعرون بذلك روى انه كان لصالح فى الحجر مسجد فى شعب يصلى فيه فقالوا زعم انه يفرغ منا الى ثلاث فنفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فذهبوا الى الشعب ليقتلوه فوقع عليهم صخرة حيالهم فطبقت عليهم فم الشعب فهلكوا ثمة وهلك الباقون فى اماكنهم بالصيحة كما اشار اليه قوله فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين وكان ان جعلت ناقصة فخبرها كيف وانا دمرناهم استئناف او خبر محذوف لاخبر كان لعدم العائد وان جعلتها تامة فكيف حال وقرأ الكوفيون ويعقوب انا دمرناهم بالفتح على انه خبر محذوف او بدل من اسم كان او خبر له وكيف حال فتلك بيوتهم خاوية خالية من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة من خوى النجم اذا سقط وهى حال عمل فيها معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف بما ظلموا بسبب ظلمهم ان فى ذلك لاية لقوم يعلمون فيتعظون وانجينا الذين امنوا صالحا ومن معه وكانوا يتقون الكفر والمعاصى فلذلك خصوا بالنجاة ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه اذ قال لقومه بدل على الاول ظرف على الثانى اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون تعلمون فحشها من بصر القلب واقتراف القبائح من العالم بقبحها اقبح او يبصرها بعضكم من بعض لانهم كانوا يعلنون بها فتكون افحش ائنكم لتاتون الرجال شهوة بيان لاتيانهم الفاحشة وتعليله بالشهوة للدلالة على قبحه والتنبيه على ان الحكمة فى المواقعة طلب النسل لاقضاء الوطر

لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً

من دون النساء اللاتی خلقن لذلك بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل من يجهل قبحها اويكون سفيها لايميز بين الحسن والقبيح اوتجهلون العاقبة والتاء فيه لكون الموصوف به فی معنی المخاطب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون يتنزهون عن افعالنا اوعن الاقذار ويعدّون فعلنا قذرا فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين قدّرنا كونها من الباقين فی العذاب وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين مرّ مثله قل الحمد لله وسلام علی عباده الذين اصطفی امر رسوله بعدما قص عليه القصص الدالة علی كمال قدرته وعظم شأنه وماخص به رسله من الآيات الكبری والانتصار من العدی بتحميده والسلام علی المصطفين من عبيده شكرا علی ما انعم عليه وعلمه ماجهل من احوالهم وعرفانا لفضلهم وحق تقدمهم واجتهادهم فی الدين اولوطا بان يحمده علی هلاك كفرة قومه ويسلم علی من اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك الله خير اما يشركون الزام لهم وتهكم بهم وتسفيه لرأيهم اذ من المعلوم ان لاخير فيما اشركوه رأسا حتی يوازن بينه وبين من هو مبدأ كل خير وقرأ ابو عمرو وعاصم ويعقوب بالتاء امّن بل ام من خلق السموات والارض التی هی اصول الكائنات ومبادی المنافع وقرئ امن بالتخفيف علی انه بدل من الله وانزل لكم لاجلكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة عدل به من الغيبة الی التكلم لتاكيد اختصاص الفعل بذاته والتنبيه علی ان انبات الحدائق البهية المختلفة الانواع المتباعدة الطباع من المواد المتشابهة لايقدر عليه غيره كما اشار اليه بقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها شجر الحدائق وهی البساتين من الاحداق وهو الاحاطة ءاله مع الله اغيره يقرن به ويجعل له شريكا وهو المتفرد بالخلق والتكوين وقرئ آالها باضمار فعل مثل اتدعون او تشركون وبتوسيط مدة بين الهمزتين واخراج الثانية بين بين بل هم قوم يعدلون عن الحق الذی هو التوحيد امّن جعل الارض قرارا بدل من ام من خلق السموات وجعلها قرارا بابداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث يتأتی استقرار الانسان والدواب عليها وجعل خلالها وسطها انهارا جارية وجعل لها رواسی جبالا تتكوّن فيها المعادن وينبع من حضيضها المنابع وجعل بين البحرين العذب والمالح اوخليجی فارس والروم حاجزا برزخا وقدمرّ بيانه فی الفرقان ءاله مع الله بل اكثرهم لايعلمون الحق فيشركون به امّن يجيب المضطر اذا دعاه المضطر الذی احوجه شدّة ما به الی اللجأ الی الله من الاضطرار وهو افتعال من الضرورة واللام فيه للجنس لا للاستغراق فلايلزم منه اجابة كل مضطر ويكشف السوء ويدفع عن الانسان مايسوءه ويجعلكم خلفاء الارض خلفاء فيها بان ورّثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم

من دون النساء بل انتم قوم تجهلون ﴿٥٥﴾ فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون ﴿٥٦﴾ فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين ﴿٥٧﴾ وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين ﴿٥٨﴾ قل الحمد لله وسلام علی عباده الذين اصطفی ءالله خير اما يشركون ﴿٥٩﴾ امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ءاله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴿٦٠﴾ امن جعل الارض قرارا وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسی وجعل بين البحرين حاجزا ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون ﴿٦١﴾ امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض



ءالٰه مع الله الذى خصكم بهذه النعم العامة والخاصة قليلا ما تذكرون اى تذكرون آلاءه تذكرا قليلا وما مزيدة والمراد بالقلة العدم او الحقارة المزيحة للفائدة وقرأ ابو عمرو وروح بالياء وحمزة والكسائى وحفص بالتاء وتخفيف الذال امن يهديكم فى ظلمات البر والبحر بالنجوم وعلامات الارض والظلمات ظلمات الليالى اضافها الى البر والبحر للملابسة او مشتبهات الطرق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتى لا منار بها ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته يعنى المطر ولو صح ان السبب الاكثرى فى تكوّن الرياح معاودة الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرّها وتموجها الهواء فلا شك ان الاسباب الفاعلية والقابلية لذلك من خلق الله تعالى والفاعل للسبب فاعل للسبب ءالٰه مع الله يقدر على شئ من ذلك تعالى الله عما يشركون تعالى القادر الخالق عن مشاركة العاجز المخلوق امن يبدؤا الخلق ثم يعيده والكفرة وان انكروا الاعادة فهم محجوجون بالحجج الدالة عليها ومن يرزقكم من السماء والارض اى باسباب سماوية وارضية ءالٰه مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على ان غيره يقدر على شئ من ذلك ان كنتم صادقين فى اشراككم فان كمال القدرة من لوازم الالوهية قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله لما بين اختصاصه بالقدرة التامة الفائقة العامة اتبعه ما هو كاللازم له وهو التفرد بعلم الغيب والاستثناء منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على انه تعالى ان كان ممن فى السموات والارض ففيهما من يعلم الغيب مبالغة فى نفيه عنهم او متصل على ان المراد ممن فى السموات والارض من تعلق علمه بها واطلع عليها اطلاع الحاضر فيها فانه يعم الله تعالى واولى العلم من خلقه وهو موصول او موصوف وما يشعرون ايان يبعثون متى ينشرون مركبة من اىّ وآن وقرئت بكسرة الهمزة والضمير لمن وقيل للكفرة بل ادرك علمهم فى الاخرة لما نفى عنهم علم الغيب واكد ذلك بنفى شعورهم بما هو مآلهم لا محالة بالغ فيه بان اضرب عنه وبين ان ما انتهى وتكامل فيه اسباب علمهم من الحجج والآيات وهو ان القيامة كائنة لا محالة لا يعلمونه كما ينبغى بل هم فى شك منها كمن تحير فى امر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دلائلها لاختلال بصيرتهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن فى السموات والارض نسب الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل والاضرابات الثلاث تنزيل لاحوالهم وقيل الاول اضراب عن نفى الشعور بوقت القيامة عنهم ووصفهم باستحكام علمهم فى امر الآخرة تهكما بهم وقيل ادرك بمعنى انتهى واضمحل من قولهم ادركت الثمرة لانها تلك غايتها التى عندها تعدم وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى وعاصم بل ادّارك بمعنى تتابع حتى استحكم او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا فى الهلاك وابو بكر ادّرك واصلهما تفاعل وافتعل وقرئ ءادرك بهمزتين وآادرك بالف بينهما وبل ادّرك وبل تدارك وبلى ادرك وبلى أادرك

ءَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ءَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾ أَمَّنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ءَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٦﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ءَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٨﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٠﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا

وام ادرك وام تدارك وما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك فانكار وما فيه بلى فاثبات لشعورهم وتفسير له بالادراك على التهكم وما بعده اضراب عن التفسير مبالغة فى نفيه ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او ردّ وانكار لشعورهم وقال الذين كفروا ائذا كنا ترابا واباؤنا ائنا لمخرجون كالبيان لعمههم والعامل فى اذا ما دل عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لا مخرجون لان كلا من الهمزة وانّ واللام مانعة من عمله فيما قبلها وتكرير الهمزة للمبالغة فى الانكار والمراد بالاخراج الاخراج من الاجداث او من حال الفناء الى الحياة لقد وعدنا هذا نحن واباؤنا من قبل من قبل وعد محمد عليه السلام وتقديم هذا على نحن لان المقصود بالذكر هو البعث وحيث اخر فالمقصود به المبعوث نظرا الى الاهتمام ان هذا الا اساطير الاولين التى هى كالاسمار قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين تهديد لهم على التكذيب وتخويف بان ينزل بهم مثل ما نزل بالمكذبين قبلهم والتعبير عنهم بالمجرمين ليكون لطفا للمؤمنين فى ترك الجرائم ولا تحزن عليهم على تكذيبهم واعراضهم ولا تكن فى ضيق فى حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان وقرئ ضيق اى امر ضيق مما يمكرون من مكرهم فان الله يعصمك من الناس

ويقولون متى هذا الوعد العذاب الموعود ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم تبعكم ولحقكم واللام مزيدة للتاكيد او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام مثل دنا وقرئ بالفتح وهولغة فيه بعض الذى تستعجلون حلوله وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمزة منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله تعالى ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس بتأخير عقوبتهم على المعاصى والفضل والفاضلة الافضال وجمعهما فضول وفواضل ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة فيه فلا يشكرونه بل يستعجلون لجهلهم وقوعه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم ما تخفيه وقرئ بفتح التاء من كننت اى سترت وما يعلنون من عداوتك فيجازيهم عليه وما من غائبة فى السماء والارض خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء فيهما للمبالغة كما فى الراوية او اسمان لما يغيب ويخفى كالتاء فى عافية وعاقبة الا فى كتاب مبين بين او مبين ما فيه لمن يطالعه والمراد اللوح او القضاء على الاستعارة ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون كالتشبيه والتنزيه واحوال الجنة والنار وعزير والمسيح وانه لهدى ورحمة للمؤمنين فانهم المنتفعون به ان ربك يقضى بينهم بين بنى اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويدل عليه انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد قضاؤه العليم بحقيقة ما يقضيه فيه وحكمته فتوكل على الله ولا تبال بمعاداتهم انك على الحق المبين وصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره انك لا تسمع الموتى تعليل آخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه عن متابعتهم ومعاضدتهم رأسا وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم فى قوله ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان اسماعهم فى هذه الحال ابعد وقرأ ابن كثير ولا يسمع الصم وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم حيث الهداية لا تحصل الا بالبصر وقرأ حمزة تهدى العمى ان تسمع اى ما يجدى اسماعك الا من يؤمن باياتنا من هو فى علم الله كذلك فهم مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله واذا وقع القول عليهم اذا دنا وقوع معناه وهو ما وعدوا به من البعث والعذاب

يمكرون ﴿٧١﴾ ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿٧٢﴾ قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون ﴿٧٣﴾ وان ربك لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون ﴿٧٤﴾ وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴿٧٥﴾ وما من غائبة فى السماء والارض الا فى كتاب مبين ﴿٧٦﴾ ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون ﴿٧٧﴾ وانه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴿٧٨﴾ ان ربك يقضى بينهم بحكمه وهو العزيز العليم ﴿٧٩﴾ فتوكل على الله انك على الحق المبين ﴿٨٠﴾ انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴿٨١﴾ وما انت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن باياتنا فهم مسلمون ﴿٨٢﴾ واذا وقع القول عليهم

اخرجنا لهم دابة من الارض وهي الجساسة روى ان طولها ستون ذراعا ولها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب وروى انه
عليه الصلاة والسلام سئل من اين مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام تكلمهم من الكلام وقيل من الكلم اذ قرئ تكلمهم وروى انها تخرج
ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام فتنكت بالعصا في مسجد المؤمن نكتة بيضاء فيبيض وجهه وبالخاتم في انف الكافر نكتة سوداء فيسود وجهه
ان الناس كانوا بآياتنا خروجها وسائر احوالها فانها من آيات الله تعالى وقيل القرآن لا يوقنون لا يتيقنون وهو حكاية معنى قولها او حكايتها لقول الله او علة
خروجها او تكلمها على حذف الجار وقرأ الكوفيون ان الناس بالفتح وغير الكوفيين ان الناس بالكسر ويوم نحشر من كل امة فوجا يعني يوم القيمة ممن يكذب بآياتنا بيان
للفوج اي فوجا مكذبين ومن الاولى للتبعيض لان امة كل نبي واهل كل قرن شامل للمصدقين والمكذبين فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة

اَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِنَ الْاَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ اَنَّ النَّاسَ كَانُوا
بِاٰيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ
بِاٰيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٤﴾ حَتّٰى اِذَا جَآؤُ قَالَ اَكَذَّبْتُمْ بِاٰيَاتِى
وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا اَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ
عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٦﴾ اَلَمْ يَرَوْا اَنَّا جَعَلْنَا الَّيْلَ
لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا اِنَّ فِى ذٰلِكَ لَاٰيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُؤْمِنُونَ ﴿٨٧﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمٰوَاتِ وَمَنْ
فِى الْاَرْضِ اِلَّا مَنْ شَآءَ اللّٰهُ وَكُلٌّ اَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٨﴾ وَتَرَى
الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللّٰهِ الَّذِى
اَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ اِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ مَنْ جَآءَ بِالْحَسَنَةِ
فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ اٰمِنُونَ ﴿٩٠﴾ وَمَنْ جَآءَ

عن كثرة عددهم وتباعد اطرافهم حتى اذا جاؤا الى المحشر قال اكذبتم بآياتي
ولم تحيطوا بها علما الواو للحال اي اكذبتم بها بادي الرأي غير ناظرين فيها نظرا
يحيط علمكم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق او التكذيب او للعطف اي اجمعتم
بين التكذيب بها وعدم القاء الاذهان لتحققها اماذا كنتم تعملون ام اي
شئ كنتم تعملون بعد ذلك وهو للتبكيت اذ لم يفعلوا غير التكذيب من الجهل فلا
يقدرون ان يقولوا فعلنا غير ذلك ووقع القول عليهم حل بهم العذاب
الموعود وهو كبهم في النار بعد ذلك بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب
بآيات الله فهم لا ينطقون باعتذار لشغلهم بالعذاب الم يروا ليتحقق
لهم التوحيد ويرشدهم الى تجويز الحشر وبعثة الرسل لان تعاقب النور والظلمة
على وجه مخصوص غير متعين بذاته لا يكون الا بقدرة قاهر وان من قدر على
ابدال الظلمة بالنور في مادة واحدة قدر على ابدال الموت بالحيوة في مواد
الابدان وان من جعل النهار ليبصروا فيه سببا من اسباب معاشهم لعله لا يخل
بما هو مناط جميع مصالحهم في معاشهم ومعادهم انا جعلنا الليل ليسكنوا
فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا فان اصله ليبصروا فيه فبولغ فيه
بجعل الابصار حالا من احوال المجعول عليها بحيث لا ينفك عنها ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون لدلالتها على الامور الثلاثة ويوم ينفخ في الصور
في الصور او القرن وقيل انه تمثيل لانبعاث الموتى بانبعاث الجيش اذا نفخ في
البوق ففزع من في السموات ومن في الارض من الهول وعبر عنه
بالماضي لتحقق وقوعه الا من شاء الله ان لا يفزع بان ثبت قلبه قيل
هم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل الحور والخزنة وحملة العرش
وقيل الشهداء وقيل موسى لانه صعق مرة ولعل المراد ما يعم ذلك وكل اتوه
حاضرون الموقف بعد النفخة الثانية او راجعون الى امره وقرأ حمزة وحفص
اتوه على الفعل وقرئ أتاه على توحيد لفظ الكل داخرين صاغرين وقرئ
دخرين وترى الجبال تحسبها جامدة ثابتة في مكانها وهي تمر مر السحاب
في السرعة وذلك لان الاجرام الكبار اذا تحركت في سمت واحد فلا تكاد تتبين حركتها صنع الله مصدر مؤكد لنفسه وهو مضمون الجملة المتقدمة كقوله وعد الله
الذي اتقن كل شئ احكم خلقه وسواه على ما ينبغي انه خبير بما يفعلون عالم بظواهر الافعال وبواطنها فيجازيهم عليها كما قال من جاء بالحسنة فله خير منها
اذ ثبت له الشريف بالخسيس والباقي بالفاني وسبعمائة بواحدة وقيل خير منها اي خير حاصل من جهتها وهو الجنة قرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام خبير بما يفعلون
بالياء والباقون بالتاء وهم من فزع يومئذ آمنون يعني به خوف عذاب يوم القيمة وبالاول ما يلحق الانسان من التهيب لما يرى من الاهوال والعظائم ولذلك
يعم الكافر والمؤمن وقرأ الكوفيون بالتنوين لان المراد فزع واحد من افزاع ذلك اليوم وأمن يعدى بالجار وبنفسه كقوله أفامنوا مكر الله وقرأ الكوفيون ونافع
يومئذ بفتح الميم والباقون بكسرها

ومن جاء بالسيئة قيل بالشرك فكبت وجوههم فى النار فكبوا فيها على وجوههم ويجوز ان يراد بالوجوه انفسهم كما اريدت بالايدى فى قوله ولا تلقوا بايديكم هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات او باضمار القول اى قيل لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها امر الرسول بان يقول لهم ذلك بعد ما بين المبدأ والمعاد وشرح احوال القيمة اشعارا بانه قد اتم الدعوة وقد كملت وما عليه بعد الا الاشتغال بشأنه والاستغراق فى عبادة ربه وتخصيص مكة بهذه الاضافة تشريفا لها وتعظيم لشانها وقرئ التى حرمها وله كل شئ خلقا وملكا وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين والثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن وان اواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه فى تلاوته شيئا فشيئا او اتباعه وقرئ واتل عليهم وان اتل فمن اهتدى باتباعه اياى فى ذلك فانما يهتدى لنفسه فان منافعه عائدة اليه ومن ضل بمخالفتى فقل انما انا من المنذرين فلا على من وبال ضلاله شئ اذ ما على الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل الحمد لله على نعمة النبوة او على ما علمنى ووفقنى للعمل به سيريكم اياته القاهرة فى الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض او فى الاخرة فتعرفونها فتعرفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك بغافل عما تعملون فلا تحسبوا ان تأخير عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالياء عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وصالح وابراهيم وشعيب ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله سورة القصص مكية قيل الا قوله الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغى الجاهلين وهى ثمان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك نقرأه بقرآءة جبرائيل ويجوز ان يكون بمعنى ننزله مجازا من نبإ موسى وفرعون بعض نبئهما مفعول نتلو بالحق محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به ان فرعون علا فى الارض استئناف مبين لذلك البعض والارض ارض مصر

بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٢﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٣﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ

سُورَةُ الْقَصَصِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانٌ وَثَمَانُونَ آيَةً

٢٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿٢﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٣﴾ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ

وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد اويشيع بعضهم بعضا في طاعته اواصنافا في استخدامه استعمل كل صنف في عمل اواحزابا بان اغري بينهم العداوة كيلا يتفقوا عليه يستضعف طائفة منهم وهم بنوا اسرائيل والجملة حال من فاعل جعل اوصفة شيعا اواستئناف وقوله يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل منها وكان ذلك لان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وذلك كان من غاية حمقه فانه لوصدق لم يندفع بالقتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين فلذلك اجترأ على قتل خلق كثير من اولاد الانبياء لتخيل فاسد ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ان نتفضل عليهم بانقاذهم من بأسه ونريد حكاية حال ماضية معطوفة على ان فرعون علا من حيث انهما واقعان تفسيرا للنبأ اوحال من يستضعف ولا يلزم من مقارنة الارادة للاستضعاف مقارنة المراد له لجواز ان يكون تعلق الارادة به حينئذ تعلقا استقباليا مع ان منة الله بخلاصهم لما كانت قريبة الوقوع منه جاز ان يجري مجرى المقارن

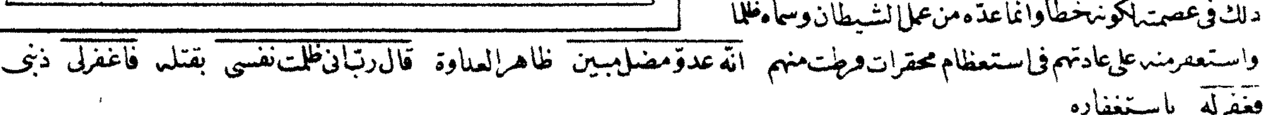
عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٦﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٩﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا

ونجعلهم ائمة مقدمين في امر الدين ونجعلهم الوارثين لما كان في ملك فرعون وقومه ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام واصل التمكين ان تجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ثم استعير للتسليط واطلاق الامر ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم من بني اسرائيل ما كانوا يحذرون من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرئ ويري بالياء وفرعون وهامان وجنودهما بالرفع واوحينا الى ام موسى بالهام اورؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه فاذا خفت عليه بان يحس به فالقيه في اليم في البحر يريد النيل ولا تخافي عليه ضيعة ولا شدة ولا تحزني لفراقه انا رادوه اليك عن قريب بحيث تامنين عليه وجاعلوه من المرسلين روي انها لما ضربها الطلق دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل فعالجتها فلما وقع موسى على الارض هالها نور بين عينيه وارتعشت مفاصلها ودخل حبه قلبها بحيث منعها عن السعاية فارضعته ثلاثة اشهر ثم الح فرعون في طلب المواليد واجتهد العيون في تفحصها فاخذت له تابوتا فقذفته في النيل فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا تعليل لالتقاطهم اياه بما هو عاقبته ومؤداه تشبيها له بالغرض الحامل عليه وقرأ حمزة والكسائي حزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين في كل شئ فليس ببدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذوه يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون اومذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم فالجملة اعتراض لتاكيد خطئهم اولبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين تخفيف خاطئين اوخاطين الصواب الى الخطأ وقالت امرأة فرعون اي لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لي ولك هو قرة عين لنا لانهما لما رأياه اخرج من التابوت احباه اولانه كانت له ابنة برصاء وعالجها الاطباء بريق حيوان بحري يشبه الانسان فلطخت برصها بريقه فبرئت وفي الحديث انه قال لك لا لي ولو قال لي كما هو لك لهداه الله كما هداها لا تقتلوه خطاب بلفظ الجمع للتعظيم عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع وذلك لما رأت من نور بين عينيه وارتضاعه ابهامه لبنا وبرأ البرصاء بريقه اونتخذه ولدا اونتبناه فانه اهل له وهم لا يشعرون حال من الملتقطين اومن القائلة والمقول له اي وهم لا يشعرون انهم على الخطأ في التقاطه اوفي طمع النفع منه والتبني له اومن احد ضميري نتخذه على ان الضمير للناس اي وهم لا يشعرون انه لغيرنا وقد تبنيناه واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه في يد فرعون كقوله وافئدتهم هواء اي خلاء لا عقول فيها ويؤيده انه قرئ فرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر اومن الهم لفرط وثوقها بوعد الله تعالى اولسماعها ان فرعون عطف عليه وتبناه

ان كادت لتبدى به انها كادت لتظهر بموسى اى بأمره وقصته من فرط الضجرة او الفرح بتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله او من الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وعطفه وقرئ مؤسى اجراء للضمة فى جار الواو مجرى ضمها فى استدعاء همزها همزوا وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله وقالت لاخته مريم قصيه اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت به عن جنب عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب وهو بمعناه وهم لايشعرون انها تقص وانها اخته وحرمنا عليه المراضع ومنعناه ان يرتضع من المرضعات جمع مرضع او مرضع وهو الرضاع او موضعه يعنى الثدى من قبل من قبل قصها اثره فقالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم لاجلكم وهم له ناصحون لايقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعها قال انها لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتى بمن يكفله فأتت بأمها وموسى على يد

إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ

فرعون يبكى وهو يعلله فلما وجد ريحها استأنس والتقم ثديها فقال لها من انت منه فقد أبى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبى الا قبلنى فدفعه اليها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وهو قوله فرددناه الى امه كى تقر عينها بولدها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علم مشاهدة ولكن اكثرهم لايعلمون ان موعده حق فيرتابون فيه او ان الغرض الاصلى من الرد علمها بذلك وما سواه تبع وفيه تعريض بما فرط منها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون ولما بلغ اشده مبلغه الذى لايزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على رأس الاربعين واستوى قده او عقله اتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين او علم الحكماء والعلماء وسمتهم قبل استنبائه فلا يقول ولا يفعل ما يستجهل فيه وهو أوفق لنظم القصة لان الاستنباء بعد الهجرة فى المراجعة وكذلك ومثل ذلك الذى فعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين على احسانهم ودخل المدينة ودخل مصر آتيا من قصر فرعون وقيل من منف او حابين او عين شمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها فى وقت لايعتاد دخولها ولا يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشاءين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه احدهما ممن تابعه على دينه وهم بنوا اسرائيل والآخر من مخالفيه وهم القبط والاشارة على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فسأله ان يغيثه بالاعانة ولذلك عدى بعلى وقرئ استعانه فوكزه موسى فضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به صدره فقضى عليه فقتله واصله فانهى حياته من قوله وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل الشيطان لانه لم يؤمر بقتل الكفار او لانه كان مأمونا فيهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما



واستغفر منه على عادتهم فى استعظام محقرات فرطت منهم انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة قال رب انى ظلمت نفسى بقتله فاغفرلى ذنبى فغفرله باستغفاره



انه هو الغفور لذنوب عباده الرحيم بهم قال رب بما انعمت علىّ قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك علىّ بالمغفرة وغيرها لأتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين او استعطاف اى بحق انعامك علىّ اعصمنى فلن اكون معينا لمن أدّت معاونته الى جرم وعن ابن عباس انه لم يستثن فابتلى به مرة اخرى وقيل معناه بما انعمت علىّ من القوة اعين اوليائك فلن استعملها فى مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفا يترقب يترصد الاستقادة فاذا الذى استنصره بالامس يستصرخه يستغيثه مشتق من الصراخ قال له موسى انك لغوىّ مبين مبين الغواية لانك تسببت لقتل رجل وتقاتل آخر فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدوّ لهما لموسى والاسرائيلى لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل قال يا موسى اتريد ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قاله الاسرائيلى لانه لما سماه غويا ظنّ انه يبطش به او القبطىّ وكأنه توهم من قوله انه الذى قتل القبطىّ بالامس لهذا الاسرائيلىّ ان تريد ما تريد الا ان تكون جبارا فى الارض تتطاول على الناس ولا تنظر العواقب وما تريد ان تكون من المصلحين بين الناس فتدفع التخاصم بالتى هى احسن ولما قال هذا انتشر الحديث وارتقى الى فرعون وملئه فهموا بقتله فخرج مؤمن من آل فرعون وهو ابن عمه ليخبره كما قال وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى يسرع صفة رجل او حال منه اذا جعل من اقصى المدينة صفة له لا صلة لجاء لان تخصيصه بها يلحقه بالمعارف قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك يتشاورون بسببك وانما سمى التشاور ائتمارا لان كلا من المتشاورين يأمر الآخر ويأتمر فاخرج انى لك من الناصحين اللام للبيان وليس صلة للناصحين لان معمول الصلة لا يتقدّم الموصول فخرج منها من المدينة خائفا يترقب لحوق طالب قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم ولما توجه تلقاء مدين قبالة مدين قرية شعيب سميت باسم مدين بن ابراهيم ولم يكن فى سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر مسيرة ثمان قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل توكلا على الله وحسن ظن به وكان لا يعرف الطرق فعنّ له ثلاث طرق فأخذ فى اوسطها وجاء الطلاب عقيبه فأخذوا فى الآخرين ولما ورد ماء مدين وصل اليه وهو بئر كانوا يسقون منها وجد عليه وجد فوق شفيرها امة من الناس جماعة كثيرة مختلفين يسقون مواشيهم ووجد من دونهم فى مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما من الماء لئلا تختلط باغنامهم

إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي
اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ
﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ
أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا
فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ
مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ
فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ
قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ
عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ
وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴿٢٣﴾ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ

قال ما خطبكما ماشأنكما تذودان قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء يصرف الرعاة مواشيهم عن الماء حذرا من مزاحمة الرجال وحذف المفعول لان الغرض هو بيان مايدل على عفتهما ويدعوه الى السقي لهما ثم دونه وقرأ ابو عمرو وابن عامر يصدر اى ينصرف وقرئ الرعاء بالضم وهو اسم جمع كالرخال وابونا شيخ كبير كبير السن لايستطيع ان يخرج للسقي فيرسلنا اضطرارا فسقى لهما مواشيهما رحمة عليهما قيل كانت الرعاة يضعون على رأس البئر حجرا لايقله الا سبعة رجال واكثر فأقله وحده مع ماكان به من الوصب والجوع وجراحة القدم وقيل كانت بئرا اخرى عليها صخرة فرفعها واستقى منها ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما انزلت لاى شئ انزلت الى من خير قليل او كثير وحمله الاكثرون على الطعام فقير محتاج سائل ولذلك عدى باللام وقيل معناه انى لما انزلت الى من خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة عند فرعون والغرض منه اظهار التبجح والشكر على ذلك فجاءته احديهما تمشى على استحياء اى مستحيية متخفرة قيل كانت الصغرى منهما وقيل الكبرى واسمها صفوراء او صفراء وهى التى تزوجها موسى قالت ان ابى يدعوك ليجزيك ليكافئك اجر ماسقيت جزاء سقيك لنا ولعل موسى انما اجابها ليتبرك برؤية الشيخ ويستظهر بمعرفته لاطمعا فى الاجر بل روى انه لما جاءه قدم اليه طعاما فامتنع عنه وقال انا اهل بيت لانبيع ديننا بالدنيا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا هذا وان من فعل معروفا فاهدى بشئ لم يحرم اخذه فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين يريد فرعون وقومه قالت احديهما يعنى التى استدعته يا ابت استاجره لرعى الغنم ان خير من استاجرت القوى الامين تعليل جامع يجرى مجرى الدليل على انه حقيق بالاستيجار وللمبالغة فيه جعل خيرا اسما وذكر الفعل بلفظ الماضى للدلالة على انه امين مجرب معروف وروى ان شعيبا قال لها وما اعلمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر وانه صوب رأسه حين بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى على ان تأجر نفسك منى او تكون لى أجيرا او تثيبنى من اجرك الله ثمانى حجج ظرف على الاولين ومفعول به على الثالث باضمار مضاف اى رعية ثمانى حجج فان اتممت عشرا عملت عشر حجج فمن عندك فاتمامه من عندك تفضلا لامن عندى الزاما عليك وهذا استدعاء العقد لا نفسه فلعله جرى على اجرة معينة وبمهر آخر او برعيته الاجل الاول ووعد له ان يوفى الاخر ان تيسر له قبل العقد وكانت الاغنام للمزوجة مع انه يمكن اختلاف الشرائع فى ذلك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك اعتقادك فى اطاقته ورأيك فى مزاولته ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى حسن المعاملة ولين الجانب والوفاء بالمعاهدة قال ذلك بينى وبينك اى ذلك الذى عاهدتنى فيه قائم بيننا لانخرج عنه ايما الاجلين اطولهما اواقصرهما قضيت وفيتك اياه فلاعدوان على لايعتدى على بطلب الزيادة فكما لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمانى او فلا اكون معتديا بترك الزيادة عليه كقولك لا اثم على وهو ابلغ فى اثبات الخيرة وتساوى الاجلين فى القضاء من ان يقال ان قضيت الاقصر فلاعدوان على وقرئ ايما كقوله

تنظرت نصرا والسماكين ايهما على من الغيث استهلت مواطره

واى الاجلين ما قضيت فتكون ما مزيدة لتاكيد الفعل اى اى الاجلين جردت عزمى لقضائه وقرئ عدوان بالكسر والله على ما نقول من المشارطة وكيل شاهد حفيظ

تذودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير (٢٣) فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (٢٤) فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين (٢٥) قالت إحداهما يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين (٢٦) قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين (٢٧) قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل (٢٨) فلما قضى

فلما قضى موسى الاجل وسار باهله بامرأته روى انه قضى اقصى الاجلين ومكث بعد ذلك عنده عشرا آخر ثم عزم على الرجوع انس من جانب الطور نارا ابصر من الجهة التى تلى الطور قال لاهله امكثوا انى انست نارا لعلى اتيكم منها بخبر بخبر الطريق او جذوة عود غليظ سواء كان فى رأسه نار او لم يكن قال ماتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر والق على قبس من النار جذوة شديدا عليها حرها والتهابها ولذلك بينه بقوله من النار وقرأ عاصم بالفتح وحمزة بالضم وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون بها فلما اتيها نودى من شاطئ الواد الايمن اتاه النداء من الشاطئ الايمن لموسى فى البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة بدل من شاطئ بدل الاشتمال لانها كانت نابتة على الشاطئ ان ياموسى اى ياموسى انى انا الله رب العالمين هذا وان خالف ما فى طه والنمل لفظا فهو طبقه فى المقصود وان الق عصاك فلما رأها تهتز اى فالقاها فصارت ثعبانا واهتزت فلما رأها

مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ
امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ
النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ
الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا
جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ
﴿٣٢﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ
إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ
وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ
مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٤﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي
لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٥﴾

تهتز كانها جان فى الهيئة والجثة او فى السرعة ولى مدبرا منهزما من الخوف ولم يعقب ولم يرجع ياموسى نودى ياموسى اقبل ولا تخف انك من الامنين من المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون اسلك يدك فى جيبك أدخلها تخرج بيضاء من غير سوء عيب واضمم يدك الى جناحك يديك المبسوطتين تتقى بهما الحية كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت عضد اليسرى وبالعكس او بادخالهما فى الجيب فيكون تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جراءة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر جناحيه واذا أمن واطمأن ضمهما اليه من الرهب من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا وضبطا لنفسك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر بضم الراء وسكون الهاء وقرئ بضمهما وقرأ حفص بالفتح والسكون والكل لغات فذانك اشارة الى العصا واليد وشدده ابن كثير وابو عمرو ورويس برهانان حجتان وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال برهاء وبرهرهة للمرأة البيضاء وقيل فعلال لقولهم برهن من ربك مرسلا بهما الى فرعون وملائه انهم كانوا قوما فاسقين فكانوا أحقاء بان يرسل اليهم قال رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون بها واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردأ معينا وهو فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرأ نافع ردا بالتخفيف يصدقنى بتلخيص الحق وتقرير الحجة وتزييف الشبهة انى اخاف ان يكذبون ولسانى لا يطاوعنى عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرأ عاصم وحمزة يصدقنى بالرفع على انه صفة والجواب محذوف

قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا
غلبة او حجة فلا يصلون اليكما باستيلاء او حجاج باياتنا متعلق بمحذوف اى اذهبا باياتنا او بنجعل اى نسلطكما بها او بمعنى لا يصلون اى تمتنعون منهم او قسم
جوابه لا يصلون او بيان للغالبون فى قوله انتما ومن اتبعكما الغالبون بمعنى انه صلة لما بينه او صلة له على ان اللام فيه للتعريف لا بمعنى الذى فلما جاءهم موسى
باياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تختلقه لم يفعل قبل مثله او سحر تعلمه ثم تفتريه على الله او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا
بهذا يعنون السحر او ادعاء النبوة فى اباءنا الاولين كائنا فى ايامهم وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده فيعلم انى محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير
قال بغير واو لانه قال ما قاله جوابا لمقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من الفاسد ومن تكون له عاقبة الدار العاقبة
المحمودة فان المراد بالدار الدنيا وعاقبتها الاصلية هى الجنة لانها خلقت
مجازا الى الاخرة والمقصود منها بالذات هو الثواب والعقاب انما قصد بالعرض
وقرأ حمزة والكسائى يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون لا يفوزون بالهدى
فى الدنيا وحسن العاقبة فى العقبى وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من
اله غيرى نفى علمه باله غيره دون وجوده اذ لم يكن عنده ما يقتضى الجزم
بعدمه ولذلك امر ببناء الصرح ليصعد عليه ويطلع على الحال بقوله
فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى كأنه توهم
انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم قال وانى لاظنه من الكاذبين
او اراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى هل فيها ما يدل على
بعثة رسول وتبدل دولة وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كقوله اتنبؤن الله
بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص
العلوم الفعلية فانها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاؤها
ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه
على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم ولذلك نادى هامان باسمه
بيا فى وسط الكلام واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق بغير استحقاق
وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائى بفتح الياء
وكسر الجيم فاخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم كما مر بيانه وفيه فخامة
وتعظيم لشان الآخذ واستحقار للمأخوذين كأنه اخذهم مع كثرتهم فى كف
وطرحهم فى اليم ونظيره قوله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر يا محمد كيف كان عاقبة
الظالمين وحذر قومك عن مثلها

قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ
إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٦﴾ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا
سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ
جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ
لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ
مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا
لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾
وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً

وجعلناهم ائمة قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصى ويوم القيمة لاينصرون بدفع العذاب عنهم واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا عن الرحمة او لعن اللاعنين يلعنهم الملائكة والمؤمنون ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين او ممن قبح وجوههم ولقد اتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اقوام نوح وهود وصالح ولوط بصائر للناس انوارا لقلوبهم تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل وهدى الى الشرائع التى هى سبل الله تعالى ورحمة لانهم لو عملوا بها نالوا رحمة الله لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد فسر بالارادة وفيه ما عرفت وماكنت بجانب الغربى يريد الوادى او الطور فانه كان فى شق الغرب من مقام موسى او الجانب الغربى منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى ماكنت حاضرا اذ قضينا الى موسى الامر اذ قضينا اليه الامر الذى اردنا تعريفه وماكنت من الشاهدين للوحى اليه او على الموحى اليه وهم السبعون المختارون للميقات والمراد الدلالة على أن اخباره عن ذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التى لاتعرف الا بالوحى ولذلك استدرك عنه بقوله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر اى ولكنا اوحيناه اليك لانا انشأنا قرونا مختلفة بعد موسى فتطاولت عليهم المدد فحرفت الاخبار وتغيرت الشرائع واندرست العلوم فحذف المستدرك واقام سببه مقامه وماكنت ثاويا مقيما فى اهل مدين شعيب والمؤمنون به تتلوا عليهم تقرأ عليهم تعلما منهم اياتنا التى فيها قصتهم ولكنا كنا مرسلين اياك ومخبرين لك بها وماكنت بجانب الطور اذ نادينا لعل المراد به وقت ما اعطيناه التورية وبالاول حين ما استنبأه لانهما المذكوران فى القصة ولكن رحمة من ربك ولكن علمناك رحمة وقرئت بالرفع على هذه رحمة لتنذر قوما متعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم من نذير من قبلك لوقوعهم فى فترة بينك وبين عيسى وهى خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين اسمعيل على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببنى اسرائيل وما حواليهم لعلهم يتذكرون يتعظون ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية تحضيضية واقعة فى سياقها لانها مما اجيبت بالفاء تشبيها لها بالامر مفعول يقولوا المعطوف على تصيبهم بالفاء المعطية معنى السببية المنبهة على ان القول هو المقصود بان يكون سببا لانتفاء ما يجاب به وانه لا يصدر عنهم حتى تلجئهم العقوبة والجواب محذوف والمعنى لولا قولهم اذا اصابتهم عقوبة بسبب كفرهم ومعاصيهم ربنا هلا ارسلت الينا رسولا يبلغنا اياتك فنتبعها ونكون من المصدقين ما ارسلناك اى انما ارسلناك قطعا لعذرهم والزاما للحجة عليهم فنتبع اياتك يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات

يدعون الى النار ويوم القيمة لا ينصرون ﴿٤٢﴾ واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة هم من المقبوحين ﴿٤٣﴾ ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون ﴿٤٤﴾ وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ﴿٤٥﴾ ولكنا انشانا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا فى اهل مدين تتلوا عليهم اياتنا ولكنا كنا مرسلين ﴿٤٦﴾ وما كنت بجانب الطور اذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ﴿٤٧﴾ ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك ونكون

ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق يعنى الرسول المصدق بنوع من المعجزات من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى من الكتاب جملة واليد والعصا وغيرها اقتراحا وتعنتا أولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل يعنى ابناء جنسهم فى الرأى والمذهب وهم كفرة زمان موسى وكان فرعون عربيا من اولاد عاد قالوا ساحران يعنون موسى وهرون اوموسى ومحمدا تظاهرا تعاونا باظهار تلك الخوارق اوبتوافق الكتابين وقرأ الكوفيون سحران بتقدير مضاف اوجعلهما سحرين مبالغة اواسناد تظاهرهما الى فعلهما دلالة على سبب الاعجاز وقرئ اظاهرا على الادغام وقالوا انا بكل كافرون اى بكل منهما اوبكل الانبياء قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما نزل على موسى وعلىّ واضمارهما لدلالة المعنى وهو يؤيد ان المراد بالساحرين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران مختلفان وهذا من الشروط التى يراد بها الالزام والتبكيت ولعل مجئ حرف الشك للتهكم بهم فان لم يستجيبوا لك دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فحذف المفعول له للعلم به ولان فعل الاستجابة يعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعى فاذا عدى اليه حذف الدعاء غالبا كقوله

وداع دعا يا من يجيب الى الندى فلم يستجبه عند ذاك مجيب

فاعلم انما يتبعون اهواءهم اذ لو اتبعوا حجة لاتوا بها ومن اضل ممن اتبع هواه استفهام بمعنى النفى بغير هدى من الله فى موضع الحال للتأكيد اوالتقييد فان هوى النفس قد يوافق الحق ان الله لا يهدى القوم الظالمين الذى ظلموا انفسهم بالانهماك فى اتباع الهوى ولقد وصلنا لهم القول اتبعنا بعضه بعضا فى الانزال ليتصل التذكير اوفى النظم لتقرر الدعوة بالحجة والمواعظ بالمواعيد والنصائح بالعبر لعلهم يتذكرون فيؤمنون ويطيعون الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون نزلت فى مؤمنى اهل الكتاب وقيل فى اربعين من اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام والضمير فى من قبله للقرآن كالمستكن فى واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اى بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا استئناف لبيان ما اوجب ايمانهم به انا كنا من قبله مسلمين استئناف آخر للدلالة على ان ايمانهم به ليس مما احدثوه حينئذ وانما هو امر تقادم عهده لما رأوا ذكره فى الكتب المتقدمة وكونهم على دين الاسلام قبل نزول القرآن اوتلاوته عليهم باعتقادهم صحته فى الجملة اولئك يؤتون اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقرآن بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين اوعلى الايمان بالقرآن قبل النزول وبعده اوعلى اذى من هاجرهم من اهل دينهم ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون بالطاعة المعصية لقوله عليه الصلاة والسلام أتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير

من المؤمنين ﴿٤٨﴾ فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتى مثل ما اوتى موسى اولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون ﴿٤٩﴾ قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما اتبعه ان كنتم صادقين ﴿٥٠﴾ فان لم يستجيبوا لك فاعلم انما يتبعون اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هوىه بغير هدى من الله ان الله لا يهدى القوم الظالمين ﴿٥١﴾ ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون ﴿٥٢﴾ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون ﴿٥٣﴾ واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين ﴿٥٤﴾ اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ﴿٥٥﴾ واذا سمعوا



واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه تكرما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا او دعاء لهم بالسلامة عما هم فيه لا نبتغى الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريدها انك لا تهدى من احببت لا تقدر ان تدخله فى الاسلام ولكن الله يهدى من يشاء فيدخله فى الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين لذلك والجمهور على انها نزلت فى ابى طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخى قد علمت انك لصادق ولكنى اكره ان يقال جزع عند الموت وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها نزلت فى الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف اتى النبى عليه الصلاة والسلام فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا العرب وانما نحن اكلة رأس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اولم نجعل مكانهم حرما ذا أمن بحرمة البيت الذى فيه يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه يجبى اليه يحمل اليه ويجمع

ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَاهِلِينَ ﴿٥٦﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ ﴿٥٩﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا

فيه وقرأ نافع ويعقوب فى رواية بالتاء ثمرات كل شئ من كل اوب رزقا من لدنا فاذا كان هذا حالهم وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للخوف والتخطف اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه متعلق بقوله من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى او الحال من الثمرات لتخصصها بالاضافة ثم بين الامر بالعكس فانهم احقاء بان يخافوا من بأس الله على ما هم عليه بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكم من اهل قرية كانت حالهم كحالكم فى الامن وخفض العيش حتى أشروا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعدهم من السكنى اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لا يبقى من يسكنها الا قليلا من شؤم معاصيهم وكنا نحن الوارثين منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم فى ديارهم وسائر متصرفاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظنى مقيم او باضمار زمان مضاف اليها او مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك وما كانت عادته مهلك القرى حتى يبعث فى امها فى اصلها التى هى اعمالها لان اهلها يكون افطن وأنبل رسولا يتلوا عليهم اياتنا لالزام الحجة وقطع المعذرة وما كنا مهلكى القرى الا واهلها ظالمون بتكذيب الرسل والعتو فى الكفر وما اوتيتم من شئ من اسباب الدنيا فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها تتمتعون وتتزينون به مدة حياتكم المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة وبهجة كاملة وابقى لانه ابدى افلا تعقلون فتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير وقرأ ابو عمرو بالياء وهو ابلغ فى الموعظة افمن وعدناه وعدا حسنا وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود

فهولاقيه مدركه لامحالة لامتناع الخلف فى وعده ولذلك عطفه بالفاء المعطية معنى السببية كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا الذى هو مشوب بالآلام مكدر بالمتاعب مستعقب للتحسر على الانقطاع ثم هو يوم القيمة من المحضرين للحساب او العذاب وثم للتراخى فى الزمان او الرتبة وقرأ نافع وقالون فى رواية والكسائى ثم هو بسكون الواو تشبيها للمنفصل بالمتصل وهذه الآية كالنتيجة للتى قبلها ولذلك رتب عليها بالفاء ويوم يناديهم عطف على يوم القيمة او منصوب باذكر فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم شركائى فحذف المفعولان لدلالة الكلام عليهما قال الذين حق عليهم القول بثبوت مقتضاه وحصول مؤداه وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من آيات الوعيد ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هؤلاء هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول اغويناهم كما غوينا اى اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا وهو استئناف للدلالة على انهم غووا باختيارهم وانهم لم يفعلوا بهم الا وسوسة وتسويلا ويجوز ان يكون الذين صفة واغويناهم الخبر لاجل ما اتصل به فافاده زيادة على الصفة وهو وان كان فضلة لكنه صار من اللوازم تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر هوى منهم وهو تقرير للجملة المتقدمة ولذلك خلت عن العاطف وكذا ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بتبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاجابة والنصرة ورأوا العذاب لازما بهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من الحيل يدفعون به العذاب او الى الحق لما رأوا العذاب وقيل لو للتمنى اى تمنوا انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين عطف على الاول فانه تعالى يسأل اولا عن اشراكهم به ثم عن تكذيبهم الانبياء فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء لكنه عكس مبالغة ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد عليه من خارج فاذا اخطأه لم يكن له حيلة الى استحضاره والمراد بالانباء ما اجابوا به الرسل او ما يعمها واذا كانت الرسل يتتعتعون فى الجواب عن مثل ذلك من الهول ويفوضون الى علم الله تعالى فما ظنكم بالضلال من اممهم وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله فاما من تاب من الشرك وآمن وعمل صالحا وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة الكرام او ترج من التائب بمعنى فليتوقع ان يفلح وربك يخلق ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفى الاختيار عنهم رأسا والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العباد مخلوق باختيار الله منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقيل المراد انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده ما روى انه نزل فى قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع اليه محذوف والمعنى ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة اى الخير والصلاح سبحان الله تنزيها له ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختيار وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول الله وحقده

حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين ﴿٦١﴾ ويوم يناديهم فيقول اين شركاءى الذين كنتم تزعمون ﴿٦٢﴾ قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا تبرأنا اليك ما كانوا ايانا يعبدون ﴿٦٣﴾ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون ﴿٦٤﴾ ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ﴿٦٥﴾ فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون ﴿٦٦﴾ فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى ان يكون من المفلحين ﴿٦٧﴾ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴿٦٨﴾ وربك يعلم ما تكن صدورهم

وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٠﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ

وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله المستحق للعبادة لا اله الا هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد في الاولى والاخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمده المؤمنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم القضاء النافذ في كل شئ واليه ترجعون بالنشور قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والميم مزيدة كميم دلامص الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق الغائر من اله غير الله ياتيكم بضياء كان حقه هل اله فذكر بمن على زعمهم ان غيره آلهة وعن ابن كثير بضئاء بهمزتين افلا تسمعون سماع تدبر واستبصار قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها في وسط السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من متاعب الاشغال ولعله لم يصف الضياء بما يقابله لان الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل حيث قال تسكنون فيه ولان منافع الضوء اكثر مما يقابله ولذلك قرن به افلا تسمعون وبالليل افلا تبصرون لان استفادة العقل من السمع اكثر من استفادته من البصر ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار بانواع المكاسب ولعلكم تشكرون ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها ويوم يناديهم فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لا شئ اجلب لغضب الله من الاشراك به او الاول لتقرير فساد آرائهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان محض تشه وهوى ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم يشهد عليهم بما كانوا عليه فقلنا للامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون به فعلموا حينئذ ان الحق لله في الالهية لا يشاركه فيها احد وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون من الباطل ان قارون كان من قوم موسى كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى وكان ممن آمن به فبغى عليهم فطلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت امره او تكبر عليهم او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بني اسرائيل او حسدهم لما روي انه قال لموسى لك الرسالة ولهرون الحبورة وانا في غير شئ الى متى اصبر واتيناه من الكنوز من الاموال المدخرة

ما ان مفاتحه مفاتح صناديقه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل خزائنه وقياس واحدها الفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثانى مفعولى آتى ونآء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة واعصوصبوا اجتمعوا وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه اذ قال له قومه منصوب بتنوء لا تفرح لا تبطر والفرح بالدنيا مذموم مطلقا لانه نتيجة حبها والرضى بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لامحالة يوجب الترح كما قال اشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتيكم وعلل النهى ههنا بكونه مانعا من محبة الله تعالى فقال ان الله لا يحب الفرحين اى بزخارف الدنيا وابتغ فيما آتيك الله من الغنى الدار الآخرة بصرفه فيما يوجبها لك فان المقصود منه ان يكون وصلة اليها ولا تنس ولا تترك ترك المنسى نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل بها آخرتك وتأخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله كما احسن الله اليك فيما انعم عليك وقيل احسن بالشكر والطاعة كما احسن اليك بالانعام ولا تبغ الفساد فى الارض بامر يكون علة للظلم والبغى ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال انما اوتيته على علم عندى فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالجاه والمال وعلى علم فى موضع الحال وهو علم التورية وكان اعلمهم بها وقيل علم الكيمياء وقيل علم التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل علم بكنوز يوسف وعندى صفة له او متعلق بأوتيته كقولك جاز هذا عندى اى فى ظنى واعتقادى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأه فى التورية وسمعه من حفاظ التواريخ اورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفى هذا العلم عنه اى أعنده مثل ذلك العلم الذى ادعى ولم يعلم هذا حتى يقى به نفسه مصارع الهالكين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام فانه تعالى مطلع عليها او معاتبة فانهم يعذبون بها بغتة كانه لما هدد قارون بذكر اهلاك من قبله ممن كانوا اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين انه لم يكن مما يخصهم بل الله مطلع على ذنوب المجرمين كلهم معاقبهم عليها لامحالة فخرج على قومه فى زينته كما قيل انه خرج على بغلة شهباء عليها الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة آلاف على زيه قال الذين يريدون الحيوة الدنيا على ما هو عادة الناس من الرغبة يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون تمنوا مثله لا عينه حذرا من الحسد انه لذو حظ عظيم من الدنيا وقال الذين اوتوا العلم باحوال الآخرة للمتمنين ويلكم دعاء بالهلاك استعمل للزجر عما لا يرتضى ثواب الله فى الآخرة خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتى قارون بل من الدنيا وما فيها ولا يلقيها الضمير فيها للكلمة التى تكلم بها العلماء او للثواب فانه بمعنى المثوبة او الجنة او للايمان والعمل الصالح فانهما فى معنى السيرة والطريقة الا الصابرون على الطاعات وعن المعاصى فخسفنا به وبداره الارض روى انه كان يؤذى موسى عليه السلام كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت الزكاة فصالحه عن كل ألف على واحد فحسبه فاستكثره فعمد الى ان يفضح موسى بين بنى اسرائيل ليرفضوه فبرطل بغية لترميه بنفسها فلما كان يوم العيد قام موسى خطيبا فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصنا رجمناه فقال قارون ولو كنت قال ولو كنت قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاستحضرت فناشدها موسى بالله ان تصدق فقالت جعل لى قارون جعلا على ان ارميك بنفسى فخر موسى شاكيا منه الى ربه فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا ارض خذيه فاخذته الى ركبته ثم قال خذيه فاخذته الى وسطه ثم قال خذيه فاخذته الى عنقه ثم قال خذيه فخسفت به وكان قارون يتضرع اليه فى هذه الاحوال فلم يرحمه فاوحى الله اليه ما افظك استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتى وجلالى لو دعانى مرة لأجبته ثم قال بنوا اسرائيل انما فعله ليرثه فدعا الله حتى خسف بداره وامواله

مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ
قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَابْتَغِ فِيمَا
آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ
كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ
أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَ
أَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ
قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٨٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨١﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ

فما كان له من فئة اعوان مشتقة من فأوت رأسه اذا ميلته ينصرونه من دون الله فيدفعون عنه عذابه وما كان من المنتصرين الممتنعين منه من قولهم نصره
من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
ويقدر يبسط ويقدر بمقتضى مشيئته لا لكرامة تقتضي البسط ولا لهوان يوجب القبض وويكان عند البصريين مركب من وى للتعجب وكان للتشبيه والمعنى
ما اشبه الامر ان الله يبسط وقيل من ويك بمعنى ويلك وان تقديره ويك اعلم ان الله لولا ان من الله علينا فلم يعطنا ما تمنينا لخسف بنا لتوليده فينا ما ولده
فيه فخسف بنا لاجله ويكانه لا يفلح الكافرون لنعمة الله او المكذبون برسله وبما وعدوا لهم من ثواب الاخرة تلك الدار الآخرة اشارة تعظيم كانه قال تلك
التي سمعت خبرها وبلغك وصفها والدار صفة والخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا ولا فسادا ظلما على الناس كما اراد فرعون وقارون

فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ
﴿٨٢﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ
اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ
عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ تِلْكَ
الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا
فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٤﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ
مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ
إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ
إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٦﴾
وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ

والعاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه الله من جاء بالحسنة فله
خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا
السيئات وضع فيه الظاهر موضع الضمير تهجينا لحالهم بتكرير اسناد
السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اى الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل
واقام مقامه ما كانوا يعملون مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن
اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه لرادك الى معاد اى معاد وهو
المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه او مكة التي اعتدت بها على انه
من العادة ورده اليها يوم الفتح كانه لما حكم بان العاقبة للمتقين واكد ذلك
بوعد المحسنين ووعيد المسيئين وعده بالعاقبة الحسنى في الدارين روى
انه لما بلغ جحفة في مهاجره اشتاق الى مولده ومولد آبائه فنزلت قل ربي
اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصر ومن منتصب بفعل
يفسره اعلم ومن هو في ضلال مبين وما استحقه من العذاب والاذلال
يعني به نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا
ان يلقى اليك الكتاب اى سيردك الى معادك كما القى اليك الكتاب وما كنت
ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه رحمة منه ويجوز ان يكون استثناء
محمولا على المعنى كانه قال وما القى اليك الكتاب الا رحمة اى لاجل الترحم فلا
تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل منهم والاجابة الى طلبتهم ولا
يصدنك عن آيات الله عن قراءتها والعمل بها

بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصدّ وادع الى ربك الى عبادته وتوحيده ولاتكونن من المشركين بمساعدتهم ولاتدع مع الله الها اخر هذا وما قبله للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته لهم لااله الا هو كل شئ هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك فى حد ذاته معدوم له الحكم القضاء النافذ فى الخلق واليه ترجعون للجزاء بالحق عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدّق موسى وكذب ولم يبق ملك فى السموات والارض الا شهد له يوم القيمة انه كان صادقا سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون اٰية بسم الله الرحمن الرحيم الم سبق القول فيه ووقوع الاستفهام بعده دليل على استقلاله بنفسها او بما يضم معه احسب الناس الحسبان مما يتعلق بمضامين الجمل للدلالة على جهة ثبوتها ولذلك اقتضى مفعولين متلازمين او ما يسدّ مسدّهما كقوله ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون فان معناه احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم امنا فالترك اوّل

بعد اذ انزلت اليك وادع الى ربك ولا تكونن من المشركين ﴿٨٧﴾ ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴿٨٨﴾

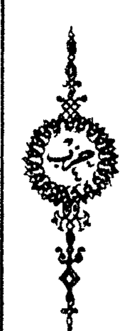
سورة العنكبوت مكية وهى تسع وستون اٰية

٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الم ﴿١﴾ احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ﴿٢﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿٣﴾ ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون ﴿٤﴾ من كان يرجوا لقاء الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم ﴿٥﴾ ومن جاهد

مفعوليه وغير مفتونين من تمامه ولقولهم هو الثانى كقولك حسبت ضربه للتأديب وانفسهم متروكين غير مفتونين لقولهم امنا بل يمتحنهم الله بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض الشهوات ووظائف الطاعات وانواع المصائب فى الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والثابت فى الدين من المضطرب فيه ولينالوا بالصبر عليها عوالى الدرجات فان مجرد الايمان وان كان من خلوص لا يقتضى غير الخلاص عن الخلود فى العذاب روى انها نزلت فى ناس من الصحابة جزعوا من اذى المشركين وقيل فى عمار وقد عذب فى الله وقيل فى مهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه رماه عامر بن الحضرمى بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه ابواه وامرأته ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل باحسب او بلا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة جارية فى الامم كلها فلا ينبغى ان يتوقع خلافه فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فليتعلق علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا فى الايمان والذين كذبوا فيه وينوط به ثوابهم وعقابهم لذلك وقيل المعنى وليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اى وليعرفنهم الناس او وليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات الكفر والمعاصى فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا ان يفوتونا فلا نقدر ان نجازيهم على مساويهم وهو ساد مسد مفعولى حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان هذا الحسبان ابطل من الاول ولهذا عقبه بقوله ساء ما يحكمون اى بئس الذى يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص بالذم من كان يرجوا لقاء الله فى الجنة وقيل المراد بلقاء الله الوصول الى ثوابه او الى العاقبة من الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل حاله بحال عبد قدم على سيده بعد زمان مديد وقد اطلع السيد على احواله فاما ان يلقاه ببشر لما رضى من افعاله او بسخط لما سخط منها فان اجل الله فان الوقت المضروب للقائه لات لجاء واذا كان وقت اللقاء اٰتيا كان اللقاء كائنا لا محالة فليبادر ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يستوجب به القربة والرضى وهو السميع لاقوال العباد العليم بعقائدهم وافعالهم ومن جاهد نفسه بالصبر على مضض الطاعة والكف عن الشهوات



فانما يجاهد لنفسه لان منفعتها انّ الله لغنيّ عن العالمين فلاحاجة به الى طاعتهم وانما كلف عباده رحمة عليهم ومراعاة لصلاحهم والذين امنوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر بالايمان والمعاصي بما يتبعها من الطاعات ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون اى احسن جزاء اعمالهم والجزاء الحسن
ان يجازى بحسنة حسنة واحسن الجزاء هو ان يجازى الحسنة الواحدة بالعشر وزيادة ووصينا الانسان بوالديه حسنا بايتائه فعلا ذا حسن او كانه فى
ذاته حسن لفرط حسنه ووصى يجرى مجرى امر معنى وتصرفا وقيل هو بمعنى قال اى وقلنا له احسن بوالديك حسنا وقيل حسنا منتصب بفعل مضمر على تقدير قول
مفسر للتوصية اى قلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف على بوالديه وقرئ حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك
به علم بالهيته عبر عن نفيها بنفى العلم بها اشعارا بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فضلا عما علم بطلانه فلا تطعهما فى ذلك فانه لا طاعة لمخلوق

فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ٧ وَالَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ
الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ
وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٩ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ١٠ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ
آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ
وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ اللَّهُ
بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ١١ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ
لَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ١٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا
اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ

فى معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر قبل الىّ مرجعكم مرجع
من آمن منكم ومن اشرك ومن برّ بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه والاية نزلت فى سعد بن ابى وقاص وامه حمنة فانها لما سمعت
باسلامه حلفت ان لا تنتقل من الضح ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد ولبثت
ثلاثة ايام كذلك وكذا التى فى لقمان والاحقاف والذين امنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فى جملتهم والكمال فى الصلاح منتهى
درجات المؤمنين ومتمنى انبياء الله المرسلين او فى مدخلهم وهى الجنة
ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذى فى الله بان عذبهم الكفرة على
الايمان جعل فتنة الناس ما يصيبهم من اذيتهم فى الصرف عن الايمان
كعذاب الله فى الصرف عن الكفر ولئن جاء نصر من ربك فتح وغنيمة
ليقولن انا كنا معكم فى الدين فاشركونا فيه والمراد المنافقون او قوم ضعف
ايمانهم فارتدوا من اذى المشركين ويؤيد الاول اوليس الله باعلم بما فى
صدور العالمين من الاخلاص والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا بقلوبهم
وليعلمن المنافقين فيجازى الفريقين وقال الذين كفروا للذين امنوا
اتبعوا سبيلنا الذى نسلكه فى ديننا ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك
خطيئة او ان كان بعث ومؤاخذة وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم
بالاتباع مبالغة فى تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت ثمه تشجيعا لهم
عليه وبهذا الاعتبار رده عليهم وكذبهم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم
من شئ انهم لكاذبون من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير
وما هم بحاملين شيأ من خطاياهم

مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ
أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا
فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ
وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا
اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَ
اشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ
أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا
كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

وليحملن اثقالهم اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم واثقالا آخر معها لما تسببوا له بالاضلال والحمل على المعاصي من غير ان ينقص من اثقال من تبعهم شئ وليسئلن يوم القيمة سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون من الاباطيل التي اضلوا بها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما بعد المبعث اذ روى انه بعث على رأس اربعين ودعا قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين ولعل اختيار هذه العبارة للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد يطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل طول المدة الى السامع فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما يكابده من الكفرة واختلاف المميزين لما في التكرار من البشاعة فاخذهم الطوفان طوفان الماء وهو لما طاف بكثرة من سيل او ظلام او نحوهما وهم ظالمون بالكفر فانجيناه اى نوحا واصحاب السفينة ومن ركبه معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة نصفهم ذكور ونصفهم اناث وجعلناها اى السفينة او الحادثة آية للعالمين يتعظون ويستدلون بها وابرهيم عطف على نوحا او نصب باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله ظرف لارسلنا اى ارسلناه حين كمل عقله وتم نظره بحيث عرف الحق وامر الناس به او بدل منه بدل الاشتمال ان قدر باذكر واتقوه ذلكم خير لكم مما انتم عليه ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون ما هو شر مما هو خير او كنتم تنظرون في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا وتكذبون كذبا في تسميتها آلهة وادعاء شفاعتها عند الله او تعملونها وتنحتونها وهو استدلال على شرارة ما هم عليه من حيث انه زور وباطل وقرئ تخلقون من خلق للتكثير وتخلقون من تخلق للتكلف وافكا على انه مصدر كالكذب او نعت بمعنى خلقا ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا دليل ثان على شرارة ذلك من حيث انه لا يجدى بطائل ورزقا يحتمل المصدر بمعنى لا يستطيعون ان يرزقوكم وان يراد المرزوق وتنكيره للتعميم فابتغوا عند الله الرزق كله فانه المالك له واعبدوه واشكروا له متوسلين الى مطالبكم بعبادته مقيدين لما حفكم من النعم بشكره او مستعدين للقائه بهما فانه اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء وان تكذبوا وان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم من قبلي من الرسل فلم يضرهم تكذيبهم وانما ضر انفسهم حيث تسبب لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الذى زال معه الشك وما عليه ان يصدق ولا يكذب فالاية وما بعدها من جملة قصة ابراهيم الى قوله فما كان جواب قومه ويحتمل ان يكون اعتراضا بذكر شان النبى صلى الله عليه وسلم وقريش وهدم مذهبهم والوعيد على سوء صنيعهم توسط بين طرفي قصته من حيث ان مساقها لتسلية الرسول عليه الصلاة والسلام والتنفيس عنه بان اباه خليل الله كان ممنوا بنحو ما منى به من شرك القوم وتكذيبهم وتشبيه حالهم فيهم بحال ابراهيم في قومه اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق من مادة وغيرها وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بالتاء على تقدير القول وقرئ يبدأ ثم يعيده اخبار بالاعادة بعد بالموت معطوف على اولم يروا لا على يبدئ فان الرؤية غير واقعة عليه ويجوز ان يأول الاعادة بان ينشئ في كل سنة مثل ما كان في السنة السابقة من النبات والثمار ونحوهما ويعطف على يبدئ ان ذلك الاشارة الى الاعادة او الى ما ذكر من الامرين على الله يسير اذ لا يفتقر في فعله الى شئ

قُلْ سِيرُوْا فِى الْاَرْضِ فَانْظُرُوْا كَيْفَ بَدَاَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللّٰهُ يُنْشِئُ
النَّشْاَةَ الْاٰخِرَةَ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ﴿٢١﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَّشَآءُ
وَيَرْحَمُ مَنْ يَّشَآءُ وَاِلَيْهِ تُقْلَبُوْنَ ﴿٢٢﴾ وَمَآ اَنْتُمْ بِمُعْجِزِيْنَ فِى الْاَرْضِ
وَلَا فِى السَّمَآءِ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَّلَا نَصِيْرٍ ﴿٢٣﴾
وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ وَلِقَآئِهٖٓ اُولٰٓئِكَ يَئِسُوْا مِنْ رَّحْمَتِيْ
وَاُولٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿٢٤﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهٖٓ اِلَّآ اَنْ
قَالُوا اقْتُلُوْهُ اَوْ حَرِّقُوْهُ فَاَنْجٰىهُ اللّٰهُ مِنَ النَّارِ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ
لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ اِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَوْثَانًا
مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكْفُرُ
بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَّيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَّمَاْوٰىكُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِّنْ نّٰصِرِيْنَ ﴿٢٦﴾ فَاٰمَنَ لَهٗ لُوْطٌ وَقَالَ اِنِّيْ مُهَاجِرٌ اِلٰى رَبِّيْ

قل سيروا فى الارض حكاية كلام الله لابراهيم او محمد عليهما السلام فانظروا كيف بدأ الخلق على اختلاف الاجناس والاحوال ثم الله ينشئ النشأة الاخرة بعد النشأة الاولى التى هى الابداء فانه والاعادة نشأتان من حيث ان كلا اختراع واخراج من العدم والافصاح باسم الله مع ايقاعه مبتدأ بعد اضماره فى بدأ والقياس الاقتصار عليه للدلالة على ان المقصود بيان الاعادة وان من عرف بالقدرة على الابداء ينبغى ان يحكم له بالقدرة على الاعادة لانها اهون والكلام فى العطف ما مر وقرئ النشاءة كالرآفة ان الله على كل شئ قدير لان قدرته لذاته ونسبة ذاته الى كل الممكنات على سواء فيقدر على النشأة الاخرى كما قدر على النشأة الاولى يعذب من يشاء تعذيبه ويرحم من يشاء رحمته واليه تقلبون تردون وما انتم بمعجزين ربكم عن ادراككم فى الارض ولا فى السماء ان فررتم من قضائه بالتوارى فى الارض او الهبوط فى مهاويها والتحصن فى السماء او القلاع الذاهبة فيها وقيل ولا من فى السماء كقول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير يحرسكم من بلاء يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بايات الله بدلائل وحدانيته او بكتبه ولقائه بالبعث اولئك يئسوا من رحمتى اى ييئسون منها يوم القيمة فعبر عنه بالماضى للتحقق والمبالغة او ايسوا فى الدنيا لانكار البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم بكفرهم فما كان جواب قومه قوم ابرهيم له وقرئ بالرفع على انه الاسم والخبر الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه وكان ذلك قول بعضهم لكن لما قيل فيهم او رضى به الباقون اسند الى كلهم فانجيه الله من النار اى فقذفوه فى النار فانجيه الله منها بان جعلها عليه بردا وسلاما ان فى ذلك فى انجائه منها لايات هى حفظه من اذى النار واخمادها مع عظمها فى زمان يسير وانشاء روض مكانها لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بالفحص عنها والتامل فيها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا اى لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وثانى مفعولى اتخذتم محذوف ويجوز ان يكون مودة المفعول الثانى بتقدير مضاف او بتاويلها بالمودودة اى اتخذتم اوثانا سبب المودة بينكم وقرأها نافع وابن عامر وابو بكر منونة ناصبة بينكم والوجه ما سبق وابن كثير وابو عمرو والكسائى ورويس مرفوعة مضافة على انه خبر مبتدأ محذوف اى هى مودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثانا او خبر ان على ان ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما قرئ لقد تقطع بينكم وقرئ انما مودة بينكم ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى يقوم التناكر والتلاعن بينكم او بينكم وبين الاوثان على تغليب المخاطبين كقوله ويكونون عليهم ضدا وماويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها فامن له لوط هو ابن اخته واول من امن به وقيل انه آمن به حين رأى النار لم تحرقه وقال انى مهاجر من قومى الى ربى الى حيث امرنى ربى

انه هو العزيز الذى يمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لايأمرنى الا بما فيه صلاحى روى انه هاجر من كوثى سواد الكوفة مع لوط وامرأته سارة ابنة عمه الى حرّان ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب ولدا ونافلة حين أيس من الولادة من عجوز عاقر ولذلك لم يذكر اسمعيل وجعلنا فى ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب يريد به الجنس ليتناول الكتب الاربعة واتيناه اجره على هجرته الينا فى الدنيا باعطاء الولد فى غير اوانه والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى اخر الدهر وانه فى الاخرة لمن الصالحين لفى عداد الكاملين فى الصلاح ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف عليه اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة فى القبح وقرأ الحرميان وابن عامر وحفص بهمزة مكسورة على الخبر والباقون على الاستفهام واجمعوا على الاستفهام فى الثانية ماسبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لفاحشتها من حيث انها مما اشمأزت منه الطباع وتحاشت عنه النفوس حتى اقدموا عليها لخبث طينتهم

اِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَاٰتَيْنَاهُ اَجْرَهُ فِى الدُّنْيَا وَاِنَّهُ فِى الْاٰخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٨﴾ وَلُوطًا اِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اِنَّكُمْ لَتَاْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ اَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ اَئِنَّكُمْ لَتَاْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَاْتُونَ فِى نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ اِلَّا اَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِى عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا اِبْرٰهِيمَ بِالْبُشْرٰى قَالُوا اِنَّا مُهْلِكُوا اَهْلِ هٰذِهِ الْقَرْيَةِ اِنَّ اَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ اِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَاَهْلَهُ اِلَّا امْرَاَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَمَّا اَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيْءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ

ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة بالقتل واخذ المال او بالفاحشة حتى انقطعت الطرق او تقطعون سبيل النسل بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون فى ناديكم المنكر فى مجالسكم الغاصة ولا يقال النادى الا لما فيه اهله المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها من القبائح عدم مبالاة بها وقيل بالحذف ورمى البنادق فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فى استقباح ذلك او فى دعوة النبوة المفهومة من التوبيخ قال رب انصرنى بانزال العذاب على القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم وصفهم بذلك مبالغة فى استنزال العذاب واشعارا بانهم احقاء بان يعجل لهم العذاب ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى بالبشارة بالولد والنافلة قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل لاهلاكهم باصرارهم وتماديهم فى ظلمهم الذى هو الكفر وانواع المعاصى قال ان فيها لوطا اعتراض عليهم بان فيها من لم يظلم او معارضة للموجب بالمانع وهو كون النبى بين اظهرهم قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله تسليم لقوله مع ادعاء مزيد العلم به وانهم ما كانوا غافلين عنه وجواب عنه بتخصيص الاهلاك بمن عداه واهله وتاقيت الاهلاك باخراجهم منها وفيه تأخير البيان عن الخطاب الا امرأته كانت من الغابرين الباقين فى العذاب او القرية ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيئ بهم جاءته المساءة والغم بسببهم مخافة ان يقصدهم قومه بسوء وان صلة لتاكيد الفعلين واتصالهما وضاق بهم ذرعا وضاق بشأنهم وتدبير امرهم ذرعه اى طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب ذرعه بكذا اذا كان مطيقا له وذلك لان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع

وقالوا لما رأوا فيه اثر الضجرة لاتخف ولاتحزن على تمكنهم منا انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين وقرأ حمزة وابن كثير والكسائى ويعقوب لننجينه ومنجوك بالتخفيف ووافقهم ابوبكر فى الثانى وموضع الكاف على المختار الجر ونصب اهلك باضمار فعل اوبالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء عذابا منها سمى بذلك لانه يقلق المعذب من قولهم ارتجز اذا ارتجس اى اضطرب وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم ولقد تركنا منها اية بينة هى حكايتها الشائعة اوآثار الديار الخربة وقيل الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعد وقيل بقية انهارها المسودة لقوم يعقلون يستعملون عقولهم فى الاستبصار والاعتبار وهو متعلق بتركنا اوآية والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر وافعلوا ماترجون به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب وقيل انه من الرجاء بمعنى الخوف ولاتعثوا فى الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وقيل صيحة جبرائيل لان القلوب ترجف بها فاصبحوا فى دارهم فى بلدهم اودورهم ولم يجمع لامن اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار اذكر او فعل دل عليه ماقبله مثل اهلكنا وقرأ حمزة وحفص ويعقوب وثمود غير مصروف على تأويل القبيلة وقد تبين لكم من مساكنهم اى تبين لكم بعض مساكنهم او اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وزين لهم الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصى فصدهم عن السبيل السوى الذى بين الرسل لهم وكانوا مستبصرين متمكنين من النظر والاستبصار ولكنهم لم يفعلوا اومتبينين ان العذاب لاحق بهم باخبار الرسل لهم ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون وهامان معطوفون على عادا وتقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا من المذكورين اخذنا بذنبه عاقبنا بذنبه

ذرعا وقالوا لاتخف ولاتحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين ﴿٣٣﴾ انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون ﴿٣٤﴾ ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون ﴿٣٥﴾ والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولاتعثوا فى الارض مفسدين ﴿٣٦﴾ فكذبوه فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين ﴿٣٧﴾ وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ﴿٣٨﴾ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض وما كانوا سابقين ﴿٣٩﴾ فكلا اخذنا بذنبه فمنهم

فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا عاصفا فيها حصباء او ملكا رماهم بها كقوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم معاملة الظالم فيعاقبهم بغير جرم اذ ليس ذلك من عادته ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالتعريض للعذاب مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذاك اوهن فان لهذا حقيقة وانتفاعا ما او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والتاء فيه كتاء طاغوت ويجمع على عناكيب وعناكب وعكاب وعكبة واعكب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لا بيت اوهن واقل وقاية للحر والبرد منه لو كانوا يعلمون يرجعون الى علم لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهن من ذلك ويجوز ان يكون المراد ببيت العنكبوت دينهم سماه به تحقيقا للتمثيل فيكون المعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما تدعون من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله يعلم وقرأ البصريان ويعقوب بالياء حملا على ما قبله وما استفهامية منصوبة بتدعون ويعلم معلقة عنها ومن للتبيين او نافية ومن مزيدة وشيء مفعول تدعون او مصدرية وشيء مصدر او موصولة مفعول ليعلم ومفعول تدعون عائده المحذوف والكلام على الاولين تجهيل لهم وتوكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز الحكيم تعليل على المعنيين فان من فرط الغباوة اشراك ما لا يعد شيئا بمن هذا شانه وان الجماد بالاضافة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية كالمعدوم وان من هذا صفته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال يعني هذا المثل ونظائره نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها ولا يعقل حسنها وفائدتها الا العالمون الذين يتدبرون الاشياء على ما ينبغي وعنه عليه الصلاة والسلام انه تلا هذه الاية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق محقا غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الخير والدلالة على ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله ان في ذلك لاية للمؤمنين لانهم المنتفعون بها اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله بقراءته وتحفظا لالفاظه واستكشافا لمعانيه فان القارئ المتأمل قد ينكشف له بالتكرار ما لم ينكشف له اول ما قرع سمعه واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر بان تكون سببا للانتهاء عن المعاصي حال الاشتغال بها وغيرها من حيث انها تذكر الله وتورث للنفس خشية منه روي ان فتى من الانصار كان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث الا ان تاب ولذكر الله اكبر ولا الصلاة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به للتعليل بان اشتمالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات ناهية عن السيئات او لذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم به احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن كمعارضة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح وقيل هو منسوخ باية السيف اذ لا مجادلة اشد منه وجوابه انه اخر الدواء وقيل المراد به ذوو العهد منهم الا الذين ظلموا منهم بالافراط في الاعتداء والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة او بنبذ العهد ومنع الجزية

مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ
خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ
اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ
لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٣﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ
نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٤﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٥﴾ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ
مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٦﴾
وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا



وقالوا

مِنْهُمْ وَقُولُوٓا ءَامَنَّا بِالَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَٰبَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا الْكَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٩﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا الظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا الْءَايَٰتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا

وقولوا امنا بالذى انزل الينا وانزل اليكم هو من المجادلة بالتى هى احسن وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وملائكته وبكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون مطيعون له خاصة وفيه تعريض باتخاذهم احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب وحيا مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به هم عبد الله بن سلام واضرابه او من تقدم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ومن العرب او اهل مكة او ممن فى عهد الرسول من الكتابيين من يؤمن به بالقرآن وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وقيام الحجة عليها الا الكافرون الا المتوغلون فى الكفر فان جزمهم به يمنعهم عن التأمل فيما يفيد لهم صدقها لكونها معجزة بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك فان ظهور هذا الكتاب الجامع لانواع العلوم الشريفة على امى لم يعرف بالقراءة والتعلم خارق للعادة وذكر اليمين زيادة تصوير للمنفى ونفى للتجوز فى الاسناد اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وانما سماهم مبطلين لكفرهم او لارتيابهم بانتفاء وجه واحد من وجوه الاعجاز المتكاثرة وقيل لارتاب اهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما فى كتبهم فيكون ابطالهم باعتبار الواقع دون المقدر بل هو بل القرآن آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد بآياتنا الا الظالمون الا المتوغلون فى الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل اعجازها حتى لم يعتدوا بها وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى وقرأ نافع وابن عامر والبصريان وحفص آيات قل انما الآيات عند الله ينزلها كيف يشاء لست املكها فآتيكم بما تقترحونه وانما انا نذير مبين ليس من شأنى الا الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات اولم يكفهم آية مغنية عما اقترحوه انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا يزال معهم آية ثابتة لا يضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعنى اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك ونعت دينك ان فى ذلك فى ذلك الكتاب الذى هو آية مستمرة وحجة مبينة لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى لقوم يؤمنون وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف كتب فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة لقوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا بصدقى وقد صدقنى بالمعجزات او بتبليغى ما ارسلت به اليكم ونصحى ومقابلتكم اياى بالتكذيب والتعنت يعلم ما فى السموات والارض فلا يخفى عليه حالى وحالكم والذين آمنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله

وكفروا بالله منكم اولئك هم الخاسرون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان ويستعجلونك بالعذاب بقولهم امطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى لكل عذاب او قوم لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة فجاءة في الدنيا كوقعة بدر والآخرة عند نزول الموت بهم وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم واللام للعهد على وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على موجب الاحاطة او للجنس فيكون استدلالا بحكم الجنس على حكمهم يوم يغشيهم العذاب ظرف لمحيطة او مقدر مثل كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم من جميع جوانبهم ويقول الله او بعض الملئكة بامره لقراءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالنون ذوقوا ما كنتم تعملون اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون اي اذا لم يتسهل لكم العبادة في بلدة ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه عليه السلام من فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضي واسعة ان لم تخلصوا العبادة لي في ارض فاخلصوها في غيرها كل نفس ذائقة الموت تناله لا محالة ثم الينا ترجعون للجزاء ومن هذا عاقبته ينبغي ان يجتهد في الاستعداد له وقرأ ابو بكر بالياء والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرئ لنثوينهم اي لنقيمنهم من الثواء فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او تشبيه الظرف الموقت بالمبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين وقرئ فنعم والمخصوص بالمدح محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على اذية المشركين والهجرة للدين الى غير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولا يتوكلون الا على الله وكاين من دابة لا تحمل رزقها لا تطيق حمله لضعفها او لا تدخره وانما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله لان رزق الكل باسباب هو المسبب لها وحده فلا تخافوا على معاشكم بالهجرة فانهم لما امروا بالهجرة قال بعضهم كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت وهو السميع لقولكم هذا العليم بضميركم ولئن سالتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر المسؤل عنهم اهل مكة

بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

ليقولن الله لما تقرر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات الى واحد واجب الوجود فانى يؤفكون يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على ان البسط والقبض على التعاقب وان لا يكون على وضع الضمير موضع من يشاء وابهامه لان من يشاء مبهم ان الله بكل شئ عليم يعلم مصالحهم ومفاسدهم ولئن سالتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذى لا يقدر على شئ من ذلك قل الحمد لله على ما عصمك من مثل هذه الضلالة او على تصديقك واظهار حجتك بل اكثرهم لا يعقلون فيتناقضون حيث يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم يشركون به الصنم وقيل لا يعقلون ما تريد بتحميدك عند مقالهم وما هذه الحيوة الدنيا اشارة تحقير وكيف لا وهى لا تزن

وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ

عند الله جناح بعوضة الا لهو ولعب الا كما يلهى ويلعب به الصبيان ويجتمعون عليه ويبتهجون به ساعة ثم يتفرقون متعبين وان الدار الاخرة لهى الحيوان لهى دار الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت عليها او جعلت في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حى سمى به ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا لو كانوا يعلمون لم يؤثروا عليها الدنيا التى اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال فاذا ركبوا فى الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم اى هم على ما وصفوا به من الشرك فاذا ركبوا البحر دعوا الله مخلصين له الدين كائنين فى صورة من اخلص دينه من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدائد الا هو فلما نجيهم الى البر اذا هم يشركون فاجاؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه لام كى اى يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها او لام الامر على التهديد ويؤيده قراءة ابن كثير وحمزة والكسائى وقالون عن نافع وليتمتعوا بالسكون فسوف يعلمون عاقبة ذلك حين يعاقبون اولم يروا يعنى اهل مكة انا جعلنا حرما امنا اى جعلنا بلدهم مصونا من النهب والتعدى امنا اهله من القتل والسبى ويتخطف الناس من حولهم يختلسون قتلا وسبيا اذ كانت العرب حواليهم فى تغاور وتناهب افبالباطل ابعد هذه النعمة المكشوفة وغيرها مما لا يقدر عليه الا الله بالصنم او الشيطان يؤمنون وبنعمة الله يكفرون حيث اشركوا به غيره وتقديم الصلتين للاهتمام او الاختصاص على طريق المبالغة

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان له شريكا اوكذب بالحق لما جاءه يعنى الرسول او الكتاب وفى لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتأملوا قط حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب اول ما سمعوه

اليس فى جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم كقوله الستم خير من ركب المطايا اى الا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب او لاجترائهم اى الم يعلموا ان فى جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجرأة والذين جاهدوا فينا فى حقنا فاطلاق المجاهدة ليعم جهاد الاعادى الظاهرة والباطنة بانواعه لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول الى جنابنا او لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وفى الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين بالنصرة والاعانة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهى ستون او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم فى ادنى الارض ارض العرب منهم لانها الارض المعهودة عندهم او فى ادنى ارضهم من العرب واللام بدل من الاضافة وهم من بعد غلبهم من اضافة المصدر الى المفعول وقرئ غلبهم وهو لغة كالحلب والحلب سيغلبون فى بضع سنين روى ان الفرس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة وهى ادنى ارض الروم من الفرس فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر لا يقرن الله اعينكم فوالله ليظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابى بن خلف كذبت اجعل بيننا اجلا انا حبك عليه فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده فى الخطر وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قفوله من احد وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية فاخذ ابو بكر الخطر من ورثة ابى وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به واستدل به الحنفية على جواز العقود الفاسدة فى دار الحرب واجيب بانه كان قبل تحريم القمار والاية من دلائل النبوة لانها اخبار عن الغيب وقرئ غلبت بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام والمسلمون سيغلبونهم وفى السنة التاسعة من نزوله غزاهم المسلمون وفتحوا بعض بلادهم وعلى هذا يكون اضافة الغلب الى الفاعل لله الامر من قبل ومن بعد من قبل كونهم غالبين وهو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين اى له الامر حين غلبوا وحين يغلبون ليس شئ منهما الا بقضائه وقرئ من قبل ومن بعد من غير تقدير مضاف اليه كانه قيل قبلا وبعدا اى اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم يفرح المؤمنون بنصر الله من له كتاب على من لا كتاب له لما فيه من انقلاب التفاؤل وظهور صدقهم فيما اخبروا به المشركين وغلبتهم فى رهانهم

اَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكٰفِرِيْنَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوْا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۗ وَاِنَّ اللّٰهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٦٩﴾

سُوْرَةُ الرُّوْمِ مَكِّيَّةٌ وَّهِيَ سِتُّوْنَ اٰيَةً

٣٠

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الٓمّٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّوْمُ ﴿٢﴾ فِيْٓ اَدْنَى الْاَرْضِ وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُوْنَ ﴿٣﴾ فِيْ بِضْعِ سِنِيْنَ ۗ لِلّٰهِ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ۗ وَيَوْمَئِذٍ يَّفْرَحُ الْمُؤْمِنُوْنَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللّٰهِ ۗ يَنْصُرُ مَنْ يَّشَآءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللّٰهِ ۗ لَا يُخْلِفُ اللّٰهُ وَعْدَهٗ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُوْنَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۖ وَهُمْ عَنِ الْاٰخِرَةِ هُمْ غٰفِلُوْنَ ﴿٧﴾ اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ

وازدياد يقينهم وثباتهم فى دينهم وقيل بنصر الله المؤمنين باظهار صدقهم او بان ولى بعض اعدائهم بعضا حتى تفانوا ينصر من يشاء فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء اخرى وهو العزيز الرحيم ينتقم من عباده بالنصر عليهم تارة ويتفضل عليهم بنصرهم اخرى وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لان ما قبله فى معنى الوعد لا يخلف الله وعده لامتناع الكذب عليه ولكن اكثر الناس لا يعلمون وعده ولا صحة وعده لجهلهم وعدم تفكرهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا ما يشاهدونه منها والتمتع بزخارفها وهم عن الاخرة التى هى غايتها والمقصود منها هم غافلون لا تخطر ببالهم وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبر الاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن غفلتهم عن الاخرة المحققة لمقتضى الجملة المتقدمة المبدلة من قوله لا يعلمون تقريرا لجهالتهم وتشبيها لهم بالحيوانات المقصور ادراكها من الدنيا على بعض ظاهرها فان من العلم بظاهرها معرفة حقائقها وصفاتها وخصائصها وافعالها واسبابها وكيفية صدورها والتصرف فيها ولذلك نكر ظاهرا واما باطنها فانها مجاز الى الاخرة ووصلة الى نيلها وانموذج لاحوالها واشعارا بانه لا فرق بين عدم العلم والعلم الذى يختص بظاهر الدنيا

اولم يتفكروا في انفسهم اولم يحدثوا التفكر فيها او اولم يتفكروا في امر انفسهم فانها اقرب اليهم من غيرها ومرأة يجتلي فيها للمستبصر ما يجتلي له في الممكنات باسرها ليتحقق له قدرة مبدعها على اعادتها من قدرته على ابدائها ماخلق الله السموات والارض ومابينهما الا بالحق متعلق بقول او علم محذوف يدل عليه الكلام واجل مسمى تنتهي عنده ولا تبقى بعده وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم بلقاء جزآئه عند انقضاء قيام الاجل المسمى او قيام الساعة لكافرون جاحدون يحسبون ان الدنيا ابدية وان الاخرة لاتكون اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم تقرير لسيرهم في اقطار الارض ونظرهم الى آثار المدمرين قبلهم كانوا اشد منهم قوة كعاد وثمود واثاروا الارض وقلبوا وجهها لاستنباط المياه واستخراج المعادن وزرع البذور وغيرها وعمروها وعمروا الارض اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة اياها فانهم اهل واد غير ذي زرع لاتبسط لهم في غيرها

ماخلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقائ ربهم لكافرون ﴿٩﴾ اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ﴿١٠﴾ ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزءون ﴿١١﴾ الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون ﴿١٢﴾ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ﴿١٣﴾ ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين ﴿١٤﴾ ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون ﴿١٥﴾

وفيه تهكم بهم من حيث انهم مغترون بالدنيا مفتخرون بها وهم اضعف حالا فيها اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد والتصرف في اقطار الارض بانواع العمارة وهم ضعفاء ملجؤن الى واد لانفع له وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والايات الواضحات فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يفعل الظلمة فيدمرهم من غير جرم ولا تذكير ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عملوا ما ادى الى تدميرهم ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اي ثم كان عاقبتهم العقوبة السوأى او الخصلة السوأى فوضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما اقتضى ان يكون تلك عاقبتهم وانهم جوزوا بمثل افعالهم والسوأى تأنيث الاسوء كالحسنى او مصدر كبشرى نعت بها ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن علة او بدل او عطف بيان للسوأى وخبر كان والسوأى مصدر اساؤا او مفعوله بمعنى ثم كان عاقبة الذين اقترفوا الخطيئة ان طبع الله على قلوبهم حتى كذبوا الايات واستهزؤا بها ويجوز ان تكون السوأى صلة الفعل وان كذبوا تابعها والخبر محذوفا للابهام والتهويل وان يكون ان مفسرة لان الاساءة اذا كانت مفسرة بالتكذيب والاستهزاء كانت متضمنة معنى القول وقرأ ابن عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على ان الاسم السوأى وان كذبوا على الوجوه المذكورة الله يبدؤا الخلق ينشئهم ثم يعيده يبعثهم ثم اليه ترجعون للجزاء والعدول الى الخطاب للمبالغة في المقصود وقرأ ابو عمرو وابوبكر وروح بالياء على الاصل ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يسكتون متحيرين آيسين يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لاترغو وقرئ بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم من شركائهم ممن اشركوهم بالله شفعاء يجيرونهم من عذاب الله ومجيئه بلفظ الماضي لتحققه وكانوا بشركائهم كافرين يكفرون بالهتهم حين يئسوا منهم وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب في المصحف شفعوآء وعلمواء بني اسرائيل بالواو والسوأى بالالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي المؤمنون والكافرون لقوله

فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة ارض ذات ازهار وانهار يحبرون يسرّون سرورا تهللت له وجوههم واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك فى العذاب محضرون مدخلون لايغيبون عنه فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اخبار فى معنى الامر بتنزيه الله تعالى والثناء عليه فى هذه الاوقات التى تظهر فيها قدرته وتجدد فيها نعمته اودلالة على ان مايحدث فيها من الشواهد الناطقة بتنزيهه واستحقاق الحمد ممن له تمييز من اهل السموات والارض وتخصيص التسبيح بالمساء والصباح لان اثار القدرة والعظمة فيهما اظهر وتخصيص الحمد بالعشى الذى هو آخر النهار من عشيت العين اذا نقص نورها والظهيرة التى هى وسطه لان تجدد النعم فيها اكثر ويجوز ان يكون عشيا معطوفا على حين تمسون وقوله وله الحمد فى السموات والارض اعتراضا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب والعشاء وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك زعم الحسن انها مدنية لانه كان يقول كان الواجب بمكة ركعتين فى اى وقت اتفقت وانما فرضت الخمس بالمدينة والاكثر على انها فرضت بمكة وعنه عليه الصلاة والسلام من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل فسبحان الله حين تمسون الاية وعنه عليه الصلاة والسلام من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته فى ليلته ومن قال حين يمسى ادرك مافاته فى يومه وقرئ حينا تمسون وحينا تصبحون اى تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحى من الميت كالانسان من النطفة والطائر من البيضة ويخرج الميت من الحى النطفة والبيضة او يعقب الحياة بالموت وبالعكس ويحيى الارض بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك ومثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم فانه ايضا تعقيب الحياة بالموت وقرأ حمزة والكسائى بفتح التاء ومن اياته ان خلقكم من تراب اى فى اصل الانشاء لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم فاجاءتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم وسائر النساء خلقن من نطف الرجال اولانهن من جنسهم لامن جنس آخر لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتألفوا بها فان الجنسية علة للضم والاختلاف سبب للتنافر وجعل بينكم اى بين الرجال والنساء او بين افراد الجنس مودة ورحمة بواسطة الزواج حالة الشبق وغيرها بخلاف سائر الحيوانات نظما لامر المعاش او بان تعيش الانسان متوقف على التعارف والتعاون المحوج الى التواد والتراحم وقيل المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لقوله ورحمة منا ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون فيعلمون ما فى ذلك من الحكم ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم بان علم كل صنف لغة اوالهمه وضعها واقدره عليها اواجناس نطقكم واشكاله فانه لاتكاد تسمع منطقين متساويين فى الكيفية والوانكم بياض الجلد وسواده او تخطيطات الاعضاء وهيئاتها والوانها وحلاها بحيث وقع التمايز والتعارف حتى ان التوأمين مع توافق موادهما واسبابهما والامور الملاقية لهما فى التخليق يختلفان فى شئ من ذلك لامحالة ان فى ذلك لايات للعالمين لاتكاد تخفى على عاقل من ملك وانس وجن وقرأ حفص بكسر اللام ويؤيده قوله وما يعقلها الا العالمون

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٧﴾ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٩﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ

ومن ياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله منامكم فى الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب معاشكم فيهما
او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين اشعارا بان كلا من الزمانين وان اختص باحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة
يؤيده سائر الآيات الواردة فيه ان فى ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة ومن اياته يريكم البرق مقدر بان كقول الشاعر
الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى او الفعل فيه منزل منزلة المصدر كقوله تسمع بالمعيدى خير من ان تراه او صفة لمحذوف
تقديره آية يريكم بها البرق كقوله فما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغى العيش اكدح خوفا من الصاعقة للمسافر وطمعا فى الغيث للمقيم
ونصبهما على العلة لفعل يلزم المذكور فان اراءتهم تستلزم رؤيتهم اوله على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او تأويل الخوف والطمع بالاخافة

مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ

والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال مثل كلمته شفاها
وينزل من السماء ماء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالتخفيف فيحيى به
الارض بعد موتها يبسها ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون
يستعملون عقولهم فى استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال
قدرة الصانع وحكمته ومن اياته ان تقوم السماء والارض بامره
قيامهما باقامته لهما وارادته لقيامهما فى حيزهما المعين من غير
مقيم محسوس والتعبير بالامر للمبالغة فى كمال القدرة والغنى
عن الالة ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون عطف
على ان تقوم على تأويل المفرد كانه قيل ومن اياته قيام السموات
والارض بامره ثم خروجكم من القبور اذا دعاكم دعوة واحدة فيقول
ايتها الموتى اخرجوا والمراد تشبيه سرعة ترتب حصول ذلك على
تعلق ارادته بلا توقف واحتياج الى تجشم عمل بسرعة ترتب اجابة
الداعى المطاع على دعائه وثم اما للتراخى زمانه او لعظم ما فيه ومن
الارض متعلق بدعا كقوله دعوته من اسفل الوادى فطلع الى
لا بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها واذا الثانية للمفاجأة
ولذلك نابت مناب الفاء فى جواب الاولى وله من فى السموات
والارض كل له قانتون منقادون لفعله فيهم لا يمتنعون عليه
وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده بعد هلاكهم وهو اهون
عليه والاعادة اسهل عليه من الاصل بالاضافة الى قدركم
والقياس على اصولكم والا فهما عليه سواء ولذلك قيل الهاء للخلق
وقيل اهون بمعنى هين وتذكير هو لاهون او لان الاعادة بمعنى ان
يعيد وله المثل الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة والحكمة
التامة ومن فسره بقول لا اله الا الله اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى
الذى ليس لغيره ما يساويه او يدانيه فى السموات والارض يصف
به ما فيهما دلالة ونطقا وهو العزيز القادر الذى لا يعجز عن ابداء ممكن واعادته الحكيم الذى يجرى الافعال على مقتضى حكمته ضرب
لكم مثلا من انفسكم منتزعا من احوالها التى هى اقرب الامور اليكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من مماليككم من شركاء فيما رزقناكم
من الاموال وغيرها فانتم فيه سواء فتكونون انتم وهم فيه شرع يتصرفون فيه كتصرفكم مع انهم بشر مثلكم وانها معارة لكم ومن الاولى
للابتداء والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتأكيد الاستفهام الجارى مجرى النفى تخافونهم ان يستبدوا بتصرف فيه كخيفتكم
انفسكم كما تخاف الاحرار بعضهم من بعض كذلك مثل ذلك التفصيل

نفصل الآيات نبينها فان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون يستعملون عقولهم في تدبر الامثال بل اتبع الذين ظلموا بالاشراك اهواءهم بغير علم جاهلين لا يكفهم شيء فان العالم اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه فمن يهدي من اضل الله فمن يقدر على هدايته وما لهم من ناصرين يخلصونهم من الضلالة ويحفظونهم من آفاتها فاقم وجهك للدين حنيفا فقومه له غير ملتفت او ملتفت عنه وهو تمثيل للاقبال والاستقامة عليه والاهتمام به فطرة الله خلقته نصب على الاغراء او المصدر لما دل عليه ما بعده التي فطر الناس عليها خلقهم عليها وهو قبولهم للحق وتمكنهم من ادراكه او ملة الاسلام فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وقيل العهد المأخوذ من آدم وذريته لا تبديل لخلق الله لا يقدر احد ان يغيره او ما ينبغي ان يغير ذلك اشارة الى الدين المأمور باقامة الوجه له او الفطرة ان فسرت بالملة الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون استقامته لعدم تدبرهم منيبين اليه راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقيل منقطعين اليه من الناب وهو حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لان الآية خطاب للرسول والامة لقوله واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين غير انها صدرت بخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعظيما له من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين وتفريقهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وقرأ حمزة والكسائي فارقوا بمعنى تركوا دينهم الذي امروا به وكانوا شيعا فرقا تشايع كل امامها الذي اضل دينها كل حزب بما لديهم فرحون مسرورون ظنا بانه الحق ويجوز ان يجعل فرحون صفة كل على ان الخبر من الذين فرقوا واذا مس الناس ضر شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه من دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون فاجأ فريق منهم الاشراك بربهم الذي عافاهم ليكفروا بما آتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر بمعنى التهديد لقوله فتمتعوا غير انه التفت فيه مبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان تمتعوا ماض ام انزلنا عليهم سلطانا حجة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم تكلم دلالة كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم وصحته او بالامر الذي بسببه يشركون به والوهيته واذا اذقنا الناس رحمة نعمة من صحة وسعة فرحوا بها بطروا بسببها وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشؤم معاصيهم

الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

حزب

اذا هم يقنطون فاجاؤا القنوط من رحمته وقرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه كصلة الرحم واحتج به الحنفية على وجوب النفقة للمحارم وهو غير مشعر به والمسكين وابن السبيل ماوظف لهما من الزكوة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اولمن بسط له ولذلك رتب على ما قبله بالفاء ذلك خير للذين يريدون وجه الله ذاته او جهته اي يقصدون اياه بمعروفهم خالصا او جهة التقرب اليه لاجهة اخرى واولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربوا زيادة محرمة في المعاملة او عطية يتوقع بها مزيد مكافاة وقرأ ابن كثير بالقصر بمعنى ما جئتم به من اعطاء ربوا ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكو في اموالهم فلا يربو عند الله فلا يزكو عنده ولا يبارك فيه وقرأ نافع ويعقوب لتربوا اي لتزيدوا او لتصيروا

ايديهم اذا هم يقنطون ﴿٣٦﴾ اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ﴿٣٧﴾ فات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون ﴿٣٨﴾ وما اتيتم من ربا ليربوا في اموال الناس فلا يربوا عند الله وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون ﴿٣٩﴾ الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿٤٠﴾ ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴿٤١﴾ قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان

ذوي ربوا وما اتيتم من زكوة تريدون وجه الله تبتغون به وجهه خالصا فاولئك هم المضعفون ذووا الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذي القوة واليسار او الذين ضعفوا ثوابهم او اموالهم ببركة الزكوة وقرئ بفتح العين وتغييره عن سنن المقابلة عبارة ونظما للمبالغة والالتفات فيه للتعظيم كانه خاطب به الملئكة وخواص الخلق تعريفا لحالهم او للتعميم كانه قال فمن فعل ذلك فاولئك هم المضعفون والراجع منه محذوف ان جعلت ما موصولة تقديره المضعفون به او فمؤتوه اولئك هم المضعفون الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء اثبت له لوازم الالوهية ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له من الاصنام وغيرها مؤكدا بالانكار على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من ذلك تقدسه عن ان يكون له شركاء فقال سبحانه وتعالى عما يشركون ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من شركائكم والرابط من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منها مستقلة بالتاكيد لتعجيز الشركاء ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة ومحق البركات وكثرة المضار والضلالة والظلم وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرى البحور بما كسبت ايدي الناس بشؤم معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه وفي البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا بعض جزائه فان تمامه في الآخرة واللام للعلة او للعاقبة وعن ابن كثير ويعقوب لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل ليشاهدوا مصداق ذلك ويتحققوا صدقه

كان اكثرهم مشركين استئناف للدلالة على ان سوء عاقبتهم كان لفشو الشرك وغلبته فيهم وكان الشرك فى اكثرهم وما دونه من المعاصى فى قليل منهم
فاقم وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة من قبل ان ياتى يوم لا مرد له لا يقدر ان يرده احد وقوله من الله متعلق بياتى ويجوز ان يتعلق بمرد لانه مصدر
على معنى لا يرده الله لتعلق ارادته القديمة بمجيئه يومئذ يصدعون يتصدعون اى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير كما قال من كفر
فعليه كفره اى وباله وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون منزلا فى الجنة وتقديم الظرف فى الموضعين للدلالة على
الاختصاص ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار على جزاء المؤمنين للاشعار بانه المقصود بالذات
والاكتفاء على فحوى قوله انه لا يحب الكافرين فان فيه اثبات البغض لهم والمحبة للمؤمنين وتاكيد اختصاص الصلاح بهم المفهوم من ترك
ضميرهم الى التصريح بهم تعليل له وقوله من فضله دال على ان الاثابة
تفضل محض وتاويله بالعطاء او الزيادة على الثواب عدول عن الظاهر
ومن اياته ان يرسل الرياح الشمال والصبا والجنوب فانها رياح
الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام
اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى
الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر وليذيقكم من رحمته
يعنى المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها
او الروح الذى هو مع هبوبها والعطف على علة محذوفة دل عليها
مبشرات او عليها باعتبار المعنى او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه
ولتجرى الفلك بامره ولتبتغوا من فضله يعنى تجارة البحر ولعلكم
تشكرون ولتشكروا نعمة الله فيها ولقد ارسلنا من قبلك رسلا
الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا بالتدمير
وكان حقا علينا نصر المؤمنين اشعار بان الانتقام لهم واظهار
لكرامتهم حيث جعلهم مستحقين على الله ان ينصرهم وعنه عليه
الصلاة والسلام ما من امرئ مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا
على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا ذلك وقد يوقف على حقا على انه
متعلق بالانتقام الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه
متصلا تارة فى السماء فى سمتها كيف يشاء سائرا او واقفا
مطبقا وغير مطبق من جانب دون جانب الى غير ذلك ويجعله
كسفا قطعا تارة اخرى وقرأ ابن عامر بالسكون على انه مخفف
او جمع كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر
يخرج من خلاله فى التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده
يعنى بلادهم واراضيهم

اَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٣﴾ فَاَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ
اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّٰهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٤﴾ مَنْ كَفَرَ
فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِاَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٥﴾
لِيَجْزِيَ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ اِنَّهُ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَمِنْ اٰيَاتِهِ اَنْ يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ
وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِاَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا اِلٰى
قَوْمِهِمْ فَجَاؤُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ اَجْرَمُوا وَكَانَ
حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ اَللّٰهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى
الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَاِذَا اَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

اذا هم يستبشرون بمجئ الخصب وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم المطر من قبله تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالمطر واستحكام
ياسهم وقيل الضمير للمطر او السحاب او الارسال لمبلسين لآيسين فانظر الى آثار رحمة الله اثر الغيث من النبات والاشجار وانواع الثمار ولذلك جمعه
ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص كيف يحيي الارض بعد موتها وقرئ بالتاء على اسناده الى ضمير الرحمة ان ذلك يعني الذي قدر على احياء الارض
بعد موتها لمحيي الموتى لقادر على احيائهم فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى كما ان احياء الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى النباتية هذا ومن المحتمل ان يكون من الكائنات
الراهنة ما يكون من مواد ما تفتتت وتبددت من جنسها في بعض الاعوام السالفة وهو على كل شئ قدير لان نسبة قدرته الى جميع الممكنات على
سواء ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا الاثر او الزرع فانه مدلول عليه بما تقدم وقيل السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر واللام موطئة

اذا هم يستبشرون ﴿٤٩﴾ وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴿٥٠﴾ فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحي الارض بعد موتها ان ذلك لمحي الموتى وهو على كل شئ قدير ﴿٥١﴾ ولئن ارسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون ﴿٥٢﴾ فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ﴿٥٣﴾ وما انت بهاد العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴿٥٤﴾ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴿٥٥﴾ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ﴿٥٦﴾ وقال الذين اوتوا العلم

للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله لظلوا من بعده يكفرون
جواب سد مسد الجزاء ولذلك فسر بالاستقبال وهذه الآيات
ناعية على الكفار بقلة تثبتهم وعدم تدبرهم وسرعة تزلزلهم لعدم
تفكرهم وسوء رأيهم فان النظر السوي يقتضي ان يتوكلوا على الله
ويلتجئوا اليه بالاستغفار اذا احتبس القطر عنهم ولم ييأسوا من رحمته
وان يبادروا الى الشكر والاستدامة بالطاعة اذا اصابهم برحمته
ولم يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا ضرب زروعهم
بالاصفرار ولم يكفروا نعمه فانك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما
سدوا عن الحق مشاعرهم ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
قيد الحكم به ليكون اشد استحالة فان الاصم المقبل وان لم يسمع الكلام
تفطن منه بواسطة الحركات شيئا وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم سماهم عميا لفقدهم المقصود الحقيقي من الابصار او
لعمى قلوبهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فان ايمانهم يدعوهم الى تلقي
اللفظ وتدبر المعنى ويجوز ان يراد بالمؤمن المشارف للايمان فهم
مسلمون لما تأمرهم به الله الذي خلقكم من ضعف اي
ابتدأكم ضعفاء وجعل الضعف اساس امركم كقوله خلق الانسان
ضعيفا او خلقكم من اصل ضعيف وهو النطفة ثم جعل من بعد
ضعف قوة وذلك اذا بلغتم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم
جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة اذا اخذ منكم السن وفتح
عاصم وحمزة الضاد في جميعها والضم اقوى لقول ابن عمر رضي الله
عنه قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضعف فاقرأني
من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع التكرير لان
المتأخر ليس عين المتقدم يخلق ما يشاء من ضعف وقوة وشيبة
وشيبة وهو العليم القدير فان الترديد في الاحوال المختلفة

مع امكان غيره دليل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بها لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
وصارت علما لها بالغلبة كالكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع
عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام غير ساعة استقلوا مدة لبثهم اضافة
الى مدة عذابهم في الآخرة او نسيانا كذلك مثل ذلك الصرف عن الصدق والتحقيق كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا وقال الذين اوتوا
العلم والايمان من الملئكة او الانس

لقد لبثتم في كتاب الله في علمه او قضائه او ماكتبه لكم اى اوجبه او اللوح او القرآن وهو قوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه
وحلفوا عليه فهذا يوم البعث الذى انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في النظر والفاء لجواب شرط محذوف تقديره
ان كنتم منكرين البعث فهذا يومه اى فقد تبين بطلان انكاركم فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم وقرأ الكوفيون بالياء لان المعذرة
بمعنى العذر او لان تأنيثها غير حقيقى وقد فصل بينهما ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم اى ازالة عتبهم من التوبة
والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل
ولقد وصفنا لهم فيه بانواع الصفات التى هى في الغرابة كالامثال مثل صفة المبعوثين يوم القيمة وما يقولون وما يقال لهم وما لا يكون
لهم من الانتفاع بالمعذرة والاستعتاب او بينا لهم من كل مثل
ينبئهم عن التوحيد والبعث وصدق الرسول ولئن جئتهم باية
من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا من فرط عنادهم وقساوة
قلوبهم ان انتم يعنون الرسول والمؤمنين الا مبطلون
مزورون كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون لا يطلبون العلم ويصرون على خرافات اعتقدوها فان
الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق فاصبر
يا محمد على اذاهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك
على الدين كله حق لا بد من انجازه ولا يستخفنك ولا يحملنك
على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بتكذيبهم وايذائهم فانهم
شاكون ضالون لا يستبدع منهم ذلك وعن يعقوب بتخفيف
النون وقرئ ولا يستحقنك اى لا يزيغنك فيكونوا احق بك من
المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم
كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء
والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته سورة لقمان مكية
وقيل الا آية وهى الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة فان وجوبهما
بالمدينة وهو ضعيف لانه لا ينافى شرعيتهما بمكة وقيل الا ثلاثا
من قوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وهى اربع وثلثون
آية وقيل ثلاث وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم
الم تلك آيات الكتاب الحكيم سبق بيانه في يونس هدى
ورحمة للمحسنين حالان من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة
ورفعهما حمزة على الخبر بعد الخبر او الخبر لمحذوف

وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ
وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ
فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٩﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ
اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ

سُورَةُ لُقْمَانَ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ آيَةً

٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الم ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾

الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لاحسانهم او تخصيص لهذه الثلاثة من شعبه لفضل اعتدادها وتكرير الضمير للتوكيد ولما حيل بينه وبين خبره اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون لاستجماعهم العقيدة الحقة والعمل الصالح ومن الناس من يشترى لهو الحديث ما يلهى عما يعنى كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام والاضافة بمعنى من وهى تبيينية ان اراد بالحديث المنكر وتبعيضية ان اراد به الاعم منه وقيل نزلت فى النضر بن الحارث اشترى كتب الاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله دينه او قراءة كتابه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء بمعنى ليثبت على ضلاله ويزيد فيه بغير علم بحال ما يشتريه

ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ

او بالتجارة حيث استبدل اللهو بقراءة القرآن ويتخذها هزؤا ويتخذ السبيل سخرية وقد نصبه حمزة والكسائى ويعقوب وحفص عطفا على ليضل اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم الحق باستئثار الباطل عليه واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا متكبرا لا يعبأ بها كان لم يسمعها مشابها حاله بحال من لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا مشابها من فى اذنيه ثقل لا يقدر ان يسمع والاولى حال من المستكن فى ولى او مستكبرا والثانية بدل منها او حال من المستكن فى لم يسمعها ويجوز ان يكونا استئنافين وقرأ نافع فى اذنيه فبشره بعذاب اليم اعلمه بان العذاب يحيقه لا محالة وذكر البشارة على التهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم اى لهم نعيم جنات فعكس للمبالغة خالدين فيها حال من الضمير فى لهم او من جنات والعامل ما تعلق به اللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله لهم جنات وعد وليس كل وعد حقا وهو العزيز الذى لا يغلبه شئ فيمنعه عن انجاز وعده ووعيده الحكيم الذى لا يفعل الا ما تستدعيه حكمته خلق السموات بغير عمد ترونها استئناف وقد سبق فى الرعد والقى فى الارض رواسى جبالا شوامخ ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم فان بساطة اجزائها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز ووضع معينين وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنفعة وكانه استدل بذلك على عزته التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم ومهد به قاعدة التوحيد وقررها بقوله هذا خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه هذا الذى ذكر مخلوقه فما ذا خلق الهتكم حتى استحقوا مشاركته وماذا نصب بخلق او ما مرتفع بالابتداء وخبره ذا بصلته واروني معلق عنه بل الظالمون فى ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالضلال الذى لا يخفى على ناظر ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على انهم ظالمون باشراكهم

فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ

ولقد اتينا لقمان الحكمة يعني لقمان بن باعورا من اولاد آزر بن اخت ايوب او خالته وعاش حتى ادرك داود واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعثه والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه صحب داود شهورا وكان يسرد الدرع فلم يساله عنها فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله وان داود قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يدي غيري فتفكر داود فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه بان يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث مضغتين منها فاتى بهما ايضا فساله عن ذلك فقال هما اطيب شئ اذا طابا واخبث شئ اذا خبثا ان اشكر لله لان اشكر او اي اشكر فان ايتاء الحكمة في معنى القول ومن يشكر فانما يشكر لنفسه لان نفعه عائد اليها وهو دوام النعمة واستحقاق مزيدها ومن كفر فان الله غني لا يحتاج الى الشكر حميد حقيق بالحمد وان لم يحمد او محمود نطق بحمده جميع مخلوقاته بلسان الحال واذ قال لقمان لابنه انعم او اشكم او ماثان وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرأ ابن كثير يا بني باسكان الياء وقنبل يا بني اقم الصلاة باسكان الياء وحفص فيهما وفي يا بني انها ان تك بفتح الياء والبزي مثله في الاخير وقرأ الباقون في الثلثة بكسر الياء لا تشرك بالله قيل كان كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم لانه تسوية بين من لا نعمة الا منه ومن لا نعمة منه ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا ذات وهن او تهن وهنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق ضعف فانها لا تزال يتضاعف ضعفها والجملة في موضع الحال وقرئ بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن يوهن وهنا وفصاله في عامين وفطامه في انقضاء عامين وكانت ترضعه في تلك المدة وقرئ وفصله وفيه دليل على ان اقصى مدة الرضاع حولان ان اشكر لي ولوالديك تفسير لوصينا او علة له او بدل من والديه بدل الاشتمال وذكر الحمل والفصال في البين اعتراض مؤكد للتوصية في حقها خصوصا ومن ثمه قال عليه الصلاة والسلام لمن قال له من ابر قال امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير فاحاسبك على شكرك وكفرك وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم باستحقاقه الاشراك تقليدا لهما وقيل اراد بنفي العلم به نفيه فلا تطعهما في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا معروفا يرتضيه الشرع ويقتضيه الكرم واتبع في الدين سبيل من اناب الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعة ثم الي مرجعكم مرجعك ومرجعهما فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما والآيتان معترضتان في تضاعيف وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك كانه قال وقد وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما تلوا الباري في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنك بغيرهما ونزولهما في سعد بن ابي وقاص وامه مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من اناب اليه ابو بكر رضي الله عنه فانه اسلم بدعوته يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة او الاحسان ان تك مثلا في الصغر كحبة الخردل ورفع نافع مثقال على ان الهاء ضمير القصة وكان تامة وتأنيثها لاضافة المثقال الى الحبة كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض في اخفى مكان واحرزه كجوف صخرة او اعلاه كمحدب السموات واسفله كمقعر الارض وقرئ بكسر الكاف من وكن الطائر اذا استقر في وكنته يات بها الله يحضرها فيحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير عالم بكنهه يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وأمر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا لغيرك



واصبر على ما اصابك من الشدائد سيما في ذلك ان ذلك الاشارة الى الصبر او الى كل ما امره من عزم الامور مما عزمه الله من الامور اى قطعه قطع ايجاب مصدر اطلق للمفعول ويجوز ان يكون بمعنى الفاعل من قوله فاذا عزم الامر اى جد ولا تصعر خدك للناس لا تمله عنهم ولا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون من الصعر وهو داء يعتري البعير فيلوى منه عنقه وقرأ نافع وابو عمرو وحمزة والكسائى ولا تصاعر وقرئ ولا تصعر والكل واحد مثل علاه واعلاه وعالاه ولا تمش في الارض مرحا اى فرحا مصدر وقع موقع الحال او تمرح مرحا او لاجل المرح وهو البطر ان الله لا يحب كل مختال فخور علة للنهى وتأخير الفخور وهو مقابل للمصعر خده والمختال للماشي مرحا ليوافق رؤس الاى واقصد في مشيك توسط فيه بين الدبيب والاسراع وعنه عليه الصلاة والسلام سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وقول عائشة رضي الله عنها كان اذا مشى اسرع فالمراد ما فوق دبيب المتماوت وقرئ بقطع الهمزة

عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨﴾
وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٩﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ
صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَوْا
أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ
عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ
الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ
إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ
عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ

من اقصد الرامى اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر ان انكر الاصوات اوحشها لصوت الحمير والحمار مثل في الذم سيما نهاقه ولذلك يكنى عنه فيقال طويل الاذنين وفي تمثيل الصوت المرتفع بصوته ثم اخراجه مخرج الاستعارة مبالغة شديدة وتوحيد الصوت لان المراد تفضيل الجنس في النكير دون الاحاد او لانه مصدر في الاصل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات بان جعله اسبابا محصلة لمنافعكم وما في الارض بان مكنكم من الانتفاع به بوسط او بغير وسط واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة ما تعرفونه وما لا تعرفونه وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ واصبغ بالابدال وهو جار في كل سين اجتمع مع الغين او الخاء او القاف كصلخ وصقر وقرأ نافع وابو عمرو وحفص نعمه بالجمع والاضافة ومن الناس من يجادل في الله في توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى راجع الى رسول ولا كتاب منير انزله الله بل بالتقليد كما قال واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا وهو منع صريح من التقليد في الاصول اولو كان الشيطان يدعوهم يحتمل ان يكون الضمير لهم ولابائهم الى عذاب السعير الى ما يؤول اليه من التقليد او الاشراك وجواب لو محذوف مثل لاتبعوه والاستفهام للانكار والتعجب ومن يسلم وجهه الى الله بان فوض امره اليه واقبل بشراشره عليه من اسلمت المتاع الى الزبون ويؤيده القراءة بالتشديد وحيث عدى باللام فلتضمن معنى الاخلاص وهو محسن في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى تعلق باوثق ما يتعلق به وهو تمثيل للمتوكل المشتغل بالطاعة بمن اراد ان يترقى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى الحبل المتدلى منه والى الله عاقبة الامور اذ الكل صائر اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره فانه لا يضرك في الدنيا والآخرة وقرئ فلا يحزنك من احزنه وليس بمستفيض الينا مرجعهم في الدارين

فننبئهم بما عملوا بالاهلاك والتعذيب ان الله عليم بذات الصدور فيجازعليه فضلا عما في الظاهر نمتعهم قليلا تمتيعا قليلا اوزمانا قليلا فان مايزول بالنسبة الى مايدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ اونظم الى الاحراق الضغط ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل المانع من اسناد الخلق الى غيره بحيث اضطروا الى اذعانه قل الحمد لله على الزامهم والجائهم الى الاعتراف بما يوجب بطلان معتقدهم بل اكثرهم لايعلمون ان ذلك يلزمهم لله ما في السموات والارض لايستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن حمد الحامدين الحميد المستحق للحمد وان لم يحمد ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام ولو ثبت كون الاشجار اقلاما وتوحيد شجرة لان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده من بعده سبعة ابحر والبحر المحيط بسعته مداد ممدود بسبعة ابحر فاغنى عن ذكر المداد بمده لانه من مد الدواة وامدها ورفعه للعطف على محل ان ومعمولها ويمده حال اوللابتداء على انه مستانف اوالواو للحال ونصبه البصريان بالعطف على اسم ان او اضمار فعل يفسره يمده وقرئ تمده ويمده بالتاء والياء ما نفدت كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد وايثار جمع القلة للاشعار بان ذلك لايفي بالقليل فكيف بالكثير ان الله عزيز لايعجزه شيء حكيم لايخرج عن علمه وحكمته امر والاية جواب لليهود سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اوامروا وفد قريش ان يسالوه عن قوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد انزل التورية وفيها علم كل شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اذ لايشغله شان عن شان لانه يكفي لوجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية كما قال انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير يبصر كل مبصر لايشغله ادراك بعضها عن بعض فكذلك الخلق الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري كل من النيرين يجري في فلكه الى اجل مسمى الى منتهى معلوم الشمس الى اخر السنة والقمر الى آخر الشهر وقيل الى يوم القيمة والفرق بينه وبين قوله لاجل مسمى ان الاجل ههنا منتهى الجري وثمة غرضه حقيقة اومجازا وكلا المعنيين حاصل في الغايات وان الله بما تعملون خبير عالم بكنهه ذلك اشارة الى الذي ذكر من سعة العلم وشمول القدرة وعجائب الصنع واختصاص البارئ بها بان الله هو الحق بسبب انه الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته اوالثابت الهيته وان ما تدعون من دونه الباطل المعدوم في حد ذاته لايوجد ولايتصف الابجعله اوالباطل الهيته وقرأ البصريان والكوفيون غير ابي بكر بالياء وان الله هو العلي الكبير مترفع على كل شيء ومتسلط عليه

فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٥﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٧﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣١﴾

الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته وكمال حكمته وشمول انعامه والباء للصلة او الحال وقرئ الفلك بالتثقيل وبنعمات الله بسكون العين وقد جوز في مثله الكسر والفتح والسكون ليريكم من آياته دلائله ان في ذلك لآيات لكل صبار على المشاق فيتعب نفسه في التفكر في الآفاق والانفس شكور يعرف النعم ويتعرف مانحها او للمؤمنين فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر واذا غشيهم علاهم وغطاهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم من الخوف الشديد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد مقيم على الطريق القصد الذي هو التوحيد او متوسط في الكفر لانزجاره بعض الانزجار وما يجحد بآياتنا الا كل ختار غدار فانه نقض للعهد الفطري

الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴿٣١﴾ واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا الا كل ختار كفور ﴿٣٢﴾ يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴿٣٣﴾ ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير ﴿٣٤﴾

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية

او لما كان في البحر والختر اشد الغدر كفور للنعم يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى والراجع الى الموصوف محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد او مبتدأ خبره هو جاز عن والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق لا يمكن خلفه فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يرجيكم التوبة والمغفرة فيجسركم على المعاصي ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت وعنه عليه الصلاة والسلام مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه المقدر له والمحل المعين له في علمه وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وما تدري نفس ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال الملك كان دوام نظري اليه تعجبا منه اذ امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وانما جعل العلم لله والدراية للعبد لان فيها معنى الحيلة فيشعر بالفرق بين العلمين ويدل على انه ان عمل حيلة وانفد فيها وسعه لم يعرف ما هو الحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليلا عليه وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تأنيثها بتأنيث كل في كلتهن ان الله عليم يعلم الاشياء كلها خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلاثون آية وقيل تسع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم الم ان جعل اسما للسورة او القرآن فمبتدأ خبره تنزيل الكتاب على ان التنزيل بمعنى المنزل وان جعل تعديدا للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لاريب فيه فيكون من رب العالمين حالا من الضمير في فيه لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر ويجوز ان يكون خبرا ثانيا ولاريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير في فيه لمضمون الجملة ويؤيده قوله ام يقولون افتريه فانه انكار لكونه من رب العالمين وقوله بل هو الحق من ربك فانه تقرير له ونظم الكلام على هذا انه اشار اولا الى اعجازه ثم رتب عليه ان تنزيله من رب العالمين وقرر ذلك بنفي الريب عنه ثم اضرب عن ذلك الى مايقولون فيه على خلاف ذلك انكارا له وتعجيبا منه فان ام منقطعة ثم اضرب عنه الى اثبات انه الحق المنزل من الله وبين المقصود من تنزيله فقال لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك

بسم الله الرحمن الرحيم ٣٢

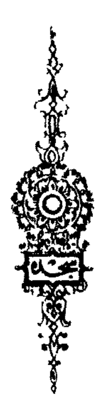
الم ﴿٢﴾ تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴿٣﴾ ام يقولون افتريه بل هو الحق من ربك لتنذر قوما ما اتيهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴿٤﴾ الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون ﴿٥﴾ يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ﴿٦﴾ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ﴿٧﴾ الذي احسن كل شيء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ﴿٨﴾ ثم جعل نسله من سللة من ماء مهين ﴿٩﴾ ثم سويه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع

اذ كانوا اهل الفترة لعلهم يهتدون بانذارك اياهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه في الاعراف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع ما لكم اذا جاوزتم رضى الله احد ينصركم ويشفع لكم او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن نصركم على ان الشفيع متجوز به للناصر فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا ناصر افلا تتذكرون بمواعظ الله يدبر الامر من السماء الى الارض يدبر امر الدنيا باسباب سماوية كالملئكة وغيرها نازلة آثارها الى الارض ثم يعرج اليه ثم يصعد اليه ويثبت في علمه موجودا في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون في برهة من الزمان متطاولة يعني بذلك استطالة ما بين التدبير والوقوع وقيل يدبر الامر باظهاره في اللوح فينزل به الملك ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة لان مسافة نزوله وعروجه مسيرة الف سنة فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج بعد الالف لالف آخر وقيل يدبر الامر الى قيام الساعة ثم يرجع اليه الامر كله يوم القيمة وقيل يدبر المأمور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يعرج اليه خالصا كما يرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وقرئ يعرج ويعدون ذلك عالم الغيب والشهادة فيدبر امرهما على وفق الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايماء الى انه تعالى يراعي المصالح تفضلا واحسانا الذي احسن كل شيء خلقه خلقه موفرا عليه ما يستعده ويليق به على وفق الحكمة والمصلحة وخلقه بدل من كل بدل الاشتمال وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسنه اي يحسن معرفته او خلقه مفعول ثان وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام على الوصف فالشيء على الاول مخصوص بمنفصل وعلى الثاني بمتصل وبدا خلق الانسان يعني آدم من طين ثم جعل نسله ذريته سميت به لانها تنسل منه اي تنفصل من سللة من ماء مهين ممتهن ثم سواه قومه بتصوير اعضائه على ما ينبغي ونفخ فيه من روحه اضافه الى نفسه تشريفا واشعارا بانه خلق عجيب وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية ولاجله من عرف نفسه فقد عرف ربه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة خصوصا لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا

قليلا ما تشكرون تشكرون شكرا قليلا وقالوا ائذا ضللنا فی الارض ای صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز منه او غبنا فيها وقرئ ضللنا بالكسر من ضل يضل وصللنا من صل اللحم اذا انتن وقرأ ابن عامر اذا علی الخبر والعامل فيه ما دل عليه ائنا لفی خلق جديد وهو ابعث او يجدد خلقا وقرأ نافع والكسائی ويعقوب انا علی الخبر والقائل ابی بن خلف واسناده الی جميعهم لرضاهم به بل هم بلقاء ربهم بالبعث او بتلقی ملك الموت وما بعده كافرون جاحدون قل يتوفاكم يستوفی نفوسكم لا يترك منها شيئا او لا يبقی منكم احدا والتفعل والاستفعال يلتقيان كثيرا كتقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته ملك الموت الذی وكل بكم بقبض ارواحكم واحصاء آجالكم ثم الی ربكم ترجعون للحساب والجزاء ولو تری اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الحياء والخزی ربنا قائلين ربنا ابصرنا ما وعدتنا وسمعنا منك تصديق رسلك فارجعنا الی الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اذ لم يبق لنا شك بما شاهدنا وجواب لو محذوف وتقديره لرايت امرا فظيعا ويجوز ان يكون للتمنی والمضی

وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١١﴾ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٤﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٦﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا

فيها وفی اذ لان الثابت فی علم الله بمنزلة الواقع ولا يقدر لتری مفعول لان المعنی لو يكون منك رؤية فی هذا الوقت او يقدر ما دل عليه صلة اذ والخطاب للرسول صلی الله عليه وسلم او لكل احد ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدی به الی الايمان والعمل الصالح بالتوفيق له ولكن حق القول منی ثبت قضائی وسبق وعيدی وهو لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وذلك تصريح بعدم ايمانهم لعدم المشيئة المسبب عن سبق الحكم بانهم من اهل النار ولا يدفعه جعل ذوق العذاب مسببا عن نسيانهم العاقبة وعدم تفكرهم فيها بقوله فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فانه من الوسائط والاسباب المقتضية له انا نسيناكم تركناكم من الرحمة او فی العذاب ترك المنسی وفی استئنافه وبناء الفعل علی ان واسمها تشديد فی الانتقام منهم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون كرر الامر للتأكيد ولما نيط به من التصريح بمفعوله وتعليله بافعالهم السيئة من التكذيب والمعاصی كما علله بتركهم تدبر امر العاقبة والتفكر فيه دلالة علی ان كلا منهما يقتضی ذلك انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا بها خروا سجدا خوفا من عذاب الله وسبحوا نزهوه عما لا يليق به كالعجز عن البعث بحمد ربهم حامدين له خوفا من عذاب الله وشكرا علی ما وفقهم للاسلام وآتاهم الهدی وهم لا يستكبرون عن الايمان والطاعة كما يفعل من يصر مستكبرا تتجافی جنوبهم ترتفع وتتنحی عن المضاجع الفرش ومواضع النوم يدعون ربهم داعين اياه خوفا من سخطه وطمعا فی رحمته وعن النبی صلی الله عليه وسلم فی تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه عليه الصلاة والسلام اذا جمع الله الاولين والآخرين جاء مناد ينادی بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولی بالكرم ثم يرجع فينادی ليقم الذين كانت تتجافی جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادی ليقم الذين كانوا يحمدون الله فی البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الی الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل كان ناس من الصحابة يصلون من المغرب الی العشاء فنزلت فيهم



ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير فلا تعلم نفس ما اخفي لهم لا ملك مقرب ولا نبي مرسل من قرة اعين مما تقر به عيونهم وعنه عليه الصلاة والسلام يقول الله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرأ حمزة ويعقوب اخفي على انه مضارع اخفيت وقرئ نخفي واخفي والفاعل في الكل هو الله تعالى وقرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى المعرفة وما موصولة او استفهامية معلق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي للجزاء فان اخفاءه لعلو شأنه وقيل هذا القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا من الايمان لا يستوون في الشرف والمثوبة تأكيد وتصريح والجمع للحمل على المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل المأوى جنة من الجنان نزلا سبق في آل عمران بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او على اعمالهم واما الذين فسقوا فمأواهم النار مكان جنة المأوى للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها عبارة عن خلودهم فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون اهانة لهم وزيادة في غيظهم ولنذيقنهم من العذاب الادنى عذاب الدنيا يريد ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة لعلهم لعل من بقي منهم يرجعون يتوبون عن الكفر روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا يوم بدر فنزلت هذه الآيات ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وثم لاستبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسة

ولا يكشف الغماء الا ابن حرة ... يرى غمرات الموت ثم يزورها

انا من المجرمين منتقمون فكيف ممن كان اظلم من كل ظالم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلا تكن في مرية في شك من لقائه من لقائك الكتاب لقوله وانك لتلقى القرآن فانا آتيناك من الكتاب مثل ما آتيناه منه فليس ذلك ببدع لم يكن قط حتى ترتاب فيه او من لقاء موسى الكتاب او من لقائك موسى وعنه عليه السلام رأيت ليلة اسري بي موسى عليه السلام رجلا آدم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي المنزل على موسى هدى لبني اسرائيل وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس الى ما فيه من الحكم والاحكام بامرنا اياهم به او بتوفيقنا لهم لما صبروا وقرأ حمزة والكسائي ورويس لما صبروا اي لصبرهم على الطاعة او عن الدنيا

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٧﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٤﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا

وكانوا باياتنا يوقنون لامعانهم فيها النظر ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة يقضي فيميز الحق من الباطل بتمييز المحق من المبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امر الدين اولم يهد لهم الواو للعطف على منوي من جنس المعطوف والفاعل ضمير ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة من اهلكناهم من القرون الماضية او ضمير الله بدلالة القرآءة بالنون يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وقرئ يمشون بالتشديد ان في ذلك لآيات افلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي جرز نباتها اي قطع وازيل لا التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا وقيل اسم موضع باليمن تاكل منه من الزرع انعامهم كالتبن والورق وانفسهم كالحب والثمر افلا يبصرون فيستدلون به على كمال قدرته وفضله ويقولون متى هذا الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا ان كنتم صادقين في الوعد به

وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾



قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولاهم ينظرون وهو يوم القيامة فانه يوم نصر المؤمنين على الكفرة والفصل بينهم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة والمراد بالذين كفروا المقتولون منهم فيه فانه لا ينفعهم ايمانهم حال القتل ولا يمهلون وانطباقه جوابا عن سؤالهم من حيث المعنى باعتبار ما عرف من غرضهم فانهم لما ارادوا به الاستعجال تكذيبا واستهزاء اجيبوا بما يمنع الاستعجال فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وقيل هو منسوخ باية السيف وانتظر النصرة عليهم انهم منتظرون الغلبة عليك وقرئ بالفتح على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم او ان الملائكة ينتظرونه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك اعطى من الاجر كانما احيى ليلة القدر وعنه عليه السلام من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلاث وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبي اتق الله ناداه بالنبي وامره بالتقوى تعظيما له وتفخيما لشأن التقوى والمراد به الامر بالثبات عليه ليكون مانعا له عما نهى عنه بقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين اي فيما يعود بوهن في الدين روي ان ابا سفيان وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم ابن ابي ومعتب بن قشير وجد بن قيس فقالوا له ارفض ذكر آلهتنا وقل ان لها شفاعة وندعك وربك فنزلت ان الله كان عليما بالمصالح والمفاسد حكيما لا يحكم الا بما تقتضيه الحكمة واتبع ما يوحى اليك من ربك كالنهي عن طاعتهم ان الله كان بما تعملون خبيرا فموح اليك ما يصلحه ويغني عن الاستماع الى الكفرة وقرأ ابو عمرو بالياء على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين اي ان الله خبير بمكايدهم فيدفعها عنك

وتوكل على الله وكل امرك الى تدبيره وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامور كلها ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه اى ما جمع قلبين فى جوف لان القلب معدن الروح الحيوانى المتعلق بالنفس الانسانى اولا ومنبع القوى باسرها وذلك يمنع التعدد وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم وما جمع الزوجية والامومة فى امرأة ولا الدعوة والبنوة فى رجل والمراد بذلك رد ما كانت العرب تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر وقيل لجميل بن اسد الفهرى ذو القلبين والزوجة المظاهر منها كالام ودعى الرجل ابنه ولذلك كانوا يقولون لزيد بن حارثة الكلبى عتيق رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن محمد والمراد نفى الامومة والبنوة عن المظاهر منها والمتبنى ونفى القلبين لتمهيد اصل يحملان عليه والمعنى كما لم يجعل الله قلبين فى جوف لادائه الى تناقض وهو ان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل لم يجعل الزوجة والدعى اللذين لا ولادة بينهما وبينه امه وابنه اللذين بينهما وبينه ولادة وقرأ ابو عمرو واللاى بالياء وحده على ان اصله اللاء بهمزة فخففت وعن الحجازيين مثله وعنهما وعن يعقوب بالهمز وحده واصل تظهرون تتظهرون فادغمت التاء الثانية فى الظاء وقرأ ابن عامر تظاهرون بالادغام وحمزة والكسائى بالحذف وعاصم تظاهرون من ظاهر وقرئ تظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون من الظهور ومعنى الظهار ان يقول للزوجة انت على كظهر امى مأخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا فى الجاهلية وهو فى الاسلام يقتضى الطلاق او الحرمة الى اداء الكفارة كما عدى آلى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهر للكناية عن البطن الذى هو عموده فان ذكره يقارب ذكر الفرج او للتغليظ فى التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان المرأة وظهرها الى السماء والادعياء جمع دعى على الشذوذ وكانه شبه بفعيل بمعنى فاعل فجمع جمعه ذلكم اشارة الى كل ما ذكر او الى الاخير قولكم بافواهكم لا حقيقة له فى الاعيان كقول الهاذى والله يقول الحق ماله حقيقة عينية مطابقة له وهو يهدى السبيل سبيل الحق ادعوهم لآبائهم انسبوهم اليهم وهو افراد للمقصود من اقواله الحقة وقوله هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل ومعناه البالغ فى الصدق فان لم تعلموا آباءهم فتنسبوهم اليهم فاخوانكم فى الدين فهم اخوانكم فى الدين ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا هذا اخى ومولاى بهذا التأويل وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولا اثم عليكم فيما فعلتموه من ذلك مخطئين قبل النهى او بعده على النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم او ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ واعلم ان التبنى لا عبرة له عندنا وعند ابى حنيفة يوجب عتق مملوكه ويثبت النسب لمجهوله الذى يمكن الحاقه به النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم فى الامور كلها فانه لا يأمرهم ولا يرضى منهم الا بما فيه صلاحهم ونجاحهم بخلاف النفس فلذلك اطلق فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وامره انفذ فيهم من امرها وشفقتهم عليه اتم من شفقتهم عليها روى انه عليه الصلاة والسلام اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال ناس نستأذن آباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى فى الدين فان كل نبى اب لامته من حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ان الله كان عليما حكيما ﴿٢﴾ واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ﴿٣﴾ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴿٤﴾ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ﴿٥﴾ ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ﴿٦﴾ النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم

حزب



وازواجه امهاتهم منزلات منزلتهن فى التحريم واستحقاق التعظيم وفيما عدا ذلك فكالاجنبيات ولذلك قالت عائشة لسنا امهات النساء واولوا الارحام وذووا القرابات بعضهم اولى ببعض فى التوارث وهو نسخ لما كان فى صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة فى الدين فى كتاب الله فى اللوح اوفيما انزل وهو هذه الآية او آية المواريث اوفيما فرض الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين بيان لاولى الارحام اوصلة لاولى اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الدين والمهاجرين بحق الهجرة الاان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم مايقدر الاولوية فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية اومنقطع كان ذلك فى الكتاب مسطورا كان ماذكر فى الآيتين ثابتا فى اللوح او القرآن وقيل فى التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم مقدر باذكر وميثاقهم عهودهم بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين القويم ومنك ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى بن مريم خصهم بالذكر لانهم مشاهير ارباب

وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي
كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ
مَعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٨﴾ لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ
عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٠﴾
إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١١﴾ هُنَالِكَ
ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ

الشرائع وقدم نبينا تعظيما له واخذنا منهم ميثاقا غليظا عظيم الشان اومؤكدا باليمين والتكرار لبيان هذا الوصف ليسأل الصادقين عن صدقهم اى فعلنا ذلك ليسأل الله يوم القيامة الانبياء الذين صدقوا عهدهم عما قالوه لقومهم او تصديقهم اياهم تبكيتا لهم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق الصادق صادق او المؤمنين الذين صدقوا عهدهم حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم واعد للكافرين عذابا اليما عطف على اخذنا من جهة ان بعثة الرسل واخذ الميثاق منهم لاثابة المؤمنين اوعلى مادل عليه ليسأل كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود يعنى الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فارسلنا عليهم ريحا ريح الصبا وجنودا لم تروها الملائكة روى انه لما سمع باقبالهم ضرب الخندق على المدينة ثم خرج اليهم فى ثلاثة آلاف والخندق بينه وبينهم ومضى على الفريقين قريب شهر لاحرب بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة حتى بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب فى وجوههم واطفأت نيرانهم وقلعت خيامهم وماجت الخيل بعضها فى بعض وكبرت الملائكة فى جوانب المعسكر فقال طليحة بن خويلد الاسدى اما محمد فقد بدأكم بالسحر فالنجاء النجاء فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وقرأ البصريان بالياء اى بما يعمل المشركون من التحزب والمحاربة بصيرا رائيا اذ جاؤكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى من قبل المشرق بنوا غطفان ومن اسفل منكم من اسفل الوادى من قبل المغرب قريش واذ زاغت الابصار مالت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وبلغت القلوب الحناجر رعبا فان الرئة تنتفخ من شدة الروع فترتفع بارتفاعها الى رأس الحنجرة وهى منتهى الحلقوم مدخل الطعام والشراب وتظنون بالله

الظنونا الانواع من الظن فظن المخلصون الثبت القلوب ان الله منجز وعده فى اعلاء دينه او ممتحنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ماحكى عنهم والالف مزيدة فى امثاله تشبيها للفواصل بالقوافى وقد اجرى نافع وابن عامر وابو بكر فيها الوصل مجرى الوقف ولم يزدها ابو عمرو وحمزة ويعقوب مطلقا وهو القياس هنالك ابتلى المؤمنون اختبروا فظهر المخلص من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من شدة الفزع وقرئ زلزالا بالفتح واذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ضعف اعتقاد

ماوعدنا الله ورسوله من الظفر واعلاء الدين الا غرورا وعدا باطلا قيل قائله معتب بن قشير قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ماهذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم يعني اوس بن قيظي واتباعه يااهل يثرب اهل المدينة وقيل هو اسم ارض وقعت المدينة فى ناحية منها لا مقام لكم لا موضع قيام لكم ههنا وقرأ حفص بالضم على انه مكان او مصدر من اقام فارجعوا الى منازلكم هاربين وقيل المعنى لا مقام لكم على دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى الشرك واسلموه لتسلموا اولا مقام لكم بيثرب فارجعوا كفارا ليمكنكم المقام بها ويستأذن فريق منهم النبى للرجوع يقولون ان بيوتنا عورة غير حصينة واصلها الخلل ويجوز ان يكون تخفيف العورة من عورت الدار اذا اختلت وقد قرئ بها وماهي بعورة بل هى حصينة ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون بذلك الا الفرار من القتال ولو دخلت عليهم دخلت المدينة او بيوتهم من اقطارها من جوانبها وحذف الفاعل للايماء بان دخول هؤلاء المتظاهرين عليهم ودخول غيرهم من العساكر سيان فى اقتضاء الحكم المرتب عليه ثم سئلوا الفتنة الردة ومقاتلة المسلمين لآتوها لاعطوها وقرأ الحجازيان بالقصر بمعنى لجاؤها وفعلوها وما تلبثوا بها بالفتنة او باعطائها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب وقيل وما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار يعني بنى حارثة عاهدوا رسول الله يوم احد حين فشلوا ثم تابوا ان لا يعودوا لمثله وكان عهد الله مسئولا عن الوفاء به مجازى عليه قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لابد لكل شخص من حتف انف او قتل فى وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اى وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتيع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اى او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام كما فى قوله متقلدا سيفا ورمحا او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ينفعهم ولا نصيرا يدفع الضر عنهم قد يعلم الله المعوقين منكم المثبطين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون والقائلين لاخوانهم من ساكنى المدينة هلم الينا قربوا انفسكم الينا وقد ذكر اصله فى الانعام ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا او زمانا او بأسا قليلا فانهم يعتذرون ويتثبطون ما امكن لهم او يخرجون مع المؤمنين ولكن لا يقاتلون الا قليلا لقوله وما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم ومعناه ولا يأتى اصحاب محمد حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا

وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٤﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٨﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ

اشحة عليكم بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله او الظفر والغنيمة جمع شحيح ونصبها على الحال من فاعل يأتون او المعوقين او على الذم فاذا جاء
الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم فى احداقهم كالذى يغشى عليه كنظر المغشى عليه اوكدوران عينه او مشبهين به او مشبهة بعينه
من الموت من معالجة سكرات الموت خوفا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم ضربوكم بالسنة حداد ذربة يطلبون
الغنيمة والسلق البسط بقهر باليد او باللسان اشحة على الخير نصب على الحال او الذم ويؤيده قرآءة الرفع وليس بتكرير لان كلا منهما مقيد من وجه
اولئك لم يؤمنوا اخلاصا فاحبط الله اعمالهم فاظهر بطلانها اذلم يثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم وكان ذلك الاحباط
على الله يسيرا هينا لتعلق الارادة به وعدم ما يمنعه عنه يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا

الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٩﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ
رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ
الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى
الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢٠﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ
الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ
أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢١﴾ لَقَدْ
كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ
قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا
زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٣﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا

ففروا الى داخل المدينة وان يات الاحزاب كرة ثانية يودوا لو
انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين
الاعراب يسألون كل قادم من جانب المدينة عن انبائكم عما جرى
عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال
ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم فى رسول الله
اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب
ومقاساة الشدائد او هو فى نفسه قدوة يحسن التأسى به كقولك فى
البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرأ
عاصم بضم الهمزة وهو لغة فيه لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اى ثواب
الله او لقاءه ونعيم الآخرة او ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقيل
هو كقولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الآخر داخل فيها بحسب الحكم
والرجاء يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها وقيل
بدل من لكم والاكثر على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله كثيرا
وقرن بالرجاء كثرة الذكر المؤدية الى ملازمة الطاعة فان المؤتسى بالرسول
من كان كذلك ولما رأى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله
ورسوله بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم الآية وقوله عليه الصلاة والسلام سيشتد الامر
باجتماع الاحزاب عليكم والعاقبة لكم عليهم وقوله عليه الصلاة
والسلام انهم سائرون اليكم بعد تسع او عشر وصدق الله ورسوله
وظهر صدق خبر الله ورسوله او صدقا فى النصرة والثواب كما صدقا فى البلاء
واظهار الاسم للتعظيم وما زادهم فيه ضمير لما رأوا او الخطب او البلاء
الا ايمانا بالله ومواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول
والمقاتلة لاعلاء الدين من صدقنى اذا قال لك الصدق فان المعاهد اذا وفى بعهده
فقد صدق فيه

فمنهم من قضى نحبه نذره بأن قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس ابن النضر والنحب النذر استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان ومنهم من ينتظر الشهادة كعثمان وطلحة وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا شيئا من التبديل روى ان طلحة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال عليه الصلاة والسلام اوجب طلحة وفيه تعريض لاهل النفاق ومرض القلب بالتبديل وقوله ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم تعليل للمنطوق والمعرض به فكأن المنافقين قصدوا بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفاء العاقبة الحسنى والتوبة عليهم مشروطة بتوبتهم او المراد به التوفيق للتوبة ان الله كان غفورا رحيما لمن تاب ورد الله الذين كفروا يعنى الاحزاب بغيظهم متغيظين لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او بتعاقب وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا على احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شىء وانزل الذين ظاهروهم ظاهروا الاحزاب من اهل الكتاب يعنى قريظه من صياصيهم من حصونهم جمع صيصة وهى ما تحصن به ولذلك يقال لقرون الثور والظبى وشوكة الديك وقذف فى قلوبهم الرعب الخوف وقرئ بالضم فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وقرئ بضم السين روى ان جبرائيل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب فقال اتنزع لامتك والملائكة لم يضعوا السلاح ان الله يأمرك بالسير الى بنى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا العصر الا ببنى قريظة فحاصرهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتليهم وسبى ذراريهم ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم وقال حكمت بحكم الله فوق سبعة ارقعة فقتل منهم ستمائة او اكثر واسر منهم سبعمائة واورثكم ارضهم مزارعهم وديارهم حصونهم واموالهم نقودهم ومواشيهم واثاثهم روى انه عليه الصلاة والسلام جعل عقارهم للمهاجرين فتكلم فيه الانصار فقال انكم فى منازلكم فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت هذه لى طعمة وارضا لم تطئوها كفارس والروم وقيل خيبر وقيل كل ارض تفتح الى يوم القيامة وكان الله على كل شىء قديرا فيقدر على ذلك يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين امتعكن اعطكن المتعة واسرحكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وبدعة روى انهن سألنه ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدأ بعائشة فخيرها فاختارت الله ورسوله ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد وتعليق التسريح بارادتهن الدنيا وجعلها قسيما لارادتهن الرسول يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم تطلق خلافا لزيد والحسن ومالك واحدى الروايتين عن على ويؤيده قول عائشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده طلاقا وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه من الكرم وحسن الخلق وقيل لان الفرقة كانت بارادتهن كاختيار المخيرة نفسها فانه طلقة رجعية عندنا وبائنة عند الحنفية واختلف فى وجوبه للمدخول بها وليس فيه ما يدل عليه وقرئ امتعكن واسرحكن بالرفع على الاستئناف

مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٤﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ
الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿٢٥﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى
اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٦﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ
ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي
قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٧﴾ وَأَوْرَثَكُمْ
أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ
كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ
وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبيين لانهن كلهن كن محسنات يا نساء النبى من يات منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهر قبحها على قرآءة ابن كثير وابى بكر والباقون بكسر اليآء يضاعف لها العذاب ضعفين ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تتبع زيادة فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعفى حد العبد وعوتب الانبيآء بما لا يعاتب به غيرهم وقرأ البصريان يضعف على البناء للمفعول ورفع العذاب وابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وبناء الفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى وكيف وهو سببه ومن يقنت منكن ومن يدم على الطاعة لله ورسوله ولعل ذكر الله للتعظيم اولقوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة ومرة على طلبهن رضى النبى صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرأ حمزة والكسائى ويعمل بالياء حملا على لفظ من ويؤتها بالياء ايضا على ان فيه ضمير اسم الله واعتدنا لها رزقا كريما فى الجنة

وَالدَّارَ الْاٰخِرَةَ فَاِنَّ اللّٰهَ اَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ اَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾ يَا نِسَاۤءَ النَّبِيِّ مَنْ يَاْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا ﴿٣١﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا اَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَاَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣٢﴾ يَا نِسَاۤءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَاَحَدٍ مِنَ النِّسَاۤءِ اِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْاُولٰى وَاَقِمْنَ الصَّلٰوةَ وَاٰتِينَ الزَّكٰوةَ وَاَطِعْنَ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ اَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٤﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلٰى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ اٰيَاتِ اللّٰهِ وَالْحِكْمَةِ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ

زيادة على اجرها يا نساء النبى لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء فى الفضل ان اتقيتن مخالفة حكم الله ورضى رسوله فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا لينا مثل قول المريبات فيطمع الذى فى قلبه مرض فجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه نهى مريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الخضوع بالقول وقلن قولا معروفا حسنا بعيدا عن الريبة وقرن فى بيوتكن من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رآئى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف فاستغنى بها عن همزة الوصل ويؤيده قرآءة نافع وعاصم بالفتح من قررت اقر وهو لغة فيه ويحتمل ان يكون من قار يقار اذا اجتمع ولا تبرجن ولا تتبخترن فى مشيكن تبرج الجاهلية الاولى تبرجا مثل تبرج النساء فى ايام الجاهلية القديمة قيل هى ما بين آدم ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابرهيم كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويعضده قوله عليه السلام لابى الدردآء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر او اسلام قال جاهلية كفر واقمن الصلاة وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله فى سائر ما امركن به ونهاكن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الذنب المدنس لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستئناف ولذلك عمم الحكم اهل البيت نصب على النداء او المدح ويطهركم من المعاصى تطهيرا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير للتنفير عنها وتخصيص الشيعة اهل البيت بفاطمة وعلى وابنيهما رضى الله عنهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف لان التخصيص بهم لا يناسب ما قبل الآية وما بعدها والحديث يقتضى انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة من الكتاب الجامع بين الامرين وهو تذكير بما انعم عليهن من حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحى وما شاهدن من برحاء الوحى مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والائتمار فيما كلفن به ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح فى الدين ولذلك خيركن ووعظكن او يعلم من يصلح لنبوته ومن يصلح ان يكونوا اهل بيته



لَطِيفًا خَبِيرًا (٣٤) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ
وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
وَأَجْرًا عَظِيمًا (٣٥) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ
وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٦) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ
اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ
وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ
تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا

ان المسلمين والمسلمات الداخلين فى السلم المنقادين لحكم الله والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان يصدق والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة والصادقين والصادقات فى القول والعمل والصابرين والصابرات على الطاعات وعن المعاصى والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم والمتصدقين والمتصدقات بما وجب فى مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم مغفرة لما اقترفوا من الصغائر لانهن مكفرات واجرا عظيما على طاعتهم والآية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال روى ان ازواج النبى عليه الصلاة والسلام قلن يارسول الله ذكر الله الرجال فى القرآن بخير فما فينا خير نذكر به فنزلت وقيل لما نزل فيهن ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شئ فنزلت وعطف الاناث على الذكور لاختلاف الجنسين وهو ضرورى وعطف الزوجين على الزوجين لتغاير الوصفين فليس بضرورى ولذلك ترك فى قوله مسلمات مؤمنات وفائدته الدلالة على ان اعداد المعد لهم للجمع بين هذه الصفات

وما كان لمؤمن ولا مؤمنة وما صح له اذا قضى الله ورسوله امرا اى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله لتعظيم امره والاشعار بان قضاءه قضاء الله لانه نزل فى زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة فابت هى واخوها عبد الله وقيل فى ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ان تكون لهم الخيرة من امرهم ان يختاروا من امرهم شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله ورسوله والخيرة ما يتخير وجمع الضمير الاول لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انهما فى سياق النفى وجمع الثانى للتعظيم وقرأ الكوفيون وهشام يكون بالياء ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا بين الانحراف عن الصواب واذ تقول للذى انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك لعتقه واختصاصه وانعمت عليه بما وفقك الله فيه وهو زيد بن حارثة امسك عليك زوجك زينب وذلك انه عليه الصلاة والسلام ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرت لزيد ففطن ذلك ووقع فى نفسه كراهة صحبتها فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وقال اريد ان افارق صاحبتى فقال مالك ارابك منها شئ قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علىّ فقال له امسك عليك زوجك واتق الله فى امرها فلا تطلقها ضرارا وتعللا بتكبرها وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده فانه وحده حسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار ماينا فى اضماره فان الاولى فى امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى ربه فلما قضى زيد منها وطرا حاجة بحيث ملها ولم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل لا حاجة لى فيك وقرئ زوجتكها والمعنى انه امر بتزوجها منه او جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لسائر نساء النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تولى انكاحى وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان السفير فى خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد بين على قوة ايمانه

لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وهو دليل على ان حكمه وحكم الامة واحد الا ما خصه الدليل وكان امر الله امره الذي يريده مفعولا مكونا لا محالة كما كان تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله سن ذلك سنة في الذين خلوا من قبل من الانبياء وهو نفي الحرج عنهم فيما اباح لهم وكان امر الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا الذين يبلغون رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم منصوب او مرفوع وقرئ رسالة الله ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله تعريض بعد تصريح وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا فينبغي ان لا يخشى الا منه ما كان محمد ابا احد من رجالكم على الحقيقة فيثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه ابا للطاهر والطيب والقاسم وابرهيم لانهم لم يبلغوا مبلغ الرجال ولو بلغوا كانوا رجاله لا رجالهم ولكن رسول الله وكل رسول ابو امته لا مطلقا بل من حيث انه شفيق ناصح لهم واجب التوقير والطاعة عليهم وزيد منهم وليس بينه وبينه ولادة وقرئ رسول الله بالرفع على انه خبر محذوف ولكن بالتشديد على حذف الخبر اي ولكن رسول الله من عرفتم انه لم يعش له ولد ذكر وخاتم النبيين وآخرهم الذي ختمهم او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح ولو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال عليه الصلاة والسلام في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه آخر من نبئ وكان الله بكل شيء عليما فيعلم من يليق بان يختم به النبوة وكيف ينبغي شأنه يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا يغلب الاوقات ويعم انواع ما هو عليه من التقديس والتمجيد والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اول النهار وآخره خصوصا وتخصيصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة فيها وقيل الفعلان موجهان اليهما وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم بالرحمة وملائكته بالاستغفار لكم والاهتمام بما يصلحكم والمراد بالصلاة المشترك وهو العناية بصلاح امركم وظهور شرفكم مستعار من الصلا وقيل الترحم والانعطاف المعنوي مأخوذ من الصلاة المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود واستغفار الملائكة ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم سيما وهو سبب للرحمة من حيث انهم مجابو الدعوة ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والمعصية الى نور الايمان والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما حتى اعتنى بصلاح امرهم وانافة قدرهم واستعمل في ذلك ملائكته المقربين تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول اي يحيون يوم يلقونه يوم لقائه عند الموت او الخروج من القبر او دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة من كل مكروه وآفة واعد لهم اجرا كريما هي الجنة ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو اهم

يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٨﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٤٠﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤٢﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٣﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٤﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٧﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٨﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ

يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على من بعثت إليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم وضلالهم وهو حال مقدرة ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله إلى الإقرار به وبتوحيده وما يجب الإيمان به من صفاته بإذنه بتيسيره وأطلق له من حيث إنه من أسبابه وقيد به الدعوة إيذاناً بأنه أمر صعب لا يتأتى إلا بمعونة من جانب قدسه وسراجاً منيراً يستضاء به في ظلمات الجهالة ويقتبس من نوره أنوار البصائر وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً على سائر الأمم أو على أجر أعمالهم ولعله معطوف على محذوف مثل فراقب أحوال أمتك ولا تطع الكافرين والمنافقين تهييج له على ما هو عليه من مخالفتهم ودع أذاهم إيذاءهم إياك ولا تحتفل به أو إيذاءك إياهم مجازاة أو مؤاخذة على كفرهم ولهذا قيل إنه منسوخ وتوكل على الله فإنه يكفيكهم وكفى بالله وكيلاً موكولاً إليه الأمر في الأحوال كلها ولعله تعالى لما وصفه بخمس صفات قابل كلاً منها بخطاب يناسبه فحذف مقابل الشاهد وهو الأمر بالمراقبة لأن ما بعده كالتفصيل له وقابل المبشر بالأمر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن مراقبة الكفار والمبالاة بأذاهم والداعي إلى الله بتيسيره بالأمر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به فإن من أناره الله تعالى برهاناً على جميع خلقه كان حقيقاً بأن يكتفي به عن غيره يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة أيام يتربصن فيها بأنفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله أو تعدونها والإسناد إلى الرجال للدلالة على أن العدة حق الأزواج كما أشعر به فما لكم وعن ابن كثير تعتدونها مخففاً على إبدال إحدى الدالين بالتاء أو على أنه من الاعتداء بمعنى تعتدون فيها والظاهر يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المؤمنات دون الكتابيات والحكم عام للتنبيه على أن من شأن المؤمن أن لا ينكح إلا مؤمنة تخيراً لنطفته وفائدة ثم إزاحة ما عسى يتوهم أن تراخي الطلاق ريثما يمكن الإصابة كما يؤثر في النسب يؤثر في العدة فمتعوهن أي إن لم يكن مفروضاً لها فإن الواجب للمفروض لها نصف المفروض دون المتعة وهي سنة ويجوز أن يؤول التمتيع بما يعمهما أو الأمر بالمشترك بين الوجوب والندب فإن المتعة سنة للمفروض لها وسرحوهن أخرجوهن من منازلكم إذ ليس لكم عليهن عدة سراحاً جميلاً من غير ضرار ولا منع حق ولا يجوز تفسيره بالطلاق السني لأنه مرتب على الطلاق والضمير لغير المدخول بهن يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن مهورهن لأن المهر أجر على البضع وتقييد الإحلال له بإعطائها معجلة لا لتوقف الحل عليه بل لإيثار الأفضل له كتقييد إحلال المملوكة بكونها مسبية بقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك فإن المشتراة لا يتحقق بدء أمرها وما جرى عليها وتقييد القرائب بكونها مهاجرات معه في قوله وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة ويعضده قول أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأني لم أهاجر معه وكنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي نصب بفعل يفسره ما قبله أو عطف على ما سبق ولا يدفعه التقييد بأن التي للاستقبال فإن المعنى بالإحلال الإعلام بالحل أي أعلمناك حل امرأة مؤمنة تهب لك نفسها ولا تطلب مهراً إن اتفق ولذلك نكرها واختلف في اتفاق ذلك والقائل به ذكر أربعاً ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ أن بالفتح أي لأن وهبت أو مدة أن وهبت كقولك اجلس ما دام زيد جالساً إن أراد النبي أن يستنكحها شرط للشرط الأول في استيجاب الحل فإن هبتها نفسها منه لا توجب له حلها إلا بإرادته نكاحها فإنها جارية مجرى القبول والعدول عن الخطاب إلى الغيبة بلفظ النبي مكرراً ثم الرجوع إليه في قوله

خالصة لك من دون المؤمنين ايذان بانه مما خص به لشرف نبوته وتقرير لاستحقاقه الكرامة لاجله واحتج به اصحابنا على ان النكاح لاينعقد بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى وقد خص عليه الصلاة والسلام بالمعنى فيخص باللفظ والاستنكاح طلب النكاح والرغبة فيه وخالصة مصدر مؤكد اى خلص احلالها واحلال ما احللنا لك على القيود المذكورة خلوصا لك او حال من الضمير فى وهبت اوصفة لمصدر محذوف اى هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم من شرائط العقد ووجوب المهر بالوطء حيث لم يسم والقسم . وما ملكت ايمانهم من توسيع الامر فيها انه كيف ينبغى ان يفرض عليهم والجملة اعتراض بين قوله لكيلا يكون عليك حرج ومتعلقه وهو خالصة للدلالة على ان الفرق بينه وبين المؤمنين فى نحو ذلك لا لمجرد قصد التوسيع عليه بل لمعان تقتضى التوسيع عليه والتضييق عليهم تارة وبالعكس اخرى وكان الله غفورا لما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة فى مظان الحرج ترجى من تشاء منهن تؤخرها وتترك

مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥٢﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ

مضاجعتها وتؤوى اليك من تشاء وتضم اليك وتضاجعها او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء وقرأ نافع وحمزة والكسائى وحفص ترجى بالياء والمعنى واحد ومن ابتغيت طلبت ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك فى شئ من ذلك ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما اتيتهن كلهن ذلك التفويض الى مشيئتك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن جميعا لانه حكم كلهن فيه سواء ثم ان سويت بينهن وجدن ذلك تفضلا منك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله فتطمئن نفوسهن وقرئ تقر بضم التاء واعينهن بالنصب وتقر على البناء للمفعول وكلهن توكيد نون يرضين وقرئ بالنصب تأكيد لهن والله يعلم ما فى قلوبكم فاجتهدوا فى احسانه وكان الله عليما بذات الصدور حليما لايعاجل بالعقوبة فهو حقيق بان يتقى لايحل لك النساء بالياء لان تأنيث الجمع غير حقيقى وقرأ البصريان بالتاء من بعد من بعد التسع وهو فى حقه كالاربع فى حقنا او من بعد اليوم حتى لو ماتت واحدة لم يحل له نكاح اخرى ولا ان تبدل بهن من ازواج فتطلق واحدة وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة لتأكيد الاستغراق ولو اعجبك حسنهن حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل تبدل دون مفعوله وهو من ازواج لتوغله فى التنكير وتقديره مفروضا اعجابك بهن واختلف فى ان الاية محكمة او منسوخة بقوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء على المعنى الثانى فانه وان تقدمها قراءة فهو مسبوق بها نزولا وقيل المعنى لايحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتى نص على احلالهن لك ولا ان تبدل بهن ازواجا من اجناس اخر الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شئ رقيبا فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد لكم يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم او الا مأذونا لكم

الى طعام متعلق بيؤذن لانه متضمن معنى يدعى للاشعار بانه لايحسن الدخول على الطعام من غير دعوة وان اذن كما اشعر به قوله غير ناظرين اناه غير منتظرين وقته او ادراكه وهو حال من فاعل لاتدخلوا والمجرور فى لكم وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير جائز عند البصريين وقد امال حمزة والكسائى اناه لانه مصدر انى الطعام اذا ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا تفرقوا ولا تمكثوا والاية خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته بالاذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لمهم

ولا مستأنسين لحديث لحديث بعضكم بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل محذوف اى ولا تدخلوا ولا تمكثوا
مستأنسين ان ذلكم اللبث كان يؤذى النبى لتضييق المنزل عليه وعلى اهله واشتغاله بما لا يعنيه فيستحيى منكم من اخراجكم لقوله والله
لا يستحيى من الحق يعنى ان اخراجكم حق فينبغى ان لا يترك حياء كما لم يتركه الله ترك الحيى فامركم بالخروج وقرئ لا يستحى بحذف الياء الاولى والقاء حركتها
على الحاء واذا سألتموهن متاعا شيئا ينتفع به فاسألوهن المتاع من وراء حجاب ستر روى ان عمر رضى الله عنه قال يا رسول الله يدخل عليك البر
والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وقيل انه عليه الصلاة والسلام كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل يد عائشة فكره النبى عليه
الصلاة والسلام ذلك فنزلت ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر الشيطانية وما كان لكم وما صح لكم ان تؤذوا رسول الله ان تفعلوا ما يكرهه

الحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله
لا يستحيى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء
حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن
تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن
ذلكم كان عند الله عظيما ﴿٥٣﴾ إن تبدوا شيئا أو تخفوه
فإن الله كان بكل شىء عليما ﴿٥٤﴾ لا جناح عليهن فى آبائهن
ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء
أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن
الله كان على كل شىء شهيدا ﴿٥٥﴾ إن الله وملئكته
يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
﴿٥٦﴾ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا

ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا من بعد وفاته او فراقه وخص التى لم يدخل
بها لما روى ان اشعث بن قيس تزوج المستعيذة فى ايام عمر رضى الله عنه
فهم برجمها فاخبر بانه عليه الصلاة والسلام فارقها قبل ان يمسها فترك
من غير نكير ان ذلكم يعنى ايذاءه ونكاح نسائه كان عند الله عظيما
ذنبا عظيما وفيه تعظيم من الله لرسوله وايجاب لحرمته حيا وميتا ولذلك
بالغ فى الوعيد عليه فقال ان تبدوا شيئا كنكاحهن على السنتكم
او تخفوه فى صدوركم فان الله كان بكل شىء عليما فيعلم ذلك فيجازيكم
به وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد
لا جناح عليهن فى آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء
اخواتهن استثناء لمن لا يجب الاحتجاب عنهم روى انه لما نزلت آية الحجاب
قال الآباء والابناء والاقارب يا رسول الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب
فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك سمى العم
ابا فى قوله واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق او لانه كره ترك الاحتجاب
عنهما مخافة ان يصفا لابنائهما ولا نسائهن يعنى النساء المؤمنات
ولا ما ملكت ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقدمر
فى سورة النور واتقين الله فيما امرتن به ان الله كان على كل شىء
شهيدا لا يخفى عليه خافية ان الله وملائكته يصلون على النبى
يعتنون باظهار شرفه وتعظيم شانه يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
اعتنوا انتم ايضا فانكم اولى بذلك وقولوا اللهم صل على محمد وسلموا
تسليما وقولوا السلام عليك ايها النبى وقيل وانقادوا لاوامره والآية
تدل على وجوب الصلاة والسلام عليه فى الجملة وقيل تجب الصلاة كلما
جرى ذكره لقوله عليه الصلاة والسلام رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل على وقوله من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فابعده الله
وتجوز الصلاة على غيره تبعا له وتكره استقلالا لانه فى العرف صار
شعار الذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا ان الذين يؤذون الله ورسوله يرتكبون ما يكرهانه من الكفر والمعاصى او يؤذون رسول
الله بكسر رباعيته وقولهم شاعر مجنون ونحو ذلك وذكر الله للتعظيم له ومن جوز اطلاق اللفظ الواحد على معنيين فسره بالمعنيين باعتبار المعمولين

لعنهم الله ابعدهم من رحمته في الدنيا والآخرة واعدّ لهم عذابا مهينا يهينهم مع الايلام والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا بغير جناية استحقوا بها الايذاء فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا روی انها نزلت فی منافقين يؤذون عليا رضی الله عنه وقيل فی اهل الافك وقيل فی زناة كانوا يتبعون النسآء وهن كارهات يآيها النبی قل لازواجك وبناتك ونسآء المؤمنين يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ يغطين وجوههنّ وابدانهنّ بملاحفهنّ اذا برزن لحاجة ومن للتبعيض فان المرأة ترخی بعض جلبابها وتتلفع ببعض ذلك ادنی ان يعرفن يميزن من الامآء والقينات فلا يؤذين فلا يؤذيهنّ اهل الريبة بالتعرض لهنّ وكان الله غفورا لما سلف رحيما بعباده حيث يراعی مصالحهم حتی الجزئيات منها لئن لم ينته المنافقون عن نفاقهم والذين فی قلوبهم مرض ضعف ايمان وقلة ثبات عليه او فجور عن تزلزلهم فی الدين او فجورهم والمرجفون فی المدينة يرجفون اخبار السوء عن سرايا المسلمين ونحوها عن ارجافهم واصله التحريك من الرجفة وهی الزلزلة سمی به الاخبار الكاذب لكونه متزلزلا غير ثابت لنغرينك بهم لنأمرنك بقتالهم واجلائهم او ما يضطرهم الی طلب الجلاء ثم لا يجاورونك عطف علی لنغرينك وثم للدلالة علی ان الجلاء ومفارقة جوار رسول الله صلی الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها فی المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ملعونين نصب علی الشتم او الحال والاستثنآء شامل له ايضا ای لا يجاورونك الا ملعونين ولا يجوز ان ينتصب عن قوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبلها سنة الله فی الذين خلوا من قبل مصدر مؤكد ای سنّ الله ذلك فی الامم الماضية وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبيآء وسعوا فی وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لانه لا يبدلها او لا يقدر احد ان يبدلها يسئلك الناس عن الساعة عن وقت قيامها استهزآء او تعنتا او امتحانا قل انما علمها عند الله لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا شيئا قريبا او تكون الساعة عن قريب وانتصابه علی الظرف ويجوز ان يكون التذكير لان الساعة فی معنی اليوم وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للمتعنتين ان الله لعن الكافرين واعدّ لهم سعيرا نارا شديدة الاتقاد خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب عنهم

وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا
﴿٥٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ
وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦٠﴾ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ
لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦١﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا
وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ
تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٣﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ
إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٤﴾
إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا



يوم تقلب وجوههم فى النار تصرف من جهة الى جهة كاللحم يشوى بالنار او من حال الى حال وقرئ نقلب بمعنى نتقلب ونقلب وتقلب ومتعلق الظرف يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلن نبتلى بهذا العذاب وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرآءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرأ ابن عامر
ويعقوب ساداتنا على جمع الجمع للدلالة على الكثرة فاضلونا السبيلا بما زينوا لنا ربنا آتهم ضعفين من العذاب مثلى ما آتيتنا منه لانهم ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كبيرا كثير العدد وقرأ عاصم بالباء اى لعنا هو اشد اللعن واعظمه يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
فاظهر برآءته من مقولهم يعنى مؤداه ومضمونه وذلك ان قارون حرض امرأة على قذفه بنفسها فعصمه الله كما مر فى القصص واتهمه ناس بقتل هرون لما خرج معه
الى الطور فمات هناك فحملته الملآئكة ومروا بهم حتى رأوه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببرآءته او قذفوه بعيب فى بدنه من برص وادرة لفرط تستره حياء
فاطلعهم الله على انه برىء منه وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة
منه وقرئ وكان عبد الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فى ارتكاب
ما يكرهه فضلا عما يؤذى رسوله وقولوا قولا سديدا قاصدا الى
الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده كحديث زينب من غير قصد
يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها
ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ومن
يطع الله ورسوله فى الاوامر والنواهى فقد فاز فوزا عظيما يعش فى الدنيا
حميدا وفى الاخرة سعيدا انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان تقرير للوعد السابق
بتعظيم الطاعة وسماها امانة من حيث انها واجبة الاداء والمعنى انها لعظمة
شأنها بحيث لو عرضت على هذه الاجرام العظام وكانت ذات شعور وادراك
لأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان مع ضعف بنيته ورخاوة
قوته لا جرم فاز الراعى لها والقآئم بحقوقها بخير الدارين انه كان ظلوما حيث
لم يف ولم يراع حقها جهولا بكنه عاقبتها وهذا وصف للجنس باعتبار
الاغلب وقيل المراد بالامانة الطاعة التى تعم الطبيعية والاختيارية وبعرضها
استدعاؤها الذى يعم طلب الفعل من المختار وارادة صدوره من غيره
وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادآئها ومنه قولهم حامل الامانة
ومحتملها لمن لا يؤديها فتبرأ ذمته فيكون الاباء عنه اتيانا بما يمكن ان يتأتى
منه والظلم والجهالة للخيانة والتقصير وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام
خلق فيها فهما وقال لها انى فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعنى فيها ونارا
لمن عصانى فقلن نحن مسخرات على ما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغى ثوابا
ولا عقابا ولما خلق آدم عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه بتحمله
ما يشق عليها جهولا بوخامة عاقبته ولعل المراد بالامانة العقل والتكليف
وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وباباآئهن الاباء
الطبيعى الذى هو عدم القابلية والاستعداد وبحمل الانسان قابليته واستعداده لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى
هذا يحسن ان يكون علة للحمل عليه فان من فوآئد العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدى ومجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف
تعديلهما وكسر سورتهما

أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٦﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ
فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا
رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٨﴾
رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ
مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧١﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴿٧٢﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ
إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٣﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ

ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات تعليل للحمل من حيث انه نتيجته كالتأديب للضرب فى ضربته تأديبا وذكر التوبة فى الوعد اشعار بأن كونهم ظلوما جهولا فى جبلتهم لايخليهم عن فرطات وكان الله غفورا رحيما حيث تاب على فرطاتهم واثاب بالفوز على طاعاتهم قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطى الامان من عذاب القبر سورة سبأ مكية وقيل الا وقال الذين اوتوا العلم الاية وآيها خمس واربعون بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا ونعمة فله الحمد فى الدنيا لكمال قدرته وعلى تمام نعمته وله الحمد فى الآخرة لان ما فى الآخرة ايضا كذلك وليس هذا من عطف المقيد على المطلق فان الوصف الذى يدل على انه المنعم بالنعم الدنيوية قيد الحمد بها وتقديم الصلة للاختصاص فان النعم الدنيوية قد تكون بواسطة من يستحق الحمد لاجلها ولا كذلك نعم الآخرة وهو الحكيم الذى احكم امور الدارين الخبير ببواطن

وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

سورة سبأ مكية وهى اربع وخمسون آية

٣٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ

الاشياء يعلم ما يلج فى الارض كالغيث ينفذ فى موضع وينبع فى آخر وكالكنوز والدفائن والاموات وما يخرج منها كالحيوان والنبات والفلزات وماء العيون وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والارزاق والانداء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو الرحيم الغفور للمفرطين فى شكر نعمته مع كثرتها او فى الآخرة مع ماله من سوابق هذه النعم الفائتة للحصر وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة انكار لمجيئها او استبطاء استهزاء بالوعد به قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه وربى لتأتينكم عالم الغيب تكرير لايجابه مؤكدا بالقسم مقررا لوصف المقسم به بصفات تقرر امكانه وتنفى استبعاده على مامر غيره مرة وقرأ حمزة والكسائى علام الغيب للمبالغة ونافع وابن عامر ورويس عالم الغيب بالرفع على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لايعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وقرأ الكسائى لايعزب بالكسر ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين جملة مؤكدة لنفى العزوب ورفعهما بالابتداء ويؤيده القراءة بالفتح على نفى الجنس ولا يجوز عطف المرفوع على مثقال والمفتوح على ذرة بانه فتح فى موضع الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا اذا جعل الضمير فى عنه للغيب وجعل المثبت فى اللوح خارجا عنه لظهوره على المطالعين له فيكون المعنى لاينفصل عن الغيب شئ الا مسطورا فى اللوح

مبين ۝٤ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم
مغفرة ورزق كريم ۝٥ والذين سعو في آياتنا معاجزين
أولئك لهم عذاب من رجز أليم ۝٦ ويرى الذين أوتوا العلم
الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز
الحميد ۝٧ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم
إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ۝٨ أفترى على الله كذبا
أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال
البعيد ۝٩ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من
السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم
كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ۝١٠
ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له

ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتأتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعو في آياتنا بالابطال وتزهيد الناس فيها معاجزين مسابقين كي يفوتونا وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين اي مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب من رجز من سيئ العذاب اليم مؤلم ورفعه ابن كثير ويعقوب وحفص ويرى الذين اوتوا العلم ويعلم اولوا العلم من الصحابة ومن شايعهم من الامة او من مسلمي اهل الكتاب الذي انزل اليك من ربك القرآن هو الحق ومن رفع الحق جعل هو ضميرا مبتدأ والحق خبره والجملة ثاني مفعولي يرى وهو مرفوع مستأنف للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الآيات وقيل منصوب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق عيانا كما علموه الآن برهانا ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقال الذين كفروا قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام ينبئكم يحدثكم باعجب الاعاجيب اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد انكم تنشأون خلقا جديدا بعد ان تمزق اجسادكم كل تمزيق وتفريق بحيث تصير ترابا وتقديم الظرف للدلالة على البعد والمبالغة فيه وعامله محذوف دل عليه ما بعده فان ما قبله لم يقارنه وما بعده مضاف اليه او محجوب بينه وبينه بان وممزق يحتمل ان يكون مكانا بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم السيول كل مذهب وطرحتكم كل مطرح وجديد بمعنى فاعل من جد فهو جديد كحد فهو حديد وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا قطعه افترى على الله كذبا ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه واستدل بجعلهم اياه قسيم الافتراء غير معتقدين صدقه على ان بين الصدق والكذب واسطة وهو كل خبر لا يكون عن بصيرة بالمخبر عنه وضعفه بين لان الافتراء اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد رد من الله تعالى عليهم ترديدهم واثبات لهم ما هو افظع من القسمين وهو الضلال البعيد عن الصواب بحيث لا يرجى الخلاص منه وما هو مؤداه من العذاب وجعله رسيلا له في الوقوع ومقدما عليه في اللفظ للمبالغة في استحقاقهم له والبعيد في الاصل صفة الضال ووصف الضلال به على الاسناد المجازي افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء تذكير بما يعاينونه مما يدل على كمال قدرة الله وما يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم الاحياء حتى جعلوه افتراء وهزؤا وتهديدا عليها والمعنى أعموا فلم ينظروا الى ما احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا أهم اشد خلقا ام هي وانا ان نشأ نخسف بهم او نسقط عليهم كسفا لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات وقرأ حمزة والكسائي يشأ ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله وحفص كسفا بالتحريك ان في ذلك النظر والتفكر فيهما وما يدلان عليه لآية لدلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه فانه يكون كثير التأمل في امره ولقد آتينا داود منا فضلا اي على سائر الانبياء وهو ما ذكر بعد او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتاب والملك والصوت الحسن يا جبال اوبي معه رجعي معه التسبيح او النوحة على الذنب وذلك اما بخلق صوت مثل صوته فيها او بحملها اياه على التسبيح اذا تأمل ما فيها او سيري معه حيث سار وقرئ اوبي من الاوب اي ارجعي في التسبيح كلما رجع فيه وهو بدل من فضلا او من آتينا باضمار قولنا او قلنا والطير عطف على محل الجبال ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على لفظها تشبيها للحركة البنائية العارضة بحركة الاعراب او على فضلا او مفعول معه لاوبي وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بالعطف على ضميره وكان الاصل ولقد آتينا داود منا فضلا تأويب الجبال والطير فبدل به هذا النظم لما فيه من الفخامة والدلالة على عظمة شأنه وكبرياء سلطانه حيث جعل الجبال والطيور كالعقلاء المنقادين لامره في نفاذ مشيئته فيها وألنا له الحديد وجعلناه في يده كالشمع يصرفه كيف يشاء من غير احماء وطرق بآلاته او بقوته

ان اعمل امرناه ان اعمل وان مفسرة اومصدرية سابغات دروعا واسعات وقرئ صابغات وهو اول من اتخذها وقدر فى السرد وقدر فى نسجها بحيث يتناسب حلقها اوقدر مساميرها فلا تجعلها دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتخرق وردّ بان دروعه لم تكن مسمرة ويؤيده قوله وألنا له الحديد واعملوا صالحا الضمير فيه لداود عليه السلام واهله انى بما تعملون بصير فاجازيكم عليه ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وقرأ ابو بكر الريح بالرفع اى ولسليمان الريح مسخرة وقرئ الرياح غدوها شهر ورواحها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر وبالعشى كذلك وقرئ غدوتها وروحتها واسلنا له عين القطر النحاس المذاب اساله له من معدنه فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن ومن الجن من يعمل بين يديه عطف على الريح ومن الجن حال مقدمة او جملة من مبتدأ وخبر باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل منهم عن امرنا عما امرناه من طاعة سليمان وقرئ يزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة يعملون له ما يشاء من محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة سميت بها لانها يذب عنها ويحارب عليها وتماثيل

الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ

وصورا وتماثيل الملائكة والانبياء على ما اعتاد وامن العبادات ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم وحرمة التصاوير شرع مجدد روى انهم عملوا اسدين فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان وصحاف كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقدور راسيات ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على العلة اى اعملوا له واعبدوه شكرا او المصدر لان العمل له شكر او الوصف له او الحال او المفعول به وقليل من عبادى الشكور المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه فى اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر فلما قضينا عليه الموت اى على سليمان ما دلهم على موته ما دل الجن وقيل آله الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت أكلا تأكل منسأته عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها وقرئ بفتح الميم وتخفيف الهمزة قلبا وحذفا على غير قياس اذ القياس اخراجها بين بين وقرأ نافع وابو عمرو ومنساته على مفعالة كميضاءة فى ميضأة ومن سأته اى طرف عصاه مشتقا من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة وقحة فلما خر تبينت الجن علمت الجن بعد التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا موته حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا فى تسخيره الى ان خر او ظهرت الجن وان بما فى حيزه بدل منه اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب وذلك ان داود اسس بيت المقدس فى موضع فسطاط موسى عليه الصلاة والسلام فمات قبل تمامه فوصى به الى سليمان فاستعمل الجن فيه فلم يتم بعد اذ دنا اجله فاعلم به فاراد ان يعمى عليهم موته ليتموه فدعاهم فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس فيه باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقى كذلك حتى اكلتها الارضة فخر ثم فتحوا عنه وارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره ثلاثا وخمسين سنة وملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ عمارة بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ومنع الصرف عنه ابن كثير وابو عمرو لانه صار اسم القبيلة وعن ابن كثير قلب همزته الفا ولعله اخرجه بين بين فلم يؤده الراوى كما وجب فى مساكنهم فى مواضع سكناهم وهى باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وقرأ حمزة وحفص بالافراد والفتح والكسائى بالكسر حملا على ما شذ من القياس كالمسجد والمطلع آية علامة دالة على وجود الصانع المختار وانه قادر على ما يشاء من الامور العجيبة مجاز للمحسن والمسيء معاضدة للبرهان السابق كما فى قصتى داود وسليمان جنتان بدل من آية او خبر محذوف وتقديره الآية جنتان وقرئ بالنصب على المدح والمراد جماعتان من البساتين

عن يمين وشمال جماعة عن يمين بلدهم وجماعة عن شماله كل واحدة منهما في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة او بستانا كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال او دلالة بانهم كانوا احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف للدلالة على موجب الشكر اى هذه البلدة التى فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذى رزقكم وطلب شكركم رب غفور فرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اخصب البلاد واطيبها لم يكن فيها عاهة ولا هامة فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم سيل الامر العرم اى الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد او الجرذ اضاف اليه السيل لانه نقب عليهم سكرا ضربته لهم بلقيس فحقنت به ماء الشجر وتركت فيه ثقبا على مقدار ما يحتاجون اليه او المسناة التى عقدت سكرا على انه جمع عرمة وهى الحجارة المركومة وقيل اسم واد جاء السيل من قبله وكان ذلك بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط مر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة وقيل الاراك او كل شجر لا شوك له والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في كونه بدلا او عطف بيان وقرأ ابو عمرو اكل خمط بالاضافة واثل وشئ من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء ولا ثمر له وقرئا بالنصب عطفا على جنتين ووصف السدر بالقلة فان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك جزيناهم بما كفروا بكفرانهم النعمة او بكفرهم بالرسل اذ روى انه بعث اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وتقديم المفعول للتعظيم لا للتخصيص وهل نجازى الا الكفور وهل يجازى بمثل ما فعلنا بهم الا البليغ في الكفران او الكفر وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص نجازى بالنون والكفور بالنصب وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها بالتوسعة على اهلها وهى قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق ظاهرة لابناء السبيل وقدرنا فيها السير بحيث يقيل الغادى في قرية ويبيت الرائح في قرية الى ان يبلغ الشام سيروا فيها على ارادة القول بلسان المقال او الحال ليالى واياما متى شئتم من ليل ونهار آمنين لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا آمنين وان طالت مدة سيركم فيها او سيروا فيها ليالى اعماركم واياما لا تلقون فيها الا الامن فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اشروا النعمة وملوا العافية كبنى اسرائيل فسألوا الله ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء بركوب الرواحل وتزود الازواد فاجابهم الله بتخريب القرى المتوسط وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام بعد ويعقوب ربنا بالرفع باعد بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم افراطا في الترفيه وعدم الاعتداد بما انعم الله عليهم فيه ومثله قراءة من قرأ ربنا بعد وبعد على النداء واسناد الفعل الى بين وظلموا انفسهم حيث بطروا النعمة ولم يعتدوا بها فجعلناهم احاديث يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل فيقولون تفرقوا ايدى سبا ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم غاية التفريق حتى لحق غسان منهم بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان ان في ذلك فيما ذكر لآيات لكل صبار عن المعاصى شكور على النعم ولقد صدق عليهم ابليس ظنه اى صدق في ظنه او صدق يظن ظنه مثل فعلته جهدك ويجوز ان يعدى الفعل اليه بنفسه كما في صدق وعده لانه نوع من القول وشدده الكوفيون بمعنى حقق ظنه او وجده صادقا وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى وجده ظنه صادقا والتخفيف بمعنى قال له ظنه الصدق حين خيله اغواءهم وبرفعهما والتخفيف على الابدال وذلك اما ظنه بسبأ حين رأى انهماكهم في الشهوات او ببنى آدم حين رأى اباهم النبى صلى الله عليه وسلم ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين الا فريقا هم المؤمنون لم يتبعوه وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون وما كان له عليهم على المتبعين من سلطان تسلط واستيلاء بوسوسة واستغواء

وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٦﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٩﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢٢﴾ قُلِ ادْعُوا

الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك الا ليتعلق علمنا بذلك تعلقا يترتب عليه الجزاء او ليتميز المؤمن من الشاك او ليؤمن من قدر ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم حصول متعلقه مبالغة وفي نظم الصلتين نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ محافظ والزنتان متآخيتان قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثاني لقيام صفته وهي من دون الله مقامه ولا يجوز ان يكون هو مفعوله الثاني لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما ولا لا يملكون لانهم لا يزعمونه من دون الله والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة من خير او شر في السموات ولا في الارض في امر ما وذكرهما للعموم العرفي او لان آلهتهم بعضها سماوية كالملئكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للشر والخير سماوية وارضية والجملة استئناف لبيان حالهم وما لهم فيهما من شرك من شركة لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير يعينه على تدبير امرهما ولا تنفع الشفاعة عنده فلا تنفعهم شفاعة ايضا كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة عند الله الا لمن اذن له اذن له ان يشفع او اذن ان يشفع له لعلو شانه ولم يثبت ذلك واللام على الاول كاللام في قولك الكرم لزيد وعلى الثاني كاللام في جئتك لزيد وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة وكسر الذال حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمفهوم الكلام من ان ثمة توقفا وانتظارا للاذن اي يتربصون فزعين حتى اذا كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بالاذن وقيل الضمير للملائكة وقد تقدم ذكرهم ضمنا وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع على البناء للفاعل وقرئ فرغ اي نفي الوجل من فرغ الزاد اذا فني قالوا قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الشفاعة قالوا الحق قالوا قال القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وهم المؤمنون وقرئ بالرفع اي مقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه قل من يرزقكم من السموات والارض يريد به تقرير قوله لا يملكون قل الله اذ لا جواب سواه وفيه اشعار بانهم ان سكتوا او تلعثموا في الجواب مخافة الالزام فهم مقرون به بقلوبهم وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين اي وان احد الفريقين من الموحدين المتوحد بالرزق والقدرة الذاتية بالعبادة والمشركين به الجماد النازل في ادنى المراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال الواضح وهو بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ومن هو في الضلال ابلغ من التصريح لانه في صورة الانصاف المسكت للخصم المشاغب ونظيره قول حسان

اتهجوه ولست له بكفو ... فشركما لخيركما الفداء

وقيل انه على اللف وفيه نظر واختلاف الحرفين لان الهادي كمن صعد منارا ينظر الاشياء ويتطلع عليها او ركب جوادا يركضه حيث يشاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك من قبل انه لا يرى شيئا او محبوس في مطمورة لا يستطيع ان يتفصى منها قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ في الاخبات حيث اسند الاجرام الى انفسهم والعمل الى المخاطبين قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويفصل بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح الحاكم الفيصل في القضايا المنغلقة العليم بما ينبغي ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء لارى باي صفة الحقتموهم بالله في استحقاق العبادة وهو استفسار عن شبههم بعد الزام الحجة عليهم زيادة في تبكيتهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم الموصوف بالغلبة وكمال القدرة والحكمة وهؤلاء الملحقون به متسمة بالذلة متأبية عن قبول العلم والقدرة رأسا والضمير لله او للشان وما ارسلناك الا كافة للناس الا ارسالة عامة لهم من الكف فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم في الابلاغ فهي حال من الكاف والتاء للمبالغة ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ويقولون من فرط جهلهم متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله يجمع بيننا ربنا ان كنتم صادقين يخاطبون به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والمؤمنين

الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٥﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٠﴾

قل لكم ميعاد يوم وعد يوم او زمان وعد واضافته الى اليوم للتبيين ويؤيده انه قرئ يوم على البدل وقرئ يوما باضمار اعني لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون اذا فاجاءكم وهو جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه ولا بما تقدمه من الكتب الدالة على البعث قيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فاخبروهم انهم يجدون نعته في كتبهم فغضبوا وقالوا ذلك وقيل الذي بين يديه يوم القيامة ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض القول يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا يقول الاتباع للذين استكبروا للرؤساء لولا انتم لولا اضلالكم وصدكم ايانا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين انكروا انهم كانوا صادين لهم عن الايمان واثبتوا انهم هم الذين صدوا انفسهم حيث اعرضوا عن الهدى واثروا التقليد عليه ولذلك بنوا الانكار على الاسم وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اضراب عن اضرابهم اي لم يكن اجرامنا الصاد بل مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا حتى اغرتم علينا رأينا اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا والعاطف يعطفه على كلامهم الاول واضافة المكر الى الظرف على الاتساع وقرئ مكر الليل بالنصب على المصدر ومكر ليل بالتنوين ونصب الظرف ومكر الليل من الكرور واسروا الندامة لما راوا العذاب واضمر الفريقان الندامة على الضلال والاضلال واخفاها كل عن صاحبه مخافة التعيير او اظهروها فانه من الاضداد اذ الهمزة تصلح للاثبات وللسلب كما في اشكيته وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالظاهر تنويها بذمهم واشعارا بموجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا يفعل بهم ما يفعل الا جزاء على اعمالهم وتعديته يجزى اما لتضمين معنى يقضى او لنزع الخافض وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مما مني به من قومه وتخصيص المتنعمين بالتكذيب لان الداعي المعظم الى التكبر المفاخرة بزخارف الدنيا والانهماك في الشهوات والاستهانة بمن لم يحظ منها ولذلك ضموا التهكم والمفاخرة الى التكذيب فقالوا انا بما ارسلتم به كافرون على مقابلة الجمع بالجمع



قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ۝٣٠ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ۝٣١ قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين ۝٣٢ وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا واسروا الندامة لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون ۝٣٣ وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم

بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَقَالُوا نَحْنُ اَكْثَرُ اَمْوَالًا وَاَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٦﴾ قُلْ اِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلٰكِنَّ
اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا اَمْوَالُكُمْ وَلَا اَوْلَادُكُمْ
بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفٰى اِلَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَاُولٰئِكَ لَهُمْ
جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ اٰمِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي اٰيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ اُولٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٩﴾
قُلْ اِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا
اَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٠﴾ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلٰئِكَةِ اَهٰؤُلَاءِ اِيَّاكُمْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ ﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ اَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا
يَعْبُدُونَ الْجِنَّ اَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤٢﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ

وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا فنحن اولى بما تدعونه ان امكن وما نحن بمعذبين اما لان العذاب لا يكون اولانه اكرمنا بذلك فلا يهيننا بالعذاب قل ردا لحسبانهم ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولذلك يختلف فيه الاشخاص المتماثلة في الخصائص والصفات ولو كان ذلك لكرامة وهوان يوجبانه لم يكن بمشيئته ولكن اكثر الناس لا يعلمون فيظنون ان كثرة الاموال والاولاد للشرف والكرامة وكثيرا ما يكون للاستدراج كما قال وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قربة والتي اما لان المراد وما جماعة اموالكم والاولاد اولانها صفة محذوف كالتقوى والخصلة وقرئ بالذي اي بالشيء الذي يقربكم الا من آمن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفق ماله في سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف فاولئك لهم جزاء الضعف ان يجازوا الضعف الى عشر فما فوقه والاضافة اضافة المصدر الى المفعول وقرئ بالاعمال على الاصل وعن يعقوب رفعهما على ابدال الضعف ونصب الجزاء على التمييز او المصدر لفعله الذي دل عليه لهم بما عملوا وهم في الغرفات آمنون من المكاره وقرئ بفتح الراء وسكونها وقرا حمزة في الغرفة على ارادة الجنس والذين يسعون في آياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين مسابقين لانبيائنا او ظانين انهم يفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق عليه اخرى فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين وما سبق في شخصين فلا تكرير وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا او آجلا وهو خير الرازقين فان غيره وسط في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم نحشرهم جميعا المستكبرين والمستضعفين ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم واقناطا لهم عما يتوقعون من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك واصله وقرا حفص ويعقوب يحشرهم ويقول بالياء فيهما قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم انت الذي نواليه من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم كانهم بينوا بذلك براءتهم من الرضى بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون اليهم انهم الملائكة فيعبدونهم اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس او للمشركين والاكثر بمعنى الكل والثاني للجن

فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر فيه كله لله لان الدار دار جزاء وهو المجازى وحده ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون
عطف على لا يملك مبين للمقصود من تمهيده واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا ما هذا يعنون محمدا عليه الصلوة والسلام الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم
فيستتبعكم بما يستبدعه وقالوا ما هذا يعنون القران الا افك لعدم مطابقة ما فيه الواقع مفترى باضافته الى الله سبحانه وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم
لامر النبوة او للاسلام او للقران والاول باعتبار معناه وهذا باعتبار لفظه واعجازه ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفى تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة
وما فى اللامين من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما فى لما من المبادهة الى البت بهذا القول انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها
فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يدعوهم اليه وينذرهم على تركه فقد بان من قبل ان لا وجه له فمن اين وقع لهم هذه الشبهة وهذا فى غاية
التجهيل لهم والتسفيه لرايهم ثم هددهم فقال وكذب الذين من قبلهم
كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم وما بلغ هؤلاء عشر ما اتينا
اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا هؤلاء
من البينات والهدى فكذبوا رسلى فكيف كان نكير فحين كذبوا رسلى
جاءهم انكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرير
فى كذب لان الاول للتكثير والثانى للتكذيب او الاول مطلق والثانى مقيد ولذلك
عطف عليه بالفاء قل انما اعظكم بواحدة ارشدكم وانصح لكم بخصلة واحدة
هى ما دل عليه ان تقوموا لله وهو القيام من مجلس رسول الله او الانتصاب
فى الامر خالصا لوجه الله معرضا عن المراء والتقليد مثنى وفرادى
متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الخاطر ويخلط
القول ثم تتفكروا فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته
ومحله الجر على البدل او البيان او الرفع او النصب باضمار هو او اعنى ما بصاحبكم من جنة
فتعلموا ما به جنون يحمله على ذلك او استئناف منبه لهم على ان ما عرفوا من رجاحة
كمال عقله كاف فى ترجيح صدقه فانه لا يدعه ان يتصدى لادعاء امر خطير وخطب
عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان فيفتضح على رؤس الاشهاد ويسلم ويلقى نفسه
الى الهلاك فكيف وقد انضم اليه معجزات كثيرة وقيل ما استفهامية والمعنى
ثم تتفكروا اى شئ به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد
قدامه لانه مبعوث فى نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر اى شئ سألتكم
من اجر على الرسالة

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ
النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا
كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى
وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا
أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ
كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا
لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ
إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ

فهولكم والمراد نفي السؤال فانه جعل التنبي مستلزما لاحد الامرين اما الجنون واما توقع نفع دنيوي عليه لانه اما ان يكون لغرض اولغيره وايا ما كان يلزم احدهما ثم نوع كلا منهما وقيل ما موصولة مراد بها ما سألهم بقوله ما اسالكم عليه من اجر الامن شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل نفعهم وقرباه قرباهم ان اجري الا على الله وهو على كل شئ شهيد مطلع يعلم صدقي وخلوص نيتي وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي باسكان الياء قل ان ربي يقذف بالحق يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به الى اقطار الآفاق فيكون وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها اوبدل من المستكن في يقذف اوخبر ثان اوخبر محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدرا باعني وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وابو بكر وحمزة والكسائي الغيوب بالكسر كالبيوت والباقي بالضم كالشعود وقرئ بالفتح كالصبور على انه مبالغة غائب قل جاء الحق اى الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد وزهق الباطل اى الشرك بحيث لم يبق له اثر ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة قال اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد وقيل الباطل ابليس او الصنم والمعنى لا ينشئ خلقا ولا يعيده اولا يبدئ خيرا لاهله ولا يعيده وقيل ما استفهامية منتصبة بما بعدها قل ان ضللت عن الحق فانما اضل على نفسي اى وبال ضلالي عليها فانه بسببها اذ هي الجاهلة بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قابل الشرطية بقوله وان اهتديت فبما يوحي الي ربي فان الاهتداء بهدايته وتوفيقه انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وان اخفاه ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف مثل لرايت فظيعا فلا فوت فلا يفوتون الله بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى القليب والعطف على فزعوا او لا فوت ويؤيده انه قرئ واخذ عطفا على محله اى فلا فوت هناك وهناك اخذ وقالوا آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد مر ذكره في قوله ما بصاحبكم وانى لهم التناوش ومن اين لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وقد بعد عنهم وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص بالايمان بعد ما فات عنهم وبعد عنهم بحال من يريد ان يتناول الشئ من غلوة تناوله من ذراع في الاستحالة وقرأ ابو عمرو والكوفيون غير حفص بالهمز على قلب الواو لضمها اولانه من نأشت الشئ اذا طلبته قال رؤبة اقحمني جار ابي الجاموش اليك نأش القدر النؤوش اومن نأشت اذا تأخرت ومنه قوله تمنى نئيشا ان يكون اطاعني وقد حدثت بعد الامور امور فيكون بمعنى التناول من بعد وقد كفروا به بمحمد عليه الصلوة والسلام او بالعذاب من قبل من قبل ذلك اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم في الرسول عليه الصلوة والسلام من المطاعن او في العذاب من البت على نفيه من مكان بعيد من جانب بعيد من امره وهو الشبه التي تمحلوا بها في امر الرسول صلى الله عليه وسلم وحال الآخرة كما حكاه من قبل ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وقرئ ويقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك والعطف على وقد كفروا على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوه من الايمان في الدنيا وحيل بينهم وبين ما يشتهون من الايمان والنجاة به من النار وقرأ ابن عامر والكسائي باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب موقع في الريبة او ذي ريبة منقول من المشكك او الشاك نعت به الشك للمبالغة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا

مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٩﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٥٠﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥٢﴾ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٤﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۞

سورة الفاطر مكية وهي خمس واربعون آية

سورة الملائكة مكية وآيها خمس واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض مبدعهما من الفطر بمعنى الشق كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه بمعنى الماضي
جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا الصادقة او بينه وبين خلقه يوصلون
اليهم آثار صنعه اولى اجنحة مثنى وثلاث ورباع ذوي اجنحة متعددة متفاوتة بتفاوت ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها نحو ما وكلهم الله عليه
ويتصرفون فيه على ما امرهم به ولعله لم يرد خصوصية الاعداد ونفي ما زاد عليها لما روى انه عليه الصلوة والسلام راى جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح يزيد في الخلق
ما يشاء استئناف للدلالة على ان تفاوتهم في ذلك مقتضى مشيئته ومؤدى حكمته لا امر يستدعيه ذواتهم لان اختلاف الاصناف والانواع بالخواص والفصول ان
كان لذواتهم المشتركة لزم تنافي لوازم الامور المتفقة وهو محال والاية متناولة زيادات الصور والمعاني كملاحة الوجه وحسن الصوت وحصافة العقل وسماحة
النفس ان الله على كل شيء قدير وتخصيص بعض الاشياء بالتحصيل دون
بعض انما هو من جهة الارادة ما يفتح الله للناس ما يطلق لهم ويرسل
وهو من تجوز السبب للمسبب من رحمة كنعمة وامن وصحة وعلم ونبوة
فلا ممسك لها يحبسها وما يمسك فلا مرسل له يطلقه واختلاف
الضميرين لان الموصول الاول مفسر بالرحمة والثاني مطلق يتناولها والغضب
وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده من بعد امساكه
وهو العزيز الغالب على ما يشاء ليس لاحد ان ينازعه فيه الحكيم لا يفعل
الا بعلم واتقان ثم لما بين انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما على الاطلاق
امر الناس بشكر انعامه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم
احفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ثم انكر ان يكون لغيره
في ذلك مدخل فيستحق ان يشرك به بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء
والارض لا اله الا هو فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الكفر
باشراك غيره به ورفع غير للحمل على محل من خالق بانه وصف او بدل فان الاستفهام
بمعنى النفي او لانه فاعل خالق وجره حمزة والكسائي حملا على لفظه وقد نصب على
الاستثناء ويرزقكم صفة لخالق او استئناف مفسر له او كلام مبتدأ وعلى الاخير
يكون اطلاق هل من خالق مانعا من اطلاقه على غير الله وان يكذبوك فقد كذبت
رسل من قبلك اي فتأس بهم في الصبر على تكذيبهم فوضع فقد كذبت موضعه
استغناء بالسبب عن المسبب وتنكير رسل للتعظيم المقتضي زيادة التسلية
والحث على المصابرة والى الله ترجع الامور فيجازيك واياهم على الصبر
والتكذيب يا ايها الناس ان وعد الله بالحشر والجزاء حق لا خلف
فيه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعي
ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية
فانها وان امكنت لكن الذنب بها التوقع كتناول السم اعتمادا على دفع الطبيعة
وقرئ بالضم وهو مصدر او جمع كقعود ان الشيطان لكم عدو عداوة
عامة قديمة فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في مجامع احوالكم انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته
وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى الدنيا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ جَاعِلِ الْمَلٰٓئِكَةِ رُسُلًا اُولِيٓ اَجْنِحَةٍ مَثْنٰى وَثُلٰثَ وَرُبٰعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ اِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَاَنّٰى تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَاِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَاِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْاُمُورُ ﴿٤﴾ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا اِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا

مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ
﴿٨﴾ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ
يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ
إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ
سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿١٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا
إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ
يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ
يَبُورُ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ
أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ

الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير وعيد لمن اجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للاماني الفارغة وبناء الامر كله على الايمان والعمل الصالح وقوله افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا تقرير له اى افمن زين له سوء عمله بان غلب وهمه وهواه على عقله حتى انتكس رأيه فرأى الباطل حقا والقبيح حسنا كمن لم يزين له بل وفق حتى عرف الحق واستحسن الاعمال واستقبحها على ما هى عليه فحذف الخبر لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقيل تقديره افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم حسرات عليه ومعناه فلا تهلك نفسك عليهم للحسرات على غيهم واصرارهم على التكذيب والفاآت الثلاث للسببية غير ان الاوليين دخلتا على السبب والثالثة دخلت على المسبب وجمع الحسرات للدلالة على تضاعف اغتمامه على احوالهم وكثرة مساوى افعالهم المقتضية للتاسف وعليهم ليست صلة لها لان صلة المصدر لا تتقدمه بل صلة تذهب او بيان للمتحسر عليه ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه الله الذى ارسل الرياح وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح فتثير سحابا على حكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة ولان المراد بيان احداثها بهذه الخاصية ولذلك اسنده اليها ويجوز ان يكون اختلاف الافعال للدلالة على استمرار الامر فسقناه الى بلد ميت قرأ نافع وحمزة والكسائى بتشديد الياء فاحيينا به الارض بالمطر النازل منه وذكر السحاب كذكره او بالسحاب فانه سبب السبب او الصائر مطرا بعد موتها بعد يبسها والعدول فيهما من الغيبة الى ما هو ادخل فى الاختصاص لما فيهما من مزيد الصنع كذلك النشور اى مثل احياء الموات نشور الاموات فى صحة المقدورية اذ ليس بينهما الا احتمال اختلاف المادة فى المقيس عليه وذلك لا مدخل له فيها وقيل فى كيفية الاحياء فانه تعالى يرسل ماء من تحت العرش فينبت منه اجساد الخلق من كان يريد العزة الشرف والمنعة فلله العزة جميعا اى فليطلبها من عنده فان له كلها فاستغنى بالدليل عن المدلول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما والمستكن فى يرفعه للكلم فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد ويؤيده انه نصب العمل او للعمل فانه يحقق الايمان ويقويه او لله وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقرئ يصعد على البناءين والمصعد هو الله تعالى او المتكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء وقراءة القرآن وعنه عليه الصلوة والسلام هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيى بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والذين يمكرون السيئات المكرات السيئات يعنى مكرات قريش للنبى صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة وتدارسهم الرأى فى احدى ثلاث حبسه وقتله واجلائه لهم عذاب شديد لا يؤبه دونه بما يمكرون به ومكر اولئك هو يبور يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة لا تتغير به كما دل عليه بقوله والله خلقكم من تراب بخلق آدم منه ثم من نطفة بخلق ذريته منها ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا معلومة له

مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ

وما يعمر من معمر وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر ولا ينقص من عمره من عمر المعمر لغيره بان يعطى له عمر ناقص من عمره او لا ينقص من عمر المنقوص عمره بجعله ناقصا والضمير له وان لم يذكر لدلالة مقابله عليه او للمعمر على التسامح فيه ثقة بفهم السامع كقولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بالحق وقيل الزيادة والنقصان في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكون فيه ان حج عمرو فعمره ستون سنة والا فاربعون وقيل المراد بالنقصان ما يمر من عمره وينتقص فانه يكتب في صحيفة عمره يوما فيوما وعن يعقوب ولا ينقص على بناء الفاعل الا في كتاب هو علم الله او اللوح او الصحيفة ان ذلك على الله يسير اشارة الى الحفظ او الزيادة والنقصان وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب مثل للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ سيغ بالتشديد والتخفيف وملح على فعل ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم او تمام التمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يستويان من حيث انهما لا يتساويان فيما هو المقصود بالذات من الماء فانه خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يتساوى المؤمن والكافر وان اتفق اشتراكهما في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاصية العظمى وبقاء احدهما على الفطرة الاصلية دون الآخر او تفضيل للاجاج على الكافر بما يشارك فيه العذب من المنافع والمراد بالحلية اللآلى واليواقيت وترى الفلك فيه في كل مواخر تشق الماء بجريها لتبتغوا من فضله من فضل الله بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر ويجوز ان تتعلق بما دل عليه الافعال المذكورة ولعلكم تشكرون على ذلك وحرف الترجي باعتبار ما يقتضيه ظاهر الحال يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هي مدة دوره او منتهاه او يوم القيمة ذلكم الله ربكم له الملك الاشارة الى الفاعل لهذه الاشياء وفيها اشعار بان فاعليته لها موجبة لثبوت الاخبار المترادفة ويحتمل ان يكون له الملك كلاما مبتدأ في قران والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والربوبية والقطمير لفافة النواة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض ما استجابوا لكم لعدم قدرتهم على الانفاع او لتبرئهم منكم مما تدعون لهم ويوم القيمة يكفرون بشرككم باشراككم لهم يقرون ببطلانه او يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير به اخبرك وهو الله تعالى فانه الخبير به على الحقيقة دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به عن حال آلهتهم ونفي ما يدعون لهم يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وما يعن لكم وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لشدة افتقارهم وكثرة احتياجهم هم الفقراء وان افتقار سائر الخلائق بالاضافة الى فقرهم غير معتد به ولذلك قال وخلق الانسان ضعيفا والله هو الغني الحميد المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات حتى استحق عليهم الحمد ان يشا يذهبكم ويأت بخلق جديد بقوم آخرين اطوع منكم او بعالم آخر غير ما تعرفونه وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر او متعسر



ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا تحمل نفس آثمة اثم نفس اخرى واما قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم ففي الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شئ من اوزار غيرهم وان تدع مثقلة نفس اثقلها الاوزار الى حملها تحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شئ لم تجب بحمل شئ منه نفي ان يحمل عنها ذنبها كما نفى ان يحمل عليها ذنب غيرها ولو كان ذا قربى ولو كان المدعو ذا قرابتها فاضمر المدعو لدلالة ان تدع عليه وقرئ ذو قربى على حذف الخبر وهو اولى من جعل كان تامة فانها لا تلائم نظم الكلام انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او غائبا عنهم عذابه واقاموا الصلوة فانهم المنتفعون بالانذار لا غير واختلاف الفعلين لما مر ومن تزكى ومن تطهر من دنس المعاصي فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها وقرئ ومن ازكى فانما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله المصير فيجازيهم على تزكيتهم

بعزيز ﴿١٨﴾ ولا تزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة الى
حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين
يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى
لنفسه والى الله المصير ﴿١٩﴾ وما يستوي الاعمى والبصير ﴿٢٠﴾
ولا الظلمات ولا النور ﴿٢١﴾ ولا الظل ولا الحرور ﴿٢٢﴾ وما
يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من يشاء وما انت
بمسمع من في القبور ﴿٢٣﴾ ان انت الا نذير ﴿٢٤﴾ انا ارسلناك
بالحق بشيرا ونذيرا وان من امة الا خلا فيها نذير ﴿٢٥﴾
وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم
رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ﴿٢٦﴾ ثم اخذت
الذين كفروا فكيف كان نكير ﴿٢٧﴾ الم تر ان الله انزل

وما يستوي الاعمى والبصير الكافر والمؤمن وقيل هما مثلان للصنم ولله عز وجل ولا الظلمات ولا النور ولا الباطل ولا الحق ولا الظل ولا الحرور ولا الثواب ولا العقاب ولا لتأكيد نفي الاستواء وتكريرها على الشقين لمزيد التاكيد والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم ما تهب نهارا والحرور ما تهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل آخر للمؤمنين والكافرين ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء والجهلاء ان الله يسمع من يشاء هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناطه منهم ان انت الا نذير فما عليك الا الانذار اما الاسماع فلا اليك ولا حيلة لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق محقين او محقا او ارسالا مصحوبا بالحق ويجوز ان يكون صلة لقوله بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذر عنه والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة قرينة البشارة سيما وقد قرن به من قبل او لان الانذار هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات الشاهدة على نبوتهم وبالزبر وبصحف ابراهيم وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها او اصنافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها من الصفرة والخضرة ونحوهما

مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ
جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ
النَّاسِ وَالدَّوَآبِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذٰلِكَ
إِنَّمَا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمٰٓؤُا إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾
إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللّٰهِ وَأَقَامُوا الصَّلٰوةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ
أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾ وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
إِنَّ اللّٰهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ
اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ
وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللّٰهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾

ومن الجبال جدد اى ذو جدد اى خطط وطرائق فيقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقرئ جدد بالضم جمع جديدة بمعنى الجدة وجدد بفتحتين وهو الطريق
الواضح بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن الجبال ذو جدد مختلفة اللون ومنها غرابيب
متحدة اللون وهو تاكيد مضمر يفسره فان الغربيب تاكيد للاسود ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظير ذلك فى الصفة قول النابغة والمؤمن العائذات الطير
يمسحها ركبان مكة بين الغيل والسند وفى مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرير باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدوآب والانعام مختلف الوانه كذلك
كاختلاف الثمار والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء اذ شرط الخشية معرفة المخشى والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به كان اخشى منه ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم انى اخشاكم لله واتقاكم له ولهذا اتبعه ذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الله ونصب العلماء
على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب
عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون قراءته او متابعة ما فيه
حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله القران او جنس كتب الله فيكون
ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين واقاموا الصلوة وانفقوا
مما رزقناهم سرا وعلانية كيف اتفق من غير قصد اليهما وقيل السر فى المسنونة
والعلانية فى المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان
لن تبور لن تكسد ولن تهلك بالخسران صفة للتجارة وقوله ليوفيهم اجورهم
علة لمدلوله اى ينتفى عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها اجور اعمالهم
او لمدلول ما عد من افعالهم نحو فعلوا ذلك ليوفيهم او عاقبة ليرجون ويزيدهم
من فضله على ما يقابل اعمالهم انه غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم
اى مجازيهم عليها وهو علة للتوفية والزيادة او خبر ان ويرجون حال من واو
وانفقوا والذى اوحينا اليك من الكتاب يعنى القران ومن للتبيين او
الجنس ومن للتبعيض وهو الحق مصدقا لما بين يديه احقه مصدقا لما تقدمه
من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيقته تستلزم موافقته اياه فى العقائد
واصول الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير عالم بالبواطن والظواهر فلو
كان فى احوالك ما ينافى النبوة لم يوح اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذى هو
عيار على سائر الكتب وتقديم الخبر للدلالة على ان العمدة فى ذلك الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه منك او نورثه فعبر عنه بالماضى لتحققه
او اورثناه من الامم السالفة والعطف على ان الذين يتلون والذى اوحينا اليك
اعتراض لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا يعنى علماء الامة
من الصحابة ومن بعدهم او الامة باسرهم فان الله اصطفاهم على سائر الامم
فمنهم ظالم لنفسه بالتقصير فى العمل به ومنهم مقتصد يعمل به
فى اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات باذن الله بضم التعليم والارشاد
الى العمل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذى خلط الصالح بالسيئ والسابق الذى ترجحت حسناته بحيث صارت
سيئاته مكفرة وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب واما الذين اقتصدوا فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا
واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون فى طول المحشر ثم يتلقاهم الله برحمته وقيل الظالم الكافر على ان الضمير للعباد وتقديمه لكثرة الظالمين ولان الظلم بمعنى
الجهل والركون الى الهوى مقتضى الجبلة والاقتصاد والسبق عارضان ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى التوريث والاصطفاء او السبق

جنات عدن يدخلونها مبتدأ وخبر والضمير للثلاثة او للذين او للمقتصد والسابق فان المراد بهما الجنس وقرئ جنة عدن وجنات منصوبة بفعل يفسره الظاهر وقرأ ابو عمرو يدخلونها على بناء المفعول يحلون فيها خبر ثان او حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المرأة فهي حالية من اساور من ذهب من الاولى للتبعيض والثانية للتبيين ولؤلؤا عطف على ذهب اى من ذهب مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ونصبه نافع وعاصم عطفا على محل من اساور ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن همهم من خوف العاقبة او همهم من اجل المعاش وآفاتها او من وسوسة ابليس وغيرها وقرئ الحزن ان ربنا لغفور للمذنبين شكور للمطيعين الذى احلنا دار المقامة دار الاقامة من فضله من انعامه وتفضله اذ لا واجب عليه لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها لغوب كلال اذ لا تكليف فيها ولا كد اتبع نفى النصب نفى ما يتبعه مبالغة والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا فيستريحوا ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها بل كلما خبت زيد استعارها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزى كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران وقرأ ابو عمرو يجزى على بناء المفعول واسناده الى كل وقرئ يجازى وهم يصطرخون فيها يستغيثون يفتعلون من الصراخ وهو الصياح استعمل في الاستغاثة لجهر المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف به والاشعار بان استخراجهم لتلافيه وانهم كانوا يحسبون انه صالح والآن تحقق لهم خلافه اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير جواب من الله وتوبيخ لهم وما يتذكر فيه يتناول كل عمر تمكن المكلف فيه من التفكر والتذكر وقيل ما بين العشرين الى الستين وعنه عليه الصلوة والسلام العمر الذى اعذر الله فيه الى ابن ادم ستون سنة والعطف على معنى اولم نعمركم فانه للتقرير كانه قيل عمرناكم وجاءكم النذير وهو النبي او الكتاب وقيل العقل او الشيب او موت الاقارب فذوقوا فما للظالمين من نصير يدفع العذاب عنهم ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذى جعلكم خلائف في الارض يلقى اليكم مقاليد التصرف فيها وقيل خلفا بعد خلف جمع خليفة والخلفاء جمع خليف

جَنّٰاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٩﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ

فمن كفر فعليه كفره جزاء كفره ولايزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الامقتا ولايزيد الكافرين كفرهم الاخسارا بيان لهوا لتكرير للدلالة على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين مستقل باقتضاء قبحه ووجوب التجنب عنه والمراد بالمقت وهو اشد البغض مقت الله وبالخسار خسار الاخرة قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعنى آلهتهم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم شركاء لله اولانفسهم فيما يملكونه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل من ارايتم بدل الاشتمال لانه بمعنى اخبرونى كانه قال اخبرونى عن هؤلاء الشركاء ارونى اى جزء من الارض استبدوا بخلقه ام لهم شرك فى السموات ام لهم شركة مع الله فى خلق السموات فاستحقوا بذلك شركة فى الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق على انا اتخذنا شركاء فهم على بينة منه على حجة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون هم للمشركين لقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابوبكر على بينات فيكون ايماء الى ان الشرك خطير لابد فيه من تعاضد الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج فى ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم عليه وهو تغرير الاسلاف الاخلاف او الرؤساء الاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا كراهة ان تزولا فان الممكن حال بقائه لابد له من حافظ او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما ما امسكهما من احد من بعده من بعد الله او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى زائدة والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا حيث امسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم وذلك ان قريشا لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى لو اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم اى من واحدة من الامم اليهود والنصارى وغيرهم او من الامة التى يقال فيها هى احدى الامم تفضيلا لها على غيرها فى الهدى والاستقامة فلما جاءهم نذير يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم مازادهم اى النذير او مجيئه على التسبب الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا فى الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيئ اصله وان مكروا المكر السيئ فحذف الموصوف استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرأ حمزة وحده بسكون الهمزة فى الوصل ولايحيق ولايحيط المكر السيئ الا باهله وهو الماكر وقد حاق بهم يوم بدر وقرئ ولايحيق المكر اى لايحيق الله فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين سنة الله فيهم بتعذيب مكذبيهم

فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا ﴿٤٠﴾ قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ام آتيناهم كتابا فهم على بينت منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ﴿٤١﴾ ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا ﴿٤٢﴾ واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ﴿٤٣﴾ استكبارا في الارض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله فهل ينظرون الا سنت الاولين فلن تجد

فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اذ لايبدلها بجعله غير التعذيب ولايحولها بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وقوله اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد عليهم بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من آثار الماضين وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض انه كان عليما بالاشياء كلها قديرا عليها ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصي ماترك على ظهرها ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها بشؤم معاصيهم وقيل المراد بالدابة الانس وحده لقوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وهو يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على اعمالهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئته سورة يس وعنه عليه الصلوة والسلام يس تدعى المعمة تعم صاحبها خير الدارين والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة

لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

سورة يس مكية وهي ثلاث وثمانون آية

٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ

وهي مكية وايها ثلاث وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم

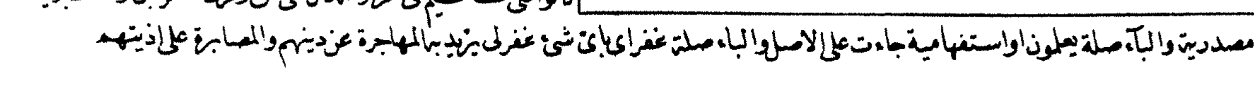
يس كالم في المعنى والاعراب وقيل معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به كما قيل من الله في ايمن الله وقرئ بالكسر كجير وبالفتح على البناء كاين او الاعراب على اتل يس او باضمار حرف القسم والفتحة لمنع الصرف وبالضم بناء كحيث او اعرابا على هذه يس واما الياء حمزة والكسائي وابوبكر وحفص وروح وادغم النون في واو والقران الحكيم ابن عامر والكسائي وابوبكر وقالون وورش ويعقوب وهي واو القسم او العطف ان جعل يس مقسما به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم لمن الذين ارسلوا على صراط مستقيم وهو التوحيد والاستقامة في الامور ويجوز ان يكون على صراط خبرا ثانيا او حالا من المستكن في الجار والمجرور وفائدته وصف الشرع بالاستقامة صريحا وان دل عليه لمن المرسلين التزاما تنزيل العزيز الرحيم خبر محذوف والمصدر بمعنى المفعول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص بالنصب باضمار اعني او فعله على انه على اصله وقرئ بالجر على البدل من القران لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين

ما أنذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم يعني آباءهم الاقربين لتطاول مدة الفترة فيكون صفة مبينة لشدة حاجتهم الى ارساله او الذي انذر به او شيئا انذر به آباؤهم الابعدون فيكون مفعولا ثانيا لتنذر او انذارا باثهم على المصدر فهم غافلون متعلق بالنفي على الاول اي لم ينذروا فبقوا غافلين وبقوله انك لمن المرسلين على الوجوه الاخرى ارسلناك اليهم لتنذرهم فانهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم يعني قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين فهم لا يؤمنون لانهم ممن علم انهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغني عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فالاغلال واصلة الى اذقانهم فلا تخليهم يطأطئون رؤسهم فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم في انهم لا يلتفتون لفت الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون وبمن احاط بهم سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم في انهم محبوسون في مطمورة الجهالة ممنوعون عن النظر في الايات والدلائل وقرأ حمزة والكسائي وحفص سدا بالفتح وهو لغة فيه وقيل ما كان منه بفعل الناس فبالفتح وما كان بخلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الاية نزلت في بني مخزوم حلف ابو جهل ان يرضخ راس النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعماه الله وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سبق في البقرة انما تنذر انذارا يترتب عليه البغية المرومة من اتبع الذكر اي القران بالتامل فيه والعمل به وخشي الرحمن بالغيب وخاف عقابه قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن منتقم قهار فبشره بمغفرة واجر كريم انا نحن نحيي الموتى الاموات بالبعث او الجهال بالهداية ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة والطالحة وآثارهم الحسنة كعلم علموه وحبيس وقفوه والسيئة كاشاعة باطل وتأسيس ظلم وكل شيء احصيناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ واضرب لهم ومثل لهم من قولهم هذه الاشياء على ضرب واحد اي مثال واحد وهو يتعدى الى مفعولين لتضمنه معنى الجعل وهما مثلا اصحاب القرية على حذف مضاف اي اجعل لهم مثل اصحاب القرية مثلا ويجوز ان يقتصر على واحد ويجعل المقدر بدلا من الملفوظ او بيانا له والقرية انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل من اصحاب القرية والمرسلون رسل عيسى الى اهلها واسناده الى نفسه في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين لانه فعل رسوله وخليفته وهما يوحنا وبولس وغيرهما فكذبوهما فعززنا فقوينا وقرأ ابو بكر مخففا من عزه اذا غلبه وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان المقصود ذكر المعزز به بثالث هو شمعون فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا الى المدينة رأيا حبيبا النجار يرعى غنما فسألهما فاخبراه فقال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك وقال لهما النا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك قال حتى انظر في امركما فحبسهما ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر اصحاب الملك حتى استأنسوا به ووصلوه الى الملك فانس به فقال له يوما سمعت انك حبست رجلين قال فهل سمعت ما يقولانه قال لا فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا حتى يكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر الهنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسنا يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذان فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن في جمع ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا

آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٠﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٣﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ

قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا تقتضي اختصاصكم بما تدعون ورفع بشر لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا وما انزل الرحمن من شئ وحي ورسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى رسالته قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون استشهدوا بعلم الله وهو يجري مجرى القسم وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم وما علينا الا البلاغ المبين الظاهر البين بالايات الشاهدة لصحته وهو المحسن للاستشهاد فانه لا يحسن الا ببينة قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك لاستغرابهم ما ادعوه واستقباحهم له وتنفرهم عنه لئن لم تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم سبب شؤمكم معكم وهو سوء عقيدتكم واعمالكم وقرئ طيركم معكم ائن ذكرتم وعظتم وجواب الشرط محذوف مثل تطيرتم او توعدتم بالرجم والتعذيب وقد قرئ بالف بين الهمزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان بغير استفهام واين ذكرتم بالتخفيف بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون قوم عادتكم الاسراف في العصيان فمن ثم جاءكم الشؤم او في الضلال ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب ان يكرم ويتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى وهو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة وقيل كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا على النصح وتبليغ الرسالة وهم مهتدون الى خير الدارين وما لي لا اعبد الذي فطرني على قراءة غير حمزة فانه يسكن الياء في الوصل تلطف في الارشاد بابرازه في معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراد لهم ما اراد لها والمراد تقريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال واليه ترجعون مبالغة في التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا لا تنفعني شفاعتهم ولا ينقذون بالنصرة والمظاهرة اني اذا لفي ضلال مبين فان ايثار ما لا ينفع ولا يدفع ضرا بوجه ما على الخالق المقتدر على النفع والضر واشراكه به ضلال بين لا يخفى على عاقل اني آمنت بربكم الذي خلقكم فاسمعون فاسمعوا ايماني وقيل الخطاب للرسل فانه لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحوهم قبل ان يقتلوه قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه بشرى بانه من اهل الجنة او اكراما واذنا في دخولها كسائر الشهداء او لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة على ما قاله الحسن وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول دون المقول له فانه معلوم والكلام استئناف في حيز الجواب عن السؤال عن حاله عند لقاء ربه بعد تصلبه في نصر دينه وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين فانه جواب عن السؤال عن قوله عند ذلك القول له وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم على اكتساب مثلها بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والطاعة على دأب الاولياء في كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم في امره وانه كان على حق وقرئ المكرمين وما خبرية او

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا



مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية جاءت على الاصل والباء صلة غفر اي باي شئ غفر لي يريد به المهاجرة عن دينهم والمصابرة على اذيتهم



عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾
إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً
عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾
أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾
وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ
ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ
ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا
يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ
ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ
نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى

وما انزلنا على قومه من بعده من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لاهلاكهم
وايماء بتعظيم الرسول عليه السلام وماكنا منزلين وما صح في حكمتنا ان ننزل جندا لاهلاك قوم اذ قدرنا لكل شيء سببا وجعلنا ذلك سببا لانتصارك من قومك
وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى ومما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة ان كانت ماكانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة
صاح بها جبرئيل وقرئ بالرفع على كان التامة فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحي كالنار الساطعة والميت كرماده كما قال لبيد وما المرء الا
كالشهاب وضوءه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالى فهذه من الاحوال التي من حقها ان تحضري فيها وهي ما دل عليها ما يأتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزءون فان المستهزئين بالناصحين المخلصين المنوط بنصحهم خير الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم وقد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين
ويجوز ان يكون تحسرا من الله عليهم على سبيل الاستعارة لتعظيم ما جنوه
على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا ونصبها لطولها بالجار المتعلق بها وقيل
باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة الى الفاعل
او المفعول ويا حسره على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا الم
يعلموا وهو معلق عن قوله كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها
ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم
وقرئ بالكسر على الاستئناف وان كل لما جميع لدينا محضرون يوم
القيمة للجزاء وان مخففة من الثقلية واللام هي الفارقة وما مزيدة للتاكيد
وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد بمعنى الا فتكون ان نافية وجميع فعيل
بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون واية لهم الارض الميتة وقرأ
نافع بالتشديد احييناها خبر للارض والجملة خبر لاية او صفة لها اذ لم
يرد بها معينة وهي الخبر او المبتدأ والاية خبرها او استئناف لبيان كونها
اية واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون قدم الصلة للدلالة
على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب
من انواع النخيل والعنب ولذلك جمعهما دون الحب فان الدال على الجنس مشعر
بالاختلاف ولا كذلك الدال على الانواع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب
والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع واثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ
بالتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى من العيون اى شيئا
من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة
عند الاخفش ليأكلوا من ثمره ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير لله على
طريقة الالتفات والاضافة اليه لان الثمر بخلقه وقرأ حمزة والكسائي بضمتين
وهو لغة فيه او جمع ثمار وقرئ بضمة وسكون وما عملته ايديهم
عطف على الثمر والمراد ما يتخذ منه كالعصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية
والمراد ان الثمر بخلق الله لا بفعلهم ويؤيد الاول قراءة الكوفيين غير حفص بلا هاء فان حذفه من الصلة احسن من غيرها افلا يشكرون امر بالشكر من حيث
انه انكار لتركه سبحان الذي خلق الازواج كلها الانواع والاصناف مما تنبت الارض من النبات والشجر ومن انفسهم ومن الذكر والانثى ومما لا يعلمون
وازواجا مما لم يطلعهم الله عليه ولم يجعل لهم طريقا الى معرفته واية لهم الليل نسلخ منه النهار نزيله ونكشفه عن مكانه مستعار من سلخ الجلد والكلام في اعرابه
ماسبق فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام

والشمس تجرى لمستقر لها لحد معين ينتهى اليه دورها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لكبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة قال والشمس حيرى لها بالجو تدويم او لاستقرار لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب فان لها فى دورها ثلثمأة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ لا مستقر لها اى لا سكون فانها متحركة دائما ولا مستقرا على ان لا بمعنى ليس ذلك الجرى على هذا التقدير المتضمن للحكم التى تكل الفطن عن احصائها تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه قدرنا مسيره منازل او سيره فى منازل وهى ثمان وعشرون الشرطان البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوآء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشاء وهو بطن الحوت

﴿الْمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٩﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٤٠﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤١﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤٢﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٤﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾

ينزل كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه فاذا كان فى آخر منازله وهو الذى يكون فيه قبيل الاجتماع دق واستقوس وقرأ الكوفيون وابن عامر والقمر بنصب الرآء حتى عاد كالعرجون كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون القديم العتيق وقيل ما مر عليه حول فصاعدا لا الشمس ينبغى لها يصح لها ويتسهل ان تدرك القمر فى سرعة سيره فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او فى آثاره ومنافعه او مكانه بالنزول الى محله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفى الشمس للدلالة على انها مسخرة لا يتيسر لها الا ما اريد بها ولا الليل سابق النهار يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وتبديل الادراك بالسبق لانه الملائم لسرعة سيره وكل وكلهم والتنوين عوض المضاف اليه والضمير للشموس والاقمار فان اختلاف الاحوال يوجب تعددا ما فى الذات او للكواكب فان ذكرهما مشعر بها فى فلك يسبحون يسيرون فيه بانبساط وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونسآءهم الذين يستصحبونهم فان الذرية تقع عليهن لانهن مزارعهم وتخصيصهم لان استقرارهم فى السفن اشق وتماسكهم فيها اعجب وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم فى الفلك المشحون المملوء وقيل المراد فلك نوح عليه السلام وحمل الله ذرياتهم فيها انه حمل فيها آباءهم الاقدمين وفى اصلابهم ذرياتهم وتخصيص الذرية لانه ابلغ فى الامتنان وادخل فى التعجب مع الايجاز وخلقنا لهم من مثله من مثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر او من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم فلا مغيث لهم يحرسهم عن الغرق او فلا استغاثة كقولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت به الا رحمة منا ومتاعا الا لرحمة وتمتيع بالحيوة الى حين زمان قدر لآجالهم بالغرق واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم الوقائع التى خلت والعذاب المعد فى الآخرة او نوازل السماء ونوائب الارض كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السمآء والارض او عذاب الدنيا وعذاب الآخرة او عكسه او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين كأنه قال واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا لانهم اعتادوه وتمرنوا عليه واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله على محاويجكم قال الذين كفروا بالصانع يعنى معطلة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم من اقرارهم به وتعليقهم الامور بمشيئته انطعم من لو يشاء الله اطعمه على زعمكم وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقرآء المؤمنين ايهاما بان الله لما كان قادرا ان يطعمهم ولم يطعمهم فنحن احق بذلك وهذا من فرط جهالتهم فان الله يطعم باسباب منها حث الاغنياء على اطعام الفقرآء وتوفيقهم له ان انتم الا فى ضلال مبين حيث امرتمونا بما يخالف مشيئة الله ويجوز ان يكون جوابا من الله لهم او حكاية لجواب المؤمنين لهم

ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعنون وعد البعث ماينظرون ماينتظرون الاصيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم وهم يخصمون يتخاصمون في تاجرهم ومعاملاتهم لايخطر ببالهم امرها كقوله فاخذتهم الساعة بغتة وهم لايشعرون واصله يختصمون فسكنت التاء وادغمت ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وروى ابوبكر بكسر الياء للاتباع وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء على القاء حركة التاء اليه وابو عمرو وقالون به مع اختلاس وعن نافع الفتح فيه والاسكان وكانه جوّز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني مدغما وقرأ حمزة يخصمون من خصمه اذا جادله فلايستطيعون توصية في شيء من امورهم ولا الى اهلهم يرجعون فيروا حالهم بل يموتون حيث تبغتهم الصيحة ونفخ في الصور اى مرة ثانية وقد سبق في سورة المؤمنين فاذاهم من الاجداث من القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم ينسلون يسرعون وقرئ بالضم قالوا ياويلنا وقرئ ياويلتا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه ومن هبنا بمعنى اهبنا وفيه ترشيح ورمز واشعار بانهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما ومن بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وما مصدرية او موصولة محذوفة الراجع او هذا صفة لمرقدنا وما وعد خبر محذوف او مبتدأ خبره محذوف اى ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وهو من كلامهم وقيل جواب للملائكة او للمؤمنين عن سؤالهم معدول عن سننه تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها بان الذى يهمهم هو السؤال عن البعث دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذى وعدكم البعث فارسل اليكم الرسل فصدقوكم وليس الامر كما تظنون فانه ليس ببعث النائم فيهمكم السؤال عن الباعث وانما هو البعث الاكبر ذو الاهوال ان كانت ماكانت الفعلة الاصيحة واحدة هي النفخة الاخيرة وقرئت بالرفع على كان التامة فاذاهم جميع لدينا محضرون بمجرد تلك الصيحة وفي كل ذلك تهوين امر البعث والحشر واستغناؤهما عن الاسباب التى ينوطان بها فيما يشاهدونه فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون الاما كنتم تعملون حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس وكذا قوله ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون متلذذون في النعمة من الفكاهة وفي تنكير شغل وابهامه تعظيم لماهم فيه من البهجة والتلذذ وتنبيه على انه اعلى مايحيط به الافهام ويعرب عن كنهه الكلام وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو في شغل بالسكون ويعقوب في رواية فكهون للمبالغة وهما خبران لان ويجوز ان يكون في شغل صلة لفاكهون وقرئ فكهون بالضم وهو لغة كنطس ونطس وفكهين وفاكهين على الحال من المستكن في الظرف وشغل بفتحتين وفتحة وسكون والكل لغات هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كشعاب او ظلة كقباب ويؤيده قراءة حمزة والكسائى في ظلل على الارائك على السرور المزينة متكؤن وهم مبتدأ خبره في ظلال وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان او متكؤن والجاران صلتان له او تأكيد للضمير في شغل او فاكهون وعلى الارائك متكؤن خبر آخر لان وازواجهم عطف على هم للمشاركة في الاحكام الثلثة

إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٥٠﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا
إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥١﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَٰذَا
مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٣﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ أَصْحَابَ
الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٦﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ
عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا
يَدَّعُونَ ﴿٥٨﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴿٥٩﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ
أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٦٠﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا

وفي ظلال حال من المعطوف والمعطوف عليه لهم فيها فاكهة ولهم مايدعون مايدعون به لانفسهم يفتعلون من الدعاء كاشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه او مايتداعونه كقولك ارتموه بمعنى تراموه او يتمنون من قولهم ادع على ماشئت بمعنى تمنه على او مايدعونه في الدنيا من الجنة ودرجاتها وما موصولة او موصوفة مرتفعة بالابتداء ولهم خبرها وقوله سلام بدل منها او صفة اخرى ويجوز ان يكون خبرها او خبر محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اى ولهم سلام وقرئ بالنصب على المصدر او الحال اى لهم مرادهم خالصا قولا من رب رحيم اى يقوله الله او يقال لهم قولا كائنا من جهته والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة او بغير واسطة تعظيما لهم وذلك مطلوبهم ومتمناهم ويحتمل نصبه على الاختصاص وامتازوا اليوم ايها المجرمون وانفردوا عن المؤمنين وذلك حين يسار بهم الى الجنة لقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقيل اعتزلوا من كل خير او تفرقوا في النار فان لكل كافر بيتا ينفرد به لايرى ولايرى

الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم تقريعا والزاما للحجة وعهده اليهم ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها والمزين لها وقرئ اعهد بكسر حرف المضارعة واحهد واحد على لغة تميم انه لكم عدو مبين تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا هذا صراط مستقيم اشارة الى ما عهد اليهم او الى عبادته فالجملة استئناف لبيان المقتضى للعهد بشقيه او بشقه الآخر والتنكير للمبالغة والتعظيم او للتبعيض فان التوحيد سلوك بعض الطريق المستقيم ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون رجوع الى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح اضلاله لمن له ادنى عقل ورأى والجبل الخلق وقرأ يعقوب بضمتين وابن كثير وحمزة والكسائي بهما مع تخفيف اللام وابن عامر وابو عمرو بضمة وسكون مع التخفيف والكل لغات وقرئ جبلا تخفيف جمع جبلة كخلقة وخلق وجيلا واحد الاجيال هذه جهنم التي كنتم

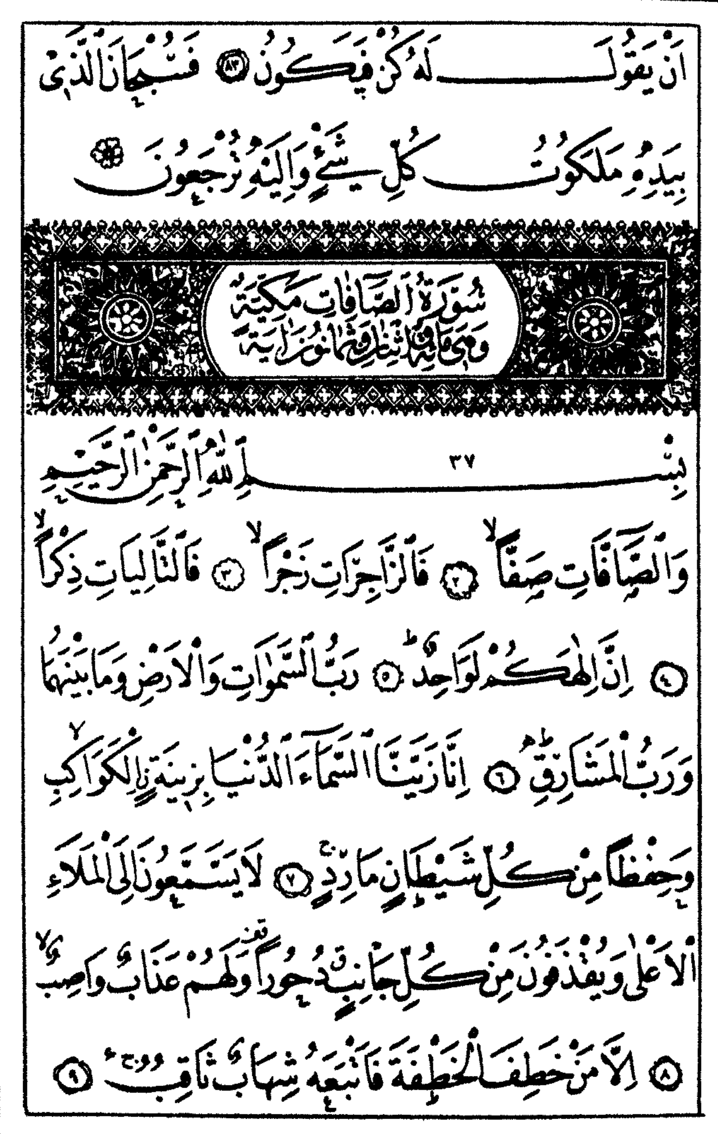
الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا

توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا اليوم نختم على افواههم نمنعها من الكلام وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون بظهور آثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها او بانطاق الله تعالى اياها وفي الحديث انهم يجحدون ويخاصمون فيختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم ولو نشاء لطمسنا على اعينهم لمسحنا اعينهم حتى تصير ممسوحة فاستبقوا الصراط فاستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه وانتصابه بنزع الخافض او بتضمين الاستباق معنى الابتدار وجعل المسبوق اليه مسبوقا على الاتساع او بالظرف فاني يبصرون الطريق وجهة السلوك فضلا عن غيره ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم مكانهم بحيث يجمدون فيه وقرأ ابو بكر مكاناتهم فما استطاعوا مضيا ذهابا ولا يرجعون ولا رجوعا فوضع الفعل موضعه للفواصل وقيل ولا يرجعون عن تكذيبهم وقرئ مضيا باتباع الميم الضاد المكسورة لقلب الواو ياء كالعتي والعتي ومضيا كصبي والمعنى انهم بكفرهم ونقضهم ما عهد اليهم احقاء بان يفعل بهم ذلك لكنا لم نفعل لشمول الرحمة لهم واقتضاء الحكمة امهالهم ومن نعمره ومن نطل عمره ننكسه في الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء امره وقرأ عاصم وحمزة ننكسه من التنكيس وهو ابلغ والنكس اشهر افلا يعقلون ان من قدر على ذلك قدر على الطمس والمسخ فانه مشتمل عليهما وزيادة غير انه على تدرج وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد لقولهم ان محمدا شاعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القرآن فانه لا يماثله لفظا ولا معنى لانه غير مقفى ولا موزون وليس معناه ما يتوخاه الشعراء من التخيلات المرغبة والمنفرة ونحوها وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له ان اراد قرضه على ما اختبرتم طبعه نحوا من اربعين سنة وقوله عليه الصلاة والسلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله صلى الله عليه وسلم هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت اتفاقي من غير تكلف وقصد منه الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في تضاعيف المنثورات على ان الخليل ما عد المشطور من الرجز شعرا هذا وقد روي انه حرك الباءين وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية وقيل الضمير للقرآن اي وما يصح للقرآن ان يكون شعرا ان هو الا ذكر عظة وارشاد من الله وقرآن مبين وكتاب سماوي يتلى في المعابد ظاهر انه ليس كلام البشر لما فيه من الاعجاز لينذر القرآن او الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤيده قراءة نافع وابن عامر ويعقوب بالتاء من كان حيا عاقلا فهما فان الغافل كالميت ومؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول ويجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر وجعلهم في مقابلة من كان حيا اشعارا بانهم لكفرهم وسقوط حجتهم وعدم تأملهم اموات في الحقيقة اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة تفيد مبالغة في الاختصاص والتفرد بالاحداث

أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧٢﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٥﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ ﴿٧٦﴾ فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٨﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٩﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٨٠﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨١﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٢﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا

انعاما خصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع فهم لها مالكون متملكون بتمليكنا اياهم او متمكنون من ضبطها والتصرف فيها بتسخيرنا اياها لهم
قال اصبحت لا احمل السلاح ولا املك رأس البعير ان نفرا وذللناها لهم وصيرناها منقادة لهم فمنها ركوبهم مركوبهم وقرئ ركوبتهم وهي بمعناه كالحلوب
والحلوبة وقيل جمعه وركوبهم اى ذو ركوبهم او فمن منافعها ركوبهم ومنها يأكلون اى ما يأكلون لحمه ولهم فيها منافع من الجلود والاصواف والاوبار
ومشارب من اللبن جمع مشرب بمعنى الموضع او المصدر افلا يشكرون نعم الله فى ذلك اذ لولا خلقه لها وتذليله اياها لما امكن التوسل الى تحصيل هذه المنافع
المهمة واتخذوا من دون الله آلهة اشركوها به فى العبادة بعد ما رأوا منه تلك القدرة الباهرة والنعم الظاهرة وعلموا انه المتفرد بها لعلهم ينصرون رجاء ان
ينصروهم فيما حزبهم من الامور والامر بالعكس لانهم لا يستطيعون نصرهم وهم لهم لآلهتهم جند محضرون معدون لحفظهم والذب عنهم او محضرون
اثرهم فى النار فلا يحزنك فلا يهمك وقرئ بضم الياء من احزن قولهم
فى الله بالالحاد والشرك او فيك بالتكذيب والتهجين انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون فنجازيهم عليه وكفى ذلك ان تتسلى به وهو تعليل النهى على الاستئناف
ولذلك لو قرئ انا بالفتح على حذف لام التعليل جاز اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم مبين تسلية ثانية بتهوين ما يقولونه بالنسبة
الى انكارهم الحشر وفيه تقبيح بليغ لانكاره حيث عجب منه وجعله افراطا
فى الخصومة بينا ومنافاة لجحود القدرة على ما هو اهون مما عمله فى
بدء خلقه ومقابلة للنعمة التى لا مزيد عليها وهى خلقه من اخس شئ
وامهنه شريفا مكرما بالعقوق والتكذيب روى ان ابى بن خلف اتى النبى
صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتته بيده وقال اترى الله يحيى هذا بعد ما رم
فقال عليه الصلاة والسلام نعم ويبعثك ويدخلك النار فنزلت وقيل معنى
فاذا هو خصيم مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا مميز منطيق قادر على
الخصام معرب عما فى نفسه وضرب لنا مثلا امرا عجيبا وهو نفى
القدرة على احياء الموتى وتشبيهه بخلقه بوصفه بالعجز عما عجزوا عنه
ونسى خلقه خلقنا اياه قال من يحيى العظام وهى رميم منكرا اياه
مستبعدا له والرميم ما بلى من العظام ولعله فعيل بمعنى فاعل من رم الشئ صار
اسما بالغلبة ولذلك لم يؤنث او بمعنى مفعول من رممته وفيه دليل على ان العظم ذو
حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء قل يحييها الذى انشأها اول مرة فان
قدرته كما كانت لامتناع التغير فيه والمادة على حالها فى القابلية اللازمة لذاتها
وهو بكل خلق عليم يعلم تفاصيل المخلوقات بعلمه وكيفية خلقها فيعلم اجزاء الاشخاص
المتفتتة المتبددة اصولها وفصولها ومواقعها وطريق تمييزها وضم بعضها
الى بعض على النمط السابق واعادة الاعراض والقوى التى كانت فيها او احداث مثلها
الذى جعل لكم من الشجر الاخضر كالمرخ والعفار نارا بان يسحق المرخ على العفار
وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار فاذا انتم منه توقدون لا تشكون
فى انها نار خرجت منه فمن قدر على احداث النار من الشجر الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة فيما كان غضا فيبس وبلى وقرئ من الشجر
الخضراء على المعنى كقوله فمالئون منها البطون اوليس الذى خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر والحقارة بالاضافة
اليهما او مثلهم فى اصول الذات وصفاتها وهو المعاد وعن يعقوب يقدر بلى جواب من الله لتقرير ما بعد النفى مشعر بانه لا جواب سواه وهو الخلاق العليم كثير المخلوقات
والمعلومات انما امره انما شأنه اذا اراد شيئا ان يقول له كن اى تكون فيكون فهو يكون اى يحدث وهو تمثيل لتأثير قدرته فى مراده بامر المطاع للمطيع فى
حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار الى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق ونصبه ابن عامر
والكسائى عطفا على يقول فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ تنزيه له عما ضربوا له وتعجيب مما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للملك كله قادرا على كل شئ

واليه ترجعون وعد ووعيد للمقرين والمنكرين وقرأ يعقوب بفتح التاء وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت لا اعلم ما روى في فضل يس كيف خصت به فاذا انه لهذه الاية وعنه عليه
الصلاة والسلام ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت
يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم
قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة يشربها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض
من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان سورة الصافات مكية وآيها مائة واحدى او ثنتان وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا فالزاجرات زجرا
فالتاليات ذكرا اقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبار ما يفيض عليهم الانوار الالهية منتظرين لامر الله الزاجرين الاجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور به



أن يقول له كن فيكون ﴿٨٢﴾ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴿٨٣﴾

سورة الصافات مكية وهي مائة واثنتان وثمانون آية ٣٧

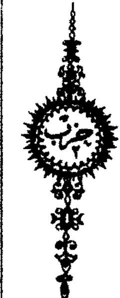
بسم الله الرحمن الرحيم

والصافات صفا ﴿١﴾ فالزاجرات زجرا ﴿٢﴾ فالتاليات ذكرا ﴿٣﴾ إن إلهكم لواحد ﴿٤﴾ رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق ﴿٥﴾ إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴿٦﴾ وحفظا من كل شيطان مارد ﴿٧﴾ لا يسمعون إلى الملإ الأعلى ويقذفون من كل جانب ﴿٨﴾ دحورا ولهم عذاب واصب ﴿٩﴾ إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب ﴿١٠﴾

فيها او الناس عن المعاصي بالهام الخير او الشياطين عن التعرض لهم التالين آيات الله
وجلايا قدسه على انبيائه واوليائه او بطوائف الاجرام المرتبة كالصفوف المرصوصة
والارواح المدبرة لها والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل
والنهار لا يفترون او بنفوس العلماء الصافين في العبادات الزاجرين عن الكفر والفسوق
بالحجج والنصائح التالين آيات الله وشرائعه او بنفوس الغزاة الصافين في الجهاد الزاجرين
الخيل او العدو والتالين ذكر الله لا يشغلهم عنه مبارزة العدو والعطف لاختلاف
الذوات او الصفات والفاء لترتب الوجود كقوله يالهف زيابة للحارث
الصابح فالغانم فالآيب فان الصف كمال والزجر تكميل بالمنع عن الشر او الاساقة
الى قبول الخير والتلاوة افاضته او الرتبة كقوله عليه الصلاة والسلام رحم الله
المحلقين فالمقصرين غير انه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا بالعكس وادغم ابو عمرو
وحمزة التاآت فيما يليها لتقاربها فانها من طرف اللسان واصول الثنايا ان الهكم
لواحد جواب للقسم والفائدة فيه تعظيم المقسم به وتاكيد المقسم عليه على ما هو
المألوف في كلامهم واما تحقيقه فبقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما
ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على الوجه الاكمل مع امكان غيره
دليل على وجود الصانع الحكيم ووحدته على ما مر غير مرة ورب بدل من واحد او
خبر ثان او خبر محذوف وما بينهما يتناول افعال العباد فيدل على انها من خلقه
والمشارق مشارق الكواكب او مشارق الشمس في السنة وهي ثلثمائة وستون
تشرق كل يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع
ان الشروق ادل على القدرة وابلغ في النعمة وما قيل انها مائة وثمانون انما
يصح لو لم تختلف اوقات الانتقال انا زينا السماء الدنيا القربى منكم
بزينة الكواكب بزينة هي الكواكب والاضافة للبيان ويعضده قراءة حمزة
ويعقوب وحفص بتنوين زينة وجر الكواكب على ابدالها منه او بزينة هي لها
كاضوائها واوضاعها او بان زينا الكواكب فيها على اضافة المصدر الى
المفعول فانها كما جاءت اسما كالليقة جاءت مصدرا كالنسبة ويؤيده قراءة
ابي بكر بالتنوين والنصب على الاصل او بان زينها الكواكب على اضافته الى الفاعل وركوز الثوابت في الكرة الثامنة وما عدا القمر من السيارات في الست المتوسطة بينها وبين
السماء الدنيا ان تحقق لم يقدح في ذلك فان اهل الارض يرونها باسرها كجواهر مشرقة متلالئة على سطحها الازرق باشكال مختلفة وحفظا منصوب باضمار فعله او العطف
على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من كل شيطان مارد خارج من الطاعة برمي الشهب لا يسمعون الى الملأ الاعلى كلام مبتدأ لبيان
حالهم بعد ما حفظ السماء منهم ولا يجوز جعله صفة لكل شيطان فانه يقتضي ان يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا علة للحفظ على حذف اللام كما في جئتك ان تكرمني ثم
حذف ان واهدارها كقوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى فان اجتماع ذلك منكر والضمير لكل باعتبار المعنى وتعدية السماع بالى لتضمنه معنى الاصغاء مبالغة
لنفيه وتهويلا لما يمنعهم عنه ويدل عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمع وهو طلب السماع والملأ الاعلى الملائكة او اشرافهم

ويقذفون ويرمون من كل جانب من جوانب السماء اذا قصدوا صعوده دحورا علة اى للدحور وهو الطرد او مصدر لانه والقذف متقاربان او حال بمعنى مدحورين او منزوع عنه الباء جمع دحر وهو مايطرد به ويقويه القرآءة بالفتح وهو يحتمل ايضا ان يكون مصدرا كالقبول او صفة له اى قذفا دحورا ولهم عذاب اى عذاب آخر واصب دائم او شديد وهو عذاب الاخرة الامن خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة ولذلك عرف الخطفة وقرئ خطف بالتشديد مفتوح الخاء ومكسورها واصلهما اختطف فاتبعه شهاب اتبع بمعنى تبع والشهاب مايرى كان كوكبا انقض وماقيل من انه بخار يصعد الى الاثير فيشتعل فتخمين ان صح لم يناف ذلك اذ ليس فيه مايدل على انه ينقض من الفلك ولا فى قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فان كل نير يحصل فى الجو العالى فهو مصباح لاهل الارض وزينة للسماء من حيث انه يرى كانه على سطحها ولا يبعد ان يصير الحادث كما ذكر فى بعض الاوقات رجما للشياطين تتصعد الى قرب الفلك للتسمع وماروى ان ذلك حدث بميلاد النبى عليه الصلاة والسلام ان صح فلعل المراد كثرة وقوعه او مصيره دحورا واختلف فى ان المرجوم يتأذى به فيرجع او يحترق به لكن قد يصيب الصاعد مرة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يقال ان الشيطان من النار فلا يحترق لانه ليس من النار الصرف كما ان الانسان ليس من التراب الخالص مع ان النار القوية اذا استولت على الضعيفة استهلكتها ثاقب مضيء كانه يثقب الجو بضوئه فاستفتهم فاستخبرهم والضمير لمشركى مكة او لبنى ادم اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعنى ماذكر من الملائكة والسماء والارض ومابينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقرآءة من قرأ ام من عددنا وقوله تعالى انا خلقناهم من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم كعاد وثمود ولان المراد اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وتقريره ان استحالة ذلك اما لعدم قابلية المادة ومادتهم الاصلية هى الطين اللازب الحاصل من ضم الجزء المائى الى الجزء الارضى وهما باقيان قابلان للانضمام بعد وقد علموا ان الانسان الاول انما تولد منه اما لاعترافهم بحدوث العالم او بقصة آدم وشاهدوا تولد كثير من الحيوانات منه بلا توسط مواقعة فلزمهم ان يجوزوا اعادتهم كذلك واما لعدم قدرة الفاعل فان من قدر على خلق هذه الاشياء قدر على خلق مالا يعتد به بالاضافة اليها سيما ومن ذلك بدأهم اولا وقدرته ذاتية لا تتغير بل عجبت من قدرة الله وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث وقرأ حمزة والكسائى بضم التاء اى بلغ كمال قدرتى وكثرة خلائقى انى تعجبت منها وهؤلاء لجهلهم يسخرون منها او عجبت من ان ينكر البعث ممن هذه افعاله وهم يسخرون ممن يجوزه والعجب من الله اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام اللازم له فانه روعة تعترى الانسان عند استعظامه الشيء وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت واذا ذكروا لا يذكرون واذا وعظوا بشيء لا يتعظون به واذا ذكر لهم مايدل على صحة الحشر لا ينتفعون به لبلادتهم وقلة فكرهم واذا راوا آية معجزة تدل على صدق القائل به يستسخرون يبالغون فى السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها

فاستفتهم اهم اشد خلقا ام من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب ﴿١١﴾ بل عجبت ويسخرون ﴿١٢﴾ واذا ذكروا لا يذكرون ﴿١٣﴾ واذا راوا آية يستسخرون ﴿١٤﴾ وقالوا ان هذا الا سحر مبين ﴿١٥﴾ ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون ﴿١٦﴾ اوآباؤنا الاولون ﴿١٧﴾ قل نعم وانتم داخرون ﴿١٨﴾ فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون ﴿١٩﴾ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴿٢٠﴾ هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون ﴿٢١﴾ احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون ﴿٢٢﴾ من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم ﴿٢٣﴾ وقفوهم انهم مسئولون ﴿٢٤﴾ ما لكم لا تناصرون ﴿٢٥﴾ بل هم اليوم مستسلمون ﴿٢٦﴾ واقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴿٢٧﴾ قالوا انكم



وقالوا ان هذا يعنون مايرونه الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اصله انبعث اذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الهمزة مبالغة فى الانكار واشعارا بان البعث مستنكر فى نفسه وفى هذه الحالة اشد استنكارا فهو ابلغ من قرآءة ابن عامر بطرح الهمزة الاولى وقرآءة نافع والكسائى ويعقوب بطرح الثانية اواباؤنا الاولون عطف على محل ان واسمها او على الضمير فى مبعوثون فانه مفصول منه بهمزة الاستفهام لزيادة الاستبعاد لبعد زمانهم وسكن نافع وابن عامر الواو على معنى الترديد قل نعم وانتم داخرون صاغرون وانما اكتفى به فى الجواب لسبق مايدل على جوازه وقيام المعجز على صدق المخبر عن وقوعه وقرئ قال اى الله او الرسول وقرأ الكسائى نعم بالكسر وهو لغة فيه فانما هى زجرة واحدة جواب شرط مقدر اى اذا كان ذلك فانما البعثة زجرة اى صيحة واحدة هى النفخة الثانية من زجر الراعى نعمه اذا صاح عليها وامرها فى الاعادة كامر كن فى الابدآء ولذلك رتب عليها

فاذا هم ينظرون فاذا هم قيام من مراقدهم احياء يبصرون او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين اليوم الذى نجازى باعمالنا وقد تم به كلامهم وقوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون جواب الملائكة وقيل هو ايضا من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين المحسن والمسيئ احشروا الذين ظلموا امر الله للملائكة او امر بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل منه الى الجحيم وازواجهم واشباههم عابد الصنم مع عبدة الصنم وعابد الكواكب مع عبدتة كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة او نساءهم اللاتى على دينهم او قرناءهم من الشياطين وما كانوا يعبدون من دون الله من الاصنام وغيرها زيادة فى تحسيرهم وتخجيلهم وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية وفيه دليل على ان الذين ظلموا هم المشركون فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم طريقها ليسلكوها وقفوهم احبسوهم فى الموقف انهم مسؤلون عن عقائدهم واعمالهم والواو لا توجب الترتيب مع جواز ان يكون موقفه ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص وهو توبيخ وتقريع بل هم اليوم مستسلمون منقادون لعجزهم وانسداد الحيل عليهم واصل الاستسلام طلب السلامة او متسالمون كأنه

كنتم تأتوننا عن اليمين ﴿٢٩﴾ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴿٣٠﴾ وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين ﴿٣١﴾ فحق علينا قول ربنا انا لذائقون ﴿٣٢﴾ فاغويناكم انا كنا غاوين ﴿٣٣﴾ فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون ﴿٣٤﴾ انا كذلك نفعل بالمجرمين ﴿٣٥﴾ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ﴿٣٦﴾ ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون ﴿٣٧﴾ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴿٣٨﴾ انكم لذائقوا العذاب الاليم ﴿٣٩﴾ وما تجزون الا ما كنتم تعملون ﴿٤٠﴾ الا عباد الله المخلصين ﴿٤١﴾ اولئك لهم رزق معلوم ﴿٤٢﴾ فواكه وهم مكرمون ﴿٤٣﴾ فى جنات النعيم ﴿٤٤﴾ على سرر متقابلين ﴿٤٥﴾ يطاف عليهم بكأس من معين ﴿٤٦﴾ بيضاء

يسلم بعضهم بعضا ويخذله واقبل بعضهم على بعض يعنى الرؤساء والاتباع او الكفرة والقرناء يتساءلون يسأل بعضهم بعضا التوبيخ ولذلك فسر بيتخاصمون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او الخير كانكم تنفعوننا نفع السانح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اقوى الجانبين واشرفهما وانفعهما ولذلك سمى يمينا وتيمن بالسانح او عن القوة والقهر فتقسروننا على الضلال او عن الحلف فانهم كانوا يحلفون لهم انهم على الحق قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين اجابهم الرؤساء اولا بمنع اضلالهم بانهم كانوا ضالين فى انفسهم وثانيا بانهم ما اجبروهم على الكفر اذ لم يكن لهم عليهم تسلط وانما جنحوا اليه لانهم كانوا قوما مختارين الطغيان فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين ثم بينوا ان ضلال الفريقين ووقوعهم فى العذاب كان امرا مقضيا لا محيص لهم عنه وان غاية ما فعلوا بهم انهم دعوهم الى الغى لانهم كانوا على الغى فاحبوا ان يكونوا مثلهم وفيه ايماء بان غوايتهم فى الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية لاغواء غاو فمن اغواهم فانهم فان الاتباع والمتبوعين يومئذ فى العذاب مشتركون كما كانوا مشتركين فى الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بالمشركين لقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اى عن كلمة التوحيد او على من يدعوهم اليها ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا عليه الصلاة والسلام بل جاء بالحق وصدق المرسلين رد عليهم بان ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان وتطابق عليه المرسلون انكم لذائقوا العذاب الاليم بالاشراك وتكذيب الرسل وقرئ بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وهو ضعيف فى غير المحلى باللام وعلى الاصل وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا مثل ما عملتم الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع الا ان يكون الضمير فى تجزون لجميع المكلفين فيكون استثناؤهم منه باعتبار المماثلة فان ثوابهم مضاعف والمنقطع ايضا بهذا الاعتبار اولئك لهم رزق معلوم خصائصه من الدوام وتمحض اللذة ولذلك فسره بقوله فواكه فان الفاكهة ما يقصد للتلذذ دون التغذى والقوت بالعكس واهل الجنة لما اعيدوا على خلقة محكمة محفوظة عن التحلل كانت ارزاقهم فواكه خالصة وهم مكرمون فى نيله يصل اليهم من غير تعب وسؤال كما عليه رزق الدنيا فى جنات النعيم فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو ظرف او حال من المستكن فى مكرمون او خبر ثان لاولئك وكذلك على سرر يحتمل الحال او الخبر فيكون متقابلين حالا من المستكن فيه او فى مكرمون وان يتعلق بمتقابلين فيكون حالا من ضمير مكرمون يطاف عليهم بكأس باناء فيه خمر او خمر كقوله وكأس شربت على لذة من معين من شراب معين او نهر معين اى ظاهر للعيون او خارج من العيون وهو صفة الماء من عان الماء اذا نبع وصف به خمر الجنة لانها تجرى كالماء او للاشعار بان ما يكون لهم بمنزلة الشراب جامع لما يطلب من انواع الاشربة لكمال اللذة وكذلك قوله تعالى

بيضاء لذة للشاربين وهما ايضا صفتان لكأس ووصفها بلذة اما للمبالغة اولانها تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب ووزنه فعل قال ولذ كطعم الصرخدى تركته بارض العدى من خشية الحدثان لافيها غول غائلة كما فى خمر الدنيا كالخمار من غاله يغوله اذا افسده ومنه الغول ولاهم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب عقله افرده بالنفى وعطف على مايعمه لانه من اعظم فساده كانه جنس برأسه وقرأ حمزة والكسائى بكسر الزاى وتابعهما عاصم فى الواقعة من انزف الشارب اذا نفد عقله اوشرابه واصله للنفاد يقال نزف المطعون اذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وعندهم قاصرات الطرف قصرن ابصارهن على ازواجهن عين نجل العيون جمع عيناء كانهن بيض مكنون شبهن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه فى الصفاء والبياض المخلوط بادنى صفرة فانه احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف عليهم اى يشربون فيتحادثون على الشراب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام والتعبير عنه بالماضى للتأكيد فيه فانه الذ تلك اللذات الى العقل وتساؤلهم عن المعارف والفضائل وماجرى لهم وعليهم فى الدنيا قال قائل منهم فى مكالمتهم انى كان لى قرين جليس فى الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين يوبخنى على التصديق بالبعث وقرئ بتشديد الصاد من التصدق ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون من الدين بمعنى الجزاء قال اى ذلك القائل هل انتم مطلعون الى اهل النار لاريكم ذلك القرين وقيل القائل هو الله او بعض الملائكة يقول لهم هل تحبون ان تطلعوا على اهل النار فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم فاطلع عليهم وعن ابى عمرو مطلعون فاطلع بالتخفيف وكسر النون وضم الالف على انه جعل اطلاعهم سببا لاطلاعه من حيث ان ادب المجالسة يمنع الاستبداد به اوخاطب به الملائكة فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله هم الآمرون الخير والفاعلونه اوشبه اسم الفاعل بالمضارع فرآه اى قرينه فى سواء الجحيم وسطه قال تالله ان كدت لتردين لتهلكنى بالاغواء وقرئ لتغوين وان هى المخففة واللام هى الفارقة ولولا نعمة ربى بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين معك فيها افما نحن بميتين عطف على محذوف اى انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التى كانت فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال ونصبها على المصدر من اسم الفاعل وقيل على الاستثناء المنقطع وما نحن بمعذبين كالكفار وذلك تمام كلامه لقرينه تقريعا له اومعاودة الى مكالمة جلسائه تحدثا بنعمة الله وتبجحا بها وتعجبا منها وتعريضا للقرين بالتوبيخ ان هذا لهو الفوز العظيم يحتمل ان يكون من كلامهم وان يكون كلام الله لتقرير قوله والاشارة الى ماهم عليه من النعمة والخلود والامن من العذاب لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية المشوبة بالآلام السريعة الانصرام وهو ايضا يحتمل الامرين اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم شجرة ثمرها نزل اهل النار وانتصاب نزلا على التمييز اوالحال وفى ذكره دلالة على ان ماذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة مايقام للنازل ولهم فيما وراء ذلك مايقصر عنه الافهام وكذلك الزقوم لاهل النار وهو اسم شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم فى الآخرة اوابتلاء فى الدنيا فانهم لما سمعوا انها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من قدر على خلق مايعيش فى النار ويلتذ بها فهو اقدر على خلق الشجر فى النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج فى اصل الجحيم منبتها فى قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته اياه فى الشكل اوالطلوع من الشجر كانه رؤس الشياطين فى تناهى القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق فى الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف ولعلها سميت بها لذلك

لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٧﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٨﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٥٠﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥١﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٢﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٣﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٤﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٥﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٧﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦٢﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٣﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٤﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٥﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٦﴾

فانهم لاكلون منها من الشجرة اومن طلعها فالئون منها البطون لغلبة الجوع اوالجبر على اكلها ثم ان لهم عليها اى بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم ويجوز ان يكون ثم لما فى شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق اوصديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهواسم ما يشاب به والاول مصدر سمى به ثم ان مرجعهم مصيرهم لالى الجحيم الى دركاتها اوالى نفسها فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون اليه كما يورد الابل الى الماء ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا اباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد بتقليد الآباء فى الضلال والاهراع الاسراع الشديد كانهم يزعجون على الاسراع على اثرهم وفيه اشعار بانهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحث ولقد ضل قبلهم

فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا ﴿٨٥﴾

قبل قومك اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم منذرين انبياء انذروهم من العواقب فانظر كيف كان عاقبة المنذرين من الشدة والفظاعة الا عباد الله المخلصين الا الذين تنبهوا بانذارهم فاخلصوا دينهم لله وقرئ بالفتح اى الذين اخلصهم الله لدينه والخطاب مع الرسول عليه السلام والمقصود خطاب قومه فانهم ايضا سمعوا اخبارهم وراوا آثارهم ولقد نادينا نوح شروع فى تفصيل القصص بعد اجمالها اى ولقد دعانا حين أيس من قومه فلنعم المجيبون اى فاجبناه احسن الاجابة والتقدير فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف منها ما حذف لقيام ما يدل عليه ونجيناه واهله من الكرب العظيم من الغرق او اذى قومه وجعلنا ذريته هم الباقين اذ هلك من عداهم وبقوا متناسلين الى يوم القيامة اذ روى انه مات كل من كان معه فى السفينة غير بنيه وازواجهم وتركنا عليه فى الاخرين من الامم سلام على نوح هذا الكلام جئ به على الحكاية والمعنى يسلمون عليه تسليما وقيل هو سلام من الله عليه ومفعول تركنا محذوف مثل الثناء فى العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه الدعاء بثبوت هذه التحية من الملائكة والثقلين جميعا انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لما فعل بنوح من التكرمة بانه مجازاة له على احسانه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصالة امره ثم اغرقنا الآخرين يعنى كفار قومه وان من شيعته لابراهيم ممن شايعه فى الايمان واصول الشريعة ولا يبعد اتفاق شرعهما فى الفروع اوغالبا وكان بينهما الفان وستمائة واربعون سنة وكان بينهما نبيان هود وصالح صلوات الله عليهم اذ جاء ربه متعلق بما فى الشيعة من معنى المشايعة او بمحذوف هو اذكر بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق خالص لله او مخلص له وقيل حزين من السليم بمعنى اللديغ ومعنى المجيء به ربه

اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او سليم

تَعْبُدُونَ ﴿٨٦﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٧﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٩﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٩٠﴾
فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩١﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩٢﴾
مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٣﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٤﴾ فَأَقْبَلُوا
إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٥﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٦﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٨﴾
فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٩﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ
إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ فَبَشَّرْنَاهُ
بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ
أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾

ائفكا آلهة دون الله تريدون اى اتريدون آلهة دون الله افكا فقدم المفعول للعناية ثم المفعول له لان الاهم ان يقرر انهم على الباطل ومبنى امرهم على الافك ويجوز ان يكون افكا مفعولا به وآلهة بدلا منه على انها افك فى نفسها للمبالغة اوالمراد بها عبادتها فحذف المضاف او حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته او اشركتم به غيره او امنتم من عذابه والمعنى انكار ما يوجب ظنا فضلا عن قطع يصد عن عبادته او يجوّز الاشراك به او يقتضى الأمن من عقابه على طريقة الالزام وهو كالحجة على ما قبله فنظر نظرة فى النجوم فرأى مواقعها واتصالاتها او فى علمها او كتابها ولا منع منه مع ان قصده ايهامهم وذلك حين سألوه ان يعبد معهم فقال انى سقيم اراهم انه استدل بها لانهم كانوا منجمين على انه مشارف للسقم لئلا يخرجوه الى معبدهم فانه كان اغلب اسقامهم الطاعون وكانوا يخافون العدوى واراد انى سقيم القلب لكفركم او خارج المزاج عن الاعتدال خروجا قل من يخلو منه او بصدد الموت ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربى بالسلامة جاهدا ليصحنى فاذا السلامة داء فتولوا عنه مدبرين هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم فذهب اليها فى خفية من روغة الثعلب واصله الميل بحيلة فقال اى للاصنام استهزاء الا تاكلون يعنى الطعام الذى كان عندهم مالكم لا تنطقون بجوابى فراغ عليهم فمال عليهم مستخفيا والتعدية بعلى للاستعلاء وان الميل بكروه ضربا باليمين مصدر لراغ عليهم لانه فى معنى ضربهم او لمضمر تقديره فراغ عليهم يضربهم ضربا وتقييده باليمين للدلالة على قوته فان قوة الالة تستدعى قوة الفعل وقيل باليمين بسبب الحلف وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه الى ابراهيم بعد ما رجعوا فرأوا اصنامهم مكسورة وبحثوا عن كاسرها فظنوا انه هو كما شرحه فى قوله من فعل هذا بآلهتنا الآية يزفون يسرعون من زفيف النعام وقرأ حمزة على بناء المفعول من ازف اى يحملون على الزفيف ويزفون اى يزف بعضهم بعضا ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال اتعبدون ما تنحتون ما تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون اى وما تعملونه فان جوهرها بخلقه وشكلها وان كان بفعلهم ولذلك جعل من اعمالهم فباقداره اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعى والعدد او عملكم بمعنى معمولكم ليطابق ما تنحتون او انه بمعنى الحدث فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى فيهم كان معمولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك وبهذا المعنى تمسك اصحابنا على خلق الاعمال ولهم ان يرجحوا الاولين لما فيهما من حذف او مجاز قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم فى النار الشديدة من الجحمة وهى شدة التأجج واللام بدل الاضافة اى جحيم ذلك البنيان فارادوا به كيدا فانه لما قهرهم بالحجة قصد واتعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه حيث جعل النار عليه بردا وسلاما وقال انى ذاهب الى ربى الى حيث امرنى ربى وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته سيهدين الى ما فيه صلاح دينى او الى مقصدى وانما بت القول لسبق وعده او لفرط توكله او البناء على عادته معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربى ان يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع رب هب لى من الصالحين بعض الصالحين يعيننى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم بشره بالولد وبانه ذكر يبلغ اوان الحلم فان الصبى لا يوصف بالحلم او يكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله نبيا بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالتهما المذكورة بعد تشهد عليه فلما بلغ معه السعى اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعى لا به لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كأنه قال فلما بلغ السعى فقيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل فى الرفق والاستصلاح له فلا يستسعيه قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة

قال يا بنى

قال يا بنى انى ارى فى المنام انى اذبحك يحتمل انه رأى ذلك وانه راى ما هو تعبيره وقيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى انه من الله ومن الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب به اسمعيل لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين فاحدهما جده اسمعيل والاخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما سهل اقرع فخرج السهم على عبد الله ففداه بمائة من الابل ولذلك ثبتت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى ايام ابن الزبير ولم يكن اسحق ثمه ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل اى النسب اشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم والزوائد من الراوى وما روى

وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

ان يعقوب كتب الى يوسف مثل ذلك لم يثبت فانظر ماذا ترى من الرأى وانما شاوره فيه وهو حتم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه فيهون عليه ويكتسب المثوبة بالانقياد له قبل نزوله وقرأ حمزة والكسائى ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء خالصة والباقون بفتحها وابو عمرو يميل فتحة الراء وورش بين بين قال يا ابت وقرأ ابن عامر بفتح التاء افعل ما تؤمر اى ما تؤمر به فحذف دفعة او على الترتيب كما عرفت او امرك على ارادة المأمور به والاضافة الى المأمور ولعله فهم من كلامه انه رأى انه يذبحه مأمورا به او علم ان رؤيا الانبياء حق وان مثل ذلك لا يقدمون عليه الا بامر ولعل الامر به فى المنام دون اليقظة ليكون مبادرتهما الى الامتثال ادل على كمال الانقياد والاخلاص وانما ذكر بلفظ المضارع لتكرر الرؤيا ستجدنى ان شاء الله من الصابرين على الذبح او على قضاء الله فلما اسلما استسلما لامر الله او سلم الذبيح نفسه وابراهيم ابنه وقد قرئ بهما واصلهما سلم هذا لفلان اذا خلص له فانه سلم من ان ينازع فيه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض وهو احد جانبى الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته لئلا يرى فيه تغيرا يرق له فلا يذبحه وكان ذلك عند الصخرة بمنى او فى الموضع المشرف على مسجده او المنحر الذى ينحر فيه اليوم وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم والاتيان بالمقدمات وقد روى انه أمر السكين بقوته على حلقه مرارا فلم يقطع وجواب لما محذوف تقديره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما لله على ما انعم عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق غيرهما لمثله واظهار فضلهما به على العالمين مع احراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزى المحسنين تعليل لافراج تلك الشدة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل وقوعه فانه عليه الصلاة والسلام كان مأمورا بالذبح لقوله افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين الابتلاء البين الذى يتميز فيه المخلص من غيره او المحنة البينة الصعوبة فانه لا اصعب منها وفديناه بذبح بما يذبح بدله فيتم به الفعل عظيم عظيم الجثة سمين او عظيم القدر

لانه يفدى به الله نبيا ابن نبى واى نبى من نسله سيد المرسلين قيل كان كبشا من الجنة وقيل وعلا اهبط عليه من ثبير وروى انه هرب منه عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فصارت سنة والفادى على الحقيقة ابراهيم وانما قال وفديناه لانه المعطى له والامر به على التجوز فى الفداء او الاسناد واستدل به الحنفية على ان من نذر ذبح ولده لزمه ذبح شاة وليس فيه ما يدل عليه وتركنا عليه فى الاخرين سلام على ابراهيم سبق بيانه فى قصة نوح كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لعله طرح منه انا اكتفاء بذكره مرة فى هذه القصة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين مقضيا نبوته مقدرا كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين ولا حاجة الى وجود المبشر به وقت البشارة فان وجود ذى الحال غير مشروط بل الشرط مقارنة تعلق الفعل به للاعتبار المعنى بالحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحق اى بان يوجد اسحق نبيا من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فان الداخلين مقدرون خلودهم

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾
أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ
آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ
عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ
مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ
وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا
الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ
الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ
الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾

وقت الدخول واسحق لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حيثما يوجد ومن فسر الغلام باسحق جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه
وايماء بانه الغاية لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه على ابراهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم
كايوب وشعيب او افضنا عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او على نفسه بالايمان والطاعة وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين
ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهدى والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة وعيب ولقد مننا على موسى وهرون انعمنا عليهما بالنبوة
وغيرها من المنافع الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من تغلب فرعون او الغرق ونصرناهم الضمير لهما مع القوم فكانوا هم الغالبين على فرعون
وقومه واتيناهما الكتاب المستبين البليغ في بيانه وهو التوراة وهديناهما الصراط المستقيم الطريق الموصل الى الحق والصواب وتركنا عليهما في الآخرين
سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين
سبق مثل ذلك وان الياس لمن المرسلين هو الياس ابن ياسين سبط
هرون اخ موسى بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ ادريس وادراس مكانه وفي
حرف ابي وان ايليس وقرأ ابن ذكوان مع خلاف عنه بحذف همزة الياس اذ قال
لقومه الا تتقون عذاب الله اتدعون بعلا اتعبدونه او تطلبون الخير منه
وهو اسم صنم كان لاهل بك بالشام وهو البلد الذي يقال له الآن بعلبك
وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى اتدعون بعض البعول وتذرون احسن
الخالقين وتتركون عبادته وقد اشار فيه الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة
ثم صرح به بقوله الله ربكم ورب ابائكم الاولين وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب
وحفص بالنصب على البدل فكذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب وانما اطلقه
اكتفاء بالقرينة او لان الاحضار المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله
المخلصين مستثنى من الواو لا من المحضرين لفساد المعنى وتركنا عليه في الآخرين
سلام على الياسين لغة في الياس كسينا وسينين وقيل جمع له مراد به هو واتباعه
كالمهلبين لكن ينافيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه باللام او للمنسوب اليه بحذف
ياء النسب كالاعجمين وهو قليل ملبس وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب على اضافة
آل الى ياسين لانهما في المصحف مفصولان فيكون ياسين ابا الياس وقيل محمد صلى
الله عليه وسلم او القرآن او غيره من كتب الله والكل لا يناسب نظم سائر القصص
ولا قوله انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين اذ الظاهر ان
الضمير لالياس وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا
في الغابرين ثم دمرنا الآخرين سبق بيانه وانكم يا اهل مكة لتمرون عليهم
على منازلهم في متاجركم الى الشام فان سدوم في طريقه مصبحين داخلين
في الصباح وبالليل اي ومساء او نهارا وليلا ولعلها وقعت قريب منزل
يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون افليس فيكم
عقل تعتبرون به وان يونس لمن المرسلين وقرئ بكسر النون اذ ابق
هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع اهله فكان
من المدحضين فصار من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه لما وعد قومه بالعذاب خرج من بينهم قبل ان يأمره الله فركب السفينة
فوقفت فقالوا ههنا عبد آبق فاقترعوا فخرجت القرعة عليه فقال انا الآبق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو مليم داخل
في الملامة او آت بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح مدة عمره
او في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين

للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم لشأنه وان من اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بان حملنا الحوت على لفظه بالعراء بالمكان الخالي عما يغطيه من شجر او نبت روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح حتى انتهوا الى البر فلفظه واختلف في مدة لبثه فقيل بعض يوم وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل عشرون وقيل اربعون وهو سقيم مما ناله قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه شجرة مظلة عليه من يقطين من شجر ينبسط على وجه الارض ولا يقوم على ساقه يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به والاكثر على انها كانت الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل التين وقيل الموز تغطى بورقه ويستظل باغصانه ويفطر على ثماره وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب عنهم وهم اهل نينوى والمراد به ماسبق من ارساله او ارسال ثان اليهم او الى غيرهم او يزيدون في مرأى الناظر اي اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او اكثر والمراد الوصف بالكثرة وقرئ بالواو فامنوا فصدقوه او فجددوا الايمان به بمحضره فمتعناهم الى حين الى اجلهم المسمى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط بما ختم به سائر القصص تفرقة بينهما وبين اصحاب الشرائع الكبرآء واولى العزم من الرسل او اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة امر رسوله اولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره جاريا لما يلائمه من القصص موصولا بعضها ببعض ثم امر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولانفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات اخر التجسيم وتجويز الفناء على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام الكائنة الفاسدة وتفضيل انفسهم عليه حيث جعلوا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم واستهانتهم بالملائكة حيث انثوهم ولذلك كرر الله تعالى انكار ذلك وابطاله في كتابه مرارا وجعله مما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانكار ههنا مقصور على الاخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما ولان فسادهما مما تدركه العامة بمقتضى طباعهم حيث جعل المعادل للاستفهام عن التقسيم ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون وانما خص علم المشاهدة لان امثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزآء والاشعار بانهم لفرط جهلهم يبتون به كانهم قد شاهدوا خلقهم الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه وانهم لكاذبون فيما يتدينون به وقرئ ولد الله اي الملائكة ولده فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات على البنين استفهام انكار واستبعاد والاصطفاء اخذ صفوة الشئ وعن نافع كسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام لدلالة ام بعدها عليها او على الاثبات باضمار القول اي لكاذبون في قولهم اصطفى او ابدال من ولد الله

لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٥﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٦﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٧﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٨﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٩﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٥٠﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٣﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٤﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٧﴾ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٨﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٩﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦١﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦٢﴾



ما لكم كيف تحكمون بما لا يرتضيه عقل افلا تذكرون انه منزه عن ذلك ام لكم سلطان مبين حجة واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم ان كنتم صادقين في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا يعني الملائكة ذكرهم باسم جنسهم وضعا منهم ان يبلغوا هذه المرتبة وقيل قالوا ان الله تعالى صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا الله والشيطان اخوان ولقد علمت الجنة انهم ان الكفرة او الانس او الجنة ان فسرت بغير الملائكة لمحضرون في العذاب سبحان الله عما يصفون من الولد والنسب الا عباد الله المخلصين استثناء من المحضرين منقطع او متصل ان فسر الضمير بما يعمهم وما بينهما اعتراض او من يصفون فانكم وما تعبدون عود الى خطابهم

ما انتم عليه على الله بفاتنين مفسدين الناس بالاغواء الامن هو صال الجحيم الامن سبق فى علمه انه من اهل النار يصلاها لا محالة وانتم ضمير لهم ولالهتهم غلب فيه المخاطب على الغائب ويجوز ان يكون وما تعبدون لما فيه من معنى المقارنة سادّا مسد الخبر اى انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها ما انتم على ما تعبدونه بفاتنين باعثين على طريق الفتنة الا ضالا مستوجبا للنار مثلكم وقرئ صال بالضم على انه جمع محمول على معنى من ساقط واوه لالتقاء الساكنين او تخفيف صائل على القلب كشاك فى شائك او المحذوف منه كالمنسى كما فى قولهم ما باليت به بالة فان اصلها بالية كعافية وما منا الا له مقام معلوم حكاية اعتراف الملائكة بالعبودية للرد على عبدتهم والمعنى وما منا احد الا له مقام معلوم فى المعرفة والعبادة والانتهاء الى امر الله فى تدبير العالم لا يتجاوزه فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ويحتمل ان يكون هذا وما قبله من قوله سبحان الله من كلامهم ليتصل بقوله ولقد علمت الجنة كانه قال ولقد علم الملائكة ان المشركين يعذبون بذلك وقالوا سبحان الله تنزيها له عنه ثم استثنوا المخلصين تبرئة لهم منه ثم خاطبوا الكفرة بان الافتتان بذلك للشقاوة المقدرة ثم اعترفوا بالعبودية وتفاوت مراتبهم فيها وانا لنحن الصافون فى اداء الطاعة ومنازل الخدمة وانا لنحن المسبحون المنزهون الله عما لا يليق به ولعل الاول اشارة الى درجاتهم فى الطاعة وهذا فى المعارف وما فى ان واللام وتوسيط الفصل من التأكيد والاختصاص لانهم المواظبون على ذلك دائما من غير فترة دون غيرهم وقيل هو من كلام النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما منا الا له مقام معلوم فى الجنة او بين يدى الله فى القيامة وانا لنحن الصافون له فى الصلاة والمنزهون له عن السوء وان كانوا ليقولون اى مشركوا قريش لو ان عندنا ذكرا من الاولين كتابا من الكتب التى نزلت عليهم لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة له ولم نخالف مثلهم فكفروا به اى لما جاءهم الذكر الذى هو اشرف الاذكار والمهيمن عليها فسوف يعلمون عاقبة كفرهم ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين اى وعدنا لهم بالنصر والغلبة وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وهو باعتبار الغالب والمقضى بالذات وانما سماه كلمة وهى كلمات لانتظامها فى معنى واحد فتول عنهم فاعرض عنهم حتى حين وهو الموعد لنصرك عليهم وهو يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على ما ينالهم حينئذ والمراد بالامر الدلالة على ان ذلك كائن قريب كأنه قدّامه فسوف يبصرون ما قضينا لك من التأييد والنصرة والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون روى انه لما نزل فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم فاذا نزل العذاب بفنائهم شبهه بجيش هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة وقيل الرسول وقرئ نزل على اسناده الى الجار والمجرور ونزل اى العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت فيهم الهجوم والغارة فى الصباح سموا الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تأكيد الى تأكيد واطلاق بعد تقييد للاشعار بانه يبصر وانهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من اصناف المسرة وانواع المساءة او الاول لعذاب الدنيا والثانى لعذاب الاخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون عما قاله المشركون فيه على ما حكى فى السورة واضافة الرب الى العزة لاختصاصها به اذ لا عزة الا له او لمن اعزه وقد ادرج فيه جملة صفاته السلبية والثبوتية مع الاشعار بالتوحيد وسلام على المرسلين تعميم للرسل بالتسليم بعد تخصيص بعضهم والحمد لله رب العالمين على ما افاض عليهم وعلى ما اتبعهم من النعم وحسن العاقبة ولذلك اخره عن التسليم والمراد تعليم المؤمنين كيف يحمدونه ويسلمون على رسله وعن على رضى الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك الى آخر السورة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والصافات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد كل جنى وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين

مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ۝ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۝ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۝ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ۝ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ۝ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ۝ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ۝ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۝ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ۝ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝

سورة ص مكية وهي ثمان وثمانون آية

٣٨

بسم الله الرحمن الرحيم

صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ

سورة ص مكية وهي ست او ثمان وثمانون اية بسم الله الرحمن الرحيم ص قرئ بالكسر لالتقاء الساكنين وقيل لانه امر من المصاداة بمعنى المعارضة ومنه الصدى فانه يعارض الصوت الاول اى عارض القرآن بعملك وبالفتح لذلك اولحذف حرف القسم وايصال فعله اليه او اضماره والفتح فى موضع الجر فانها غير مصروفة لانها علم السورة وبالجر والتنوين على تأويل الكتاب والقرآن ذى الذكر الواو للقسم ان جعل ص اسما للحرف او مذكورا للتحدى او للرمز بكلام مثل صدق محمد او للسورة خبر المحذوف او لفظ الامر وللعطف ان جعل مقسما به والجواب محذوف دل عليه ما فى ص من الدلالة على التحدى او الامر بالمعادلة اى انه لمعجز اولواجب العمل به او ان محمدا لصادق او قوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق اى ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه بل الذين كفروا به فى عزة اى استكبار عن الحق وشقاق خلاف لله ولرسوله ولذلك كفروا به وعلى الاولين الاضراب ايضا من الجواب المقدر ولكن من حيث اشعاره بذلك والمراد بالذكر العظة او الشرف او الشهرة او ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من العقائد والشرائع والمواعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وقرئ فى غرة اى فى غفلة عما يجب عليهم النظر فيه كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم به استكبارا وشقاقا فنادوا استغاثة او توبة واستغفارا ولات حين مناص اى ليس الحين حين مناص ولا هى المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بلزوم الاحيان وحذف احد المعمولين وقيل هى النافية للجنس اى ولا حين مناص لهم وقيل للفعل والنصب باضماره اى ولا ارى حين مناص وقرئ بالرفع على انه اسم لا او مبتدأ محذوف الخبر اى ليس حين مناص حاصلا لهم او لا حين مناص كائن لهم وبالكسر كقوله طلبوا صلحنا ولات اوان فاجبنا ان لات حين بقاء اما لان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر فى نحو قوله لولاك هذا العام لم احجج اولان اوان شبه باذ لانه مقطوع عن الاضافة اذ اصله اوان صلح ثم حمل عليه مناص تنزيلا لما اضيف اليه الظرف منزلته لما بينهما من الاتحاد اذ اصله حين مناصهم ثم بنى الحين لاضافته الى غير متمكن ولات بالكسر كجير وتقف الكوفية عليها بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال وقيل ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به فى الامام ولا يرد عليه ان خط المصحف خارج عن القياس اذ مثله لم يعهد فيه والاصل اعتباره الا فيما خصه الدليل ولقوله العاطفون تحين لا من عاطف والمطعمون زمان ما من مطعم والمناص المنجى من ناصه ينوصه اذا فاته وعجبوا ان جاءهم منذر منهم بشر مثلهم او امى من عدادهم وقال الكافرون وضع فيه الظاهر موضع الضمير غضبا عليهم وذما لهم واشعارا بان كفرهم جسرهم على هذا القول هذا ساحر فيما يظهره معجزة كذاب فيما يقول على الله تعالى اجعل الالهة الها واحدا بان جعل الالوهية التى كانت لهم لواحد ان هذا الشئ عجاب بليغ فى العجب فانه خلاف ما اطبق عليه اباؤنا وما نشاهده من ان الواحد لا يفى علمه وقدرته بالاشياء الكثيرة وقرئ مشددا وهو ابلغ ككرام وكرام وروى انه لما اسلم عمر رضى الله عنه شق ذلك على قريش فاتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا جئناك لتقضى بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل عليهم فقال صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال ارايتم ان اعطيتكم ما سألتم امعطى انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا ذلك وانطلق الملأ منهم وانطلق اشراف قريش من مجلس ابى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امشوا قائلين بعضهم لبعض امشوا واصبروا واثبتوا على الهتكم على عبادتها فلا ينفعكم مكالمته وان هى المفسرة لان الانطلاق من مجلس التقاول يشعر بالقول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية اى اجتمعوا وقرئ بغير ان وقرئ يمشون ان اصبروا ان هذا لشئ يراد ان هذا الامر لشئ من ريب الزمان يراد بنا فلا مرد له او ان هذا الذى يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم لشئ يتمنى او يريده كل احد او ان دينكم لشئ يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه ما سمعنا بهذا بالذى يقوله

فى الملة الآخرة في الملة التي ادركنا عليها اباءنا او في ملة عيسى عليه السلام التي هي آخر الملل فان النصارى يثلثون ويجوز ان يكون حالا من هذا اى ما سمعنا من اهل الكتاب ولا الكهان بالتوحيد كائنا في الملة المترقبة ان هذا الا اختلاق كذب اختلقه ءانزل عليه الذكر من بيننا انكار لاختصاصه بالوحي وهو مثلهم او ادون منهم في الشرف والرياسة كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وامثال ذلك دليل على ان مبدأ تكذيبهم لم يكن الا الحسد وقصور النظر على الحطام الدنيوى بل هم في شك من ذكرى من القرآن او الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن الدليل وليس في عقيدتهم ما يبتون به من قولهم هذا ساحر كذاب ان هذا الا اختلاق بل لما يذوقوا عذاب بل لم يذوقوا عذابي بعد فاذا ذاقوه زال شكهم والمعنى انهم لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب فيلجئهم الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزائن رحمته وفي تصرفهم حتى يصيبوا بها من شاؤا او يصرفوها عمن شاؤا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية من الله يتفضل بها على من يشاء من عباده ءلا مانع له فانه العزيز اى الغالب الذى لا يغلب الوهاب الذى له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء ثم رشح ذلك فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما

رحمة ربك العزيز الوهاب ﴿١٠﴾ ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب ﴿١١﴾ جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب ﴿١٢﴾ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ﴿١٣﴾ وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب ﴿١٤﴾ ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب ﴿١٥﴾ وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق ﴿١٦﴾ وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب ﴿١٧﴾ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب ﴿١٨﴾ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق ﴿١٩﴾ والطير محشورة كل له اواب ﴿٢٠﴾ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴿٢١﴾ وهل اتيك نبؤا الخصم اذ تسوروا المحراب

كانه لما انكر عليهم التصرف في نبوته بان ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها اردف ذلك بانه ليس لهم مدخل في امر هذا العالم الجسماني الذى هو جزء يسير من خزائنه فمن اين لهم ان يتصرفوا فيها فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اى ان كان لهم ذلك فليصعدوا في المعارج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم فينزلوا الوحي الى من يستصوبون وهو غاية التهكم بهم والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل المراد بالاسباب السموات لانها اسباب الحوادث السفلية جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب اى هم جند من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فمن اين لهم التدابير الالهية والتصرف في الامور الربانية او فلا تكترث بما يقولون وما مزيدة للتقليل كقولك اكلت شيأ ما وقيل للتعظيم على الهزء وهو لا يلائم ما بعده وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل هذا القول كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد ذو الملك الثابت بالاوتاد كقوله ولقد غنوا فيها بانعم عيشة في ظل ملك ثابت الاوتاد مأخوذ من ثبات البيت المطنب باوتاده او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد بعضا كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدى المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه حتى يموت وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة واصحاب الغيضة وهم قوم شعيب اولئك الاحزاب يعني المتحزبين على الرسل الذين جعل الجند المهزوم منهم ان كل الا كذب الرسل بيان لما اسند اليهم من التكذيب على الابهام مشتمل على انواع من التأكيد ليكون تسجيلا على استحقاقهم العذاب ولذلك رتب عليه فحق عقاب وهو اما مقابلة الجمع بالجمع او جعل تكذيب الواحد منهم تكذيب جميعهم وما ينظر هؤلاء وما ينتظر قومك او الاحزاب فانهم كالحضور لاستحضارهم بالذكر او حضورهم في علم الله تعالى الا صيحة واحدة وهي النفخة ما لها من فواق من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين او رجوع وترداد فان فيه يرجع اللبن الى الضرع وقرأ حمزة والكسائي بالضم وهما لغتان وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قسطنا من العذاب الذى توعدنا به او الجنة التي تعد للمؤمنين وهو من قطه

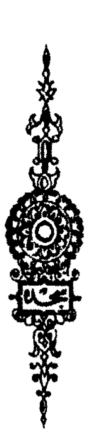
اذا قطعه ويقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اى عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها قبل يوم الحساب استعجلوا ذلك استهزاء اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود واذكر لهم قصته تعظيما للمعصية في اعينهم فانه مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم والمكرمات لما اتى صغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب فما الظن بالكفرة واهل الطغيان او تذكر قصته وصن نفسك ان تزل فيلقاك ما لقيه من المعاتبة على اهماله عنان نفسه ادنى اهمال ذا الايد ذا القوة يقال فلان أيد وذو أيد وآد وأياد بمعنى انه اواب رجاع الى مرضاة الله وهو تعليل للايد دليل على ان المراد به القوة في الدين وكان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه يسبحن قدم تفسيره ويسبحن حال وضع موضع مسبحات لاستحضار الحال الماضية والدلالة على تجدد التسبيح حالا بعد حال

بالعشي والاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اى تضيئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن ام هانئ انه عليه الصلاة والسلام صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية والطير محشورة اليه من كل جانب وانما لم يراع المطابقة بين الحالين لان الحشر جملة ادل على القدرة منه مدرجا وقرئ والطير محشورة بالابتداء والخبر كل له اواب كل واحد من الجبال والطير لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح والفرق بينه وبين ماقبله انه يدل على الموافقة فى التسبيح وهذا يدل على المداومة عليها او كل منهما ومن داود مرجع لله التسبيح وشددنا ملكه وقويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل ان رجلا ادعى بقرة على آخر وعجز عن البيان فاوحى اليه ان اقتل المدعى عليه فاعلمه فقال صدقت انى قتلت اباه غيلة واخذت البقرة فعظمت بذلك هيبته وآتيناه الحكمة النبوة او كمال العلم واتقان العمل وفصل الخطاب وفصل الخصام بتمييز الحق عن الباطل او الكلام المخلص الذى ينبه المخاطب على المقصود من غير التباس يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستئناف والاضمار والاظهار والحذف

إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

والتكرار ونحوها وانما سمى به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق مقدمة له من الحمد والصلاة وقيل هو الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل كما جاء فى وصف كلام الرسول عليه الصلاة والسلام فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماعه والخصم فى الاصل مصدر ولذلك اطلق للجمع اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سور الغرفة تفعل من السور كتسنم من السنام واذ متعلق بمحذوف اى نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان المراد به الواقع فى عهد داود وان اسناد اتى اليه على حذف مضاف اى قصة نبأ الخصم او بالخصم لما فيه من معنى الفعل لا باتى لان اتيانه الرسول عليه الصلاة والسلام لم يكن حينئذ واذ فى اذ دخلوا على داود بدل من الاولى او ظرف لتسوروا ففزع منهم لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من يدخل عليه فانه كان عليه الصلاة والسلام جزأ زمانه يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للوعظ ويوما للاشتغال بخاصته فتسور عليه ملائكة على صورة الانسان فى يوم الخلوة قالوا لا تخف خصمان نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما بغى بعضنا على بعض على الفرض وقصد التعريض ان كانوا ملائكة وهو المشهور فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط ولا تجر فى الحكومة وقرئ ولا تشطط اى لا تبعد عن الحق ولا تشطط ولا تشاطط والكل من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد واهدنا الى سواء الصراط الى وسطه وهو العدل ان هذا اخى بالدين او بالصحبة له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة هى الانثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتمثيل فيما يساق للتعريض ابلغ فى المقصود وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وقرأ حفص بفتح ياء ولى فقال اكفلنيها ملكنيها وحقيقته اجعلنى اكفلها كما اكفل ما تحت يدى وقيل اجعلها كفلى اى نصيبى وعزنى فى الخطاب وغلبنى فى مخاطبته اياى محاجة بان جاء بحجاج لم اقدر رده او فى مغالبته اياى فى الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى اى غالبنى وعزنى على تخفيف غريب قال لقد ظلمك بسؤال

نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف قصد به المبالغة فى انكار فعل خليطه وتهجين طمعه ولعله قال ذلك بعد اعترافه او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول آخر بالى لتضمينه معنى الاضافة وان كثيرا من الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم جمع خليط ليبغى ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم اى وهم قليل وما مزيدة للابهام والتعجب من قلتهم وظن داود انما فتناه ابتليناه بالذنب او امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه بها فاستغفر ربه لذنبه وخر راكعا ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبدأه او خر للسجود راكعا اى مصليا كانه احرم بركعتى الاستغفار واناب ورجع الى الله بالتوبة واقصى ما فى هذه الاشعار بانه عليه السلام ود ان يكون له ما لغيره وكان له امثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر واناب عنه



وماروى ان بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان ان صح فلعله خطب مخطوبته اواستنزله عن زوجته وكان ذلك معتادا فيما بينهم وقد واسى الانصار المهاجرين بهذا المعنى وماقيل انه ارسل اوريا الى الجهاد مرارا وامران يتقدم حتى قتل فتزوجها هزؤ وافتراء ولذلك قال على رضى الله عنه من حدث بحديث داود على مايرويه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجد واعنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم غرضهم وقصد ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء من الله له فاستغفر ربه مما هم به واناب فغفرنا له ذلك اى ما استغفر منه وان له عندنا لزلفى لقربة بعد المغفرة وحسن مآب مرجع فى الجنة يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض استخلفناك على الملك فيها اوجعلناك خليفة ممن قبلك من الانبياء القائمين بالحق فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله ولا تتبع الهوى ماتهوى النفس وهو يؤيد ماقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتظليم الآخر قبل مسألته فيضلك عن سبيل الله دلائله التى نصبها على الحق ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يوم الحساب يقتضى ملازمة الحق ومخالفة الهوى

وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار ﴿٢٨﴾ ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام نجعل المتقين كالفجار ﴿٢٩﴾ كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب ﴿٣٠﴾ ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه اواب ﴿٣١﴾ اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ﴿٣٢﴾ فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ﴿٣٣﴾ ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق ﴿٣٤﴾ ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب ﴿٣٥﴾ قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك انت الوهاب ﴿٣٦﴾ فسخرنا له الريح تجرى بامره

وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا خلقا باطلا لاحكمة فيه اوذوى باطل بمعنى مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين اوللباطل الذى هو متابعة الهوى بل للحق الذى هو مقتضى الدليل من التوحيد والتدرع بالشرع كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون على وضعه موضع المصدر مثل هنيئا ذلك ظن الذين كفروا الاشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون فويل للذين كفروا من النار بسبب هذا الظن ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض ام منقطعة والاستفهام فيها لانكار التسوية بين الحزبين التى هى من لوازم خلقها باطلا ليدل على نفيه وكذا التى فى قوله ام نجعل المتقين كالفجار كانه انكر التسوية اولا بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم ويجوز ان يكون تكريرا للانكار الاول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم والآية تدل على صحة القول بالحشر فان التفاضل بينهما اما ان يكون فى الدنيا والغالب فيها عكس ما تقتضيه الحكمة اوفى غيرها وذلك يستدعى ان يكون لهم حال اخرى يجازون فيها كتاب انزلناه اليك مبارك نفاع وقرئ بالنصب على الحال ليدبروا آياته ليتفكروا فيها فيعرفوا مايدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اى انت وعلماء امتك وليتذكر اولوا الالباب وليتعظ به ذووا العقول السليمة اوليستحضروا ماهو كالمركوز فى عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعرف الا من الشرع وارشاد الى ما لا يستقل به العقل ولعل التدبر للقسم الاول والتذكر للثانى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد اى نعم العبد سليمان اذ مابعده تعليل للمدح وهو من حاله انه اواب رجاع الى الله بالتوبة اوالى التسبيح مرجع له اذ عرض عليه ظرف لاواب اولنعم والضمير لسليمان عند الجمهور بالعشى بعد الظهر الصافنات الصافن من الخيل الذى يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات المحمودة فى الخيل لايكاد يكون الا فى العراب الخلص الجياد جمع جواد اوجود وهو الذى يسرع فى جريه وقيل الذى يجود بالركض وقيل جمع جيد روى انه عليه الصلاة والسلام غزا دمشق ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر اوعن ورد كان له فاغتم لما فاته فاستردها فعقرها تقربا لله تعالى فقال انى احببت حب الخير عن ذكر ربى اصل احببت ان يعدى بعلى لانه بمعنى آثرت لكن لما انيب مناب انبت عدى تعديته وقيل هو بمعنى تقاعدت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا اى برك وحب الخير مفعول له والخير المال الكثير والمراد به الخيل التى شغلته ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقرأ ابن كثير ونافع بفتح الياء حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس شبه غروبها بتوارى المخبأة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشى عليها ردوها على الضمير للصافنات فطفق مسحا فاخذ يمسح بالسيف مسحا

بالسوق

بالسوق والاعناق اى بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه وقيل جعل يمسح بيده اعناقها وسوقها حبالها وعن ابن كثير بالسؤق على همز الواو لضمة ماقبلها كمؤقن وعن ابى عمرو بالسؤوق وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لأمن الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل فيه ماروى مرفوعا انه قال لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تأتى كل واحدة بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة جاءت بشق رجل فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهد وا فرسانا وقيل ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك وكان يغذوه فى السحاب فما شعر به الا ان القى على كرسيه ميتا فتنبه على خطاءه بان لم يتوكل على الله وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب ابنته جرادة فاحبها وكان لايرقأ دمعها جزعا على ابيها فامر الشياطين فمثلوا لها صورته فكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن لها كعادتهن فى ملكه فاخبره آصف رضى الله عنه فكسر الصورة وضرب المرأة وخرج الى الفلاة باكيا متضرعا وكانت له ام ولد اسمها امينة اذا دخل الى الطهارة اعطاها خاتمه وكان

رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٨﴾
وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٩﴾ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤١﴾ وَاذْكُرْ
عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ
﴿٤٢﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٣﴾
وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ
لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٤﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ
إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٥﴾ وَاذْكُرْ
عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ
﴿٤٦﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا
لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ

ملكه فيه فاعطاها يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه فى كل شئ الا فيه وفى نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فطردته فعلم ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف حتى مضى اربعون يوما عدد ما عبدت الصورة فى بيته فطار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة فوقعت فى يده فبقر بطنها فوجد الخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه الملك فعلى هذا الجسد صخر سمى به وهو جسم لاروح فيه لانه كان متمثلا بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عن حال اهله لان اتخاذ التماثيل كان جائزا حينئذ وسجود الصورة بغير علمه لايضره قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى لايتسهل له ولا يكون ليكون معجزة لى مناسبة لحالى اولا ينبغى لاحد ان يسلب بعد منى هذه السلبة اولا يصح لاحد من بعدى لعظمته كقولك لفلان ماليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظم لا ان لايعطى احد مثله فيكون منافسة وتقديم الاستغفار على الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين ووجوب تقديم مايجعل الدعاء بصدد الاجابة وقرأ نافع وابو عمرو بفتح الياء انك انت الوهاب المعطى ماتشاء لمن تشاء فسخرنا له الريح فذللناها لطاعته اجابة لدعوته وقرئ الرياح تجرى بامره رخاء لينة من الرخاوة لاتزعزع اولاتخالف ارادته كالمأمور المنقاد حيث اصاب اراد من قولهم اصاب الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل منه واخرين مقرنين فى الاصفاد عطف على كل كأنه فصل الشياطين الى عملة استعملهم فى الاعمال الشاقة كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض فى السلاسل ليكفوا عن الشر ولعل اجسامهم شفافة صلبة فلاترى ويمكن تقييدها هذا والاقرب ان المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالاقران فى الصفد وهو القيد وسمى به العطاء لانه يرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا اصفده قيده واصفده اعطاه عكس وعده واوعده وفى ذلك نكتة هذا عطاؤنا اى هذا الذى اعطيناك من الملك والبسطة والتسلط على مالم يتسلط عليه غيرك عطاؤنا فامنن اوامسك فاعط من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن فى الامر اى غير محاسب على منه وامساكه لتفويض التصرف فيه اليك او من العطاء اوصلة له ومابينهما اعتراض والمعنى انه عطاء جم لايكاد يمكن حصره وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين والمراد بالمن والامساك اطلاقهم وابقاؤهم فى القيد وان له عندنا لزلفى فى الاخرة مع ماله من الملك العظيم فى الدنيا وحسن مآب وهو الجنة واذكر عبدنا ايوب هو ابن عيص ابن اسحق عليهم السلام وامرأته ليا بنت يعقوب اذ نادى ربه بدل من عبدنا وايوب عطف بيان له انى مسنى بانى مسنى وقرأ حمزة باسكان الياء واسقاطها فى الوصل الشيطان بنصب بتعب وعذاب الم وهو حكاية لكلامه الذى ناداه به ولولاه لقال انه مسه والاسناد الى الشيطان بواسطة ان الله مسه بذلك لما فعل بوسوسته كما قيل انه اعجب بكثرة ماله اواستغاثه مظلوم فلم يغثه اوكانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه اولسؤاله امتحانا لصبره فيكون اعترافا بالذنب اومراعاة للادب اولانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم اولان المراد من النصب والعذاب ماكان يوسوس اليه فى مرضه من عظم البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه على الجزع وقرأ يعقوب بفتح النون على المصدر وقرئ بفتحتين وهو لغة كالرشد والرشد وبضمتين للتثقيل

اركض برجلك حكاية لما اجيب به اى اضرب برجلك الارض هذا مغتسل بارد وشراب اى فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل اى تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك وقيل نبعت عينان حارة وباردة فاغتسل من الحارة وشرب من الاخرى ووهبنا له اهله بان جمعناهم عليه بعد تفرقهم او احييناهم بعد موتهم وقيل وهبنا له مثلهم ومثلهم معهم حتى كان له ضعف ما كان رحمة منا لرحمتنا عليه وذكرى لاولى الالباب وتذكيرا لهم لينتظروا الفرج بالصبر واللجأ الى الله فيما يحيق بهم وخذ بيدك ضغثا عطف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه فاضرب به ولا تحنث روى ان زوجته ليا بنت يعقوب عليه السلام وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف ذهبت لحاجة وابطأت فحلف ان برئ ضربها مائة ضربة فحلل الله يمينه بذلك وهى رخصة باقية فى الحدود انا وجدناه صابرا فيما اصابه فى النفس والاهل والمال ولا يخل به شكواه الى الله من الشيطان فانه لا يسمى جزعا كتمنى العافية وطلب الشفاء مع انه قال ذلك خيفة ان يفتنه او قومه فى الدين نعم العبد ايوب انه اواب مقبل بشراشره على الله تعالى واذكر عبادنا ابرهيم

وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ
مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ
فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا
مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ
يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ
﴿٥٧﴾ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ
لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُو النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا
بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ
قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا
لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا

واسحق ويعقوب وقرأ ابن كثير عبدنا وضع الجنس موضع الجمع او على ان ابرهيم وحده لمزيد شرفه عطف بيان له واسحق ويعقوب عطف عليه اولى الايدى والابصار اولى القوة فى الطاعة والبصيرة فى الدين او اولى الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدى عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالبطلة الجهال انهم كالزمنى والعميان انا اخلصناهم بخالصة جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة لا شوب فيها هى ذكرى الدار تذكرهم للاخرة دائما فان خلوصهم فى الطاعة بسببها وذلك لان مطمح نظرهم فيما يأتون به ويذرون جوار الله تعالى والفوز بلقائه وذلك فى الاخرة واطلاق الدار للاشعار بانها الدار الحقيقية والدنيا معبر واضاف هشام ونافع بخالصة الى ذكرى للبيان ولانه مصدر بمعنى الخلوص فاضيف الى فاعله وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من ابناء جنسهم المفضلين عليهم فى الخير جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير على تخفيفه كاموات فى جمع ميت او ميت واذكر اسمعيل واليسع هو ابن اخطوب استخلفه الياس على بنى اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه كما فى قوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرأ حمزة والكسائى والليسع تشبيها بالمنقول من ليسع من اللسع وذا الكفل ابن عم يسع او بشر بن ايوب واختلف فى نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبى من القتل فآواهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلى كل يوم مائة صلاة وكل اى وكلهم من الاخيار هذا اشارة الى ما تقدم من امورهم ذكر شرف لهم او نوع من الذكر وهو القرآن ثم شرع فى بيان ما اعد لهم ولامثالهم فقال وان للمتقين لحسن مآب مرجع جنات عدن عطف بيان لحسن مآب وهو من الاعلام الغالبة لقوله جنات عدن التى وعد الرحمن عباده وانتصب عنها مفتحة لهم الابواب على الحال والعامل فيها ما فى للمتقين من معنى الفعل وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او انهما خبران لمحذوف متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب حالان متعاقبان او متداخلان من الضمير فى لهم لا من المتقين للفصل والاظهر ان يدعون استئناف لبيان حالهم فيها ومتكئين حال من ضميره والاقتصار على الفاكهة للاشعار



بان مطاعمهم لمحض التلذذ فان التغذى للتحلل ولا تحلل ثمه وعندهم قاصرات الطرف لا ينظرون الى غير ازواجهن اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران اثبت او بعضهن لبعض لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهن فى وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب لاجله فان الحساب علة الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالياء ليوافق ما قبله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا اى الامر هذا او هذا كما ذكر او خذ هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم اعرابه ما سبق يصلونها حال من جهنم فبئس المهاد المهد المفترش مستعار من فراش النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم كقوله لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه اى ليذوقوا هذا فليذوقوه او العذاب هذا فليذوقوه ويجوز ان يكون مبتدأ خبره حميم وغساق وهو على الاولين خبر محذوف اى هو حميم والغساق ما يغسق من صديد اهل النار من غسقت العين اذا سال دمعها وقرأ حفص وحمزة والكسائى وغساق بتشديد السين

واخر اى مذوق او عذاب اخر وقرأ البصريان واخرى مذوقات او انواع عذاب اخر من شكله من مثل هذا المذوق او العذاب فى الشدة وتوحيد الضمير على انه لما ذكر او للشراب الشامل الحميم والغساق او للغساق وقرئ بالكسر وهى لغة ازواج اجناس خبر لاخر او صفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل لهم هذا فوج مقتحم معكم حكاية ما يقال للرؤساء الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج تبعهم فى الضلال والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها لا مرحبا بهم دعاء من المتبوعين على اتباعهم او صفة لفوج او حال اى مقولا فيهم لا مرحبا اى ما اتوا رحبا وسعة انهم صالوا النار داخلون النار باعمالهم مثلنا قالوا اى الاتباع للرؤساء بل انتم لا مرحبا بكم بل انتم احق بما قلتم او قيل لنا لضلالكم واضلالكم كما قالوا انتم قدمتموه لنا قدمتم العذاب او الصلى لنا باغوائنا واغرائنا على ما قدمناه من العقائد الزائغة والاعمال القبيحة فبئس القرار فبئس المقر جهنم قالوا اى الاتباع ايضا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار مضاعفا اى ذا ضعف وذلك ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقالوا اى الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم

أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٤﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٥﴾
قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٦﴾ رَبُّ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٧﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ
عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٩﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ
إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٧٠﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧١﴾ إِذْ قَالَ
رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧٢﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ
فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٤﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٥﴾
قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ
أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِنْ طِينٍ ﴿٧٧﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ

من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين يسترذلونهم ويسخرون بهم اتخذناهم سخريا صفة اخرى لرجالا وقرأ الحجازيان وابن عامر وعاصم بهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى سخريا بالضم وقد سبق مثله فى المؤمنين ام زاغت مالت عنهم الابصار فلا نراهم وام معادلة لما لنا لا نرى على ان المراد نفى رؤيتهم لغيبتهم كانهم قالوا اليسوا ههنا ام زاغت عنهم ابصارنا او لاتخذناهم على القراءة الثانية بمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام تحقيرهم فان زيغ الابصار كناية عنه على معنى انكارهما على انفسهم او منقطعة والمراد الدلالة على ان استرذالهم والاستسخار منهم كان لزيغ ابصارهم وقصور انظارهم على رثاثة حالهم ان ذلك الذى حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال تخاصم اهل النار وهو بدل من حق او خبر محذوف وقرئ بالنصب على البدل من ذلك قل يا محمد للمشركين انما انا منذر انذركم عذاب الله وما من اله الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة فى ذاته القهار لكل شئ رب السموات والارض وما بينهما منه خلقها واليه امرها العزيز الذى لا يغلب اذا عاقب الغفار الذى يغفر ما يشاء من الذنوب لمن يشاء وفى هذه الاوصاف تقرير للتوحيد ووعد ووعيد للموحدين والمشركين وتثنية ما يشعر بالوعيد وتقديمه لان المدعو هو الانذار قل هو اى ما انبأتكم به من انى نذير من عقوبة من هذا صفته وانه واحد فى الوهيته وقيل ما بعده من نبأ آدم عليه السلام نبأ عظيم انتم عنه معرضون لتمادى غفلتكم فان العاقل لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة اما على التوحيد فما مر واما على النبوة فقوله ما كان لى من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون فان اخباره عن تقاول الملائكة وما جرى بينهم على ما ورد فى الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور الا بالوحى واذ ظرف لعلم ومتعلق به او محذوف اذ التقدير من علم بكلام الملأ الاعلى ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اى لانما كانه لما جوز ان الوحى يأتيه بين بذلك ما هو المقصود تحقيقا لقوله انما انا منذر ويجوز ان يرتفع باسناد يوحى اليه وقرئ انما بالكسر على الحكاية اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين بدل من اذ يختصمون مبين له فان القصة التى دخلت اذ عليها مشتملة على تقاول الملائكة وابليس فى خلق آدم عليه السلام واستحقاقه للخلافة والسجود على ما مر فى البقرة غير انها اختصرت اكتفاء بذلك واقتصارا على ما هو المقصود ههنا وهو انذار المشركين على استكبارهم على النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ما حاق بابليس على استكباره على آدم عليه السلام هذا ومن الجائز ان يكون مقاولة الله تعالى اياهم بواسطة ملك وان يفسر الملأ الاعلى بما يعم الله تعالى والملائكة فاذا سويته عدلت خلقته ونفخت فيه من روحى واحييته بنفخ الروح فيه واضافته الى نفسه لشرفه وطهارته فقعوا له فخروا له ساجدين تكرمة وتبجيلا له وقد مر الكلام فيه فى البقرة فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر تعظم وكان وصار من الكافرين باستكباره امر الله تعالى واستنكافه عن الطاعة او كان منهم فى علم الله تعالى قال يا ابليس ما منعك ان تسجد

لما خلقت بيدى خلقته بنفسي من غير توسط كاب وام والتثنية لما في خلقه من مزيد القدرة واختلاف الفعل وقرئ على التوحيد وترتيب الانكار عليه للاشعار بانه المستدعي للتعظيم او بانه الذي تشبث به في تركه سجوده وهو لا يصلح مانعا اذ للسيد ان يستخدم بعض عبيده لبعض سيما وله مزيد اختصاص استكبرت ام كنت من العالين تكبرت من غير استحقاق او كنت ممن علا واستحق التفوق وقيل استكبرت الآن ام لم تزل كنت من المستكبرين وقرئ استكبرت بحذف الهمزة لدلالة ام عليها او بمعنى الاخبار قال انا خير منه ابدآء للمانع وقوله خلقتني من نار وخلقته من طين دليل عليه وقد سبق الكلام فيه قال فاخرج منها من الجنة والسماء او من صورة الملائكة فانك رجيم مطرود من الرحمة ومحل الكرامة وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم مر بيانه في الحجر قال فبعزتك فبسلطانك وقهرك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين

لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٩﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٨٠﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨١﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٢﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٣﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٥﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

سورة الزمر مكية وهي خمس وسبعون آية

٣٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٣﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ

الذين اخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الضلالة او اخلصوا قلوبهم لله تعالى على اختلاف القرآءتين قال فالحق والحق اقول اى فاحق الحق واقوله وقيل الحق الاول اسم الله تعالى ونصبه بحذف حرف القسم كقوله ان عليك الله ان تبايعا وجوابه لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وما بينهما اعتراض وهو على الاول جواب محذوف والجملة تفسير للحق المقول وقرأ عاصم وحمزة برفع الاول على الابتدآء اى الحق يميني او قسمي او الخبر اى انا الحق وقرئا مرفوعين على حذف الضمير من اقول كقوله قد اصبحت ام الخيار تدعى على ذنبا كله لم اصنع ومجرورين على اضمار حرف القسم في الاول وحكاية لفظ المقسم به في الثاني للتوكيد وهو سائغ فيه اذا شارك الاول وبرفع الاول وجره ونصب الثاني وتخريجه على ما ذكرنا والضمير في منهم للناس اذ الكلام فيهم والمراد بمنك من جنسك ليتناول الشياطين وقيل للثقلين واجمعين تأكيد له او للضميرين قل ما اسئلكم عليه من اجر اى على القرآن او على تبليغ الوحي وما انا من المتكلفين المتصنعين بما لست من اهله على ما عرفتم من حالي فانتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر عظة للعالمين ولتعلمن نبأه وهو ما فيه من الوعد والوعيد وصدقه باتيان ذلك بعد حين بعد الموت او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وفيه تهديد وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير سورة الزمر مكية الا قوله قل يا عبادى وايها خمس وسبعون او ثنتان وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر محذوف مثل هذا او مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وهو على الاول صلة التنزيل او خبر ثان او حال عمل فيها معنى الاشارة او التنزيل والظاهر ان الكتاب على الاول السورة وعلى الثاني القرآن وقرئ تنزيل بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا بالحق او بسبب اثبات الحق واظهاره وتفصيله فاعبد الله مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء وقرئ برفع الدين على الاستئناف لتعليل الامر وتقديم الخبر لتأكيد الاختصاص المستفاد من اللام كما صرح به مؤكدا واجراه مجرى المعلوم المقرر لكثرة حججه وظهور براهينه فقال الا لله الدين الخالص اى الا هو الذى وجب اختصاصه بان تخلص له الطاعة فانه المنفرد بصفات الالوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر

والذين اتخذوا من دونه اولياء يحتمل المتخذين من الكفرة والمتخذين من الملائكة وعيسى والاصنام على حذف الراجع واضمار المشركين من غير ذكر لدلالة المساق عليهم وهو مبتدأ خبره على الاول ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى باضمار القول او ان الله يحكم بينهم وهو متعين على الثاني وعلى هذا يكون القول المضمر بما في حيزه حالا او بدلا من الصلة وزلفى مصدر او حال وقرئ قالوا ما نعبدهم وما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ونعبدهم بضم النون اتباعا فيما هم فيه يختلفون من الدين بادخال المحق الجنة والمبطل النار والضمير للكفرة ومقابليهم وقيل لهم ولمعبوديهم فانهم يرجون شفاعتهم وهم يلعنونهم ان الله لا يهدي لا يوفق للاهتداء الى الحق من هو كاذب كفار فانهما فاقدا البصيرة لو اراد الله ان يتخذ ولدا كما زعموا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه لقيام الدلالة على امتناع وجود واجبين ووجوب استناد ما عدا الواجب اليه ومن البين ان المخلوق لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد له ثم قرر ذلك بقوله سبحانه هو الله الواحد القهار

اَتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ اَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ اِلَّا لِيُقَرِّبُونَا اِلَى اللّٰهِ زُلْفٰى اِنَّ
اللّٰهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِي
مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ لَوْ اَرَادَ اللّٰهُ اَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفٰى
مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللّٰهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٥﴾ خَلَقَ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ
النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِاَجَلٍ مُسَمًّى
اَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ
مِنْهَا زَوْجَهَا وَاَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْاَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ اَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ
فِي بُطُونِ اُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ
ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَاَنّٰى تُصْرَفُونَ ﴿٧﴾
اِنْ تَكْفُرُوا فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضٰى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ

فان الالوهية الحقيقية تتبع الوجوب المستلزم للوحدة الذاتية وهي تنافي المماثلة فضلا عن التوالد لان كل واحد من المثلين مركب من الحقيقة المشتركة والتعين المخصوص والقهارية المطلقة تنافي قبول الزوال المحوج الى الولد ثم استدل على ذلك بقوله خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يغشي كل واحد منهما الآخر كانه يلف عليه لف اللباس باللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى هو منتهى دوره او منقطع حركته الا هو العزيز القادر على كل ممكن الغالب على كل شئ الغفار حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها نوع استدلال آخر بما اوجده في العالم السفلي مبدوا به من خلق الانسان لانه اقرب واكثر دلالة واعجب وفيه على ما ذكره ثلاث دلالات خلق آدم عليه السلام اولا من غير اب وام ثم خلق حواء من قصيراه ثم تشعيب الخلق الفائت للحصر منهما وثم للعطف على محذوف هو صفة نفس مثل خلقها او على معنى واحدة اي من نفس وحدت ثم جعل منها زوجها مشفعا بها او على خلقكم لتفاوت ما بين الآيتين فان الاولى عادة مستمرة دون الثانية وقيل اخرج من ظهره ذريته كالذر ثم خلق منه حواء وانزل لكم وقضى او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح او احدث لكم باسباب نازلة كاشعة الكواكب والامطار من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل والبقر والضأن والمعز يخلقكم في بطون امهاتكم بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسي والانعام واظهار لما فيها من عجائب القدرة غير انه غلب اولي العقل وخصهم بالخطاب لانهم المقصودون خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلاث ظلمة البطن والرحم والمشيمة او الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي هذه افعاله الله ربكم هو المستحق لعبادتكم والمالك له الملك لا اله الا هو اذ لا يشاركه في الخلق غيره فانى تصرفون يعدل بكم عن عبادته الى الاشراك ان تكفروا فان الله غني عنكم عن ايمانكم ولا يرضى لعباده الكفر لاستضرارهم به رحمة عليهم

وان تشكروا يرضه لكم لانه سبب فلاحكم وقرأ ابن كثير ونافع فى رواية وابو عمرو والكسائى باشباع ضمة الهاء لانها صارت بحذف الالف موصولة بمحرك وعن ابى عمرو ويعقوب اسكانها وهو لغة فيها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون بالمحاسبة والمجازاة انه عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه خافية من اعمالكم واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه لزوال ما ينازع العقل فى الدلالة على ان مبدأ الكل منه ثم اذا خوله اعطاه من الخول وهو التعهد او الخول وهو الافتخار نعمة منه من الله نسى ما كان يدعوا اليه اى الضر الذى كان يدعوا الله الى كشفه او ربه الذى كان يتضرع اليه وما مثله الذى فى قوله وما خلق الذكر والانثى من قبل من قبل النعمة وجعل لله اندادا ليضل عن سبيله وقرأ ابن كثير وابو عمرو ورويس بفتح الياء والضلال والاضلال لما كانا نتيجة جعله صح تعليله بهما وان لم يكونا غرضين قل تمتع بكفرك قليلا امر تهديد فيه اشعار بان الكفر نوع تشهى لا سند له واقناط للكافر من التمتع فى الاخرة ولذلك علله بقوله انك من اصحاب النار على سبيل الاستئناف للمبالغة امن هو قانت قائم بوظائف الطاعات اناء الليل ساعاته وام متصلة بمحذوف تقديره الكافر خير ام من هو قانت او منقطعة والمعنى بل امن هو قانت كمن بضده وقرأ الحجازيان وحمزة بتخفيف الميم بمعنى امن هو قانت لله كمن جعل له اندادا ساجدا وقائما حالان من ضمير قانت وقرئا بالرفع على الخبر بعد الخبر والواو للجمع بين الصفتين يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه فى موضع الحال او الاستئناف للتعليل قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون نفى لاستواء الفريقين باعتبار القوة العلمية بعد نفيه باعتبار القوة العملية على وجه ابلغ لمزيد فضل العلم وقيل تقرير للاول على سبيل التشبيه اى كما لا يستوى العالمون والجاهلون لا يستوى القانتون والعاصون انما يتذكر اولوا الالباب بامثال هذه البيانات وقرئ يذكر بالادغام قل يا عبادى الذين امنوا اتقوا ربكم بلزوم طاعته للذين احسنوا فى هذه الدنيا حسنة اى للذين احسنوا بالطاعات فى الدنيا مثوبة حسنة فى الاخرة وقيل معناه للذين احسنوا حسنة فى الدنيا هى الصحة والعافية وفى هذه بيان لمكان حسنة وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على الاحسان فى وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن منه انما يوفى الصابرون على مشاق الطاعة من احتمال البلاء ومهاجرة الاوطان لها اجرهم بغير حساب اجرا لا يهتدى اليه حساب الحساب وفى الحديث انه تنصب الموازين يوم القيامة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا تنصب لاهل البلاء بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية فى الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قل انى امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين موحدا له وامرت لان اكون اول المسلمين وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم فى الدنيا والاخرة لان قصب السبق فى الدين بالاخلاص ولان اكون اول من اخلص وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم والعطف لمغايرة الثانى الاول بتقيده بالعلة والاشعار بان العبادة المقرونة بالاخلاص وان اقتضت لذاتها ان يؤمر بها فهى ايضا تقتضيه لما يلزمه من السبقة فى الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما فى اردت لان افعل فيكون امرا بالتقدم فى الاخلاص والبدء بنفسه فى الدعاء اليه بعد الامر به

وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٨﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٩﴾ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٢﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾

قل انى اخاف ان عصيت ربى بترك الاخلاص والميل الى ما انتم عليه من الشرك والرياء عذاب يوم عظيم لعظمة ما فيه قل الله اعبد مخلصا له دينى امر بالاخبار عن اخلاصه وان يكون مخلصا له دينه بعد الامر بالاخبار عن كونه مأمورا بالعبادة والاخلاص خائفا على المخالفة من العقاب قطعا لاطماعهم ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه تهديدا وخذلانا لهم قل ان الخاسرين اى الكاملين فى الخسران الذين خسروا انفسهم بالضلال واهليهم بالاضلال يوم القيمة حين يدخلون النار بدل الجنة لانهم جمعوا وجوه الخسران وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده الا ذلك هو الخسران المبين مبالغة فى خسرانهم لما فيه من الاستئناف والتصدير بالا وتوسيط الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار شرح لخسرانهم ومن تحتهم ظلل اطباق من النار هى ظلل للآخرين ذلك يخوف الله به عباده ذلك العذاب هو الذى يخوفهم به ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطى والذين اجتنبوا الطاغوت البالغ غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة فى المصدر كالرحموت ثم وصف به للمبالغة فى النعت ولذلك اختص بالشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه وانابوا الى الله واقبلوا اليه بشراشرهم عما سواه لهم البشرى بالثواب على السنة الرسل والملائكة عند حضور الموت فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضع فيه الظاهر موضع ضمير الذين اجتنبوا للدلالة على مبدأ اجتنابهم وانهم نقاد فى الدين يميزون بين الحق والباطل ويؤثرون الافضل فالافضل اولئك الذين هداهم الله لدينه واولئك هم اولوا الالباب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وفى ذلك دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله وقبول النفس لها افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار جملة شرطية معطوفة على محذوف دل عليه الكلام تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه فكررت الهمزة فى الجزاء لتأكيد الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير لذلك وللدلالة على ان من حكم عليه بالعذاب كالواقع فيه لامتناع الخلف فيه وان اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم فى دعائهم الى الايمان سعى فى انقاذهم من النار ويجوز ان يكون افانت تنقذ جملة مستأنفة للدلالة على ذلك والاشعار بالجزاء المحذوف لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف علالى بعضها فوق بعض مبنية بنيت بناء المنازل على الارض تجرى من تحتها الانهار اى من تحت تلك الغرف وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى الوعد لا يخلف الله الميعاد لان الخلف نقص وهو على الله تعالى محال الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر

قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٥﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿٢٠﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا
أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ
لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٢﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ
نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ
تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ
ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٤﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٥﴾ كَذَّبَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾
فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ

فسلكه فادخله ينابيع في الارض عيونا ومجارى كائنة فيها اومياها نابعات فيها اذ الينبوع جاء للمنبع والنابع فنصبها على المصدر او الحال ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من خضرة وحمرة وغيرهما ثم يهيج يتم جفافه لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منبته فتريه مصفرا من يبسه ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى لتذكيرا بانه لابد من صانع حكيم دبره وسواه او بانه مثل الحياة الدنيا فلا تغتر بها لاولى الالباب اذ لا يتذكر به غيرهم افمن شرح الله صدره للاسلام حتى تمكن فيه بيسر عبر به عن خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبوله غير متباينة عنه من حيث ان الصدر محل القلب المنبع للروح المتعلق بالنفس القابلة للاسلام فهو على نور من ربه يعنى المعرفة والاهتداء الى الحق وعنه عليه الصلاة والسلام اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزوله وخبر من محذوف دل عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره وهو ابلغ من ان يكون عن مكان من لان القاسى من اجل الشئ اشد تأبيا من قبوله من القاسى عنه لسبب آخر وللمبالغة في وصف اولئك بالقبول وهؤلاء بالامتناع ذكر شرح الصدر واسنده الى الله وقابله بقساوة القلب واسنده اليهم اولئك في ضلال مبين يظهر للناظر بادنى نظر والاية نزلت في حمزة وعلى وابى لهب وولده الله نزل احسن الحديث يعنى القران روى ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وفى الابتداء باسم الله وبناء نزل عليه تأكيد للاسناد اليه وتفخيم للمنزل واستشهاد على حسنه كتابا متشابها بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة مثانى جمع مثنى او مثنى على ما مر في الحجر وصف به كتابا باعتبار تفاصيله كقولك القران سور وآيات والانسان عظام وعروق واعصاب وجعل تمييزا من متشابها كقولك رأيت رجلا حسنا شمائل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب قمطر من القمط وهو الشد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله بالرحمة وعموم المغفرة والاطلاق للاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمين معنى السكون والاطمئنان وذكر القلوب لتقدم الخشية التى هى من عوارضها ذلك اى الكتاب او الكائن من الخشية والرجاء هدى الله يهدى به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلالة افمن يتقى بوجهه يجعله درقة يقى به نفسه لانه يكون مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر ان يتقى الا بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن هو آمن منه فحذف الخبر كما حذف في نظائره وقيل للظالمين اى لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بالموجب لما يقال لهم وهو ذوقوا ما كنتم تكسبون اى وباله والواو للحال وقد مقدرة كذب الذين من قبلهم فاتيهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التى لا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها فاذاقهم الله الخزى الذل في الحيوة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبى والاجلاء ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته ودوامه

لوكانوا يعلمون لوكانوا من اهل العلم والنظر لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل يحتاج اليه الناظر في امر دينه لعلهم يتذكرون يتعظون به قرآنا عربيا حال من هذا والاعتماد فيها على الصفة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا اومدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه ما فهو ابلغ من المستقيم واختص بالمعاني وقيل بالشك استشهادا بقوله وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب وهو تخصيص له ببعض مدلوله لعلهم يتقون علة اخرى مرتبة على الاولى ضرب الله مثلا للمشرك والموحد رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل مثل المشرك على ما يقتضيه مذهبه من ان يدعي كل واحد من معبوديه عبوديته ويتنازعون فيه بعبد يتشارك فيه جمع يتجاذبونه ويتعاورونه في مهامهم المختلفة في تحيره وتوزع قلبه والموحد بمن خلص لواحد ليس لغيره عليه سبيل ورجلا بدل من مثلا وفيه صلة شركاء والتشاكس والتشاخس الاختلاف قرأ

لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٩﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣٢﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ

نافع وابن عامر والكوفيون سلما بفتحتين وقرئ بفتح السين وكسرها مع سكون العين وثلاثتها مصادر سلم نعت بها او حذف منها ذو ورجل سالما اي وهناك رجل سالم وتخصيص الرجل لانه افطن للضر والنفع هل يستويان مثلا صفة وحالا ونصبه على التمييز ولذلك وحده وقرئ مثلين للاشعار باختلاف النوع اولان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين فان التقدير مثل رجل ومثل رجل الحمد لله كل الحمد له لا يشاركه فيه على الحقيقة سواه لانه المنعم بالذات والمالك على الاطلاق بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره من فرط جهلهم انك ميت وانهم ميتون فان الكل بصدد الموت وفي عداد الموتى وقرئ مائت ومائتون لانه مما سيحدث ثم انكم على تغليب المخاطب على الغيب يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج عليهم بانك كنت على الحق في التوحيد وكانوا على الباطل في التشريك واجتهدت في الارشاد والتبليغ ولجوا في التكذيب والعناد ويعتذرون بالاباطيل مثل اطعنا سادتنا ووجدنا آباءنا وقيل المراد به الاختصام العام يخاصم الناس بعضهم بعضا فيما دار بينهم في الدنيا فمن اظلم ممن كذب على الله باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه من غير توقف وتفكر في امره اليس في جهنم مثوى للكافرين وذلك يكفيهم مجازاة لاعمالهم واللام تحتمل العهد والجنس واستدل به على تكفير المبتدعة فانهم مكذبون بما علم صدقه وهو ضعيف لانه مخصوص بمن فاجأ ما علم مجيء الرسول به بالتكذيب والذي جاء بالصدق وصدق به للجنس المتناول للرسل والمؤمنين لقوله اولئك هم المتقون وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو ومن تبعه كما في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون وقيل الجائي الرسول صلى الله عليه وسلم والمصدق ابو بكر رضي الله عنه وذلك يقتضي اضمار الذي وهو غير جائز وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق به الناس فاداه اليهم كما نزل وصار صادقا بسببه لانه معجز يدل على صدقه وصدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم في الجنة ذلك جزاء المحسنين على احسانهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا خص الاسوأ للمبالغة فانه اذا كفر كان غيره اولى بذلك او للاشعار بانهم لاستعظامهم الذنوب يحسبون انهم مقصرون مذنبون وان ما يفرط منهم من الصغائر اسوأ ذنوبهم ويجوز ان يكون بمعنى السيئ كقولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان وقرئ اسواء جمع سوء ويجزيهم اجرهم ويعطيهم ثوابهم باحسن الذي كانوا يعملون فيعد لهم محاسن اعمالهم باحسنها في زيادة الاجر وعظمه لفرط اخلاصهم فيها اليس الله بكاف عبده استفهام انكار للنفي مبالغة في الاثبات والعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحتمل الجنس ويؤيده قراءة حمزة والكسائي عباده وفسر بالانبياء ويخوفونك بالذين من دونه يعني قريشا فانهم قالوا له انا نخاف ان تخبلك آلهتنا بعيبك اياها وقيل انه صلى الله عليه وسلم بعث خالدا رضي الله عنه ليكسر العزى فقال له سادنها احذركها ان لها شدة فعمد اليها خالد فهشم انفها فنزل تخويف خالد منزلة تخويفه عليه الصلاة والسلام لانه الآمر بما خوف عليه



ومن يضلل الله حتى غفل عن كفاية الله له وخوفه بما لا ينفع ولا يضر فما له من هاد يهديهم الى الرشاد ومن يهد الله فما له من مضل اذ لا راد لفضله كما قال أليس الله بعزيز غالب منيع ذى انتقام ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح البرهان على تفرده بالخالقية قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره اى أرأيتم بعد ما تحققتم ان خالق العالم هو الله ان الهتكم ان اراد الله ان يصيبنى بضر هل يكشفنه او ارادنى برحمة بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمسكنها عنى قل حسبى الله كافيا فى اصابة الخير ودفع الضر اذ تقرر بهذا التقرير انه القادر الذى لا مانع لما يريده من خير او شر روى ان النبى عليه الصلاة والسلام سألهم فسكتوا فنزل ذلك وانما قال كاشفات وممسكات على ما يصفونها به من الانوثة تنبيها على كمال ضعفها عليه يتوكل المتوكلون لعلمهم بان الكل منه تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم اسم للمكان استعير للحال كما استعير هنا وحيث من المكان للزمان وقرئ مكاناتكم انى عامل اى على مكانتى فحذف للاختصار والمبالغة فى الوعيد والاشعار بان حاله لا تقف فانه تعالى يزيده على مر الايام قوة ونصرة ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم فى الدارين فقال فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فان خزى اعدائه دليل غلبته وقد اخزاهم الله يوم بدر ويحل عليه عذاب مقيم دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم ومعادهم بالحق ملتبسا به فمن اهتدى فلنفسه اذ نفع به نفسه ومن ضل فانما يضل عليها فان وباله لا يتخطاها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى وانما امرت بالبلاغ وقد بلغت الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها اى يقبضها عن الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا وذلك عند الموت او ظاهرا لا باطنا وهو فى النوم فيمسك التى قضى عليها الموت ولا يردها الى البدن وقرأ حمزة والكسائى قضى بضم القاف وكسر الضاد والموت بالرفع ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند اليقظة الى اجل مسمى هو الوقت المضروب لموته وهو غاية جنس الارسال وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان فى ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والحياة فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحدها عند النوم قريب مما ذكرناه ان فى ذلك من التوفى والامساك والارسال لآيات دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٧﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤٢﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها بالكلية حين الموت وامساكها باقية لاتفنى بفنائها ومايعتريها من السعادة والشقاوة والحكمة في توفيها
عن ظواهرها وارسالها حينا بعد حين الى توفي آجالها ام اتخذوا بل اتخذ قريش من دون الله شفعاء تشفع لهم عند الله قل اولو كانوا لايملكون شيئا ولايعقلون
ايشفعون ولوكانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لايقدرون ولايعلمون قل لله الشفاعة جميعا لعله رد لما عسى يجيبون به وهو ان الشفعاء اشخاص
مقربون هي تماثيلهم والمعنى انه مالك الشفاعة كلها ولايستطيع احد شفاعة الا باذنه ولايستقل بها ثم قرر ذلك فقال له ملك السموات والارض فانه
مالك الملك كله لايملك احد ان يتكلم في امره دون اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة فيكون الملك له ايضا حينئذ واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم
اشمأزت قلوب الذين لايؤمنون بالآخرة انقبضت ونفرت واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم بها ونسيانهم حق الله ولقد بالغ في الامرين

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ اَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ شُفَعَٓاءَ قُلْ اَوَلَوْ
كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ لِلّٰهِ الشَّفَاعَةُ
جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَاِذَا
ذُكِرَ اللّٰهُ وَحْدَهُ اشْمَاَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْاٰخِرَةِ
وَاِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ اِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٦﴾ قُلِ اللّٰهُمَّ فَاطِرَ
السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ اَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ
عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَوْ اَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا
فِي الْاَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوٓءِ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيٰمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللّٰهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٨﴾ وَبَدَا لَهُمْ
سَيِّاٰتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ ﴿٤٩﴾
فَاِذَا مَسَّ الْاِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ اِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ

حتى بلغ الغاية فيهما فان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه
والاشمئزاز ان يمتلئ غما حتى ينقبض اديم وجهه والعامل في اذا المفاجاة قل اللهم
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة التجئ الى الله بالدعاء لما تحيرت
في امرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء
والعالم بالاحوال كلها انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
يختلفون فانت وحدك تقدر ان تحكم بيني وبينهم ولو ان للذين ظلموا
ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة
وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله مالم يكونوا
يحتسبون زيادة مبالغة فيه وهو نظير قوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
في الوعد وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات اعمالهم اوكسبهم حين
تعرض صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن واحاط بهم جزاؤه
فاذا مس الانسان ضر دعانا اخبار عن الجنس بما يغلب فيه والعطف
على قوله واذا ذكر الله وحده بالفاء لبيان مناقضتهم وتعكيسهم
في التسبب بمعنى انهم يشمئزون عن ذكر الله وحده ويستبشرون
بذكر الآلهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا من ذكره دون من استبشروا
بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم ثم اذا خولناه
نعمة منا اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به

قال انما اوتيته على علم على علم مني بوجوه كسبه او بانى سأعطاه لما لى من استحقاقه او علم من الله بى واستحقاقى والهاء فيه لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة والتذكير لان المراد شئ منها بل هى فتنة امتحان له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتأنيث الضمير باعتبار الخبر او لفظ النعمة وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك وهو دليل على ان الانسان للجنس قد قالها الذين من قبلهم الهاء لقوله انما اوتيته على علم لانها كلمة او جملة وقرئ بالتذكير والذين من قبلهم قارون وقومه فانه قاله ورضى به قومه فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم وجزاء اعمالهم وسماه سيئة لانه فى مقابلة اعمالهم السيئة رمز الى ان جميع اعمالهم كذلك والذين ظلموا بالعتو من هؤلاء المشركين ومن للبيان او التبعيض سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وقد اصابهم فانهم قحطوا سبع سنين وقتل ببدر صناديدهم وما هم بمعجزين بفائتين اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حيث حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان فى ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الحوادث كلها من الله بوسط او غيره قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم افرطوا فى الجناية عليها بالاسراف فى المعاصى واضافة العباد تخصصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا ولو بعد تعذيب وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر ويدل على اطلاقه فيما عدا الشرك قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الاية والتعليل بقوله انه هو الغفور الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعى عموم المغفرة مما فى عبادى من الدلالة على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهى عن القنوط مطلقا عن الرحمة فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الظاهر موضع الضمير لدلالته على انه المستغنى والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ما احب ان لى الدنيا وما فيها بها فقال رجل يا رسول الله ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وما روى انها نزلت فى اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الوثن وقتل النفس بغير حق لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس فنزلت وقيل فى عياش والوليد بن الوليد فى جماعة فتنوا فافتتنوا او فى الوحشى لا ينفى عمومها وكذا قوله وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فانها لا تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة وسبق تعذيب لتغنى عن التوبة والاخلاص فى العمل وتنافى الوعيد بالتعذيب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم القرآن او المأمور به دون المنهى عنه او العزائم دون الرخص او الناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه فتتداركون ان تقول نفس كراهة ان تقول نفس وتنكير نفس لان القائل بعض الانفس او للتكثير كقول الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه
اتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

يا حسرتا وقرئ بالياء على الاصل على ما فرطت قصرت

إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥١﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٢﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿٥٥﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ

في جنب الله في جانبه اى في حقه وهو طاعته قال سابق البربرى اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع وهو كناية فيها مبالغة كقوله شعر ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج وقيل في ذاته على تقدير مضاف كالطاعة وقيل في قربه من قوله والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين المستهزئين باهله ومحل ان كنت نصب على الحال كانه قال فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هدانى بالارشاد الى الحق لكنت من المتقين الشرك والمعاصى او تقول حين ترى العذاب لو ان لى كرة فاكون من المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو من هذه الاقوال تحيرا وتعللا بما لا طائل تحته بلى قد جاءتك اياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله عليه لما تضمنه قوله لو ان الله هدانى من معنى النفى وفصله عنه لان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالنظم المطابق للوجود لانه يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى

فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٩﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦١﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٣﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٦﴾

الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب على المعنى وقرئ بالتأنيث للنفس ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد وجوههم مسودة مما ينالهم من الشدة او مما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة حال اذ الظاهر ان ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو اليس في جهنم مثوى مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لانهم يرون كذلك وينجى الله الذين اتقوا وقرئ وينجى بمفازتهم بفلاحهم مفعلة من الفوز وتفسيرها بالنجاة تخصيص باهم اقسامه وبالسعادة والعمل الصالح اطلاق لها على السبب وقرأ الكوفيون غير حفص بالجمع تطبيقا له بالمضاف اليه والباء فيها للسببية صلة لينجى او لقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وهو حال او استئناف لبيان المفازة الله خالق كل شئ من خير وشر وايمان وكفر وهو على كل شئ وكيل يتولى التصرف فيه له مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وفيها مزيد دلالة على الاختصاص لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كمذاكير وعن عثمان رضى الله عنه انه سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير والمعنى على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بقوله وينجى الله الذين اتقوا وما بينهما اعتراض للدلالة على انه مهيمن على العباد مطلع على افعالهم مجاز عليها وتغيير النظم للاشعار بان العمدة في فلاح المؤمنين فضل الله وفى هلاك الكافرين بان خسروا انفسهم وللتصريح بالوعد والتعريض بالوعيد قضية للكرم او بما يليق والمراد بايات الله دلائل قدرته واستبداده بامر السموات والارض او كلمات توحيده وتمجيده وتخصيص الخسار بهم لان غيرهم ذو حظ من الرحمة والثواب قل افغير الله تأمرونى اعبد ايها الجاهلون اى افغير الله اعبد بعد هذه الدلائل والمواعيد وتأمرونى اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن بالهك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما دل عليه تأمرونى اعبد لانه بمعنى تعبدوننى على ان اصله تأمروننى ان اعبد فحذف ان ورفع اعبد كقوله احضر الوغى ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرأ ابن عامر تأمروننى باظهار النونين على الاصل ونافع بحذف الثانية فانها تحذف كثيرا ولقد اوحى اليك والى الذين من قبلك اى من الرسل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام على سبيل الفرض والمراد به تهييج الرسل واقناط الكفرة والاشعار على حكم الامة وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان شركهم اقبح وان يكون على التقييد بالموت كما صرح به في قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب على السبب

بَلِ اللّٰهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللّٰهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيّٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرٰى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتٰبُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلٰى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتّٰى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ اٰيٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا بَلٰى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ

بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على الاختصاص لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته فى انفسهم حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق به وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه تنبيه على عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التى تتحير فيها الاوهام بالاضافة الى قدرته ودلالة على ان تخريب العالم اهون شئ عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين حقيقة ولا مجازا كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهى المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ قبضته بالنصب على الظرف تشبيها للوقت بالمبهم وتاكيد الارض بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال والسموات معطوفة على الارض منطوية فى حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد واعلى من هذه قدرته وعظمته عن اشراكهم او ما يضاف اليه من الشركاء ونفخ فى الصور يعنى المرة الاولى فصعق من فى السموات ومن فى الارض خر ميتا او مغشيا عليه الا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم يموتون بعد وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى وهى تدل على ان المراد بالاول ونفخ فى الصور نفخة واحدة كما صرح به فى مواضع واخرى يحتمل الرفع والنصب فاذا هم قيام قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون وهو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم فى الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمى الظلم ظلمة وفى الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضاف اسمه الى الارض او بنور خلق فيها بلا توسط اجسام مضيئة ولذلك اضافها الى نفسه ووضع الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحائف الاعمال فى ايدى العمال واكتفى باسم الجنس عن الجمع وقيل اللوح المحفوظ يقابل به الصحائف وجئ بالنبيين والشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الملئكة والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضى بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شئ من افعالهم ثم فصل التوفية فقال وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت اقدامهم فى الضلالة والشرارة جمع زمرة واشتقاقها من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه او من قولهم شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروءة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هى التى تحكى بعدها الجملة وقرأ الكوفيون فتحت بتخفيف التاء وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم يأتكم رسل منكم من جنسكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار وفيه دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين كلمة الله بالعذاب علينا وهو الحكم عليهم بالشقاوة وانهم من اهل النار ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على اختصاص ذلك بالكفرة وقيل هو قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين

قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها ابهم القائل لتهويل مايقال لهم فبئس مثوى المتكبرين اللام فيه للجنس والمخصوص بالذم محذوف سبق ذكره ولاينافي اشعاره بان مثواهم في النار لتكبرهم عن الحق ان يكون دخولهم فيها لان كلمة العذاب حقت عليهم فان تكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عنه كما قال عليه السلام ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخل به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخل به النار وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لايذهب بهم الا راكبين زمرا على تفاوت مراتبهم في الشرف وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينئذ من الكرامة والتعظيم مالا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجيئها منتظرين

عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

سورة المؤمن مكية وهي خمس وثمانون آية

وقرأ الكوفيون فتحت بالتخفيف وقال لهم خزنتها سلام عليكم لايعتريكم بعد مكروه طبتم طهرتم من دنس المعاصي فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفاء للدلالة على ان طيبتم سبب لدخولهم وخلودهم وهو لايمنع دخول العاصي بعفوه لانه يطهره وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها مخلفة عليهم من اعمالهم او تمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوء من الجنة حيث نشاء اى يتبوء كل منا اى مقام اراده من جنته الواسعة مع ان في الجنة مقامات معنوية لايتمانع واردوها فنعم اجر العاملين الجنة وترى الملئكة حافين محدقين من حول العرش اى حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم ملتبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له بوصفي جلاله واكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان منتهى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق وقضي بينهم بالحق اى بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملائكة باقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اى على ماقضى بيننا بالحق والقائلون هم المؤمنون من المقضي بينهم او الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيمة واعطاه الله ثواب الخائفين وعنه انه عليه السلام كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

سورة المؤمن مكية وايها ثمانون وخمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم حم اماله ابن عامر وحمزة والكسائى وابو بكر صريحا ونافع برواية ورش وابو عمرو بين بين وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين والنصب باضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث ولانها على زنة اعجمى كقابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما فى القرآن من الاعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وامن الالباس او ابدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر فيكون الذنب باقيا وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفى توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلى على عبادته اليه المصير فيجازى المطيع والعاصى ما يجادل فى ايات الله الا الذين كفروا لما حقق امر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وادحاض الحق كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث اهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن اعظم الطاعات ولذلك قال عليه الصلاة والسلام ان جدالا فى القرآن كفر بالتنكير مع انه ليس جدالا فيه على الحقيقة فلا يغررك تقلبهم فى البلاد فلا يغررك امهالهم واقبالهم فى دنياهم وتقلبهم فى بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم اخذ من قبلهم كما قال كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم والذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح كعاد وثمود وهمت كل امة من هؤلاء برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا من اصابته بما ارادوا من تعذيب وقتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل بما لا حقيقة له ليدحضوا به الحق ليزيلوه به فاخذتهم بالاهلاك جزاء لهممهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على ديارهم وترون اثره وهو تقرير فيه تعجيب وكذلك حقت كلمت ربك وعيده او قضاؤه بالعذاب على الذين كفروا لكفرهم انهم اصحاب النار بدل من كلمة ربك بدل الكل او الاشتمال على ارادة اللفظ او المعنى الذين يحملون العرش ومن حوله الكروبيون اعلى طبقات الملئكة واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له او كناية عن قربهم من ذى العرش ومكانتهم عنده وتوسطهم فى نفاذ امره يسبحون بحمد ربهم يذكرون الله بمجامع الثناء من صفات الجلال والاكرام وجعل التسبيح اصلا والحمد حالا لان الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح ويؤمنون به اخبر عنهم بالايمان اظهارا لفضله وتعظيما لاهله ومساق الاية لذلك كما صرح به بقوله ويستغفرون للذين امنوا واشعارا بان حملة العرش وسكان الفرش فى معرفته سواء ردا على المجسمة واستغفارهم شفاعتهم وحملهم على التوبة والهامهم ما يوجب المغفرة وفيه تنبيه على ان المشاركة فى الايمان توجب النصح والشفقة وان تخالفت الاجناس لانه اقوى المناسبات كما قال انما المؤمنون اخوة ربنا اى يقولون ربنا وهو بيان ليستغفرون او حال وسعت كل شئ رحمة وعلما اى وسعت رحمته وعلمه فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات ههنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿٢﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٥﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ

تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ۝٨ ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم ۝٩ وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ۝١٠ ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ۝١١ قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ۝١٢ ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ۝١٣ هو الذي يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب ۝١٤ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره

فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق وقهم عذاب الجحيم واحفظهم منه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد والدلالة على شدة العذاب ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم اياها ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى ادخلهم معهم ليتم سرورهم او الثاني لبيان عموم الوعد وقرئ جنة عدن وصلح بالضم وذريتهم بالتوحيد انك انت العزيز الذى لايمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لايفعل الا ما تقتضيه حكمته ومن ذلك الوفاء بالوعد وقهم السيئات العقوبات وجزاء السيئات وهو تعميم بعد تخصيص او مخصوص بمن صلح او المعاصى فى الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى ومن تقها فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة فكانهم طلبوا السبب بعد ما سئلوا المسبب وذلك هو الفوز العظيم يعنى الرحمة او الوقاية او مجموعهما ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة فيقال لهم لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله اياكم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة بالسوء اذ تدعون الى الايمان فتكفرون ظرف لفعل دل عليه المقت الاول لا له لانه اخبر عنه ولا للثانى لان مقتهم انفسهم يوم القيمة حين عاينوا جزآء اعمالهم الخبيثة الا ان يأول بنحو الصيف ضيعت اللبن وتعليل للحكم وزمان المقتين واحد قالوا ربنا امتنا اثنتين اماتتين بان خلقتنا امواتا اولا ثم صيرتنا امواتا عند انقضاء آجالنا فان الاماتة جعل الشئ عادم الحياة ابتدآء او بتصيير كالتصغير والتكبير ولذلك قيل سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل وان خص بالتصيير فاختيار الفاعل احد مقبوليه تصيير وصرف له عن الآخر واحييتنا اثنتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وقيل الاماتة الاولى عند انخرام الاجل والثانية فى القبر بعد الاحياء للسؤال والاحياآن ما فى القبر والبعث اذ المقصود اعترافهم بعد المعاينة بما غفلوا عنه ولم يكترثوا به ولذلك تسبب بقوله فاعترفنا بذنوبنا فان اقترافهم لها من اغترارهم بالدنيا وانكارهم للبعث فهل الى خروج نوع خروج من النار من سبيل طريق فنسلكه وذلك انما يقولونه من فرط قنوطهم تعللا وتحيرا ولذلك اجيبوا بقوله ذلكم الذى انتم فيه بانه بسبب انه اذا دعى الله وحده متحدا او توحد وحده فحذف الفعل واقيم مقامه فى الحالية كفرتم بالتوحيد وان يشرك به تؤمنوا بالاشراك فالحكم لله المستحق للعبادة حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد العلى عن ان يشرك به ويسوى بغيره الكبير على من اشرك وسوى به بعض مخلوقاته فى استحقاق العبادة هو الذى يريكم اياته الدالة على التوحيد وسائر ما يجب ان يعلم تكميلا لنفوسكم وينزل لكم من السماء رزقا اسباب رزق كالمطر مراعاة لمعاشكم وما يتذكر بالايات التى هى كالمركوزة فى العقول لظهورها المغفول عنها للانهماك فى التقليد واتباع الهوى الا من ينيب يرجع عن الانكار بالاقبال عليها والتفكر فيها فان الجازم بشئ لاينظر فيما ينافيه فادعوا الله مخلصين له الدين من الشرك ولو كره الكافرون اخلاصكم وشق عليهم

الْكَافِرُونَ ﴿١٥﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٦﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ
لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٧﴾
الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿١٨﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ
كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٩﴾ يَعْلَمُ
خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ
الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ
عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ

رفيع الدرجات ذو العرش خبران آخران للدلالة على علو صمديته من حيث المعقول والمحسوس الدال على تفرده في الالوهية فان من ارتفعت درجات كماله بحيث لا يظهر دونها كمال وكان العرش الذى هو اصل العالم الجسماني في قبضة قدرته لا يصح ان يشرك به وقيل الدرجات مراتب المخلوقات او مصاعد الملئكة الى العرش او السموات او درجات الثواب وقرئ رفيع بالنصب على المدح يلقى الروح من امره خبر رابع للدلالة على ان الروحانيات ايضا مسخرات لامره باظهار آثارها وهو الوحى وتمهيد للنبوة بعد تقرير التوحيد والروح الوحى ومن امره بيانه لانه امر بالخير او مبدأ والامر هو الملك المبلغ على من يشاء من عباده يختاره للنبوة وفيه دليل على انها عطائية لينذر غاية الالقاء والمستكن فيه لله تعالى او لمن او للروح واللام مع القرب يؤيد الثانى يوم التلاق يوم القيمة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد واهل السماء والارض والمعبودون والعباد والاعمال والعمال يوم هم بارزون خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء او ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء من اعيانهم واعمالهم واحوالهم وهو تقرير لقوله هم بارزون وازاحة لنحو ما يتوهم في الدنيا لمن الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به او لما دل عليه ظاهر الحال فيه من زوال الاسباب وارتفاع الوسائط واما حقيقة الحال فناطقة بذلك دائما اليوم تجزى كل نفس بما كسبت كانه نتيجة لما سبق وتحقيقه ان النفوس تكتسب بالعقائد والاعمال هيئات توجب لذتها والمها لكنها لا تشعر بها في الدنيا لعوائق تشغلها فاذا قامت قيامتها زالت العوائق وادركت لذتها والمها لا ظلم اليوم بنقص الثواب وزيادة العقاب ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيصل اليهم ما يستحقونه سريعا وانذرهم يوم الآزفة اى القيمة سميت بها لازوفها اى قربها او الخطة الآزفة وهى مشارفتهم النار وقيل الموت اذ القلوب لدى الحناجر فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيتروحوا ولا تخرج فيستريحوا كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى لانه على الاضافة او منها او من ضميرها في لدى وجمعه كذلك لان الكظم من افعال العقلاء كقوله فظلت اعناقهم لها خاضعين او من مفعول انذرهم على انه حال مقدرة ما للظالمين من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع ولا شفيع مشفع والضمائر ان كانت للكفار وهو الظاهر كان وضع الظالمين موضع ضميرهم للدلالة على اختصاص ذلك بهم وانه لظلمهم يعلم خائنة الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين وما تخفى الصدور من الضمائر والجملة خبر خامس للدلالة على انه ما من خفى الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضى بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضى بشيء الا وهو حقه والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال فيه انه يقضى او لا يقضى وقرأ نافع وهشام بالتاء على الالتفات او اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم مآل حال الذين كذبوا الرسل قبلهم كعاد وثمود كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا وانما جيء بالفصل وحقه ان يقع بين معرفتين لمضارعة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع والمدائن الحصينة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق يمنع العذاب عنهم

ذلك

ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والاحكام الواضحة فكفروا فاخذهم الله انه قوى متمكن مما يريده غاية التمكن شديد العقاب لايؤبه بعقاب دون عقابه ولقد ارسلنا موسى باياتنا يعنى المعجزات وسلطان مبين وحجة ظاهرة قاهرة والعطف لتغاير الوصفين اولافراد ابين المعجزات كالعصا تفخيما لشانه الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يعنون موسى وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان لعاقبة من هو اشد الذين كانوا من قبلهم بطشا واقربهم زمانا فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين امنوا معه واستحيوا نساءهم اى اعيدوا عليهم ماكنتم تفعلون بهم اولا كى يصدوا عن مظاهرة موسى وماكيد الكافرين الا فى ضلال فى ضياع ووضع الظاهر فيه موضع الضمير لتعميم الحكم والدلالة على العلة وقال فرعون ذرونى اقتل موسى كانوا يكفونه عن قتله ويقولون انه ليس الذى تخافه بل هو ساحر ولو قتله ظن انك عجزت عن معارضته بالحجة وتعلله بذلك مع كونه سفاكا فى اهون شئ دليل على انه تيقن انه نبى فخاف من قتله اوظن انه لوجادله لم يتيسر له ويؤيده قوله وليدع ربه فانه تجلد وعدم مبالات بدعاء ربه انى اخاف ان لم اقتله ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه من عبادتى وعبادة الاصنام كقوله ويذرك والهتك او ان يظهر فى الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج اذلم يقدر ان يبطل دينكم بالكلية وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو وابن عامر بالواو على معنى الجمع وابن كثير وابن عامر والكوفيون غير حفص بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقال موسى اى لقومه لما سمع كلامه انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب صدر الكلام بان تأكيدا واشعارا على ان السبب المؤكد فى دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب لان المطلوب هو الحفظ والتربية واضافته اليه واليهم حثا لهم على موافقته لما فى تظاهر الارواح من استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون وذكر وصفا يعمه وغيره لتعميم الاستعاذة ورعاية الحق والدلالة على الحامل له على القول وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى عدت فيه وفى الدخان بالادغام وعن نافع مثله وقال رجل مؤمن من ال فرعون من اقاربه وقيل من متعلق بقوله يكتم ايمانه والرجل اسرائيلى او غريب موحد كان ينافقهم اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او وقت ان يقول من غير روية وتأمل فى امره ربى الله وحده وهو فى الدلالة على الحصر مثل صديقى زيد وقد جاءكم بالبينات المتكثرة على صدقه من المعجزات والاستدلالات

مِنَ اللّٰهِ مِنْ وَاقٍ (٢٢) ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَانَتْ تَاْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَاَخَذَهُمُ اللّٰهُ اِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٣) وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا مُوسٰى بِاٰيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٤) اِلٰى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٥) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا اَبْنَاءَ الَّذِينَ اٰمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ اِلَّا فِي ضَلَالٍ (٢٦) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي اَقْتُلْ مُوسٰى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ اِنِّي اَخَافُ اَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ اَوْ اَنْ يُظْهِرَ فِي الْاَرْضِ الْفَسَادَ (٢٧) وَقَالَ مُوسٰى اِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٨) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ اٰلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ اِيمَانَهُ اَتَقْتُلُونَ رَجُلًا اَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّٰهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ

من ربكم اضافه اليهم بعد ذكر البينات احتجاجا عليهم واستدراجا لهم الى الاعتراف به ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا
فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلا اقل من ان يصيبكم بعضه وفيه مبالغة في التحذير
واظهار للانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذبا او يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كانه خوفهم بما هو اظهر احتمالا عندهم وتفسير
البعض بالكل كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها مردود لانه اراد بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب
احتجاج ثالث ذو وجهين احدهما انه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله الى البينات ولما عضده بتلك المعجزات وثانيهما ان من خذله الله واهلكه فلا حاجة لكم الى قتله
ولعله اراد به المعنى الاول وخيل اليهم الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله تعالى سبيل الصواب وسبيل النجاة يا قوم لكم

مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ
بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٩﴾
يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ
اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ
إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ
مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَ
الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣٢﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ
مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ
جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ
بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ

الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين في الارض ارض مصر فمن
ينصرنا من بأس الله ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا لبأس
الله تعالى بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما ادرج نفسه في
الضميرين لانه كان منهم في القرابة وليريهم انه معهم ومساهمهم
فيما ينصحهم قال فرعون ما اريكم ما اشير اليكم الا ما ارى الا
ما استصوبه من قتله وما اهديكم وما اعلمكم الا ما علمت
من الصواب وقلبي ولساني متواطئان عليه الا سبيل الرشاد طريق
الصواب وقرئ بالتشديد على انه فعال للمبالغة من رشد كعلام او من
رشد كعباد لا من ارشد كجبار لانه مقصور على السماع او للنسبة الى
الرشد كعواج وبتات وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم في
تكذيبه والتعرض له مثل يوم الاحزاب مثل ايام الامم الماضية
يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود مثل جزاء ما كانوا عليه دائبا من الكفر وايذاء
الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما للعباد
فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ
من قوله وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفي فيه نفي حدوث تعلق
ارادته بالظلم ويا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم القيمة
ينادي فيه بعضهم بعضا للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور
او يتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار كما حكي في الاعراف
وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله يوم يفر المرء
من اخيه يوم تولون عن الموقف مدبرين
منصرفين عنه الى النار وقيل فارين منها مالكم من الله من عاصم
يعصمكم من عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف
يوسف بن يعقوب على ان فرعونه فرعون موسى او على نسبة
احوال الاباء الى الاولاد او سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف صلى الله عليه وسلم من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات فما زلتم
في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب رسالته تكذيب رسالة من
بعده او جزما بان لا يبعث بعده رسول مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث الله على ان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث

كذلك مثل ذلك الاضلال يضل الله في العصيان من هو مسرف مرتاب شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون في آيات الله بدل من الموصول الاول لانه بمعنى الجمع بغير سلطان بغير حجة بل اما بتقليد او شبهة داحضة أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا فيه ضمير من وافراده للفظ ويجوز ان يكون الذين مبتدأ وخبره كبر على حذف مضاف اي وجدال الذين يجادلون كبر مقتا او بغير سلطان وفاعل كبر كذلك اي كبر مقتا مثل ذلك الجدال فيكون قوله يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استئنافا للدلالة على الموجب لجدالهم وقرأ ابن عامر وابن ذكوان قلب بالتنوين على وصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما كقولهم رأت عيني وسمعت اذني او على حذف مضاف اي على كل ذي قلب متكبر وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها ثم ايضاحها

يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٧﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٩﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا

تفخيم لشأنها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى عطف على ابلغ وقرأ حفص بالنصب على جواب الترجي ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله اياه او ان يرى فساد قول موسى بان اخباره من اله السماء متوقف على اطلاعه ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجهله بالله وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا في دعوى الرسالة وكذلك ومثل ذلك التزيين زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل سبيل الرشاد والفاعل على الحقيقة هو الله تعالى ويدل عليه انه قرئ وزين بالفتح وبتوسط الشيطان وقرأ الحجازيان والشامي وابو عمرو وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وقال الذي آمن يعني مؤمن آل فرعون وقيل موسى يا قوم اتبعون اهدكم بالدلالة سبيل الرشاد سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع تمتع يسير لسرعة زوالها وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها عدلا من الله وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بمثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة بغير حساب بغير تقدير وموازنة بالعمل بل اضعافا مضاعفة فضلا منه ورحمة ولعل تقسيم العمال وجعل الجزاء اسمية مصدرة باسم الاشارة وتفضيل الثواب لتغليب الرحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للدلالة على انه شرط في اعتبار العمل وان ثوابه اعلى من ذلك

ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة الغفلة واهتماما بالمنادى له ومبالغة فى توبيخهم على ما يقابلون به نصحه وعطفه على النداء الثانى الداخل على ما هو بيان لما قبله ولذلك لم يعطف على الاول فان ما بعده ايضا تفسير لما اجمل فيه تصريحا او تعريضا او على الاول تدعوننى لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية فى التعدية بالى واللام واشرك به ماليس لى به بربوبيته علم والمراد نفى المعلوم والاشعار بان الالوهية لابد لها من برهان واعتقادها لايصح الاعن ايقان وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع لصفات الالوهية من كمال القدرة والغلبة وما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب والغفران لاجرم لارد لما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق وفاعله انما تدعوننى اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الاخرة اى حق عدم دعوة المتكلم الى عبادتها اصلا لانها جمادات ليس لها ما يقتضى الوهيتها او عدم دعوة مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اى كسب ذلك الدعاء اليه ان لا دعوة له بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل فعل من الجرم بمعنى القطع كما ان بدا من لابد فعل من التبديد وهو التفريق والمعنى لاقطع لبطلان دعوة الوهية الاصنام اى لاينقطع فى وقت ما فينقلب حقا ويؤيده قولهم لاجرم انه يفعل لغة فيه كالرشد والرشد وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين فى الضلالة والطغيان كالاشراك وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون فسيذكر بعضكم بعضا عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصيحة وافوض امرى الى الله ليعصمنى من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم وكانه جواب توعدهم المفهوم من قوله فوقيه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وقيل الضمير لموسى وحاق بال فرعون بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه فانه فر الى جبل فاتبعه طائفة فوجدوه يصلى والوحوش صفوف حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق والقتل او النار النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة او النار خبر محذوف ويعرضون استئناف للبيان او بدل ويعرضون حال منها او من الآل وقرئت منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك لارواحهم كما روى ابن مسعود رضى الله عنه ان ارواحهم فى اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا الى يوم القيمة وذكر الوقتين يحتمل التخصيص والتأبيد وفيه دليل على بقاء النفس وعذاب القبر ويوم تقوم الساعة اى هذا ما دامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون يا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فانه اشد مما كانوا فيه او اشد عذاب جهنم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ويعقوب وحفص ادخلوا على امر الملئكة بادخالهم النار واذ يتحاجون فى النار واذكر وقت تخاصمهم فيها ويحتمل عطفه على غدوا فيقول الضعفاء للذين استكبروا تفصيل له انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم فى جمع خادم او ذوى تبع بمعنى اتباع على الاضمار او التجوز فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او الحمل ونصيبا مفعول لما دل عليه مغنون او له بالتضمين او مصدر كشيئا فى قوله لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فيكون من صلة لمغنون

بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤١﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤٢﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٣﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٤﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٥﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۝ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٨﴾ قَالَ الَّذِينَ



أستكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد ﴿٤٩﴾
وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا
يوما من العذاب ﴿٥٠﴾ قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال ﴿٥١﴾
إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم
الأشهاد ﴿٥٢﴾ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة
ولهم سوء الدار ﴿٥٣﴾ ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا
بني إسرائيل الكتاب ﴿٥٤﴾ هدى وذكرى لأولي الألباب ﴿٥٥﴾
فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك
بالعشي والإبكار ﴿٥٦﴾ إن الذين يجادلون في آيات الله
بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه

قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التأكيد لانه بمعنى كلنا وتنوينه عوض
عن المضاف اليه ولا يجوز جعله حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم كقولك كل يوم لك ثوب ان الله
قد حكم بين العباد بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لا معقب لحكمه وقال الذين في النار لخزنة جهنم اي لخزنتها فوضع جهنم
موضع الضمير للتهويل او لبيان محلهم فيها ويحتمل ان يكون جهنم ابعد دركاتها من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر ادعوا ربكم يخفف عنا يوما
قدر يوم من العذاب شيئا من العذاب ويجوز ان يكون المفعول يوما بحذف المضاف ومن العذاب بيانه قالوا اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات
ارادوا به الزامهم للحجة وتوبيخهم على اضاعتهم اوقات الدعاء وتعطيلهم اسباب الاجابة قالوا بلى قالوا فادعوا فانا لا نجترئ فيه اذ لم يؤذن
لنا في الدعاء لامثالكم وفيه اقناط لهم من الاجابة وما دعاء الكافرين
الا في ضلال ضياع لا يجاب انا لننصر رسلنا والذين آمنوا
بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة في الحياة الدنيا ويوم
يقوم الاشهاد اي في الدارين ولا ينتقض ذلك بما كان لاعدائهم
عليهم من الغلبة احيانا اذ العبرة بالعواقب وغالب الامر والاشهاد
جمع شاهد كصاحب واصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيمة
للشهادة على الناس من الملئكة والانبياء والمؤمنين
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم نفع
المعذرة لانها باطلة او لانه لا يؤذن لهم فيعتذرون وقرأ غير
الكوفيين ونافع بالتاء ولهم اللعنة البعد من الرحمة
ولهم سوء الدار جهنم ولقد آتينا موسى الهدى
ما يهتدى به في الدين من المعجزات والصحف والشرائع واورثنا
بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم بعده من ذلك التورية
هدى وذكرى هداية وتذكرة او هاديا ومذكرا لاولي الالباب
لذوي العقول السليمة فاصبر على اذى المشركين ان وعد الله
حق بالنصر لا يخلفه واستشهد بحال موسى وفرعون
واستغفر لذنبك واقبل على امر دينك وتدارك فرطاتك كترك الاولى
والاهتمام بامر العدى بالاستغفار فانه تعالى كافيك في النصر
واظهار الامر وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار ودم على
التسبيح والتحميد لربك وقيل صل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة
ركعتان بكرة وركعتان عشيا ان الذين يجادلون في آيات
الله بغير سلطان اتاهم عام في كل مجادل مبطل وان نزلت
في مشركي مكة او اليهود حين قالوا لست صاحبنا بل هو المسيح
بن داود يبلغ سلطانه البر والبحر ويسير معه الانهار ان
في صدورهم الا كبر الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم او ارادة الرياسة او ان النبوة والملك لا يكون الا لهم ما هم ببالغيه
ببالغي دفع الآيات او المراد

فاستعذ بالله فالتجئ اليه انه هو السميع البصير لاقوالهم وافعالهم لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس فمن قدر على خلقها مع عظمها اولا من غير اصل قدر على خلق الانسان ثانيا من اصل وهو بيان لاشكل ما يجادلون فيه بامر التوحيد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لفرط غفلتهم واتباعهم اهوآءهم وما يستوى الاعمى والبصير الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيئ والمحسن والمسيئ فينبغي ان يكون لهم حال يظهر فيها التفاوت وهى فيما بعد البعث وزيادة لا فى المسيئ لان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة والعاطف الثانى عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين فى المقصود او الدلالة بالصراحة والتمثيل قليلا ما يتذكرون اى تذكرا ما قليلا يتذكرون والضمير للناس او الكفار وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب او الالتفات او امر الرسول بالمخاطبة ان الساعة لاتية لا ريب فيها فى مجيئها لوضوح الدلالة على جوازها واجماع الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور نظرهم على ظاهر ما يحسون به وقال ربكم ادعونى اعبدونى استجب لكم اثب لكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين صاغرين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلا منزلته للمبالغة او المراد بالعبادة الدعاء فانه من ابوابها وقرأ ابن كثير وابو بكر سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه لتستريحوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدى الى ضعف المحركات وهدوء الحواس والنهار مبصرا يبصر فيه او به واسناد الابصار اليه مجاز فيه مبالغة ولذلك عدل به عن التعليل الى الحال ان الله لذو فضل على الناس لا يوازيه فضل وللاشعار به لم يقل لمفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواقع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المخصوص بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصص اللاحقة السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فانى تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اى كما افكوا افك عن الحق كل من جحد بايات الله ولم يتأملها

فَاسْتَعِذْ بِاللّٰهِ اِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٧﴾ لَخَلْقُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ اَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى الْاَعْمٰى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٩﴾ اِنَّ السَّاعَةَ لَاٰتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى اَسْتَجِبْ لَكُمْ اِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦١﴾ اَللّٰهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا اِنَّ اللّٰهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ فَاَنّٰى تُؤْفَكُونَ ﴿٦٣﴾ كَذٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِاٰيَاتِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٤﴾

الله الذى جعل لكم الارض قرارا والسماء بناء استدلال ثان بافعال اخر مخصوصة وصوركم فاحسن صوركم بان خلقكم منتصبي القامة بادى البشرة متناسبي الاعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اللذائذ ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين فان كل ما سواه مربوب مفتقر بالذات معرض للزوال هو الحى المتفرد بالحياة الذاتية لا اله الا هو اذ لا موجود يساويه او يدانيه فى ذاته وصفاته فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين اى الطاعة من الشرك والرياء الحمد لله رب العالمين قائلين له قل انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى من الحجج او من الايات فانها مقوية لادلة العقل منبهة عليها وامرت ان اسلم لرب العالمين ان انقاد له واخلص له دينى هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اطفالا والتوحيد لارادة الجنس او على تأويل كل واحد منكم ثم لتبلغوا اشدكم اللام فيه متعلقة بمحذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا فى قوله ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا قرأ نافع وابو عمرو وحفص وهشام شيوخا بضم الشين وقرئ بالكسر وشيخا كقوله طفلا ومنكم من يتوفى من قبل من قبل الشيخوخة او بلوغ الاشد ولتبلغوا ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت او يوم القيمة ولعلكم تعقلون ما فى ذلك من الحجج والعبر هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى امرا فاذا اراده فانما يقول له كن فيكون فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجشم كلفة والفاء الاولى للدلالة على ان ذلك نتيجة ما سبق من حيث انه يقتضى قدرة ذاتية غير متوقفة على العدد والمواد الم تر الى الذين يجادلون فى ايات الله انى يصرفون عن التصديق به وتكرير ذم المجادلة لتعدد المجادل والمجادل فيه او للتأكيد

اَللّٰهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ
فَاَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ
رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ هُوَ الْحَيُّ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ
فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ قُلْ اِنِّى
نُهِيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ لَمَّا جَآءَنِىَ الْبَيِّنَاتُ
مِنْ رَبِّى وَاُمِرْتُ اَنْ اُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ
مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ
لِتَبْلُغُوٓا اَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفّٰى
مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا اَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ هُوَ
الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ فَاِذَا قَضٰٓى اَمْرًا فَاِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ
﴿٦٩﴾ اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِىٓ اٰيَاتِ اللّٰهِ اَنّٰى يُصْرَفُونَ ﴿٧٠﴾

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ

الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنس الكتب السماوية وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب والوحى والشرائع فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال فى اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال والتعبير بلفظ المضى لتيقنه والسلاسل عطف على الاغلال او مبتدأ خبره يسحبون فى الحميم والعائد محذوف اى يسحبون بها وهو على الاول حال وقرئ والسلاسل بالجر حملا على المعنى اذ الاغلال فى اعناقهم بمعنى اعناقهم فى الاغلال واضمار الباء ويدل عليه القراءة والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية ثم فى النار يسجرون يحرقون من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه سجر بالحب اى ملئ والمراد انهم يعذبون بانواع من العذاب وينقلون من بعضها الى بعض ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عنا وذلك قبل ان يقرن بهم آلهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد منهم ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم فانهم ليسوا شيئا يعتد به كقولك حسبته شيئا فلم يكن كذلك مثل هذا الضلال يضل الله الكافرين حتى لا يهتدوا الى شئ ينفعهم فى الآخرة او يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون فى الارض تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون فى الفرح والعدول الى الخطاب للمبالغة فى التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم الابواب السبعة المقسومة لكم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق جهنم وكان مقتضى النظم فبئس مدخل المتكبرين ولكن لما كان الدخول المقيد بالخلود سبب الثواء عبر بالمثوى فاصبر ان وعد الله بهلاك الكافرين حق كائن لا محالة فاما نرينك فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية فلذلك لحقت النون الفعل ولا تلحق مع ان وحدها بعض الذى نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ان تراه فالينا يرجعون يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم فى حياتك او لم نعذبهم فانا نعذبهم فى الآخرة اشد العذاب ويدل على شدته الاقتصار بذكر الرجوع فى هذا المعرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الفا والمذكور قصتهم اشخاص معدودة وما كان لرسول ان يأتى باية الا باذن الله فان المعجزات عطايا قسمها بينهم على ما اقتضته حكمته كسائر القسم ليس لهم اختيار فى ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها

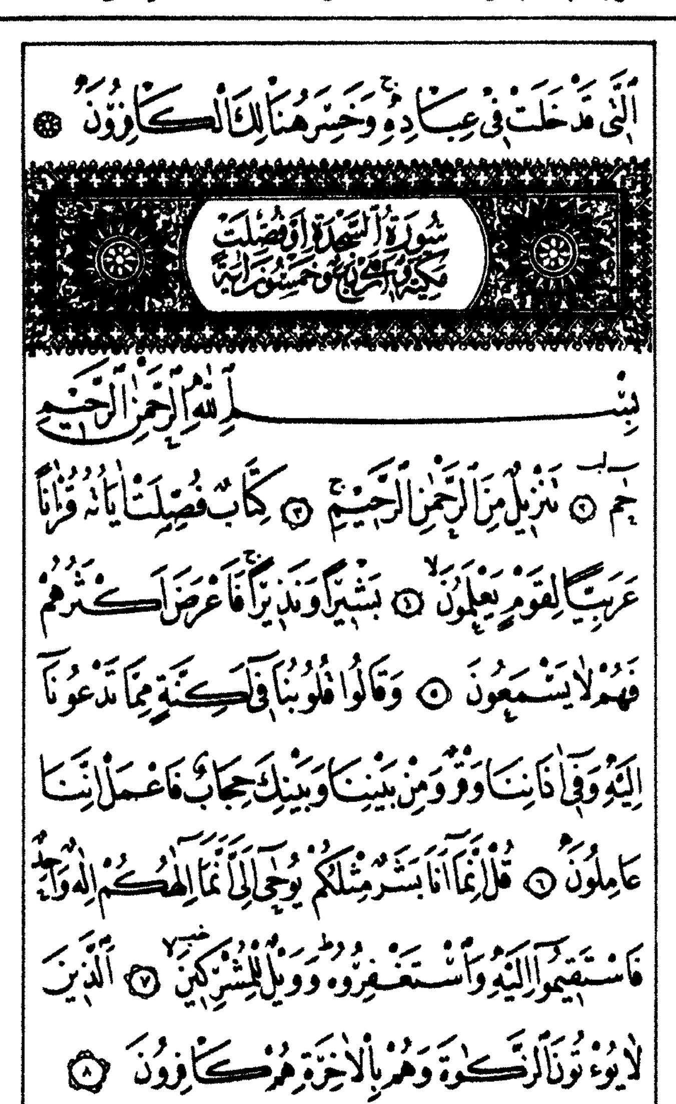
فاذا جاء امر الله بالعذاب فى الدنيا والاخرة قضى بالحق بانجاء المحق وتعذيب المبطل وخسر هنالك المبطلون المعاندون باقتراح الآيات بعد ظهور ما يغنيهم عنها الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون فان من جنسها ما يؤكل كالغنم ومنها ما يؤكل ويركب وهو الابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم بالمسافرة عليها وعليها فى البر وعلى الفلك فى البحر تحملون وانما قال على الفلك ولم يقل فى الفلك للمزاوجة وتغيير النظم فى الاكل لانه فى حيز الضرورة وقيل لانه يقصد به التعيش والتلذذ والركوب والمسافرة عليها قد يكونان لاغراض دينية واجبة او مندوبة او للفرق بين العين والمنفعة ويريكم اياته دلائله الدالة على كمال قدرته وفرط رحمته فاى ايات الله اى فاى آية من تلك الايات تنكرون فانها لظهورها لا تقبل الانكار وهو ناصب اى اذ لو قدرته متعلقا بضميره كان الاولى رفعه والتفرقة بالتاء فى اى اغرب منها فى الاسماء غير الصفات لابهامه افلم يسيروا

امرُ الله قُضِىَ بالحقِّ وخَسِرَ هنالكَ المُبطِلونَ ﴿٧٨﴾ اللهُ الذى جعلَ لكمُ الأنعامَ لتركبوا منها ومنها تأكلونَ ﴿٧٩﴾ ولكم فيها منافعُ ولتبلغوا عليها حاجةً فى صدورِكم وعليها وعلى الفُلكِ تُحملونَ ﴿٨٠﴾ ويُريكم آياتِهِ فأىَّ آياتِ اللهِ تُنكرونَ ﴿٨١﴾ أفلم يسيروا فى الأرضِ فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذينَ من قبلِهم كانوا أكثرَ منهم وأشدَّ قوةً وآثارًا فى الأرضِ فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبونَ ﴿٨٢﴾ فلما جاءتهم رسلُهم بالبيناتِ فرحوا بما عندهم منَ العلمِ وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزءونَ ﴿٨٣﴾ فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا باللهِ وحدَهُ وكفرنا بما كنا به مشركينَ ﴿٨٤﴾ فلم يكُ ينفعُهم إيمانُهم لما رأوا بأسنا سُنَّتَ اللهِ

فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا فى الارض ما بقى منهم من القصور والمصانع ونحوها وقيل آثار اقدامهم فى الارض لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة او مصدرية مرفوعة به فلما جاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والآيات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم واستحقروا علم الرسل والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة كقوله بل ادارك علمهم فى الاخرة وهو قولهم لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ونحوها وسماها علما على زعمهم تهكما بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او علم الانبياء وفرحهم به فرح ضحكهم منه واستهزائهم به ويؤيده وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما رأوا تمادى جهل الكفار وسوء عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قال لم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لان قوله فما اغنى كالنتيجة لقوله كانوا اكثر منهم والثانية لان قوله فلما جاءتهم كالتفسير لقوله فما اغنى والباقيتان لان رؤية البأس مسببة عن مجئ الرسل وامتناع نفع الايمان مسبب عن الرؤية

سنة الله التي قد خلت في عباده اى سن الله ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك الكافرون اى وقت رؤيتهم الباس اسم مكان استعير للزمان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

سورة حم السجدة وآيها خمسون واربع آيات مكية بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته مبتدأ فخبره تنزيل من الرحمن الرحيم وان جعلته تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف او مبتدأ لتخصصه بالصفة وخبره كتاب وهو على الاولين بدل منه او خبر آخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة في النظم والمعنى واضافة التنزيل الى الرحمن الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته ميزت باعتبار اللفظ والمعنى وقرئ فصلت اى فصل بعضها من بعض باختلاف الفواصل والمعاني او فصلت بين الحق والباطل قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من فصلت وفيه امتنان بسهولة قراءته وفهمه لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وهو صفة اخرى لقرآنا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات بشيرا ونذيرا للعاملين به والمخالفين له وقرئتا بالرفع على الصفة لكتاب او الخبر لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره وقبوله فهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة وقالوا قلوبنا في اكنة اغطية جمع كنان مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر صمم واصله الثقل وقرئ بالكسر ومن بيننا وبينك حجاب يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ منهم ومنه بحيث استوعب المسافة المتوسطة ولم يبق فراغ وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك ما يدعوهم اليه واعتقاده ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فاعمل على دينك او في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا او في ابطال امرك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد يدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل فاستقيموا اليه فاستقيموا في افعالكم متوجهين اليه او فاستووا اليه بالتوحيد والاخلاص في العمل واستغفروه مما انتم عليه من سوء العقيدة والعمل ثم هددهم على ذلك فقال وويل للمشركين من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله الذين لا يؤتون الزكوة لبخلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من اعظم الرذائل وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل معناه لا يفعلون ما يزكي انفسهم وهو الايمان والطاعة وهم بالاخرة هم كافرون حال مشعرة بان امتناعهم عن الزكوة لاستغراقهم في طلب الدنيا وانكارهم للاخرة


الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

سُورَةُ السَّجْدَةِ أَوْ فُصِّلَتْ مَكِّيَّةٌ أَرْبَعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾



ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون لايمن به عليهم من المن واصله الثقل ولا يقطع من مننت الحبل اذا قطعته وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في مقدار يومين او بنوبتين وخلق في كل نوبة ما خلق في اسرع ما يكون ولعل المراد من الارض ما في جهة السفل من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين انه خلق لها اصلا مشتركا ثم خلق لها صورا بها صارت انواعا وكفرهم به الحادهم في ذاته وصفاته وتجعلون له اندادا ولا يصح ان يكون له ند ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين خالق جميع ما وجد من الممكنات ومربيها وجعل فيها رواسي استئناف غير معطوف على خلق للفصل بما هو خارج عن الصلة من فوقها مرتفعة عليها ليظهر للنظار ما فيها من وجوه الاستبصار وتكون منافعها معرضة للطلاب وبارك فيها واكثر خيرها بان خلق فيها انواع النبات والحيوانات وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش بها او اقواتا تنشأ منها بان خص حدوث كل قوت بقطر من اقطارها وقرئ وقسم فيها اقواتها في اربعة ايام في تتمة اربعة ايام كقولك سرت من البصرة الى بغداد في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما ولعله قال ذلك ولم يقل في يومين للاشعار باتصالهما باليومين الاولين والتصريح على الفذلكة سواء اي استوت سواء بمعنى استواء والجملة صفة ايام ويدل عليه قراءة يعقوب بالجر وقيل حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع على هي سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بقدر اي قدر فيها الاقوات للطالبين لها ثم استوى الى السماء قصد نحوها من قولهم استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوي على غيره والظاهر ان ثم لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة لقوله والارض بعد ذلك دحيها ودحوها متقدم على خلق الجبال من فوقها وهي دخان امر ظلماني ولعله اراد به مادتها او الاجزاء المتصغرة التي ركبت منها فقال لها وللارض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وابرزا ما اودعتكما من الاوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة او ائتيا في الوجود على ان الخلق السابق بمعنى التقدير او الترتيب للرتبة او الاخبار او اتيان السماء حدوثها واتيان الارض ان تصير مدحوة وقد عرفت ما فيه او ليأت كل منكما الاخرى في حدوث ما اريد توليده منكما ويؤيده قراءة آتيا من المؤاتاة اي ليوافق كل واحدة اختها فيما اردت منكما طوعا او كرها شئتما ذلك او ابيتما والمراد اظهار كمال قدرته ووجوب وقوع مراده لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال قالتا اتينا طائعين منقادين بالذات والاظهر ان المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلهما بامر المطاع واجابة المطيع الطائع كقوله كن فيكون وما قيل انه تعالى خاطبهما واقدرهما على الجواب انما يتصور على الوجه الاول والاخير وانما قال طائعين على المعنى باعتبار كونهما مخاطبتين

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٩﴾ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴿١١﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٢﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٣﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٤﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ

كقوله ساجدين فقضيهن سبع سموات فخلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن والضمير للسماء على المعنى او مبهم وسبع سموات حال على الاول وتمييز على الثاني في يومين قيل خلق السموات يوم الخميس والشمس والقمر والنجوم يوم الجمعة واوحى في كل سماء امرها شأنها وما يتأتى منها بان حملها عليه اختيارا او طبعا وقيل اوحى الى اهلها باوامره وزينا السماء الدنيا بمصابيح فان الكواكب كلها ترى كانها تتلألأ عليها وحفظا اي وحفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا وقيل مفعول له على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم البالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا عن الايمان بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وهي المرة من الصعق او الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا

مَلٰٓئِكَةً فَاِنَّا بِمَآ اُرْسِلْتُمْ بِهٖ كٰفِرُوْنَ ﴿١٥﴾ فَاَمَّا عَادٌ
فَاسْتَكْبَرُوْا فِى الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوْا مَنْ اَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً
اَوَلَمْ يَرَوْا اَنَّ اللّٰهَ الَّذِىْ خَلَقَهُمْ هُوَ اَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوْا
بِاٰيٰتِنَا يَجْحَدُوْنَ ﴿١٦﴾ فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيْحًا صَرْصَرًا فِىْٓ اَيَّامٍ
نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيْقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْىِ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ
الْاٰخِرَةِ اَخْزٰى وَهُمْ لَا يُنْصَرُوْنَ ﴿١٧﴾ وَاَمَّا ثَمُوْدُ فَهَدَيْنٰهُمْ
فَاسْتَحَبُّوا الْعَمٰى عَلَى الْهُدٰى فَاَخَذَتْهُمْ صٰعِقَةُ الْعَذَابِ
الْهُوْنِ بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ ﴿١٨﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَكَانُوْا
يَتَّقُوْنَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ اَعْدَآءُ اللّٰهِ اِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوْزَعُوْنَ ﴿٢٠﴾
حَتّٰٓى اِذَا مَا جَآءُوْهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَاَبْصَارُهُمْ وَجُلُوْدُهُمْ
بِمَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴿٢١﴾ وَقَالُوْا لِجُلُوْدِهِمْ لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنَا

اذجاءتهم الرسل حال من صاعقة عاد ولا يجوز جعله صفة لصاعقة اوظرفا لانذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم اتوهم من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة اومن جهة الزمن الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعدلهم في الاخرة وكل من اللفظين يحتملهما اومن قبلهم ومن بعدهم اذ قد بلغهم خبر المتقدمين واخبرهم هود وصالح عن المتأخرين داعيين الى الايمان بهم اجمعين ويحتمل ان يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى يأتيها رزقها رغدا من كل مكان الا تعبدوا الا الله بان لا تعبدوا اواى لا تعبدوا قالوا لوشاء ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة برسالته فانا بما ارسلتم به على زعمكم كافرون اذ انتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق فتعظموا فيها على اهلها بغير استحقاق وقالوا من اشد منا قوة اغترارا بقوتهم وشوكتهم قيل كان من قوتهم ان الرجل منهم ينزع الصخرة فيقلعها بيده اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم قوة قدرة فانه قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا يقدر عليه غيره وكانوا باياتنا يجحدون يعرفون انها حق وينكرونها وهو عطف على فاستكبروا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة تهلك بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع اوشديد الصوت في هبوبها من الصرير في ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد سعدا وقرأ الحجازيان والبصريان بالسكون على التخفيف او النعت على فعل او الوصف بالمصدر وقيل كن آخر شوال من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزى في الحيوة الدنيا اضاف العذاب الى الخزى وهو الذل على قصد وصفه به لقوله ولعذاب الاخرة اخزى وهو في الاصل صفة المعذب وانما وصف به العذاب على الاسناد المجازى للمبالغة وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الحجج وارسال الرسل وقرئ ثمود بالنصب بفعل مضمر يفسره ما بعده ومنونا في الحالين وبضم الثاء فاستحبوا العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون صاعقة من السماء فاهلكتهم واضافتها الى العذاب ووصفه بالهون للمبالغة بما كانوا يكسبون من اختيار الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار وقرأ نافع نحشر بالنون مفتوحة وضم الشين ونصب اعداء وقرئ يحشر على البناء للفاعل وهو الله تعالى فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم لئلا يتفرقوا وهى عبارة عن كثرة اهل النار حتى اذا ما جاؤها اذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون بان ينطقها الله او يظهر عليها آثارا تدل على ما اقترف بها فتنطق بلسان الحال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا سؤال توبيخ او تعجب ولعل المراد به نفس التعجب

قالوا انطقنا الله الذى نطق كل شئ اى ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الله الذى انطق كل شئ او ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى نطق كل حى ولو اوّل الجواب والنطق بدلالة الحال بقى الشئ عاما فى الموجودات الممكنة وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون يحتمل ان يكون تمام كلام الجلود وان يكون استئنافا وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم اى كنتم تستترون عن الناس عند ارتكاب الفواحش مخافة الفضاحة وما ظننتم ان اعضاءكم تشهد عليكم فما استترتم عنها وفيه تنبيه على ان المؤمن ينبغى ان يتحقق ان لا يمر عليه حال الا وعليه رقيب ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك اجترأتم على ما فعلتم وذلكم اشارة الى ظنهم هنا وهو مبتدأ وقوله ظنكم الذى ظننتم بربكم ارديكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارديكم خبرا فاصبحتم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للاستسعاد به فى الدارين سببا لشقاء المنزلين فان يصبروا فالنار مثوى لهم لا خلاص لهم عنها وان يستعتبوا يسألوا العتبى وهى الرجوع الى ما يحبّون فما هم من المعتبين

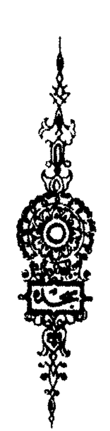
قَالُوٓا أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ
مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ
سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ
أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى
ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٤﴾ فَإِن
يَصْبِرُوا فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ
﴿٢٥﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ
وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَ
ٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَٰسِرِينَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا
لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَنُذِيقَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا

المجابين اليها ونظيره قوله تعالى حكاية اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسألوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا وقدرنا لهم للكفرة قرناء اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الاخرة وانكاره وحق عليهم القول اى كلمة العذاب فى امم فى جملة امم كقوله ان تك عن احسن الصنيعة مأ فوكا ففى آخرين قد أفكوا وهو حال من الضمير المجرور قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد عملوا مثل اعمالهم انهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعارضوه بالخرافات وارفعوا اصواتكم بها لتشوّشه على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اى تغلبونه على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا المراد بهم هؤلاء القائلون او عامة الكفار ولنجزينهم اسوء الذى كانوا يعملون سيئات اعمالهم وقد سبق مثله

ذلك اشارة الى الاسوء جزاء اعداء الله خبره النار عطف بيان للجزاء او خبر محذوف لهم فيها في النار دار الخلد فانها دار اقامتهم وهو كقولك في هذه الدار دار سرور وتعني بالدار عينها على ان المقصود هو الصفة جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ينكرون الحق ويلغون وذكر الجحود الذي هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس يعني شيطاني النوعين الحاملين على الضلالة والعصيان وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وابو بكر والسوسي ارنا بالتخفيف كفخذ في فخذ وقرأ الدوري باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا ندسهما من الدوس انتقاما منهما وقيل نجعلهما في الدرك الاسفل ليكونا من الاسفلين مكانا او ذلا ان الذين قالوا ربنا الله اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا في العمل وثم لتراخيه عن الاقرار في الرتبة من حيث انه مبدأ الاستقامة او لانها عسر قلما يتبع الاقرار وما روى عن الخلفاء الراشدين في معنى الاستقامة من الثبات على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض فجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة فيما يعن لهم بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن او عند الموت او الخروج من القبر ان لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم وان مصدرية او مخففة مقدرة بالباء بانه لا تخافوا او مفسرة وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا على لسان الرسل نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا نلهمكم الحق ونحملكم على الخير بدل ما كان الشيطان يفعل بالكفرة وفي الاخرة بالشفاعة والكرامة حيثما تتعادى الكفرة وقرناؤهم ولكم فيها في الاخرة ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعم من الاول نزلا من غفور رحيم حال من ما تدعون للاشعار بان ما تتمنون بالنسبة الى ما يعطون مما لا يخطر ببالهم كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الى عبادته وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال انني من المسلمين قاله تفاخرا به واتخاذا للاسلام دينا ومذهبا من قولهم هذا قول فلان لمذهبه والاية عامة لمن استجمع تلك الصفات وقيل نزلت في النبي عليه السلام وقيل في المؤذنين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة في الجزاء وحسن العاقبة ولا الثانية مزيدة لتاكيد النفي ادفع بالتي هي احسن ادفع السيئة حيث اعترضتك بالتي هي احسن منها وهي الحسنة على ان المراد بالاحسن الزائد مطلقا او باحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات وانما اخرجه مخرج الاستئناف على انه جواب من قال كيف اصنع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي اذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولي الشفيق

يعملون ﴿٢٨﴾ ذلك جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد
جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون ﴿٢٩﴾ وقال الذين كفروا
ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت
اقدامنا ليكونا من الاسفلين ﴿٣٠﴾ ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ﴿٣١﴾ نحن اولياؤكم في
الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما تشتهي انفسكم
ولكم فيها ما تدعون ﴿٣٢﴾ نزلا من غفور رحيم ﴿٣٣﴾ ومن احسن
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ﴿٣٤﴾
ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم ﴿٣٥﴾ وما يلقيها

وما يلقيها وما يلقى هذه السجية وهي مقابلة الاساءة بالاحسان الا الذين صبروا فانها تحبس النفس عن الانتقام وما يلقيها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخس شبه به وسوسته لانها بعث على ما لا ينبغي كالدفع بما هو اسوأ وجعل النزغ نازغا على طريقة جد جده او اريد به نازغ وصفا للشيطان بالمصدر فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع لاستعاذتك العليم بنيتك او بصلاحك ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما مخلوقان مأموران مثلكم واسجدوا لله الذي خلقهن الضمير للاربعة المذكورة والمقصود تعليق الفعل بهما اشعارا بانهما من عداد ما لا يعلم ولا يختار ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اخص العبادات وهو موضع السجود عندنا لاقتران الامر به وعند ابي حنيفة آخر الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار اي دائما لقوله وهم لا يسأمون اي لا يملون ومن اياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت اي زادت ان الذي احياها بعد موتها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير من الاحياء والاماتة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة في اياتنا بالطعن والتحريف والتأويل الباطل واللغو فيها لا يخفون علينا فنجازيهم على الحادهم افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيمة قابل الالقاء في النار بالاتيان امنا مبالغة في احماد حال المؤمنين اعملوا ما شئتم تهديد شديد انه بما تعملون بصير وعيد بالمجازاة ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله ان الذين يلحدون في اياتنا او مستأنف وخبران محذوف مثل معاندون او هالكون او اولئك ينادون والذكر القرآن



إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ

وانه لكتاب عزيز كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات او مما فيه من الاخبار الماضية والامور الآتية تنزيل من حكيم واى حكيم حميد يحمده كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه ما يقال لك اى ما يقول لك كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك الا مثل ما قال لهم كفار قومهم او ما يقول الله لك الا مثل ما قال لهم ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم وهو على الثانى يحتمل ان يكون المقول بمعنى ان حاصل ما اوحى اليك واليهم وعد المؤمنين بالمغفرة والكافرين بالعقوبة ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت اياته بينت بلسان نفقهه ءاعجمى وعربى اكلام اعجمى ومخاطب عربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال للذى لا يفهم كلامه ولكلامه وهذه قراءة ابى بكر وحمزة والكسائى وقرأ الباقون أأعجمى لكون قالون وابى عمرو سهلا الثانية وفصلا بينهما وورش بدل الثانية الفا اذ سهلها بلا فصل وابن كثير وابن ذكوان وحفص سهلوا الثانية بلا فصل وقرئ أعجمى وهو منسوب الى العجم وقرأ هشام أعجمى على الاخبار وعلى هذا يجوز ان يكون المراد هلا فصلت اياته فجعل بعضها أعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود ابطال مقترحهم باستلزامه المحذور او الدلالة على انهم لا ينفكون عن التعنت فى الايات كيف جاءت قل هو للذين امنوا هدى الى الحق وشفاء من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ وخبره فى اذانهم وقر على تقدير هو فى اذانهم وقر لقوله وهو عليهم عمى وذلك لتصامهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الايات ومن جوز العطف على عاملين مختلفين عطف ذلك على الذين امنوا هدى اولئك ينادون من مكان بعيد اى هم تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم لمن يصيح بهم من مسافة بعيدة ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه بالتصديق والتكذيب كما اختلف فى القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك وهى العدة بالقيمة وفصل الخصومة حينئذ او تقدير الآجال لقضى بينهم باستئصال المكذبين وانهم وان اليهود او الذين لا يؤمنون لفى شك منه من التورية والقرآن مريب موجب للاضطراب من عمل صالحا فلنفسه نفعه ومن اساء فعليها ضرره وما ربك بظلام للعبيد فيفعل بهم ما ليس له ان يفعله اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها اذ لا يعلمها الا هو وما تخرج من ثمرة من اكمامها من اوعيتها جمع كم بالكسر وقرأ نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع وقرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق ويحتمل ان تكون ما موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بخلاف قوله وما تحمل من انثى ولا تضع بمكان

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا
قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ
آيَاتُهُ ءَاَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ
مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ
فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ
مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا
وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا
تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ



الا بعلمه الامقرونا بعلمه واقعا حسب تعلقه به ويوم يناديهم اين شركائى بزعمكم قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال فيكون السؤال عنهم للتوبيخ او من احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنا وقيل هو قول الشركاء اى ما منا من يشهد لهم بانهم كانوا محقين وضل عنهم ما كانوا يدعون يعبدون من قبل لا ينفعهم او لا يرونه وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفى لا يسأم الانسان لا يمل من دعاء الخير من طلب السعة فى النعمة وقرئ من دعائه الخير وان مسه الشر الضيقة فيؤس قنوط من فضل الله ورحمته وهذا صفة الكافر لقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقد بولغ فى يأسه من جهة البنية والتكرير وما فى القنوط من ظهور اثر اليأس ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لى حقى استحقه بما لى من الفضل والعمل او لى دائما لا يزول وما اظن الساعة قائمة تقوم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى اى ولئن قامت على التوهم كان لى عند الله تعالى الحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه من نعم الدنيا فلاستحقاق لا ينفك عنه فلننبئن الذين كفروا فلنخبرنهم بما عملوا بحقيقة اعمالهم ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يمكنهم التفصى عنه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه وانحرف عنه او ذهب بنفسه وتباعد عنه بكليته تكبرا والجانب مجاز عن النفس كالجنب فى قوله فى جنب الله واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل اذ الطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله قل ارأيتم اخبرونى ان كان اى القرآن من عند الله ثم كفرتم به من غير نظر واتباع دليل من اضل ممن هو فى شقاق بعيد اى من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم اياتنا فى الآفاق يعنى ما اخبرهم النبى عليه السلام به من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح والظهور على ممالك الشرق والغرب على وجه خارق للعادة وفى انفسهم ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم او ما فى بدن الانسان من عجائب الصنع الدالة على كمال القدرة حتى يتبين لهم انه الحق الضمير للقرآن او الرسول او التوحيد او لله اولم يكف بربك اى اولم يكف ربك والباء مزيدة للتاكيد كانه قيل اولم يحصل الكفاية به ولا تكاد تزاد فى الفاعل الا مع كفى

إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٨﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٤٩﴾ لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥١﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ

انه على كل شئ شهيد بدل منه والمعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شئ شهيد محقق له فيحقق امرك باظهار الايات الموعودة كما حقق سائر الاشياء او مطلع فيعلم حالك وحالهم او لم يكف الانسان رادعا عن المعاصى انه تعالى مطلع على كل شئ لايخفى عليه خافية الا انهم فى مرية شك وقرئ بالضمة وهو لغة كخفية وخفية من لقاء ربهم بالبعث والجزاء الا انه بكل شئ محيط عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها مقتدر عليها لايفوته شئ منها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وايها ثلاث وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق لعله اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وان كان اسما واحدا فالفصل لتطابق سائر الحواميم وقرئ حم سق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم اى مثل ما فى هذه السورة من المعانى وايحاء مثل ايحائها اوحى الله اليك والى الرسل من قبلك وانما ذكر بلفظ المضارع على حكاية الحال الماضية للدلالة على استمرار الوحى وان ايحاء مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر ويوحى مسندا الى اليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى والعزيز الحكيم صفتان له مقررتان لعلو شأن الموحى به كما مر فى السورة السابقة او بالابتداء كما فى قراءة نوحى بالنون والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان وقوله له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم خبران له وعلى الوجوه الاخر استئناف مقرر لعزته وحكمته تكاد السموات وقرأ نافع والكسائى بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله وقيل من ادعاء الولد له وقرأ البصريان وابو بكر ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ تتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث وهو نادر من فوقهن اى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لان اعظم الايات وادلها على علو شأنه من تلك الجهة وعلى الثانى ليدل على الانفطار من تحتهن بالطريق الاولى وقيل الضمير للارض فان المراد بها الجنس والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والالهام واعداد الاسباب المقربة الى الطاعة وذلك فى الجملة يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وهو ذو حظ من رحمته والاية على الاول زيادة تقرير لعظمته وعلى الثانى دلالة على تقدسه عما نسب اليه وان عدم معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء باستغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته والذين اتخذوا من دونه اولياء شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم او بموكول اليه امرهم

أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

سُورَةُ الشُّورَىٰ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

٤٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

وَكَذٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْاٰناً عَرَبِيّاً لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرٰى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٨﴾ وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٩﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللّٰهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتٰى وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللّٰهِ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١١﴾ فَاطِرُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجاً يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ

وكذلك اوحينا اليك قرأنا عربيا الاشارة الى مصدر يوحى اوالى معنى الاية المتقدمة فانه مكرر فى القرأن فى مواضع جمة فيكون الكاف مفعولا به وقرأنا عربيا حالا منه لتنذر ام القرى اهل ام القرى وهى مكة ومن حولها من العرب وتنذر يوم الجمع يوم القيمة يجمع فيه الخلائق او الارواح والاشباح او الاعمال والعمال وحذف ثانى مفعولى الاول واول مفعولى الثانى للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرأن لاريب فيه اعتراض لامحل له فريق فى الجنة وفريق فى السعير اى بعد جمعهم فى الموقف يجمعون اولا ثم يفرقون والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحال منهم اى وتنذر يوم جمعهم متفرقين بمعنى مشارفين للتفرق او متفرقين فى دارى الثواب والعقاب ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة مهتدين وضالين ولكن يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والحمل على الطاعة والظالمون مالهم من ولى ولانصير اى ويدعهم بغير ولى ولانصير فى عذابه ولعل تغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد اذ الكلام فى الانذار ام اتخذوا بل اتخذوا من دونه اولياء كالاصنام فالله هو الولى جواب شرط محذوف مثل ان ارادوا وليا بحق فالله هو الولى بالحق وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير كالتقرير لكونه حقيقا بالولاية وما اختلفتم انتم والكفار فيه من شئ من امر من امور الدين او الدنيا فحكمه الى الله مفوض اليه يميز المحق من المبطل بالنصر او بالاثابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل متشابه فارجعوا فيه الى المحكم من كتاب الله ذلكم الله ربى عليه توكلت فى مجامع الامور واليه انيب ارجع فى المعضلات فاطر السموات والارض وقرئ بالجر على البدل من الضمير او الوصف لالى الله وبالرفع خبرا خر لذلكم او مبتدأ خبره جعل لكم من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اى وخلق للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر والذرو والضمير على الاول للناس والانعام على تغليب المخاطبين العقلاء فيه فى هذا التدبير وهو جعل الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد فانه كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شئ اى ليس مثله شئ يزاوجه ويناسبه والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه ويسد مسده كان نفيه عنه اولى ونظيره قول رقيقة بنت صيفى فى سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته ومن قال الكاف فيه زائدة لعله عنى انه يعطى معنى ليس مثله غير انه آكد لما ذكرناه وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير لكل ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق على وفق مشيئته

انه بكل شئ عليم فيفعله على ماينبغى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابرهيم وموسى وعيسى اى شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما عليهم السلام من ارباب الشرع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى احكام الله ومحله النصب على البدل من مفعول شرع او الرفع على الاستئناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على البدل من هاء به ولا تتفرقوا فيه ولا تختلفوا فى هذا الاصل اما فروع الشرع فمختلف كما قال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كبر على المشركين عظم عليهم ماتدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبى اليه من يشاء يجتلب اليه والضمير لما تدعوهم او للدين ويهدى اليه بالارشاد والتوفيق من ينيب يقبل اليه وما تفرقوا يعنى الامم السالفة وقيل اهل الكتاب لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بان التفرق ضلال متوعد عليها او العلم بمبعث الرسول عليه السلام او اسباب العلم من الرسل والكتب وغيرهما فلم يلتفتوا اليها بغيا بينهم عداوة او طلبا للدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك بالامهال الى اجل مسمى هو يوم القيمة او اخر اعمارهم المقدرة لقضى بينهم باستئصال المبطلين حين افترقوا لعظم ما اقترفوا وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم يعنى اهل الكتاب الذين كانوا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم او المشركين الذين اورثوا القرأن من بعد اهل الكتاب وقرئ ورثوا وورثوا لفى شك منه من كتابهم لايعلمونه كما هو اولايؤمنون به حق الايمان او من القرأن مريب مقلق او مدخل فى الريبة فلذلك فلاجل ذلك التفرق او الكتاب او العلم الذى اوتيته فادع الى الاتفاق على الملة الحنيفية او الاتباع لما اوتيت وعلى هذا يجوز ان يكون اللام فى موضع الى لافادة الصلة والتعليل واستقم كما امرت واستقم على الدعوة كما امرك الله تعالى ولاتتبع اهواءهم الباطلة وقل امنت بما انزل الله من كتاب يعنى جميع الكتب المنزلة لاكالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم فى تبليغ الشرائع والحكومات والاول اشارة الى كمال القوة النظرية وهذا اشارة الى كمال القوة العملية الله ربنا وربكم خالق الكل ومتولى امره لنا اعمالنا ولكم اعمالكم فكل مجازى بعمله لاحجة بيننا وبينكم لاحجاج بمعنى لاخصومة اذ الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة مجال ولا للخلاف مبدأ سوى العناد الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير مرجع الكل بفصل القضاء وليس فى الاية مايدل على متاركة الكفار رأسا حتى تكون منسوخة باية القتال والذين يحاجون فى الله فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا فيه او من بعد ما استجاب الله لرسوله فاظهر دينه بنصره يوم بدر او من بعد ما استجاب له اهل الكتاب بان اقروا بنبوته واستفتحوا به

إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ
أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ
اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا
إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ
مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا
أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ
أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ

حججهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة وعليهم غضب بمعاندتهم ولهم عذاب شديد على كفرهم الله الذى انزل الكتاب جنس الكتاب بالحق ملتبسا به بعيدا من الباطل او بما يحق انزاله من العقائد والاحكام والميزان والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس والعدل بان انزل الامر به او آلة الوزن اوحى باعدادها وما يدريك لعل الساعة قريب اتيانها فاتبع الكتاب واعمل بالشرع وواظب على العدل قبل ان يفجأك اليوم الذى يوزن فيه اعمالك ويوفى جزاؤك وقيل تذكير القريب لانه بمعنى ذات قرب او لان الساعة بمعنى البعث يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استهزاء والذين امنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب ويعلمون انها الحق الكائن لا محالة الا ان الذين يمارون فى الساعة يجادلون فيها من المرية او من مريت الناقة اذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لان كلا من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفى ضلال بعيد عن الحق فان البعث اشبه الغائبات الى المحسوسات فمن لم يهتد لتجويزها فهو ابعد عن الاهتداء الى ما وراءه

حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٧﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٨﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٩﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٢٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الله لطيف بعباده برّ بهم بصنوف من البرّ لا تبلغها الافهام يرزق من يشاء اى يرزقه كما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البرّ على ما اقتضته حكمته وهو القوى الباهر القدرة العزيز المنيع الذى لا يغلب من كان يريد حرث الاخرة ثوابها شبهه بالزرع من حيث انه فائدة تحصل بعمل الدنيا ولذلك قيل الدنيا مزرعة الآخرة والحرث فى الاصل القاء البذر فى الارض ويقال للزرع الحاصل منه نزد له فى حرثه فنعطه بالواحد عشرة الى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها على ما قسمنا له وما له فى الاخرة من نصيب اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى ام لهم شركاء بل ألهم شركاء والهمزة للتقرير والتقريع وشركاؤهم شياطينهم شرعوا لهم بالتزيين من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم اوثانهم واضافتها اليهم لانهم متخذوها شركاء واسناد الشرع اليها لانها سبب ضلالتهم وافتتانهم بما تدينوا به او صور من سنه لهم ولولا كلمة الفصل اى القضاء السابق بتأجيل الجزاء او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضى بينهم بين الكافرين والمؤمنين او المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم وقرئ ان بالفتح عطفا على كلمة الفصل اى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الاخرة لقضى بينهم فى الدنيا فان العذاب الاليم غالب فى عذاب الاخرة ترى الظالمين فى القيامة مشفقين خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم اى وباله لاحق بهم اشفقوا او لم يشفقوا

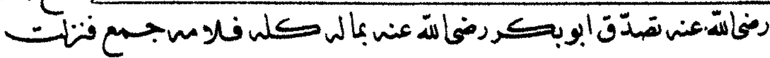
والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات في اطيب بقاعها وانزهها لهم مايشاؤن عند ربهم اى مايشتهونه ثابت لهم عند ربهم ذلك اشارة الى ما للمؤمنين هو الفضل الكبير الذى يصغر دونه ما لغيرهم في الدنيا ذلك الذى يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا الصالحات ذلك الثواب الذى يبشرهم الله به فحذف الجار ثم العائد او ذلك التبشير الذى يبشره الله عباده وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى يبشر من بشره وقرئ يبشر من ابشره قل لا اسئلكم عليه على ما اتعاطاه من التبليغ والبشارة اجرا نفعا منكم الا المودة في القربى ان تودونى لقرابتى منكم او تودوا قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسئلكم اجرا قط ولكن اسئلكم المودة وفى القربى حال منها اى الا المودة ثابتة في ذوى القربى متمكنة في اهلها او في حق القرابة ومن اجلها كما جاء في الحديث الحب في الله والبغض في الله روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء قال على وفاطمة وابناهما وقيل القربى التقرب الى الله اى الا ان تودوا الله ورسوله في تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة في القربى ومن يقترف حسنة ومن يكتسب طاعة سيما حب ال الرسول وقيل نزلت في ابى بكر رضى الله عنه ومودته لهم نزد له فيها اى في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد اى يزد الله وحسنا حسنى ان الله غفور لمن اذنب شكور لمن اطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة ام يقولون بل أيقولون افترى على الله كذبا افترى محمد بدعوى النبوة او القرأن فان يشأ الله يختم على قلبك استبعاد للافتراء عن مثله بالاشعار على انه انما يجترئ عليه من كان مختوما على قلبه جاهلا بربه فاما من كان ذا بصيرة ومعرفة فلا وكانه قال ان يشأ الله خذلانك يختم على قلبك لتجترئ بالافتراء عليه وقيل يختم على قلبك يمسك القرأن والوحى عنه او يربط عليه بالصبر فلا يشق عليك اذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور استئناف لنفى الافتراء عما يقوله بانه لو كان مفترى لمحقه اذ من عادته تعالى محو الباطل واثبات الحق بوحيه او بقضائه او بوعده بمحو باطلهم واثبات حقه بالقرأن او بقضائه الذى لا مرد له وسقوط الواو من يمح في بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله ويدع الانسان بالشر وهو الذى يقبل التوبة عن عباده بالتجاوز عما تابوا عنه والقبول يعدى الى مفعول ثان بمن او عن لتضمنه معنى الاخذ والابانة وقد عرفت حقيقة التوبة وعن على هو اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية واذاقتها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها لمن يشاء ويعلم ما تفعلون فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ الكوفيون غير ابى بكر ما يفعلون بالياء ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم والمراد اجابة الدعاء والاثابة على الطاعة فانها كدعاء وطلب لما يترتب عليه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون الله بالطاعة اذا دعاهم اليها ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا واستوجبوا له بالاستجابة والكافرون لهم عذاب شديد بدل ما للمؤمنين من الثواب والتفضل ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء وهذا على الغالب واصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتحرى كمية او كيفية ولكن ينزل بقدر بتقدير

الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ

مايشاء ما اقتضته مشيئته انه بعباده خبير بصير يعلم خفايا امرهم وجلايا حالهم فيقدر لهم ما يناسب شأنهم روى ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ينزل بالتشديد من بعد ما قنطوا ايسوا منه وقرئ بكسر النون وينشر رحمته في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان وهو الولي الذي يتولى عباده باحسانه ونشر رحمته الحميد المستحق للحمد على ذلك ومن اياته خلق السموات والارض فانها بذاتها وصفاتها تدل على وجود صانع قادر حكيم وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض وما يكون في احد الشيئين يصدق انه فيهما في الجملة وهو على جمعهم اذا يشاء في اي وقت يشاء قدير متمكن منه واذا كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فبسبب

مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٣﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٤﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٥﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ

معاصيكم والفاء لان ما شرطية او متضمنة معناه ولم يذكرها نافع وابن عامر استغناء بما في الباء من معنى السببية ويعفو عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها والاية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم فلاسباب أخر منها تعريضه للاجر العظيم بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وما لكم من دون الله من ولي يحرسكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن اياته الجوار السفن الجارية في البحر كالاعلام كالجبال قالت الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار ان يشأ يسكن الريح وقرأ نافع الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر ان في ذلك لايات لكل صبار شكور لكل من وكل همته وحبس نفسه على النظر في ايات الله والتفكر في آلائه او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر او يوبقهن او يهلكهن بارسال الريح العاصفة المغرقة والمراد اهلاك اهلها لقوله بما كسبوا واصله او يرسلها فيوبقهن لانه قسيم يسكن فاقتصر فيه على المقصود كما في قوله ويعف عن كثير اذ المعنى او يرسلها عاصفة فيوبق ناسا بذنوبهم وينج ناسا على العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في اياتنا عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم ويعلم او على الجزاء ونصب نصب الواقع جوابا للاشياء الستة لانه ايضا غير واجب وقرأ نافع وابن عامر بالرفع على الاستئناف وقرئ بالجزم عطفا على يعف فيكون المعنى او يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير آخرين ما لهم من محيص محيد من العذاب والجملة معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الاخرة خير وابقى للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لخلوص نفعه ودوامه وما الاولى موصولة تضمنت معنى الشرط من حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا فجازت الفاء في جوابها بخلاف الثانية وعن علي


رضي الله عنه تصدق ابو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جمع فنزلت



رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ
الْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا
لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
يُنْفِقُونَ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٤٠﴾
وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ
وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٤﴾ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ
إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٥﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ

والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون بما بعده عطف على للذين امنوا او مدح منصوب او مرفوع وبناء يغفرون على ضميرهم خبرا للدلالة على انهم الاحقاء بالمغفرة حال الغضب وقرأ حمزة والكسائى كبير الاثم والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت فى الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا واقاموا الصلوة وامرهم شورى بينهم ذو شورى لا ينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وذلك من فرط تدبرهم وتيقظهم فى الامور وهى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومما رزقناهم ينفقون فى سبيل الخير والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون على ما جعله الله لهم كراهة التذلل وهو وصفهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهو لا يخالف وصفهم بالغفران فانه ينبئ عن عجز المغفور والانتصار عن مقاومة الخصم والحلم على العاجز محمود وعلى المتغلب مذموم لانه اجراء واغراء على البغى ثم عقب وصفهم بالانتصار بالمنع عن التعدى فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها وسمى الثانية سيئة للازدواج او لانها تسوء من تنزل به فمن عفا واصلح بينه وبين عدوه فاجره على الله عدة مبهمة تدل على عظم الموعود انه لا يحب الظالمين المبتدئين بالسيئة والمجاوزين فى الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدؤنهم بالاضرار او يطلبون ما لا يستحقونه تجبرا عليهم ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم على ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر ولم ينتصر ان ذلك لمن عزم الامور اى ان ذلك منه فحذف كما حذف فى قولهم السمن منوان بدرهم للعلم به ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده من ناصر يتولاه من بعد خذلان الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب حين يرونه فذكر بلفظ الماضى تحقيقا يقولون هل الى مرد من سبيل اى الى رجعة الى الدنيا وتريهم يعرضون عليها على النار ويدل عليها العذاب خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما يلحقهم من الذل

ينظرون من طرف خفي اى يبتدئ نظرهم الى النار من تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم
واهليهم بالتعريض للعذاب المخلد يوم القيمة ظرف لخسروا والقول فى الدنيا اولقال اى يقولون اذ رأوهم على تلك الحال الا ان الظالمين فى عذاب مقيم
تمام كلامهم او تصديق من الله لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم من قبل ان ياتى
يوم لا مرد له من الله لا يرده الله بعد ما حكم به ومن صلة لمرد وقيل صلة ياتى اى من قبل ان ياتى يوم من الله لا يمكن رده ما لكم من ملجأ مفر يومئذ وما لكم من نكير
انكار لما اقترفتموه لانه مدون فى صحائف اعمالكم يشهد عليه السنتكم وجوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا او محاسبا ان عليك الا البلاغ
وقد بلغت وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجنس لقوله وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم فان الانسان كفور بليغ الكفران ينسى
النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولا يتأمل سببها وهذا وان اختص بالمجرمين
جاز اسناده الى الجنس لغلبتهم واندراجهم فيه وتصدير الشرطية الاولى
باذا والثانية بان لان اذاقة النعمة محققة من حيث انها عادة مقتضية
بالذات بخلاف اصابة البلية واقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر
موضع المضمر فى الثانية للدلالة على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة
لله ملك السموات والارض فله ان يقسم النعمة والبلية كيف شاء يخلق
ما يشاء من غير لزوم ومجال اعتراض يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء
الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما بدل من يخلق بدل
البعض والمعنى يجعل احوال العباد فى الاولاد مختلفة على مقتضى المشيئة
فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر او انثى او الصنفين جميعا ويعقم اخرين
ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل ولان مساق الاية للدلالة
على ان الواقع ما يتعلق به مشيئة الله لا مشيئة الانسان والاناث كذلك
اولان الكلام فى البلاء والعرب تعدهن بلاء اولتطييب قلوب ابائهن
او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور او لجبر التاخير وتغيير العاطف
فى الثالث لانه قسيم المشترك بين القسمين ولم يحتج اليه الرابع لافصاحه
بانه قسيم المشترك بين الاقسام المتقدمة انه عليم قدير فيفعل ما
يفعل بحكمة واختيار

مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ
الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ
فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُم مِّن
دُونِ اللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٧﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ
وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٨﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا
رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ
كَفُورٌ ﴿٤٩﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٥٠﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ
ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾

وماكان لبشر وما صح له ان يكلمه الله الا وحيا كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه تمثيل ليس فى ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة وهو مايعم المشافه به كما روى فى حديث المعراج وما وعد به فى حديث الرؤية والمهتف به كما اتفق لموسى فى طوى والطور لكن عطف قوله او من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالاية دليل على جواز الرؤية لا على امتناعها وقيل المراد به الالهام والالقاء فى الروع او الوحى المنزل به الملك الى الرسل فيكون المراد بقوله او يرسل رسولا فيوحى باذنه مايشاء او يرسل اليه نبيا فيبلغ وحيه كما امره وعلى الاول المراد بالرسول الملك الموحى الى الرسول ووحيا بما عطف عليه منتصب بالمصدر لان من وراء حجاب صفة كلام محذوف والارسال نوع من الكلام ويجوز ان يكون وحيا وان يرسل مصدرين ومن وراء حجاب ظرفا وقعتا حالا وقرأ نافع او يرسل برفع اللام انه على عن صفات المخلوقين حكيم يفعل ما تقتضيه حكمته فيكلم تارة بوسط وتارة بغير وسط اما عيانا واما من وراء حجاب وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا يعنى ما اوحى اليه وسماه روحا لان القلوب تحيى به وقيل جبريل والمعنى ارسلناه اليك بالوحى ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان اى قبل الوحى وهو دليل على انه لم يكن متعبدا قبل النبوة بشرع وقيل المراد هو الايمان بما لا طريق اليه الا السمع ولكن جعلناه اى الروح او الكتاب او الايمان نورا نهدى به من نشاء من عبادنا بالتوفيق للقبول والنظر فيه وانك لتهدى الى صراط مستقيم هو الاسلام وقرئ لتهدى اى ليهديك الله صراط الله بدل من الاول الذى له ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا الا الى الله تصير الامور بارتفاع الوسائط والتعلقات وفيه وعد ووعيد للمطيعين والمجرمين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

سورة الزخرف مكية قيل الا قوله واسئل من ارسلنا وايها تسع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين انا جعلناه قرأنا عربيا اقسم بالقران على انه جعله قرأنا عربيا وهو من البدائع لتناسب القسم والمقسم عليه كقول ابى تمام وثناياك انها اغريض ولعل اقسام الله بالاشياء استشهاد بما فيها من الدلالة على المقسم عليه والقرأن من حيث انه معجز عظيم مبين طرق الهدى وما يحتاج اليه فى الديانة او بين للعرب يدل على انه تعالى صيره كذلك لعلكم تعقلون لكى تفهموا معانيه وانه عطف على انا وقرأ حمزة والكسائى بالكسر على الاستئناف فى ام الكتاب فى اللوح المحفوظ فانه اصل الكتب السماوية وقرأ حمزة والكسائى ام الكتاب بالكسر لدينا محفوظا عندنا عن التغيير لعلى رفيع الشأن فى الكتب لكونه معجزا من بينها حكيم ذو حكمة بالغة او محكم لا ينسخه غيره وهما خبران لان وفى ام الكتاب متعلق بعلى واللام لا يمنع او حال منه ولدينا بدل منه او حال من الكتاب

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّخْرُفِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعٌ وَثَمَانُونَ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٦﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٧﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٩﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٢﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٣﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٤﴾

افنضرب عنكم الذكر صفحا افنذوده ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض قال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والفا للعطف على محذوف يعني انهملكم فنضرب عنكم الذكر وصفحا مصدر من غير لفظه فان تنحية الذكر عنهم اعراض او مفعول له او حال بمعنى صافحين واصله ان تولى الشئ صفحة عنقك وقيل انه بمعنى الجانب فيكون ظرفا ويؤيده انه قرئ صفحا بالضم وحينئذ يحتمل ان يكون تخفيف صفح جمع صفوح بمعنى صافحين والمراد انكار ان يكون الامر على خلاف ما ذكر من انزال الكتاب على لغتهم ليفهموه ان كنتم اى لان كنتم قوما مسرفين وهو في الحقيقة علة مقتضية لترك الاعراض عنهم وقرأ نافع وحمزة والكسائى ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك استجهالا لهم وما قبلها دليل الجزاء وكم ارسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه فاهلكنا اشد منهم بطشا اى من القوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى الرسول مخبرا عنهم ومضى مثل الاولين وسلف فى القرآن قصتهم العجيبة وفيه وعد للرسول ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم لعله لازم مقولهم او ما دل عليه اجمالا اقيم مقامه تقريرا لالزام الحجة عليهم فكانهم قالوا الله كما حكى عنهم فى مواضع أخر وهو الذى من صفته ما سرد من الصفات ويجوز ان يكون مقولهم وما بعده استئناف الذى جعل لكم الارض مهدا فتستقرون فيها وقرأ غير الكوفيين مهادا بالالف وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها لعلكم تهتدون لكى تهتدوا الى مقاصدكم او الى حكمة الصانع بالنظر فى ذلك والذى نزل من السماء ماء بقدر بمقدار ينفع ولا يضر فانشرنا به بلدة ميتا زال عنه النماء وتذكيره لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك مثل ذلك الانشار تخرجون تنشرون من قبوركم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى تخرجون بفتح التاء وضم الراء والذى خلق الازواج كلها اصناف المخلوقات وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون ما تركبونه على تغليب المتعدى بنفسه على المتعدى بغيره اذ يقال ركبت الدابة وركبت فى السفينة او المخلوق للركوب على المصنوع له او الغالب على النادر ولذلك قال لتستووا على ظهوره اى ظهور ما تركبون وجمعه للمعنى ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه تذكروها بقلوبكم معترفين بها حامدين عليها وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين مطيقين من اقرن الشئ اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون قرينة الضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا الى قوله

وَاِنَّآ اِلٰى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُوْنَ ﴿١٥﴾ وَجَعَلُوْا لَهٗ مِنْ عِبَادِهٖ جُزْءًا اِنَّ
الْاِنْسَانَ لَكَفُوْرٌ مُّبِيْنٌ ﴿١٦﴾ اَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنٰتٍ
وَّاَصْفٰىكُمْ بِالْبَنِيْنَ ﴿١٧﴾ وَاِذَا بُشِّرَ اَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ
لِلرَّحْمٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهٗ مُسْوَدًّا وَّهُوَ كَظِيْمٌ ﴿١٨﴾ اَوَمَنْ
يُّنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِيْنٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلُوا
الْمَلٰۗىِٕكَةَ الَّذِيْنَ هُمْ عِبٰدُ الرَّحْمٰنِ اِنَاثًا اَشَهِدُوْا خَلْقَهُمْ
سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْــَٔــلُوْنَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوْا لَوْ شَاۗءَ الرَّحْمٰنُ مَا
عَبَدْنٰهُمْ مَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ اِنْ هُمْ اِلَّا يَخْرُصُوْنَ ﴿٢١﴾
اَمْ اٰتَيْنٰهُمْ كِتٰبًا مِّنْ قَبْلِهٖ فَهُمْ بِهٖ مُسْتَمْسِكُوْنَ ﴿٢٢﴾
بَلْ قَالُوْٓا اِنَّا وَجَدْنَآ اٰبَاۗءَنَا عَلٰٓي اُمَّةٍ وَّاِنَّا عَلٰٓي اٰثٰرِهِمْ مُّهْتَدُوْنَ ﴿٢٣﴾
وَكَذٰلِكَ مَآ اَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ اِلَّا قَالَ

وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون واتصاله بذلك لان الركوب للتنقل والنقلة العظمى هو الانقلاب الى الله تعالى ولانه مخطر فينبغي للراكب ان لا يغفل عنه
ويستعد للقاء الله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم اى وقد جعلوا له بعد ذلك الاعتراف من عباده ولدا فقالوا الملائكة
بنات الله ولعله سماه جزءا كما سمى بعضا لانه بضعة من الوالد دلالة على استحالته على الواحد الحق فى ذاته وقرئ جزأ بضمتين ان الانسان لكفور مبين ظاهر
الكفران ومن ذلك نسبة الولد الى الله تعالى لانها من فرط الجهل به والتحقير لشأنه ام اتخذ مما يخلق بنات واصفيكم بالبنين معنى الهمزة فى ام الانكار والتعجب
من شأنهم حيث لم يقنعوا بان جعلوا له جزأ حتى جعلوا له من مخلوقاته جزأ اخس مما اختير لهم وابغض الاشياء اليهم بحيث اذا بشر احدهم بها اشتد غمه به كما
قال واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا بالجنس الذى جعله له مثلا اذ الولد لابد وان يماثل الوالد ظل وجهه مسودا صار وجهه اسود فى الغاية لما
يعتريه من الكآبة وهو كظيم مملوء قلبه من الكرب وفى ذلك دلالات
على فساد ما قالوه وتعريف البنين لما مر فى الذكور وقرئ مسود ومسواد
على ان فى ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة وقعت خبرا اومن ينشأ فى
الحلية اى وجعلوا له او اتخذ من يتربى فى الزينة يعنى البنات وهو فى
الخصام فى المجادلة غير مبين مقرر لما يدعيه من نقصان العقل وضعف
الرأى ويجوز ان يكون من مبتدأ محذوف الخبر اى او من هذه حاله ولده
وفى الخصام متعلق بمبين واضافة غير اليه لا يمنعه كما عرفت وقرأ حمزة
والكسائى وحفص ينشأ اى يربى وقرئ ينشأ ويناشأ بمعناه ونظير ذلك
اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا
كفر اخر تضمنه مقالهم شنع به عليهم وهو جعلهم اكمل العباد واكرمهم على الله
انقصهم رأيا واخسهم صنفا وقرئ عبيد وقرأ الحجازيان وابن عامر
ويعقوب عند على تمثيل زلفاهم وقرئ اناثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم
أحضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة
وهو تجهيل وتهكم بهم وقرأ نافع ءاشهدوا بهمزة الاستفهام وهمزة
مضمومة بين بين وآأشهدوا بمدة بينهما ستكتب شهادتهم التى شهدوا
بها على الملائكة ويسألون اى عنها يوم القيمة وهو وعيد وقرئ
سيكتب وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم وهى ان لله جزأ وانه بنات
وهن الملائكة ويسألون من المسألة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
اى لو شاء عدم عبادة الملائكة ما عبدناهم فاستدلوا بنفى مشيئته
عدم العبادة على امتناع النهى عنها او على حسنها وذلك باطل لان المشيئة
ترجح بعض الممكنات على بعض مأمورا كان او منهيا حسنا كان او غيره ولذلك
جهلهم فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا
ويجوز ان تكون الاشارة الى اصل الدعوى كانه لما ابدى وجوه فسادها
وحكى شبهتهم المزيفة نفى ان يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم اضرب عنه
الى انكار ان يكون لهم سند من جهة النقل فقال ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القرأن او ادعائهم ينطبق على صحة ما قالوه فهم به مستمسكون بذلك
الكتاب متمسكون بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اى لا حجة لهم على ذلك عقلية ولا نقلية وانما جنحوا فيه الى تقليد اباءهم الجهلة
والامة الطريقة التى تؤم كالرحلة للمرحول اليه وقرئت بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم اى القاصد ومنها الدين

وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على ان التقليد فى نحو ذلك ضلال قديم وان مقدميهم ايضا لم يكن لهم سند منظور اليه وتخصيص المترفين اشعار بان التنعم وحب البطالة صرفهم عن النظر الى التقليد قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اى اتتبعون اباءكم ولو جئتكم بدين اهدى من دين اباءكم وهو حكاية امر ماض اوحى الى النذير اوخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيد الاول انه قرأ ابن عامر وحفص قال وقوله قالوا انا بما ارسلتم به كافرون اى وان كان اهدى اقناط للنذير من ان ينظروا ويتفكروا فيه فانتقمنا منهم بالاستئصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين ولا تكترث بتكذيبهم واذ قال ابرهيم واذكر وقت قوله هذا ليروا كيف تبرأ من التقليد وتمسك بالدليل اوليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد فانه اشرف ابائهم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون برئ من عبادتكم او معبوديكم مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرئ برئ وبراء ككريم وكرام الا الذى فطرنى استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولى العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون الله والاوثان او صفة على ان ما موصوفة اى اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فانه سيهدين سيثبتنى على الهداية او سيهدينى الى ما وراء ما هدانى اليه وجعلها وجعل ابراهيم عليه السلام او الله كلمة التوحيد كلمة باقية فى عقبه فى ذريته فيكون فيهم ابدا من يوحد الله ويدعوا الى توحيده وقرئ كلمة وفى عقبه على التخفيف وفى عاقبه اى فيمن عقبه لعلهم يرجعون يرجع من اشرك منهم بدعاء من وحد بل متعت هؤلاء واباءهم هؤلاء المعاصرين للرسول من قريش وآباءهم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بذلك وانهمكوا فى الشهوات وقرئ متعت بالفتح على انه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية مبالغة فى تعييرهم حتى جاءهم الحق دعوة التوحيد او القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة بما له من المعجزات او مبين للتوحيد بالحجج والآيات ولما جاءهم الحق لينبههم عن غفلتهم قالوا هذا سحر وانا به كافرون زادوا شرارة فضموا الى شركهم معاندة للحق والاستخفاف به فسموا القرآن سحرا وكفروا به واستحقروا الرسول وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين اى من احدى القريتين مكة والطائف عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفى فان الرسالة منصب عظيم لا يليق الا بعظيم ولم يعلموا انها رتبة عظيمة روحانية تستدعى عظم النفس بالتحلى بالفضائل والكمالات القدسية لا بالتزخرف بالزخارف الدنيوية اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا وهم عاجزون عن تدبيرها وهى خويصة امرهم فى دنياهم فمن اين لهم ان يدبروا امر النبوة التى هى اعلى المراتب الانسية واطلاق المعيشة يقتضى ان يكون حلالها وحرامها من الله ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات واوقعنا بينهم التفاوت فى الرزق وغيره

مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٧﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٨﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣١﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣٢﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ

ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستعمل بعضهم بعضا فى حوائجهم فيحصل بينهم تألف وتضامر ينتظم بذلك نظام العالم لا لكمال فى الموسع ولا لنقصان فى المقتر ثم انه لا اعتراض لهم علينا فى ذلك ولا تصرف فكيف يكون فيما هو اعلى منه ورحمة ربك هذه يعنى النبوة وما يتبعها خير مما يجمعون من حطام الدنيا والعظيم مارزق منها لا منه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لولا ان يرغبوا فى الكفر اذا راوا الكفار فى سعة وتنعم لحبهم الدنيا فيجتمعوا عليه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج ومصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون يعلون السطوح لحقارة الدنيا ولبيوتهم بدل من لمن بدل الاشتمال او علة كقولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرأ ابن كثير وابو عمرو سقفا اكتفاء بجمع البيوت وقرئ سقفا بالتخفيف وسقوفا وسقفا وهو لغة فى سقف ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن اى ابوابا وسررا من فضة وزخرفا وزينة عطف على سقفا او وذهبا عطف على محل من فضة وان كل

بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٣﴾
وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ
بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ
﴿٣٤﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٥﴾ وَزُخْرُفًا
وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٧﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٣٩﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ
ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٤٠﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ
أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤١﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ

ذلك لما متاع الحيوة الدنيا ان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرأ عاصم وحمزة وهشام بخلاف عنه لما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ به مع ان وما والاخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصى وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم فى الاخرة لا فى الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمؤمنين حتى يجتمع الناس على الايمان وهو انه تمتع قليل بالاضافة الى ما لهم فى الاخرة مخل به فى الاغلب لما فيه من الافات التى قل من يتخلص منها كما اشار اليه بقوله ومن يعش عن ذكر الرحمن يتعام ويعرض عنه بفرط اشتغاله بالمحسوسات وانهماكه فى الشهوات وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشى اذا كان فى بصره آفة وعشا اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة نقيض له شيطانا فهو له قرين يوسوسه ويغويه دائما وقرأ يعقوب بالياء على اسناده الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو ينبغى ان يرفعه وانهم ليصدونهم عن السبيل عن الطريق الذى من حقه ان يسلك وجمع الضميرين للمعنى اذ المراد جنس العاشى والشيطان المقيض له ويحسبون انهم مهتدون الضمائر الثلاثة الاول له والباقيان للشيطان حتى اذا جاءنا اى العاشى وقرأ الحجازيان وابن عامر وابو بكر جاآنا اى العاشى والشيطان قال اى العاشى للشيطان يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فغلب المشرق وثنى واضيف البعد اليهما فبئس القرين انت ولن ينفعكم اليوم اى ما انتم عليه من التمنى اذ ظلمتم اذ صح انكم ظلمتم انفسكم فى الدنيا بدل من اليوم انكم فى العذاب مشتركون لان حقكم ان تشتركوا انتم وشياطينكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه ويجوز ان يسند الفعل اليه بمعنى ولن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى امر صعب تعاونهم فى تحمل اعبائه وتقسمهم مكابدة عنائه اذ بكل منكم ما لا يسعه طاقته وقرئ انكم بالكسر وهو يقوى الاول افانت تسمع الصم او تهدى العمى انكار تعجب من ان يكون



هو الذى يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر واستغراقهم فى الضلال بحيث صار عشاؤهم عمى مقرونا بالصمم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعب نفسه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون الا غيا فنزلت ومن كان فى ضلال مبين عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم فى ضلال لا يخفى فاما نذهبن بك اى فان قبضناك قبل ان نبصرك عذابهم وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم فى استجلاب النون المؤكدة

فانا منهم منتقمون بعدك فى الدنيا والاخرة او نرينك الذى وعدناهم اوان اردنا ان نريك ما وعدناهم من العذاب فانا عليهم مقتدرون لا يفوتونا فاستمسك بالذى اوحى اليك من الايات والشرائع وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله تعالى انك على صراط مستقيم لاعوج له وانه لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون اى عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اى واسأل اممهم وعلماء دينهم اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء على التوحيد والدلالة على انه ليس ببدع ابتدعه فيكذب ويعادى له فانه كان اقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين يريد باقتصاصه تسلية الرسول ومناقضة قولهم لولا نزل هذا القرأن على رجل من القريتين عظيم والاستشهاد بدعوة موسى عليه الصلوة والسلام الى التوحيد فلما جاءهم باياتنا

بك فانا منهم منتقمون ﴿٤٢﴾ او نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون ﴿٤٣﴾ فاستمسك بالذى اوحى اليك انك على صراط مستقيم ﴿٤٤﴾ وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون ﴿٤٥﴾ وسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون ﴿٤٦﴾ ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين ﴿٤٧﴾ فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون ﴿٤٨﴾ وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ﴿٤٩﴾ وقالوا يايه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون ﴿٥٠﴾ فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ﴿٥١﴾ ونادى فرعون فى قومه قال

اذا هم منها يضحكون فاجاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما رأوها ولم يتأملوا فيها وما نريهم من اية الا هى اكبر من اختها الا وهى بالغة اقصى درجات الاعجاز بحيث يحسب الناظر فيها انها اكبر مما يقاس اليها من الايات والمراد وصف الكل بالكبر كقولك رأيت رجالا بعضهم افضل من بعض وكقوله من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى يسرى بها السارى اوالا وهى مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة على غيرها بذلك الاعتبار واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان والجراد لعلهم يرجعون على وجه يرجى رجوعهم وقالوا يايه الساحر نادوه بذلك فى تلك الحال لشدة شكيمتهم وفرط حماقتهم اولانهم كانوا يسمون العالم الباهر ساحرا ادع لنا ربك اى ليدع لنا فيكشف عنا العذاب بما عهد عندك بعهده عندك من النبوة اومن ان يستجيب دعوتك اوان يكشف العذاب عمن اهتدى اوبما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة اننا لمهتدون بشرط ان تدعو لنا فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجأوا نكث عهدهم بالاهتداء ونادى فرعون بنفسه او بمناديه فى قومه فى مجمعهم او فيما بينهم بعد كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمن

بعضهم

قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس تجرى من تحتى تحت قصرى اوامرى او بين يدى فى جنانى والواو اما عاطفة لهذه الانهار على الملك فتجرى حال منها او واو حال وهذه مبتدأ والانهار صفتها وتجرى خبرها افلا تبصرون ذلك ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من هذا الذى هو مهين ضعيف حقير لايستعد للرياسة من المهانة وهى القلة ولايكاد يبين الكلام لما به من الرتة فكيف يصلح للرسالة وام اما منقطعة والهمزة فيها للتقرير لما قدم من اسباب فضله او متصلة على اقامة المسبب مقام السبب والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون فتعلمون انى خير منه فلولا القى عليه اسورة من ذهب اى فهلا القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا اذ كانوا اذا سودوا رجلا سودوه وطوقوه بسوار وطوق من ذهب واساورة جمع اسوار بمعنى سوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص اسورة وهى جمع سوار وقرئ اساور جمع اسورة والقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملئكة مقترنين مقرونين به يعينونه او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فطلب منهم الخفة فى مطاوعته او فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم به انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما آسفونا اغضبونا بالافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين فى اليم فجعلناهم سلفا قدوة لمن بعدهم من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم مصدر نعت به او جمع سالف كخدم وخادم وقرأ حمزة والكسائى بضم السين واللام جمع سليف كرغف او سالف كصبر او سلف كخشب وقرئ سلفا بابدال ضمة اللام فتحة او على انه جمع سلفة اى ثلة سلفت ومثلا للآخرين وعظة لهم او قصة عجيبة تسير مسير الامثال فيقال لهم مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى لما جادل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم او غيره بان قال النصارى اهل كتاب وهم يعبدون عيسى ويزعمون انه ابن الله والملائكة اولى بذلك وعلى قوله واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا او ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد المسيح اذا قومك قريش منه من هذا المثل يصدون يضجون فرحا لظنهم ان الرسول صار ملزما به وقرأ نافع وابن عامر والكسائى بالضم من الصدود اى يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل هما لغتان نحو يعكف ويعكف وقالوا أآلهتنا خير ام هو اى آلهتنا خير عندك ام عيسى فان كان فى النار فلتكن آلهتنا معه او آلهتنا الملائكة خير ام عيسى فاذا جاز ان يعبد ويكون ابن الله كانت آلهتنا الملائكة اولى بذلك او آلهتنا خير ام محمد فنعبده وندع آلهتنا وقرأ الكوفيون ءآلهتنا بتحقيق الهمزتين والالف بعدهما والباقون بتليين الثانية ما ضربوه لك الا جدلا ما ضربوا هذا المثل الا لاجل الجدل والخصومة لا لتميز الحق من الباطل بل هم قوم خصمون شداد الخصومة حراص على اللجاج ان هو الا عبد انعمنا عليه بالنبوة وجعلناه مثلا امرا عجيبا كالمثل السائر لبنى اسرائيل وهو كالجواب المزيح لتلك الشبهة ولو نشاء لجعلنا منكم لولدنا منكم يا رجال كما ولدنا عيسى من غير اب او لجعلنا بدلكم ملئكة فى الارض يخلفون ملائكة يخلفونكم فى الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فالله تعالى قادر على ما هو اعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انها ذوات ممكنة يحتمل خلقها توليدا كما جاز خلقها ابداعا فمن اين لهم استحقاق الالوهية والانتساب الى الله سبحانه وتعالى

يٰقَوْمِ اَلَيْسَ لِيْ مُلْكُ مِصْرَ وَهٰذِهِ الْاَنْهٰرُ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِيْ اَفَلَا تُبْصِرُوْنَ ﴿٥٢﴾ اَمْ اَنَا خَيْرٌ مِّنْ هٰذَا الَّذِيْ هُوَ مَهِيْنٌ ۝ وَلَا يَكَادُ يُبِيْنُ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَآ اُلْقِيَ عَلَيْهِ اَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ اَوْ جَآءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِيْنَ ﴿٥٤﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاَطَاعُوْهُ اِنَّهُمْ كَانُوْا قَوْمًا فٰسِقِيْنَ ﴿٥٥﴾ فَلَمَّآ اٰسَفُوْنَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَاَغْرَقْنٰهُمْ اَجْمَعِيْنَ ﴿٥٦﴾ فَجَعَلْنٰهُمْ سَلَفًا وَّمَثَلًا لِّلْاٰخِرِيْنَ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا اِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّوْنَ ﴿٥٨﴾ وَقَالُوْٓا ءَاٰلِهَتُنَا خَيْرٌ اَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوْهُ لَكَ اِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُوْنَ ﴿٥٩﴾ اِنْ هُوَ اِلَّا عَبْدٌ اَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَّلٰٓئِكَةً فِي الْاَرْضِ يَخْلُفُوْنَ ﴿٦١﴾ وَاِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُوْنِ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيْمٌ ﴿٦٢﴾

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ

وَانّه وان عيسى لعلم الساعة لان حدوثه او نزوله من اشراط الساعة يعلم به دنوها اولان احياء، الموتى يدل على قدرة الله عليه وقرئ لعلم اى علامة ولكه على تسمية ما يذكر به ذكرا وفى الحديث ينزل عيسى على ثنية بالارض المقدسة يقال لها افيق وبيده حربة بها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيقدمه عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليهما السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى الامن آمن به وقيل الضمير للقرآن فان فيه الاعلام بالساعة والدلالة عليها فلا تمترن بها فلا تشكن فيها واتبعون واتبعوا هداى اوشرعى اورسولى وقيل هو قول الرسول امران يقوله هذا هذا الذى ادعوكم اليه صراط مستقيم لا يضل سالكه ولا يصدنكم الشيطان عن المتابعة انه لكم عدو مبين ثابت عداوته بان اخرجكم من الجنة وعرضكم للبلية ولما جاء عيسى بالبينات بالمعجزات اوبآيات الانجيل اوبالشرائع الواضحات قال قد جئتكم بالحكمة بالانجيل اوبالشريعة ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يكون من امر الدين لا ما يتعلق بامر الدنيا فان الانبياء لم تبعث لبيانه ولذلك قال عليه السلام انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله واطيعون فيما ابلغه عنه ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع هذا صراط مستقيم الاشارة الى مجموع الامرين وهو تتمة كلام عيسى صلى الله عليه وسلم اواستئناف من الله يدل على ما هو المقتضى للطاعة فى ذلك فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم من بين النصارى اواليهود والنصارى من بين قومه المبعوث هو اليهم فويل للذين ظلموا من المتحزبين من عذاب يوم اليم هو القيمة هل ينظرون الا الساعة الضمير لقريش اوللذين ظلموا ان تأتيهم بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة بغتة فجأة وهم لا يشعرون غافلون عنها لاشتغالهم بامور الدنيا وانكارهم لها الاخلاء الاحباء يومئذ بعضهم لبعض عدو اى يتعادون يومئذ لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتخالون له سببا للعذاب الا المتقين فان خلتهم لما كانت فى الله تبقى نافعة ابد الآباد يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص بغير الياء الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى وكانوا مسلمين حال من الواو اى الذين آمنوا مخلصين غير ان هذه العبارة آكد ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبر وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب واكواب الصحاف جمع صحفة والاكواب جمع كوب وهو كوز لا عروة له وفيها وفى الجنة ما تشتهيه الانفس وقرأ نافع وابن عامر وحفص تشتهيه على الاصل وتلذ الاعين بمشاهدته وذلك تعميم بعد تخصيص ما يعد من الزوائد فى التنعم والتلذذ

فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ

وانتم فيها خالدون فان كل نعيم زائل موجب لكلفة الحفظ وخوف الزوال ومستعقب للتحسر في ثاني الحال وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقرئ ورثتموها شبه جزآء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وتلك اشارة الى الجنة المذكورة وقعت مبتدأ والجنة خبرها والتي اورثتموها صفتها او الجنة صفة تلك والتي خبرها او صفة الجنة والخبر بما كنتم تعملون وعليه تتعلق الباء بمحذوف لا باورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون بعضها تاكلون لكثرتها ودوام نوعها ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والملابس وتكريره في القرآن وهو حقير بالاضافة الى سائر نعائم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة ان المجرمين الكاملين في الاجرام وهم الكفار لانه جعل قسيم المؤمنين بالايات وحكى عنهم ما يخص بالكفار في عذاب جهنم خالدون خبران او خالدون خبر والظرف متعلق به لا يفتر عنهم لا يخفف عنهم من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون من النجاة وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين مر مثله غير مرة وهم فصل ونادوا يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم مكسورا ومضموما ولعله اشعار بانهم لضعفهم لا يستطيعون تأدية اللفظ بالتمام ولذلك اختصروا فقالوا ليقض علينا ربك والمعنى سل ربنا ان يقضي علينا من قضى عليه اذا اماته وهو لا ينافي ابلاسهم فانه جؤار وتمني للموت من فرط الشدة قال انكم ماكثون لا خلاص لكم بموت ولا غيره لقد جئناكم بالحق بالارسال والانزال وهو تتمة الجواب ان كان في قال ضمير الله والا فجواب منه وكانه تعالى تولى جوابهم بعد جواب مالك ولكن اكثركم للحق كارهون لما في اتباعه من اتعاب النفس وادآب الجوارح ام ابرموا امرا في تكذيب الحق ورده ولم يقتصروا على كراهيته فانا مبرمون امرا في مجازاتهم والعدول عن الخطاب للاشعار بان ذلك اسوء من كراهتهم او ام احكم المشركون امرا من كيدهم بالرسول فانا مبرمون كيدنا بهم ويؤيده قوله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم حديث نفسهم بذلك ونجويهم تناجيهم بلى نسمعها ورسلنا والحفظة مع ذلك لديهم ملازمون لهم يكتبون ذلك قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين منكم فان النبي يكون اعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح واولى بتعظيم ما يوجب تعظيمه ومن تعظيم الوالد تعظيم ولده ولا يلزم من ذلك صحة كينونة الولد وعبادته له اذ المحال قد يستلزم المحال بل المراد نفيهما على ابلغ الوجوه كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا غير ان لو ثمه مشعرة بانتفاء الطرفين وان هنا لا تشعر به ولا بنقيضه فانها لمجرد الشرطية بل الانتفاء معلوم لانتفاء اللازم الدال على انتفاء ملزومه والدلالة على ان انكاره للولد ليس لعناد ومرآء بل لو كان لكان اولى الناس بالاعتراف به وقيل معناه ان كان له ولد في زعمكم فانا اول العابدين لله الموحدين له او الآنفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه او ما كان له ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة وقرأ حمزة والكسائي ولد بالضم سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون عن كونه ذا ولد فان هذه الاجسام لكونها اصولا ذات استمرار تبرأت مما يتصف به سائر الاجسام من توليد المثل فما ظنك بمبدعها وخالقها فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اي القيمة وهو دلالة على ان قولهم هذا جهل واتباع هوى وانهم مطبوع على قلوبهم معذبون في الاخرة وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق به لانه بمعنى المعبود او متضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد وكذا فيمن قرأ الله والراجع مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا يجوز جعله خبرا له لانه لا يبقى له عائد لكن لو جعل صلة وقدر لاله مبتدأ محذوف يكون به جملة مبينة للصلة دالة على ان كونه في السماء بمعنى الالوهية دون الاستقرار وفيه نفي الآلهة السماوية والارضية واختصاصه باستحقاق الالوهية

وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما كالهوآء وعنده علم الساعة العلم بالساعة التى تقوم القيمة فيها واليه يرجعون للجزاء وقرأ نافع وابن عامر وابو عمرو وعاصم وروح بالتاء على الالتفات للتهديد ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا من شهد بالحق وهم يعلمون بالتوحيد والاستثناء متصل ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لاندراج الملائكة والمسيح فيه ومنفصل ان خص بالاصنام ولئن سالتهم من خلقهم سأل العابدين او المعبودين ليقولن الله لتعذر المكابرة فيه من فرط ظهوره فانى يؤفكون يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره وقيله وقول الرسول ونصبه للعطف على سرهم او على محل الساعة او لاضمار فعله اى وقال قيله وجرّه عاصم وحمزة عطفا على الساعة وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون او معطوف على علم الساعة بتقدير مضاف وقيل هو قسم منصوب بحذف الجار او مجرور باضماره

وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٥﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٨﴾ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٩﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

سُورَةُ الدُّخَانِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حم ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾

او مرفوع بتقدير وقيله يارب قسمى وان هؤلاء جوابه فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم ايسا من ايمانهم وقل سلام تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون تسلية للرسول وتهديد لهم وقرأ نافع وابن عامر بالتاء على انه من المأمور بقوله عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال لهم يوم القيمة يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب الآية وهى سبع او تسع وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين والقرآن والواو للعطف ان كان حم مقسما بها والا فللقسم والجواب قوله انا انزلناه فى ليلة مباركة فى ليلة القدر او البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى سماء الدنيا من اللوح ثم انزل على الرسول عليه السلام نجوما وبركتها لذلك فان نزول القرآن سبب للمنافع الدينية والدنيوية او لما فيها من نزول الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية انا كنا منذرين استئناف يبين فيه المقتضى للانزال وكذلك قوله فيها يفرق كل امر حكيم فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة استدعى ان ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها ويجوز ان يكون صفة ليلة مباركة وما بينهما اعتراض وهو يدل على ان الليلة ليلة القدر لانه صفتها لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق كل اى يفرقه الله ونفرق بالنون

أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٦ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝٧ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝٨ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝٩ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝١٢ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝١٣ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ۝١٤ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝١٥ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ۝١٦ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٧ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٨

امرا من عندنا اى اعنى بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو مزيد تفخيم للامر ويجوز ان يكون حالا من كل او امرا وضميره المستكن فى حكيم لانه موصوف وان يراد به مقابل النهى وقع مصدرا ليفرق او لفعله مضمرا من حيث ان الفرق به او حالا من احد ضميرى انزلناه بمعنى آمرين او مأمورا انا كنا مرسلين رحمة من ربك بدل من انا كنا منذرين اى انا انزلنا القرأن لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب الى العباد لاجل الرحمة عليهم ووضع الرب موضع الضمير للاشعار بان الربوبية اقتضت ذلك فانه اعظم انواع التربية او علة ليفرق او امرا ورحمة مفعول به اى يفصل فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من شأننا ان نرسل رحمتنا فان فصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها وصدور الاوامر الالهية من باب الرحمة وقرئ رحمة على تلك رحمة انه هو السميع العليم يسمع اقوال العباد ويعلم احوالهم وهو بما بعده تحقيق لربوبيته وانها لاتحق الا لمن هذه صفاته رب السموات والارض وما بينهما خبر آخر او استئناف وقرأ الكوفيون بالجر بدلا من ربك ان كنتم موقنين اى ان كنتم من اهل الايقان فى العلوم او ان كنتم موقنين فى اقراركم اذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو اذ لاخالق سواه يحيى ويميت كما تشاهدون ربكم ورب آبائكم الاولين وقرئا بالجر بدلا بل هم فى شك يلعبون رد لكونهم موقنين فارتقب فانتظر لهم يوم تأتى السماء بدخان مبين يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان من ضعف بصره او لان الهواء يظلم عام القحط لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا وقد قحطوا حتى اكلوا جيف الكلاب وعظامها واسناد الاتيان الى السماء لان ذلك يكفه عن الامطار او يوم ظهور الدخان المعدود من اشراط الساعة لما روى انه عليه السلام لما قال اول الايات الدخان ونزول عيسى ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قيل وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام واما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره او يوم القيمة والدخان يحتمل المعنيين يغشى الناس يحيط بهم صفة للدخان وقوله هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون مقدر بقول وقع حالا وانا مؤمنون وعد بالايمان ان كشف العذاب عنهم انى لهم الذكرى من اين وكيف يتذكرون بهذه الحال وقد جاءهم رسول مبين بين لهم ما هو اعظم منها فى ايجاب الاذكار من الايات والمعجزات ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال بعضهم يعلمه غلام اعجمى لبعض ثقيف وقال آخرون انه مجنون انا كاشفوا العذاب بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فانه دعا فرفع القحط قليلا كشفا قليلا او زمانا قليلا وهو ما بقى من اعمارهم انكم عائدون الى الكفر غب الكشف ومن فسر الدخان بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان غوث الكفار بالدعاء فيكشفه الله عنهم بعد اربعين فريثما يكشفه عنهم يرتدون ومن فسر بما فى القيمة اوله بالشرط والتقدير يوم نبطش البطشة الكبرى يوم القيمة او يوم بدر ظرف لفعل دل عليه انا منتقمون لا لمنتقمون فان ان تحجزه عنه او بدل من يوم يأتى وقرئ نبطش اى نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم او نحمل الملائكة على بطشهم وهو التناول بصولة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون امتحناهم بارسال موسى عليه السلام اليهم او اوقعناهم فى الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او فى نفسه لشرف نسبه وفضل حسبه ان ادوا الى عباد الله بان ادوهم الى وارسلوهم معى او بان ادوا الى حق الله من الايمان وقبول الدعوة يا عباد الله ويجوز ان تكون ان مخففة او مفسرة لان مجئ الرسول يكون برسالة ودعوة انى لكم رسول امين غير متهم لدلالة المعجزات على صدقه او لائتمان الله اياه على وحيه وهو علة الامر

وان لاتعلوا على الله ولاتتكبروا عليه بالاستهانة بوحيه ورسوله وان كالاولى فى وجهيها انى آتيكم بسلطان مبين علة النهى ولذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء شان لايخفى وانى عذت بربى وربكم التجأت اليه وتوكلت عليه ان ترجمون ان تؤذونى ضربا اوشتما اوتقتلونى وقرئ عت بالادغام وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فكونوا بمعزل منى لاعلىّ ولالى ولاتتعرضوا الىّ بسوء فانه ليس جزاء من دعاكم الى مافيه فلاحكم فدعا ربه بعدما كذبوه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر مااستوجبوه به ولذلك سماه دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول فاسر بعبادى ليلا اى فقال اسر اوقال ان كان الامر كذلك فاسر وقرأ نافع وابن كثير بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون يتبعكم فرعون وجنوده اذا علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة اوساكنا على هيئته بعد ماجاوزته ولاتضربه بعصاك ولاتغير منه شيئا ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا كثيرا تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة ونعمة وتنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك مثل ذلك الاخراج اخرجناهم منها اوالامر كذلك واورثناها عطف على الفعل المقدر او على تركوا قوما آخرين ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر فمابكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم كقولهم بكت عليهم السماء وكسفت لمهلكهم الشمس فى نقيض ذلك ومنه ماروى فى الاخبار ان المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصعد عمله ومهبط رزقه وقيل تقديره فمابكت عليهم اهل السماء والارض وماكانوا منظرين ممهلين الى وقت آخر ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من استعباد فرعون وقتله ابناءهم من فرعون بدل من العذاب على حذف المضاف اوجعله عذابا لافراطه فى التعذيب اوحال من المهين بمعنى واقعا من جهته وقرئ فرعون على الاستفهام تنكيرا له لنكر ماكان عليه من الشيطنة انه كان عاليا متكبرا من المسرفين فى العلو والشرارة وهو خبر ثان اى كان متكبرا مسرفا اوحال من الضمير فى عاليا اى كان رفيع الطبقة من بينهم ولقد اخترناهم اخترنا بنى اسرائيل على علم عالمين بانهم احقاء بذلك اومع علم منا بانهم يزيغون فى بعض الاحوال على العالمين لكثرة الانبياء فيهم اوعلى عالمى زمانهم وآتيناهم من الايات كفلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى مافيه بلاء مبين نعمة جليلة اواختبار ظاهر ان هؤلاء يعنى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم فى الاصرار على الضلالة والانذار عن مثل ماحل بهم



وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٠﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢١﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢٢﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٣﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٥﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٦﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٧﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٩﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣١﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ هِيَ

ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيها الى اثبات ثانية كما فى قولك حج زيد الحجة الاولى
ومات وقيل لما قيل لهم انكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ان هى الا موتتنا الاولى اى ما الموتة التى من شأنها ذلك الا الموتة الاولى وما نحن بمنشرين
بمبعوثين فاتوا باٰبائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل والمؤمنين ان كنتم صادقين فى وعدكم ليدل عليه اهم خير فى القوة والمنعة ام قوم تبع تبع
الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذمهم دونه وعنه عليه الصلاة والسلام ما ادرى اكان تبع نبيا
ام غير نبى وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم كعاد وثمود اهلكناهم استئناف بمآل قوم تبع والذين من قبلهم
هدد به كفار قريش او حال باضمار قد او خبر من الموصول ان استؤنف به انهم كانوا مجرمين بيان للجامع المقتضى للاهلاك وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
وما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين وهو دليل على صحة الحشر
كما مر فى الانبياء وغيرها ماخلقناهما الا بالحق الا بسبب الحق الذى اقتضاه
الدليل من الايمان والطاعة او البعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون لقلة
نظرهم ان يوم الفصل فصل الحق عن الباطل والمحق عن المبطل بالجزاء او
فصل الرجل عن اقاربه واحبائه ميقاتهم وقت موعدهم اجمعين
وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه الاسم اى ميعاد جزائهم فى يوم الفصل
يوم لا يغنى بدل من يوم الفصل وصفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه
الفصل لا له للفصل مولى من قرابة او غيرها عن مولى اى مولى كان
شيئا شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول باعتبار المعنى
لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة فيه ومحله الرفع
على البدل من الواو والنصب على الاستثناء انه هو العزيز لا ينصر منه من
اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر
الشين ومعنى الزقوم سبق فى الصافات طعام الاثيم الكثير الاثام
والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل فى
النار حتى يذوب وقيل دردى الزيت يغلى فى البطون وقرأ ابن كثير
وحفص ورويس بالياء على ان الضمير للطعام او الزقوم لا المهل اذ الاظهر
ان الجملة حال من احدهما كغلى الحميم غليا مثل غليه خذوه على ارادة
القول والمقول له الزبانية فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بمجامع الشئ
وجره بقهر وقرأ الحجازيان وابن عامر ويعقوب بالضم وهما لغتان الى
سواء الجحيم وسطه ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم كان اصله يصب
من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم
للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان
المصبوب بعض هذا النوع ذق انك انت العزيز الكريم اى قولوا له ذلك
استهزاء به وتقريعا على ما كان يزعمه وقرأ الكسائى انك بالفتح اى ذق
لانك او عذاب انك ان هذا ان هذا العذاب ما كنتم به تمترون تشكون او تمارون فيه

إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٦﴾ فَأْتُوا بِآبَائِنَا
إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٧﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٩﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٤٢﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٣﴾ إِنَّ شَجَرَتَ
الزَّقُّومِ ﴿٤٤﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٥﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ
﴿٤٦﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٧﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٨﴾
ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٩﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ
الْكَرِيمُ ﴿٥٠﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ

ان المتقين في مقام في موضع اقامة وهو قراءة نافع وابن عامر والباقون بفتح الميم امين يأمن صاحبه من الآفة والانتقال في جنات وعيون بدل من مقام جئ به للدلالة على نزاهته واشتماله على ما يستلذ به من المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان لان او حال من الضمير في الجار او استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق من البراقة متقابلين في مجالسهم ليستأنس بعضهم ببعض كذلك الامر كذلك او اتيناهم مثل ذلك وزوجناهم بحور عين قرناهم بهن ولذلك عدى بالباء والحوراء البيضاء والعيناء عظيمة العينين واختلف في انهن نساء الدنيا او غيرهن يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهون من الفواكه لا يتخصص شئ منها بمكان ولا زمان آمنين من الضرر لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى بل يحيون فيها دائما والاستثناء منقطع او متصل والضمير للآخرة والموت اول احوالها او للجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها او الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي وامتناع الموت فكأنه قال لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى في المستقبل ووقيهم عذاب الجحيم وقرئ ووقيهم على المبالغة فضلا من ربك اي اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه وقرئ بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب فانما يسرناه بلسانك سهلناه حيث انزلناه بلغتك وهو فذلكة للسورة لعلهم يتذكرون لعلهم يفهمونه فيتذكرون به ولما لم يتذكروا فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك عن النبي عليه السلام من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان ليلة جمعة اصبح مغفورا له سورة الجاثية مكية وهي سبع او ست وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب ان جعلت حم مبتدأ خبره تنزيل الكتاب احتجت الى اضمار مثل تنزيل حم وان جعلتها تعدادا للحروف كان تنزيل مبتدأ خبره من الله العزيز الحكيم وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو يحتمل ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم وما يبث من دابة ولا يحسن عطف ما على الضمير المجرور بل عطفه على المضاف باحد الاحتمالين فان بثه وتنوعه واستجماعه لما به يتم معاشه الى غير ذلك دلائل على وجود الصانع المختار

في مقام أمين ۝٥١ في جنات وعيون ۝٥٢ يلبسون من سندس واستبرق متقابلين ۝٥٣ كذلك وزوجناهم بحور عين ۝٥٤ يدعون فيها بكل فاكهة آمنين ۝٥٥ لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم ۝٥٦ فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم ۝٥٧ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون ۝٥٨ فارتقب إنهم مرتقبون ۝٥٩

سورة الجاثية مكية وهي ست وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ۝١ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ۝٢ إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين ۝٣ وفي خلقكم وما يبث

ايات لقوم يوقنون محمول على محل ان واسمها وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب بالنصب حملا على الاسم واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق من مطر وسماه رزقا لانه سببه فاحيى به الارض بعد موتها يبسها وتصريف الرياح باختلاف جهاتها واحوالها وقرأ حمزة والكسائى وتصريف الريح ايات لقوم يعقلون فيه القراءتان ويلزمهما العطف على عاملين فى والابتداء اوان الا ان يضمر فى او ينصب ايات على الاختصاص او يرفع باضمار هى ولعل اختلاف الفواصل الثلاث لاختلاف الايات فى الدقة والظهور تلك ايات الله اى تلك ايات دلائله نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة بالحق ملتبسين به او ملتبسة به فباى حديث بعد الله واياته يؤمنون اى بعد ايات الله وتقديم اسم الله للمبالغة والتعظيم كما فى قولك اعجبنى زيد وكرمه او بعد حديث الله وهو القرأن كقوله الله نزل احسن الحديث واياته دلائله المتلوة او القرأن والعطف لتغاير الوصفين وقرأ الحجازيان وحفص وابو عمرو وروح يؤمنون بالياء ليوافق ما قبله

مِنْ دَابَّةٍ اٰيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
وَمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ اٰيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ تِلْكَ اٰيَاتُ اللّٰهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِاَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللّٰهِ وَاٰيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ
۝٦ وَيْلٌ لِكُلِّ اَفَّاكٍ اَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ اٰيَاتِ اللّٰهِ تُتْلٰى
عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَاَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ
اَلِيمٍ ۝٨ وَاِذَا عَلِمَ مِنْ اٰيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا اُولٰئِكَ
لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝٩ مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ
مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللّٰهِ اَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ۝١٠ هٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيَاتِ رَبِّهِمْ
لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ اَلِيمٌ ۝١١ اَللّٰهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ

ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثم يسمع ايات الله تتلى عليه ثم يصر يقيم على كفره مستكبرا عن الايمان بالايات وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماع الايات كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها كان لم يسمعها اى كأنه فخففت وحذف ضمير الشان والجملة فى موقع الحال اى يصر مثل غير السامع فبشره بعذاب اليم على اصراره والبشارة على الاصل او التهكم واذا علم من اياتنا شيئا واذا بلغه شئ وعلم انه منها اتخذها هزوا لذلك من غير ان يرى فيها ما يناسب الهزؤ والضمير لآياتنا وفائدته الاشعار بانه اذا سمع كلاما وعلم انه من الايات بادر الى الاستهزاء بالآيات كلها ولم يقتصر على ما سمعه او لشئ لانه بمعنى الآية اولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم من قدامهم لانهم متوجهون اليها او من خلفهم لانه بعد آجالهم ولا يغنى عنهم ولا يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اى الاصنام ولهم عذاب عظيم لا يتحملونه هذا هدى الاشارة الى القرأن ويدل عليه قوله والذين كفروا بايات ربهم لهم عذاب من رجز اليم وقرأ ابن كثير ويعقوب وحفص برفع اليم والرجز اشد العذاب الله الذى سخر لكم البحر بان جعله املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص فيه

لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللّٰهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ

لتجري الفلك فيه بامره بتسخيره وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون هذه النعم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا بان خلقها نافعة لكم منه حال مما اى سخر هذه الاشياء كائنة منه او خبر لمحذوف اى هي جميعا منه او لما في السموات وسخر لكم تكرير للتاكيد او لما في الارض وقرئ منه على المفعول له ومنة على انه فاعل سخر على الاسناد المجازي او خبر محذوف ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون في صنائعه قل للذين امنوا يغفروا حذف المقول لدلالة الجواب عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا اى يعفوا ويصفحوا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائعه باعدائه من قولهم ايام العرب لوقائعهم او لا يأملون الاوقات التي وقتها الله لنصر المؤمنين وثوابهم ووعدهم بها والآية نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهم ان يبطش به وقيل انها منسوخة بآية القتال ليجزي قوما بما كانوا يكسبون علة للامر والقوم هم المؤمنون او الكافرون او كلاهما فيكون التنكير للتعظيم او التحقير او الشيوع والكسب المغفرة او الاساءة او مايعمها وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بالنون وقرئ ليجزى قوم وليجزى قوما اى ليجزى الخير او الشر او الجزاء اعني ما يجزى به لا المصدر فان الاسناد اليه سيما مع المفعول به ضعيف من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها اذ لها ثواب العمل وعليها عقابه ثم الى ربكم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب التورية والحكم والحكمة النظرية والعملية او فصل الخصومات والنبوة اذ كثر فيهم الانبياء مالم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات مما احل الله من اللذائذ وفضلناهم على العالمين حيث اتيناهم مالم نؤت غيرهم واتيناهم بينات من الامر ادلة في امر الدين ويندرج فيها المعجزات وقيل آيات من امر النبي عليه السلام مبينة لصدقه فما اختلفوا في ذلك الامر الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال بغيا بينهم عداوة وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بالمؤاخذة والمجازاة ثم جعلناك على شريعة طريقة من الامر امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون آراء الجهال التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش قالوا له ارجع الى دين آبائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك

وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة الانضمام فلا توالهم باتباع اهوائهم والله ولى المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة هذا اى القرآن او اتباع الشريعة بصائر للناس بينات تبصرهم وجه الفلاح وهدى من الضلالة ورحمة ونعمة من الله لقوم يوقنون يطلبون اليقين ام حسب الذين اجترحوا السيئات ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان والاجتراح الاكتساب ومنه الجارحة ان نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات مثلهم وهو ثانى مفعولى نجعل وقوله سواء محياهم ومماتهم بدل منه ان كان الضمير للموصول الاول لان المماثلة فيه اذ المعنى انكار ان يكون حياتهم ومماتهم سيين فى البهجة والكرامة كما هو للمؤمنين ويدل عليه قراءة حمزة والكسائى وحفص سواء بالنصب على البدل او الحال من الضمير فى الكاف او المفعولية والكاف حال وان كان للثانى فحال منه او استئناف يبين المقتضى للانكار وان كان لهما فبدل او حال من الثانى وضمير الاول والمعنى انكار ان يستووا بعد الممات فى الكرامة او ترك المؤاخذة كما استووا فى الرزق والصحة فى الحياة او استئناف مقرر لتساوى محيا كل صنف ومماته فى الهدى والضلال وقرئ مماتهم بالنصب على ان محياهم ومماتهم ظرفان كمقدم الحاج ساء ما يحكمون ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا به ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق كانه دليل على الحكم السابق من حيث ان خلق ذلك بالحق المقتضى للعدل يستدعى انتصار المظلوم من الظالم والتفاوت بين المسئ والمحسن واذا لم يكن فى المحيا كان بعد الممات ولتجزى كل نفس بما كسبت عطف على بالحق لانه فى معنى العلة او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب وتسمية ذلك ظلما ولو فعله الله لم يكن منه ظلما لانه لو فعله غيره لكان ظلما كالابتلاء افرأيت من اتخذ الهه هويه ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه يعبده وقرئ آلهته هويه لانه كان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى احسن منه رفضه اليه واضله الله وخذله على علم عالما بضلاله وفساد جوهر روحه وختم على سمعه وقلبه فلا يبالى بالمواعظ ولا يتفكر فى الايات وجعل على بصره غشاوة فلا ينظر بعين الاستبصار والاعتبار وقرأ حمزة والكسائى غشوة فمن يهديه من بعد الله من بعد اضلاله افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هى ما الحياة والحال الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها نموت ونحيى ان نكون امواتا نطفا وما قبلها ونحيى بعد ذلك او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا او يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حيوة ويحتمل انهم ارادوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر عبدة الاوثان وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو فى الاصل مدة بقاء العالم من دهره اذا غلبه وما لهم بذلك من علم يعنى نسبة الحوادث الى حركات الافلاك وما يتعلق بها على الاستقلال وانكار البعث او كليهما ان هم الا يظنون اذ لا دليل لهم عليه وانما قالوه بناء على التقليد والانكار لما لم يحسوا به واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات الدلالة على ما يخالف معتقدهم او مبينات لهم ما كان حجتهم ما كان لهم متشبث يعارضونها به

مِنَ اللّٰهِ شَيْـًٔا وَاِنَّ الظّٰلِمِيْنَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَاللّٰهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِيْنَ ﴿١٩﴾ هٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَّرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَ ﴿٢٠﴾ اَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ اجْتَرَحُوا السَّيِّاٰتِ اَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُوْنَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللّٰهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ ﴿٢٢﴾ اَفَرَاَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ اِلٰهَهٗ هَوٰىهُ وَاَضَلَّهُ اللّٰهُ عَلٰى عِلْمٍ وَّخَتَمَ عَلٰى سَمْعِهٖ وَقَلْبِهٖ وَجَعَلَ عَلٰى بَصَرِهٖ غِشٰوَةً فَمَنْ يَّهْدِيْهِ مِنْ بَعْدِ اللّٰهِ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوْا مَا هِيَ اِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوْتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ اِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ اِنْ هُمْ اِلَّا يَظُنُّوْنَ ﴿٢٤﴾ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا بَيِّنٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ اِلَّآ اَنْ قَالُوا ائْتُوْا

بِاٰبَآئِنَآ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللّٰهُ يُحْيِيْكُمْ ثُمَّ يُمِيْتُكُمْ
ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيْهِ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ
لَا يَعْلَمُوْنَ ﴿٢٦﴾ وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَيَوْمَ تَقُوْمُ السَّاعَةُ
يَوْمَئِذٍ يَّخْسَرُ الْمُبْطِلُوْنَ ﴿٢٧﴾ وَتَرٰى كُلَّ اُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ اُمَّةٍ
تُدْعٰى اِلٰى كِتٰبِهَا اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُوْنَ ﴿٢٨﴾ هٰذَا
كِتٰبُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ اِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُوْنَ ﴿٢٩﴾ فَاَمَّا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ
فِيْ رَحْمَتِهٖ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِيْنُ ﴿٣٠﴾ وَاَمَّا الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
اَفَلَمْ تَكُنْ اٰيٰتِيْ تُتْلٰى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِيْنَ ﴿٣١﴾
وَاِذَا قِيْلَ اِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ وَّالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيْهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِيْ
مَا السَّاعَةُ اِنْ نَّظُنُّ اِلَّا ظَنًّا وَّمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِيْنَ ﴿٣٢﴾

الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم صادقين وانما سماه حجة على حسبانهم ومساقهم او على اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع فانه لا يلزم من عدم حصول الشئ حالا امتناعه مطلقا قل الله يحييكم ثم يميتكم على ما دلت عليه الحجج ثم يجمعكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للمجازاة على ما قرر مرارا والوعد المصدق بالايات دل على وقوعها واذا كان كذلك امكن الاتيان باباءهم لكن الحكمة اقتضت ان يعادوا يوم الجمع للجزاء ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقلة تفكرهم وقصور نظرهم على ما يحسونه ولله ملك السموات والارض تعميم للقدرة بعد تخصيصها ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون اى ويخسر يوم تقوم ويومئذ بدل منه وترى كل امة جاثية مجتمعة من الجثوة وهى الجماعة او باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية اى جالسة على اطراف الاصابع لاستيفازهم كل امة تدعى الى كتابها صحيفة اعمالها وقرأ يعقوب كل على انه بدل من الاول وتدعى صفة او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا اضاف صحائف اعمالهم الى نفسه لانه امر الكتبة ان يكتبوا فيها اعمالهم ينطق عليكم بالحق يشهد عليكم بما عملتم بلا زيادة ونقصان انا كنا نستنسخ نستكتب الملائكة ما كنتم تعملون اعمالكم فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته التى من جملتها الجنة ذلك هو الفوز المبين الظاهر لخلوصه عن الشوائب واما الذين كفروا افلم تكن اياتى تتلى عليكم اى فيقال لهم الم تاتكم رسلى فلم تكن اياتى تتلى عليكم فحذف القول والمعطوف عليه اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقرينة فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله يحتمل الموعود والمصدر حق كائن هو او متعلقه لا محالة والساعة لا ريب فيها افراد للمقصود وقرأ حمزة بالنصب عطفا على اسم ان قلتم ما ندرى ما الساعة اى شئ الساعة استغرابا لها ان نظن الا ظنا اصله نظن ظنا فادخل حرفا النفى والاستثناء لاثبات الظن ونفى ما عداه كانه قال ما نحن الا نظن ظنا او النفى ظنهم فيما سوى ذلك مبالغة ثم اكده بقوله وما نحن بمستيقنين اى لامكانه ولعل ذلك قول بعضهم تحيروا بين ما سمعوا من ابائهم وما تليت عليهم من الايات فى امر الساعة



وبدا لهم ظهر لهم سيئات ما عملوا على ما كانت عليه بان عرفوا قبحها وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاؤها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وهو الجزاء وقيل اليوم ننسيكم نترككم فى العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم لقاء يومكم هذا كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وماويكم النار وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا استهزأتم بها ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها وقرأ حمزة والكسائى بفتح الياء وضم الراء ولا هم يستعتبون لا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين اذ الكل نعمة منه ودال على كمال قدرته وله الكبرياء فى السموات والارض اذ ظهر فيها اثارها وهو العزيز الذى لا يغلب الحكيم فيما قدر وقضى فاحمدوه وكبروه واطيعوا له عن النبى عليه السلام من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

سورة الاحقاف مكية وهى اربع او خمس وثلاثون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق وهو ما تقتضيه الحكمة والمعدلة وفيه دلالة على وجود الصانع الحكيم والبعث للمجازاة على ما قررناه مرارا

وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ٣٣ وقيل اليوم ننسيكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا وماويكم النار وما لكم من ناصرين ٣٤ ذلكم بانكم اتخذتم ايات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ٣٥ فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين ٣٦ وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم

سورة الاحقاف مكية وهى خمس وثلاثون اية

٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

حم ١ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ٢ ما خلقنا

واجل مسمّى وبتقدير اجل مسمى ينتهى اليها الكل وهو يوم القيمة اوكل واحد وهو آخر مدة بقائه المقدر له والذين كفروا عما انذروا من هول ذلك الوقت ويجوز ان تكون ما مصدرية معرضون لايتفكرون فيه ولايستعدون لحلوله قل ارايتم ماتدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اى اخبروني عن حال آلهتكم بعد تأمل فيها هل يعقل ان يكون لها مدخل في انفسها في خلق شئ من اجزاء العالم فتستحق بها العبادة وتخصيص الشرك بالسموات احتراز عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد الحوادث السفلية ائتوني بكتاب من قبل هذا من قبل هذا الكتاب يعني القرآن فانه ناطق بالتوحيد او اثارة من علم او بقية من علم بقيت عليكم من علوم الاولين هل فيها مايدل على استحقاقهم للعبادة او الامر به ان كنتم صادقين في دعواكم وهو الزام بعدم مايدل على الوهيتهم بوجه ما نقلا بعد الزامهم بعدم مايقتضيها عقلا وقرئ اثارة بالكسر اى مناظرة فان المناظرة تثير المعاني وأثرة اى شئ اوثرتم به واثرة بالحركات الثلاث في الهمزة وسكون الثاء فالمفتوحة للمرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه والمكسورة بمعنى الاثرة والمضمومة اسم مايؤثر ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له انكار ان يكون احد اضل من المشركين حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير الى عبادة من لايستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلا ان يعلم سرائرهم ويراعي مصالحهم الى يوم القيمة مادامت الدنيا وهم عن دعائهم غافلون لانهم اما جمادات واما عباد مسخرون مشتغلون باحوالهم واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء يضرونهم ولاينفعونهم وكانوا بعبادتهم كافرين مكذبين بلسان الحال او المقال وقيل الضمير للعابدين وهو كقوله والله ربنا ماكنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق لاجله وفي شأنه والمراد بها الآيات ووضعه موضع ضميرها ووضع الذين كفروا موضع ضمير المتلو عليهم للتسجيل عليها بالحق وعليهم بالكفر والانهماك في الضلالة لما جاءهم حين ماجاءهم من غير نظر وتأمل هذا سحر مبين ظاهر بطلانه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم اياه سحرا الى ذكر ماهو اشنع منه وانكار له وتعجيب قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون لي من الله شيئا اى ان عاجلني الله بالعقوبة فلا تقدرون على دفع شئ منها فكيف اجترئ عليه واعرض نفسي للعقاب من غير توقع نفع ولا دفع ضر من قبلكم هو اعلم بما تفيضون فيه تندفعون فيه من القدح في آياته كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والانكار وهو وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وآمن واشعار بحلم الله عنهم مع عظم جرمهم قل ما كنت بدعا من الرسل بديعا منهم ادعوكم الى مالا يدعون اليه او اقدر على مالم يقدروا عليه وهو الاتيان بالمقترحات كلها ونظيره الخف بمعنى الخفيف وقرئ بفتح الدال على انه كقيم او مقدر بمضاف اى ذا بدع

السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ اِلَّا بِالْحَقِّ وَاَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِيْنَ
كَفَرُوْا عَمَّآ اُنْذِرُوْا مُعْرِضُوْنَ ۝٣ قُلْ اَرَاَيْتُمْ مَّا تَدْعُوْنَ
مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ اَرُوْنِيْ مَاذَا خَلَقُوْا مِنَ الْاَرْضِ اَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمٰوٰتِ
اِئْتُوْنِيْ بِكِتٰبٍ مِّنْ قَبْلِ هٰذَآ اَوْ اَثٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ
۝٤ وَمَنْ اَضَلُّ مِمَّنْ يَّدْعُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَنْ لَّا يَسْتَجِيْبُ لَهٗٓ اِلٰى يَوْمِ
الْقِيٰمَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَآئِهِمْ غٰفِلُوْنَ ۝٥ وَاِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوْا
لَهُمْ اَعْدَآءً وَّكَانُوْا بِعِبَادَتِهِمْ كٰفِرِيْنَ ۝٦ وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ
اٰيٰتُنَا بَيِّنٰتٍ قَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ
۝٧ اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰىهُ قُلْ اِنِ افْتَرَيْتُهٗ فَلَا تَمْلِكُوْنَ لِيْ مِنَ اللّٰهِ
شَيْـًٔا هُوَ اَعْلَمُ بِمَا تُفِيْضُوْنَ فِيْهِ كَفٰى بِهٖ شَهِيْدًا بَيْنِيْ وَبَيْنَكُمْ
وَهُوَ الْغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ ۝٨ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَآ اَدْرِيْ

وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم في الدارين على التفصيل اذ لا علم لى بالغيب ولا لتاكيد النفى المشتمل على ما يفعل بى وما اما موصولة منصوبة او استفهامية مرفوعة وقرئ يفعل اى يفعل الله ان اتبع الا ما يوحى الى لا اتجاوزه وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه من الغيوب او استعجال المسلمين ان يتخلصوا من اذى المشركين وما انا الا نذير عن عقاب الله مبين بين الانذار بالشواهد المبينة والمعجزات المصدقة قل ارايتم ان كان من عند الله اى القرآن وكفرتم به وقد كفرتم به ويجوز ان تكون الواو عاطفة على الشرط وكذا الواو فى قوله وشهد شاهد من بنى اسرائيل الا انها تعطف بما عطف عليه على جملة ما قبله والشاهد هو عبد الله ابن سلام وقيل موسى عليه السلام وشهادته ما فى التورية من نعت الرسول على مثله مثل القرآن وهو ما فى التورية من المعانى المصدقة للقرآن المطابقة لها او مثل ذلك وهو كونه من عند الله فآمن اى بالقرآن لما رآه من جنس الوحى مطابقا للحق واستكبرتم عن الايمان ان الله لا يهدى القوم الظالمين استئناف مشعر بان كفرهم به لضلالهم المسبب عن ظلمهم ودليل على الجواب المحذوف مثل ألستم ظالمين وقال الذين كفروا للذين امنوا لاجلهم لو كان خيرا الايمان او ما اتى به محمد عليه السلام ما سبقونا اليه وهم سقاط اذ عامتهم فقراء وموالى ورعاة وانما قاله قريش وقيل بنوا عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل اليهود حين اسلم ابن سلام رضى الله عنه واصحابه واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف مثل ظهر عنادهم وقوله فسيقولون هذا افك قديم مسبب عنه وهو كقولهم اساطير الاولين ومن قبله ومن قبل القرآن وهو خبر لقوله كتاب موسى ناصب لقوله اماما ورحمة على الحال وهذا كتاب مصدق لكتاب موسى او لما بين يديه وقد قرئ به لسانا عربيا حال من ضمير كتاب فى مصدق او منه لتخصصه بالصفة وعاملها معنى الاشارة وفائدتها الاشعار بالدلالة على ان كونه مصدقا للتورية كما دل على انه حق دل على انه وحى وتوقيف من الله سبحانه وقيل لسانا عربيا مفعول مصدق اى يصدق ذا لسان عربى باعجازه لينذر الذين ظلموا علة مصدق وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول ويؤيد الاخير قراءة نافع وابن عامر والبزى بخلاف عنه ويعقوب بالتاء وبشرى للمحسنين عطف على محله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى الامور التى هى منتهى العمل وثم للدلالة على تأخر رتبة العمل وتوقف اعتباره على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون من اكتساب الفضائل العلمية والعملية وخالدين حال من المستكن فى اصحاب وجزاء مصدر لفعل دل عليه الكلام اى جوزوا جزاء ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقرأ الكوفيون احسانا وقرئ حسنا اى ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرأ الحجازيان وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر

مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١٢﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٤﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا

وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه واصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين ﴿١٦﴾ اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في اصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴿١٧﴾ والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين ﴿١٨﴾ اولئك الذين حق عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ﴿١٩﴾ ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ﴿٢٠﴾

وحمله وفصاله ومدة حمله وفصاله والفصال الفطام ويدل عليه قراءة يعقوب وفصله او وقته والمراد به الرضاع التام المنتهى به ولذلك عبر به كما يعبر بالامد عن المدة قال كل حي مستكمل مدة العمر ومود اذا انتهى امده ثلاثون شهرا كل ذلك بيان لما تكابده الام في تربية الولد مبالغة في التوصية بها وفيه دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لانه اذا حط منه للفصال حولان لقوله حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة بقي ذلك وبه قال الاطباء ولعل تخصيص اقل الحمل واكثر الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط حكم النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اذا اكتهل واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي الا بعد الاربعين قال رب اوزعني الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي يعني نعمة الدين او ما يعمها وغيرها وذلك يؤيده ما روي انها نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه لم يكن احد اسلم هو وابواه من المهاجرين والانصار سواه وان اعمل صالحا ترضيه نكره للتعظيم او لانه اراد نوعا من الجنس يستجلب رضى الله عز وجل واصلح لي في ذريتي واجعل لي الصلاح ساريا في ذريتي راسخا فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي اني تبت اليك عما لا ترضاه او يشغل عنك واني من المسلمين المخلصين لك اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا يعني طاعاتهم فان المباح حسن ولا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم لتوبتهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنون فيهما في اصحاب الجنة كائنين في عدادهم او مثابين او معدودين فيهم وعد الصدق مصدر مؤكد لنفسه فان يتقبل ويتجاوز وعد الذي كانوا يوعدون اي في الدنيا والذي قال لوالديه اف لكما مبتدأ خبره اولئك الذين حق والمراد به الجنس وان صح نزولها في عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنه قبل اسلامه فان خصوص السبب لا يوجب التخصيص وفي اف قراآت ذكرت في سورة بني اسرائيل اتعدانني ان اخرج ابعث وقرأ هشام اتعداني بنون واحدة مشددة وقد خلت القرون من قبلي فلم يرجع واحد منهم وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك او يسألانه ان يغيثه بالتوفيق للايمان ويلك آمن اي يقولان له ويلك وهو دعاء بالثبور بالحث على ما يخاف على تركه ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اباطيلهم التي كتبوها اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار وهو يرد النزول في عبد الرحمن لانه يدل على انه من اهلها لذلك وقد جب عنه ان كان لاسلامه في امم قد خلت من قبلهم كقوله في اصحاب الجنة من الجن والانس بيان للامم انهم كانوا خاسرين تعليل للحكم على الاستئناف ولكل من الفريقين درجات مما عملوا مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا والدرجات غالبة في المثوبة وههنا جاءت على التغليب وليوفيهم اعمالهم جزاءها وقرأ نافع وابن ذكوان وحمزة والكسائي بالنون وهم لا يظلمون بنقص ثواب وزيادة عقاب

ويوم يعرض الذين كفروا على النار يعذبون بها وقيل تعرض النار عليهم فقلب مبالغة كقولهم عرضت الناقة على الحوض اذهبتم اى يقال لهم اذهبتم وهو ناصب اليوم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالاستفهام غير ان ابن كثير يقرأ بهمزة ممدودة وهما يقرأن بها وبهمزتين محققتين طيباتكم لذائذكم فى حيوتكم الدنيا باستيفائها واستمتعتم بها فما بقى لكم منها شئ فاليوم تجزون عذاب الهون الهوان وقد قرئ به بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون بسبب الاستكبار الباطل والفسوق عن طاعة الله وقرئ تفسقون بالكسر واذكر اخا عاد يعنى هودا اذ انذر قومه بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانوا يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن وقد خلت النذر الرسل من بين يديه ومن خلفه قبل هود وبعده والجملة حال او اعتراض الا تعبدوا الا الله اى لا تعبدوا او بان لا تعبدوا فان النهى عن الشئ انذار عن مضرته انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم هائل بسبب شرككم قالوا اجئتنا لتأفكنا لتصرفنا عن آلهتنا عن عبادتها فأتنا بما تعدنا من العذاب على الشرك ان كنت من الصادقين فى وعدك قال انما العلم عند الله لا علم لى بوقت عذابكم ولا مدخل لى فيه فأستعجل به وانما علمه عند الله فيأتيكم به فى وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به اليكم وما على الرسول الا البلاغ ولكنى اريكم قوما تجهلون لا تعلمون ان الرسل بعثوا مبلغين منذرين لا معذبين مقترحين فلما راوه عارضا سحابا عرض فى افق من السماء مستقبل اوديتهم متوجها اوديتهم والاضافة فيه لفظية وكذا فى قوله قالوا هذا عارض ممطرنا اى يأتينا بالمطر بل هو اى قال هود عليه الصلاة والسلام بل هو ما استعجلتم به من العذاب وقرئ قل بل ريح هى ريح ويجوز ان يكون بدل ما فيها عذاب اليم صفتها وكذلك قوله تدمر تهلك كل شئ من نفوسهم واموالهم بامر ربها اذ لا توجد نابضة حركة ولا قابضة سكون الا بمشيئته وفى ذكر الامر والرب واضافته الى الريح فوائد سبق ذكرها مرارا وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك فيكون العائد محذوفا او الهاء فى ربها ويحتمل ان يكون استئنافا للدلالة على ان لكل شئ ممكن فناء مقضيا لا يتقدم ولا يتأخر ويكون الهاء لكل شئ فانه بمعنى الاشياء فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث لو حضرت بلادهم لا ترى الا مساكنهم وقرأ عاصم وحمزة والكسائى لا يرى الا مساكنهم بالياء المضمومة ورفع المساكن

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى

كذلك نجزى القوم المجرمين روى ان هودا عليه السلام لما احس بالريح اعتزل بالمؤمنين فى الحظيرة وجاءت الريح فامالت الاحقاف على الكفرة وكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام ثم كشفت عنهم واحتملتهم وقذفتهم فى البحر ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية وهى احسن من ما ههنا لانها توجب التكرير لفظا ولذلك قلبت الفها هاء فى مهما او شرطية محذوفة الجواب والتقدير ولقد مكناهم فى الذى او فى شئ ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر او صلة كما فى قوله يرجى المرء ما ان لا يراه ويعرض دون ادناه الخطوب والاول اظهر واوفق كقوله هم احسن اثاثا كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليعرفوا تلك النعم ويستدلوا بها على مانحها ويواظبوا على شكرها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ من الاغناء وهو القليل اذ كانوا يجحدون بايات الله صلة لما اغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه وكذلك حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات بتكريرها لعلهم يرجعون عن كفرهم فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة فهلا منعهم من الهلاك الهتهم الذين يتقربون بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واول مفعولى اتخذ الراجع الى الموصول المحذوف وثانيهما قربانا والهة بدل او عطف بيان او الهة وقربانا حال او مفعول له على انه بمعنى التقرب وقرئ قربانا بضم الراء بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وامتنع ان يستمدوا بهم امتناع الاستمداد بالضال وذلك افكهم وذلك الاتخاذ الذى هذا اثره صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم اى جعلهم آفكين وآفكهم اى قولهم الافك اى ذو الافك وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم اليك والنفر دون العشرة وجمعه انفار يستمعون القرآن حال محمولة على المعنى فلما حضروه اى القرآن او الرسول قالوا انصتوا قال بعضهم لبعض اسكتوا لنسمعه فلما قضى اتم وفرغ من قراءته وقرئ على بناء الفاعل وهو ضمير الرسول ولوا الى قومهم منذرين اى منذرين اياهم بما سمعوا روى انهم وافوا رسول الله عليه السلام بوادى النخلة عند منصرفه من الطائف يقرأ فى تهجده قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل انما قالوا ذلك لانهم كانوا يهودا او ما سمعوا بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق من العقائد والى طريق مستقيم من الشرائع

إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حق الله تعالى فان المظالم لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم هو معدّ للكفار واحتج ابو حنيفة رضي الله عنه باقتصارهم على المغفرة والاجارة على ان لا ثواب لهم والاظهر انهم في توابع التكليف كبني آدم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض اذ لا ينجي منه مهرب وليس له من دونه اولياء يمنعونه منه اولئك في ضلال مبين حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شأنه اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن ولم يتعب ولم يعجز والمعنى ان قدرته واجبة لا تنقص ولا تنقطع بالايجاد ابد الاباد بقادر على ان يحيي الموتى اي قادر ويدل عليه قرأة يعقوب يقدر والباء مزيدة لتأكيد النفي فانه مشتمل على ان وما في حيزها ولذلك اجاب عنه بقوله بلى انه على كل شيء قدير تقرير للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود كانه لما صدّر السورة بتحقيق المبدأ اراد ختمها باثبات المعاد ويوم يعرض الذين كفروا على النار منصوب بقول مضمر مقوله اليس هذا بالحق والاشارة الى العذاب قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم في الدنيا ومعنى الامر هو الاهانة بهم والتوبيخ لهم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات والجدّ منهم فانك من جملتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض واولوا العزم اصحاب الشرآئع اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضرّ وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلى الله عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب فانه نازل بهم في وقته لا محالة كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا من هوله مدّة لبثهم في الدنيا حتى يحسبونها ساعة بلاغ هذا الذي وعظتم به او هذه السورة بلاغ اي كفاية او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقيل بلاغ مبتدأ خبره لهم وما بينهما اعتراض اي لهم وقت يبلغون اليه كانهم اذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا مدّة عمرهم وقرئ بالنصب اي بلغوا بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون الخارجون عن الاتعاظ او الطاعة وقرئ يهلك بفتح اللام وكسرها من هلك وهلك ونهلك بالنون ونصب القوم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

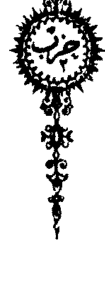
يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم ﴿٣١﴾ ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء اولئك في ضلال مبين ﴿٣٢﴾ اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير ﴿٣٣﴾ ويوم يعرض الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴿٣٤﴾ فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون ﴿٣٥﴾

سورة محمد عليه السلام مدنية وهي ثمان وثلاثون آية

سورة محمد عليه الصلاة والسلام وتسمى سورة القتال وهي مدنية وفيه مكية وايها سبع او ثمان وثلاثون اية بســـم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله امتنعوا عن الدخول في الاسلام وسلوك طريقه او منعوا الناس عنه كالمطعمين يوم بدر او شياطين قريش والمصرّين من اهل الكتاب اوعام في جميع من كفر وصدّ اضل اعمالهم جعل مكارمهم كصلة الرحم وفك الاسارى وحفظ الجوار ضالة اى ضائعة محبطة بالكفر او مغلوبة مغمورة فيه كما يضل الماء في اللبن او ضلالا حيث لم يقصدوا به وجه الله او ابطل ما عملوه من الكيد لرسوله والصدّ عن سبيله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله والذين امنوا وعملوا الصالحات يعم المهاجرين والانصار والذين امنوا من اهل الكتاب وغيرهم وامنوا بما نزل على محمد تخصيص للمنزل عليه مما يجب الايمان به تعظيما له واشعارا بان الايمان لا يتم دونه وانه الاصل فيه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اعتراضا على طريقة الحصر وقيل حقيته بكونه ناسخا لا ينسخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٤٧

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٢
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٣ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ
مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۝٤ فَإِذَا
لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا
الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا
ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٥
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٦ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٧



وقرئ نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم سترها بالايمان وعملهم الصالح واصلح بالهم حالهم في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد ذلك اشارة الى ما مرّ من الاضلال والتكفير والاصلاح وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم بسبب اتباع هؤلاء الباطل واتباع هؤلاء الحق وهو تصريح بما اشعر به ما قبلها ولذلك تسمى تفسيرا كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس يبين لهم امثالهم احوال الفريقين او احوال الناس او يضرب امثالهم بان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار والاضلال مثلا لخيبتهم واتباع الحق مثلا للمؤمنين وتكفير السيئات مثلا لفوزهم فاذا لقيتم الذين كفروا في المحاربة فضرب الرقاب اصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول ضما الى التأكيد الاختصار والتعبير به عن القتل اشعار بانه ينبغي ان يكون بضرب الرقبة حيث امكن وتصوير له باشنع صورة حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الثخين وهو الغليظ فشدّوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق بالفتح والكسر ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا او يفدون فداء والمراد التخيير بعد الاسر بين المنّ والاطلاق وبين اخذ الفداء وهو ثابت عندنا فان الذكر الحر المكلف اذا اسر يخير الامام بين القتل والمنّ والفداء والاسترقاق منسوخ عند الحنفية او مخصوص بحرب بدر فانهم قالوا يتعين القتل او الاسترقاق وقرئ فدا كعصا حتى تضع الحرب اوزارها الاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع اى تنقضي الحرب ولم يبق الا مسلم او مسالم وقيل اثامها والمعنى حتى تضع اهل الحرب شركهم ومعاصيهم وهو غاية للضرب او الشدّ او المنّ والفداء او المجموع بمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم حتى لا يكون حرب مع المشركين بزوال شوكتهم وقيل بنزول عيسى صلى الله عليه وسلم ذلك اى الامر ذلك او افعلوا بهم ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم لانتقم منهم باستئصال ولكن ليبلو بعضكم ببعض ولكن امركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بان يجاهدوهم فيستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بان يعاجلهم على ايديهم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر والذين قاتلوا في سبيل الله اى جاهدوا وقرأ البصريان وحفص قتلوا اى استشهدوا فلن يضل اعمالهم فلن يضيعها وقرئ يضل من ضل ويضل على البناء للمفعول سيهديهم الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم وقد عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا اليها فعملوا ما استوجبوها به او بينها لهم بحيث يعلم كل احد منزله ويهتدى اليه كانه كان ساكنه منذ خلق او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حدّدها لهم بحيث يكون لكل جنة مفرزة

يا ايها الذين امنوا ان تنصروا الله ان تنصروا دينه ورسوله ينصركم على عدوكم ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام والمجاهدة مع الكفار والذين كفروا فتعسا لهم فعثارا وانحطاطا ونقيضه لعا قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا وانتصابه بفعله الواجب اضماره سماعا والجملة خبر الذين كفروا ومفسرة لناصبه واضل اعمالهم عطف عليه ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله القرآن لما فيه من التوحيد والتكاليف المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم وهو تخصيص وتصريح بسببية الكفر بالقرآن للتعس والاضلال فاحبط الله اعمالهم كرره اشعارا بانه يلزم الكفر بالقرآن ولا ينفك عنه بحال افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم استأصل عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم واموالهم وللكافرين من وضع الظاهر موضع المضمر امثالها امثال تلك العاقبة او العقوبة او الهلكة لان التدمير يدل عليها او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت ذلك بان الله مولى الذين امنوا ناصرهم على اعدائهم وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع العذاب عنهم وهو لا يخالف قوله وردوا الى الله مولاهم الحق فان المولى فيه بمعنى المالك ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون ينتفعون بمتاع الدنيا ويأكلون كما تأكل الانعام حريصين غافلين عن العاقبة والنار مثوى لهم منزل ومقام وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك على حذف المضاف واجراء احكامه على المضاف اليه والاخراج باعتبار التسبب اهلكناهم بانواع العذاب فلا ناصر لهم يدفع عنهم وهو كالحال المحكية افمن كان على بينة من ربه حجة من عنده وهو القرآن او ما يعمه والحجج العقلية كالنبي والمؤمنين كمن زين له سوء عمله كالشرك والمعاصي واتبعوا اهواءهم في ذلك لا شبهة لهم عليه فضلا عن حجة مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا عليك صفتها العجيبة وقيل مبتدأ خبره كمن هو خالد في النار وتقدير الكلام امثل اهل الجنة كمثل من هو خالد او امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فعري عن حرف الانكار وحذف ما حذف استغناء بجري مثله تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع للهوى بمكابرة من يسوي بين الجنة والنار وهو على الاول خبر محذوف تقديره افمن هو خالد في هذه الجنة كمن هو خالد في النار او بدل من قوله كمن زين وما بينهما اعتراض لبيان ما يمتاز به من هو على بينة في الآخرة تقريرا لانكار المساواة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ

فيها انهار من ماء غير اسن استئناف بشرح المثل وحال من العائد المحذوف او خبر لمثل واسن من اسن الماء بالفتح اذا تغير طعمه وريحه او بالكسر على معنى الحدوث وقرأ ابن كثير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يصر قارصا ولا حازرا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة لا يكون فيها كراهة غائلة ريح ولا غائلة سكر وخمار تأنيث لذ او مصدر نعت به باضمار او تجوز وقرئت بالرفع على صفة الانهار والنصب على العلة وانهار من عسل مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى ذلك تمثيل لما يقوم مقام الاشربة فى الجنة بانواع ما يستلذ منها فى الدنيا بالتجريد عما ينغصها وينقصها والتوصيف بما يوجب غزارتها واستمرارها ولهم فيها من كل الثمرات صنف على هذا القياس ومغفرة من ربهم عطف على الصنف المحذوف او مبتدأ خبره محذوف اى لهم مغفرة كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك يعنى المنافقين كانوا يحضرون مجلس الرسول ويسمعون كلامه فاذا خرجوا قالوا للذين اوتوا العلم اى لعلماء الصحابة ماذا قال انفا ما الذى قال الساعة استهزاء او استعلاما اذ لم يلقوا له آذانهم تهاونا به وانفا من قولهم انف الشئ لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتا مؤتنفا او حال من الضمير فى قال وقرئ أنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم فلذلك استهزؤوا بها وتهاونوا بكلامه والذين اهتدوا زادهم هدى اى زادهم الله بالتوفيق والالهام او قول الرسول واتيهم تقويهم بين لهم ما يتقون او اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها فهل ينظرون الا الساعة فهل ينتظرون غيرها ان تاتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقوله فقد جاء اشراطها كالعلة له وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف جزاؤه فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها كمبعث الرسول وانشقاق القمر فكيف لهم ذكراهم اى تذكرهم اذا جاءتهم الساعة وحينئذ لا يفزع له ولا ينفع فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك اى اذا علمت سعادة المؤمنين وشقاوة الكافرين فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية وتكميل النفس باصلاح احوالها وافعالها وهضمها بالاستغفار لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ولذنوبهم بالدعاء لهم والتحريض على ما يستدعى غفرانهم وفى اعادة الجار وحذف المضاف اشعار بفرط احتياجهم وكثرة ذنوبهم وانها جنس آخر فان الذنب ماله تبعة ما كترك الاولى والله يعلم متقلبكم فى الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثويكم فى العقبى فانها دار اقامتكم فاتقوا الله واستغفروه واعدوا لمعادكم

فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٩﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا

لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا

ويقول الذين امنوا لولا نزلت اى هلا نزلت سورة فى امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة مبينة لا تشابه فيها وذكر فيها القتال اى الامر به رايت الذين فى قلوبهم مرض ضعف فى الدين وقيل نفاق ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت جبنا ومخافة فاولى لهم فويل لهم افعل من الولى وهو القرب او فعلى من آل ومعناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤل اليه امرهم طاعة وقول معروف استئناف اى امرهم طاعة او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية قولهم لقراءة ابى يقولون طاعة فاذا عزم الامر اى جد وهو لاصحاب الامر واسناده اليه مجاز وعامل الظرف محذوف وقيل فلو صدقوا الله اى فيما زعموا من الحرص على الجهاد او الايمان لكان الصدق خيرا لهم فهل عسيتم فهل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتأمرتم عليهم او اعرضتم وتوليتم عن الاسلام ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا ارحامكم تفاخرا على الولاية وتجاذبا عن الاسلام لها او رجوعا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من التغاور ومقاتلة الاقارب والمعنى انهم لضعفهم فى الدين وحرصهم على الدنيا احقاء بان يتوقع ذلك منهم من عرف حالهم ويقول لهم هل عسيتم وهذا على لغة الحجاز فان بنى تميم لا يلحقون الضمير به وخبره ان تفسدوا وان توليتم اعتراض وعن يعقوب توليتم اى ان تولاكم ظلمة خرجتم معهم وساعدتموهم فى الافساد وقطيعة الرحم وتقطعوا من القطع وقرئ تقطعوا من التقطع اولئك اشارة الى المذكورين الذين لعنهم الله لافسادهم وقطعهم الارحام فاصمهم عن استماع الحق واعمى ابصارهم فلا يهتدون سبيله افلا يتدبرون القرآن يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يجسروا على المعاصى ام على قلوب اقفالها لا يصل اليها ذكر ولا ينكشف لها امر وقيل ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وتنكير القلوب لان المراد قلوب بعض منهم او للاشعار بانها لابهام امرها فى القساوة او لفرط جهالتها ونكرها كانها مبهمة منكورة واضافة الاقفال اليها للدلالة على اقفال مناسبة لها مختصة بها لا تجانس الاقفال المعهودة وقرئ اقفالها على المصدر ان الذين ارتدوا على ادبارهم الى ما كانوا عليه من الكفر من بعد ما تبين لهم الهدى بالدلائل الواضحة والمعجزات الظاهرة الشيطان سول لهم سهل لهم اقتراف الكبائر من السول وهو الاسترخاء وقيل حملهم على الشهوات من السؤل وهو التمنى وفيه ان السؤل مهموز قلبت همزته لضم ما قبلها ولا كذلك التسويل ويمكن رده بقولهم هما يتساولان وقرئ سول على تقدير مضاف اى كيد الشيطان سول لهم واملى لهم ومد لهم فى الآمال والامانى او امهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة لقراءة يعقوب واملى لهم اى وانا املى لهم فيكون الواو للحال او الاستئناف وقرأ ابو عمرو واملى لهم على البناء للمفعول وهو ضمير الشيطان او لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله اى قال اليهود الذين كفروا بالنبى بعد ما تبين لهم نعته للمنافقين او المنافقون لهم او احد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى بعض الامر فى بعض اموركم او فى بعض ما تأمرون به كالقعود عن الجهاد والموافقة فى الخروج معهم ان اخرجوا والتظافر على الرسول والله يعلم اسرارهم ومنها قولهم هذا الذى افشاه الله عليهم وقرأ حمزة والكسائى وحفص اسرارهم على المصدر فكيف اذا توفتهم الملائكة فكيف يعملون ويحتالون حينئذ وقرئ توفاهم وهو يحتمل الماضى والمضارع المحذوف احدى تاءيه يضربون وجوههم وادبارهم تصوير لتوفيهم بما يخافون منه ويجبنون عن القتال له

مَا أَسْخَطَ اللّٰهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٩﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللّٰهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣١﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللّٰهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ﴿٣٥﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللّٰهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٦﴾

ذلك اشارة الى التوفى الموصوف بانهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر وكتمان نعت الرسول وعصيان الامر وكرهوا رضوانه مايرضاه من الايمان والجهاد وغيرهما من الطاعات فاحبط اعمالهم لذلك امحسب الذين فى قلوبهم مرض ان لن يخرج الله ان لن يبرز الله لرسوله والمؤمنين اضغانهم احقادهم ولونشاء لاريناكهم لعرّفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم فلعرفتهم بسيمهم بعلاماتهم التى نسمهم بها واللام لام الجواب كررت فى المعطوف ولتعرفنهم فى لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول اسلوبه اوامالته الى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطئ لاحن لانه يعدل الكلام عن الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم على حسب قصدكم اذ الاعمال بالنيات ولنبلونكم بالامر بالجهاد وسائر التكاليف الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها ونبلوا اخباركم مايخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبحها او اخبارهم عن ايمانهم وموالاتهم المؤمنين فى صدقها وكذبها وقرأ ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ليوافق ماقبلها وعن يعقوب ونبلو بسكون الواو على تقدير ونحن نبلو ان الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ماتبين لهم الهدى هم قريظة والنضير والمطعمون يوم بدر لن يضرّوا الله شيئا بكفرهم وصدهم او لن يضرّوا رسول الله بمشاقته وحذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته وسيحبط اعمالهم ثواب حسنات اعمالهم بذلك او مكايدهم التى نصبوها فى مشاقته فلا يصلون بها الى مقاصدهم ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء كالكفر والنفاق والعجب والرياء والمنّ والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعات بالكبائر ان الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم عام فى كل من مات على كفره وان صح نزوله فى اصحاب القليب ويدل بمفهومه على انه قد يغفر لمن لم يمت على كفره سائر ذنوبه فلا تهنوا فلا تضعفوا وتدعوا الى السلم ولا تدعوا الى الصلح خورا وتذللا ويجوز نصبه باضمار ان وقرئ ولا تدّعوا من ادّعى بمعنى دعا وقرأ ابو بكر وحمزة بكسر السين وانتم الاعلون الاغلبون والله معكم ناصركم ولن يتركم اعمالكم ولن يضيع اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت متعلقا له من قريب او حميم فافردته عنه من الوتر شبه به تعطيل ثواب العمل وافراده عنه

انما الحيوة الدنيا لعب ولهو لاثبات لها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم ولا يسئلكم اموالكم جميع اموالكم
بل يقتصر على جزء يسير كربع العشر وعشره ان يسئلكموها فيحفكم فيجهدكم بطلب الكل والاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى
شاربه اذا استأصله تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم ويضغنكم على رسول الله عليه الصلاة والسلام والضمير في يخرج لله تعالى ويؤيده
القرآءة بالنون او البخل لانه سبب الاضغان وقرئ وتخرج بالتاء والياء ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اى انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون
وقوله تدعون لتنفقوا في سبيل الله استئناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين وهو يعم نفقة الغزو والزكوة وغيرهما فمنكم
من يبخل ناس يبخلون وهو كالدليل على الآية المتقدمة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان نفع الانفاق وضرر البخل عائدان اليه والبخل
يعدّى بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى فانه امساك عن مستحق
والله الغنى وانتم الفقراء فما يأمركم به فهو لاحتياجكم فان امتثلتم
فلكم وان توليتم فعليكم وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا يستبدل
قوما غيركم يقم مقامكم قوما آخرين ثم لا يكونوا امثالكم في التولى
والزهد في الايمان وهم الفرس لانه سئل عليه الصلاة والسلام
عنه وكان سلمان الى جنبه فضرب فخذه وقال هذا وقومه او الانصار
او اليمن او الملائكة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة
محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة سورة الفتح مدنية
نزلت في مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآيها
تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا
مبينا وعد بفتح مكة عظمها الله والتعبير عنه بالماضى لتحققه
او بما اتفق له في تلك السنة كفتح خيبر وفدك او اخبار عن صلح الحديبية
وانما سماه فتحا لانه كان بعد ظهوره على المشركين حتى سألوا الصلح
وتسبب لفتح مكة وفرغ به رسول الله عليه السلام لسائر العرب
فغزاهم وفتح مواضع وادخل في الاسلام خلقا عظيما وظهر له في
الحديبية آية عظيمة وهى انه نزح ماؤها بالكلية فتمضمض ثم مج فيها
فدرّت بالماء حتى شرب جميع من كان معه او فتح الروم فانهم غلبوا
على الفرس في تلك السنة وقد عرف كونه فتحا للرسول عليه السلام
في سورة الروم وقيل الفتح بمعنى القضاء اى قضينا لك
ان تدخل مكة من قابل ليغفر لك الله علة للفتح من حيث انه مسبب
عن جهاد الكفار والسعى في ازاحة الشرك واعلاء الدين وتكميل النفوس
الناقصة قهرا ليصير ذلك بالتدريج اختيارا وتخليص الضعفة من ايدى
الظلمة ما تقدم من ذنبك وما تأخر جميع ما فرط منك مما يصح ان
يعاتب عليه ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى
النبوة ويهديك صراطا مستقيما في تبليغ الرسالة واقامة مراسم الرياسة

إِنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ
أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٧﴾ إِنْ يَسْئَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا
وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٨﴾ هَا أَنْتُمْ هٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا
فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللّٰهُ
الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ۝

سُورَةُ الْفَتْحِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

٤٨

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

وينصرك الله نصرا عزيزا نصرا فيه عز ومنعة او يعز به المنصور فوصف بوصفه مبالغة هو الذى انزل السكينة الثبات والطمانينة فى قلوب المؤمنين حتى يثبتوا حيث تقلق النفوس وتدحض الاقدام ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم يقينا مع يقينهم برسوخ العقيدة واطمئنان النفس عليها اوانزل فيها السكون الى ماجاء به الرسول ليزدادوا ايمانا بالشرائع مع ايمانهم بالله واليوم الاخر ولله جنود السموات والارض يدبر امرها فيسلط بعضها على بعض تارة ويوقع فيما بينهم السلم اخرى كما تقتضيه حكمته وكان الله عليما بالمصالح حكيما فيما يقدر ويدبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها علة بما بعده لما دل عليه قوله ولله جنود السموات والارض من معنى التدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله فيه ويشكروها فيدخلوا الجنة ويعذب الكفار والمنافقين لما غاظهم من ذلك او فتحنا اوانزل اوجميع ماذكرا وليزدادوا وقيل انه بدل منه بدل الاشتمال ويكفر عنهم سيئاتهم يغطيها ولا يظهرها وكان ذلك اى الادخال والتكفير عند الله فوزا عظيما لانه منتهى مايطلب من جلب نفع اودفع ضر وعند حال من الفوز ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل الا اذا جعل بدلا فيكون عطفا على المبدل الظانين بالله ظن السوء ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء دائرة مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين لايتخطاهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو دائرة السوء بالضم وهما لغتان غيران المفتوح غلب فى ان يضاف اليه مايراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر وكلاهما فى الاصل مصدر وغضب الله عليهم ولعنهم واعدلهم جهنم عطف لما استحقوه فى الاخرة على ما استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين والموضع موضع الفاء اذ اللعن سبب للاعداد والغضب سبب له لاستقلال الكل فى الوعيد بلا اعتبار السببية وساءت مصيرا جهنم ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب للنبى والامة اولهم على ان خطابه منزل منزلة خطابهم وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه وتنزهوه اوتصلوا له بكرة واصيلا غدوة وعشيا اودائما وقرأ ابن كثير وابو عمرو الافعال الاربعة بالياء وقرئ تعزروه بسكون العين وتعزروه بفتح التاء وضم الزاء وكسرها وتعززوه بالزايين وتوقروه من اوقره بمعنى وقره

وَيَنْصُرَكَ اللّٰهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِىٓ اَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا اِيمَانًا مَعَ اِيمَانِهِمْ وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ وَكَانَ ذٰلِكَ عِنْدَ اللّٰهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّٓانِّينَ بِاللّٰهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَٓائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَاَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَٓاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلّٰهِ جُنُودُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ اِنَّٓا اَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِتُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَاَصِيلًا ﴿٩﴾ اِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ



ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله لانه المقصود ببيعته يد الله فوق ايديهم حال او استئناف مؤكد له على سبيل التخييل فمن نكث نقض العهد فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه ومن اوفى بما عاهد عليه الله وفى بمبايعته فسيؤتيه اجرا عظيما هو الجنة وقرئ عهد وقرأ حفص عليه الله بضم الهاء وابن كثير ونافع وابن عامر وروح فسنؤتيه بالنون والاية نزلت فى بيعة الرضوان سيقول لك المخلفون من الاعراب هم اسلم وجهينة ومزينة وغفار استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية فتخلفوا واعتلوا بالشغل باموالهم واهليهم وانما خلفهم الخذلان وضعف العقيدة والخوف من مقاتلة قريش ان صدوهم شغلتنا اموالنا واهلونا اذ لم يكن لنا من يقوم باشغالنا وقرئ بالتشديد للتكثير فاستغفر لنا من الله على التخلف يقولون بالسنتهم ماليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشيئته وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم كقتل او هزيمة وخلل فى المال والاهل وعقوبة على التخلف وقرأ حمزة والكسائى بالضم او اراد بكم نفعا ما يضاد ذلك وهو تعريض بالرد بل كان الله بما تعملون خبيرا فيعلم تخلفكم وقصدكم فيه بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا لظنكم ان المشركين يستأصلونهم واهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على ان اصله اهلة واما اهال فاسم جمع كليال وزين ذلك فى قلوبكم فتمكن فيها وقرئ على البناء للفاعل وهو الله او الشيطان وظننتم ظن السوء الظن المذكور والمراد التسجيل عليه بالسوء او هو وسائر ما يظنون بالله ورسوله من الامور الزائغة وكنتم قوما بورا هالكين عند الله لفساد عقيدتكم وسوء نيتكم ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وضع الكافرين موضع الضمير ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض يدبره كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا وجوب عليه وكان الله غفورا رحيما فان الغفران والرحمة من ذاته والتعذيب داخل تحت قضائه بالعرض ولذلك جاء فى الحديث الالهى سبقت رحمتى غضبى سيقول المخلفون يعنى المذكورين اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعنى مغانم خيبر فانه عليه السلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم

إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ

ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله ان يغيروه وهو وعده لاهل الحديبية ان يعوّضهم عن مغانم مكة مغانم خيبر وقيل قوله لن تخرجوا معي ابدا والظاهر انه في تبوك والكلام اسم للتكليم غلب في الجملة المفيدة وقرأ حمزة والكسائي كلم الله وهو جمع كلمة قل لن تتبعونا نفي في معنى النهي كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بالكسر بل كانوا لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا ومعنى الاضراب الاول ردّ منهم ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني ردّ من الله لذلك واثبات لجهلهم بامور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرّر ذكرهم بهذا الاسم مبالغة في الذم واشعارا بشناعة التخلف ستدعون الى قوم اولي باس شديد بني حنيفة او غيرهم ممن ارتدّوا بعد رسول الله عليه السلام فانه قال تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة او الاسلام لا غير كما دل عليه قرآءة او يسلموا ومن عداهم يقاتل حتى يسلم او يعطي الجزية وهو يدل على امامة ابي بكر رضي الله عنه اذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن فان ذلك كان في عهد النبوّة وقيل فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون ليتناول تقبلهم الجزية فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج لما اوعد على التخلف نفي الحرج عن هؤلاء المعذورين استثناء لهم من الوعيد ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فصل الوعد واجمل الوعيد مبالغة في الوعد لسبق رحمته ثم جبر ذلك بالتكرير على سبيل التعميم فقال ومن يتول يعذبه عذابا اليما اذ الترهيب ههنا انفع من الترغيب وقرأ نافع وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن امية الخزاعي الى اهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضي الله عنه فحبسوه فارجف بقتله فدعا رسول الله عليه السلام اصحابه وكانوا الفا وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وبايعهم على ان يقاتلوا قريشا ولا يفرّوا منهم وكان جالسا تحت سمرة او سدرة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمأنينة وسكون النفس بالتشجيع او الصلح واثابهم فتحا قريبا فتح خيبر غب انصرافهم وقيل مكة او هجر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني مغانم خيبر وكان الله عزيزا حكيما غالبا مراعيا مقتضى الحكمة

لِيَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٩﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٢٠﴾

وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي مايفيئ على المؤمنين الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان اوايدي قريش بالصلح ولتكون هذه الكفة اوالغنيمة اية للمؤمنين امارة يعرفون بها انهم من الله بمكان اوصدق الرسول في وعدهم فتح خيبر في حين رجوعه من الحديبية اووعد المغانم اوعنوانا لفتح مكة والعطف على محذوف هو علة لكف اوعجل مثل لتسلموا اولتاخذوا اوالعلة لمحذوف مثل فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة بفضل الله والتوكل عليه واخرى ومغانم اخرى معطوفة على هذه اومنصوبة بفعل يفسره قد احاط الله بها مثل قضى ويحتمل رفعها بالابتداء لانها موصوفة وجرها باضمار رب لم تقدروا عليها بعد لماكان فيها من الجولة قد احاط الله بها استولى فاظفركم بها وهي مغانم هوازن اوفارس وكان الله على كل شيئ قديرا لان قدرته ذاتية لاتختص بشيئ دون شيئ ولوقاتلكم الذين كفروا من اهل مكة ولم يصالحوا لولوا الادبار لانهزموا ثم لايجدون وليا يحرسهم ولانصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن غلبة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم كما قال كتب الله لاغلبن انا ورسلي ولن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا وهو الذي كف ايديهم عنكم ايدي كفار مكة وايديكم عنهم ببطن مكة في داخل مكة من بعد ان اظفركم عليهم اظهركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة ثم عاد قيل كان ذلك يوم الفتح واستشهد به على ان مكة فتحت عنوة وهو ضعيف اذ السورة نزلت قبله وكان الله بما تعملون من مقاتلتهم اولا طاعة لرسوله وكفهم ثانيا لتعظيم بيته وقرأ ابوبكر بالياء بصيرا فيجازيهم عليه هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله يدل على ان ذلك كان عام الحديبية والهدي مايهدى الى مكة وقرئ الهدي وهو فعيل بمعنى مفعول ومحله مكانه الذي يحل فيه نحره والمراد مكانه المعهود وهو منى لا مكانه الذي لايجوز ان ينحر في غيره والا لما نحره الرسول عليه الصلاة والسلام حيث احصر فلا ينتهض حجة للحنفية على ان مذبح هدي المحصر هو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم بالمشركين ان تطؤهم ان توقعوا بهم وتبيدوهم قال ووطئتنا وطئا على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وقال عليه الصلاة والسلام ان آخر وطأة وطئها الله بوج وهو واد بالطائف كان آخر وقعة للنبي عليه الصلاة والسلام بها واصله الدوس وهو بدل اشتمال من رجال ونساء اومن ضميرهم في تعلموهم فتصيبكم منهم من جهتهم معرة مكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار بذلك والاثم بالتقصير في البحث عنهم مفعلة من عره اذا عراه مايكرهه بغير علم متعلق بان تطأوهم اي تطأوهم غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين بين اظهر الكافرين جاهلين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه لما كف ايديكم عنهم

وَعَدَكُمُ اللّٰهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهٖ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرٰى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللّٰهُ بِهَا وَكَانَ اللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللّٰهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللّٰهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللّٰهُ

ليدخل الله في رحمته علة لما دل عليه كف الايدى من اهل مكة صونا لمن فيها من المؤمنين اى كان ذلك ليدخل الله في رحمته اى في توفيقه لزيادة الخير او الاسلام من يشاء من مؤمنيهم او مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرئ تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بالقتل والسبى اذ جعل الذين كفروا مقدر باذكر او ظرف لعذبنا او صدوكم في قلوبهم الحمية الانفة حمية الجاهلية التى تمنع اذعان الحق فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين فانزل عليهم الثبات والوقار وذلك ما روى انه عليه الصلاة والسلام لما هم بقتالهم بعثوا سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص ليسألوه ان يرجع من عامه على ان يخلى له قريش مكة من القابل ثلاثة ايام فاجابهم وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله

فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٦﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٧﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ

ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال النبى عليه الصلاة والسلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وتحلموا والزمهم كلمة التقوى كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم محمد رسول الله اختارها لهم او الثبات والوفاء بالعهد واضافة الكلمة الى التقوى لانها سببها وكلمة اهلها وكانوا احق بها من غيرهم واهلها المستأهل لها وكان الله بكل شئ عليما فيعلم اهل كل شئ وييسره له لقد صدق الله رسوله الرؤيا رأى عليه السلام انه واصحابه دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا بها وحسبوا ان ذلك يكون في عامهم فلما تأخر قال بعضهم والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا البيت فنزلت والمعنى صدقه في رؤياه بالحق ملتبسا به فان ما راه كائن لا محالة في وقته المقدر له وهو العام القابل ويجوز ان يكون بالحق صفة مصدر محذوف اى صدقا ملتبسا بالحق وهو القصد الى المميز بين الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وان يكون قسما اما باسم الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله تعليق للعدة بالمشيئة تعليما للعباد او اشعارا بان بعضهم لا يدخل لموت او غيبة او حكاية لما قاله ملك الرؤيا في النوم او النبى لاصحابه امنين حال من الواو والشرط معترض محلقين رؤسكم ومقصرين اى محلقا بعضكم ومقصرا آخرون لا تخافون حال مؤكدة او استئناف اى لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك فجعل من دون ذلك من دون دخولكم المسجد او فتح مكة فتحا قريبا هو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر الموعود هو الذى ارسل رسوله بالهدى ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين كله بنسخ ما كان حقا واظهار فساد ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهله اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه تأكيد لما وعده من الفتح وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن او على نبوته باظهار المعجزات محمد رسول الله جملة مبنية للشهود به ويجوز ان يكون رسول الله صفة ومحمد خبر محذوف او مبتدأ والذين معه معطوف عليه وخبرهما اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يغلظون على من خالف دينهم ويتراحمون فيما بينهم كقوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تريهم ركعا سجدا لانهم مشتغلون بالصلاة في اكثر اوقاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضى

سيميهم فى وجوههم من اثر السجود يريد السمة التى تحدث فى جباههم من كثرة السجود فعلى من سامه اذا اعلمه وقد قرئت ممدودة ومن اثر السجود بيانها
اوحال من المستكنّ فى الجار ذلك اشارة الى الوصف المذكور او اشارة مبهمة يفسرها كزرع مثلهم فى التورية صفتهم العجيبة الشان المذكورة فيها
ومثلهم فى الانجيل عطف عليه اى ذلك مثلهم فى الكتابين وقوله كزرع تمثيل مستأنف او تفسير او مبتدأ وكزرع خبره اخرج شطأه اى فراخه يقال
اشطأ الزرع اذا فرخ وقرأ ابن كثير وابن عامر برواية ابن ذكوان شطأه بفتحات وهو لغة فيه وقرئ شطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بنقل
حركة الهمزة وحذفها وشطوه بقلبها واوا فازره فقوّاه من الموازرة وهى المعاونة او من الأزار وهى الاعانة وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان فازره كاجر
فى اجر فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظة فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وعن ابن كثير سؤقه بالهمزة يعجب الزراع بكثافته
وقوّته وغلظته وحسن منظره وهو مثل ضربه الله تعالى للصحابة قلوا
فى بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم بحيث اعجب الناس
ليغيظ بهم الكفار علة لتشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه او
لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا
عظيما فان الكفار لما سمعوه غاظهم ذلك ومنهم للبيان عن النبى
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد
فتح مكة سورة الحجرات مدينة وايها ثمانى عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا
اى لا تقدموا امرا فحذف المفعول ليذهب الوهم الى كل ما يمكن او ترك
لان المقصود نفى التقديم رأسا او لا تتقدّموا ومنه مقدّمة الجيش
لمتقدّميهم ويؤيده قرآءة يعقوب لا تقدّموا وقرئ لا تقدموا من
القدوم بين يدى الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين
ليدى الانسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به
وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعظيما له واشعارا بانه من الله
بمكان يوجب اجلاله واتقوا الله فى التقديم او مخالفة الحكم ان الله
سميع لاقوالكم عليم بافعالكم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبى اى اذا كلمتموه فلا تجاوزوا اصواتكم عن صوته
ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ولا تبلغوا به الجهر
الدائر بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته محاماة على الترحيب
ومراعاة للادب وقيل معناه ولا تخاطبوه باسمه وكنيته كما يخاطب
بعضكم بعضا وخاطبوه بالنبى والرسول وتكرير النداء لاستدعاء
مزيد الاستبصار والمبالغة فى الايقاظ والدلالة على استقلال
المنادى له وزيادة الاهتمام به ان تحبط اعمالكم كراهة ان تحبط
فيكون علة للنهى او لان تحبط على ان النهى عن الفعل المعلل باعتبار
التأدية لان فى الرفع والجهر استخفافا قد يؤدّى الى الكفر المحبط وذلك اذا ضم اليه قصد الاهانة وعدم المبالاة وقد روى ان ثابت بن قيس رضى الله عنه
كان فى اذنه وقر وكان جهوريا فلما نزلت تخلف عن رسول الله عليه السلام فتفقده ودعاه فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية وانى رجل
جهير الصوت فاخاف ان يكون عملى قد حبط فقال عليه السلام لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة وانتم لا تشعرون
انها محبطة ان الذين يغضون اصواتهم يخفضونها

مِنْ اَثَرِ السُّجُودِ ذٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى التَّوْرٰيةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْاِنْجِيلِ كَزَرْعٍ
اَخْرَجَ شَطْـَٔهُ فَاٰزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوٰى عَلٰى سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللّٰهُ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا
الصّٰلِحٰتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَاَجْرًا عَظِيمًا

سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية

٤٩

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ
اِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اٰمَنُوا لَا تَرْفَعُوا اَصْوَاتَكُمْ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ
اَنْ تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ اِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ

عند رسول الله مراعاة للادب او مخافة من مخالفة النهي قيل كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما بعد ذلك يسرّانه حتى يستفهمهما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جرّبها للتقوى ومرّنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان سبب المعرفة واللام صلة محذوف او الفعل باعتبار الاصل او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز ابريزه من خبثه لهم مغفرة لذنوبهم واجر عظيم لغضهم وسائر طاعاتهم والتنكير للتعظيم والجملة خبر ثان لانّ او استئناف لبيان ما هو جزاء الغاضين احمادا لحالهم كما اخبر عنهم بجملة مؤلفة من معرفتين والمبتدأ اسم الاشارة المتضمن لما جعل عنوانا لهم والخبر الموصول بصلة دلت على بلوغهم اقصى الكمال مبالغة في الاعتداد بغضهم والارتضاء له وتعريضا بشناعة الرفع والجهر وان حال المرتكب لهما على خلاف ذلك ان الذين ينادونك من وراء الحجرات من خارجها خلفها او قدامها ومن ابتدائية فان المناداة نشأت من جهة الوراء وفائدتها الدلالة على ان المنادى داخل الحجرة اذ لا بد وان يختلف المبدأ والمنتهى بالجهة وقرئ الحجرات بفتح الجيم

أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٨﴾ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي

وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد حجرات نساء النبي عليه الصلوة والسلام وفيها كناية عن خلوته بالنساء ومناداتهم من ورائها اما بانهم اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له فاسند فعل الابعاض الى الكل وقيل ان الذي ناداه عيينة بن حصين والاقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج الينا وانما اسند الفعل الى جميعهم لانهم رضوا بذلك اوامروا به او لانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون اذ العقل يقتضي حسن الادب ومراعاة الحشمة سيما لمن كان بهذا المنصب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو ثبت صبرهم وانتظارهم حتى تخرج فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر دلت بنفسها على الثبوت ولذلك وجب اضمار الفعل وحتى تفيد أن الصبر ينبغي ان يكون مغيا بخروجه فان حتى مختصة بغاية الشئ في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام او يتوجه اليهم لكان خيرا لهم لكان الصبر خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من حفظ الادب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسئول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم حيث اقتصر على النصح والتقريع لهؤلاء المسيئين للادب التاركين تعظيم الرسول يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا فتعرفوا وتفحصوا روي انه عليه الصلاة والسلام بعث وليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد بعده فوجدهم منادين بالصلاة مجتهدين فسلموا اليه الصدقات فرجع وتنكير الفاسق والنبأ للتعميم وتعليق الامر بالتبين على فسق المخبر يقتضي جواز قبول خبر العدل من حيث ان المعلق على شئ بكلمة ان عدم عند عدمه وان خبر الواحد تبينه من حيث هو كذلك لما رتب على الفسق اذ الترتيب يفيد التعليل وما بالذات لا يعلل بالغير وقرأ حمزة والكسائي فتثبتوا اي فتوقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا كراهة اصابتكم قوما بجهالة جاهلين بحالهم فتصبحوا فتصيروا على ما فعلتم نادمين مغتمين غما لازما متمنين انه لم يقع وتركيب هذه الاحرف الثلاثة دائر مع اللزوم واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في حيزه ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما قيد به من الحال وهو قوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه حال من احد ضميري فيكم ولو جعل استئنافا لم يظهر للامر فائدة والمعنى ان فيكم رسول الله على حال يجب تغييرها وهي انكم تريدون ان يتبع رأيكم في الحوادث ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في العنت وهو الجهد والهلاك وفيه اشعار بان بعضهم اشار عليه بالايقاع ببني المصطلق وقوله ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان استدراك ببيان عذرهم وهو انهم من فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر حملهم على ذلك لما سمعوا قول الوليد او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا لفعلهم وتعريضا الذم من فعل ويؤيده قوله

اولئك هم الراشدون اى اولئك المستثنون هم الذين اصابوا الطريق السوى وكره متعد بنفسه الى مفعول واحد فاذا شدد زاد له اخر لكنه لما تضمن معنى التبغيض نزل الكم منزلة مفعول اخر والكفر تغطية نعم الله تعالى بالجحود والفسوق الخروج عن القصد والعصيان الامتناع عن الانقياد فضلا من الله ونعمة تعليل لكره او حبب وما بينهما اعتراض لا للراشدين فان الفضل فعل الله والرشد وان كان مسببا عن فعله مسند الى ضميرهم او مصدر لغير فعله فان التحبيب والرشد فضل من الله وانعام والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق عليهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فان كل طائفة جمع فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت احداهما على الاخرى تعدت عليها فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه او ما امر به وانما اطلق الفيء على الظل لرجوعه بعد نسخ الشمس والغنيمة لرجوعها من الكفار الى المسلمين فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما على ما حكم الله وتقييد الاصلاح بالعدل ههنا لانه مظنة الحيف من حيث انه بعد المقاتلة واقسطوا واعدلوا فى كل الامور ان الله يحب

تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ

المقسطين يحمد فعلهم بحسن الجزاء والاية نزلت فى قتال حدث بين الاوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالسعف والنعال وهى تدل على ان الباغى مؤمن وانه اذا قبض عن الحرب ترك كما جاء فى الحديث لانه فاء الى امر الله وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة انما المؤمنون اخوة من حيث انهم منتسبون الى اصل واحد هو الايمان الموجب للحياة الابدية وهو تعليل وتقرير للامر بالاصلاح ولذلك كرره مرتبا عليه بالفاء فقال فاصلحوا بين اخويكم ووضع الظاهر موضع الضمير مضافا الى المامورين للمبالغة فى التقرير والتحضيض وخص الاثنين بالذكر لانهما اقل من يقع بينهم الشقاق وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم واخوانكم واتقوا الله فى مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض اذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر والقوم مختص بالرجال لانه اما مصدر نعت به فشاع فى الجمع او جمع لقائم كزائر وزور والقيام بالامور وظيفة الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم فرعون وعاد فاما على التغليب او الاكتفاء بذكر الرجال عن ذكرهن لانهن توابع واختيار الجمع لان السخرية تغلب فى المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهى ولا خبر لها لاغناء الاسم عنه وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فهى على هذا ذات خبر ولا تلمزوا انفسكم اى ولا يعب بعضكم بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة او لا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما استحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرأ يعقوب بالضم ولا تنابزوا بالالقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان النبز مختص بلقب السوء عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسق الى المؤمنين خصوصا اذ روى ان الاية نزلت فى صفية بنت حيى رضى الله عنها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى



يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ان ابى هرون وعمى موسى وزوجى محمد او الدلالة على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان مستقبح ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب وابهام الكثير ليحتاط فى كل ظن ويتأمل حتى يعلم انه من اى القبيل فان من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله وما يحرم كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن فى الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل مستأنف للامر والاثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كانه يثم الاعمال اى يكسرها ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذى هو اثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الجواس وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته

وسئل

وسئل منه عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر واسناد الفعل الى احد للتعميم وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى ان صح ذلك او عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم او الاخ وشدده نافع واتقوا الله ان الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة فى التواب لانه بليغ فى قبول التوبة اذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب او لكثرة المتوب عليهم او لكثرة ذنوبهم روى ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبتغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى ارى خضرة اللحم فى افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم وحواء عليهما السلام او خلقنا كل واحد

عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰيكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْاَعْرَابُ اٰمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلٰكِنْ قُولُوا اَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيمَانُ فِى قُلُوبِكُمْ وَاِنْ تُطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ اَعْمَالِكُمْ شَيْـًٔا اِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥﴾ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ اٰمَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللّٰهِ اُولٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ اَتُعَلِّمُونَ اللّٰهَ بِدِينِكُمْ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ اَنْ اَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَىَّ اِسْلَامَكُمْ بَلِ اللّٰهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ اَنْ هَدٰيكُمْ لِلْاِيمَانِ اِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨﴾ اِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

سورة ق مكية وهى خمس واربعون اية

منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب ويجوز ان يكون تقريرا للاخوة المانعة عن الاغتياب وجعلناكم شعوبا وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا لا للتفاخر بالاباء والقبائل وقرئ لتعارفوا بالادغام ولتتعارفوا ولتعرفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال عليه الصلاة والسلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال عليه السلام يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله ان الله عليم بكم خبير ببواطنكم قالت الاعراب امنا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة فى سنة جدبة واظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله أتيناك بالاثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون قل لم تؤمنوا اذ الايمان تصديق مع ثقة وطمأنينة قلب ولم يحصل لكم والا لما مننتم على الرسول بالاسلام وترك المقاتلة كما دل عليه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك المحاربة يشعر به وكان نظم الكلام ان يقول لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم تؤمنوا ولكن اسلمتم فعدل عنه الى هذا النظم احترازا من النهى عن القول بالايمان والجزم باسلامهم وقد فقد شرط اعتباره شرعا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لقولوا فانه حال من ضميره اى لكن قولوا اسلمنا ولم يواطئ قلوبكم السنتكم بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم من اجورها شيئا من لات ليتا اذا نقص وقرأ البصريان لا يألتكم من الألت وهو لغة غطفان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه فى الشك مع التهمة وفيه اشارة الى ما اوجب نفى الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الايمان ليس حال الايمان فقط بل فيه وفيما يستقبل فهى كما فى قوله ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله فى طاعته والمجاهدة بالاموال والانفس تصلح للعبادات المالية والبدنية باسرها اولئك هم الصادقون الذين صدقوا فى ادعاء الايمان قل اتعلمون الله بدينكم اتخبرونه بقولكم امنا والله يعلم ما فى السموات وما فى الارض والله بكل شئ عليم لا يخفى عليه خافية وهو تجهيل لهم وتوبيخ روى انه لما نزلت الآية المتقدمة جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون معتقدون فنزلت هذه يمنون عليك ان اسلموا يعدون اسلامهم عليك منة وهى النعمة التى لا يستثيب موليها ممن يزلها اليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا على اسلامكم اى باسلامكم فنصب بنزع الخافض او تضمين الفعل معنى الاعتداد بل الله يمن عليكم ان هديكم للايمان على ما زعمتم مع ان الهداية لا تستلزم الاهتداء وقرئ ان هداكم بالكسر واذ هداكم

ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة عليكم وفي سياق الاية لطف وهو انهم لما سمعوا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به نفى انه ايمان وسماه اسلاما بان قال يمنون عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير ان يمن عليك بل لو صح ادعاؤهم الايمان فلله المنة عليهم بالهداية له لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم وقرأ ابن كثير بالياء لما في الاية من الغيبة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه

سورة ق مكية وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرأن المجيد الكلام فيه كما مر في ص والقرأن ذي الذكر والمجيد ذو المجد والشرف على سائر الكتب او لانه كلام المجيد او لان من علم معانيه وامتثل احكامه مجد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان ينذرهم احد من جنسهم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾

قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿٢﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٣﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٤﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٥﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٦﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٧﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٨﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١١﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا

او من ابناء جلدتهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب حكاية لتعجبهم وهذا اشارة الى اختيار الله محمدا للرسالة واضمار ذكرهم ثم اظهاره للاشعار بتعينهم لهذا المقال ثم التسجيل على كفرهم بذلك او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من البعثة والمبالغة فيه بوضع الظاهر موضع ضميرهم وحكاية تعجبهم مبهما ان كانت الاشارة الى مبهم يفسره ما بعده او مجملا ان كانت الاشارة الى محذوف دل عليه منذر ثم تفسيره او تفصيله لانه ادخل في الانكار اذ الاول استبعاد لان يفضل عليهم مثلهم والثاني استقصار لقدرة الله عما هو اهون مما يشاهدون من صنعه ائذا متنا وكنا ترابا اي انرجع اذا متنا وصرنا ترابا ويدل على المحذوف قوله ذلك رجع بعيد اي بعيد عن الوهم او العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع قد علمنا ما تنقص الارض منهم ما تأكل من اجسادهم بعد موتهم وهو رد لاستبعادهم بازاحة ما هو الاصل فيه وقيل انه جواب القسم واللام محذوف لطول الكلام وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء كلها او محفوظ من التغيير والمراد اما تمثيل علمه بتفاصيل الاشياء بعلم من عنده كتاب محفوظ يطالعه او تأكيد لعلمه بها على ثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق يعني النبوة الثابتة بالمعجزات او النبي او القرآن لما جاءهم وقرئ لما بالكسر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه اذا خرج وذلك قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه كاهن افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى السماء فوقهم الى اثار قدرة الله تعالى في خلق العالم كيف بنيناها رفعناها بلا عمد وزيناها بالكواكب وما لها من فروج فتوق بان خلقناها ملساء متلاصقة الطباق والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف بهيج حسن تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع صنعه وهما علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبتا عن الفعل الاخير ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات اشجارا وثمارا وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد كالبر والشعير والنخل باسقات طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من افعل فهو فاعل وافرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها وقرئ باصقات لاجل القاف لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات رزق واحيينا به بذلك الماء بلدة ميتا ارضا جدبة لا نماء فيها

كذلك الخروج كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم احياء بعد موتكم كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون اراد بفرعون اياه وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط سماهم اخوانه لانهم كانوا اصهاره واصحاب الايكة وقوم تبع سبق في الحجر والدخان كل كذب الرسل اى كل واحد او قوم منهم او جميعهم وافراد الضمير لافراد لفظه فحق وعيد فوجب وحل عليه وعيدى وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول افعجزنا عن الابدآء حتى نعجز عن الاعادة من عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة فيه للانكار بل هم في لبس من خلق جديد اى هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير الخلق الجديد لتعظيم شأنه والاشعار بانه على وجه غير متعارف ولا معتاد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ماتحدث به نفسه وهو ما يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى والضمير لما ان جعلت موصولة والباء مثلها في صوّت بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والباء للتعدية ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اى ونحن اعلم بحاله ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه وحبل الوريد مثل في القرب قال والموت ادنى لى من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق في مقدمه متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح يرده اذ يتلقى المتلقيان مقدر باذكر او متعلق باقرب اى هو اعلم بحاله من كل قريب حين يتلقى اى يتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه غنى عن استحفاظ الملكين فانه اعلم منهما ومطلع على ما يخفى عليهما لكنه لحكمة اقتضته وهى ما فيه من تشديد تثبط العبد عن المعصية وتأكيد في اعتبار الاعمال وضبطها للجزاء والزام الحجة يوم يقوم الاشهاد عن اليمين وعن الشمال قعيد اى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اى مقاعد كجليس فحذف الاول لدلالة الثانى عليه كقوله وانى وقيار بها لغريب وقيل يطلق الفعيل للواحد والمتعدد كقوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ما يلفظ من قول ما يرمى به من فيه الا لديه رقيب ملك يرقب عمله عتيد معد حاضر ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب وعقاب وفي الحديث كاتب الحسنات امير على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق لما ذكر استبعادهم البعث للجزاء وازواج ذلك بتحقيق قدرته وعلمه اعلمهم بانهم يلاقون ذلك عن قريب عند الموت وقيام الساعة ونبه على اقترابه بان عبر عنه بلفظ الماضى وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء للتعدية كما في قولك جاء زيد بعمرو والمعنى واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر او الموعود الحق او للحق الذى ينبغى ان يكون من الموت او الجزاء فان الانسان خلق له او مثل الباء في تنبت بالدهن وقرئ سكرة الحق بالموت على انها لشدتها اقتضت الزهوق او لاستعقابها له كانها جاءت به او على ان الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله واضافتها اليه للتهويل وقرئ سكرات الموت ذلك اى الموت ما كنت منه تحيد تميل وتفر عنه والخطاب للانسان ونفخ في الصور يعنى نفخة البعث ذلك يوم الوعيد اى وقت ذلك يوم تحقق الوعيد وانجازه والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه والآخر يشهد بعمله او ملك جامع للوصفين وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه او قرينه والشهيد جوارحه او اعماله ومحل معها النصب على الحال من كل لاضافته الى ما هو في حكم المعرفة لقد كنت في غفلة من هذا على اضمار القول والخطاب لكل نفس اذ ما من احد الا وله اشتغال ما عن الآخرة او للكافر فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصور النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ لزوال المانع للابصار وقيل الخطاب للنبى والمعنى كنت في غفلة من امر الديانة فكشفنا عنك غطاء الغفلة بالوحى وتعليم القرآن فبصرك اليوم حديد ترى ما لا يرون وتعلم ما لا يعلمون ويؤيد الاول قرآءة من كسر التاء والكافات على خطاب النفس وقال قرينه قال الملك الموكل عليه

كَذٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾

هذا ما لدىّ عتيد هذا ما هو مكتوب عندى حاضر لدىّ او الشيطان الذى قيض له هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم هيأته لها باغوائى واضلالى وما ان جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فبدلها او خبر بعد خبر او خبر محذوف القيا فى جهنم كل كفار خطاب من الله للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او لواحد وتثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقوله فان تزجرانى يا ابن عفان انزجر وان تدعانى احم عرضا ممنعا او الالف بدل من نون التأكيد على اجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده انه قرئ القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى اخيه عنه معتد متعد مريب شاك فى الله وفى دينه الذى جعل مع الله الها اخر مبتدأ متضمن معنى الشرط وخبره فالقياه فى العذاب الشديد او بدل من كل كفار فيكون فالقياه تكريرا للتأكيد او مفعول لمضمر يفسره فالقياه قال قرينه اى الشيطان المقيض له وانما استؤنفت كما استؤنفت الجمل الواقعة فى حكاية التقاول فانه جواب لمحذوف دل عليه ربنا ما اطغيته كأن الكافر قال هو اطغانى

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٥﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٦﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٧﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٩﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٣٠﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣١﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٣﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٤﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٥﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ

فقال ربنا ما اطغيته بخلاف الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها للدلالة على الجمع بين مفهوميهما فى الحصول اعنى مفهوم مجئ كل نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان فى ضلال بعيد فاعنته عليه فان اغواء الشيطان انما يؤثر فيمن كان مختل الرأى مائلا الى الفجور كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى قال اى الله تعالى لا تختصموا لدىّ اى فى موقف الحساب فانه لا فائدة فيه وهو استئناف مثل الاول وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان فى كتبى وعلى السنة رسلى فلم تبق لكم حجة وهو حال فيه تعليل للنهى اى لا تختصموا عالمين بانى اوعدتكم والباء مزيدة او معدية على ان قدم بمعنى تقدم ويجوز ان يكون بالوعيد حالا والفعل واقعا على قوله ما يبدل القول لدىّ اى بوقوع الخلف فيه فلا تطمعوا ان ابدل وعيدى وعفو بعض المذنبين لبعض الاسباب ليس من التبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وما انا بظلام للعبيد فاعذب من ليس لى تعذيبه يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جئ بهما للتخييل والتصوير والمعنى انها مع اتساعها تطرح فيها الجنة والناس فوجا فوجا حتى تمتلئ لقوله لاملأن او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد فراغ او انها من شدة زفيرها وحدتها وتشبثها بالعصاة كالمستكثر لهم والطالب لزيادتهم وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمحيد او مفعول كالمبيع ويوم مقدر باذكر او ظرف لنفخ فيكون ذلك اشارة اليه فلا يفتقر الى تقدير مضاف وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد مكانا غير بعيد ويجوز ان يكون حالا وتذكيره لانه صفة محذوف اى شيأ غير بعيد او على زنة المصدر او لان الجنة بمعنى البستان هذا ما توعدون على اضمار القول والاشارة الى الثواب او مصدر ازلفت وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظ لحدوده من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون

فى حكمه لان من لا يوصف به او مبتدأ خبره ادخلوها على تأويل يقال لهم ادخلوها فان من بمعنى الجمع وبالغيب حال من الفاعل والمفعول او صفة لمصدر اى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب او العقاب بعد غيب او هو غائب عن الاعين لا يراه احد وتخصيص الرحمن للاشعار بانهم رجوا رحمته وخافوا عذابه او بانهم ذوو اخشية مع علمهم بسعة رحمته ووصف القلب بالانابة اذ الاعتبار برجوعه الى الله بسلام سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم من الله وملائكته ذلك يوم الخلود يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وهو ما لا يخطر ببالهم مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وكم اهلكنا قبلهم قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا قوة كعاد وفرعون فنقبوا فى البلاد فخرقوا فى البلاد وتصرفوا فيها او جالوا فى الارض كل مجال حذر الموت فالفاء على الاول للتسبيب وعلى الثانى لمجرد التعقيب واصل التنقيب التنقير عن الشئ والبحث عنه

هل من محيص اى لهم من الله او من الموت وقيل الضمير فى نقبوا لاهل مكة اى ساروا فى اسفارهم فى بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يتوقعوا مثله لانفسهم ويؤيده انه قرئ فنقبوا على الامر وقرئ فنقبوا بالكسر من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير حتى نقبت اقدامهم او اخفاف مراكبهم ان فى ذلك فيما ذكر فى هذه السورة لذكرى لتذكرة لمن كان له قلب اى قلب واع يتفكر فى حقائقه او القى السمع اى اصغى لاستماعه وهو شهيد حاضر بذهنه ليفهم معانيه او شاهد بصدقه فيتعظ بظواهره وينزجر بزواجره وفى تنكير القلب وابهامه تفخيم واشعار بان كل قلب لايتفكر ولايتدبر كلا قلب ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام مر تفسيره مرارا وما مسنا من لغوب من تعب واعياء وهو رد لما زعمت اليهود من انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش فاصبر على ما يقولون ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم بلا اعياء قدر على بعثهم والانتقام منهم او ما يقول اليهود من الكفر

قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سورة الذاريات مكية وهي ستون آية

والتشبيه وسبح بحمد ربك ونزهه عن العجز عما يمكن والوصف بما يوجب التشبيه حامدا له على ما انعم عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب يعنى الفجر والعصر وقد عرفت فضيلة الوقتين ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل وادبار السجود واعقاب الصلاة جمع دبر وقرأ الحجازيان وخلف وحمزة بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وانقطعت وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالصلاة قبل الطلوع الصبح وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن والتهجد وادبار السجود النوافل بعد المكتوبات وقيل الوتر بعد العشاء واستمع لما اخبرك به من احوال القيامة وفيه تهويل وتعظيم للمخبر به يوم ينادى المناد اسرافيل وجبرآئيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء من مكان قريب بحيث يصل نداؤه الى الكل على السوآء ولعله فى الاعادة نظير كن فى الابدآء ويوم نصب بما دل عليه يوم الخروج يوم يسمعون الصيحة بدل منه والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث للجزآء ذلك يوم الخروج من القبور وهو من اسماء يوم القيامة وقد يقال للعيد انا نحن نحيي ونميت فى الدنيا والينا المصير للجزآء فى الآخرة يوم تشقق تتشقق وقرأ الكوفيون وابو عمرو بالتخفيف الارض عنهم سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع علينا يسير هين وتقديم الظرف للاختصاص فان ذلك لايتيسر الا على العالم القادر لذاته الذى لايشغله شان عن شان كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار بمسلط تقسرهم على الايمان او تفعل بهم ما تريد وانما انت داع فذكر بالقرآن من يخاف وعيد فانه لاينتفع به غيره عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

سورة والذاريات مكية وايها ستون بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا يعني الرياح تذرو التراب وغيره او النساء الولود فانهن يذرين الاولاد او
الاسباب التي تذرى الخلائق من الملائكة وغيرهم وقرأ ابو عمرو وحمزة بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا فالسحب الحاملة للامطار او الرياح الحاملة للسحاب او النساء
الحوامل او اسباب ذلك وقرئ وقرا على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا فالسفن الجارية في البحر سهلا او الرياح الجارية في مهابها او الكواكب التي تجري في منازلها
ويسرا صفة مصدر محذوف اى جريا ذا يسر فالمقسمات امرا الملائكة التي تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او ما يعمهم وغيرهم من اسباب القسمة او الرياح
تقسم الامطار بتصريف السحاب فان حملت على ذوات مختلفة فالفاء لترتب الاقسام بها باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة والا فالفاء لترتب الافعال اذ الريح مثلا
تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتحمله فتجري به باسطة له الى حيث امرت به فتقسم المطر انما توعدون لصادق جواب للقسم كانما استدل باقتداره على هذه الاشياء العجيبة
المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث الموعود وما موصولة او مصدرية

بسم الله الرحمن الرحيم ٥١

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾

وان الدين الجزاء لواقع لحاصل والسماء ذات الحبك ذات الطرائق والمراد اما
الطرائق المحسوسة التي هي مسير الكواكب او المعقولة التي تسلكها النظار ويتوصل بها
الى المعارف او النجوم فان لها طرائق او انها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشي جمع حبيكة
كطريقة وطرق او حباك كمثال ومثل وقرئ الحبك بالسكون كالقفل والحبك كالابل
والحبك كالسلك والحبك كالجبل والحبك كالنعم والحبك كالبرق انكم لفي قول مختلف
في الرسول وهو قولهم تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وتارة انه مجنون او في القرآن
او القيامة او امر الدين ولعل النكتة في هذا القسم تشبيه اقوالهم في اختلافها وتنافي
اغراضها بالطرائق للسموات في تباعدها واختلاف غاياتها يؤفك عنه من افك
يصرف عنه الضمير للرسول او القرآن او الايمان من صرف اذ لا صرف اشد منه فكأنه
لا صرف بالنسبة اليه او يصرف من صرف في علم الله وقضائه ويجوز ان يكون الضمير
للقول على معنى يصدر افك من افك عن القول المختلف وبسببه كقوله ينهون عن اكل
وعن شرب اى يصدر تناهيهم عنهما وبسببهما وقرئ افك بالفتح اى من افك الناس عنه
وهم قريش كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون الكذابون من اصحاب
القول المختلف واصله الدعاء بالقتل اجرى مجرى اللعن الذين هم في غمرة في جهل
يغمرهم ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اى فيقولون
متى يوم الجزاء اى وقوعه وقرئ ايان بالكسر يوم هم على النار يفتنون
يحرقون جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يفتنون او هو يوم هم على النار يفتنون
وفتح يوم لاضافته الى غير متمكن ويدل عليه انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم
اى مقولا لهم هذا القول هذا الذي كنتم به تستعجلون هذا العذاب هو الذي كنتم
به تستعجلون ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم والذي صفته ان المتقين في
جنات وعيون آخذين ما آتيهم ربهم قابلين لما اعطاهم راضين به ومعناه
ان كل ما آتاهم ربهم حسن مرضي متلقى بالقبول انهم كانوا قبل ذلك محسنين
قد احسنوا اعمالهم وهو تعليل لاستحقاقهم ذلك كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
تفسير لاحسانهم وما مزيدة اى يهجعون في طائفة من الليل او يهجعون هجوعا قليلا او مصدرية او موصولة اى في قليل من الليل هجوعهم او ما يهجعون فيه ولا يجوز ان تكون نافية
لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لتقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذي هو وقت السبات والهجوع الذي هو الغرار من النوم وزيادة ما وبالاسحار
هم يستغفرون اى انهم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم اذا اسحروا اخذوا في الاستغفار كانهم اسلفوا في ليلهم الجرائم وفي بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم احقاء بذلك
لوفور علمهم بالله وخشيتهم منه وفي اموالهم حق نصيب يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله واشفاقا على الناس للسائل والمحروم للمستجدي والمتعفف
الذي يظن غنيا فيحرم الصدقة وفي الارض آيات للموقنين اى فيها دلائل من انواع المعادن والحيوان او وجوه دلالات من الدحو والسكون وارتفاع بعضها
عن الماء واختلاف اجزائها في الكيفيات والخواص والمنافع تدل على وجود الصانع وعلمه وقدرته وارادته ووحدته وفرط رحمته

وفي انفسكم اى وفى انفسكم ايات اذ ما فى العالم شئ الا وفى الانسان له نظير يدل دلالته مع ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الافعال الغريبة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون تنظرون نظر من يعتبر وفى السماء رزقكم اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فوق السماء السابعة او لان الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مستأنف خبره فورب السماء والارض انه لحق وعلى هذا فالضمير لما وعلى الاول يحتمل ان يكون له ولما ذكر من امر الآيات والرزق والوعد مثل ما انكم تنطقون اى مثل نطقكم كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى تحقق ذلك ونصبه على الحال من المستكن فى الحق او الوصف لمصدر محذوف اى انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن وهو ما ان كانت بمعنى شئ وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة لحق ويؤيده قرآءة حمزة والكسائى

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾

وابى بكر بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابراهيم فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه اوحى اليه والضيف فى الاصل مصدر ولذلك يطلق للواحد والمتعدد قيل كانوا اثنى عشر ملكا وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل وسماهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف المكرمين اى مكرمين عند الله تعالى او عند ابراهيم اذ خدمهم بنفسه وزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف او المكرمين فقالوا سلاما اى نسلم عليكم سلاما قال سلام اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى تكون تحيته احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرأ حمزة والكسائى قال سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون اى انتم قوم منكرون وانما انكرهم لانه ظن انهم بنو آدم ولم يعرفهم او لان السلام لم يكن تحيتهم فانه علم الاسلام وهو كالتعرف عنهم فراغ الى اهله فذهب اليهم فى خفية من ضيفه فان من ادب المضيف ان يبادر بالقرى حذرا من ان يكفه الضيف او يصير منتظرا فجاء بعجل سمين لانه كان عامة ماله البقر فقربه اليهم بان وضعه بين ايديهم قال الا تاكلون اى منه وهو مشعر بكونه حنيذا والهمزة فيه للعرض والحث على الاكل على طريقة الادب ان قاله اول ما وضعه وللانكار ان قاله حيث ما رأى اعراضهم فاوجس منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لما رأى اعراضهم عن طعامه لظنه انهم جاؤه لشر وقيل وقع فى نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا لا تخف انا رسل الله وقيل مسح جبرائيل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه بغلام هو اسحق صلى الله عليه وسلم عليم يكمل علمه اذا بلغ فاقبلت امرأته سارة رضى الله عنها الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم فى صرة فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحال او المفعول ان اول اقبلت باخذت فصكت وجهها فلطمت باطراف الاصابع جبهتها فعل المتعجب وقيل وجدت حرارة دم الحيض فلطمت وجهها من الحياء وقالت عجوز عقيم

اى انا عجوز عاقر فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذى بشرنا به قال ربك وانما نخبرك به عنه انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله محكما قال فما خطبكم ايها المرسلون لما علم انهم ملائكة عليه وعليهم السلام وانهم لا ينزلون مجتمعين الا لامر عظيم سأل عنه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل فانه طين متحجر مسومة مرسلة من اسمت الماشية او معلمة من السومة وهى العلامة عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد فى الفجور فاخرجنا من كان فيها فى قرى قوم لوط واضمارها ولم يجر ذكرها لكونها معلومة من المؤمنين ممن آمن بلوط



فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين غير اهل بيت من المسلمين واستدل به على اتحاد الايمان والاسلام وهو ضعيف لان ذلك لا يقتضي الا صدق المؤمن والمسلم على من اتبعه وذلك لا يقتضي اتحاد مفهومهما لجواز صدق المفهومات المختلفة على ذات واحدة وتركنا فيها اية علامة للذين يخافون العذاب الاليم فانهم المعتبرون بها وهي تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء اسود منتن وفي موسى عطف على وفي الارض او وتركنا فيها على معنى وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين هو معجزاته كاليد والعصا فتولى بركنه فاعرض عن الايمان به كقوله ونأى بجانبه او فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وهو اسم لما يركن اليه الشيء ويتقوى به وقرئ بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون كأنه جعل ما ظهر عليه من الخوارق منسوبا الى الجن وتردد في انه حصل ذلك باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فاغرقناهم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الكفر والعناد والجملة حال من الضمير في فاخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سماها عقيما لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن منفعة وهي الدبور او الجنوب او النكباء ما تذر من شيء اتت عليه مرت عليه الا جعلته كالرميم كالرماد من الرم وهو البلى والتفتت وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلاثة ايام فعتوا عن امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة اي العذاب بعد الثلاث وقرأ الكسائي الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها فانها جاءتهم معاينة بالنهار فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين منه وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر ويجوز ان يكون عطفا على محل في عاد ويؤيده قرآءة ابي عمرو وحمزة والكسائي بالجر من قبل من قبل هؤلاء المذكورين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الاستقامة بالكفر والعصيان والسماء بنيناها بايد بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن.

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ

ومن كل شئ من الاجناس خلقنا زوجين نوعين لعلكم تذكرون فتعلموا ان التعدد من خواص الممكنات وان الواجب بالذات لا يقبل التعدد والانقسام ففروا الى الله من عقابه بالايمان والتوحيد وملازمة الطاعة انى لكم منه اى من عذابه المعد لمن اشرك اوعصى نذير مبين بين كونه منذرا من الله بالمعجزات او مبين مايجب ان يحذر عنه ولا تجعلوا مع الله الها آخر افراد لاعظم مايجب ان يفر منه انى لكم منه نذير مبين تكرير للتأكيد او الاول مرتب على ترك الايمان والطاعة والثانى على الاشراك كذلك اى الامر مثل ذلك والاشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميتهم اياه ساحرا او مجنونا وقوله ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون كالتفسير له ولا يجوز نصبه بأتى او مايفسره لان مابعد ما النافية لايعمل فيما قبلها اتواصوا به اى كأن الاولين والآخرين منهم اوصى بعضهم بعضا بهذا القول حتى قالوه جميعا بل هم قوم طاغون اضراب عن ان التواصى جامعهم لتباعد ايامهم الى ان الجامع لهم على هذا القول مشاركتهم فى الطغيان الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن مجادلتهم بعد ما كررت عليهم الدعوة فأبوا الا الاصرار والعناد فما انت بملوم على الاعراض بعد ما بذلت جهدك فى البلاغ وذكر ولا تدع التذكير والموعظة فان الذكرى تنفع المؤمنين من قدر الله ايمانه او من آمن فانها تزداده بصيرة وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى ظاهر قوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس وقيل معناه الا لنأمرهم بالعبادة او ليكونوا عبادا لى ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون اى ما اريد ان اصرفهم فى تحصيل رزقى فاشتغلوا بما انتم كالمخلوقين له والمأمورين به والمراد ان يبين ان شأنه مع عباده ليس شأن السادة مع عبيدهم فانهم انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم ويحتمل ان يقدر بقل فيكون بمعنى قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ان الله هو الرزاق الذى يرزق كل مايفتقر الى الرزق وفيه ايماء باستغنائه عنه وقرئ انى انا الرزاق ذو القوة المتين شديد القوة وقرئ المتين بالجر صفة للقوة فان للذين ظلموا ذنوبا اى للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل نصيب نظائرهم من الامم السالفة وهو مأخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالدلاء فان الذنوب هو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون من يوم القيامة او يوم بدر عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٢﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٣﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٤﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٥﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٧﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٩﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٦٠﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦١﴾

سورة الطور مكية وهي تسع واربعون آية

سورة والطور مكية وهى اربعون وتسع او ثمانى ايات بسم الله الرحمن الرحيم والطور يريد طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى صلى الله عليه وسلم كلام الله والطور بالسريانية الجبل او ما طار من اوج الايجاد الى حضيض المواد ومن عالم الغيب الى عالم الشهادة وكتاب مسطور مكتوب والسطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او ما كتبه الله فى اللوح المحفوظ او فى الواح موسى او فى قلوب اوليائه من المعارف والحكم او ما يكتبه الحفظة فى رق منشور الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما كتب فيه الكتاب وتنكيرهما للتعظيم والاشعار بانهما ليسا من المتعارف فيما بين الناس والبيت المعمور يعنى الكعبة وعمارتها بالحجاج والمجاورين او الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة او قلب المؤمن وعمارته بالمعرفة والاخلاص والسقف المرفوع يعنى السماء والبحر المسجور اى المملوء وهو المحيط او الموقد من قوله واذا البحار سجرت روى ان الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار نارا تسجر بها جهنم او المختلط من السجير وهو الخليط ان عذاب ربك لواقع لنازل ماله من دافع يدفعه ووجه دلالة هذه الامور المقسم بها على ذلك انها امور تدل على كمال قدرة الله وحكمته و صدق اخباره وضبط اعمال العباد للمجازاة يوم تمور السماء مورا تضطرب والمور تردد فى المجيء والذهاب وقيل تحرك فى تموج ويوم ظرف وتسير الجبال سيرا اى تسير عن وجه الارض فتصير هباء فويل يومئذ للمكذبين اى اذا وقع ذلك فويل لهم الذين هم فى خوض يلعبون اى فى الخوض فى الباطل يوم يدعون الى نار جهنم دعا يدفعون اليها بعنف وذلك بان يغل ايديهم الى اعناقهم ويجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وقرئ يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين ويوم بدل من يوم تمور او ظرف لقول مقدر محكيه هذه النار التى كنتم بها تكذبون اى فيقال لهم ذلك افسحر هذا اى كنتم تقولون للوحى هذا سحر فهذا المصداق ايضا سحر وتقديم الخبر لانه مقصود بالانكار والتوبيخ ام انتم لا تبصرون هذا ايضا كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا ما يدل عليه وهو تقريع وتهكم ام سدت ابصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حين قلتم انما سكرت ابصارنا اصلوها فاصبروا اولا تصبروا اى ادخلوها على اى وجه شئتم من الصبر وعدمه فانه لا محيص لكم عنها سواء عليكم اى الامران الصبر وعدمه انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستواء فانه لما كان الجزاء واجب الوقوع كان الصبر وعدمه سيين فى عدم النفع ان المتقين فى جنات ونعيم فى اية جنات واى نعيم او فى جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين بما اتيهم ربهم وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف لغو ووقيهم ربهم عذاب الجحيم عطف على اتاهم ان جعل ما مصدرية او فى جنات او حال باضمار قد من المستكن فى الظرف او الحال او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا هنيئا اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا والمعنى هناكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٥٢

وَالطُّورِ ① وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ② فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ③ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ④ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ⑤ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ⑥ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ⑦ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ⑧ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ⑨ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ⑩ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ⑪ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ⑫ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ⑬ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ⑭ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ⑮ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑯ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ⑰ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ⑱ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ⑲

مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ

متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين الباء لما في التزويج من معنى الوصل والالصاق او للسببية اذ المعنى صيرناهم ازواجا بسببهن اولما في التزويج من معنى الالصاق والقرن ولذلك عطف والذين امنوا على حور اى قرناهم بازواج حور ورفقاء مؤمنين وقيل انه مبتدأ خبره الحقنا بهم وقوله واتبعتهم ذريتهم بايمان اعتراض للتعليل وقرأ ابن عامر ويعقوب ذرياتهم بالجمع وضم التاء للمبالغة فى كثرتهم والتصريح بان الذرية تقع على الواحد والكثير وقرأ ابو عمرو واتبعناهم ذرياتهم اى جعلناهم تابعين لهم فى الايمان وقيل بايمان حال من الضمير او الذرية او منهما وتنكيره للتعظيم او الاشعار بانه يكفى للالحاق المتابعة فى اصل الايمان الحقنا بهم ذريتهم فى دخول الجنة او الدرجة لما روى مرفوعا انه عليه السلام قال ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقربهم عينه ثم تلا هذه الاية وقرأ نافع وابن عامر والبصريان ذرياتهم وما التناهم وما نقصناهم بهذا الالحاق من عملهم من شئ فانه كما يحتمل ان يكون بنقص مرتبة الاباء باعطاء الابناء بعض مثوباتهم يحتمل ان يكون بالتفضل عليهم وهو اللائق بكمال لطفه وقرأ ابن كثير بكسر اللام من ألت يألت وعنه لتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت ومعنى الكل واحد كل امرئ بما كسب رهين بعمله مرهون عند الله فان عمل صالحا فكها والا اهلكها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اى وزدناهم وقتا بعد وقت ما يشتهون من انواع النعم يتنازعون فيها يتعاطون هم وجلساؤهم بتجاذب كأسا خمرا سماها باسم محلها ولذلك انث الضمير فى قوله لا لغو فيها ولا تاثيم اى لا يتكلمون بلغو الحديث فى اثناء شربها ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله كما هو عادة الشاربين فى الدنيا وذلك مثل قوله لا فيها غول وقرأهما ابن كثير والبصرى بالفتح ويطوف عليهم اى بالكأس غلمان لهم اى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولاد هم الذين سبقوهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم وعنه عليه السلام والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب واقبل بعضهم على بعض يتساءلون يسأل بعضهم بعضا عن احواله واعماله قالوا انا كنا قبل فى اهلنا مشفقين خائفين من عصيان الله معتنين بطاعته او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرئ ووقانا بالتشديد انا كنا من قبل من قبل ذلك فى الدنيا ندعوه نعبده او نسأله الوقاية انه هو البر المحسن وقرأ نافع والكسائى بفتح همزة انه الرحيم الكثير الرحمة فذكر فاثبت على التذكير ولا تكترث بقولهم فما انت بنعمة ربك بحمد الله وانعامه بكاهن ولا مجنون كما يقولون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ما يقلق النفوس من حوادث الدهر وقيل المنون الموت فعول من منه اذا قطعه قل تربصوا فانى معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى

م تأمرهم احلامهم عقولهم بهذا بهذا التناقض في القول فان الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى عقله والشاعر يكون ذا كلام موزون متسق مخيل ولا يتأتى ذلك من المجنون وامر الاحلام به مجاز عن اداتها اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحد في العناد وقرئ بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فيرمون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم فليأتوا بحديث مثله مثل القرآن ان كانوا صادقين في زعمهم اذ فيهم كثير ممن عدوا فصحاء فهو رد للاقوال المذكورة بالتحدي ويجوز ان يكون رد التقول فان سائر الاقسام من الاقوال ظاهر الفساد ام خلقوا من غير شئ ام احدثوا وقدروا من غير محدث ومقدر فلذلك لا يعبدونه او من اجل لا شئ من عبادة ومجازاة ام هم الخالقون يؤيد الاول فان معناه ام خلقوا انفسهم ولذلك عقبه بقوله ام خلقوا السموات والارض وام في هذه الايات منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار بل لا يوقنون اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض وقالوا الله اذ لو ايقنوا ذلك لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك خزائن رزقه حتى يرزقوا النبوة من شاؤا او خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختارته حكمته ام هم المسيطرون الغالبون على الاشياء يدبرونها كيف شاؤا وقرأ قنبل وحفص بخلاف عنه وهشام بالسين وحمزة بخلاف عن خلاد بين الصاد والزاي والباقون بالصاد خالصة ام لهم سلم مرتقى الى السماء يستمعون فيه صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون فيه تسفيه لهم واشعار بان من هذا رأيه لا يعد من العقلاء فضلا عن ان يترقى بروحه الى عالم الملكوت فيطلع على الغيوب ام تسألهم اجرا على تبليغ الرسالة فهم من مغرم من التزام غرم مثقلون محملون الثقل فلذلك زهدوا في اتباعك ام عندهم الغيب اللوح المحفوظ المثبت فيه المغيبات فهم يكتبون يحكمون منه ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة برسول الله فالذين كفروا يحتمل العموم والخصوص فيكون وضعه موضع الضمير للتسجيل على كفرهم والدلالة على انه الموجب للحكم المذكور هم المكيدون هم الذين يحيق بهم الكيد او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر او المغلوبون في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله يعينهم ويحرسهم من عذابه سبحان الله عما يشركون عن اشراكهم او شركة ما يشركون به وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم سحاب مركوم هذا سحاب تراكم بعضها على بعض وهو جواب قولهم فاسقط علينا كسفا من السماء فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون وهو عند النفخة الاولى وقرئ يلقوا وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على المبني للمفعول من صعقه او اصعقه

أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٣﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٥﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٦﴾

يوم لايغني عنهم كيدهم شيئا اى شيأ من الاغناء فى ردّ العذاب ولاهم ينصرون يمنعون من عذاب الله تعالى وان للذين ظلموا يحتمل العموم والخصوص عذابا دون ذلك اى دون عذاب الآخرة وهو عذاب القبر او المؤاخذة فى الدنيا كقتل بدر والقحط سبع سنين ولكن اكثرهم لايعلمون ذلك واصبر لحكم ربك بامهالهم وابقائك فى عنائهم فانك باعيننا فى حفظنا بحيث نراك ونكلأك وجمع العين لجمع الضمير والمبالغة بكثرة اسباب الحفظ وسبح بحمد ربك حين تقوم من اى مكان قمت اومن منامك اوالى الصلاة ومن الليل فسبحه فان العبادة فيه اشق على النفس وابعد عن الرياء ولذلك افرده بالذكر وقدّمه على الفعل وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من اخر الليل وقرئ بالفتح اى فى اعقابها اذا غربت اوخفيت وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه فى جنته سورة والنجم مكية وايها احدى اوثنتان وستون اية بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بجنس النجوم او الثريا فانه غلب فيه

يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ اثْنَتَانِ وَسِتُّونَ آيَةً

٥٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ

اذا غرب اوانتثر يوم القيامة اوانقض او طلع فانه يقال هوى هويا بالفتح اذا سقط وغرب وهويا بالضم اذا علا وصعد او بالنجم من نجوم القرآن اذا نزل او النبات اذا سقط على الارض او اذا نما وارتفع على قوله ماضل صاحبكم ماعدل محمد عليه الصلاة والسلام عن الطريق المستقيم وما غوى وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ماينسبون اليه وماينطق عن الهوى ومايصدر نطقه بالقرآن عن الهوى ان هو ماالقرآن او الذى ينطق به الاوحى يوحى الاوحى يوحيه الله اليه واحتج به من لم ير الاجتهاد له واجيب عنه بانه اذا اوحى اليه بان يجتهد كان اجتهاده ومايستند اليه وحيا وفيه نظر لان ذلك حينئذ يكون بالوحى لا الوحى علمه شديد القوى ملك شديد قواه وهو جبرآئيل فانه الواسطة فى ابداء الخوارق روى انه قلع قرى قوم لوط ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين ذو مرة حصافة فى عقله ورأيه فاستوى فاستقام على صورته الحقيقية التى خلق الله تعالى عليها قيل ما رآه احد من الانبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام مرتين مرة فى السماء ومرة فى الارض وقيل استولى بقوته على ماجعل له من الامر وهو بالافق الاعلى افق السماء والضمير لجبرآئيل ثم دنا من النبى فتدلى فتعلق به وهو تمثيل لعروجه بالرسول وقيل ثم تدلى من الافق الاعلى فدنا من الرسول فيكون اشعارا بانه عرج به غير منفصل عن محله تقريرا لشدة قوته فان التدلى استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة يقال دلى رجله من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المعلق فكان جبريل كقولك هو منى معقد الازار اوالمسافة بينهما قاب قوسين مقدارهما اوادنى على تقديركم كقوله اويزيدون والمقصود تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس فاوحى جبريل الى عبده عبدالله واضماره قبل الذكر لكونه معلوما كقوله على ظهرها

ما اوحى جبريل وفيه تفخيم للوحي به اوالله اليه وقيل الضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما في قوله هو الرزاق ذو القوة المتين ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره الى جناب القدس ما كذب الفؤاد ما رأى ما رآه ببصره من صورة جبرآئيل او الله تعالى اى ما كذب بصره بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر او ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك كان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما رآه ببصره او ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه انه عليه الصلوة والسلام سئل هل رأيت ربك قال رأيته بفؤادى وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك فيه افتمارونه على ما يرى افتجادلونه عليه من المراء وهو المجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب افتمرونه اى افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته او افتجحدونه من مراه حقه اذا جحده وعلى التضمين الفعل معنى الغلبة فان الممارى والمجاحد يقصدان بفعلهما غلبة الخصم ولقد رآه نزلة اخرى مرة اخرى فعلة من النزول اقيمت مقام المرة ونصبت نصبها اشعارا بان الرؤية في هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والكلام في المرئى والدنو ما سبق وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة اخرى ونصبها على المصدر والمراد به نفى الريبة عن المرة الاخيرة

مَآ اَوْحٰى ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَاٰى ﴿١١﴾ اَفَتُمٰرُوْنَهٗ عَلٰى مَا يَرٰى ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَاٰهُ نَزْلَةً اُخْرٰى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهٰى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَاْوٰى ﴿١٥﴾ اِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشٰى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغٰى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَاٰى مِنْ اٰيٰتِ رَبِّهِ الْكُبْرٰى ﴿١٨﴾ اَفَرَءَيْتُمُ اللّٰتَ وَالْعُزّٰى ﴿١٩﴾ وَمَنٰوةَ الثَّالِثَةَ الْاُخْرٰى ﴿٢٠﴾ اَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْاُنْثٰى ﴿٢١﴾ تِلْكَ اِذًا قِسْمَةٌ ضِيْزٰى ﴿٢٢﴾ اِنْ هِيَ اِلَّآ اَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوْهَآ اَنْتُمْ وَاٰبَآؤُكُمْ مَّآ اَنْزَلَ اللّٰهُ بِهَا مِنْ سُلْطٰنٍ اِنْ يَّتَّبِعُوْنَ اِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْاَنْفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ مِّنْ رَّبِّهِمُ الْهُدٰى ﴿٢٣﴾ اَمْ لِلْاِنْسَانِ مَا تَمَنّٰى ﴿٢٤﴾ فَلِلّٰهِ الْاٰخِرَةُ وَالْاُوْلٰى ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِى السَّمٰوٰتِ لَا تُغْنِىْ شَفَاعَتُهُمْ شَيْـًٔا اِلَّا مِنْۢ بَعْدِ اَنْ يَّاْذَنَ اللّٰهُ لِمَنْ يَّشَآءُ وَيَرْضٰى ﴿٢٦﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ

عند سدرة المنتهى التى ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها ولعلها شبهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانهم يجتمعون في ظلها وروى مرفوعا انها في السماء السابعة عندها جنة المأوى الجنة التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء اذ يغشى السدرة ما يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها نعت ولا يحصيها عد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها ما زاغ البصر ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وما طغى وما تجاوزه بل اثبته اثباتا صحيحا مستيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها وما جاوزها لقد رأى من آيات ربه الكبرى اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج وقد قيل انها المعنية بما رأى ويجوز ان تكون الكبرى صفة للآيات على ان المفعول محذوف اى شيئا من آيات ربه او من مزيدة افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف او لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها اى يطوفون وقرئ اللات بالتشديد على انه سمى به لانه صورة رجل كان يلت السويق بالسمن ويطعم الحاج والعزى سمرة لغطفان كانوا يعبدونها فبعث اليها رسول الله عليه الصلوة والسلام خالد بن الوليد فقطعها واصلها تأنيث الاعز ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة او لثقيف وهى فعلة من مناه اذا قطعه فانهم كانوا يذبحون عندها القرابين ومنه منى وقرأ ابن كثير مناءة مفعلة من النوء فانهم يستمطرون الانواء عندها تبركا بها وقوله الثالثة الاخرى صفتان للتأكيد كقوله يطير بجناحيه او الاخرى من التأخر في الرتبة الكم الذكر وله الانثى انكار لقولهم الملائكة بنات الله وهذه الاصنام استوطنها جنيات هن بناته او هياكل الملائكة وهو المفعول الثانى لقوله افرأيتم تلك اذا قسمة ضيزى جائرة حيث جعلتم له ما تستنكفون منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه ليسلم الياء كما فعل في بيض فان فعلى بالكسر لم يأت وصفا وقرأ ابن كثير بالهمزة من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به ان هى الا اسماء الضمير للاصنام



اى ما هى باعتبار الالوهية الا اسماء تطلقونها عليها لانكم تقولون انها آلهة وليس فيها شئ من معنى الالوهية او للصفة التى تصفونها بها من كونها آلهة وبنات او شفعاء او للاسماء المذكورة فانهم كانوا يطلقون اللات عليها باعتبار استحقاقها للعكوف على عبادتها والعزى لعزتها ومناة لاعتقادهم انها تستحق ان يتقرب اليها بالقرابين سميتموها انتم سميتم بها وآباؤكم بهواكم ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون وقرئ بالتاء الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق تقليدا وتوهما باطلا وما تهوى الانفس وما تشتهيه انفسهم ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب فتركوه ام للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والمعنى ليس له كل ما يتمناه والمراد نفى طمعهم في شفاعة الآلهة وقولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحوها فلله الآخرة والاولى يعطى منهما ما يشاء لمن يريد وليس لاحد ان يتحكم عليه في شئ منهما

لَيُسَمُّونَ الْمَلٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثٰى ﴿٢٨﴾ وَمَا لَهُمْ بِهٖ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلّٰى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿٣٠﴾ ذٰلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهٖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدٰى ﴿٣١﴾ وَلِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنٰى ﴿٣٢﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقٰى ﴿٣٣﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلّٰى ﴿٣٤﴾ وَأَعْطٰى قَلِيلًا وَأَكْدٰى ﴿٣٥﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرٰى ﴿٣٦﴾

وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئا وكثير من الملائكة لاتغنى شفاعتهم شيئا ولاتنفع الامن بعد ان ياذن الله فى الشفاعة لمن يشاء من الملائكة ان يشفع اومن الناس ان يشفع له ويرضى ويراه اهلا لذلك فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لايؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة اى كل واحد منهم تسمية الانثى بان سموه بنتا وما لهم به من علم اى بما يقولون وقرئ بها اى بالملائكة اوالتسمية ان يتبعون الا الظن وان الظن لايغنى من الحق شيئا فان الحق الذى هو حقيقة الشئ لايدرك الا بالعلم والظن لا اعتبار له فى المعارف الحقيقية وانما العبرة به فى العمليات وما يكون وصلة اليها فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا فاعرض عن دعوته والاهتمام بشانه فان من غفل عن الله واعرض عن ذكره وانهمك فى الدنيا بحيث كانت منتهى همته ومبلغ علمه لاتزيده الدعوة الاعنادا واصرارا على الباطل ذلك اى امر الدنيا اوكونها شهيته مبلغهم من العلم لايتجاوزه علمهم والجملة اعتراض مقرر لقصور همهم بالدنيا وقوله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض اى انما يعلم الله من يجيب ممن لايجيب فلاتتعب نفسك فى دعوتهم اذ ما عليك الا البلاغ وقد بلغت ولله ما فى السموات وما فى الارض خلقا وملكا ليجزى الذين اساؤا بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء او بمثله اوبسبب ما عملوا من السوء وهو علة لما دل عليه ما قبله اى خلق العالم وسوّاه للجزآء اوميز الضال من المهتدى وحفظ احوالهم لذلك ويجزى الذين احسنوا بالحسنى بالمثوبة الحسنى وهى الجنة اوباحسن من اعمالهم اوبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب الوعيد عليه بخصوصه وقيل ما اوجب الحد وقرأ حمزة والكسائى وابن كثير كبير الاثم على ارادة الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم الا ما قل وصغر فانه مغفور من مجتنبى الكبائر والاستثناء منقطع ومحل الذين النصب على الصفة اوالمدح اوالرفع على انه خبر محذوف ان ربك واسع المغفرة حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر اوله ان يغفر ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعله عقب به وعيد المسيئين ووعد المحسنين لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته ولايتوهم وجوب العقاب على الله تعالى هو اعلم بكم اعلم باحوالكم منكم اذ انشأكم من الارض واذ انتم اجنة فى بطون امهاتكم علم احوالكم ومصارف اموركم حين ابتدأ خلقكم من التراب بخلق آدم وحينما صوركم فى الارحام فلا تزكوا انفسكم فلا تثنوا عليها بزكاء العمل وزيادة الخير او بالطهارة من المعاصى والرذائل هو اعلم بمن اتقى فانه يعلم التقى وغيره منكم قبل ان يخرجكم من صلب آدم عليه الصلاة والسلام افرايت الذى تولى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا واكدى وقطع العطاء من قولهم اكدى الحافر اذا بلغ الكدية وهى الصخرة الصلبة فترك الحفر والاكثر على انها نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان يتبع رسول الله عليه الصلاة والسلام فعيره بعض المشركين وقال تركت دين الاشياخ وضللتهم فقال اخشى عذاب الله فضمن ان يتحمل عنه العذاب ان اعطاه بعض ماله فارتد واعطى بعض المشروط ثم بخل بالباقى اعنده علم الغيب فهو يرى يعلم ان صاحبه يتحمل عنه

أم لم ينبأ بما في صحف موسى ﴿٣٦﴾ وإبراهيم الذي وفى ﴿٣٧﴾
ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴿٣٨﴾ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴿٣٩﴾
وأن سعيه سوف يرى ﴿٤٠﴾ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴿٤١﴾ وأن
إلى ربك المنتهى ﴿٤٢﴾ وأنه هو أضحك وأبكى ﴿٤٣﴾ وأنه
هو أمات وأحيا ﴿٤٤﴾ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى ﴿٤٥﴾
من نطفة إذا تمنى ﴿٤٦﴾ وأن عليه النشأة الأخرى ﴿٤٧﴾ وأنه
هو أغنى وأقنى ﴿٤٨﴾ وأنه هو رب الشعرى ﴿٤٩﴾ وأنه أهلك
عادا الأولى ﴿٥٠﴾ وثمود فما أبقى ﴿٥١﴾ وقوم نوح من قبل إنهم
كانوا هم أظلم وأطغى ﴿٥٢﴾ والمؤتفكة أهوى ﴿٥٣﴾
فغشاها ما غشى ﴿٥٤﴾ فبأي آلاء ربك تتمارى ﴿٥٥﴾ هذا نذير
من النذر الأولى ﴿٥٦﴾ أزفت الآزفة ﴿٥٧﴾ ليس لها من دون الله

ام لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى وفروا تم ما التزمه اوامر به او بالغ في الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود
حتى اتاه جبرائيل عليه السلام حين القي في النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وذبح الولد وانه كان يمشي كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم
وتقديم موسى لان صحفه وهي التوراة كانت اكثر واشهر عندهم ان لا تزر وازرة وزر اخرى ان هي المخففة من الثقيلة وهي بما بعدها في محل الجر بدلا مما في صحف موسى او
الرفع على هو ان لا تزر كانه قيل ما في صحفهما فاجاب به والمعنى انه لا يؤاخذ احد بذنب غيره ولا يخالف ذلك قوله كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في
الارض فكانما قتل الناس جميعا وقوله عليه السلام من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة فان ذلك للدلالة والتسبب الذي هو وزره وان ليس
للانسان الا ما سعى الا سعيه اي كما لا يؤاخذ احد بذنب الغير لا يثاب بفعله وما جاء في الاخبار من ان الصدقة والحج ينفعان الميت فلكون الناوي له كالنائب عنه وان سعيه
سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى اي يجزي العبد سعيه بالجزاء الاوفر فنصب
بنزع الخافض ويجوز ان يكون مصدرا والهاء للجزاء المدلول عليه بيجزى والجزاء
بدله وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق ورجوعهم وقرئ بالكسر على انه
منقطع عما في الصحف وكذلك ما بعده وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات
واحيى لا يقدر على الاماتة والاحياء غيره فان القاتل ينقض البنية والموت
يحصل عنده بفعل الله على سبيل العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى
من نطفة اذا تمنى تدفق في الرحم او تخلق او يقدر منها الولد من منى اذا قدر وان
عليه النشاة الاخرى الاحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرأ ابن كثير وابو عمرو
النشاءة بالمد وهو ايضا مصدر نشأ وانه هو اغنى واقنى واعطى القنية
وهي ما يتأثل من الاموال وافرادها لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل
الرضى له قنية وانه هو رب الشعرى يعني العبور وهي اشد ضياء من الغميصاء
عبدها ابو كبشة احد اجداد الرسول عليه الصلاة والسلام وخالف قريشا
في عبادة الاوثان ولذلك كانوا يسمون الرسول ابن ابي كبشة ولعل تخصيصها
للاشعار بانه عليه الصلاة والسلام وان وافق ابا كبشة في مخالفتهم خالفه
ايضا في عبادتها وانه اهلك عادا الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا
بعد قوم نوح وقيل عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقرئ عادا الاولى
بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى لام التعريف وعاد لولى بادغام التنوين في اللام
وثمودا عطف على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرأ عاصم وحمزة بغير تنوين
ويقفان بغير الف فما ابقى الفريقين وقوم نوح ايضا معطوف عليه
من قبل من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين
لانهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتى لا يكون به حراك والمؤتفكة
والقرى التي ائتفكت باهلها اي انقلبت وهي قرى قوم لوط اهوى بعد ان
رفعها فقلبها فغشيها ما غشى فيه تهويل وتعميم لما اصابهم فبأي
آلاء ربك تتمارى تتشكك والخطاب للرسول او لكل احد والمعدودات
وان كانت نعما ونقما لكن سماها آلاء من قبل ما في نقمه من العبر والمواعظ للمعتبرين والانتقام للانبياء والمؤمنين هذا نذير من النذر الاولى اي هذا القرآن
انذار من جنس الانذارات المتقدمة او هذا الرسول نذير من جنس المنذرين الاولين ازفت الآزفة دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله اقتربت الساعة
ليس لها من دون الله كاشفة ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله لكنه لا يكشفها او الآن بتأخيرها الا الله او ليس لها كاشفة لوقتها الا الله
اذ لا يطلع عليه سواه او ليس لها من غير الله كشف على انها مصدر كالعافية

افمن هذا الحديث يعني القرءان تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء ولا تبكون تحزنا على ما فرطتم وانتم سامدون لاهون او مستكبرون من سمد البعير في مسيره اذا رفع رأسه او مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود وهو الغناء فاسجدوا لله واعبدوا اى واعبدوه دون الآلهة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ والنجم اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة سورة القمر مكية وايها خمس وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر وقيل معناه سينشق يوم القيامة ويؤيد الاول انه قرئ وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها انشقاق القمر وقوله وان يروا اية يعرضوا عن تأملها والايمان بها ويقولوا سحر مستمر مطرد وهو يدل على انهم رأوا قبله آيات اخرى مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك او محكم من المرة يقال له امررته فاستمر اذا احكمته فاستحكم او مستبشع من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته او مار ذاهب لا يبقى وكذبوا واتبعوا اهواءهم وهو ما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره وذكرهما بلفظ المضي للاشعار بانهما من عادتهم القديمة وكل امر مستقر منته الى غاية من خذلان او نصر في الدنيا وشقاوة او سعادة في الاخرة فان الشئ اذا انتهى الى غايته ثبت واستقر وقرئ بالفتح اى ذو مستقر بمعنى استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل معطوف على الساعة ولقد جاءهم في القرءان من الانباء انباء القرون الخالية او انباء الاخرة ما فيه مزدجر ازدجار من تعذيب او وعيد وتاء الافتعال تقلب دالا مع الدال والذال والزاى للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما فانها موصولة او مخصوصة بالصفة فيجوز نصب الحال عنها فما تغن النذر نفي او استفهام انكارى فاى غناء يغني النذر وهو جمع نذير بمعنى المنذر او المنذر منه او مصدر بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم يوم يدع الداع اسرافيل ويجوز ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط الياء اكتفاء بالكسرة للتخفيف وانتصاب يوم بيخرجون او باضمار اذكر الى شئ نكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول القيامة وقرأ ابن كثير نكر بالتخفيف وقرئ نكر بمعنى انكر خاشعا ابصارهم يخرجون من الاجداث اى يخرجون من قبورهم خاشعا ذليلا ابصارهم من الهول وافراده وتذكيره لان فاعله غير حقيقى التأنيث وقرئ خاشعة على الاصل وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم خشعا وانما حسن ذلك ولا يحسن مررت برجال قائمين غلمانهم لانه ليس على صيغة يشبه الفعل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر فتكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر في الكثرة والتموج والانتشار في الامكنة مهطعين الى الداع مسرعين مادى اعناقهم اليه او ناظرين اليه

كاشفة ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ۩ ﴿٦٢﴾

سُورَةُ الْقَمَرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٥٤

اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ۖ يَقُولُ

يقول الكافرون هذا يوم عسر صعب كذبت قبلهم قوم نوح قبل قومك فكذبوا عبدنا نوحا وهو تفصيل بعد اجمال وقيل معناه كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب تبعه آخرون مكذبون او كذبوه بعد ما كذبوا الرسل وقالوا مجنون هو مجنون وازدجر وزجر عن التبليغ بانواع الاذية وقيل انه من جملة قيلهم اى هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه انى اى بانى وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب غلبنى قومى فانتصر فانتقم لى منهم وذلك بعد يأسه منهم فقد روى ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب وهو مبالغة وتمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرأ ابن عامر ويعقوب ففتّحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها كانها عيون منفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير للمبالغة فالتقى الماء ماء السماء وماء الارض وقرئ الماآن لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر على حال قدرها الله فى الازل من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما اخرج او على امر قدره الله وهو هلاك قوم نوح بالطوفان

الكافرون هذا يوم عسر ﴿٨﴾ كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ﴿٩﴾ فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ﴿١٠﴾ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ﴿١١﴾ وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴿١٢﴾ وحملناه على ذات ألواح ودسر ﴿١٣﴾ تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴿١٤﴾ ولقد تركناها آية فهل من مدكر ﴿١٥﴾ فكيف كان عذابي ونذر ﴿١٦﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿١٧﴾ كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر ﴿١٨﴾ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ﴿١٩﴾ تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴿٢٠﴾ فكيف كان عذابي ونذر ﴿٢١﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴿٢٢﴾ كذبت ثمود

وحملناه على ذات الواح ذات اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع الشديد وهى صفة للسفينة اقيمت مقامها من حيث انها شرح لها يؤدى مؤداها تجرى باعيننا بمرأى منا اى محفوظة بحفظنا جزاء لمن كان كفر اى فعلنا ذلك جزاء لنوح لانه نعمة كفروها فان كل نبى نعمة من الله ورحمة على امته ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير وقرئ لمن كفر اى للكافرين ولقد تركناها اى السفينة او الفعلة آية يعتبر بها اذ شاع خبرها واستمر فهل من مدكر معتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابى ونذر استفهام تعظيم ووعيد والنذر يحتمل المصدر والجمع ولقد يسرنا القرآن سهلناه او هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها للذكر للادكار والاتعاظ بان صرفنا فيه انواع المواعظ والعبر او للحفظ بالاختصار وعذوبة اللفظ فهل من مدكر متعظ كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر وانذاراتى لهم بالعذاب قبل نزوله او لمن بعدهم فى تعذيبهم انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة او شديدة الصوت فى يوم نحس شؤم مستمر استمر شؤمه او استمر عليهم حتى اهلكهم او على جميعهم كبيرهم وصغيرهم فلم يبق منهم احدا او اشتد مرارته وكان يوم الاربعاء آخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روى انهم دخلوا فى الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح منها وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع عن مغارسه ساقط على الارض قيل شبهوا بالاعجاز لان الريح طيرت رؤسهم وطرحت اجسادهم وتذكير منقعر للحمل على اللفظ والتأنيث فى قوله اعجاز نخل خاوية للمعنى فكيف كان عذابى ونذر كرره للتهويل وقيل الاول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة كما قال ايضا فى قصتهم لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر بالانذارات او المواعظ او الرسل

فقالوا ابشرا منا من جنسنا او من جلتنا لا فضل له علينا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء والاول اوجه للاستفهام واحدا منفردا لا تبع له او من آحادهم دون اشرافهم نتبعه انا اذا لفي ضلال وسعر جمع سعير كأنهم عكسوا عليه فرتبوا على اتباعهم اياه ما رتبه على ترك اتباعهم له وقيل السعر الجنون ومنه ناقة مسعورة ءالقى الذكر الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بادعائه سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من الكذاب الاشر الذي حمله اشره على الاستكبار عن الحق وطلب الباطل اصالح ام من كذبه وقرأ ابن عامر وحمزة ورويس ستعلمون على الالتفات أو حكاية ما اجابهم به صالح وقرئ الاشر كحذر في حذر والاشرّ اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير انا مرسلوا الناقة مخرجوها وباعثوها فتنة لهم امتحانا لهم فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما يصنعون واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لها يوم ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته او يحضر عنه غيره فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر فاجترأ على تعاطي قتلها فقتلها او فتعاطى السيف فقتلها والتعاطي تناول الشئ بتكلف فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرائيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر اليابس المتكسر الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتاء وقرئ بفتح الظاء اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم الا آل لوط نجيناهم بسحر في سحر وهو آخر الليل او مسحرين نعمة من عندنا انعاما منا وهو علة لنجينا كذلك نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم لوط بطشتنا اخذتنا بالعذاب فتماروا بالنذر فكذبوا بالعذاب متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى انهم لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبرائيل صفقة فاعماهم

بِالنُّذُرِ ﴿٢٤﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ
وَسُعُرٍ ﴿٢٥﴾ أَءُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٦﴾
سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٧﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً
لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٨﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ
كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٩﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ
﴿٣٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣١﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٣٣﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٤﴾
إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٥﴾
نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ
بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا

فذوقوا عذابي ونذر فقلنا لهم ذوقوا على السنة الملائكة او ظاهر الحال ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار معين عذاب مستقر يستقر بهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كرر ذلك في كل قصة اشعارا بان تكذيب كل رسول مقتض لنزول العذاب واستماع كل قصة مستدع للادكار والاتعاظ واستئنافا للتنبيه والايقاظ لئلا يغلبهم السهو والغفلة وهكذا تكرير قوله فبأي آلاء ربكما تكذبان وويل يومئذ للمكذبين ونحوهما ولقد جاء آل فرعون النذر اكتفى بذكرهم عن ذكره للعلم بانه اولى بذلك كذبوا بآياتنا كلها يعني الآيات التسع فاخذناهم اخذ عزيز لا يغالب مقتدر لا يعجزه شيء اكفاركم يا معشر العرب خير من اولئكم الكفار المعدودين قوة وعدة او مكانة ودينا عند الله تعالى ام لكم براءة في الزبر ام انزل لكم في الكتب السماوية ان من كفر منكم فهو في امان من العذاب ام يقولون نحن جميع جماعة امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والتوحيد على لفظ الجمع سيهزم الجمع ويولون الدبر اي الادبار وافراده لارادة الجنس او لان كل احد يولي دبره وقد وقع ذلك يوم بدر وهو من دلائل النبوة وعن عمر رضي الله عنه انه لما نزلت قال لم اعلم ما هو فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع فعلمته بل الساعة موعدهم موعد عذابهم الاصلي وما يحيق بهم في الدنيا فمن طلائعه والساعة ادهى اشد والداهية امر فظيع لا يهتدى لدوائه وامر مذاقا من عذاب الدنيا ان المجرمين في ضلال عن الحق في الدنيا وسعر ونيران في الآخرة يوم يسحبون في النار على وجوههم يجرون عليها ذوقوا مس سقر اي يقال لهم ذوقوا حر النار وألمها فان مسها سبب للتألم بها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار وصقرته اذا لوحته انا كل شيء خلقناه بقدر اي انا خلقنا كل شيء مقدرا مرتبا على مقتضى الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على الابتداء وعلى هذا فالاولى ان يجعل خلقناه خبرا لا نعتا ليطابق المشهورة في الدلالة على ان كل شيء مخلوق بقدر ولعل اختيار النصب ههنا مع الاضمار لما فيه من النصوصية على المقصود وما امرنا الا واحدة الا فعلة واحدة وهو الايجاد بلا معالجة ومعاناة او الا كلمة واحدة وهو قوله كن كلمح بالبصر في اليسر والسرعة وقيل معناه معنى قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اشباهكم في الكفر ممن قبلكم فهل من مدكر متعظ وكل شيء فعلوه في الزبر مكتوب في كتب الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح

أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ

ان المتقين في جنات ونهر انهار واكتفى باسم الجنس او سعة او ضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء وبضم النون وسكون الهاء جمع نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ مقاعد صدق عند مليك مقتدر مقربين عند من تعالى امره في الملك والاقتدار بحيث ابهمه ذووا الافهام عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر سورة الرحمن مكية او مدنية او متبعضة وايها ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن لما كانت السورة مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والاخروية صدرها بالرحمن وقدم ما هو اصل النعم الدينية واجلها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه فانه اساس الدين ومنشأ الشرع واعظم الوحي واعز الكتب اذ هو باعجازه واشتماله على خلاصتها مصدق لنفسه ومصداق لها ثم اتبعه قوله خلق الانسان علمه البيان ايماء بان خلق البشر وما يميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو التعبير عما في الضمير وافهام الغير لما ادركه لتلقي الوحي وتعرف الحق وتعلم الشرع واخلاء الجمل الثلاث التي هي اخبار مترادفة للرحمن عن العاطف لمجيئها على نهج التعداد الشمس والقمر بحسبان يجريان

فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمٰنِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سِتٌّ وَسَبْعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾

بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتتسق بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات وتعلم السنون والحساب والنجم النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق يسجدان ينقادان لله فيما يريد بهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا وكان حق النظم في الجملتين ان يقال واجرى الشمس والقمر واسجد النجم والشجر او الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له لتطابقا ما قبلهما وما بعدهما في اتصالهما بالرحمن لكنهما جردتا عما يدل على الاتصال اشعارا بان وضوحه يغنيه عن البيان وادخال العاطف بينهما لاشتراكهما في الدلالة على ان ما يحس به من تغيرات احوال الاجرام العلوية والسفلية بتقديره وتدبيره والسماء رفعها خلقها مرفوعة محلا ومرتبة فانها منشأ اقضيته ومتنزل احكامه ومحل ملائكته وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان العدل بان وفر على كل مستعد مستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم امر العالم واستقام كما قال عليه السلام بالعدل قامت السموات والارض او ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما كأنه لما وصف السماء بالرفعة التي هي من حيث انها مصدر القضايا والاقدار اراد وصف الارض بما فيها مما يظهر به التفاوت ويعرف به المقدار ويستوي به الحقوق والمواجب ان لا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا فيه اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه فان من حقه ان يسوى لانه المقصود من وضعه وتكريره مبالغة في التوصية به وزيادة حث على استعماله وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل والارض وضعها خفضها مدحوة للانام للخلق وقيل الانام كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام اوعية التمر جمع كم او كل ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه ينتفع به كالمكموم وكالجذع والجمار والتمرة والحب ذو العصف كالحنطة والشعير وسائر ما يتغذى به والعصف ورق النبات اليابس كالتبن والريحان يعني المشموم او الرزق من قولهم خرجت



اطلب ريحان الله تعالى وقرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او اخص ويجوز ان يراد وذا الريحان بحذف المضاف وقرأ حمزة والكسائي والريحان بالخفض وما عدا ذلك بالرفع وهو فيعلان من الروح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف وقيل روحان فقلب واوه ياء للتخفيف فباي آلاء ربكما تكذبان الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله للانام وقوله ايها الثقلان خلق الانسان من صلصال كالفخار الصلصال الطين اليابس الذي له صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله آدم من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا فلا يخالف ذلك قوله خلقه من تراب ونحوه وخلق الجان الجن او ابا الجن من مارج من صاف من الدخان من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب

فبای الاء ربکما تکذبان فیهما من کل فاکهة زوجان صنفان غریب ومعروف اورطب ویابس فبای الاء ربکما تکذبان متکئین علی فرش بطائنها من استبرق من
دیباج ثخین واذا کانت البطائن کذلک فاظنک بالظهائر ومتکئین مدح للخائفین اوحال منهم لان من خاف فی معنی الجمع وجنی الجنتین دان قریب ینا له
القاعد والمضطجع وجنی اسم بمعنی مجنی وقرئ بکسر الجیم فبای الاء ربکما تکذبان فیهن فی الجنان فان جنتان یدل علی جنان هی للخائفین اوفیما فیهما من الاماکن
والقصور اوفی هذه الآلاء المعدودة من الجنتین والعینین والفاکهة والفرش قاصرات الطرف نساء قصرن ابصارهن علی ازواجهن لم یطمثهن انس قبلهم
ولاجان لم یمس الانسیات انس والجنیات جن وفیه دلیل علی ان الجن یطمثون وقرأ الکسائی بضم المیم فبای الاء ربکما تکذبان کانهن الیاقوت والمرجان
فی حمرة الوجنة وبیاض البشرة وصفائها فبای الاء ربکما تکذبان هل جزاء الاحسان فی العمل الا الاحسان فی الثواب وهو الجنة فبای الاء ربکما
تکذبان ومن دونهما جنتان ومن دون تینک الجنتین الموعودتین
للخائفین المقربین جنتان لمن دونهم من اصحاب الیمین فبای الاء ربکما
تکذبان مدهامتان خضراوان تضربان الی السواد من شدة الخضرة
وفیه اشعار بان الغالب علی هاتین الجنتین النبات والریاحین المنبسطة
علی وجه الارض وعلی الاولیین الاشجار والفواکه دلالة علی ما بینهما من
التفاوت فبای الاء ربکما تکذبان فیهما عینان نضاختان فوارتان
بالماء وهو ایضا اقل مما وصف به الاولیین وکذا ما بعده فبای الاء
ربکما تکذبان فیهما فاکهة ونخل ورمان عطفهما علی الفاکهة
بیانا لفضلهما فان ثمرة النخل فاکهة وغذاء وثمرة الرمان فاکهة
ودواء واحتج به ابو حنیفة علی ان من حلف لا یأکل فاکهة فاکل رطبا
اورمانا لم یحنث فبای الاء ربکما تکذبان فیهن خیرات ای خیرات
فخففت لان خیر الذی بمعنی اخیر لا یجمع وقد قرئ علی الاصل
حسان حسان الخلق والخلق

تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ
إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ
﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ
﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ
إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا
جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ
﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾

فباى الاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة اى مخدرة او مقصورات الطرف على ازواجهن فباى الاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولاجان كحور الاولين وهم لاصحاب الجنتين فانهما يدلان عليهم فباى الاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وسائد او نمارق جمع رفرفة وقيل الرفرف ضرب من البسط او ذيل الخيمة وقد يقال لكل ثوب عريض وعبقري حسان العبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب والمراد به الجنس ولذلك جمع حسان حملا على المعنى فباى الاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تعالى اسمه من حيث انه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته وقيل الاسم بمعنى الصفة او مقحم كما فى قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذى الجلال والاكرام وقرأ ابن عامر بالرفع صفة للاسم عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الرحمن ادى شكر ما انعم الله عليه سورة الواقعة مكية وآيها تسع وتسعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اذا حدثت القيمة سماها واقعة لتحقق وقوعها وانتصاب اذا بمحذوف مثل اذكر او كان كيت وكيت ليس لوقعتها كاذبة اى لا يكون حين تقع نفس تكذب على الله او تكذب فى نفيها كما تكذب الآن واللام مثلها فى قوله قدمت لحياتى او ليس لاجل وقعتها كاذبة فان من اخبر عنها صدقا وليس لها حينئذ نفس تحدث صاحبها باطاقة شدتها واحتمالها وتغريه عليها من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته عليه وسولت له انه يطيقه خافضة رافعة تخفض قوما وترفع اخرين وهو تقرير لعظمتها فانا لوقائع العظام كذلك او بيان لما يكون حينئذ من خفض اعداء الله ورفع اوليائه او ازالة الاجرام عن مجانها بنثر الكواكب وتسيير الجبال فى الجو وقرئتا بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل والظرف متعلق بخافضة رافعة او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا فتت حتى صارت كالسويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من بس الغنم اذا ساقها فكانت هباء غبارا منبثا منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة وكل صنف يكون او يذكر مع صنف اخر زوج

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٢﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٤﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٧٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٦﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٨﴾ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٩﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سِتٌّ وَتِسْعُونَ آيَةً

٥٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ

الْمَيْمَنَةِ ۝ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۝٩ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۝١٠ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝١١ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۝١٢ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝١٣ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۝١٤ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۝١٥ عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ۝١٦ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۝١٧ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ۝١٨ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ۝١٩ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ۝٢٠ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢١ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٣ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٤ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٢٥ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٦ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۝٢٧ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ۝٢٨ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ۝٢٩ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ۝٣٠ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ۝٣١ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ۝٣٢

فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة فاصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من تيمنهم بالميامن وتشأمهم بالشمائل واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم او اصحاب اليمن والشؤم فان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم والجملتان الاستفهاميتان خبران لما قبلهما باقامة الظاهر مقام الضمير ومعناهما التعجب من حال الفريقين والسابقون السابقون والذين سبقوا الى الايمان والطاعة بعد ظهور الحق من غير تلعثم وتوان او سبقوا فى حيازة الفضائل والكمالات او الانبياء فانهم مقدموا اهل الاديان هم الذين عرفت حالهم وعرفت مآلهم كقول ابى النجم انا ابو النجم وشعرى شعرى او الذين سبقوا الى الجنة اولئك المقربون فى جنات النعيم الذين قربت درجاتهم فى الجنة واعليت مراتبهم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين اى هم كثير من الاولين يعنى الامم السالفة من لدن آدم الى محمد عليهما السلام وقليل من الآخرين يعنى امة محمد عليه السلام ولا يخالف ذلك قوله عليه السلام ان امتى يكثرون سائر الامم لجواز ان يكون سابقوا سائر الامم اكثر من سابقى هذه الامة وتابعوا هذه اكثر من تابعيهم ولا يرده قوله فى اصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين لان كثرة الفريقين لا تنافى اكثرية احدهما وروى مرفوعا انهما من هذه الامة واشتقاقها من الثل وهو القطع على سرر موضونة خبر آخر للضمير المحذوف والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت او المتواصلة من الوضن وهو نسج الدرع متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير فى على يطوف عليهم للخدمة ولدان مخلدون مبقون ابدا على هيئة الولدان وطراوتهم باكواب واباريق حال الشرب وغيره والكوب آناء بلا عروة ولا خرطوم له والابريق اناء له ذلك وكاس من معين من خمر لا يصدعون عنها بخمار ولا ينزفون ولا ينزف عقولهم او لا ينفد شرابهم وقرأ الكوفيون بكسر الزاى وقرئ لا يصدعون بمعنى لا يتصدعون اى لا يتفرقون وفاكهة مما يتخيرون يختارون ولحم طير مما يشتهون يتمنون وحور عين عطف على ولدان او مبتدأ محذوف الخبر اى وفيها حور او ولهم حور وقرأ حمزة والكسائى بالجر عطفا على جنات بتقدير مضاف اى هم فى جنات ومصاحبة حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وقرئتا بالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون المصون عما يضربه فى الصفاء والنقاء جزاء بما كانوا يعملون اى يفعل ذلك كله بهم جزاء باعمالهم لا يسمعون فيها لغوا باطلا ولا تأثيما ولا نسبة الى الاثم اى لا يقال اثمت الا قيلا الا قولا سلاما سلاما بدل من قيلا كقوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى الا ان يقولوا سلاما او مصدر والتكرير للدلالة على فشو السلام بينهم وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود لا شوك له من خضد الشوك اذا قطعه او مثنى اغصانه من كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح وشجر موز او ام غيلان وله انوار كثيرة طيبة الرائحة وقرئ بالعين منضود نضد حمله من اسفله الى اعلاه وظل ممدود منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا بلا تعب ومصبوب سائل كأنه لما شبه حال السابقين فى التنعم باكمل ما يتصور لاهل المدن شبه حال اصحاب اليمين باكمل ما يتمناه اهل البوادى اشعارا بالتفاوت بين الحالين

ز٥١٥

وفاكهة كثيرة كثيرة الاجناس لامقطوعة لاتنقطع فى وقت ولاممنوعة ولاتمنع عن متناولها بوجه وفرش مرفوعة رفيعة القدر اومنضدة مرتفعة وقيل الفرش النساء وارتفاعها انها على الارائك ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء اى ابتدأناهن ابتداء جديدا من غير ولادة ابداً اواعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد واحد كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فجعلناهن ابكارا عربا متحببات الى ازواجهن جمع عروب وسكن راءه حمزة وروى عن نافع وعاصم مثله اترابا فان كلهن بنات ثلاث وثلاثين وكذا ازواجهن لاصحاب اليمين متعلق بانشأنا اوجعلنا اوصفة لابكارا اولاترابا اوخبر لمحذوف مثل هن اولقوله ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وهو على الوجه الاول خبر محذوف واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فى سموم فى حر نار ينفذ فى المسام وحميم وماء متناه فى الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود يفعول من الحممة لابارد كسائر الظل ولاكريم ولانافع نفى بذلك ما أوهم الظل من الاستروح انهم كانوا قبل ذلك مترفين منهمكين فى الشهوات وكانوا يصرون على الحنث العظيم الذنب العظيم يعنى الشرك ومنه بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وحنث فى يمينه خلاف بر فيها وتحنث اذا تأثم وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون كررت الهمزة للدلالة على انكار البعث مطلقا وخصوصا فى هذا الوقت كما دخلت العاطف فى قوله اوآباؤنا الاولون للدلالة على ان ذلك اشد انكارا فى حقهم لتقادم زمانهم وللفصل بها حسن العطف على المستكن فى لمبعوثون وقرأ نافع وابن عامر أو بالسكون وقد سبق مثله والعامل فى الظرف مادل عليه مبعوثون لاهو للفصل بان والهمزة قل ان الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الى ماوقت به الدنيا وحد من يوم معين عند الله معلوم له ثم انكم ايها الضالون المكذبون اى بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لاكلون من شجر من زقوم من الاولى للابتداء والثانية للبيان فمالئون منها البطون من شدة الجوع فشاربون عليه من الحميم لغلبة العطش وتأنيث الضمير فى منها وتذكيره فى عليه على المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فيكون التذكير للزقوم فانه تفسيرها

وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ

مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ
﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾
أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ
وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ
فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ
﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ
﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا
لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ
﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ
جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي
تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾

فشاربون شرب الهيم الابل التى بها الهيام وهو داء يشبه الاستسقاء جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضى عليها هيامها وقيل الهيم الرمال على انه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذى لا يتماسك جمع على هيم كسحب ثم خففت وفعل به ما فعل بجمع ابيض وكل من المعطوف والمعطوف عليه اخص من الآخر من وجه فلا اتحاد وقرأ نافع وحمزة وعاصم شرب بضم الشين هذا نزلهم يوم الدين يوم الجزاء فما ظنك بما يكون لهم بعد ما استقروا فى الجحيم وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم لان النزل ما يعد للنازل تكرمة له وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون بالخلق متيقنين محققين للتصديق بالاعمال الدالة عليها او بالبعث فان من قدر على الابداء قدر على الاعادة افرأيتم ما تمنون اى ما تقذفونه فى الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها ءانتم تخلقونه تجعلونه بشرا سويا ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت قسمناه عليكم وأقتنا موت كل بوقت معين وقرأ ابن كثير بتخفيف الدال وما نحن بمسبوقين لا يسبقنا احد فيهرب من الموت او يغير وقته او لا يغلبنا احد من سبقته على كذا اذا غلبته عليه على ان نبدل امثالكم على الاول حال او علة لقدرنا وعلى بمعنى اللام وما نحن بمسبوقين اعتراض وعلى الثانى صلة والمعنى على ان نبدل منكم اشباهكم فنخلق بدلكم او نبدل صفاتكم على ان امثالكم جمع مثل وننشئكم فى ما لا تعلمون فى خلق او صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى فانها اقل صنعا لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس افرأيتم ما تحرثون تبذرون حبه ءانتم تزرعونه تنبتونه ام نحن الزارعون المنبتون لو نشاء لجعلناه حطاما هشيما فظلتم تفكهون تعجبون او تندمون على اجتهادكم فيه او على ما اصبتم لاجله من المعاصى فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرئ فظلتم بالكسر وفظللتم على الاصل انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وقرأ ابو بكر أئنا على الاستفهام بل نحن قوم محرومون حرمنا رزقنا او محدودون لا مجدودون افرأيتم الماء الذى تشربون اى العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن من السحاب واحده مزنة وقيل المزن السحاب الابيض وماؤه اعذب ام نحن المنزلون بقدرتنا والرؤية ان كانت بمعنى العلم فمعلقة بالاستفهام لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا او من الاجيج فانه يحرق الفم وحذف اللام الفاصلة بين جواب ما يتمحض للشرط وما يتضمن معناه لعلم السامع بمكانها والاكتفاء بسبق ذكرها وتخصيص ما يقصد لذاته ويكون اهم وفقده اصعب لمزيد التاكيد فلولا تشكرون امثال هذه النعم الضرورية افرأيتم النار التى تورون تقدحون ءانتم انشأتم شجرتها ام نحن المنشئون يعنى الشجرة التى منها الزناد

نحن جعلناها جعلنا نار الزناد تذكرة تبصرة فى امر البعث كما مرّ فى سورة يسٓ او فى الظلام او تذكيرا او انموذجا لنار جهنم ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهى القفر او للذين خلت بطونهم او مزاودهم من الطعام من اقوت الدار اذا خلت من ساكنيها فسبح باسم ربك العظيم فأحدث التسبيح بذكر اسمه او بذكره فان اطلاق اسم الشئ ذكره والعظيم صفة للاسم او الرب وتعقيب الامر بالتسبيح لما عدد من بدائع صنعه وانعامه اما لتنزيهه تعالى عما يقول الجاحدون لوحدانيته الكافرون لنعمته او للتعجب من امرهم فى غمط نعمه او للشكر على ما عدها من النعم فلا اقسم اذ الامر اوضح من ان يحتاج الى قسم او فأقسم ولا مزيدة للتاكيد كما فى قوله لئلا يعلم او فلأنا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء ويدل عليه قرآءة فلأقسم او فلا رد لكلام يخالف المقسم عليه بمواقع النجوم بمساقطها وتخصيص المغارب لما فى غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر لا يزول تأثيره او بمنازلها ومجاريها وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقرأ حمزة والكسائى بموقع وانه لقسم لو تعلمون عظيم لما فى المقسم به من الدلالة على عظيم القدرة وكمال الحكمة وفرط الرحمة ومن مقتضيات رحمته ان لا يترك عباده سدى وهو اعتراض فى اعتراض فانه اعتراض بين المقسم والمقسم عليه ولو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة انه لقرآن كريم كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة فى اصلاح المعاش والمعاد او حسن مرضى فى جنسه فى كتاب مكنون مصون وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون لا يطلع على اللوح الا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة او لا يمس القرآن الا المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى نهى او لا يطلبه الا المطهرون من الكفر وقرئ المتطهرون والمطهرون والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون اى انفسهم او غيرهم بالاستغفار لهم والالهام تنزيل من رب العالمين صفة ثالثة او رابعة للقرآن وهو مصدر نعت به وقرئ بالنصب اى نزل تنزيلا افبهذا الحديث يعنى القرآن انتم مدهنون متهاونون به كمن يدهن فى الامر اى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به وتجعلون رزقكم اى شكر رزقكم انكم تكذبون اى بمانحه حيث تنسبونه الى الانوآء وقرئ شكركم اى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون بها وتكذبون اى بقولكم فى صفة القرآن انه سحر وشعر او فى المطر انه من الانوآء فلولا اذا بلغت الحلقوم اى النفس وانتم حينئذ تنظرون حالكم والخطاب لمن حول المحتضر والواو للحال ونحن اقرب اليه بقدرتنا وعلمنا او ملائكة الموت اى ونحن اعلم بحال المحتضر منكم عبر عن العلم بالقرب الذى هو اقوى سبب الاطلاع ولكن لا تبصرون لا تدركون كنه ما يجرى عليه فلولا ان كنتم غير مدينين اى مجزيين يوم القيمة او مملوكين مقهورين من دانه اذا اذله واستعبده واصل التركيب للذل والانقياد ترجعونها ترجعون النفس الى مقرها وهو عامل الظرف والمحضض عليه بلولا الاولى والثانية تكرير للتاكيد



نَحْنُ جَعَلْنٰهَا تَذْكِرَةً وَّمَتَاعًا لِّلْمُقْوِيْنَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ ﴿٧٤﴾ فَلَآ اُقْسِمُ بِمَوٰقِعِ النُّجُوْمِ ﴿٧٥﴾ وَاِنَّهٗ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُوْنَ عَظِيْمٌ ﴿٧٦﴾ اِنَّهٗ لَقُرْاٰنٌ كَرِيْمٌ ﴿٧٧﴾ فِيْ كِتٰبٍ مَّكْنُوْنٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهٗٓ اِلَّا الْمُطَهَّرُوْنَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيْلٌ مِّنْ رَّبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿٨٠﴾ اَفَبِهٰذَا الْحَدِيْثِ اَنْتُمْ مُّدْهِنُوْنَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُوْنَ رِزْقَكُمْ اَنَّكُمْ تُكَذِّبُوْنَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ اِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُوْمَ ﴿٨٣﴾ وَاَنْتُمْ حِيْنَئِذٍ تَنْظُرُوْنَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ اَقْرَبُ اِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلٰكِنْ لَّا تُبْصِرُوْنَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ اِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِيْنِيْنَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُوْنَهَآ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ﴿٨٧﴾ فَاَمَّآ اِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِيْنَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَّرَيْحَانٌ وَّجَنَّتُ نَعِيْمٍ ﴿٨٩﴾ وَاَمَّآ اِنْ كَانَ مِنْ اَصْحٰبِ الْيَمِيْنِ ﴿٩٠﴾ فَسَلٰمٌ لَّكَ مِنْ اَصْحٰبِ الْيَمِيْنِ ﴿٩١﴾ وَاَمَّآ اِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِيْنَ الضَّآلِّيْنَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيْمٍ ﴿٩٣﴾ وَّتَصْلِيَةُ جَحِيْمٍ ﴿٩٤﴾ اِنَّ هٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِيْنِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيْمِ ﴿٩٦﴾

وهى بما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مملوكين مجزيين كما دل عليه جحدكم افعال الله وتكذيبكم باياته ان كنتم صادقين فى اباطيلكم فلولا ترجعون الارواح الى الابدان بعد بلوغها الحلقوم فاما ان كان من المقربين اى ان كان المتوفى من السابقين فروح فله استراحة وقرئ فروح بالضم وفسر بالرحمة لانها كالسبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق طيب وجنة نعيم ذات تنعم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك يا صاحب اليمين من اصحاب اليمين اى من اخوانك يسلمون عليك واما ان كان من المكذبين الضالين اى من اصحاب الشمال وانما وصفهم بافعالهم زجرا عنها واشعارا بما اوجب لهم ما اوعدهم به فنزل من حميم وتصلية جحيم وذلك ما يجد فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى السورة او فى شأن الفرق لهو حق اليقين اى حق الخبر اليقين فسبح باسم ربك العظيم فنزهه بذكر اسمه عما لا يليق بعظمة شانه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

سورة الحديد مدنية وقيل مكية وايها تسع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات والارض ذكر ههنا وفى الحشر والصف بلفظ الماضى وفى الجمعة والتغابن بلفظ المضارع اشعارا بان من شأن ما اسند اليه ان يسبحه فى جميع اوقاته لانه دلالة جبلية لا تختلف باختلاف الحالات ومجئ المصدر مطلقا فى بنى اسرائيل ابلغ من حيث انه يشعر باطلاقه على استحقاق التسبيح من كل شئ وفى كل حال وانما عدى باللام وهو معدى بنفسه مثل نصحته وفى نصحت له اشعارا بان ايقاع الفعل لاجل الله وخالصا لوجهه وهو العزيز الحكيم حال يشعر بما هو المبدأ للتسبيح له ملك السموات والارض فانه الموجد لها والمتصرف فيها يحيى ويميت استئنافا او خبر لمحذوف او حال من المجرور فى له وهو على كل شئ من الاحياء والاماتة وغيرهما قدير تام القدرة هو الاول السابق على سائر الموجودات من حيث انه موجدها ومحدثها والاخر الباقى بعد فنائها ولو بالنظر الى ذواتها مع قطع النظر عن غيرها او هو الاول الذى تبتدئ منه الاسباب وتنتهى اليه المسببات او الاول خارجا والاخر ذهنا والظاهر والباطن الظاهر وجوده لكثرة دلائله والباطن حقيقة ذاته فلا تكتنهها العقول او الغالب على كل شئ والعالم بباطنه والواو الاولى والاخيرة للجمع بين الوصفين والمتوسطة للجمع بين المجموعين وهو بكل شئ عليم يستوى عنده الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الارض كالبذور وما يخرج منها كالزروع وما ينزل من السماء كالامطار وما يعرج فيها كالابخرة وهو معكم اينما كنتم لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه ولعل تقديم الخلق على العلم لانه دليل عليه له ملك السموات والارض ذكره مع الاعادة كما ذكره مع الابداء لانه كالمقدمة لهما والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور بمكنوناتها

سورة الحديد مدنية وهى تسع وعشرون اية ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ

امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه من الاموال التي جعلكم خلفاء في التصرف فيها فهي في الحقيقة له لا لكم او التي استخلفكم عمن قبلكم في تملكها والتصرف فيها وفيه حث على الانفاق وتهوين له على النفس فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وعد فيه مبالغات جعل الجملة اسمية واعادة ذكر الايمان والانفاق وبناء الحكم على الضمير وتنكير الاجر ووصفه بالكبر وما لكم لا تؤمنون بالله اى وما تصنعون غير مؤمنين به كقولك ما لك قائما والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون والمعنى اى عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه بالحجج والايات وقد اخذ ميثاقكم اى وقد اخذ الله ميثاقكم بالايمان قبل ذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر والواو للحال من مفعول يدعو وقرأ ابو عمرو على البناء للمفعول ورفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين لموجب ما فان هذا موجب لا مزيد عليه هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم اى الله او العبد من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى

بذات الصدور ﴿٧﴾ امنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير ﴿٨﴾ وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين ﴿٩﴾ هو الذي ينزل على عبده ايات بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرءوف رحيم ﴿١٠﴾ وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير ﴿١١﴾ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله اجر كريم ﴿١٢﴾ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم

نور الايمان وان الله بكم لرءوف رحيم حيث نبهكم بالرسل والايات ولم يقتصر على ما نصب لكم من الحجج العقلية وما لكم ان لا تنفقوا واى شئ لكم في ان لا تنفقوا في سبيل الله فيما يكون قربة اليه ولله ميراث السموات والارض يرث كل شئ فيهما ولا يبقى لاحد مال واذا كان كذلك فانفاقه بحيث يستخلف عوضا يبقى وهو الثواب كان اولى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت المنفقين باختلاف احوالهم من السبق وقوة اليقين وتحري الحاجات حثا على تحري الافضل منها بعد الحث على الانفاق وذكر القتال للاستطراد وقسيم من انفق محذوف لوضوحه ودلالة ما بعده عليه والفتح فتح مكة اذ عز الاسلام به وكثر اهله وقلت الحاجة الى المقاتلة والانفاق اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا اى من بعد الفتح وكلا وعد الله الحسنى اى وعد الله كلا من المنفقين المثوبة الحسنى وهي الجنة وقرأ ابن عامر وكل بالرفع على الابتداء اى وكل وعده الله ليطابق ما عطف عليه والله بما تعملون خبير عالم بظاهره وباطنه فيجازيكم على حسبه والاية نزلت في ابي بكر فانه اول من آمن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشرف به على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا من ذا الذي ينفق ماله في سبيله رجاء ان يعوضه فانه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له اى يعطي اجره اضعافا وله اجر كريم اى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه ينبغي ان يتوخى وان لم يضاعف فكيف وقد يضاعف اضعافا وقرأ عاصم فيضاعفه بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى فكانه قال أيقرض الله احد فيضاعفه له وقرأ ابن كثير يضعفه مرفوعا وابن عامر ويعقوب يضعفه منصوبا يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله او فيضاعف او مقدر باذكر يسعى نورهم ما يوجب نجاتهم وهدايتهم الى الجنة بين ايديهم وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين

بشريكم اليوم جنات اى يقول لهم من يتلقاهم من الملائكة بشريكم اى المبشر به جنات او بشريكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم الاشارة الى ما تقدم من النور والبشرى بالجنات المخلدة يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا انتظرونا فانهم يسرع بهم الى الجنة كالبرق الخاطف او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بنور بين ايديهم وقرأ حمزة انظرونا على ان اتئادهم ليلحقوا بهم امهال لهم نقتبس من نوركم نصب منه قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل المعارف الالهية والاخلاق الفاضلة فانه يتولد منها او الى الموقف فانه من ثم يقتبس او الى حيث شئتم فاطلبوا نورا اخر فانه لا سبيل لكم الى هذا وهو تهكم بهم وتخييب من المؤمنين او الملائكة فضرب بينهم بين المؤمنين والمنافقين بسور بحائط له باب يدخل فيه المؤمنون باطنه باطن السور او الباب فيه الرحمة لانه يلي الجنة وظاهره من قبله العذاب من جهته لانه يلي النار ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم وشككتم في الدين وغرتكم الاماني كامتداد العمر حتى جاء امر الله وهو الموت وغركم بالله الغرور الشيطان والدنيا فاليوم لا يؤخذ منكم فدية فداء وقرأ ابن عامر ويعقوب بالتاء ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأويكم النار هي موليكم هي اولى بكم كقول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها وحقيقته محراكم اى مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كقولك هو مئنة الكرم اى مكان قول القائل انه لكريم او مكانكم عما قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع او متوليكم يتولاكم كما توليتم موجباتها في الدنيا وبئس المصير النار الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الم يأت وقته يقال انى الامر يأنى انيا وانا اذا جاء اناه وقرئ بكسر الهمزة وسكون النون من آن يئين بمعنى انى يأنى والما يأن روي ان المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وما نزل من الحق اى القرأن وهو عطف على الذكر عطف احد الوصفين على الاخر ويجوز ان يراد بالذكر ان يذكر الله وقرأ نافع ويعقوب وحفص نزل بالتخفيف وقرئ انزل ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرأ رويس بالتاء والمراد النهي عن مماثلة اهل الكتاب فيما حكي عنهم بقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم اى فطال عليهم الزمان بطول اعمارهم وآمالهم او ما بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم وقرئ الامد وهو الوقت الاطول وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في كتابهم من فرط القسوة اعلموا ان الله يحي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب القاسية بالذكر والتلاوة او لاحياء الاموات ترغيبا في الخشوع وزجرا عن القساوة قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون كي تكمل عقولكم

بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو
الفوز العظيم ﴿١٢﴾ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا
انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب
بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ﴿١٣﴾
ينادونهم الم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم
وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم
بالله الغرور ﴿١٤﴾ فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا
مأويكم النار هي موليكم وبئس المصير ﴿١٥﴾ الم يأن للذين امنوا
ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين
اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير
منهم فاسقون ﴿١٦﴾ اعلموا ان الله يحي الارض بعد موتها قد بينا لكم

ان المصّدّقين والمصّدّقات ان المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ بها وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد اى الذين صدّقوا الله ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على معنى الفعل في المحلى باللام لان معناه الذين اصدقوا او صدّقوا وهو على الاول للدلالة على ان المعتبر هو التصدق المقرون بالاخلاص يضاعف لهم ولهم اجر كريم معناه والقراءة في يضاعف ما مرّ غير انه لم يجزم لانه خبر ان وهو مسند الى لهم او الى ضمير المصدر والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصّدّيقون والشهداء عند ربهم اى اولئك عند الله بمنزلة الصّدّيقين والشهداء او هم المبالغون في الصّدق فانهم امنوا وصدّقوا جميع اخبار الله ورسله والقائمون بالشهادة لله ولهم او على الامم يوم القيمة وقيل والشهداء عند ربهم مبتدأ وخبر والمراد بهم الانبياء من قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد او الذين استشهدوا في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم لهم مثل اجر الصّدّيقين والشهداء ومثل نورهم ولكن من غير تضعيف ليحصل التفاوت او الاجر والنور الموعودان لهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم فيه دليل على ان الخلود في النار مخصوص بالكفار من حيث ان التركيب يشعر بالاختصاص والصحبة تدل على الملازمة عرفا اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد لما ذكر حال الفريقين في الاخرة حقّر امور الدنيا اعنى ما يتوصل بها الى الفوز الآجل بان بيّن انها امور خيالية قليلة النفع سريعة الزوال لانها لعب يتعب الناس فيها انفسهم جدا اتعاب الصبيان في الملاعب من غير فائدة ولهو يلهون بها انفسهم عما يهمهم وزينة كالملابس الحسنة والمراكب البهية والمنازل الرفيعة وتفاخر بالانساب وتكاثر بالعدد والعدد ثم قرر ذلك بقوله كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما وهو تمثيل لها في سرعة تقضيها وقلة جدواها بحال نبات انبته الغيث فاستوى واعجب به الحراث او الكافرون بالله لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا ولان المؤمن اذا رأى معجبا انتقل فكره الى قدرة صانعه فاعجب بها والكافر لا يتخطى فكره عما احس به فيستغرق فيه اعجابا ثم هاج اى يبس بعاهة فاصفر ثم صار حطاما ثم عظم امور الآخرة بقوله وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان تنفيرا عن الانهماك في الدنيا وحثا على ما يوجب كرامة العقبى ثم اكد ذلك بقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور اى لمن اقبل عليها ولم يطلب الآخرة بها سابقوا سارعوا مسارعة السابقين في المضمار الى مغفرة من ربكم الى موجباتها وجنة عرضها كعرض السماء والارض اى عرضها كعرضهما واذا كان العرض كذلك فما ظنك بالطول وقيل المراد بها البسطة كقوله فذو دعاء عريض اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة وان الايمان وحده كاف في استحقاقها ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك الموعود يتفضل به الله على من يشاء من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم فلا يبعد منه التفضل بذلك وان عظم قدره

الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُوْنَ ﴿١٨﴾ اِنَّ الْمُصَّدِّقِيْنَ وَالْمُصَّدِّقٰتِ وَاَقْرَضُوا اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ اَجْرٌ كَرِيْمٌ ﴿١٩﴾ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖٓ اُولٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيْقُوْنَ وَالشُّهَدَآءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ اَجْرُهُمْ وَنُوْرُهُمْ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا وَكَذَّبُوْا بِاٰيٰتِنَآ اُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ الْجَحِيْمِ ﴿٢٠﴾ اِعْلَمُوْٓا اَنَّمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَّلَهْوٌ وَّزِيْنَةٌ وَّتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْاَمْوَالِ وَالْاَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ اَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهٗ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرٰىهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطٰمًا وَفِي الْاٰخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَّمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيٰوةُ الدُّنْيَآ اِلَّا مَتَاعُ الْغُرُوْرِ ﴿٢١﴾ سَابِقُوْٓا اِلٰى مَغْفِرَةٍ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ اُعِدَّتْ لِلَّذِيْنَ اٰمَنُوْا بِاللّٰهِ وَرُسُلِهٖ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿٢٢﴾ مَآ اَصَابَ

مااصاب من مصيبة فى الارض كجدب وعاهة ولافى انفسكم كمرض وآفة الافى كتاب الامكتوبة فى اللوح مثبتة فى علم الله تعالى من قبل ان نبرأها
نخلقها والضمير للمصيبة اوللارض اوللانفس ان ذلك ان ثبته فى كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اى اثبت
وكتب لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا ولاتفرحوا بما اتيكم بما اعطاكم الله منها فان من علم ان الكل مقدر هان عليه الامر وقرأ ابو عمرو بما اتيكم
من الاتيان ليعادل ما فاتكم وعلى الاول فيه اشعار بان فواتها يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها فلا بد لهما من سبب يوجدها ويبقيها
والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقبه بقوله والله لايحب كل مختال فخور اذ قل من يثبت
نفسه حالى السراء والضراء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال بالمال يضن به غالبا اومبتدأ خبره محذوف مدلول عليه

مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ
ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٣﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا
آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٤﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ
النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا
بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ
وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ
وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا
بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ

بقوله ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد لان معناه ومن يعرض عن
الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لايضره الاعراض
عن شكره ولا ينتفع بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار
بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغنى
لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم
بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب ليتبين الحق ويتميز
صواب العمل والميزان ليستوى به الحقوق ويقام به العدل كما قال
ليقوم الناس بالقسط وانزاله انزال اسبابه والامر باعداده وقيل انزل
الميزان الى نوح عليه السلام ويجوز ان يراد به العدل ليقام به السياسة
ويدفع به الاعداء كما قال وانزلنا الحديد فيه بأس شديد فان آلات
الحروب متخذة منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد آلتها
وليعلم الله من ينصره ورسله باستعمال الاسلحة فى مجاهدة الكفار والعطف
على محذوف دل عليه ما قبله فانه حال يتضمن تعليلا او اللام صلة لمحذوف
اى انزله ليعلم الله بالغيب حال من المستكن فى ينصره ان الله قوى
على اهلاك من اراد اهلاكه عزيز لايفتقر الى نصره وانما امرهم بالجهاد
لينتفعوا به ويستوجبوا ثواب الامتثال فيه ولقد ارسلنا نوحا وابرهيم
وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب
وقيل المراد بالكتاب الخط فمنهم مهتد فمن الذرية او من المرسل اليهم
وقد دل عليهم ارسلنا وكثير منهم فاسقون خارجون عن الطريق
المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والدلالة على ان
الغلبة للضلال ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم
اى ارسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى الى عيسى والضمير لنوح وابرهيم
ومن ارسلا اليهم او من عاصرهما من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من
الذرية وآتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة وامره اهون من امر البرطيل
لانه اعجمى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة ورهبانية ابتدعوها اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها او ورهبانية مبتدعة
على انها من المجعولات وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ فى الخوف من رهب كالخشيان من خشى وقرئت
بالضم كانها منسوبة الى الرهبان وهو جمع الراهب كراكب وركبان ماكتبناها عليهم مافرضناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى
ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وقيل متصل فان ماكتبناها عليهم بمعنى ما تعبدناهم بها وهو كما ينفى الايجاب المقصود منه دفع العقاب ينفى الندب المقصود
منه مجرد حصول مرضاة الله وهو يخالف قوله ابتدعوها الا ان يقال ابتدعوها ثم ندبوا اليها او ابتدعوها بمعنى استحدثوها واتوا بها اولا لا انهم اخترعوها
من تلقاء انفسهم

فارعوها فما رعوها جميعا حق رعايتها بضم التثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة والكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام ونحوها اليه فآتينا الذين آمنوا اتوا بالايمان الصحيح وحافظوا حقوقه ومن ذلك الايمان بمحمد عليه الصلاة والسلام منهم من المتسمين باتباعه اجرهم وكثير منهم فاسقون خارجون عن حال الاتباع يا ايها الذين آمنوا بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وآمنوا برسوله محمد عليه الصلاة والسلام يؤتكم كفلين نصيبين من رحمته لايمانكم بمحمد عليه الصلوة والسلام وايمانكم بمن قبله ولا يبعد ان يثابوا على دينهم السابق وان كان منسوخا ببركة الاسلام وقيل الخطاب للنصارى الذين كانوا في عصره ويجعل لكم نورا تمشون به يريد المذكور في قوله يسعى نورهم او الهدى الذي يسلك به الى جناب القدس ويغفر لكم الكفر والمعاصي والله غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلموا ولا مزيدة ويؤيده انه قرئ ليعلم ولكي يعلم ولان يعلم بادغام النون في الياء ان لا يقدرون

رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝٢٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٢٨ لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٢٩

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝١ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ

على شيء من فضل الله ان هي المخففة والمعنى انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله ولا يتمكنون من نيله لانهم لم يؤمنوا برسوله وهو مشروط بالايمان به او لا يقدرون على شيء من فضله فضلا ان يتصرفوا في اعظمه وهو النبوة فيخصوها بمن ارادوا ويؤيده قوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وقيل لا غير مزيدة والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبي والمؤمنون به على شيء من فضل الله ولا ينالونه فيكون وان الفضل عطفا على ان لا يعلم وقرئ ليلا ووجهه ان الهمزة حذفت وادغم النون في اللام ثم ابدلت ياء وقرئ ليلا على ان الاصل في الحروف المفردة الفتح عن النبي عليه السلام من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله

سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الاول مكي والباقي مدني وآيها ثنتان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله روي ان خولة بنت ثعلبة ظاهر منها زوجها اوس بن الصامت فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت ما طلقني فقال حرمت عليه فاغتمت لصغر اولادها وشكت الى الله تعالى فنزلت هذه الآيات الاربع وقد تشعر بان الرسول عليه السلام او المجادلة يتوقع ان الله يسمع مجادلتها وشكواها ويفرج عنها كربها وادغم حمزة والكسائي وابو عمرو وهشام عن ابن عامر دال قد في السين والله يسمع تحاوركما تراجعكما الكلام وهو على تغليب الخطاب ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين يظهرون منكم من نسائهم الظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر والحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم آخر وفي منكم تهجين لعادتهم فيه فانه كان من ايمان اهل الجاهلية واصل يظهرون يتظهرون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي يظاهرون من اظاهر وعاصم يظاهرون من ظاهر



مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

ما هن امهاتهم اى على الحقيقة ان امهاتهم الا اللائى ولدنهم فلا تشبه بهن فى الحرمة الا من الحقها الله بهن كالمرضعات وازواج الرسول وعن عاصم امهاتهم بالرفع على لغة تميم وقرئ بامهاتهم وهذه ايضا على لغة من ينصب وانهم ليقولون منكرا من القول اذ الشرع انكره وزورا محرفا عن الحق فان الزوجة لا تشبه الام وان الله لعفو غفور لما سلف منه مطلقا او اذا تيب عنه والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا اى الى قولهم بالتدارك ومنه المثل عاد الغيث على ما افسد وهو بنقض ما يقتضيه وذلك عند الشافعى بامساك المظاهر منها فى النكاح زمانا يمكنه مفارقتها فيه اذ التشبيه يتناول حرمته لصحة استثنائها منه وهو اقل ما ينتقض به وعند ابى حنيفة باستباحة استمتاعها ولو بنظرة شهوة وعند مالك بالعزم على الجماع وعند الحسن بالجماع او بالظهار فى الاسلام على ان قوله يظاهرون بمعنى يعتادون الظهار اذ كانوا يظاهرون فى الجاهلية وهو قول الثورى او بتكراره لفظا وهو قول الظاهرية او معنى بان يحلف على ما قال وهو قول ابى مسلم او الى المقول فيها بامساكها او استباحة استمتاعها او وطئها فتحرير رقبة اى فعليهم او فالواجب اعتاق رقبة والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار والرقبة مقيدة بالايمان عندنا قياسا على كفارة القتل من قبل ان يتماسا ان يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر لعموم اللفظ ومقتضى التشبيه او ان يجامعها وفيه دليل على حرمة ذلك قبل التكفير ذلكم اى ذلكم الحكم بالكفارة توعظون به لانه يدل على ارتكاب الجناية الموجبة للغرامة فيردع عنه والله بما تعملون خبير لا تخفى عليه خافية فمن لم يجد اى الرقبة والذى غاب ماله واجد فصيام شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا فان افطر بغير عذر لزمه الاستئناف وان افطر لعذر ففيه خلاف وان جامع المظاهر منها ليلا لم ينقطع التتابع عندنا خلافا لابى حنيفة ومالك فمن لم يستطع اى الصوم لهرم او مرض مزمن او شبق مفرط فانه عليه السلام رخص للاعرابى المفطر ان يعدل لاجله فاطعام ستين مسكينا ستين مدا بمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث لانه اقل ما قيل فى الخرج فى الفطرة وقال ابو حنيفة يعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وانما لم يذكر التماس مع الطعام اكتفاء بذكره مع الآخرين او لجوازه فى خلال الطعام كما قال ابو حنيفة ذلك اى ذلك البيان او التعليم للاحكام ومحله النصب بفعل معلل بقوله لتؤمنوا بالله ورسوله اى فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فى قبول شرائعه ورفض ما كنتم عليه فى جاهليتكم وتلك حدود الله لا يجوز تعديها وللكافرين اى الذين لا يقبلونها عذاب اليم وهو نظير قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما فان كلا من المتعادين فى حد غير حد الآخر او يضعون او يختارون حدودا غير حدودهما كبتوا اخزوا او اهلكوا واصل الكبت الكب كما كبت الذين من قبلهم يعنى كفار الامم الماضية وقد انزلنا آيات بينات تدل على صدق الرسول وما جاء به وللكافرين عذاب مهين يذهب عزهم وتكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بمهين او باضمار اذكر جميعا كلهم لا يدع احدا غير مبعوث او مجتمعين فينبئهم بما عملوا اى على رؤس الاشهاد تشهيرا لحالهم وتقريرا لعذابهم احصيه الله احاط به عددا لم يغب عنه شئ ونسوه لكثرتها او تهاونهم به والله على كل شئ شهيد لا يغيب عنه شئ الم تر ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض كليا وجزئيا

ما يكون من نجوى ثلاثة ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز ان يقدر مضاف او يؤول نجوى بمتناجين ويجعل ثلاثة صفة لها واشتقاقها من النجوة وهي ما ارتفع من الارض فان السر امر مرفوع الى الذهن لا يتيسر لكل احد أن يطلع عليه الا هو رابعهم الا الله يجعلهم اربعة من حيث انه يشاركهم في الاطلاع عليها والاستثناء من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص العددين اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين اولان الله وتر يحب الوتر والثلاثة اول الاوتار اولان التشاور لابد له من اثنين يكونان كالمتنازعين وثالث يتوسط بينهما وقرئ ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون او تأويل نجوى بمتناجين ولا ادنى من ذلك ولا اقل مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرأ يعقوب ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل لا ادنى فان جعلت لا لنفي الجنس اين ما كانوا فان علمه بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت باختلاف الامكنة ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم وتقريرا

الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

لما يستحقونه من الجزاء ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل على سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ثم عادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اي بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول وقرأ حمزة وينتجون وروي عن يعقوب وهو يفتعلون من النجوى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويقولون في انفسهم فيما بينهم لولا يعذبنا الله بما نقول هلا يعذبنا بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول كما يفعله المنافقون وعن يعقوب فلا تنتجوا وتناجوا بالبر والتقوى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون فيما تأتون وتذرون فانه مجازيكم عليه انما النجوى اي النجوى بالاثم والعدوان من الشيطان فانه المزين لها والحامل عليها ليحزن الذين آمنوا بتوهمهم لانها في نكبة اصابتهم وليس الشيطان او التناجي بضارهم بضار المؤمنين شيئا الا باذن الله بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالي بنجواهم

يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً

يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى اى تنح وقرئ تفاسحوا والمراد بالمجلس الجنس ويدل عليه قرآءة عاصم بالجمع او مجلس رسول الله عليه السلام فانهم كانوا يتضامّون به تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه فافسحوا يفسح الله لكم فيما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر وغيرها واذا قيل انشزوا انهضوا للتوسعة او لما امرتم به كصلاة او جهاد او ارتفعوا فى المجلس فانشزوا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما يرفع الله الذين امنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا وايوآئهم غرف الجنان فى الآخرة والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلماء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل فان العلم مع علو درجته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك تقتدى بالعالم فى افعاله ولا تقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن لم يمتثل الامر او استكرهه يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجويكم صدقة فتصدقوا قدامها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول وانتفاع الفقراء والنهى عن الافراط فى السؤال والميز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه منسوخ بقوله ءاشفقتم وهو وان اتصل به تلاوة لم يتصل به نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله اية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب لا يقدح فى غيره فلعله لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اى ذلك التصدق خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهو يشعر بالندبية لكن قوله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم اى لمن لم يجد حيث رخص له فى المناجاة بلا تصدق ادل على الوجوب ءاشفقتم ان تقدموا بين يدى نجويكم صدقات أخفتم الفقر من تقديم الصدقة او أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين او لكثرة التناجى فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوه وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم مما قام مقام توبتهم واذ على بابها وقيل بمعنى اذا أو ان فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلا تفرطوا فى ادائهما واطيعوا الله ورسوله فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر للتفريط فى ذلك والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر الى الذين تولوا والوا قوما غضب الله عليهم يعنى اليهود ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب كمن يحلف بالغموس وفى هذا التقييد دليل على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم وروى انه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله ابن نبتل المنافق وكان ازرق فقال عليه السلام على تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل ثم جاء باصحابه فحلفوا فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا على سوء العمل واصروا عليه اتخذوا ايمانهم اى التى حلفوا بها وقرئ بالكسر اى ايمانهم الذى اظهروه جنة وقاية دون دمائهم واموالهم

فصدّوا عن سبيل الله فصدّوا الناس في خلال امنهم عن دين الله بالتحريش والتثبيط فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون قد سبق مثله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له اى لله انهم مسلمون ويقولون كما يحلفون لكم فى الدنيا انهم لمنكم ويحسبون انهم على شئ فى حلفهم الكاذب لان تمكن النفاق فى نفوسهم بحيث يخيل اليهم فى الآخرة ان الايمان الكاذبة تروّج الكذب على الله كما تروّجه عليكم فى الدنيا الا انهم هم الكاذبون البالغون الغاية فى الكذب حيث يكذبون مع عالم الغيب والشهادة ويحلفون عليه استحوذ عليهم الشيطان استولى من حذت الابل وحزتها اذا استوليت وهو مما جاء على الاصل فانسيهم ذكر الله لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم اولئك حزب الشيطان جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون لانهم فوّتوا على انفسهم النعيم المؤبد وعرّضوها للعذاب المخلد ان الذين يحادّون الله ورسوله اولئك فى الاذلين فى جملة من هو اذل خلق الله كتب الله فى اللوح لاغلبن انا ورسلى اى بالحجة وقرأ نافع وابن عامر ورسلى بفتح الياء ان الله قوىّ على نصر اوليائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله اى لا ينبغى ان تجدهم وادّين اعداء الله والمراد انه لا ينبغى ان يوادّوهم ولو كانوا اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم ولو كان المحادّون اقرب الناس اليهم اولئك اى الذين لم يوادّوهم كتب فى قلوبهم الايمان اثبته فيها وهو دليل على خروج العمل من مفهوم الايمان فان جزء الثابت فى القلب يكون ثابتا فيه واعمال الجوارح لا تثبت فيه وايدهم بروح منه اى من عند الله وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير فى منه للايمان فانه سبب لحياة القلب ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم بطاعتهم ورضوا عنه بقضائه او بما وعدهم من الثواب اولئك حزب الله جنده وانصار دينه الا ان حزب الله هم المفلحون الفائزون بخير الدارين عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

فصدّوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين ﴿١٦﴾ لن تغنى عنهم
اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا اولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون ﴿١٧﴾ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما
يحلفون لكم ويحسبون انهم على شئ الا انهم هم الكاذبون
﴿١٨﴾ استحوذ عليهم الشيطان فانسيهم ذكر الله اولئك
حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ﴿١٩﴾
ان الذين يحادّون الله ورسوله اولئك فى الاذلين ﴿٢٠﴾ كتب
الله لاغلبن انا ورسلى ان الله قوى عزيز ﴿٢١﴾ لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا
اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم اولئك كتب
فى قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى

سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم روى انه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بني النضير على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم بدر قالوا انه النبي المنعوت في التورية بالنصرة فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا وخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة وحالفوا ابا سفيان فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة اخا كعب من الرضاعة فقتله غيلة ثم صبحهم بالكتائب وحاصرهم حتى صالحوه على الجلاء فجلا اكثرهم الى الشام ولحقت طائفة بخيبر والحيرة فانزل الله سبح لله الى قوله والله على كل شئ قدير هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر اي في اول حشرهم من جزيرة العرب اذ لم يصبهم هذا الذل قبل ذلك او في اول حشرهم للقتال او الجلاء الى الشام واخر حشرهم اجلاء عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر اليها او في اول حشر الناس الى الشام واخر حشرهم انهم يحشرون اليه عند قيام الساعة فيدركهم هناك او ان نارا تخرج من المشرق فتحشرهم الى المغرب والحشر اخراج جمع من مكان الى آخر ما ظننتم ان يخرجوا لشدة بأسهم ومنعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ان حصونهم تمنعهم من بأس الله وتغيير النظم وتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على فرط وثوقهم بحصانتها واعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة بسببها ويجوز ان يكون حصونهم فاعلا لمانعتهم فاتاهم الله اي عذابه وهو الرعب والاضطرار الى الجلاء وقيل الضمير للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب او النصر من حيث لم يحتسبوا لقوة وثوقهم وقذف في قلوبهم الرعب واثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ضنا على المسلمين واخراجا لما استحسنوا من آلاتها وايدي المؤمنين فانهم ايضا كانوا يخربون ظواهرها نكاية وتوسيعا لمجال القتال وعطفها على ايديهم من حيث ان تخريب المؤمنين مسبب عن نقضهم فكانهم استعملوهم فيه والجملة حال او تفسير للرعب وقرأ ابو عمرو ويخربون بالتشديد وهو ابلغ لما فيه من التكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشئ خرابا والتخريب الهدم فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بحالهم فلا تغدروا ولا تعتمدوا على غير الله واستدل به على ان القياس حجة من حيث انه امر بالمجاوزة من حال الى حال وحملها عليها في حكم لما بينهما من المشاركة المقتضية له على ما قررناه في الكتب الاصولية ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الخروج من اوطانهم

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۞

سُورَةُ الْحَشْرِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٥٩

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ

لعذبهم فى الدنيا بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة ولهم فى الاخرة عذاب النار استئناف معناه انهم ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الاخرة ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب الاشارة الى ماذكر مما حاق بهم وما كانوا بصدده وما هو معد لهم او الى الاخير ما قطعتم من لينة اى شئ قطعتم من نخلة فعلة من اللون ويجمع على الوان وقيل اللين ومعناها النخلة الكريمة وجمعها اليان او تركتموها الضمير لما وتأنيثه لانه مفسر باللينة قائمة على اصولها وقرئ على اصلها اكتفاء بالضمة عن الواو او على انه كرهن فباذن الله نامره وليخزى الفاسقين علة لمحذوف اى وفعلتم او واذن لكم فى القطع ليخزيهم على فسقهم بما غاظهم منه روى انه عليه الصلاة والسلام لما امر بقطع نخيلهم قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فنزلت واستدل به على جواز هدم ديار الكفار وقطع اشجارهم زيادة لغيظهم وما افاء الله على رسوله وما اعاده عليه بمعنى صيره له او رده عليه فانه كان حقيقا بان يكون له لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق لهم ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للطيعين منهم من بنى النضير او من الكفرة فما اوجفتم عليه فما اجريتم على تحصيله من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب ما يركب من الابل غلب فيه كما غلب الراكب على راكبه وذلك ان كان المراد فيئ بنى النضير فلأن قراهم كانت على ميلين من المدينة فمشوا اليها رجالا الا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا او حمارا ولم يجر مزيد قتال ولذلك لم يعط الانصار منه شيئا الا ثلاثة كانت بهم حاجة ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بقذف الرعب فى قلوبهم والله على كل شئ قدير فيفعل ما يريد تارة بالوسائط الظاهرة وتارة بغيرها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى بيان للاول ولذلك لم يعطف عليه فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف فى قسم الفيئ فقيل يسدس لظاهر الاية ويصرف سهم الله فى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله تعالى للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والآن على الخلاف المذكور كيلا يكون اى الفيئ الذى حقه ان يكون للفقراء وقرأ هشام فى رواية بالتاء دولة بين الاغنياء منكم الدولة ما يتداوله الاغنياء ويدور بينهم كما كان فى الجاهلية وقرئ دولة بمعنى كيلا يكون الفيئ ذا تداول بينهم او اخذه غلبة تكون بينهم وقرأ هشام دولة بالرفع على كان التامة اى كيلا يقع دولة جاهلية وما اتيكم الرسول وما اعطاكم من الفيئ او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه واجب الطاعة وما نهيكم عنه عن اخذه او عن اتيانه فانتهوا عنه واتقوا الله فى مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالف للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطى اغنياء ذوى القربى خصص الابدال بما بعده او الفيئ بفيئ بنى النضير

لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ
الْعِقَابِ ﴿٥﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً
عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ
اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٨﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا

الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم فان كفار مكة اخرجوهم واخذوا اموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا حال مقيدة لاخراجهم بما يوجب تفخيم شأنهم وينصرون الله ورسوله بانفسهم واموالهم اولئك هم الصادقون الذين ظهر صدقهم في ايمانهم والذين تبوأ الدار والايمان عطف على المهاجرين والمراد بهم الانصار فانهم لزموا المدينة والايمان وتمكنوا فيهما وقيل المعنى تبوأوا دار الهجرة ودار الايمان فحذف المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه اللام او تبوأوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا وقيل سمي المدينة بالايمان لانها مظهره ومصيره من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل تقدير الكلام والذين تبوأوا الدار من قبلهم والايمان يحبون من هاجر اليهم ولا يثقل عليهم ولا يجدون في صدورهم في انفسهم حاجة ما تحمل عليه الحاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا مما اعطي المهاجرون من الفيء وغيره ويؤثرون على انفسهم ويقدمون المهاجرين على انفسهم حتى ان من كان عنده امرأتان نزل عن واحدة وزوجها من احدهم ولو كان بهم خصاصة حاجة من خصاص البناء وهي فرجه ومن يوق شح نفسه حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء العاجل والثواب الآجل والذين جاؤا من بعدهم هم الذين هاجروا بعد حين قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة فلذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اي لاخواننا في الدين ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا حقدا لهم ربنا انك رؤف رحيم فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يريد الذين بينهم وبينهم اخوة الكفر او الصداقة والموالاة لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم او خذلانكم احدا ابدا اي من الرسول والمؤمنين وان قوتلتم لننصرنكم لنعاونكم والله يشهد انهم لكاذبون لعلمه بانهم لا يفعلون ذلك كما

قال

مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾



لئن اخرجوا لايخرجون معهم ولئن قوتلوا لاينصرونهم وكان كذلك فان ابن ابى واصحابه راسلوا بنى النضير بذلك ثم اخلفوهم وفيه دليل على صحة النبوة واعجاز القرآن ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار انهزاما ثم لاينصرون بعد بل يخذلهم ولاينفعهم نصرة المنافقين او نفاقهم اذ ضمير الفعلين يحتمل ان يكون لليهود وان يكون للمنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبية مصدر للفعل المبنى للمفعول فى صدورهم فانهم كانوا يضمرون مخافتهم من المؤمنين من الله على مايظهرونه نفاقا فان استبطان رهبتكم سبب لاظهار رهبة الله ذلك بانهم قوم لايفقهون لايعلمون عظمة الله حتى يخشوه حق خشيته ويعلمون انه الحقيق بان يخشى لايقاتلونكم اليهود والمنافقون جميعا مجتمعين الا فى قرى محصنة بالدروب والخنادق اومن وراء جدر لفرط رهبتهم وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار وامال ابو عمرو فتحة الدال بأسهم بينهم شديد وليس ذلك لضعفهم وجبنهم فانه يشتد بأسهم اذا حارب بعضهم بعضا بل لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولان الشجاع يجبن والعزيز يذل اذا حارب الله رسوله تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى متفرقة لافتراق عقائدهم واختلاف مقاصدهم ذلك بانهم قوم لايعقلون مافيه صلاحهم وان تشتت القلوب يوهن قواهم كمثل الذين من قبلهم اى مثل اليهود كمثل اهل بدر او بنى قينقاع ان صح انهم اخرجوا قبل النضير او المهلكين من الامم الماضية قريبا فى زمان قريب وانتصابه بمثل اذ التقدير كوجود مثل ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا ولهم عذاب اليم فى الاخرة كمثل الشيطان اى مثل المنافقين فى اغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر اغراه على الكفر اغراء الآمر المأمور فلما كفر قال انى برئ منك تبرأ منه مخافة ان يشاركه فى العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال انى اخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين والمراد من الانسان الجنس وقيل ابو جهل قال له ابليس يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الآية وقيل راهب حمله على الفجور والارتداد وقرئ عاقبتهما على ان انهما الخبر لكان وخالدان على انه خبر لان وفى النار لغو ياايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ليوم القيمة سماه به لدنوه او لان الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره للتعظيم واما تنكير النفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن للاخرة كانه قال ولتنظر نفس واحدة فى ذلك

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ

واتقوا الله تكرير للتأكيد والاول فى اداء الواجبات لانه مقرون بالعمل والثانى فى ترك المحارم لاقترانه بقوله ان الله خبير بما تعملون وهو كالوعيد على المعاصى
ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانسيهم انفسهم فجعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم يفعلوا ما يخلصها او أراهم يوم القيمة من الهول
ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون فى الفسوق لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة الذين استكملوا نفوسهم فاستأهلوا الجنة والذين
استمهنوها فاستحقوا النار واحتج به اصحابنا على ان المسلم لا يقتل بالكافر اصحاب الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله تمثيل وتخييل كما مر فى قوله انا عرضنا الامانة ولذلك عقبه بقوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون فان الاشارة اليه
والى امثاله والمراد توبيخ الانسان على عدم تخشعه عند تلاوة القرآن لقساوة قلبه وقلة تدبره والتصدع التشقق وقرئ مصدعا على الادغام هو الله الذى لا اله
الا هو عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية
واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقدم الغيب لتقدمه فى الوجود
وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن
الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس البليغ فى النزاهة عما
يوجب نقصانا وقرئ بالفتح وهو لغة فيه السلام ذو السلامة من
كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن واهب الامن وقرئ
بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شئ
مفيعل من الامن قلبت همزته هاء العزيز الجبار الذى جبر خلقه على
ما اراده او جبر حالهم بمعنى اصلحه المتكبر الذى تكبر عن كل ما يوجب
حاجة او نقصانا سبحان الله عما يشركون اذ لا يشاركه فى شئ من ذلك
هو الله الخالق المقدر للاشياء على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها
بريئا من التفاوت المصور الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد ومن اراد
الاطناب فى شرح هذه الاسماء واخواتها فعليه بكتاب المسمى بمنتهى المنى
له الاسماء الحسنى لانها دالة على محاسن المعانى يسبح له ما فى السموات
والارض لتنزهه عن النقائص كلها وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات
بأسرها فانها راجعة الى الكمال فى القدرة والعلم عن النبى عليه السلام من
قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾
وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ
الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ
عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ
الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي
لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ
الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ
يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

سورة

سورة الممتحنة مدنية وهي ثلاث عشرة اية

٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴿٢﴾ ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ﴿٣﴾ لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيمة يفصل بينكم

سورة الممتحنة وهي ثلاث عشرة اية مدنية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب بن ابي بلتعة فانه لما علم ان رسول الله عليه السلام يغزو اهل مكة كتب اليهم ان رسول الله عليه السلام يريدكم فخذوا حذركم وارسل مع سارة مولاة بني المطلب فنزل جبرئيل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم فجحدت فسل علي رضي الله عنه السيف فاخرجته من عقيصتها فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي فاردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله وعذره تلقون اليهم بالمودة تفضون اليهم المودة بالمكاتبة والباء مزيدة او اخبار رسول الله بسبب المودة والجملة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء جرت على غير من هي له فلا حاجة فيها الى ابراز الضمير لانه مشروط في الاسم دون الفعل وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل احد الفعلين يخرجون الرسول واياكم اي من مكة وهو حال من كفروا او استئناف لبيانه ان تؤمنوا بالله ربكم لان تؤمنوا به وفيه تغليب المخاطب والالتفات من التكلم الى الغيبة للدلالة على ما يوجب الايمان ان كنتم خرجتم عن اوطانكم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي علة للخروج وعمدة للتعليق وجواب الشرط محذوف دل عليه لا تتخذوا تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون او استئناف معناه اي طائل لكم في اسرار المودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم اي منكم وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية ومن يفعله منكم اي يفعل الاتخاذ فقد ضل سواء السبيل اخطأه ان يثقفوكم يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء ولا ينفعكم القاء المودة اليهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم كالقتل والشتم وودوا لو تكفرون وتمنوا ارتدادكم ومجيئه وحده بلفظ الماضي للاشعار بانهم ودوا ذلك قبل كل شيء وان ودادتهم حاصلة وان لم يثقفوكم لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم يوم القيمة يفصل بينكم يفرق بينكم بما عراكم من الهول فيفر بعضكم من بعض فما لكم ترفضون اليوم حق الله لمن يفر منكم غدا وقرأ حمزة والكسائي بالتشديد وكسر الصاد وفتح الفاء وقرأ ابن عامر وابو عمرو ويفصل على البناء للمفعول مع التشديد وهو بينكم وعاصم يفصل

والله بما تعملون بصير فيجازيكم عليه قد كانت لكم اسوة حسنة قدوة اسم لما يؤتسى به في ابرهيم والذين معه صفة ثانية او خبر كان ولكم لغو او حال من المستكن في حسنة او صلة لها لا لأسوة لانها وصفت اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان انا برآء منكم جمع بريء كظريف وظرفاء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اى بدينكم او بمعبودكم او بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وآلهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة والبغضاء الفة ومحبة الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله اسوة حسنة فان استغفاره لابيه الكافر ليس مما ينبغي ان تأتسوا به فانه كان قبل النهي او لموعدة وعدها اياه وما املك لك من الله من شيء من تمام قوله المستثنى ولا يلزم من استثناء المجموع استثناء جميع اجزائه ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير متصل بما قبل الاستثناء او امر من الله للمؤمنين بان يقولوه تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نحتمله واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم ومن كان كذلك كان حقيقا بان يجير المتوكل ويجيب الداعي لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة تكرير لمزيد الحث على التأسي بابراهيم ولذلك صدر بالقسم وابدل قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر من لكم فانه يدل على انه لا ينبغي لمؤمن ان يترك التأسي بهم وان تركه مؤذن بسوء العقيدة ولذلك عقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فانه جدير بان يوعد به الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة لما نزل لا تتخذوا عادى المؤمنون اقاربهم المشركين وتبرؤوا منهم فوعدهم الله بذلك وانجز اذ اسلم اكثرهم وصاروا لهم اولياء والله قدير على ذلك والله غفور رحيم لما فرط منكم في موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم

وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتّٰى تُؤْمِنُوا بِاللّٰهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللّٰهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللّٰهُ قَدِيرٌ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهٰيكُمُ اللّٰهُ

لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم اى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء لان قوله ان تبروهم بدل من الذين وتقسطوا اليهم تقضوا اليهم بالقسط اى العدل ان الله يحب المقسطين اى العادلين روى ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها فى الدخول فنزلت انما ينهيكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم كمشركى مكة فان بعضهم سعوا فى اخراج المؤمنين وبعضهم اعانوا المخرجين ان تولوهم بدل من الذين بدل الاشتمال ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية فى غير موضعها يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن السنتهن فى الايمان الله اعلم بايمانهن فانه المطلع على ما فى قلوبهن فان علمتموهن مؤمنات العلم الذى يمكنكم تحصيله وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات وانما سماه علما ايذانا بانه كالعلم فى وجوب العمل به

عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ
تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا
يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ
دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ
مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ
وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا
مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا

فلا ترجعوهن الى الكفار اى الى ازواجهن الكفرة لقوله لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن والتكرير للطابقة والمبالغة او الاول لحصول الفرقة والثانى للمنع عن الاستئناف واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية جرى على ان من جاءنا منكم رددناه فلما تعذر عليه ردهن لورود النهى عنه لزمه رد مهورهن اذ روى انه عليه الصلوة والسلام كان بعد بالحديبية اذ جاءته سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة فاقبل زوجها مسافر المخزومى طالبا لها فنزلت فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضى الله عنه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن فان الاسلام حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر فى نكاحهن ايذانا بان ما اعطى ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر بما تعتصم به الكافرات من عقد وسبب جمع عصمة والمراد نهى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات وقرأ البصريان ولا تمسكوا بالتشديد واسئلوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم حكم الله يعنى جميع ما ذكر فى الآية يحكم بينكم استئنافا وحال من الحكم على حذف الضمير او جعل الحكم حاكما على المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه حكمته وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شئ من ازواجكم الى الكفار احد من ازواجكم وقد قرئ به وايقاع شئ موقعه للتحقير والمبالغة فى التعميم او شئ من مهورهن فعاقبتم فجاءت عقبتكم اى نوبتكم من اداء المهر شبه الحكم باداء هؤلاء مهور نساء اولئك تارة واداء اولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره

ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ آيَةً

٦١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾

فأتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر روى انه لما نزلت الآية المتقدمة ابى المشركون ان يؤدوا مهر الكوافر فنزلت وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم من الكفار عقبى اى غنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فان الايمان به يقتضى التقوى منه يا ايها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا نزلت يوم الفتح فانه عليه الصلوة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال اخذ فى بيعة النساء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن يريد وأد البنات ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فى حسنة تأمرهن بها والتقييد بالمعروف مع ان الرسول لا يأمر الا به تنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق فبايعهن اذا بايعنك بضمان الثواب على الوفاء بهذه الاشياء واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعنى عامة الكفار او اليهود اذ روى انها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم قد يئسوا من الآخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا حظ لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التورية المؤيد بالآيات كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يبعثوا او يثابوا او ينالهم خير منهم وعلى الاول وضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر آيسهم عن النبى عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

سورة الصف مدنية وقيل مكية وآيها اربع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم سبق تفسيره

يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله فولوا يوم احد فنزلت ولم مركبة من لام الجر وما الاستفهامية والاكثر حذف الفها مع حرف الجر لكثرة استعمالهما معا واعتناقهما في الدلالة على المستفهم عنه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون المقت اشد البغض ونصبه على التمييز للدلالة على ان قولهم هذا مقت خالص كبير عند من يحقر دونه كل عظيم مبالغة في المنع عنه ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا مصطفين مصدر وصف به كانهم بنيان مرصوص في تراصهم من غير فرجة حال من المستكن في الحال الاولى والرص اتصال بعض البناء بالبعض واستحكامه واذ قال موسى لقومه مقدر باذكر او كان كذا يا قوم لم تؤذونني بالعصيان والرمي بالأدرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم بما جئتكم من المعجزات والجملة حال مقررة للانكار فان العلم بنبوته يوجب تعظيمه ويمنع ايذاءه وقد لتحقيق العلم فلما زاغوا عن الحق ازاغ الله قلوبهم صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب والله لا يهدي القوم الفاسقين هداية موصلة الى معرفة الحق او الى الجنة واذ قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل ولعله لم يقل يا قوم كما قال موسى عليه السلام لانه لا نسب له فيهم اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا برسول يأتي من بعدي في حال تصديقي لما تقدمني من التورية وتبشيري برسول يأتي من بعدي والعامل في الحالين ما في الرسول من معنى الارسال لا الجار لانه لغو اذ هو صلة للرسول فلا يعمل اسمه احمد يعني محمدا عليه السلام والمعنى ديني التصديق بكتب الله وانبيائه فذكر اول الكتب المشهورة الذي حكم به النبيون والنبي الذي هو خاتم المرسلين فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين الاشارة الى ما جاء به او اليه وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قرآءة حمزة والكسائي هذا ساحر على ان الاشارة الى عيسى عليه السلام ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم ممن يدعى الى الاسلام الظاهر حقيته المقتضي له خير الدارين فيضع موضع اجابته الافتراء على الله بتكذيب رسوله وتسمية اياته سحرا فانه يعم اثبات المنفي ونفي الثابت وقرئ يدّعي يقال دعاه وادعاه كلمسه والتمسه والله لا يهدي القوم الظالمين لا يرشدهم الى ما فيه فلاحهم يريدون ليطفؤا اي يريدون ان يطفؤا واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها كما في لا اباك او يريدون الافتراء ليطفؤا نور الله بافواههم يعني دينه او كتابه او حجته بطعنهم فيه والله متم نوره مبلغ غايته بنشره واعلائه وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص بالاضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي



هو الذي ارسل رسوله بالهدى بالقرآن او المعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الاديان ولو كره المشركون لما فيه من محض التوحيد وابطال الشرك يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم استئناف مبين للتجارة وهو الجمع بين الايمان والجهاد المؤدي الى كمال غيرهم والمراد به الامر وانما جيء بلفظ الخبر ايذانا بان ذلك مما لا يترك ذلكم خير لكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم اذ الجاهل لا يعتد بفعله يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او لشرط او استفهام دل عليه الكلام تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم ويبعد جعله جوابا لهل ادلكم لان مجرد دلالته لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم الاشارة الى ما ذكر من المغفرة وادخال الجنة واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة نعمة اخرى عاجلة محبوبة وفي تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الآجل وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى قول النصب خبر محذوف وقد قرئ بما عطف عليه بالنصب على البدل او الاختصاص او المصدر وفتح قريب عاجل وبشر المؤمنين عطف على محذوف مثل قل يا ايها الذين آمنوا وبشر او على تؤمنون فانه في معنى الامر كانه قال آمنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم يا رسول الله بما وعدتهم عليهما عاجلا وآجلا يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وقرأ الحجازيان وابو عمرو بالتنوين واللام لان المعنى كونوا بعض انصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله اي من جندي متوجها الى نصرة الله ليطابق قوله قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين الى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اذ المراد قل لهم كما قال عيسى او كونوا انصارا كما كان الحواريون حين قال لهم عيسى من انصاري الى الله والحواريون اصفياؤه وهم اول من آمن به من الحور وهو البياض وكانوا اثني عشر رجلا فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة اي بعيسى فايدنا الذين آمنوا على عدوهم بالحجة او بالحرب وذلك بعد رفع عيسى فاصبحوا ظاهرين فصاروا غالبين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه

أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٥﴾

سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذي بعث في الاميين اي في العرب لان اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن رسولا منهم اي من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قرآءة ولا تعلم ويزكيهم من خبائث العقائد والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والشريعة او معالم الدين من المنقول والمعقول ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة احتياجهم الى نبي يرشدهم وازاحة لما يتوهم ان الرسول تعلم ذلك من معلم وان هي المخففة واللام تدل عليها وآخرين منهم عطف على الاميين او المنصوب في يعلمهم وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته وتعليمه تعم الجميع لما يلحقوا بهم لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز في تمكينه من هذا الامر الخارق للعادة الحكيم في اختياره وتعليمه ذلك فضل الله ذلك الفضل الذي امتاز به عن اقرانه فضله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذي يستحقر دون نعيم الدنيا ونعيم الاخرة او نعيمها مثل الذين حملوا التورية علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها لم يعملوا ولم ينتفعوا بما فيها كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا من العلم يتعب في حملها ولا ينتفع بها ويحمل حال والعامل فيه معنى المثل او صفة اذ ليس المراد من الحمار معينا بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي مثل الذين كذبوا وهم المكذبون بايات الله الدالة على نبوة محمد عليه السلام ويجوز ان يكون الذين صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوفا والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا ايها الذين هادوا تهودوا

سُورَةُ الْجُمُعَةِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ اِحْدٰى عَشْرَةَ اٰيَةً

٦٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْاُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ اٰيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَاِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَاٰخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرٰيةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ اَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِ اللّٰهِ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾

ان زعمتم انكم اولياء الله من دون الناس اذكانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه فتمنوا الموت فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى محل الكرامة ان كنتم صادقين فى زعمكم ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم بسبب ما قدموا من الكفر والمعاصى والله عليم بالظالمين فيجازيهم على اعمالهم قل ان الموت الذى تفرون منه وتخافون ان تتمنوه بلسانكم مخافة ان يصيبكم فتؤخذوا باعمالكم فانه ملاقيكم لاحق بكم لا تفوتونه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار الوصف وكان فرارهم منه يسرع لحوقه بهم وقد قرئ بغيرها ويجوز ان يكون الموصول خبرا والفاء عاطفة ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون بان يجازيكم عليه يا ايها الذين امنوا اذا نودى للصلوة اى اذن لها من يوم الجمعة بيان لاذا وانما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وكانت العرب تسميه العروبة وقيل سماه كعب بن لوى لاجتماع الناس فيه اليه واول جمعة جمعها رسول الله عليه الصلاة والسلام انه لما قدم المدينة نزل قباء واقام بها الى الجمعة ثم دخل المدينة وصلى الجمعة فى دار بنى سالم بن عوف فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه مسرعين قصدا فان السعى دون العدو والذكر الخطبة وقيل الصلاة والامر بالسعى اليها يدل على وجوبها وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم خير لكم اى السعى الى ذكر الله خير لكم من المعاملة فان نفع الاخرة خير وابقى ان كنتم تعلمون الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم من اهل العلم فاذا قضيت الصلوة اديت وفرغ منها فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله اطلاق لما حظر عليهم واحتج به من جعل الامر بعد الحظر للاباحة وفى الحديث وابتغوا من فضل الله ليس بطلب الدنيا وانما هو عيادة وحضور جنازة وزيارة اخ فى الله واذكروا الله كثيرا واذكروه فى مجامع احوالكم ولا تخصوا ذكره بالصلوة لعلكم تفلحون بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى انه عليه الصلوة والسلام كان يخطب للجمعة فمرت عير تحمل الطعام فخرج الناس اليهم الا اثنى عشر فنزلت وافراد التجارة برد الكناية لانها المقصودة فان المراد من اللهو الطبل الذى كانوا يستقبلون به العير والترديد للدلالة على ان منهم من انفض لمجرد سماع الطبل ورؤيته وللدلالة على ان الانفضاض الى التجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما كان الانفضاض الى اللهو اولى بذلك وقيل تقديره واذا راوا تجارة انفضوا اليها واذا راوا لهوا انفضوا اليه وتركوك قائما اى على المنبر قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك محقق مخلد بخلاف ما تتوهمون من نفعهما والله خير الرازقين فتوكلوا عليه واطلبوا الرزق منه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها فى امصار المسلمين

قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ
النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٨﴾ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ
الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ
ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ
فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا
تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ
خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٢﴾

سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الشهادة اخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والاطلاع ولذلك صدق المشهود به وكذبهم في الشهادة بقوله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون لانهم لم يعتقدوا ذلك اتخذوا ايمانهم حلفهم الكاذب او شهادتهم هذه فانها تجري مجرى الحلف في التوكيد وقرئ ايمانهم جنة وقاية من القتل والسبي فصدوا عن سبيل الله صدوا او صدودا انهم ساء ما كانوا يعملون من نفاقهم وصدهم ذلك اشارة الى الكلام المتقدم اي ذلك القول الشاهد على سوء اعمالهم او الى الحال المذكورة من النفاق والكذب والاستجنان بالايمان بانهم امنوا بسبب انهم امنوا ظاهرا ثم كفروا سرا او امنوا اذا راوا آية ثم كفروا حيثما سمعوا من شياطينهم شبهة فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واستحكموا فيه فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون صحته واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها وصباحتها وان يقولوا تسمع لقولهم لذلاقتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله عليه الصلوة والسلام في جمع مثله فيعجبهم هيا كلهم ويصغي الى كلامهم كانهم خشب مسندة حال من الضمير المجرور في لقولهم اي تسمع لما يقولونه مشبهين باخشاب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والنظر وقيل الخشب جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في حسن المنظر وقبح المخبر وقرأ ابو عمرو والكسائي وروي عن ابن كثير بسكون الشين على التخفيف وعلى انه كبدن في جمع بدنة يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم لجبنهم وهلعهم فعليهم ثاني مفعولي يحسبون ويجوز ان يكون صلته والمفعول هم العدو وعلى هذا يكون الضمير للكل وجمعه بالنظر الى الخبر لكن ترتب قوله فاحذرهم عليه يدل على ان الضمير للمنافقين قاتلهم الله دعاء عليهم وهو طلب من ذاته ان يلعنهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ اِحْدَى عَشْرَةَ اٰيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ٦٣

اِذَا جَاۤءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ اِنَّكَ لَرَسُولُ اللّٰهِ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ اِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللّٰهُ يَشْهَدُ اِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ① اِتَّخَذُوا اَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ اِنَّهُمْ سَاۤءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ② ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ اٰمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلٰى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ③ وَاِذَا رَاَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ اَجْسَامُهُمْ وَاِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَاَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللّٰهُ اَنّٰى يُؤْفَكُونَ ④

واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوّوا رؤسهم عطفوها اعراضا واستكبارا عن ذلك ورايتهم يصدّون يعرضون عن الاستغفار وهم مستكبرون عن الاعتذار سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم لرسوخهم في الكفر ان الله لايهدى القوم الفاسقين الخارجين عن مظنة الاستصلاح لانهماكهم في الكفر والنفاق هم الذين يقولون اى للانصار لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين ولله خزائن السموات والارض بيده الارزاق والقسم ولكن المنافقين لايفقهون ذلك لجهلهم بالله يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روى ان اعرابيا نازع انصاريا في بعض الغزوات على ماء فضرب الاعرابى رأسه بخشبة فشكا الى ابن ابى فقال لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا واذا رجعنا الى المدينة فليخرج الاعز الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله عليه السلام وقرئ ليخرجن بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول ولنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل على هذه القرآت مصدرا وحالا على تقدير مضاف كخروج او اخراج او مثل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولله الغلبة والقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون من فرط جهلهم وغرورهم يا ايها الذين امنوا لاتلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله لايشغلكم تدبيرها والاهتمام بها عن ذكره كالصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن اللهو بها وتوجيه النهى اليها للمبالغة ولذلك قال ومن يفعل ذلك اى اللهو بها وهو الشغل فاولئك هم الخاسرون لانهم باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى وانفقوا مما رزقناكم بعض اموالكم ادخارا للآخرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ
لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٦﴾
سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ
يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٧﴾ هُمُ
الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا
وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ
الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠﴾ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ

مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّغَابُنِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً

٦٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

من قبل ان ياتي احدكم الموت اي يرى دلائله فيقول رب لولا اخرتني امهلتني الى اجل قريب امد غير بعيد فاصدق فأتصدق واكن من الصالحين بالتدارك وجزم اكن للعطف على موضع الفاء وما بعده وقرأ ابو عمرو واكون منصوبا عطفا على أصدق وقرئ بالرفع على انا اكون فيكون عدة بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا ولم يمهلها اذا جاء اجلها اخر عمرها والله خبير بما تعملون فمجاز عليه وقرأ ابوبكر بالياء ليوافق ما قبله في الغيبة عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق سورة التغابن مدنية وقيل مكية الا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم وهي ثماني عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض بدلالتهما على كماله واستغنائه له الملك وله الحمد قدم الظرفين للدلالة على اختصاص الامرين به من حيث الحقيقة وهو على كل شئ قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل على سواء ثم شرع فيما ادعاه فقال هو الذي خلقكم فمنكم كافر مقدر كفره وموجها اليه ما يحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر ايمانه موفق لما يدعوه اليه والله بما تعملون بصير فيعاملكم بما يناسب اعمالكم خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة وصوركم فاحسن صوركم فصوركم من جملة ما خلق فيهما باحسن صورة حيث زينكم بصفوة اوصاف الكائنات وخصكم بخلاصة خصائص المبدعات وجعلكم انموذج جميع المخلوقات واليه المصير فاحسنوا سرائركم حتى لا يمسخ بالعذاب ظواهركم يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور فلا يخفى عليه ما يصح ان يعلم كليا كان او جزئيا لان نسبة المقتضي لعلمه الى الكل واحدة وتقديم تقرير القدرة على العلم لان دلالة المخلوقات على قدرته اولا وبالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان والاختصاص ببعض الانحاء

الم يأتكم ايها الكفار نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح وهود وصالح عليهم الصلاة والسلام فذاقوا وبال امرهم ضرر كفرهم في الدنيا واصله الثقل ومنه الوبيل لطعام يثقل على المعدة والوابل للمطر الثقيل القطار ولهم عذاب اليم في الاخرة ذلك اى المذكور من الوبال والعذاب بانه بسبب ان الشأن كانت تاتيهم رسلهم بالبينات بالمعجزات فقالوا ابشر يهدوننا انكروا وتعجبوا ان يكون الرسل بشرا اذ البشر يطلق للواحد والجمع فكفروا بالرسل وتولوا عن التدبر في البينات واستغنى الله عن كل شئ فضلا عن طاعتهم والله غنى عن عبادتهم وغيرها حميد يدل على حمده كل مخلوق زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم ادعاء العلم ولذلك يتعدى الى مفعولين وقد قام مقامهما أن بما في حيزه قل بلى اى بلى تبعثون وربى قسم اكد به الجواب لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة والمجازاة وذلك على الله يسير لقبول المادة وحصول القدرة التامة فامنوا بالله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام والنور الذى انزلنا يعنى القرآن فانه باعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره مما فيه شرحه وبيانه والله بما تعملون خبير فمجاز عليه يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن او مقدر باذكر وقرأ يعقوب نجمعكم ليوم الجمع لاجل ما فيه من الحساب والجزاء والجمع جمع الملائكة والثقلين ذلك يوم التغابن يغبن فيه بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس مستعار من تغابن التجار واللام فيه للدلالة على ان التغابن الحقيقى هو التغابن فى امور الآخرة لعظمها ودوامها ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر بالنون فيهما ذلك الفوز العظيم الاشارة الى مجموع الامرين ولذلك جعله الفوز العظيم لانه جامع للمصالح من دفع المضار وجلب المنافع والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير كانها والآية المتقدمة بيان للتغابن وتفصيل له

وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٥ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦ ذٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللّٰهُ وَاللّٰهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٧ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرٌ ۝٨ فَآمِنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٩ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللّٰهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١٠ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

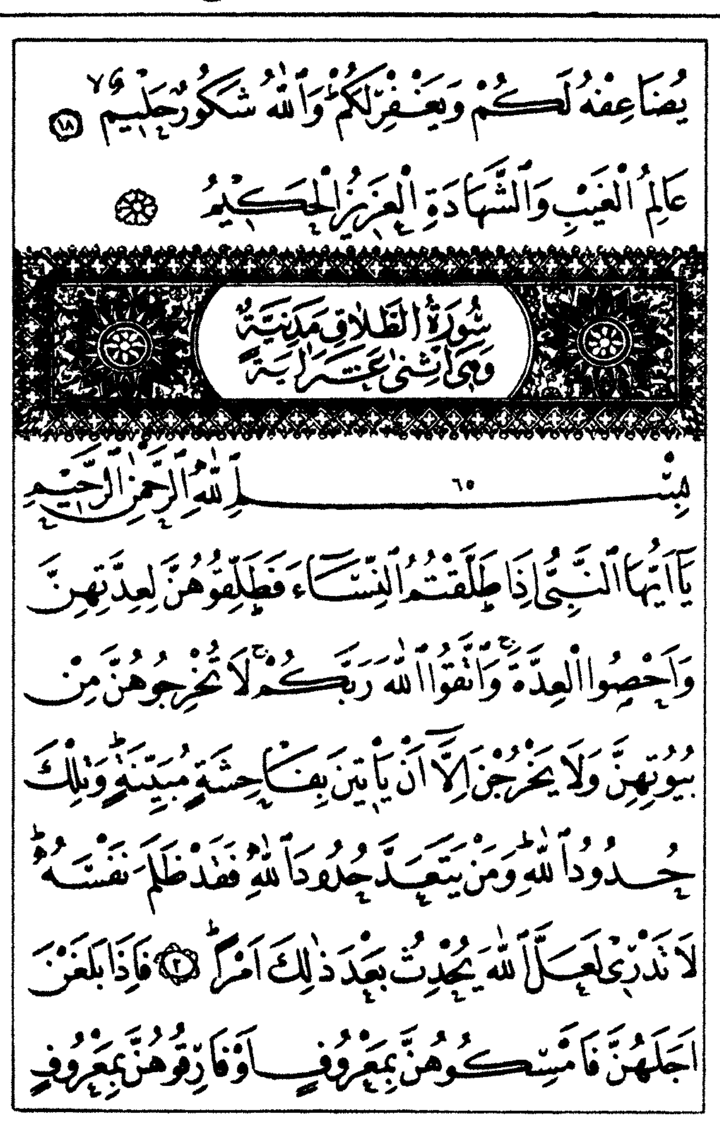


أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٣﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٧﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا

ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره وارادته ومن يؤمن بالله يهد قلبه للثبات والاسترجاع عند حلولها وقرئ يهد قلبه بالرفع على اقامته مقام الفاعل وبالنصب على طريقة سفه نفسه ويهدأ بالهمز اى يسكن والله بكل شئ عليم حتى القلوب واحوالها واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم اى فان توليتم فلا بأس عليه فانما على رسولنا البلاغ المبين اذ وظيفته التبليغ وقد بلغ الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون لان ايمانهم بان الكل منه يقتضى ذلك يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم يشغلكم عن طاعة الله او يخاصمكم فى امر الدين او الدنيا فاحذروهم ولا تأمنوا غوائلهم وان تعفوا عن ذنوبهم بترك المعاقبة وتصفحوا بالاعراض وترك التثريب عليها وتغفروا باخفائها وتمهيد معذرتهم فيها فان الله غفور رحيم يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم انما اموالكم واولادكم فتنة اختبار لكم والله عنده اجر عظيم لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعى لهم فاتقوا الله ما استطعتم اى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا فى وجوه الخير خالصا لوجهه خيرا لانفسكم اى فعلوا ما هو خير لها وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدر جوابا للاوامر ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون سبق تفسيره ان تقرضوا الله بصرف المال فيما امره قرضا حسنا مقرونا باخلاص وطيب قلب

يضاعفه لكم يجعل لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعفه لكم ويغفر لكم ببركة الانفاق والله شكور يعطي الجزيل بالقليل حليم لا يعاجل بالعقوبة عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شئ العزيز الحكيم تام القدرة والعلم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

سورة الطلاق مدنية وآيها اثنتا عشرة بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خص النداء وعم الخطاب بالحكم لانه امام امته فنداؤه كندائهم او لان الكلام معه والحكم يعمهم والمعنى اذا اردتم تطليقهن على تنزيل المشارف له منزلة الشارع فيه فطلقوهن لعدتهن اى وقتها وهو الطهر فان اللام في الازمان وما يشبهها للتوقيت ومن عدّ العدة بالحيض علق اللام بمحذوف مثل مستقبلات وظاهره يدل على ان العدة بالاطهار وان طلاق المعتدة بالاقراء ينبغي ان يكون في الطهر وانه يحرم في الحيض من حيث ان الامر بالشئ يستلزم النهي عن ضده ولا يدل على عدم وقوعه اذ النهي لا يستلزم الفساد كيف وقد صح ان ابن عمر رضي الله عنه لما طلق امرأته حائضا امره عليه الصلوة والسلام بالرجعة وهو سبب نزوله واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة اقراء واتقوا الله ربكم في تطويل العدة والاضرار بهن لا تخرجوهن من بيوتهن من مساكنهن وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن ولا يخرجن باستبدادهن اما لو اتفقا على الانتقال جاز اذ الحق لا يعدوهما وفي الجمع بين النهيين دلالة على استحقاقها السكنى ولزومها ملازمة مسكن الفراق وقوله الا ان يأتين بفاحشة مبينة مستثنى من الاول والمعنى الا ان تبذو على الزوج فانه كالنشوز في اسقاط حقها او الا ان تزني فتخرج لاقامة الحد عليها او من الثاني للمبالغة في النهي والدلالة على ان خروجها فاحشة وتلك حدود الله الاشارة الى الاحكام المذكورة ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه بان عرضها للعقاب لا تدري اي لا تدري النفس او انت ايها النبي او المطلق لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهو الرغبة في المطلقة برجعة او استئناف فاذا بلغن اجلهن شارفن آخر عدتهن فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن عشرة وانفاق مناسب او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار مثل ان يراجعها ثم يطلقها تطويلا لعدتها


يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم ﴿١٨﴾
عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

سورة الطلاق مدنية
وهي اثنتا عشرة آية

٦٥
بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
واحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من
بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك
حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه
لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا ﴿١﴾ فاذا بلغن
اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف

وَاَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَاَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلّٰهِ ذٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَهُوَ حَسْبُهُ اِنَّ اللّٰهَ بَالِغُ اَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّٰهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ اِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلٰثَةُ اَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَاُولَاتُ الْاَحْمَالِ اَجَلُهُنَّ اَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ اَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذٰلِكَ اَمْرُ اللّٰهِ اَنْزَلَهُ اِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللّٰهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ اَجْرًا ﴿٥﴾ اَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَاِنْ كُنَّ اُولَاتِ حَمْلٍ

واشهدوا ذوى عدل منكم على الرجعة والفرقة تبريا من الريبة وقطعا للتنازع وهو ندب كقوله واشهدوا اذا تبايعتم وعن الشافعي وجوبه في الرجعة واقيموا الشهادة ايها الشهود عند الحاجة لله خالصا لوجهه ذلكم يريد الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فانه المنتفع به والمقصود تذكيره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق بالوعد على الاتقاء عما نهى عنه صريحا او ضمنا من الطلاق في الحيض والاضرار بالمعتدة واخراجها من المسكن وتعدى حدود الله وكتمان الشهادة وتوقع جعل على اقامتها بان يجعل الله له مخرجا مما في شأن الازواج من المضايق والغموم ويرزقه فرجا وخلفا من وجه لم يخطر بباله او بالوعد لعامة المتقين بالخلاص من مضار الدارين والفوز بخيرهما من حيث لا يحتسبون او كلام جئ به للاستطراد عند ذكر المؤمنين وعنه عليه الصلاة والسلام انى لأعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرأها ويعيدها وروى ان سالم بن عوف بن مالك الاشجعي اسره العدو فشكا ابوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله فعمل فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على الله فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره يبلغ ما يريده ولا يفوته مراد وقرأ حفص بالاضافة وقرئ بالغ امره اى نافذ وبالغا على انه حال والخبر قد جعل الله لكل شئ قدرا تقديرا او مقدارا او اجلا لا يأتى تغييره وهو بيان لوجوب التوكل وتقرير لما تقدم من تأقيت الطلاق بزمان العدة والامر باحصائها وتمهيد لما سيأتى من مقاديرها واللائى يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن ان ارتبتم شككتم في عدتهن اى جهلتم فعدتهن ثلاثة اشهر روى انه لما نزل والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قيل فما عدة اللائى لم يحضن فنزلت واللائى لم يحضن اى واللائى لم يحضن بعد كذلك واولات الاحمال اجلهن منتهى عدتهن ان يضعن حملهن وهو حكم يعم المطلقات والمتوفى عنهن ازواجهن والمحافظة على عمومه اولى من محافظة عموم قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا لأن عموم اولات الاحمال بالذات وعموم ازواجا بالعرض والحكم معلل هنا بخلاف ثم ولانه صح ان سبيعة بنت الحارث وضعت بعد وفات زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد حللت فتزوجى ولأنه متأخر النزول فتقديمه تخصيص وتقديم الاخر بناء للعام على الخاص والاول راجح للوفاق عليه ومن يتق الله في احكامه فيراعى حقوقها يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ويوفقه للخير ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام امر الله انزله اليكم ومن يتق الله في احكامه فيراعِ حقوقه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة اسكنوهن من حيث سكنتم اى مكانا من مكان سكناكم من وجدكم من وسعكم اى مما تطيقونه وهو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم ولا تضاروهن في السكنى لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج

وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فيخرجن من العدة وهذا يدل على اختصاص استحقاق النفقة بالحامل من المعتدات والاحاديث تؤيده فان ارضعن لكم بعد انقطاع علقة النكاح فاتوهن اجورهن على الارضاع واتمروا بينكم بمعروف وليأمر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة اخرى وفيه معاتبة للام على المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتيه الله اى فلينفق كل من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه لايكلف الله نفسا الا ما اتيها فانه تعالى لايكلف نفسا الا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر ولذلك وعد له باليسر فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا اى عاجلا او آجلا وكاين من قرية اهل قرية عتت عن امر ربها ورسله اعرضت عنه اعراض العاتى المعاند فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا منكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير بلفظ الماضى للتحقيق فذاقت وبال امرها عقوبة كفرها ومعاصيها وكان عاقبة امرها خسرا لاربح فيها اصلا اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لما يوجب التقوى المأمور بها فى قوله فاتقوا الله يا اولى الالباب ويجوز ان يكون المراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصيبوا به عاجلا الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يعنى بالذكر جبريل عليه السلام لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر وهو القرآن او لانه مذكور فى السموات او ذا ذكر اى شرف او محمدا عليه الصلوة والسلام لمواظبته على تلاوة القرآن او تبليغه وعبر عن ارساله بالانزال ترشيحا او لانه مسبب عن انزال الوحى اليه وابدل منه رسولا للبيان او أراد به القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او ذكرا مصدر ورسولا مفعوله او بدل له على انه بمعنى الرسالة يتلوا عليكم ايات الله مبينات حال من اسم الله او صفة رسولا والمراد بالذين فى قوله ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات الذين امنوا بعد انزاله اى ليحصل لهم ما هم عليه الآن من الايمان والعمل الصالح او ليخرج من علم او قدر انه يؤمن من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى

فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان ارضعن لكم فاتوهن اجورهن واتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له اخرى ۝٧ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتيه الله لا يكلف الله نفسا الا ما اتيها سيجعل الله بعد عسر يسرا ۝٨ وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ۝٩ فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا ۝١٠ اعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا اولى الالباب الذين امنوا قد انزل الله اليكم ذكرا ۝ رسولا ۝١١ يتلوا عليكم ايات الله مبينات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله

ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرأ نافع وابن عامر ندخله بالنون قد احسن الله له رزقا فيه تعجب وتعظيم لما رزقوا من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق مثلهن في العدد من الارض وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر يتنزل الامر بينهن اي يجري امر الله وقضاؤه بينهن وينفذ حكمه فيهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وان الله قد احاط بكل شئ علما علة لخلق او يتنزل او مضمر يعمهما فان كلا منهما يدل على كمال قدرته وعلمه عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي انه عليه السلام خلا بمارية في يوم عائشة او حفصة فاطلعت على ذلك حفصة فعاتبته فيه فحرم مارية فنزلت وقيل شرب عسلا عند حفصة فواطأت عائشة سودة وصفية فقلن له انا نشم منك رائحة المغافير فحرم العسل فنزلت تبتغي مرضات ازواجك

وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

سورة التحريم مدنية وهي اثنتا عشرة آية

٦٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ

تفسير لتحرم او حال من فاعله او استئناف ببيان الداعي اليه والله غفور لك هذه الزلة فانه لا يجوز تحريم ما احله الله رحيم رحمك حيث لم يؤاخذك به وعاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم قد شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقدته بالكفارة والاستثناء فيها بالمشيئة حتى لا تحنث من قولهم حلل في يمينه اذا استثنى فيها واحتج به من رأى التحريم مطلقا او تحريم المرأة يمينا وهو ضعيف اذ لا يلزم من وجوب كفارة اليمين فيه كونه يمينا مع احتمال انه عليه الصلاة والسلام اتى بلفظ اليمين كما قيل والله مولاكم متولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم الحكيم المتقن في افعاله واحكامه واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا تحريم مارية او العسل او ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلما نبأت به اي فلما اخبرت حفصة عائشة بالحديث واظهره الله عليه واطلع النبي عليه السلام على الحديث اي على افشائه

عرّف بعضه عرّف الرسول عليه السلام حفصة بعض ما فعلت واعرض عن بعض عن اعلام بعض تكرّما او جازاها على بعض بتطليقه اياها وتجاوز عن بعض ويؤيده قراءة الكسائي بالتخفيف فانه لا يحتمل ههنا غيره لكن المشدد من باب اطلاق اسم المسبب على السبب والمخفف بالعكس ويؤيد الاول قوله فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير فانه اوفق للاعلام ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة في المعاتبة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب من مخالصة الرسول عليه السلام بحب ما يحبه وكراهية ما يكرهه وان تظاهرا عليه وان تظاهرا عليه بما يسوءه وقرأ الكوفيون بالتخفيف فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين والملئكة بعد ذلك ظهير فلن يعدم من يظاهره من الله والملائكة وصلحاء المؤمنين فان الله ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين اتباعه واعوانه والملائكة متظاهرون وتخصيص جبريل لتعظيمه والمراد بالصالح الجنس ولذلك عم بالاضافة

عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا

وبقوله بعد ذلك تعظيم لمظاهرة الملائكة من جملة من ينصره الله به عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن على التغليب وتعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن لان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة والمعلق بما لم يقع لا يوجب وقوعه وقرأ نافع وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات عن الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر الرسول عليه السلام سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات ثيبات وابكارا وسط العاطف بينهما لتنافيهما ولانهما في حكم صفة واحدة اذ المعنى مشتملات على الثيبات والابكار يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات واهليكم بالنصح والتأديب وقرئ اهلوكم عطفا على واو قوا فيكون انفسكم انفس القبيلتين على تغليب المخاطبين نارا وقودها الناس والحجارة نارا تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب عليها ملئكة تلي امرها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال او غلاظ الخلق شداد الخلق اقوياء على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون ما يؤمرون فيما يستقبل ولا يمتنعون عن قبول الاوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار والنهي عن الاعتذار لانه لا عذر لهم او العذر لا ينفعهم يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وهو صفة التائب فانه ينصح نفسه بالتوبة وصفت به على الاسناد المجازي مبالغة او في النصاحة وهي الخياطة كانها تنصح ما خرق الذنب وقرأ ابو بكر بضم النون وهو مصدر بمعنى النصح كالشكر والشكور او النصاحة كالثبات والثبوت تقديره ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا نصوحا لانفسكم وسئل علي رضي الله عنه عن التوبة فقال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان تربي نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ
كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ
مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا
فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار
ذكر بصيغة الاطماع جريا على عادة الملوك واشعارا بانه تفضل والتوبة
غير موجب وان العبد ينبغى ان يكون بين خوف ورجاء يوم لا يخزى الله
النبى ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه عطف على النبى عليه الصلاة
والسلام احمادا لهم وتعريضا لمن ناواهم وقيل مبتدأ خبره نورهم يسعى
بين ايديهم وبايمانهم اى على الصراط يقولون اذا طفئ نور المنافقين
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير وقيل تتفاوت انوارهم
بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا يا ايها النبى جاهد الكفار بالسيف
والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم واستعمل الخشونة فيما تجاهدهم
اذ بلغ الرفق مداه ومأويهم جهنم وبئس المصير جهنم او مأويهم ضرب
الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط مثل الله حالهم فى انهم يعاقبون
بكفرهم ولا يحابون بما بينهم وبين النبى عليه الصلاة والسلام والمؤمنين
من النسبة بحالهما كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين يريد به تعظيم
نوح ولوط عليهما السلام فخانتاهما بالنفاق فلم يغنيا عنهما من الله
شيئا فلم يغن النبيان عنهما بحق الزواج اغناء ما وقيل اى لهما عند موتهما
او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين مع سائر الداخلين من الكفرة الذين
لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون
شبه حالهم فى ان وصلة الكافرين لا تضرهم بحال آسية رضى الله عنها ومنزلتها
عند الله مع انها كانت تحت اعدى اعداء الله اذ قالت ظرف للمثل المحذوف
رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى على درجات المقربين
ونجنى من فرعون وعمله من نفسه الخبيثة وعمله السيئ ونجنى من القوم
الظالمين من القبط التابعين له فى الظلم

ومريم ابنة عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل التي احصنت فرجها من الرجال فنفخنا فيه في فرجها وقرئ فيها اي في مريم او الحمل من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه وما كتب في اللوح او جنس الكتب المنزلة ويدل عليه قرآءة البصريين وحفص بالجمع وقرئ بكلمة الله وكتابه اي بعيسى والانجيل وكانت من القانتين من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين حتى عدت من جملتهم او من نسلهم فتكون من ابتدائية عن النبي عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا سورة الملك مكية ثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الظالمين ﴿١١﴾ ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين ﴿١٢﴾

سورة الملك مكية وهي ثلاثون آية

٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ﴿١﴾ الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور ﴿٢﴾ الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴿٣﴾ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا

تبارك الذي بيده الملك بقبضة قدرته التصرف في الامور كلها وهو على كل شيء قدير على كل ما يشاء قدير الذي خلق الموت والحيوة قدرهما او اوجد الحياة وازالها حسبما قدره وقدم الموت لقوله وكنتم امواتا فاحياكم ولانه ادعى الى حسن العمل ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف ايها المكلفون ايكم احسن عملا اصوبه واخلصه وجاء مرفوعا احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته جملة واقعة موقع المفعول ثانيا لفعل البلوى المتضمن معنى العلم وليس هذا من باب التعليق لانه يخل به وقوع الجملة خبرا فلا يعلق الفعل عنها بخلاف ما اذا وقعت موقع المفعولين وهو العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض مصدر طابقت النعل اذا خصفتها طبقا على طبق وصف بها او طوبقت طباقا او ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال او طبقة كرحبة ورحاب ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت وقرأ حمزة والكسائي من تفوت ومعناهما واحد كالتعاهد والتعهد وهو الاختلاف وعدم التناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين فات عنه بعض ما في الآخر والجملة صفة ثانية للسبع وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بانه تعالى يخلق مثل ذلك بقدرته الباهرة رحمة وتفضلا وان في ابداعها نعما جليلة لا تحصى والخطاب فيها للرسول او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب اي قد نظرت اليها مرارا فانظر اليها مرة اخرى متأملا فيها لتعاين ما اخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها والفطور الشقوق والمراد الخلل من فطره اذا شقه ثم ارجع البصر كرتين اي رجعتين اخريين في ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك ولذلك اجاب الامر بقوله ينقلب اليك البصر خاسئا بعيدا عن اصابة المطلوب كانه طرد عنه طردا بالصغار



وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا
رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ وَلِلَّذِينَ
كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧﴾ إِذَا أُلْقُوا
فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٨﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ
الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
نَذِيرٌ ﴿٩﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ
مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿١٠﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا
نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ
فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ
لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٣﴾ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا
بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٤﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ

وهو حسير كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ولقد زينا السماء الدنيا اقرب السموات الى الارض بمصابيح بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج فيها ولا يمنع ذلك كون بعض الكواكب مركوزا فى السموات فوقها اذا التزيين باظهارها عليها والتنكير للتعظيم وجعلناها رجوما للشياطين وجعلنا لها فائدة اخرى هى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المسببة عنها وقيل معناه وجعلناها رجوما وظنونا لشياطين الانس وهم المنجمون والرجوم جمع رجم بالفتح وهو مصدر سمى به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير فى الاخرة بعد الاحراق بالشهب فى الدنيا وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على ان للذين عطف على لهم وعذاب على عذاب السعير وبئس المصير اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمير وهى تفور تغلى بهم غليان المرجل بما فيه تكاد تميز من الغيظ تتفرق غضبا عليهم وهو تمثيل لشدة اشتعالها بهم ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما القى فيها فوج جماعة من الكفرة سألهم خزنتها الم يأتكم نذير يخوفكم هذا العذاب وهو توبيخ وتبكيت قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شئ ان انتم الا فى ضلال كبير اى فكذبنا الرسل وافرطنا فى التكذيب حتى نفينا الانزال والارسال رأسا وبالغنا فى نسبتهم الى الضلال والنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر بمضاف اى اهل انذار او منعوت به للمبالغة او الواحد والخطاب له ولامثاله على التغليب او اقامة تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل او على ان المعنى قالت الافواج قد جاء الى كل فوج منا رسول فكذبناهم وضللناهم ويجوز ان يكون الخطاب من كلام الزبانية للكفار على ارادة القول فيكون الضلال ما كانوا عليه فى الدنيا او عقابه الذى يكونون فيه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل فنقبله جملة من غير بحث وتفتيش اعتمادا على ما لاح من صدقهم بالمعجزات او نعقل فنتفكر فى حكمه ومعانيه تفكر المستبصرين ما كنا فى اصحاب السعير فى عدادهم ومن جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفعهم والاعتراف اقرار عن معرفة والذنب لم يجمع لانه فى الاصل مصدر والمراد به الكفر فسحقا لاصحاب السعير فاسحقهم الله سحقا اى ابعدهم من رحمته والتغليب للايجاز والمبالغة والتعليل وقرأ الكسائى بالتثقيل ان الذين يخشون ربهم بالغيب يخافون عذابه غائبا عنهم لم يعاينوه بعد او غائبين عنه او عن اعين الناس او بالمخفى عنهم وهو قلوبهم لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير يصغر دونه لذائذ الدنيا واسروا قولكم او اجهروا به انه عليم بذات الصدور بالضمائر قبل ان يعبر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من اوجد الاشياء حسبما قدرته حكمته

وهو اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن او ألا يعلم الله من خلقه وهو بهذه المثابة والتقييد بهذه الحال يستدعى ان يكون ليعلم مفعول ليفيد
روى ان المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيخبر الله بها رسوله فيقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فنبه الله على جهلهم هو الذى جعل لكم الارض ذلولا
لينة يسهل لكم السلوك فيها فامشوا فى مناكبها فى جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذليل فان منكب البعير ينبوا عن ان يطأه الراكب ولا تذلل له فاذا جعل
الارض فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يبق شئ لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله واليه النشور المرجع فيسألكم عن شكر ما انعم عليكم ءامنتم من فى
السماء يعنى الملائكة المتوكلين على تدبير هذا العالم او الله تعالى على تأويل من فى السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب فانهم زعموا انه تعالى فى السماء وقرأ ابن كثير وامنتم
بقلب الهمزة الاولى واوا لانضمام ما قبلها وبرواية البزى ءامنتم بتسهيل الثانية بلا فصل وقرأ قالون وابو عمرو بتسهيل الثانية مع الفصل وورش بابدالها
ألفا او بتسهيلها بلا فصل والباقون بتحقيق الهمزتين ان يخسف بكم الارض
فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل من من بدل الاشتمال فاذا هى تمور

تضطرب والمور التردد فى المجئ والذهاب ام امنتم من فى السماء ان يرسل
عليكم حاصبا ان يمطر عليكم حصباء فستعلمون كيف نذير كيف انذارى
اذا شاهدتم المنذر به ولكن لا ينفعكم العلم حينئذ ولقد كذب الذين من قبلهم
فكيف كان نكير انكارى عليهم بانزال العذاب وهو تسلية للرسول عليه الصلاة
والسلام وتهديد لقومه المشركين اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات
اجنحتهن فى الجو عند طيرانها فانهن اذا بسطنها صففن قوادمها ويقبضن
ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن وقتا بعد وقت للاستظهار به على التحرك
ولذلك عدل به الى صيغة الفعل للتفرقة بين الاصل فى الطيران والطارئ
عليه ما يمسكهن فى الجو على خلاف الطبع الا الرحمن الشامل رحمته
كل شئ بان خلقهن على اشكال وخصائص هيأتهن للجرى فى الهواء انه بكل
شئ بصير يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب امن هذا الذى هو جند
لكم ينصركم من دون الرحمن عديل لقوله اولم يروا على معنى اولم ينظروا فى امثال
هذه الصنائع فلم يعلموا قدرتنا على تعذيبهم بنحو خسف وارسال حاصب ام لكم جند
ينصركم من دون الله ان ارسل عليكم عذابه فهو كقوله ام لهم الهة تمنعهم من دوننا
الا انه اخرج مخرج الاستفهام عن تعيين من ينصرهم اشعارا بانهم اعتقدوا
هذا القسم ومن مبتدأ وهذا خبره والذى بصلته صفته وينصركم وصف
لجند محمول على لفظه ان الكافرون الا فى غرور لا معتمد لهم امن هذا
الذى يرزقكم ام من يشار اليه ويقال هذا الذى يرزقكم ان امسك رزقه
بامساك المطر وسائر الاسباب المحصلة والموصلة له اليكم بل لجوا تمادوا
فى عتو فى عناد ونفور وشراد عن الحق لتنفر طباعهم عنه افمن يمشى
مكبا على وجهه اهدى يقال كببته فاكب وهو من الغرائب كقشع الله السحاب
فأقشع والتحقيق انهما من باب أنفض بمعنى صار ذا كب وذا قشع وليسا مطاوعى
كب وقشع بل المطاوع لهما انكب وانقشع ومعنى مكبا انه يعثر كل ساعة ويخر على وجهه لوعورة طريقه واختلاف اجزائه ولذلك قابله بقوله امن يمشى سويا قائما
سالما من العثور على صراط مستقيم مستوى الاجزاء او الجهة والمراد تمثيل المشرك والموحد بالسالكين والدينين بالمسلكين ولعل الاكتفاء بما فى الكب من
الدلالة على حال المسلك للاشعار بان ما عليه المشرك لا يستأهل ان يسمى طريقا كمشى المتعسف فى مكان متعاد غير مستو وقيل المراد بالمكب الاعمى فانه يعتسف فينكب
وبالسوى البصير وقيل من يمشى مكبا هو الذى يحشر على وجهه الى النار ومن يمشى سويا هو الذى يحشر على قدميه الى الجنة

قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع لتسمعوا المواعظ والابصار لتنظروا صنائعه والافئدة لتتفكروا وتعتبروا قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت لاجله قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون للجزاء ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او ما وعدوا من الخسف والحاصب ان كنتم صادقين يعنون النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنين قل انما العلم اي علم وقته عند الله لا يطلع عليه غيره وانما انا نذير مبين والانذار يكفي لما العلم بل الظن بوقوع المحذور منه فلما رأوه اي الوعد فانه بمعنى الموعود زلفة اي ذا زلفة اي قرب منهم سيئت وجوه الذين كفروا بان علتها الكآبة وساءتها رؤية العذاب وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تطلبون وتستعجلون تفتعلون من الدعاء او بسببه تدعون ان لا بعث فهو من الدعوى قل ارأيتم ان اهلكني الله اماتني ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتأخير آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا ينجيهم احد من العذاب متنا او بقينا وهو جواب لقولهم نتربص

وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

سورة القلم مكية وهي اثنتان وخمسون آية

به ريب المنون قل هو الرحمن الذي ادعوكم اليه مولى النعم كلها آمنا به للعلم بذلك وعليه توكلنا للوثوق عليه والعلم بان غيره بالذات لا يضر ولا ينفع وتقديم الصلة للتخصيص والاشعار به فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرأ الكسائي بالياء قل ارأيتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في الارض بحيث لا تناله الدلاء مصدر وصف به فمن يأتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الملك فكأنما احيى ليلة القدر سورة القلم وهي اثنتان وخمسون آية مكية بسم الله الرحمن الرحيم ن من اسماء الحروف وقيل اسم الحوت والمراد به الجنس او البهموت وهو الحوت الذي عليه الارض او الدواة فان بعض الحيتان يستخرج منه شيء اشد سوادا من النقس يكتب به ويؤيد الاول سكونه وكتبته بصورة الحرف والقلم هو الذي خط اللوح او الذي يخط به اقسم به لكثرة فوائده واخفى ابن عامر والكسائي ويعقوب النون اجراء للواو المنفصل مجرى المتصل فان النون الساكنة تخفى مع حروف الفم اذا اتصلت بها وقد روى ذلك عن نافع وعاصم وقرئت بالفتح والكسر كصاد وما يسطرون وما يكتبون والضمير للقلم بالمعنى الاول على التعظيم او بالمعنى الثاني على ارادة الجنس واسناد الفعل الى الآلة واجراؤه مجرى اولي العلم لاقامته مقامه او لاصحابه او للحفظة وما مصدرية او موصولة ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب للقسم والمعنى ما انت بمجنون منعما عليك بالنبوة وحصافة الرأي والعامل في الحال معنى النفي وقيل بمجنون والباء لا تمنع عمله فيما قبله لانها مزيدة وفيه نظر من حيث المعنى وان لك لاجرا على الاحتمال والابلاغ غير ممنون مقطوع او ممنون به عليك من الناس فانه تعالى يعطيك بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد افلح المؤمنون

فستبصر ويبصرون بايكم المفتون ايكم الذى فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اى فى ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهم المجانين على الحقيقة وهو اعلم بالمهتدين الفائزين بكمال العقل فلا تطع المكذبين تهييج للتصميم على معاصاتهم ودوا لو تدهن تلاينهم بان تدع نهيهم عن الشرك او توافقهم فيه احيانا فيدهنون فيلاينونك بترك الطعن والموافقة والفاء للعطف اى ودوا التداهن وتمنوه لكنهم اخروا ادهانهم حتى تدهن او للسببية اى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه وفى بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمنى ولا تطع كل حلاف كثير الحلف فى الحق والباطل مهين حقير الرأى من المهانة وهى الحقارة هماز عياب مشاء بنميم نقال للحديث على وجه السعاية مناع للخير يمنع الناس عن الخير من الايمان والانفاق والعمل الصالح معتد متجاوز فى الظلم اثيم كثير الاثم عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك بعدما عد من مثالبه زنيم دعى ماخوذ من زنمتى الشاة وهما المتدليتان من اذنها وحلقها قيل هو الوليد بن المغيرة ادعاه ابوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اى قال ذلك حينئذ لانه كان متمولا مستظهرا بالبنين من فرط غروره لكن العامل مدلول قال لا نفسه لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ويجوز ان يكون علة للا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال وقرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب وابو بكر ءان كان على الاستفهام غير ان ابن عامر جعل الهمزة الثانية بين بين اى ألان كان ذا مال كذب او أتطيعه لان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر على ان شرط الغنى فى النهى عن الطاعة كالتعليل بالفقر فى النهى عن قتل الاولاد او ان شرطه للمخاطب اى لا تطع شارطا يساره لانه اذا اطاع للغنى فكانه شرطه فى الطاعة سنسمه بالكى على الخرطوم على الانف وقد اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر فبقى اثرها وقيل هو عبارة عن ان يذله غاية الاذلال كقولهم جدع انفه ورغم انفه لان السمة على الوجه سيما على الانف شين ظاهر او نسود وجهه يوم القيمة انا بلوناهم بلونا اهل مكة بالقحط كما بلونا اصحاب الجنة يريد بستانا كان دون صنعاء بفرسخين وكان لرجل صالح وكان ينادى الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل او ألقته الريح او بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة فيجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا فحلفوا ليصرمنها وقت الصباح خفية عن المساكين كما قال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها داخلين الصباح ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله وانما سماه استثناء لما فيه من الاخراج غير ان المخرج بخلاف المذكور والمخرج بالاستثناء عينه اولان معنى لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله واحد او لا يستثنون حصة المساكين كما كان يخرج ابوهم فطاف عليها على الجنة طائف بلاء طائف من ربك مبتدأ منه

٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ن والقلم وما يسطرون (٢) ما انت بنعمة ربك بمجنون (٣)
وان لك لاجرا غير ممنون (٤) وانك لعلى خلق عظيم (٥)
فستبصر ويبصرون (٦) بايكم المفتون (٧) ان ربك هو اعلم
بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين (٨) فلا تطع المكذبين
(٩) ودوا لو تدهن فيدهنون (١٠) ولا تطع كل حلاف مهين (١١)
هماز مشاء بنميم (١٢) مناع للخير معتد اثيم (١٣) عتل بعد
ذلك زنيم (١٤) ان كان ذا مال وبنين (١٥) اذا تتلى عليه
اياتنا قال اساطير الاولين (١٦) سنسمه على الخرطوم (١٧)
انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها
مصبحين (١٨) ولا يستثنون (١٩) فطاف عليها طائف من ربك

وهم نائمون فاصبحت كالصريم كالبستان الذى صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شئ فعيل بمعنى مفعول او كالليل باحتراقها واسودادها او كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس سميا بالصريم لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه او كالرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم اى اخرجوا او بان اخرجوا اليه غدوة وتعدية الفعل بعلى اما لتضمنه معنى الاقبال او لتشبيه الغدو للصرام بغدو العدو المتضمن لمعنى الاستيلاء ان كنتم صارمين قاطعين له فانطلقوا وهم يتخافتون يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد بمعنى الكتم ومنه الخفد ود للخفاش ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة فى النهى عن تمكينه من الدخول كقوله لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين وغدوا قادرين على نكد لا غير من حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم عزموا على ان يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون فيها الا على النكد او وغدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع وقيل الحرد بمعنى الحرد وقد قرئ به اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض كقوله يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة قال الشاعر اقبل سيل جاء من امر الله يحرد حرد الجنة المغلة اى غدوا الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها وقيل الحرد علم للجنة فلما رأوها اول ما رأوها قالوا انا لضالون طريق جنتنا وما هى بها بل اى بعد ما تأملوا وعرفوا انها هى قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرونه وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد قاله حينما عزموا على ذلك ويدل على هذا المعنى قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين او لولا تستثنون فسمى الاستثناء تسبيحا لتشاركهما فى التعظيم او لانه تنزيه عن ان يجرى فى ملكه ما لا يريده فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة وقد روى انهم بدلوا خيرا منها وقرئ يبدلنا بالتخفيف انا الى ربنا راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع كذلك العذاب مثل ذلك العذاب الذى بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة العذاب فى الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر اعظم منه لو كانوا يعلمون لاحترزوا عما يؤديهم الى العذاب ان للمتقين عند ربهم اى فى الاخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص افنجعل المسلمين كالمجرمين انكار لقول الكفرة فانهم كانوا يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يفضلونا بل نكون احسن حالا منهم كما نحن عليه فى الدنيا ما لكم كيف تحكمون التفات فيه تعجب من حكمهم واستبعاد له واشعار بانه صادر من اختلال فكر واعوجاج رأى ام لكم كتاب من السماء فيه تدرسون تقرأون

وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢١﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢٢﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٣﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٤﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٥﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٧﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣٢﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٣﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٣٥﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٦﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ

انّ لكم فيه لما تخيّرون ان لكم ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه المدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز ان يكون حكاية للمدروس او استئنافا وتخيّر الشئ واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئت بالنصب على الحال والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدّر فى لكم اى ثابتة لكم علينا الى يوم القيمة لانخرج عن عهدتها حتى نحكمكم فى ذلك اليوم او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايّهم بذلك زعيم بذلك الحكم قائم يدعيه ويصححه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه سبحانه فى هذه الايات على نفى جميع ما يمكن ان يتشبثوا به من عقل ونقل يدل عليه لاستحقاق او وعد او محض تقليد على الترتيب تنبيها على مراتب النظر وتزييفا لما لا سند له وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المؤمنين فى الاخرة كانه لما نفى ان يكون التسوية من الله نفى بهذا ان يكون مما يشركون الله به يوم يكشف عن ساق يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على بناء المفعول والفاعل والفعل للساعة او الحال ويدعون الى السجود توبيخا على تركهم السجود ان كان اليوم يوم القيمة او يدعون الى الصلوات لاوقاتها ان كان وقت النزع فلا يستطيعون لذهاب وقته او زوال القدرة عليه خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة يلحقهم ذل وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا او زمان الصحة وهم سالمون متمكنون فيه مزاحوا العلل فيه فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث كله الىّ فانى اكفيكه سنستدرجهم سندنيهم من العذاب درجة درجة بالامهال وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم حسبوه تفضيلا لهم على المؤمنين واملى لهم وامهلهم ان كيدى متين لا يدفع بشئ وانما سمى انعامه استدراجا بالكيد لانه فى صورته ام تسئلهم اجرا على الارشاد فهم من مغرم من غرامة مثقلون بحملها فيعرضون عنك ام عندهم الغيب اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت يونس عليه السلام اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا من الضجرة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه نعمة من ربه يعنى التوفيق للتوبة وقبولها وحسن تذكير الفعل للفصل وقرئ تداركته وتداركه اى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه

تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا
بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ
أَيُّهُمْ بِذٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ
إِنْ كَانُوا صٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ
إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خٰشِعَةً أَبْصٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ
ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي
وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ
أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ
﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ
إِذْ نَادٰى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدٰرَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ

لنبذ بالعراء بالارض الخالية عن الاشجار وهو مذموم مليم مطرود عن الرحمة والكرامة وهو حال يعتمد عليها الجواب لانها المنفية دون النبذ فاجتبيه ربه بان رد الوحي اليه او استنبأه ان صح انه لم يكن نبيا قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين في الصلاح بان عصمه من ان يفعل ما تركه اولى وفيه دليل على خلق الافعال والآية نزلت حين هم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو على ثقيف وقيل باحد حين حل به ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ان هي المخففة واللام دليلها والمعنى انهم لشدة عداوتهم ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك ويرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعني اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين اذ روى انه كان في بني اسد عيانون فاراد بعضهم ان يعين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفي الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله يكون من خصائص بعض النفوس وقرأ نافع ليزلقونك من زلقته فزلق كحزنته فحزن وقرئ ليزهقونك اى ليهلكونك لما سمعوا الذكر

بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سورة الحاقة مكية وهي اثنان وخمسون آية

٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

اى القرآن اى ينبعث عند سماعه بغضهم وحسدهم ويقولون انه لمجنون حيرة في امره وتنفيرا عنه وما هو الا ذكر للعالمين لما جننوه لاجل القرآن بين انه ذكر عام لا يدركه ولا يتعاطاه الا من كان اكمل الناس عقلا وامتنهم رأيا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة اى الساعة او الحالة التي يحق وقوعها او التي تحق فيها الامور اى يعرف حقيقتها او يقع فيها حواق الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازى وهي مبتدأ خبرها ما الحاقة واصله ما هي اى اى شئ هي على التعظيم لشأنها والتهويل لها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها وما ادريك ما الحاقة واى شئ اعلمك ما هي اى انك لا تعلم كنهها فانها اعظم من ان تبلغها دراية احد وما مبتدأ وادريك خبره كذبت ثمود وعاد بالقارعة بالحالة التي تقرع الناس بالافزاع والاجرام بالانفطار والانتثار وانما وضعت موضع ضمير الحاقة زيادة في وصف شدتها فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة وهي الصيحة او الرجفة لتكذيبهم بالقارعة او بسبب طغيانهم بالتكذيب وغيره على انها مصدر كالعافية وهو لا يطابق قوله واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت او البرد من الصر او الصر عاتية شديدة العصف كانها عتت على خزانها فلم يستطيعوا ضبطها او على عاد فلم يقدروا على ردها سخرها عليهم سلطها عليهم بقدرته وهو استئناف او صفة جئ به لنفي ما يتوهم من انها كانت من اتصالات فلكية اذ لو كانت لكان هو المقدر لها والمسبب سبع ليال وثمانية ايام حسوما متتابعات جمع حاسم من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير واستأصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او المصدر لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهي كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب الاربعاء الآخر وانما سميت عجوزا لانها عجز الشتاء او لان عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في الثامن فاهلكتها فترى القوم ان كنت حاضرهم فيها في مهابها او في الليالي والايام صرعى موتى جمع صريع كانهم اعجاز نخل اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية من بقية او نفس باقية او بقاء

وجاء فرعون ومن قبله ومن تقدمه وقرأ البصريان والكسائي ومن قبله اي ومن عنده من اتباعه ويدل عليه انه قرئ ومن معه والمؤتفكات قرى قوم لوط عليه السلام والمراد اهلها بالخاطئة بالخطأ او بالفعلة او الافعال ذات الخطأ فعصوا رسول ربهم اي فعصى كل امة رسولها فاخذهم اخذة رابية زائدة في الشدة زيادة اعمالهم في القبح انا لما طغى الماء جاوز حده المعتاد او طغى على خزانه وذلك في الطوفان وهو يؤيد من قبله حملناكم اي اباءكم وانتم في اصلابهم في الجارية في سفينة نوح عليه السلام لنجعلها لكم لنجعل الفعلة وهي انجاء المؤمنين واغراق الكافرين تذكرة عبرة ودلالة على قدرة الصانع وحكمته وكمال قهره ورحمته وتعيها وتحفظها وعن ابن كثير وتعيها بسكون العين تشبيها بكتف والوعي ان تحفظ الشيء في نفسك والايعاء ان تحفظه في غيرك اذن واعية من شأنها ان تحفظ ما يجب حفظه لتذكره واشاعته والتفكر فيه والعمل بموجبه والتنكير للدلالة على قلتها وان من هذا شأنه مع قلته تسبب لانجاء الجم الغفير وادامة نسلهم وقرأ نافع اذن بالتخفيف فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة لما بالغ في تهويل القيامة وذكر مآل المكذبين بها تفخيما لشأنها وتنبيها على امكانها عاد الى شرحها وانما حسن اسناد الفعل الى المصدر لتقيده وحسن تذكيره للفصل وقرئ نفخة بالنصب على اسناد الفعل الى الجار والمجرور والمراد بها النفخة الاولى التي عندها خراب العالم وحملت الارض والجبال رفعت من اماكنها بمجرد القدرة الكاملة او بتوسط زلزلة او ريح عاصفة فدكتا دكة واحدة فضربت الجملتان بعضها ببعض ضربة واحدة فيصير الكل هباء او فبسطتا بسطة واحدة فصارتا ارضا لا عوج فيها ولا امتا لان الدك سبب للتسوية ولذلك قيل ناقة دكاء للتي لا سنام لها وارض دكاء للمتسعة المستوية فيومئذ فحينئذ وقعت الواقعة قامت القيمة وانشقت السماء لنزول الملئكة فهي يومئذ واهية ضعيفة مسترخية والملك والجنس المتعارف بالملك على ارجائها جوانبها جمع رجا بالقصر ولعله تمثيل لخراب الدنيا بخراب البنيان وانضواء اهلها الى اطرافها وحواليها وان كان على ظاهره فلعل هلاك الملائكة اثر ذلك ويحمل عرش ربك فوقهم فوق الملائكة الذين هم على الارجاء او فوق الثمانية لانها في نية التقديم يومئذ ثمانية ثمانية املاك روي مرفوعا انهم اليوم اربعة فاذا كان يوم القيمة ايدهم الله باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولعله ايضا تمثيل لعظمته بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام وعلى هذا قال يومئذ تعرضون تشبيها للمحاسبة بعرض السلطان العسكر ليتعرف احوالهم هذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان ذلك اليوم اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية سريرة على الله تعالى حتى يكون العرض للاطلاع عليها وانما المراد منه افشاء الحال والمبالغة في العدل او على الناس كما قال يوم تبلى السرائر وقرأ حمزة والكسائي بالياء للفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض فيقول تبجحا هاؤم اقرؤا كتابيه ها اسم لخذ وفيه لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما يا رجلان او امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومعموله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب الوقف لثباتها في الامام ولذلك قرئ باثباتها في الوصل اني ظننت اني ملاق حسابيه اي علمت ولعله عبر عنه بالظن اشعارا بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وذلك لكونها صافية عن الشوائب دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح المصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار القول وجمع الضمير للمعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿١٠﴾ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١١﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١٢﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٤﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٦﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٧﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٨﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢١﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢٢﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٣﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٤﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٥﴾

جزء ٢٩

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾

واما من اوتى كتابه بشماله فيقول يقول لما يرى من قبح العمل وسوء العاقبة يا ليتنى لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها يا ليت الموتة التى متها كانت القاضية القاطعة لامرى فلم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت علىّ كانه صادفها امرّ من الموت فتمناه عندها او يا ليت حياة الدنيا كانت الموت ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والتبع وما نفى والمفعول محذوف او استفهام انكار مفعول لأغنى هلك عنى سلطانيه ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التى كنت احتج بها فى الدنيا خذوه يقول الله تعالى لخزنة النار فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان يتعظم على الناس ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا اى طويلة فاسلكوه فأدخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق لا يقدر على حركة وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على التخصيص والاهتمام بذكر انواع ما يعذب به وثم لتفاوت ما بينهما فى الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم تعليل على طريقة الاستئناف للمبالغة وذكر العظيم للاشعار بانه هو المستحق للعظمة فمن تعظم استوجب ذلك ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه فضلا ان يبذل من ماله ويجوز ان يكون ذكر الحض للاشعار بان تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وفيه دليل على تكليف الكفار بالفروع ولعل تخصيص الامرين بالذكر لان اقبح العقائد الكفر بالله واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب لا من الخطأ المضاد للصواب وقرئ الخاطيون بقلب الهمزة ياء والخاطون بطرحها فلا اقسم لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق بالقسم او فأقسم ولا مزيدة او فلا رد لانكارهم البعث واقسم مستأنف بما تبصرون وما لا تبصرون بالمشاهدات والمغيبات وذلك يتناول الخالق والمخلوقات باسرها انه ان القرآن لقول رسول يبلغه عن الله فان الرسول لا يقول عن نفسه كريم على الله وهو محمد او جبرائيل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون تصدقون لما ظهر لكم صدقه تصديقا قليلا لفرط عنادكم ولا بقول كاهن كما تزعمون تارة اخرى قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا فلذلك يلتبس الامر عليكم وذكر الايمان مع نفى الشاعرية والتذكر مع الكاهنية لان عدم مشابهة القرآن للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته للكهانة فانها تتوقف على تذكر احوال الرسول صلى الله عليه وسلم ومعانى القرآن المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالياء فيهما تنزيل هو تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل تحقيرا بها كأنها جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين بيمينه

ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان ياخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب جيده وقيل اليمين بمعنى القوة فما منكم من احد عنه عن القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد فانه عام والخطاب للناس وانه وان القرآن لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم وانه لحسرة على الكافرين اذا راوا ثواب المؤمنين به وانه لحق اليقين اليقين الذى لاريب فيه فسبح باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضى بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا سورة المعارج مكية وايها اربع واربعون بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب واقع اى دعا داع به بمعنى استدعاه ولذلك عدى الفعل بالباء والسائل نضر بن الحارث فانه قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم او ابو جهل فانه قال فاسقط علينا كسفا من السماء سأله استهزاء او الرسول صلى الله عليه وسلم استعجل بعذابهم وقرأ نافع وابن عامر سال وهو اما من السؤال على لغة قريش قال سالت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سالت ولم تصب او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل على ان السيل مصدر بمعنى السائل كالغور والمعنى سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه اما فى الدنيا وهو قتل بدر او فى الاخرة وهو عذاب النار للكافرين صفة اخرى لعذاب او صلة لواقع وان صح ان السؤال كان عمن يقع به العذاب كان جوابا والباء على هذا لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع يرده من الله من جهته لتعلق ارادته به ذى المعارج ذى المصاعد وهى الدرجات التى يصعد فيها الكلم الطيب والعمل الصالح او يترقى فيها المؤمنون فى سلوكهم او فى دار ثوابهم او مراتب الملائكة او السموات فان الملائكة يعرجون فيها تعرج الملئكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة استئناف لبيان ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على التمثيل والتخييل والمعنى انها بحيث لو قدر قطعها فى زمان لكان فى زمان يقدر بخمسين الف سنة من سنى الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه فى يوم كان مقداره كمقدار خمسين الف سنة من حيث انهم يقطعون فيه ما يقطعه الانسان فيها لو فرض لا ان ما بين اسفل العالم واعلى شرفات العرش مسيرة خمسين الف سنة لان ما بين مركز الارض ومقعر السماء الدنيا على ما قيل مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السموات السبع والكرسى والعرش كذلك وحيث قال فى يوم كان مقداره الف سنة يريد به زمان عروجهم من الارض الى محدب السماء الدنيا وقيل فى يوم متعلق بواقع او بسال اذا جعل من السيلان والمراد به يوم القيمة واستطالته اما لشدته على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات او لانه على الحقيقة كذلك والروح جبرائيل وافراده لفضله او خلق اعظم من الملائكة فاصبر صبرا جميلا لا يشوبه استعجال واضطراب قلب وهو متعلق بسأل لان السؤال كان عن استهزاء او تعنت وذلك مما يضجره او عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال لان المعنى قرب وقوع العذاب فاصبر فقد شارفت الانتقام انهم يرونه الضمير للعذاب او ليوم القيمة بعيدا من الامكان ونراه قريبا منه او من الوقوع يوم تكون السماء كالمهل ظرف لقريبا اى يمكن يوم تكون السماء او لمضمر دل عليه واقع او بدل من فى يوم ان علق به والمهل المذاب فى مهل كالفلزات او دردى الزيت

ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

سورة المعارج مكية وهى اربع واربعون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ

وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ ألوانا لان الجبال مختلفة الالوان فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسأل حميم حميما
ولا يسأل قريب قريبا عن حاله وقرأ ابن كثير ولا يسأل على بناء المفعول اى لا يطلب من حميم حميم او لا يسأل منه حاله يبصرونهم استئناف او حال يدل على ان المانع
عن السؤال هو التشاغل دون الخفاء او ما يغني عنه من مشاهدة الحال كبياض الوجه وسواده وجمع الضميرين لعموم الحميم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه
وصاحبته واخيه حال من احد الضميرين او استئناف يدل على ان اشتغال كل مجرم بنفسه بحيث يتمنى ان يفتدى باقرب الناس واعلقهم بقلبه فضلا ان يهتم بحاله ويسأل
عنها وقرئ بتنوين عذاب ونصب يومئذ به لانه بمعنى تعذيب وفصيلته وعشيرته الذين فصل عنهم التى تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض
جميعا من الثقلين او الخلائق ثم ينجيه عطف على يفتدى اى ثم لو ينجيه الافتداء وثم للاستبعاد كلا ردع للمجرم عن الودادة ودلالة على ان الافتداء لا ينجيه

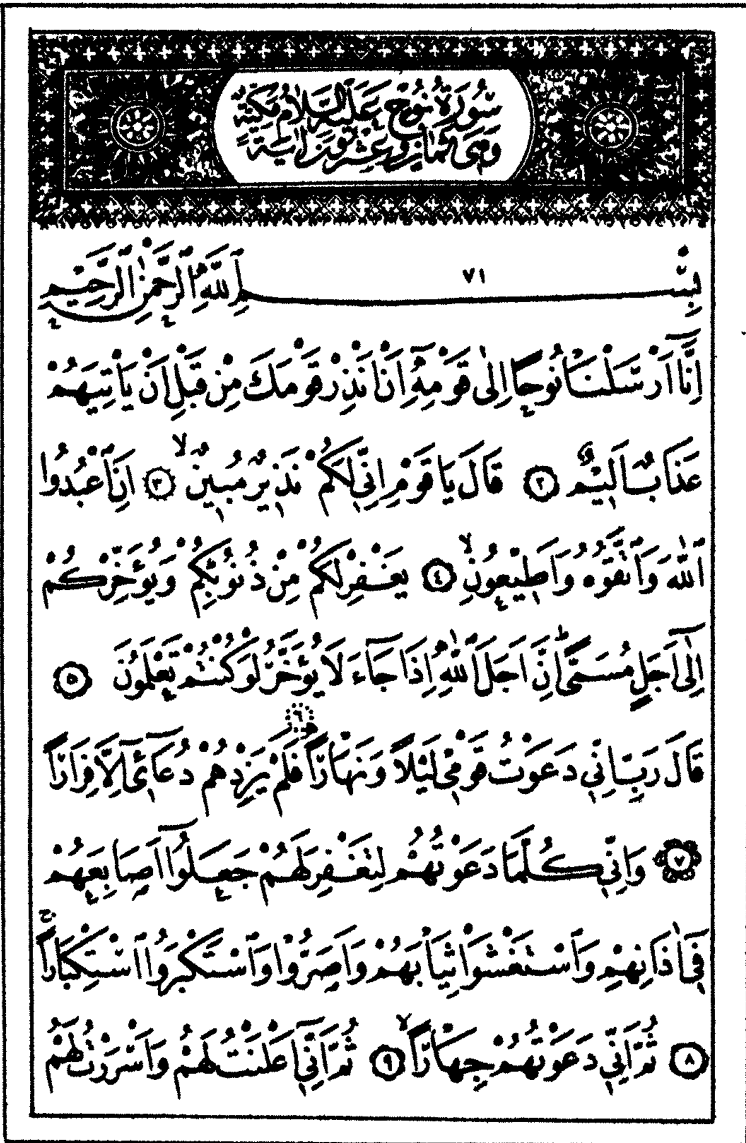
كَالْمُهْلِ ﴿٩﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿١٠﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١١﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١٢﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٣﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٤﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٦﴾ نَزَّاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿١٧﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٨﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٩﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿٢٠﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٥﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٩﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا

انها الضمير للنار او مبهم يفسره لظى وهو خبر او بدل او للشأن او للقصة
ولظى مبتدأ خبره نزاعة للشوى وهو اللهب الخالص وقيل علم للنار منقول
عن اللظى بمعنى اللهب وقرأ حفص عن عاصم نزاعة بالنصب على الاختصاص
او الحال المؤكدة او المنتقلة على ان لظى بمعنى متلظية والشوى الاطراف او جمع
شواة وهي جلدة الرأس تدعو تجذب وتحضر كقول ذى الرمة تدعو أنفه
الربب مجاز عن جذبها واحضارها لمن فر عنها وقيل تدعو زبانيتها وقيل
تدعو تهلك من قولهم دعاه الله اذا اهلكه من ادبر عن الحق وتولى عن
الطاعة وجمع فاوعى وجمع المال فجعله في وعاء وكنزه حرصا وتأميلا
ان الانسان خلق هلوعا شديد الحرص قليل الصبر اذا مسه الشر الضر
جزوعا يكثر الجزع واذا مسه الخير السعة منوعا يبالغ في الامساك
والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان
عليها واذا الاولى ظرف لجزوعا والاخرى لمنوعا الا المصلين استثناء
للموصوفين بالصفات المذكورة بعد ذكر المطبوعين على الاحوال المذكورة قبل
لمضادة تلك الصفات لها من حيث انها دالة على الاستغراق في طاعة الحق
والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة
وايثار الآجل على العاجل وتلك ناشئة من الانهماك في حب العاجل وقصور
النظر عليه الذين هم على صلواتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين
في اموالهم حق معلوم كالزكوات والصدقات الموظفة للسائل الذى يسأل
والمحروم الذى لا يسأل فيحسب غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين
تصديقا باعمالهم وهو ان يتعب نفسه ويصرف ماله طمعا في المثوبة الاخروية
ولذلك ذكر الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم
ان عذاب ربهم غير مأمون اعتراض يدل على انه لا ينبغى لأحد ان يأمن عذاب
الله وان بالغ في طاعته

والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون سبق تفسيره فى سورة المؤمنين
والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرأ ابن كثير لامانتهم والذين هم بشهاداتهم قائمون لاينكرون ولايخفون ما علموه من حقوق الله وحقوق العباد
وقرأ يعقوب وحفص بشهاداتهم لاختلاف الانواع والذين هم على صلواتهم يحافظون فيراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها وتكرير ذكر الصلاة ووصفهم
بها اولا وآخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على غيرها وفى نظم هذه الصلاة مبالغات لاتخفى اولئك فى جنات مكرمون بثواب الله فمال الذين كفروا قبلك حولك
مهطعين مسرعين عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة واصلها عزوة من العزو كأن كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى وكان المشركون يحلقون
حول رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا ويستهزؤن بكلامه ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان وهو انكار لقولهم لو صح ما يقوله لنكون فيها افضل
حظا منهم كما فى الدنيا كلا ردع لهم عن هذا الطمع انا خلقناهم مما يعلمون
تعليل له والمعنى انكم مخلوقون من نطفة قذرة لاتناسب عالم القدس فمن لم
يستكمل بالايمان والطاعة ولم يتخلق بالاخلاق الملكية لم يستعد دخولها
او انكم مخلوقون من اجل ما تعلمون وهو تكميل النفس بالعلم والعمل فمن لم
يستكملها لم يبوأ فى منازل الكاملين او استدلال بالنشأة الاولى على امكان
النشأة الثانية التى بنوا الطمع على فرضها فرضا مستحيلا عندهم بعد ردعهم
عنه فلا اقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم
اى نهلكهم ونأتى بخلق امثل منهم او نعطى محمدا صلى الله عليه وسلم بدلكم من هو
خير منكم وهم الانصار وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا فذرهم
يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون مر فى آخر الطور يوم
يخرجون من الاجداث سراعا مسرعين جمع سريع كانهم الى نصب منصوب
للعبادة او علم يوفضون يسرعون وقرأ ابن عامر وحفص نصب بالضم
على انه تخفيف نصب او جمع خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة مر تفسيره
ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون فى الدنيا عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون

مَلَكَتْ اَيْمَانُهُمْ فَاِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُوْمِيْنَ ۝٣٠ فَمَنِ ابْتَغٰى وَرَآءَ ذٰلِكَ
فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْعٰدُوْنَ ۝٣١ وَالَّذِيْنَ هُمْ لِاَمٰنٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رٰعُوْنَ
۝٣٢ وَالَّذِيْنَ هُمْ بِشَهٰدٰتِهِمْ قَآئِمُوْنَ ۝٣٣ وَالَّذِيْنَ هُمْ عَلٰى صَلَاتِهِمْ
يُحَافِظُوْنَ ۝٣٤ اُولٰٓئِكَ فِيْ جَنّٰتٍ مُّكْرَمُوْنَ ۝٣٥ فَمَالِ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
قِبَلَكَ مُهْطِعِيْنَ ۝٣٦ عَنِ الْيَمِيْنِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِيْنَ ۝٣٧ اَيَطْمَعُ كُلُّ
امْرِئٍ مِّنْهُمْ اَنْ يُّدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيْمٍ ۝٣٨ كَلَّا اِنَّا خَلَقْنٰهُمْ مِّمَّا
يَعْلَمُوْنَ ۝٣٩ فَلَآ اُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشٰرِقِ وَالْمَغٰرِبِ اِنَّا لَقٰدِرُوْنَ ۝٤٠
عَلٰٓى اَنْ نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوْقِيْنَ ۝٤١ فَذَرْهُمْ يَخُوْضُوْا
وَيَلْعَبُوْا حَتّٰى يُلٰقُوْا يَوْمَهُمُ الَّذِيْ يُوْعَدُوْنَ ۝٤٢ يَوْمَ يَخْرُجُوْنَ مِنَ
الْاَجْدَاثِ سِرَاعًا كَاَنَّهُمْ اِلٰى نُصُبٍ يُّوْفِضُوْنَ ۝٤٣ خَاشِعَةً
اَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِيْ كَانُوْا يُوْعَدُوْنَ ۝٤٤

سورة نوح مكية وآيها تسع او ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر اى بالانذار او بان قلنا له انذر ويجوز ان تكون مفسرة لتضمن الارسال معنى القول وقرئ بغيرها على ارادة القول قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم عذاب الاخرة او الطوفان قال يا قوم انى لكم نذير مبين ان اعبدوا الله واتقوه واطيعون مر نظيره فى الشعراء وفى ان يحتمل الوجهان يغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما سبق فان الاسلام يجبه فلا يؤاخذكم به فى الاخرة ويؤخركم الى اجل مسمى وهو اقصى ما قدر لكم بشرط الايمان والطاعة ان اجل الله ان الاجل الذى قدره اذا جاء على الوجه المقدر به اجلا وقيل اذا جاء الاجل الاطول لا يؤخر فبادروا فى اوقات الامهال والتأخير لو كنتم تعلمون لو كنتم من اهل العلم والنظر لعلمتم ذلك وفيه انهم لانهماكهم فى حب العاجل كأنهم شاكون فى الموت قال رب انى دعوت الى الايمان قومى ليلا ونهارا اى دائما فلم يزدهم دعائى الا فرارا عن الايمان والطاعة واسناد الزيادة الى الدعاء على السببية كقوله تعالى فزادتهم ايمانا وانى كلما دعوتهم الى الايمان والطاعة لتغفر لهم بسببه جعلوا اصابعهم فى آذانهم سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يرونى كراهة النظر الى من فرط كراهية دعوتى او لئلا اعرفهم فأدعوهم والتعبير بصيغة الطلب للمبالغة واصروا واكبوا على الكفر والمعاصى مستعار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها واستكبروا عن اتباعى استكبارا عظيما ثم انى دعوتهم جهارا ثم انى اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اى دعوتهم مرة بعد اخرى وكرة بعد اولى على اى وجه امكننى وثم لتفاوت الوجوه فان الجهار اغلظ من الاسرار والجمع بينهما اغلظ من الافراد او لتراخى بعضها عن بعض وجهارا نصب على المصدر لانه احد نوعى الدعاء او صفة مصدر محذوف بمعنى دعاء جهارا اى مجاهرا به او الحال فيكون بمعنى مجاهرا



سورة نوح عليه السلام مكية
وهى ثمان وعشرون آية

٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٤﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٧﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر انه كان غفارا للتائبين وكأنهم لما امرهم بالعبادة قالوا ان كنا على حق فلا نتركه وان كنا على باطل فكيف يقبلنا ويلطف بنا من عصيناه فأمرهم بما يجب معاصيهم ويجلب اليهم المنح ولذلك وعدهم عليه ما هو اوقع في قلوبهم وقيل لما طالت دعوتهم وتمادى اصرارهم حبس الله عنهم القطر اربعين سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بذلك على الاستغفار عما كانوا عليه بقوله يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء والسماء يحتمل المظلة والسحاب والمطر والمدرار كثير الدرور ويستوي في هذا البناء المذكر والمؤنث والمراد بالجنات البساتين ما لكم لا ترجون لله وقارا لا تأملون له توقيرا اي تعظيما لمن عبده واطاعه فتكونون على حال تأملون فيها تعظيمه اياكم ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار او لا تعتقدون له عظمة فتخافون عصيانه وانما عبر عن الاعتقاد بالرجاء التابع لادنى الظن مبالغة وقد خلقكم اطوارا حال مقررة للانكار من حيث انها موجبة للرجاء بان خلقهم اطوارا اي تارات اذ خلقهم اولا عناصر ثم مركبات تغذي الانسان ثم اخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم انشأهم خلقا آخر فانه يدل على انه يمكن ان يعيدهم تارة اخرى فيعظمهم بالثواب وعلى انه تعالى عظيم القدرة تام الحكمة ثم اتبع ذلك ما يؤيده من آيات الآفاق فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا اي في السموات وهو في السماء الدنيا وانما نسب اليهن لما بينهن من الملابسة وجعل الشمس سراجا مثلها به لانها تزيل ظلمة الليل عن وجه الارض كما يزيلها السراج عما حوله والله انبتكم من الارض نباتا انشأكم منها فاستعير الانبات للانشاء لانه ادل على الحدوث والتكون من الارض واصله انبتكم انباتا فنبتم نباتا فاختصر اكتفاء بالدلالة الالتزامية ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا بالحشر واكده بالمصدر كما اكد به الاول دلالة على ان الاعادة محققة كالبدء وانها تكون لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا تتقلبون عليها لتسلكوا منها سبلا فجاجا واسعة جمع فج ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني فيما امرتهم به واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا واتبعوا رؤساءهم البطرين باموالهم المغترين باولادهم بحيث صار ذلك سببا لزيادة خسارهم في الآخرة وفيه انهم انما اتبعوهم لوجاهة حصلت لهم باموال واولاد ادت بهم الى الخسار وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي والبصريان وولده بالضم والسكون على انه لغة كالحزن او جمع كالاسد ومكروا عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى مكرا كبارا كبيرا في الغاية فانه ابلغ من كبار وهو من كبير وذلك احتيالهم في الدين وتحريش الناس على اذى نوح وقالوا لا تذرن آلهتكم اي عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ولا تذرن هؤلاء خصوصا قيل هي اسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا صوروا تبركا بهم فلما طال الزمان عبدوا وقد انتقلت الى العرب وكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقرأ نافع ودا بالضم وقرأ يغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعلمية والعجمة

إِسْرَارًا ﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢١﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢٢﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٤﴾

وقد اضلوا كثيرا الضمير للرؤساء اوللاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا عطف على رب انهم عصونى ولعل المطلوب هو الضلال فى ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا فى امر دينهم او الضياع والهلاك كقوله ان المجرمين فى ضلال وسعر مما خطيئاتهم من اجل خطيئاتهم وما مزيدة للتاكيد والتفخيم وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم اغرقوا بالطوفان فادخلوا نارا المراد عذاب القبر او عذاب الاخرة والتعقيب لعدم الاعتداد بما بين الاغراق والادخال اولان المسبب كالمعقب للسبب وان تراخى عنه لفقد شرط اووجود مانع وتنكير النار للتعظيم اولان المراد نوع من النيران اعدلهم فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا تعريض لهم باتخاذهم الهة من دون الله لا تقدر على نصرهم وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اى احدا وهو مما يستعمل فى النفى العام فيعال من الدار او الدور واصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك لما جربهم واستقرى احوالهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف شيمهم وطباعهم رب اغفر لى ولوالدى لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت انوش وكانا مؤمنين ولمن دخل بيتى منزلى او مسجدى او سفينتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات الى يوم القيمة ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام سورة الجن مكية وايها ثمان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحى الى وقرئ أحى واصله وحى من وحى اليه فقلبت الواو همزة لضمتها ووحى على الاصل وفاعله انه استمع نفر من الجن والنفر ما بين الثلاثة الى العشرة والجن اجسام عاقلة خفية تغلب عليهم النارية والهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه الصلاة والسلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى بعض اوقات قرآءته فسمعوها فاخبر الله به رسوله فقالوا لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا قرآنا كتابا عجبا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدى الى الرشد الى الحق والصواب فآمنا به بالقرآن ولن نشرك بربنا احدا على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد

وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٥﴾ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٦﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٧﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٨﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٩﴾

سورة الجن مكية وهي ثمان وعشرون آية

٧٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾



وانه تعالى جد ربنا وقرأ ابن كثير والبصريان بالكسر على انه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده الا قوله وان لو استقاموا وان المساجد وانه لما قام عبد الله فانه من جملة الموحى به ووافقهم نافع وابو بكر الا في قوله وانه لما قام على انه استئناف او مقول وفتح الباقون الكل الا ما صدر بالفاء على ان ما كان من قولهم فمعطوف على محل الجار والمجرور في به كانه قيل صدقناه وصدقنا انه تعالى جد ربنا اي عظمته من جد فلان في عيني اي عظم ملكه وسلطانه او غناه مستعار من الجد الذي هو البخت والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ جدا بالتمييز وجد بالكسر اي صدق ربوبيته كانهم سمعوا من القرآن ما نبههم على خطأ ما اعتقدوه من الشرك واتخاذ الصاحبة والولد وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد او هو شطط لفرط ما اشطط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اعتذار عن اتباعهم للسفيه في ذلك بظنهم ان احدا لا يكذب على الله وكذبا نصب على المصدر لانه نوع من القول او الوصف لمحذوف اي قولا مكذوبا فيه ومن قرأ لن تقوّل كيعقوب جعله مصدرا لان التقوّل لا يكون الا كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فان الرجل كان اذا امسى بقفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم فزادوا الجن باستعاذتهم بهم رهقا كبرا وعتوا او فزاد الجن الانس غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم والرهق في الاصل غشيان الشيء وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ايها الجن او بالعكس والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض او استئناف كلام من الله ومن فتح ان فيهما جعلهما من الموحى ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كالخدم شديدا قويا وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس والشهب او صالحة للترصد والاستماع وللسمع صلة لنقعد او صفة لمقاعد فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا اي شهابا راصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوي شهاب راصدين على انه اسم جمع للراصد وقد مر بيان ذلك في الصافات وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون المؤمنون الابرار ومنا دون ذلك اي قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون كنا طرائق ذوي طرائق اي مذاهب او مثل طرائق في اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا متفرقة مختلفة جمع قدة من قد اذا قطع وانا ظننا علمنا ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اي القرآن آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٤ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٥ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٦ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٧ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۝٨ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٩ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ۝١٠ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١١ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ۝١٢ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝١٣ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ

بخسا ولا رهقا نقصا في الجزاء ولا ان ترهقه ذلة اوجزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس حقا ولم يرهق ظلما لان من حق الايمان بالقرآن ان تجتنب ذلك وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق وهو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا توقدبهم كما توقدبكفار الانس وان لو استقاموا اى ان الشان لو استقام الجن او الانس او كلاهما على الطريقة المثلى لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه ان لو استقام الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا شاقا يعلو المعذب ويغلبه مصدر وصف به وان المساجد لله مختصة به فلا تدعوا مع الله احدا فلا تعبدوا فيها غيره ومن جعل ان مقدرة باللام علة للنهى الغى فائدة الفاء وقيل المراد بالمساجد الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله وآرابه السبعة والسجدات على انه جمع مسجد وانه لما قام عبد الله اى النبي وانما ذكر لفظ العبد للتواضع فانه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضى لقيامه يدعوه يعبده كادوا كاد الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم عليه تعجبا مما رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته او كاد الجن والانس يكونون عليه مجتمعين لابطال امره وهو جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض كلبدة الاسد وعن ابن عامر لبدا بضم اللام جمع لبدة وهى لغة وقرئ لبدا كسجدا جمع لابد ولبدا بضمتين كصبر جمع لبود قال انما ادعو ربى ولا اشرك به احدا فليس ذلك ببدع ولا منكر يوجب تعجبكم او اطباقكم على مقتى وقرأ عاصم وحمزة قل على الامر للنبي عليه السلام ليوافق ما بعده قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا ولا نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن احدهما باسمه وعن الآخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى بسوء ولن اجد من دونه ملتحدا منحرفا وملتجأ الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد وانفاع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا او معناه ان لا ابلغ بلاغا وما قبله دليل الجواب ورسالاته عطف على بلاغا ومن الله صفته فان صلته عن كقوله بلغوا عنى ولو آية ومن يعص الله ورسوله فى الامر بالتوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ فان على فجزاؤه أن خالدين فيها ابدا جمعه للمعنى حتى اذا رأوا ما يوعدون فى الدنيا كوقعة بدر او فى الآخرة والغاية لقوله يكونون عليه لبدا بالمعنى الثانى او لمحذوف دل عليها الحال من استضعاف الكفار له وعصيانهم له فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم

فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ

قل ان ادرى ما ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا غاية تطول مدتها كانه لما سمع المشركون حتى اذا رأوا ما يوعدون قالوا متى يكون انكارا فقيل قل انه كائن لا محالة ولكن لا ادرى وقته عالم الغيب هو عالم الغيب فلا يظهر فلا يطلع على غيبه احدا اى على الغيب المخصوص به علمه الا من ارتضى بعلم بعضه حتى يكون له معجزة من رسول بيان لمن ويستدل به على ابطال الكرامات وجوابه تخصيص الرسول بالملك والاظهار بما يكون بغير واسطة وكرامات الاولياء على المغيبات انما تكون تلقيا من الملائكة كاطلاعنا على احوال الآخرة بتوسط الانبياء فانه يسلك من بين يديه من بين يدى المرتضى ومن خلفه رصدا حرسا من الملائكة يحرسونه من اختطاف الشياطين وتخاليطهم ليعلم ان قد ابلغوا اى ليعلم النبى الموحى اليه ان قد ابلغ جبرائيل والملائكة النازلون بالوحى او ليعلم الله تعالى ان قد ابلغ الانبياء بمعنى ليتعلق علمه به موجودا رسالات ربهم كما هى محروسة من التغيير واحاط بما لديهم بما عند الرسل واحصى كل شئ عددا حتى القطر والرمل عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا او كذب به عتق رقبة

سورة المزمل مكية وآيها تسع عشرة اية او عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اصله المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاى وقد قرئ به وبالمزمل مفتوحة الميم ومكسورتها اى الذى زمله غيره او زمل نفسه سمى به النبى صلى الله عليه وسلم تهجينا لما كان عليه لانه كان نائما او مرتعدا مما دهشه بدأ الوحى متزملا فى قطيفة او تحسينا لما روى انه عليه الصلاة والسلام كان يصلى متلففا ببقية مرط مفروش على عائشة فنزل او تشبيها له فى تثاقله بالمتزمل لانه لم يتمرن بعد فى قيام الليل او تزمل الزمل اذا تحمل الحمل اى الذى تحمل اعباء النبوة قم الليل اى قم الى الصلاة او داوم عليها فيه وقرئ بضم الميم وفتحها للاتباع او التخفيف الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه الاستثناء من الليل ونصفه بدل من قليلا وقلته بالنسبة الى الكل والتخيير بين قيام النصف والزائد عليه كالثلثين والناقص عنه كالثلث او نصفه بدل من الليل والاستثناء منه والضمير فى منه وعليه للاقل من النصف كالثلث فيكون التخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والاكثر منه كالنصف او للنصف والتخيير بين ان يقوم اقل منه على البت وان يختار احد الامرين من الاقل والاكثر او الاستثناء من اعداد الليل فانه عام والتخيير بين قيام النصف والناقص منه والزائد عليه ورتل القرآن ترتيلا اقرأه على تؤدة وتبيين حروف بحيث يتمكن السامع من عدها من قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا يعنى القرآن فانه لما فيه من التكاليف الشاقة ثقيل على المكلفين سيما على الرسول صلى الله عليه وسلم اذ كان عليه ان يتحملها ويحملها امته والجملة اعتراض يسهل عليه التكليف بالتهجد ويدل على انه مشق مضاد للطبع مخالف للنفس او رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية السر وتجريد النظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه لقول عائشة رضى الله عنها

نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۝٢٥ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٦ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٧ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٨ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ۝

سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ عِشْرُونَ آيَةً

٧٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦

رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا وعلى هذا يجوز ان يكون صفة للمصدر والجملة على هذه الاوجه للتعليل مستأنفا فان التهجد يعد للنفس ما به يعالج ثقله ان ناشئة الليل ان النفس التى تنشأ من مضجعها الى العبادة من نشأ من مكانه اذا نهض نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد او قيام الليل على ان الناشئة له او العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث بها او ساعات الليل لانها تحدث واحدة بعد اخرى او ساعاتها الاول من نشأت اذا ابتدأت هى اشد وطأ اى كلفة او ثبات قدم وقرأ ابو عمرو وابن عامر وطاء اى مواطأة القلب اللسان لها او فيها او موافقة لما يراد من الخضوع والاخلاص واقوم قيلا واسد مقالا او اثبت قراءة لحضور القلب وهدوء الاصوات

ان لك فى النهار سبحا طويلا تقلبا فى مهامك واشتغالا بها فعليك بالتهجد فان مناجاة الحق تستدعى فراغا وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره ليلا ونهارا وذكر الله يتناول كل ما يذكر به من تسبيح وتهليل وتمجيد وتحميد وصلاة وقراءة وقرآن ودراسة علم وتبتل اليه تبتيلا وانقطع اليه بالعبادة وجرد نفسك عما سواه ولهذه الرمزة ومراعاة الفواصل وضع موضع تبتلا رب المشرق والمغرب خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا اله الا هو وقرأ ابن عامر والكوفيون غير حفص ويعقوب بالجر على البدل من ربك وقيل باضمار حرف القسم وجوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا مسبب عن التهليلة فان توحده بالالوهية يقتضى ان يوكل اليه الامور واصبر على ما يقولون من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امرهم الى الله كما قال وذرنى والمكذبين دعنى واياهم وكل الى امرهم فان فى غنية عنك فى مجازاتهم اولى النعمة ارباب التنعم يريد صناديد قريش

إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٨﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٩﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿١٠﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١١﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٣﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٤﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا ﴿١٥﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٦﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٧﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ

ومهلهم قليلا زمانا او امهالا ان لدينا انكالا تعليل للامر والنكل القيد الثقيل وجحيما وطعاما ذا غصة طعاما ينشب فى الحلق كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا آخر من العذاب مؤلما لا يعرف كنهه الا الله ولما كانت العقوبات الاربع مما يشترك فيها الاشباح والارواح فان النفوس العاصية المنهمكة فى الشهوات تبقى مقيدة بحبها والتعلق بها عن التخلص الى عالم المجردات محترقة بحرقة الفرقة متجرعة غصة الهجران معذبة بالحرمان من تجلى انوار القدس فسر العذاب بالحرمان من لقاء الله تعالى يوم ترجف الارض والجبال تضطرب وتتزلزل ظرف لما فى لدينا انكالا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا رملا مجتمعا كانه فعيل بمعنى مفعول من كثبت الشئ اذا جمعته مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثر انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد عليكم يوم القيمة بالاجابة والامتناع كما ارسلنا الى فرعون رسولا يعنى موسى عليه الصلاة والسلام ولم يعينه لان المقصود لم يتعلق به فعصى فرعون الرسول عرفه لسبق ذكره فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا من قولهم طعام وبيل لا يستمرئ لثقله ومنه الوابل للمطر العظيم فكيف تتقون تقون انفسكم ان كفرتم بقيتم على الكفر يوما عذاب يوم يجعل الولدان شيبا من شدة هوله وهذا على الفرض او على التمثيل واصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويجوز ان يكون وصفا اليوم بالطول السماء منفطر منشق والتذكير على تأويل السقف او اضمار شئ به بشدة ذلك اليوم على عظمها واحكامها فضلا عن غيرها والباء للآلة كان وعده مفعولا الضمير لله عز وعلا او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الايات الموعدة تذكرة عظة فمن شاء ان يتعظ اتخذ الى ربه سبيلا اى يتقرب اليه بسلوك التقوى

ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه استعار الادنى للاقل لان الاقرب الى الشئ اقل بعدا منه وقرأ ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وطائفة من الذين معك ويقوم ذلك جماعة من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم مقادير ساعاتهما كما هي الا الله فان تقديم اسمه مبتدأ مبنيا عليه يقدر يشعر بالاختصاص ويؤيده قوله علم ان لن تحصوه اى لن تحصوا تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات فتاب عليكم بالترخيص في ترك القيام المقدر ورفع التبعة فيه فاقرؤا ما تيسر من القران فصلوا ما تيسر عليكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ به ثم نسخ هذا بالصلوات الخمس او فاقرؤا القرآن بعينه كيفما تيسر عليكم علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله استئناف يبين حكمة اخرى مقتضية للترخيص والتخفيف ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه وقال فاقرؤا ما تيسر منه والضرب في الارض ابتغاء للفضل المسافرة للتجارة وتحصيل العلم واقيموا الصلوة المفروضة واتوا الزكوة الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا يريد به الامر بسائر الانفاقات في سبيل الخير او باداء الزكاة على احسن وجه والترغيب فيه بوعد العوض كما صرح به في قوله وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى تؤخرونه الى الوصية عند الموت او من متاع الدنيا وخيرا ثانى مفعولى تجدوه وهو تاكيد او فصل لان افعل من كالمعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر واستغفروا الله في مجامع احوالكم فان الانسان لا يخلو من تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة

إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞

سورة المدثر مكية
وهي ست وخمسون آية

سورة المدثر مكية وآيها ست وخمسون بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اى المتدثر وهو لابس الدثار روى انه عليه الصلاة والسلام قال كنت بحراء فنوديت فنظرت عن يمينى وشمالى فلم ار شيأ فنظرت فوقى فاذا هو على العرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى فنزل جبريل وقال يا ايها المدثر ولذلك قيل هى اول سورة نزلت وقيل تأذى من قريش فتغطى بثوبه مفكرا او كان نائما متدثرا فنزلت وقيل المراد بالمدثر المدثر بالنبوة والكمالات النفسانية او المختفى فانه كان بحراء كالمختفى فيه على سبيل الاستعارة وقرئ المدثر اى الذى دثر هذا الامر وعصب به قم من مضجعك او قم قيام عزم وجد فانذر مطلق للتعميم او مقدر بمفعول دل عليه قوله وانذر عشيرتك الاقربين او قوله وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه بالكبرياء عقدا وقولا روى انه لما نزل كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وايقن انه الوحى وذلك لان الشيطان لا يامر بذلك والفاء فيه وفيما بعده لافادة معنى الشرط وكانه قال وما يكن فكبر ربك او للدلالة على ان المقصود الاول من الامر بالقيام ان يكبر ربه عن الشرك والتشبيه فان اول ما يجب معرفة الصانع واول ما يجب بعد العلم بوجوده تنزيهه والقوم كانوا مقرين به وثيابك فطهر من النجاسات فان التطهير واجب فى الصلاة محبوب فى غيرها وذلك بغسلها او بحفظها عن النجاسة بتقصيرها مخافة جر الذيول فيها وهو اول ما امر به من رفض العادات المذمومة او طهر نفسك من الاخلاق الذميمة والافعال الدنيئة فيكون امرا باستكمال القوة العملية بعد امره باستكمال القوة النظرية والدعاء اليها وطهر دثار النبوة عما يدنسه من الحقد والضجر وقلة الصبر والرجز فاهجر واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الشرك وغيره من القبائح وقرأ يعقوب وحفص والرجز بالضم وهو لغة كالذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا نهى عن الاستغزار وهو ان يهب شيأ طامعا فى عوض اكثر نهى تنزيه او نهيا خاصا به لقوله عليه السلام المستغزر يثاب من هبته والموجب له ما فيه من الحرص والضنة او لا تمنن على الله بعبادتك مستكثرا اياها او على الناس بالتبليغ مستكثرا به الاجر منهم او مستكثرا اياه وقرئ تستكثر بالسكون للوقف او الابدال من تمنن على انه من من بكذا وتستكثر بمعنى تجده كثيرا وبالنصب على اضمار ان وقد قرئ بها وعلى هذا يجوز ان يكون الرفع بحذفها وابطال عملها كما روى احضر الوغى بالرفع فى قول الشاعر الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدى ولربك ولوجهه او امره فاصبر فاستعمل الصبر او فاصبر على مشاق التكاليف واذى المشركين فاذا نقر نفخ فى الناقور فى الصور فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه قال اصبر على اذاهم فبين ايديهم زمان صعب تلقى فيه عاقبة صبرك واعداؤك عاقبة ضرهم واذا ظرف لما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين وذلك اشارة الى وقت النقر وهو مبتدأ خبره يوم عسير ويومئذ بدل له او ظرف لخبره اذ التقدير فذلك الوقت وقوع يوم عسير غير يسير تاكيد يمنع ان يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشعر بيسره على المؤمنين ذرنى ومن خلقت وحيدا نزل فى الوليد بن المغيرة ووحيدا حال من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه او من التاء اى ومن خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه احد او من العائد المحذوف اى ومن خلقته فريدا لا مال له ولا ولد او ذم فانه كان ملقبا به فسماه الله تعالى به تهكما او ارادة انه وحيد ولكن فى الشرارة او عن ابيه لانه كان زنيما وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء وكان له الزرع والضرع والتجارة وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع بلقائهم لا يحتاجون الى سفر لطلب المعاش استغناء بنعمته ولا يحتاج ان يرسلهم فى مصالحه لكثرة خدمه او فى المحافل والاندية لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين او اكثر كلهم رجال فاسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش والوحيد اى باستحقاق الرياسة والتقدم ثم يطمع ان ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد لطمعه اولانه لا مزيد على ما اوتى او لانه لا يناسب ما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم ولذلك قال

٧٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَا

كلا انه كان لاياتنا عنيدا فانه ردع له عن الطمع وتعليل الردع على سبيل الاستئناف بمعاندة آيات المنعم المناسبة لازالة النعمة المانعة عن الزيادة قيل مازال بعد نزول هذه الاية في نقصان حاله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من الشدآئد وعنه عليه الصلاة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد او بيان للعناد والمعنى فكر فيما تخيل طعنا في القرءآن وقدر في نفسه مايقول فيه فقتل كيف قدر تعجب من تقديره استهزآء به او لانه اصاب اقصى ما يمكن ان يقال عليه من قولهم قتله الله ما اشجعه اى بلغ في الشجاعة مبلغا يحق ان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى انه مر بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ حم السجدة فأتى قومه وقال لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ماهو من كلام الانس والجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو ولا يعلى فقال قريش صبأ الوليد فقال ابن اخيه ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فأتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا فقالوا لا فقال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه ففرحوا بقوله وتفرقوا متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ من الاولى وفيما بعد على اصلها ثم نظر اى في امر القرءآن مرة بعد اخرى ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا ولم يدر ما يقول او نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطب في وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق او الرسول واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما خطرت هذه الكلمة بباله تفوه بها من غير تلبث وتفكر ان هذا الا قول البشر كالتاكيد للجملة الاولى ولذلك لم يعطف عليها سأصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادريك ما سقر تفخيم لشأنها وقوله لا تبقى ولا تذر بيان لذلك او حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم والمعنى لا تبقى على شئ يلقى فيها ولا تدعه حتى تهلكه لواحة للبشر مسودة لأعالى الجلد او لائحة للناس وقرئت بالنصب على الاختصاص عليها تسعة عشر ملكا او صنفا من الملائكة يلون امرها والمخصص لهذا العدد ان اختلال النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشرة والطبيعية السبع او ان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف معذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا من العذاب يناسبها وعلى كل نوع ملك او صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك او صنف او ان الساعات اربع وعشرون خمس منها مصروفة في الصلاة فتبقى تسع عشرة قد تصرف فيما يؤاخذ به بانواع من العذاب يتولاها الزبانية وقرئ تسعة عشر بسكون العين كراهة توالى الحركات فيما هو كاسم واحد وتسعة اعشر جمع عشير كيمين وايمن اى تسعة كل عشير جمع يعنى نقيبهم او جمع عشر فيكون تسعين وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقون لهم ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوى الخلق بأسا واشدهم غضبا لله تعالى روى ان ابا جهل لما سمع عليها تسعة عشر قال لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فنزلت

اِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٦ سَاُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٧ وَمَا اَدْرٰيكَ مَا سَقَرُ ۝٢٨ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٩ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ۝٣٠ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣١ وَمَا جَعَلْنَا اَصْحَابَ النَّارِ اِلَّا مَلٰئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ اِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ اٰمَنُوا اِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا اَرَادَ اللّٰهُ بِهٰذَا مَثَلًا كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ اِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ اِلَّا ذِكْرٰى لِلْبَشَرِ ۝٣٢ كَلَّا وَالْقَمَرِ ۝٣٣ وَاللَّيْلِ اِذْ اَدْبَرَ ۝٣٤ وَالصُّبْحِ اِذَا اَسْفَرَ ۝٣٥ اِنَّهَا لَاِحْدَى الْكُبَرِ ۝٣٦ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۝٣٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ اَنْ يَتَقَدَّمَ اَوْ يَتَاَخَّرَ ۝٣٨ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وما جعلنا عددهم الا العدد الذى اقتضى فتنتهم وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على انه لا ينفك منه وافتتانهم به استقلالهم له واستهزآؤهم به واستبعادهم ان يتولى هذا العدد القليل تعذيب اكثر الثقلين ولعل المراد الجعل بالقول ليحسن تعليله بقوله ليستيقن الذين اوتوا الكتاب اى ليكتسبوا اليقين بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق القرءآن لما رأوا ذلك موافقا لما في كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا بالايمان به او بتصديق اهل الكتاب له ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اى في ذلك وهو تاكيد للاستيقان وزيادة الايمان ونفى لما يعرض للمتيقن حيثما عراه شبهة وليقول الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فتكون الآية اخبارا بمكة عما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون الجازمون في التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اى شئ اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب

كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك جموع خلقه على ما هم عليه الا هو اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والاطلاع على حقائقها وصفاتها وما يوجب اختصاص كل منها بما يخصه من كم وكيف واعتبار ونسبة وما هي وما سقر او عدة الخزنة او السورة الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار لان يتذكروا بها والقمر والليل اذ ادبر اى دبر كقبل بمعنى اقبل وقرأ نافع وحمزة ويعقوب وحفص اذ ادبر على المضي والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر اى لاحدى البلايا الكبرى اى البلايا الكبر كثيرة وسقر واحدة منها وانما جمع كبرى على كبر الحاقا لها بفعلة تنزيلا للالف منزلة التاء كما الحقت قاصعاء بقاصعة فجمعت على قواصع والجملة جواب القسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتأكيد نذيرا للبشر تمييز اى لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اى كبرت منذرة وقرئ بالرفع خبرا ثانيا او خبرا لمحذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر

رهينة ﴿٣٨﴾ الا اصحاب اليمين ﴿٣٩﴾ في جنات يتساءلون ﴿٤٠﴾ عن المجرمين ﴿٤١﴾ ما سلككم في سقر ﴿٤٢﴾ قالوا لم نك من المصلين ﴿٤٣﴾ ولم نك نطعم المسكين ﴿٤٤﴾ وكنا نخوض مع الخائضين ﴿٤٥﴾ وكنا نكذب بيوم الدين ﴿٤٦﴾ حتى اتانا اليقين ﴿٤٧﴾ فما تنفعهم شفاعة الشافعين ﴿٤٨﴾ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴿٤٩﴾ كانهم حمر مستنفرة ﴿٥٠﴾ فرت من قسورة ﴿٥١﴾ بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ﴿٥٢﴾ كلا بل لا يخافون الاخرة ﴿٥٣﴾ كلا انه تذكرة ﴿٥٤﴾ فمن شاء ذكره ﴿٥٥﴾ وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة ﴿٥٦﴾

بدل من للبشر اى نذيرا للمتمكنين من السبق الى الخير والتخلف عنها ولمن شاء خبر لان يتقدم فيكون في معنى قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله مصدر كالشتيمة اطلق للمفعول كالرهن ولو كانت صفة لقيل رهين الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بما احسنوا من اعمالهم وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات لا يكتنه وصفها وهي حال من اصحاب اليمين او من ضميرهم في قوله يتساءلون عن المجرمين اى يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم عن حالهم كقولك تداعيناه اى دعوناه وقوله ما سلككم في سقر بجوابه حكاية لما جرى بين المسئولين والمجرمين اجابوا بها قالوا لم نك من المصلين الصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين ما يجب اعطاؤهم وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اخره لتعظيمه اى وكنا بعد ذلك كله مكذبين بالقيامة حتى اتانا اليقين الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فما لهم عن التذكرة معرضين اى معرضين عن التذكير يعني القرآن او ما يعمه ومعرضين حال كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة شبههم في اعراضهم ونفارهم عن استماع الذكر بحمر نافرة فرت من قسورة اى اسد فعولة من القسر وهو القهر وقرأ نافع وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتي كلا منا بكتاب من السماء فيه من الله الى فلان اتبع محمدا كلا ردع لهم عن اقتراحهم الآيات بل لا يخافون الاخرة فلذلك اعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردع لهم عن اعراضهم انه تذكرة واى تذكرة فمن شاء ان يذكره ذكره وما يذكرون الا ان يشاء الله ذكرهم او مشيئتهم كقوله وما تشاؤن الا ان يشاء الله وهو تصريح بان فعل العبد بمشيئة الله وقرأ نافع تذكرون بالتاء وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى حقيق بان يتقى عقابه واهل المغفرة حقيق بان يغفر عباده سيما المتقين منهم عن النبي عليه السلام من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

سورة القيمة مكية وهي اربعون اية

سورة القيمة مكية وايها تسع وثلاثون آية بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم للتأكيد شائع فى كلامهم كما قال امرؤ القيس لا وابيك ابنة العامرى لا يدّعى القوم انى افرّ وقدم الكلام فيه فى قوله فلا اقسم بمواقع النجوم وقرأ قنبل لاقسم بغير الف بعد اللام وكذا روى عن البزى ولا اقسم بالنفس اللوامة بالنفس المتقية التى تلوم النفوس المقصرة فى التقوى يوم القيمة على تقصيرها او التى تلوم نفسها ابدا وان اجتهدت فى الطاعة او النفس المطمئنة اللائمة للنفس الامارة او بالجنس لما روى انه عليه الصلاة والسلام قال ليس من نفس برّة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت ليتنى ما كنت قصرت اونفس آدم فانها لم تزل تلوم على ما خرجت به من الجنة وضمها الى يوم القيامة لان المقصود من اقامتها مجازاتها ايحسب الانسان يعنى الجنس واسناد الفعل اليهم لان منهم من يحسب اوالذى نزل فيه وهو عدىّ بن ابى ربيعة سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر القيامة فاخبره به فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها وقرئ ان لن تجمع على البناء للمفعول بلى نجمعها قادرين على ان نسوى بنانه نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام او على ان نسوى بنانه التى هى اطرافه فكيف بغيرها وهو حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى وقرئ بالرفع اى نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون استفهاما وان يكون ايجابا بالجواز ان يكون الاضراب عن المستفهم او عن الاستفهام ليفجر امامه ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان يسئل ايان يوم القيمة متى يكون استبعادا او استهزاء فاذا برق البصر تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرأ نافع بالفتح وهو لغة او من البريق بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق من بلق الباب اذا انفتح وخسف القمر وذهب ضوءه وقرئ على بناء المفعول وجمع الشمس والقمر فى ذهاب الضوء او الطلوع من المغرب ولا ينافيه الخسوف فانه مستعار للمحاق ولمن حمل ذلك على امارات الموت ان يفسر الخسوف بذهاب ضوء البصر والجمع باستتباع الروح الحاسة فى الذهاب او بوصوله الى من كان يقتبس منه نور العقل من سكان القدس وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول الانسان يومئذ اين المفر اى الفرار يقوله قول الآيس من وجدانه المتمنى وقرئ بالكسر وهو المكان كلا ردع عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ مستعار من الجبل واشتقاقه من الوزر وهو الثقل الى ربك يومئذ المستقر اليه وحده استقرار العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيئته موضع قرارهم يدخل من شاء الجنة ومن شاء النار ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله او بما قدم من عمل عمله وبما اخر من سنة حسنة او سيئة عمل بها بعده او بما قدمه من مال تصدق به وبما اخر خلفه او باول عمله وآخره بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة على اعمالها لانه شاهد بها وصفها بالبصارة على المجاز او على عين بصيرة بها فلا يحتاج الى الانباء ولو القى معاذيره ولو جاء بكل ما يمكن ان يعتذر به جمع معذار وهو العذر او جمع معذرة على غير القياس كالمناكير فى المنكر فان قياسه معاذر وذلك اولى وفيه نظر لا تحرك يا محمد به بالقرآن لسانك قبل ان يتم وحيه لتعجل به لتأخذه على عجل مخافة ان يتفلت منك ان علينا جمعه فى صدرك وقرآنه واثبات قرآءته فى لسانك وهو تعليل للنهى فاذا قرأناه بلسان جبريل عليك فاتبع قرآنه قرآءته وكرر فيه حتى يرسخ فى ذهنك ثم ان علينا بيانه بيان ما اشكل عليك من معانيه وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة لان العجلة اذا كانت مذمومة فيما هو اهم الامور واصل الدين فكيف بها فى غيره او بذكر ما اتفق فى اثناء نزول هذه الآيات وقيل الخطاب مع الانسان المذكور والمعنى انه يؤتى كتابه فيتلجلج لسانه من سرعة قرآءته خوفا فيقال له لا تحرك به لسانك لتعجل به فان علينا بمقتضى الوعد جمع ما فيه من اعمالك وقرآءته فاذا قرأناه فاتبع قرآءته بالاقرار او التأمل فيه ثم ان علينا بيان امره بالجزاء عليه

بسم الله الرحمن الرحيم ٧٥

لا اقسم بيوم القيمة ۞٢ ولا اقسم بالنفس اللوامة ۞٣ ايحسب الانسان الّن نجمع عظامه ۞٤ بلى قادرين على ان نسوى بنانه ۞٥ بل يريد الانسان ليفجر امامه ۞٦ يسئل ايان يوم القيمة ۞٧ فاذا برق البصر ۞٨ وخسف القمر ۞٩ وجمع الشمس والقمر ۞١٠ يقول الانسان يومئذ اين المفر ۞١١ كلا لا وزر ۞١٢ الى ربك يومئذ المستقر ۞١٣ ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر ۞١٤ بل الانسان على نفسه بصيرة ۞١٥ ولو القى معاذيره ۞١٦ لا تحرك به لسانك لتعجل به ۞١٧ ان علينا جمعه وقرانه ۞١٨ فاذا قرانه فاتبع قرانه ۞١٩ ثم ان علينا بيانه ۞٢٠ كلا بل تحبون



كلا ردع للرسول صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة اوللانسان عن الاغترار بالعاجل وقوله بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة تعميم للخطاب اشعارا بان بنى ادم مطبوعون على الاستعجال وان كان الخطاب للانسان والمراد به الجنس فجمع الضمير للمعنى ويؤيده قرآءة ابن كثير وابن عامر والبصريين بالياء فيهما وجوه يومئذ ناضرة بهية متهللة الى ربها ناظرة تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بالى وقول الشاعر واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما بمعنى السؤال فان الانتظار لا يستعقب العطاء ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس والباسل ابلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن تتوقع اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية تكسر الفقار كلا

ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢١﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢٢﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٤﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٥﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٦﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٧﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٩﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٣٠﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣١﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٤﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٦﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٧﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٩﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنْثَىٰ ﴿٤٠﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤١﴾

سورة الدهر مدنية او مكية وهى احدى وثلاثون آية

ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة اذا بلغت التراقى اذا بلغت النفس اعالى الصدر واضمارها من غير ذكر لدلالة الكلام عليها وقيل من راق وقال حاضروا صاحبها من يرقيه مما به من الرقية اوقال ملائكة الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة اوملائكة العذاب من الرقى وظن انه الفراق وظن المحتضر ان الذى نزل به فراق الدنيا ومحابها والتفت الساق بالساق والتوت ساقه بساقه فلا يقدر تحريكها اوشدة فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة الى ربك يومئذ المساق سوقه الى الله تعالى وحكمه فلا صدق مايجب تصديقه اوفلا صدق ماله اى فلا زكاه ولا صلى مافرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور فى ايحسب الانسان ولكن كذب وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط اومن المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى ويل لك من الولى واصله اولاك الله ماتكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل افعل من الويل بعد القلب كادنى من دون اوفعلى من آل يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى يتكرر ذلك عليه مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى مهملا لا يكلف ولا يجازى وهو يتضمن تكريرا نكاره للحشر والدلالة عليه من حيث ان الحكمة تقتضى الامر بالمحاسن والنهى عن القبائح والتكليف لا يتحقق الا بمجازاة وهى قد لا تكون فى الدنيا فتكون فى الآخرة الم يك نطفة من منى يمنى وقرأ حفص بالياء ثم كان علقة فخلق فسوى فقدره فعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى وهو استدلال آخر بالابدآء على الاعادة على مامر تقريره مرارا ولذلك رتب عليه قوله اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها قال سبحانك بلى وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت انا له وجبريل يوم القيامة انه كان مؤمنا به

سورة الانسان مكية وآيها احدى وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان استفهام تقرير وتقريب ولذلك فسر بقد واصله اهل كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم حين من الدهر طائفة محدودة من الزمان الممتد الغير المحدود لم يكن شيئا مذكورا بل كان شيأ منسيا غير مذكور بالانسانية كالعنصر والنطفة والجملة حال من الانسان او وصف لحين بحذف الراجع والمراد بالانسان الجنس لقوله انا خلقنا الانسان من نطفة او آدم عليه السلام بين اولا خلقه ثم ذكر خلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج او مشيج من مشجت الشيء اذا خلطته ووصف النطفة به لان المراد بها مجموع مني الرجل والمرأة وكل منهما مختلفة الاجزاء في الرقة والقوام والخواص ولذلك يصير كل جزء منهما مادة عضو وقيل مفرد كاعشار واكياش وقيل الوان فان ماء الرجل ابيض وماء المرأة اصفر فاذا اختلطا اخضرا او اطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة نبتليه في موقع الحال اي مبتلين له بمعنى مريدين اختباره او ناقلين له من حال الى حال فاستعار له الابتلاء فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من مشاهدة الدلائل واستماع الآيات فهو كالمسبب من الابتلاء ولذلك عطف بالفاء على الفعل المقيد به ورتب عليه قوله انا هديناه السبيل اي بنصب الدلائل وانزال الآيات اما شاكرا واما كفورا حالان من الهاء واما للتفصيل او التقسيم اي هديناه في حاليه جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والاخذ فيه وبعضهم كفور بالاعراض عنه او من السبيل ووصفه بالشكر والكفر مجاز وقرئ اما بالفتح على حذف الجواب ولعله لم يقل كافرا ليطابق قسيمه محافظة على الفواصل واشعارا بان الانسان لا يخلو عن كفران غالبا وانما المؤاخذ به التوغل فيه انا اعتدنا للكافرين سلاسل بها يقادون واغلالا بها يقيدون وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم وقد تأخر ذكرهم لان الانذار اهم وانفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن وقرأ نافع وهشام والكسائي وابو بكر سلاسلا للمناسبة ان الابرار جمع بر كارباب او بار كاشهاد يشربون من كاس من خمر وهي في الاصل القدح تكون فيه كان مزاجها ما يمزج بها كافورا لبرده وعذوبته وطيب عرفه وقيل اسم ماء في الجنة يشبه الكافور في رائحته وبياضه وقيل يخلق فيها كيفيات الكافور فتكون كالممزوجة به عينا بدل من كافورا ان جعل اسم ماء ومن محل من كأس على تقدير مضاف اي ماء عين او خمرها او نصب على الاختصاص او بفعل يفسره ما بعده يشرب بها عباد الله ملتذا او ممزوجا بها وقيل الباء مزيدة او بمعنى من لان الشرب يبتدأ منها كما هو يفجرونها تفجيرا يجرونها حيث شاؤا اجراء سهلا يوفون بالنذر استئناف ببيان ما رزقوه لاجله كأنه سئل عنه فاجيب بذلك وهو ابلغ في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه لله كان اوفى بما اوجبه الله عليه ويخافون يوما كان شره شدائده مستطيرا فاشيا منتشرا غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار وفيه اشعار بحسن عقيدتهم واجتنابهم عن المعاصي ويطعمون الطعام على حبه حب الله او الطعام او الاطعام مسكينا ويتيما واسيرا يعني اسارى الكفار فانه عليه الصلاة والسلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او الاسير المؤمن ويدخل فيه المملوك والمسجون وفي الحديث غريمك اسيرك فأحسن الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة القول بلسان الحال او المقال ازاحة لتوهم المن وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل المبعوث ما قالوا فان ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اي شكرا انا نخاف من ربنا فلذلك نحسن اليكم ولا نطلب المكافاة منكم يوما عذاب يوم عبوسا تعبس فيه الوجوه او يشبه الاسد العبوس في ضراوته قمطريرا شديد العبوس كالذي يجمع ما بين عينيه من اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها مشتق من القطر والميم مزيدة فوقيهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٧٦

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ① إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ② إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ③ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ④ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ⑤ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ⑥ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ⑦ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ⑧ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ⑨ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ⑩ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ

ولقيهم

ولقيهم نضرة وسرورا بدل عبوس الفجار وحزنهم وجزيهم بما صبروا بصبرهم على اداء الواجبات واجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون
منه وحريرا يلبسونه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت
على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله عنهم صوم ثلاثة ايام ان برئا فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي كرم الله وجهه من شمعون الخيبري ثلاثة اصوع
من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص فوضعوا بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا
الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم في الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل بهذه السورة وقال خذها يا محمد هناك الله في اهل بيتك متكئين فيها على الارائك
حال من هم في جزاهم او صفة لجنة لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا يحتملهما وان يكون حالا من المستكن في متكئين والمعنى انه يمر عليهم فيها هواء معتدل لا حار محم

وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١٢﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٣﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٤﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٥﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٦﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٧﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٨﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٩﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً

ولا بارد مؤذ وقيل الزمهرير القمر في لغة طي قال الشاعر وليلة ظلامها
قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان هواءها مضيء بذاته
لا يحتاج الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها اما حال او صفة اخرى
معطوفة على ما قبلها او عطف على جنة اي وجنة اخرى دانية على انهم وعدوا
جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئت بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة
حال او صفة وذللت قطوفها تذليلا معطوف على ما قبله او حال من
دانية وتذليل القطوف ان تجعل سهلة التناول لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا
ويطاف عليهم بآنية من فضة واكواب واباريق لا عروة لها كانت قواريرا
قوارير من فضة اي تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها وبياض
الفضة ولينها وقد نون قوارير من نون سلاسلا وابن كثير الاولى لانها رأس
الآية والباقون لم ينونوا اصلا وقرئ قوارير من فضة على هي قوارير قدروها
تقديرا اي قدروها في انفسهم فجاءت مقاديرها واشكالها كما تمنوه او قدروها
باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها او قدر الطائفون بها المدلول عليهم بقوله
يطاف شرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قُدِّروها اي جعلوا قادرين لها كما شاؤا من
قدر منقولا من قدرت الشيء ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ماء
يشبه الزنجبيل في الطعم وكانت العرب يستلذون الشراب الممزوج به عينا
فيها تسمى سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يقال شراب
سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة الباء والمراد ان ينفي عنها لذع
الزنجبيل ويصفها بنقيضه وقيل اصله سل سبيلا فسميت به كتأبط شرا لانه
لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح ويطوف عليهم
ولدان مخلدون دائمون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا من صفاء
الوانهم وانبثاثهم في مجالسهم وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض
واذا رايت ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر لانه عام معناه ان بصرك
اينما وقع ثم رايت نعيما وملكا كبيرا واسعا وفي الحديث ادنى اهل
الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه هذا وللعارف اكبر من ذلك وهو ان تنتقش نفسه بجلايا الملك وخفايا الملكوت
فيستضيء بانوار قدس الجبروت عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ ونصبه على الحال من هم
في عليهم او حسبتهم او ملكا على تقدير مضاف اي واهل ملك كبير عاليهم وقرأ نافع وحمزة بالرفع على انه خبر ثياب وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر
بالجر حملا على سندس بالمعنى فانه اسم جنس واستبرق بالرفع عطفا على ثياب وقرأ ابو عمرو وابن عامر بالعكس وقرأهما نافع وحفص بالرفع
وحمزة والكسائي بالجر وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه استفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب

وحلوا اساور من فضة عطف على ويطوف عليهم ولا يخالفه قوله اساور من ذهب لامكان الجمع والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة يختلف باختلاف اعمالهم فلعله تعالى يفيض عليهم جزاء لما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة اوحال من الضمير في عاليهم باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقيهم ربهم شرابا طهورا يريد به نوعا آخر يفوق على النوعين المتقدمين ولذلك اسند سقيه الى الله تعالى ووصفه بالطهورية فانه يطهر شاربه عن الميل الى اللذات الحسية والركون الى ماسوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهو منتهى درجات الصديقين ولذلك ختم به ثواب الابرار ان هذا كان لكم جزاء على اضمار القول والاشارة الى ما عد من ثوابهم وكان سعيكم مشكورا مجازى عليه غير مضيع انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا مفرقا منجما لحكمة اقتضته وتكرير الضمير مع ان مزيد لاختصاص التنزيل فاصبر لحكم ربك بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم ولا تطع منهم آثما او كفورا اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى لك اليه ومن الغالى في الكفر الداعى اليه واو للدلالة على انهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار مايدعونه اليه فان ترتب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما وذلك يستدعى ان يكون المطاوعة في الاثم والكفر محظورا فان مطاوعتهما فيما ليس باثم ولا كفر غير محظور واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره اودم على صلاتى الفجر والظهر اوالعصر فان الاصيل يتناول وقتيهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعل المراد به صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما في صلاة الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له طائفة طويلة من الليل ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم امامهم اوخلف ظهورهم يوما ثقيلا شديدا مستعار من الثقل الباهظ للحامل وهو كالتعليل لما امر به ونهى عنه نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واحكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا واذا شئنا اهلكناهم وبدلنا امثالهم في الخلقة وشدة الاسر يعنى النشأة الثانية ولذلك جيئ باذا اوبدلنا غيرهم ممن يطيع واذا لتحقيق القدرة وقوة الداعية ان هذه تذكرة الاشارة الى السورة اوالآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا تقرب اليه بالطاعة وماتشاؤن الا ان يشاء الله وماتشاؤن ذلك الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر يشاؤن بالياء ان الله كان عليما بمايستأهل كل احد حكيما لايشاء الا ماتقتضيه حكمته يدخل من يشاء في رحمته بالهداية والتوفيق للطاعة والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم مثل اوعد وكافأ ليطابق الجملة المعطوف عليها وقرئ بالرفع على الابتداء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

وكان سعيكم مشكورا ﴿٢٣﴾ انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ﴿٢٤﴾ فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما او كفورا ﴿٢٥﴾ واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ﴿٢٦﴾ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴿٢٧﴾ ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ﴿٢٨﴾ نحن خلقناهم وشددنا اسرهم واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا ﴿٢٩﴾ ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴿٣٠﴾ وما تشاؤن الا ان يشاء الله ان الله كان عليما حكيما ﴿٣١﴾ يدخل من يشاء في رحمته والظالمين اعد لهم عذابا اليما

سورة المرسلات مكية وهي خمسون آية

سورة والمرسلات مكية وآيها خمسون   بسم الله الرحمن الرحيم   والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا اقسم بطوائف من الملائكة ارسلهن الله باوامره متتابعة فعصفن عصف الرياح في امتثال امره ونشرن الشرائع في الارض ونشرن النفوس الموتى بالجهل بما اوحين من العلم ففرقن بين الحق والباطل فالقين الى الانبياء ذكرا عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين او بآيات القرآن المرسلة بكل عرف الى محمد عليه الصلاة والسلام فعصفن سائر الكتب والاديان بالنسخ ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق فيما بين العالمين او بالنفوس الكاملة المرسلة الى الابدان لاستكمالها فعصفن ما سوى الحق ونشرن اثر ذلك في جميع الاعضاء ففرقن بين الحق بذاته والباطل في نفسه فيرون كل شئ هالكا الا وجهه فالقين ذكرا بحيث لا يكون في القلوب والالسنة الا ذكر الله او برياح عذاب ارسلن فعصفن ورياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن فالقين ذكرا

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ٧٧

وَالْمُرْسَلٰتِ عُرْفًا ﴿٢﴾ فَالْعٰصِفٰتِ عَصْفًا ﴿٣﴾ وَالنّٰشِرٰتِ نَشْرًا ﴿٤﴾ فَالْفٰرِقٰتِ فَرْقًا ﴿٥﴾ فَالْمُلْقِيٰتِ ذِكْرًا ﴿٦﴾ عُذْرًا اَوْ نُذْرًا ﴿٧﴾ اِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوٰقِعٌ ﴿٨﴾ فَاِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٩﴾ وَاِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿١٠﴾ وَاِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١١﴾ وَاِذَا الرُّسُلُ اُقِّتَتْ ﴿١٢﴾ لِاَيِّ يَوْمٍ اُجِّلَتْ ﴿١٣﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَمَا اَدْرٰيكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٥﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٦﴾ اَلَمْ نُهْلِكِ الْاَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْاٰخِرِينَ ﴿١٨﴾ كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٠﴾ اَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٢١﴾ فَجَعَلْنٰهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢٢﴾ اِلٰى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٣﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقٰدِرُونَ ﴿٢٤﴾

اي تسبين له فان العاقل اذا شاهد هبوبها وآثارها ذكر الله تعالى وتذكر كمال قدرته وعرفا اما نقيض النكر وانتصابه على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف او بمعنى المتتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال وعذرا ونذرا مصدران لعذر اذا محا الاساءة وانذر اذا خوف او جمعان لعذير بمعنى المعذرة ونذير بمعنى الانذار او بمعنى العاذر والمنذر ونصبهما على الاولين بالعلية اي عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين او البدلية من ذكرا على ان المراد به الوحي او ما يعم التوحيد والشرك والايمان والكفر وعلى الثالث بالحالية وقرأهما ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص بالتخفيف   انما توعدون لواقع جواب القسم ومعناه ان الذي توعدونه من مجئ القيامة كائن لا محالة   فاذا النجوم طمست محقت او اذهب نورها   واذا السماء فرجت صدعت   واذا الجبال نسفت كالحب ينسف بالمنسف   واذا الرسل اقتت عين لها وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على الامم بحصوله فانه لا يتعين لهم قبله او بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وقرأ ابو عمرو وقتت على الاصل   لاي يوم اجلت اي يقال لاي يوم اخرت وضرب الاجل للجمع وهو تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ويجوز ان يكون ثاني مفعولي اقتت على انه بمعنى اعلمت   ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل   وما ادريك ما يوم الفصل ومن اين تعلم كنهه ولم تر مثله   ويل يومئذ للمكذبين اي بذلك وويل في الاصل مصدر منصوب باضمار فعل عدل به الى الرفع للدلالة على ثبات الهلك للمدعو عليه ويومئذ ظرفه او صفته   الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود وقرئ نهلك من هلكه بمعنى اهلكه   ثم نتبعهم الاخرين اي ثم نحن نتبعهم نظراءهم ككفار مكة وقرئ بالجزم عطفا على نهلك فيكون الاخرين المتأخرين من المهلكين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام   كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل من اجرم   ويل يومئذ للمكذبين بايات الله وانبيائه فليس تكريرا وكذا ان اطلق التكذيب او علق في الموضعين بواحد لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا للاهلاك في الدنيا مع ان التكرير للتوكيد حسن شائع في كلام العرب   الم نخلقكم من ماء مهين نطفة مذرة ذليلة   فجعلناه في قرار مكين هو الرحم   الى قدر معلوم الى مقدار معلوم من الوقت قدره الله تعالى للولادة   فقدرنا على ذلك او فقدرناه ويدل عليه قراءة نافع والكسائي بالتشديد   فنعم القادرون نحن

ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض كفاتا كافتة اسم لما يكفت اى يضم ويجمع كالضمام والجماع لما يضم ويجمع او مصدر نعت به او جمع كافت كصائم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطارها احياء واموتا منتصبان على المفعولية وتنكيرهما للتفخيم اولان احياء الانس واموتهم بعض الاحياء والاموات او الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الانس او بنجعل على المفعولية وكفاتا حال او الحالية فيكون المعنى بالاحياء ما ينبت وبالاموات ما لا ينبت وجعلنا فيها رواسى شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم والاشعار بان فيها ما لم يعرف ولم ير واسقيناكم ماء فراتا بخلق الانهار والمنابع فيها ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا اى يقال لهم انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا خصوصا وعن يعقوب انطلقوا على الاخبار عن امتثالهم بالامر اضطرارا الى ظل يعنى ظل دخان جهنم كقوله

﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٦﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٧﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٩﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٣٠﴾ انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣١﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣٢﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٣﴾ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٦﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٤٠﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٢﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾

تعالى وظل من يحموم ذى ثلاث شعب يتشعب لعظمه كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب وخصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم او لان المؤدى الى هذا العذاب هو القوة الواهمة الحالة فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره ولذلك قيل شعبة تقف فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهم لفظ الظل ولا يغنى من اللهب وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ انها ترمى بشرر كالقصر اى كل شررة كالقصر فى عظمها ويؤيده انه قرئ بشرار وقيل هو جمع قصرة وهى الشجرة الغليظة وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وكالقصر جمع قصرة كحاجة وحوج والهاء للشعب كانه جمالت جمع جمال او جمالة جمع جمل صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود فان سواد الابل يضرب الى الصفرة والاول تشبيه فى العظم وهذا فى اللون والكثرة والتتابع والاختلاط وسرعة الحركة وقرأ حمزة والكسائى وحفص جمالة وعن يعقوب جمالات بالضم جمع جمالة وقد قرئ بها وهى الحبل الغليظ من حبال السفينة شبهه بها فى امتداده والتفافه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اى بما يستحق فان النطق بما لا ينفع كلا نطق او بشئ من فرط الدهشة والحيرة وهذا فى بعض المواقف وقرئ بنصب اليوم اى هذا الذى ذكر واقع يومئذ ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف فيعتذرون على يؤذن ليدل على نفى الاذن والاعتذار عقيبه مطلقا ولو جعله جوابا لدل على ان عدم اعتذارهم لعدم الاذن واوهم ذلك ان لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل جمعناكم والاولين تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين فى الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين اذ لا حيلة لهم فى التخلص من العذاب ان المتقين من الشرك لانهم فى مقابلة المكذبين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون مستقرون فى انواع الترفه كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون اى مقولا لهم ذلك

انا كذلك نجزي المحسنين في العقيدة ويل يومئذ للمكذبين يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا و بما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم المقيم ويل يومئذ للمكذبين حيث عرضوا انفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل واذا قيل لهم اركعوا اطيعوا واخضعوا او صلوا او اركعوا في الصلاة اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقيفا بالصلاة فقالوا لا نجبى فانها مسبة وقيل هو يوم القيمة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون لا يركعون لا يمتثلون واستدل به على ان الامر للايجاب وان الكفار مخاطبون بالفروع ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث بعده بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو معجز في ذاته مشتمل على الحجج الواضحة والمعاني الشريفة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين

إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٥﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٦﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ❀

سُورَةُ النَّبَإِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ أَرْبَعُونَ آيَةً

٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٣﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٧﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٨﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ

سورة النبأ مكية وايها اربعون بسم الله الرحمن الرحيم عم يتساءلون اصله عن ما فحذف الالف لما مر ومعنى هذا الاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه كأنه لفخامته خفي جنسه فسئل عنه والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون عن البعث فيما بينهم او يسألون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عنه استهزاء كقولهم يتداعونهم ويتراأونهم اى يدعونهم ويرونهم او للناس عن النبأ العظيم بيان لشأن المفخم او صلة يتساءلون وعم متعلق بمضمر مفسر به ويدل عليه قرآءة يعقوب عمه الذى هم فيه مختلفون بجزم النفي والشك فيه او بالاقرار والانكار كلا سيعلمون ردع عن التساؤل ووعيد عليه ثم كلا سيعلمون تكرير للمبالغة وثم للاشعار بان الوعيد الثاني اشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيامة او الاول للبعث والثاني للجزاء وعن ابن عامر ستعلمون بالتاء فيهما على تقدير قل لهم ستعلمون الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا تذكير ببعض ما عاينوا من عجائب صنعه الدالة على كمال قدرته ليستدلوا بذلك على صحة البعث كما مر تقريره مرارا وقرئ مهدا اى انها لهم كالمهد للصبي مصدر سمى به ما يمهد للنوم عليه وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا قطعا عن الاحساس والحركة استراحة للقوى الحيوانية وازاحة لكلالها او موتا لانه احد التوفيين ومنه المسبوت للميت واصله القطع ايضا وجعلنا الليل لباسا غطاء يستتر بظلمته من اراد الاختفاء



وجعلنا النهار معاشا وقت معاش تتقلبون فيه لتحصيل ما تعيشون به او حياة تنبعثون فيه عن نومكم وبنينا فوقكم سبعا شدادا سبع سموات اقوياء محكمات لا يؤثر فيها مرور الدهور وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا من وهجت النار اذا اضاءت او بالغا فى الحرارة من الوهج وهو الحر والمراد الشمس وانزلنا من المعصرات السحائب اذا اعصرت اى شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او من الرياح التى حان لها ان تعصر السحاب او الرياح ذوات الاعاصير وانما جعلت مبدأ للانزال لانها تنشئ السحاب وتدر اخلافه ويؤيده انه قرئ بالمعصرات ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وقرئ ثجاحا ومثاجح الماء مصابه لنخرج به حبا ونباتا مايقتات به ومايعتلف من التبن والحشيش وجنات الفافا ملتفة بعضها ببعض جمع لف كجذع قال جنة لف وعيش مغدق اولفيف كشريف اولف جمع لفاء كخضراء وخضر واخضار او ملتفة بحذف الزوائد ان

لِبَاسًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١٢﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا
شِدَادًا ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٤﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٥﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٧﴾
إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٨﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ
أَفْوَاجًا ﴿١٩﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿٢٠﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ
فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢١﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢٢﴾ لِلطَّاغِينَ
مَآبًا ﴿٢٣﴾ لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٤﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا
شَرَابًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٦﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٧﴾ إِنَّهُمْ
كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٨﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٩﴾
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٣٠﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣١﴾
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣٢﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٤﴾

يوم الفصل كان فى علم الله او فى حكمه ميقاتا حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ فى الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه السلام سئل عنه فقال تحشر عشرة اصناف من امتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكوسون يسحبون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم ثم فسرهم بالقتات واهل السحت واكلة الربا والجائرين فى الحكم والمعجبين باعمالهم والعلماء الذين خالف قولهم فعلهم والمؤذين جيرانهم والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات المانعين حق الله والمتكبرين الخيلاء وفتحت السماء وشقت وقرأ الكوفيون بالتخفيف فكانت ابوابا فصارت من كثرة الشقوق كان الكل ابواب او فصارت ذات ابواب وسيرت الجبال اى فى الهواء كالهباء فكانت سرابا مثل سراب اذ ترى على صورة الجبال ولم تبق على صورة حقيقتها لتفتت اجزائها وانبثاثها ان جهنم كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين ليحرسوهم من فيحها فى مجازهم عليها كالمضمار فانه الموضع الذى يضمر فيه الخيل او مجدة فى ترصد الكفرة لئلا يشذ منها واحد كالمطعان وقرئ ان بالفتح على التعليل لقيام الساعة للطاغين مآبا مرجعا ومأوى لابثين فيها وقرأ حمزة وروح لبثين وهو ابلغ احقابا دهورا متتابعة وليس فيه مايدل على خروجهم منها اذ لو صح ان الحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة فليس فيه ما يقتضى تناهى تلك الاحقاب لجواز ان يكون المراد احقابا مترادفة كلما مضى حقب تبعه آخر وان كان فمن قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار ولو جعل قوله تعالى لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا حالا من المستكن فى لابثين او نصب احقابا بلا يذوقون احتمل ان يلبثوا فيها احقابا غير ذائقين الا حميما وغساقا ثم يبدلون جنسا آخر من العذاب ويجوز ان يكون جمع حقب من حقب الرجل اذا اخطأه الرزق وحقب العام اذا قل مطره وخيره فيكون حالا بمعنى لابثين فيها حقبين وقوله لا يذوقون تفسير له والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار او النوم وبالغساق ما يغسق اى يسيل من صديدهم وقيل الزمهرير وهو مستثنى من البرد الا انه اخر ليتوافق رؤس الآى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالتشديد جزاء وفاقا اى جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لاعمالهم او موافقا لها او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا فعال من وفقه كذا انهم كانوا لا يرجون حسابا بيان لما وافقه هذا الجزاء

وكذبوا

وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال بمعنى تفعيل مطرد شائع في كلام الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو بمعنى الكذب كقوله فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه وانما اقيم مقام التكذيب للدلالة على انهم كذبوا في تكذيبهم او المكاذبة فانهم كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون كاذبين عندهم فكان بينهما مكاذبة اوكانوا مبالغين في الكذب مبالغة المغالبين فيه وعلى المعنيين يجوز ان يكون حالا بمعنى كاذبين او مكاذبين ويؤيده انه قرئ كذابا وهو جمع كاذب ويجوز ان يكون للمبالغة فيكون صفة للمصدر اي تكذيبا مفرطا كذبه وكل شئ احصيناه وقرئ بالرفع على الابتداء كتابا مصدر لاحصيناه فان الاحصاء والكتبة يتشاركان في معنى الضبط او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومجيئه على طريقة الالتفات للمبالغة وفي الحديث هذه الآية اشد ما في القرآن

وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

سورة النازعات مكية وهي ست واربعون آية

٧٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَالسَّابِحَاتِ

على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا او موضع فوز حدائق واعنابا بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وكواعب نساء فلكت ثديهن اترابا لدات وكاسا دهاقا ملأى واد هق الحوض ملأه لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا وقرأ الكسائي بالتخفيف اي كذبا او مكاذبة اذ لا يكذب بعضهم بعضا جزاء من ربك بمقتضى وعده عطاء تفضلا منه اذ لا يجب عليه شئ وهو بدل من جزاء وقيل منتصب به نصب المفعول به حسابا كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبي او على حسب اعمالهم وقرئ حسابا اي محسبا كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بالجر بدل من ربك وقد رفعه الحجازيان وابو عمرو على الابتداء الرحمن بالجر صفة له في قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب وبالرفع في قراءة ابي عمرو وفي قراءة حمزة والكسائي بجر الاول ورفع الثاني على انه خبر محذوف او مبتدأ خبره لا يملكون منه خطابا والواو لاهل السموات والارض اي لا يملكون خطابه والاعتراض عليه في ثواب او عقاب لانهم مملوكون له على الاطلاق فلا يستحقون عليه اعتراضا وذلك لا ينافي الشفاعة باذنه يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون فان هؤلاء الذين هم افضل الخلائق واقربهم من الله اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما يكون صوابا كالشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملكه غيرهم ويوم ظرف للا يملكون او ليتكلمون والروح ملك موكل على الارواح او جنسها او جبرائيل او خلق اعظم من الملائكة ذلك اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه الى ثوابه مآبا بالايمان والطاعة انا انذرناكم عذابا قريبا يعني عذاب الآخرة وقربه لتحققه فان كل ما هو آت قريب او لان مبدأه الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه يرى ما قدمه من خير او شر والمرء عام وقيل هو الكافر لقوله انا انذرناكم فيكون الكافر ظاهرا وضع موضع الضمير لزيادة الذم وما موصولة منصوبة بينظر او استفهامية منصوبة بقدمت اي ينظر اي شئ قدمت يداه ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر سائر الحيوانات للاقتصاص ثم ترد ترابا فيود الكافر حالها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

سورة والنازعات مكية وآيها خمس او ست واربعون بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا هذه صفات ملائكة الموت فانهم ينزعون ارواح الكفار من ابدانهم غرقا اى اغراقا فى النزع فانهم ينزعونها من اقاصى الابدان او نفوسا غرقة فى الاجساد وينشطون اى يخرجون ارواح المؤمنين برفق من نشط الدلو من البئر اذا اخرجها ويسبحون فى اخراجها سبح الغواص الذى يخرج الشئ من اعماق البحر فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان يهيئوها لادراك ما اعد لها من الآلام واللذات او الاوليان لهم والباقيات لطوائف من الملائكة يسبحون فى مضيها اى يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به فيدبرون امره او صفات النجوم فانها تنزع من المشرق الى المغرب غرقا فى النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط فى اقصى المغرب وتنشط من برج الى برج اى تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح فى الفلك فيسبق بعضها فى السير لكونه اسرع حركة فتدبر امرا نيط بها كاختلاف الفصول وتقدير الازمنة وظهور مواقيت العبادات ولما كانت حركاتها من المشرق الى المغرب قسرية وحركاتها من برج الى برج ملائمة سمى الاولى نزعا والثانية نشطا او صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع عن الابدان غرقا اى نزعا شديدا من اغراق النازع فى القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات او حال سلوكها فانها تنزع عن الشهوات وتنشط الى عالم القدس وتسبح فى مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات او صفات انفس الغزاة او ايديهم تنزع القسى باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمى ويسبحون فى البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها او صفات خيلهم فانها تنزع فى اعنتها نزعا تغرق فيه الأعنة لطول اعناقها وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر وتسبح فى جريها فتسبق الى العدو فتدبر امر الظفر اقسم الله تعالى بها على قيام الساعة وانما حذف لدلالة ما بعده عليه يوم ترجف الراجفة وهو منصوب به والمراد بالراجفة الاجرام الساكنة التى يشتد حركتها حينئذ كالارض والجبال كقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال او الواقعة التى ترجف الاجرام عندها وهى النفخة الاولى تتبعها الرادفة التابعة وهى السماء والكواكب تنشق وتنتثر او النفخة الثانية والجملة فى موقع الحال قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب من الوجيف وهى صفة لقلوب والخبر ابصارها خاشعة اى ابصار اصحابها ذليلة من الخوف ولذلك اضافها الى القلوب يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة فى الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت من قولهم رجع فلان فى حافرته اى طريقته التى جاء فيها فحفرها اى اثر فيها بمشيه على النسبة كقوله عيشة راضية او تشبيه القابل بالفاعل وقرئ فى الحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهى حفرة ائذا كنا وقرأ نافع وابن عامر والكسائى اذا كنا على الخبر عظاما نخرة بالية وقرأ الحجازيان وابو عمرو والشامى وحفص وروح نخرة وهى ابلغ قالوا تلك اذا كرة خاسرة ذات خسران او خاسرة اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهو استهزاء منهم فانما هى زجرة واحدة متعلق بمحذوف اى لا تستصعبوها فما هى الا صيحة واحدة يعنى النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة فاذا هم احياء على وجه الارض بعد ما كانوا امواتا فى بطنها والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجرى فيها من قولهم عين ساهرة للتى يجرى ماؤها وفى ضدها نائمة اولان سالكها يسهر خوفا وقيل اسم جهنم هل اتيك حديث موسى اليس قد اتاك حديثه فيسليك على تكذيب قومك ويهددهم عليه بان يصيبهم مثل ما اصاب من هو اعظم منهم اذ ناديه ربه بالواد المقدس طوى قد مر بيانه فى سورة طه اذهب الى فرعون انه طغى على ارادة القول وقرئ ان اذهب لما فى النداء من معنى القول فقل هل لك الى ان تزكى هل لك ميل الى ان تتطهر من الكفر والطغيان وقرأ الحجازيان ويعقوب تزكى بالتشديد

سَبْحًا ﴿٣﴾ فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً

واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته فتخشى باداء الواجبات وترك المحرمات اذ الخشية انما تكون بعد المعرفة وهذا كالتفصيل لقوله تعالى فقولا له قولا لينا فاريه الآية الكبرى اى فذهب وبلغ فاراه المعجزة الكبرى وهى قلب العصا حية فانه كان المقدم والاصل او مجموع معجزاته فانها باعتبار دلالتها كالآية الواحدة فكذب وعصى فكذب موسى وعصى الله بعد ظهور الآية وتحقق الامر ثم ادبر عن الطاعة يسعى ساعيا فى ابطال امره او ادبر بعد ان رأى الثعبان مرعوبا مسرعا فى مشيه فحشر فجمع السحرة او جنوده فنادى فى المجمع بنفسه او مناد فقال انا ربكم الاعلى اعلى كل من يلى امركم فاخذه الله نكال الآخرة والاولى اخذا منكلا لمن رآه او سمعه فى الآخرة بالاحراق وفى الدنيا بالاغراق او على كلمته الآخرة وهى هذه وكلمته الاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى او للتنكيل فيهما او لهما ويجوز ان يكون مصدرا مؤكدا مقدرا بفعله ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى لمن كان من شأنه الخشية ءانتم اشد خلقا اصعب خلقا ام السماء ثم بين كيف خلقها فقال بنيها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اى جعل مقدار ارتفاعها من الارض

لمن يخشى ﴿٢٧﴾ ءانتم اشد خلقا ام السماء بنيها ﴿٢٨﴾ رفع سمكها فسويها ﴿٢٩﴾ واغطش ليلها واخرج ضحيها ﴿٣٠﴾ والارض بعد ذلك دحيها ﴿٣١﴾ اخرج منها ماءها ومرعيها ﴿٣٢﴾ والجبال ارسيها ﴿٣٣﴾ متاعا لكم ولانعامكم ﴿٣٤﴾ فاذا جاءت الطامة الكبرى ﴿٣٥﴾ يوم يتذكر الانسان ما سعى ﴿٣٦﴾ وبرزت الجحيم لمن يرى ﴿٣٧﴾ فاما من طغى ﴿٣٨﴾ واثر الحيوة الدنيا ﴿٣٩﴾ فان الجحيم هى المأوى ﴿٤٠﴾ واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ﴿٤١﴾ فان الجنة هى المأوى ﴿٤٢﴾ يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها ﴿٤٣﴾ فيم انت من ذكريها ﴿٤٤﴾ الى ربك منتهيها ﴿٤٥﴾ انما انت منذر من يخشيها ﴿٤٦﴾ كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحيها ۞

او ثخنها الذاهب فى العلو رفيعا فسويها فعدلها او فجعلها مستوية او فتممها بما يتم به كمالها من الكواكب والدوائر وغيرهما من قولهم سوى فلان امره اذا اصلحه واغطش ليلها اظلمه منقول من غطش الليل اذا اظلم وانما اضافه اليها لانه يحدث بحركتها واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها كقوله تعالى والشمس وضحيها يريد النهار والارض بعد ذلك دحيها بسطها ومهدها للسكنى اخرج منها ماءها بتفجير العيون ومرعيها ورعيها وهو فى الاصل لموضع الرعى وتجريد الجملة عن العاطف لانها حال باضمار قد او بيان للدحو والجبال ارسيها اثبتها وقرئ والارض والجبال بالرفع على الابتداء وهو مرجوح لان العطف على فعلية متاعا لكم ولانعامكم تمتيعا لكم ولمواشيكم فاذا جاءت الطامة الداهية التى تطم اى تعلو على سائر الدواهى الكبرى التى هى اكبر الطامات وهى القيامة او النفخة الثانية او الساعة التى يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر الانسان ما سعى بان يراه مدونا فى صحيفته وكان قد نسيها من فرط الغفلة او طول المدة وهو بدل من اذا جاءت وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم واظهرت لمن يرى لكل راء بحيث لا تخفى على احد وقرئ وبرزت ولمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كقوله تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد او انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم اى لمن تراه من الكفار وجواب فاذا جاءت محذوف دل عليه يوم يتذكر الانسان او ما بعده من التفصيل فاما من طغى حتى كفر واثر الحيوة الدنيا فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس فان الجحيم هى المأوى هى مأواه واللام فيه سادة مسد الاضافة للعلم بان صاحب المأوى هو الطاغى وهى فصل او مبتدأ واما من خاف مقام ربه مقامه بين يدى ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد ونهى النفس عن الهوى لعلمه بانه مرد فان الجنة هى المأوى ليس له سواها مأوى يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها واثباتها او منتهاها ومستقرها من مرسى السفينة وهو حيث تنتهى اليه وتستقر فيه فيم انت من ذكريها فى اى شئ انت من ان تذكر وقتها لهم اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ فان ذكرها لا يزيدهم الا غيا ووقتها مما استأثره الله تعالى بعلمه وقيل فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها مستأنف معناه انت ذكر من ذكراها اى علامة من اشراطها فان ارساله خاتما للانبياء امارة من اماراتها وقيل انه متصل بسؤالهم والجواب الى ربك منتهيها اى منتهى علمها انما انت منذر من يخشيها انما بعثت لانذار من يخاف هولها وهو لا يناسب تعيين الوقت وتخصيص من يخشى لانه المنتفع وعن ابى عمرو منذر بالتنوين والاعمال على الاصل لانه بمعنى الحال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا اى فى الدنيا او فى القبور الا عشية او ضحيها اى عشية يوم او ضحاه كقوله تعالى الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى الى العشية لانهما من يوم واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون اية بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام فقال يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة لتولى او عبس على اختلاف المذهبين وقرئ آأن بهمزتين وبالف بينهما بمعنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الاعمى للاشعار بعذره في الاقدام على قطع كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم للقوم او الدلالة على انه احق بالرأفة والرفق او لزيادة الانكار كأنه قال تولى لكونه اعمى كالالتفات في قوله وما يدريك لعله يزكى اى واى شئ يجعلك داريا بحاله لعله يتطهر من الآثام بما يتلقف منك وفيه ايماء بان اعراضه كان لتزكية غيره او يذكر فتنفعه الذكرى او يتعظ فتنفعه موعظتك وقيل الضمير في لعله للكافر اى انك طمعت في تزكيه بالاسلام وتذكره بالموعظة ولذلك اعرضت عن غيره فما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرأ عاصم بالنصب جوابا للعل اما من استغنى فانت له تصدى تتعرض بالاقبال عليه واصله تتصدى وقرأ ابن كثير ونافع تصدى بالادغام وقرئ تصدى اى تعرض وتدعى الى التصدى وما عليك الا يزكى وليس عليك بأس في ان لا يتزكى بالاسلام حتى يبعثك الحرص على اسلامه الى الاعراض عمن اسلم ان عليك الا البلاغ واما من جاءك يسعى يسرع طالبا للخير وهو يخشى الله او اذية الكفار في اتيانك او كبوة الطريق لانه اعمى لا قائد له فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى ولعل ذكر التصدى والتلهى للاشعار بان العتاب على اهتمام قلبه بالغنى وتلهيه عن الفقير ومثله لا ينبغي له ذلك كلا ردع عن المعاتب عليه او عن معاودة مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره حفظه او اتعظ به والضميران للقرآن او العتاب المذكور وتأنيث الاول لتأنيث خبره في صحف مثبتة فيها صفة لتذكرة او خبر ثان لان او خبر محذوف مكرمة عند الله مرفوعة مرفوعة القدر مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين بايدي سفرة كتبة من الملائكة او الانبياء ينتسخون الكتب من اللوح او الوحي او سفراء يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله او الامة جمع سافر من السفر او السفارة والتركيب للكشف يقال سفرت المرأة اذا كشفت وجهها كرام اعزاء على الله تعالى او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة اتقياء قتل الانسان ما اكفره دعاء عليه باشنع الدعوات وتعجب من افراطه في الكفران وهو مع قصره يدل على سخط عظيم وذم بليغ من اى شئ خلقه بيان لما انعم عليه خصوصا من مبدأ حدوثه والاستفهام للتحقير ولذلك اجاب عنه بقوله من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان اتم خلقته ثم السبيل يسره ثم سهل مخرجه من بطن امه بان فتح فوهة الرحم والهمه ان ينتكس او ذلل له سبيل الخير والشر ونصب السبيل بفعل يفسره الظاهر للمبالغة في التيسير وتعريفه باللام دون الاضافة للاشعار بانه سبيل عام وفيه على المعنى الاخير ايماء بان الدنيا طريق والمقصد غيرها ولذلك عقبه بقوله

سُورَةُ عَبَسَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلّٰى ﴿١﴾ اَنْ جَاءَهُ الْاَعْمٰى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّٰى ﴿٣﴾ اَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرٰى ﴿٤﴾ اَمَّا مَنِ اسْتَغْنٰى ﴿٥﴾ فَاَنْتَ لَهُ تَصَدّٰى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ اَلَّا يَزَّكّٰى ﴿٧﴾ وَاَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعٰى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشٰى ﴿٩﴾ فَاَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰى ﴿١٠﴾ كَلَّا اِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِاَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ الْاِنْسَانُ مَا اَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ اَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ اَمَاتَهُ فَاَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾

ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وعد الاماتة والاقبار في النعم لان الاماتة وصلة في الجملة الى الحياة الابدية واللذات الخالصة والامر بالقبر تكرمة وصيانة عن السباع وفي اذا شاء اشعار بان وقت النشور غير متعين في نفسه وانما هو موكول الى مشيئته تعالى كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض ما امره لم يقض بعد من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما فلينظر الانسان الى طعامه اتباع للنعم الذاتية بالنعم الخارجية انا صببنا الماء صبا استئناف مبين لكيفية احداث الطعام وقرأ الكوفيون بالفتح على البدل منه بدل الاشتمال ثم شققنا الارض شقا بالنبات او بالكراب واسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا كالحنطة والشعير وعنبا وقضبا يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه اذا قطعه لانها تقضب مرة بعد اخرى وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعارا من وصف الرقاب وفاكهة وابا ومرعى من اب اذا ام لانه يؤم وينتجع او من اب لكذا اذا تهيأ له لانه متهيئ للرعي او فاكهة يابسة تؤب للشتاء متاعا لكم ولانعامكم فان الانواع المذكورة بعضها طعام وبعضها علف فاذا جاءت الصاخة اي النفخة وصفت بها مجازا لان الناس يصخون لها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بشأنه وعلمه بانهم لا ينفعونه او للحذر من مطالبتهم بما قصر في حقهم وتأخير الاحب فالاحب للمبالغة كانه قيل يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يكفيه في الاهتمام به وقرئ يعنيه اي يهمه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء ضاحكة مستبشرة بما ترى من النعيم ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار وكدورة ترهقها قترة يغشاها سواد وظلمة اولئك هم الكفرة الفجرة الذين جمعوا الى الكفر الفجور فلذلك يجمع الى سواد وجوههم الغبرة قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سُورَةُ التَّكْوِيرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

بسم الله الرحمن الرحيم ۸۱

اذا الشمس كورت ① واذا النجوم انكدرت ② واذا الجبال سيرت ③ واذا العشار عطلت ④ واذا الوحوش حشرت ⑤ واذا البحار سجرت ⑥ واذا النفوس زوجت ⑦ واذا الموءودة سئلت ⑧ باي ذنب قتلت ⑨ واذا الصحف نشرت ⑩ واذا السماء كشطت ⑪ واذا الجحيم سعرت ⑫ واذا الجنة ازلفت ⑬ علمت نفس ما احضرت ⑭ فلا اقسم بالخنس ⑮ الجوار الكنس ⑯ والليل اذا عسعس ⑰ والصبح اذا تنفس ⑱ انه لقول رسول كريم ⑲ ذي قوة عند ذي العرش مكين ⑳ مطاع ثم امين ㉑ وما صاحبكم بمجنون ㉒ ولقد راه بالافق المبين ㉓ وما هو

سورة التكوير مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت لفت من كورت العمامة اذا لففتها بمعنى رفعت لان الثوب اذا اريد رفعه لف اولف ضوؤها فذهب انبساطه في الآفاق و زال اثره اوالقيت عن فلكها من طعنه فكورته اذا القاه مجتمعا والتركيب للادارة والجمع وارتفاع الشمس بفعل يفسره ما بعدها اولى لان اذا الشرطية تطلب الفعل واذا النجوم انكدرت انقضت قال ابصر خربان فضاء فانكدرت اواظلمت من كدرت الماء فانكدرت واذا الجبال سيرت عن وجه الارض او في الجو واذا العشار النوق اللاتي اتى على حملهن عشرة اشهر جمع عشراء عطلت تركت مهملة اوالسحائب عطلت عن المطر وقرئ بالتخفيف واذا الوحوش حشرت جمعت من كل جانب اوبعثت للقصاص ثم ردت ترابا اواميتت من قولهم اذا اجحفت السنة بالناس حشرتهم وقرئ بالتشديد واذا البحار سجرت احميت اوملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا من سجر التنور اذا ملأه بالحطب ليحميه وقرأ ابن كثير وابو عمرو وروح بالتخفيف واذا النفوس زوجت قرنت بالابدان اوكل منها بشكلها اوبكتابها وعملها اونفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين واذا الموؤدة المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق اولحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى عليه الصلاة والسلام ء انت قلت للناس اتخذوني وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وانما قيل قتلت على الاخبار عنها وقرئ قتلت على الحكاية واذا الصحف نشرت يعني صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر وقت الحساب وقيل نشرت فرقت بين اصحابها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بالتشديد للمبالغة في النشر اولكثرة الصحف اولشدة التطاير واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف كثير واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرأ نافع وابن عامر وحفص ورويس بالتشديد واذا الجنة ازلفت قربت من المؤمنين علمت نفس ما احضرت جواب اذا وانما صح والمذكور في سياقها اثنتا عشرة خصلة ست منها في مبادي قيام الساعة قبل فناء الدنيا وست بعده لان المراد زمان متسع شامل لها ولمجازاة النفوس على اعمالها ونفس في معنى العموم كقولهم تمرة خير من جرادة فلا اقسم بالخنس بالكواكب الرواجع من خنس اذا تأخر وهي ما سوى النيرين من السيارات ولذلك وصفها بقوله الجوار الكنس اي السيارات التي تختفي تحت ضوء الشمس من كنس الوحشي اذا دخل كناسه وهو بيته المتخذ من اغصان الشجر والليل اذا عسعس اقبل ظلامه او ادبر وهو من الاضداد يقال عسعس الليل وسعسع اذا ادبر والصبح اذا تنفس اي اذا اضاء غبرته عند اقبال روح ونسيم انه ان القرآن لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام فانه قاله عن الله تعالى ذي قوة كقوله تعالى شديد القوى عند ذي العرش مكين عند الله ذي مكانة مطاع في ملائكته ثم امين على الوحي وثم يحتمل اتصاله بما قبله وبما بعده وقرئ ثم تعظيما للامانة وتفضيلا لها على سائر الصفات وما صاحبكم بمجنون كما تبهته الكفرة واستدل بذلك على فضل جبريل على محمد عليهما الصلوة والسلام حيث عد فضائل جبريل واقتصر على نفي الجنون عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ضعيف اذ المقصود منه نفي قولهم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد فضلهما والموازنة بينهما ولقد راه ولقد راى رسول الله جبريل عليه السلام بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو وما محمد

على الغيب على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب بضنين بمتهم من الظنة وهى التهمة وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بضنين من الضن وهو البخل اى لا يبخل بالتعليم والتبليغ والضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان او يساره والظاء من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وما هو بقول شيطان رجيم بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى قولهم انه لكهانة وسحر فاين تذهبون استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر الرسول والقرأن كقولك لتارك الجادة اين تذهب ان هو الا ذكر للعالمين تذكير لمن يعلم لمن شاء منكم ان يستقيم بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاءها الا ان يشاء الله الا وقت ان يشاء الله مشيئتكم فله الفضل والحق عليكم باستقامتكم رب العالمين مالك الخلق كله قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة التكوير اعاذه الله من ان يفضحه حين تنشر صحيفته سورة الانفطار مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت انشقت واذا الكواكب انتثرت اى تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فصار الكل بحرا واحدا واذا القبور بعثرت قلب ترابها واخرج موتاها وقيل انه مركب من بعث ورآء الاثارة كبسمل ونظيره بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت من عمل او صدقة واخرت من سنة او تركه ويجوز ان يراد بالتأخير التضييع وهو جواب اذا يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اى شئ خدعك وجرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة فى المنع عن الاغترار فان محض الكرم لا يقتضى اهمال الظالم وتسوية الموالى والمعادى والمطيع والعاصى فكيف اذا انضم اليه صفة القهر والانتقام والاشعار بما به يغره الشيطان فانه يقول له افعل ما شئت فربك كريم لا يعذب احدا او لا يعاجل بالعقوبة والدلالة على ان كثرة كرمه تستدعى الجد فى طاعته لا الانهماك فى عصيانه اغترارا بكرمه الذى خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك اولا قدر عليه ثانيا والتسوية جعل الاعضاء سليمة مسواة معدة لمنافعها والتعديل جعل البنية معتدلة متناسبة الاعضاء او معدلة بما يستعدها من القوى وقرأ الكوفيون فعدلك بالتخفيف اى عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت او فصرفك عن خلقة غيرك وميزك بخلقة فارقت خلقة سائر الحيوانات فى اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك فى اى صورة شاءها وما مزيدة وقيل شرطية وركبك جوابها والظرف صلة عدلك وانما لم تعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع عن الاغترار بكرم الله تعالى وقوله بل تكذبون بالدين اضراب الى بيان ما هو السبب الاصلى فى اغترارهم والمراد بالدين الجزاء او الاسلام

عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٥﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝

سُورَةُ الانفطارِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعَ عَشْرَةَ آيَة

٨٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٥﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٧﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٨﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٩﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ

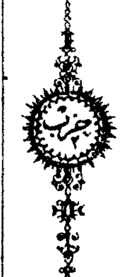
وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون تحقيق لما يكذبون به ورد لما يتوقعون من التسامح والاهمال وتعظيم الكتبة بكونهم كراما عند الله لتعظيم الجزاء ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم بيان لما يكتبون لاجله يصلونها يقاسون حرّها يوم الدين وما هم عنها بغائبين لخلودهم فيها وقيل معناه وما يغيبون عنها قبل ذلك اذ كانوا يجدون سمومها في القبور وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم الدين تعجيب وتفخيم لشأن اليوم اى كنه امره بحيث لا تدركه دراية دار يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله تقرير لشدّة هوله وفخامة امره اجمالا ورفع ابن كثير والبصريان يوم على البدل من يوم الدين او الخبر لمحذوف قال صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة سورة التطفيف مختلف فيها وآيها ست وثلاثون بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن لان ما يبخس طفيف اى حقير روى ان اهل المدينة كانوا ابخس الناس كيلا فنزلت فاحسنوه وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا سلط الله عليهم عدوّهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اى اذا اكتالوا من الناس حقوقهم يأخذونها وافية وانما ابدل على بمن للدلالة على ان اكتيالهم لما لهم على الناس او اكتيال يتحامل فيه عليهم واذا كالوهم او وزنوهم اى اذا كالوا للناس او وزنوا لهم يخسرون فحذف الجار واوصل الفعل كقوله ولقد جنيتك اكموًا وعساقلا بمعنى جنيت لك او كالوا مكيلهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يحسن جعل المنفصل تاكيد المتصل فانه يخرج الكلام عن مقابلة ما قبله اذ المقصود بيان اختلاف حالهم في الاخذ والدفع لا في المباشرة وعدمها ويستدعى اثبات الالف بعد الواو كما هو خط المصحف في نظائره الا يظن اولئك انهم مبعوثون فان من ظنّ ذلك لم يتجاسر على امثال هذه القبائح فكيف بمن تيقنه وفيه انكار وتعجب من حالهم ليوم عظيم عظمه لعظم ما يكون فيه يوم يقوم الناس نصب بمبعوثون او بدل من الجار والمجرور ويؤيده القرآءة بالجرّ

لحافظين ⑩ كراما كاتبين ⑪ يعلمون ما تفعلون ⑫
ان الابرار لفي نعيم ⑬ وان الفجار لفي جحيم ⑭ يصلونها
يوم الدين ⑮ وما هم عنها بغائبين ⑯ وما ادريك ما
يوم الدين ⑰ ثم ما ادريك ما يوم الدين ⑱ يوم لا تملك
نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله ⑲

سورة المطففين مكية وهي ست وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ٨٣

ويل للمطففين ① الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ②
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ③ الا يظن
اولئك انهم مبعوثون ④ ليوم عظيم ⑤ يوم يقوم الناس



لرب العالمين لحكمه وفى هذا الانكار والتعجب وذكر الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله والتعبير برب العالمين مبالغات فى المنع عن التطفيف وتعظيم اثمه كلا ردع عن التطفيف والغفلة عن البعث والحساب ان كتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفى سجين كتاب جامع لاعمال الفجرة من الثقلين كما قال وما ادريك ما سجين كتاب مرقوم اى مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه فعيل من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس او لانه مطروح كما قيل تحت الارضين فى مكان وحش وقيل هو اسم مكان والتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف المضاف ويل يومئذ للمكذبين بالحق او بذلك الذين يكذبون بيوم الدين صفة مخصصة او موضحة او ذامة وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن النظر غال فى التقليد حتى استقصر قدرة الله وعلمه فاستحال منه الاعادة اثيم منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث اشغلته عما وراءها وحملته على الانكار لما عداها اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا ينفعه شواهد النقل كما لم ينفعه دلائل العقل كلا ردع عن هذا القول بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون رد لما قالوه وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأ على قلوبهم فعمى عليهم معرفة الحق والباطل فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات كما قال عليه السلام ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والرين الصدأ وقرأ حفص بل ران باظهار اللام وقرأ حمزة والكسائى وابو بكر بل رين بالامالة كلا ردع عن الكسب الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين ومن انكر الرؤية جعله تمثيلا لاهانتهم باهانة من يمنع عن الدخول على الملوك او قدر مضافا مثل رحمة ربهم او قرب ربهم ثم انهم لصالوا الجحيم ليدخلون النار ويصلون بها ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون يقوله لهم الزبانية كلا تكرير للاول ليعقب بوعد الابرار كما عقب بوعيد الفجار اشعارا بان التطفيف فجور والايفاء بر او ردع عن التكذيب ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم الكلام فيه ما مر فى نظيره يشهده المقربون يحضرونه فيحفظونه او يشهدون على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفى نعيم على الارائك على الاسرة فى الحجال ينظرون الى ما يسرهم من النعم والمتفرجات تعرف فى وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم وبريقه وقرأ يعقوب تعرف على بناء المفعول ونضرة بالرفع يسقون من رحيق شراب خالص

لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ

مختوم ختامه مسك اى مختومه اوانيه بالمسك مكان الطين ولعله تمثيل لنفاسته اوالذى له ختام اى مقطع هو رائحة المسك وقرأ الكسائى خاتمه بفتح التاء اى ما يختم به ويقطع وفى ذلك يعنى الرحيق اوالنعيم فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم علم لعين بعينها سميت تسنيما لارتفاع مكانها اورفعة شرابها عينا يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا لانهم لم يشتغلوا بغير الله ويمزج لسائر اهل الجنة وانتصاب عينا على المدح اوالحال من تسنيم والكلام فى الباء كما فى يشرب بها عباد الله ان الذين اجرموا يعنى رؤساء قريش كانوا من الذين امنوا يضحكون كانوا يستهزؤن بفقراء المؤمنين واذا مروا بهم يتغامزون يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بالسخرية منهم وقرأ حفص فكهين واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون واذا رأوا المؤمنين نسبوهم الى الضلال وما ارسلوا عليهم على المؤمنين حافظين يحفظون عليهم اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين فى النار وقيل يفتح لهم باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليه غلق دونهم فيضحك المؤمنون منهم على الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار هل اثيبوا ماكانوا يفعلون وقرأ حمزة والكسائى بادغام اللام فى الثاء قال النبى عليه الصلوة والسلام من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيمة سورة الانشقاق مكية وآيها خمس وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت بالغمام كقوله تعالى يوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت له اى انقادت لتأثير قدرته حين اراد انشقاقها انقياد المطواع الذى يأذن للآمر ويذعن له وحقت اى وجعلت حقيقة بالاستماع والانقياد يقال حق بكذا فهو محقوق وحقيق واذا الارض مدت بسطت بان تزال جبالها وآكامها

مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْانْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

٨٤

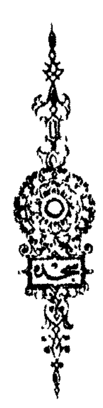
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ

والقت ما فيها ما في جوفها من الكنوز والاموات وتخلت وتكلفت في الخلو أقصى جهدها حتى لم يبق شئ في باطنها واذنت لربها في الالقاء والتخلية وحقت للأذن وتكرير اذا الاستقلال كل من الجملتين بنوع من القدرة وجوابه محذوف للتهويل بالابهام او الاكتفاء بما مر في سورتي التكوير والانفطار او بدلالة قوله يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه عليه وتقديره لاقى الانسان كدحه اى جهدا يؤثر فيه من كدحه اذا خدشه او فملاقيه ويا ايها الانسان انك كادح الى ربك اعتراض والكدح اليه السعي الى لقاء جزائه فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا لا يناقش فيه وينقلب الى اهله مسرورا الى عشيرته المؤمنين او فريق من المؤمنين او اهله في الجنة من الحور واما من اوتى كتابه وراء ظهره اى يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره قيل يغل يمناه الى عنقه ويجعل يسراه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا يتمنى الثبور ويقول يا ثبوراه وهو الهلاك ويصلى سعيرا وقرأ الحجازيان والشامي والكسائي ويصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كقوله ونصليه جهنم

مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾

انه كان في اهله في الدنيا مسرورا بطرا بالمال والجاه فارغا عن الاخرة انه ظن ان لن يحور لن يرجع الى الله تعالى بلى ايجاب لما بعد لن ان ربه كان به بصيرا عالما باعماله فلا يهمله بل يرجعه ويجازيه فلا اقسم بالشفق الحمرة التي ترى في افق المغرب بعد الغروب وعن ابي حنيفة رضي الله تعالى عنه انه البياض الذي يليها سمي به لرقته من الشفقة والليل وما وسق وما جمعه وستره من الدواب وغيرها يقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا او طرده الى اماكنه من الوسيقة والقمر اذا اتسق اجتمع وتم بدرا لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال مطابقة لاختها في الشدة وهو لما يطابق غيره فقيل للحال المطابقة او مراتب من الشدة بعد المراتب هي الموت ومواطن القيمة واهوالها او هي وما قبلها من الدواهي على انه جمع طبقة وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي لتركبن بالفتح على خطاب الانسان باعتبار اللفظ او الرسول صلى الله عليه وسلم على معنى لتركبن حالا شريفة ومرتبة عالية بعد حال شريفة ومرتبة عالية او طبقا من اطباق السماء بعد طبق ليلة المعراج وقرئ بالكسر على خطاب النفس وبالياء على الغيبة وعن طبق صفة لطبقا او حال من الضمير بمعنى مجاوزا الطبق او مجاوزين له فما لهم لا يؤمنون بيوم القيمة واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون او لا يسجدون لتلاوته لما روى انه عليه الصلاة والسلام قرأ واسجد واقترب فسجد بمن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم فنزلت واحتج به ابو حنيفة رضي الله عنه على وجوب السجود فانه ذم لمن سمعه ولم يسجد وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها بل الذين كفروا يكذبون اى بالقرآن والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في صدورهم من الكفر والعداوة



فبشرهم بعذاب اليم استهزاء بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل والمراد من تاب وآمن منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او ممنون به عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطي كتابه من وراء ظهره سورة البروج مكية وايها ثنتان وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر شبهت بالقصور لانها تنزلها السيارات وتكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها اوابواب السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما احضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اي وشاهد ومشهود لايكتنه وصفهما او المبالغة في الكثرة كانه قيل ما افرطت كثرته من شاهد ومشهود او النبي وامته اوامته وسائر الامم او كل نبي وامته او الخالق والخلق او عكسه فان الخالق مطلع على خلقه وهو شاهد على وجوده او الملك الحفيظ والمكلف او يوم النحر او عرفة والحجيج اويوم الجمعة والجمع فانه يشهد له او كل يوم واهله قتل اصحاب الاخدود قيل انه جواب القسم على تقدير لقد قتل والاظهر انه دليل جواب محذوف كانه قيل انهم ملعونون يعني كفار مكة كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على اذاهم وتذكيرهم بما جرى على من قبلهم والاخدود الخد وهو الشق في الارض ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق روي مرفوعا ان ملكا كان له ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريقه راهب فمال قلبه اليه فرأى في طريقه ذات يوم حية قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان هذا الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي جليس للملك فأبرأه فسأله الملك عمن ابرأه فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فقده بالمنشار وارسل الغلام الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف فهلكوا ونجا واجلسه في سفينة ليغرق فدعا فانكفأت السفينة بمن معه فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فمات فآمن الناس فأمر باخاديد واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وعن علي رضي الله عنه ان بعض ملوك المجوس خطب بالناس وقال ان الله احل نكاح الاخوات فلم يقبلوه فامر باخاديد النار وطرح فيها من ابى وقيل لما تنصر نجران غزاهم ذو نواس اليهودي من حمير فأحرق في الاخاديد من لم يرتد النار بدل من الاخدود بدل الاشتمال ذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة ما يرتفع به لهبها واللام في الوقود للجنس اذ هم عليها على حافة النار قعود قاعدون وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه لم يقصر فيما امر به او يشهدون على ما يفعلون يوم القيمة حين يشهد عليهم السنتهم وايديهم وما نقموا وما انكروا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء على طريقة قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ووصفه بكونه عزيزا غالبا يخشى عقابه حميدا منعما يرجى ثوابه وقرن ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد للاشعار بما يستحق ان يؤمن به ويعبد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بلوهم بالاذى

فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ

ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق العذاب الزائد في الاحراق بفتنتهم وقيل المراد بالذين فتنوا اصحاب الاخدود خاصة وبعذاب الحريق ما روى ان النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير اذ الدنيا وما فيها تصغر دونه ان بطش ربك لشديد مضاعف عنفه فان البطش اخذ بعنف انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الخلق ويعيده او يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور لمن تاب الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك وقرئ ذي العرش صفة لربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود تام القدرة والحكمة وجره حمزة والكسائي صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد لا يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما من الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمعنى قد عرفت تكذيبهم للرسل وما حاق بهم فتسل واصبر على تكذيب قومك وحذرهم مثل ما اصابهم

بل الذين كفروا في تكذيب لا يرعوون عنه ومعنى الاضراب ان حالهم اعجب من حال هؤلاء فانهم سمعوا قصتهم ورأوا آثار هلاكهم وكذبوا اشد من تكذيبهم والله من ورائهم محيط لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط بل هو قرآن مجيد بل هذا الذي كذبوا به كتاب شريف وحيد في النظم والمعنى وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح محفوظ من التحريف وقرأ نافع محفوظ بالرفع على انه صفة للقرآن وقرئ في لوح وهو الهواء يعني ما فوق السماء السابعة الذي فيه اللوح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وعرفة يكون في الدنيا عشر حسنات سورة الطارق مكية وآيها سبع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق والكوكب البادي بالليل وهو في الاصل لسالك الطريق واختص عرفا بالآتي ليلا ثم استعمل للبادي فيه وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضيء كانه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه او الافلاك والمراد الجنس او معهود بالثقب وهو زحل عبر عنه اولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه

ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٨٦

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ

ان كل نفس لما عليها اى ان الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب فان هى المخففة واللام الفاصلة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما على انها بمعنى الا وان نافية والجملة على الوجهين جواب القسم فلينظر الانسان مم خلق لما ذكر ان كل نفس عليها حافظا اتبعه توصية الانسان بالنظر الى مبدئه ليعلم صحة اعادته فلا يملى على حافظه الا ما يسره فى عاقبته خلق من ماء دافق جواب الاستفهام وماء دافق بمعنى ذى دفق وهو صب فيه دفع والمراد الممتزج من الماءين فى الرحم لقوله يخرج من بين الصلب والترائب بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام صدرها ولو صح ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق ملتف بعضها بالبعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة فى توليدها ولذلك تشبهه ويسرع الافراط فى الجماع بالضعف فيه وله خليفة وهى النخاع وهو فى الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المنى فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه لغة رابعة وهى صالب انه على رجعه لقادر الضمير للخالق ويدل عليه خلق يوم تبلى السرائر تتعرف ويميز بين ما طاب من الضمائر وما خفى من الاعمال وما خبث منها وهو ظرف لرجعه فما له فما للانسان من قوة من منعة فى نفسه يمتنع بها ولا ناصر يمنعه والسماء ذات الرجع ترجع فى كل دورة الى الموضع الذى تتحرك منه وقيل الرجع المطر سمى به كما سمى اوبا لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا او لما قيل من ان السحاب يحمل الماء من البحار ثم يرجعه الى الارض وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب والارض ذات الصدع ما تتصدع عنه الارض من النبات او الشق بالنبات والعيون انه ان القرآن لقول فصل فاصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل فانه جد كله انهم يعنى اهل مكة يكيدون كيدا فى ابطاله واطفاء نوره واكيد كيدا وقابلهم بكيدى فى استدراجى لهم وانتقامى منهم بحيث لا يحتسبون فمهل الكافرين فلا تشتغل بالانتقام منهم او لا تستعجل باهلاكهم امهلهم رويدا امهالا يسيرا والتكرير وتغيير البنية لزيادة التسكين عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم فى السماء عشر حسنات سورة الاعلى مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى نزه اسمه عن الالحاد فيه بالتأويلات الزائغة واطلاقه على غيره زاعما انهما فيه سواء وذكره لا على وجه التعظيم وقرئ سبحان ربى الاعلى وفى الحديث لما نزل فسبح باسم ربك العظيم قال عليه الصلاة والسلام اجعلوها فى ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها فى سجودكم وكانوا يقولون فى الركوع اللهم لك ركعت وفى السجود اللهم لك سجدت الذى خلق فسوى خلق كل شئ فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتم معاشه

ٱلثَّاقِبُ ﴿٤﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٥﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٦﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٧﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٨﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٩﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿١٠﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١١﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١٢﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٤﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٥﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٦﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٧﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا

سُورَةُ الْأَعْلَىٰ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

٨٧

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى

والذی قدر اى قدر اجناس الاشياء وانواعها واشخاصها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى فوجهه الى افعاله طبعا او اختيارا بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات والذی اخرج المرعى انبت ما ترعاه الدواب فجعله بعد خضرته غثاء احوى يابسا اسود وقيل احوى حال من المرعى ای اخرجه احوى من شدة خضرته سنقرئك على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالهام القرآءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ مع انك امی ليكون ذلك اية اخرى لك مع ان الاخبار به عما يستقبل ووقوعه كذلك ايضا من الايات وقيل نهی والالف للفاصلة كقوله السبيلا الا ما شاء الله نسيانه بان تنسخ تلاوته وقيل المراد بالقلة والندرة لما روى انه عليه الصلاة والسلام اسقط اية فی قرآءته فی الصلاة فحسب ابی انها نسخت فسأله فقال نسيتها او نفی النسيان رأسا فان القلة تستعمل فی النفی انه يعلم الجهر وما يخفى ما ظهر من احوالكم وما بطن او جهرك بالقرآءة مع جبريل وما دعاك اليه من مخافة النسيان فيعلم ما فيه صلاحكم من ابقاء او انساء ونيسرك لليسرى ونعدك للطريقة اليسرى فی حفظ الوحی او التدين ونوفقك لها ولهذه النكتة قال تعالى نيسرك لا نيسر لك عطفا على سنقرئك وانه يعلم الجهر اعتراض فذكر بعد ما استتب لك الامر ان نفعت الذكرى لعل هذه الشرطية انما جاءت بعد تكرير التذكير وحصول اليأس من البعض لئلا يتعب نفسه ويتلهف عليهم كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار الآية او لذم المذكرين واستبعاد تأثير الذكرى فيهم او للاشعار بان التذكير انما يجب اذا ظن نفعه ولذلك امر بالاعراض عن من تولى سيذكر من يخشى سيتعظ وينتفع بها من يخشى الله تعالى فانه يتفكر فيها فيعلم حقيتها وهو يتناول العارف والمتردد ويتجنبها ويتجنب الذكرى الاشقى الكافر فانه اشقى من الفاسق او الاشقى من الكفرة لتوغله فی الكفر الذی يصلى النار الكبرى نار جهنم فانه عليه السلام قال ناركم هذه جزؤ من سبعين جزأ من نار جهنم او ما فی الدرك الاسفل منها ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه قد افلح من تزكى تطهر من الكفر والمعصية او تكثر من التقوى من الزكاء او تطهر للصلاة او ادى الزكاة وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى لقوله تعالى اقم الصلوة لذكری ويجوز ان يراد بالذكر تكبيرة التحريم وقيل تزكى تصدق للفطر وذكر اسم ربه كبره يوم العيد فصلى صلاته بل تؤثرون الحيوة الدنيا فلا تفعلون ما يسعدكم فی الاخرة والخطاب للاشقين على الالتفات او على اضمار قل او للكل فان السعی للدنيا اكثر فی الجملة وقرأ ابو عمرو بالياء والاخرة خير وابقى فان نعيمها ملذ بالذات خالص عن الغوائل لا انقطاع له ان هذا لفی الصحف الاولى الاشارة الى ما سبق من قد افلح فانه جامع امر الديانة وخلاصة الكتب المنزلة صحف ابرهيم وموسى بدل من الصحف الاولى قال عليه السلام من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابرهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام

قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سورة الغاشية مكية وهی ست وعشرون اية

سورة الغاشية مكية وآيها ست وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها يعني يوم القيمة او النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل ما تتعب فيه كجر السلاسل وخوضها في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلالها ووهادها او عملت ونصبت في اعمال لا تنفعها يومئذ تصلى نارا تدخلها وقرأ ابو عمرو ويعقوب وابو بكر تصلى من اصلاه الله وقرئ تصلى بالتشديد للمبالغة حامية متناهية في الحر تسقى من عين انية بلغت اناها في الحر ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا وقيل شجرة نارية تشبه الضريع ولعله طعام هؤلاء والزقوم والغسلين طعام غيرهم او المراد طعامهم مما يتحاماه الابل ويتحاماه لضره وعدم نفعه كما قال لا يسمن ولا يغني من جوع والمقصود من الطعام احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت ثوابه في جنة عالية علية المحل والقدر لا تسمع يا مخاطب او الوجوه وقرأ على بناء المفعول بالياء ابن كثير وابو عمرو ورويس والتاء نافع فيها لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الذكر والحكم فيها عين جارية يجري ماؤها ولا ينقطع والتنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة رفيعة السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة بين ايديهم ونمارق وسائد جمع نمرقة بالفتح والضم مصفوفة بعضها الى بعض وزرابي وبسط فاخرة جمع زربية مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون نظر اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا دالا على كمال قدرته وحسن تدبيره حيث خلقها لجر الاثقال الى البلاد النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة بالحمل منقادة لمن اقتادها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وترعى كل نابت وتحتمل العطش الى عشر فصاعدا ليتأتى لها قطع البراري والمفاوز مع ما لها من منافع اخر ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات المنبثة في الحيوانات التي هي اشرف المركبات واكثرها صنعا ولانها اعجب ما عند العرب من هذا النوع وقيل المراد بها السحاب على الاستعارة والى السماء كيف رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت فهي راسخة لا تميل والى الارض كيف سطحت بسطت حتى صارت مهادا وقرئ الافعال الاربعة على بناء الفاعل المتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون الى انواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحققوا كمال قدرة الخالق فلا ينكروا اقتداره على البعث ولذلك عقب به امر المعاد ورتب عليه الامر بالتذكير فقال فذكر انما انت مذكر فلا عليك ان لم ينظروا ولم يذكروا اذ ما عليك الا البلاغ لست عليهم بمصيطر بمسلط وعن الكسائي بالسين على الاصل وحمزة بالاشمام

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ٨٨

هَلْ اَتٰىكَ حَدِيْثُ الْغَاشِيَةِ (٢) وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٣) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٤) تَصْلٰى نَارًا حَامِيَةً (٥) تُسْقٰى مِنْ عَيْنٍ اٰنِيَةٍ (٦) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ اِلَّا مِنْ ضَرِيْعٍ (٧) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِيْ مِنْ جُوْعٍ (٨) وُجُوْهٌ يَّوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٩) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (١٠) فِيْ جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١١) لَّا تَسْمَعُ فِيْهَا لَاغِيَةً (١٢) فِيْهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٣) فِيْهَا سُرُرٌ مَّرْفُوْعَةٌ (١٤) وَّاَكْوَابٌ مَّوْضُوْعَةٌ (١٥) وَّنَمَارِقُ مَصْفُوْفَةٌ (١٦) وَّزَرَابِيُّ مَبْثُوْثَةٌ (١٧) اَفَلَا يَنْظُرُوْنَ اِلَى الْاِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٨) وَاِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٩) وَاِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (٢٠) وَاِلَى الْاَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢١) فَذَكِّرْ اِنَّمَا اَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢٢) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٣)

الا من تولى وكفر لكن من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر يعنى عذاب الاخرة وقيل متصل فان جهاد الكفار وقتلهم تسلط وكانه اوعدهم بالجهاد فى الدنيا وعذاب النار فى الاخرة وقيل هو استثناء من قوله فذكر اى فذكر الا من تولى واصر فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويؤيد الاول انه قرئ الا على التنبيه ان الينا ايابهم رجوعهم وقرئ بالتشديد على انه فيعال مصدر ايب فيعل من الاياب او فعال من الاوب قلبت واوه الاولى قلبها فى ديوان ثم الثانية للادغام ثم ان علينا حسابهم فى المحشر وتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فى الوعيد عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالصبح او فلقه كقوله والصبح اذا تنفس او بصلاته وليال عشر عشر ذى الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة او النحر او عشر رمضان الاخير وتنكيرها للتعظيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد بالعشر الايام والشفع والوتر والاشياء كلها

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

سورة الفجر مكية وهي ثلاثون آية

٨٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ

شفعها ووترها او والخلق كقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين والخالق لانه فرد ومن فسرهما بالعناصر والافلاك والبروج والسيارات او شفع الصلوات ووترها او بيومى النحر وعرفة وقد روى مرفوعا او بغيرها فلعله افرد بالذكر من انواع المدلول ما رآه اظهر دلالة على التوحيد او مدخلا فى الدين او مناسبة لما قبلها او اكثر منفعة موجبة للشكر وقرأ حمزة والكسائى والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر والليل اذا يسر اذا يمضى كقوله والليل اذ ادبر والتقييد بذلك لما فى التعاقب من قوة الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم صلى المقام وحذف الياء للاكتفاء بالكسرة تخفيفا وقد خصه نافع وابو عمرو بالوقف لمراعاة الفواصل ولم يحذفها ابن كثير ويعقوب اصلا وقرئ يسر بالتنوين المبدل من حرف الاطلاق هل فى ذلك القسم او المقسم به قسم حلف او محلوف به لذى حجر يعتبره ويؤكد به ما يريد تحقيقه والحجر العقل سمى به لانه يحجر عما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية وحصاة من الاحصاء وهو الضبط والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد يعنى اولاد عاد بن عوص بن ارم ابن سام بن نوح قوم هود سموا باسم ابيهم كما سمى بنو هاشم باسمه ارم عطف بيان لعاد على تقدير مضاف اى سبط ارم او اهل ارم ان صح انه اسم بلدتهم وقيل سمى اوائلهم وهم عاد الاولى باسم جدهم ومنع صرفه للعلمية والتأنيث ذات العماد ذات البناء الرفيع او القدود الطوال او الرفعة والثبات وقيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد فخلص الامر لشداد وملك المعمورة ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فبنى على مثالها فى بعض صحارى عدن جنة وسماها ارم فلما تمت سار اليها باهله فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها التى لم يخلق مثلها فى البلاد صفة اخرى لارم والضمير لها سواء جعلت اسم القبيلة او البلدة



وثمود الذين جابوا الصخر قطعوه واتخذوه منازل كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا بالواد وادى القرى وفرعون ذى الاوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا فى البلاد صفة للمذكورين عاد وثمود وفرعون او ذم منصوب او مرفوع فاكثروا فيها الفساد بالكفر والظلم فصب عليهم ربك سوط عذاب ما خلط لهم من انواع العذاب واصله الخلط وانما سمى به الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض وقيل شبه بالسوط ما احل بهم فى الدنيا اشعارا بانه بالقياس الى ما اعد لهم فى الاخرة من العذاب كالسوط اذا قيس الى السيف

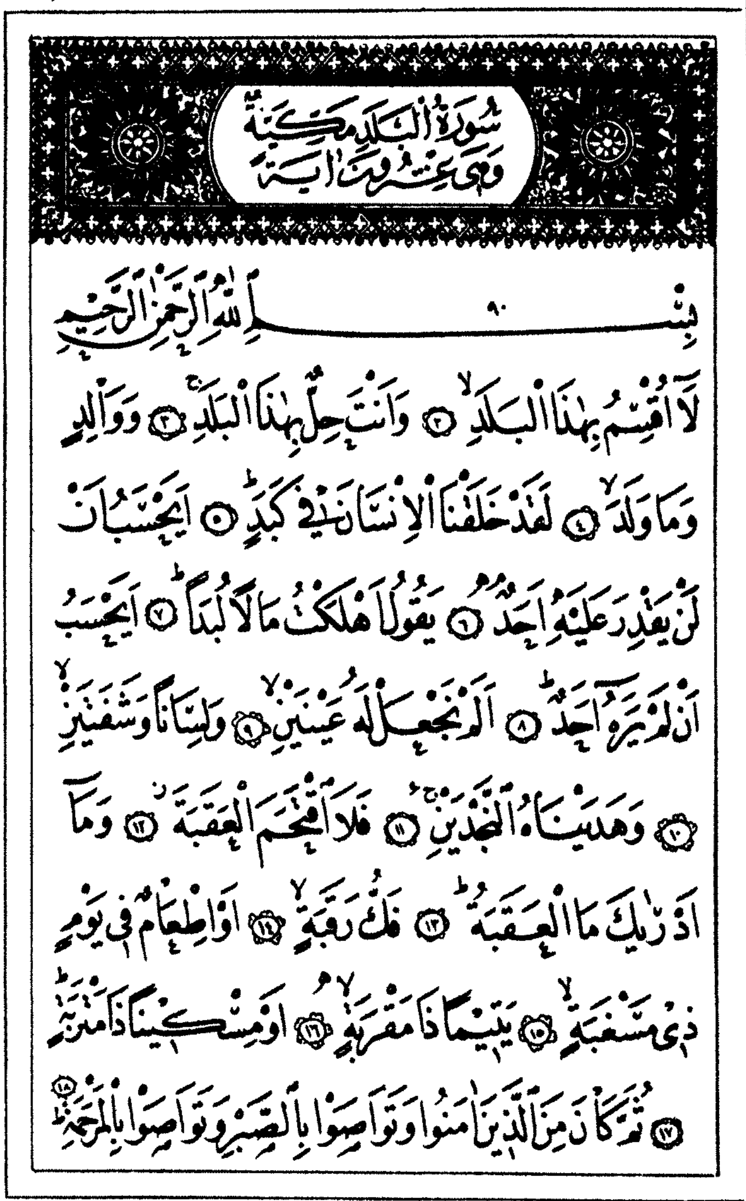
ان ربك لبالمرصاد المكان الذى يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهو تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب فاما الانسان متصل بقوله
ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل انه لبالمرصاد من الاخرة فلا يريد الا السعى لها فاما الانسان فلا يهمه الا الدنيا ولذاتها اذا ما ابتليه ربه اختبره بالغنى واليسر
فاكرمه ونعمه بالجاه والمال فيقول ربى اكرمن فضلنى بما اعطانى وهو خبر المبتدأ الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط فى تقدير
التأخير كأنه قيل فاما الانسان فقائل ربى اكرمنى وقت ابتلائه بالانعام وكذا قوله واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه اذ التقدير واما الانسان اذا ما ابتليه
اى بالفقر والتقتير ليوازن قسيمه فيقول ربى اهانن لقصور نظره وسوء فكره فان التقتير قد يؤدى الى كرامة الدارين اذ التوسعة قد تفضى الى قصد الاعداء
والانهماك فى حب الدنيا ولذلك ذمه على قوليه وردعه بقوله كلا مع ان قوله الاول مطابق لاكرمه ولم يقل فاهانه وقدر عليه كما قال فاكرمه ونعمه ولان

لِبَالْمِرْصَادِ ۝١٤ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ۝١٦ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝١٨ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ۝٢٣ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۝٢٤ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ۝٢٦ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ۝٢٨ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي ۝٣٠

التوسعة تفضل والاخلال به لا يكون اهانة وقرأ ابن عامر والكوفيون
اكرمن واهانن بغير ياء فى الوصل والوقف وعن ابى عمرو مثله ووافقهم
نافع فى الوقف وقرأ ابن عامر فقدر بالتشديد بل لا تكرمون اليتيم
ولا تحضون على طعام المسكين اى بل فعلهم اسوأ من قولهم وادل على
تهالكهم بالمال وهو انهم لا يكرمون اليتيم بالتفقد والمبرة ولا يحثون
اهلهم على طعام المسكين فضلا عن غيرهم وقرأ الكوفيون ولا تحاضون
وتأكلون التراث الميراث واصله وراث اكلا لما ذا لم اى جمع بين الحلال
والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون انصباءهم او يأكلون
ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا
مع حرص وشره قرأ ابو عمرو وسهل ويعقوب لا يكرمون الى ويحبون بالياء
والباقون بالتاء كلا ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم وما بعده وعيد
عليه اذا دكت الارض دكا دكا دكا بعد دك حتى صارت منخفضة الجبال
والتلال او هباء منبثا وجاء ربك اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل
ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من آثار هيبته وسياسته والملك
صفا صفا بحسب منازلهم ومراتبهم وجئ يومئذ بجهنم كقوله وبرزت
الجحيم وفى الحديث يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون
الف ملك يجرونها يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما يتذكر الانسان
اى يتذكر معاصيه او يتعظ لانه يعلم قبحها فيندم عليها وانى له الذكرى
اى منفعة الذكرى لئلا يناقض ما قبله واستدل به على عدم وجوب قبول التوبة
فان هذا التذكر توبة غير مقبولة يقول يا ليتنى قدمت لحياتى اى لحياتى هذه
او وقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة وليس فى هذا التمنى دلالة على استقلال العبد
بفعله فان المحجور عن الشئ قد يتمنى ان كان متمكنا منه فيومئذ لا يعذب عذابه احد
ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله ووثاقه يوم القيمة سواه
اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب باحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما

الكسائى ويعقوب على بناء المفعول يا ايتها النفس المطمئنة على ارادة القول وهى التى اطمأنت بذكر الله فان النفس تترقى فى سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته
فتستقر دون معرفته وتستغنى به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وقد قرئ بها ارجعى الى ربك الى امره او موعده بالموت
ويشعر ذلك بقول من قال كانت النفوس قبل الابدان موجودة فى عالم القدس او بالبعث راضية بما اوتيت مرضية عند الله فادخلى فى عبادى فى جملة عبادى
الصالحين وادخلى جنتى معهم او فى زمرة المقربين فتستضئ بنورهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة او ادخلى فى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى
دار ثوابى التى اعددت لك عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

سورة البلد مكية وآيها عشرون بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وقيده بحلوله عليه السلام فيه اظهارا لمزيد فضله واشعارا بان شرف المكان بشرف اهله وقيل حل مستحل تعرضك فيه كما يستحل تعرض الصيد في غيره او حلال لك ان تفعل فيه ما تريد ساعة من النهار فهو وعد بما احل له عام الفتح ووالد عطف على هذا البلد والوالد آدم او ابراهيم وما ولد ذريته او محمد صلى الله عليه وسلم والتنكير للتعظيم وايثار ما على من لمعنى التعجب كما في قوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد تعب ومشقة من كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده ومنه المكابدة والانسان لا يزال في شدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده وهو تسلية للرسول عليه الصلاة والسلام مما كان يكابده من قريش والضمير في ايحسب لبعضهم الذى كان يكابد منه اكثر او يغتر بقوته كابي الاشد بن كلدة فانه كان يبسط تحت قدمه اديم عكاظي ويجذبه عشرة فينقطع ولا يزل قدماه او لكل احد منهم او للانسان ان لن



نقدر عليه احد فينتقم منه يقول اى في ذلك الوقت اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشئ اذا اجتمع والمراد ما انفقه سمعة ومفاخرة او معاداة للرسول ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق او بعد ذلك فيسأله عنه يعنى ان الله يراه فيجازيه او يجده فيحاسبه عليه ثم قرر ذلك بقوله الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها وهديناه النجدين طريقى الخير والشر او الثديين واصله المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة اى فلم يشكر تلك الايادى باقتحام العقبة وهو الدخول في امر شديد والعقبة الطريق في الجبل استعارها لما فسرها به من الفك والاطعام وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة لما فيهما من مجاهدة النفس ولتعدد المراد بها حسن وقوع لا موقع لم فانها لا تكاد تقع في الماضى الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا افتقر وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض معناه انك لم تدرك صعوبتها وثوابها ثم كان من الذين امنوا عطف على اقتحم او فك بثم لتباعد الايمان عن العتق والاطعام في الرتبة لاستقلاله واشتراط سائر الطاعات به وتواصوا بالصبر واوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات رحمة الله

اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن والذين كفروا باياتنا بما نصبناه دليلا على حق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشئمة الشمال او الشؤم وتكرير ذكر المؤمنين باسم الاشارة والكفار بالضمير شان لا يخفى عليهم نار موصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته واغلقته وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة من آصدته عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله تعالى الامان من غضبه يوم القيمة سورة الشمس مكية وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها وضوئها اذا اشرقت وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكاد ينتصف والقمر اذا تليها تلا طلوعه طلوع الشمس اول الشهر او غروبها ليلة البدر او في الاستدارة وكمال النور والنهار اذا جليها جلى الشمس فانها تتجلى اذا انبسط النهار او الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر ذكرها للعلم بها والليل اذا يغشيها يغشى الشمس فيغطي ضوءها او الافاق او الارض ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الاولى القسمية الجارة بنفسها النائبة مناب فعل القسم من حيث استلزمت طرحه معها ربطن المجرورات والظرف بالمجرور والظرف المتقدمين ربط الواو بما بعدها في قولك ضرب زيد عمرا وبكر خالدا على الفاعل والمفعول من غير عطف على عاملين مختلفين والسماء وما بنيها ومن بناها وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والشئ القادر الذي بناها ودل على وجوده وكمال قدرته بناؤها ولذلك افرد ذكره وكذا الكلام في قوله والارض وما طحيها ونفس وما سويها وجعل الماآت مصدرية يجرد الفعل عن الفاعل ويخل بنظم قوله فالهمها فجورها وتقويها بقوله وما سويها الا ان يضمر فيها اسم الله للعلم به وتنكير نفس للتكثير كما في قوله علمت نفس او للتعظيم والمراد نفس آدم والهام الفجور والتقوى افهامهما وتعريف حالهما والتمكين من الاتيان بهما قد افلح من زكيها انماها بالعلم والعمل جواب القسم وحذف اللام للطول وكأنه لما اراد به الحث على تكميل النفس والمبالغة فيه اقسم عليه بما يدلهم على العلم بوجود الصانع ووجوب ذاته وكمال صفاته الذي هو اقصى درجات القوة النظرية ويذكرهم عظائم آلائه ليحملهم على الاستغراق في شكر نعمائه الذي هو منتهى كمالات القوة العملية وقيل استطراد بذكر بعض احوال النفس والجواب محذوف تقديره ليدمدمن الله على كفار مكة لتكذيبهم رسوله كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا وقد خاب من دسيها نقصها واخفاها بالجهالة والفسوق واصل دسى دسس كتقضى وتقضض كذبت ثمود بطغويها بسبب طغيانها او بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية واصله طغياها وانما قلبت ياؤه واوا تفرقة بين الاسم والصفة وقرئ بالضم كالرجعى اذ انبعث حين قام ظرف لكذبت او طغوى اشقيها اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن مالأه على قتل الناقة فان افعل التفضيل اذا اضفته صلح للواحد والجمع وفضل شقاوتهم لتوليهم العقر فقال لهم رسول الله ناقة الله اي ذروا ناقة الله واحذروا عقرها وسقيها فلا تذودوها عنها

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾

سورة الشمس مكية وهي خمس عشرة آية

٩١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾

فكذبوه فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا فعقروها فدمدم عليهم ربهم فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسببه فسويها فسوى الدمدمة بينهم او عليهم فلم يفلت منها صغير ولا كبير او ثمود بالاهلاك ولا يخاف عقبيها اى عاقبة الدمدمة او عاقبة هلاك ثمود وتبعتها فيبقى بعض الابقاء والواو للحال وقرأ نافع وابن عامر فلا على العطف عن النبى عليه السلام من قرأ سورة والشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر سورة الليل مكية وآيها احدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اى يغشى الشمس او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين بطلوع الشمس وما خلق الذكر والانثى والقادر الذى خلق صنفى الذكر والانثى من كل نوع له توالد او آدم وحواء وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى ان مساعيكم لاسباب مختلفة لشتى جمع شتيت فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى تفصيل مبين لتشتت المساعى والمعنى من اعطى الطاعة واتقى المعصية وصدق بالكلمة الحسنى وهى ما دلت على حق كلمة التوحيد فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخلة التى تؤدى الى يسر وراحة كدخول الجنة من يسر الفرس اذا هيأه للركوب بالسرج واللجام واما من بخل بما امر به واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم العقبى وكذب بالحسنى بانكار مدلولها فسنيسره للعسرى للخلة المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار وما يغنى عنه ماله نفى او استفهام انكار اذا تردى هلك تفعل من الردى او تردى فى حفرة القبر او قعر جهنم ان علينا للهدى للارشاد الى الحق بموجب قضائنا او بمقتضى حكمتنا او ان علينا طريقة الهدى كقوله وعلى الله قصد السبيل وان لنا للاخرة والاولى فنعطى فى الدارين ما نشاء لمن نشاء او ثواب الهداية للمهتدين او فلا يضرنا ترككم الاهتداء فانذرتكم نارا تلظى تتلهب لا يصليها لا يلزمها مقاسيا شدتها

فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴿١٥﴾ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٦﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٧﴾

سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ إِحْدَىٰ وَعِشْرُونَ آيَةً

٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٣﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٤﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٧﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿١٠﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١١﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١٢﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٤﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٥﴾ لَا يَصْلَاهَا

الا الأشقى الا الكافر فان الفاسق وان دخلها لم يلزمها ولذلك سماه اشقى ووصفه بقوله الذى كذب وتولى اى كذب الحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها الأتقى الذى اتقى الشرك والمعاصى فانه لا يدخلها فضلا ان يدخلها ويصليها ومفهوم ذلك ان من اتقى الشرك دون المعصية لا يجنبها ولا يلزم ذلك صليها فلا يخالف الحصر السابق الذى يؤتى ماله يصرفه فى مصارف الخير لقوله يتزكى فانه بدل من يؤتى او حال من فاعله وما لاحد عنده من نعمة تجزى فيقصد بايتائه مجازاتها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع او متصل من محذوف مثل لا يؤتى الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة ولسوف يرضى وعد بالثواب الذى يرضيه والايات نزلت فى ابى بكر حين اشترى بلالا فى جماعة تولاهم المشركون فاعتقهم ولذلك قيل المراد بالاشقى ابو جهل وأمية بن خلف قال عليه السلام من قرأ سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر سورة والضحى مكية وآيها احدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والضحى ووقت ارتفاع الشمس وتخصيصه لان النهار يقوى فيه اولان فيه كلم موسى ربه او القى السحرة سجدا او النهار ويؤيده قوله ان يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اذا سجى سكن اهله او ركد ظلامه من سجا البحر سجوا اذا سكنت امواجه وتقديم الليل فى السورة المتقدمة باعتبار الاصل وتقديم النهار ههنا باعتبار الشرف ما ودعك ربك ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف بمعنى ما تركك وهو جواب القسم وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول استغناء بذكره من قبل ومراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر عنه اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا اولان جروا ميتا كان تحت سريره اولغيره فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وللآخرة خير لك من الاولى فانها باقية خالصة عن الشوائب وهذه فانية مشوبة بالمضار كأنه لما بين انه تعالى لا يزال يواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا وعد له ما هو أعلى واجل من ذلك فى الآخرة او ولنهاية امرك خير من بدايته فانه لا يزال يتصاعد فى الرفعة والكمال ولسوف يعطيك ربك فترضى وعد شامل لما اعطاه من كمال النفس وظهور الامر واعلاء الدين ولما ادخر له مما لا يعرف كنهه سواه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ والتقدير ولأنت سوف يعطيك لا للقسم فانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على ان العطاء كائن لا محالة وان تأخر لحكمة الم يجدك يتيما فاوى تعديد لما انعم عليه تنبيها على انه كما احسن اليه فيما مضى يحسن اليه فيما يستقبل ويجدك من الوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله الثانى او المصادفة ويتيما حال ووجدك ضالا عن علم الحكم والاحكام فهدى فعلمك بالوحى والالهام والتوفيق للنظر وقيل وجدك ضالا فى الطريق حين خرج بك ابو طالب الى الشام او حين فطمتك حليمة وجاءت بك لتردك على جدك فأزال ضلالك عن عمك او جدك ووجدك عائلا فقيرا ذا عيال فاغنى بما حصل لك من ربح التجارة فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلب على ماله لضعفه وقرئ فلا تكهر اى فلا تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجر واما بنعمة ربك فحدث فان التحدث بها شكرها وقيل المراد بالنعمة النبوة والتحدث بها تبليغها قال عليه السلام من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وكتب له عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

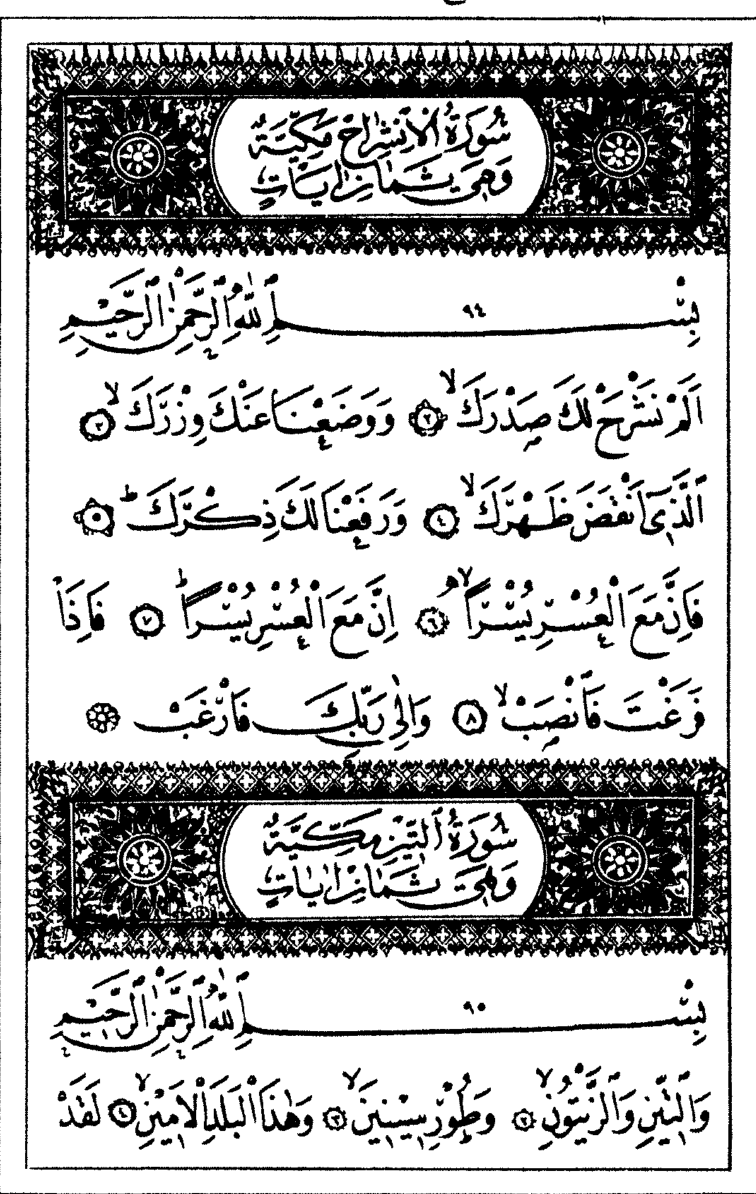
الا الاشقى ﴿١٥﴾ الذى كذب وتولى ﴿١٦﴾ وسيجنبها الاتقى ﴿١٧﴾ الذى يؤتى ماله يتزكى ﴿١٨﴾ وما لاحد عنده من نعمة تجزى ﴿١٩﴾ الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ﴿٢٠﴾ ولسوف يرضى ﴿٢١﴾

سورة الضحى مكية وهى احدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والضحى ﴿١﴾ والليل اذا سجى ﴿٢﴾ ما ودعك ربك وما قلى ﴿٣﴾ وللآخرة خير لك من الاولى ﴿٤﴾ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴿٥﴾ الم يجدك يتيما فاوى ﴿٦﴾ ووجدك ضالا فهدى ﴿٧﴾ ووجدك عائلا فاغنى ﴿٨﴾ فاما اليتيم فلا تقهر ﴿٩﴾ واما السائل فلا تنهر ﴿١٠﴾ واما بنعمة ربك فحدث ﴿١١﴾

سورة الم نشرح مكية وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك ألم نفسحه حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا اوألم نفسحه بما اودعنا فيه من الحكم وأزلنا عنه ضيق الجهل اوبما يسرنا لك تلقى الوحى بعد ما كان يشق عليك وقيل انه اشارة الى ما روى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صباه اويوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله اشارة الى نحو ما سبق ومعنى الاستفهام انكار نفى الانشراح مبالغة فى اثباته ولذلك عطف عليه ووضعنا عنك وزرك عبأك الثقيل الذى انقض ظهرك الذى حمله على النقيض وهو صوت الرحل عند الانتقاض من ثقل الحمل وهو ما ثقل عليه من فرطاته قبل البعثة اوجهله بالحكم والاحكام اوحيرته اوتلقى الوحى اوما كان يرى من ضلال قومه مع العجز عن ارشادهم اومن اصرارهم وتعديهم فى ايذائه حين دعاهم الى الايمان ورفعنا لك ذكرك بالنبوة وغيرها واى رفع مثل ان قرن اسمه باسمه فى كلمتى الشهادة وجعل طاعته طاعته وصلى عليه فى ملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وخاطبه بالألقاب



وانما زاد لك ليكون ابهاما قبل ايضاح فيفيد المبالغة فان مع العسر كضيق الصدر والوزر المنقض للظهر وضلال القوم وايذائهم يسرا كالشرح والوضع والتوفيق للاهتداء والطاعة فلا تيأس من روح الله اذا عراك ما يغمك وتنكيره للتعظيم والمعنى بما فى ان مع من المصاحبة المبالغة فى معاقبة اليسر العسر واتصاله به اتصال المتقارنين ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد اواستئناف وعدة بان العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الاخرة كقولك ان للصائم فرحتين اى فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام لن يغلب عسر يسرين فان العسر معرف فلا يتعدد سواء كان للعهد اوالجنس ويسرا منكر فيحتمل ان يراد بالثانى فرد يغاير ما اريد بالاول فاذا فرغت من التبليغ فانصب فاتعب بالعبادة شكرا لما عددنا عليك من النعم السابقة ووعدنا بالنعم الآتية وقيل فاذا فرغت من الغزو فانصب فى العبادة اوفاذا فرغت من الصلاة فانصب بالدعاء والى ربك فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر وحده على اسعافه وقرئ فرغب اى رغب الناس الى طلب ثوابه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الم نشرح فكأنما جاءنى وانا مغتم ففرج عنى سورة والتين مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون خصهما من بين الثمار بالقسم لان التين فاكهة طيبة لا فضل لها وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فانه يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل رمل المثانة ويفتح سدة الكبد والطحال ويسمن البدن وفى الحديث انه يقطع البواسير وينفع من النقرس والزيتون فاكهة وادام ودواء وله دهن لطيف كثير المنافع مع انه قد ينبت حيث لا دهنية فيه كالجبال وقيل المراد بهما جبلان من الارض المقدسة اومسجدا دمشق وبيت المقدس اوالبلدان وطور سينين يعنى الجبل الذى ناجى عليه موسى عليه السلام ربه وسينين وسيناء اسمان للموضع الذى فيه وهذا البلد الامين اى الآمن من امن الرجل امانة فهو امين اوالمأمون فيه يأمن فيه من دخله والمراد به مكة

لقد خلقنا الانسان يريد به الجنس فى احسن تقويم تعديل بان خص بانتصاب القامة وحسن الصورة واستجماع خواص الكائنات ونظائر سائر الممكنات ثم رددناه اسفل سافلين بان جعلناه من اهل النار او الى اسفل سافلين وهو النار وقيل هو ارذل العمر فيكون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات منقطعا فلهم اجر غير ممنون لا ينقطع او لا يمن به عليهم وهو على الاول حكم مرتب على الاستثناء مقرر له فما يكذبك اى فاى شئ يكذبك يا محمد دلالة او نطقا بعد بالدين بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل وقيل ما بمعنى من وقيل الخطاب للانسان على الالتفات والمعنى فما الذى يحملك على هذا الكذب اليس الله باحكم الحاكمين تحقيق لما سبق والمعنى اليس الذى فعل ذلك من الخلق والرد باحكم الحاكمين صنعا وتدبيرا ومن كان كذلك كان قادرا على الاعادة والجزاء على ما مر مرارا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله العافية واليقين ما دام حيا فاذا مات اعطاه من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة سورة العلق مكية وآيها تسع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم

خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ٥ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ٨

سُورَةُ الْعَلَقِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

٩٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَىٰ ٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَىٰ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ١٢

اقرأ باسم ربك اى اقرأ القرآن مفتتحا باسمه او مستعينا به الذى خلق اى الذى له الخلق او الذى خلق كل شئ ثم افرد ما هو اشرف واظهر صنعا وتدبيرا وادل على وجوب العبادة المقصودة من القراءة فقال خلق الانسان او الذى خلق الانسان فأبهم اولا ثم فسر تفخيما لخلقه ودلالة على عجيب فطرته من علق جمعه لان الانسان فى معنى الجمع ولما كان اول الواجبات معرفة الله تعالى نزل اولا ما يدل على وجوده وفرط قدرته وكمال حكمته اقرأ تكرير للمبالغة او الاول مطلق والثانى للتبليغ او فى الصلوة ولعله لما قيل له اقرأ باسم ربك فقال ما انا بقارئ فقيل له اقرأ وربك الاكرم الزائد فى الكرم على كل كريم فانه ينعم بلا غرض ويحلم من غير تخوف بل هو الكريم وحده على الحقيقة الذى علم بالقلم اى الخط بالقلم وقد قرئ به ليقيد بها العلوم ويعلم بها البعيد علم الانسان ما لم يعلم بخلق القوى ونصب الدلائل وانزال الايات فيعلمك القراءة وان لم تكن قارئا وقد عدد سبحانه مبدأ امر الانسان ومنتهاه اظهارا لما انعم عليه من ان نقله من اخس المراتب الى اعلاها تقريرا لربوبيته وتحقيقا لاكرميته واشار اولا الى ما يدل على معرفته عقلا ثم نبه على ما يدل سمعا كلا ردع لمن كفر بنعمة الله لطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان الانسان ليطغى ان راه استغنى اى رأى نفسه واستغنى مفعوله الثانى لانه بمعنى علم ولذلك جاز ان يكون فاعله ومفعوله ضميرين لواحد ان الى ربك الرجعى الخطاب للانسان على الالتفات تهديدا وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى ارايت الذى ينهى عبدا اذا صلى نزلت فى ابى جهل قال لو رأيت محمدا ساجدا لوطئت عنقه فجاء ثم نكص على عقبيه فقيل له ما لك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره للمبالغة فى تقبيح النهى والدلالة على كمال عبودية المنهى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير للاول وكذا الذى فى قوله

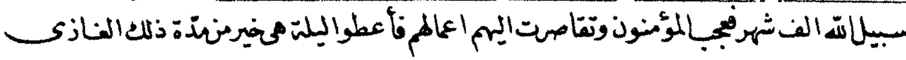
ارأيت ان كذب وتولى الم يعلم بان الله يرى والشرطية مفعولها الثانى وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب الشرط الثانى الواقع موقع القسيم له والمعنى اخبرنى عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه اوآمرا بتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما يقول الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقيل المعنى ارأيت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متولى فما اعجب من ذا وقيل الخطاب فى الثانية مع الكافر فانه تعالى كالحاكم الذى حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والآخر اخرى وكأنه قال ويا كافر اخبرنى ان كان صلاته هدى ودعاؤه الى الله امرا بالتقوى أتنهاه ولعله ذكر الامر بالتقوى فى التعجب والتوبيخ ولم يتعرض له فى النهى لان النهى كان عن الصلاة والامر فاقتصر على ذكر الصلاة لانه دعوة بالفعل ولان نهى العبد اذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة احوالها محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وغيره بالدعوة كلا ردع للناهى لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة وقرئ لنسفعن بنون مشددة ولأسفعن وكتبته فى المصحف بالالف على حكم الوقف والاكتفاء باللام عن الاضافة للعلم بان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل من الناصية وانما جاز لوصفها وقرئت بالرفع على هى ناصية والنصب على الذم ووصفها بالكذب والخطأ وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة فليدع ناديه اى اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذى ينتدى فيه القوم روى ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار وهى فى الاصل الشرط واحدها زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع او زبنى على النسبة واصلها زبانى والتاء معوضة عن الياء كلا ردع ايضا للناهى لا تطعه واثبت انت على طاعتك واسجد ودم على سجودك واقترب وتقرب الى ربك وفى الحديث اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطى من الاجر كانما قرأ المفصل كله سورة القدر مختلف فيها وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه فى ليلة القدر الضمير للقرآن فخمه باضماره من غير ذكر شهادة له بالنباهة المغنية عن التصريح كما عظمه بان اسند انزاله اليه وعظم الوقت الذى انزل فيه بقوله وما ادريك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر وانزاله فيها بان ابتدأ بانزاله فيها او انزله جملة من اللوح الى السماء الدنيا على السفرة ثم كان جبريل ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وقيل المعنى انزلناه فى فضلها وهى فى اوتار العشر الاواخر من شهر رمضان ولعلها السابعة منها والداعى الى اخفائها ان يحيى من يريدها ليالى كثيرة وتسميتها بذلك لشرفها او لتقدير الامور فيها كقوله فيها يفرق كل امر حكيم وذكر الالف اما للتكثير او لما روى انه عليه الصلاة والسلام ذكر اسرائيليا لبس السلاح فى سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون وتقاصرت اليهم اعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٥﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٨﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٩﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۩

سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ٩٧

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٣﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٤﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٥﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ





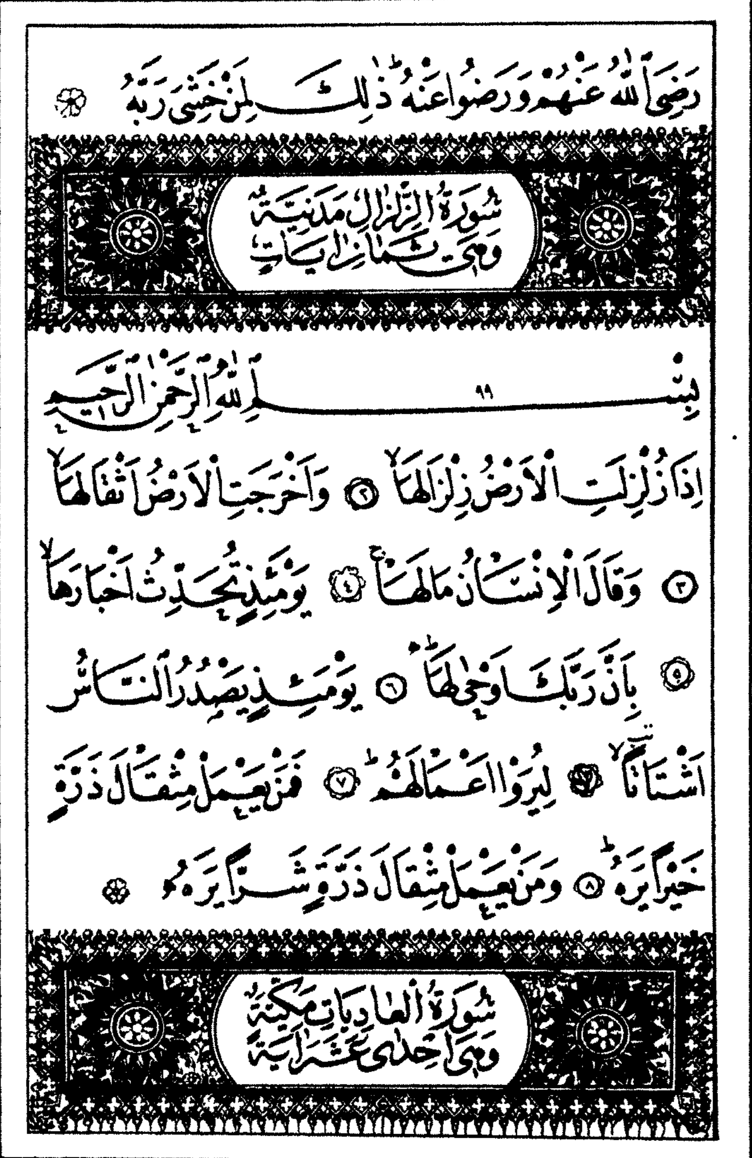
تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما له فضلت على الف شهر وتنزلهم الى الارض والسماء الدنيا اوتقربهم الى المؤمنين من كل امر من اجل كل امر قدر فى تلك السنة وقرئ من كل امرئ اى من اجل كل انسان سلام هى اى ماهى الاسلامة اى لايقدر الله فيها الا السلامة ويقضى فى غيرها السلامة والبلاء اوماهى الاسلام لكثرة مايسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اى وقت مطلعه اى طلوعه وقرأ الكسائى بالكسر على انه كالمرجع اواسم زمان على غير قياس كالمشرق عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة القدر اعطى من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر سورة البينة مختلف فيها وآيها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اى اليهود والنصارى فانهم كفروا بالالحاد فى صفات الله ومن للتبيين والمشركين وعبدة الاصنام منفكين عما كانوا عليه من دينهم اوالوعد باتباع الحق اذا جاءهم الرسول حتى تاتيهم البينة الرسول او القرآن فانه مبين للحق اومعجزة الرسول باخلاقه والقرآن بافحامه من تحدى به رسول من الله بدل من البينة بنفسه اوبتقدير مضاف اومبتدأ يتلو صحفا مطهرة صفته اوخبره والرسول وان كان اميا لكنه لما تلا مثل ما فى الصحف كان كالتالى لها وقيل المراد جبرائيل وكون الصحف مطهرة ان الباطل لاياتى ما فيها اوانها لايمسها الا المطهرون فيها كتب قيمة مكتوبات مستقيمة ناطقة بالحق وما تفرق الذين اوتوا الكتاب عما كانوا عليه بان آمن بعضهم اوتردد فى دينه اوعن وعدهم بالاصرار على الكفر الا من بعد ما جاءتهم البينة فيكون كقوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وافراد اهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وانهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك اولى وما امروا اى فى كتبهم بما فيها الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين لايشركون به حنفاء مائلين عن العقائد الزائغة ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولكنهم حرفوه وعصوا وذلك دين القيمة دين الملة القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها اى يوم القيمة اوفى الحال بملابستهم مايوجب ذلك واشتراك الفريقين فى جنس العذاب لايوجب اشتراكهما فى نوعه فلعله يختلف لتفاوت كفرهما اولئك هم شر البرية اى الخليقة وقرأ نافع وابن ذكوان بالبريئة بالهمز على الاصل فى الموضعين ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فيه مبالغات تقديم المدح وذكر الجزاء المؤذن بان مامنحوا فى مقابلة ما وصفوا به والحكم عليه بانه من عند ربهم وجمع جنات وتقييدها اضافة ووصفا بما يزداد لها نعيما وتأكيد الخلود بالتأبيد

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ٩٨

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوا الزَّكٰوةَ وَذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا

حزب

رضي الله عنهم استئناف بما يكون لهم زيادة على جزائهم ورضوا عنه لانه بلغهم اقصى امانيهم ذلك اى المذكور من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية ملاك الامر والباعث على كل خير عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مبيتا ومقيلا سورة الزلزلة مختلف فيها وآيها تسع بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها اضطرابها المقدر لها عند النفخة الاولى او الثانية او الممكن لها او اللائق بها في الحكمة وقرئ بالفتح وهو اسم الحركة وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف واخرجت الارض اثقالها ما في جوفها من الدفائن والاموات جمع ثقل وهو متاع البيت وقال الانسان مالها لما يبهرهم من الامر الفظيع وقيل المراد بالانسان الكافر فان المؤمن يعلم مالها يومئذ تحدث اخبارها تحدث الخلق بلسان الحال اخبارها ما لاجله زلزالها واخراجها وقيل ينطقها الله فتخبر بما عمل عليها ويومئذ بدل من اذا وناصبها تحدث او اصل واذا منتصب بمضمر بان ربك اوحى لها اى تحدث بسبب ايحاء ربك لها بان احدث فيها ما دلت على الاخبار او انطقها بها ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها اذ يقال حدثته كذا وبكذا واللام بمعنى الى او على اصلها اذ لها في ذلك تشفي من العصاة يومئذ يصدر الناس عن مخارجهم من القبور الى الموقف اشتاتا متفرقين بحسب مراتبهم ليروا اعمالهم جزاء اعمالهم وقرئ بفتح الياء فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره تفصيل ليروا ولذلك قرئ يره بالضم ولعل حسنة الكافر وسيئة المجتنب عن الكبائر تؤثران في نقص الثواب والعقاب وقيل الاية مشروطة بعدم الاحباط والمغفرة او من الاولى مخصوصة بالسعداء والثانية بالاشقياء لقوله اشتاتا والذرة النملة الصغيرة او الهباء عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله


رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝

سُورَةُ الزِّلْزَالِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨

سُورَةُ الْعَادِيَاتِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ آيَةً

سورة العاديات مختلف فيها وآيها احدى عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح ضبحا وهو صوت انفاسها عند العدو ونصبه بفعله المحذوف او بالعاديات فانها تدل بالالتزام على الضابحات وضبحا حال بمعنى ضابحة فالموريات قدحا فالتي تورى النار والايراء اخراج النار يقال قدح الزند فاورى فالمغيرات يغير اهلها على العدو صبحا اى في وقته فاثرن به فهيجن بذلك الوقت نقعا غبارا او صياحا فوسطن به فتوسطن بذلك الوقت او بالعدو او بالنقع اى ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء روى انه عليه الصلاة والسلام بعث خيلا فمضى شهر لم يأته منهم خبر فنزلت ويحتمل ان يكون القسم بالنفوس العادية اثر كمالهن الموريات بافكارهن انوار المعارف المغيرات على الهوى والعادات اذا ظهر لهن مبدأ انوار القدس فاثرن به شوقا فوسطن به جمعا من جموع العليين ان الانسان لربه لكنود لكفور من كند النعمة كنودا او لعاص بلغة كندة او لبخيل بلغة بنى مالك وهو جواب القسم وانه على ذلك وان الانسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه لظهور اثره عليه او ان الله على كنوده لشهيد فيكون وعيدا وانه لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك خيرا لشديد لبخيل او لقوى مبالغ فيه افلا يعلم اذا بعثر بعث ما في القبور من الموتى وقرئ بحثر وبحث وحصل جمع محصلا في الصحف او ميز ما في الصدور من خير او شر وتخصيصه لانه الاصل ان ربهم بهم يومئذ يوم القيمة لخبير عالم بما اعلنوا وما اسروا فيجازيهم وانما قال ما ثم قال بهم لاختلاف شأنهم في الحالين وقرئ ان وخبير بلا لام عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا سورة القارعة مكية وآيها عشر بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة وما ادريك ما القارعة سبق بيانه في الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث في كثرتهم وذلتهم وانتشارهم واضطرابهم وانتصاب يوم بمضمر دلت عليه القارعة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ١٠٠

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سورة القارعة مكية وهي احدى عشرة آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ١٠١

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ

وتكون الجبال كالعهن كالصوف ذي الالوان المنفوش المندوف لتفرق اجزائها وتطايرها في الجو فاما من ثقلت موازينه بان ترجحت مقادير انواع حسناته فهو في عيشة راضية ذات رضى او مرضية واما من خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعبأ بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه هاوية فمأواه النار والهاوية من اسمائها ولذلك قال وما ادريك ماهيه نار حامية ذات حمى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة سورة التكاثر مختلف فيها وايها ثمان بسم الله الرحمن الرحيم الهيكم شغلكم واصله الصرف الى اللهو منقول من لهى اذا غفل التكاثر التباهي بالكثرة حتى زرتم المقابر اذا استوعبتم عدد الاحياء صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات عبر عن انتقالهم الى ذكر الموتى بزيارة المقابر روي ان عبد مناف وبني سهم تفاخروا بالكثرة فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم ان البغي اهلكنا في الجاهلية فعادّونا بالاحياء والاموات فكثرهم بنو سهم وانما حذف الملهى عنه وهو ما يعنيهم من امر الدين للتعظيم والمبالغة وقيل معناه الهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا عما هو اهم لكم وهو السعي لاخراكم فيكون زيارة القبور عبارة عن الموت كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان لا يكون جميع همه ومعظم سعيه للدنيا فان عاقبة ذلك وبال وحسرة سوف تعلمون خطأ رأيكم اذا عاينتم ما وراءكم وهو انذار ليخافوا ويتنبهوا من غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول او الاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اى لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اى كعلمكم ما تستيقنونه لشغلكم ذلك عن غيره او لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل ولا يجوز ان يكون قوله لترون الجحيم جوابا له لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف اكد به الوعيد واوضح به ما انذرهم منه بعد ابهامه تفخيما ثم لترونها تكرير للتأكيد او الاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى المعرفة وبالثانية الابصار عين اليقين اى الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذي الهاكم والخطاب مخصوص بكل من الهاه دنياه عن دينه والنعيم مخصوص بما يشغله للقرينة والنصوص الكثيرة كقوله قل من حرم زينة الله كلوا من الطيبات وقيل يعمان اذ كل يسأل عن شكره وقيل الآية مخصوصة بالكفار عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ الهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطى من الاجر كأنما قرأ الف آية

الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٧﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٩﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿١٠﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١١﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ۞

سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانُ آيَاتٍ

١٠٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿٢﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٦﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٨﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۞

سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ

سورة العصر مكية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلاة العصر لفضلها او بعصر النبوة او بالدهر لاشتماله على الاعاجيب والتعريض بنفي ما يضاف اليه من الخسران ان الانسان لفي خسر ان الانسان لفي خسران في مساعيهم وصرف اعمارهم في مطالبهم والتعريف للجنس والتنكير للتعظيم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم اشتروا الآخرة بالدنيا ففازوا بالحياة الابدية والسعادة السرمدية وتواصوا بالحق بالثابت الذي لا يصح انكاره من اعتقاد او عمل وتواصوا بالصبر عن المعاصي او على الحق او ما يبلو الله به عباده وهذا من عطف الخاص على العام للمبالغة الا ان يخص العمل بما يكون مقصورا على كماله ولعله سبحانه انما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود واشعارا بان ما عدا ما عدّ يؤدي الى خسر ونقص حظ او تكرما فان الابهام في جانب الخسر كرم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وآيها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة لمزة الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن كاللهز فشاعا في الكسر من اعراض الناس والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال ضحكة ولعنة الا للمكثر المتعوّد وقرئ همزة ولمزة بالسكون على بناء المفعول وهو المسخرة الذي يأتي بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم ونزولها في الاخنس ابن شريق فانه كان مغتابا او في الوليد بن المغيرة واغتيابه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جمع مالا بدل من كل او ذم منصوب او مرفوع وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد للتكثير وعدّده وجعله عدة للنوازل او عدّه مرة بعد اخرى ويؤيده انه قرئ وعدده على فك الادغام يحسب ان ماله اخلده تركه خالدا في الدنيا فاحبه كما يحب الخلود او حب المال اغفله عن الموت او طول امله حتى حسب انه مخلد فعمل عمل من لا يظن الموت وفيه تعريض بان المخلد هو السعي للآخرة كلا ردع له عن حسبانه لينبذن اي ليطرحن في الحطمة في النار التي من شأنها ان تحطم كل ما يطرح فيها وما ادريك ما الحطمة ما النار التي لها هذه الخاصية نار الله تفسير لها الموقدة التي اوقدها الله وما اوقده لا يقدر غيره ان يطفئه التي تطلع على الافئدة تعلو اوساط القلوب وتشتمل عليها وتخصيصها بالذكر لان الفؤاد الطف ما في البطن واشده تألما او لانه محل العقائد الزائغة ومنشأ الاعمال القبيحة انها عليهم مؤصدة مطبقة من اوصدت الباب اذا اطبقته قال

تحن الى اجبال مكة ناقتي ومن دونها ابواب صنعاء موصده

وقرأ حفص وابو عمرو وحمزة بالهمزة في عمد ممدّدة اي موثقين في اعمدة ممدودة مثل المقاطر التي يقطر فيها اللصوص وقرأ ابو بكر وحمزة والكسائي بضمتين وقرئ عمد بسكون الميم مع ضم العين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد واصحابه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١٠٣

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تِسْعُ آيَاتٍ

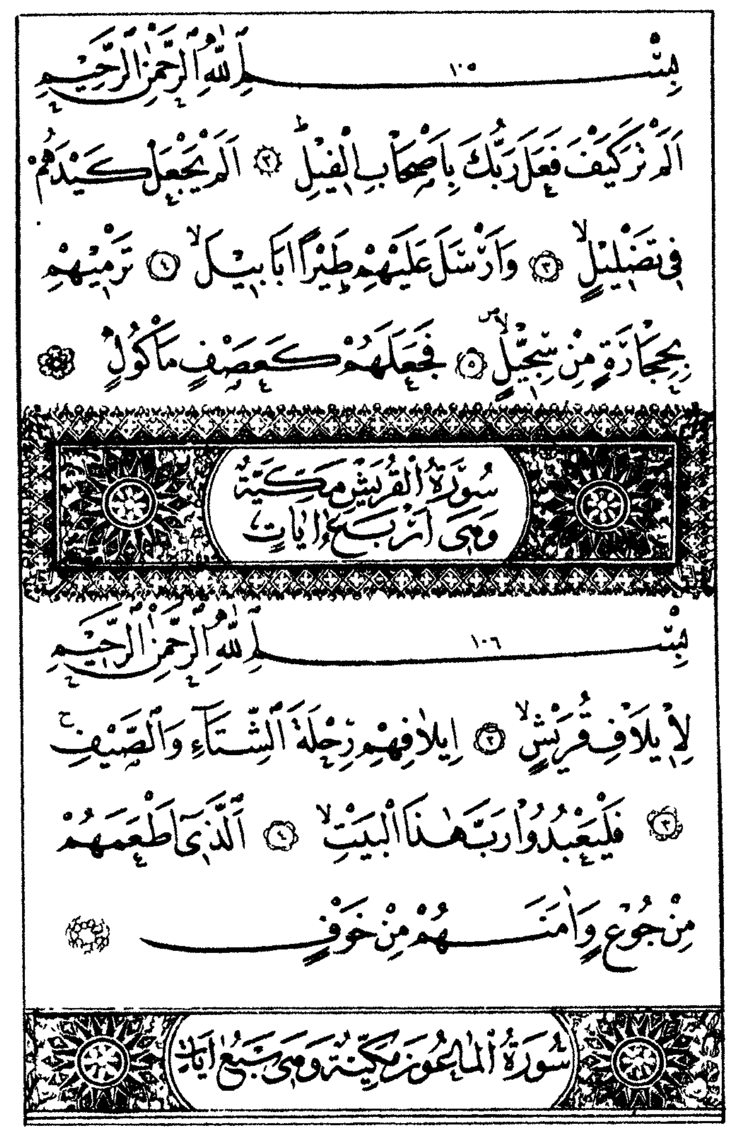
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١٠٤

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسُ آيَاتٍ

سورة الفيل مكية وهي خمس ايات بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب للرسول وهو وان لم يشهد تلك الواقعة لكن شاهد اثارها وسمع بالتواتر اخبارها فكانه رآها ولذا قال كيف ولم يقل ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله صلى الله عليه وسلم فانها من الارهاصات اذ روى انها وقعت في السنة التي ولد فيها الرسول عليه الصلوة والسلام وقصتها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة النجاشي بنى بيعة بصنعاء وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بجيشه ومعه فيل قوي اسمه محمود وفيلة اخرى فلما تهيأ للدخول وعبأ جيشه قدم الفيل وكان كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى جهة اخرى هرول فارسل الله طيرا كل طير في منقاره حجر وفي رجله حجران اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فترميهم فيقع الحجر على رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا وقرئ الم تر جدا في اظهار اثر الجازم وكيف نصب بفعل لا بتر لما فيه من معنى الاستفهام الم يجعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضليل في تضييع وابطال بان دمرهم وعظم شانها وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل لا واحد لها كعباديد وشماطيط ترميهم بحجارة وقرئ بالياء على تذكير الطير لانه اسم جمع او اسناده الى ضمير ربك من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل وقيل من السجل وهو الدلو الكبير والاسجال وهو الارسال او من السجل ومعناه من جملة العذاب المكتوب المدون فجعلهم كعصف مأكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان يأكله الدود او اكل حبه فبقي صفرا منه او كتبن اكله الدواب وراثته قال عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الفيل عافاه الله ايام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وايها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا رب هذا البيت والفاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لاجله ايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي الرحلة في الشتاء الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون ويتجرون او بمحذوف مثل اعجبوا او بما قبله كالتضمين في الشعر اي جعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش ويؤيده انهما في مصحف ابي سورة واحدة وقرئ لالاف قريش ايلافهم وقرئ ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء وقريش ولد النضر بن كنانة منقول من تصغير قرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار شبهوا بها لانها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وصغر الاسم للتعظيم واطلاق الايلاف ثم ابدال المقيد منه للتفخيم فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع بالرحلتين والتنكير للتعظيم وقيل المراد به شدة اكلوا فيها الجيف والعظام وامنهم من خوف خوف اصحاب الفيل او التخطف في بلدهم ومسايرهما او الجذام فلا يصيبهم ببلدهم قال عليه السلام من قرأ سورة لايلاف اعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها


بسم الله الرحمن الرحيم ١٠٥

الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ﴿١﴾ الم يجعل كيدهم في تضليل ﴿٢﴾ وارسل عليهم طيرا ابابيل ﴿٣﴾ ترميهم بحجارة من سجيل ﴿٤﴾ فجعلهم كعصف مأكول ﴿٥﴾

سورة القريش مكية وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم ١٠٦

لايلاف قريش ﴿١﴾ ايلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴿٢﴾ فليعبدوا رب هذا البيت ﴿٣﴾ الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ﴿٤﴾

سورة الماعون مكية وهي سبع ايات

سورة الماعون مختلف فيها وآيها سبع بسم الله الرحمن الرحيم أرايت استفهام معناه التعجب وقرئ اريت بلا همزة الحاقا بالمضارع ولعل تصدره بحرف الاستفهام سهل امرها وارايتك بزيادة الكاف الذى يكذب بالدين بالجزاء او الاسلام والذى يحتمل الجنس والعهد ويؤيد الثانى فذلك الذى يدع اليتيم يدفع دفعا عنيفا وهو ابو جهل كان وصيا ليتيم فجاء عريانا يسأله من مال نفسه فدفعه او ابو سفيان نحر جزورا فسأله يتيم لحما فقرعه بعصاه او الوليد بن المغيرة او منافق بخيل وقرئ يدع اى يترك ولا يحض اهله وغيرهم على طعام المسكين لعدم اعتقاده بالجزاء ولذلك رتب الجملة على يكذب بالفاء فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلون غير مبالين بها الذين هم يراؤن يرون الناس اعمالهم ليروهم الثناء عليها ويمنعون الماعون الزكاة او مايتعاور فى العادة والفاء جزائية والمعنى اذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التى هى عماد الدين والرياء الذى هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التى هى قنطرة الاسلام احق بذلك ولذلك رتب عليها الويل والسببية على معنى فويل لهم وانما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على معاملتهم مع الخالق والخلق عن النبى عليه السلام من قرأ سورة أرأيت غفر له ان كان للزكاة مؤديا سورة الكوثر مكية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انطيناك الكوثر الخير المفرط الكثير من العلم والعمل وشرف الدارين وروى عنه عليه السلام انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير احلى من العسل وابيض من اللبن وابرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد واوانيه من فضة لا يظمأ من شرب منه وقيل حوض فيها وقيل اولاده او اتباعه او علماء امته او القرآن فصل لربك فدم على الصلاة خالصا لوجه الله خلاف الساهى عنها المرائى فيها شكرا لانعامه فان الصلاة جامعة لاقسام الشكر وانحر البدن التى هى خيار اموال العرب وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية ان شانئك ان من ابغضك لبغضه لك هو الابتر الذى لا عقب له اذ لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت فيبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف عن النبى عليه السلام من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر له فى الجنة وكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر سورة الكافرين مكية وآيها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون يعنى كفرة مخصوصين قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روى ان رهطا من قريش قالوا يا محمد تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فنزلت لا اعبد ما تعبدون اى فيما يستقبل فان لا لا تدخل الا على مضارع بمعنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على مضارع بمعنى الحال ولا انتم عابدون ما اعبد اى فيما يستقبل لانه فى قران لا اعبد ولا انا عابد ما عبدتم اى فى الحال او فيما سلف ولا انتم عابدون ما اعبد اى وما عبدتم فى وقت ما انا عابده ويجوز ان تكونا تأكيدين على طريقة ابلغ وانما لم يقل ما عبدت ليطابق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل المبعث بعبادة الاصنام وهو لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وانما قال ما دون من لان المراد الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق او للمطابقة وقيل ما مصدرية وقيل الاوليان بمعنى الذى والآخريان مصدريتان لكم دينكم الذى انتم عليه لا تتركونه ولى دين الذى انا عليه لا ارفضه فليس فيه اذن فى الكفر ولا منع عن الجهاد ليكون منسوخا باية القتال اللهم الا اذا فسر بالمتاركة وتقرير كل من الفريقين الآخر على دينه وقد فسر الدين بالحساب والجزاء والدعاء والعبادة عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ١٠٧

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ② فَذٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ③ وَلَا يَحُضُّ عَلٰى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ④ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُنَ ⑦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ

سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثُ آيَاتٍ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ١٠٨

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ② فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ③ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١٠٩

قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ④ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥

سورة النصر مدنية وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١١٠

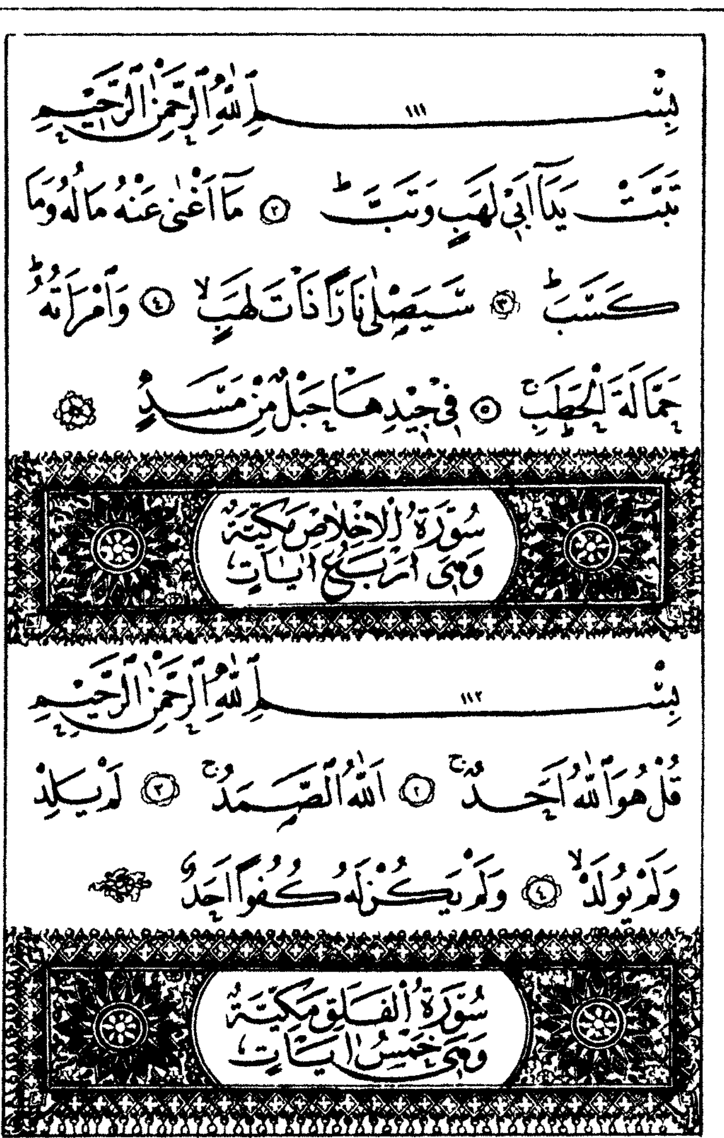
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③

سورة اللهب مكية وهي خمس آيات

سورة النصر مدنية وآيها ثلاث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله اظهاره اياك على اعدائك والفتح فتح مكة وقيل المراد جنس نصر الله للمؤمنين وفتح مكة وسائر البلاد عليهم وانما عبر عن الحصول بالمجيء تجوزا للاشعار بان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها فتقرب منها شيأ فشيأ وقد قرب النصر من وقته فكن مترقبا لوروده مستعدا لشكره ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيفة كاهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب ويدخلون حال على ان رايت بمعنى بصرت او مفعول ثان على انه بمعنى علمت فسبح بحمد ربك فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببال احد حامدا له عليه او فصل له حامدا على نعمه روى انه لما دخل مكة بدأ بالمسجد فدخل الكعبة وصلى ثماني ركعات او فنزهه عما كانت الظلمة يقولون حامدا له على ان صدق وعده او فأثن على الله بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا لعملك واستدراكا لما فرط منك بالالتفات الى غيره وعنه عليه الصلاة والسلام انى استغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وقيل استغفره لامتك وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق الى الخلق كما قيل ما رايت شيئا الا ورأيت الله قبله انه كان توابا لمن استغفره منذ خلق المكلفين والاكثر على ان السورة نزلت قبل فتح مكة وانه نعي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لما قرأها بكى العباس فقال عليه الصلاة والسلام ما يبكيك قال نعيت اليك نفسك فقال انها لكما تقول ولعل ذلك لدلالتها على تمام الدعوة وكمال امر الدين فهي كقوله اكملت لكم دينكم او لان الامر بالاستغفار تنبيه على دنو الاجل ولهذا سميت سورة التوديع وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة اذا جاء اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة ابي لهب مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم تبت هلكت او خسرت والتباب خسران يؤدي الى الهلاك يدا ابي لهب نفسه كقوله ولا تلقوا بايديكم وقيل انما خصتا لانه عليه السلام لما نزل عليه وانذر عشيرتك الاقربين جمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه به فنزلت وقيل المراد بهما دنياه واخرته وانما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته او لان اسمه عبد العزى فاستكره ذكره او لانه لما كان من اصحاب النار كانت الكنية اوفق بحاله او ليجانس قوله ذات لهب وقرأ ابن كثير ابي لهب بسكون الهاء وقرئ ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب وتب اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه كقوله جزاني جزاه الله شر جزائه جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه انه قرئ وقد تب او الاول اخبار عما كسبت يداه والثاني عن نفسه ما اغنى عنه ماله نفي لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكار له ومحله النصب وما كسب وكسبه او مكسوبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة والاتباع او عمله الذي ظن انه ينفعه او ولده عتبة وقد افترسه اسد في طريق الشام وقد احدق به العير ومات ابو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر بايام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه سيصلى نارا ذات لهب اشتعال يريد نار جهنم وليس فيه ما يدل على انه لا يؤمن لجواز ان يكون صليها للفسق وقرئ سيصلى بالضم مخففا ومشددا وامرأته عطف على المستكن في سيصلى او مبتدأ وهي ام جميل اخت ابي سفيان حمالة الحطب يعني حطب جهنم فانها كانت تحمل الاوزار بمعاداة الرسول عليه السلام وتحمل زوجها على ايذائه او النميمة فانها توقد نار الخصومة او حزمة الشوك والحسك كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بالنصب على الشتم في جيدها حبل من مسد اي مما مسد اي فتل ومنه رجل ممسود الخلق اي مجدوله وهو ترشيح للمجاز او تصوير لها بصورة الحطابة التي تحمل الحزمة وتربطها في جيدها تحقيرا لشأنها او بيانا لحالها في نار جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وفي جيدها سلسلة من النار والظرف في موضع الحال او الخبر وحبل مرتفع به عن النبي عليه السلام من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

سورة الاخلاص مختلف فيها وايها اربع بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة الى العائد لانها هو او لما سئل عنه اى الذى سألتم عنه هو الله اذ روى ان قريشا قالوا يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت واحد بدل او خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله على جميع صفات الكمال اذ الواحد الحقيقى ما يكون منزه الذات عن انحاء التركيب والتعدد وما يستلزم احدهما كالجسمية والتحيز والمشاركة فى الحقيقة وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقتضية للالوهية وقرئ هو الله بلا قل مع الاتفاق على انه لا بد منه فى قل يا ايها الكافرون ولا يجوز فى تبت ولعل ذلك لان سورة الكافرين مشاقة الرسول عليه السلام وموادعته لهم وتبت معاتبة عمه فلا يناسب ان يكون منه واما هذا فتوحيد يقول به تارة ويؤمر بان يدعو اليه اخرى الله الصمد السيد المصمود اليه فى الحوائج من صمد اذا قصد وهو الموصوف به على الاطلاق فانه يستغنى عن غيره مطلقا وكل ما عداه محتاج اليه فى جميع جهاته وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتكرير لفظ الله للاشعار بان من لم يتصف به لم يستحق الالوهية واخلاء الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى والدليل عليها لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضى لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لا يفتقر الى شئ ولا يسبقه عدم ولم يكن له كفوا احد اى ولم يكن احد يكافئه اى يماثله من صاحبة وغيرها وكان اصله ان يؤخر الظرف لانه صلة كفوا لكن لما كان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى قدم تقديما للاهم ويجوز ان يكون حالا من المستكن فى كفوا او خبرا ويكون كفوا حالا من احد ولعل ربط الجمل الثلاث بالعطف لان المراد منها نفى اقسام الامثال فهى كجملة واحدة منبه عليها بالجمل وقرأ حمزة ويعقوب ونافع فى رواية كفوا بالتخفيف مهموزا وحفص كفوا بالحركة وقلب الهمزة واوا والباقون بالحركة مهموزا ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الالهية والرد على من الحد فيها جاء فى الحديث انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده محصورة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات من ذلك وعن النبى عليه السلام انه سمع رجلا يقرأها فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة سورة الفلق مختلف فيها وايها خمس بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق ما يفلق عنه اى يفرق عنه كالفرق فعل بمعنى مفعول وهو يعم جميع الممكنات فانه تعالى فلق ظلمة العدم بنور الايجاد عنها سيما ما يخرج من اصل كالعيون والامطار والنبات والاولاد ويخص عرفا بالصبح ولذلك فسر به وتخصيصه لما فيه من تغير الحال وتبدل وحشة الليل بسرور النور ومحاكاة فاتحة يوم القيامة والاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم قدر ان يزيل عن العائذ ما يخافه ولفظ الرب ههنا اوقع من سائر اسمائه لان الاعاذة من المضار تربية من شر ما خلق خص عالم الخلق بالاستعاذة منه لانحصار الشر فيه فان عالم الامر خير كله وشره اختيارى لازم ومتعد كالكفر والظلم وطبيعى كاحراق النار واهلاك السموم ومن شر غاسق ليل عظم ظلامه من قوله الى غسق الليل واصله الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا وقيل السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها اذا وقب دخل ظلامه فى كل شئ وتخصيصه لان المضار فيه تكثر ويعسر الدفع ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل المراد به القمر فانه يكسف فيغسق ووقوبه دخوله فى الكسوف



ومن شر النفاثات في العقد ومن شر النفوس او النساء السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وتخصيصه لما روي ان يهوديا
سحر النبي عليه الصلاة والسلام في احدى عشرة عقدة في وتر دسه في بئر فمرض عليه الصلاة والسلام فنزلت المعوذتان واخبره جبرائيل بموضع السحر
فارسل عليا كرم الله وجهه فجاء به فقرأهما عليه فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد بعض الخفة ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في انه مسحور لانهم ارادوا به
انه مجنون بواسطة السحر وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها وافرادها بالتعريف لان كل
نفاثة شريرة بخلاف كل غاسق وحاسد ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه فانه لا يعود ضرره منه قبل ذلك الى المحسود بل يخص به
لاغتمامه بسروره وتخصيصه لانه العمدة في اضرار الانسان بل الحيوان غيره ويجوز ان يراد بالغاسق ما يخلو عن النور وما يضاهيه كالقوى وبالنفاثات النباتات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١١٣

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥

سُورَةُ النَّاسِ مَدَنِيَّةٌ وَهِيَ سِتُّ آيَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ١١٤

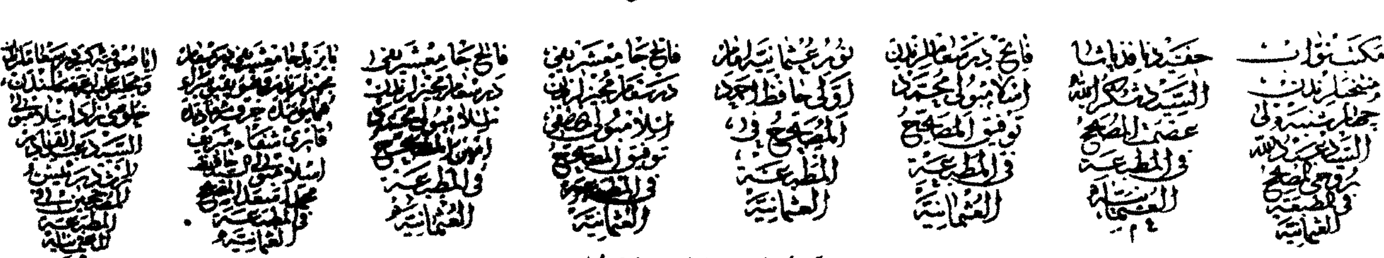
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ مَلِكِ النَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ النَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝٥ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ۝٦

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا

فان قواها النباتية من حيث انها تزيد في طولها وعرضها وعمقها كأنها تنفث
في العقد الثلاث وبالحاسد الحيوان فانه انما يقصد غيره غالبا طمعا فيما
عنده ولعل افرادها من عالم الخلق لانها الاسباب القريبة للمضرة
عن النبي عليه الصلاة والسلام لقد انزلت علي سورتان ما انزل مثلهما وانك
لن تقرأ سورتين احب ولا ارضى عند الله منهما يعني المعوذتين
سورة الناس مختلف فيها وآيها ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم
قل اعوذ قرأ ورش في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام
برب الناس لما كانت الاستعاذة في السورة المتقدمة من المضار البدنية
وهي تعم الانسان وغيره والاستعاذة في هذه السورة من المضار التي
تعرض للنفوس البشرية وتخصها عمم الاضافة ثمه وخصصها بالناس ههنا
فكأنه قيل اعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم
ويستحق عبادتهم ملك الناس اله الناس عطف بيان له فان الرب
قد لا يكون ملكا والملك قد لا يكون الها وفي هذا النظم دلالة على انه
تعالى حقيق بالاعاذة قادر عليها غير ممنوع عنها واشعار على مراتب الناظر
في المعارف فانه يعلم اولا بما يرى عليه من النعم الظاهرة والباطنة ان له
ربا ثم يتغلغل في النظر حتى يتحقق انه غني عن الكل وذات كل شئ له ومصارف
امره منه فهو الملك الحق ثم يستدل به على انه المستحق للعبادة لا غير
ويدرج في وجوه الاستعاذة المعتادة تنزيلا لاختلاف الصفات منزلة
اختلاف الذات اشعارا بعظم الآفة المستعاذ منها وتكرير الناس لما
في الاظهار من مزيد البيان والاشعار بشرف الانسان من شر الوسواس
اي الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال
والمراد به الموسوس وسمي بفعله مبالغة الخناس الذي عادته
ان يخنس اي يتأخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور
الناس اذا غفلوا عن ذكر ربهم وذلك كالقوة الوهمية فانها
تساعد العقل في المقدمات فاذا آل الامر الى النتيجة خنست واخذت توسوسه وتشككه ومحل الذي الجر على الصفة او النصب او الرفع على الذم من الجنة
والناس بيان للوسواس او للذي او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم من جهة الجنة والناس وقيل بيان للناس على ان المراد به ما يعم
الثقلين وفيه تعسف الا ان يراد به الناسي كقوله يوم يدع الداع فان نسيان حق الله يعم الثقلين عن النبي عليه الصلاة والسلام
من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى والله سبحانه وتعالى اعلم

الحمد لله الذي
جعل خلص عباده مخرج آثاره الخيرية
والصلوة والسلام على مصدر النعم الخفية والجلية
محمد الذي هو ابعث نجاة البرية وعلى آله واصحابه البررة النقية وبعد فمن
البديهيات المستغنية عن الدليل ان تفسير القاضي الموسوم بانوار التنزيل واسرار
التأويل مع صغر حجمه ووجازة نظمه محتويا في التفاسير المفصلة ومع خلوه
عن الزوائد المملة والاختصارات المخلة منطو فيه مزايا زبر المهرة والكملة ومكنونة في
قعر كلماته درر المعاني واللباب كما استخرجها منها الغواصون من اولي الالباب ولو لم تكن
شهرته مستغنية عن الاطناب والاعلام لقلت في مدحته بما قال العلماء الاعلام فلله دره حيث
كان موفقا بانتشاره شرقا وغربا فكان غنيمة لذي المهرة طبعا وكسبا فقد تيسر طبع هذا النبراس
النافع للناس بطرز جديد وتصحيح سديد ساحته بدر ونور وهالته كوكب زهور في زمن ايام قطب
فلك السلطنة الغراء مركز دائرة الخلافة العلياء ملاذ عباد الله حافظ حدود الله الذي تجب طاعته للاصغر والاكبر
ويعد عصيانه من المنهي والمنكر ذرة تيجان آل عثمان السلطان ابن السلطان السلطان الغازي (عبد الحميد) خان
اللهم اجعل شمس دولته نيرة على الكمال واحفظها من سمة الزوال ودمر اعدائه بسيف الشريعة الاحمدية وسر اصدقاء
دولته بنعمائك الابدية آمين يا معين وقد تصادف تمام طبع هذا الكتاب في مطبعة المشتهرة في الاقطار بالمطبعة
العثمانية التي انشأها صاحب النفس الزكية صديق دولته العلية حائز الكمالات العلمية والعملية نائل مرحمة
الملوك نصف السلوك جالب دعوات العلماء والضعفاء الى جانب ولي نعمته فخر السلاطين والملوك
حضرة عثمان بك صانه الله عن الآفات ورفع درجته فوق الدرجات ويجعل له
التوفيق ساعدا ومن مدد الحق مساعدا حتى يبلغ قاصية سؤله ويملك
ناصية مأموله وطول عمره آمين في اول جمادى الاولى لسنة
خمس وثلاث مائة بعد الالف من هجرة من له العز والشرف
على صاحبه افضل الصلوة واشرف السلام

سنة ١٣٠٥



نظر به فوجدته على ما هو منقول
مستشار مشيخت عليا